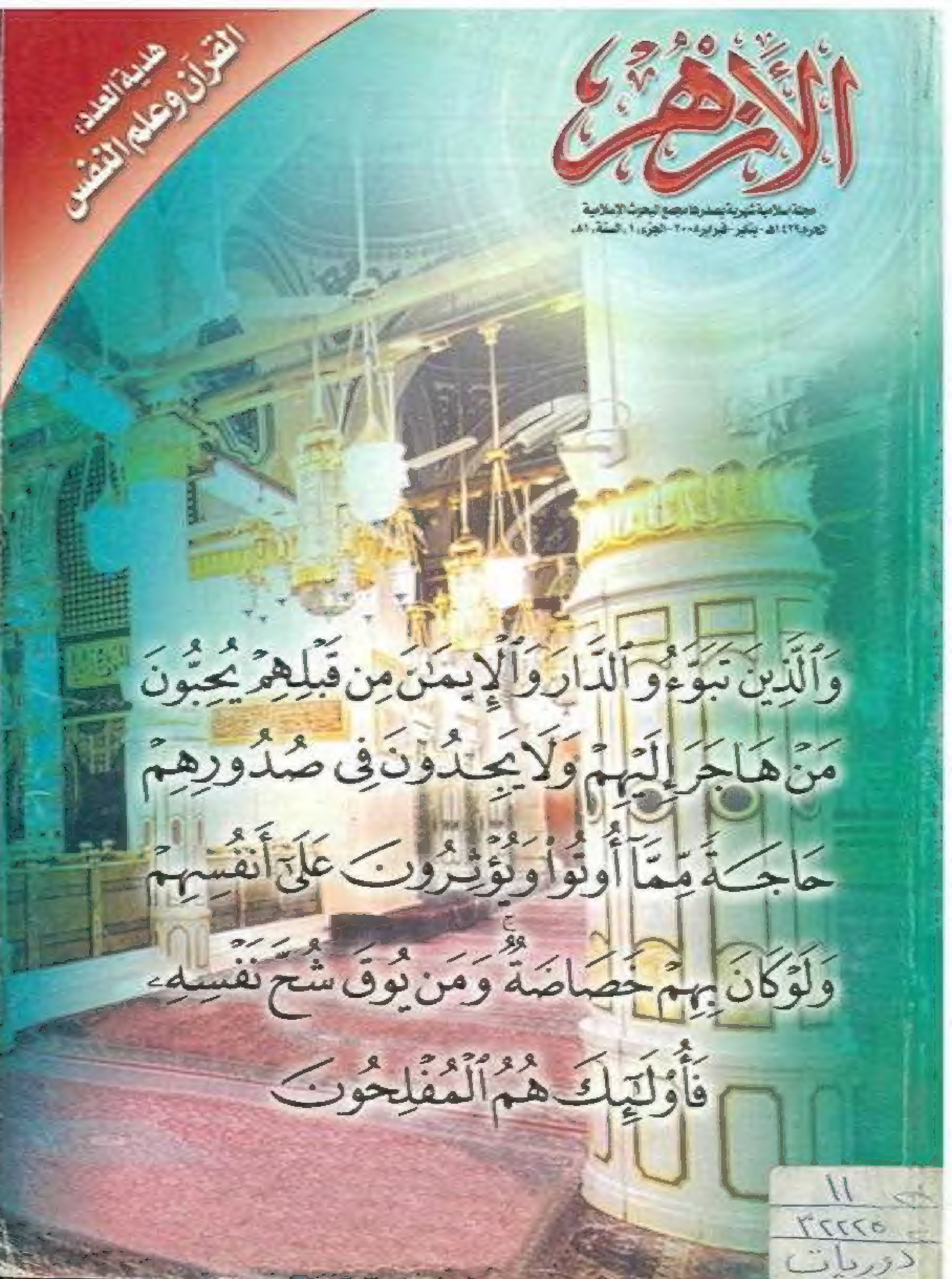

الأزهر
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
محرم ١٤٢٩هـ - يناير - فبراير ٢٠٠٨ - الجزء ١ - السنة ٨١
هدية العدد:
القرآن وعلم النفس
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
١١
٣٢٢٢٥
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

المحرم ١٤٢٩هـ - فبراير ٢٠٠٨م - الجزء الأول - السنة (٨١)

أكثر رسائل الجامعات.. هيكل عظمي

لا أزال أذكر أثر الهيكل العظمي حين رأيته في إحدى عيادات طبيب قروي لأول مرة واقفاً في صندوقه الزجاجي وكنت لم أتجاوز العاشرة من العمر، ولكن المنظر الجهم المجرد من الدم واللحم قد رجني رجًا وبان الألم على وجهي وكان معي والدي - رحمه الله - وهو في كل أموره لا ينى يذكر ربه ويتحدث عن اليوم الآخر، وقد لاحظ انقباضي العابس، فسألني بماذا أحس؟ هل أشكو ألماً؟ فقلت له: هذا الهيكل الواقف بعينه المنطفئة، ووجهه القاتم وعروقه الخضراء الممتدة في اليدين والرجلين يثير أعصابي كثيرا. فقال لي بكل هدوء: هو أرحم من رؤية عظام المقابر المنتثرة في التراب، فقلت له: كفى كفى! قال: كلنا لله يا بني فاقرأ الفاتحة لننتقل من حال إلى حال!

ولا أدري لماذا تلوح لي صورة الهيكل العظمي كلما أقرأ بعض الرسائل الجامعية التي تهمي كالمطر هذه الأيام، فأنا أوازن بينها وبين ما كنا نعهد أيام الجد والغيرة العلمية فأجدها كالهيكل العظمي تماما، قد جردت من ملامح الحياة تماما، فهي معلومات مرصوصة كيفما اتفق! وكما يخلو هيكل الصندوق الزجاجي من اللحم والدم والنبض خلت من الابتكار المتواضع في تحليل الرأي ومن اطراد السياق في تناول الموضوع، بحيث أصبحت «ملفاً» يدوّن المعلومات من مصادرها ولا يحاول أن يوجد الرباط بينها وتضحك حين ترى الهوامش مليئة بالمراجع والمصادر ومن بينها آيات كتاب الله والأشعار المشتهرة في دواوين الأعلام لا النكرات! وتقرأ ما تقرأ فتنتقل من غثاء إلى غثاء.

وكان الأولى بكاتب الرسالة أن يحمد الله على نوال الدرجة العلمية ويحاول سترها عن أعين الناس ولكن الطالب قد اغتر بثناء لجنة المناقشة - وأكثرهم من طرازه في عهد الطلب - فسارع بطبعها، وذكر مباهيا أنها نالت مرتبة الشرف، ثم رأى أن ينتفع بها الطلاب فقرر جزءا منها في مدرج وجزءا في مدرج آخر، وغالى في الثمن مغالاة تدمي العيون، وقد أتاحت له أن يتحدث عنها لطلابه، عنها هي لا عما فيها فأملّ وأفرط.

المادة هي الهدف الأول!!

والأصل في اختيار موضوع الرسالة الجامعية أن يكون نابعا من فكر الباحث، بحيث أتاحت له دراسة السنتين اللتين قضاهما فيما يسمى بالدراسات العليا أن يتشبع بموضوع معين، بدأت عناصره تتجمع في فكره فجذبته جذبا قويا إلى معالجته، وألحت عليه إلحاحا كان مصدر دفع قوي لا يرد. هذا هو الأصل في اختيار موضوع الرسالة، ولكن السائد المتعارف عليه أن يخرج الطالب من دراسته العليا غافلا بعيدا عن كل تفكير فيما سيتناوله بالدراسة، وأساتذته مع ذلك حريصون على أن يتقدم للماجستير ليكون لهم أجر الإشراف فقط! فالمسألة المادية لدى الكثيرين هي الهدف الأول في سير الدراسات العليا لدى الجمهرة من أساتذة اليوم، وأقول الجمهرة لأني أعرف نفراً قليلا يراقبون حق العلم في مزاولة ما يعهد إليهم من الأعمال فهم لا يقبلون الإشراف إلا على الطالب الجيد، كما لا يقبلون أن يكون الموضوع مكررا لا يوحي بشيء جديد! فإذا تقدم الطالب المسكين لتسجيل موضوع الدراسة لجأ إلى أحد هؤلاء المتلهفين على الإشراف ليختار له موضوع البحث وصاحبنا - كما هو شائع اليوم - ليس له من الخبرة العلمية ما يسمح باختيار موضوع موفق، وإذا كان لابد من الاختيار فهنا يأتي التحايل على اختيار موضوع يلوح في مظهر الجديد الطريف وهو مكرر معاد، ثم يسارع بتسجيله مع مباركة المنتفعين.

عشرون بحثا مسروقا في جامعة واحدة!!

أذكر أني قرأت رسالة في التاريخ الإسلامي عنوانها «الحالة الاجتماعية في عهد الرشيد» وبعد أمد قريب قرأت رسالة عنوانها «بغداد في عهد الرشيد» والكلية واحدة فشاقت نفسي لمراجعة الرسالتين فوجدت ما توقعت أن يكون فالهيكل العلمي للأبواب والفصول متقارب والبدء بحياة الرشيد وتسجيل مواقفه قد طغى طغيانا فاحشا على الرسالتين وكأنه كل شيء في الموضوع. وبعد ذلك لا تجد غير الحديث المعاد عن شخصية شهيرة تعددت فيها البحوث وكثرت عنها المؤلفات، أما البحثان فقد تما في أقصر مدى يرتقب، وأما المناقشة فقد حفلت بالإشادة والتنويه، وأما الدرجة العلمية فكانت أعلى الدرجات!.. وأرجو ألا يتهمني أحد بالمبالغة فقد نشرت الجمهورية عن جامعة بالصعيد عنواناً ينبئ عن سرقة عشرين بحثا علميا في جامعة واحدة! تقدم بها المدرسون لنيل درجات الأستاذية والأستاذية المساعدة فإذا كان هذا مذهب المشرفين على رسائل الطلاب لا في الاقتباس بل في الاختلاس فكيف يرجى التدقيق منهم في اختيار موضوع للطالب ثم في مراجعة ما كتب وتسديد ما تعثر فيه من الخطوات ثم في مناقشة البحث وإعطائه الدرجة المناسبة. هذا لن يكون! ولعل القارئ الكريم على ذكر من مقالي الذي كتبته بالهلال منذ بضعة أعوام تحت عنوان: «فيضان الدكتوراه إلى أين» فهو يغني عن كل إسهاب.

وإذا أردت أن أفيض في الإشارة إلى الموضوعات المكررة مضمونا، والمختلفة اسما فقط فسأرهق القارئ بما لا مزيد عليه من الضيق والتبرم، فلأترك ذلك مع ذيوعه المخجل على مدى رحيب كي أسأل عن وجه الجدية في تسطير رسائل لا تعطى أدنى إضافة ولا تحفل بأى استنتاج علمي مفيد، وإنما هي معلومات متراكمة يجمعها مؤلف غير متخصص إذا وجدت أمامه المراجع! إننا نعيش في عصر المطبعة منذ عدة قرون، هذه المطبعة التي يسرت العسير وسهلت البعيد بحيث أصبحت المصادر قريبة التناول وقد تعددت المكتبات في كل معهد وكلية، بل في كل عاصمة من عواصم الإقليم، فإذا كان المراد هو الحشد والتبويب فما أسهل وما أهون، أما إذا كان المراد هو التحقيق والتفسير والتحليل فقد أصبح في حكم المحالات!


العقاد

درس من العقــــاد

أذكر أن أستاذنا الكبير عباس محمود العقاد سمع عن كتاب أدبي ألفه مستشرق إنجليزى يسمى «رفون جست» تحت عنوان «حياة ابن الرومي وأعماله» فلم يسترح حتى جد في العثور عليه وبادر بقراءته قراءة واعية فلم يجد به شيئا غير الجمع والاستقصاء لما هو مدون من الأخبار والأحداث فكان ذلك موضع ملاحظته الناقدة؛ إذ كتب عنه نقدا هادفا بمجلة الكتاب «ديسمبر ١٩٤٥م» قال فيه: «أحاط المؤلف إما بالنقل أو الإشارة إلى كل نص له علاقة بالتاريخ فذكر البلاد التي رحل إليها الشاعر والأمراء الذين قصدهم بالمديح أو أنحى عليهم بالهجاء والوقائع التي اتصلت بسيرة حياته والمؤرخين الذين ترجموا له وجمع من ذلك كله (ملفا) حاويًا للمعلومات المستطاعة.

ثم قال العقاد: «وخلاصة ما يقال في هذه الرسالة إنها ما شئت من نصوص وإشارات ولكنها تتحرج عن بعد ذلك من كل تقدير أو تفسير كأنه حوبة في الدراسة التاريخية لا يجوز أن تلم بها الأقلام.. وهي مثال صادق لما يلتزمه المستشرقون، فخذ ما شئت من نصوص وأرقام وفهارس وهوامش وإشارات ودع كل ما وراء ذلك من تقدير وتفسير أو من تخريج وتفكير».

هذا النحو التأليفي المرفوض من العقاد هو مع استنكار العقاد له أوفى هدفا وأبلغ قصدا من كثير من رسائل الجامعيين اليوم؛ لأنه على الأقل أحاط بكل نص له علاقة بالتاريخ حاويا للمعلومات المستطاع وجودها وذلك ما لا يتم على وجهه المنشود في هذه الرسائل؛ إذ أنها شذور تجمع أشياء وتترك أشياء فليست بذلك ملفا كاملا والمؤلف بعد باحث حر ليس وراءه مشرف أو لجنة مناقشة وقد وجد النقد من ناقد يرعى حرمة البحث ويقدر أبعاده ومراميه وقد مات العقاد - رحمه الله - قبل أن تسيطر هذه التفاهات في المحيط الجامعي ولو أدركها لصاح واستغاث!

كيف تكتب بحثا أو رسالة؟!

وأشير إلى ناحية ذات مغزى، فقد ألف الأستاذ الجليل أحمد شلبي كتابا تحت عنوان «كيف تكتب بحثا أو رسالة» صادف رواجا هائلا، إذ قاربت طبعاته العشرين، لأن طلبة الرسائل المساكين قد ظنوا أن مجرد قراءة الكتاب ستجعلهم أصحاب دراية تامة فيما يحاولون مع أن الكتاب وأمثاله لا تفيد غير صاحب الدراية العلمية بأساليب البحث، فهو يستوثق بما فيه في طريقه التأليفي، على شريطة أن يكون قد قرأ من الرسائل الجامعية الممتازة ما أعطاه انطباعا صادقا عن التأليف المنشود فتكون هذه النماذج موضع المحاذاة الجادة في المنهج وطريقة التناول، والذى يعتمد على كتاب الدكتور شلبي ونظائره التي انتشرت الآن على نحو مستفيض دون أن يحمل في أعماقه بذرة الباحث التي تتهيأ للنمو المتصل بتكرار القراءة الفاحصة والنظر المستوعب يكون مثاله مثال المقعد الكسيح الذى يقرأ كتابا في تعلم السباحة، فمهما قرأ الكتاب وامتصه امتصاصا فهو لا يستطيع أن يجازف بإلقاء نفسه في الماء؛ لأن الأداة الأولى للسباحة مفقودة، وسيغرق لا محالة بمجرد مباشرة الماء! كذلك تكون حال الذين لم يأخذوا من هذه الكتب غير معلومات عن تنظيم البطاقات ونقل النصوص كاملة أو مبتورة وطرق التهميش وعلامات الترقيم وفهرسة المصادر والأبواب، ونحن أبناء الجيل الماضي قد كتبنا الرسائل دون أن نقرأ هذه الكتب؛ لأن مزاولة القراءة المتئدة لآثار الكبار من الباحثين قد أغنت عن هذه الكماليات غناء تاما، وإذا كان الذى يعرف الوزن العروضي لا يستطيع أن يكون شاعرا دون موهبة أصيلة فكذلك من يهتم بنصائح هذه الكتب دون أن تتقد في صدره جذوة البحث الدافعة إلى الكمال بحرارتها المشتعلة، وبعض المشرفين - جزاهم الله - يريدون أن يريحوا أنفسهم من كل مسئولية علمية فينصحوا الدارس المبتدئ بشراء هذا الصنف من الكتب وكأنهم بذلك وحده قد هدوه سواء السبيل.

ودرس من الشيخ عبد الوهاب النجار!!

وكنت أسأل نفسي حين أقرأ رسالة من هذا الطراز المؤسف ماذا كتب الفاحص في تقريره الذى رفعه عنها إلى المسئولين والذى قضى بصلاحية الرسالة للمناقشة؟! فوفقني الله إلى العثور على بعض هذه التقريرات في جامعات مختلفة لا في جامعة واحدة إذ كلنا في الهم شرق، فقرأت القليل مما أستحسن وأحبذ ولكن الكثير -وا أسفاه- لم يزد على أن يكون فهرسا لموضوعات الرسالة حيث ينص المقرر الجليل على أن الرسالة عدة أبواب وعدة فصول، ويذكر عناوين الفصول كما هي، ثم يقرر صلاحيتها للمناقشة، وهو بعمله هذا شبيه بمن يفهرس الكتب في المكتبات فيكتب عن كل كتاب موجزا مقتضبا لأبوابه، ولكنه لا يدعى أنه فاحص ناقد، فهو موظف يؤدى عملا نيط به، والمقارنة بين الحاضر المزعج والماضي المشرق

أليمة مفجعة فقد وقع في يدي أول تقرير عن أول رسالة في التاريخ قدمت للجامعة المصرية ١٩٢٠م منذ أكثر من ثمانين عاما، هذا التقرير لم يكتبه أكاديمي متخصص يباهي بدرجته العلمية ومكانته في هيئة التدريس بالجامعة ولكن كتبه عالم جليل تخرج في مدرسة دار العلوم في أواخر القرن التاسع عشر وزاول المحاماة الشرعية حينا، فالتعليم بالمدارس الحكومية حينا آخرا، ثم اختير بعد أن اشتهر بالفضل والعلم مدرسا للتاريخ بالجامعة المصرية خلفا للشيخ محمد الخضري وكلاهما فرسا رهان في البحث والجدل. وألقى محاضرات ممتازة سجلتها صحيفة «الجامعة المصرية» في أوائل العشرينيات، هذا العالم البحاثة الفضال هو شيخنا الأستاذ عبدالوهاب النجار الذي يقول الجارم فيه هذا البيت النادر:

يـذل له شـموس القول طـوعا ويستخذي له المعنى المـدلّ

إذ كان من الذين ناقشوا الدكتور أحمد بيلي في رسالته عن صلاح الدين الأيوبي وكتب عنها تقريرا علميا نشره المؤلف في صدر كتابه فبهرني أن يكون التقرير في اثنتي عشرة صفحة مستفيضة بما يدل على أن الفاحص قد هضمها هضما واستوعبها استيعابا دقيقا لا شيء بعده وقد قسم التقرير إلى عناصر هي:

«١» هل أحسن صاحب الرسالة الاختيار؟

«٢» المصادر التي استقى منها كلامه.

«٣» لغة الرسالة.

«٤» المؤاخذات اللغوية، وقد قال في خاتمتها: إن الكثير مما ذكر قد يكون له مساغ في اللغة ولكنه حريص على الأجود الأمثل.

«٥» الرسالة كبحث تاريخي، وقد أفاض في هذا العنصر بما لا مزيد عليه.

«٦» الأمور التي تحتاج إلى محاورة سيتناولها أثناء النقاش في الحفل العام.

فبالله ثم بالله ماذا يقول الناقد حين يوازن بين تقرير كتب منذ أكثر من ثمانين عاما في بدء الدراسة الجامعية وتقارير يكتب الواحد منها في أقل من صفحة لملء الفراغ؟!

الدراسات العليا ... بين المسكنات والعلاج!

هذا عن التقارير «المحترمة» التي يكتبها أساتذة الجامعة في القرن الحادي والعشرين أما المناقشة نفسها فقد أتيح لي أن أسمع خلاصات لها في حلقات «البرنامج الثقافي» أسمعها مضطرا؛ لأن نظري الضعيف لم يعد يسمح لي بالقراءة أثناء الليل ولأني مصاب بالأرق الذي لا حيلة لي فيه حين يكون ليلي كليل امرئ القيس يتمطى بصلبه، ويردف أعجازا، وينوء بكلكل، وإذن

فالاستماع للبرنامج ضرورة لا معدى عنها، وأكرر أن الجيد في حلبات النقاش موجود فعلا، إذ يتم على أيدي أساتذة أصلاء لا أدري ماذا يكون الموقف لدينا حين يرحلون الحياة ويتركون الحلبات لأكثرية تهتم بالقشور ولا تصل إلى اللباب وقد يكون في هؤلاء من يخطئ الصواب فيقابل بالتصفيق ومن يبدل خطأ بخطأ أسوأ منه فيقابل بالتصفيق وكأننا في حفل انتخابي يقوم به مهرج محترف ليزكي مرشحا جمع أنصاره المأجورين والأقربين للهتاف والضجيج؟! ولو أردت أن أضرب الأمثلة لسقطات شائنة مما سمعت لضاق شبر عن مسير.

وأسأل نفسي ما علاج هذا الداء الوبيل الذي استشرى في كل الجامعات لا في بعضها فأجدني وقد حاولت تشخيصه لا أستطيع تحديد الدواء الناجع ومن أنا حتى أقوم بهذا العبء الثقيل ولدينا مجالس للجامعات ومجلس أعلى فوق هذه المجالس، كما لدينا المجالس القومية المتخصصة تضم من الفضلاء من يجب أن ينهضوا بالعمل الجاد للخروج من هذه الأوحال؟ على أني أقترح أن تكون مدة الدراسة العالية أربع سنوات لا سنتين وأن يكون للدراسات العليا كلية خاصة تجمع الأكفاء ممن لهم شهود علمي ملحوظ داخل الجامعة وخارجها، ويستحسن أن يكون أعضاء المناقشة خمسة لا ثلاثة كما يجب أن ينال الطالب درجة الامتياز في ختام السنوات الأربع ولا يكتفي بما دونها. وهذه مسكنات فقط، أما العلاج الحاسم فأتركه لذوي التجربة من الممارسين، وإذا استمر الحال على نحو ما وصفت فستفقد الدراسات العليا كيانها الحقيقي التي شرعت من أجله وستعود شبيهة بما دونها من الدراسات في الكليات والمدارس الثانوية وما في ذلك مغالاة بل هو الواقع الأليم.

كان أستاذي الكبير أحمد شفيع السيد – رحمه الله – يقول الشعر لنفسه لا للقراء وكان يكتب البيتين والثلاثة على الكتب التي يطالعها دون أن يهتم بجمعها وقد قرأت ذات مرة قوله الناقد مسطرا على مجلد كبير اهتم مؤلفه بالكم لا بالكيف فأوحى للشاعر أن يقول:

أصـبح التأليـف قصّـاً والتهامـا للمراجـع

فـإذا رمـت ابتكـارا تجـد الـدار بلاقـع

وهكذا أكثر رسائل اليوم! فاعتبروا يا أولي الألباب!

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

(الآيات: ١٥٥ - ١٥٨)

ثم أخبر -سبحانه- عن الذين لم يثبتوا مع النبي ﷺ يوم أحد، وبين السبب في ذلك وفتح لهم باب عفوه فقال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

وقوله: ﴿ تولوا ﴾ من التولي ويستعمل هذا اللفظ بمعنى الإقبال وبمعنى الإدبار فإن كان متعديا بنفسه كان بمعنى الإقبال كما في قوله -تعالى-:

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

(المائدة: ٥٦)

وإذا كان متعديا بعن أو غير متعد أصلا كان بمعنى الإعراض كما في الآية التي معنا.

والتولي الذي وقع فيه من ذكرهم الله -تعالى- في الآية التي معنا يتناول الرماة الذين تركوا أماكنهم التي أمرهم الرسول ﷺ بالبقاء فيها لحماية ظهور المسلمين كما يتناول الذين لم يثبتوا بجانب النبي ﷺ، بل فروا إلى الجبل أو إلى غيره عندما اضطربت الصفوف.

ولقد حكى لنا التاريخ أن هناك جماعة من المسلمين ثبتت إلى جانب النبي ﷺ بدون وهن أو ضعف، وقد أصيب من كان حوله أكثر من ثلاثين، وكلهم يفتدي النبي ﷺ بنفسه ويقول: وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك الفداء. وعليك السلام غير مودع[1].

ومعنى: ﴿ ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾

طلب لهم الزلل والخطيئة، أو حملهم عليها بوسوسته لهم: أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ لهم بالثبات في مواقفهم التي عينها لهم، فكانت مخالفتهم لرسولهم وقائدهم طاعة للشيطان، فحرمهم الله تأييده وتقوية قلوبهم.

قال الراغب: استزله إذا تحرى زلته، وقوله -تعالى-:

﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾

أي استجرهم الشيطان حتى زلوا، فإن الخطيئة الصغيرة إذا ترخص الإنسان فيها تصير مسهلة لسبيل الشيطان على نفسه، والزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد[2].

والمراد بالزلة هنا ما حدث منهم من مخالفة الرسول ﷺ وقد ترتب عليها هزيمتهم.

والمعنى: أن الذين تولوا منكم -يا معشر المؤمنين- عن القتال أو تركوا أماكنهم فلم يثبتوا فيها طلبا للغنيمة يوم التقيتم بالمشركين في معركة أحد:

﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾

أي: طلب منهم الزلل والمعصية، ودعاهم إليها بمكر منه وكان ذلك:

﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾

أي: بسبب بعض ما اكتسبوه من ذنوب، لأن نفوسهم لم تتجه بكليتها إلى الله فترتب على ذلك أن منعوا النصر والتأييد وقوة القلب والثبات.

وقال ابن القيم: «كانت أعمالهم جندا عليهم ازداد بها عدوهم قوة فإن الأعمال جند

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ٩ ص٩.

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص٢١٤.

للعبد وجند عليه ولابد للعبد في كل وقت من سرية من نفسه تهزمه أو تنصره. فهو يمد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتل بها، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه.

فأعمال العبد تسوقه قسراً إلى مقتضاها من الخير والشر والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعامى.

ففرار الإنسان من عدوه وهو يطيقه إنما هو بجند من عمله بعثه له الشيطان واستزله به[3] ثم أخبر -سبحانه- أنه قد عفا عن هؤلاء الزالين، حتى تكون أمامهم الفرصة لتطهير نفوسهم. وبعثها على التوبة الصادقة والإخلاص لله رب العالمين، فقال -تعالى-:

﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

أي: ولقد عفا -سبحانه- عنهم لصدق توبتهم وندمهم على ما فرط منهم، لأن فرارهم لم يكن عن نفاق، بل كان عارضاً عرض لهم عندما اضطربت الصفوف واختلطت الأصوات ثم عادوا إلى صفوف الثابتين من المؤمنين ليكونوا معهم في قتال أعدائهم.

ولقد أكد الله -تعالى- هذا العفو بلام التأكيد وبقد المفيدة للتحقيق، وبوصفه -سبحانه- لذاته بالمغفرة فإن هذا الوصف يؤكد أن العفو شأن من شئونه، وبوصفه -سبحانه- لذاته بالحلم، فإن هذا الوصف يفيد أنه لا يعاجل عباده بالعقاب، بل إن ما أصابهم من مصائب فهو بسبب ما اقترفوه من ذنوب ويعفو -سبحانه- عن كثير.

وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾

(فاطر: ٤٥)

وقد أكد -سبحانه- شأن هذا العفو لتذهب عن نفوس هؤلاء الذين استزلهم الشيطان حيرتها ولتتخلع عن الماضي، ولتستقبل الحاضر والمستقبل بقلوب عامرة بالإيمان، وبنفوس متغلبة على أهوائها مطيعة لتعاليم دينها.

وبذلك نرى الآية الكريمة قد بينت للمؤمنين بعض الأسباب الظاهرة والخفية لما أصابهم في أحد وفتحت لهم باب التوبة لتطهير أنفسهم، وأخبرتهم بعفو الله عنهم، وفي ذلك ما فيه من عظات وعبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وبعد هذا الحديث الحكيم عن أحداث معركة أحد وعما تم للمسلمين في أولها من نصر، ثم عما جرى لهم بعد ذلك من

(٣) تفسير القاسمي: تفسير سورة آل عمران جـ٤ ص١٠١٢.

اضطراب وتفرق بسبب مخالفة بعضهم لوصايا نبيهم ﷺ

بعد كل ذلك وجه القرآن نداء إلى المؤمنين نهاهم عن التشبه بالكافرين وعن الاستماع إلى أباطيلهم وحضهم فيه على مواصلة الجهاد في سبيل الله، حتى تكون كلمة الله هي العليا وأخبرهم بأن الآجال بيد الله، وأن موتهم من أجل الدفاع عن الحق أشرف لهم من الحياة الذليلة.

وقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾

كلام مستأنف قصد به تحذير المؤمنين من التشبه بالكافرين ومن الاستماع إلى أقوالهم الذميمة.

والمراد بالذين كفروا المنافقون كعبد الله ابن أبي بن سلول وأشباهه من المنافقين الذين سبق للقرآن أن حكى عنهم أنهم قالوا:

﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾

وإنما ذكرهم بصفة الكفر للتصريح بمباينة حالهم لحال المؤمنين وللتنفير عن مماثلتهم ومسايرتهم وقيل المراد بهم جميع الكفار.

والمراد بإخوانهم: إخوانهم في الكفر والنفاق والمذهب أو في النسب وقوله:

﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

أي سافروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا.

وأصل الضرب: إيقاع شيء على شيء ثم استعمل في السير، لما فيه من ضرب الأرض بالأرجل، ثم صار حقيقة فيه.

وقوله: ﴿ غُزًّى ﴾ جمع غاز كراكع وركع، وصائم وصوم، ونائم ونوم.

والمعنى: يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا بفزع وجزع من أجل إخوانهم الذين فقدوهم بسبب سفرهم للتجارة أو بسبب غزوهم في سبيل الله.

قالوا على سبيل التفجع: لو كان هؤلاء الذين ماتوا في السفر أو الغزو مقيمين معنا، أو ملازمين بيوتهم، ولم يضربوا في الأرض ولم يغزوا فيها لبقوا أحياء ولما ماتوا أو قتلوا.

وقولهم هذا يدل على جبنهم وعجزهم، كما يدل على ضعف عقولهم وعدم إيمانهم بقضاء الله وقدره، إذ لو كانوا مؤمنين بقضاء الله وقدره لعلموا أن كل شيء عنده بمقدار، وأن العاقل هو الذي يعمل ما يجب عليه بجد وإخلاص ثم يترك بعد ذلك النتائج لله يسيرها كيف يشاء.

وقولهم هذا بجانب ذلك يدل على سوء نيتهم، وخبث طويتهم، لأنهم قصدوا به تثبيط عزائم المجاهدين عن الجهاد، وعن السعي في الأرض من أجل طلب الرزق الذي أحله الله.

والنهي في قوله -تعالى-:

﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

يشعر بالتفاوت الشديد بين المقامين: مقام الإيمان ومقام الكفران، وأنه لا يليق بالمؤمن أن ينحدر إلى المنحدر الدون وهو التشبه بالكافرين بعد أن رفعه الله بالإيمان إلى أعلى عليين، وفي هذا تقبيح للمنهى عنه بأبلغ وجه وبأدق تصوير.

واللام في قوله (لإخوانهم) يرى صاحب الكشاف[4] أنها للتعليل فقد قال: قوله:

﴿ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾

أي لأجل إخوانهم، كقوله -تعالى-:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾

(الأحقاف: 11)

ويجوز أن تكون اللام للدلالة على موضع الخطاب، ويكون المعنى: لا تكونوا أيها المؤمنون كهؤلاء الذين كفروا وقالوا لإخوانهم الأحياء: لو كان أولئك الذين فقدناهم ملازمين لبيوتهم ولم يضربوا في الأرض ولم يغزوا لما أصابهم ما أصابهم من الموت أو القتل.

قال الفخر الرازي ما ملخصه: فإن قيل إن قوله:

﴿ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ يدل على الماضي، وقوله:

﴿ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

يدل على المستقبل فكيف الجمع بينهما؟

فالجواب من وجوه:

● **أولها:** أن قوله: ﴿ قَالُواْ ﴾ تقديره: يقولون، فكأنه قيل: لا تكونوا كالذين كفروا يقولون لإخوانهم كذا وكذا..

وإنما عبر عن المستقبل بلفظ الماضي للتأكيد وللإشعار بأن جدهم في تقرير الشبهة قد بلغ الغاية، وصار بسبب ذلك الجد ينظر إلى هذا المستقبل كالكائن الواقع.

● **وثانيها:** أن الكلام خرج على سبيل حكاية الحال الماضية، والمعنى أن إخوانهم إذا ضربوا في الأرض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فمن أخبر عنهم بعد ذلك فلابد أن يقول: قالوا.

● **وثالثها:** قال «قطرب»: «كلمة «إذ» و«إذا» يجوز إقامة كل واحدة منهما مقام الأخرى وهو حسن لأنا إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، فلأن يجوز إثباتها بالقرآن العظيم أولى»[5].

وقوله: ﴿ أَوْ كَانُواْ غُزًّى ﴾ معطوف على ﴿ ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من عطف الخاص بعد العام، اعتناء به لأن الغزو هو المقصود في هذا المقام وما قبله توطئة له.

(4) تفسير الكشاف جـ1 ص420.

(5) تفسير الفخر الرازي- بتصرف وتلخيص- جـ9 ص54.

قالوا: على أنه قد يوجد الغزو بدون الضرب في الأرض بناء على أن المراد بالضرب في الأرض السفر البعيد، فيكون على هذا بين الضرب في الأرض وبين الغزو خصوص وعموم من وجه.

وإنما لم يقل أو غزوا: للإيذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة، أو لانقضاء ذلك، أي كانوا غزاة فيما مضى.

وقوله:

﴿ لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾

في محل نصب مقول القول.

ثم بين -سبحانه- ما ترتب على أقوالهم من عواقب سيئة فقال:

﴿ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾

والحسرة -كما يقول الراغب- هي غم الإنسان على ما فاته، والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسرت قواه- أي انسلخت- من فرط الغم، وأدركه إعياء عن تدارك ما فرط»[6].

فالحسرة هي الهم المضني الذي يلقى على النفس الحزن المستمر والألم الشديد، واللام في قوله: ﴿ لِيَجْعَلَ ﴾ هي التي تسمى بلام العاقبة، وهي متعلقة بقالوا أي قالوا ما قالوه لغرض من أغراضهم التي يتوهمون من ورائها منفعتهم ومضرة المؤمنين فكان عاقبة قولهم ومصيره إلى الحسرة والندامة لأن المؤمنين الصادقين لن يلتفتوا إلى هذا القول. بل سيمضون في طريق الجهاد الذي كتبه الله عليهم وسيكون النصر الذي وعدهم الله إياه حليفهم وبذلك يزداد الكافرون المنافقون حسرة على حسرتهم.

ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويكون المعنى: إن الله -تعالى- طبع الكفار على هذه الأخلاق السيئة بسبب كفرهم وضلالهم لأجل أن يجعل الحسرة في قلوبهم والغم في نفوسهم والضلال بهذه الأقوال والأفعال في عقولهم.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت ما متعلق ليجعل؟ قلت: قالوا. أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في:

﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾

أو لا تكونوا بمعنى: لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فإن قلت: ما معنى إسناد الفعل إلى الله؟ قلت: معناه أن الله -تعالى- عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة لهم.. كما قال -تعالى-:

(6) مفردات القرآن ص118 للراغب الأصفهاني بتصرف يسير.

﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾

ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهى، أى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم، لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم»[7].

والجعل هنا بمعنى التصيير، وقوله:

﴿ حَسْرَةً ﴾ مفعول ثان له، وقوله:

﴿ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾

متعلق بـ: «يجعل».

وذكر القلوب مع أن الحسرة لا تكون إلا فيها، لإرادة التمكن، والإيذان بعدم الزوال. وقوله:

﴿ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

رد على قولهم الباطل إثر بيان سوء عاقبته وحض للمؤمنين على الجهاد فى سبيل الله وترغيب لهم فى العمل الصالح، أى أن الأرواح كلها بيد الله يقبضها متى شاء، ويرسلها متى شاء، فالقعود فى البيوت لا يطيل الآجال كما أن الخروج للجهاد فى سبيل الله أو للسعى فى طلب الرزق لا ينقصها وما دام الأمر كذلك فعلى العاقل أن يسارع إلى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، وأن يسعى فى الأرض ذات الطول والعرض ليأكل من رزق الله وأن يباشر الأسباب التى شرعها الله بدون عجز أو كسل وليعلم أن الله مطلع على أعمال الناس وأقوالهم وسيجازيهم عليها يوم القيامة بما يستحقون من خير أو شر.

ثم رد الله -تعالى- على أولئك الكافرين برد آخر، فيه تثبيت للمؤمنين، وترغيب لهم فى الجهاد فقال: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ ﴾

أيها المؤمنون وأنتم تجاهدون

﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾

على فراشكم بدون قتل بعد أن أديتم رسالتكم فى الحياة على أكمل وجه، وأطعتم ربكم فيما أمركم به أو نهاكم عنه لنلتم مغفرة من الله -تعالى- لذنوبكم ولظفرتم برحمته الواسعة التى تسعدكم.

وقوله: ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

أى خير مما يجمعه الكفرة من متع الدنيا وشهواتها الزائلة بخلاف مغفرة الله ورحمته فإنهما باقيتان ولا كدر معهما ولا تعب ولا قلق. واللام فى قوله: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ ﴾ موطئة للقسم، أى: والله لئن قتلتم فى سبيل الله أو متم.

وقوله: ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ ﴾ جواب القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ووفاته بمعناه.

ثم بين -سبحانه- أن مصير العباد جميعا إليه وحده فقال:

﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

أى ولئن متم -أيها المؤمنون- وأنتم فى بيوتكم أو فى أى مكان، أو قتلتم بأيدى أعدائكم وأنتم تجاهدون فى سبيل الله، فعلى أى وجه من الوجوه كان انقضاء حياتكم فإنكم إلى الله وحده جميعا تعودون وتحشرون فيجازيكم على أعمالكم.

فأنت ترى أن هذه الآيات الكريمة قد اشتملت على أبلغ ألوان الترغيب فى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، لأنها قد بينت أن الحياة والموت بيد الله وحده وأنه سبحانه قد يكتب الحياة للمسافر والغازى مع اقتحامهما لموارد الحتوف، وقد يميت المقيم والقاعد فى بيته مع حيازته لأسباب السلامة.

وأن الذين يموتون على الإيمان الحق، أو يقتلون وهم يجاهدون فى سبيل الله فإن لهم من مغفرة الله ورحمته ما هو خير مما يجمعه الكافرون من حطام الدنيا.

وأن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم سيعودون إلى الله ليجازيهم على أعمالهم يوم الدين. قال الفخر الرازى: واعلم أن فى قوله: ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ دقائق:

● **إحداها:** أنه لم يقل: تحشرون إلى الله، بل قال: ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

وهذا يفيد الحصر، وهذا يدل على أنه لا حاكم فى ذلك اليوم ولا نافع ولا ضار إلا هو.

● **وثانيها:** أنه ذكر من أسمائه هذا الاسم، وهذا الاسم أعظم الأسماء، وهو دال على كمال الرحمة وكمال القهر فهو لدلالته على كمال الرحمة أعظم أنواع الوعد، ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد.

● **وثالثها:** أن قوله: ﴿ تُحْشَرُونَ ﴾ فعل لم يسم فاعله، مع أن فاعل ذلك الحشر هو الله وإنما لم يقع التصريح به لأنه -تعالى- هو العظيم الكبير الذى شهدت العقول بأنه هو الذى يبدىء ويعيد، ومنه الإنشاء والإعادة فترك التصريح فى مثل هذا الموضع أدل على العظمة.

● **ورابعها:** أن قوله: ﴿ تُحْشَرُونَ ﴾ خطاب مع الكل فهو يدل على أن جميع العاملين، يحشرون إلى الله فيجتمع المظلوم مع الظالم والمقتول مع القاتل، والله -تعالى- هو الذى يتولى الحكم بينهم»[8].

---

(7) تفسير الكشاف جـ1 ص436.

(8) تفسير الفخر الرازى جـ9 ص60 بتصرف وتلخيص.

السنة

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

روى الشيخان عن أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضى الله عنها) أن النبى ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وحلق بإصبعه الإبهام والتى تليها. قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: (نعم إذا كثر الخبث).

التعريف بالراوى

هى السيدة زينب بنت جحش الأسدية، وتكنى أم الحكم، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة النبى ﷺ، تزوجها زيد بن حارثة (رضى الله عنه)، مولى النبى ﷺ، ثم طلقها، فلما انقضت عدتها تزوجها النبى ﷺ ليبطل عادة الجاهلية فى تحريم زوج المتبنى، وكانت تفخر على نساء النبى أن الله زوجها من السماء (كما تحكى آية سورة الأحزاب ٣٧)، وكانت كثيرة الخير والصدقة، وقالت عائشة (رضى الله عنه): ما رأيت امرأة قط خيراً فى الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم أمانة وصدقة، وكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقاً به. توفيت سنة عشرين، وصلى عليها الفاروق، وقيل: هى أول امرأة صنع لها النعش، ودفنت بالبقيع (رضى الله عنها وعن سائر أمهات المؤمنين).

اللغويات

ويل للعرب من شر قد اقترب: خص العرب بالذكر؛ لأنهم أول من دخل فى الإسلام، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم.

فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج: أنذرهم النبى ﷺ بقرب قيام الساعة ليتوبوا قبل أن تهجم عليهم، والثابت أن خروج يأجوج ومأجوج قبل قيام الساعة، فإذا فتح ردمهم ذلك القدر على زمنه ﷺ لم يزل الفتح يتسع على مر الأزمان، نسأل الله النجاة من شر ذلك.

إذا كثر الخبث: المراد به جميع المعاصى والله أعلم.

الشرح والبيان

إن الأحداث دروس عملية يلقيها الزمن؛ لتكون عظة وعبرة لمن يدرسها؛ لينتفع بما فيها من توجيه وحكمة، وذلك لأن لكل حادث سبباً يدعو إليه، ونتيجة تترتب عليه. وربط النتيجة بالسبب هو موطن العظة، ومصدر التوجيه للدارس، فإذا استبان الدارس من دراسته خيراً شجعه ذلك على الإكثار من الأسباب التى تؤدى إلى هذا الخير، أما إذا استبان الشر فإنه يجاهد نفسه، ويدافع هواه، ليبتعد بشخصه عن كل ما يسجل له الخزى والعار، ويجلب له غضب الله والناس، فعندها يغير الله حال هذا الشخص إلى أحسن مما كان عليه. أما إذا انحرف عن الحق بعد إذ عرفه، وأغلق قلبه عن العظة فإن الله يسلبه بعض ما أنعم عليه. قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

وقال:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الأنفال: ٥٣)

وتلك سنة الله فى تهذيب الأمم؛ وهداية الشعوب، يأخذهم باللين تارة، وبالشدة أخرى لعلهم يهتدون. قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(الروم: ٤١)

وقال:

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الروم: ٣٦-٣٨)

وقد حذر الله (عز وجل) عباده من ارتكاب

المعاصي حتى لا يحلّ بهم عقابه. قال تعالى:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾

(النحل: ٦١)

أي: أنه تعالى لو يؤاخذ الناس جميعاً بما اقترفوا من السيئات، وما فعلوا من الذنوب كما فعل بالأمم السالفة – ما ترك على ظهر الأرض من نسمة تدب عليها من بني آدم. وقيل: ومن غيرهم – بشؤم معاصيهم

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(يونس: ٤٤)

ومن ثمّ جاء قوله سبحانه:

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(الزخرف: ٥٥)

والمعنى: فلما أغضبونا أشدّ الغضب، لإفراطهم في المعاصي، وإغراقهم في الذنوب – استوجبوا أن يعجل لهم عقابنا، وألا نحلم عليهم، وعقّب سبحانه بقوله

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾

(الزخرف: ٥٦)

أي: جعلناهم قدوة لمن يأتي بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم – في استحقاق مثل ما حلّ بهم من العذاب، كما جعلهم الله مثلاً للآخرين، أي: عبرة وعظة لمن يأتي بعدهم. فيتعظ بما حل بهم من العذاب، وبالتالي يمتنع عن المعاصي.. ففي الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يغار، وإنّ المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم عليه).

هذا ولما قيل لحذيفة (رضي الله عنه): هل تركت بنو إسرائيل دينهم؟ أي: حتى عذّبوا بأنواع العذاب الأليم، كمسخهم قردة وخنازير، وأمرهم قتل أنفسهم – قال: (لا. ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ارتكبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه)، وقد ورد في صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا) يعني: أشار بيده فوق أنفه.. وقد عبّر بالذبابة، لأنها أخف الطير وأحقره، ولأنها تدفع بأدنى شيء.. وفي هذا الأثر تمثيل للذنوب في نظر المؤمن بالجبل ثقلاً وخطراً، وفي نظر الفاجر بالذباب خفة وحقارة. والمعنى: أن المؤمن – لقوة إيمانه، وشدّة خوفه من الله تعالى – لا يأمن العقوبة بسبب ذنوبه، فهو لذلك دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح، ويخاف من أقل الهفوات.. وأنّ الفاجر لضعف إيمانه، وقلة خوفه من مولاه يستهين بالذنوب، ولا يبالي بالمعاصي. لذلك قال بعض السلف: (يا أهل المعاصي لا تغتروا بطول حلم الله عليكم، واحذروا أسفه – أي شدة غضبه من الإفراط في المعاصي – فإنه تعالى قال:

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(الزخرف ٥٥)

فإذا كنّا اليوم نعاني كثيراً مما نراه على الساحة من الشذوذ والانحراف وتنكب الصراط السوي، والنهج القويم وما نراه من انهيار الخلق والتسيّب، والاجتراء على الحرمات، والتنافس البغيض على ماديات الحياة، حتى أصبح المسلمون في تفرق بعد أن وحد بينهم الإسلام. وتباغض بعد أن أستل منهم الإسلام الأحقاد والعداوات، وبدلاً من أن يوجهوا أسلحتهم إلى أعدائهم صوبوها إلى نحورهم وصدورهم. وذلك لأننا لم نستفد من أحداث الماضي، ولم نتعظ من عبر التاريخ، ولم نلتزم بطاعة الله (عزّ وجلّ)، ولم نمتنع عن المعاصي، كما كان السلف الصالح، والرعيل الأول (رضوان الله عليهم) يفعلون. قال الحسن البصري (رحمه الله): (ما ضربت ببصري ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي حتى أنظر أعلى طاعة، أم على معصية، فإن كانت طاعة تقدّمت، وإن كانت معصية تأخرت).. فهذا عالم جليل أفاد من علمه، لأنه استعمله في حياته، فحصّل به خشية لله (عز وجل) لقوله:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(فاطر ٢٨)

ومن ثمّ أحبه الله والناس، ولذلك قيل للمهلب بن أبي صفرة: بم نلت ما وصلت إليه؟ قال: بالعلم، فقيل: لكن غيرك أعلم منك. ولم يصل إلى مثل ما وصلت إليه؟! قال: لقد حملت العلم واستعملته، أما هم فحملوه ولم يستعملوه.

ومن هنا عانينا من البلاء والغلاء، وتسلط الأعداء، وتأثرنا بتوالي المصائب والنكبات، ولعل ذلك راجع إلى المعاصي والذنوب التي يرتكبها البعض ممن ران عليهم التبجح والجمود وتبلد المشاعر والأحاسيس ممن فقدوا الدين وعدموا الحياء والأخلاق.

روي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) رفعه (إياكم والمعاصي، فإنّ العبد ليذنب الذنب فيحرم به الشيء من الرزق وقد كان هيئ له. وإنه ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم قد كان علمه، وإنه ليذنب الذنب فيمنع به قيام الليل). ثم تلا:

(فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون)

مشيراً إلى أصحاب الجنة الذين عاقبهم الله بالحرمان والمنع عندما عزموا على حرمان الفقراء، لتكون العقوبة من جنس الجريمة:

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(يونس ٤٤)

ومن ثمّ جاء قوله (سبحانه):

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

(الأنفال ٢٥)

أي: اتقوا المعاصي، فإنها سبب لنزول المصائب الدنيوية، ولا تصيب الظالم خاصّة، بل تعمّ الظالم لظلمه، وغير الظالم لإقراره، أو سكوته، أو عدم نهيه عن المنكر، وما كنّا خير أمة أخرجت للناس إلا لأننا ننهى عن المنكر ونأمر بالمعروف، ولذلك هدد رسول الله ﷺ من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: (لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)(٣).

ألا وقد لعن قوم لسكوتهم على المنكر، وعدم نهيهم عنه؛ قال تعالى:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(المائدة: ٧٨، ٧٩)

ولذلك لما سألت أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ فقالت له ـ والحديث في الصحيحين ـ (أنهلك وفينا الصالحون؟) قال: (نعم، إذا كثر الخبث). أي: انتشرت المعاصي، وسكت عن ذلك الساكتون، وغفل عن العلاج المصلحون.

وهذا حقّ، فالتفاحة السليمة في صندوق معطوب تسري إليها العدوى في سرعة مذهلة، وبالتالي لن يكون لها حينذاك فضل على غيرها، وكذلك المسلم الصالح في نفسه، الساكت عن تحذير غيره ـ لا شك أنه سيخسر فضائله يوماً حين لا تسمح البيئة العفنة ببقائها، فأهل المنكر والمعاصي يودّون أن يكون الناس جميعاً على شاكلتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة متعددة، منها قوله تعالى في المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر:

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾

(النساء: ٨٩)

وقوله في أهل الكتاب:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(البقرة ١٠٩)

وهكذا كلّ جماعة موبوءة تودّ لو أنّ الناس جميعاً على منهجهم، وبالتالي فإنّ مقاومة الشر، ومحاربة الفساد ـ ظاهرة صحيّة، ودليل قاطع على أنّ هذه الأمّة جديرة بالحياة، ولن يهلك مادام المصلحون في هذه الأمة يؤدون دورهم ويقومون بواجبهم، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(هود: ١١٧)

وفي سنن أبي داود (رحمه الله) عن ابن عميرة الكنديّ عن النبي ﷺ قال: (إذا عُملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها ـ وقال مرّة: أنكرها ـ كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها).

وإنّ ما وصلت إليه الأمة من اجتراء أعدائها عليها في العراق، وفي لبنان، وفلسطين، وفي أفغانستان وسائر بلاد المسلمين، وإنّ ما نعانيه من الغلاء والوباء والأزمات راجع إلى ذنوبنا ومعصيتنا ربّنا، واستخفافنا بالمنكرات، فإذا أردنا أن ننتصر في كلّ هذه المعارك فلنستحضر عظمة الله وسلطانه، ولنمتنع عن المعاصي والمنكرات، فإذا ضربت الجماعة على يد العصاة والمذنبين، وحالت دون عصيانهم، ومنعت ارتكاب جرائمهم بتطبيق الحدّ الذي يستحقون ـ نجت الجماعة، ونجت غيرها من العصاة والمذنبين، وأوضح دليل على ذلك ما ذكره الرسول الأكرم في حديث البخاري عن النعمان بن بشير (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً).

ومن ثمّ يتضح لنا أنّ الصراع بين الحق والباطل، والخير والشرّ نشأ مع نشأة البشرية، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتلك سنة الله في خلقه.

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب ٦٢)

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

(فاطر ٤٣)

قال تعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود: ١١٨ و ١١٩)

نسأل الله السلامة والعافية.

***



الهجـــرة وأثرها في إقامة الدولة الإسلامية

فضيلة الشيخ: فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يحتفل المسلمون في جميع بقاع الأرض في مطلع شهر المحرم من كل عام بذكرى الهجرة النبوية. هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة.

وينظر بعض الناس إلى أن هجرة النبي ﷺ كانت مجرد هجرة مكانية من بلد إلى بلد. من مكة إلى المدينة!!

يعتبر المتأمل في حادثة الهجرة بعين النظر والتفكر والتحليل يجد أن الهجرة لم تكن مجرد هجرة مكانية فقط، بل كانت بدءاً لإقامة الدولة الإسلامية، التي رفعت شعار التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وأنقذت العالم من ظلمات الجاهلية، وحررت الإنسان من سطوة الطغاة، وظلم الحكام، واستبداد الأقوياء، واستعباد الأغنياء للفقراء، واستبداد القوة، وطبقت العدل والمساواة بين البشر جميعا، وأعلنت للناس جميعا: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى».

لقد مكث رسول الله ﷺ في مكة مدة ثلاثة عشر عاماً بعد نزول الوحي عليه في غار حراء، يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده عليه الصلاة والسلام، فيكون عمره إذ ذاك أربعين سنة قمرية وستة أشهر وثمانية أيام، وذلك يوافق ٦ أغسطس سنة ٦١٠م.

مكث عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الدين الحنيف، وتعرض ﷺ في تلك المدة -هو ومن آمن معه- إلى كثير من ألوان العذاب والاضطهاد، والأذى والاعتداء، والمقاطعة والمعاداة، حتى لقد كانت آخر موجة العصف من هلى صبية من بني ثقيف من الطائف ترميه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان، وكان يقابل كل موجات الاعتداء بالصبر الجميل، والثبات المكين والسماح والدعاء لهم بالهدى.

ظل عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الإسلام. فماذا كانت حصيلة من اعتنقوا الإسلام ودخلوه في تلك المدة؟ كان عددهم قليلاً لا يذكر، ولا يتناسب مع هذه المدة. إذا قارنا عدد الذين اعتنقوا الإسلام ودخلوه في سنوات قليلة بعد الهجرة.. ويكفي أن نشير إلى أن عدد جيش المسلمين الذي انطلق من المدينة لفتح مكة في رمضان سنة ٨هـ/يناير ٦٣٠م، كان حوالي عشرة آلاف جندي، لنعلم أثر الهجرة في انتشار الإسلام على أوسع نطاق في الجزيرة العربية على وجه خاص، وفي العالم على وجه عام... وأنها كانت بدءا حقيقيا لإقامة الدولة الإسلامية

إن إقامة الدولة الإسلامية في المدينة لم يكن أمراً سهلاً ميسوراً، وإنما كان يتطلب اتخاذ إجراءات لنشأتها، وتوفر عوامل إيجابية لنجاح إقامتها قبل الهجرة، وبعد الهجرة.

إن حب الوطن، وتعلق الإنسان بالأرض التي ولد عليها ونشأ فيها وتربى تحت مظلتها، أمر فطري غريزي في النفس البشرية، وليس أدل على ذلك من قول الرسول ﷺ حين خروجه من مكة إلى المدينة مهاجرا: «اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إليّ فأسكني أحب البلاد إليك»[1].

ففي مكة قبل الهجرة الكبرى إلى المدينة -التي أقامت الدولة الإسلامية الجديدة- تدرب المسلمون على الهجرة، وعلى ترك مكة للإقامة في بلاد أخرى... حتى تتهيأ نفوسهم، وتتقبل أفئدتهم الهجرة الجماعية إلى المدينة فيما بعد، التي كانت في علم الله -تعالى- ولم يحن وقتها بعد.

فبعد أن ضيق المشركون في مكة الخناق على المسلمين الأوائل، وبعد أن اتخذت قريش قراراً حاسما ضد رسول الله ﷺ وضد صحابته الذين آمنوا معه، وهو محاربة الإسلام، وإيذاء رسوله، وتعذيب الذين آمنوا به بلا رحمة ولا شفقة: يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، والمقاطعة، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر.

الخـــروج إلى الحبشـــة

بعد أن واجه المسلمون كل هذا العذاب وتبين لهم تعذر استمرار المقام في مكة، أخذوا

---

(١) المستدرك على الصحيحين.

يمكرون في طريقة تنجيهم من هذا العذاب الأليم الذي يتعرضون له من المشركين.. فرأى رسول الله ﷺ أن يأذن - لمن يرغب من المسلمين - في الهجرة إلى الحبشة. وقال لهم «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه».

وفي رجب سنة خمس من البعثة (٦١٥م) هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة «الهجرة الأولى»، وكان مكوناً من عشرة رجال - وقيل من اثنى عشر رجلاً - وأربع نسوة. رئيسهم عثمان بن عفان ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وقد قال النبي ﷺ فيهما: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط - عليهما السلام» ومكث عليه الصلاة والسلام في مكة - وبعض الصحابة - يدعو إلى الله سراً وجهراً.

كان عدد المهاجرين قليلاً، ولكن كان لهجرتهم هذه شأن عظيم في تاريخ الإسلام، فإنها كانت برهاناً ساطعاً، ودليلاً قاطعاً لأهل مكة، على مبلغ إخلاص المسلمين وتفانيهم في احتمال ما يصيبهم من المشقات والمخاطر في سبيل تمسكهم بعقيدتهم. وفي الوقت نفسه كانت - في علم الغيب - تدريب عملي على الهجرة الكبرى من مكة إلى المدينة - فيما بعد - للإقامة فيها دائماً. ولإقامة الدولة الإسلامية.

غير أن حب الوطن اشتد بهؤلاء المهاجرين إلى الحبشة. وقد ترامت إليهم أخبار من مكة تفيد أن قريشاً خففت من عدائها للرسول - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه، بسبب إسلام عمر بن الخطاب وإظهار الإسلام، فعادوا إلى مكة.

ولكن ما إن عادوا إلى مكة حتى وجدوا قريشاً لاتزال على عنادها وإصرارها على مقاومة الرسول ﷺ، وعلى تعذيب أصحابه، وعلى محاربة الإسلام بكل الطرق وبشتى الأساليب.. فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية. فعادوا مرة أخرى إلى الحبشة «الهجرة الثانية»، وبلغ عدد المهاجرين إلى الحبشة في «الهجرة الثانية» ثلاثة وثمانون رجلا وتسع عشرة امرأة - على أرجح الأقوال.

الإسراء والمعراج

إن إقامة الدولة الإسلامية في المدينة كان يحتاج إلى أن يكون مؤسسوها أقوياء في العقيدة. أصحاب عقول مستعدة لاستقبال كل خبر يخبرهم به رسول الله ﷺ بقلوب مصدقة لا يخالطها شك أو ريب. أسخياء في البذل والعطاء، شجعان في القتال واللقاء. إذن الأمر يحتاج إلى اختبار للمسلمين الذين أعلنوا إيمانهم ودخلوا في الإسلام، والاختبار يكون في موضوع خارق للعادة. لم تألفه القواعد التي يجرى عليها نظام الحياة.

وقد اقتضت حكمة الله - العليم الخبير بما سيكون مستقبلاً - أن يكون حادث الإسراء والمعراج قبل الهجرة لا بعدها. ليكون هذا الحدث متحاناً وابتلاء لغربلة الجماعة الإسلامية في مكة التي أعلنت إيمانها بالإسلام. فيظهر من له إيمان ثابت. ويقين مستقر. وإذعان مستسلم. فآمن وصدق ورضي بإخلاص بالدين الجديد. وبما يخبر به رسول الله ﷺ. ويظهر من كان من ضعاف البصيرة ويبقى يخالطه الشك والريبة. فكم من وراء العقيدة بحرف. وكم من منافق يندس بين الجماعة ليخرب. وكم من ماكر يتستر ليفسد. وكم من دنيوي يسعد أن يبيع دعوته ودينه وحريته بعرض بخس رخيص. وكم وكم.

وقد تحققت الغاية والهدف من هذا الحدث العظيم. فمن الثمار التي جنتها الجماعة الإسلامية في مكة، والتي كانت من مقاصد الإسراء والمعراج، انفصال ضعاف النفوس والمتشككين والمترددين عن الجماعة الإسلامية الناشئة لقد كفر عند سماع النبأ من كفر بعد إعلان إسلامه. وارتد من ارتد بعد إعلان إيمانه. وما كان هؤلاء - لو بقوا في الجماعة الإسلامية - إلا عاملا من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملاً من عوامل القوة.

إن هؤلاء المكيين الذين صبروا وصابروا، وتخلصت أنفسهم من جميع النزعات المادية. ومن جميع الأهواء. فأصبحت خالصة لله وحده.. إن هؤلاء المكيين الذين كان في تقدير الله - سبحانه - أن تقوم عليهم الدولة الإسلامية في نشأتها، والذين هم من أجل ذلك يجب أن يكونوا مهيئين لأن يصمدوا بكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات... إن هؤلاء المكيين يجب أن يصفوا تصفية كاملة. ومن وسائل هذه التصفية إعلان نبأ الإسراء والمعراج. لينكص من ينكص. وليبقى من يبقى عن بصيرة وبينة. وعن إيمان لا يتزعزع مهما كانت الحوادث. وعن إيمان بصدق الرسول ﷺ في كل ما يأتي به، يصدقه بمجرد إنبائه... وكان المثل الأعلى في كل ذلك هو سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه - حينما يعلن في غير تردد ولا فتور، عندما يبلغه رجال من المشركين قائلين: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحه.

لقد كانت غاية الحدث الجليل، الإسراء والمعراج، صهر الجماعة الإسلامية التي ستتولى إقامة الدولة الإسلامية قريبا في المدينة وقيادتها، حيث تهاجر العناصر القوية الصادقة التي نجحت بامتياز في هذا الاختبار الدقيق.

إضافة إلى الغايات الدينية الأخرى، والمشاهد التي رآها رسول الله ﷺ أثناء رحلة الإسراء والمعراج وأخبرنا بها.

بيعة العقبة الأولى

كما أن إقامة الدولة الإسلامية فى المدينة كان يتطلب تهيئة المناخ العام فيها ـ قبل هجرة الرسول ﷺ إليها ـ لاستقبال سكان المدينة للرسول عليه الصلاة والسلام، بل والترحيب به والفرحة بقدومه للإقامة بينهم والعيش معهم.

ولتحقيق تهيئة هذا المناخ عقد الرسول عليه الصلاة والسلام بيعة العقبة الأولى مع الأنصار الذين أتوا إلى مكة فى موسم الحج سنة اثنتى عشرة من البعثة (٦٢١م)، وكان عددهم اثنا عشر رجلاً ـ يمثلون الأوس والخزرج ـ، وسميت هذه البيعة بيعة النساء، لأنها كانت على الأمور التى ورد ذكرها فى سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء، وهى هذه الآية:

﴿[illegible]﴾

(الممتحنة:١٢)

وقد قال الرسول ﷺ لهم بعد أن بايعوه على ما ورد فى هذه الآية: «فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غش من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه».

وبعد أن تمت هذه البيعة بعث الرسول ﷺ معهم الصحابى الجليل مصعب بن عمير بن هاشم إلى المدينة يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، فأسلم على يديه سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وكان سعد من أجل رؤسائهم، ثم شاع الإسلام فى المدينة وانتشر.

بيعة العقبة الثانية

وفى العام الثانى فى ذى الحجة عقد الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية مع الأنصار الذين أتوا إلى مكة فى موسم الحج، وكان عددهم سبعين رجلاً وامرأتين «من الأوس والخزرج»، وكان للبراء بن معرور فى ليلة البيعة المقام المحمود فى الإخلاص والتوثق لرسول الله ﷺ إذ أخذ بيده وقال: والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ذرارينا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب، فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان، حليف بنى عبدالأشهل فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالاً، وإنا قاطعوها «يعنى اليهود الذين يعيشون مع الأنصار فى المدينة»، فهل عسيت إن أظهرك الله ـ عز وجل ـ أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «بل الدم الدم، الهدم الهدم، أنتم منى وأنا منكم، أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم»..

واختار رسول الله ﷺ من الأنصار الذين بايعوه اثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وقال لهم: أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى، وبعد البيعة رجع الأنصار إلى المدينة، فكان قدومهم إليها فى ذى الحجة.

وكانت قريش لما بلغهم إسلام من أسلم من الأنصار، اشتدوا على من بمكة من المسلمين، وأصابهم جهد شديد، فأمر النبى ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً حتى لم يبق أحد من المسلمين بمكة مع رسول الله ﷺ إلا أبوبكر وعلى بن أبى طالب وقلة من المسلمين. وكان عليه الصلاة والسلام ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة.

أقام رسول الله ﷺ بمكة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر، وهاجر إلى المدينة فى ربيع الأول وقدمها لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وكان ذلك عام (٦٢٢م).

وعند قدومه إلى المدينة كان المناخ العام مهيئاً لاستقباله والترحيب به، وليس أدل على ذلك مما سجله التاريخ من أن سكان المدينة خرجوا منها وصعدوا على الجبال المحيطة بها ليشاهدوا الرسول عليه الصلاة والسلام من بعد عند قدومه لاستقباله، فرحين مستبشرين، معنين منشدين:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحباً يا خير داع

وهكذا توفرت العوامل الإيجابية ـ قبل الهجرة ـ لإقامة الدولة الإسلامية فى المدينة عند قدوم الرسول ﷺ إليها مهاجراً، وتهيأ المناخ الطيب فيها لإرساء دعائمها

للحديث بقية عما فعله سيدنا رسول الله ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة.

* * *



للأستاذ الدكتور / محمد فتحي فرج

ليس من باب المصادفة أن يجيء عنوان هذا المقال على النحو المتقدم، فالينبوع الذي يتفجر منه الماء، يكون سببا قويا في جيشان الحياة من حوله، في صورها المختلفة، من نبات وحيوان وإنسان، والله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

(الأنبياء ٣٠).

وكذلك كانت الهجرة النبوية، على الرغم من التضحيات التي واكبتها، ومنها ترك الأهل والديار والوطن، سببا أساسيا في بث قبسات الحياة في جسد الأمة، بتمكين المسلمين وتغلغل الإسلام في مختلف جوانب حياتها. وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حينما قال: نحن أمة أعزنا الله بالإسلام...».

الهجرة في الأرض قديمة قدم الإنسان ذاته، فالإنسان قد يهاجر طلبا للرزق أو للفرار من كيد الكائدين، وظلم الجائرين، خوفا على دينه أو عرضه أو ماله أو نفسه، وفي ذلك يقول الشاعر: «وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى»، ولذلك ينحو القرآن الكريم باللائمة على من يرضون على أنفسهم الضيم والمهانة، في بيئة تسومهم الهوان فلا يحركون ساكنا، فيقول عز من قائل:

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

(النساء ٩٧)

وفي الحث على الهجرة، تحت تلك الظروف غير المواتية، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾

(النساء ١٠٠)

ومن ثم فالهجرة حق منحه الله ـ تعالى ـ لعباده تكريما لهم، والذين يضعون العراقيل أمامها بقوانين وضعية، ليحدوا منها أو يمنعوها، إنما يضيقون واسعا، ويقفون أمام أمر أحله الله لعباده حفظا لكراماتهم وتأكيدا لحريتهم.

الهجرة صنعت أمة

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في سبب الهجرة: إن قريشا عرفوا لما أسلمت الأنصار، وهاجر أصحاب الرسول إليهم، أن محمدا قد صار له أنصار من غيرهم، في غير بلدهم، فخافوا من ظهور أمره، واشتداد منعته وتعاظم شأنه، فاجتمعوا في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها، للتشاور فيما يصنعون في أمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبعد اجتماعهم وتشاورهم، اتفقت كلمتهم على ما قاله أبو جهل: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا جليدا نسيبا وسطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه بين القبائل جميعا، ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وإنهم إذا رأوا ذلك أخذوا ديته ورضوا بها فنؤديها إليهم، فقال الشيخ النجدي إبليس: هذا الفتى هو أجودكم رأيا، والقول ما قال، لا أرى غيره، فتفرقوا على ذلك.

فأتى جبريل ـ عليه السلام ـ رسول الله ﷺ، وأخبره بذلك، وأذن الله ـ عز وجل ـ لرسوله بالخروج إلى المدينة، فخرج مهاجرا، وقد أخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤوسهم ترابا كان في يده، وهو يتلو قول الله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

(يس ٩)

ثم كان ما كان من خروج الأنصار لاستقباله ﷺ وصاحبه أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ استقبالا جديرا به في بشر وفرح وسرور مرددين تلك الأنشودة التي لا يزال صداها يتردد بعد كل هذه القرون من السنين:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

إلى آخر هذا المشهد جميل في معناه ومعناه ثم كان – أيضا – ما كان من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتلك الصور الخالدة من التفاعل الأخوي التي بينهما، وما أظهره الأنصار من التفضيل والإيثار لإخوانهم المهاجرين وفتحهم بيوتهم على مصاريعها لإيوائهم ونصرهم، وما أبداه المهاجرون من لطف وتعفف واعتراف بالجميل والدعاء لإخوانهم الأنصار من ناحية، وضرب المثل في الاعتماد على النفس من ناحية أخرى، كل هذه الصور النبيلة كانت فاتحة خير لإرساء قواعد دولة الإيمان والإسلام على أسسه النبيلة، وقيمه الإنسانية العليا، وأولها الإيمان والرحمة والتعاون على البر والتقوى. ومن ثم كان أول ما اهتم به رسولنا الكريم تأسيس المسجد، فللمسجد في شريعة الإسلام وحياة المسلمين مكانة عظيمة، ودور كبير، ولذلك يصف ربنا – جل وعلا – رواده بأنهم «رجال» في قوله تعالى:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

(التوبة: ١٠٨)

فالمسجد مكان العبادة، وملتقى المسلمين للعلم والرأي والمشورة والفتيا، وبالجملة فهو يتدبرون فيه أمور دينهم ودنياهم. وهو رابطة إسلام وإيمان، أقوى من رابطة اللحم والدم.

دروس وعبر من الهجرة

الدروس المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة كثيرة، في كل منحى من نواحيها، في الإعداد الجيد لها والأخذ بالأسباب، وفي الشجاعة التي لا تأبه لكيد الكائدين وحقد الحاقدين، وفي العزيمة الصادقة والتوكل على الله، وفي حفظ الأمانات والحقوق، وإعطاء كل ذي حق حقه. لا يمنع ظلمهم من إعطائهم حقوقهم، وفي اليقين من نصر الله – تعالى – مهما انقطعت الأسباب الظاهرة.

ثم إن الهجرة كانت بحق تحولاً هائلاً ومباركا في حياة المسلمين. نقلتهم من حال إلى حال أخرى، حررتهم من الظلم وأهله، وأنقذتهم من الضلالة والجهالة، فتجمعوا وتكتلوا وقويت شوكتهم وتمت دولتهم وعظمت هيبتهم، فأصبحوا في قوة بعد ضعف، وفي كثرة بعد قلة، وفي عزة بعد ذلة، وفي غنى بعد افتقار، بهدف تثبيت قواعد الإسلام العظيمة، وتوطيد أركانه القويمة، ونشر تعاليمه الحكيمة، ثم شاء الله – تعالى – أن يعودوا مرة أخرى إلى بلدهم، الذي أجبروا على الخروج والهجرة منه، ليردوه إلى ساحة الحق، وينشروا فيه الخير والفضيلة، ويطهروه من رجس الأوثان، ويخلعوه من عبادة الأصنام، ويمحقوا أعداء الإسلام من المشركين ومن ناصرهم ممن كانوا يتربصون بالإسلام الدوائر، وينصروا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، مما حاق بهم من جهل الجاهلين، وظلم الظالمين، وجور الجائرين.

لقد كانت الهجرة – باختصار شديد وبحق – حدثاً هائلاً غير وجه التاريخ، وكتب للإسلام الذيوع والانتشار والخلود، ليشع نوره من مكة المطهرة، في أنحاء العالم كله.

معنى الهجرة

وعلى ذلك فليست الهجرة مجرد حدث نتذكره كلما دار الزمن دورته، وجاء تاريخه بحساب الشهور والأيام. ولكن الهجرة مدد للمسلم متجدد، يحثه على النضال في سبيل الحق ونصرة أهله، وهجر الباطل، والوقوف بقوة وعزة وإباء في وجه المبطلين، من صناع الشر ومروجيه له، ولذلك يقول رسولنا الأمين: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»[1].

كما يقول ﷺ أيضاً – فيما رواه الإمام أحمد في مسنده: «الهجرة خصلتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه، وكفى الناس العمل» وفي الحديث النبوي الشريف – أيضا –: «الهجرة أن تهجر الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر»[2].

وهكذا، فلازالت الهجرة مصدراً حياً، لاستلهام العبر والدروس، التي لا تنتهي، والتي لا يستغني عنها مسلم، فهي زاد لا ينفد، ونبع لا ينضب ماؤه، ووسيلة فعالة لكل مجاهد، يعمل لنصرة الحق وخذلان الباطل، فهي فرار من الشر للكر عليه، بيقين من الفوز والظفر والنصر، حتى تكون العزة، التي أرادها الله لعباده المؤمنين، حيث قال – تعالى –:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون: ٨)

فاستبشروا أيها المسلمون، وإذا علمتم فما بقي إلا أن تعملوا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد!

---

(١) البخاري.

(٢) مسند أحمد.

خصائص المجتمع الإسلامي قبل الهجرة

لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فنحن على أعتاب هجرة كبير المرسلين، وخاتم النبيين، سيد الخليقة كلها وهاديها، سيدنا محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه.

إن رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام بدأت في جزيرة العرب، وقد فاجأت هذه الرسالة سكان الجزيرة بحقائق ذات بال، كانوا لا يدرون عنها شيئاً، بل كانت بيئتهم تحيا وفق خرافات وترهات، تناقض هذه الحقائق وتخاصمها.

كان أول ما دعا النبي عليه الصلاة والسلام إليه توحيد الله -جل شأنه-، وتوحيد الله بديهية يحترمها أصحاب العقول، ولكن عرب الجزيرة وغيرهم ممن على غرارهم من المنحرفين يعتقدون أن لله شركاء، وقد استغربوا دعوة التوحيد:

﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾

(ص: ٤، ٥)

والعجب ليس في التوحيد، فإن التوحيد حقيقة، ومن طرف ما يروى لدعم هذه الحقيقة ما قاله علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لابنه: يا بني لو كان لربك شريك لأرسل هذا الشريك رسولاً من قبله يعرف به، ويبلغ عنه، ما له أنكم لا يكلمهم؟

إن كل المرسلين الذين جاءوا قالوا: إن الله واحد، وبلغوا أنهم من عند الإله الواحد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

(الأنبياء: ٢٥)

ومن الأغلاط الشائعة في تصوير الرسالة الإسلامية أنهم يقولون: جاء محمد في بيئة مشركة فدعاها إلى التوحيد، هذا تصوير ناقص للرسالة الإسلامية، فإن الرسالة الإسلامية ليست علاقة بين العبد وربه فقط، ولكنها تضمنت مع هذه العلاقة بين الإنسان وربه تنظيماً اجتماعياً للكيان الإنساني الكبير، يقوم هذا التنظيم على المسئولية المشتركة، بمعنى أن المجتمع لا يجوز أن يكون فيه جوع وشبع، وعز وذل، كبر وضاعة، علم وجهل، ينبغي أن يمد القادر العالم الواجد المكثر يده إلى من دونه حتى يتساوى الجميع في نعمة الله وفضله، لا تساويا يزيل الفوارق بين الأفراد فهذا مستحيل، ولكنه تساو يحقق الرحمة والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر.

ولذلك في أول ما نزل من القرآن لتنظيم العلاقة بين الناس وربهم نجد أن هذا التنظيم تناول العلاقة بين الإنسان والإنسان. سورة المدثر من أول ما نزل، ومع ذلك فأنت تقرأ فيها قوله تعالى على لسان أهل الجنة وهم يتساءلون عن المجرمين يقولون لهم:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾

(المدثر: ٤٢-٤٤)

وعندما انقسم المجتمع في الجاهلية إلى متكبرين مترفعين ينظرون شزراً إلى من دونهم جاهاً ومالاً. وعندما حاول هؤلاء المتكبرون المترفعون أن يفرضوا تقاليدهم على صاحب الرسالة ﷺ وعرضوا عليه أن يحضروا في مجلسه وأن يستمعوا إليه تمهيداً للإيمان به، والدخول في دينه، لكن شريطة ألا يُسَوَّوْا بمن دونهم مكانة ومنزلة في نظرهم. فلم يتأن الوحي أو يستدرج هؤلاء للإيمان، بل رفض لأن هؤلاء الذين يريدون الدخول في الإسلام وفق فهمهم وكبرهم أرادوا طرد المؤمنين الضعاف أو على الأقل رميهم وراء ظهورهم في المجلس فنزل قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾

(الأنعام ٥٢ ٥٣)

مجتمع ما قبل الهجرة

دخل الإسلام ناس، نريد أن نعرف الخصائص العقلية والنفسية لمن دخل الإسلام، وانشرح به صدره، حتى نعرف من هم المسلمون قبل الهجرة؟ ما أخلاقهم؟ ما فضائلهم؟ ما الميزات الإنسانية التي توافرت فيهم ماديًا وأدبيًا حتى بدأ مجتمع ما قبل الهجرة يتكون؟

أول ما نلاحظه في المسلمين أنهم أصحاب تحرر عقلي، لم؟ لأن طبيعة الإيمان عندنا في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ طبيعة تقدمية. نحن في عالم يفخر بأنه تقدمي، الحقيقة أن العالم فعلا ارتقى علميا في جوانب. ووقف في جوانب أخرى، وتراجع في جوانب كثيرة.. ولكن الإسلام عندما يعرض الآن ربما نظر الناس إليه من خلال الأمم الهابطة المنتسبة إليه، فأزروا به واستهانوا بقيمه.

نريد أن نعرف الإسلام من خلال الذين اعتنقوه أولا، كان هؤلاء كما قلت أصحاب حرية عقلية، إنسان بدأ يحدث الناس ويقول لهم: أنا أعرض عليكم ما عندي. ما عندك؟ من أين جئت به؟ وما تريد؟ وما دليلك؟

فيكون الجواب

﴿ حم ۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

(الجاثية ١ ٦)

خطاب للعقل البشري، تحريك للفكر الإنساني، لكن هناك ناسا جمدت أفكارهم، وتحجرت عقولهم. هؤلاء يصفهم الله فيقول:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾

(الأنعام: ٢٥)

هذا النوع المتحجر هبط إلى مستوى الحيوانية:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(الأنفال ٢٢)

إذن بدأ الإسلام حرية عقلية، فكان الجيل الذي اعتنق الإسلام يمثل في أرض الله الواسعة مجتمعا تقدميا أرقى فكرا وأنضر نظرا وأعمق استدلالا، وأوسع آفاقا من المجتمعات المتخلفة الأخرى.

انضم إلى هذه الحرية العقلية في مجتمع ما قبل الهجرة شيء آخر هو القدرة النفسية على مخالفة الجماعة إذا كانت مخطئة والقدرة النفسية على المشي مع الحق وإن كان الناس مبطلين. هذه القدرة لا يرزقها كل إنسان.

فالقدرة على التخلص من البيئة المنحرفة، أو من التقاليد السخيفة أو من التيارات المعوجة لا يستطيعها كل إنسان، هل رأينا ناسا رأوا الصواب ولكن لعجزهم النفسي، ولعدم قدرتهم على ترك ما ألفوا بقوا مع الضلال!!

يقول الله في هؤلاء:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

(الزخرف ٢٣ ٢٥)

هكذا ربى القرآن الجيل الذي تكون قبل الهجرة، رباه على قدرة مخالفة المواريث السائدة، والتقاليد الموطدة، والتيارات العاتية. وفي هذا نقرأ قوله تعالى في سورة هود المكية.

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۝ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾

(هود: ١٢١، ١٢٢)

ونقرأ قوله تعالى في سورة الأنعام المكية

﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الأنعام: ١٣٥)

قدرة نفسية على مخالفة البيئة إذا ضلت. لكن مخالفة البيئة إذا ضلت قد تكلف صاحبها تعبًا. وقد تجشمه عنتًا

ثلاثة أنواع من الحروب!!

وهنا نجد أن صاحب الحق الذي اعتنقه واستراح إليه لا يبالي في سبيل الحق أن يتحمل العنت وهذه خاصة في الرسالة الإسلامية جعلتنا نرى أن الذين أسلموا ووجهوا ثلاثة أنواع من الحروب

● النوع الأول حرب الاضطهاد. وقد وجهت للضعاف الذين لا عزوة لهم ولا عصبية، والرسول ﷺ في أول أمره كان لا يملك شيئا، وليس لديه ما يقدمه من حماية. إذا رأى أسرة كأسرة عمار بن ياسر هو ووالده وأمه – رضي الله عنهم – إذا رأى الأسرة تعذب ماذا يقول لها؟ لا يستطيع أن يقول إلا: «اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة»[1].

الأنبياء لا يملكون أموالا يرشون بها. ولا يملكون سلطة يفرضون بها حمايتهم على اتباعهم، بل في الهجرة الأولى إلى الحبشة هاجر عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ومعه زوجه رقية – رضي الله عنها – بنت رسول الله ﷺ.

● النوع الثاني حرب السخرية، وحرب السخرية كانت حربا فيها نوع من الإيذاء النفسي ومن الإحراج البالغ. كانت حربا موجعة

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾

(الحجر: ٦)

سبحان الله.. أعقل إنسان في الأولين والآخرين يقال له هذا؟!

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٩/٢٩٣ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة. رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ٣/٣٨٨

﴿... كانوا من الذين آمنوا يضحكون ۝ وإذا مروا بهم يتغامزون ۝ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ۝ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾

(المطففين ٢٩ - ٣٢)

إنهم يضحكون، ويسخرون، وينكتون، غمز ولمز وتنكيت وسخرية، لكن أتباع محمد ﷺ ثبتوا وصبروا على هذا كله.

● النوع الثالث: حرب المقاطعة، وهي حرب مؤذية. عندما يكون الإنسان تاجرا ثم تتقرر مقاطعته، أو عندما يكون له بنات ويتقرر ألا يتزوج أحد من بناته، هكذا صنع المشركون بأتباع محمد عليه الصلاة والسلام، لكنهم تحملوا هذا كله.

فكان إلى جانب الحرية العقلية، وكان إلى جانب القدرة النفسية على مخالفة البيئة كان إلى جانب هذين شيء ثالث وهو الثبات والتحمل في ذات الله، والصبر على ما يكون من شدائد!!

الدعوة إلى الهجرة

ثم كان الأمر الأخير وهو الدعوة إلى الهجرة. والدعوة إلى الهجرة شيء أحب لمناسبته أن أعقد مقارنة عاجلة سريعة بين الدعوة إلى الهجرة في مكة لإقامة دولة دينية أو مجتمع ديني في المدينة، وبين ما وقع في عصرنا هذا.

الدعوة إلى الهجرة كانت صريحة، سننتقل إلى المدينة لنقيم فيها دولة الإسلام بعد أن عجزنا عن إقامتها في مكة.

ومهاجرة الناس من أوطانهم وأسرهم وماضيهم، وما ألقوا إلى مكان لقيموا فيه دولة وفق ما يعتقدون شيء عرفه المسلمون قديما عندما هاجروا إلى المدينة المنورة. وأريد أن ألفت النظر إلى فارق شاسع بين ما وقع من مسلمي الأمس وبين ما وقع من اليهود اليوم.

إن اليهود قرروا في مؤتمراتهم أن يهاجروا إلى إسرائيل كي يقيموا في فلسطين دولة لهم باسم إسرائيل، وفعلا بدأت الهجرة، واستطاع هؤلاء المهاجرون أن يقيموا دولة توصف بأنها دينية، وجعلوا عنوانها إسرائيل، هناك فروق واسعة بين هجرة المسلمين قديما إلى المدينة وهجرة اليهود حديثا إلى فلسطين، هذه الفروق أريد أن أحصيها على عجل.

أول هذه الفروق أن المسلمين الذين تركوا مكة إلى المدينة يمكن أن يوصفوا بتعبير العصر الحديث بأنهم معارضون. لأنه لم يكن لهم على ظهر الأرض نصير، كانت الدنيا كلها ضدهم. أما المشركون فلأن القرآن عاب الأصنام، وحقر الأوثان، وهدم تقاليد الجاهلية، وطلع على الناس بوضع جديد يصب فيه الإنسانية صبا من طراز آخر!

شتان.. شتان!!

هؤلاء الذين فعلوا ذلك كانوا شيئا آخر مختلفا من كل جانب عن هجرة اليهود إلى فلسطين. فإن اليهود قبل أن يهاجروا إلى فلسطين تعهدت الدولة الأولى في العالم يومئذ -إنجلترا- بأن تكيف الظروف في فلسطين لاستقبالهم. فكان الحاكم الإنجليزي في فلسطين يذل العرب، ويعطش أرضهم حتى لا ينبت فيها زرع، وحتى يكرهون على بيعها بأبخس ثمن أو بأعلاه، وكانت الرصاصة إذا وجدت في بيت عربي سببا في أن يهدم البيت من أعلاه إلى أدناه!

وكان الاستعمار البريطاني من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٨، كان عالميا ومحليا يهيئ الظروف لاستقبال اليهود المهاجرين، فكان رأس مال اليهودي إذا هاجر ينمو من مأمن إلى مأمن، ومن حام إلى حام، ومن حارس إلى حارس.

شتان بين هذا وبين المهاجرين الأوائل، شتان.. شتان.. ثم إن المهاجرين الأولين دخلوا إلى المدينة المنورة، أي هجرة هذه؟

يوم اضطرتنا الظروف الصعبة إلى أن ننقل المهاجرين من السويس والإسماعيلية تحركت الأجهزة الاقتصادية والثقافية والحكومية والأهلية لاستقبال المهاجرين، وصدرت قوانين، وبدأت أمور كثيرة تتحد لكن الهجرة إلى المدينة أشرف عليها شيء واحد هو الدين والخلق، كان المسلمون في المدينة يستقبلون الوافدين عليهم بصدر واسع، لا سلطات، لا قوانين، ومع ذلك فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة.

لأن التنافس بين بيوت الأنصار كان قائما غالبا لاستقبال أولئك القادمين الذين جمعهم الإيمان.

ثم شتان.. شتان.. إن الدولة التي أقامها الإسلام بعد الهجرة دولة لعبادة الله.. لصقل النفس البشرية، لسيادة القيم التي يحترمها العقل والفطرة.

أما دولة إسرائيل فدولة وثنية، لعبادة المال والجنس والشهوة والضلال، لعبادة الجبروت والظلم والطغيان.

إذا كان الشاعر العربي قال:

والمال مذ كان تمثال يطاف به

والناس مذ خلقوا عباد تمثال

فإن عبادة المال وعبادة الدنيا، لا اعتراف بالآخرة، لا اعتراف بنبي، لا اعتراف بشريعة السماء، لا شيء عند اليهود أكثر من المادة. العجل الذهبي الذي عبد قديما، أعيدت عبادته بشكل آخر، ولولا أن المسلمين باعدت بينهم وبين دينهم أزمات روحية ومادية طاحنة لكان لليهود مصير آخر وشأن آخر.

إنها مقارنة بين المسلمين الأولين وما امتازوا به، وكيف أن ما امتازوا به جعلهم وهم يهاجرون وأسسوا به دولة على عين الدنيا، هي الرائد الحقيقي لكل ما على ظهر الأرض الآن من قيم ومن تقدم ومن حضارة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

***

الطريق.. إلى السعادة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول الله - عز وجل - فى سورة «هود»:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

«هود: ٢٣»

عبر واحدة من الإذاعات العربية.. استمعت إلى المتحدث العربى المسلم يستفتى واحدا من حكماء الغرب عن السعادة.. وكيف الوصول إليها؟؟

وأجاب الحكيم الغربى: لكى تكون سعيدا ينبغى أن تجدد حياتك.. بمعنى أن تزيد اهتماماتك لتكسر بالجديد.. جمود القديم!!

وقلت: سبحان الله!! لقد أكمل الله لنا الدين.. فلا يحتاج إلى مزيد.. وأتم علينا نعمته: فلا نحتاج إلى استجداء الحلول من غيرنا!!

أجل: إن الحكمة ضالة المؤمن: أنى وجدها فهو أحق بها..

ولكنا نقول: ومتى كانت الحكمة هنا غائبة.. حتى نبحث عنها هناك عند فاقد الشئ.. الذي لا يعطيه؟!!

وقلت: أولا: لقد سماها القرآن الكريم «الحياة الطيبة» وهى ما يعبرون عنه هناك بالسعادة!

وذلك قوله - عز وجل - فى سورة النحل:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٩٧)

إنها.. الحياة الطيبة!! فيها من «الطيب» رائحته.. وفيها من الطعام إذا طاب: نضجه ولذته وطعمه.. قال العلماء: (المطيع فى عيشة هنية: إذا كان موسرا.. فلا كلام فيه.. وإن كان معسرا: فبالقناعة والرضا بحكم النفس المطمئنة يكون مطمئنا والفاجر: بالعكس: إن كان معسرا.. فواضح.. وإن كان موسرا: فحرصه لا يدعه يهنأ: فهو لايزال فى عيشة ضنك).

والآية الكريمة التى صدرنا بها دلت الحديث ترسم الطريق اللاحب إلى هذه الحياة الطيبة فى الدنيا وفى الآخرة. وأول خطوة على هذا الطريق هى الإيمان.

الإيمان الذى يشكل القاعدة الأصيلة والتى يدور عليها سلوك الإنسان.. ولكن الحكيم الغربى يتجاهل الإيمان كمحرك أساسى لحركة الإنسان.. الذى يريده حرا يفعل ما يشاء..

ويتشىء فى كل يوم عادات جديدة واهتمامات جديدة لاتقف به عند حد ليكون فى النهاية كالناقة الهيماء لا يموت ولا يحيى؟!!

إنه ينكر هذا «الباطن» وأثره على الظاهر.. بل لايؤمن إلا بالمحسوس الذى تراه العين وتلمسه اليد.. ليكون الإنسان حرا.. وسيد مصيره يصوغه كما شاء له هواه.. وما يترتب على ذلك من بوار وخسران؟!!

والخطوة الثانية على الطريق هى: العمل بل العمل الصالح الذى يحقق المقصود منه بصلاحه..

شروط العمل الصالح

لابد للعمل حتى يكون صالحا من شروط أربعة:

١- المعرفة. ٢- النية.

٣- الإرادة. ٤- الرضا.

أما عن الشرط الأول فنقرأ قوله - عز وجل -

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾

(النساء: ٤٣)

ونتأمل حديث رسول الله ﷺ: (ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها)[1].

وإذن.. فلابد من المعرفة أولا بما تفعله ليكون فى ميزان حسناتك.

(١) مختصر السنة ... ج ١ ص ١٠٣

وأما عن الشرط الثاني وهو النية.. فنقرأ قوله – عليه الصلاة والسلام – :

«إنما الأعمال بالنيات»[1] ويترتب على ذلك أن من تناول كأس عصير وفي نيته أنها خمر فهو آثم؛ ذلك بأن «الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» مسلم / كتاب اللباس.

إن النية وحدها: ضوء خافت لا يقوى على الدفع..

والعمل الظاهري: قد يخدم المجتمع.. ولكن لا علاقة له بمعاني الأخوة.. فإذا فاتت النية الخالصة.. فإن صورة العمل الباقية لاتنشيء الفضيلة الكاملة.. فلابد من الظاهر والباطن معا

إن الله – تعالى – «لايقبل قولا إلا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا إلا بنية» ثم لابد من موافقة العمل للسنة والذي يحدد طريقة التنفيذ هو الرسول.

أما الإرادة فنقول: إن الإنسان مخلوق من عنصرين ترابي وروحي. وإذن فهو مستعد للخير وللشر.. وبلا جبر.

ومما يساعد على نمو دوافع الخير وتراجع دوافع الشر: تذكر الآخرة بما فيها من حساب وجزاء.. وإذن فالمؤمن عامل أبدا.. عكس ما تقرره مذاهب الأرض.. إنه يعتقد أن هذه الدنيا سريعة الزوال.. وأن الأمر فيها قد يكون للأشرار.. وإذن.. فإذا لم تتسع هذه الدنيا لجزائه.. فهذا الجزاء مدخر له عند من لا تضيع عنده الودائع – سبحانه وتعالى – وصدق القائل «إنني مخير ولكن لا أقدر أن أجعل صورتي أحسن ولا قامتي أطول ولست بقادر على إرجاع الأمس».

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

معنى الإخبات

ثم يقول عز وجل:

﴿ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾

(هود ٢٣)

ومن معاني الإخبات كما تقول كتب اللغة

الخبت: المطمئن من الأرض. الواسع.. السهل. أو هو الوادي: فيه رمل.

ويعني ذلك أن الخبت فيه مزيج من:

الاطمئنان وسعة الصدر والسهولة. ثم هو مع سعته وسهولته فيه ما يشبه الرمل الناعم. ولك أن تتصور عبر الطريق كومة من الرمال تندفع نحوها سيارة منطلقة لتدرك كيف ضاع غشم السيارة واندفاعها في هذه الكومة من

---

[1] صحيح [illegible]

[illegible] مؤمن، وكذلك المسلم. إنه يعبد الله – تعالى – كأنه يراه.. في صحبة منظومة من الأخلاق هي في نفس الأمر ثمرة هذه العبادة.

أخلاق المخبتين

ومن أخلاق المخبتين:

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

(الحج / ٣٥)

قد يكون أحدهم غنيا وقد يكون قويا وقد يغريه غناه.. وقد تغريه قوته ليظلم الآخرين.. ولكنه عندما يتذكر أن الله – تعالى – أغنى منه وأقوى وأكبر تكون هذه التذكرة كافية في رد بأسه ليعود إلى حجمه الطبيعي عبدا خاشعا متواضعا

﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ﴾

(الحج / ٣٥)

إنهم راضون بالبلاء مصطبرون مادام نازلا من الله – عز وجل – أما البلاء من البشر: فإذا كان فردا.. فالعفو أولى

﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾

(البقرة: ٢٣٧)

أما من الأعداء: فلابد من مقاومته.. وخذ مثالا على ذلك.. سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – لقد ذهب بصره: وهو خال رسول الله ﷺ[3] ثم هو مستجاب الدعوة، وذات يوم كان بينه وبين ولده حوار طلب ابنه فيه أن يدعو الله برد بصره إليه وهو مستجاب الدعاء فما كان جواب أبيه إلا أن قال: الرضا بقضاء الله – تعالى – ألذ لي من عود بصري إلي[2] ولقد كان في نفس الوقت قائدا عسكريا أدب الله تعالى به الطغاة الذين قاوموه بسلاحه ولم يشأ أن يكون بين أيديهم غنيمة باردة!!

ومن أخلاق المخبتين أنهم يحققون معنى العبادة تعظيما لله – تعالى – بإقام الصلاة وشفقة على خلقه:

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(الحج ٣٥)

تخلقت لديهم ملكة الإنفاق الذي يجددونه كلما دعا إلى الإنفاق داع ومن معاني ذلك كله أن المسلم: رجل متحضر؛ لأنه يضيف وجوده إلى الضعيف ليقوى وإلى الذي كبا لينهض فكان واحداً من مقاييس حضارة الأمة التي لا تسير فقط بسير أضعفها ولكنها تقويه ليكون الكل في العافية سواء.

---

(٣) قال المحب الطبري صاحب الرياض النضرة في مناقب العشرة ص ٣٥٦: وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من بني زهرة وأم النبي ﷺ من بني زهرة.

طريق الجنة

وهذا هو طريق الجنة في الآخرة.. وطريق الحياة الطيبة اليوم يبدو من خلال آيات القرآن الكريم.. الأمر الذي يفرض علينا أن نتدبر الآيات.. لنرى في مرآتها طريق الوصول إلى كل مأمول، ألا وإن أسعد الناس هم أقلهم انشغالا بالسعادة والمسلم إذا لم يأته اليوم ما يسعده فإنه يجيء بما يسعد الآخرين.

أما بعد:

فقد نقل المتحدث العربي عن الحكيم الغربي حديثا مستفيضا عن الصبر.. وضرورة أن يصبر الإنسان على ما أصابه.. فيما يشبه أن يكون تخديرا للفريسة حتى لا تقوم لها قائمة!! وألفت نظر القارئ العزيز إلى ما سبق من بيان هذه القضية ثم إلى ملخص ما رد به أستاذنا المرحوم الغمراوي بما يحيي في قلوب المسلمين روح المقاومة لهذه التوجيهات المقصودة!! قال رحمه الله - تعالى - من ملخصه[1]:

كثر الطاعنون على الإسلام من جهة أهله والطاعنون فيه من أعدائه ولم يكن ذلك ليحدث لو كان للإسلام عزة في بلاده وكانت للمسلم غيرته، ولكن النظام الإسلامي كفيل بحفظ كرامته خارج بلاده وداخلها. ولكن المسلمين فرطوا فدخل الفساد ومن عوارضه: الطعن عليه وذلك على النحو الآتي:

إن الإسلام دين الحرية وكما يصون حرية الفرد يمنعه من أن يعتدي على غيره بالسرقة مثلا وعلى نفسه بشرب الخمر. ويمنعه من فتح باب الهلاك على نفسه وعلى غيره بالطعن. والطعن لون من محاربة الله ورسوله، بل هو الأخطر؛ لأنه يعرضنا لشقوة الأبد ونقرأ في ذلك قوله - عز وجل -:

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ۝ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾

(المائدة: ٣٣-٣٤)

ويفيد قوله - تعالى -:

﴿ إلا الذين تابوا ﴾

أن الإسلام يريد الردع.. ولا يريد التشفي:

فالأصل في الإسلام تحريم كل ما يشم منه رائحة الطعن. ولو حدث ذلك من دولة. ثم لم تعتذر حاربناها.

ثم [illegible] سكوتنا على الطعن باسم حرية الرأي خيانة إذ ليس من المعقول أن ينصف الإسلام غيره.. ولا يكفل هذا الحق لنفسه وذويه.

---

(١) ملخص محاضرة للدكتور محمد الغمراوي

[illegible] .. فنحن نرفض كل تجريح باسم: حرية البحث مثلا.. ولابد أن تبقى الغيرة على الإسلام حية في النفوس.

الضعف

واجبنا ألا نشتري منهم ولا نبيع لهم

إنها إذن المقاطعة الاقتصادية والمقاطعة الأدبية.

فإذا ضعفت هذه الروح المانعة للأعداء من الطعن.. فلننظر في أسباب ذلك.. الضعف: إنه ضعف التربية، وعليه:

أ- إنشاء مدارس إسلامية.

ب- قراءة قدر يسير من القرآن.

جـ- دراسة السيرة النبوية وسيرة الصحابة دراسة تحليل.

د- عدم التعرض لدحض شبه الطاعنين بالمناقشة لأن ذلك يغريهم بالكلام.

فإذا كان رد: فليكن مرتكزا على حقائق العلم والتاريخ.. في قالب من السخرية حتى يشعر الطاعن أن طعنه ليس له قيمة ويشعر المسلم: بأن العزة له.

واجب المسلمين

ولكن: ماهو واجب المسلمين في دول ليست فيها حكومة إسلامية؟

إن حكمهم هو حكم المسلمين قبل الهجرة.. وعندما لم تكن لهم قوة.

وعليهم إذا لم يملكوا منع الطاعن.. أن يدركوا أنهم يملكون منع عيونهم وآذانهم من قراءة أو سماع ما يهرف به الطاعنون.. طاعة لله - تعالى - القائل سبحانه:

﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾

(الأنعام: ٦٨)

فإذا نسي.. فليقم عند تذكره.. مشعرا للخائضين بأنه غير راض عما يقولون.. ولهذا السبب يغادر المجلس.

فإن استمر قاعدا.. فهو الملوم.. وهو على خطر عظيم.. لأن البعد عندئذ مهم.. قبل أن يعلق في نفوس الناشئة شيء. يجب على النشء أن الطاعن مبطل.. والمبطل: مقاتله كثيرة.

وإذا كان الطاعنون يسخرون منا أحيانا ليشعروا المفتونين بهم أنهم أقوياء.. فأحرى بنا أن نحاربهم بمثل سلاحهم.

***

أحداث ومواقف بعد الهجرة إلى المدينة

إن الهجرة إلى المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وما صاحبها من أحداث وما سبقها من استعداد جيد؛ هو دائماً محور الحديث في هذه المناسبة الجليلة. وبرغم قناعتي بأهمية ذلك وتقديري له، إلا أنني أرى أن جوانب أخرى لا تقل أهمية عما سبق يجب أن نتناولها بالبحث المتأني والدراسة الواعية للكشف عن مضامينها ومحتوياتها ونترسم خطاها لإعمار الكون وإنشاء «عولمة» صالحة مستقيمة رشيدة تحترم إنسانية الإنسان ويحترمها الناس لأنها رحيمة لا تعرف القهر ولا تمارس القتل ولا تغتصب الثروات.

إن الدخول إلى المدينة المنورة لم يكن غزواً عسكرياً صاحبه تدمير وقتل وإبادة ثم تبعه تبرير فج مزوَّر، كما لم تسبقه ادعاءات سخيفة كما هو واقع ومشاهد في حملات الإبادة والعطرسة في العراق وأفغانستان والبوسنة والصومال، وكما هو متوقع في السودان حماه الله مما يحاك ويدبَّر له.

لم يكن الدخول إلى المدينة إلا عملاً مهد له شوق صادق بلغ حد الوله والهيام بالدعوة، يسر له رب العزة - جل جلاله - بأحداث في المدينة جعلت أفئدة أهلها تشرئب إلى المنقذ الهادي، وقد سبقت الهجرة بيعتان عظيمتان فيهما مواثيق وعهود أبانت وأوضحت معدن الرجال بقوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه. كما أن سفير الدعوة الصادح بالقرآن مصعب بن عمير وهو يرتل ويعلم، مهّد الطريق وفتح القلوب وغرس في الرجال آيات الله تتلى فتزلزل أركان الشرك والوثنية وتحيل ظلام النفوس والقلوب إلى نور وهداية وتمسح أدران الجاهلية. وتصبحوا المدينة على نور التوحيد وعدالة الدعوة ونبل الداعية وسموه، وترقى في سلم

فضيلة الشيخ / الطاهر العامري

الإنسانية العظيمة لتتبوأ مكان الريادة في العالمين.

طيبة

إن هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة كانت بناء على دعوة كريمة من أهل المدينة عرفت في التاريخ باسم «البيعة»، كما أنها على جانب آخر - وهو الأهم - أن الله - سبحانه وتعالى - قضاها لنبيه ﷺ. وأراها له في رحلة الإسراء يقول النبي ﷺ: «مررنا - هو وجبريل - بأرض ذات نخل، فقال جبريل: انزل فصلِّ، فصليتُ. فقال: أتدري أين صليت؟. قلت: لا. قال: في طيبة وإليها المهاجرة»[1] فكان أن هيأ الله الأسباب حتى ينفذ وعد الله، وهاجر الرسول ﷺ وصحبه وطاب لهم المقام. ثم كانت في طيبة أحداث جسام هي علامة بارزة في تاريخ الدعوة، لا ندّعي أننا سنحصيها. لكننا لا نستطيع أن نتجاوزها وسوف نقف عند بعضها نتأمله ونستخلص منه عبره، كما نستجلي فيه معالم النبوة ورعاية الله لحزبه المفلحين.

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله في الحمى... فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه، فكان أبوبكر وعامر بن فهيرة وبلال وغيرهم أصابتهم الحمى. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنظر إلى السماء وقال: «اللهم حبب إلينا المدينة، كما حببت إلينا مكة أو أشد وانقل حماها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا..» واستجاب الله لدعوة نبيه ﷺ فطابت المدينة وطاب هواؤها وشفي أبوبكر وبلال وكل الصحابة والحمد لله»[2]

ليس ذلك فقط.. ولكن اسمح لي أن أقول لك هل تذكر - ويجب أن تذكر - عمرة القضاء؟ والأصحاب يطوفون مع النبي ﷺ بالبيت والملأ من قريش ينظرون إليهم يتأملونهم، ويتمنون من قلوبهم لو أن حمى يثرب أضعفتهم فأجهدهم الطواف. لكن الله خيب ظنهم وأطلع الله نبيه على ما يعتمل في قلوبهم فقال ﷺ يستحث أصحابه أن يظهروا البأس ويستعرضوا القوة، قال: «رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة»، ومن ثم شرع الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف، هل تدري ما معنى الرمل؟. هو سير أقل من الجري وأسرع من المشي. هو هرولة لكن فيها دلال وتبختر، فيه استعراض للقوة وليس المقصود الإسراع إنما

(١) مسند الحميدي

(٢) صحيح البخاري





المقصود إظهار القوة.. قال الفقهاء: إن الحكم يدور مع علته وجودا أو عدما. يعني أن الحكم إذا شرع لعلة، وانتفت هذه العلة التي شرع من أجلها الحكم، فإن الحكم يزول تبعا لزوال حكمته. وإعمالاً لهذه القاعدة وتطبيقًا لها فإن الإسراع والرمل في الطواف زال بزوال علته، لأن علته كان إظهار القوة واستعراضها أمام المشركين، ولم يعد هناك مشركون، ولم تعد هناك حمى في المدينة المنورة.

● قال صاحبي: ما قولك في الرمل في السعي بين الصفا والمروة بين الميلين الأخضرين، هل هو باق أم أنه زال؟.

●● قلت لصاحبي: تأمل رعاك الله ما قلته لك من قول الفقهاء.. فهل علة الرمل في السعي باقية، أم أنها زالت، فيزول الحكم بزوالها؟ قال صاحبي: لا أدري، لكنني أعرف أن هذا رمل وذاك رمل، وأن كلاهما كان لحكمة وعلة.. قلت: نعم هذا رمل وذاك رمل وكلاهما كان لعلة. لكن ليس بينهما تلازم، حيث إن علة الرمل في الطواف كانت إظهار القوة، واستعراضها أمام المشركين ولم يعد هناك مشركون حول البيت. فلا داعي لاستعراض القوة، بخلاف الرمل في السعي فإن علته هي تذكر موقف السيدة هاجر أم إسماعيل ولهفتها على وليدها وهي تبحث عن الماء، وتحقق وعد الله - سبحانه وتعالى - لسيدنا إبراهيم لما امتثل أمر ربه:

• رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ •

(إبراهيم: الآية ٣٧)

وكذلك تحقق رجاء هاجر لما قالت لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - عندما تركها عند البيت: «آلله أمرك بهذا؟». قال: نعم.. فقالت: إذن لن يضيعنا.. فكل هذه المعاني باقية والمسلمون في حاجة ماسة إلى تذكرها وإلى الثقة بوعد الله - تعالى - أن ينصر دينه لو أن المسلمون استقاموا على شرعه وشريعته، فعلة الرمل في السعي باقية بخلاف علة الرمل في الطواف. فإنها زالت فيزول الحكم بزوالها ويبقى الرمل في السعي فيزول علته.

المؤاخـــــــاة

● قال صاحبي: بعد أن اطمأن واستراح إلى ما قلت - حدثنا عن مشاهد وأحداث المدينة المنورة بعد هجرة النبي ﷺ إليها هو وصحبه..

●● قلت لصاحبي: إن مشاهد وأحداث المدينة كثيرة وعظيمة الثراء، وعلى المسلمين أن يفهموا أهدافها ومراميها وآثارها. ويقتدوا بها حتى تؤتي ثمارها.. تأمل معي ما كان من النبي ﷺ عند قدومه المدينة وما صنعه من مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

إن هذه المؤاخاة لم تحدث في تاريخ البشرية، وأن أي فاتح على مر التاريخ مهما أوتي من الفطنة والحنكة والخبرة في سبر أغوار النفوس لم يتطرق ذهنه إلى شيء من قبيل هذا العمل الجليل الذي أسسه وصنعه رسول الله ﷺ. هذه المؤاخاة التي ظهرت آثارها واضحة في تماسك المجتمع وانصهاره في بوتقة واحدة. عرفت قيمة الإيثار في المجتمع الناشئ الوليد، وأصبح الإيثار سمة في المجتمع الإسلامي كله - أو هكذا ينبغي أن يكون - لكنه في حاجة إلى تفعيل. ثم قلت لصاحبي: أو تدري معنى الإيثار؟. ثم أضفت: أظنك تحسبه أن يعطي الغني ذا الفاقة المضطر، لا.. ليس ذلك إيثارا بالمعنى الإسلامي الذي غرسه النبي ﷺ في أمته. إنما الإيثار أن تعطي المحتاج الذي لا يكاد يجد ما يسد حاجته. هو الذي يرى أن أخاه أحق بما عنده مهما كانت حاجته هو. ثم قلت لصاحبي: أنا أعلم أن هذا المعنى الرفيع لا يمكن أن تستوعبه أفهام الغرب المادية المكدودة المغرقة في الجشع والأثرة والعدوان. لقد بيّن الله - سبحانه وتعالى - معنى الإيثار الذي وقع وحدث بين المهاجرين والأنصار، فقال:

• وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ •

(الحشر: الآية ٩)

إن الإيثار عمل رفيع عن قناعة ورضا وحب جعل الأنصاري يؤثر بطعامه أخاه المهاجر إذا رآه في حاجة إلى طعام ويبيت طاوياً

كما أن المهاجر إذا كان في حاجة إلى كساء لأنه أحس بالبرد. فإن الأنصاري يؤثره على نفسه ويعطيه ثوبا وغطاء، أو تدري من الذي يشعر بالدفء؟.

إنه الأنصاري.. هذا هو الإيثار بمفهومه الإسلامي، تعطي أخاك رغم حاجتك إلى ما تعطيه والله يهدينا إلى ما يحب ويرضى.

***

الهجـرة بين الـدلالات اللغويـة والتنوع المـادى والشـعورى

للهجرة النبوية آثارها في تغيير وجه التاريخ، والارتقاء بالإنسانية إلى أفق أعلى، ورغبات أسمى، وتطلعات أكثر اقترابا من فطرة الإنسان، وليس يوم أحق بالتاريخ إذاً ـ كما يقول العقاد[1] ـ من اليوم الذي هاجر فيه النبي بلده. قال تعالى:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة ٤٠)

ولقد كان لحادث الهجرة آثار جليلة على المسلمين، ليس فقط في عصر رسول الله ﷺ، ولكن آثار الهجرة قد امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومصر، كما أن آثاره شملت الإنسانية أيضا، لأن الحضارة الإسلامية التي قامت على أساس الحق والعدل والحرية والمساواة هي حضارة إنسانية قدمت، ولازالت تقدم للبشرية أسمى القواعد الروحية والتشريعية الشاملة التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع، والتي تصلح لتنظيم حياة الإنسان في كل البيئات بغض النظر عن مكانه أو زمانه أو معتقداته[2].

وللهجرة دلالات متعددة، وموحيات تفجرها هذه الدلالات، ومنها الدلالة اللغوية، والدلالة الاصطلاحية.

فالدلالة اللغوية تقودنا إلى عدة معان تجتمع كلها لتعطي معنى الشدة والقوة والطول والعظم، والجيد من كل شيء، والفائق الفاضل على غيره.

دلالات

وهذه الدلالات الإيجابية يمكن أن نستضيء بها في تأمل ملابسات الهجرة، وبواعثها وأهدافها وآثارها، ومن معاني الهجرة المباشرة والمناسبة لسياق الحدث: ترك شيء إلى آخر، أو الانتقال من حال إلى حال، أو من بلد إلى بلد. قال تعالى:

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (المدثر ٥)

وقال سبحانه:

﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾

(المزمل ١٠)

وأما الهجرة بمعناها الاصطلاحي فهي الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وفي هذه الدائرة الاصطلاحية تتموج أحداث هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة، ثم هجرتهم إلى يثرب، ثم هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة المنورة، والرافعي يسجل في أسلوب أدبي بليغ أثر أحداث الهجرة النبوية في نفسه وعقله ووجدانه فيقول: قرأت بالأمس تاريخ الهجرة النبوية في كتاب أبي جعفر الطبري فلم أكن ـ علم الله ـ في كتاب ولا حكاية، بل في عالم أستق في معنى مخلوقا تاما بأهله، وحوادث أهله، وأسرار أهله جميعا، كما يرى المحب حبيبه لا يكون الجميل في محل إلا امتلأ مكانه بعاشقه، فهو مكان من النفس، لا من الدنيا وحدها، وفيه الحياة كما هي في الوجود بمظهر المادة، وكما هي في الحب بمظهر الروح، وتلك حالة من القراءة بالروح، والكتابة بالروح، متى أنت سموت إليها رأيت فيها غير المعنى يخرج معنى، ومن لا شيء تخلق أشياء، لأنك مهما اتصلت بأسرار نفسك، ومن نفسك اتصلت بأسرار فوقها، فيصبح التاريخ معك في الوجود الإنساني على الوجه الذي تجعلت به الحكم إلى الحياة لتستمر بالنفس الإنسانية، لا في علم الناس على الوجه الذي أفضت به الحوادث مما بين الحياة والموت[3].

هجرة مادية وهجرة شعورية

وفي ضوء الدلالة الاصطلاحية يقسم بعض الباحثين الهجرة إلى نوعين وهما الهجرة المادية، والهجرة الشعورية، فالهجرة المادية هي الهجرة الحركية التي ينتج عنها الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، أما الهجرة الشعورية فتعني الانتقال بالنفسية الإسلامية من مرحلة إلى مرحلة أخرى بحيث تكون المرحلة الثانية أفضل من الأولى كالانتقال من حالة التفرقة إلى حالة الوحدة، أو تعد مكملة لها كالانتقال بالدعوة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة.

(١) انظر عبقرية محمد عباس محمود العقاد: دار الهلال، العدد الأول ص ٢٣١، كتاب الهلال العدد ٢٤١ يونية ١٩٥١م ـ رمضان ١٣٧٠هـ

(٢) انظر مجلة الأمة العدد الأول محرم ١٤٠١هـ مقال الأستاذ/ سيد عفيفي

(٣) انظر وحي القلم للرافعي جـ٢ مقالة وحي الهجرة، وهي أولى مقالاته في مجلة الرسالة ـ أنشأها للعدد السنوي الخاص بالهجرة

الهجرة الشعورية من مقوماتها: إنكار ومعاداة كل ما لا يرضي الله أو يخالف شريعة الله، ويظهر للمسلم هذا الإنكار بكل الوسائل الممكنة بالجوارح أو باللسان أو بالقلب، ويعمل على تغييرها بكل الإمكانات المتاحة، فالرسول ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]. وأساس هذه الهجرة «النية» عملاً بقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق على صحته. رواه البخاري ومسلم.

وقال بعض الصالحين: «إنما الأعمال بالنيات» يتعلق بما وقع في القلوب من أنوار الغيوب.

وإذا كانت الهجرة المادية تجب في بعض الأحوال، فإن الهجرة الشعورية واجبة على كل حال، وفي كل حين، وهي من آثار ومكونات الهجرة المادية: لأنها تتعلق بهجر ما لا يرضي الله تعالى. وهي قائمة إلى أن تقوم الساعة. ورد في صحيح مسلم أن مجاشع بن مسعود السلمي قال: جئت بأخي أبي معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت: يا رسول الله: بايعه على الهجرة، فقال ﷺ: «قد مضت الهجرة بأهلها». قال مجاشع: فبأي شيء تبايعه؟ فقال رسول الله ﷺ: «على الإسلام والجهاد والخير». ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة. ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها». أما قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح. ولكن جهاد ونية»، فالمراد بها هنا أن لا هجرة واجبة بعد الفتح، وقد زاد مسلم: «وإذا استنفرتم فانفروا»[2].

محمد حسين هيكل

سعادتنا وقوتنا!!

ويقول د. محمد حسين هيكل في ختام وصفه لرحلته إلى غار ثور ورصد بعض أحداث الهجرة وآثارها: أخطأ الذين يحسبون في حياتنا المادية سبب سعادتنا أو سبب قوتنا. إنما سعادتنا وقوتنا في حياتنا المعنوية. لنكن طلقاء في البادية أو حبيسين في الغار، أو حيثما شئنا من أرض الله، فنحن سعداء، ونحن أقوياء بإرادة الله وإرادتنا ما وهبنا نفوسنا لله، نريد غاية سامية نحققها لإخوتنا بني الإنسان، وهذا بعض ما يدعو محمد إليه حين يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3] وهذه بعض العبرة في ذلك الغار وقصته، وقصة الهجرة أكبر عبرة لقوم يعقلون».

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح البخاري

(٣) مجلة الأمة، العدد الأول، محرم ١٤٠١هـ [illegible]

(٤) في منزل الوحي د. محمد حسين هيكل ص ٣٦٢

مسافر في الزمان!

طوى الدهرُ صفحة عام غبر ... فأمسى حديثاً لمن يذكر!
يمرُّ الزمان وأحداثه ... مرور الرؤى وتوالي الصور!
نهارٌ يكرُّ وليلٌ يفر ... وبينهما يتلاشى العُمُر!
فهذا الهلال الذي نجتليه ... سيُحال عما قليل محو العصر!
بلى! إنه القوس نرمى بها ... ومن شدة النزع يحمى الوتر!

***

لئن مرّ عامٌ عميق الأثر ... فقد حلّ عامٌ عظيم الخطر!
ولا يعلم القومُ ماذا به ... وماذا يُخبّئ فيه القدر!
وكلٌّ إلى ربه صائر ... إذا ما أتى الموعد المنتظر!
ولله في خلقه حكمةٌ ... له الحكم فيما قضى أو أمر!

***

تباركت ربي رجائي معي ... وبستان عمري ردىء الثمر!
إذا جاءك الناس يوم الحساب ... بأعمال خير وجئت بشر
فلا ضاق عفوك عن مذنب ... يعض البنان على ما بدر!
تعالى علاك! فمن لي سواك؟! ... وهل منك إلا إليك المفر؟!
تعاليت يارب فوق الزمان ... وفوق المكان وفوق البشر!
خلقت الزمان وقدرته ... وصغت الوجود لأمر قدر!
فيا عاقلاً كم رأى آية ... فأعرض عنها وولى الدبر!
إذا الدينُ والعلم قاما على ... شئون الحياة خلت من كدر!
فما الدينُ إلا سبيلُ الهدى ... وما العلم إلا ضياءٌ سفر!
وما اصطدما قطُّ في موقف! ... فهذا الحديث وهذي السور!
ومن كذبوا الله في كتبه ... فهم في ضلال وهم في سَعَر!

في الطريق إلى مكة

شاع في خراسان أن قافلة عبدالله بن المبارك تتأهب للحج بعد ثلاثة أيام من شوال، فأخذ القوم يستعدون إلى صحبته، فهم يعلمون أنه رئيس القوم ومحدث الأمة وفقيه الناس، وفي صحبته سرور ولذة، إذ كان يحج عاما ويترك عاما آخر للغزو في سبيل الله، مع من يقفون في الرباط يواجهون الروم إذا ما رام موقف أو احتدم تنازل، وقد جعل كل قادر على النفقة من الأثرياء يتقدم إليه بما سينفق ليضمه إلى خازنه رصيدا للنفقة المنتظرة، أما غير القادر ممن يقف ابن المبارك على كفافهم فيتقدمون بما يستطيعون ليأخذه ابن المبارك بيده فيكتب قيمته ويدعه في صندوقه الخاص. والقادر وغير القادر سواء في الطعام والشراب والإراحة والإقامة، لأن إدارة القافلة تقدم الزاد للجميع دون تفضيل. وعند الطعام يتفقد عبدالله الآكلين ويدور على مراكبهم ثم يتناول طعامه مما بقي مغتبطا سعيدا ولا تسل عن أماكن الاستراحة في الطريق الممتد بين خراسان ومكة، حيث عرف ما يصلح للمبيت والمقيل وما يحفل بينابيع الماء، فإذا شاءت القافلة أن ترتاح نصبت الخيام ودوى ذكر الله تلبية وتهليلا فإذا صليت العشاء ألقى درس الحديث وانتقل السامعون من الأرض إلى السماء وهم يسمعون كلام رسول الله مفسرا للقرآن أو هاديا للناس، وقد حسب كل سامع أنه تجرد من شئون الدنيا هذه الحقبة الممتدة ليشم رائحة الجنة في الآخرة، وما الجنة إلا السعي في أداء فريضة الله مع التزام فرائضه واجتناب نواهيه. وصحبة ابن المبارك في جوده الواسع وعلمه الناصح وخلقه القويم.

وما كادت القافلة الخراسانية تقبل على مكة حتى تدفق الحجاج من كل صوب يشهدون محفل عبدالله بن المبارك ويتبعون موكبه التفافا لا يبقى معه في البطحاء موضع لقدم وأصوات التهليل والتكبير ترج الأرض رجا فيتجمع إليها القاصي والداني ممن يسعدهم أن يكونوا في ركب عبدالله وكان هارون الرشيد في بعض سنوات حجه يجلس مع حاشيته في قصر حكم قريب من بيت الله فسمع الضجة الهائلة ونظر إلى الجموع يهرولون إلى موكب عبدالله فرحين مغتبطين فتذكر أنه كان يطوف بالأمس وهو أمير المؤمنين فيجد الناس يتباعدون حذرين ولا يقترب منه غير من يعهد من رجال حاشيته ومستشاريه ثم ها هو ذا يجد خضم الشاطئ يسير وراء عبدالله. وابن المبارك لا يجهل مكانه لديه، فهو محدث الأمة ومن أعلامها البارزين، وقد سارت كتبه من الناس لتؤكد منزلته العلمية في الإسلام وقرأها الرشيد فيما قرأ من الصحف ذات الفقه والحديث، أفتكون عزة العلم أبهى من عزة الملك؟! هذا ما يؤيده العيان المشاهد، إذ كيف تضاءل موكب الرشيد وانكمش، واتسع موكب ابن المبارك وامتد؟! ثم سنح هارون الرشيد بخاطره إلى موقف آخر يكاد يراه بأحداثه مرسوما في خاطره، موكب الحساب في الآخرة حين تتلاشى الفوارق بين الراعي والراعية، وحين يتقدم في الآخرة من تأخر مكانه في الدنيا وقد يتأخر من رأس وتقدم، تذكر هذا الموقف، فسأل ربه أن يكون يوم الهول من الناجين.

وكان الموسم موسم جفاف إذ شحت السماء بمطرها الهاطل وتطلع الحجاج لكرامة تهبط بها المياه من السحب فلجئوا إلى صلاة الاستسقاء في ضراعة وخشوع، وأوصى الرشيد أن يؤم الناس عبدالله بن المبارك في الصلاة، فهو بمنزلة من ربه جدير باستجابة الدعاء، ووقف العالم المحدث الفقيه يدعو ربه وخلفه وعن يمينه وشماله في الحرم المكي آلاف الناس يؤمنون ويدعون، وقد سادت الخشية بين النفوس حين جأر عبدالله بدعاء علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – في هذا الموقف فقال متضرعا خاشعا: «اللهم قد يبست جبالنا واغبرت أرضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت عجيج الثكالى على أولادها وملت التردد في مراتعها والحنين إلى مواردها، اللهم فارحم أنين الآنة وحنين الحانة، اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وأنينها في موالجها، اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا السنون فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس، ندعوك حين قنط الأنام ومنع الغمام وهلك السوام ألا تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا، اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا، وتخصب بها جنابنا، فإنك تنزل

الغيث من بعد ما قنطوا، وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد، ثم ختم الصلاة آملا راجيا. فإذا فرغ الناس من حوله تعاظمه هول الموقف حين يستمر الجفاف فاتجه وحده إلى مكان يعرفه بين زمزم والمقام كي يؤدي صلاة منفردة يثني بها ما تقدم من صلاة الجمع فشاهد شابا أسمر الوجه داكن السحنة، يقف داعيا ربه أن يغيث الناس، ويقول في دعائه: «اللهم لا أسألك لنفسي فأنا لا أخشى الموت ظامئا، ولكن أسألك للطفل الرضيع والحيوان حانع و لأرملة البائسة. هم عبادك يا رب وقد قصدوا حرمك وأموا ساحتك». فاستعبر عبدالله لما سمع وترقرق الدمع على خده وأخذ ينظر إلى الشاب مأخوذا دون أن يراه المصلّي المبتهل، وتوقع أن يختم الصلاة فيجلس في الحرم. ليسعد بلقائه، ولكنه فر سريعا إلى حيث ضاع في الحشد المزدحم وشاءت السماء أن تجود بمائها بعد انقطاع فاندفع الناس يقولون أجاب الله دعاء ابن المبارك أجاب الله دعاء ابن المبارك ففوجئ الشيخ بما سمع فصاح في القوم: كلا كلا إنه الشاب الأسمر وأنا أبحث عنه، فليتني ألقاه.

أخذ عبدالله في طوافه وإقامته بالحرم يتأمل الوجوه متفرسا وهو شديد الشغف بلقاء صاحبه حتى أسعده الحظ برؤيته في مكانه المعهود قائما يصلي، فقال لبعض أصحابه: تتبع هذا الشاب إذا انتهى من أمره وانظر أين يقصد؟ فإذا عرفنا منزله سعينا إليه، وقد يكون لنا معه شأن وما أتم الشاب صلاته حتى انفتل سريعا إلى خارج البيت ومن ورائه من يترصد خطوه حتى انتهى به السير إلى دار ميمون الأشدق وهو يتاجر في العبيد وقد سارت له شهرة في هذه التجارة فرجع المتعقب إلى عبدالله يخبره بما كان من أمر الشاب فعض على شفته وقال لابد من شرائه وعتقه إذا كان كما نظن.

وعزم ابن المبارك في الصباح على زيارة دار ميمون فتعجب الناس أن يشغل عبدالله نفسه برؤية تاجر من أهل الدنيا يجمع العبيد والقيان. وطار الخبر إلى ميمون فحسب أن الله قد رضي عنه إذ يجيئه عالم خراسان وإمام الحديث زائرا والناس من خلفه يتقاطرون متزاحمين! وما كاد ابن المبارك يلج باب ميمون حتى سأله أين عبيدك؟ فقال الرجل: هم طوع أمرك لك أن تشتري من تشاء. قال: فأعرضهم عليّ فعرضهم واحدا واحدا وعبدالله ينظر فلا يجد رغبته فقال: هل بقي أحد؟ قال ميمون: شاب أعرج لا نفع فيه. قال عبدالله: أريد أن أراه. فإذا هو صاحبه فهش ابن المبارك للشاب وتهلل، وقال لميمون: هو طلبتي فبأي ثمن تبيع؟ قال ميمون: قلنا لك يا سيدي إنه شاب أعرج وذو ريبة. فاحتر سواه فأنا أدري بمن لدي. صاح ابن المبارك: قلت لا أريد سواه ونظر الشاب إلى ابن المبارك حائرا حين دفع الثمن وقال له قد أعتقتك فانتظرني حيث كنت تصلي صلاة الاستسقاء بالحرم إذ أن لي معك شأنا فقال الشاب: إذا كنت قد أعتقتني فدعني حرا أنتظر أو لا أنتظر. فدهش ابن المبارك وقال: ما تراه يا بني فهيا وليتني ألقاك كما أريد. وانطلق الشاب مسرعا إلى حيث يشاء.

قال ميمون: قلت لك إنه أعرج وذو ريبة فلم تصدق فصاح ابن المبارك: كف يا رجل عنه فأنا أعرف مكانته من ربه وقد شاهدت عنه ما شاهدت. فقلب التاجر كفيه وقال: إن لم تصدقني فاسأل زيتونة فهي تحكي عنه ما تعلم. سأل عبدالله: ومن زيتونة؟ قال: جارية هنا بدار الرقيق. فتشوق ابن المبارك أن يراها مع ميمون دون أن يصحبهما أحد، فخلا المكان إلا منهما، ونادى التاجر، فأقبلت زيتونة باكية تنشج. وقد علمت برحيل الشاب فسكت ابن المبارك برهة ثم سأل: ما شأن هذا الشاب معك يا أمة الله؟ فقالت زيتونة: أنا تجنيت عليه وافتريت الباطل لقد وقع هواه في قلبي وعز عليّ أن أجد الراحة دون لقائه وركبني من الشوق ما زلزل الفؤاد وحرم النوم فانتهزتُ فرصة خلابها في مكان معتزل وهرعت إليه أقبله دون مقدمة فصفعني على وجهي وصرخت من الألم ودوى الصوت فتجمع القوم وحضر سيدي ميمون فأردت أن أنقذ نفسي وقلت: إنه راودني فأبيت فلطمني وسكت الشاب ولم ينطق فصدق سيدي ما زعمت ولم أزل ناقمة على نفسي ألتمس الطريق لاسترضائه حتى فوجئت الآن بعتقه وفراره هو بريءٌ وأنا المريبة. قال ابن المبارك وكم ثمن هذه يا ميمون؟ لقد صدقت القول فلابد أن تعتق وعندي من سيتزوجها في ركب خراسان إذا رضيت فهيا يا بنيتي.

- ٢ -

عرف ابن المبارك أن شيخه المحدث حماد بن زيد قد سأل عنه ويطلب لقاءه بعد أن يحضر من دار ميمون وهو مقيم بالحجون مع صفوة من تلاميذه، فدهش عبدالله إذ كان لا يعرف أن أستاذه بين حجاج هذا العام، وقال متحسرا: يسأل عني شيخي ويحضر إلى مخيم خراسان للقائي وأنا غافل عن تأدية واجبه وهو الشيخ الكبير وأنا التلميذ الصغير.. كيف هدأ؟! لن أهدأ حتى ألقاه؟

ثم اتجه إلى الحجون في مخيم الكوفة فوجد شيخه حمادًا يجلس صامتا بين تلاميذه وحين رآه خف إلى لقائه فتعانقا على شوق، وقال الأستاذ للتلميذ مداعبًا أحضر إلى مخيم خراسان فأجد عبدالله بن المبارك يترك مناسك الحج ويذهب لشراء الجواري والغلمان لقد تغيرت بعدي يا بن المبارك.

قال عبدالله: إن أذن شيخي اعترفت له

بأنى كنت أنشد شابا متأ في عبادة الله وقد رأيت منه ما أسعدني وحاولت شراءه كي أعتقه ثم انصرف عني بعد أن خيب رجائي.

نظر حماد حائرا وقال: أي رجاء لك فيه ولم يبلغ مبلغك من الفقه والحديث؟ فقال عبدالله: لم أختره لفقه أو حديثه ولكن ليكون زوج ابنتي فلن أجد تقيا ورعا أحب إلى الله منه ومضى يذكر ما كان من أمره منذ عرفه إلى أن انطلق دون أن يعلم مثواه.

فقال حماد - بعد أن عجب وعجب الحاضرون من حديث ابن المبارك -: وهل سترضى فتاتك بشاب أسود كان رقيقا بالأمس وحرر على يدك؟ فتبسم ابن المبارك وقال: هل تعرف قصة زواج والدي الأجير من ابنة تاجر مرو ولم يكن يملك درهما واحدا.

تطلع الحاضرون إلى ما سيقول ابن المبارك وتبسم حماد وهو يقول: زدني إيضاحا كيف تزوج والدك الفقير بابنة تاجر مرو الموسر وهو لا يملك الصداق؟

قال عبدالله: كان أبي (ناطورا) يحرس بستان التاجر في مرو فجاء صاحب البستان يوما فأمره أن يقطف له رمانة حلوة فذهب وجاء برمانة فذاقها ثم رماها وقال: حامضة فاحضر سواها، فذهب وأتى بثانية فذاقها فإذا بها حامضة. فصاح به أريد رمانة حلوة فقطف ثالثة وأتى بها فوجدها كسابقتيها فصاح به: ويلك: أما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال أبي: وكيف أعرفه وأنا لم أذقه. فقلب كفه وهو يقول: بقي لك في البستان ست سنوات ولم تذق منه شيئا. فقال أبي: نعم لأنك لم تأذن لي في أكل شيء؟ فجعل صاحب البستان يسأل مجاوريه هل شاهدتم الأجير يأكل ثمرة من فاكهة البستان؟ فقالوا: ما رأيناه يأكل غير كسرة الخبز وبعض الإدام مما يباع. وكان للتاجر ابنة كثر خطابها وكلهم طامعون في ماله فقال لوالدي: اسمع يا بني: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحب، واليهود يزوجون من أجل المال، والنصارى للحظة والجمال. وهذه الأمة تزوج للدين وقد رأيتك ذا دين وخشية فأنت أحق بها وأجدر، ثم ذهب إلى منزله وتم القران وواظب أبي على حراسة البستان فلم يأكل منه شيئا بادى الأمر فقال لوالدي ضاحكا: أتمتنع عن مالك؟ فهل تتأكد من وارث قادم؟ قال أبي: لم تأذن لي بعد. فقال التاجر: فقد أذنت منذ اخترتك قرينا لابنتي فكل ما تشاء. قال حماد: قصة عجيبة وأعجب منها أن يرويها ابن المبارك صاحب الجاه الممتد في العلم والثراء والشجاعة ثم لا ينقص منها حرفا، يابن المبارك جئت حين بدأ مجلس الحديث وعليك أن تريحني فتجلس مكاني لتحدث التلاميذ. فقال ابن المبارك: معاذ الله أن أحدث وشيخي جالس يستمع. فقال حماد: أقسمت عليك لتفعلن أقسمت عليك لتفعلن: فقال ابن المبارك سأحدث بكل ما رويته عنك. وبدأ يقول: حدثني شيخي حماد بن زيد عن فلان وفلان، وهكذا يتابع الأحاديث وكلها عن حماد: وكأن ابن المبارك أراد أن يعلن فضل أستاذه وأنه مع شهرته الذائعة في الحديث ينزل به المنزلة القديمة حين كان شابا يستمع ويحفظ. وتعجب السامعون لكثرة ما روى عن حماد. فقال الشيخ: هكذا أضمن بقاء درسي ما بقي ابن المبارك. فصاح عبدالله: ولمن في ذلك غيرك وأنت؟

انتهى مجلس حماد فجعل ابن المبارك يدعوه إلى زيارة الخراسانيين في مخيمهم القريب ليفرحوا بأستاذ أستاذهم فتعلل بضعف الصحة وانطلق ابن المبارك ليسأل كلا منهم عن أسماء الذين دفعوا النفقة اليسيرة في مبدأ الرحلة، فجاءت قائمة الأسماء بين يديه فكان يستدعي الواحد بعد الواحد منهم فيقول له: هل أوصاك عيالك أن تشترى لهم شيئا من طرف مكة والمدينة؟ فيقول: نعم. فيقول: وبم أوصوك؟ يقول: بكذا وكذا. فيقيد ما ذكر ويدعو الثاني بعد الأول، والثالث بعد الثاني، حتى فرغ من أسماء القائمة وقد كتب حوار كل واحد وصية أبنائه، وخف إلى السوق مع ثلاثة من معاونيه فاشترى كل ما أوصى به وزاد بما رآه فلما بلغ الركب في رجوعه مشارف مرو أوقف القافلة وبعث إلى كل منزل من منازل هؤلاء من يقوم بتزيينه وترميمه وإصلاحه ترحيبا بمقدم الحاج الغائب وبعد أن انتهى العمل أقام وليمة حافلة أكل فيها الركب بأجمعه ودعا بالصناديق المليئة بحاجات الأهل فأخذ ينادي كل إنسان ويعطيه ما أوصى به بنوه فموزع من الثياب الجديدة ما لا يقف عند حد وعم البشر وجوه الناس حتى قال الأثرياء: يا بن المبارك ليتك أخذت نقودنا واشتريت ما نريد لنفرح كما فرح هؤلاء. فقال عبدالله: إذا كانت المرة القادمة وأذن الله باجتماع الشمل وسلمت القافلة فسأشتري للجميع.

وفي الطريق إلى باب مرو نظر عبدالله فشاهد رجلا يأتي إلى كناسة فيحمل منها طائرا ميتا فيتعجب وينهض فيسأله عما يفعل وقد تفرس في وجهه ما ينبئ عن الفاقة فقال الرجل في ضراعة: أحلت لي الميتة وأنا مضطر فقد كان أبونا ذا مال فقتل وصودر ماله ظلما وبقيت أتكفف لأسرتي فلا أجد فدمعت عينا عبدالله. وقال لرفقه الصدقة لهذا أولى من الحج المتكرر. وصاح بوكيله: كم بقي لديك من نفقات الرحلة؟ فقال: ألف دينار. قال خذ منها عشرين دينارا تكفينا حتى نأتي مرو وادفع ما بقي من الألف إلى الرجل فهذا أفضل من حجنا هذا العام وانصرف الرجل ثريا موسعا عليه وهو لا يعلم كيف هبطت عليه الثروة وكأنها نزلت من السماء. ثم جاءت مرو فتمت الرحلة واستأنف المسافرون حياتهم التقليدية فرحين بما في أذهانهم من أعذب الذكريات عن الحج وعن عبدالله.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ الْقُرَّاءِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر شوال ١٤٢٨ بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٤م.

المقيد برقم ١٦٦٢ لسنة ٢٠٠١ م المتضمن:

إذا توسطت السلعة فلا ربا

● ورد من المهندس / محمد عبدالحفيظ:

معرض يقوم ببيع سيارات بالتقسيط وبالنقد، وفي حالة البيع لا يتقاضى مقدما من الثمن إلا أنه يحرر بثمن السيارة شيكات إلى البنك، وبعد ذلك يقوم البنك بإعطاء صاحب المعرض ثمن السيارة نقدا ويقوم البنك بعد ذلك بتحصيل الشيكات المقسطة من المشترى فما الحكم في البيع بهذه الصورة؟

●● الجواب: هذه الصورة عبارة عن مرابحة.. يتوسط فيها البنك بين المعرض والعميل. وتكييفها شرعا أنها تتضمن معاملتين، يأخذ البنك في المعاملة الأولى السيارة نقداً بثمن حال، ثم يبيعها في المعاملة الثانية للعميل بثمن مؤجل معلوم الأجل والأصل والزيادة، ومن المقرر شرعاً أنه يصحّ البيعُ بثمنٍ حالّ، وبثمنٍ مؤجل إلى أجل معلوم، والزيادة في الثمن نظير الأجل المعلوم جائزة شرعا على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأنها من قبيل المرابحة، وهي نوع من أنواع البيوع الجائزة شرعاً التي يجوز فيها اشتراط الزيادة في الثمن في مقابلة الأجل، لأن الأجل وإن لم يكن مالاً حقيقة إلا أنه في باب المرابحة يُزاد في الثمن لأجله إذا ذكر الأجل المعلوم في مقابلة زيادة الثمن، قصداً

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

حصول التراضي بين الطرفين على ذلك. ولعدم وجود موجب للمنع، ولحاجة الناس الماسّة إليه بائعين كانوا أو مشترين ولا يعد ذلك من قبيل الربا، لأن القاعدة الشرعية أنه «إذا توسطت السلعة فلا ربا».

مواريث

● ورد من [illegible]:

توفى رجل وترك: أربعة من أولاد أبناء العم ذكرين وأنثيين، وولدى أخت شقيقة ذكر وأنثى، فمن يرث ومن لا يرث في هذه المسألة؟

●● الجواب: بوفاة هذا الرجل عن المذكورين فقط تكون كل تركته للذكرين فقط من أولاد أبناء عمه مناصفة بينهما تعصيباً، لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب، ولا شيء للأنثيين منهم، ولا لولدى أخته الشقيقة ذكراً وأنثى، لأنهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين في الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات، هذا إذا كان العم شقيقاً لأبيه أو أخا له لأب.

أما إن كان أخا له لأم فإن التركة تكون لولدى الأخت الشقيقة للذكر منهما ضعف الأنثى، لأنهما من الصنف الثالث من ذوى الأرحام، وذلك لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب ولا أحد من أصناف ذوى الأرحام المقدمة عليهما، ولا شيء لأولاد العم لأم ذكرين وأنثيين، لأنهم حينئذ من الطائفة الثانية من الصنف الرابع من ذوى الأرحام، والصنفُ الثالث من ذوى الأرحام مقدم على الصنف الرابع منهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

دراسات قرآنية



عن الخروج في القرآن الكريم

من جناية الفكر الإسلامى المعاصر على قرآنه العظيم تسطيح مفاهيمه الغائرة، وتذويب مصطلحاته المحددة. ربما عن عمد ساذج أحيانا، وربما عن مرور لا مبال أحيانا أخرى، وربما عن قصور فى حركة استقصاء هذه المصطلحات وهذه المفاهيم وتنظيرها على مستوى علمى يكفل لها التوافق مع منطق الوحى وطبيعة التنزيل!!!

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
أستاذ بجامعة الأزهر

إن المفردة القرآنية ليست مجرد حجر في بناء، وإنما هي خلية حية في بناء عضوى صاعد من منطق إلهي ومنته إلى منطق إلهي. بمعنى أن القرآن في حركة تعبيره عن وضعية الإنسان في الكون.. ووضعية الكون والإنسان. لا يمكن أن يتسلح بمفردة عاجزة عن الحوار مع كل ما عداها من المفردات. إن كل مفردة قرآنية تشكل منطلقا من شيء ومنطلقا إلى شيء بحيث لا يمكن أن يكون التعبير عن حقيقة من الحقائق قابلا للانضواء تحت راية الفهم إلا من خلال وضعية هذه المفردة بذاتها أولا. وبحدثها مع غيرها ثانيا. وبالتشكيل الثاني كما هو وارد في القرآن آخر الأمر.

وما دام ذلك كذلك.. ما دام للقرآن مصطلحه المنضبط، ومفاهيمه التي تنطوي بالضرورة على لونها العقدي من جهة، وما دام للمفردة القرآنية وضعها الذاتي والجدلي والبنائي جميعا من جهة أخرى، فإن جهودنا بلا حدود يجب أن تمضي على طريق التأصيل لهذه المسلمة، لأن ذلك وحده هو ما ينفي عن عقولنا، وقلوبنا أيضا كسل العادة في حركة تلقينا للقرآن، وهو وحده كذلك ما يسقط كل الأقنعة عن كل وجوه الكذابين الذين يثرثرون في حقولنا الفكرية بلا فهم، ويتاجرون في حياتنا العقدية بلا رصيد، وهو وحده في النهاية ما يعطي للمفردة القرآنية جلال وضعها القرآني بما هي هادفة إلى غائية معينة. وصالحة في سياق محدد. ومرابطة في سياقها الوصفي على ثغر من ثغور الحقائق الكبرى التي يموج بها قرآننا العظيم.

مصطلح «الخروج» أو قل «مفردة الخروج».. هي ما أحاول أن أتأمل أبعادها الصوتية من خلال وجودها القرآني وأنا أؤكد منذ البدء أن هذه المفردة لم ترد حتى في آية واحدة من القرآن العظيم إلا وهي حاملة كونها بيديها جميعا صائرة من حتمية كونها كلمة تنطق إلى حتمية كونها طاقة تتحرك وتضغط وتتغير. وإذا غامرت بتحديد المحاور التي تدور فيها هذه المفردة القرآنية ثم لم أستطع تحديدها تماما. فإن القصور إذن هو قضية عجز الإنسان وليست قضية نضوب المصطلح القابل أبدا لمزيد من العطاءات، ولكن الأمر هنا أجدى من الصمت، على الأقل لأن فيه رمزا يومئ إلى حركة البدء، وليس في الصمت سوى خنق للبدء، وخنق للحركة جميعا هكذا بلا حوار!!

وللخروج، في القرآن محاور أبرزها على الإطلاق:

● **التدليل على قدرة الخالق:**

ولا يدور التدليل «بالخروج» على قدرة الخالق في إطار واحد متيبس لا يتجاوزه إلى ما سواه، وإنما هو يدور في أطر متباينة ومتكاملة معا. بحيث يفضي في النهاية إلى تأكيد قضية القدرة الخالقة من كل الجوانب وعلى كل المستويات.. فللتدليل على قدرة التشكيل الحي «في مجال بشري» بازغ من اللاشيء يتألق «الخروج» في سياقه القرآني

• والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون •

(النحل ٧٨)

وللتدليل على قدرة الإبداع «في مجال طبيعي».. خلقا وتجميلا.. يتوامض «الخروج» في سياقه القرآني

• وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون •

(الأنعام ٩٩)

وللتدليل على قدرة عمل الخالق «في مجال كوني» تختلط فيه حركة النُّظُم بحركة الجدل بين الوجود والعدم يترقرق «الخروج» في سياقه القرآني

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(آل عمران: ٢٧)

وللتدليل على قدرة المزج والفصل في مجال كوني وبشري جميعاً يتشامخ «الخروج» في سياقه القرآني

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

(طه: ٥٥)

إن التدليل «بالخروج» هنا لم يدر في إطار واحد متجمد. وإنما دار في أطر متباينة ومتكاملة معاً، فمن مستوى التشكيل الحي في مجال بشري، إلى مستوى الإبداع في مجال طبيعي، إلى مستوى العمل الخالق في مجال كوني، إلى مستوى القدرة على المزج والفصل بين الأشياء والأضداد على مستوى كوني وبشري، وهذا يعطي -كما قلت- حتمية أن المفردة القرآنية لا ترد في القرآن هكذا كما يكون أي من الأحجار في أي من البناءات، وإنما هي ترد في سياقها المعجز صاعدة من منطق الحتم ومنتهية إلى منطق الحتم على السواء، لقد استقطب مصطلح «الخروج» هنا كل عوالم الأشياء، والأحياء، البشر والطبيعة.. والنُّظُم.. وغيرها، ولم يتردد في الحركة المشيرة إلى قدرة الخالق في كل هذه المجالات. وأن يعقد بين كل هذه المفاهيم وبين وضعيته «اللغوية» مصداقات بلا حدود. إن مفردة من مفردات هذا المصطلح لم تند لحظة واحدة عن مناطها الطبيعي والوضعي في كل السياقات القرآنية السالفة، مما يوحي على الفور بقضية إعجاز من لون آخر لعله إعجاز اللغة من حيث قدرتها الرائعة على احتواء كل هذه المضامين!!

● المحور الثاني من المحاور التي يدور فيها مصطلح «الخروج» في القرآن الكريم هو «محور تعقب الحق للباطل».. وكما في محور التدليل بالخروج على قدرة الخالق من تنوع وتباين وتكامل. كذلك نستطيع هنا أن نلمح هذه الخصائص أو قل هذا التكامل، وذلك كله في الواقع ينبثق من منطق طبيعي بلا مغالاة، فليس للحق في تعقبه للباطل سلاح واحد ليس له من بديل. إنه ينتضي في معارك المواجهة كل أسلحته، ويستفيد من كل الأساليب. فإذا استعرت الفتنة أو كادت، وإذ سل الباطل سيوف حقده التاريخي ليشرد الحق، هدر القرآن العظيم هديره الحاسم:

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾

(البقرة: ١٩١)

ولكي يقعد لنوعية الولاءات في الأرض، من تعطى ومن تستلب، مؤسساً ذلك كله ليس على فرضيات هلامية، وإنما على نوع من التجربة القاسية راكم فيها الباطل نذالاته، وبدا كما لو كان آمنا كل الأمن من صولة التعقاب، يؤكد القرآن شاهراً سيف «الخروج»

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٩)

وحين يصاب الباطل بالصمم ويرفض أن يصيخ إلى حوار الحق في سلاسة ودماثة واتساق يجلجل القرآن «بالخروج» على لسان سليمان النبي موجها نذيره إلى ملكة سبأ ومن وراءها جميعا

﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

(النمل: ٣٧)

لقد استل الحق في تعقبه للباطل هنا ألوانا من الأسلحة. أو قل إنه استل سلاح «الخروج» في معارك المواجهة مرة ليستأصل ويمحق، ومرة ليرفض أنماطا مائعة من الولاءات، ومرة ليشفي من الصمم الفادح الذي يتخصص وراءه الأغبياء. وهو في ذلك كله يتكئ على مصطلح «الخروج» اتكاء مثيرا غير مكرور، ومبررا غير عشوائي، ورائعا غير مفضي الأسارير!!

● المحور الثالث من المحاور التي يدور فيها مصطلح «الخروج» في القرآن الكريم هو: «محور اضطهاد الباطل للحق».. إنها القضية النقيض، وكان القرآن العظيم يلقي بمفردة «الخروج» من هذا الجدل العقائدي، مرة حين يتعقب الحق فلول الباطل الهارب، ومرة حين يضطهد الباطل المدجج كتائب الحق الأعزل، ليؤكد قضية أن «المفردة» القرآنية لا تلقى هكذا جثة مقتولة على السطور، وإنما هي تأتي في سياقها الحي منفعلة وفاعلة، متجسمة وباذخة، معبرة وحافزة على التعبير. ولا أريد أن أمر هنا دون أن ألاحظ أن «الخروج» في تعقب الحق للباطل كان رداً على «خروج» مسبق أو اقتحاماً لعزلة فكرية رفضت أن تخرج بمنطقها إلى محاور الحوار، ولكن «الخروج» هنا.. في اضطهاد الباطل للحق يبدو كأنه هو حرية عبثية وعشوائية بلا حدود!

فلكي يعكس القرآن صورة «الخروج» القسري كنمط من أنماط الاضطهاد الخبط يقول:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة: ٤٠)

ولكى يبرز القرآن «الخروج» كلون من ألوان الاضطهاد المساوم يقول:

﴿ لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾

(الأعراف: ٨٨)

ولكى يؤكد القرآن قضية عجز الباطل فى اضطهاده للحق شاهراً فى وجهه سيف «الخروج» يقول:

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾

(الأنفال: ٣٠)

ولكى يعمق القرآن مفهوم «الخروج» كاضطهاد عقائدى غير مبرر على الإطلاق بما هو اضطهاد غير مؤسس على أى من المستويات العقلية أو الفكرية أو الحياتية يقول:

﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾

(الحج: ٤٠)

ويقول:

﴿ يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ﴾

(الممتحنة: ١)

فإذا خلعنا الآن إلى استعراض شكول المواطن الذى يورد القرآن فيها مصطلح «الخروج» فى مجال اضطهاد الباطل للحق، عرفنا إلى أى مدى يسلح القرآن كل مفردة من مفرداته بالوعى، وإلى أى مدى يهبها إمكانية الفتح على كل المستويات!!

● المحور الرابع من المحاور التى يدور فيها مصطلح «الخروج» فى القرآن الكريم هو: «محور الهجرة من الظلمات إلى النور»:

﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾

(إبراهيم: ١)

﴿ رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴾

(الطلاق: ١١)

﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾

(البقرة: ٢٥٧)

إن هذه المواطن الثلاثة التى ورد فيها مصطلح «الخروج» كلون من ألوان الهجرة من قارات الظلمات إلى قارات النور لم تكرر نفسها أبداً، ففى الموطن الأول تبدو «الكلمة» أسبق فى الفعل:

﴿ كتاب أنزلناه ﴾

وفى الموطن الثانى يبدو «الإنسان» أقمن بالفعل:

﴿ رسولا يتلو عليكم ﴾..

وفى الموطن الثالث يبدو «الخالق» أعطف على القضية:

﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾..

وهكذا تتكامل أبعاد القضية من خلال اتكاء القرآن على مصطلح «الخروج».. بالكلمة والإنسان والله!!!

● المحور الخامس من المحاور التى يدور فيها مصطلح «الخروج» فى القرآن الكريم هو: «محور الارتداد من النور إلى الظلمات»، وكأن القرآن يشفق على الإنسان من هذه الردة فيكاد لا يجسد أحزانها إلا فى عبور.

﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾

(البقرة: ٢٥٧)

﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون ﴾

(الشعراء: ٥٧)

وبعد..

فقد آثرت مصطلح «الخروج» من مادة «خرج» على غيره من مصادر هذه المادة ومشتقاتها جميعاً؛ لأن «الخروج» ألصق بطبيعة الفعل بينما ينتمى مصطلح «كالإخراج» إلى طبيعة الفاعل، وفى يقينى أن مأساوية الصراع بين الحق والباطل، بين الظلمات والنور، بين الجحود والإقرار، إنما تنبع أساساً من بعدنا عن معانقة فهمنا للفعل، ومحاولة شدّنا منذ البدء إلى أوج أعلى من ذلك وأحوأ، إن قضية الفعل والفاعل لا تتجزأ هكذا.. أعلم ذلك ولكنى على يقين من أن منهج القرآن هو تشييد كل الجسور للعبور من روعة الفعل إلى وجودية الفاعل، ومن شمولية الفاعل إلى البعضية المتنمية بالضرورة فى الفعل.

***



للمستشار/ حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

من المعلوم أن من طبائع الدهر، أنه في تقلب دائم وتغير مستمر، ولا قرار للإنسان فيه على حال واحدة، فقد تصفو بعض أيامه، وقد تكدر الأخرى، وليست العلاقات البشرية بمنأى عن هذه الطبائع، فقد تصاب بالفرقة والتباعد، ويطرأ على أطرافها التنافر والتضاد، ومن ثم كان من الضروري السعي الجاد عن الوسائل الكفيلة، بإزالة الشوائب التي تعكر صفو هذه العلاقات، لإعادتها إلى سيرتها الأولى من الوئام والوفاق، وهذه المهمة كانت من نصيب المصلحين على مر التاريخ، وكان الدين أعظم سند لهم في ذلك.

وقد احترمت شريعة الإسلام في الإنسان تأثره بهذه الحالة من طبائع الدهر، فقد يحدث التباعد والاختلاف بين الأفراد، وربما يصل هذا الأمر إلى الهجر فيما بينهم، ولكن يجب عليهم عندئذ عدم التمادي في هذا الهجر، وهذا ما نهى عنه الرسول الكريم ﷺ، بقوله الذي رواه أبو داود والترمذي عن أبي أيوب رضي الله عنه: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

وإذا كانت الشريعة الغراء قد وضعت الوسائل الكفيلة، لتحقيق الصلح بين المتخاصمين، فإن التطبيق العملي يحتاج إلى تدخل العقلاء من أبناء الأمة، للوصول إلى هذه الغاية، ولأهمية هذا الدور، فإننا نعرض له بالبيان تفصيلا، على النحو التالي:ـ

أولا: أهمية الصلح بين المتخاصمين

يعد الصلح بين المتخاصمين، هو من أفضل الوسائل لتحقيق هذه الغاية، لأن الصلح في أبسط معانيه هو قطع النزاع، ومن أهميته في حياة الناس، اعتبره الشرع عقد وضع لرفع النزاع بين المتخاصمين، وحضهم على الانقياد له.

ولما في الصلح من فوائد جليلة تعود على الفرد والمجتمع، حض عليه الإسلام الحنيف، بل وأمر به على كل المستويات:

أـ بالنسبة للأفراد، كما في قول الحق تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(الأنفال: ١)

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وكما روى الحاكم عن أنس - رضي الله عنه -، أن رسول الله ﷺ، قال: «اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»، أي يوفق بينهم بأن يلهم المظلوم العفو عن ظالمه، ويعوضه عن ذلك بأحسن الجزاء، وكما روى ابن مردويه عن أنس - رضي الله عنه -، أن الرسول ﷺ، قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أهل التوحيد، إن الله قد عفا عنكم، فليعف بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب».

ب ـ بالنسبة بين الجماعات والطوائف المختلفة من المسلمين، كما في قوله تعالى

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الحجرات: ٩)

ج ـ حتى بالنسبة فيما لو تعلق الخصام بين فردين فقط كالزوجين مثلا، كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(النساء: ١٢٨)

ثانيا: الصلح خير

يعد الصلح من أعظم القربات إلى الله تعالى، فقد روى الطبراني عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ، قال: «أفضل الصدقة، إصلاح ذات البين»، والبين هو: العداوة والبغضاء والفرقة، وكان هذا الفعل أفضل صدقة، لأن فيه إصلاح الفساد بين الناس، وإزالة الفتنة بينهم، وإسكان الثائرة، بما يستلزم إحياء النفوس، وهذا من حيث عموم نفعه أفضل

من أي صدقة أخرى. ويزيد هذا الفضل فيما لو كان هذا الصلح بين طائفتين وقعت فتنة بينهما، فتحمل رجل مالا ليصلح بينهما.

ويؤكد هذا المعنى ما رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ، قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين. فإن فساد ذات البين هي الحالقة، أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر».

ونظرا لما في الصلح بين المتخاصمين من عموم المنافع الدينية والدنيوية. من التعاون والتناصر، والألفة والاجتماع على الخير، فقد أباح الشارع الحكيم فيه الكذب. فقد روى أبو داود والترمذي عن أم كلثوم بنت عقبة - رضي الله عنها -، والطبراني عن شداد بن أوس - رضي الله عنه -، أن رسول الله ﷺ، قال: «ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس، فينمي خيرا، ويقول خيرا» أي يبلغ خير ما يسمعه ويدع شره، وفي رواية أخرى «لا أعده كاذبا الرجل يصلح بين الناس، يقول القول لا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها»، والمقصود هنا ليس نفي الكذب في ذاته. ولكن نفي كونه إثما وقد قال العلماء: إنما نفى عن المصلح كونه كذابا، باعتبار قصده، لأن هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصدق، طلبا للسلامة، ودفعا للضرر، ورخص في اليسير من الفساد لما يؤمل فيه من الصلاح. والكذب في الإصلاح بين اثنين، أن يبلغ من أحدهما إلى صاحبه خيرا، ويبلغه منه جميلا، وإن لم يكن سمعه منه بقصد الإصلاح.

ولكن الصلح المرخص بالكذب فيه، ليس عاما مطلقا، بل هو مقيد، بما رواه الحاكم وأبوداود عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، أن الرسول ﷺ، قال: «الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا»، وعلى هذا لا يجوز الصلح فيما يترتب عليه الحرام كالمصالحة في دراهم على أكثر منها، فتحرم للربا وكأن يصالح المسلم على نحو خمر، أو فيما يؤدي إلى تحريم ما هو حلال أو مباح، كمن يصالح زوجته على ألا يصل رحمه، أو ألا يمس زوجته الأخرى.

ثالثا: الصلح كإجراء في بعض القوانين

وقد راعى المشرع القانوني أهمية الصلح بين المتخاصمين في سياسته التشريعية في مختلف فروع القانون، سواء الجنائية أو المدنية أو الأحوال الشخصية. فعلى سبيل المثال، في القانون الجنائي جعل المشرع الصلح أحد أسباب انقضاء الدعوى الجنائية، حتى بعد صدور حكم نهائي بالإدانة، أو إحدى الرخص المخولة للقاضي لتخفيف العقوبة، أو إيقاف آثار تنفيذها، وفي القانون المدني جعل المشرع من الصلح عقدا رضائيا، ووضع له تنظيما متكاملا، كسائر العقود الأخرى. وفي قانون التجارة المصري

اعتبر المشرع الصلح وسيلة لتوقي إشهار إفلاس التاجر، وغير ذلك من الأوضاع القانونية التي يعول فيها على الصلح، في إنهاء بعض الآثار المترتبة عليها، ولكن تعد مسائل الأحوال الشخصية والأسرة، من أهم النماذج القانونية التي تطلب المشرع فيها الصلح، كإجراء أساسي في الدعاوى القضائية المتعلقة بها.

ماهية عرض الصلح في قضايا الأسرة والهدف منه

المقصود من هذا الإجراء هو: التوفيق بين الزوجين.. بما فيه صلاح حالهما واستمرار الحياة الزوجية وحسن المعاشرة بينهما، بما يحقق الإمساك بمعروف، ويكون ذلك بأية صورة ممكنة يراها القاضي، موصلة إلى استدامة العشرة بينهما، وذلك بالتعرف على حقيقة الخلاف القائم بينهما وظروفه وملابساته المحيطة به، حتى يتحدد السبل الناجحة لإنهائه صلحا، وهو مجرد إجراء تقوم به المحكمة، ببذل عناية في الإصلاح بين الزوجين المتنازعين، وليس تحقيق نتيجة في الوصول إليه.

وأن الهدف من إلزام القاضي بالعمل على الإصلاح بين الزوجين، قبل قضائه بالتفريق هو محاولة إزالة أسباب الشقاق، وعودة الحياة الزوجية إلى ماكانت عليه، من نقاء السكينة وحسن العشرة بين أطرافها.

تقنين الصلح في قضايا الأسرة

اتبع المشرع القانوني في مجال البحث عن الحلول المفيدة لعلاج المشكلات الأسرية. سياسة تقنين وسيلة عرض الصلح بين أطراف العلاقة الزوجية، فقد اشترط للحكم بالتطليق للضرر تطبيقا للمادة السادسة من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩، وللحكم بالتطليق للزواج بأخرى تطبيقا للمادة ١١ مكررا منه وللحكم بالتطليق للشقاق تطبيقا للمادة ١١ مكررا ثانيا من ذات القانون، وجوب تدخل المحكمة لإنهاء النزاع صلحا، وأن يثبت عجزها عن الإصلاح بين الزوجين، وإلا كان حكمها باطلا.

وقد توسع المشرع في استعمال هذا الإجراء، فبصدور القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠، امتد العمل بهذا الإجراء، ليشمل كل مسائل الولاية على النفس، فقد جاء نص المادة ١٨ منه على أنه: «تلتزم المحكمة في دعاوى الولاية على النفس، بعرض الصلح على الخصوم، ويعد من تخلف عن حضور جلسة الصلح مع علمه بها - بغير عذر مقبول - رافضا له. وفي دعاوى الطلاق والتطليق، لا يحكم بهما إلا بعد أن تبذل المحكمة جهدها في محاولة الصلح بين الزوجين وتعجز عن ذلك، فإن كان للزوجين ولد تلتزم المحكمة بعرض الصلح مرتين على الأقل تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوما، ولا تزيد على ستين يوما».

أحوال عرض الصلح في هذه القضايا

هناك ثلاث حالات لوجوب عرض الصلح في قضايا الأسرة، هي :-

١ـ الحالة الأولى: مجرد عرض الصلح من المحكمة، التي تنظر أي دعوى متعلقة بإحدى مسائل الأحوال الشخصية للولاية على النفس، على الخصوم الحاضرين الجلسة، ومن لم يحضر منهم يتم إعلانه بالصلح، وهذا العرض يكفي لتحققه أن يعرضه القاضي شفاهة على الخصوم بالجلسة، ويثبت بمحضرها ما يفيد حدوث ذلك، فمثلا إثبات عبارة: «أن المحكمة عرضت الصلح على الطرفين .... »، في محضر الجلسة، يكفي لتحقيق عرض الصلح الذي عناه المشرع.

٢ـ الحالة الثانية : في دعاوى الطلاق والتطليق، فإن مجرد عرض الصلح على الخصوم على النحو سالف الذكر، لا يكفي لصحة الحكم فيها. ولكن يجب على المحكمة أن تبذل جهدها في محاولة الإصلاح بين الزوجين، ويثبت عجزها عن إتمام الصلح، أي أن المحكمة يجب أن تتخذ موقفا أكثر ايجابية في إنهاء النزاع بين الخصوم عن طريق الصلح.

٣ـ الحالة الثالثة : إذا كان للزوجين ولد، فإنه يجب على المحكمة عرض الصلح على الخصوم في هذه الدعاوى سالفة الذكر. مرتين على الأقل تفصل بينهما مدة لاتقل عن ثلاثين يوما. ولاتزيد على ستين يوما، وذلك مراعاة لظروف هذا الولد، وهذا الميعاد تنظيمي لم يضع المشرع أي جزاء على مخالفته.

وفي كل الأحوال إذا تم عرض الصلح على الخصوم الحاضرين الجلسة، فإن غرض المشرع منه يكون قد تحقق أما إذا لم يكن أحد الخصوم حاضرا جلسة عرض الصلح، فيجب على المحكمة إعلانه بهذا الصلح إعلانا قانونيا، والتنبيه عليه بالحضور بجلسة أخرى، تحددها لإبداء رأيه في الصلح، وبعد علمه بهذه الجلسة يجب عليه الحضور، فإن تخلف عن ذلك دون عذر مقبول، فقد أقام المشرع من عدم حضوره في هذه الحالة قرينة على رفضه لهذا الصلح، وللمحكمة بناء على ذلك أن تحكم في الدعوى بحالتها باعتبار أن إجراء الصلح الذي تطلبه القانون قد تحقق، وهذه القرينة تقبل إثبات العكس، وذلك إذا أثبته الخصم الغائب أن غيابه كان بعذر تقدره المحكمة.

عمومية هذا الإجراء

فإذا كان إجراء عرض الصلح، يستند في تقنينه إلى مبادىء الشريعة الغراء، فمن باب سماحة هذه الشريعة مع غير معتنيقها، فقد أوجب المشرع مراعاة هذا الإجراء في جميع مسائل الولاية على النفس، أيا كانت ديانة أطرافها، مسلمين أو غير مسلمين، لأن النص عليه جاء في القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠ بإجراءات التقاضي في مسائل الأحوال الشخصية، وهو قانون إجرائي عام، يسري على جميع المقيمين على أرض مصر، بغض النظر عن دياناتهم.

ويتعين على المحكمة أن تثبت قيامها بعرض الصلح. في الحكم الذي تصدره في الدعوى، باعتبار أن عرض الصلح على الزوجين شرط لذلك في القانون، ويكفي عرض القاضي الصلح على الطرفين، وإثبات ذلك يستوي أن يقبله الطرفان أو أحدهما. وهذا في حد ذاته كاف لإثبات عجز المحكمة عن الإصلاح بين الزوجين، فلا يشترط القانون، حضور الزوجين بشخصيهما أمام القاضي لعرض الصلح عليهما. بل يكفي أن يمثل أحدهما بشخصه، والآخر بوكيله. أو يمثل الطرفان بوكيلهما المفوضين بالصلح عنهما.

مكتب تسوية المنازعات الأسرية

وقد أنشأ المشرع لأول مرة مكتب خاص لتسوية المنازعات الأسرية. بالقانون رقم ١٠ لسنة ٢٠٠٤ الصادر بإنشاء محكمة الأسرة، وهو يقوم بدوره في المرحلة السابقة لقيام محكمة الأسرة بدورها، وفي بيان طبيعة هذا الدور تقول المذكرة الإيضاحية للقانون: «استحدث المشرع مرحلة للتسوية في المنازعات الأسرية تسبق مرحلة التقاضي. وتتولاها مكاتب لتسوية المنازعات الأسرية، على أن تتبع هذه المكاتب وزارة العدل، وهي مرحلة تبغيا إنهاء المنازعة صلحا. واشترط القانون للجوء إليها الآتي :-

١ـ أن تكون المنازعة المطلوب عرضها على هذا المكتب، من غير دعاوى الأحوال الشخصية التي لا يجوز فيها الصلح، والدعاوى المستعجلة، ومنازعات التنفيذ، والأوامر الوقتية.

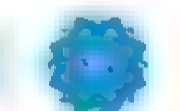
٢ـ أن تكون هذه المنازعة متعلقة بإحدى مسائل الأحوال الشخصية، التي تختص محكمة الأسرة بنظرها.

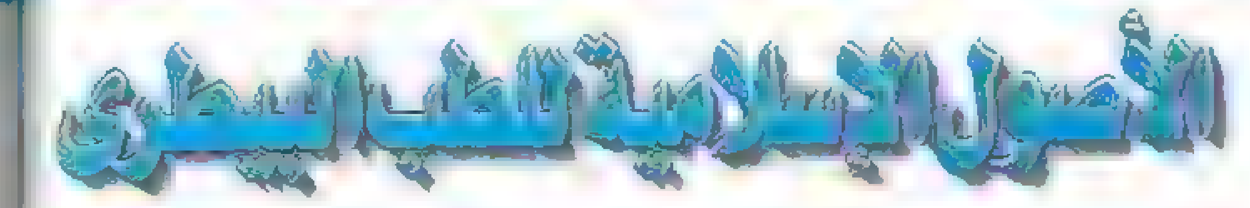
٣ـ أن يقدم من يرغب في إقامة الدعوى طلبا لتسوية النزاع إلى المكتب المختص، وفقا للإجراءات التي يحددها قرار يصدر من وزير العدل.

وقد أوجب القانون على الخصوم قبل رفع الدعوى اللجوء إلى هذا المكتب، ورتب جزاء قانونيا على مخالفة ذلك، وهو عدم قبول الدعوى، التي ترفع ابتداء إلى محاكم الأسرة، بشأن المنازعات التي تختص بها، ولكن للمحكمة أن تأمر بإحالة الدعوى إلى المكتب المختص، للقيام بمهمة التسوية، بدلا من القضاء بعدم قبول الدعوى، وذلك تحقيقا للغاية التي من أجلها أنشىء هذا المكتب.

والله تعالى ولي التوفيق..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...





يخطئ كثير من المثقفين المسلمين حين يقولون - أو يعتقدون - أن الرفق بالحيوان مبدأ غربي بحت، وليد حضارة الغرب الحديثة. ولعل ضعف صلتهم بدينهم، وقلة بصرهم بتراثهم وراء هذا القول أو ذاك الاعتقاد.

ومهنة الطب البيطري التي تشمل رعاية الحيوان وعلاجه ووقايته من المرض من أبواب الطب العربي القديم، وله في كتب التراث تبويب خاص به بين العلوم المكتسبة. ومن أراد أن يطلع على ذلك فليرجع إلى كتب تصنيف العلوم مثل «الفهرست» لابن النديم، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده، و«أبجد العلوم» لصديق حسن القنوجي. وقبل هذين الأخيرين كتاب «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» لابن الأكفاني.

(١) والأصل الشرعي الأول لمهنة الطب البيطري يستند إلى ما حضت عليه الشريعة من «الرفق» وهو أصل من الأصول العامة للسلوك الإسلامي. فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[1].

(٢) والأصل الشرعي الثاني لمهنة الطب البيطري هو النعمة (بلغة عصرنا) أو ابتغاء فضل الله (بلغة الشرع) فيما جعل الله لنا في هذه الحيوانات من منافع تيسر على الناس حياتهم.

(٣) والأصل الشرعي الثالث لمهنة الطب البيطري هو أن للحيوانات صوتاً، ولا تقوم

(١) - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق - حديث رقم (٢٥٩٣)

معاملة الإنسان لها على مجرد «الرفق» فقط، بل إن هذا واجب عليه.

(٤) والأصل الشرعي الرابع إن علاقة الإنسان بالحيوان لها جوانب عقائدية لا يكتمل إيمانه إلا باعتقادها والتصديق عليها.

وفيما يلي إيضاح لهذه الأصول

أولا: مبدأ الرفق بالحيوان

إن معنى الرفق يضاد معنى العنف والخشونة، وقد أشرنا فيما سبق إلى أن الرفق أصل من الأصول التي نادت الشريعة الإسلامية بغرسها في نفوس المسلمين، فقال - تعالى - في وصف المؤمنين:

﴿ رحماء بينهم ﴾ (الفتح ٢٩)

وقال أيضاً:

﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ (البلد ١٧)

وأخرج البخاري في صحيحه عن مالك بن الحويرث - رضي الله عنه - قال: «أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً»[2]. فالإسلام بهذه المثابة يشجع أتباعه على اعتناق مبدأ الرفق والرحمة والسماحة في كل سلوكياتهم.

وقد أوصى الرسول ﷺ بالحيوان في أكثر من موضع فعن سراقة بن جعشم قال: سألت رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل تغشى حياضي قد لطتها لإبلي فهل لي من أجر إن سقيتها؟ قال: «نعم في كل ذات كبد حرى أجر»[3]. ومر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة»[4].

على أن دعوة الإسلام إلى الرفق بالحيوان، ليس مناطها الرحمة فقط، بل إن الإسلام رتب على هذا السلوك أجراً عظيماً، وخيراً عميماً. وهذا المنهج - أعني ربط السلوك بالأجر - فيه نزعة تربوية سامية، لأنه يخلق داخل النفس الإنسانية «دافعية» نحو السلوك الخيّر حتى يعتاده الإنسان بمرور الوقت والتكرار فيصبح جزءاً أساسياً من شخصيته. وهذا وجه فريد من وجوه الإعجاز التربوي الإسلامي.

يدل على ذلك ما صحّ عن النبي ﷺ فيما رواه البخاري بسنده «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي

(٢) - صحيح البخاري، كتاب الأذان - باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد - حديث رقم ([illegible])

(٣) - سنن ابن ماجه، كتاب الأدب - باب فضل صدقة الماء، حديث رقم (٣٦٨٦)

(٤) - سنن أبي داود، كتاب الجهاد - باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، حديث رقم (٢٥٤٨)

فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له)(*).

وإذا كان الترغيب في الشيء، يتضمن حتماً التنفير من ضده، فقد اشتد النكير على من يؤذي حيواناً بغير ذنب كما في الحديث الصحيح عن المرأة التي دخلت النار بسبب هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، ليكون جزاؤها العنيف بالتعذيب في نار جهنم درساً متجدداً لكل من يصنع مثل هذا الصنيع المرذول.

فإذا علم هذا، وتأكد أن الإسلام يحث على الرفق بالحيوان ويرتب عليه أجراً، وينهى عن إيلامه وإيذائه ويرتب عليه وعيداً شديداً. فإن مهنة الطب البيطري تكتسب مكانة شرعية مرموقة لأنها تبتغيا ـ بالدرجة الأولى ـ تخفيف الألم عن الحيوان، وعلاجه، ووقايته، بوصفه مصدر خير وعون للإنسان. ثم هي تطمح ـ بالدرجة التالية ـ إلى الحيلولة دون ما ينتقل إلى الإنسان من أمراض الحيوانات، فإذا ابتغى الطبيب البيطري ومعاونوه في مسلكهم الأجر من الله ـ تعالى ـ نالوه بإذن الله.

المبدأ الثاني: المنفعة

قال تعالى:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل. ٥ ـ ٨)

وأوضحت هذه الآيات الكريمة وغيرها ما يعود على الإنسان من منافع وفوائد يجنيها من اقتناء الدواب والأنعام وأهم هذه المنافع:

١ ـ ما يتخذه الناس من ملابس وأغطية وأكسية من صوف الحيوانات وأشعارها وأوبارها.

٢ ـ الألبان وما يصنع منها من أطعمة.

٣ ـ اتخاذ الإبل والخيل والبغال والحمير وسائل مواصلات.

٤ ـ اتخاذ جلود الأنعام خياماً يتنقل بها أهل البادية فيحتمون بها من الحر والبرد.

٥ ـ استخدام الحيوانات مصادر للحوم الحلال كالبقر والغنم.

ويلحق بذلك ما أحل الله من الطيور كالحمام ومن السابحات في الماء كالأسماك والحيتان. كل ذلك يدخل تحت اسم «الحيوان» من جهة اللغة، ويدخل ضمن المأمور بالرأفة به من جهة، والانتفاع به من جهة أخرى بتسخير من الله الخالق جل وعلا.

وتأسيساً على ذلك، تكون مهنة الطب البيطري وسيلة لتعظيم انتفاع الإنسان بما أحل الله تعالى، له من الطيبات من الرزق المخبوء في الحيوان. وتكون رعاية الحيوانات ـ بمعناها الواسع ـ أسلوباً من أساليب تنمية الثروات الغذائية وطريقة من طرق تحقيق الانتفاع بما سوى الغذاء مما في الحيوان من منافع.

المبدأ الثالث: حقوق الحيوان

تختلف نظرة الإسلام إلى الحيوان عن نظرة الحضارة الغربية الحديثة.

فمعاملة الحيوان في الإسلام تسمو إلى درجة متعقلة، والمتتبع للأحاديث النبوية الشريفة يجد أن الإسلام يحتفظ لها بحقها في الحياة وحقها في الغذاء وإحسان ذبحها ويحرم قتلها.. إلخ. فمثلاً:

- يحرم قتل الحيوانات بغير حق.
- يحرِّم تعليق شيء في رقابها حتى لا تختنق إذا أساءت الحركة.
- يحرِّم منع الطعام والشراب عن الحيوانات.
- يأمر بإعطائها قدر ما يكفيها من الأكل والشرب.
- يؤكد حق صغارها في الطعام والرضاع.
- ينهى الإسلام عن حرق الحيوانات بالنار.
- يحرم اتخاذها هدفاً للتسلية.
- يأمر بإحسان الذبح والقتل.

كما يحفظ الإسلام للحيوانات حقها في العناية بصحتها. وهذا من أهم أصول مهنة الطب البيطري في الإسلام فمثلاً:

- يأمر الإسلام بوقاية الحيوانات من المرض وبعلاجها إذا مرضت.
- ما ينهى عن إعطائها طعاماً خبيثاً ضاراً.
- ويأمر بنظافة حظائرها ونظافتها الشخصية.

المبدأ الرابع: الجوانب العقائدية

إذا كانت مهنة الطب البيطري تستند إلى مبادئ الرفق، والمنفعة، ورعاية حقوق الحيوان، فإن لصلة الإنسان بالحيوان جوانب عقائدية ينبغي على كل مسلم أن يدرسها ويعرفها ومنها على سبيل الإجمال:

- ما يتعلق بها من نجاسات.
- ما يتعلق بنقل أعضائها إلى الإنسان.

ـ ما يتعلق بأسلوب التذكية (الذبح الشرعي) من أحكام.

ـ دعاء الحيوانات للعلماء ودعاء الفرس لصاحبه.. إلخ.

(*) ـ صحيح البخاري، كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم حديث رقم (٦٦٣٣)

نشأة الاختلاف وأدبه



اقتضت حكمة الله ومشيئته أن يختلف الناس فى المدارك والتصورات والأفكار، ولعل هذا الاختلاف نعمة من نعم الله - تعالى - على البشر، فاختلاف الألوان والتصورات والأفكار من الأشياء التى تيسر على الناس أمورهم ومعايشهم وإن أدى ذلك الاختلاف إلى تعدد الآراء والأحكام المستنبطة من أدلة الاختلاف.

والاختلاف على كل حال دليل من أدلة قدرة الله البالغة فى خلقه، ولهذا جعل الله كل واحد منهم ميسر لما خلق له، يقول تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

ولقد وقع الاختلاف فى سلف الأمة - ولايزال واقعا، ولكن الاختلاف الذى وقع فى سلف الأمة كانت له آداب، ولذا كان ظاهرة إيجابية تدور فوائده حول:

١ - إتاحة التعرف على جميع الاحتمالات التى يمكن أن يرمى إليها الدليل بوجه من الوجوه.

٢- أنها تضع الحلول أمام المجتهد، فيختار منها الحل الأكثر ملاءمة، لموضوع اجتهاده، والذى يتناسب ويسر الدين على الناس، وهم يتعاملون معاملاتهم من واقع حياتهم.

٣- الاختلاف عادة - ما دام لم يتجاوز حدوده- وما دام يلتزم شروطه، فإنه رياضة ذهنية، تفتح مجالات كثيرة للتفكير الصحيح الذى يوصل إلى الافتراضات، التى تتلاءم مع العقول المختلفة، فتأخذ منها بما يلائمها، وبما وصل فهمه إلى عقولها.

٤- وهذه الفوائد وغيرها، التى تحقق النفع للمسلمين، يشترط لتحقيقها أن تظل الاختلافات محاطة بشروطها الإيجابية، فلا تتجاوزها، على أن يحرص الأئمة المجتهدون على مراعاتها، والحفاظ عليها.

٥- هذه الاختلافات إذا تجاوزت شروط الاجتهاد الصحيح، فأسست على قواعد الهوى، ولم تراع المبادىء الأصلية التى وضعت لها، تحولت إلى نوع من الجدل العقيم، الذى يؤدى إلى الشقاق بين الأئمة المجتهدين، بل ربما صنعت شروخا فى أركان الأمة الإسلامية وتحولت إلى معاول لهدمها.

الخلاف القائم على الهوى !!

والإسلام لا يرفض الاختلاف -بشروطه الإيجابية- ولكنه يحذر من الخلاف بأحواله السلبية. لأن الاختلاف قائم على الاجتهاد الصحيح بينما الخلاف قائم على رغبة التظاهر بالفهم، أو بالعلم، أو بالفقه وهذا الخلاف محرم مذموم، لأن الهوى فيه غلب الحرص على تحرى الحق، فالهوى مطية الظلم ومجانبة العدل، وكذلك انحراف إلى الضلال يقول تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(ص: ٢٦)

فخلاف الهوى إذن، هو الذى ينحرف بالإنسان إلى الفساد، وسبيل الضلال، كما أنه لا يوصل إلى علم، لأنه نقيض العلم.

وإذا تعددت أسباب الهوى ودوافعه، فإنها فى الحقيقة ترجع إلى هوى النفس وحب الذات والغرور، كما فعل أهل الهوى من أصحاب البدع والملل والنحل، و(من أراد الزيادة والاستقصاء فى هذا الباب فليرجع إلى كتب الفرق فليس هنا محله).

ولقد وقف لهؤلاء -بحمد الله وتوفيقه- علماء أهل السنة، فبينوا ذلك الخلاف القبيح الذى حاول أصحابه تزيينه

للمسلمين، واكتشفوه، وبينوا ربعه بقواعد وضعوها وأسس أسسوها مثل:

١- إظهار مناقضة أقوالهم لصريح وحي الله - سبحانه وتعالى -، وسنة رسول الله ﷺ، وهذه الآراء لا تخفى على علماء الأصول الزادين عن الدين.

٢- أما الاختلاف الذي أملاه الحق، ودفع إليه العلم، وفرضه الإيمان ورجحه العقل، فهو الاختلاف البناء المقبول. لأن الذي دفع المجتهد إليه، إنما إخلاصه لدينه وغيرته على شريعته، وهو قائم على اتباع قواعد صحيحة من الشرع يحتكم إليها، وإلى ضوابط تنظمه، وآداب تهيمن عليه وتحفظه من الوقوع في المزالق، وبذل المجهود في استخراج الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية.

٣- وقد قطع العلماء أن الاختلاف في مسائل الاجتهاد، واقع ممن حصل له بمحض الرحمة. وقد بدأ في زمن الصحابة، ومن اتبعهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين. يقول الشاطبي في (الاعتصام)، وكذلك ابن عبدالبر في (جامع بيان العلم وفضله)، إن بيان كون الاختلاف المذكور رحمة: ما روي عن القاسم بن محمد قال: لقد نفع الله باختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في العمل. لا يعمل العامل بعلم رجل منهم إلا رأى أنه في سعة، وعن ضمرة ابن رجاء قال:

اجتمع عمر بن عبدالعزيز والقاسم بن محمد فجعلا يتذاكران الحديث. قال: فجعل عمر يجيء بالشيء يخالف فيه القاسم- وجعل القاسم يشق ذلك عليه حتى يتبين ذلك فيه. فقال له عمر: لا تفعل: فما يسرني باختلافهم حمر النعم.

وروى ابن وهب عن القاسم أيضا قال: لقد أعجبني قول عمر بن عبدالعزيز: ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولا واحدا لكان الناس في ضيق وأنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنة.

يقول الشاطبي: ومعنى ذلك أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه، أنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق، لأن مجال الاجتهاد ومجالات الظنون لا تتفق عادة فيصير أهل الاجتهاد مع تكليفهم باتباع ما غلب على ظنونهم مكلفين باتباع خلافهم، وهو نوع من تكليف ما لا يطاق، وذلك من أعظم الضيق، فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفروعي فيهم، فكان فتح باب

للأمة للدخول في هذه الرحمة فكيف لا يدخلون في قسم من رحمة ربك؟

فاختلافهم في الفروع كاتفاقهم فيها- والحمد لله.

وبين هذين الطريقين، واسطة أدنى من الرتبة الأولى، وأعلى من الرتبة الثانية، وهي أن يقع الاتفاق في أصل الدين، ولا يقع الاختلاف في قواعده الكلية وهو المؤدي إلى التفرق شيعا.

اختلاف الصحابة على عهد رسول الله ﷺ

لم يكن في عهد رسول الله ﷺ، ما يمكن أن يؤدي إلى الاختلاف، ذلك لأن الرسول ﷺ، كان مرجع الصحابة، إذا غمض عليهم أمر، وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا اختلفوا في شيء ردوه إلى الرسول ﷺ، فبينه لهم على وجه الحق. ولكن كان ينزل بهم من الأمور وهم في مكان بعيد عن الرسول، فلا يستطيعون رده إليه، ويكون أمرا عاجلا فيجتهدون فيه، لأنهم في مكان بعيد عن المدينة، والوقت لا يسعهم أن يتبقوه حتى يردوه على الرسول ﷺ فكانوا يجتهدون جهدهم في الوصول إلى الحكم في هذا الأمر واستنباطه بما لا يتعارض مع نصوص كتاب الله الكريم ولا سنة رسوله ﷺ. وكان يقع الاختلاف، لأنهم لا يجدون في الأمر نصا من كتاب ولا سنة. حتى إذا عادوا إلى المدينة عرضوا أمرهم على رسول الله، فيقرهم الرسول فيه، فيصبح من السنة ومن أمثلة ذلك:

أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. فأدركهم العصر في الطريق. فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، أي ديار بني قريظة.

وقال بعضهم: بل نصلي، فذكر ذلك للرسول ﷺ، فلم يعنف واحدا منهم.

وظاهر الحديث أن الصحابة - رضوان الله عليهم - انقسموا فريقين من فهم حديث الرسول ﷺ من أداء صلاة العصر.

- الفريق الأول: أخذ بظاهر اللفظ، أو بعبارة النص، فصلى العصر في بني قريظة.
- الفريق الثاني: فقد استنبط من النص معنى خصصه به، وهو إرادة الرسول ﷺ، الإسراع بالمسير إلى ديار بني قريظة.

وتصويب رسول الله ﷺ لرأي كل فريق. دليل على صحة رأيه، ومشروعية الأخذ به، والعمل بما يوافقه.

كذلك في تصويب الرسول ﷺ لكلا الرأيين إجازة لهما على مشروعية

الاجتهاد، وإن اختلف فيه، مع بذل الجهد. وبناء الاستنباط على قواعد صحيحة من الأدلة الشرعية. ومن ثم فقد اعتبر الفريق الذى صلى قبل الوصول إلى بنى قريظة، لا ينافى أمر رسول الله ﷺ، مادامت الصلاة لن تؤخرهم عن الوصول. كما أن الفريق الثانى اجتهد، لأنه رأى أن إقامة الصلاة فى الطريق قد تؤخرهم عن الوصول.

ولقد تقبل الرسول فعل كل فريق بالقبول الحسن، ولم يعنف أحدهما، ومن هنا صار من السنة التقريرية.

خلاف المتحابين

ومع ذلك فقد كان الرسول ﷺ يحذر أصحابه من الاختلاف فكان يقول لهم: (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم)[1]، وكان يحذرهم من الاختلاف وهم يقرأون القرآن فيقول فى الحديث الصحيح: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإن اختلفتم فيه فقوموا». (أخرجه الشيخان وأحمد والنسائى رضى الله عنهم).

يوصيهم الرسول ﷺ أن يواصلوا قراءة القرآن، والتدبر فى فهم آيات الكتاب العزيز إذا ما ائتلفت القلوب، أما إذا اختلفوا فى بعض أحرف القراءة، أو فى فهم بعض معانى الآيات الكريمة، فقد أوصاهم بالقيام، حتى تنتفى دواعى الاختلاف، ورد ما اختلفوا فيه إلى الرسول ﷺ.

ولم يكن الصحابة - رضوان الله عليهم - يكثرون من الاختلاف. أو الكلام فى المسائل التى تشتمل على كثير من التفريعات. فإذا وقع الاختلاف فيما بينهم، سارعوا إلى رد الأمر إلى رسول الله ﷺ، والخضوع إلى حكم الله -من كتاب الله- ورسوله والتسليم الكامل بما يحكم به رسول الله ﷺ.

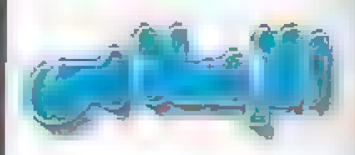
وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - فى أوقات الاختلاف متحابين لا يعرف الهوى أو التعصب الطريق إلى نفوسهم، بل التزموا فقط بما يمليه عليهم الورع والتقوى وتجنب الهوى، وجعل الحقيقة وحدها هدف المختلفين فلا يهم أحدهما ظهور الحقيقة برأيه. أو برأى أخيه.

(يتبع)

(1) صحيح مسلم





هدف سياسة العقاب، فى الشريعة الإسلامية، حماية المصلحة العامة، وحماية الفضيلة، ودفع الفساد، ومن أجل ذلك، فإن العقوبات الشرعية يستتبع توقيعها:

أولاً: الزجر: بمعنى ردع ومنع الجناة من العودة إلى ارتكاب الجريمة، وكذلك منع الغير من اقتراف ذات الجرم، وهذا يتمثل على وجه خاص فى الحدود الشرعية.

ثانياً: تحقيق العدالة، إذ إن العقوبة تنزل بالجانى لما تراه الجماعة تجنى عليها مقابلا لذات الجرم. فتهدأ النفوس، وتطهر نفس المجرم، ويعود إلى الاستقامة مقلعا عن جريمته، ذلك لأن إصلاح ذات الإنسان المنحرف المرتكب للخطيئة أهم أغراض العقاب فى الشريعة.

ومن أجل تهذيب النفوس وإصلاح حال الخاطئين، نرى أن العقوبة تقع على جسد الخاطئ، بالجلد، والضرب. وعلى داخل نفسه، بشهود جمع من الناس، توقيع هذا الجزاء:

﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(النور ٢)

فى حد الزنا لغير المحصن وهو الذى لم يتزوج بعد.

● وهذا لا شك أدخل فى العقاب، وأدنى ثمرة فى الإصلاح، وزجر الغير، والابتعاد به عن مجرد التفكير فى اقتراف مثل هذا الجرم.

● وإذا كان هدف العقوبة دائماً الردع والإصلاح. فالأولى أن نعود إلى النظر فى كثير من الجزاءات المقررة فى قانون العقوبات، لنستبدل بالحبس، الجلد، أو الضرب العلنى، حتى تجدى فى الزجر، لأن أساس العقوبة فى الشريعة، هو الجلد، لا السجن والحبس.

● والجلد عقوبة بدنية مؤقتة بساعات، لا تهدر آدمية



المستحق لها وتتيح للمذنب فرصة التوبة والأدب والصلاح وخدمة الأسرة والجماعة، بل وخدمة النفس، بالسعي الشريف والعمل النافع، إذ إن الحبس أو التغريم، أو هما معاً، لا يردعان الكثير من الخاطئين.

● ونرى أن السجون وقد تعدد قد ق رواده، وانحصرت كثرتهم الغالبة في فئة المحترفين وعتاة المجرمين، الذين اعتادوا الجريمة على اختلاف صنوفها، واستمرأوا كسبها، وهؤلاء نرى أن فقهاء الإسلام قد قالوا في شأنهم - على ما جاء في الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى الحنبلي - أنه يجوز للأمير فيمن تكررت منه الجرائم ولم ينزجر عنها بالحدود، أن يستديم حبسه، إذا استضر الناس بجرائمه، حتى يموت، بعد أن يقوم بقوته، وكسوته، من بيت المال، ليدفع ضرره عن الناس.

● ومن أجل هذه السياسة العقابية، في الشريعة الإسلامية، لم تكن السجون بهذه الكثرة التي نشهدها، فقد كانت عقوبة الحبس في الأعم الأغلب، إما حبس في تهمة استظهاراً، واحتياطاً، كما فعله الرسول ﷺ فقد روى الحاكم في المستدرك، عن عراك بن مالك، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة - رضي الله عنهم - أن النبي ﷺ حبس رجلاً في تهمة يوماً وليلة استظهاراً واحتياطاً، وهذا الوجه من الحبس يقابل في نظامنا الآن، الحبس الاحتياطي على ذمة التحقيق وإما حبساً مستديماً للخطرين، الذين اعتادوا الإجرام، والذين يتضرر الناس من جرائمهم ويروعون الآمنين، في الأموال والأنفس والأعراض والثمرات.

حقوق السجين

● والمتتبع لأقوال الفقهاء المتناثرة، في مواضع كثيرة، من كتب الفقه الإسلامي في شأن السجون، يجد أنها في نطاق القول الجامع، الصادر من الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - (إن الله كتب الإحسان على كل شيء ..) فهم يوصون بتوفير الإنسان المحبوس، والامتناع عن إهدار كرامته، التي حفظها الله، وأوصى بها، وبتوفير الرعاية الصحية له، والقيام على أمور معاشه، داخل السجن، وأمور أسرته من زوج، وولد، ووالد، واستدامة زياراتهم له، واستقباله إياهم صلة للرحم، واستعانة بهم على إصلاح ذات نفسه وانتزاع الشرور من بين جنبيه، كما يوصي الفقهاء - إعمالا لتلك القاعدة الجامعة - بأن يكون في السجن العلاج من داء الإجرام، باشتغال السجين بما يعود عليه نفعه مادياً، كعمل يدر عليه كسباً أو مهنة يتعلمها، ليحترفها، تعطيه ربحاً طيباً، ولذلك يجب أن يتوسع في إلحاق مصانع بالسجون، يتدرب فيها المسجونون، ويعملون، وتصرف لهم أجورهم، أو إلى المستحقين لها عنهم، أو تدخر لهم، وأن تلحق بها كذلك مدارس ابتدائية وإعدادية، وثانوية وللنظر في إدخال عقوبة الجلد وحدها أو مع الحبس في بعض الجرائم وفي حالة الجمع بينهما، يكون الحبس عقوبة تبعية، وللعمل على وضع النماذج الصالحة من البشر أمامه، تركوا بسيرتها نفسه، ويلين قلبه، ويعي بهذه النماذج نفراً من المستقيمين في دينهم، ودنياهم، عظة وقدوة.

● ومع هذه الوصايا من فقهاء الإسلام، فإنهم قد احتاطوا لئلا يكون السجن مدرسة خطرة تزلزل بين قلوب المجرمين فقالوا بوجوب تصنيفهم والبعد بذوي المروءات الذين زلت أقدامهم عن طريق الحق والفضائل في مكان قصي، عمن ساءت خصائلهم وصارت الجريمة كسبهم ومأواهم.

ومن هنا كانت عقوبة التعزير، سواء بالجلد والضرب، أو الحبس، أو بالتغريم، أو بالعظة، والنصح، واللوم مختلفة باختلاف الناس وما جبلوا عليه وهم في ذلك جد مختلفون.

وبعد:

● فإن عقوبة الحبس، أو السجن، بمصطلح السائد قانونا، قد صارت عامة، وقد أوجبت فيما سبق، خطة السجن، والسجون، كما أوصت بها نصوص الشريعة الإسلامية

● هذه العقوبات المقررة التي تحدثت عنها تكون في حق من ثبت في حقه الجريمة الموجبة للعقوبة، أما الحديث عن التعذيب، أو الضرب، أو الجلد، أو الحبس في حق من لم يثبت بعد في حقه الحدث، فهذا أمر لا تقره الشريعة الإسلامية، باعتبار أن الإنسان في هذه الحالة بريء ولم تثبت في حقه الجناية، فإذا حدث هذا فإنه يعتبر إكراها له يرفضه الشرع.

وأمل، ونحن نعمل على مراجعة القوانين ونشر الإصلاحات في مجتمعنا تشريعا وسلوكا وقضاء واقتضاء - أن تتعدل سياسة العقاب وفق نصوص الشريعة حدا، وتعزيرا

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

(المائدة ٥٠)

وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.. ويشرق نور الإسلام، وقوة اليقين في قلوب الآمنين، فيخشون الله وتحيا ضمائرهم، فإنها لا تعمى الأبصار.. ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

● اللهم اهدنا الصراط المستقيم.. صراط الذين أنعمت عليهم.. غير المغضوب عليهم.. ولا الضالين، آمين.



الله ليس كذلك

تأليف

د. زيجريد هونكه

ترجمة

د. غريب محمد غريب



من نعم الله - تعالى - على الإنسان - ونعمه لا تحصى - أنه يهيىء في كل زمان ومكان من يفسد على إبليس توعده أبناء آدم أن يترصد لهم كل السبل ليضلهم ويغويهم ويخضعهم لسلطانه منذ قال - في سياق تحديه لرب العالمين -:

﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ۝ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾

(الأعراف: ١٦ - ١٧)

فكلما أناخ إبليس بضلالاته وجهالاته على جماعة ظهر من بينهم من يؤدي دور الشمعة في الظلام الدامس؛ ليكون نواة الخير التي تستقطب ذوي النفوس الخيرة، فتنتشلهم من براثن الجهل والضلال بما تشعه في قلوبهم وعقولهم من أسباب الهدى والأمان.

ولقد قدم القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك المشهد. ولعل من أبرز تلك الأمثلة: مؤمن آل فرعون الذي أبى التسليم لفرعون بما نشره إبليس على لسانه من ضلال وقهر للناس، حتى وصل فرعون وأعوانه إلى أقصى درجات التبجح فقال: أنا ربكم الأعلى.

وظن إبليس أنه بذلك أعمى أبصار الناس، فلم يعد للحقيقة وجود، وأن أحدا لن يستطيع أن يقيم لها قائمة، ولو كان نبيا مرسلا.

عندئذ بعثت تلك الشمعة لتؤدي دورها في تمزيق نسيج هذا الظلام في كلمات معدودات نطق بها مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه في قوله:

﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾

(غافر: ٢٨)

كما قدم من بيت فرعون شمعة أخرى أدت دورها بين النساء، لتكشف عبث فرعون في ادعائه الربوبية، فليس أقرب إليه، ولا أدرى بحقيقته من امرأته التي نهضت متجهة إلى الله الخالق، متبرئة من زعم فرعون وعمله، قائلة:

﴿ رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾

(التحريم: ١١)

فكانت مثلا ضربه الله مثلا للذين آمنوا، منبها إلى أثر مثلها في تبديد ظلام إبليس وضلالاته التي تحدى بها ربه في شأن بني آدم.

ولقد تواصلت هذه النعمة الربانية، وظهرت في كل زمان ومكان بأشكال مختلفة، وبأساليب متباينة، واستمرت قرونا ممتدة لنراها في عصرنا الحديث متمثلة في نفر من الأوربيين توجهوا إلى الاستشراق لغايات ومقاصد متعددة، فاهتدوا إلى الحقيقة التي كاد الأبالسة يطمسون معالمها هناك، حيث برز من بين مفكري ألمانيا طائفة هدوا إلى الصراط المستقيم، فبذلوا جهدا مشكورا لمعاونة الآخرين على التعرف إلى الحقيقة، والفرار من ظلال الجهل الإبليسي.

وممن أدى هذا الدور الكاشف في هذا العصر: الدكتورة (آنا ماري شمل)، والدكتورة (زيجريد هونكه)، والدكتور (مراد هوفمان)، وغيرهم كثير.

ولقد قدمنا في الأعداد السابقة من مجلة الأزهر واحدا من كتب الدكتور (مراد هوفمان) التي توجه بها إلى الأوربيين عامة، وإلى الألمانيين خاصة معرفا بالإسلام وجدارته أن يكون بديلا ينقذ العالم من الضلالات الوضعية التي قدمها إبليس بأقلام جمع من أعوانه البشر.

ونحن اليوم نبدأ بتقديم واحد من كتب الدكتورة (زيجريد هونكه) على الطريق نفسه.

والدكتورة (زيجريد هونكة) هي ابنة العالم الألماني (هاينرس هونكه)، ولدت في ٢٦ من أبريل سنة ١٩١٣، وقد ذاع صيتها في ميدان الدراسات التاريخية، والبحث في فلسفة الحضارات، وعلم النفس الجمعي، وعلم الأديان المقارن، واللغة الألمانية وآدابها.

تخرجت في جامعة (كييل)، و(فرايبورج)، و(برلين)، وحصلت على درجة الدكتوراة سنة ١٩٤٠، ونالت جوائز وأوسمة كثيرة من ألمانيا، ومن مصر.

وإيمانا منها بفضل الشرق الإسلامي على الغرب... أسست سنة ١٩٧٣ رابطة تحمل

اسمها، وهي الرئيسة المخربة لها.

أما كتاب (الله ليس كذلك) فقد قصدت الدكتورة به التصدي علميا وموضوعيا لما يلصقه الغرب بالإسلام ظلما وعدوانا، أو جهلا بالعرب وبالإسلام، قاصدة تحرير الغربيين من قبضة الفتنة الاستعمارية والتبشيرية التي زيفت التاريخ، وقلبت الحق باطلا.

مغالطات غربية لتضليل الغربيين

وقد مهدت الدكتورة (زيجريد) لدراستها بالتنبيه إلى المغالطات التي يحرص بعض الغربيين على بثها ليقيموا منها سورا يحجب حقيقة الإسلام، فلفتت النظر إلى محاولتهم حجب اسم الإسلام بإطلاق اسم (المحمديون) على المسلمين، على الرغم من أن أحدا من المسلمين لم يسم نفسه بذلك على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرنا، ولكن الغربيين اليوم يرددون تعبير سكان إسبانيا إبان حكم المسلمين لها منذ نحو سبعمائة عام. وقد درج الإنجليزي (ويليام) على هذا في قصصه البشعة التي نسجها من خياله، وقدمها على أنها حقائق تصور هؤلاء المسلمين الذين استقروا في قرطبة التي زعم أنها مقر سلطان عبدة الشيطان، ورسم للمسلمين وللإسلام هناك صورة مخيفة مرعبة لأتباع محمد.

وتعلن الدكتورة عن دهشتها وتعجبها وخجلها من استمرار سيطرة هذا الجهل على الغربيين مع معايشتهم المسلمين في إسبانيا، وإيطاليا ثمانية قرون، ومخالطتهم قرابة ثلاثة قرون في أثناء الحروب الصليبية، حيث لمسوا في رحابهم روح التسامح، والأمن، والتقدم العلمي والحضاري.

وتلاحظ الدكتورة: أن هذه المغالطات والأكاذيب بدأت بدعوة البابا (أوربان الثاني) في السابع من نوفمبر سنة ١٠٩٥ كافة فرسان الغرب إلى حمل الصليب، والزحف لتحرير قبر عيسى المقدس في بيت المقدس، زاعما أنه قد تخرب وتهدم.

وتلاحظ: أن الذي دفع البابا إلى ذلك الكذب هو رغبته في أن يحقق خطة البابا السابق (جريجوري السابع) في رأب صدع الكنيسة، وإعادة الكنيسة الشرقية المنشقة إلى حظيرة الاتحاد الكنسي من جديد. فما إن طلب منه القيصر البيزنطي (الكسيوس) أن يمده بجيش من الفرسان والمرتزقة من نصارى الغرب لينقذوه من الجحافل التركية، حتى سارع إلى نشر تلك الأكاذيب ليدفع فرسان الغرب إلى الإسراع في معاونة القيصر، أملا في أن يحقق -بذلك- التئام الكنيسة الشرقية مع الكنيسة الغربية. على الرغم من تيقنه أن مزاعمه كاذبة؛ لأن تلك الأبنية المقدسة كانت قد تهدمت قبل أربعة أجيال، وكان قد بدأ ترميمها، وإعادة بنائها، ولم يكن هناك أي خطر يتهددها. ولكن غايته بررت له هذه الوسيلة المشينة. فاندفع في طريقه هذا. وخطط بدقة لمؤتمر كنسي. دعا لانعقاده. كي يواصل تحريضه على قتال المسلمين ناطقا باسم المسيح، ومنتقيا عبارات شديدة التأثير في عرضه أحداث مصطنعة لا وجود لها. مؤكدا نداءه بقوله: «ولست أنا الذي يحرككم. وإنما الرب نفسه يطلب إليكم ويحدركم. بصفتكم حملة لواء المسيح. والمبشرين الداعين إليه أن تطهروا الأرض المقدسة التي يعيش فيها إخوانكم المسيحيون من أولئك الرعاع».

فكانت هذه الصيحات شرارات لا تخمد خلف تحرك الغربيين -إلى يومنا هذا- ضد العالم الإسلامي. والعمل الدائب على تشويه وجه العرب وصورة المسلمين.

شراك الأكاذيب والتضليل تؤتى ثمارها

وفي الفصل الأول: (إشعال نار الكراهية والبغضاء) ذكرت الدكتورة أن البابا (أوربان) أخفى أهدافه الرئيسية وراء ما انتقاه من شعارات. وما روجه من إشاعات. صنع منها شراكا وقع فيها الأوربيون. وجعل منهم وحوشا ضارية، تلح عليهم شهوة الافتراس المتخفية في رداء الانتقام. دون أن يدركوا مدى تسامح المسلمين وسماحتهم التي وضحت في سلوك الحكام والعامة، حتى إن هارون الرشيد عهد شخصيا إلى القيصر الألماني (كارل) ببسط حمايته الشرفية لكنيسة القيامة. وسلم بطريركها الأكبر مفاتيح البقاع المقدسة؛ مما أشاع بين الناس هناك السماحة والاستقرار، ومما جعل البطريرك (ثيودوسيوس) من بيت المقدس يكتب رسالة إلى أخيه الروحي الأسقفي (أجناتيوس) في بيزنطة جاء فيها: «إن العرب هنا هم رؤساؤنا الحكام، وهم لا يحاربون النصرانية، بل يحمونها، ويذودون عنها، ويوقرون قساوستنا ورهباننا، ويجلون قديسينا».

هذا في الوقت نفسه الذي كان الموت يتربص فيه بالمسلمين في كل مكان استجابة لما أحدثته الأكاذيب والأحقاد من عداء متوحش للمسلمين حتى أصبحت الساحة حبلى بالحروب الصليبية، فقد شهدت مدينة (كلير مونت) الفرنسية من الدعايات المأجورة القائمة على الزيف والتكيد. والتي رددها رهبانية البابا في كل مكان حول المسلمين الذين أطلقوا عليهم (أعداء الرب)، وغير ذلك من الأكاذيب التي أذكت نيران العصبية، وأثارت النفوس، وألهبت الأخيلة، فانطلقوا سيلا برمريا يحرف كل الحدود، ويأتي على الأخضر واليابس، فلا تقع أعينهم على مسلم إلا قتلوه، حتى ذكرت المصادر العربية أن حصاد تلك المذبحة الوحشية يبلغ عشرة آلاف ذبيح، وجاء في وصف المؤرخ الأوربي (ميشائيل درسيرر) أن البطريرك نفسه كان يعدو في زقاق بيت المقدس وسيفه يقطر دما، حاصدا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة، فأخذ يغسل يديه من الدماء اللاصقة بها، مرددا كلمات المزمور: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار،

ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقا إن للصديقين مكافأة، وإن في الأرض إلها يقضي، ثم أخذ في أداء القداس قائلا: إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك، ليرضى به الرب».

وهكذا ملأت تلك الأكاذيب نفوس الأوربيين بالحقد والعداء، فانطلقوا وحوشا ضارية تحاول الفتك بالمسلمين، وتعمل على تدمير ما أقاموا من حضارات تحت عنوان (الحروب الصليبية)، فتوهم البابا وزبانيته أن أمنياتهم قد تحققت، ولكن سرعان ما فوجئوا بالهزائم المتوالية تحيق بجيوشهم المعتدية، حيث منيت الحملات الصليبية بأسوأ هزيمة كلفت العالم على مدى قرون فقد الآلاف من البشر الأبرياء، والجنود المضللين. فزلزلت الصدمة كيان الأوربيين، وزعزعت الفرسان، وهوى الشعور بالثقة، والاعتداد بالنفس، ونفخة الكبرياء والتعالي التي خلفتها الدعايات المسمومة المشحونة بالمقت والبغضاء، مخلفة عقدة نفسية غائرة، مازالت تسيطر على العالم النصراني في الغرب إلى اليوم، وتغلق الطريق أمام كل معرفة موضوعية تتفق مع الواقع الحقيقي، دون تحيز لأي حكم مسبق. فلم تعد تستقبل من الأوربيين إلا الهجوم والتجريح للعرب المسلمين، وإلى إلصاق الأحكام الطائشة المسبقة التي لا أساس لها من الحقيقة، ولا جذور لها في الواقع.

ولكن من الأوربيين من ترفع عن ذلك

وفي الفصل الثاني: (الفروسية الألمانية والفروسية العربية تخزيان عدم التسامح النصراني) رصدت من سجلات التاريخ أن بعض الشخصيات الألمانية رفضت الانسياق وراء الحماس المسعور الذي أججه دعاة الحروب الصليبية من البابوات بالتأكدهم من أن هؤلاء البابوات يستغلون الحروب الصليبية في فرض سيطرتهم على الأباطرة والقياصرة بعد تحطيم سلطانهم، ليؤكدوا حقهم المقدس في حكم الممالك الألمانية. معتمدين في ذلك على الضرائب التي جبيت باسم الحروب الصليبية، حتى إنهم يدعوا من فوق منابر الكنيسة إلى شن حرب صليبية على الإمبراطورية الألمانية وأباطرتها من سلالة (شتاوفر).

ومن هنا... لجأ بعض القياصرة الألمان إلى الإسهام في الحروب الصليبية لكي ينتزعوا السلاح السياسي من يد البابا ويتولوا زمام الأمر دونه، فلا يتمكن من شهره في وجوههم، بل إن ثلاثة من هؤلاء القياصرة الألمان كانوا على علاقة وثيقة مع بعض السلاطين المسلمين؛ متجردة من التعصب الديني الذي كان يبثه ويرعاه أولئك البابوات وأعوانهم.

وقد برز من بين هؤلاء القياصرة (فريدريك الأول) الذي سادت العلاقات الدبلوماسية، وروح الوئام والسلام بينه وبين السلطان صلاح الدين الأيوبي في الوقت الذي كانت نيران الحروب الصليبية فيه على أشدها، حتى إن

صلاح الدين أرسل سنة ١١٧٣ وفدا إلى بلاد القيصر في (آخن) حاملا رسالته التي يطلب فيها يد ابنة القيصر لابنه بهدف الربط بين الشرق والغرب.

ولما لجأ دعاة الحروب الصليبية إلى كل وسيلة تؤجج نيران الحقد في نفوس الغربيين ليثأروا من العرب رفض القيصر توسلات مبعوث البابا ثلاث مرات، دون تأثر بما سجله خطباؤهم المفوهون من العبارات المؤثرة في كل مرة. ولما عرضوا عليه شارة الصليب رفض قبولها وأبى مشاركتهم في خوض الحرب.

ولكنه بعد عام اتخذ قرارا منفردا بخوض الحرب دون وصاية أو تكليف بابوي، فأرسل في ٢٦ مايو سنة ١١٨٨ إلى السلطان صلاح الدين رسالة ضمنها شكره إياه، وأسفه لاضطراره إلى خوض الحرب ضده إذا رفض التنازل عن بيت المقدس. ثم عاد فأرسل إليه في أول نوفمبر سنة ١١٨٩ يطلب منه الاكتفاء بمبارزة شخصية حقنا لدماء الجند.

وتقديرا من صلاح الدين لهذه الروح... اقترح على القيصر أن يكتفي بإطلاق سراح أسرى الفرنجة كافة، وبإطلاق حرية العبادة، وحرية النصارى في الحج. مقابل إعادة جميع القلاع والحصون التي استولى عليها الفرنجة.

ولكن الموت عاجل القيصر فلم تتم المنازلة بين البطلين الصديقين، ولم يعرف أحد القرار الذي كان القيصر قد اتخذه.

وجاء ابنه القيصر (هاينرش) السادس، ثم ابن ابنه القيصر (فريدريك) الثاني فاقتفيا خطوات الأب. حيث عقد الابن أواصر الصداقة مع صلاح الدين بحملته السلمية دون إراقة دماء. وحقق الحفيد بحملته التي لم يرفع فيها سلاحا، ولم يهرق نقطة دم.. أربعة أضعاف ما كان عرضه من قبل صلاح الدين، حيث عقد مع السلطان الملك الكامل ابن أخ صلاح الدين معاهدة ضمنت المساواة التامة بين المسلمين وغير المسلمين، والاحترام المتبادل، والحرية الكاملة لليهود والنصارى والمسلمين في إقامة شعائرهم الدينية في كافة الأراضي المقدسة. فحقق ما لم يستطع أحد تحقيقه بالحرب، فوضع البابا في موقف حرج -إزاء ما أنفقه من أموال، وما ضحى به من أرواح بريئة، دون أن يحقق أي مكسب- دفع به إلى إضرام نيران مقته على أعلى مستويات الكنيسة للقيصر الألماني، حيث أنزل به لعنة الطرد من الكنيسة، وأعلن موت القيصر بالنسبة له، ووجه جيوشه لمحاربته، وبلغ به الانحطاط درجة الذروة؛ فدبر مع فرسان المعبد خطة لاغتياله عند توجهه إلى نهر الأردن ليتعمد في مياهه.

وهكذا... يتضح أن الفروسية النصرانية لم تعرف أي التزام خلقي -بسبب أحقاد البابا وأعوانه- حتى إن فرسان الحملة الصليبية سنة ١٢٠٤ سفكوا دم إخوانهم من النصارى في بيزنطة، فأخذ (نيكتاس أكوميناتوس) يبكي مصارعهم قائلا: «إن محاربي المسلمين الأعداء أنفسهم رحماء طيبون قياسا إلى أولئك الذين يحملون صليب المسيح على أكتافهم».

خيارات النهضة (٢)

الحملة الفرنسية وبدايات الازدواجية فى نموذج التقدم

للأستاذ الدكتور محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

فى مواجهة صدمة هذه الحملة الفرنسية على مصر [١٢١٣هـ ١٧٩٨م]، التى كشفت حقيقة تخلفنا وتراجعنا الحضارى، عندما قورن بالتقدم الأوربى، تصاعدت الدعوات الإسلامية إلى التغيير والتجديد الذى يقدم الحلول لمشكلات الواقع والفكر الإسلامى. وكانت كلمات الشيخ حسن العطار [١١٨٠ - ١٢٥٠هـ ١٧٦٦ - ١٨٣٥م] التى قال فيها: «إن بلادنا لابد أن تتغير، ويتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها»، علامة على منعطف جديد على طريق التجديد الإسلامى الحديث

لكن هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة لبلادنا، قد ألقت فى واقعنا الفكرى - لأول مرة فى تاريخ المواجهة بين العرب والإسلام - بفكرية المرجعية الغربية، ذات الطابع الوضعى والعلمانى والمادى، وبالنموذج الغربى فى النهوض والتغيير، وبالحلول الغربية التى قدمتها المسيرة الحضارية الغربية لما واجهته دولها وشعوبها من مشكلات. فالغزوة التى جاءتنا بالفكر والصحيفة والبعثة العلمية - مع المدفع والبارود والجيش والنهب الاقتصادى - قد أقامت، ببلادنا، ازدواجية فى الحلول للمشكلات، وثنائية فى مرجعيات مشاريع التجديد والتحديث والنهوض والتغيير.. فلم تعد الحلول الإسلامية وحدها هى النموذج والمرجع، كما كان الحال فى تاريخنا الطويل.. وإنما أصبحت الحلول الغربية، والمرجعية الوضعية، والنموذج العلمانى والنظريات المادية تزاحم النموذج الإسلامى فى تقديم الحلول لمشكلات عالم الإسلام.. وتخلقت منذ ذلك التاريخ، فى واقعنا الفكرى تيارات ثلاثة:

١- تيار التقليد: الذى كان له شرف المحافظة على تراث الأمة، والرفض المطلق لكل وافد غربى، لكنه عجز - بسبب الجمود والتقليد - عن تقديم البديل الجديد القادر على منافسة النموذج الغربى فى التغيير والتحديث.. فترك فراغا كبيرا - فى الفكر والواقع - لهذا النموذج الغربى يسرح ويمرح فيه.

٢- وتيار التغريب: والمحاكاة والتقليد للمرجعية الغربية والنموذج الغربى فى التحديث. ولقد تميزت فى داخل هذا التيار فصائل عدة، تبعاً لتمايز تيارات وفصائل المرجعية الغربية.. فعرفت بلادنا: «الليبراليين - الفرديين - الرأسماليين».. و«الماركسيين - الماديين - الشموليين».. و«القوميين - على النمط القومى الغربى» الذين أقاموا القومية على «عصبية العرق» وقطعوا روابط العروبة بالإسلام، بسبب علمانيتهم، التى تفصل الدين عن العمران، نظرا وتطبيقا، أو بسبب اليأس من «الجامعة الإسلامية» التى كانت تعوقها عن الحركة يومئذ الأمراض والقيود التى أثقلت وأعجزت الدولة العثمانية.

ولقد جمعت بين فصائل هذا التيار: الفكرية الوضعية والمادية والعلمانية الغربية ومناهجها فى النظر، ونماذجها فى الحلول التى تقدمها للمشكلات

٣- وتيار الإحياء والتجديد: وهو الذى احتضن موروث الأمة ومرجعيتها الإسلامية فى التجديد والتغيير، لكنه دعا إلى التمييز بين المنابع والأصول المقدسة والملزمة - فى الكتاب والسنة - وبين الفكر والمذاهب الإسلامية، التى اصطبغت بصبغة متغيرات عصورها وتجارب أجيالها، فهى مما يستأنس بها، دون إلزام.

كما ميز هذا التيار، فى «الوافد الغربى» بين حقائق وقوانين العلوم الطبيعية والتجريبية المحايدة - التى هى مشترك إنسانى عام، لا يتغاير بتغاير العقائد والحضارات - وبين نظريات العلوم الإنسانية والاجتماعية والعقائد والفلسفات والثقافات والقيم والآداب.

التى تتمايز فيها العقائد والحضارات.

ولقد رفض هذا التيار التجديدى كلا من «التقليد والجمود» الإسلامى.. و«التحديث على النمط الغربى».. ودعا إلى إسلامية الحلول لمشكلات الواقع الإسلامى.. أى أنه سعى إلى التغيير. لكن بحلول إسلامية، من داخل النسق الفكرى الإسلامى.

ركائز البديل الغربى

وبسبب من انقسام أهل الأصالة الإسلامية ـ إلى مقلدين ومجددين ـ والصراع الذى قام بينهما، والذى أضعفهما معا.. وبسبب من جاذبية النموذج الحضارى الغربى ـ الذى لم تكن قد ظهرت عيوبه وثغراته فى القرن التاسع عشر ـ وبسبب هيمنة الغرب على دول وأقطار العالم الإسلامى.. تخلقت للنموذج الغربى، فى واقعنا، دعوات وتيارات وأحزاب. وتبنى حلوله وأنماطه فى التحديث أعلام ومنابر ومؤسسات ـ وكانت القوى الاستعمارية هى البادئة بإقامة ركائز هذا «البديل الغربى» للمرجعية الإسلامية فى التحديث والتغيير.. ومنذ اللحظات الأولى للغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام.

بونابرت

● لقد ألقى «بونابرت» ـ إبان الحملة الفرنسية على مصر ـ خيوط «التبعية الفكرية» لنفر من «أراذل النصارى» فى مصر ـ من الأقباط والطوائف الأخرى ـ الذين شذوا عن الموقف العام للكنيسة القبطية وأغلبية أبنائها ـ فكونوا «فيلقا قبطيا» حارب الشعب المصرى مع قوات الاحتلال، وقاد هذا الفيلق «المعلم» يعقوب حنا [١١٥٨ ـ ١٢١٦هـ ـ ١٧٤٥ ـ ١٨٠١م] ـ الذى سماه الجبرتى [١١٦٧ ـ ١٢٣٧هـ ـ ١٧٥٤ ـ ١٨٢٢م] «يعقوب اللعين»(١) ـ وفيلقا من النصارى الأروام، قاده «برطلمين يسى الرومى» ـ الذى اشتهر لدى العامة بـ«فرط الرمان»!..

وكما يقول الجبرتى ـ مؤرخ العصر ـ فإن فيلق المعلم يعقوب قد ضم من شباب القبط بالصعيد نحو الألفين(١).. وشارك هذا الفيلق مع الجيش الفرنسى ـ الذى قاده «ديزيه» ـ فى «فتح صعيد مصر»!..

وتدرج المعلم يعقوب فى مراتب الجيش الفرنسى فمنحه «كليبر» رتبة «كولونيل».. وأنعم عليه «منو» برتبة «جنرال» فى مارس ١٨٠١م.

وعندما فكر «بونابرت» فى تكوين «ديوان المشورة»، جعل لهذه الأقليات ـ التى احتضنها إلى دائرة «التبعية الفكرية».. والعمالة الحضارية ـ نصف عضوية الديوان الدائم والخاص(٢).. فضم هذا الديوان خمسة من علماء الأزهر.. ثنين من التجار المسلمين.. وسبعة من الأقليات النصرانية.. ومع الأربعة عشر عضوا عدد من الفرنسيين(٢)..

أما الجهاز المالى والإدارى لسلطة الاحتلال ـ أى الحكومة الحقيقية ـ فلقد اختص الفرنسيون بها هذه الشريحة التابعة من أبناء الأقليات. فكانوا جهاز القهر وأدوات القمع لجمهور الشعب.

وكما يقول الجبرتى: فإن الجنرال «كليبر» قد عهد إلى المعلم يعقوب «بأن يفعل فى المسلمين ما يشاء»(٣)!.. حتى «تطاولت النصارى، من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا(٤) وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»(٤)..

نعم ـ لقد بدأ الفرنسيون انقلابا على «ملة المسلمين وأيام الموحدين»، استخدموا فيه شريحة من الأقليات النصرانية لإخضاع مصر لحضارتهم الأوروبية، ولتغيير هوية بلادنا من الأساس.

وعلى يد هذه الشريحة التى التحقت بالعدو الغازى، بدأ أول حديث فى الشرق الإسلامى عن الالتحاق بالغرب حضاريا، وعن «استقلال» مصر عن هويتها ومرجعيتها الإسلامية. «استقلالها» عن تاريخها وتراثها الإسلامى، و«استقلالها» عن المحيط العربى والإسلامى.. وبتعبير معاصر، بدأ الحديث عن «الحداثة الغربية» كحلول بديلة للحلول الإسلامية فى التجديد والتغيير.. وهى «حداثة» تقيم «قطيعة معرفية» مع الماضى والمحيط الإسلاميين!.. مع الخضوع للنفوذ الغربى والإلحاق بالنموذج الغربى، والتبنى للحلول الغربية فى التقدم والتحديث!..

ولقد تجسد هذا التوجه فى «وصية»

(١) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار جـ ٥ ص ... تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقى، السيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م

(٢) المصدر السابق جـ٥ ص٤

(٣) المصدر السابق جـ٥ ص١٣٤

(٤) المصدر السابق جـ٥ ص١٣٦

المعلم يعقوب ـ التي أملاها وهو على ظهر السفينة ـ التي أقلته مع الجيش الفرنسي المطرود من مصر ـ والتي توجه بها إلى إنجلترا ـ بعد قتل الفروة الفرنسية ـ فدعا إنجلترا إلى العمل على «استقلال» مصر عن محيطها الإسلامي ـ «العثماني يومئذ» ـ وإخضاعها للنفوذ الإنجليزي فقال: «توشك الإمبراطورية العثمانية على الانهيار، ولذا فَهم الإنجليز، قبل أن تقع الواقعة، أن يلتمسوا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الإفادة من ذلك الحدث عند وقوعه، فيحققوا مصالحهم السياسية. وإذا كان من المستحيل عليهم أن أن يستعمروا مصر ـ كما استحال ذلك من قبل على فرنسا ـ فيكفي أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا صاحبة التفوق في البحار المحيطة بها.. إن بريطانيا لها من سيادتها البحرية ما يجعلها تستأثر بتجارة مصر الخارجية، ويضمن لها بالتالي أن يكون لها ما تريد من نفوذ فيها.. إن مصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا. ومن ثم فعلى بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر. وهذا الاستقلال لن يكون نتيجة وعي الأمة، ولكنه سيكون نتيجة تغيير جبرى تفرضه القوة القاهرة على قوم مسالمين جهلاء!. وللدفاع عن هذا الاستقلال. فإن المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم يتراوح عددها بين ١٢,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ جندي، يكفون تماماً لصد الترك عند الصحراء ولسحق المماليك داخل مصر إن أي حكومة في العالم أفضل من الاستبداد التركي»[5].

تلك كانت بواكير الدعوة إلى «استقلال» مصر عن هويتها ومرجعيتها الإسلامية.. وعن محيطها الإسلامي والالتحاق ـ بدلا من ذلك بأوربا!..

أما رفقاء المعلم يعقوب ـ الذين وصلوا إلى ميناء «مرسيليا» ـ بعد موته على ظهر السفينة في عرض البحر ـ فلقد كتبوا إلى «بونابرت» ـ باسم «الوفد المصري» ـ ووكيله «نمر أفندي» ـ يعرضون خدماتهم. ومنها «الولاء لبونابرت». والتشريع لمصر التشريعات والنظم التي ترضى عنها فرنسا، معلنين بذلك ولادة التوجه الفكري الداعي إلى إلحاق مصر بأوربا في النظم والتشريعات. أي استبدال الحل الغربي بالحل الإسلامي.. فقالوا لبونابرت: «إن الوفد المصري، يبدي فرحه المصريون الباقون على ولائهم لك. سيشرع لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا»[6]؟!

بل إن هدف الإلحاق الحضاري لم يقف عند مصر.. فلقد تحدث «رواد» هذا الاتجاه عن أن في هذا الإلحاق مد لنفوذ فرنسا إلى أفريقيا وتحقيق لخطط وحلم لويس الرابع عشر [١٦٣٨ ـ ١٧١٥م] بضم الكنيسة الأثيوبية إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ـ فإلحاق مصر بفرنسا يضمون الاستعانة بعود كنيستها القبطية على الكنيسة الأثيوبية ـ فكتبوا إلى وزير الخارجية الفرنسي «تاليران» [١٧٥٤ ـ ١٨٣٨م] يقولون: «لقد كان لويس الرابع عشر يعمل في الظاهر على ضم كنيسة أثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية)، ولكنه كان يسعى في الحقيقة لمد نفوذه السياسي نحو أقاليم وسط أفريقيا الخيالية الغامضة. ومن ثم بذل عدة جهود ـ لم يقدر لها النجاح ـ لكي يتعلم في فرنسا عدد من شباب القبط المصريين؛ لأن بطريرك الأقباط هو نفسه رأس الكنيسة الأثيوبية. وإذا كان الملك قد أخفق في مسعاه، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم ـ إذا أرادت ـ يمكنها عن طريق الأمة المصرية. التي ستكون موالية لها، مد نفوذها نحو أواسط أفريقيا.. وبذلك تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية المطلقة الاستبدادية»[7].

فالمقاصد والغايات هي «استقلال مصر» عن هويتها الإسلامية وتاريخها الإسلامي ومحيطها العربي الإسلامي. وإحلال النظم والتشريعات الأوروبية فيها بدلا من النظم والتشريعات الإسلامية. وجعلها بوابة التبعية الفكرية التي تربط أفريقيا بالغرب تحقيقا للحلم الفرنسي القديم!

هكذا بدأت بواكير «الحل اللا إسلامي» وطلائع الحلول الغربية التي أخذت، منذ ذلك التاريخ، في مزاحمة الحلول الإسلامية لمشكلات الأمة في التقدم والتجديد والتغيير والتحديث.

(يتبع)

***

(5) د. محمد حسين الصاوي [المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة] ص ١٢٣ ـ ١٢٥ ـ ملحق رقم ١ ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦م.

(6) المرجع السابق ص ١٢١ ـ ١٢٣ ـ ملحق رقم ٧.

(7) المرجع السابق ص ١٢١، ١٢٢ ـ ملحق رقم ٨ ـ وتاريخ هذه المذكرة ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠١م ـ ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢١٦هـ.



عبد القادر الحسيني

شهيد معركة القسطل

تلك الشهادة فاهنأ أيها البطل ... بمثل عزمك تبنى مجدها الدول

أم من الجنة الخضراء تفتحها ... تلك النساء التي أهرقت والأسل(1)

المنتقون من الأبطال قد دخلوا ... والصاعدون من الأحرار قد وصلوا

ودّوا لحب الوغى لو أنهم رجعوا ... ليقتلوا مرة أخرى، كما قتلوا(2)

يعانقون ظباها، وهي هاوية ... كأنما الطعن في لباتهم قُبَلُ(3)

مستقتلون على أنهارها زمرا ... وفوق أرواحكم من خلدها ظلل(4)

والدوح يرقص والأنوار هائمة ... والطير تدنو، وتستعلي، وترتحل(5)

***

يا ابن الحسين! دموع الحزن جارية ... ونار في طوايا القلب تشتعل

على شبابك تبكي لوعة وأسى ... وإن بكى خسئاة الخلد ينتقل

شمس طوتها المنايا وهي مشرقة ... ضحى ولم يدن من آفاقها الطفل(6)

وزهرة من نضير الزهر ذات ندى ... لم يشبع الطل منه غصنها الخضل(7)

على ابتسامك والهيجاء عابسة ... والنار تصرخ، والأسياف تقتتل(8)

على اقتحامك والأبطال شاكية ... وللدماء على أبدانها سبل(9)

على إرادة مرهوب العزيمة، لا ... ريث إذا طمت البلوى، ولا عجل(10)

كأنها همة الإعصار جارفة ... ودفعة السيل، والعسالة الذبل(11)

إن يقتلوك فبالذل الذي شربوا ... من راحتيك وبالضيم الذي نهلوا(12)

ملأتهم بظلام الخوف فانطلقوا ... وفوق أعينهم من ليله سدل(13)

من لا تبادره بالسيف بادرة ... من نفسه القاتلان الحس والوجل(14)

لو لم يعنهم بنو التاميز ما حملوا ... رمحا ولا قاتلوا لو أنهم حملوا(15)

أحمى ما شهدته الأرض من أمم ... كأنهم من قرار الذل قد جبلوا(16)

للموت ما ولدوا، للقبر ما خلقوا، ... للخسر ما عملوا، للعيب ما سئلوا(17)

الآلقون على كفيك مصرعهم ... والتائهون، فلا سهل ولا جبل(18)

والكاذبون إذا أنطلكم صدقوا ... والقاتلون إذا شجعانكم عملوا

(*) مجلة الرسالة العدد ٧٧٤. والأستاذ أحمد مخيمر شاعر مجيد تخرج في دار العلوم وزاول التدريس زمناً وله عدة دواوين شعرية وملاحم جيدة توفي سنة ١٩٧٨م

(1) الأسل: الرماح

(2) الوغى: الحرب

(3) [illegible]

(4) [illegible]

(5) الدوح: الشجر العظام

(6) المنايا: الموت الطفل: دنو الغروب

(7) الخضل: الندي

(8) الهيجاء: الحرب

(9) شاكية: حاملة سلاح [illegible]

(10) ريث: مشهل طمت: غمرت وعمت

(11) العسالة الذبل: الرماح اللينة المهتزة

(12) نهلوا: شربوا

(13) سدل: ستر

(14) الوجل: الخوف

(15) بنو التاميز: الانجليز

(16) جبلوا: خلقوا

(17) [illegible]

(18) أي لا مكان يعصمهم

وجاشدون الوفا لا عتاد بها ... يوم تصدم، وحبير منهم رجل

نهم من خرب أغلال ومسكنة ... ودنة ونت لأسلاف والسعل

يا حامي القدس من كيد يراد به ... حلا العربي. ومات الضيغم البطل

أعماك عزمك عن نظو، وعن خطب ... فلم ترن ملمسات السيف ترتحل

أرسلتها كلمات منه دامية ... حمراء أدانها الأخلاد والقلل

بريقها وهي تهوي في مقاتلهم ... ملاعة خشيت لألاءها المقل

لو لم تكن بك قد هامت مضاربه ... منا عدا وله من حسرة ألم

يبكي فيابكي ولم تبرح مدامعه ... لد قضيت مع الباكين تنهمل

يرنو لشبلك محزونا ونائحة ... وراه تعشك ثكلى شفها الخبل[27]

قد أثقلتها المنايا فهي حاسرة ... بين الخدود. فلا خدر ولا كلل

لم يبق في قلبها التوديع من جلد ... إن الفراق بعيض ليس يحتمل

يا حامي القدس، دعهم يشمتون فما ... يستأخر العمر يوما إن دنا الأجل

في حومة المجد والأرماح مشرعة ... لقيت حتفك، والأبطال تنتعل[30]

فما حبيت على بأس، كما جثوا ... ولا خذلت على روع كما خذلوا

ولا أدرت وجوه الخيل مدبرة ... في الموقف الضنك من خوف وقد فعلوا[32]

وليس أشرف من موت حظيت به ... والنصر دان إلى عينيك مقتبل[33]

---

(١٩) الصنديد: [illegible]

[illegible]

(٢٣) الأخلاد: [illegible]

(٢٥) مضاربه: جمع مضرب [illegible]

[illegible]

(٢٩) جلد: صبر.

[illegible]

(٣٣) حظيت به: ظفرت به. دان: قريب.

(٢٠) [illegible]

(٢٢) ترتحل: [illegible]

[illegible]

(٢٦) تنهمل: تسيل.

(٢٨) حاسرة: سافرة كاشفة [illegible]

(٣٠) حتفك: هلاكك. تنتعل: [illegible]

(٣٢) الضنك: الضيق [illegible]

ونقع فوق رءوس القوم ينقله ... من الدماء التي أهرقتها بلل[34]

وللكماة على أسلابهم فرح ... وللسيوف على أشلائهم زجل[35]

وراية الغرب تستعلي ورايتهم ... ممزق جانبيها العار والخجل

[illegible] تحيات يرددها ... ما أشرق الصبح أو ما ابيضت الأصل[37]

***

عاصرت في الشرف الأعلى فقرت به ... وجاذباك إليه الحب والأمل[36]

ونلت في حومة الهيجاء ما طمحت ... يوما إلى مثله [illegible]

حبات عسجد إلى لقياك طامنة ... والسابقون لدار الخلد [illegible]

من لؤلؤ قصرك الثاوي على شرف ... يرف في ساحتيه البشر والجذل

والماء من ربوات الخلد يدفعه ... لظله الأسد المدحور والأزل

والظل بالماء في الشطآن مقترن ... والماء بالقصر دون الظل متصل

وللملائك تسبيح وهينمة ... كما ترنم شاد [illegible] زجل

فانعم بخلدك في أبهائه فرحا ... إن الخلود جزاء أيها البطل

***

---

(٣٤) النقع: الغبار. أهرقتها: [illegible]

(٣٦) الأصل: جمع أصيل وهو الوقت المعروف.

(٣٨) الهيجاء: الحرب. طمحت: تطلعت.

(٤٠) ربوات: جمع ربوة وهي المكان المرتفع [illegible]

(٤١) [illegible]

[illegible]

[illegible]

(٣٩) شرف: مكان عال.

تركيـــا والأزمــــة الكرديــــة

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

يرى الزعيم العلماني «مصطفى كمال أتاتورك» أن وحدة الوطن الذى حارب من أجله المحاربون، هى أمانة فى عنق الشعب التركى، الذى لا يرضى بالتجزئة أو التقسيم. ومن هنا تقف الدولة التركية ضد حركة حزب العمال الكردستانى الذى يطالب بفصل الجنوب الشرقى من تركيا لتأليف كيان مستقل يضم الأقلية الكردية، وقد بدأت الحركة الكردية التركية كفاحها المسلح من أجل هذا الهدف، اعتبارا من ١٥ أغسطس ١٩٨٤ تحت قيادة الزعيم الكردى «عبدالله أوجلان» رئيس حزب العمال الكردستانى، الذى يقضى حاليا عقوبة السجن مدى الحياة منذ عام ١٩٩٩ بتهمة الخيانة، إلا أن هذا لم يمنع عناصر مقاتلى هذا الحزب الكردى، التى تقدر بحوالى ٣٥٠٠ مقاتل من اتخاذ شمال العراق منطلقا لتنفيذ هجمات عسكرية فى العمق التركى ضد أهداف عسكرية ومدنية. كان آخرها عملية أسفرت عن مقتل ١٢ جنديا تركيا، وأسر ٨ آخرين، وذلك فى الحادى والعشرين من أكتوبر ٢٠٠٧، وهو ما دفع البرلمان التركى إلى الموافقة على منح الجيش التركى الحق فى القيام بعمليات عسكرية فى الشمال العراقى، حيث توجد معسكرات مواقع حزب العمال الكردستانى ـ إذا ما اقتضت الضرورة ذلك

وعلى الرغم من تراجع «عبدالله أوجلان» زعيم الحزب الكردستانى، بعد اعتقاله عام ١٩٩٩ عن فكرة الدولة الكردية، والاكتفاء بحكم ذاتى للأكراد، فإن هذه الدعوة فهمتها السلطات التركية على أنها ضد مبادىء «أتاتورك» واعتبرتها مقدمة للانفصال الكامل عن تركيا الوطن الأم. ومن هنا بادرت الحكومة التركية بتوقيع أكبر اتفاقية أمنية عسكرية مع حكومة البعث العراقى فى عهد صدام حسين، يحق بموجبها للجيش التركى إرسال جنوده داخل أراضى كردستان، شمال العراق، مسافة عشرات الكيلومترات لمطاردة عناصر مقاتلى حزب العمال الكردستانى التركى، وبالفعل نفذ الجيش التركى نحو ٢٤ عملية عسكرية فى الشمال العراقى.

واللافت أنه منذ تأسيس هذا الحزب فى الثمانينيات من القرن العشرين، وهو يرفع شعار استقلال أكراد العراق، وأخذ يخوض حربا ضارية ضد الحكومات التركية المتعاقبة، وكلفه ذلك أكثر من ثلاثين ألف قتيل وعشرات آلاف الجرحى. وتدمير ما يقرب من أربعين ألف قرية. وتشريد مليونى شخص من مناطق سكنهم، واضطرارهم إلى الرحيل إلى أطراف المدن التركية حيث سكنوا فى بيوت من صفيح. والحقيقة أنه لأول مرة يعترف الجنرالات الأتراك، الذين حاربوا حزب العمل الكردستانى على مدى ٢٤ عاما منذ ١٥ أغسطس ١٩٨٤، حين أعلن الحزب كفاحه المسلح، بأخطائهم التى ارتكبوها فى حق أكراد تركيا، فقد أجرت صحيفة «ملليت» التركية حوارات مع جنرالات متقاعدين، ابتداء من «كنعان إفرين» قائد الانقلاب العسكرى فى ١٢ سبتمبر ١٩٨٠، وانتهاء بالقائد السابق لهيئة الأركان «حلمى أوسكوك»، تحت عنوان «الجنرالات الذى أمضوا ٢٤ سنة مع حزب العمال الكردستانى» فيقول «كنعان إفرين»: «إن الخطأ الذى وقعنا فيه بعد الانقلاب فى ١٢ سبتمبر ١٩٨٠، هو حظرنا اللغة الكردية، فى كل مرافق الدولة. فحين كنت رئيسا للدولة قمت بزيارة إحدى مدارس الابتدائية، فى إحدى قرى جنوب شرقى البلاد. ودخلت كفصل. وطلبت من أحد الأطفال الأكراد، القراءة، غير أنه لم يستطع واندهشت كيف وصل الطفل إلى الصف الرابع، ولا يعرف القراءة بالتركية؟! وعرفت أن المدرس كردى، ويعلم الأطفال الأكراد باللغة الكردية وحال عودتى من هناك أصدرت قرارى بحظر التكلم بالكردية وعرفت الآن، أن ذلك كان خاطئا، وهكذا أقر الرئيس الأسبق «كنعان إفرين» بأحقية أكراد تركيا بأن تكون لهم لغتهم الخاصة بهم واعترف بخطئه عندما أصدر قراره بحظر التكلم بالكردية فى المدارس الكردية.

وحول جدوى الاجتياح العسكرى التركى المتوقع لكردستان فى شمال العراق، لضرب قواعد عناصر حزب العمال الكردستانى، صرح القائد السابق

نهيئة الأركان التركية «حلمى أوسكوك» قائلا: «يظنون أنهم بحملة تمشيط واسعة النطاق فى شمال العراق، سينجزون المهمة لا، لن يستطيعوا فعل ذلك لماذا؟ لأننا فى السابق قمنا بحملات تمشيطية عدة. إن مقاتلى الأكراد يمتلكون خبرة وعمقا استراتيجيا، وهم دائمو الحركة. ولديهم «حقيبة» تحتوى كل حاجاتهم، يضعونها على ظهورهم، ويقطعون أكثر من ٢٠٠ كيلومتر سيرا على الأقدام، فى شكل متواصل. فلا مكان ثابت لتوقيفهم أو تدريبهم. فإذا كانت الحال هذه، فأين منتجه، هكذا يعترف القائد السابق لهيئة الأركان التركية بصعوبة تعقب عناصر مقاتلى حزب العمال الكردستانى واستحالة القضاء عليهم بالقوة المسلحة.

وفى هذا السياق يقول الفريق أول «يشار بويوك أنيت» الذى كان فى عام ١٩٩٨ قائد الجيش الثانى فى المؤسسة العسكرية التركية، وظل حتى عام ٢٠٠٢ قائدا للقوات البرية: «إن حزب العمال الكردستانى ظهر نتيجة للمسألة الكردية فى تركيا، ولأنهم أنكروا كلا من الشعب الكردى، والمسألة الكردية ولم يقوموا بحلها، وصلت تركيا إلى ما هى عليه الآن. ويذكر «بويوك» كيفية إنكارهم للشعب الكردى فى السبعينيات فيقول: «كان الأكراد يريدون فقط أن يتحدثوا بلغتهم الأم، والاستماع لأغانيهم، وإحياء ثقافتهم، وكنا نعتبر مطالبهم الاجتماعية رغبة فى الانفصال، وهذا اعتراف صريح من قائد أركان تركى سابق بأن سبب الأزمة الكردية التركية هو إنكار السلطات التركية للشعب الكردى والمسألة الكردية، وماذا يضير أن يتحدث أكراد تركيا باللغة الكردية إلى جانب التركية، ما دام ذلك يعمل على إيجاد نوع من الحل للقضية والأزمة الكردية.

وفى هذا الإطار يذكر المحلل السياسى «هوشنك أوسى» فى مقال بجريدة الحياة (١٣/ ١١/ ٢٠٠٧): إن «كنعان إفرين» فجر قنبلة فى الأشهر الماضية فى لقاء تليفزيونى على إحدى القنوات التركية حينما قال: «إن مصير تركيا هو النظام الفيدرالى، وأن لا مناص أمامها سوى التخلى عن النظام المركزى، والتحول إلى «فيدراليات» وهو ما جعله عرضة لحملة إعلامية تركية واسعة النطاق، واتهامه حتى بالخيانة، وتبنيه لأطروحات وأفكار «عبدالله أوجلان» حول طبيعة الحكم فى تركيا».

ومن جانب آخر، بادر رئيس حكومة كردستان «نيجيرفان بارزانى» بعد عودته من الولايات المتحدة إلى طرح أفكار حيوية حل الأزمة الكردية التركية، وكان سباقا إلى إغلاق مكاتب حزب العمال الكردستانى فى أربيل ودهوك والسليمانية كما بذل جهودا كبيرة على سبيل إطلاق سراح الجنود الأتراك الثمانية الذين أسرهم حزب العمال الكردستانى فى عمليته العسكرية فى ٢١ أكتوبر ٢٠٠٧، وطالبه بوقف نشاطاته العسكرية ضد الدولة التركية. وقد نشرت حكومة كردستان العراق، شبكة واسعة من نقاط للتفتيش والسيطرة العسكرية على الطرق المؤدية إلى جبال قنديل وخواركورك لمنع وصول الأسلحة والإمدادات إلى عناصر مقاتلى حزب العمال الكردستانى.

وفى هذا السياق يرى بعض المراقبين أن ثمة عوامل ثلاثة لها تأثير عميق فى التحول الجارى فى سياسة تركيا الإقليمية إزاء الأزمة الكردية.

الأول: قلق تركيا من قيام إقليم كردستان العراق بالتوقيع على سبعة عقود للتنقيب عن النفط فى المنطقة الخاضعة لسيطرتها مع شركات أجنبية دون الرجوع إلى حكومة بغداد المركزية. وهو ما تعتبره تركيا اتجاها متصاعدا لدى حكومة كردستان العراق للانفصال عن الحكومة المركزية فى بغداد العاصمة وهو ما تخشاه تركيا من أن يقوم أكرادها فى جنوب شرقى البلاد بتبنى النموذج الكردستانى العراقى، والانفصال عن الدولة التركية.

والثانى: هو مخاوف أنقرة من تنامى الدور الإيرانى فى العراق إلى جانب مشروعها النووى الذى يداعب تطلعات شعوب المنطقة، وهو ما قد يكون فى نظر تركيا مدعاة للتمسك بضرورة اجتياحها للشمال العراقى والبقاء فى بعض المواقع لتحقيق قدر من التوازن مع النفوذ الإيرانى المتصاعد فى العراق.

والثالث: خشية الأتراك من أن تكون واشنطن عازمة على استخدام حزب العمال الكردستانى كورقة ضاغطة على تركيا بالعمل على ترسيخ وجود هذا الحزب فى شمال العراق ليكون سيفا مسلطا على الرقبة التركية، خصوصا أن الجنرال الأمريكى «تومى فرانكس» ـ الذى قاد الحرب على العراق ـ أقسم أن يدفع قادة تركيا الثمن غاليا، حين رفضوا إنزال الفرقة الرابعة الأمريكية فى أراضيهم قبل الحرب الأمريكية على العراق بأيام قليلة. وهو يفسر رفض القوات الأمريكية فى البداية طرد مقاتلى حزب العمال الكردستانى من شمال العراق.

وعلى الجانب الآخر سارع «حزب المجتمع الديمقراطى» الجناح السياسى

حزب العمال الكردستاني والذى له مجموعة برلمانية مكونة من ٢٢ عضوا فى البرلمان التركى – إلى الإعلان عن «خريطة طريق» لإغلاق الملف الكردى فى تركيا، وذلك برفع سقف مطالبه من «مطالب ثقافية» إلى ما يقارب الحكم الذاتى من خلال تقسيم تركيا «إداريا» إلى محافظات، وإقرار ذلك فى الدستور الجديد. وتحت هذا السقف، الذى وضعه هذا الحزب الكردى الوليد منذ عام ٢٠٠٦، سيبدأ التفاوض السياسى داخليا حول المقابل الذى سيتخلى من أجله حزب العمال الكردستانى التركى عن سلاحه ومن المعروف أن «حزب المجتمع الديمقراطى» الكردى هو الحزب الذى رفض بشدة اتجاه الحكومة التركية للقيام بعمليات عسكرية ضد حزب العمال الكردستانى، كما أنه رفض اعتبار هذا الحزب الكردستانى «منظمة إرهابية» كما تصفه تركيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى الذى رفع الادعاء العام التركى دعوى إلى المحكمة الدستورية التركية يطالب فيه هذه المحكمة باصدار قرارها بحظر نشاط «حزب المجتمع الديمقراطى» الوجه السياسى لحزب العمال الكردستانى. لقد استنكر زعيم الحزب السياسى «نورالدين دميرطاش» الدعوة **المرفوعة من النيابة العامة بحظر نشاط** الحزب قائلا: «إن ذلك يتنافى مع مبادئ الديمقراطية التى تتغنى بها تركيا».

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا السياق هو «ترى ماذا يمثل حظر نشاط حزب المجتمع الديمقراطى الكردى فى حال إقرار المحكمة الدستورية بذلك؟» ويرى محللون أنه لو تم حظر نشاط هذا الحزب الكردى فإن ذلك سيؤدى إلى تفاقم الأزمة الكردية ويعكس فى الوقت نفسه ردة فى مسيرة الحياة الديمقراطية التركية، وانتهاك لها.

وفى إطار السعى إلى إيجاد حل للأزمة الكردية التركية، عادت واشنطن – لأهداف تراها – إلى طرح عرضها القديم بإنهاء حزب العمال الكردستانى، الذى شكل الحجة الكبرى لتدخل تركيا فى شمال العراق. فقد كان «جلال طلبانى» زعيم الاتحاد الوطنى الكردستانى قد طرح عام ٢٠٠٢ مشروع صفقة، على أنقرة، بدعم أمريكى وأوروبى، يقضى بإعطاء قيادات حزب العمال الكردستانى لجوءا سياسيا فى السويد، وعودة بقية عناصر الحزب، صغار السن الذين لم يشاركوا فى القتال، إلى تركيا فى مقابل عفو عنهم، وأن يسلموا سلاحهم إلى الإدارة الكردية فى شمال العراق. لكن الحاح العسكرى **فى مجلس الأمن التركى، رفض العرض** الذى أبدت الاستخبارات والحكومة التركية استعدادهما لقبوله. لكن يبدو أن الجيش التركى لا يريد إغلاق الملف الكردى، حتى يمكن من خلاله، أن يضبط تطورات اقليم كردستان العراق. ويمنع التحضير لقيام «دولة كردية» فيه عبر الوجود العسكرى التركى المستمر على حدوده، بحجة مراقبة حزب العمال الكردستانى المتمركز هناك. وقد تعمد الجنرال «يشاربيوك أنيت» قائد الأركان التركى أن يحول أنظار الأتراك إلى شمال العراق فيقول: «إن الحل الوحيد للأكراد يقطع دابر هجمات حزب العمال الكردستانى المتواترة ضد تركيا، يكمن فى دخول شمال العراق للقضاء على معسكرات الحزب هناك» وجاء هذا التصريح ليقطع الطريق على محاولات كانت تجرى سرا بين أنقرة وأربيل للتصدى لحزب العمال الكردستانى والحديث عن مستقبل العلاقات بين تركيا وكردستان العراق، خصوصا أن أنقرة ترفض الاعتراف بفيدرالية شمال العراق. كما أن اقتراح الجيش التركى دخول شمال العراق، كان هدفه إحراج الحكومة التركية التى تفضل التنسيق مع واشنطن وأربيل عاصمة إقليم كردستان، حتى لا **تخسر صديقا وحليفا مهما كواشنطن**

وإذا عدنا إلى الهجوم غير المسبوق من جانب عناصر حزب العمال الكردستانى فى الحادى عشر من أكتوبر ٢٠٠٧ ضد القوات التركية الذى راح ضحيته ١٢ جندى تركيا، وأسر ٨ آخرين نجد أن هذه العملية العسكرية وضعت تركيا أمام خيارين مؤلمين

الأول: وقوف تركيا مكتوفة اليدين، منتظرة من حليفها الأمريكى التحرك لإنقاذها من هذا المأزق الذى وضع أنقرة فى حرج من أمرها.

والثانى: أن تدخل تركيا شمال العراق فى مغامرة غير محسوبة، قد لا تؤدى بالتأكيد إلى القضاء على حزب العمال الكردستانى، بل قد تفجر صراعا تركيا كرديا فى المنطقة، لا يعلم مداه إلا الله.

ومن هنا جاءت تصريحات رئيس الوزراء التركى «رجب طيب أردوغان» يوم الجمعة ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٧، تحمل الإجابة الشافية حيث قال فى معرض تصريحاته للصحفيين: «تعلمون أننا حصلنا من البرلمان على «رخصة» فى ١٧ أكتوبر ٢٠٠٧، تخول إعطاء الجيش صلاحية القيام بتدخل عسكرى، خارج الحدود التركية. وفى ٢٤ من نفس الشهر بعثنا

«رسالة خطية» إلى رئاسة الأركان العامة للاطلاع على آخر حساباتهم بخصوص العمليات العسكرية ضد حزب «العمال الكردستاني»، فأبلغونا بدورهم برسالة بعثوها إلينا في أول نوفمبر الماضي، وفي أعقاب اجتماع مجلس الوزراء، عقد يوم الأربعاء ٢٨ نوفمبر، منحنا تخويلا بمصادقة رئيس الجمهورية، للقوات المسلحة، للقيام بالعملية خارج الحدود، وهكذا منح البرلمان التركي، الجيش التركي رخصة اجتياز شمال العراق. وكأنه أمر مباح دوليا انتهاك سيادة دولة أخرى بحجة الدفاع عن النفس.

ومن ناحية أخرى أعلن الرئيس الأمريكي «جورج بوش» في الخامس من نوفمبر ٢٠٠٧ عقب لقائه رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» في واشنطن أن حزب العمال الكردستاني يمثل «عدوا مشتركا» لكل من أمريكا وتركيا، ومن ثم قامت الإدارة الأمريكية بممارسة ضغوط مكثفة على حكومة بغداد المركزية، وحكومة إقليم كردستان بضرورة وقف الدعم لمقاتلي حزب العمال الكردستاني. الشيء المهم في هذا الشأن، هو الاتفاق الأمريكي ـ التركي على تشكيل آلية ثلاثية مؤلفة من نائب رئيس الأركان الأمريكي الجنرال «جيمس كارترايت»، وقائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال «ديفيد بترايوس»، والجنرال التركي «أرغين سايغون» لتنسيق المواقف العسكرية بين الجانبين، وتزويد تركيا بالمعلومات الاستخباراتية ضد متمردي حزب العمال الكردستاني في شمال العراق ويرى المراقبون العسكريون أن الدلائل تشير إلى أن العمليات العسكرية، التي سيقوم بها الجيش التركي يصعب توسيع نطاقها على الأقل في الوقت الحالي، وستظل على نحو خاص، مقصورة على الضربات الجوية. وإزاء تحركات عناصر مقاتلي حزب العمال الكردستاني التركي، دون اللجوء إلى عملية توغل بري في شمال العراق.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن الاتفاق الذي أبرم بين الرئيس «جورج بوش»، ورئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» في الخامس من نوفمبر ٢٠٠٧، في واشنطن، أشار إلى أنه في حال قيام تركيا بأية عملية عسكرية في شمال العراق، يتوجب فيها، تفادي ضرب أي مواقع أمريكية، أو للبيشمركة الكردية، التي تمثل جيش إقليم كردستان ولا ضرر من أن تلجأ قيادات حزب العمال الكردستاني التركي إلى الدول الاسكندنافية، أو أن يبقوا في شمال العراق لكن تحت مسمى آخر، وهو «حزب بيجاك» الذي سيتمدد في هجماته ضد إيران. واللافت أنه في ضوء الإجراءات التي اتخذتها حكومة كردستان العراق لوقف نشاط المتمردين الأكراد في شمال العراق، قال «نيجيرفان بارزاني» رئيس حكومة كردستان العراق: «اتخذنا إجراءات في المطارات، لمنعهم من السفر عبرها، وزيادة المراقبة على «مخيم مخمور» ـ الذي يضم عائلات كردية تركية، تشرف عليه الأمم المتحدة، ويقع جنوب أربيل ـ لمنعهم من التنقل، وتشديد الإجراءات في نقاط التفتيش للحيلولة دون وصول الإمدادات إليهم» ومن اللافت للانتباه أنه يوجد في إقليم كردستان العراق، مطاران رئيسيان، أحدهما في أربيل العاصمة، والآخر في السليمانية.

وفي الختام يمكن القول بإن الأزمة الكردية التركية، ربما تظل تراوح مكانها بدون حل في المدى القريب، فقد أعلن «جميل بايك» القيادي في حزب العمال الكردستاني، رفضه عرض رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» بالتخلي عن السلاح، وحل القضية الكردية في البرلمان. فقال «بايك» في حديث إلى «وكالة دجلة» الكردية: «إن العرض يهدف إلى تصفية حركة التحرير الكردية في المنطقة، وهذا لن يحصل أبدا» غير أن حزب العمال الكردستاني عرض مؤخرا استعداده لإلقاء سلاحه، ووقف إطلاق النار، في مقابل إعلان أنقرة، العفو العام عن مقاتلي الحزب، والاعتراف بالهوية الكردية، واللغة الكردية إلى جانب اللغة التركية، والإفراج عن جميع قيادات الحزب في السجون التركية، والسماح لهم بالمشاركة في الحياة السياسية. لكن يبدو أن تركيا عازمة على تصفية حزب العمال الكردستاني، في حال رفضه إلقاء السلاح ووقف إطلاق النار. فقد أكد الرئيس التركي «عبد الله جول» مجددا، استعداد تركيا، وحقها في التدخل في شمال العراق.

***

الماســـــــــونية
حكومـــة العالـــم الخفيـــة

للدكتور/ محمد حسن عبد [illegible]
باحث في الدراسات الإسرائيلية

يروج صهاينة اليهود لمجموعة من الأساطير التى يتفردوا بها عن سائر شعوب العالم قاطبة. بدءا بشعب الله المختار. ومرورا بنقاء اليهود العرقى والحضارى وعدم اختلاطهم بالشعوب. وفكرة المسيح المنتظر الذى سيخلص اليهود من الشتات عبر السنين.

وغيرها من مزاعم. فاليهود كانوا دائما أقليات متفرقة لا يربطها رباط حضارى واحد فنراهم قد تأثروا بعديد من الحضارات والشعوب وتزاوجوا مع غيرهم من الشعوب.

وتفضح هذه المزاعم نظرة واحدة إلى مختلف الأقليات العرقية اليهودية في إسرائيل، فيهود الغرب «الأشكناز» الشقر لا ينتمون إلى يهود «الفلاشا» أو حتى يهود المشرق الإسلامي، وكذلك أسطورة النقاء الحضارى، فقد تأثروا بالمسيحية والإسلام عبر مراحل التاريخ اليهودى وحتى الحديث منه وهذا كلام موسى بن ميمون أهم مفكر ديني عندهم

منظمـــة يهوديـــة

وقد بذلت الصهيونية قصارى جهدها واستغلت كل الطرق لهدف كانت تسعى إليه وهو حتمية إنشاء دولة صهيونية مستقلة.

وبعد احتلال الأرض وإقامة الدولة العبرية التى لا حدود لها أجمع حكامها بأن كل ما تحتله إسرائيل من أراض وتحافظ عليه يدخل ضمن حدودها!

وظن العرب والعالم أن ما فعلته ــرائيل هو نهاية المطاف، ولكن اتضح ن الصهيونية تسعى لما هو أبعد من هذا، بها تسعى لاحتلال العالم أجمع تحت حكومة صهيونية واحدة وقد سعوا لتحقيق هذا الهدف، وكان التلمود بداية الطريق والماسونية تكملة له.

والماسونية. منظمة سرية يهودية ظهرت قبل الميلاد ولا تزال تمارس نشاطها حتى الآن واستطاعت استقطاب الكثير إلى صفوفها وهناك أكثر من ستة آلاف محفل ماسونى فى العالم تخضع لإشراف المحفل الماسونى الأعظم فى إنجلترا.

القـــوة الخفيـــة

وقد أسس اليهود الماسونية اليهودية سنة ٤٣م. وأطلقوا عليها «القوة الخفية» وقد اعتز الملك «هيرودس» بوزيره «حيرام» وقال لجماعته بأن «حيرام» أول من عرض فكرة تأسيس هذه الجمعية. وشكل الملك الجمعية ونصب نفسه رئيسا و«حيرام» نائبا و«مواب» كاتم سر وستة أعضاء مؤسسين وذلك فى شهر يونيو سنة ٤٣م.

وقد هاجم الملك «هيرودس» المسيح- عليه السلام- فى أول خطبة له وأنه ليس المسيح المنتظر اليهودى والذى يحتفظ اليهود بعلامات عينه وردت فى التوراة كما يدعون.

وغاية الماسونية العالمية هى إقامة أو إعادة بناء هيكل سليمان واعتلاء ملكهم أو مسيحهم المنتظر كى يحكموا العالم بواسطة ذلك المسيح المزعوم والذى من أجله أنشئت الماسونية ويترأسها ويديرها مجلس الثلاثمائة أو نادى الثلاثمائة.

إذن فالماسونية بنيت على بعض التقاليد الإسرائيلية الواردة فى التوراة وتؤكد دوائر المعارف على أن الماسونية هى مؤسسة بشرية يكون أعضاؤها جمعية سرية.

وقد نجح الماسون اليهود فى اختراق المسيحية منذ نشأتها وأضفوا عليها نظامهم الكهنوتى من الأسرار والألقاب والملابس والصلوات.

الهيكـل وشـعار الأفـعى!!

ويقولون إن نشأة الماسونية كانت فى هيكل سليمان، وأنها تسعى لإعادة بنائه للمرة الثالثة. وأن الطقوس الماسونية مستمدة من التوراة. والماسونية فى فكرهم بديل عن الدين والمشاحنات بين الأديان.

ويقول حنا أبو راشد عميد الماسونية فى الشرق «إنها يهودية فى بعض طقوسها، وإنها مسيحية لأنها تدعو إلى

الحبة وإنها إسلامية لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر».

ويقول يوسف خاج في كتابه «في سبيل الحق، هيكل سليمان» الذي اعتلى أرقى المناصب الماسونية ثم هداه الله وعاد إلى رشده وكتب كتابه وفيه فضح الماسونية وسبر غورها - «الأسماء الواردة في الدرجات الرمزية كلها يهودية حتى شعار الأفعى فهو رمز لقصة سيدنا موسى «عليه السلام» وجميع النقوش الموجودة في المحافل الماسونية لها جذور يهودية وهدفها هو إعادة بناء الهيكل السليماني المزعوم وإعادة مملكة بني إسرائيل إلى الوجود».

ودرجات الماسونية الثلاث والثلاثون يهودية صهيونية واللون الأزرق الذي اتخذته الماسونية هو راية إسرائيل والنجمة السداسية نجمة إسرائيل وللقاعة مواصفات خاصة وكل عضو له مكانه المحدد سلفا للجلوس في القاعة وهناك مراسم خاصة لتنصيب عضو جديد وقد أدى اختراق الماسونية للمسيحية وإدخال صلواتهم في الكنائس والكاتدرائيات سخط البعض واستياءهم وكما ينتقل العضو من درجة إلى درجة أعلى. عليه المرور بعدة اختبارات وطقوس خاصة جدا يلقن خلالها ببعض الأسرار الخاصة بالجماعة.

ومما لاشك فيه فإن الماسونية تجذب عددا كبيرا من يهود الطبقة المتوسطة في البلاد الرأسمالية الذين يودون الهرب من ديانتهم القومية إلى دين جديد رحب. وهم يجدون في الماسونية ضالتهم المنشودة، إذ أنها أشبه «بالدين الطبيعي» الذي يحاول أن يصل إلى فكرة الألوهية والخلود من خلال التأمل الفردي دونما حاجة إلى وحي إلهي منزل أو كتب مقدسة وهذا «الدين الطبيعي» هو حلم مفكري عصر الاستنارة البورجوازية أمثال فولتير وروسو.

وقد اعترفت اليهودية صراحة بصبغ الماسونية بالروح اليهودية، ففي كتاب «الحقيقة الإسرائيلية» المطبوع سنة ١٨٩١م «الروح الماسونية هي نفسها الروح اليهودية لا اختلاف في معتقداتهم الأساسية».

الولايات المتحدة.. مركز الماسونية

وقد رأى اليهود أن يجعلوا مركز الماسونية الأعلى في الولايات المتحدة الأمريكية فسيطرت على سياستها الداخلية والخارجية وصار رؤساء الولايات المتحدة وكبار رجالات السياسة والإدارة والحرب خاضعين لنفوذ الماسونيين ومن سولت له نفسه أن يشذ فمصيره تشويه السمعة أو القتل.

ومن أقدم الكتب في الماسونية «كتاب القوانين» للدكتور «جيمس أندرسون» طبع في لندن ١٧٢٣م. والمعروف والثابت أن جيمس يهودي سواء أكانت يهوديته أصلية أم تهود، ويزعم في هذا الكتاب أن الأستاذ الأكبر للماسونية هو موسى - عليه السلام- وهو الذي أنشأ المحفل الماسوني ونظم صفوف الإسرائيليين ووحدهم في محفل ماسوني منظم عندما كان في التيه.

وأعاد طبع كتابه ١٧٣٨ وأهداه إلى الأمير ويلز بصفته كبير الماسونيين.

وطوال القرن التاسع عشر عملت اليهودية جاهدة على أن تطوى محافل الماسونية في العلم وتحولت إلى مؤسسة يهودية خالصة وانتزعوها من المسيحيين انتزاعا

وقد نال درجة ثلاثة وثلاثون من الطبقة الثانية «الماسونية الملوكية» كل من: تشرشل، بلفور، ترومان

وما ينال هذه الدرجة إلا كل من خرج على وطنه و أمته وأخلص لليهودية.

ومن الماسونية الكونية: «هرتزل» مؤسس الصهيونية.

وما يزال العرب اليوم الأمة الوحيدة في العالم التي تقاوم الماسونية وتجاهد في إصرار وعناد. وإن كانوا قد استيقظوا سياسيا فإنهم لم يفطنوا بعد لكل أساليب الماسونية التي أفسدت الأخلاق وأضعفت صوت الدين في العالم العربي والإسلامي. أما المسيحية فلم تعد قادرة على الحماية والحراسة والإتقان لأن اليهود أفرغوها من محتواها الإلهي.

تساؤلات مهمة

ولم ينس اليهود هيكلهم الذي دمره البابليون «العراقيون»، وهذا هو سر عداء إسرائيل الحالي لهم بسبب تدمير الهيكل؟

هل ما يحدث في العراق اليوم للماسونية يد فيه؟

هل السبي البابلي لليهود ٧٢٢ق.م تحول إلى انتقام لبابل ومن فيها؟

سؤال سنجيب عنه الأيام

***

طرائف .. ومواقف

دخل الزهري على الوليد بن عبدالملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال الزهري: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات.

قال الزهري: هذا باطل يا أمير المؤمنين، أنبي خليفة أكرم على الله، أم خليفة غير نبي؟ قال: بل خليفة نبي. قال الزهري: فإن الله يقول لنبيه داود

(ص ٢٦)

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟! قال أمير المؤمنين: إن الناس ليغروننا عن ديننا.

الحسد: تمني زوال نعمة المحسود وحصول الحاسد على مثلها. ومن أحسن ما قيل فيه من الشعر قول الشاعر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم
غيري من الناس أهل الفضل قد حُسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

وقال شاعر آخر:

اصبر على حسد الحسود
فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

دخل محمد بن واسع على بعض الأمراء فقال: أتيتك في حاجة فإن شئت قضيتها وكنا كريمين، وإن شئت لم تقضها وكنا لئيمين. وإن قضيتها كنت أنت كريماً بقضائها، وكنت أنا كريماً بسؤالك إياها، لأني وضعت الطلبة في موضعها، فإن لم تقضها كنت أنت لئيماً بمنعك، وكنت أنا لئيماً بسوء اختياري لك، فأخذ أبو تمام هذا المعنى وقال:

عياش إنك للئيم وإنني
مذ صرت موضع مطلبي للئيم

قال: ما حاجتك أبا عبدالله؟ قال: أن يكتب إلى أبي موسى بن عبدالملك في تعجيل أرزاقه. فأجابه إلى طلبه. فأنشد سوار يقول:

فبابك أيمن أبوابهم
ودارك مأهولة عامرة
وكفك حين ترى المجتدين أندى من الليلة الماطرة

قال معاوية لأبي الجهم العدوي: أنا أكبر أم أنت؟ فأجابه: لقد أكلت في عرس أمك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: عند أي أزواجها؟ قال عند حفص بن المغيرة.

فقال معاوية: يا أبا الجهم إياك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الأسد.

وأبو الجهم هذا هو الذي قال في معاوية:

نميل على جوانبه كأنا
إذا ملنا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه
فنخبر منهما كرماً ولينا

● وقدم عقبة الأزدي على معاوية ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات:

معاوي إننا بشر فأسجح
فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتموها
فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع بالخلود إذا هلكنا
وليس لنا ولا لك من خلود
فهبها أمة هلكت ضياعاً
يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعا به معاوية وقال: ما جرأك علي؟ قال: نصحتك إذ غشوك وصدقتك إذ كذبوك. فقال له معاوية: ما أظنك إلا صادقاً وقضى حاجته.

قام رجل إلى عمرو بن العاص والي مصر وهو يخطب يوم الجمعة، وقال له: يا أيها الأمير من أمك؟ فأجابه عمرو قائلاً: هي النابغة بنت عبدالله أصابتها رماح العرب. فبيعت بعكاظ، فاشتراها عبدالله بن جدعان للعاص بن وائل، فولدت فأنجبت! فإن كانوا جعلوا لك شيئاً فخذه!.

وقام رجل إلى هارون الرشيد وهو يخطب بمكة فقال:

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٣)

فأمر به فضرب مائة صوت، فبات هذا الرجل يئن الليل كله من ألم الضرب وهو يقول: الموت الموت!. فأخبر بذلك أمير المؤمنين هارون وقيل له إنه رجل صالح. فأرسل إليه يعتذر إليه ويستحله، فأحله.

قال الأحنف بن قيس: خير الإخوان من إن استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإن كوثرت عضدك، وإن استرفدت رفدك.

وأنشد:

أخوك الذي إن تدعه لملمة
يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

ولما صارت الخلافة إلى المنصور كتب إليه رجل من إخوانه كتاباً فيه هذه الأبيات:

إنا بطانتك الألى
كنا نكابد ما نكابد
ونرى فنعرف بالعدا
وة والبعاد لمن تباعد
ونبيت من شفق عليك
رعية ونبيل هاجد

فوقع أبو جعفر على الكتاب: صدقت، ودعا به فألحقه بحرسه

روى عن الحسين بن علي -رضي الله عنهما- أن شاعراً مدحه فأجزل ثوابه، فلامه بعض أصحابه على ذلك فقال:

«أتراني خفت أن يقول: لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله، ولا ابن علي بن أبي طالب؟ ولكني خفت أن يقول: لست كرسول الله ﷺ، ولا كعلي -رضي الله عنه- فيصدق ويحمل عنه، ويبقى مخلداً في الكتب، محفوظاً على ألسنة الرواة.

فقال الشاعر: أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني.

وقد أثر عن أخيه الحسن مثل ذلك فقد روى أنه أعطى مالاً كثيراً، فقيل له: أتعطي شاعراً يعصي الرحمن ويقول البهتان؟ فقال: أن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر.

اللهم أتم بفضلك نعمتك علينا، والطف بنا فيما قدرته علينا، واعطنا من واسع رزقك الحلال ما تصون به وجوهنا عن التعرض لذل السؤال أنت المعطي الوهاب الرزاق بغير حساب.

بين الصحف



المجلات

إعداد

محمود الفشني

علا عبد الرحمن

اغتيال بينظير ومستقبل باكستان

في يوم ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٧م تم اغتيال بينظير بوتو رئيسة وزراء باكستان السابقة، وزعيمة حزب الشعب الباكستاني وقد عقب الكتاب والصحفيون على هذا الحدث نذكر بعضاً من هذه التعليقات والتحليلات:

بوتو والسقوط في هاوية الفساد

لا يكاد يذكر اسم بينظير بوتو إلا ويتذكر على الفور والدها ذو الفقار علي بوتو، رئيس وزراء باكستان، أوائل السبعينيات، فلقد ارتبط اسمها به ليس فقط لكونه والدها، ولكن لأنها ورثت عنه التحديث والديمقراطية والتفتح على العوالم الأخرى، وقد صقلت كل ذلك بدراستها التي أتمتها في جامعتي أكسفورد وهارفارد، لم ترث بينظير من والدها السياسة فحسب ولكنها ورثت عنه الصلابة التي هي نوع من السياسة بسبب تذلت لم تخمن رؤية والدها على حبل المشنقة عام ١٩٧٧، بعد اتهامه بالقتل، فشرعت في إنشاء مكتب حزب الشعب الباكستاني في العاصمة البريطانية لندن وكانت مهمتها الرئيسية آنذاك هي مهاجمة الجنرال ضياء الحق الذي أعدم والدها. وفور أن رحل ضياء الحق عن الحياة إثر انفجار طائرته عام ١٩٨٨ قفزت فوراً على كرسي رئاسة الوزراء الباكستاني، ذلك الكرسي الذي يحمل عبق تاريخ والدها، ولكن تسبب طمع زوجها آصف زرداري في اتهامها بالفساد وإقالتها من منصبها الذي تولته وكانت الأولى عام ١٩٨٨ والثانية عام ١٩٩٣ كانت بينظير ولا تزال تمثل للعالم كله كاريزما نسائية سياسية، ولكن يبدو أن النجاح الزائد في بعض الأحيان يكون هو المنحنى الذي يقذف بصاحبه في مستنقع الفساد.

الأهرام العربي
٢٩ - ١٢ - ٢٠٠٧م

بنت موت

قالت بينظير بوتو: لقد وضعت حياتي في خطر حين جئت إلى هنا. هكذا أنهت بوتو خطبتها في مدينة روالبندي

إن اسم بينظير بوتو عبارة معناها السيدة التي ليس لها نظير، وقد كانت كذلك.

ولدت سنة ١٩٥٣، ودرست في أكسفورد، وعاشت في بيت في أحضان أب يشتغل بالسياسة ويعرف معنى الحرية وهو ذو الفقار علي بوتو.

وهكذا رحلت امرأة ليس لها نظير.. امرأة كانت تطالب الجنرالات بالعودة إلى ثكناتهم وترك السياسة للسياسيين، كما كانت تطالب باحترام الدستور، وعدم عسكرة عملية الحكم، كما كانت تعارض امتلاك الأحزاب ميليشيات مسلحة، كما كانت تطالب بإسقاط تمويلات القائمة في الأقاليم، ودعت إلى مشرف بالاعتدال والتعقل. وكانت هذه الأفكار النبيلة هي التي قتلت صاحبتها أخيرا.

أحمد بهجت

الأهرام ٣٠ ١٢ ٢٠٠٧

بوتو - اغتيال حلم

قالت بينظير بوتو: «أنا بحاجة أن أعيش ما تبقى من عمري في باكستان وسط شعبي. أنا بحاجة إلى أن أسمع... ولن يمنعني أي شيء عن خدمة باكستان والباكستانيين.. سأعمل على إعادة وحدة الشعب، وعودة الديمقراطية، والمساعدة في إخماد نار التطرف. فلا يمكن أن تظل الديمقراطية غائبة والشرع... والقتل سيد الموقف والضحية هو الشعب.»

جيلان جبر

الأهرام ٢٩/١٢/٢٠٠٧م

هل قتلتها كلماتها؟!

ولكن الأرجح طبقا لبعض الآراء أن بينظير هي التي وضعت نفسها في صراع علني مع تنظيم القاعدة والعناصر الأصولية، حين اتهمت الرئيس مشرف بأنه لم يفعل شيئا للقضاء على هذه العناصر. ووصفت المدارس الدينية التي تغذي صفوف القاعدة وطالبان بأنها تخرج أطفالا ليكونوا قتلة. ووعدت بأنها إذا فازت في الانتخابات، فسوف تسمح للقوات الأمريكية بضرب التنظيمات الإرهابية التي تؤويها القبائل الباكستانية على الحدود. ووصفت بوتو هذه القبائل بأنها تعيش في العصور الوسطى ولا تخضع لأي نظام سياسي أو قانوني، وأنها عازمة على تغيير البناء الاجتماعي لهذه القبائل والارتقاء بمستواها.

وهكذا فليس من المستبعد أن تكون تصريحات بوتو الهجومية التي أثارت حفيظة القوى الأصولية المتشددة هي التي قتلتها.. وهي لا تدري أنها وضعت يدها على حقل ألغام متفجرة في مجتمع تسيطر عليه قوى، تنظر إلى علمانية بوتو واتصالاتها الغربية نظرة عداء وكراهية.

سلامة أحمد سلامة

الأهرام ٣٠ ١٢ ٢٠٠٧م

بينظير بوتو

وبغياب بوتو ضاعت الفرصة التي كان الأمريكيون يأملون في نجاحها، عندما تشكل مع الجنرال برويز مشرف ثنائية للحكم تضمن استمرار الجيش في معركته ضد تنظيم القاعدة وطالبان على الحدود الباكستانية الأفغانية، وتضمن بوجود بوتو رئيسة للوزراء حزبا مدنيا قويا يحمي الجبهة الداخلية من الجماعات المتطرفة، لكن اغتيال بوتو قطع الطريق على هذه الخطة لتعيش باكستان فراغا سياسيا موحشا.

مكرم محمد أحمد

الأهرام ٣٠ ١٢ ٢٠٠٧م

«القدس الكبرى».. وحملة إسرائيل ضد مصر

كتب محمد علي إبراهيم رئيس تحرير «الجمهورية»، تحت عنوان «مصر المستقبل»، قائلا:

ظهرت في الفترة الأخيرة عدد من المقالات بالصحف الأمريكية والعالمية لكُتاب كبار مثل جيم هوكلاند وتوماس فريدمان وفلورا لويس وغيرهم، يحملون فيها على مصر بسبب تغاضيها عن تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة، الأمر الذي يعطي انطباعا بأن مصر تساعد «حماس» على ارتكاب ما تسميه واشنطن وتل أبيب إرهابا.

ويتعجب الصحفيون الغربيون من موقف مصر التي ترتبط باتفاق سلام مع إسرائيل، ومع ذلك لا تتعاون معها في القضاء على الإرهاب.

والحقائق التي يتجاهلها هؤلاء تتلخص في أشياء هامة أولها أن مصر وقعت اتفاق سلام بعد حرب وليس اتفاق استسلام وبين الاثنين فارق كبير.

ثانيا: اتفاقية كامب ديفيد لا تتضمن في شروطها أو ملاحقها نصا يقول إن مصر عليها أن تنسق مع إسرائيل أو الولايات المتحدة في القرارات التي تتخذها في شئونها السيادية والداخلية.

ثالثا: نص هذه الاتفاقية لم تنص على أن تقوم مصر بالضغط على الفلسطينيين لتنفيذ ما تريده إسرائيل، بل على العكس فإن الاتفاقية تطالب بأن يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة والعادلة.

وهكذا فإن مصر لم يلزمها اتفاق السلام مع إسرائيل بأي شيء ينتقص سيادتها أو يفتئت على حقوقها أو ينال من كرامتها التي حافظت عليها حربا وسلما.

تملك قيادة إسرائيل وهي تمارس كل أنواع الضغوط على مصر لا تضع نصب عينيها أنها دولة وقعت معها اتفاق سلام. تكتب مقولات تتعامل معنا على أننا الوحيدون القادرون على التصدي لمشاريعهم الاستيطانية في الوطن العربي وعلى تنصلهم من قضية السلام مع الفلسطينيين.

وهنا ينبغي أن نؤكد أنه مع الاحترام لكل الدول العربية في دفع عملية السلام مع إسرائيل، فإن هذه الأخيرة لا تعبأ إلا بمصر.. فمصر هي التي ضغطت لكي تستمر محمود عباس موقع الشريك الفلسطيني في المفاوضات بعد ٧ أعوام من التوقف.. ومصر هي التي نجحت في تحييد موضوع الإرهاب الذي حاولت إسرائيل أكثر من مرة إلصاقه بـ«حماس»، وطالب الرئيس مبارك في كل المناسبات بضرورة التركيز على حقائق الوضع الفلسطيني باعتباره قضية شعب وحقوق مشروعة وأرض محتلة.

والرئيس مبارك هو الذي قاد قبل مؤتمر أنابوليس حملة لتصحيح مرجعية مؤتمر وضرورة الالتزام بشروط خريطة الطريق الداعية إلى وقف الاستيطان.

وكانت نصائح مصر المستمرة للفلسطينيين ضرورة الالتزام بخريطة الطريق والمبادرة العربية وكل ما نصت عليه من خطوات قبل الشروع في التفاوض.

لكن أولمرت زعم أن قرارات تحقيق القدس الكبرى صدرت قبل أنابوليس وأن الجانب الفلسطيني فشل في وقف العمليات الإرهابية التي وضعت كشرط لأي اتفاق.

لكن مصر نبهت أبومازن أن الانقسامات الداخلية بين فتح وحماس ستمنع التوصل إلى تفاهم مشترك في أنابوليس وأن إسرائيل تستغل الانقسام للتهرب من تطبيق قرارات الأمم المتحدة.

وهكذا يتضح مما سبق أن مصر تتكفل انطلاقا من مفهوم أمنها القومي وحرصها على القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى بالتصدي لإسرائيل في كل المشاكل التي تخلقها.. وتتولى عن طيب خاطر وبإحساس بمسئولية شرح أبعاد المخطط الصهيوني للأصدقاء في أوروبا والعالم، ولا تمل من الترديد على مسامع أمريكا أن حل القضية الفلسطينية سيكون بداية الانفراج لأزمة الشرق الأوسط.

ومما سبق يتضح أن مصر منذ أن أخذت ثأرها من إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ وبعد أن وقعت معها اتفاقية السلام، لا يهمها سوى أن يتحقق السلام العادل والشامل للفلسطينيين بحيث تهدأ المنطقة وينتزع فتيل التوتر منها.

غير أن إسرائيل التي لا تعيش إلا بالتوتر تنظر إلى جهود مصر لتأييد الفلسطينيين على أنها حرب تشنها القاهرة ضدها.. وبنفس المهارة التي تكتمت بها القاهرة أنباء حرب أكتوبر، فإنها تكشف للجميع مخططات إسرائيل وكذبها وأخطاءها ومؤامراتها.

لذلك فإنه بعيدا عن حسم وحزم تصريحات الرئيس مبارك لمبعوث أحرونوت التي زلزلت إسرائيل، فإن هذه التصريحات تكشف أيضا أن مصر سيد نفسها بالنسبة لإسرائيل. وأن مخابرات المصرية والأمن القومي المصري في أعلى كفاءة له حاليا وأنه لا تخفى عليه خافية في إسرائيل أو في غيرها.

ومن ثم فإسرائيل لديها شعور بالإحباط مما تفعله مصر للفلسطينيين. ومن عدم مقدرتها على خداعنا أو التغرير بنا أو تضليلنا.

لذلك فإسرائيل تبذل جهدها الأكبر لتشتيت انتباهنا عن قضية العرب الأولى وتسخر لذلك أصدقاءها في الكونجرس وفي الصحافة لتشويه مصر وصورتها بكل سبيل ممكن.

ومن كثرة ما كشفنا إسرائيل، أصيبت بالعصبية وصارت ضغوطها علينا تأخذ أشكالاً مختلفة وتوقيتات متنوعة عما يحدده توجهاتها.. واتضح أنها كلما أرادت تمرير شيء تطلق أكاذيب في اتجاه مصر.. والحملة التي تشنها حاليا ضدنا سببها الأول والأخير التغطية على أكبر عملية استيطان تقوم بها تل أبيب حاليا فقد أعطى إيهود باراك وزير الدفاع الإسرائيلي قرارا بإقامة حي جديد في مستوطنة «هارحوما» به ٣٠٠ وحدة سكنية.. كما تم إنشاء مشروعين آخرين يضمان ٧٤٠ وحدة سكنية بينها ٢٤٠ في مستوطنة «معاليه أدوميم».

إسرائيل تريد أن تضع عصابة على أعيننا حتى لا نفطن إلى أن كل ما تقوم به يؤكد رفضها للسلام.. وأولمرت ينفذ مشروع «القدس الكبرى» حاليا ليجعل الاتفاق مع الفلسطينيين مستحيلاً.. إسرائيل لن تعطي شيئا بعد الآن.. ربما مع مجيء الرئيس الأمريكي الجديد سيعاودون الكلام مرة أخرى.. وهم «أهل كلام» وليسوا أبداً «أهل فعل»، وبالتالي فإن الحديث عن السلام «مجرد» كبير فلا إسرائيل تريده ولا أمريكا مهتمة به.

«الجمهورية» ٣٠ ١٢ ٢٠٠٧

القنابل العنقودية لن تحقق السلام!

تحت هذا العنوان الذي جاء في «رأي الأهرام» كتب المحرر يقول:

دأبت إسرائيل منذ اغتصابها الأراضي الفلسطينية والعربية على تحدي القانون الدولي، وضرب كل القوانين والقرارات الدولية بعرض الحائط. ولم تتوقف يوما عن القيام بعمليات عسكرية غير إنسانية وغير شرعية ضد المدنيين الآمنين. وقد كشف عسكريون عن استخدام الجيش الإسرائيلي القنابل العنقودية على نطاق واسع خلال الحرب التي شنها العام الماضي ضد قوات ومقاتلي حزب الله في جنوب لبنان. مبررين أن ذلك كان مشروعا طبقا للقانون الدولي!

وهذا المنطق لا يستقيم مع حقوق الإنسان، ولا مع محاولات إقرار السلام بالمنطقة، ولا مع ما كشفت عنه الأمم المتحدة من أن أربعة ملايين قنبلة عنقودية أسقطت على لبنان خلال الحرب التي استمرت ٣٤ يوما، وأن عددا كبيراً من تلك القنابل لم ينفجر عند سقوطه، مما شكل خطراً على المدنيين.

إن هذه الانتهاكات ليست جديدة على حكومة تل أبيب وجيشها الذي يقتل الفلسطينيين يوميا، ويقتحم المسجد الأقصى، ويجرف الأراضي، ويعتقل الآلاف من الرجال والنساء دون استثناء، بينما العالم كله يقف بلا حراك إزاء هذه الممارسات التعسفية والإجرامية.

إن استخدام القنابل العنقودية الإسرائيلية لم ولن يحقق السلام، وهو عمل غير مشروع، وغير قانوني، وجريمة يجب أن يعاقب على ارتكابها لمخالفته أبسط قواعد القانون الدولي الذي يحرم قتل الأبرياء والمدنيين أثناء الحرب، وعلى جميع المنظمات الإنسانية الدولية أن تتخذ الإجراءات الكفيلة بوقف هذا السلوك الأحمق، حتى لا يتكرر مرة أخرى.

الأهرام

٢٦ ١٢ ٢٠٠٧م

اعتداءات إسرائيلية ....وأزمات مفتعلة

تحت هذا العنوان كتب المحرر في عامود «الجمهورية تقول» في جريدة يقول:

توجهت السلطة الفلسطينية ومعها الدول العربية إلى أنابوليس الأمريكية، بعد أن أغراها البيت الأبيض بعرض مفاده إقامة الدولة الفلسطينية في عام واحد. وتبعته الحكومة الإسرائيلية بإعلان استعدادها لتقديم ما أسمته تنازلات مؤلمة، ولكن المؤتمر تمخض فولد مفاوضات رسمية إسرائيلية فلسطينية لا تقدم ولا تؤخر. لأن النوايا الإسرائيلية تركز على التوسع في الاستيطان وقهر غزة. لا التفاوض حول قضايا الحل النهائي.

إن الحكومة الإسرائيلية التي توجه الاتهامات الكاذبة لمصر وتفتعل الأزمات مثلما تشيعه عن أنفاق غزة، هي مسئولة عن تدهور الأوضاع في المنطقة بسبب اعتداءاتها الوحشية على الشعب الفلسطيني وتنصلها من كافة الالتزامات التي تمهد طريق السلام أو تستعيد الأمل في تحقيقه، في الوقت الذي لم تدخر فيه مصر جهداً من أجل التهدئة وتوفير أنسب الأجواء لإجراء مفاوضات مثمرة تستند للنوايا الطيبة وقرارات الشرعية الدولية التي هي الأساس لتسوية سلمية عادلة تحفظ السلام والأمن لكافة شعوب المنطقة.

«الجمهورية»

٢٦ ١٢ ٢٠٠٧

مؤتمر مكة المكرمة الثامن يؤكد:

الخطاب الإسلامي أمانة كبيرة ومسئولية ثقيلة

يحظى الخطاب الإسلامي الآن باهتمام كبير من كل المسلمين في ظل ما يتعرض له الإسلام من محاولات التشويه والنيل منه.

وفي مكة المكرمة وأثناء موسم الحج في الفترة من ٥:٧ من ذي الحجة ١٤٢٨هـ ١٥:١٧ من ديسمبر ٢٠٠٧ عقدت رابطة العالم الإسلامي بمقرها، مؤتمر مكة المكرمة الثامن برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بعنوان «الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر».

وحرصت الرابطة وهي تعد لمؤتمرها على التأكيد على أن الخطاب الإسلامي يكتسب أهميته الحيوية في هذا العصر من أهمية الإسلام، ذلك أن الخطاب الإسلامي يعني تعاليم الإسلام الموجهة في رسالة أو خطبة أو درس أو برنامج إعلامي، أو كتاب أو نص أدبي.

ولعل التغير المتسارع في الوضع الدولي، وما يترتب عليه في تجاذبات الخطابات المختلفة، يدفع إلى الحوار حول الخطاب الإسلامي، من حيث أهميته ومرجعيته وبيئته، ومقومات النهوض بصاحب الخطاب، حتى يستجيب لمتطلبات المرحلة.

ومن أبرز أهداف هذا المؤتمر:

- التعريف بأهمية الخطاب الإسلامي وحاجة الإنسان إليه.
- تقديم الرؤى العملية حول مرجعية الخطاب الإسلامي وتطوير آلياته ووسائله التي تتيح له الانتشار في دوائر أوسع.
- ترشيد الخطاب الإسلامي من حيث الشكل والمضمون بشمولية النظرة، ومعرفة الآخر، والإقناع في التناول والعرض.
- مراجعة المشكلات التي تواجه الخطاب الإسلامي في إطار عقيدة الأمة وثوابتها.

وأخيرا تقديم رؤية واضحة تتضافر من خلالها جهود المسلمين في حل إشكالات العصر، وفي مقدمتها الذرائع التي تتخذ لتفرقة الصف المسلم، وإشغال الأمة بالفتن والكوارث.

وشارك في المؤتمر عشرات من العلماء والمفكرين من بينهم د.أحمد بن إسماعيل نوفل، د.أحمد بن محمد نعمان، د.جعفر عبدالسلام، د.حمزة بن حسين الفعر، د.سعيد بن حارب المهيري، د.سعيد بن محمد القرني، د.سعيد بن إسماعيل صيني، د.صالح بن عبدالله بن حميد، د.عبدالكريم بن محمد الحسن بكار، د.عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، د.عصام البشير، د.محمد المختار محمد المهدي، د.محمد أبوزيد الفقي.

نوقش في المؤتمر ثلاثة محاور:

الأول: الخطاب وأهميته:

١ـ أهمية الخطاب وحاجة الإنسان إليه.

٢ـ الخطاب الإنساني بين الصلاح والفساد.

٣ـ الخطاب في العصر الجاهلي (دوافعه ـ أنواعه ـ أهدافه).

أما المحور الثاني فقد تناول الخطاب الإسلامي.

١ـ الخطاب الإسلامي (التعريف، الأسس والمقومات، الأسباب، الوسائل والمنطلقات، الخصائص، الأهداف والمقاصد).

٢ـ الخطاب الإسلامي بين القواطع والاجتهاد.

(القواطع: حقيقة الإلوهية، عصمة النبوة، عدالة الصحابة، الضرورات الخمس).

(الاجتهاد: وهو كل ما لم يرد في نص قاطع من الكتاب والسنّة).

٣ـ الخطاب الإسلامي بين التأويل الصحيح والفاسد لنصوص الوحي (التأويل الصحيح: منطلقاته، خصائصه، مقاصده).

(التأويل الفاسد: أسبابه، مرتكزاته، وسائله، أهدافه).

٤ـ الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول (الواقع: الهامشية، الضعف، النظرة الضيقة، ضعف الشمولية، ضعف التناول، ضعف الأخذ بمستجدات العصر المتطورة، ضعف في جذب الآخر).

(المأمول: تجديد الآليات والوسائل: القوة في الطرح، شمولية النظرة، معرفة الآخر، الإقناع في التناول والعرض، معرفة تأثيرات



الوقت والمكان، الولاء لله ولرسوله ﷺ، ومخاطبة كل قوم بما يعرفون، الأخذ بوسائل التقنية ومستجدات العصر المناسبة.

وتناول المحور الثالث: المشكلات التي تواجه الخطاب الإسلامي:

١ـ التشنج، الاسترخاء، التهييج، العولمة، القنوات الفضائية المخالفة، الغلو، التطرف، تسويق الشبهات والشهوات، مستجدات العصر الحاقدة، أحقاد وضغائن

٢ـ موقف الآخرين من الخطاب الإسلامي، الأسباب والعلاج

قناة الدعوة إلى الإسلام

وفي الجلسة الافتتاحية أشار معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي إلى أن الخطاب الإسلامي هو القناة التي تنفذ من خلالها الدعوة إلى الإسلام والتعريف به ونشر تعاليمه بين الناس سواء كانت هذه القناة كتاباً مسطوراً، أو كلمة مسموعة، فهو إذن وسيلة وما يتضمنها هو الغاية المقصودة منه والوسيلة تشرف بشرف غايتها، وعلى هذا فالخطاب الإسلامي الذي هو ممارسة بشرية في التعامل مع الإسلام بياناً وتعبيراً، إنما يكتسب قوته وشرفه من ذات الإسلام، الذي يعبر عنه تعريفاً به، أو ترغيباً فيه، أو دحضاً للشبهات والأباطيل التي تتعارضه، وفي بيان هذا الشرف يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

فصلت: ٣٣

وبين الدكتور التركي أن الخطاب الإسلامي أمانة كبيرة ومسئولية ثقيلة عندما يتعلق برسالة الله الخاتمة، وهي رسالة عالمية ومستمرة إلى يوم القيامة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

سبأ: ٢٨

وهي رسالة رحمة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الأنبياء: ١٠٧

والمؤتمنون بعد رسول الله ﷺ على المحافظة عليها وتبليغها للناس سليمة كما تلقوها، هم العلماء الربانيون الثقات الذين هم ورثة الأنبياء، وهذا يتطلب أن يكون الخطاب الذي تؤدى من خلاله رسالة الإسلام، متناسباً مع كل عصر من معطياته الثقافية والاجتماعية، ومراعياً لمستجداته وتطوراته، حتى يتناسب مع المستوى العام للفهم والاستيعاب لدى الناس، كما قال علي ـ رضي الله عنه ـ: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟

وقال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة.

وهكذا يحتاج الخطاب الإسلامي إلى ترشيد مستمر، يمكنه من الموازنة بحكمة واقتدار بين أسس الشريعة ومتغيرات الواقع، فيستلهم عناصر التجديد لأساليبه وفنونه بين التنوع والتخصص من معطيات المناخ الثقافي الذي يعيشه الناس، ومن تجارب الحياة ومن ثم يقدم حلولاً عملية، يوثق بجدواها ويسهل تطبيقها عند معالجة المشكلات التي يتناولها، والقضايا التي يهتم بها، ويركز في الأبعاد قواعد التدرج في الإصلاح والتربية والمعالجة، وهذا من البصيرة التي جعلها الله - تعالى - صفة لدعوة نبينا ﷺ:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

يوسف: ١٠٨

مراعاة الواقع

وأكد معالي الدكتور عبدالله التركي على أن من سمات الخطاب الإسلامي الرشيد أن يكون متوازناً في تعامله مع قضايا الإسلام بين ثلاثة أطراف، لا يطغى طرف منها على الآخر:

- مراعاة الواقع الذي يعيشه الناس في حاضرهم.
- والاستفادة من الماضي الذي يعتبر مصدراً للعبر المستخلصة من تجارب الأمم، والذي يعتبر عهد سلف الصالح صفحة مشرقة فيه، تتخذ منه الأمم أسوتها وقدوتها.
- واستشراف المستقبل الذي يعتبر فرصة لتلافي الأخطاء وتحسين الأحوال، وصفحة تتطلع إليها الطموحات والآمال.

ودخول هذه الأطراف الثلاثة في تكوين الخطاب الإسلامي، توازن واعتدال، هو منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، اللذين هما القدوة والإمام.

وأوضح أن من سمات الخطاب الإسلامي الرشيد ـ أيضاً ـ أنه يتعامل مع قضايا الأمة بفكر مستنير، ومنهجية وتخطيط، وقوة في

التناول فيستبعد السطحية والارتجال والانطلاق من مجرد ردود الأفعال، ومن المنهجية والتخطيط في الخطاب الإسلامي توظيف التقنية الحديثة، واستثمار الدراسات المتخصصة في تنويع فنون الأداء والاتصال، حسب أصناف المتلقين من حيث الجنس والعمر والثقافة والاختصاص، والمحيط الذي يعيشون فيه.

فهذا يرجى للخطاب الإسلامي أن يكون رائداً يرتقي دأباً بالمستوى الفكري والسلوكي العام للأمة، وينقيها من بذور التطرف والغلو، سواء في فهم الدين وممارسته، أو الابتعاد عنه والانحلال منه.

وفي كلمته في الجلسة الافتتاحية قال صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن فيصل بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة: لا شك أن حاجة أمتنا الإسلامية للتضامن، تصبح الآن أكثر إلحاحاً للدخول الآمن في النظام العالمي الجديد ومواكبة العصر، وحتى نقيم الحجة عملياً على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، مما يفرض مداومة النظر فيما بين أيدينا، وما يجري حولنا للأخذ بأسباب العصر والحفاظ على هويتنا. ولهذه الأمة في رصيدها الديني من القيم والمبادىء الإنسانية والحضارية الراقية ما يمكنها من إنجاز المهمة - إن شاء الله - على خير وجه.

ويأتي على رأس المهام المنوطة بهذا التضامن تحرير صورة الإسلام والمسلمين مما ألحقته بها آليات العداء، وما حشدته عنها سلباً في ذهن الآخر، على خلفية أحداث تسببت فيها فئة من الخارجين على أمتنا وشرعها، ولعل ذلك ما يستدعي المزيد من الانفتاح على بعضنا البعض، والتعاون في القضايا والهموم المشتركة وعلى رأسها التصدي للفكر المنحرف، والإرهاب المتأسلم، والاتفاق على الأصول، والتعامل مع الخلافات في الفروع، بروح الحوار والتشاور والمقاربة بين الرؤى، ثم الخروج إلى العالم بخطاب إسلامي واحد، يعرف من خلاله حقيقة هذه الأمة وعقيدتها على النحو الصحيح، ويؤهلها إلى الدخول إلى عالم اليوم، على أساس حوار الحضارات والتعايش السلمي، المبني على العدل والمساواة بين الأمم، والمشاركة الفاعلة في إنتاج المشروع النهضوي العالمي.

وقال أمير منطقة مكة المكرمة: إن الأمل معقود على رابطة العالم الإسلامي باعتبارها من أكبر المنظمات الإسلامية، أن تتبنى الدعوة إلى منهجية الوسط العدل في الفكر الإسلامي، وتجنيب الأمة شرور الغلو، وحمايتها من الفوضى الفكرية، التي تتعرض لها، والمحافظة على صفاء الفكر الإسلامي الموجه للشباب خاصة، حتى لا يقع في حبائل الفكر المتطرف الذي يسعى لدمار الأمة، ويعطي لأعدائها الذرائع والحجج للنيل منها ومن دينها الحنيف.

خطاب يقوم على النهج السليم

أما سعيد بن حارب من دولة الإمارات العربية المتحدة والذي ألقى كلمة نيابة عن المشاركين في مؤتمر مكة المكرمة الثامن قال: إننا نلتقي اليوم لنناقش قضية من أهم القضايا التي تشغل واقع المسلمين، ألا وهي قضية الخطاب الإسلامي، الذي يشكل محوراً أساسياً في النهوض بالأمة، حيث لا يخفى على أحد أثر هذا الخطاب في حياة المسلمين منذ بدء الدعوة الإسلامية وإلى وقتنا الحاضر، ونحن اليوم أشد حاجة إلى هذا الخطاب الإسلامي المنطلق من العقيدة الصحيحة والفكر النقي لمعالجة كثير من شئون حياتنا.

وبين أننا بحاجة إلى خطاب إسلامي يقوم على النهج السليم من الاعتدال والوسطية والتسامح في الفكر والعمل، والتعامل مع الواقع بروح إسلامية تجمع بين ثبات الأصل وجديد العصر، كما أننا بحاجة إلى خطاب إسلامي يصحح ما ساء فهمه من المبادىء والقيم التي تلبسها بعض أبناء المسلمين انحرافاً في الفهم وخطأً في السلوك.

وقال سعيد بن حارب المهيري أيضاً: نحن بحاجة إلى خطاب إسلامي نتواصل به مع غيرنا من شعوب الأرض تعريفاً بالإسلام ونشراً له ودفاعاً عنه، فالإسلام رسالة للناس كافة، وقد حال سوء الفهم أو كيد الأعداء عن التواصل بين المسلمين وغيرهم، وحان الوقت لأن يكون الخطاب الإسلامي جسراً للتواصل مع الآخرين انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾

سبأ: الآية ٢٨

كما أكد على أن المسلمين بحاجة إلى خطاب إسلامي يضع لهم قدماً في مراكز المعرفة والبحث والثقافة، فديننا دين العلم والتقدم وليس من الإنصاف أن يتخلف المسلمون عن الإسهام في الحضارة الإنسانية المعاصرة، فالعلم اليوم يتقدم في مجالات العلوم والصناعات والتقنيات بخطوات سريعة، ومعظم المسلمين يعيشون مستهلكين لما ينتجه الآخرون، لذا لابد من خطاب إسلامي يحيي في الأمة النهضة العلمية والتقنية.

كان الدكتور أحمد الموركي رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر قد حدد أهم سمات الخطاب الإسلامي ومنها:

إن الخطاب الإسلامي ذو مرجعية شرعية، ويتميز عن غيره من الخطابات بهذه المرجعية التي تحقق له سلامة الهدف ونبل الغاية فضلاً عن أنه خطاب عقدي ينطلق من التعريف بالعقيدة وحمايتها والدفاع عنها، ولذلك لابد أن يكون للعقيدة أثر قوي فيه كما أشار إلى أن الخطاب الإسلامي خطاب بشري معبر عن فهم المسلمين للنصوص والأحكام الشرعية، ولابد من النظر إليه باعتباره فكر إنسانياً لابد من مراجعته وتقويمه.

وبعد ذلك وعلى مدى أيام المؤتمر عقدت خمس جلسات تناولت البحوث ونوقشت فيها آراء الباحثين.. وهذا ما سوف نتناوله في عدد قادم بإذن الله.



للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

من أهم الأحداث العظيمة في تاريخ الإسلام والمسلمين حادث الهجرة النبوية الذي يبدأ الحديث عنه كلما ابتدأ شهر الله المحرم.

وإنما كان الابتداء بشهر الله المحرم لأن أبا موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عندما بعث إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قائلاً له: تأتينا كتب من عندك غير مؤرخة فأرخ لنا الكتب فأراد أن يتخذ مبدءا للتاريخ، وما كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ليقترح أو ليلزم الأمة بأمر يراه هو وحده أو ينفرد هو وحده به، وإنما يطبق مبدأ الشورى الذي علمه وطبقه وأخذهم به سيدنا رسول الله ﷺ. فجمع سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الصحابة ليستشيرهم في بداية التاريخ وبأي حدث من أحداث الإسلام يؤرخ. واستمع إلى آرائهم. فكان من الآراء من يرى أن يؤرخوا بتاريخ الروم. ومنهم من رأى أن يؤرخوا بتاريخ فارس، ومنهم من رأى أن يؤرخوا بحادث المبعث النبوي، ومنهم من رأى أن يؤرخوا بحادث الهجرة، فاستقر الوضع على الهجرة وقال: فلنؤرخ بالهجرة النبوية لأنها فرقت بين الحق والباطل.

وكان بداية التاريخ بها من شهر الله المحرم حيث بدأ العزم والتصميم على الهجرة منذ هذا الشهر، وبعد بيعتي العقبة، كان العزم والتصميم في شهر الله المحرم. ولذا كانت بداية التاريخ الهجري بشهر الله المحرم.

وشهر الله المحرم أيها الإخوة المؤمنون هو من الأشهر الحرم، والأشهر الحرم هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. والأشهر الحرم يستحب الصوم فيها. فقد ندب إلى الصوم في بعض أيامها سيدنا المصطفى ﷺ، فعندما جاءه الرجل الباهلي وذكره نفسه وقال له: ألست تعرفني أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول. فقال له النبي ﷺ وقد رآه نحيلاً نحيفاً ضعيفاً، فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة؟ فقال له: منذ فارقتك لم أطعم طعاما ولم أشرب شرابا إلا بليل ـ أي أنه يظل صائماً ـ فقال له النبي ﷺ: لم عذبت نفسك؟ ثم قال: صم شهر الصبر ويوما من كل شهر. فقال يا رسول الله زدني فإن بي قوة قال: صم يومين. قال الرجل: يا رسول الله فإن بي قوة. قال صم ثلاثة أيام ـ ومعلوم أن هذه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربي وتسمى الأيام البيض وصيامها سنة ومستحب ـ فقال الرجل: يا رسول الله، زدني فإن بي قوة، فقال عليه الصلاة والسلام: صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك[1].

شهر الله المحرم

والمقصود بقوله ﷺ: صم من الحرم واترك. أي صم من الأشهر الحرم ما تستطيع وأفطر منها أيضاً فلا تصمها كلها، صم بعضها ما تستطيع، وأفطر حتى لا تكون صائماً الأشهر الحرم كلها. فقد كان رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم[2] أي أن الإنسان يصوم تقربا إلى الله ويفطر تقوية لبدنه واستعدادا لعافيته ليستطيع مواصلة العبادة.

والشاهد أن للأشهر الحرم فضيلة، وأن شهر الله المحرم هو واحد من هذه الأشهر المباركة التي حرم الله تعالى فيها القتال. وابتدأ التاريخ الهجري منه حيث بدأ العزم والتصميم على الهجرة، وكان قد سبق الهجرة النبوية بيعتان هما بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية. إذ أن النبي ﷺ منذ جاءه الأمر الإلهي أن يصدع بأمر الله وأن يجهر بالدعوة أخذ يلتقي بالوفود في مواسم الحج، وكان هذا اللقاء مع ستة نفر التقى بهم من الأوس والخزرج فرحوا بلقائه واستقبلوا دعوته استقبال الظمآن للماء البارد، وقالوا: إن بين قومنا وبين إخوانهم من العداوة ما بينهم فلعل الله تعالى يطفئ نار الحروب التي اشتعلت بينهم، وكانت بين الأوس والخزرج حروب وخصومات وآمنوا وأسلموا واتبعوا الرسول ﷺ ورجعوا إلى المدينة ـ التي كانت تسمى آنئذ يثرب ـ فنشروا دين الله في أرجائها وجاءوه في العام الآخر وأصبح العدد اثني عشر رجلاً وبايعوا رسول الله ﷺ على أن

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصوم باب في صوم أشهر الحرم
(٢) رواه البخاري في الصيام ومسلم في الصوم

يعبدوا الله وحده وأن لا يشركوا به شيئاً وأن لا يعصوا في معروف وأن لا يسرقوا وأن لا يزنوا وأن لا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم. فعلى هذا بايعهم رسول الله ﷺ وقال لهم كما جاء في الحديث «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله. ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له. ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»[3].

ولما بايعهم ﷺ على ذلك أرسل معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه فنشر دين الله في أرجاء المدينة، وجاءوا في العام الذي بعده أكثر من سبعين رجلاً. فبايعوه ﷺ على السمع والطاعة وعلى أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم فكان هؤلاء جميعاً طلائع الهجرة ومقدماتها إلى أن شاء الله تعالى أن يأذن لرسوله ﷺ وللمسلمين بالهجرة، بيد أن الحديث عنها لم يكن بادئاً منذ ذلك الحين وإنما كان الحديث عن الهجرة منذ أول لحظة نزلت فيها أول آية بالوحي الإلهي على قلب رسول الله ﷺ منذ كان معتكفاً في غار حراء، ونزل عليه الوحي «اقرأ» وهو يقول ما أنا بقارئ - ثلاث مرات إلى أن قال له جبريل عليه السلام:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

(العلق ١ - ٥)

وعاد رسول الله يرجف فؤاده ويقول: «زملوني زملوني» حتى ذهب عنه الروع وأخذت زوجه خديجة رضي الله تعالى عنها التي كانت مرفأ راحة وأمان له ﷺ تقول: «أبشر يا ابن العم: فوالله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، وأخذت بيده وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وقالت له: يا ابن العم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»[4].

---

(3) أخرجه البخاري في كتاب ... ، وأخرجه مسلم في كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها.

(4) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي.

هنا بدأ الحديث عن الهجرة وليس من ذلك الوقت الذي تمت فيه البيعة، فمنذ ذلك الحين وقد وقر في قلب نبينا ﷺ أنه سيأتيه اليوم الذي يخرجونه. والذي يتآمرون فيه على إخراجه، فالحق في صراع مع الباطل إلى يوم القيامة:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾

(الفرقان ٣١)

منذ ذلك الحين كان الحديث عن الهجرة، فلما تمت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية يقرر الله لنبيه ﷺ حقيقة الهجرة ويطلعه في منامه ويخبر أصحابه قائلاً «قد أريت دار هجرتكم رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين»[5].

أم سلمة وزوجها!!

ويحقق الله تعالى لرسوله ﷺ دار مهجره وهي المدينة التي كانت من قبل يثرب وأصبحت بهجرته المدينة المنورة به ﷺ. لقد أذن لأصحابه بالهجرة فكانوا يهاجرون درافات ووحداناً. وكان أعداء الإسلام يتربصون بالمهاجرين الدوائر مخافة أن يكونوا في المدينة دولة وقوة يأتونهم بعد ذلك بجيش لا قبل لهم به فأخذوا يقفون في وجوه المهاجرين ويمنعونهم فإذا ما أراد أن يهاجر واحد من أول المهاجرين وامرأته وهي أول ظعينة قدمت المدينة هي السيدة أم سلمة وزوجها أبو سلمة فحين خرج الرجل على بعيره ومعه زوجته وابنه وقف له أهل زوجته بالمرصاد وقالوا له: نفسك وقد غلبتنا عليها فكيف نفرط في ابنتنا تخرج معك في الصحراء والله لن تخرج معك أم سلمة وحالوا بينه وبين زوجته فقالوا له إن أردت أن تخرج فاخرج من غير الزوجة، وجاء أهل الرجل، وقالوا لهم مادمتم قد انتزعتم ابنتكم من زوجها فلن يبقى الولد معكم فلنأخذه نحن أهل أبيه فانتزعه كل فريق حتى نزعوا ذراع الطفل الصغير، حالوا بين الرجل وبين زوجته وبينه وبين طفله، ومع هذا انظروا إلى الإيمان كيف يصنع بالرجال، انظروا إلى حب الله وحب رسوله كيف يؤثره الرجل على أحب الناس إليه، ويؤثر حب الله ورسوله على أهله وزوجته وأرضه وماله فيهاجر أبو سلمة حتى يصل إلى قباء، ثم تحن الزوجة إلى الرحيل وتخرج بالأبطح عشية وضحاها تبكي بكاء مرا حتى جاء بعض العرب ممن عندهم نخوة وقال: ألا رحمتم هذه المسكينة التي فرقتم بينها وبين زوجها ووليدها. حتى أذنوا لها أن تخرج

---

(5) أخرجه البخاري في كتاب الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد رسول الله ﷺ

فماذا فعلت أم سلمة؟ أعدت البعير وأعطاها أهل زوجها الطفل الصغير، فإذا بواحد من العرب وهو مشرك إنه عثمان ابن طلحة قبل أن يدخل الإسلام يقول لها: إلى أين؟ فتقول: إلى زوجي حيث الهجرة. فيقول: والله مالك من مترك في هذه الصحراء التي لا تستطيع المرأة أن تسير فيها في هذه الغربة.

نخوة العربي

انظروا إلى هذا الرجل العربي، وانظروا إلى نخوة الرجل وأصالته التي نفتقدها اليوم. نفتقد اليوم الأصالة والمروءة والنخوة العربية التي تقف بجوار المظلوم. رجل عربي رغم أنه لم يدخل الإسلام بعد. ولكنه أخذ بخطام بعير هذه المرأة ووضعها من المكان الذي يسمى بالتنعيم، والتنعيم في أول مكة للداخل من جدة، الذي يريد الإحرام بالعمرة يذهب إلى مسجد التنعيم، قاد بعيرها من مكان التنعيم إلى قباء حيث مدينة الرسول ﷺ ماشياً على القدمين. وتحكي السيدة أم سلمة وتقول: فكان إذا جاء وقت الراحة يخرج الرجل بعيدا وينيخ الراحلة ويذهب بعيدا حتى لا يقع بصره عليها، فإذا ما نزلت واستراحت وذهب بعيدا في ظل شجرة ذهب وحل عقال بعيره ويقود البعير حتى ما وصل إلى القرية قال لها: هنا زوجك فاذهبي إليه في أمان.(١) انظروا إلى أصالة المعدن. إلى الأخلاق التي ستستقبل الإسلام بعد ذلك فتعتنقه في حب. أين هذه المروءة والنخوة ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم ويضرب بعضهم رقاب بعض. أين هذه الأخلاق العربية وأصالة المعدن الذي لم يدع امرأة تمشي في الطريق وحدها بل يظل حارسا وخادما وقائدا لبعيرها؟ أين هذه من الذين يتسلط بعضهم على بعض. ولا يحمي بعضهم بعضا، ولا ينصر بعضهم بعضا. ويرى المستضعفين في الأرض فلا يحن لصرختهم عشية أو ضحاها

كانت أول ظعينة قدمت المدينة كما يقول المؤرخون.

ربح البيع

ومن بين أولئك الذين هاجروا أيضاً صهيب الرومي. وكان لصهيب الرومي موقف عظيم. فعندما أراد أن يهاجر وقفوا له أيضاً كما وقفوا لأبي سلمة وقالوا له: أتيتنا صعلوكاً فقيراً لا مال لك، فلما جمعت المال، وأصبحت فيما أصبحت فيه تريد أن تخرج؟ والله لن تخرج أبدا.

(١) [illegible]

فقال لهم: لا المال أريد ولكن أريد الله ورسوله أفرأيتم إن تركت لكم المال تتركوني؟ لقد وقفوا يتربصون به. فقال لهم: اعلموا إني من أرماكم رجلا وما في كنانتي من سهام سوف أفرغها قتلا فيكم إن لم تتركوني مهاجرا. أما عن المال فطرح لهم ما معه وأخبرهم بمكان الباقي وقال لهم: خذوه فإني لا أريد مالا. فأذنوا له بالهجرة. وقبل أن يقدم على سيدنا رسول الله ﷺ وهو في الطريق عن بعد يطلع الله حبيبه على موقف صهيب فيلتفت الرسول ﷺ لأصحابه ويقول مناديا لصهيب: ربح البيع يا صهيب، ربح البيع يا صهيب. هكذا كان صحابة سيدنا رسول الله ﷺ في محبتهم وفي ثقتهم وفي إيمانهم بالنفس. وفي التضحية بالمال نصرة لدين الله ونصرة للمستضعفين في الأرض، الذين يريدون أن يبلغوا كلمة الله للناس، فقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يلتقي بهم حين أمر أن يصدع بالدعوة ويقول: ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي(٢) يريد أن يبلغ دين الله، يريد أن يبلغ دعوة الله إلى القلوب القاسية. إلى القلوب المظلمة. يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور. فكان لهذه الفئة المؤمنة من المهاجرين الذين أوذوا في سبيل الدعوة مكانتهم العظيمة. ولقد واجهوا كل أذى واضطهاد بصدر رحب. وبنفس راضية فاستحقوا أن يسجلهم الله تعالى في القرآن الكريم في آيات خالدات بأن لهم الجنة وبأنهم السابقون.

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين
اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾

(التوبة: ١٠٠)

وهكذا يتحدث القرآن عن الهجرة النبوية حديث النصر لا حديث الفرار، حديث النصر لا حديث الهروب:

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ
يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل
الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾

(التوبة: ٤٠)

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في القرآن، وأخرجه الترمذي في كتاب ثواب القرآن، وأخرجه ابن ماجة في المقدمة باب فيما مكرر الجهمية

لحظات طيبات مع ابن حزم الأندلسى

«قم فصل تحية المسجد ...» «اجلس، فليس هذا وقت صلاة» هذان الامران.. كان لهما وقع المطرقة على رأس ابن حزم، فحزن حزنا شديدا.

ومثلما تكون الشدة دافعة للرقى.. تكون نظرات الناس ـ الواشية باعتقادهم بجهل من ينظرون إليه فى وضع المخالفة ـ دافعة ايضا لهؤلاء المخالفين إلى تتبع مصادر العلم أينما كانت.

كان ابن حزم ـ يوما احد المخالفين ـ حين شهد جنازة، فدخل المسجد فجلس ـ انتظارا للصلاة ـ وكان وقتها قد بلغ ستا وعشرين سنة. فقال له رجل: «قم فصل تحية المسجد».

يقول ابن حزم: فقمت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة دخلت المسجد فبادرت بالركوع. فقيل لى: «اجلس.. اجلس.. ليس ذا وقت صلاة». وكان بعد العصر. يقول ابن حزم: فانصرفت وقد حزنت رجاء للاستاذ... حزن ابن حزم لانه اخطأ مرتين فى يوم واحد.. فانطلق يبحث عن الأستاذ الذى يمحو جهله بهذه الأمور الفقهية، ولانه كان يطمح دائما الى المعالى ويحب دائما الاحتفاظ بالمجد والتسامى فيه.. من أجل ذلك مكث مع ابى عبدالله بن دحون نحوا من ثلاثة اعوام قرأ عليه موطأ الامام مالك وتابع قراءاته عليه وعلى غيره. فمن هو ابن حزم؟!

نسبه

هو أبومحمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن الأصل ثم الأندلسى القرطبى[1]

مولده

ولد أبومحمد بقرطبة فى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[2]. من والد عظيم هو أبوعمرو أحمد الذى كان رئيسا للوزارة فى عهد المنصور بن أبى عامر وكان مولده فى آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٤ هـ

فنشأ نشأة كريمة فيها سماحة الشأن ورجاحة العقل وحرية الرأى وشجاعة القلب، وجرأة النطق.. إلخ[3].

شيوخه

حفظ ابن حزم القرآن فى سن مبكرة، ثم عنى بحفظ كثير من العلوم وهو لايزال يافعا، وكان من أساتذته العالم الكبير عبدالرحمن بن أبى يزيد الأزدى، والشيخ أحمد بن جسور عالم الأندلس والشيخ يحيى بن مسعود المحدث المشهور وله شيوخ آخر كانوا يترددون على منزل والده.

غير أن ابن حزم كان لا يحب أن يركن إلى ما يستخلصه أساتذته بل أخذ يقرأ لنفسه حين آنس من نفسه مقدرة على الاستقلال فبدأ يقرأ لنفسه ويعتد بفكره وفهمه.

شخصية ابن حزم:

كان لحفظ القرآن الأثر الطيب فى شخصية ابن حزم، كما كان لنشأته فى بيت يعج بالسياسة ومعالجة شئون الدولة الأثر الواضح فى تشكيل تلك الشخصيه، بالإضافة إلى حكمة أبيه وتواضعه.

فاتسمت شخصيته لأجل ذلك بحرية الرأى ورجاحة العقل والشجاعة والجرأة والطموح والخضوع للحق. وكان محصلة هذه الصفات النبيلة شخصية لا تتوقف عن النطق بالحق والإعلان عن الرأى دون خوف من سطوة حاكم أو غضب عالم.

غير أن الدهر ـ كما يقولون ـ حُوَّلٌ قلب.. إن أسعد يوما أحزن أياما، فقد تفشت الاضطرابات فى قرطبة وتغيّرت الوزارة، فعانى ابن حزم ووالده من أجل ذلك وبخاصة حين عاد هشام الثانى إلى العرش وعاش ابن حزم يتنقل من شدة إلى شدة حتى إنه ترك قرطبة فلما نودى عبدالرحمن الخامس خليفة وكان الخليفة الجديد صديقا لابن حزم عاد ابن حزم إلى قرطبة بعد ست سنوات. ولكن حظه العاثر لازمه مرة أخرى، وقُتل صديقه عبدالرحمن بعد بضعة أسابيع، وزج بابن حزم فى السجن[4].

ويذكر التاريخ أن ابن حزم تقلد منصب الوزارة، غير أننا فى هذه العجالة يهمنا الحديث عن إنتاجه العلمى

مؤلفاته

● يقول المؤرخون إن من بواكير مؤلفاته «طوق الحمامة» وأنه ألفه فى شاطبة حوالى سنة ٤١٨ هـ على ما يقول بعض الباحثين، والمطلع على هذا الكتاب يرى ابن حزم مثلا

(1)، (2) سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٨٤، ص ١٨٥

(3) ابن حزم الشيخ عبدالله الراعى ـ مجلة الأزهر مجلد ١٩ السنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م ص ٤٣٤

(4) ابن حزم لفضيلة الشيخ عبدالله الراعى ـ مجلة الازهر المجلد ١٩ السنة ١٣٦٧ هـ/١٩٤٧م ص ٤٣٦

لصفاء العاطفة، ورقة المشاعر.

● «رسالة في فضل الأندلس» تكلم فيها عن تعاريف مسلمي الأندلس المتقدمين وفيها يظهر تحول ابن حزم من المذهب الشافعي إلى المذهب الظاهري

● ومنها كتاب جمهرة الأنساب أو أنساب العرب وليدا لكتاب وزن كبير في نظر المؤرخين.

● ومنها كتاب في أسماء الله يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه.

● ومنها مجلدا في حجة الوداع.

● وله «المحلى» قال عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام «ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم».

● «ولابن حزم مصنفات جليلة أكبرها كتاب الإيصال في فهم كتب الخصال خمسة عشر ألف ورقة[8]».

ولابن حزم آراؤه الواضحة الصريحة التي لا يحابي فيها أحدا. وهل يحابي أو يجامل من كذب على رسول الله؟

فابن حزم شدد النكير على حديث رواه المهلب بن أبي صفرة عن ابن عباس عن محمد ابن سرور عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن محمد بن عبيد الله العرزمي عن عبد الله بن أبي سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما بلغكم عني من قول حسن لم أقله فأنا قلته» فقال ابن حزم «الحارث ضعيف، والعرزمي ضعيف وعبد الله بن سعيد كذاب مشهور. وهذا هو نسبة الكذب إلى رسول الله ﷺ لأنه حكى عنه أنه قال «لم أقله فأنا قلته» فكيف يستجيز هذا إلا كذاب، زنديق، كافر، أحمق.

● ونافس طائفة أخرى تقول بالاكتفاء بالقرآن الكريم مأخذا للأحكام، وحكم بكفر هذه الطائفة إجماعا.

● وله كتاب «قسمة الخمس».

● وله كتاب «اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين».

● ولابن حزم مؤلفات كثيرة لا يتسع المقام لسردها. ناهيك عما ضاع منها حين غضب المعتضد بن عباد فأحرق كتبه بأشبيلية مما دعاه إلى أن يقول

إن تحرقوا القرطاس لن تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقرت ركائبي
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

ويكفي دليلا على كثرة ما ألف أن نسردها قول ابنه أبي رافع الفضل إذ يقول «اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة[9]».

ولكي نقترب من شخصية ابن حزم فإننا نعرض جزءا من أول كتاب «الإحكام» حيث يتضح منه مدى فهم ابن حزم للنفس البشرية وما ركب الله فيها من قوى حيث يقول:

أما بعد فإن الله ركب في النفس الإنسانية قوى مختلفة فمنها (عدل) يزين لها الإنصاف ويحبب إليها موافقة الحق قال تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾

(النحل ٩٠)

وقال:

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾

(النساء ١٣٥)

ومنها (غضب وشهوة) يزينان لها الجور ويعميانها عن طريق الرشد قال تعالى

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾

(البقرة ٢٠٦)

وقال:

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

(الروم ٣٢)

فالفاضل يسر بمعرفته والجاهل يسر بما لا يدري حقيقة وجهه وبما فيه وباله ومنها (فهم) يلبح لها الحق من قريب وينير لها في ظلمات المشكلات فترى به الصواب ظاهرا جليا ومنها (جهل) يطمس عليها الطريق ويساوي عندها بين السبل فتبقى النفس في حيرة تتردد وفي ريب تتلدد ويهجم بها على أحد الطرق اعتسافا للحق تهورا وإقداما قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(الزمر ٩)

ومنها (قوة التمييز) التي سماها الأوائل المنطق فجعل لها خالقها بهذه القوة سبيلا إلى فهم خطابه وإلى معرفة الأشياء على ما هي عليه وإلى إمكان التفهيم فبها تكون معرفة الحق من الباطل ومنها (قوة العقل) التي تعين النفس المميزة على نصرة العدل فمن اتبع ما أنارة له العقل الصحيح نجا وفاز ومن عاج عنه هلك قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

(ق ٣٧)

وفي الإحكام يقول ـ أيضا ـ عن شريعة الإسلام:

«إن الله أودع تلك الشرائع في الكلام الذي أمر رسول الله ﷺ بتبليغه إلينا وسماه قرآنا. وفي الكلام الذي أنطق به رسوله وسماه وحيا غير قرآن. وألزمنا في كل ذلك طاعة نبينا عليه السلام. وألزمنا تتبع تلك الشرائع في هذين الكلامين. لنتخلص بذلك من العذاب. ونحصل

(٧) ابن حزم شخصية [illegible]
(٧) [illegible]
(٨) سير أعلام النبلاء.
(٨) سيرة ابن كثير ج٤ ص٤١
(٩) يمكن الرجوع لسير أعلام النبلاء لمن أراد الاستزادة
(١٠) نفح الطيب ج٢، ص٧٨

على السلامة والخطوة في دار الخلود.. ووجدناه تعالى قد أمرنا بذلك بكتابه إلينا

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة: ١٢٢)

فوجب علينا أن ننفر لما استنفرنا له خالقنا -عز وجل- فوجدناه قد قال في القرآن الذي قد ثبت أنه من قبله -عز وجل- والذي أودعه عهوده الملازمة له

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

(النساء: ٥٩)

ثم يقول ابن حزم: فنظرنا في هذه الآية فوجدناها جامعة لكل ما تكلم الناس فيه أولهم عن آخرهم مما أجمعوا عليه واختلفوا فيه من الأحكام والعبادات التي شرعها الله عز وجل لهم لا يشذ عنها شيء من ذلك. فكان كتابنا هذا كله في بيان العمل بهذه الآية، وكيفية بيان الطاعتين المأمور بهما لله تعالى ولرسوله عليه السلام، وهذا هو جماع الديانة كلها».

ومن هنا نرى رفض ابن حزم القاطع لقبول القياس كدليل من الأدلة الشرعية. ولم يتورع ابن حزم عن الزراية بمخالفيه فرماهم بالكذب وإن كنت رحت في ذلك عما ورد في الأسلوب القرآني من أدب في حوار المخالفين.

فتركه الكثير من أهل العلم وطلابه على ما هو عليه من غزارة المادة وصفاء الذهن وحسن الاستدلال.

وبعد فهل يمكن أن يصدق أحد أن هذا العالم الفذ - الذي ألف كل هذا الكم من الكتب في شتى فروع العلم - كان لا يعرف أنه يجب أن يصلي ركعتين تحية للمسجد عند دخوله وقد بلغ من العمر ستا وعشرين عاماً؟! وأنه أيضاً لم يكن يعلم أن الوقت بعد صلاة العصر وقت كراهة لا تجب فيه صلاة نافلة!

لقد سمع ابن حزم تنبيهات من الرجال المصلين حوله، وقد تكون هذه التنبيهات في صيغة آمرة حازمة!! إلا أنها صادفت نفساً عالية تواقة للمعالي فأثمرت.. نعم كان الشباب في ذلك العصر يتقبلون الإرشاد برحابة صدر.. وكان ابن حزم حافظاً للقرآن مثل الكثير من أقرانه في ذلك الوقت.. فقد أتم حفظ القرآن في سن مبكرة.. والقرآن يطبع الأبناء على حب القيم واحترام الشيوخ.

ولعل لنا جميعاً في هذه الومضة عظة ومن هذا الموقف اعتبار فعلى شيوخنا أن يقدموا النصح لأبنائنا المسلمين وليعلموا أن الزمان قد تغير. وأنهم إنما يقدمون النصح لأبنائهم وعامتهم لا يحفظ القرآن. وأكثرهم لا يتقبل النصح في صيغة الأمر فعليهم بالرفق فإن الرفق ما خالط شيئاً إلا زانه وما فارق شيئاً إلا شانه.

فلعل النصح والإرشاد برفق يخرج من بين شبابنا الكثير مثل ابن حزم.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

القابضون على الجمر

يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر

(سنن الترمذي)

أجل.. أصبح التمسك بفرائض الإسلام مدعاة للاتهام بالإرهاب.. فمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. يعد إرهابياً ومن يواظب على ارتياد المساجد إرهابي.. ومن يخرج الزكاة للفقراء والأيتام والمساكين إرهابي.. ومن يصوم رمضان إرهابي ومن يؤدي فريضة الحج إرهابي.

وبهذا المنطق.. منطق العالم الجديد الذي بشر به جورج بوش في حروبه الأخيرة ضد العالم الإسلامي سمحت إسرائيل لنفسها أن تمنع من يريد أداء فريضة الحج من أبناء فلسطين من الخروج.. بحجة أنهم ليسوا ذاهبين للحج.. وإنما هم يتوجهون لمعسكرات تدريب إرهابية للعودة لضرب أهداف مدنية إسرائيلية.. «هكذا ادعوا».

وعندما تدخلت مصر تم السماح للراغبين في أداء فريضة الحج بالسفر إلى الأراضي المقدسة. ولكن عند عودة الحجاج رفضت إسرائيل السماح لهم بالعودة إلى الأراضي الفلسطينية إلا بعد إجراءات معينة لم تحددها!! فقط حددت لهم معبراً محدداً للعبور منه وهو معبر «كرم أبو سالم» الواقع تحت السيطرة الإسرائيلية للخضوع هناك لإجراءات التفتيش والتحري والتي قد تصل لحد الاعتقال وربما القتل.. فأحجم الحجاج الفلسطينيون عن الدخول عبر المعبر الإسرائيلي لعلمهم بما سيحدث لهم فإسرائيل قررت أن من يتمسك بشعائر الإسلام إرهابي وهم سيظلون على تمسكهم بإسلامهم. وبالتالي فهم ما بين معتقل ومقتول.. فتكدست جموعهم على الحدود المصرية الفلسطينية في انتظار بارقة أمل!!

وعبثاً حاولت مصر إقناع الحكومة الإسرائيلية بترك الحجاج

يعودون إلى أراضيهم وبيوتهم ولكن دون جدوى.. فكان القرار المصرى بدخول الحجاج الفلسطينيين غزة عبر معبر رفح وهو القرار الذى لقى ابتهاجاً فلسطينياً ترجمته تصريحات القادة الفلسطينيين الذين أكدوا أن القرار المصرى يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مصر كانت ومازالت حريصة على عدم التفريط فى حقوق الفلسطينيين.

وفى المقابل انتابت إسرائيل حالة من الغضب لأن مصر حرمتها من ممارسة ساديتها على الفلسطينيين المتمسكين بإقامة فروض الإسلام مهما كلفهم الأمر حتى لو اتهموا بالإرهاب!!

أجل غضب الإسرائيليون لأن مصر حرمتهم من فرصة إخراج أراضى الفلسطينية من بضعة مئات من الفلسطينيين كانوا سيتحولون إلى لاجئين وبالتالى يحرمونهم حق العودة إلى أراضيهم!!

كل هذا فقط بسبب إصرار الشعب الفلسطينى على التمسك بأداء فروض الإسلام على الرغم من أن إسرائيل أعلنت منذ قيامها مراراً وتكراراً أنها دولة عبرية لليهود فقط!! أى أنها دولة قامت على أساس دينى.. وتتهم العالم كله بمعاداتها وتتهم كل جيرانها بالتطرف والإرهاب.. لأن كل الدول المجاورة لها دول إسلامية.. نصت دساتيرها على أن الإسلام هو المصدر الأول لديها للتشريع وتبدى قلقها ومخاوفها من انتشار الإسلام فى القارة الأوروبية.

لماذا هذا كله؟

الجواب لأنها تعلم أن أساس الصراع بينها وبين جيرانها المحيطين بها صراع دينى فى جوهره وأنه مادام هناك مسلمين يتمسكون بدينهم فوجودها محفوف بالمخاطر فهى لن تنسى أبداً أن نبى المسلمين محمد ﷺ والراشدون من خلفائه أجلوهم عن الجزيرة العربية منذ نحو ألف وأربعمائة عام ولذا فهى تتعامل مع كل مسلم يتمسك بتعاليم دينه بمنطق أن هذا المسلم المتمسك بإسلامه هو الذى يمثل الخطر الداهم نحوهم حتى لو كان طاعناً فى السن غير قادر على حمل السلاح أو جنيناً فى بطن أمه.. إنه المنطق الذى يحكم السياسة الإسرائيلية منذ مذبحة ديرياسين سنة ١٩٤٨ وحتى اليوم.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود﴾

المائدة ٨٢

أحمد تقى الدين

دروس من هجرة المصطفى ﷺ

من الأستاذ / أحمد عبد المحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية للبنين النموذجية بالدقى - جيزة - كانت هذه الرسالة. قال:

كانت الهجرة خطوة هامة قوى بها عود الإسلام واشتد بنيانه وثبتت أقدامه لقد تمت الهجرة فكانت نعمة ومنة امتن الله بها على رسوله ﷺ.

إن فى الهجرة دروساً مستفادة ومن أهم تلك الدروس الإخاء الذى تم بين المهاجرين والأنصار يقدم لنا الدرس العملى الذى ينبغى أن يكون بين المسلمين فى كل زمان ومكان فالقوة والشوكة لا تكون إلا بالاتحاد والتآلف وهذا هو السر فى التآخى.

• ولقد هاجر المهاجرون من مكة وليس معهم شىء من مالهم فاستقبلهم الأنصار فى المدينة المنورة وقدموا أروع مثل للإيثار. وهو الأمر الذى ينبغى أن يستمر دائما والمسلمون فى حاجة إلى العمل بهذا الدرس فى كل زمان ومكان حينما يتذكر المسلمون ما تم قديما فى تاريخهم فإنهم بغير شك يسارعون لكى يقتدوا بإخوانهم المسلمين الأولين.

لقد كان أول أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم بناء المسجد ودلالة ذلك أن المسجد هو المكان الذى تتأسس فيه العقيدة وتتربى فيه القلوب ولابد من بناء المكان الذى يتربى فيه كل المسلمين وفيه تربية السلوك وفى شموله بكل ما يتعلق بجوانب الحياة.

• لقد واكبت عناية الله رسوله ﷺ وأصحابه فقد سبق القرار النهائى لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الهجرة بدأت قبل قرار النبى لصحابته عندما كانوا يهاجرون إلى الحبشة ونحن نعرف أن أهل مكة بعثوا من يتفاوض مع ملك الحبشة حتى يعيدهم إلى مكة مرة أخرى لكن الله سبحانه وتعالى ألقى فى قلب النجاشى حب المسلمين فلم تغره الهدايا التى قدمها مشركو مكة وأعاد أولئك الذين ذهبوا للتفاوض معه دون أن يحصلوا على أدنى شىء فهذا مظهر من مظاهر عناية الله برسوله وأصحابه.

• وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة ولم تكن إلى غيرها وذلك لأنه لم يكن فى الجزيرة العربية ما يناظر مكة إلا يثرب حيث كانت الحياة ميسرة فيها وكانوا أكثر أهل الجزيرة قبولاً للمسلمين عندما كانوا فى مكة.

• ومن دلالة الاحتفال بحدث الهجرة فى كل عام لابد أن نقف لنراجع أنفسنا فإذا أردنا أن نكون الآن فى حياتنا المعاصرة الحياة الحرة الكريمة فكما يقال لا يصلح حال آخر الأمة إلا بما صلح به أولها وهو العمل بما فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى كل جوانب الحياة قال رسول الله ﷺ: «تركت فيه ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدى كتاب الله وسنتى».

أول جمعة في الإسلام

ومن القارئ مسعد عبد الله، الاسكندرية، كانت هذه الرسالة عن أول خطبة خطبها النبي ﷺ في المدينة المنورة، قال:

روى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

ولما ارتفع النهار، ركب رسول الله ناقته القصواء، في موكب حافل، والمسلمون يحيطون به مشاة وركبانا، وقد تقلدوا سيوفهم، وتحلوا بأحسن ملابسهم، وعلا وجوههم الزهو والبشر والابتهاج بمقدم رسول الله، ﷺ وقد بلغ من حرصهم على كرامة رسول الله وتعظيمه، أن كانوا يتزاحمون أمام ناقته، حتى ينازع أحدهم صاحبه في الوصول إليه والتبرك به.

وتوجه ﷺ نحو المدينة فجعل لا يمر بدار من دور الأنصار إلا اعترضوا طريقة وقالوا: «هلم يا رسول إلى القوة والمنعة والثروة!» فيبتسم ﷺ شاكرا ويدعو لهم بخير ثم يقول وهو يشير إلى ناقته: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».

وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا، كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، وكل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم، فهي كالقرى المتلاصقة.

فلما وصل ﷺ إلى دار بني سالم بن عوف أدركت صلاة الجمعة، فصلاها هنالك في واديهم بمن كان معه من المسلمين. فكانت أول جمعة أقامها ﷺ في الإسلام وكانت أول خطبة خطبها أن قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقدموا لأنفسكم، تعلمن - والله - ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ليقولن له ربه، ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم.. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته».



عالم لاهوت كبير:

الإسلام أعظم الأديان وهو المنقذ والنبي محمد الأعظم

أكد هانز كونج عالم اللاهوت الكاثوليكي السويسري، الذي يعد من أهم مائة مفكر بالعالم، أن الإسلام هو أعظم الأديان، وأنه يمثل طوق النجاة من خلال أحكامه وقواعده التي تتفوق في تحديدها وتركيزها على الديانات السماوية الأخرى، كما وصف كونج رسول الله ﷺ بأنه أعظم شخصية في التاريخ.

وأوضح أنه توصل من خلال دراسته العميقة في الأديان السماوية الثلاثة إلى أن الإسلام هو أعظمها، وأنه يمتاز عن غيره من الأديان بأن كلام الله، القرآن الكريم، محفوظ في كتاب الله كما هو منذ نزل من السماء على الرسول محمد ﷺ.

ويقول هانز كونج: كنت شغوفا بالإسلام والأديان السماوية منذ شبابي ومرت علاقتي بالإسلام بمراحل مختلفة، كشفت لي عن العمق الذي يتمتع به الإسلام، ومقدار الإنسانية التي يزخر بها.

وأكد على تكريم القرآن الكريم للمرأة، مشيرا إلى أن الإسلام أعطاها حقوقا التي لم تكن متاحة من قبل مثل الذمة المالية المستقلة، وأن من حقها أن يعتق زوجها عليها، كما أن لها أيضا حق الإرث في زوجها، كما ذكر في القرآن الكريم.

اللواء الإسلامي
١٣ - ١٢ - ٢٠٠٧م

فى أحدث إحصائية:

الإسلام ثالث دين فى ايرلندا وارتفاع نسبة معتنقيه بنسبة ٧٠٪

أظهرت إحصائية رسمية جرت فى جمهورية أيرلندا أن المسلمين أصبحوا يشكلون الدين الثالث فى البلاد بعد الكاثوليك وأتباع كنيسة أيرلندا وذلك حسب مسح بين سكان البلاد خلال العام الماضى.

كشف المكتب المركزى للإحصاء فى أيرلندا أن أكثر من ٣٢ ألفا من المقيمين على أراضيها يدينون بالإسلام. بلغت نسبة الذكور منهم ٣,٥٩ والإناث ٤٦,٤٠. كما يعنى أن ارتفاعا ملحوظا قد سجل مقارنة مع العام ٢٠٠٣ إذ قدر مجموع عدد المسلمين بنسبة ٩,٦٩ بالمائة. وحسب أرقام المكتب الإحصائى سوصفره دبلن فإن أكثر من نصف المسلمين فى أيرلندا يتحدرون من أصول آسيوية وأفريقية. بينما يشكل حملة الجنسية الأيرلندية منهم قرابة الثلث. ويظل الكاثوليك أكبر تجمع دينى فى الجمهورية الأيرلندية إذ بلغ عددهم ثلاثة ملايين و٦٨١ ألف نسمة بينما حل أتباع كنيسة أيرلندا الأنجليكانية فى المركز الثانى بواقع ١٢٥ ألف نسمة وذلك من أصل العدد الإجمالى والبالغ أربعة ملايين و٢٣٩ ألف نسمة.

اللواء الإسلامى ٦ ١٢ ٢٠٠٧م

جمعية اسرائيلية تؤكد تزايد العنصرية ضد العرب داخل اسرائيل

أظهر تقرير لجمعية حقوق الإنسان الإسرائيلية تزايد العنصرية ضد العرب داخل إسرائيل وكشف التقرير السنوى لجمعية حقوق الإنسان الإسرائيلية أن العنصرية فى إسرائيل متفشية بطريقة غير مسبوقة. حيث أعرب أكثر من ٧٠ من اليهود عن عدم استعدادهم للسكن بالقرب من العرب أو السماح للعرب بزيارتهم فى منازلهم.. كما أعرب أكثر من ٦٠ من اليهود عن تأييدهم للفصل بين العرب واليهود فى الأماكن العامة، وأظهر التقرير أن أكثر من ٧٠ من الشباب اليهود يؤيد طرد العرب.

من جهتها، اعتبرت راحيل بن ريمان مديرة جمعية حقوق الإنسان الإسرائيلية، أن العنصرية فى إسرائيل أصبحت ظاهرة مقلقة فهى فى ازدياد مستمر عاما بعد عام.

اللواء الإسلامى - ٢٧ ١٢ ٢٠٠٧م

محاضرات دعوية لطلبة الجامعات الاوكرانية لتعريفهم بقيم الاسلام

ينظم اتحاد المنظمات الاجتماعية الإسلامية «الرائد» فى أوكرانيا سلسلة من المحاضرات الدعوية بجامعات العاصمة بهدف تعريف النخبة من الشباب غير المسلم بالقيم الحقيقية للإسلام وتعريفه بالثقافة والحضارة الإسلامية.

وقال بيان صادر عن الاتحاد إن أولى هذه المحاضرات تم إلقاؤها على طلبة السنة الثانية فى الأكاديمية الوطنية بحضور ما يزيد على ١٠٠ طالب وطالبة ممن يدرسون الاستشراق ويهتمون بالثقافة الشرقية.. ويشير البيان إلى أن المحاضرة التى ألقاها الداعية طارق سرحان باللغة الروسية والتى كانت بعنوان «نصوص العرب قبل الإسلام وتأثير الإسلام عليهم» لاقت اهتماما كبيرا من الطلبة والمدرسين.

ومن المقرر أن ينظم الاتحاد دورة للمدرسين الأوكرانيين فى الجامعة والمتخصصين فى تدريس مادة الثقافة الشرقية لتعريفهم جيدا بالإسلام.

اللواء الإسلامى - ١٣ ١٢ ٢٠٠٧م

هولندا تحظر اقامة معرض يسيء للنبى ﷺ

حظرت إدارة متحف البلدية فى مدينة لاهاى غربى هولندا إقامة معرض فنى لامرأة إيرانية حاولت عرض صور ولقطات فيديو تسيء إلى الإسلام والنبى محمد ﷺ والصحابة.. ذكرت صحيفة «إلبايس» الإسبانية فى تقرير نشرته أن صاحبة المعرض كانت تستهدف الإيحاء للزوار بمفاهيم مغلوطة عن الإسلام.. مشيرة إلى أن إدارة المتحف اعتذرت عن إقامة المعرض حتى لا تؤذى مشاعر المسلمين.

أشارت إلى أن صاحبة المعرض تدعى سوزية هيرا وهى إيرانية تقيم فى هولندا منذ ٧ سنوات وتدرس فى أكاديمية الفنون وهى معروفة بتنفيذ أعمال تتركز على عالم الشواذ جنسياً!!

الجمهورية - ٣ ١٢ ٢٠٠٧م

حلف الناتو: الإســلام ليس عـــدوا للغــرب

أكد جان فرانسوا بوريو - الأمين العام المساعد للدبلوماسية العامة فى حلف شمال الأطلسى «الناتو» أن الحلف بحاجة لمزيد من التفاهم مع الدول العربية الإسلامية من خلال مبادرة اسطنبول. وقال بوريو: إن الإسلام دين قوى ومنتشر وليس عدوا للغرب على الإطلاق. واعتبر أن إحلال السلام ممكن فى الشرق الأوسط لوجود رغبة لدى كل الأطراف لإنهاء الصراع، مشيرا إلى حرص الناتو على السلام المتوازن بين كل الأطراف المعنية. ونفى أن تكون داخل مقر «الناتو» فى بروكسل أية أفكار تدل على أن هناك حربا سوف تندلع بين الغرب والإسلام، ورفض أن يكون الإسلام عدوا للغرب كما يشاع، وقال: إن الإسلام منتشر بكثرة ولسنا فى مواجهة مع الإسلام مطلقا.

اللواء الإسلامى - ١٣/١٢/٢٠٠٧م

الطــــلاب العـــرب يهجــرون أمريكـــا

بالرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية لاستعادة الطلاب العرب للدراسة بجامعاتها ومعاهدها، حيث انخفضت أعدادهم بشدة عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، إلا أن هذه الجهود باءت بالفشل حسب تقرير معهد التعليم الدولي بنيويورك، وتحول الطلاب العرب إلى الدراسة في استراليا بدلا من الولايات المتحدة. وذكر تقرير المعهد الدولي الذي نشرته صحيفة (واشنطن بوست) الأمريكية أن عدد الطلاب الإماراتيين على سبيل المثال الذين اختاروا الدراسة في الولايات المتحدة انخفض بنسبة ١٠ في عام ٢٠٠٦، كما انخفض عدد العمانيين الراغبين في الدراسة بأمريكا بنسبة ٢٥، وكذلك انخفض عدد الطلاب الكويتيين واللبنانيين والأردنيين بنسب متفاوتة. وكشف التقرير عن أن استراليا أصبحت الوجهة الأولى للطلاب العرب الراغبين في الدراسة بالخارج، حيث قفز عدد الطلاب العرب والإيرانيين الدارسين بها من ٢٥٨٠ طالبا عام ٢٠٠٢ إلى ٧١٢٢ طالبا عام ٢٠٠٦.

الأهرام - ٢١ - ١٢ - ٢٠٠٧م

تركيا تتجه لتخفيف الحظر على الحجاب

ألمح حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا إلى اعتزامه تخفيف الحظر الصارم المفروض على ارتداء الحجاب في الجامعات بموجب مشروع دستور جديد.

قال ديجير فيرات نائب رئيس الحزب ذو الجذور الإسلامية في تصريح له: إن هذا الدستور الجديد سيحل مشكلة الحجاب بروح تحررية أكبر. وأوضح أن الحجاب هو امتداد لحرية العقيدة، مشيرا إلى أن الدستور الجديد سيحل محل دستور يرجع إلى الحكم العسكري في الثمانينيات وأنه سيعزز الحرية الفردية في تركيا المرشحة للانضمام للاتحاد الأوروبي.

الجمهورية - ٢٨/١١/٢٠٠٧م

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ / [illegible]



الإمـــام الأكبـــر يهنـــئ العــاملين بجمـــع البحــوث الإسلامية بعيـــد الأضـحى المبـــارك

في لفتة حانية كعادته دائما تفضل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بزيارة مجمع البحوث الإسلامية لتهنئة العاملين بعيد الأضحى المبارك وقد دعا فضيلته لهم بالتوفيق في العمل متمنيا لهم حياة سعيدة.

الإمام الأكبر يتدخل للإفراج عن مبعوث الأزهر في الفلبين

تعرض الشيخ محمد السيد أحمد موسى عضو بعثة الأزهر الشريف في دولة الفلبين بولاية كوتاباتو للقبض عليه من منزله يوم ١٩ - ١٢ - ٢٠٠٧ أول أيام عيد الفطر المبارك بتهمة حيازة مواد يمكن استخدامها في صناعة متفجرات وفور علم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بهذا الموضوع قام فضيلته

بالاتصال بالسيد وزير الخارجية والسيدة السفيرة سلوى مغيد سفيرة مصر في الفلبين للوقوف على أبعاد القضية واتخاذ الإجراءات اللازمة وقد أمر فضيلة الإمام الأكبر بتشكيل غرفة عمليات لمتابعة الموضوع برئاسة فضيلة الشيخ على عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية حيث استدعاه فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الخميس ٢٠ ١٢ ثاني أيام العيد لمتابعة هذا الموضوع وفتح خط اتصال مباشر مع الخارجية المصرية والسفارة المصرية في الفلبين ورئيس البعثة الأزهرية.

وقد قامت السفارة المصرية بدفع الكفالة المطلوبة للإفراج عنه وتوكيل أحد المحامين بناء على طلب الإمام الأكبر

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقب زيارة السيد السفير أحمد القويسنى مساعد وزير الخارجية للشئون القنصلية بعد الاطلاع على كل ملابسات القضية أن وجود عطلات في دولة الفلبين هذه الأيام كان سببا مباشرا في تأخير عرض المبعوث على القاضي المختص والإفراج عنه.

وقد تم الإفراج رسميا عن المبعوث صباح يوم الخميس ٢٧ ١٢ ٢٠٠٧ وذكر فضيلة الشيخ على عبد الباقي أن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وافق على اقتراح السفارة بنقل مبعوثي الأزهر الشريف في ولاية كوتاباتو بما فيهم الشيخ محمد السيد مرسى إلى العاصمة مانيلا وتوزيعهم على المعاهد والمدارس الإسلامية بالعاصمة مانيلا حرصا عليهم وخوفا من أن يتسبب هذا الحادث في تعريضهم لأي خطر.

وقد ذكر المحامي الموكل في القضية أن الأوراق والمستندات الرسمية التي اطلع عليها تفيد بأن الشخص المطلوب يدعى محمد سعيد الشهير بأبي حسين وليس محمد السيد موسى مبعوث الأزهر مما يؤكد لدينا براءة الشيخ محمد السيد موسى ولاسيما وأن السلطات الفلبينية قد تحرت عنه ومنحته تأشيرة الدخول والإقامة من قبل ذلك وقد تابعت غرفة عمليات التي شكلها فضيلة الإمام تتابع الموضوع مع الخارجية والسفارة المصرية ومحامي الفلبيني المكلف بتولي القضية حتى الانتهاء منها وإثبات براءة المبعوث.

ويشيد فضيلة الشيخ على عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية باهتمام وزير الخارجية والسيد السفير أحمد القويسنى والسيدة السفيرة سلوى مغيد بالموضوع وجهودهم المشكورة في رعاية مبعوثي الأزهر.

إجــــازة إجهـاض المغتصـــبة

نافش مجلس مجمع البحوث الإسلامية في جلسته المنعقدة في ١٧ من ذى الحجة ١٤٢٨هـ- ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٧ مذكرة لجنة البحوث الفقهية بجلستها بتاريخ ٣ من ذى الحجة ١٤٢٨هـ- ١٢ ١٢ ٢٠٠٧ بشأن مدى جواز إجهاض الحامل من عملية الاغتصاب

وقد أقر المجلس جواز إجهاض الحامل من الاغتصاب وقد قرر المجلس أنه يجب على المغتصبة أن تتخلص فور علمها به ما لم ير الطبيب المختص ضرورة بقصرها لإرجاء الإجهاض في أسرع وقت.

مشـــكلات الأقليـــات الإســـلامية

كما ناقش المجلس في ذات الجلسة المذكرة المقدمة من السيد الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى بشأن الأقليات المسلمة في الدول الغربية وسائر دول العالم على السواء.

وتضمنت المذكرة البنود الآتية:

١- المواطنة في الدول غير الإسلامية ومدى ارتباطها بالولاء لنظام غير إسلامي.

٢- المشاركة في النظام السياسي غير الإسلامي سواء بالترشيح أو التصويت.

٣- شراء البيوت أو المساكن بفوائد بنكية.

٤- زي المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية والانخراط في الحياة العامة.

٥- الالتحاق بنظام التعليم والثقافة العلمانية في المجتمعات غير الدينية.

٦- العمل في مجالات غير مشروعة إسلامياً.

٧- التجنيد في جيش دولة غير إسلامية.

٨- حق حضانة الأم غير المسلمة التي انفصلت عن أب الطفل المسلم.

٩- اللجوء إلى النظام القضائي غير الإسلامي في منازعات الأسرة المسلمة.

١٠- عدم إجازة العقود للمسلم عملاً بالقوانين الغربية.

١١- تحديد بداية الصوم تبعا لاختلاف المطالع وعدد ساعات الصوم في المناطق القطبية ومواقيت الصلاة فيها.

١٢- منهج وأسلوب الدعوة الإسلامية في العالم المعاصر.

- وقد قرر المجلس أن يعد السادة الأعضاء أبحاث في هذه الموضوعات للعرض على المجلس في جلسة قادمة كل في تخصصه.

دورات تدريبية للوعاظ الجدد

صرح فضيلة الشيخ عبدالحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة بأنه يجرى حاليا عقد دورات تدريبية للوعاظ الجدد على مستوى الجمهورية للتدريب على مهام العمل الدعوى والفتوى.

وذلك بمقر مدينة البعوث الإسلامية بالقاهرة مدة الدورة خمسة عشر يوما وعدد الدارسين خمسة عشر واعظا يمنح كل متدرب شهادة بذلك فى نهاية الدورة

٦٢٤٥ دارسا بالأزهر من دولة ماليزيا

صرح فضيلة الشيخ فوزى زيدان مدير عام إدارة الوافدين بالمجمع أن عدد الدارسين للعام الدراسى ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ من دولة ماليزيا الشقيقة بلغ ٦٢٤٥ فى مختلف المراحل التعليمية وأن عدد الدارسين منهم على نفقة الأزهر اثنان وستون طالب وطالبة بالإضافة إلى مائة وستين على منح من جهات مختلفة وستة آلاف وثلاثة وعشرين طالبا وطالبة على نفقتهم الخاصة.

من أجل حوار لا يفسد للود قضية



صدر عن إدارة المطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية إصدار جديد بعنوان «من أجل حوار لا يفسد للود قضية» للمفكر الإسلامى الأستاذ الدكتور محمد عمارة عمد فيه الكاتب إلى إظهار فن الحوار الإسلامى، وقد ضم المؤلف آراء المستشرقين بحجج ساطعة دون مساس بالأديان

يقع الكتاب فى ثلاثة فصول، الأول تناول المؤلف فيه الجدل من البداية إلى النهاية.. وفى الفصل الثانى تناول المجادلة مع أهل الكتاب وأخلاقيات الجدل والالتزام بأدب الحوار.. أما الفصل الثالث: فقد ذكر فيه بعض صور الجدال ثم طاف حول وظيفة الداعية وما يتصف به من حلم وصبر بالإضافة إلى كثير من موضوعات شيقة التى عرف بها مفكرنا الكبير

their books and correspond to them. (Narrated by Al-Bukhary, Abu Dawud and At-Termethy). Thus, many Muslims were keen on learning and translating to and from many languages.

The beloved Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was a perfect example for using [illegible] reading and writing to reform the new Islamic society, and to prepare the human being by science first to be the foundation stone of new human society moving toward progress and improvement.

In comparison with the instructions of Islam for reading and imposing the scientific research, the United Nations declared that every human being has the right of culture and education. However, it did not make [illegible] this right, rendering this right as a recommendation. There is a great difference between recommending the education of the human being and obliging the necessity of reading and science as Islam did, which in fact creating great love for science and knowledge.

Jamil Lebon mentioned in his book "The Arab Civilization": "The great interest of the Arabs in science was marvelous. Although many nations became equal to them, no other nation preceded them as Islam. If they conquered a city, their first interest was establishing a mosque and a school. There were not only many schools in the big cities, but also there were universities in Baghdad, Cairo, Tulaitelah, and Qurtubah…etc. These universities were equipped with labs, observatories, rich libraries and the necessary articles needed for scientific research.

The civilized beginning of the progress of the Muslims is one of the phenomena of kindness, the attributes that distinguished them in their conquests. Some of the philosophers of the west said, "There were no conquerors kinder than the Muslims and no more tender religion than Islam."

The most remarkable attribute that distinguished Islam from any other religion and organization is its call for establishing life system on the basis of science and belief. The Noble Qur'an revealed this fact in the first verses that descended and were received by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

May the blessings and peace of Allah be upon the Prophet Muhammad at every time till the Day of Judgement. Our last prayer is praise be to Allah, the Lord of the worlds.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

Ibn Al-Qayem (may Allah forgive him) mentioned that the Surah starts with the order of reading resulting from knowledge. He mentioned the creation in general and in particular in His saying:

«Read : In the Name of your Lord who created. Created man from clots. Read: And your Lord is The Most Honorable.»[Al- Alaq (the colt) : 1-3]

Allah distinguished the human being from the other creatures by manifesting in the human being His miracles, the signs of His Divine abilities, His wisdom, His comprehensive mercy and oneness. Allah mentioned the word "clot", as it is the beginning of the creation.

Then, Allah repeated the order of reading informing that He is the Most Honorable, as He is the source of honor and generosity, and the Most Perfect and Most Glorious. Then, Allah mentioned knowledge in general and in particular.

«He taught man what he did not know». [Al- Alaq (the clot) : 5]

The verse means that Allah granted all the creatures His graces. Creation includes four levels:

The first: The exterior level that is expressed by the word "create"

The second: The intellectual level indicated by His saying:

(He taught man what he did not know.)

The third and fourth levels: The verbal and written levels, the later of which is mentioned frankly in His saying:

«Who taught by the pen.»

Written education depends on the verbal one, as writing is a branch of pronunciation, which is a branch of imagination. These words include all the levels of existence. Allah granted His creation knowledge and He is the Creator of all creatures. Nothing could be written, known or said except by His Will and Ability. These are the signs of His existence and proofs of His Wisdom. There is no god but Allah, the Most Gracious, The Most Merciful.

Allah is known to His creatures by the knowledge that He taught them, being represented in writing, reading and meaning. Knowledge is the most remarkable proof of the existence of Allah.

Thus, the books of explanation indicate the significances of the first verses of the Noble Qur'an calling for knowledge to start new history for humanity. The Divine speech is directed to the Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), and to every one to understand that he is ordered to read.

Reading refers to every useful science; Allah mentioned reading in particular because it is the starting point for the human being, and the key of his progress. Work in Islam should depend on knowledge, which depends on reading and illiteracy eradication.

[2] The explanation of Ibn Kathir volume 4, page 528

[3] The key of happiness, volume 1, page 58 taken from the previous reference

In response to the first instructions of the Noble Qur'an, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was keen on getting rid of illiteracy that spread among the Arabians, as they were known among the nations by "the illiterates". Allah, Glory be to Him, said:

«He is the One Who has sent forth among the illiterate a Messenger from among them.»

[Al-Gum'ah (Friday): 2]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said expressing the prevailing reality, "We are an illiterate nation that neither writes nor counts." (Narrated by Al-Bukhary). It is really wonderful that the illiterate Prophet who belongs to an illiterate nation started to fight illiteracy by all means.

When the Muslims captivated some of the Quraysh men in Badr invasion, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) determined the ransom of some of them to be teaching some of the Muslim illiterates. He imposed on every captive to teach ten Muslims to get rid of arresting.

Ibn Sa'd Ibn 'Amer Al-Sha'by mentioned, "Allah's Messenger arrested in Badr day seventy captives whose ransom was determined according to the quantity of their money. The people of Mecca were literate, while those of Medina were illiterate. The one who has no money had to teach ten of the youth of Medina. He would be released if the youth he taught became literate.[4]

It was mentioned that Zayd Bin Thabit, one of the writers of the revelation, was taught by one of the captives of Quraysh. Thus, the Prophet's plan did not depend on poor knowledge. However, it depended on excellent command unless the trainee would forget and became illiterate again.[5]

The difference of religions did not prevent the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from taking the best of the disbelievers, especially learning how to write does not include particular kind of thinking or culture. Also, it can not be affected by the attitude of the teacher.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) did not limit learning to men only, but he urged also the women to learn, as Al-Shifa' Bint Abdullah taught the mother of the believers, Hafsah Bint Omar.

As for learning languages, some of the Prophet's companions knew Persian, Habashi and Roman languages, and translated many sorts of knowledge. No one of his companions knew Hebrew, the language used by the Jews, thus he ordered the writer of the revelation, the genius supporter (Ansary), Zayd Bin Thabit (may Allah be pleased with him) to have good command of writing and reading it to do without the Jewish mediators.[6]

Zayd said, "When Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered me to learn Hebrew, after a month and a half, I had good command of it. I could read

[4] The levels of Ibn Sa'd, volume 1, page 22, Beirut edition

[5] Dr. Yousif Al-Qaradawy, The Prophet and Science, Resalah foundation, Beirut, 146 H-1985 G

[6] The previous reference

With
Muhammad the Beloved Messenger' (may the blessings and peace of Allah be upon him) Regarding the Meaning of (Read)...!

By: Dr. Ahmad Fou'ad pasha

The Noble Qur'an referred to this religion in the saying of Allah, Glory be to Him:

{Ibrahim was in no way a Jew, neither a Christian; but he was an unswervingly (upright) Muslim; and he was in no way one of the associators.

[Al-Imran (The House of Imran): 67]

When the beloved Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was forty years old, the revelation descended to him while worshipping in Hira' cave. The inspiration informed him that he would become the Messenger of Allah to bring the world out of darkness to light, calling the people to avoid worshipping the idols, to get rid of the superstitions of the pre-Islamic era, to worship Allah only. Moreover, his role is to call the people to believe in Allah, His Angels, Books, Messengers and the hereafter, to reform the human society, develop it to reach [illegible] in which the human being joins the good of the present life with that of the hereafter. The first verses of the Noble Qur'an that descended are:

{Read In the Name of your Lord who created. Created man from clots. Read: And your Lord is The Most Honorable. Who taught by the pen. He taught man what he did not know.}

[Al-Alaq (The Clot): 1-5]

There is no more decisive proof for the importance of science and urging the human being to ask for it than beginning the Noble Qur'an by the [illegible] verses ordering the people to read. The order, which is mentioned twice, does not mean a specific kind of reading. The word "science" is mentioned thrice without determining its subjects. It does not matter whether the "subject" of reading and science is religious or worldly as long as its research aims at serving Islam, improving life, and guiding the human being at every time and place.

The holy verses included the word "the pen" as a means of writing.

The Noble Qur'an asked solely for being limited by the following:

{Read: In the Name of your Lord who created}

Thus, it could be directed to right and good because Allah is their source. This is the reading meant by Islam for the sake of science regardless of its subject. It should be under the umbrella of Islam and for the sake of sublime patterns.

Al-Qortoby (may Allah forgive him) said, "Most of the explainers said that this Surah is the first one that descended by Gibril while the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was worshipping in Hira' cave. Gibril taught him five verses. Then, Al-Qortoby said:

{Who taught by the pen}

He meant writing, as Allah taught the human being writing using the pen. Ibn Qotadah narrated that the pen is a great grace granted by Allah, without which neither religion, nor life could exist. One of the graces of Allah is that He taught His worshippers the matters that they did not know transferring them from the darkness of illiteracy to the light of learning.

Moreover, Allah draws the human attention to the grace of writing, as it has various benefits not known to any one except Allah. Then, Al-Qortoby (may Allah forgive him) said the saying of Allah, Glory be to Him:

{He taught man what he did not know}

It was said that the human being is Adam (may the blessings of Allah be upon him), who was taught the names of every thing, as Allah, Glory be to Him, said:

{And He taught Adam all the names}

[Al-Baqarah (The Cow): 31]

Adam knew the names of every thing in all languages, and mentioned them to the angels. Thus, his grace, [illegible] and prophecy appeared, and the proof of Allah was [illegible] who [illegible] to Him for His great [illegible]. Then, his descendants inherited and transferred them generation after generation.

It was also said that "the human being" means the Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him), and the proof is the saying of Allah, Glory be to him:

«And he has taught you whatever you did not know» [An-Nis'a (Women): 13]

Thus, the meaning of "He has taught you" is the future. It is one of the [illegible] verses that descended. Other explainers said that it has a general meaning for the saying of Allah:

{And Allah brought you out of your mothers' bellies not knowing anything, and He has made for you hearing and beholdings and hearts [illegible]}

[Al-Nahl (The Bees): 78][1]

Ibn Kathir (may Allah forgive him) said, "These holy verses are the first verses that descended, and the first mercy by which Allah [illegible] His worshippers. It contains the fact that the human being is created out of a clot. Praise be to Allah, Glory be to Him, Who informed the human being with the unknown matters, [illegible] and [illegible] him. It is the [illegible] by which Adam, the father of the creation, was distinguished.

Sometimes knowledge occurs in the mind, while sometimes it exists on the tongue. It may exist in writing by fingertips either intellectually, verbally or officially.

«And your Lord is The Most Honorable. Who taught by the pen. He taught man what he did not know». [Al-Alaq (the clot) : 3-5]

---

[1] The explanation of Al-Qortoby, page [illegible], narrated by Abu Abdullah [illegible] grace and benefit [illegible] knowledge, the ways of attaining them, the means that should be maintained in attaining them, The Islamic House of Sciences, Cairo, 1407 H-1987 G

earth." They (the Angels) say, "Was not the earth of Allah wide so that you (could) have emigrated in it?" So, the abode for those (men) is Hell, and what an odious Destiny!.»

[An-Nisaa (the Women):97]

Self-oppression is represented in avoiding the declaration of the right for fear of getting hurt, as well as avoiding Hegira for the sake of freedom and dignity.

«And whoever emigrates in the way of Allah will find in the earth many reinstatements and affluence. And whoever goes out of his home an emigrant to Allah and His Messenger, (and) thereafter death overtakes him, then his reward will have already befallen on Allah, and Allah has been Ever-Forgiving, Ever-Merciful...»

[An-Nisa (The Women) .100]

After all of the kinds of torture and torment practiced against the Muslims by the disbelievers, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) sought to start immigrating. Some signs of hope seemed to accompany the idea of Hegira, as he knew that the Jews of Yathreb told its people: "There is a Prophet sent by Allah, Glory be to Him, whom we will follow to kill you as Add and Eram were killed."

There are some people belonging to Al-Khazraj told the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him): "We left our people who have the severest hatred that ever exists. May Allah help you to reconcile them, as there no one will be expect good future for his Dawa at yathreb more precious than you if you succeed." The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

The people whom the prophet met at hajj found their hearts after their return to Yatreb opened to belief and eager to the religion. The name of the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was mentioned at every home at that time. Thus, the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was preoccupied by Hegira feeling at ease about it.

This idea was performed quickly because of the conspiracy of Quraysh against him, as a group of them were collected around his home to kill him. Then, Allah ordered Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to immigrate coming out among the killers, whom Allah made blind. He went to Abu Bakr telling him about the order of Allah. Then, Abu Bakr asked him to accompany him in his Hegira, and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) accepted. Hegira took place after the risks that faced the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companion, but Allah protected them.

Allah, Glory be to Him, says:

«In case ever you do not vindicate him, yet Allah readily vindicated him, as the ones who disbelieved drove him out the second of two, as the two were in the cavern, as he said to his companion, "Grieve not; surely Allah is with us." Then Allah sent down His serenity on him and aided him with hosts you did not see, and He made the word of the ones who disbelieved the basest; and the Word of Allah (is the one) (which) is the Uppermost; and Allah is Ever-Mighty, Ever-Wise»

[At-Tawbah (The Repentance): 40]

Hegira resulted in the fact that many people entered Islam as well as the Divine Shari'a started to be directed to the human society. Allah honored the human being, whom he made His successor on earth.

The religion supported freedom, glorified the human reason, honored science and scientists, equalized the people without distinction between the rich and the poor or governor and the governed except by piety, which is the only criterion of distinction in Islam. Money, prestige, lineage and color are not the criteria of distinction in Islam.

Islam does not accept the mediation between Allah and His worshippers, as Allah is the Ever-Great, and the only One Who deserves worshipping; anyone who needs help should be directed to Allah, who emphasized the importance of mercy and benevolence against the poor, the weak and the miserable. Allah imposed almsgiving on the rich to be given to the needy, and ordered the Muslims to be united.

Allah ordered the Muslims to cooperate for the sake of benevolence and piety, and prevented the Muslims to cooperate for sin and aggression. Allah underestimated life and honored the rank of the hereafter making it the only destination to which the Muslims should be directed. Allah ordered the people to abide by good manners and justice and forbade sins, atrocity and oppression.

Thus, it is the duty of the Muslims to take lessons form Hegira and to follow the pattern of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in all of his deeds. The Muslims should believe that their dignity and honor were not carried out before this religion; and the humiliation occurring today resulted from being dispatched from the religion.

Allah, Glory be to Him, says:

«Allah has promised the ones of you who have believed and done deeds of righteousness that indeed He will definitely make them successors in the earth, (even) as He made the ones who were before them successors, and that indeed He will definitely establish for them their religion [An-Nur(The light): 55

Also, Allah, Glory be to Him, says:

{The ones who have believed, and have emigrated, and have striven in the way of Allah with their riches and their selves are more magnificent in degree in the Providence of Allah; and those are they (who are) the triumphant. Their Lord gives them good tidings of mercy from Him and a [illegible] satisfaction and [illegible] they will have permanent bliss. Eternal is therein (abiding) forever, surely in the Providence of Allah is a magnificent reward.

[At-Tawbah (The Repentance) 20-22]

These verses mean the [illegible] of Hegira which result in great victory especially when supported by striving by money. Also, one of the results of Hegira and striving is winning Allah's mercy as well as eternal pleasure in paradise.

The earlier emigrants were a great pattern in striving by money and soul, as Abu Bakr received the news of Hegira [illegible] and great happiness. Abu Bakr expressed his great happiness by saying: "O you Allah's Messenger, I [illegible] be your companion." Umar Ibn Al-Khattab insisted on emigrating [illegible] Islam and Muslims. He said [illegible] in Mecca challenging the disbelievers of Mecca, "The one who wants to die can follow me behind this valley." However, no one followed him.

There are many other examples that signify the strength of belief, underestimating death and all of the pleasure of life. Hegira is not just a historical event that took place and came to an end, however, it is a continuous principle that gives lessons and charges the soul pushing it to abide by the perfect behavior in life.



AL-AZHAR MAGAZINE
Almuharram, 1429 A. H.



ENGLISH SECTION
Jan - Feb. 2008

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف : ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Hegira Means Lessons and Sermons

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The first caliph Omar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him), who was the second caliph, chose Hegira among many matters to be the beginning of the Islamic calendar supporting his choice by saying: "It distinguished between right and wrong". The Muslims should celebrate this important event and meditate on its sermons and lessons. It has a great effect on Islam as a religion and on the Muslims.

This event reminds us of the violent conflict that occurred between right and wrong as well as the decisive victory taking place after Hegira. This victory would not have occurred except by the strong belief of the Prophet's companions (may the blessings and peace of Allah be upon them), as they endured the difficulties that faced them sacrificing money, family life and homeland for the sake of their religion.

This religion supports freedom of opinion, human dignity and self-esteem. The Prophet Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was seeking neither sovereignty nor money. moreover, he did not care about life desires and pleasure. He was ascetic in life being satisfied by the least properties. He was not bad-mannered to the extent that people may avoid him. On the contrary, he was attributed by chivalry being the most generous person to his guests.

He was extremely honest, truthful and kind in dealing with everyone. His attributes were well-known to his people who called him by the truthful and the honest. He was extremely virtuous, meek and generous. He used to help the weak, support the oppressed and sympathize with the distressed, the miserable, widowers and orphans.

In spite of all of these attributes, his people forced him to leave his homeland. He was surrounded by enmity as the disbelievers lurked to him at every place. Their hatred for him resulted in enmity, although he resorted to every way not to hurt him, and to listen to his call (da'wa) for the new religion.

They preferred to imitate their fathers, and to be proud of their power. Pride and imitation render the person unable to distinguish between the good and evil (or right and wrong) as they eliminate sound thinking and turn the human being into an animal. It was natural that the Prophet should leave this spoiled environment to perform the Message of Allah and inform His da'wa. He wanted to inform another people who have sound thinking and are attributed by kindness with his da'wa, as he tended to help the weak and the poor, and to direct the tyrants who oppress the weak to the right path.

He wanted to tell all of the people:

«O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant».

[Al-Hujurat (The Apartments) ,13]

His Shari'a called the one who endures much of humiliation and tyranny as self-oppressive, the attribute that may be entitled to the one who did not start to immigrate.

«Surely the ones whom the Angels take up, (while) they are unjust to themselves- (to them) (the Angels) say, "In what (condition) were you?" They say, "We were deemed weak in the

الفهـــرس

اســـــــتبانة

حرصًا من مجلة «الأزهر» على مشاركة القراء فى سياسة التحرير بالمجلة.. وحرصًا منها أيضًا فى أن يجد القارئ ما يريد من مقالات وأبواب تقدم هذه الاستبانة.. ونحن نشكر المشاركين فى الاستبانة. ونأمل أن تكون المشاركة فعالة مثل الأعوام السابقة..

والله من وراء القصد..

- هل تحرص على اقتناء مجلة الأزهر بصفة مستمرة؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما.

- هل تجد صعوبة فى الحصول على المجلة؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما.

- هل تصل إليك المجلة فى وقت مناسب؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما.

- ماهى أكثر المجلات الإسلامية التى تحظى باهتمامك؟ مع ذكر الأسباب

(١) مجلة الأزهر (٢) منبر الإسلام (٣) التوحيد (٤) أخرى.

- ما رأيك فى طباعة المجلة؟

(١) جيدة (٢) مقبولة (٣) رديئة

- ما رأيك فى غلاف المجلة؟

(١) مناسب (٢) غير مناسب (٣) إلى حد ما.

- ما رأيك فى عدد المقالات التى تنشر داخل المجلة؟

(١) كاف (٢) غير كاف (٣) إلى حد ما.

- مارأيك فى حجم الخط المستخدم فى المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردئ.

مارأيك فى استخدام الالوان داخل المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردئ.

- مارأيك فى استخدام الصور (شخصية ـ أحداث) داخل المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردئ.

- ماهى أكثر المقالات التى حظيت باهتمامك هذا العام؟

- من هو الكاتب المفضل الذى يحظى باهتمامك داخل المجلة؟

ماهى أكثر الأبواب التى تحظى باهتمامك؟

- مارأيك فى ملحق المجلة (الهدية)؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردئ (٤) لا أدرى.

- ماهى اقتراحاتك وارؤك التى تود أن تكون فى المجلة؟ (يمكن إضافة ورقة منفصلة).

كما نرجو توضيح بيانات المشترك على النحو التالى:

(١) الاسم:

(٢) السن:

(٣) المؤهل الدراسى

(٤) الوظيفة

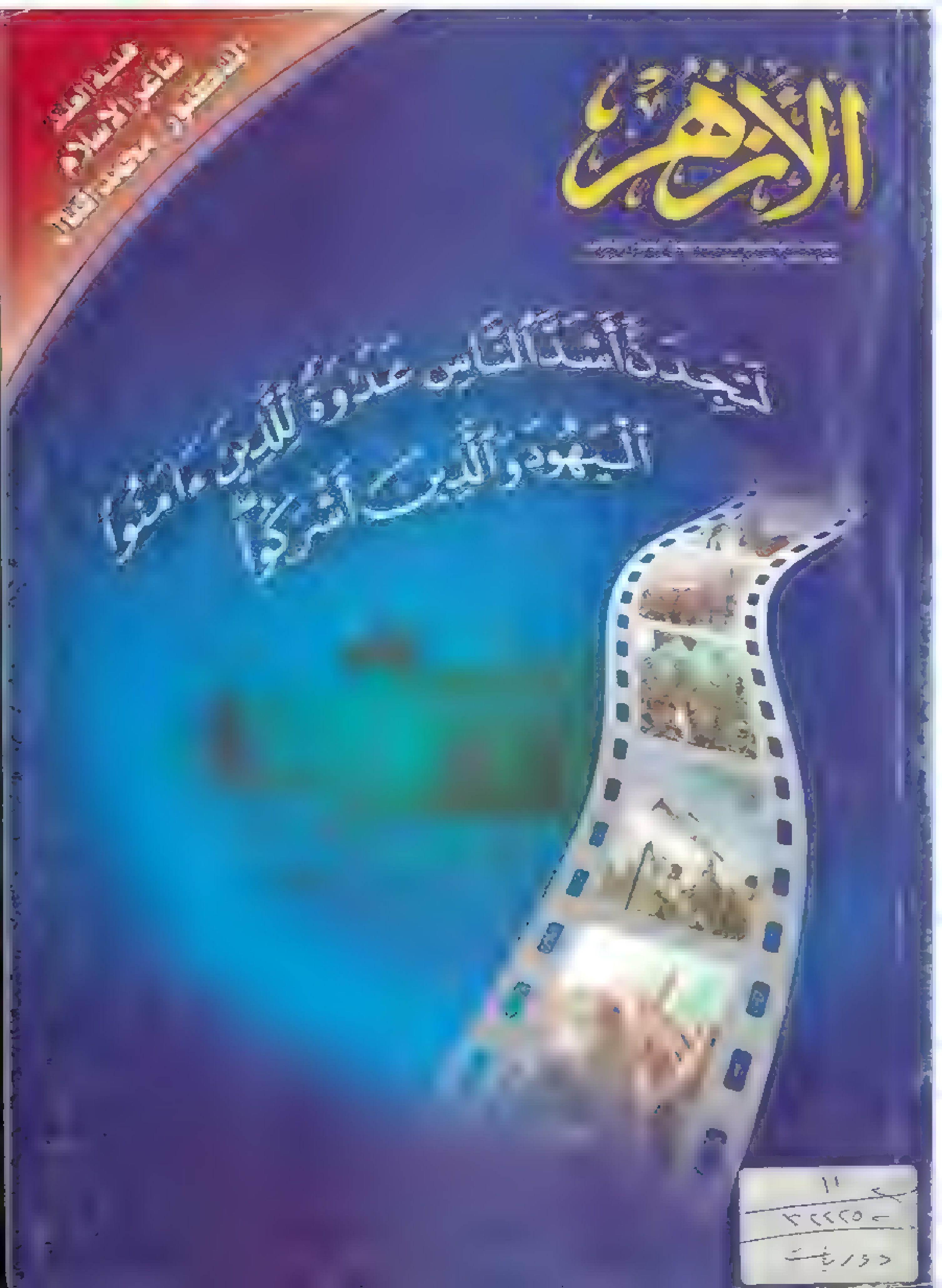
(٥) العنوان:

يمكن للقراء الأعزاء ارسال إجاباتهم على صورة النموذج.

•••

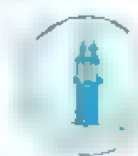



AL AZHAR
MAGAZINE
Al-Muharram, 1429 H. Jan./Feb. 2008
Vol. 81, Part 1.



الأزهر
لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا
اليهود والذين أشركوا

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

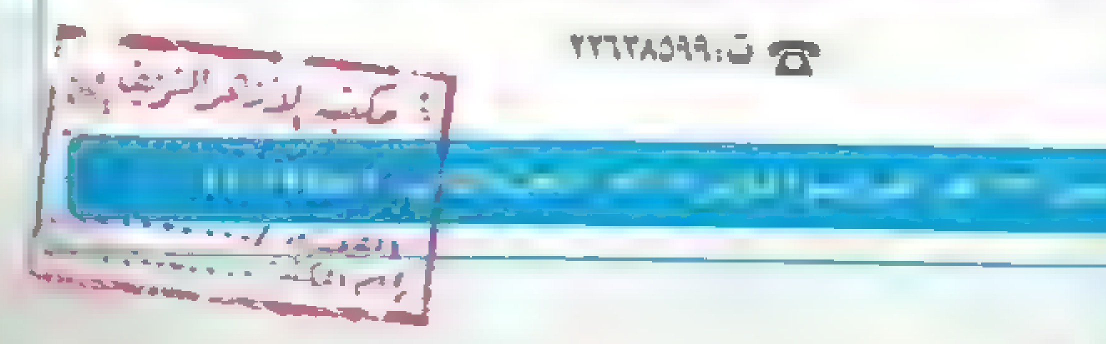
مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا الدول العربية ٥٠ دولارا امريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا امريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا امريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩





الجريدة اليومية والمقالات الأدبية والبينية

الجريدة اليومية ذات رسالة حيوية جادة، ونود لها من الارتقاء والازدهار ما يوده القائمون على تحريرها، فإذا نبهنا للنقد الهادف إلى بعض جوانب فهو النقد المخلص العطوف، الذي يعاون على تسديد الخطى دون جحود للجهود المبذولة، والعقبات التي تذلل في صبر وأناة، والقصور لدى ملاحظه فيهما مما يسهل تلافيه، إذا صدقت الهمم، وخلصت النيات، ووجوده الدائم هو نقص القادرين على التمام، الذى عده المتنبى من أقدح العيوب!

تضيق صفحة الأدب كل أسبوع، لتحدد صفحة أخبار الأدب لا صفحة الأدب، فالكلمات خاصة بالكتب والآراء، والأسماء التي تذكر لأدبي صاحب ذات أخبار لا تتصل بالأدب إلا لأن بعض من يعنيهم قد وقعوا في صفوف الأدباء، والندوات الثقافية لا يهتم الجريدة بنشر الدقيق من أفكارها، بل تضع عليها من يرصد الصور، ورؤوس الموضوعات، والمبالغة في الاحتفاء بمتكلم وإهمال سواه مع أنه يقل شيئا ذا بال، وهي بهذا الاعتبار لا تخرج كثيرا عن صفحة الفن، مع الفارق البعيد، لأن قارئ صفحة الفن من الجمهور العريض ينتظر الأخبار لا الآراء ويرحب بالصور الأنيقة مستحسنات من الممثلات، فهي عرض مقصود لذاته، فإذا قضى أربا من هذه الناحية فقد رضي عن الجريدة، أما قارئ صفحة الأدب فلا ينتظر صورا، ولا يريد أخبارا، ولكنه يريد توجيها وإبداعا مستنيرا، بحيث تسقط الصفحة من يده حين يدركه ملل الموت، فلا يسارع بإعادتها إذ قرأ بعنوين سريعة، تعرف كل شيء!


محمد حسين هيكل

قد يقول قائل: إن اكتفاء الصفحة الأدبية بشذرات موجزة عن الكتاب المعروض أو بمعلومات خاطفة عن الموضوع الموصود، هو الأمر الطبيعي الذى يقدم «الساندوتش» لقارئ عادى، أما النقد التحليلي للكتاب، أو الإحاطة الشاملة للموضوع، فمن شأن المجلات الأدبية المتخصصة، ولها قراؤها المتميزون، فإذا التزمت الجريدة اليومية منحى المجلة المتخصصة فقد أثقلت على القارئ بما لا يريد، وصرفته عن أخبار الأدب والأدباء معا، وهذا ما فطن إليه القائمون على الصفحة الأدبية، فلم يقدموا اللحم الدسم لذوى الأسنان الهشة من الأطفال، واكتفوا بكوب صغير من اللبن، وهو غذاء مفيد!

وهذا التبرير الخطابي ينكره الواقع المعاصر لصفحة الأدب في الجريدة اليومية من قبل، فمنذ ظهرت جريدة السياسة اليومية سنة ١٩٢٣م وقام على تحريرها الأديب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل ـ رحمه الله ـ أحدث صفحة الأدب تقدم من البحوث الأدبية، والمقالات التاريخية والتراجم الإنسانية ما أعطى للصحافة رسالة قوية في اليقظة الفكرية، وقد جمعت هذه البحوث في مؤلفات مستقلة أصبحت مرجع الباحثين، وتعددت طبعاتها مرة بعد مرة، ورأت الصحف الأخرى أن السياسة قد سبقت بصفحتها الأدبية، فسارعت باحتفائها وهكذا كان للبلاغ وكوكب الشرق والأهرام والمصرى والوادى والجهاد صفحاتها المماثلة، وكتابها الأعلام من كبار الأدباء، ولن أرسل الكلام إرسالا هشا دون تمثيل مبين!

حديث الأربعاء

إن لدينا ـ مثلا ـ كتاب «حديث الأربعاء» بأجزائه الثلاثة للدكتور طه حسين قد نشر أكثره على صفحات السياسة اليومية، فأحدث معركة فكرية، واتسعت أنهار السياسة لمعارك قلمية أدارها أمثال رفيق العظم وأحمد زكي باشا، وشكيب أرسلان على صفحات السياسة، وانتقل التحدى إلى جريدة المقطم فكتب الأستاذ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية مقالات نسفت دعوى الدكتور طه حسين في الطابع المجوني العام للعصر العباسي نسفا، ورد الدكتور على بعض دون بعض، ورد على من سالمه لهجة ومديحا واتقاء، وسكت عمن أوجعه جرحا وطعنا، كل ذلك في صفحة الأدب اليومية بالسياسة، فهل قال قائل: إن قارئ الجريدة اليومية ملول ساذج لا يريد الدسم المرئي؟

مع عبد العزيز البشرى



عبد العزيز البشرى — الرافعى

ولا أترك جريدة السياسة دون أن أشير إلى هذا اللون الأدبى الجديد الذى ابتكره الأستاذ عبد العزيز البشرى فى صفحة الأدب بالجريدة نفسها حين كتب «فى المرآة» ليصور أعلام الأدب والسياسة والفكر فى مصر تصويراً قلمياً رائعاً، أخذ على القارئين ألبابهم وجعل كل وزير خطير يترقب حذراً أن يصوره البشرى بما يسقط مكانته لدى القراء. وقد قال إسماعيل صدقى لبعض أصدقائه إنه لم ينم ليلا حين أخبره أحد محررى السياسة أن مقال الغد فى المرآة خاص به. وقد قرأ المقال قبل أن تكتحل عينه بالنوم صباحاً واطمأن خاطره فأرسل كتاباً رقيقاً للبشرى، نشرته السياسة فى العدد التالى، وأعاد البشرى نشره بمجموعة «فى المرآة»!

أما الأستاذ عباس محمود العقاد، فأكثر كتبه قد نشرت فى الصفحة الأدبية بالجرائد اليومية، كمطلعات والفصول والمراجعات، وساعات بين الكتب وغيرها مما نشر فى البلاغ اليومى، والبلاغ الأسبوعى والمساء والجهاد، والعقاد موجز البيان، دقيق المعانى، وقد يغمض ويصعب أحيانا، فهو لا يتحدر كالسيل مثل طه، ولا يتحفف بالفكاهة مثل المازنى، ولكنه فى الصفحة اليومية أستاذ كبير مع تلاميذ متطلعين، وقد أحدث حركة فكرية متألقة بما بعث من آراء ظلت موضع شد وجذب بينه وبين ناقديه، فهل قال أحد إن الجريدة اليومية لا تحتمل شموخ العقاد ولا تمتد إلى أقصى مراميه؟ لم يقل ذلك أحد، وإنما أقبل القراء على آثاره فى العشرينيات حين لم تكن لدينا إلا جامعة ناشئة لم تكتمل كلياتها بعد، ولم يكن لدينا من المدارس الثانوية غير ما لا يتجاوز عدد الأصابع!

القارئ الساذج ترضيه السطحية

أما الآن فى القرن الحادى والعشرين حين تعددت الجامعات وانتشرت آلاف المدارس وتنوعت المكتبات وتعددت دوائر الإعلام من إذاعة مسموعة ومرئية ومسارح وقصور ثقافة أما الآن فالصفحة الأدبية فى الجريدة اليومية صفحة أخبار، فإن زادت فبما هو شبيه بالأخبار، لماذا؟ لأن القارئ الساذج ترضيه السطحية، ويطمئن للقشور.

ولن استطرد فأذكر مقالات الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى كوكب الشرق والبلاغ، أو مقالات المازنى فى الأخبار والرافعية والبلاغ، وهما لا يقلان مكانة عن طه وعن العقاد ولكنى أقول إن ثلاثتهم جميعا قد سطع فى سماء الصفحة الأدبية فى الجريدة اليومية، فانطلوا حجج الكسالى والمتراخين، ومن أحظ الحسن أن كتبهما التى جمعت هذه المقالات لاتزال رائعة يتداولها قراء اليوم مثل: تحت راية القرآن وحصاد الهشيم وقبض الريح.. فما معنى هذا؟ إن الذى يصف الصفحة الأدبية فى الجريدة اليومية بالشلل ينتهى إلى عدة أشياء، أحدها الإيجاز المخل المتسرع فى تدوين الموضوع، إذ من رأى المشرفين على هذه الصحف أن تتسع الصفحة لأكثر من ست مواد فيأتى المقال عائما لا يفصح عن وجه مشرق، وقد يكون مقدمة لا نتيجة لها أو نتيجة لم تسبق بمقدمات فيفقد ثمرته المرتجاة، وقد قنع الناشر والكاتب بالعنوان والاسم، وكأنهما كل شيء وهذا فى الكثير الملموس دون أن يعطى الجهد الضائع لدى نفر يكتبون ما يفيد عن موهبة واستعداد، فماذا يضير لو اكتفت الجريدة بمادتين أو ثلاث على الأكثر وامتلأت بها الصفحة كما كانت تمتلئ من قبل بمقال واحد للدكتور طه حسين، ولكن كيف؟ ومن وراء هذه المواد المتسرعة أعمدة تتحدث عن أخبار أدبية، وكتب ستجد قريبا أو بعيدا طريقها للنشر، ومواعيد لندوات ثقافية وصور لمن وردت أسماؤهم عرضا فى الأخبار، هذا غير إعلانات أسفل الصفحة تتحدث عن كتب تباع مع الجرائد! وكل هذا فى الصفحة الواحدة.

هدم اللغة العربية فى صفحات الأدب

فإذا تركنا الإيجاز المخل فإننا نشير إلى ظاهرة أخرى، تتجسد فى تكرار أسماء معينة تسعد بصداقة القائم على النشر فيتاح لها النشر الدائم دون أن تكون لها مقدرة على العطاء المستمر، وإنما هو الشغف بملء الفراغ فحسب، وقد يكون لدى الناشر من المقالات ما يقدم الجديد لأسماء لا يعرف أصحابها. ومن العسير فى ضوء هذه المجاملات الشخصية أن تظهر هذه المقالات الجادة وهكذا تظهر الصفحة ذات الأنهار الثمانية مليئة بالحروف والكلمات دون مضمون مفيد وإذا شاء أحد أن يمارى فيما أسطره من النقد فيسأل نفسه أيرى فيما ينشر من هذه المبتسرات ما يهيئ كتابا جادا يصبح أثرا رائعا من آثار المكتبة العربية ككتب هيكل، والمازنى، وطه، والعقاد، بل ككتب الصف الثانى من أمثال محمد مندور، وعبد الرحمن الخميسى وسعد مكاوى وقد انطلقوا جميعا فى الصفحة الأخيرة من جريدة المصرى مع غيرهم ممن غابت أسماؤهم عن الذاكرة. فإذا كان الجواب هو استحالة أن

يشأ من هذه الهلاميات أثر يعيد القارئ. فقد صح ما نقول دون ارتياب. ولعلي لا أغفل القول عن أمر ثالث يلوح في هذه المواد المتسرة الكليلة وهو اتجاه بعض الخاطئين إلى الحديث عن مصطلح غربي، عما أثره في موطنه، وعاد هناك كالطلل الدارس. وقد ظنه من الطرائف النادرة لا لأنه استبطن جوانبه، وولج إلى أعماقه، بل لأنه قرأ عنه مقالا في جريدة أجنبية وقد تكون جريدة عربية فمن يدري؟ ثم رأى أن يبهر القراء بما لديه ولم تسعفه مقدرته العقلية، ولا لغته البيانية في الإفصاح عن بعض ما فيه، ولكنه امتشق القلم ليثير جملا متضاربة تتشاجر تحت عنوان المصطلح الحبيب لديه، نقرأ ما نقرأ فلا نعرف شيئا مما عناه الكاتب، فاللغة عربية الحروف فحسب، والمعاني لا تستقيم على سنن معهود، فقد يوجد مبتدأ لا خبر له إلا في عقل الكاتب، وقد يوجد فعل يبحث عن فاعله فيستحيل وجوده، ومن القراء أمثالي من يظن أن مستوى الموضوع أرقى من أن ينحدر إلى العقول المتواضعة، فيكتمون بالأسف على أن حرمهم الله موهبة الفهم الدقيق إذ شاء أن يختص بها نفرا من ذوي النبوغ الفائق كهذا الذي تفضل بكتابة هذا الإبداع!

إن صفحة الأدب يجب أن تتحرر من أرهاقها الثقال، وأول خطوات هذا التحرر أن يكون القائم عليها ذا أمانة خلقية تلزمه أن يجهر بالحق متى تعين الجهر، ولي في هذا الناحية واقعة أليمة فقد شاء أحد السارقين أن يسطو على عدة كتب مترجمة إلى العربية عن الإنجليزية في علوم التربية والاجتماع وعلم النفس فطبعها باسمه، وقام بالنشر تاجر بيروتي، وظهرت الكتب المسروقة متوجة بقلم المترجم السارق وتحت اسمه ما يلي: «مراجعة الدكتور محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة» وجاءني النبأ الفاجع فعجبت إذ كيف أراجع كتبا عن الإنجليزية وأنا لا أعرفها فبعثت بأربعة أسطر فقط إلى جريدة يومية استنكر ما حدث ولم تسمح الجريدة لمظلوم أن يجأر بشكواه، فاضطررت إلى النجدة بالمجلات التي أكتب فيها بمصر والبلاد العربية فكانت مجلة الهلال في طليعة المنجدين فبالله'' أتملىء صفحة الجريدة اليومية بأخبار الندوات الأدبية وتشيد بالمراهقات اللاتي يبدأن الخطوات الأولى ثم تضن على مظلوم وقع في بهتان الإفك بأربعة أسطر؟ أهذه رسالة الأدب التي يرعاها أساتذة الصحافة في عهدنا السعيد؟! لقد غابت المسئولية الخلقية غيابا مؤلما، فهل ستعود؟.



فريد وجدي

الصفحة الدينية

هذا بعض ما يقال عن الصفحة الأدبية فماذا نقول عن الصفحة الدينية؟

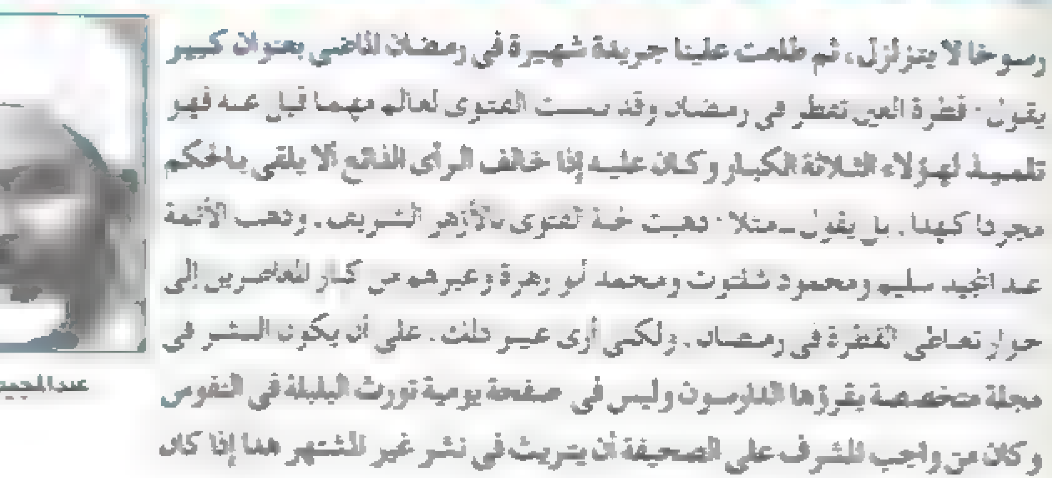
إن مهمة الصفحة الدينية في الجريدة اليومية أصعب بكثير من مهمة الصفحة الأدبية، فالصفحة الأدبية تواجه جمهرة القراء عامة بكثير مما لا يعلمون فيجهلون بها بعض ما لم يعرفوه من قبل، إذ إن هذه الجمهرة لم تلم بشئون الأدب نظراً لظروفهم المعيشية، أما الصفحة الدينية فتتعرض لأمور أضحت فيها إذاعة القرآن الكريم منذ أكثر من ثلاثين عاماً إفاضة ملحة دائبة، ولهذه الإذاعة أكبر نفوذ على السامعين، فهي المسموعة في المتجر والمصنع والحقل والشارع حتى لأمي الذي لا يفهم بعض ما يقال يطمئن إلى مجرد السماع واثقا من ثواب الله فيه، وفرض على القائمين على هذه الصفحة أن يعوا ذلك جيدا إذ لا يجوز أن يعيدوا أحاديث الإذاعة بعبارات مختلفة تنتهي إلى معنى واحد، بل عليهم أن يتعمقوا ما يعرضونه تعمقاً ينفح بالجديد من التحليل، والطريف من التفسير فيشعر قارئ الجريدة المتواضع أنه يقرأ ما لم يسمعه من قبل، فيقبل عليه في شوق، ولكن المشاهد غير ذلك، فكلمات الإذاعة القرآنية بعينها هي كلمات الصفحة، والمتكلمون هم الكاتبون في أكثر الأحوال هذا إلى الولوع بالإيجاز المخل على نحو ما أشرنا إليه في حديثنا عن الصفحة الأدبية، وهذا الإيجاز يتجه دائما إلى القشور لا إلى اللباب وكأن المراد أن تملأ الفراغ فحسب، وما يقال عن سرير هذه الكلمات المتسرة في الصفحة الأدبية يقال عنه في التبرير القصور الواضح في علاج الموضوعات الدينية، إذ يقال: إن البحوث الدينية لها مجالها في الصحف المتخصصة، وأن القارئ يسأم المقال المستوعب الجاد فلا يلتفت إليه، وإذا كنت فندت ما قيل عن ذلك في صفحة الأدب بالاستشهاد بكبار الكتاب في عهد الازدهار الأدبي قبل فعل ذلك الآن في مجال الحديث عن الصفحة الدينية فأقول: إن كاتبا كبيرا كالأستاذ محمد فريد وجدي نشر كتابه: «الإسلام دين عام خالد» متوالياً في الصفحة الدينية بجريدة الجهاد اليومية، وقد لاقى احتفال الأستاذ محمد توفيق دياب، إذ حرص على نشر المقالات الطويلة إشباعا لرغبة القراء وشكره الأستاذ وجدي في مقدمة الكتاب حين قدم الطبعة الأولى منه، لقد لمس الأستاذ توفيق دياب إقبال القراء منذ سبعين عاما فأكثر إلى هذه البحوث المنهجية المستفيضة فآثرها بالاحتفاء، وكذلك فعل الأستاذ خليل ثابت رئيس تحرير المقطم حين أفرد مقالات للنبوغ الكبار يوسف الدجوي ومحمد شاكر وعلي سرور الزنكلوني ومحمد سليمان مساحات شاسعة وبعضهم كان ينتصر لبعض

الصفحة الأولى من المقطم ثم تلي البقية في نصف آخر بالصفحة الثانية. وكانت هذه المقالات مصدر رواج للجريدة، إذ يقبل عليها القراء في نهم زائد، أفيقول الآن إن نوعي لدى قرائنا الآن لا يتحمس غير ما يكتب في "القصاصات"؟! نقوله بعد أكثر من ثمانين عاما إذ إن مقالات هؤلاء الكبار نشرت في "العشرينيات".

صحيفة البلبلة!!

وحين نجد أمور مبهمة تشغل الذهن المصري كأحكام نقل الأعضاء والاستنساخ، وفوائد الاستثمار يقع المشرفون على الصفحات الدينية بالجرائد اليومية في خطأ واضح يعقبه الاضطراب الشديد إذ ترسل كل صفحة مندوبا من محرري الجريدة إلى كل من يتجرى يرى أهل العلم، قد يكون إماما في مسجد أو مدرسا في معهد، أو أستاذا في كلية تسأله عن حكم الله فيما جد ـ والمسئول عند نفسه عالم أزهري يحمل الدرجة العالية أو ما فوقها ـ فلابد أن يبدي رأيه في الحدث الجديد ولا يعنيه أن كان أهلا للفتوى يتصلع الدقيق، وموراسه الطويل أو أنه مجرد إنسان ينتسب إلى أهل العلم فقط. وهنا تخرج الصحيفة بعنوان ضخم يملأ مساحة الأنهار السبعة أو الثمانية، ثم يستطيل طويلا تحت العنوان لتشحنه بصور هؤلاء الذين تسرعوا بالإجابة من غير ذوي الاختصاص ويقرأ القارئ فيجد من تضارب وجهات النظر ما يبلغ التناقض الصريح. واختلاف العلماء في الرأي الفقهي مشهور معروف. وهنا في التراث التشريعي ما يعرف بكتب "الخلاف" ولكن أي علماء يقع بينهم الخلاف؟ هم الفقهاء الأثبات الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد، فلهم أن يختلفوا بالدليل ومعهم أسلحتهم الأصولية من القياس والاستحسان ومراعاة العرف إلى آخر ما هو مقرر لدى هؤلاء، أما أن يبدي كل متعلم رأيه فيما جد من المسائل وأما أن ينشر ذلك في جريدة سيارة، فهذا ما يدعو إلى الاضطراب.

إن الفتوى التي يجيب عليها المسئول في الجريدة اليومية نوعان. نوع يتجه إلى القارئ لتعارف مما درس في كتب الفقه من أحكام متداولة تتعلق بالعبادات والمعاملات، وقد نص عليها المؤلفون وهذا النوع المعروفة أحكامه لا يجيب عنه كل دارس. ونوع جديد لم تقرر فيه أحكام سابقة، وهذا لا يجيب عنه إلا هيئة مسئولة كمجمع البحوث أو لجنة الفتوى. ولا يجوز للجريدة ولا للإذاعة أن تخلط بين هذين النوعين فتفتح الباب لكل قائل يرى في نفسه كفاءة تفتقد الدليل. بل إني للأسف الشديد قرأت في رمضان الماضي فتوى تنتمي إلى النوع الأول، وقد ذاعت فيه الإجابة الصحيحة في مناسبات متعددة حتى أصبحت من قبيل تحصيل الحاصل، ولكن المسئول تورط فذكر من الحكم ما هو خطأ يوقع في البلبلة، لقد أفتى الأئمة الكبار عبد المجيد سليم، ومحمود شلتوت، وأبو زهرة بأن تناول القطرة بالعين في شهر رمضان لا يبطل الصوم، واعتمدت الفتوى على الدليل المقنع، وأخذ بها من قرأها وكنت أحد هؤلاء تابعا غير متبوع، كان هذا منذ سنوات رسخ فيها الحكم




عبد المجيد سليم

رسوخا لا يتزلزل، ثم طلعت علينا جريدة شهيرة في رمضان الماضي بعنوان كبير يقول: "قطرة العين تفطر في رمضان" وقد نسبت الفتوى لعالم مهما قيل عنه فهو تلميذ لهؤلاء الثلاثة الكبار وكان عليه إذا خالف الرأي القاطع ألا يلقي بالحكم مجردا كهذا، بل يقول ـ مثلا ـ "ذهبت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وذهب الأئمة عبد المجيد سليم ومحمود شلتوت ومحمد أبو زهرة وغيرهم من كبار المعاصرين إلى جواز تعاطي القطرة في رمضان، ولكني أرى غير ذلك. على أن يكون النشر في مجلة متخصصة يقرؤها الدارسون وليس في صفحة يومية تورث البلبلة في النفوس، وكان من واجب المشرف على الصحيفة أن يتريث في نشر غير المشتهر هنا إذا كان قد درس الحكم من قبل! ويظهر أنه لم يدرس شيئا!

تفوق الماضي على الحاضر!!

ومما يتوجه إليه النقد في هذا المجال أن نرى بالصفحة الدينية سطورا موجزة في هيئة كلمات ذات موضوع تحت عناوين "أبو بكر الصديق، عمر، عثمان، خالد، الحسين، عمرو بن العاص" وغيرهم من المشاهير الأعلام في الدين والسياسة والزهد، وتقرأ فتجد ما هو معروف لتلميذ المدرسة الابتدائية، ولو كان ذلك في مجلة للطفل كالبراعم أوميكي ونشر بحروف كبيرة ذات شكل بارز لقلنا إنه غذاء مناسب لبرعم غض، أما أن تأتي بهذه الذائعات المشتهرة ثم تكون ممهورة باسم كاتب متطلع، فهذا استهزاء بالقارئ، وملء فراغ يجب أن يشغل بما يفيد، ومن المضحك جدا أن يجلل المقال بصورة للكاتب العميق.

لقد قارنت منذ أكثر من عام على صفحات الهلال بين العمود اليومي للصحافة في عهدين مختلفين فكان السبق للعهد الأول، وهذا المقال يقطع بتفوق الماضي على الحاضر فيما ينشر بصفحتي الأدب والدين، وهي مشكلة تتطلب العلاج، لأننا يجب أن نتقدم لا أن نتأخر، وتعظم المفارقة حين نعلم أن المشرفين على صحف الأمس كانوا من منازلهم لم يلتحقوا بكليات الإعلام الباهرة، ولم يأخذوا المذكرات الجامعية الرفيعة بالثمن الفاحش ثم هم يصلون بالسفينة إلى الشاطئ في مأمن من العواصف الهوج! وما أقرره في هذا المجال يؤمن به الذين قرءوا صحافة العهدين، وأكاد أسمع أصواتهم الموافقة، وإن لم ينطقوا بحرف تأكيدا لقول الشريف الرضي:

فقلت نعم.. لم تسمع الأذن دعوة

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[الآيات ١٥٩ ـ ١٦٠]

فالخطاب في قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾

.. إلخ للنبي ﷺ.

والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاق الفارين والخائفين للملامة والتعنيف منه ﷺ بمقتضى الجبلة البشرية.

والباء هنا للسببية. و«ما» مزيدة للتأكيد ولتقوية معنى الرحمة. «لنت» من لان يلين لينا وليانا بمعنى الرفق وسعة الخلق. و«الفظ»: الغليظ الجافي في المعاشرة قولا وفعلا.

وأصل الفظ ـ كما يقول الراغب ـ ماء الكرش وهو مكروه شربه بمقتضى الطبع ولا يشرب إلا في أشد حالات الضرورة.

وغلظ القلب عبارة عن قسوته وقلة تأثره من الغلظة ضد الرقة، وتنشأ عن هذه الغلظة الفظاظة والجفاء.

والمعنى: فبسبب رحمة عظيمة فياضة منحك الله إياها يا محمد كنت لينا مع أتباعك في كل أحوالك. ولكن بدون إفراط أو تفريط. فقد وقعت من أصحابك التي وقعوا فيها في غزوة أحد موقف القائد الحكيم الملهم فلم تعنفهم على ما وقع منهم وأنت تراهم قد استغرقهم الحزن والهم.. بل كنت لينا رفيقا معهم.

وهكذا القائد الحكيم لا يكثر من لوم جنده على أخطائهم الماضية، لأن كثرة اللوم والتعنيف قد تولد اليأس، وإنما يلتفت إلى الماضي ليأخذ منه العبرة والعظة لحاضره ومستقبله ويغرس في نفوس الذين معه ما يحفز همتهم ويشحذ عزيمتهم ويجعلهم ينظرون إلى حاضرهم ومستقبلهم بثقة واطمئنان وبصيرة مستنيرة.

وإن الشدة في غير موضعها تفرق ولا تجمع وتضعف ولا تقوى. ولذا قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

أي: ولو كنت ـ يا محمد ـ كريه الخلق، خشن الجانب، جافيا في أقوالك وأفعالك، قاسي القلب لا تتأثر لما يصيب أصحابك.. ولو كنت كذلك «لانفضوا من حولك» أي: لتفرقوا عنك، ونفروا منك ولم يسكنوا إليك.

فالجملة الكريمة تنفي عن الرسول ﷺ أن يكون فظا أو غليظا، لأن «لو» تدل على نفي الجواب لنفي الشرط. أي أنك لست ـ يا محمد ـ فظا ولا غليظ القلب ولذلك التف أصحابك من حولك يفتدونك بأرواحهم وبكل مرتخص وغال. ويحبونك حبا يفوق حبهم لأنفسهم ولأولادهم ولآبائهم ولأحب الأشياء إليهم.

وقال ـ سبحانه ـ:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾

لينفي عنه ﷺ القسوة والغلظة في الظاهر والباطن، لأن القسوة الظاهرية تبدو أكثر ما تبدو في الفظاظة التي هي خشونة الجانب، وجفاء الطبع. والقسوة الباطنية تكون بسبب يبوسة القلب، وغلظ النفس وعدم تأثرها بما يصيب غيرها. والرسول ﷺ كان مبرأ من كل ذلك. ويكفي أن الله ـ تعالى ـ قد قال في وصفه:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(التوبة ١٢٨)

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة. إنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح[1].

ولقد كان من أخلاقه ﷺ مداراة الناس إلا أن يكون في المداراة حق مضيع فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «قال رسول الله ﷺ: إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض»[2].

ثم أمر الله تعالى، نبيه ﷺ، بما يترتب على الرفق والسماحة فقال:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

فالفاء هنا تفيد ترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي أنه يترتب على لين جانبك مع أصحابك، ورحمتك بهم، أن تعفو عنهم فيما وقعوا فيه من أخطاء تتعلق بشخصك أو ما وقعوا فيه من مخالفات أدت إلى هزيمتهم في أحد، فقد كانت زلة منهم وقد أدبهم الله عليها.

وأن تلتمس من الله تعالى، أن يغفر لهم ما فرط منهم، إذ في إظهارك ذلك لهم تأكيد لعفوك عنهم. وتشجيع لهم على الطاعة والاستجابة لأمرك. وأن تشاورهم في الأمر أي في أمر الحرب ونحوه مما تجري فيه المشاورة في العادة من الأمور التي تهم الأمة.

وقد جاءت هذه الأوامر للنبي ﷺ على أحسن نسق، وأحكم ترتيب، لأن الله تعالى أمره أولاً بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه. فإذا ما انتهوا إلى هذا المقام، أمره بأن يستغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى، لانتزاع عنهم التبعات. فإذا صاروا إلى هذه الدرجة، أمره بأن يشاورهم في الأمر، لأنهم قد أصبحوا أهلاً لهذه المشاورة.

ولقد تكلم العلماء كلاماً طويلاً عن حكم المشورة وعن معناها، وعن فوائدها، فقد قال القرطبي ما ملخصه: والاستشارة مأخوذة من قول العرب شُرْتُ الدابة وشَوَّرتها، إذا علمت خبرها وحالها بجري أو غيره.. وقد يكون من قولهم: شُرت العسل واشترته، إذا أخذته من موضعه.

ثم قال: واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور فيه أصحابه فقالت طائفة: ذلك في مكائد الحروب، وعند لقاء العدو، تطييباً لنفوسهم ورفعاً لأقدارهم وإن كان الله ـ تعالى ـ قد أغناه عن رأيهم بوحيه.

قال آخرون: ذلك فيما لم يأته فيه وحي. فقد قال الحسن: ما أمر الله ـ تعالى ـ نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل ولتقتدي به أمته من بعده.

ثم قال: والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، والذي لا يستشير أهل العلم والدين ـ والخبرة ـ فعزله واجب وهذا لا خلاف فيه.

وقد استشار النبي ﷺ أصحابه في كثير من الأمور، وقال: «المستشار مؤتمن»[3] وقال: «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار»[4] وقال: «ما شقي قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي»[5].

وقال البخاري: «وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها»[6].

وقال الفخر الرازي ما ملخصه: «اتفقوا على أن كل ما نزل فيه وحي من عند الله لم يجز للرسول ﷺ أن يشاور فيه الأمة؛ لأنه إذا جاء النص بطل الرأي والقياس، فأما ما لا نص فيه فهل تجوز المشاورة فيه في جميع الأشياء أو لا؟

قال بعضهم: هذا الأمر مخصوص بالمشاورة في الحروب، لأن الألف واللام في لفظ الأمر، تعود على المعهود السابق وهو ما يتعلق بالحروب ـ إذ الكلام في غزوة أحد ـ.

وقال آخرون: اللفظ عام خص منه ما نزل فيه وحي فتبقى حجته في الباقي وظاهر الأمر في قوله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ ﴾ للوجوب وحمله الشافعي على الندب»[7].

والحق أن الشورى أصل من أصول الحكم في الإسلام. وقد استشار النبي ﷺ أصحابه في غزوات بدر و أُحُد والأحزاب وفي غير ذلك من الأمور التي تتعلق بمصالح المسلمين. وسار على هذا المنهج السلف الصالح من هذه الأمة.

ولقد كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يكتب لعماله يأمرهم بالتشاور ويتمثل لهم في كتبه بقول الشاعر:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد
أشيرا علي بالذي تريان

وقد مدح الحكماء والشعراء بفضيلة الشورى وما يترتب عليها من خير ومنفعة ومن ذلك قول بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة
فريش الخوافي قوة للقوادم

والحكام العقلاء المنصفون المتحرون للحق والعدل هم الذين يقيمون حكمهم على مبدأ الشورى ولا يعادي الشورى من الحكام إلا أحد اثنين:

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ...
(٢) المرجع السابق.
(٣) ... ٢٨٢٣، ٢٨٢٢ ... الترمذي ...
(٤) ... تفسير ... جـ ... ٢٥١
(٥) ... تفسير ... الرازي جـ٩ ...
(٦) سنن البيهقي ٤/ ٣٢١.
(٧) تفسير القرطبي جـ٤/ ٢٤٩ بتصرف وتلخيص.

إما رجل قد أصيب بداء الغرور والتعالي، فهو يتوهم أن قوله هو الحق الذى لا يخالطه باطل، وأنه ليس محتاجاً إلى مشورة غيره وإما رجل ظالم مستبد مجانب للحق، فهو ينفذ ما يريده بدون مشورة أحد لأنه يخشى إذا استشار غيره أن يطلع الناس على ظلمه وجوره وفجوره.

هذا ومتى تمت المشورة على أحسن الوجوه وأصلحها واستقرت الأمور على وجه معين، فعلى العاقل أن يمضى على ما استقر عليه الرأى بدون تردد أو تخاذل، ولذا قال ـ سبحانه ـ

﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾

أى فإذا عقدت بيتك على إمضاء الأمر وإمضائه بعد المشاورة السليمة وبعد أن تبين لك وجه السداد فيما يجب أن تسلكه فبادر بتنفيذ ما عقدت العزم على تنفيذه و ﴿فتوكل على الله﴾ أى اعتمد عليه فى الوصول إلى غايتك، فإن الله ـ تعالى ـ يحب المعتمدين عليه، المفوضين أمورهم إليه مع مباشرة الأسباب التى شرعها لهم لكى يصلوا إلى مطلوبهم.

فالجملة الكريمة تأمر النبى ﷺ وتأمر كل من يتأتى له الخطاب بأن يبذل أقصى جهده لمعرفة ما هو صواب بأن يستشير أهل الخبرة كل فى مجال تخصصه فإذا ما استقر رأيه على وجهة نظر معينة ـ بعد أن درسها دراسة فاحصة واستشار العقلاء الأمناء فيها ـ فعليه أن يبادر إلى تنفيذها بدون تردد فإن التردد يضيع الأوقات والتأخر كثيراً ما يحول الحسنات إلى سيئات و عليه مع حسن الاستعداد أن يكون معتمداً على الله، مظهراً العجز أمام قدرته ـ سبحانه ـ لأنه هو الخالق للأسباب والمسببات وهو القادر على تغييرها.

وكم من أناس اعتمدوا على قوتهم وحدها، أو على مباشرتهم؛ للأسباب وحدها دون أن يجعلوا للاعتماد على الله مكاناً فى نفوسهم، فكانت نتيجتهم الفشل والخذلان وكانت الهزيمة المنكرة المرة التى اكتسوها بسبب غرورهم وفجورهم وفسوقهم عن أمر الله. ورحم الله القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ولقد أكد الله ـ تعالى ـ وجوب التوكل عليه بعد ذلك فى قوله: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده﴾

والمراد بالنصر هنا العون الذى يسوقه لعباده حتى ينتصروا على أعدائهم. والمراد بالخذلان ترك العون. والمخذول هو المتروك الذى لا يعبأ به.

يقال: خذلت الوحشية إذا أقامت على ولدها فى المرعى وتركت صواحباتها.

والمعنى: إن يرد الله ـ تعالى ـ نصركم كما نصركم يوم بدر ـ ﴿فلا غالب لكم﴾ أى فإنه لا يوجد قوم يستطيعون قهركم ـ لأن الله معكم، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد من الخلق.

وإن يرد أن يخذلكم ويمنع عنكم عونه كما حدث لكم يوم أحد، فلن يستطيع أحد أن ينصركم من بعد خذلانه، لأنه لا يوجد أحد عنده قدرة تقف أمام قدرة الله ـ تعالى ـ ومشيئته.

والاستفهام هنا إنكارى بمعنى النفى، أى لا أحد يستطيع نصركم إن أراد الله خذلانكم. وهو جواب للشرط الثانى.

وفيه لطف بالمؤمنين، حيث صرح لهم بعدم الغلبة فى الأول، ولم يصرح لهم بأنهم لا ناصر لهم فى الثانى، بل أتى به فى صورة الاستفهام وإن كان معناه نفيا ليكون أبلغ ـ إذ فى مجيئه على هذه الصورة الاستفهامية توجيه لأنظار المخاطبين إلى البحث عن قوى تكون قدرته كافية للوقوف أمام إرادة الله ـ تعالى ـ ولا شك أنهم لن يجدوه، وعندئذ سيعتقدون عن يقين بأن الله وحده هو الكبير المتعال، وأنه لا ناصر لهم سواه.

وقوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أى وعلى الله وحده لا على أحد سواه. فليجعل المؤمنون اعتمادهم واتكالهم عليه؛ لأن الذين يعتمدون على أى قوة سوى الله ـ تعالى ـ لن يصلوا إلى العاقبة الطيبة التى أعدها ـ سبحانه ـ لعباده المتقين.

فالآية الكريمة كلام مستأنف، وقد سيق بطريق تلوين الخطاب. تشريفا للمؤمنين لإيجاب التوكل عليه والترغيب فى طاعته التى تؤدى إلى النصر. وتحذيرا لهم من معصيته التى تفضى إلى الخسران والخذلان.

***

كتمان الأسرار شيمة الأخيار

[illegible]

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان. قال: فسلم علينا. فبعثني إلى حاجة. فأبطأت على أمي. فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت: لاتحدثنّ بسر رسول الله ﷺ أحداً.

الشـــرح والبيـــان

هذا الحديث الشريف يوضح حال الرعيل الأوّل، والسلف الصالح (رضوان الله عليهم)، حيث كانوا متمسّكين بالأمانة، وحفظ الأسرار، كباراً وصغاراً. ترى ذلك ـ بجلاء ووضوح ـ حين سألت الأم الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملحان (رضي الله عنها) ولدها أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن سبب تأخره، فأخبرها أنّ رسول الله ﷺ بعثه في حاجة، فلمّا سألته: ما حاجته؟ أخبرها أنها سر استودعه إياه النبي ﷺ. فلم تلح على ولدها في معرفته، بل أقرّته على حفظ السر، وأمرته ألا يحدث بسر رسول الله ﷺ أحداً.. وهكذا مجتمع الإسلام يحفظ الأسرار، وبالتالي تختفي الأحقاد والعداوات والخصومات، لأنّ إفشاء السر يُلْهِب النفوس، ويملؤها غيظاً وحقداً.

وقد تناول القرآن الكريم هذه القضيّة، فقال ربّ العالمين (سبحانه):

﴿ [illegible] ﴾

(المجادلة ٧)

لقد ابتدأ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الآية بالعلم، واختتمها أيضاً بالعلم، لينبّه إلى إحاطة علمه (جلّ وعلا) بالجزئيات والكليّات، وأنّه (سبحانه) لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماوات، مهما غاب عن الأبصار، وخفي عن الأنظار؛ لأنه قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كلّ شيء عدداً. فهو يرى الخلق، ويسمع كلامهم، ويعلم سرهم ونجواهم. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

(التوبة: ٧٨)

فلا يقع حديث بين ثلاثة إلا كان الله رابعهم، ولا خمسة إلا كان سادسهم، ولا أقلّ من ذلك ولا أكثر إلا كان الله معهم، يرى ويسمع، ثمّ ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم.

إذا كان الله (عزّ وجل) حاضراً سميعاً فذلك وحده أمر هائل عظيم، فكيف إذا كان لهذا الحضور ما بعده من حساب وثواب وعقاب؟! وكيف إذا كان مايسره المتناجون سيعرض على رءوس الأشهاد يوم العرض والحساب. من أجل ذلك نهى الله عباده المؤمنين عن التناجي بالإثم والعدوان والمعصية وأمرهم أن يتناجوا بالبرّ والتقوى. قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المجادلة ٩)

وقد وردت أحاديث نبويّة كريمة في الحالات التي تؤدي إلى الريبة، ونزع الثقة، والحالات التي تؤدي إلى التوحش والتخوّف، ففي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه)، وهذا صحيح، فقد يظن الثالث أنهما يخططان لاغتياله، أو يدبران الكيد له، أو يؤذيانه بأيّ لون من ألوان الأذى.

ولذلك وضّح الحقّ (سبحانه) أنّ حديث النفس الذي يتردد في الصدر، ولا يفصح عنه الإنسان يعلمه الله (سبحانه). قال تعالى:

﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾

(طه:٧)

لأن السر يكون بين اثنين. أما الأخفى من السر فهو مايكنه الإنسان فى صدره، ويخفيه عن غيره، ولذلك قال عز من قائل

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾

(ق ١٦)

فنفس الإنسان مكشوفة لله (عز وجل) لا يحجبها شيء، وكلّ مافيها من وساوس خافية يعلمها الله (سبحانه)، وعلى ضوء هذا المعنى ينبغى أن نفهم قوله تعالى:

﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور﴾

(الملك :١٣)

أى: أخفوا قولكم أيها الناس وأعلنوه وأظهروه، سواء أخفيتموه أو أظهرتموه فإنّ الله يعلمه، فهو يعلم ماتكنّ الأعين، وماتخفى الصدور، يعلم ما يخطر بالقلوب، وما توسوس به الصدور:

﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾

(الملك ١٤)

فما السرّ؟ السرّ هو ذلكم المكنون الذى تضمه الجوانح والصدور، وينبغى كتمانه وعدم إظهاره؛ لأنه لو ظهر لم يعد سراً، وذلك يحتاج إلى قلب كبير، وضمير حى، وعزيمة قوية، فلا يستطيع كتمانه والحفاظ عليه إلا أولو العزم من الناس الذين ترفعوا عن شهوات أنفسهم، وتمرّدوا على حبّ الشهرة، وحبّ الذات، لعصموا ألسنتهم من الزلات.

فهناك أسرار الامتحانات فى المدارس والجامعات، وكم سمعنا عن تسرّب الأسئلة على مرّ العصور، وتتابع الأجيال فى مقابل الزهيد من المال، وعن قيام المسئولين بإعادة صياغتها وطبعها من جديد؛ ضماناً لتحقيق العدالة، وهناك أسرار الزوجية، وكم رأينا من رجل أفشى سرّ زوجه فكرهته، وحال ذلك دون مواصلة العشرة، وكان سبباً فى الطلاق والانفصال، روى مسلم عن أبى سعيد الخدرىّ (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّ من أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته ـ أى: يصل إليها بالمباشرة ومجامعة ـ وتفضى إليه. ثم ينشر سرها)

وكم رأينا صديقاً أفشى سر صديقه، فكان إفشاء السرّ سببا فى الخصومة والقطيعة، أما حفظ السرّ وصيانته فيحفظ الحب، ويديم الودّ، لذلك نهى رسول الله ﷺ عن إفشاء السر الذى يكون بين الصديقين، فقد ورد فى الحديث الشريف عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه مايكره)(1).

وينبغى أن نعلم أن إفشاء السرّ له وسائل متعددة، إذ قد يكون الإفشاء بالكلمة الصريحة، أو بالإشارة المعبرة، أو بالكلمة المكتوبة، أو الخبر المنشور على صفحات الجرائد والمجلات، وقد يكون بالنشرات والتقريرات، وقد يكون بالتحسس والتجسس.. إلى غير ذلك، مما يجب التفطن إليه، والحذر من الوقوع فيه، حتى لا نضل طريق الحقّ والصواب. قال تعالى

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾

(الإسراء:٣٦)

هذا ومجالات السرّ أيضاً متعددة متنوعة؛ فهناك أسرار عسكرية، وأسرار سياسية، وأخرى اقتصادية وتجارية، وهناك أسرار المصانع والمعامل، وأسرار الشركات والمقاولات، وأسرار الأسرة، وأسرار الجيرة، وأسرار الزمالة، باختصار توجد الأسرار فى كل المجالات، وجميع المستويات، فمن أفشى سراً من هذه الأسرار فقد فعل محظوراً، وارتكب محرماً - لأنه يؤدى إلى الضرر، والضرر منهيّ عنه شرعاً. قال رسول الله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام)(2)

وإفشاء السر خيانة، لأنه أمانة، ويكون الذنب أكبر، والجرم أبشع إن كان هناك وعد بالصيانة، روى أبو داود عن جابر بن عبدالله (رضى الله عنهما) عن النبىّ ﷺ قال: (إذا حدّث الرجلُ بالحديث، ثمّ التفت فهى أمانة).

وقد نفى رسول الله ﷺ كمال الإيمان عن فاقد الأمانة، وكمال الدين عمن لا

(1) تحفة الصادقة للتقى ٦/٢١٧، فتح البارى شرح صحيح البخارى ١١/٨٢

(2) نصب الراية ٤/٣٨٤

عهد له، روى ابن حبّان عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال في الخطبة: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له).

لذلك تحدثنا كتب السيرة أنّ رسول الله ﷺ لما أجمع المسير إلى مكّة لفتحها.. طلب إلى أصحابه حفظ هذا السرّ، لكن حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) كتب كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ، ثمّ أعطاه امرأة لتوصيله، وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث بعض أصحابه لإدراك المرأة وإحضار الكتاب، ففعلوا، فدعا رسول الله ﷺ حاطبا. فقال: ياحاطب. ماحملك على هذا؟ فقال: يارسول الله، أما والله إنّي لمؤمن بالله ورسوله، ماغيّرت ومابدلت، ولكنّي كنت امرءا ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم، فقال عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه وأرضاه): (دعني فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق)، فقال رسول الله ﷺ: (ومايدرك ياعمر، لعلّ الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ماشئتم)[3].

فالرجل من السابقين للإسلام، وممن شهدوا بدرا، ومع ذلك فقد أنزل الله في شأنه هذه الآيات الكريمة:

[illegible]

(الممتحنة:1)

ولذلك قيل: (الصبر على القبض على الجمر أيسر من الصبر على كتمان السرّ).
وقد أنشد الشاعر الأمين:

وما السرّ في صدري كثاو بقبره
لأني أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكنني أنساه حتى كأنني
بما كان منه لم أحط ساعة خُبْرا

وحفظ الأسرار يوثق صلة الإنسان بأخيه حين يحفظ أسراره؛ لأن حفظ السرّ يؤدي إلى توثيق عرى المحبّة بين الإنسان ومن يحفظ عليه سرّه، وهو فضيلة إنسانية يرتقي بها المرء في درجات الجمال والجلال والكمال.

(3) صحيح البخاري 8: 32، مسند أحمد 1: 79، 80.

ولا يفشي السّر إلا رجل ضيّق الصدر، قليل الصبر، غبي أحمق، يخاطر بما لا يعرف عقباه، لذلك ينبغي أن يكتم الناس عنه أسرارهم ليسلموا من أذاه، ولا يحفظ السر إلا رجل قويّ الإرادة، صلب العزيمة، استطاع أن يقهر نفسه، ويغلب شيطانه، ويصرع هواه، وأن يصبر على ما يكره، حتى استحقّ أن يأنس الناس به، ويستريحوا إليه، ويأتمنوه على أسرارهم.
وإذا كان الإسلام قد حرم إفشاء السرّ فقد أجاز العلماء الكذب حفظا للسر من أن يظهر، وذلك لأنّ الصدق لا يكون محموداً في جميع الأحوال، فقد يطلب الكذب في بعض الأحوال، ومثاله لو حضر إنسان في مكان وجاء خلفه آخر بالسلاح ليقتله، فسأل عنه من رآه، فهل يرشده إلى مكانه ليقتله؟؟

إنّ المسألة هنا تتطلب الحكمة والتعقّل والرويّة، فينبغي الكذب في مثل هذه الحالة، منعاً للجريمة، وصيانة للنفس التي أمر الله (سبحانه وتعالى) بالمحافظة عليها. ومثل هذه الحالة مايكون من المصلح بين المتخاصمين حين يسمع من كل خصم على حده مايسيء إلى الآخر، فينكر ماسمعه من كلّ منهما، ويذكر خيراً، بغية الإصلاح، وتضميد الجراح.
روى الترمذيّ عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: مارأيت رسول الله ﷺ يرخّص في الكذب في شيء إلا في ثلاث، كان رسول الله ﷺ لا يعدّه كذباً: (الرجل يصلح بين الناس يزيد في القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها)... والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

***

من وحي الهجرة

إن الإسلام منذ نشأته يقوم على قاعدة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ومعنى ذلك افراد الله - سبحانه وتعالى - بالالوهية والربوبية والقوامة والسلطان فلا رب غيره ولا معبود سواه.

ان افراده بها اعتقاد نابع من الضمير وعبادة في الشعائر وشريعة في واقع الحياة فشهادة ان لا إله الا الله لا توجد فعلا ولا تعتبر موجودة شرعا الا في تلك الصورة المتكاملة التي تعطيها وجودا جديا حقيقيا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلما.

ومن ثم لم يكن هناك بد أن تكون هناك قيادة للمجتمع المسلم الذى نشأ فى مكة المكرمة بقيادة رسول الله ﷺ ومن بعده فى كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده وربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته، وهكذا وجد الإسلام نفسه محاصرا فى مكة المكرمة بهؤلاء المنتمين إلى العصر الجاهلى الذين يحددون صالتهم فى عبادة الأصنام والأوثان فكان لابد من اتخاذ الخطوات الجادة لإقامة هذا المجتمع المسلم. ومن هنا جاءت الهجرة النبوية الشريفة لتكون سبيلا لإقامة هذا الدين وانتشاره فى ربوع الجزيرة العربية بل والعالم أجمع فيما بعد، ولهذا فإن قرار الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة لم يكن قرارا بالهروب أو الفرار ولكن هذا القرار جاء تنفيذا لأمر إلهى هو أن يكون لهذا الدين الأرض الخصبة التى ينمو فيها هذا الدين وينتشر فى أنحاء المعمورة.

وقد حاول المجتمع الجاهلى المتمثل فى كفار مكة ومشركى قريش أن يقضوا على هذا المجتمع الوليد فإذا بالرسول ﷺ يهاجر هو وصحبه إلى تلك الأرض التى قدر الله لها أن تكون هى الأرض المناسبة لهذا الدين ونشره بين الأنام، وما أن دخل المدينة المنورة (يثرب سابقا) حتى وجد فى أهلها مسلمين يبايعون القيادة الإسلامية على الولاء المطلق والسمع والطاعة فى المَنْشط[1] والمكره وحماية رسول الله مما يحمون منه أموالهم وأولادهم ونساءهم وقامت الدولة المسلمة فى المدينة بقيادة رسول الله ﷺ وكان القرار الذى اتخذه قائد هذه الدولة رسول الله ﷺ هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار تلك المؤاخاة التى تقوم مقام رابطة الدم والنسب كذلك بكل مقتضياتها بما فى ذلك الإرث والديات والتعويضات التى تقوم بها رابطة الدم فى الأسرة والعشيرة. وكان حكم الله - تعالى -

(الأنفال ٧٢)

فهم أولياء فى النصرة وأولياء فى الإرث وأولياء فى الديات والتعويض وسائر ما يترتب على رابطة الدم والنسب من التزامات وعلاقات وهكذا نجد أن هذا القرار الذى اتخذه رسول الإسلام ﷺ يفوق ما يتشدق به العالم العربى من تجمعات هنا وهناك واتحادات هنا وهناك. لأن ما فعله الرسول ﷺ فى هذه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وبعد ذلك وجد أفراد آخرون دخلوا فى هذا الدين عقيدة ولكنهم لم يهاجروا إلى المدينة المنورة - وهى التى كانت تسمى دار الإسلام - التى تحكمها شريعة الله هؤلاء الأفراد الذين يعتنقون الإسلام ولكنهم لا يفضلون الإقامة والعيش فى هذا المجتمع الذى يقوم على هذه العقيدة وهؤلاء وضع الله - تعالى - لهم موقفا جاء فيه

(الأنفال ٧٢)

مصلحة المجتمع المسلم

فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء فى المجتمع المسلم ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العقيدة وهذه لا ترتب وحدها على الدولة المسلمة أعباء تجاه هؤلاء الأفراد اللهم إلا أن يعتدى عليهم فى دينهم فيفتنوا عن عقيدتهم، وإذا طلبوا النصرة من الدولة والمجتمع المسلم كان الواجب على المسلمين أن ينصروهم فى هذا ولكن بشرط ألا يخل هذا النصر والتأييد بعهد عاهده المسلمون مع معسكر آخر ولو كان هذا المعسكر هو المعتدى على أولئك الأفراد فى دينهم وعقيدتهم؛ ذلك أن الأصل هو مصلحة المجتمع المسلم وما يترتب عليها من تعاملات وعقود فهذه لها الرعاية أولا حتى تجاه الاعتداء على عقيدة أولئك الذين آمنوا.

ثم يضع القائد المسلم أسس العلاقة بين الكفار ومن على عقيدتهم فيقول - تعالى -:

(الأنفال: ٧٣)

(١) المَنْشط مفعل من النشاط وهو الأمر الذى تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله وهو مصدر بمعنى النشاط

فالكفار هم الذين يتولون الأعباء المترتبة على هذه العقيدة دون أن يكون للمسلمين فيها شأن أو يكون تجاههم مطلب، وهكذا نجد أن الإسلام وهو يبنى هذه الدولة المسلمة يستمع ويستجيب لمتطلبات المجتمع بكل طوائفه ولا أدل على ذلك من العهود والمواثيق التى وضعها النبى ﷺ والتى مثلت أول دستور ينظم العلاقات بين طوائف مختلفة فى العقيدة والتى ينادى بها أولئك الذين يدعون الحرص على حقوق الإنسان فى زماننا المعاصر. إن الإسلام وضع أساسا للحرص على حقوق الإنسان جميعا المسلم وغير المسلم بل إن رسول الله ﷺ وضع فى العهد الذى أبرمه مع اليهود ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ونص على أن لليهود أن يبقوا على عقيدتهم ودياناتهم وليس لأحد أن يجبرهم على الدخول فى الإسلام فالقاعدة العامة:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف:٢٩)

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

(البقرة:٢٥٦)

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

(الكافرون:٦)

وبطل هذا العهد الدفاع عن المدينة وهى الوطن للجميع - المسلمين واليهود - فالواجب على جميع قاطنى المدينة أن يدافعوا عن المدينة تجاه الغزو الخارجى، كذلك فالواجب على اليهود ألا يتحالفوا مع أى عدو للمسلمين أو أى معتد على المدينة، ولكن اليهود كعادتهم نقضوا هذه العهود ودبروا المكائد والصراعات بين المسلمين وناصروا أعداء الإسلام فكان ما كان من منازلات بين المسلمين وأعدائهم للدفاع عن هذا الكيان فقد كان هذا المجتمع مجتمعا مفتوحا لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات بلا عائق من هذه العوائق الحيوانية السخيفة وقد اجتمع فى هذا المجتمع المسلم رباط الاعتقاد بربهم الواحد وتبرز فيها إنسانيتهم وحدها بلا عائق وهذا ما لم يتحقق لأى تجمع آخر على مدى التاريخ.

رابطة الإنسانية

لقد كان أشهر تجمع بشرى فى التاريخ القديم هو تجمع الإمبراطورية الرومانية مثلا فقد ضمت بالفعل أجناسا متعددة ولغات متعددة وألوانا متعددة ولكن هذا كله لم يقم على رابطة الإنسانية أو العقيدة بل كانت تحكمها العنصرية والطبقية، فقد كانت هناك طبقة الأشراف وطبقة العبيد بل وهناك طبقة الرومان وطبقة غيرهم. ومن هنا فإن هذا التجمع لم يرتفع أو يتسامى إلى هذا التجمع الذى أقامه رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة والذى أصبح نواة العالم الإسلامى الذى يضم أكثر من مليار ونصف مليار مسلم اليوم؛ لأن الله أرسل رسوله بهذا الدين كى يبقى وينتشر وصدق - تعالى - حين يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(الصف:٩)

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ

برغم ما يبدو من هيمنة الحضارة المادية وسيطرتها على مقاليد الأمور. وبرغم ما يتراءى من تمكنهم وعلوهم فى الأرض فإنى على يقين راسخ بأن علوهم إلى انحطاط. وتمكنهم إلى انحلال وعمرانهم إلى خراب وبوار. لأنى على ثقة من قول ربى سبحانه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

(هود:١٠٢)

ومن قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الأنعام:٤٤-٤٥)

ونعلم مما علمنا نبينا ﷺ. إن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

بهذه الثوابت الإلهية يمضى المؤمن فى هذه الحياة مستشعرا معية الله له وخذلانه لأعدائه. فيطمئن إلى نصره، ويستبشر بتمكينه واثقا من قول ربه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(المجادلة ٢٠-٢١)

ومستيقنا من وعد ربه له بقوله

﴿ [illegible] ﴾

(الروم ٤٧)

ولما كان المؤمنون الصادقون موعودين بالنصر من ربهم إن هم أخلصوا النية، وصدقوا العمل، وجاهدوا في الله حق جهاده، كان أخشى ما نخشاه عليهم هو أن يصابوا في يقينهم بربهم، وثقتهم بخالقهم، وعمق إيمانهم بالله سبحانه وتعالى فيفقدون بسبب ذلك توفيق الله لهم، ولطفه بهم، وتجليه عليهم، وينكشف عنهم غطاء المعية، واستمرار المدد، ونزول الملائكة وتثبيت الأقدام.

﴿ [illegible] ﴾

(الأنفال ١٢)

الوهـــن!!

إن أخطر ما تصاب به الأمم في مسيرة حياتها هو أن تصاب بالوهن الذي يورثها الهزيمة والخذلان، وذلك يأتي عندما تنقطع علاقة الأمة بربها، فلا ترى مشغولة بذكره، حافظة لعهده، مطبقة لشريعته، وقافة عند حدوده، مستجيبة لأوامره، منتهية عن نواهيه يوم تفقد الأمة هذا الشعور الإيماني العميق لابد أن تصاب بالشدائد، وشدة المؤونة، وهو ما توعدها الله به بقوله:

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾

(طه ١٢٤)

وحذرها منه نبينا ﷺ بقوله في الحديث الذي رواه ابن ماجة والبزار والبيهقي واللفظ له - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «خمس خصال - إذا ابتليتم بهن ونزلن بكم، أعوذ بالله أن تدركوهن - لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة، وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، إلا جعل بأسهم بينهم».

فبسبب ضعف الإيمان، وغياب اليقين، وغلبة حب الدنيا على سلطان الدين وبسبب عجز العلماء، وجهل الأبناء، واستبداد الأمراء، واستشعار فئة من الأغنياء بعالب أموال المسلمين وغياب رحمتهم بالفقراء والمعوزين أوشك أنه ينكشف عن الأمة غطاء المعية، ويرتفع عنها ستار البركة، وينقطع عنها مدد التوفيق ويسقط عن أعين الكافرين قناع الهيبة من هذه الأمة ويصدق في الأمة قول نبينا صلوات الله وسلامه عليه

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله قال: حب الدنيا وكراهية الموت، وفي رواية وكراهية القتال»(١).

وإذا كان غياب الذكر يورث الأمة الضنك والفقر وقلة البركة وشيوع هذه الخصال الخمس يورثها ما علمنا من مقتضياتها المرعبة كما مر في الحديث الشريف. وإذا كان شيوع الربا يوقف الأمة أمام حرب يؤذن بها الجبار سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩)

واجـــب الأمـــة

فإن أول واجب من واجبات هذه الأمة حكاماً ومحكومين يقتضيها أن تنهض بواجب الدعوة إلى الله، وقوة اللجوء له وصدق العودة إليه والإلتزام الكامل بشريعته عقيدة وعبادة، قضاء وأحكاما، أخلاقا وسلوكا، سياسة واقتصادا، حلالا وحراما، آدابا ومعاملات، وأن نجعل القيام بهذا الواجب بمثابة الاستغفار وإبداء الاعتذار لما فرط منا في حق الله سبحانه وتعالى، عسى الله أن يفك عن الأمة قيدها، وأن يفرج كربها، وأن يبارك لها في أرزاقها وأقواتها، وأن نكون أهلا لتحقيق وعده الكريم فينا بقوله سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

(نوح ١٠ - ١٢)

(١) رواه [illegible]

وأن يشملنا قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(الأعراف: ٩٦)

إن الاعتذار إلى الله بالعودة إليه، والاستغفار عما فرط من ذنوبنا، في مجالات الحياة المختلفة، هو مفتاح أماننا وسبب سعادتنا، وسر قوتنا وضمان من غضب الله ونزول عذابه:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(الأنفال: ٣٣)

البداية الحقيقية

إن البداية الحقيقية للتخلص من حالة الوهن وحب الدنيا وكراهية الموت، وأن نستعيد هيبتنا في أعين أعدائنا، وأن نعود مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس، لا يكلفنا إلا أن نكره تلك الحال الخبيثة من أعماق قلوبنا، وأن نستشعر الندم على ما فرط منا، وأن نعترف بحق من نحب ومن نكره، ومن نوالي ومن نعادي، وأن نمتلك المعيار الإلهي الصادق الذي نقيس عليه حبنا وبغضنا وولاءنا وبراءنا، وصداقتنا وعداوتنا، ونحقق فينا قول نبينا ﷺ: «من أحب في الله وكره في الله فقد استكمل عرى الإيمان»[٢]، فنتخلص بذلك من حالة التظالم الدائم بين طبقات الأمة، الذي أورثها عداوة الفقير للغني، وكراهية المظلوم للظالم، وجعل العامي يسخر من العالم، عندما رآه يخاف أن يقول للظالم يا ظالم.

الاستشراق والحرب على الإسلام

وشهادة التاريخ الحديث والمعاصر والمنصفون من عقلاء الأمة يدركون بأن ما أصاب الأمة فأورثها ما هي فيه من التبعية والتخلف وغياب الهيبة والهوان على الناس، لم يقع في يوم وليلة، وإنما تم بتدبير محكم وتآمر رهيب، واجتمعت لتلك الغاية الشيطانية دراسات استشراقية وحملات عسكرية وخطط صليبية ومؤامرات يهودية، منتهزين حالة الضعف والتشرذم، وما أصاب الأمة جميعا من شعور بالظلم والاضطهاد، تحت وطأة ولاة جفاة قساة أرهقوا كاهل الناس بالضرائب والإتاوات، وما شاع من أمور الرشوة وبيع المناصب، وتوقف الاجتهاد، وشيوع التقليد وانتشار البدع، والتخلف عن ركب الحضارة العالمية، والاكتفاء بحفظ المتون والتلاعب بالألفاظ، وترك ميراث الآباء من علوم الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والصيدلة وعلوم الأرض ليبدع فيها أعداؤنا، ويتفوقوا بها علينا، مما هيأ الأمة لتكون ميراثا سهلا لدول الغرب الصليبي، فلم يجدوا كبير جهد لإخضاع عواصم الأمة الإسلامية لإرادتهم، وأفاق العالم ليجد ميراث محمد ﷺ قد توزعته إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وغيرها وليتحول البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة صليبية، ويجتمع ممثلو إنجلترا وفرنسا ليقتسموا بينهما تركة «الرجل المريض» ويعنون به الدولة العثمانية وإذا أرض الإسلام وأبناء المسلمين يوزعون غنيمة بين إنجلترا التي يمثلها وزير خارجيتها «سايكس» وفرنسا التي يمثلها وزير خارجيتها «بيكو» بمقتضى اتفاق ودي بينهما عرف باتفاق «سايكس - بيكو» في بدايات القرن العشرين لتظل الأمة على مدى قرن كامل صريعة أيد حاقدة حاسدة مدمرة تعمل بكل قواها السياسية والعلمية والعسكرية والثقافية على قتل ونهب وسحق كل مقومات القوة في هذه الأمة مادياً وروحياً وثقافياً لكن أخطر ما أصابته في كيان أمتنا وأشد عنصر استحوذ على اهتمامهم، كان هو الجانب الذي يذكر الأمة بوجودها، ويحفظ لها شخصيتها ويصون هويتها وهو جانب الدين. لأنهم علموا أن الدين الإسلامي يمثل لدى أمة الإسلام مددها الروحي، ورباطها الديني، وانتماءها التاريخي، ومنهاجها الفكري ونظامها السياسي، بل وبرنامج حياتها اليومي. كما أحس أعداء الإسلام أن عنصر الممانعة الأكيد والذي صمدت به الأمة طيلة ألف عام أو يزيد، كان هو العمق الروحي واليقين الإيماني، ولهذا عمدوا إليه ليضعفوه، ووجهوا ضرباتهم إليه ليقتلوه.

حفظ الله!!

وإذا كنا لا ننكر أن ضرباتهم كانت خانقة حاقدة موجعة، وأن خسائرنا كانت فادحة ممجعة، فإن الذي نحمد الله عليه أنها لم تكن مغنية قاتلة؛ لأن الله تبارك وتعالى هو الذي تولى بنفسه حفظ كتابه وصيانة دينه، ومنة رسوله عبرة على البشرية كلها أن تظل بغير دين وبغير كتاب فتضل ضلالاً بعيداً

---

(٢) متفق عليه

اختلاف الصحابة بعد الرسول ﷺ

اختلف الصحابة بعد رسول الله وكان اختلافهم بعده، كاختلافهم على عهده، ولا فرق بين طبيعة اختلافهم الأول والثاني، إلا مقتضيات الزمن، وما حدث فيه للمسلمين من سعة في العيش، وتشعب في أمورهم الحياتية.

اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة

وكان لاختلافهم في كل الأحوال أسبابه، كما كانت له في كل الأحوال آداب التزموا بها. وكان مما اختلفوا فيه (على سبيل المثال لا الحصر) اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة وقد استطاعوا التغلب على ذلك الاختلاف بصدق نياتهم، وسمو غاياتهم ونبل مقصدهم. ففي خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - ارتدت بعض قبائل العرب وامتنعوا عن دفع الزكاة، بتأويل خاطئ منهم أن الزكاة كانت للرسول ﷺ، وليست لأبي بكر - رضي الله عنه -. فقد زعموا أن الزكاة في أصل الدين لا تدفع لغير الرسول ﷺ، لأنه هو المخاطب بأخذها في قوله تعالى

(التوبة ١٠٣)

ولقد خاطب القرآن الرسول ﷺ بصفته إماما ورئيسا للمسلمين، وبصفته حاكما لهم، بأخذ الصدقات منهم وبردها على مستحقيها من المسلمين، ثم تنتقل هذه المسئولية إلى من يليها من أئمة المسلمين بعد رسول الله ﷺ نيابة عن أمة المسلمين، ولهذا رأى أبوبكر - رضي الله عنه - حملهم على أدائها له، فهو خليفة رسول الله ﷺ.

ولكن حدث اختلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في قتال مانعي الزكاة.

روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبوبكر - رضي الله عنه - وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: فكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[1] فقال أبوبكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر - رضي الله عنه للقتال فعرفت أنه الحق.

قال الطبري: قال ابن زيد: افترضت الصلاة والزكاة - جميعا - لم يفرق بينهما وقرأ قوله تعالى:

(التوبة ١١)

وأبى أبوبكر أن تقبل الصلاة إلا بالزكاة.

وقال: رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه «يريد بذلك إصراره على مقاتلة من فرق بين الصلاة والزكاة».

وكان سبب الاختلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه اجتهد واستنبط الحكم وعرف أن الصلاة لا تفرق الزكاة.

كما اجتهد عمر رضي الله عنه، فتمسك بظاهر لفظ الحديث ورأى أن مجرد دخول الإنسان الإسلام بالنطق بالشهادتين - عاصما لدمه وماله ومحرما لقتاله.

أما الصديق رضي الله عنه، فقد تمسك بقوله ﷺ: إلا بحقها، واعتبر الزكاة حق المال، الذي تفقد بالامتناع عن أدائه عصمة النفس والمال. كما فهم من اقتران الصلاة والزكاة في معظم آي الكتاب، وأحاديث الرسول ﷺ أنهما مثلان لا فرق بينهما.

وما داموا متفقين على أن الامتناع عن الصلاة دليل ارتداد، فإن الامتناع عن الزكاة

---

(1) صحيح البخاري

ينبغي أن يعتبر كدليل ارتداد يقاتل مرتكبه.

وبذلك استطاع الصديق - رضي الله عنه - أن يقنع الصحابة بصواب اجتهاده في وجوب قتال مانعي الزكاة واعتبارهم مرتدين، وبذلك اتفقت الكلمة وارتفع الخلاف في هذه المسألة.

واختلف الصحابة في أمور كثيرة. فقد اختلفوا في قسمة الأراضي المفتوحة وكان عمر يرى وقفها ولم يقسمها. فوافقه الصحابة وشرح الله صدورهم لما شرح له صدر عمر رضي الله عنهم أجمعين.

واختلفوا في المفاضلة في العطاء. فكان أبوبكر يرى التسوية في الأعطيات، بينما كان عمر يرى المفاضلة بين المسلمين في أعطياتهم بحسب سبقهم للإسلام، وبلائهم فيه.

كذلك اختلفوا في الاستخلاف. فقد استخلف أبوبكر، ولم يستخلف عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وروى أن عمر أرسل إلى امرأة مغيبة (زوجها غائب) وكان يدخل عليها، وقد أنكر عمر رضي الله عنه ذلك، فأرسل إليها، فبينما هي في الطريق فزعت، فألقت ولدها (حملها) فصاح المولود صيحتين ثم مات. فاستشار عمر أصحاب النبي ﷺ، فأشار عليه بعضهم أنه ليس عليك شيء إنما أنت وال مؤدب.

ولكن سأل عمر عليا - رضي الله عنهما - فقال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم. وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك. أرى أن ديته عليك فإنك أنت أفزعتها، وألقت ولدها بسببك. فأمر عمر أن يقسم عقله (ديته) على قومه.

ما الذي أوقع الناس في الخلاف؟

ولكن الذي أوقع الناس في الخلاف اتباع الهوى. فاتبعوا أهواءهم. ولم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها. حتى يصدروا عنها. بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، أو كان منهم من يخشى السلطان لنيل ما عنده. أو طمعا للرياسة، وطلبا لها.

واتباع الهوى هو أصل الزيغ عن الصراط المستقيم قال تعالى:

﴿[illegible] فيتبعون ما تشابه منه [illegible]﴾

(آل عمران ٧)

فمن شأنهم أن يتركوا الواضح، ويتبعوا المتشابه.

وقد يتبعون آباءهم أو أشياخهم. وهو التقليد المذموم لأنهم استمسكوا بمجرد التقليد الخاطئ، سواء كان موافقا للشرع أو مخالفا له.

فالمتبع هواه، أو المقلد الأعمى للمتبع [illegible] كلامه ضمن، لم يبلغ الدرجة التي [illegible] من نعله. وأهل الاجتهاد فيه، فهو يفتي برأيه من غير إحاطة الشريعة أو رسوخ قدم في فهم مقاصدها. وعليه [illegible] الحديث الصحيح [illegible] قال: إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فضلوا وأضلوا[1].

موقف العلماء من الاختلافات الفقهية

لو تدبرنا ما سبق أن نقلناه عن الشاطبي وابن عبدالبر في قولي عمر بن عبدالعزيز والقاسم بن محمد عالم المدينة - رضي الله عنهما - في أن اختلاف أصحاب رسول الله [illegible] كان رحمة، لأنهم وسعوا للناس دائرة العمل، ولو أضفنا إلى هذا القول قول العلامة الدهلوي رحمه الله في كتاب الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف. لاتضحت لنا طبيعة هذه الاختلافات. ومنها أن أكثر صور الاختلاف بين الفقهاء لاسيما في المسائل التي ظهر فيها أقوال الصحابة في الجانبين كتكبيرات العيدين، وتشهد ابن عباس وابن مسعود والإخفاء بالبسملة وبآمين، والإشفاع والإيتار في الإقامة ونحو ذلك. إنما هو ترجيح أحد القولين.

وكان السلف لا يختلفون في أصل من أصول المشروعية، وإنما كان خلافهم في أولى الأمرين، ونظيره اختلاف القراء في وجوه القراءات.

وقد عللوا كثيرا من هذا الباب، بأن الصحابة مختلفون، وأنهم جميعا على الهدى، ولذلك لم يزل العلماء يجوزون فتاوى المفتين في المسائل الاجتهادية ويسلمون قضاء القضاة، ويعملون في بعض الأحيان بخلاف مذهبهم.

وما نقلناه عن ابن عبدالبر والشاطبي والدهلوي يبين إمكان الاقتداء بالصحابة في مسائل الاختلاف كما يبين أنهم - رضوان الله عليهم - لم يختلفوا في أمور كتلك التي تجددت بتجدد العصور، وأحوال المسلمين من بعدهم.

كما تبين أن الاختلاف في استنباط المسائل الفقهية وتعدد الآراء في المسألة الواحدة أمر طبيعي تبعا للأساليب التي يقتضيها الاختلاف. واختلافهم على ما يقول ابن عبدالبر دليل على أنهم اجتهدوا فاختلفوا. كما اجتهد الذين جاءوا من بعدهم من أصحاب المذاهب الفقهية فاختلفوا.

(وللحديث بقية)

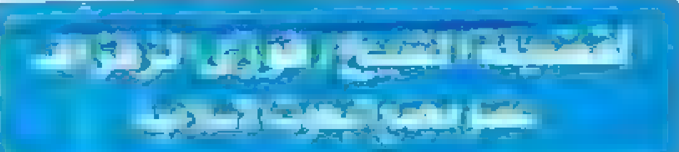
---

(1) [illegible]

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنة النبوية





فضل الله الأمة الإسلامية، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وبيّن -جل شأنه- أسباب تلك الخيرية، وأرجعها إلى أن الأمة الإسلامية تحقق أصلين أساسيين:

● الأصل الأول: أنها تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهما سياج الدين، ولا يمكن أن تقوم الأمة الإسلامية وتنهض إلا على دعامات قوية من الخير والفضيلة والأخلاق الكريمة.. ومفتاح ذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما هلكت الأمم السابقة، واستحقت لعنة الله وعذابه إلا بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله -تعالى-:

﴿[illegible]﴾

[الآيتان ٧٨، ٧٩ سورة المائدة]

يقول الله -سبحانه وتعالى:

﴿[illegible]﴾

[آية ١١٠ سورة آل عمران]

● الأصل الثاني: الإيمان بالله -جل شأنه- وبجميع ما أمر به ونهى عنه من تكاليف تتعلق بالعقيدة والشريعة، والعبادات والمعاملات: قولاً وعملاً.

فإذا أهملت الأمة الإسلامية هذين الأصلين الأساسيين، فلا يمكن أن توصف بالخيرية.. وهل وعت الأمة الإسلامية هذا التكريم الإلهي الذي حباها الله به؟ وذلك التفضيل والإعلاء من شأنها وقدرها الذي خصها الله به؟ فحافظت على الالتزام بتنفيذ هذين الأصلين؟؟

إن واقع المسلمين في الزمن الحالي، المليء بالضعف والهوان، والذلة والمهانة، والاستكانة والخنوع يقول غير ذلك!! ولا مخرج للأمة الإسلامية من هذا الواقع المؤلم الحزين، إلى الخيرية التي أنعم الله بها عليها، إلا بعودتها إلى تحقيق هذين الأصلين الأساسيين.

الأمر بالمعروف صدقة

إن الفضائل التي تحقق الخيرية للأمة الإسلامية كثيرة ومتعددة، وقد يسّرها الإسلام لكل مسلم على قدر استطاعته وطاقته وجهده.. عن أبي ذر -رضي الله عنه- أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالمال الكثير بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أو لَيْس قد جعل الله لكم ما تصَّدَّقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضْع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله: أيأتي أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[1].

ولو نظرنا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجد أن رسول الله ﷺ قد كرر الحث على فعله والحض على عمله في كل مناسبة يُسأل فيها عن بيان أعمال الخير التي يجب على المسلم أن يحرص على أدائها والتمسك بتنفيذها.

---

(١) [illegible]

عن أبي كثير السُّحَيمي عن أبيه قال: سألتُ أبا ذر قلت: دلّني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة؟ قال: سألتُ عن ذلك رسول الله ﷺ قال: «تؤمن بالله واليوم الآخر»، قلت: يا رسول الله، إن مع الإيمان عملاً؟ قال: «يرضخ - يعطي - مما رزقه الله»، قلت: يا رسول الله: أرأيت إن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ به؟ قال: «يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر»، قال: قلت يا رسول الله: أرأيت إن كان عَيِيًا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: «يصنع لأخرق» - يبحث عن جاهل ضعيف أحمق ويفيده ليكسب صدقة - قلتُ: أرأيت إن كان أخرق أن يصنع شيئاً؟ قال: «يعين مغلوباً»، قلت: أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يُعين مغلوباً؟ قال: «ما تريدُ أن يكون في صاحبك من خير؟ يُمسك عن أذى الناس»، فقلت: يا رسول الله: إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: «ما من مسلم يفعلُ خصلة من هؤلاء إلا أخذَتْ بيده حتى تدخله الجنة»[2]

الآمـــرون والناهـــون

والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر لا يثنيهم عن أداء تلك الطاعة مايواجهونه من صعاب، وما يلاقونه من مشاق، وما يصيبهم من أذى ولو وصل الأمر بهم إلى التضحية بحياتهم في سبيل القيام بهذا العمل، لأنهم يؤمنون بوعد الله لهم بأن ينالوا الجنة جزاء لهم، يقول الله - تعالى -:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

الآيتان ١١١، ١١٢ سورة التوبة

فقد بينت الآية الكريمة الثواب الذي منحه الله - عز وجل - للمجاهدين في سبيله، الذين يبذلون أموالهم وأنفسهم في هذا الجهاد، وأن المقابل لذلك الجنة ونعيمها، وأن هذا الثواب والجزاء أكده الله - تعالى - وأثبته في الكتب السماوية التي أنزلها على رسله «التوراة، الإنجيل، القرآن»، ولا أحد أوفى بعهده من الله - تعالى - فاستبشروا أيها المجاهدون بهذا الجزاء لأنه هو الفوز العظيم.

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري جـ٣/ ٢٣٠.

يروى عن الحسن البصري أنه قرأ هذه الآية فقال: انظروا إلى كرم الله - تعالى - أنفس هو خالقها، وأموال هو رازقها ثم يكافئنا عليها متى بذلناها في سبيله بالجنة[3]

ثم ذكرت الآية الكريمة تسعة أوصاف لهؤلاء المؤمنين: الستة الأولى تتعلق بمعاملة الخالق، والوصفان السابع والثامن يتعلقان بمعاملة المخلوق، والوصف التاسع يعم القبيلين.. فمن أوصاف هؤلاء المؤمنين أنهم التائبون عن المعاصي وعن كل ما نهت عنه شريعة الله، وأنهم العابدون لخالقهم عبادة خالصة لوجهه، وأنهم الحامدون لله في السراء والضراء وفي العسر واليسر، وأنهم السائحون في الأرض للتدبر والاعتبار والتفكر في خلق الله والعمل على طاعته ورضاه، وأنهم الراكعون الساجدون لله عن طريق الصلاة التي هي عماد الدين وأنهم الآمرون غيرهم بالمعروف وبكل ما حسّنه الشرع والناهون غيرهم عن المنكر وعن كل ما تأباه الشرائع والعقول السليمة، والحافظون لحدود الله، أي: لشرائعه وفرائضه وأحكامه وآدابه.. هؤلاء المتصفون بتلك الصفات الكريمة بشّرهم يا محمد بكل ما يسعدهم ويشرح صدورهم، فهم المؤمنون حقا، وهم الذين أعد الله - تعالى - لهم الأجر الجزيل، والرزق الكريم، والثواب العظيم.

ولم يذكر الله - سبحانه - المبشَّر به في قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ للإشارة إلى أنه أمر جليل لا يحيط به الوصف، ولا تدركه العقول.

لقد أبرزت لنا الآية الكريمة أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوضحت أن أصحاب تلك الصفة لهم قدر عالٍ ومنزلة سامية عند الله، وأنهم لا يخافون أحدا من خلقه.

أعظـــم الجهـــاد

عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي فقال: يا نبي الله، علمني عملاً يُدخلني الجنة، قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة - جئت بها واسعة - أعتق النَّسَمة وفُكَّ الرقبة»، قال الأعرابي: أو ليستا بواحد؟ قال: «لا، إن عتق النَّسَمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمِنْحَة الوَكُوف - الغزيرة اللبن - والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير»[3].

(٣) مسند أحمد ٤/ ٢٩٩ وغيره.

دخل معاوية يوماً مسجد دمشق، وجلس على المنبر، فناداه أبو مُسْلم الخَوْلاني قائلاً: يا معاوية، إنما أنت قبْر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإن لم تجيء فلا شيء لك، يا معاوية: لا تحسبن الخلافة جمع المال وتفرُّقه، ولكن الخلافة العملُ بالحق، والقول بالمعدلة، وأخذ الناس في ذات الله ـ عز وجل ـ، يا معاوية: إننا لا نبالي بكدر الأنهار ما صفا لنا رأس عيننا، وأنت رأس عيننا، يا معاوية: إياك أن تحيف على قبيلة من قبائل العرب، فيذهب حيفك بعدلك.

قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى: مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وإلا كنتم أنتم الموعظات «أي: يوعظ بكم غيركم لما يحل بكم من سخط الله ولعنته بسبب إهمال هذا الأصل».

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[4].

روى أن معاوية حبس العطاء، فقام إليه أبومسلم الخولاني قال له: يا معاوية: إنه ليس من كدك ولا من كدّ أبيك ولا من كدّ أمك، قال: فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم: مكانكم. وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[5]، وإني دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم إنه ليس من كدى ولا من كد أبي فهلموا إلى عطائكم.

مع الفاروق رضي الله عنه

وروى عن ضبة بن محصن العنزى قال: كان علينا أبوموسى الأشعرى أميراً بالبصرة، فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وأنشأ يدعو لعمر ـ رضي الله عنه ـ قال: فغاظني ذلك منه، فقمت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعاً، ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول: إن ضبة ابن محصن العنزى يتعرض لي في خطبتي، فكتب إليه عمر: أن أشخصه إليّ قال: فأشخصني إليه، فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إليّ قال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة، فقال لي: لامرحباً ولا أهلاً، قلت: أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل لي ولا مال، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته؟ فقال: ما الذي شجر بينك وبين عاملي؟ قال: قلت الآن أخبرك به. إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه. فقمت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعاً، ثم كتب إليك يشكوني. قال: فاندفع عمر ـ رضي الله عنه ـ باكياً وهو يقول: أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك؟ قال: قلت: غفر الله لك يا أمير المؤمنين، قال: ثم اندفع باكياً وهو يقول: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر، فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قلت: نعم. قال:

أما الليلة: فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً، فتبعه أبوبكر، فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من أفعالك»؟ فقال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك لآمن عليك، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت. فلما رأى أبوبكر أنها حفيت حمله على عاتقه، وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك قال: فدخل فلم ير فيه شيئاً فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع، فألقمه أبوبكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه ـ وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه، وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد، ورسول الله ﷺ يقول له: «يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا» فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر.. فهذه ليلته.

وأما يومه: فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدّت العرب، فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي. فأتيته لا آلوه نصحاً. فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ: تألف الناس وارفق بهم فقال: أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام؟ فبماذا أتألفهم؟ قُبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه. قال: فقاتلنا عليه، فكان رشيد الأمر.. فهذا يومه.. ثم كتب إلى أبي موسى يلومه.

---

(٤) أبوداود «٤٣٤٤» والترمذي «٢١٧٤» واللفظ له

(٥) ... [illegible]

هذه عقيدتنا

تختلف الأسماء باختلاف الأزمان. وحقوق الإنسان واحدة من الأسماء التى ظهرت حديثا. والسؤال الذى يطرح نفسه.. هل كانت حقوق الإنسان مهدرة قبل أن يناقشها الغرب. ويجعلها ضمن قوانين الأمم المتحدة؟!.. نقول: إن الإسلام أحاط حقوق الإنسان بالرعاية والعناية منذ أول يوم نزل فيه الوحى.

فأول آية نزلت من القرآن الكريم على النبى محمد ﷺ وهو يتحنث بغار حراء تحمل حق الإنسان فى التعلم. وتعلنه حقا صريحا لا مراء فيه:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(العلق/ ١: ٥)

إن المسلمين مارسوا هذا الحق فى التعلم متأسين برسول الله ﷺ الذى علمهم الآية قولا وعملا حين أمر بأن يكون فداء الأسير أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

نعم.. إن الإسلام نادى بحقوق الإنسان ومارسها المسلمون الأوائل ومن تبعهم بإحسان. ولكنهم لم يصنفوا هذه الأفعال تحت هذه الأسماء بعينها. لأنهم كانوا يبتغون رضوان الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولم يكن يعنيهم أن يقول الناس فعل المسلمون كذا وكذا.

إن الإسلام دين سماوى لم يأت للتفرقة بين البشر. وإنما هو خطاب الله ودستور الإسلام الذى جاء لعموم الخلائق من أبناء آدم، حيث يوجه القرآن الكريم نداءه للبشر جميعا فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١)

ومعلوم من الأسلوب القرآنى أنه حينما يخاطب كافة البشر مؤمنهم وكافرهم يناديهم بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾

فإذا أراد تخصيص المؤمنين بالذكر قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

ومن هنا نعلم ـ نحن المسلمين ـ من قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

أنه ـ سبحانه وتعالى ـ ينبه الناس وينبه انتباههم إلى وحدة التكوين وإلى وحدة الأصل. فالخالق واحد والكل من أب واحد ومن أم واحدة. فلا فضل لأحد على أحد. فهم جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات.

واختلاف البشر إنما يكون من حيث الجنس واللون واللغة. وكذلك يكون فى الصحة والمرض والغنى والفقر والجاه والسلطان.... إلخ.

والاختلاف كما يكون فى البشر يكون ـ أيضا ـ فى المخلوقات الأخرى، فنراه فى الحيوان والنبات والجماد. وهذا الاختلاف والتباين آية من آيات الله الدالة على طلاقة قدرته ـ سبحانه وتعالى.

ولقد فطر الله الناس جميعا على الإيمان ولم يرض لهم الكفر، ولكنهم اختلفوا، فأرسل الله رسله لهداية الناس جميعا، وليخرجوهم من الظلمات إلى النور، فآمن بهم من آمن وكفر بهم من كفر، ولقد أتاح الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان فرصة للاختيار فقال ـ جل شأنه:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

(الإنسان: ٣)

ولم يكن الدين يوما أساس التعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان. لأن الدين أساس فى التفاضل عند الله، لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

ولكن المتعصبين فى شتى بقاع الأرض

وفى كل الأمم يخلطون بين كون الدين أساس التعامل أو كونه أساس التفاضل.

ولكي لا يحدث هذا الخلط تؤكد على أن أساس المفاضلة عند الله وحده تقواه، ولا ينبغى لأحد بعد الله أن يدعى هذا الحق لنفسه.

ولذلك جاء الإسلام ليؤكد هذه الحقائق. حيث يقول

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ﴾

(يونس: ٩٩)

ويقول

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك ﴾

(هود: ١١٨ - ١١٩)

فالله - سبحانه وتعالى - الذى أعطى للإنسان الحق فى اختيار ما يعتقد؛ هو وحده الذى سيحاسبه على هذا الاختيار، أو بعبارة أخرى الله وحده هو الذى سيحاسبه على خروجه عن الفطرة التى فطره عليها.

أما عن التعامل، فالتاريخ الإسلامى ملىء بالصور المشرقة التى تثبت - بما لا يدع مجالاً للشك - أن الإسلام دين لا يقبل التعصب، وأنه دين يرحب بالآخر ويعطيه أعلى درجات الاهتمام والعناية إذا طلب ذلك ولنتأمل فى ذلك قول الحق - تبارك وتعالى

﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾

(التوبة: ٦)

وعلى كل صاحب عقل وفكر أن يتأمل ما جاء فى السُّنَّة النبوية فى خطبة الوداع حينما كان الرسول ﷺ يخطب يوم عرفة فى المسلمين، وكلهم جاء حاجًا فكان المقام أن يناديهم بلفظ يقيد الإيمان ولكن الخطاب جاء مبدوءًا بـ: أيها الناس.

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: «أيها الناس أى يوم هذا؟. قالوا: هذا يوم حرام، قال: أى بلد هذا؟. قالوا: بلد حرام، قال: فأى شهر هذا؟. قالوا: شهر حرام، قال: إن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا، ثم أعادها مرارًا ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهم هل بلغت» مرارًا[1].

(١) مسند الإمام أحمد ج٣ ص[illegible].

إذا تأملنا هذا النداء الخاص بكل البشر، وإذا تأملنا المعانى التى وردت فى خطبة الوداع والتى تناولت الوحدة فى أصل التكوين ووحدة المصير ووحدة الربوبية ووحدة الأبوة، علمنا أن هذه الأمور مخاطب بها جميع البشر، وهى فى حق المسلمين أكثر وجوبًا؛ لذلك طبق المسلمون هذه المعانى على أرض الواقع.

- وكان الدرس الأول حين أمر النبى ﷺ أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة؛ ليعلموا أن اختلاف العقائد ليس مانعا من نصرة الحق..

وفى بلال الحبشى وصهيب الرومى، وسلمان الفارسى أصدق مثال على أن الإسلام لا يعرف التفرقة العنصرية والدليل أن هؤلاء وغيرهم صاروا من سادات المسلمين وقادتهم عبر تاريخ الدولة الإسلامية.

أقول هذا للمسلمين من باب التذكير مسترشداً بقوله تعالى:

﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾

(الذاريات: ٥٥)

وأقوله لغير المسلمين ليعلموا أن هذه عقيدتنا نؤمن بالمساواة بيننا وبين غيرنا فى جميع الحقوق والواجبات. وأننا لو خالفنا ذلك فإن الله يعاقبنا، وعقاب الله هو أشد ما نخشاه، وليس القانون الوضعى أو أى إنسان!.

وليعلم الذين يتربصون بالإسلام والذين يحرصون على التشكيك فيه أن الإسلام يدعو إلى المساواة فى الحقوق والواجبات بين البشر جميعا. وأنه دين يوحد بين البشر ويدعوهم إلى التعاون والتآزر ونبذ الخلافات ونبذ التشاحن والبغضاء.

إن الإسلام دين لو طبقت أحكامه لعمَّ السلام كل بقاع الأرض فى كل زمان.

***









من أهم ما يثير دهشة الغربيين وغيرهم من المفكرين ما يلاحظونه من انتشار الإسلام في شتى البقاع، ومختلف البيئات؛ فلم يجد كثير منهم إلا أن يرجع ذلك إلى المقولة الساذجة التي صنعها بعض رجال الكهنوت وروجوها، مُدعين أن أحداً في العالم لم يتوصل لنشر الدين أو الفكر مثلهم.

ولو أنهم جردوا أنفسهم من الضلال وخلصوها من الحقد، ونظروا إلى ما يحدثه المسلم بسلوكه السوي، وخلقه السمح، والتزامه بما فرضه عليه الإسلام من وفاء بالعهد، وصدق في القول، وأمانة في التعامل... إذن لعرفوا أن المسلمين بأخلاقيات الإسلام وقيمه يفتحون القلوب، ويحركون النفوس، ويجتذبون العقول للدخول في الإسلام أفواجا.

فالإسلام ـ بهذا ـ ليس في حاجة إلى القهر بالسيف، ولا الجذب بالإغراء المادي الزائف أياً كان لونه ومداه.

لقد كان يكفي الغربيين ـ لو كانوا جادين في التعرف على الإسلام على ما أوضحته الدكتورة هونكة ـ أن يتأملوا في كلمات (نيكتاس أكوميناتوس) التي قارن فيها بين معاملة أهل ملته ومعاملة المسلمين أعدائه التي جاء فيها «إن محاربي المسلمين الأعداء رحماء طيبون قياساً إلى أولئك الذين يحملون صليب المسيح على أكتافهم».

صفات صيغت لتشويه الإسلام

ولكن مع وجود هذه الحقائق الدامغة، غلبت الصفات التي بثها البابا (أوربان) وأعوانه هي أساس معرفة الغربيين بالإسلام؛ فهم لا يعرفون عن المسلم إلا أنه إنسان مجبر مسير، خطيئة آدم جعلته عدو الله.

ولو أنهم أمعنوا النظر في تلك الصفات لتبينوا إلى أنها ليست سوى النظرة النصرانية إلى الإنسان النصراني. وأن المسلم منها بريء؛ فالإسلام لم يقل مطلقاً بأن هناك وراثة لخطيئة آدم، ولا بأن أول إنسان كان آثماً، فالخطيئة في الإسلام قد تغتفر إذا تاب الإنسان توبة نصوحاً، كما اغتفر الله زلة آدم. ولكن الإنجيل هو الذي يلح على خطيئة آدم. ويؤكد أن كل الويلات والشرور المنتشرة في هذه الدنيا مصدرها الأول آدم.

ومن هذه الصفات المشوهة ما يفتريه المفكرون المسيحيون على الإسلام في مسألة الإيمان بالقدر، كما يتضح من مقارنة الفيلسوف الألماني (لايبنتز) التي أقامها على أن القدر النصراني يسبغ على الإنسان السكينة، حيث يجعله راضياً بأن الرب الرحيم متصرف الأمور، بخلاف القدر المحمدي الذي يجعل الإنسان خائفاً متشائماً، لا يجد أي فرصة لتجنب الأخطار، فليس أمامه إلا أن يرمي بنفسه في خضم تلك الأخطار أعمى البصر والبصيرة.

والدكتورة تذكر أن هذا الافتراء لا وجود له في الإسلام؛ يتعارض مع ما جاء به القرآن والسُّنَّة النبوية تمام التعارض؛ لأن القرآن والسُّنَّة ـ على العكس من هذا الافتراء ـ يدعوان الإنسان دائماً أن يحتكم إلى إرادته الحرة للبت في الأمور، ويدفعانه إلى التبصر وتفحص أبعاد الفضيلة والرذيلة ليختار اختياراً حراً ما يميل إليه، فإما أن يتبع هواه، وإما أن يستجيب لمشيئة الله.

وتذكُر: أن فريضة الجهاد مما يشوهون به حقيقة الإسلام وصورة المسلم، فهم يصورون الجهاد في هيئة الحرب المقدسة. ويزعمون أنه كان وسيلة الإسلام للانتشار، ويحيكون من الأساطير والقصص الخيالية ما يُمكِّن لهذه الأكذوبة من نفوس الغربيين جميعاً، متجاهلين أن الجهاد في الإسلام يعني: كل سعي مبذول لتثبيت الإسلام في النفس؛ فهو يشمل جهاد النفس، وجهاد الفكر والعقل، وجهاد الرغبة، كما يشمل التأهب اليقظ الدائم لرفع أي عدوان ضد الإسلام والمسلمين؛ متغافلين عما قرره القرآن في شأن الدعوة إلى الإسلام بنهيه عن الإكراه في الدين، ولكنهم يحاولون إلصاق الجرائم التي صدرت ـ وتصدر ـ منهم في كل مكان بالمسلمين، ظناً منهم أن ذلك قد ينجح في إعاقة المد الإسلامي في جميع بقاع العالم.

وتقدم الدكتورة (زيجريد هونكة) الدليل الحاسم على ذلك التشويه المتعمد من الغربيين للإسلام فتذكر في الفصل الثالث (شارل مارتل منقذ الغرب): أن الغربيين لم يكتفوا - في تشويه الإسلام - ببث الشائعات، ولكنهم لجأوا إلى كتب التاريخ المدرسية فتحشوها بهذه الأكاذيب لملء مخيلة التلاميذ الصغار بصورة مُجَسَّدة لذلك الخطر المزعوم الذى كاد يعصف بأوروبا لولا تمكن (شارل مارتل) من سحق جيوش المسلمين وانتصاره عليهم في موقعة (بواتيه) فأنقذ الحضارة النصرانية من الإبادة، وإكراه أهلها على اعتناق دين محمد

وقد غاب عن مزيفي التاريخ هؤلاء أن وسالة روما التى يشوبها المبعوث البابوى هى التى أجبرت الشعوب على النصرانية، وذبحت الآلاف الذين أبوا ذلك، وهى التى سعت إلى (التهويد السامى) لصورة الإنسان الآثم، والاعتقاد بأنه لا نجاة له إلا بتخليص المخلص، وهى التى أشاعت الكره والبغضاء لليهود ثأرا لصلب المسيح.

وعلى طريق هذا التزييف... أغفلت الحديث عما أشاعه الإسلام والمسلمون من نور العلم والتحضر في إسبانيا على مدى ثمانية قرون، حيث استظل جزء من أوروبا بظلال التسامح الإسلامى، ونعم برخاء الأمن والأمان، بينما كانت بقية أوروبا تعانى أشد المعاناة في ظلال الهيمنة الكاثوليكية التى قضت قضاء مبرما على كل دين آخر يجرؤ على الظهور إلى جانب الكاثوليكية.

وأغفلوا الاعتراف بأن الحضارة الزاهرة التى عمرت أوروبا عدة قرون في ظل الإسلام لم تكن امتدادا لبقايا حضارات أوروبية غربية سابقة، ولا أخذا لنمط حضارى موجود، ولكنها كانت حضارة إسلامية خالصة - كما تقرره الوقائع العامة والخاصة - في شتى المجالات من معمار، وشعر، وعلم، وموسيقى، وفروسية.

وحول المرأة مزاعم مضللة

وفي الفصل الرابع (المرأة مضطهدة تمام الحيف في الإسلام) حرصت الدكتورة على تقديم الصورة المشوهة التى رسمها الغربيون للمرأة في ظل الإسلام إصرارا منهم على مواصلة الرحلة التضليلية كي ينفروا المرأة الغربية من الإسلام.

١- فذكرت: أن مؤرخي الغرب ومفكريه قدموا للأوروبيين المرأة المسلمة في هيئة امرأة قابعة خلف قضبان الحريم، في جو مختنق، وحياة سادرة، لا هم فيها سوى الاشتغال باللاشيء، والقيل والقال، والغيرة المستعرة من ضراتها الأخريات، فهي كائن بلا روح، محرومة من كافة الحقوق، تنتظر في بيت أبيها القادر الذى يشتريها.

بينما الإسلام في حقيقته الجلية بريء كل البراءة من هذا، بل هو على عكس ذلك تماما، فليس في القرآن ولا في السُّنَّة ما يشير إلى أن الإسلام أوصى بشيء من هذا، ولكنه يؤكد دائما: أنه لا فرق بين الذكر والأنثى، لا في الجوهر، ولا في العبادات، ولا في الأمور المالية والعلاقات الاجتماعية، والفارق بينهما المقرر في الإسلام لا يخرج عن العلاقة بين الجنسين الكامنة في الكينونة المجتمعة للإنسان، وهو نفسه المقرر منذ الأزل في كل الديانات بين الرجل والمرأة، والعلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام تمتاز بقيامها على الثقة والخضوع والولاء، ولا تعني عبئا ينوء المرء تحته، بل إنه يتمتع بخضوعه هذا، دون الحط من قدره، حيث يبلغ بهذا الخضوع أسمى الدرجات، سواء في عبوديته لله، أو في حبه من يحب.

فإذا كانت نصوص العهد القديم تقرر أن الصراع بين آدم وحواء صراع أزلي، وجاء العهد الجديد فعمق هذا الصراع فجعله كراهية عنيفة.

فإن الإسلام لا يصف المرأة بأنها أصل الخطيئة، ولا يعرف الصراع بين الرجل والمرأة، بل إن القرآن ذاته الإلحاح على المسئولية الخاصة، والحض على الرقة في رعاية البنات الصغيرات، محرما ما كان شائعا في الجاهلية من وأد للبنات.

٢- وذكرت: أن هؤلاء المضلِّلين استغلوا إباحة الزواج بأكثر من زوجة، فسارعوا إلى اتخاذ ذلك وسيلة لتشويه الإسلام، مغفلين الحقيقة التى تكاد تلغي تلك الإباحة، حيث علقها القرآن على تيقن العدل بين الزوجات، حيث قال

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾

(النساء: ٣)

وحيث أكد عدم استطاعة العدل في قوله تعالى

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾

(النساء: ١٢٩)

مما يقرر: أن تعدد الزوجات ليس القاعدة، وإنما هو على سبيل الاستثناء.

٣- وأن هؤلاء المضلِّلين استغلوا منح الرجل حق تطليق زوجته عندما تستحيل العشرة؛ مغفلين ما منحه المرأة من حق المرأة في طلب التطليق من زوجها كذلك، وحقها في أن تشترط عليه شروطا عند عقد الزواج ضمانا لحقوقها.

٤- وأن إصرارهم على تشويه صورة الإسلام جعلهم يستقبلون ما كرَّم به الإسلام المرأة من فرض صداق لها قبل الزوج... فجعلوه مظهرا من مظاهر إهانتها، حيث وصفوه بأنه ثمن يدفعه الرجل لشراء المرأة.

وتعجب الدكتورة من جرأة هؤلاء المضللين في إغفالهم ما لاقته المرأة من مكانة وتقدير في ظل الإسلام، حيث شهدت مجالس العلم فقيهات يلقين المحاضرات العامة. ويقمن بتدريس الشريعة والعقيدة. حتى لُقّب بعضهُنّ بفقيهة الفقيهات، ولم يجد أحد في ذلك أيّ غرابة.

الواقع يكذب ضلالات الغربيين

وبعد الإفاضة في عرض أمثلة من أضاليل الغربيين... قدمت الدكتورة (زيجريد هونكة) من واقع المرأة الفلسطينية – في هذا العصر – ما يكشف أكاذيب هؤلاء المضللين. فذكرت: أن هذه المرأة – أمام معاناة الرجال في سجون الإسرائيليين – قامت وحدها بأعباء الأسرة وتربية الأطفال وتنشئتهم، وحماية أنفسهن وأسرهن من الأذى. إلى جانب مشاركتهن في المقاومة على جميع المستويات، حتى أصبحن يحملن مسئولية تقرير المصير في التحول الاجتماعي على الرغم من الزج بالكثيرات منهن في السجون الإسرائيلية، والإمعان في تعذيبهن، حتى أصبحن علامات مشرقة تقرر: أن تحرير جميع الأرض المحتلة سوف يتحدد في ضوء تحقق المساواة وتحرر المرأة.

وحريق مكتبة الاسكندرية

وفي الفصل الخامس (وحريق مكتبة الإسكندرية الكبرى؟!) أبدت الدكتورة دهشتها لإصرار الغربيين على إلصاق تهمة حريق مكتبة الإسكندرية بالمسلمين على الرغم من تأكد زيفها، ووضوح افترائها؛ فقد كان القرن الثالث الميلادي بداية تدميرها المخطط. حيث ثبت أن القيصر (كاركلا) هو الذي ألغى أكاديمية الإسكندرية، وسفك دماء علمائها في مذبحة وحشية. كما أن البطريرك أغلق المجمع سنة ٢٧٢ وشرّد علماءه، مع أمره بحرق مؤلفات الكفرة – يعني غير النصارى – وفي سنة ٣٦٦ أمر القيصر (فالنس) بتحويل (السيرابيوم) إلى كنيسة، ونهب مكتبته وحرق كتبها. ولاحق فلاسفته بتهمة السحر والشعوذة. وفي سنة ٣٩١ نجح البطريرك (ثيوفيلس) في الحصول على إذن القيصر (ثيودوسيوس) بهدم كبرى الأكاديميات وآخرها، وترك مكتبتها نهبا للنيران لتبيد كلية على أنقاضها.

من كل ما يؤكد أن جميع المكتبات القديمة في مصر لم يكن لها وجود عند دخول العرب الإسكندرية سنة ٦٤٢.

لذلك كله... رأت الدكتورة أن هذا الإصرار من الغربيين إنما يدل على انحطاط فكري سافر، جعلهم يتفننون في اختراع الأحكام الظالمة، وإلصاقها بالعرب.. حتى إن استمتاعهم بدفن الحقائق التاريخية ليلهيهم عن الحرص في اختراع العبارات، فنسبوا إلى عمر بن الخطاب زورا تعبيره عن القرآن بقوله: «إنه الكتاب الذي لا كتاب سواه» غافلين عن أن المسلمين لم يطلقوا على القرآن هذه التسمية، وإنما هي من إطلاقات النصرانية على الإنجيل أخذا عن اليهودية.

ومما يؤكد براءة عمر مما ألصقوه به ما جاء فيما أملاه من نصوص المعاهدات من التزامه بأن لا يخرب الأرض ولا الزرع، وأن لا يستبيح ماله أو عرضه أو دمه، بناء على توصيات الرسول ﷺ .. بل إن ما تضمنه عهد الأمان الذي عقده قائد جيوشه عمرو بن العاص مع البطريرك البيزنطي «المقوقس» في الإسكندرية. وما التزمه في هذا العهد من مقررات تتضاءل إلى جانب سماحتها وحكمتها كل عهود الأمان قبله وبعده.

هذا كله... بخلاف ما جاء في العهد القديم من وصايا موسى إلى قومه التي قال فيها: «ولكن هكذا تفعلون بهم: تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريهم، وتحرقون تماثيلهم بالنار...».

هذا.. إلى أن معرفة عمر بحرص الرسول ﷺ على طلب العلم، وحثه عليه لا يمكن بأي حال أن تسمح له ولا لغيره من المسلمين بالموافقة على حرق كتاب – وليس مكتبة – بل لقد انطلقوا ينهلون العلم من شتى ينابيعه ومصادره، استجابة لأمره تعالى في قوله

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(طه: ١١٤)

حتى جمعوا شتات المخطوطات التي حوت علم الإغريق مما أفلت من الحرق، حتى كانوا هم الذين أنقذوا الحضارة الإغريقية الهلينية، وليس الروم، ولا البيزنطيون، ولا النصارى بجميع فرقهم.

والمسلمون – في انطلاقتهم تلك – لم يجمدوا على الحفظ أو النقل، ولكنهم طوروا ما وصل إليهم من علوم، ولم يقفوا عند حدود التقليد الآلي. ولا اكتفوا بالوقوف عند المستوى الذي بلغه السابقون.

ولكن المغرضين من الغربيين يعملون – بكل الوسائل – على إخفاء ذلك عن الشعوب الغربية، لتسلم لهم جميع مفترياتهم وأضاليلهم التي قصدوا تشويه الإسلام والمسلمين بها، والتي وصلت بهم إلى الفتك بكل من يعجب بواحد من علماء المسلمين، على نحو ما صنعوه مع «روجر باكون»، حتى إن قبول مؤلفات العرب وأعمالهم الذي صادف أعظم ترحيب من الدوائر التي احتفلت بالدراسات الطبيعية مثل المدارس العليا في فرنسا وألمانيا وإنجلترا... كما صادف ترحيب

هؤلاء - اعتقده - من ناحية أخرى - بالرفض الفظ المحتدم، والشك المتهم، والتزييف البيّن، ولانتحال الوقح

الإسلام أعظم ديانة على ظهر الأرض

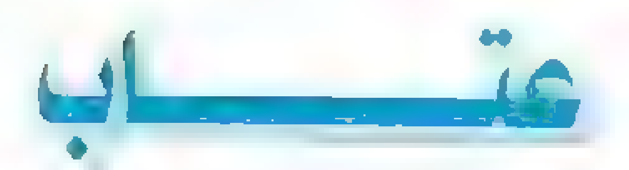
وفي الفصل السادس (الصدمة النفسية العربية للغرب تنشط من جديد) لاحظت الدكتورة (زيجريد) ارتباط ما يحدث اليوم من الأوروبيين ضد العرب والمسلمين - استجابة للتضليل متعمد - بما كان يحدث قديمًا من العداء والكيد للمسلمين حين دعا البابا «أوربان» الثاني إلى تسيير الحملة الصليبية بحجة درء الخطر الإسلامي المحيق. ولا أدل على ذلك من دعوة الغرب اليوم لشد الخطر التركي، على الرغم من أن أحدًا في الغرب لم يتعرض لأي أذى في أرواحهم ولا أجسادهم من قبل الأتراك، فضلاً عن أنه لم يحدث إطلاقًا أن أحدًا من المسلمين لدى رغبته في التبشير لكي يحول النصارى إلى مسلمين؛ لإيمان المسلمين بأن الإسلام لا يسمح أن يُقهر أحد - ماديًا أو معنويًا - أو أن يُكْرَه على اعتناق الإسلام؛ فمسئولية كل مسلم تنحصر في تبني الإسلام قولاً وعملاً حتى يكون الإسلام من خلاله واقعًا ملموسًا. والدفاع عنه إنما يتم بتفنيد الأحكام الخاطئة التي يُرْمَى بها ظلمًا وتضليلاً. وهذا هو ما يعنيه مبدأ «الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة».

وتبرى الدكتورة داعية قومها إلى أن يتخلوا عن الاقتداء بدعاة الحملة الصليبية، لأن الوقت قد حان أخيرًا للتخلص من غرورنا وكبريائنا الزائف، وتحطيم ذلك السد الخرى الذي تولد عن الصدمة النفسية المتغلغلة في نفوس الغربيين نتيجة تحرهم لأكاذيب بعد تسعمائة عام من ذلك النداء البابوي المشئوم إلى النصارى بأنهم «شعب الله المختار».

وبعد..

فالكتاب - على صغر حجمه - عمل كبير مهم، تقدم فيه الدكتورة (زيجريد هونكة) - بحيادية تامة - ثمرة ما تكتشف لها - بعد نظرها التاريخي الموضوعي الأمين - من حقائق الإسلام، وما دبره الغرب بقيادة البابا «أوربان» منذ تسعة قرون حتى اليوم أملاً في إيقاف المد الإسلامي، وانتشاره في أوروبا؛ فقد وجدت أن الإسلام هو أعظم ديانة ظهرت على الأرض، سماحة وإنصافًا، وأن على الغرب اليوم أن يسارع بتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو.

فهو صيحة مخلصة أمينة، جديرة بأن ينصت إليها كل إنسان - مسلمًا كان أو غير مسلم - لأن ذلك خير خدمة للبشرية.



كان النبي ﷺ يود لو أنهم أسلموا فيعتز بهم الإسلام، ويدعو الله أن يهبه من لدنه حكمة لعله يصرفهم عن الضلالة أو يجعلهم من المهتدين؛ وكان النبي ﷺ حريصًا على إسلامهم ملحًا فيه، لأن أشخاصهم عند قريش مهيبة، وأسماءهم عند العرب رفيعة، فلما دخل عليهم وقد اجتمعوا عنده، حياهم فردوا عليه تحيته، مخلصين أو غير مخلصين، ثم أخذ مكانه بينهم، فكان صمت، وكان جلال رهيب، ولم يلبث أن سرى بين الجمع صوت مهيب، فيه قوة لأنه صوت الحق، وفيه إيمان لأنه وحي القلب؛ وكان الصوت متجهًا نحو عتبة بن ربيعة وأخيه، يقول: أما آن يا عتبة أن تدخل أنت وأخوك شيبة في دين الله؟ ما دعوتكما لأمري ولا لشيء هو من عندي، وإنما دعوتكما لأمر الله رب العالمين؛ وهذا كلامه بين يدي فاستمعاه وأصغيا إليه لعله تعالى يهديكما فتكونا من عباده المسلمين. ولكن عتبة وأخاه لم يلبثا أن جادلاه فجادلهما، وأخذ النبي منهما وأخذا منه، حتى إذا غلبهما الرسول بمنطقه وقوة حجته، لم يلبثا أن عقد الصمت لسانهما، فالتفت النبي إلى العباس بن عبدالمطلب وكان مصغيًا يستمع إلى قوله لابني ربيعة. وقال له: إنك يا ابن عبدالمطلب لو اهتديت بهدى الإسلام وأنت من صناديد قريش لاهتدى معك جمع كثير، فلا تكونن بصدك عن دين الله حائلاً بين الناس والجنة، ولا تضربن لقريش مثلاً من الغي والضلال، فتضل وتضل، وأنت حري أن يكون لهم منك هاد معين. فلم يرفع العباس رأسه ولم تتحرك له شفتان، وإنما ود لو أن النبي تركه إلى الوليد بن

المغيرة أو إلى أمية بن خلف، فلما شعر النبي ﷺ أن العباس حائر بين عقله وعاطفته، ورآه مطرقا إلى الأرض لم يلبث أن تحول عنه إلى أمية بن خلف، قال: يا أمية، ما كان لسادة الناس أن يكفروا بسيد العالمين، الله الذي فضلهم على عشيرتهم وذوي قرباهم. وما كان لك أن تكون لقومك قدوة سوء، لعمر الله ليس بعد الكفر ذنب. وما ينبغي لك أن ترغب عن دعوة الله وتصد قومك عن الدين بإعراضك عنه. قال يا محمد أمهلني يوماً أو بعض يوم. فإن الأمر أعسر عندي من يسره لديك. واتجه الرسول إلى أبي جهل بن هشام وكان يجلس بجوار الوليد بن المغيرة، فقال لهما وقد دنا منهما: أيحق لكما أن تسبقا الناس في الدنيا حتى إذا كانت الآخرة كنتما آخر الناس عند الله؟، والله مالكما في آلهتكم غناء، وما كنتما لتجعلا رضى الشيطان في عصيان الله.

ولكن أبا جهل لم يكن ليصبر كما صبر العباس أو يسكت كما سكت وإنما جادل النبي في عنف فجادله النبي في لين، وآثر أبوجهل الحمقة، ولم يكن النبي ليحتد. واتجه الرسول إلى القوم جاداً في دعوتهم، ملحاً في إقناعهم، يمنيهم بالوعود يوم الدين، ويحذرهم عاقبة الكفر يوم القيامة، وأخذ النبي يفيض عليهم من بيانه، ويشع على القوم قبساً من إيمانه حتى أقبل الكل عليه يستمعون له ويصغون إليه، وبينما النبي يدعوهم فيتصرف إلى الدعوة بكل إيمانه، كان يسعى إليه رجل يتوكأ على عصاه يتحسس بها الطريق إليه حتى إذا بلغ مجلس النبي لم يستمع إليه ولم يلق بالاً إلى قوله، ولم يدر أن النبي يدعو صناديد قريش إلى ما دعا الله. وإنما بادر النبي يسأله أن أقرئني وعلمني مما علمك الله، وكان النبي عنه في شغل، وكان ضيوف النبي قد تلهوا عنه بما هم فيه، فلم يلتفت إليه أحد، ولم يرد عليه مجيب، فقال أقرئني وعلمني مما علمك الله، فلم يكن حظه في الثانية خيراً منه في الأولى، والرجل واقف في مكانه لا يريم، ملح في طلبه لا يسأم فأخذ بعينه، وطفق يكرره حتى كره النبي ﷺ أن يقطع عليه الحديث، وأي حديث، أو يلقى عليه قول ولما ينته من قوله، فعبس في وجه الرجل وأعرض عنه، ولم يلبث النبي أن انصرف القوم من عنده، فيهم الذي أوشك أن يقتنع، وفيهم الذي مازال متبرما بالدعوة ساخطاً، وفيهم الذي ينكر على الرسول قوله، وفيهم الذي يحب أن يتريث في الأمر فلا يقطع فيه برأي، وكان النبي قد ظن أنه بالغ منهم في يومه ما لم يبلغه في أمسه، وأنه لابد اليوم مقنعهم حتى يسلموا، فلم يدر بعد ذهابهم ماذا أخذ عليه نفسه وقد كانت معه ولكن ولا كيف ضاق صدره وقد كان واسعاً لا يضيق بشيء ولا يتبرم بسوء؟ وشعر النبي بحرج لم يدر ما هو ولا من أين أتاه. فقد كان عند أمر ربه يؤدي الرسالة في صدق وأمانة. لم يدع سبيلا لهداية القوم إلا سلكها. أو بابا إلى قلوبهم الغليظة إلا طرقه. ولم يلبث النبي إذ خلا لنفسه أن أحس بما يحس به حين يريد الله أن يبعث إليه بحديث أو ينزل عليه شيئا من آية، وإذا الوحي له لا للمسلمين، وإذا القول له لا للمشركين، وإذا الله عاتب عليه يقول إنه:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾

(عبس ١ - ٢)

ويقول له

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴾

(عبس ٣ - ٧)

وإذا ربه يلومه ويقول في لومه

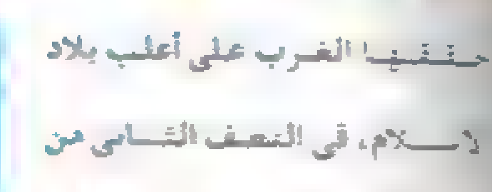
﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾

(عبس ٨ - ١١)

عند ذلك ذكر النبي قوم قريش وما كان بينه وبينهم من حديث. وهتف هاتف كأنه عمرو بن قيس يقول: أقرئني وعلمني مما علمك الله، وتصور النبي حال الرجل يسأل وليس من مجيب، ويقف وليس من يأذن له بالجلوس ولكنه لم يكن يدري أنه أساء إلى الرجل أو قصد إلى إساءته، فليس النبي من يسيء إلى أحد، وليس النبي من يصد عن الناس بله عن السائلين، وإنما شغله أمر ربه فاشتغل عن عمرو وأقبل على سادة قريش. فألهاه حرصه على إسلامهم وهم كفرة عمن أسلم، وإنما يريد أن يقرأ وأن يستزيد من العلم. وبات النبي ﷺ ليلته مسهد الجفن قلقاً، يفكر فيما سمع من ربه، وفيمن عبس بالأمس في وجهه، وأعرض عنه، حتى إذا طلع الفجر كان النبي يلتمس ابن أم مكتوم يلقاه هاشاً باشاً، يسلم عليه ويشد على يده ويقول له: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي. وكان النبي يلقاه بعد ذلك فيكرمه ويسأله حاجته، وكأنما أراد الله أن يصبح إعراض النبي عنه إقبالاً عليه، وأن يغدو عبوس النبي في وجهه بشاشة له وارتياحاً للقائه، وإذا عمرو بن قيس مؤذن لرسول الله ﷺ، وإذا عمرو بن قيس خليفة رسول الله على المدينة، لم يستخلفه النبي عليها مرة أو مرتين، وإنما استخلفه عليها في غزواته ثلاث عشرة مرة، وإذا النبي يخرج إلى حجة الوداع فلا يستخلف على المدينة إلا عمرو بن قيس. وكان حقاً قول المصطفى: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

الحملة الفرنسية وبدايات الازدواجيـــة فى نمـــوذج التقـــدم

● إذا كانت التبعية الفكرية واستعارة الحلول الغربية قد قبرت مع أصحابها ـ الذين ماتوا فى فرنسا ـ.. فلقد أتاحت تجارب التحديث وبناء الدولة العصرية التى شهدتها الدولة العثمانية.. وتونس، على عهد الباى أحمد باشا [١٢٢١ ـ ١٢٧١هـ ١٨٠٦ ـ ١٨٥٥م].. وبعد ـ وبوجه خاص ـ تجربة مصر الحديثة فى عهد محمد على باشا الكبير ـ أتاحت هذه التجارب وفود الخبراء الغربيين إلى بلادنا، بما يحملون من رؤى وفلسفات، قدموا وفقاً لها الآراء والمشورات.. فالسان سيمونيون ـ أتباع الفيلسوف الاجتماعى الفرنسى «سان سيمون» [١٦٧٥ ـ ١٧٥٥م] ـ قد جاءوا إلى مصر، إبان حكم محمد على باشا ـ ووفق مخطط مدروس ـ وقدموا العديد من إنجازات «التحديث على النمط الأوروبى»، وبه غرسوا بذوراً لفلسفتهم «الوضعية» المعادية «للمرجعية الدينية».. وهى بذور أخذت تنمو، كما وكيفاً، مع تزايد عدد الجاليات الأجنبية وتأثير النفوذ الأجنبى، وخاصة بعد نجاح «السان



محمد على

سيمونيين» فى الحصول على امتياز شق قناة السويس ـ وهو من مشاريع «عالميتهم وأمميتهم الغربية»، الذى استهدفوا من ورائه ـ على الجبهة الفكرية ـ إقامة «تمر عالمى» بملك الغرب، ويتخذه طريقاً لتسويد فلسفته فى العالم[1]!..

● وإذا كانت استعارة تجربة محمد على باشا من أوربا، قد وقفت فى الأساس عند علوم التمدن المدنى، وخبرات التقنية، دون العقائد والفلسفات والآداب والإنسانيات والشرائع.. فإن الأمر لم يقف عند هذه الحدود فى ظل الهيمنة الاستعمارية التى حققها الغرب على أغلب بلاد الإسلام، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين.. ففى ظل هذه الحقبة أصبحت «دولنا» فى قبضة الأجنبى.. وبواسطتها أقام الفكر المدارس والمؤسسات والصحف والمجلات.. فغدت المرحلة التى تحققت فيها للحلول الغربية فى واقعنا الفكرى مدارس وتيارات

ومرة أخرى، بدأ الغرب بنفر من أبناء الأقلية المارونية، الذين تربوا فى مدارس التبشير النصرانية، والذين هاجروا إلى مصر وبهضوا بدور «الجسر الفكرى» لسلطة الاحتلال الإنجليزى.. فكان لتستير العلمى فى واقعنا الفكرى، وللمرة الأولى، صريحاً وجريئاً للحلول العلمانية والوضعية والمادية الغربية، والدعوة إلى إحلالها محل الحلول الإسلامية فى التجديد والتحديث.. ومن خلال مؤسسات ومجلات وصحف مثل «الأهرام» و«المقتطف» و«المقطم» و«الهلال» والجامعة».. وبواسطة أعلام ومفكرين من مثل «سليم تقلا» [١٢٦٥ ـ ١٣٠٩هـ ١٨٤٩ ـ ١٨٩٢م] وبشارة تقلا [١٢٦٨ ـ ١٣١٩هـ ١٨٥٢ ـ ١٩٠١م] ويعقوب صروف [١٢٦٨ - ١٣٤٥هـ ١٨٥٢ - ١٩٢٧] وفارس نمر [١٢٧٢ ـ ١٣٧٠هـ ١٨٥٦ ـ ١٩٥١م] وشاهين مكاريوس [١٢٦٩ ـ ١٣٢٨هـ ١٨٥٣ ـ ١٩١٠م] وجرجى زيدان [١٢٧٨ ـ ١٣٣٢هـ ١٨٦١ ـ ١٩١٤م] وفرح أنطون [١٢٩١ ـ ١٣٤٠هـ ١٨٧٤ ـ ١٩٢٢م] وشبلى شميل [١٢٧٦ ـ ١٣٣٥هـ ١٨٦٠ ـ ١٩١٧م] ونقولا حداد [١٢٩٥ ـ ١٣٧٣هـ ١٨٧٨ ـ ١٩٥٤م].. إلخ.. إلخ.

● وفى موازاة مع هذه الطلائع «الوطنية» المتغربة، والمؤسسات الفكرية والثقافية والإعلامية التى أقامتها وأطلت على العقل



(١) انظر د. محمد طلعت عيسى [أتباع سان سيمون: فلسفتهم الاجتماعية وتطبيقها فى مصر] طبعة القاهرة. الدار القومية

العربى من خلالها.. كانت هناك إرساليات التنصير، ومدارسها وجامعاتها، التى زحفت على الشرق - وبخاصة لبنان ومصر، فى القرن التاسع عشر - والتى توسلت بالتغريب والعلمنة - بل وبالمادية.. وأحيانا بالإلحاد؟! لزحزحة الشرق عن المرجعية الإسلامية والحلول الإسلامية، وقسره - بواسطة صياغة عقول «النخبة» - على تبنى الحلول الغربية لمشكلاته، بدلاً من حلول الإسلام.

العمالة الحضارية!!

لقد كانت مدارس إرساليات التنصير تصوغ «العمالة الحضارية والسياسية» الصريحة، ليخرج منها الخريجون فيمارسون هذه «العمالة» فى ثياب مموهة، تحمل عناوين «العلمانية» و«التقدم والتحديث على النمط الغربى» الذى كان مزدهراً فى ذلك التاريخ.

وإذا شئنا نماذج على هذا الدور الذى احترفت القيام به هذه المؤسسات والمدارس، فإن فى مراسلات قناصل فرنسا فى بيروت إلى حكوماتهم البراهين على احتراف هذه المؤسسات صناعة «العمالة والعملاء» الذين احترفوا تقديم الحلول الغربية بديلاً عن الحلول الإسلامية للأمة المتطلعة إلى النهوض والتغيير.

المصالح الدينية!!

ففى مراسلات عن المدرسة التى أقاموها فى قرية «عينطورة» - اللبنانية - يتحدثون عن «ما يحققه توسع هذه المدرسة لنفوذنا.. وإذا كان بالإمكان توفير قسم من المنح لبعض أطفال الأسر المارونية.. فإن حكومة الملك - [ملك فرنسا] - ستخلق بين هذه العائلات، من خلال نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين، نقاط اتصال جديدة معها ومع البلد، ورموزاً جديدة وثمينة للاعتراف بفضلها.. إن حكومة الملك.. تدرك تماما أن خدمتها للمصالح الدينية، يعنى خدمة الحضارة، التى هى فى الوقت نفسه مصالح السياسة الفرنسية»[2]!..

وتندرج المراسلات فيزداد إفصاحها عن المقاصد الحقيقية من مدارس إرساليات التنصير.. فهى: «جعل سوريا حليفاً أكثر أهمية من مستعمرة». «وتأمين هيمنة بلدنا على منطقة خصبة ومنتجة»!.. «وتكوين جيش متفان لفرنسا فى كل وقت»!.. بل لقد كتب القنصل الفرنسى لمقر بلاده يقول - فى ديسمبر سنة ١٨٤٧م - إن الهدف هو «أن تنحنى البربرية العربية لا إرادياً أمام الحضارة المسيحية لأوربا»[2]؟!

(٢) من محفوظات أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية لسنوات ١٨٤٠، ١٨٤١، ١٨٤٤، ١٨٤٨، ١٨٦٢، ١٨٩٨م

للهدف طى صفحة المرجعية الإسلامية، وإحلال المرجعية الغربية محلها.. وهو ما عبر عنه الكاردينال الفرنسى «لافيجرى» - بالنسبة للجزائر - عندما أعلن فى الاحتفال بمرور قرن على احتلالها فرنسا «لقد ولى عهد الهلال، وأقبل عهد الصليب، وإنه سيستمر إلى الأبد، وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهد الدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بمدنية وحيها الإنجيل»[3]!

التبعية الفكرية

أما خريجو هذه المدارس، الذين لم تكن باستطاعتهم - ولا من حسن السياسة بالنسبة لهم - تقديم أفكارهم على هذا النحو «العارى - والصارخ».. فإنهم قد احترفوا التبشير بمذاهب الغرب وحلوله العلمانية والوضعية والمادية فى التقدم والتحديث، بدلا من مذاهب الإسلام وحلوله فى التجديد والتغيير.

● والدعوة إلى التبعية الفكرية للغرب، فى النظم والتشريع، التى بدأت على استحياء لدى المعلم «يعقوب حنا» و«نمر أفندى» فى مطلع القرن التاسع عشر.. نجدها تتقدم «عارية - وصارخة» لدى سلامة موسى [١٣٠٥ - ١٣٧٧هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٨م] الذى دعا إلى الانسلاخ عن الشرق والإسلام، واستبدال التشريع والحلول الإفرنجية بالحلول الشرقية والإسلامية.. فكتب يقول: «إنه إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، فإن الرابطة الدينية وقاحة. والرابطة الحقيقية هى رابطتنا بأوربا.. فهى الرابطة الطبيعية لنا.. وكلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له وشعورى بأنه غريب عنى، وكلما زادت معرفتى بأوربا، زاد حبى لها، وتعلقى بها، وزاد شعورى بأنها منى وأنا منها.. فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب. وهذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سرا وجهرة»[4]!

طه حسين

● وعند الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] تغلف هذه الدعوى بدعاوى نظرية تزعم أن عقلنا الشرقى، كان ولا يزال يونانى الطابع والمكونات، وأن الإسلام والقرآن لم يغير من يونانية عقلنا الشرقى، كما لم تغير المسيحية والإنجيل من يونانية العقل الأوربى. لأن

(٣) المرجع السابق. جـ١ ص٤٥

(٤) المرجع السابق. جـ١ ص٣٦، ٣٧

الإسلام والقرآن ـ بزعمه ـ ليس فيهما أكثر مما في المسيحية والإنجيل.. «إن كل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربي يمتاز عن هذا العقل الشرقي الذي يعيش في مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب. وإنما هو عقل واحد.. مرده إلى عناصر ثلاثة:

١ـ حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن.

٢ـ وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه.

٣ـ والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان

النموذج الإسلامي

ولو أردنا أن نحلل العقل الإسلامي لما انتهينا بتحليل إلى شيء آخر غير هذه العناصر الثلاثة.. وإذا صح أن المسيحية لم تخرج العقل الأوربي عن يونانيته. فيجب أن يصح أن الإسلام لم يغير عقل الشعوب التي اعتنقته. والتي كانت متأثرة بالبحر الأبيض المتوسط. فبين الإسلام والمسيحية تشابه في التاريخ. وجوهر الإسلام ومصدره هما جوهر المسيحية ومصدرها.. والقرآن إنما جاء متمما ومصدقا لما في الإنجيل»[4]!

طه حسين

وبناء على هذا الحكم ـ الذي تجاهل تميز الإسلام «بشريعة» لم تعرفها المسيحية ـ التي تركت ما لقيصر لقيصر ـ ووقفت عند مملكة السماء وخلاص الروح.. وتجاهل وسطية الإسلام الجامعة بين المادة والروح ـ والتي امتازت بها وتميزت عن اليهودية والمسيحية كليهما كما تجاهل زيف دعوى يونانية العقل الشرقي القديم.. يخلص الدكتور طه حسين إلى المقصد الأعظم من هذه الدعوى.. وهو استبدال النموذج الغربي والحل الأوربي بالنموذج الإسلامي وحلوله المتميزة في التجديد والتغيير.. فيعلن أن «السبيل واحدة فذة ليس لها تعدد. وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة. خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب»[5]!

بل ويكشف الرجل عن أن السير سيرة الأوربيين، والأخذ بالحلول التي أخذوا بها يتعدى حدود «اختيارنا».. فهو «إلزام» أوربي لنا و«التزام» منا أمام أوربا بمقتضى المعاهدات.. يكشف عن تحول التبعية الفكرية والحضارية إلى «إلزام» و«التزام» فيقول: «لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوربا. وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال ـ [سنة ١٩٣٦م] ـ ومعاهدة إلغاء الامتيازات ـ [١٩٣٨م] ـ إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع»[6].

لقد كتب طه حسين هذا سنة ١٩٣٨م. فذكرنا ببداية الخيوط التي نسج منها فكر التبعية للغرب. وأول الخطوات على طريق التبني للحلول الغربية، بدلاً من الحلول الإسلامية ـ عند مواجهة قضايانا في التقدم والتحديث ـ لقد ذكرنا بزمرة المعلم يعقوب حنا، الذين أعلنوا ـ سنة ١٨٠١م ـ ولاءهم لبونابرت، متعهدين بأن يشرعوا لمصر النظم التي يرضاها!..

فعبر هذه السنوات تبلور في واقعنا الفكري تيار التبعية الفكرية ـ بمدارسه المتعددة.. ومستوياته المختلفة ـ ذلك الذي دعا إلى استلهام النموذج الغربي، بدلاً من النموذج الإسلامي.. وتبني الحلول الوضعية والعلمانية الغربية، بدلاً من الحلول الإسلامية. في معالجة مشكلات التقدم والنهضة والتحديث.. فكان هذا التيار هو الترجمة الموضوعية لدعوة المعلم يعقوب إلى «استقلال» مصر عن ماضيها وهويتها وحضارتها الإسلامية. وإلحاقها بحضارة الغرب.. «خيرها وشرها، وحلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب».. على حد تعبير الدكتور طه حسين!

(٤) [اليوم والغد] ص١٨٢، ١٨٩، ٥، ٧ طبعة القاهرة ١٩٢٨م

(٦) [مستقبل الثقافة في مصر] ص [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م





قال تعالى في سورة الإسراء:

﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ۝ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ۝ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ۝ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ۝ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾

سورة الإسراء: (٤-٨)

وردت هذه الآيات البينات في أوائل سورة الإسراء، وتسمى سورة بني إسرائيل، وقد تحدثت عن حلقة من حياة اليهود لم تذكر في غيرها من سور القرآن الكريم، وهذه السورة مكية، وهي -كعادة أغلب السور المكية- تتحدث عن العقيدة وأطرافها وما يثبتها في وجدان المؤمن، وما يبنى عليها من السلوك الاجتماعي في حياة الأفراد والجماعات والأمم.

وقد بدئت السورة بحديث مقتضب عن معجزة الإسراء، التي

عن رسول الله ﷺ في خطفة يسيرة من الزمن على الرغم من طول المسافة، وبعد السفر بين مكة حيث كان رسول الله ﷺ وبيت المقدس بالقدس الشريف''.

ثم وصلت الحديث بما أنبأ الله به موسى - عليه السلام - وما أعطاه من التوراة لتكون هداية لقومه من بني إسرائيل، وما ينتظر أن يحدث لهؤلاء القوم نتيجة لعلوهم وشططهم في الإفساد الذي شاء الله - عز وجل - أن يتكرر منهم مرة بعد أخرى وفي كل مرة يصيبهم الله بعقاب من عنده لعلهم يرتدعون، ولكنهم لا يرتدعون!! ولذا تكرر ورود العذاب والبلاء عليهم، وسوف يظل يتكرر هكذا كلما تكرر منهم الإفساد في الأرض.

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

والعلاقة بين تذكير الله للمؤمنين بحادث الإسراء العظيم وبين الحديث عن هذه الحلقة من قصة بني إسرائيل ظاهرة، حيث يعلن الله أزلاً ما سيكون عليه أحداث المستقبل: القريب والبعيد إلى يوم القيامة، من أطماع اليهود التاريخية والمستقبلية في الاستيلاء على هذا الجزء القدسي الشريف، وما حوله من الأراضي المقدسة، التي شهدت معجزة الإسراء وما اقترنوا بها من معجزة المعراج الخالدتين، واللتين تؤكدان على ضرورة أن يكون «القدس الشريف» وما حوله من الأماكن المقدسة في حضن الإسلام قرينا لشقيقه الأكبر «البيت الحرام» الذي انبثقت منه الدعوة الإسلامية المباركة.

أسباب النصر على اليهود

وأحداث المعركة بين المسلمين واليهود طويلة ومريرة.. وقد أثبت التاريخ أن النصر دائما يكون حليفا للمسلمين طالما كانوا متحدين ومعتصمين بكتاب الله عز وجل ومتمسكين بهديه في قوله تعالى:

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

فإذا ما تفرقوا، ودبت بينهم أسباب الخلاف، وذهب كل فريق إلى وجهة غير وجهة أخيه، كان الابتلاء الشديد على يد أعدائهم من النصارى واليهود.

إن ما يحدث الآن على أرض فلسطين من الجرائم المنكرة، التي لن ينساها التاريخ حلقة في سلسلة الإفسادات التي أشارت إليها الآيات المباركة في قوله تعالى:

﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾

فلقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن المرة الأولى كانت قبيل الأسر البابلي الذي تم على

يد «نبوخذ نصر» أو «بختنصر» كما يطلق عليه البعض، وقد سلط الله عز وجل عليهم هذا الحاكم القوى الظالم، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسر الباقين مصداقا لقول الشاعر الحكيم:

وما من يد إلا يد الله فوقها
ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وتم الدرس الأول، وعادوا مرة أخرى إلى حياتهم السوية فترة من الزمان، ثم عاودتهم عاداتهم المتأصلة فيهم، وهو الإفساد الشديد في الأرض، فكانت العقبة المحتومة على يد المسلمين، وفي زمن النبي ﷺ من خلال ما حدث لبني قريظة وبني قينقاع وبني النضير وخيبر، حيث أجلى الرسول ﷺ بعضهم عن الجزيرة العربية وقتل بعضهم حتى طهر الله أرض الإسلام من رجسهم وفسادهم.

وعد الله لا يتخلف

وفريق آخر من المفسرين ذهب إلى أن الإفسادة الأولى التي أشارت إليها الآيات المباركة هي التي عوقبوا عليها أيام رسول الله ﷺ وأما الإفسادة الثانية فهي ما يحدث الآن في الجولة التي نعيش أحداثها المرة منذ عام ١٩١٧ وحتى الآن، ولا يعلم إلا الله متى ستنتهي، ولكن المؤكد أنها ستنتهي وهي التي أشارت إليها الآيات المباركة:

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء: ٧)

وأصحاب هذا الرأي يستدلون على ذلك بما نشهده الآن من تلك الإمدادات المتوالية التي يمد بها الغرب وعلى رأسه أمريكا هؤلاء اليهود من المال والسلاح والرجال المدربين وما يجمعونه من الأصوات التي تقف بجانبهم في المحافل الدولية... وأصحاب هذا الرأي يرون في ذلك تصديقا لقول الله عز وجل:

﴿ [illegible] وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾

(الإسراء: ٦)

وأيا ما كان الأمر فهناك الآية المباركة التي تظل مرفوعة فوق رءوسهم إلى يوم القيامة، والتي تؤكد أنهم سيلقون نفس المصير حتما كلما عادوا إلى الإفساد:

﴿ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾

(الإسراء: ٨)

وقوله عز وجل:

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد: ٣١)

وهل هناك أكثر صراحة في بيان ما سيلقونه من النكال والخزي وسوء المنقلب من قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ١٦٧)

فتوى يهودية بقتل الأطفال!!

لقد بغى اليهود وزاد إفسادهم إلى الحد الذي ترفضه جميع الشرائع والقوانين السماوية والأرضية، مما يستوجب العقاب الشديد الذي سيحل بهم في المستقبل القريب أو البعيد - حسبما يشاء الله عز وجل - وبعد أن تتحد كلمة المسلمين وتتوحد صفوفهم وتتوجه إمكاناتهم المادية والبشرية والعلمية لتحقيق النصر الكبير وتحرير القدس الشريف وبلاد فلسطين كلها، وإن هذا اليوم لآت بإذن الله تعالى.

لقد زاد بغي هؤلاء اليهود إلى الحد الذي يعلنون فيه في صراحة تامة وتبجح شديد، أنهم قتلة الأطفال دون حياء أو رادع «فلقد اتهمت منظمة أمريكية حقوقية معنية بحقوق الأطفال، الجيش الإسرائيلي بقتل أطفال فلسطين وفق خطة رسمية منظمة غايتها قتلهم والتخلص منهم قبل نموهم، وقبل أن يكونوا عناصر المقاومة الإسلامية في فلسطين، ووقتها ستقوم إسرائيل بقتلهم عن طريق الاغتيال، وفي الحالتين سيقوم اليهود بقتلهم فالأفضل قتلهم في طفولتهم».

وقد اعترف الكيان الصهيوني بهذه الخطة ولم ينكرها وصرح رئيس أركان الجيش الإسرائيلي أن القيادة العسكرية حصلت على فتوى دينية يهودية رسمية من كبير حاخامات إسرائيل، مفادها أن قيام الجيش الإسرائيلي بقصف البيوت والمدارس الفلسطينية التي يتواجد بها الأطفال الفلسطينيون أمر حلال، ولا يحتوي أي شبهة إثم، طالما أن ذلك في صالح الشعب اليهودي وكيان دولة إسرائيل.

المثير للدهشة أن الحاخام اليهودي الأكبر في إسرائيل «إسرائيل مستجيري» أكد في فتواه التي منح بها صك الغفران لقتلة الأطفال أن الفلسطيني يجب أن يموت في كافة الأحوال طالما أن كل فلسطيني يؤمن ولا يريد أن يتنازل عن إيمانه بأن القدس حق فلسطيني أصيل.

أليس هذا أسوأ مما فعله فرعون مع المؤمنين المستضعفين؟ ومع هذا أغرق الله فرعون وجنوده في البحر، ونجا المؤمنين المستضعفين وكان الخبر عبرة للناس من بعدهم[1] قال الحق تبارك وتعالى:

(١) الشيخ محمد الشعراوي في كتابه [illegible] في ضوء القرآن والسنة والتاريخ [illegible]



العلم المصرى يرفرف فوق خط بارليف الحصين بعد سقوطه فى أيدى العسكر المصرى فى الساعات الأولى من العبور مصحوبة بـ«الله أكبر».

[illegible]

(يونس: ٩٢)

آية على مر التاريخ تدل على أن كل ظالم لابد له من نهاية أليمة تكافئ ما ارتكبه فى حق الإنسانية من شرور وآثام.

بارليف لم يحم اليهود

لقد كتب الله -عز وجل- على اليهود الذلة والهوان، نتيجة أفعالهم المنكرة التى لم تجر على أيدى أمة أخرى من أمم الأرض، فكان أن عاقبهم الله بأن يسلط عليهم فى كل مرة من يسومهم سوء العذاب، ويخرجهم من ديارهم التى أقاموها كالدروع يتحصنون بها ظنا منهم أنها ترد يد الله عنهم، ولكن:

[illegible]

(الحشر: ٢)

وقد نزلت هذه الآية فى بنى النضير الذين كانت حصونهم بالمدينة من أمنع الحصون وأقواها حتى اطمأنوا إليها وظنوا أنها تمنعهم من بأس الله حينما يأتيهم.. فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب، كما يقال: «يؤتى الحذر من مأمنه» لتكون مصيبة عليهم أوقع، والطامة أشد، والمثال على ذلك واضح فيما حدث لخط بارليف الذى أطاح به الجيش المصرى البطل فى ست ساعات يوم العاشر من رمضان السادس من أكتوبر الشهير وذلك بصيحة «الله أكبر».

النصر قادم!!

وهناك كثير من الأدلة التى تؤكد على اقتراب النصر الساحق على هذا العدو المتغطرس، المدجج بالسلاح النووى والتقليدى مهما بلغت قوته نكتفى منها بحديث رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة مرفوعا: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[1].

ويعلق الشيخ محمد الشارى فى كتابه «فتنة هرمجدون» على هذا الحديث قائلا: فهل ينطق الحجر والشجر بلسان المقال؟ آية من آيات الله، وما ذلك على الله بعزيز.. أو ينطقان بلسان الحال، بمعنى أن كل شىء يدل عليهم، ويكشف عنهم؟..

أياً ما كان المراد، فالمعنى أن كل شىء سيكون فى صالح المسلمين، وضد أعدائهم اليهود وأن النصر على اليهود آت لا ريب فيه. وأن أسطورة القوة التى لا تقهر التى يعيشها اليهود لن تستمر، وأن الذين اعتصموا بالقوة السلاح وسلاح القوة سيخذلهم الله الذى يملى للظالمين، ثم يأخذهم أخذا أليما شديدا، ولن تغنى عنهم ترساناتهم النووية التى يدلون بها، كما لم تغن حصون أسلافهم من بنى النضير عنهم شيئا حين جاء بأس الله الذى لا يرد عن القوم الظالمين»[2].

ولكن هذا النصر المرتقب له تكاليفه وله شروطه التى لابد من أن تتحقق.. وهو أن ننصر الله -عز وجل- ونصره يكون بإعزاز دينه بين أهله، وتطبيق شرعه فى أرضه وبذل النفس رخيصة فى سبيل الدفاع عن مقدساته فإن من تنطبق عليهم هذه الشروط هم الذين يدخلون تحت قوله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا [illegible] ﴾

(محمد ٧، ٨)

[illegible]

قصيدة العدد

الشهيد المجهول

[illegible]

يا حيرة [illegible] مهلا واسألوا [illegible] — هل فيه أي صدى من رجع [illegible]

فكم تهدلت[3] الأفنان[4] مصغية — إليه واستمعت [illegible] يقظى

والتفت[7] الورق[8] أسرابا[9] مصفقة — على الكثيب[10] تبث[11] الوجد ألحانا

والريح تهمس في الآذان ملهمة — والزهر يمضي [illegible] للإلهام آونا

تلك الملاعب قوت[13] وانطوت حجج[14] — أمست جوى، وعنى برحا[15]، وأشجانا[16]

تسربت[17] في حنايا الصدر[18] فانعقدت — همّا تشب[19] به الأنفاس نيرانا

---

(1) [illegible] شبه بها استواء القوام الطويل الناعم، والصعدة قناة [illegible]

[illegible]

(6) الزهر الأبيض واحدته نوّارة

[illegible]

(8) الحمائم لونها كالرماد — (9) جمع سرب وهو القطيع من الظباء والطير ونحو ذلك

[illegible]

(12) [illegible] — (13) خلت وتفرقت — (14) جمع حجة وهي السنة

[illegible]

(16) [illegible] — (18) حنايا الصدر: الضلوع — (19) تشتعل وتتقد

في «الهموم» فسل عنها الخبير بها — فكم تجرع [illegible] منها الموت ألوانا

[illegible] لو [illegible] في الجسم ما فعلت — في «النفس» لم يعرف الإنسان إنسانا

وأصبح الخلق غير الخلق من صور — شوهاء تمسخهم شيبا وولدانا

حتى «الطبيعة» تلقاهم فتنكرهم[23] — وإن رأت قبلهم جنًا وغيلانا[22]

وإن من طينة[24] «السعلاة»[25] شرذمة[26] — قد أحرزت قصبات السبق [illegible] بهتانا

يحفّها[29] [illegible] وقد ضمت جوانحهم[30] — حرّ الجحيم على الأحرار أضغانا[31]

وحولهم [illegible] من كل ذي ملق — سمح[33] تطوع صخابا[34] ولعّانا[35]

مستهترين [illegible] فما يخشون من شطط [illegible] — مستوفزين[38] لجمع السحت[39] وجدانا[40]

يمشون في [illegible] والأهواء ترفعهم — كالشرك يرفع أنصابا[41] وأوثانا

فإن أردت [illegible] الذكر من أمم [illegible] — فاجمع لديك من الغوغاء أعوانا

[illegible] وعربد، وقل ما شئت ثرثرة — تصبح فتى الشرق تطبيلا وإعلانا

واضرب على الوتر الحسّاس مغتنما — من هوشة[43] [illegible] صوت المدح رنانا

وكم [illegible] له رصد — من فوق [illegible] يحمي الدجى إتقانا

[illegible]

[illegible] — (23) أنكره ينكره أي لم يعرفه وكان غريبا عنده

(22) الغيلان جمع غول وتجمع كذلك على أغوال — (24) الطينة: الخلقة والجبلة

(25) السعلاة: الغول — [illegible]

(27) يقال أحرز قصبات السبق أي كان الفائز الغالب، وأصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبات ومن سبق واقتلعها كانت له الغلبة

(28) البهتان: الكذب والافتراء

(29) حفّه يحفّه أي أحاط به واستدار حوله يقال حفه وحفّ به

(30) الأضلاع مما يلي الصدر — (31) جمع ضغن وهو الحقد

(32) الملق والتودد الكاذب — (33) القبيح الصيت

(34) صخب فهو صخاب — [illegible]

(36) المستهتر هو الذي يتبع هواه لا يبالي ما يصنع — (37) الشطط مجاوزة الحد والإفراط في التباعد عن الحق

(38) استوفز فهو مستوفز أي تهيأ للوثوب — (39) ما قبح وخبث من المكاسب فلزم عنه العار

[illegible] — [illegible]

[illegible] — (43) الهوشة: الفتنة والاضطراب

(44) [illegible] رؤية الفرص [illegible]

بمدى خماسة [illegible] فإن بلغت ... حد التشنج[46] صح القوم [illegible]

وكم تنهدت من الشاعر [illegible] ... على الطريق مشاة فيه ركبانا

ترى [illegible] المواكب والأبصار شاخصة ... إلى «الزعامة» حتى كانا ما كانا

فوركت عصبة صلت[48] فما انغمست[49] ... فيهم ولم تأل[50] للطغيان عصيانا

وكيف تنقم[51] منها عند غضبتها ... عنف [illegible] به الألفاظ أحيانا

وغنة [illegible] تنقلت ... عليك أو خلقًا وعرًا[44] وخذلانا[45]

فانظر إلى [illegible] تعلوى مطلعنا ... فوق الجمال يجر الذيل [illegible]

فإن هو انحط منها اعتل من كمد ... فدب[57] يزفر حول السفح[58] حيرانا

و[illegible] تحت ظلال الأيك [illegible] مرتقيا ... واندس[61] بين زوايا الصخر إمعانا[62]

فكيف بالنفس من عليائها انحدرت ... والنفس أصدق إحساسًا ووجدانا

فإن يكن حظ حلف[63] الدنس طنطنة[64] ... وكان حظ سري[65] النفس حرمانا

فالشمس تظهر للعينين قد نقصت ... لدى الكسوف[66] وتأبى الشمس نقصانا

ظل غير ثقيل الوطء[67] يحجبها ... [illegible] الخطوب نحر قيل قد هانا[68]

---

(45) ازمي إرغاء: صار له رغوة من كثرة الضجيج والصياح

(46) التشنج: تقلص العضلات

(47) تتوالى واحداً بعد واحد

(48) صلت: أي اعوجت

(49) انغمس في كذا: رمى نفسه فيه فغاص وغطس

(50) يقال لم يأل جهداً أي لم يقصر في الجهد ولم يبطئ

(51) نقم عليه كذا: عتب عليه من أجله وغضب

(52) غلى وتكور وجاش البحر: هاج واضطرب

(53) [illegible]

(54) [illegible]

(55) [illegible]

(56) [illegible] وهو في الأصل المتكرر

(57) [illegible]

(58) سفح الجبل: أصله أو أسفله

(59) جرى وشاع في مشيه كالحية

(60) [illegible]

(61) اندس في كذا: دس نفسه فيه واختفى

(62) أمعن إمعاناً: أبعد وبالغ في الاستقصاء وأمعن في جحره غاب في أقصاه

(63) يقال هو حلف كذا أي ملازم له لا يفارقه

(64) [illegible]

(65) السري: الشريف العالي النفس

(66) انحجاب نور الشمس

(67) [illegible]

(68) هان أي ذل وضعف

ويح «السياسة» كم طاش الخيال[69] بها ... فصورت من بغاث[70] الطير عقبانا[71]

فاستضحكت[72] كل أرض وهي هازئة ... [illegible]

فاسأل بها القوم هل جرت على أحد ... إلا على أهلها الألعاب خسرانا

وهل جنت[73] رقعة[74] الشطرنج فائدة ... لأن «بيدقها»[75] قد صار «فرزانا»

يا بنت يعرب كم من موجع دنف[76] ... لو تذكريه فلم يجحدك[77] نسيانا

يذود[78] عنك خفي الغدر معتصما[79] ... بالصبر يحمل ما يرضيك جذلانا[80]

كم خاض معركة حمراء دامية ... [illegible] فيه السيف [illegible]

فلم يجتنك [illegible] ... بالعجب واحتمل الآلام كتمانا

وأنت يلهيك عنه الصالحون معا ... خبثًا[87] فتأبين[88] إعراضًا وهجرانا

يا ويح خندقك الجمهور منجدلا[89] ... على الصعيد[90] سليب الثوب عريانا

قد مات دونك لم يمنن[91] عليك يدًا[92] ... ولم ينل منك عند الموت أكفانا

مهلا فعطفك والتاريخ يوم غد ... [illegible]

---

(69) [illegible]

(70) [illegible]

(71) [illegible]

(72) استضحك: كثر ضحكه

(73) [illegible]

(74) رقعة الشطرنج: اللوح الذي تصف أدواته عليه أو الخرقة

(75) [illegible]

(76) مشرف على الهلاك

(77) [illegible]

(78) [illegible]

(79) اعتصم بكذا: لزمه وتمسك به

(80) [illegible]

(81) [illegible]

(82) [illegible]

(83) أوغل في كذا: أسرع وبالغ وأبعد

(84) [illegible]

(85) الحمل والثقل من كل شيء

(86) من عليه منا: أي عدد له ما فعله من الجميل والصنائع

(87) الخداع والغش

(88) تمتنعين

(89) [illegible]

(90) الصعيد: وجه الأرض [illegible]

(91) [illegible]

(92) اليد: النعمة والإحسان

(93) [illegible]

(94) يرخي ويرسل وأسدل الثوب أرخاه وأرسله

وتبقى القضية بلا حل

مؤتمر أنابوليس وتحديات عملية السلام

انعقد مؤتمر أنابوليس الدولي للسلام، بناء على دعوة من الرئيس الأمريكي «جورج بوش»، في السابع والعشرين من نوفمبر ٢٠٠٧ في مدينة «أنابوليس» بولاية ميريلاند، تلك المدينة التاريخية التي كانت عاصمة الولايات المتحدة الأولى قبل واشنطن العاصمة الحالية. وافتتح الرئيس الأمريكي هذا المؤتمر، وسط مشاركة دولية واسعة، كان على رأسها ١٦ دولة عربية، منها سوريا ولبنان. حيث أعلن «بيانا» بالبدء الفوري للمفاوضات بين الوفدين الفلسطيني برئاسة «أحمد قريع» رئيس الوزراء الأسبق، والإسرائيلي برئاسة «تسيبي ليفني» وزيرة الخارجية الإسرائيلية. وقال «بوش» في بيانه: «اتفقنا على البدء فورا بنية خالصة، في مفاوضات ثنائية قوية ومستمرة، وبذل كل جهد ممكن للتوصل إلى معاهدة سلام قبل نهاية عام ٢٠٠٨».

وأضاف قوله: «إن هدف المفاوضات هو حقن الدماء، والتوصل إلى حل على أساس دولتين إسرائيلية وفلسطينية تعيشان جنبا إلى جنب في أمن وسلام».

وفي هذا السياق يرى «برنت سكوكروفت»، المستشار السابق لمجلس الأمن القومي للرئيس «جورج بوش» أن المؤتمر يجب أن يخوض في القضايا الجوهرية لتحقيق السلام الشامل

العادل، وأن يركز على أسس الحل النهائي والرجوع إلى قرارات الأمم المتحدة ومساعدة الشرعية الدولية، وما توصل إليه «بيل كلينتون» في كامب ديفيد ٢٠٠٠.

لائحة الرفض الإسرائيلية

والحقيقة أن مؤتمر أنابوليس للسلام عقد في وقت تباعدت فيه مواقف الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي وبات المؤتلف بينهما هو الراعي الأمريكي، صاحب هذه المبادرة، بما يملكه من قوة مؤثرة، تلزم طرفين المعنيين مباشرة بالصراع، برؤيته الخاصة بحل الدولتين. فنجد أنه في الوقت الذي تتمسك السلطة الفلسطينية بمفاوضات تتعاطى مع قضايا الوضع النهائي وهي الحدود، والمستوطنات والقدس، واللاجئون والمياه، والعلاقات المشتركة، وفق جدول زمني محدد للتفاوض، وطبقا للمرجعيات الدولية، وفي مقدمتها قرارات الشرعية الدولية، وخريطة الطريق، والمبادرة العربية للسلام، فإن إسرائيل ترفض:

أولا: تحديد جدول زمني للتفاوض،

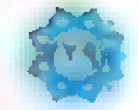
وثانيا: المبادرة العربية للسلام،

وثالثا: حق عودة اللاجئين إلى ديارهم. وتشترط في الوقت نفسه اعتراف الفلسطينيين بيهودية دولة إسرائيل، وما يترتب على ذلك من إسقاط حق العودة، وترحيل أي عربي يقيم في إسرائيل اليهودية.

تطبيع بلا ثمن!!

ومن هنا فإن ثمة شكوكاً ومخاوف في شأن دوافع الولايات المتحدة من وراء عقد هذا المؤتمر، فالبعض يخشى أن يكون سعي الرئيس الأمريكي «بوش» الحقيقي هو تقديم خدمة أخيرة لإسرائيل بتطبيع علاقاتها مع الدول العربية بلا ثمن تلتزم بدفعه يتمثل في إقامة دولة فلسطينية والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة بما فيها الجولان ومزارع شبعا، ومن ناحية أخرى يتخوف البعض الآخر من تمسك إسرائيل برسالة الضمانات التي وجهها الرئيس الأمريكي بوش، في أبريل ٢٠٠٤، إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق «أرييل شارون»، في شأن حدود الدولة، ومبدأ تبادل الأراضي بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والسماح بضم الكتل الاستيطانية الكبيرة في الضفة الغربية، والاعتراف بيهودية الدولة، وما يترتب على ذلك من فصل الضفة عن القدس ومن ثم جعل هذه الضمانات جزءاً من حل الدولتين الذي يهدف إليه مؤتمر أنابوليس، وهذا ما تسعى إليه إسرائيل.





الفشل فى أفغانستان والعراق

ويرى معظم المراقبين أن هدف إقامة هذا المؤتمر هو التغطية على فشل الرئيس الأمريكى فى أفغانستان والعراق. وسعيه إذا نجح فى إقامة دولة فلسطينية أن يدخل التاريخ كما دخل من قبل الرئيس الأمريكى الأسبق «جيمى كارتر» ما حققه من إنجاز عقد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩.

الشروط الإسرائيلية لخريطة الطريق

وفى هذا الإطار فإن خريطة الطريق، فى نظر الإدارتين الأمريكية والإسرائيلية تعتبر المرجعية الأولى لمفاوضات حل الدولتين، فهى تتكون من ثلاث مراحل

● الأولى: تطالب السلطة الفلسطينية بالوقف الفورى للعنف، وعودة التنسيق الأمنى بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى فى مقابل قيام إسرائيل بتحسين الظروف الإنسانية للفلسطينيين، والكف عن المس بالمدنيين وأملاكهم، وتجميد الاستيطان، والانسحاب إلى المناطق التى احتلتها إسرائيل عقب انتفاضة الأقصى فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠.

● والثانية: تشهد بدء مفاوضات فى شأن إقامة الدولة الفلسطينية بحدود مؤقتة.

● والثالثة: يعقد فى غضونها مؤتمر دولى للتفاوض بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل على قضايا الوضع النهائى وحل الدولتين، والتوصل إلى تسوية سياسية شاملة للنزاع.

المستوطنات

وكانت الجولة الأولى من المفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية، بدأت فى القدس يوم ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٧ حيث التقى الوفدان الفلسطينى والإسرائيلى فى فندق كبير فى المدينة، وركز اللقاء على موضوع «الاستيطان» إذ طالب الجانب الفلسطينى بوقف كامل للنشاط الاستيطانى سواء توسيع المستوطنات الحالية أو بناء مستوطنات جديدة.

واللافت للانتباه أنه فى الوقت الذى اتفق فيه الجانبان الإسرائيلى والفلسطينى فى «مؤتمر أنابوليس» الدولى للسلام، الذى رعته إدارة بوش فى ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٧، على إطلاق مفاوضات الوضع النهائى. نجد أن إسرائيل استبقت الجلسة التفاوضية الأولى (١٢/ ١٢/ ٢٠٠٧) بإعلانها إقامة حى جديد مؤلف من ٣٠٠ وحدة سكنية فى مستوطنة «هارحوما» المقامة فى جبل أبوغنيم فى جنوب القدس الشرقية، كما لوحظ أيضا، قبل الجلسة التفاوضية الثانية (٢٤ / ١٢ / ٢٠٠٧) أن إسرائيل أعلنت مشروعين لإقامة ٧٤٠ وحدة سكنية استيطانية جديدة، منها ٥٠٠ وحدة فى مستوطنة «هارحوما» و ٢٤٠ وحدة أخرى فى مستوطنة (معاليه أدوميم) فى شرقى مدينة القدس الشرقية.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل نشرت وسائل الإعلام الإسرائيلية خبراً مفاده أن وزارة الإسكان الإسرائيلية أعدت خطة لإقامة مستوطنة جديدة بين القدس ورام الله تتسع لـ ١٠٠٠٠ وحدة سكنية بالقرب من حاجز قلنديا

ولقد طلبت «كوندليزا رايس» وزيرة الخارجية الأمريكية «توضيحات» من الحكومة الإسرائيلية حول قرارها بتوسيع الاستيطان فى القدس الشرقية. وأجاب على هذا الطلب الأمريكى «إفيجدور ليبرمان» وزير الشئون الاستراتيجية الإسرائيلية ونائب رئيس الوزراء الإسرائيلى. حين أعلن على شاشة التليفزيون الإسرائيلى: «أن أعمال البناء الاستيطانى ستتواصل بالسرعة القصوى، وأنه يجب إبلاغ الأمر إلى أصدقائنا. فإنه من الواضح للعالم أجمع، أن «هارحوما» جزء لا يتجزأ من إسرائيل وستظل، وفى هذا الصدد قال «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلى فى تصريحات نشرتها صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية فى ١ / ١ / ٢٠٠٨ «أوضحت رسالة الضمانات التى أعطاها الرئيس الأمريكى «جورج بوش» إلى رئيس الوزراء السابق «شارون» بما لايدع مجالا للشك. حق إسرائيل فى الحصول على بعض أراضى يهودا و السامرة (أى الضفة الغربية) وأضاف قوله: «لا يمكننى أن أتصور إسرائيل من دون مستوطنة معاليه أدوميم، ولا أعتقد أنهم يقصدونها (أى الفلسطينيون) عندما يتحدثون عن المستوطنات».

قضية اللاجئين

وأعرب «أولمرت» عن اعتقاده بأن الرئيس «محمود عباس» «يريد السلام» مشيراً إلى أنه يتفهم المخاوف الفلسطينية فيما يخص المستوطنات، لكنه شدد على أنه «لن يقبل حق العودة للاجئين الفلسطينيين» وقال: إنه مقتنع بأن «عباس» «احتار فى قلبه» بين أسطورة حق العودة وقيام دولة فلسطينية تستوعب جميع اللاجئين».

وهكذا أكد «أولمرت» احتفاظه بكبرى المستوطنات استناداً إلى «رسالة الضمانات» الأمريكية وكأنها رسالة سماوية مقدسة مُلزمة للفلسطينيين بل وصل الأمر به أن يصف حق العودة بالأسطورة التى ليس لها أساس من الواقع، وأنكر تبعا لذلك القرار الدولى رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨. واشترط قيام الدولة الفلسطينية الجديدة على أساس استيعابها

للاجئين الفلسطينيين، وأن دولة إسرائيل هي لليهود فقط، لا يشاركهم فيها أحد من الفلسطينيين. وهو ما يهدد الأقلية العربية في فلسطين التاريخية بالطرد والإبعاد.

ومن ناحية أخرى فإن مؤتمر أنابوليس للسلام الذي استغرق يوما واحدا (٢٧/١١/٢٠٠٧)، انتهى بالفعل دون أن يحقق شيئا إلا دعوة الفلسطينيين والإسرائيليين بدء مفاوضات السلام النهائي خلال عام ٢٠٠٨، بعد توقف دام سبع سنوات.

الإرهاب الإسرائيلي في غزة!!

لقد انعقد مؤتمر أنابوليس بعد حوالي شهرين من إعلان «إيهود أولمرت» رئيس وزراء إسرائيل، قطاع غزة «كيانا معاديا» للدولة العبرية، وهو ما يعني إحكام الحصار الخانق على الفلسطينيين في القطاع (١,٥ مليون نسمة)، وإذا كان الإسرائيليون يزعمون أن هذا الحصار بسبب إطلاق قذائف القسام الصاروخية صوب الداخل الإسرائيلي، فهل تتهرب إسرائيل من مسئوليتها القانونية عن قطاع غزة، الذي مازالت تسيطر على حدوده، ومجاله الجوي، ومياهه الإقليمية، رغم انسحاب قواتها العسكرية منه منذ عام ٢٠٠٥. أليس من الوطنية أن يقاوم الشعب الفلسطيني محاصريه الذين يريدون خنقه؟ وإذا كانت المقاومة الفلسطينية تعد في نظر الإدارتين الأمريكية والإسرائيلية، إرهابا فماذا تسمى ما تفعله إسرائيل من عقاب جماعي لسكان غزة؟ أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟! إن كل ما تفعله إسرائيل في القطاع، سببه، وجود، وسيطرة حماس على غزة. لقد بلغ العداء الإسرائيلي لحركة حماس أقصاه، فقد أماطت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية في ٢١/٨/٢٠٠٧ اللثام عن خطة ترمي إلى تعزيز قبضة السلطة الفلسطينية، خصوصا بعد استيلاء حماس على قطاع غزة في ١٤ يونيو ٢٠٠٧. فقد حذرت هذه الخطة من أن حركة حماس ستستولي على الضفة الغربية في غضون عامين، إذا أخفقت السلطة الفلسطينية- التي تهيمن عليها حركة فتح- في تأمين نظام رفاه اجتماعي للسكان. ويتساءل الكثيرون منذ متى كانت إسرائيل الناصح الأمين للسلطة الفلسطينية؟ الواقع أن النخبة الحاكمة في إسرائيل لا تبتغي من وراء ذلك إلا تعميق الهوة الفاصلة بين فتح وحماس، للاستفراد بطرف على حساب طرف آخر. والهدف إملاء شروطها بتنازل الفلسطينيين عن حق العودة، والقول بأن تضم الدولة العبرية المستوطنات الكبرى في الضفة الغربية إليها، ومحاولة الحصول على اعتراف أصحاب فلسطين الشرعيين على يهودية دولة إسرائيل، حتى يمكن إسقاط حق العودة، والتخلص أيضا من الأقلية العربية المقيمة في فلسطين التاريخية منذ عام ١٩٤٨. وفي هذا السياق قال القيادي في «حركة الجهاد الإسلامي» الدكتور «محمد الهندي»: «اليوم يتضح أكثر من أي وقت مضى أن العدو يريد تحطيم غزة، وإظهار الرئيس «محمود عباس» وكأنه متواطئ»، إنها سياسة فرق تسد. ولرأب الصدع بين فتح وحماس، ولتوحيد الموقف الفلسطيني، خاصة أن الوفد الفلسطيني المفاوض على أبواب العديد من الجولات التفاوضية مع خصم ماكر ومراوغ وعنيد قال «إسماعيل هنية»: «نحن مع الحوار، وندعو إليه. ونحن مستعدون أن نبحث كل القضايا، لكن الحوار يجب أن يكون على أساس قاعدة لا غالب ولا مغلوب»، كما صرح الرئيس الفلسطيني «محمود عباس» أن قطاع غزة جزء لا يتجزأ من الدولة الفلسطينية القادمة.

والتساؤل: ألم يحن الوقت بعد لتتصافح القلوب قبل أن تتصافح الأيدي بين الإخوة من حماس وفتح؟

حدود مؤقتة للدولة الفلسطينية!!

ومن جهة أخرى يرى البعض أن ثمة تصورات إسرائيلية وأمريكية محددة في موضوعات الحل النهائي الأربعة وهي: القدس، والمستوطنات، والحدود، واللاجئون. لا تتلاءم مع القرارات الدولية، ومع المبادرة العربية، وحتى مع خريطة الطريق. وحسب هذه التصورات يريدون أن تبقى القدس موحدة وعاصمة أبدية للدولة العبرية. أما المستوطنات فهم يريدون، وبإصرار الاحتفاظ بالكتل الاستيطانية الكبرى منها، وعلى الجدار الواقي من حولها. ويعتقدون حدا من الإسرائيليين بقبول بتعويض الفلسطينيين عن المستولى عليه بأراض في صحراء النقب. ويشتد الجدال فيما بينهم على الحدود. وهل يسمح للدولة الفلسطينية الوليدة أن تكون لها حدود مع مصر والأردن أم لا؟ إن إسرائيل تريد حدودا مؤقتة للدولة الفلسطينية القادمة، ومنزوعة السلاح الفلسطيني أما مسألة اللاجئين، فهي من أعقد المسائل التي سيقابلها المفاوض الفلسطيني لأن الجانب الإسرائيلي لا يرغب في البحث فيها، ولا الاحتكام إلى القرار الدولي رقم ١٩٤ القاضي بعودة اللاجئين إلى ديارهم التي كانوا يقيمون فيها عام ١٩٤٨.

ومن هنا فقد أكد «إيهود أولمرت» في تصريحات لصحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية في الأول من يناير ٢٠٠٨ عدم قبوله حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ووصفها بالأسطورة. وعلق قيام دولة فلسطينية باستيعاب هؤلاء اللاجئين فيها وإلا فلا دولة للفلسطينيين.

موقف حماس

وفي هذا السياق وقع نواب حركة حماس في المجلس التشريعي الفلسطيني يوم ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٧ - أي قبل انعقاد مؤتمر أنابوليس بيوم واحد - وثيقة «عدم التفريط في القدس واللاجئين» وجاء في هذه الوثيقة التي تلاها رئيس المجلس التشريعي الدكتور «أحمد بحر»: «إن الشعب هو صاحب الحق الوحيد في تقرير مصيره، بالكيفية التي يراها مناسبة، ولا تنتقص من حقوقه التاريخية شيئا، وهو صاحب الأرض التي تمتد من نهر الأردن شرقا إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط غربا، ومن الحدود المصرية جنوبا إلى الحدود السورية اللبنانية شمالا، وحقه في هذه الأرض لا يسقط بالتقادم، ولن يُختزل بفعل الضغوطات والممارسات الإجرامية التي تمارس ضد شعبنا. ونؤكد على العمق العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية، وأنه لا يجوز لأي كان أن يتنازل عن شبر واحد من أرض فلسطين، ومقدساتها باعتبار أنها أرض وقف لكل المسلمين في كل مكان». وهكذا أعلنت حماس تمسكها بحقها الذي لا يمكن التفريط فيه من أرض فلسطين.

يهودية الدولة ووعد بوش !!

والجدير بالذكر أن الإدارة الأمريكية حرصت على تشكيل لجنة مستقلة يشارك فيها العديد من الأطراف الدولية، وتحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية المباشر، لتذليل أي مشكلات تعترض المفاوضات الجارية بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، وقد أعلنت الخارجية الأمريكية أن هذه اللجنة ستجتمع في العاصمة الروسية «موسكو» خلال شهر يناير ٢٠٠٨ للوقوف على ما أحرز من نجاحات في المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية.

في ضوء العرض السابق، يمكن رصد أهم التحديات التي تواجه عملية السلام التي انعقد مؤتمر أنابوليس من أجل إحيائها من جديد، على النحو التالي:

- مسألة يهودية الدولة التي أكد عليها الرئيس الأمريكي «جورج بوش» في كلمته أمام المؤتمر، تعني إغلاق الباب تماما أمام عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي أجبروا على تركها عام ١٩٤٨، وبالتالي التنكر للقرار الدولي رقم ١٩٤ القاضي بعودة اللاجئين إلى ديارهم، وأيضا احتمال إجبار الأقلية العربية في فلسطين التاريخية المحتلة على الرحيل إلى دولة فلسطين المرتقبة.
- رسالة الضمانات (أو ما يسمى وعد بوش) التي وجهها «جورج بوش» إلى رئيس الوزراء السابق «شارون» في أبريل ٢٠٠٤، والتي ترى إسرائيل أنها تمنحها الحق في ضم المستوطنات الكبرى إليها، تمثل أكبر التحديات التي تواجه المفاوض الفلسطيني.

وقد علق «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلي عليها حين صرح لصحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية في ١ / ١ / ٢٠٠٨ بقوله: «لقد أوضحت هذه الرسالة بما لا يدع مجالاً للشك، حق إسرائيل في الحصول على بعض أراضي يهودا والسامرة» (وهو يعني الضفة الغربية).

- استمرار إسرائيل، وبوتيرة متسارعة، في توسيع المستوطنات الحالية أو بناء أحياء استيطانية جديدة فقد أعلن «ياريف أوبنهايمر» المتحدث باسم «حركة السلام الآن» الإسرائيلية، أن حركته اكتشفت أن ميزانية الدولة الإسرائيلية في عام ٢٠٠٨، تتضمن ٤٨ مليون شيكل لبناء ٢٥٠ وحدة سكنية في مستوطنة «معاليه أدوميم»، و٥٠ مليون شيكل لبناء ٥٠٠ وحدة سكنية في «هارحوما» الحي الاستيطاني الواقع على «جبل أبو غنيم» في القدس الشرقية المحتلة.

القدس والجدار الفاصل

وأكد «رافي إيتان» وزير شئون القدس أن إسرائيل تعتزم تنفيذ هذه المشروعات».

وقال: «قلنا دائما إننا نستطيع البناء في «هارحوما» التي تقع داخل الحدود البلدية للقدس، فهي جزء لا يتجزأ من القدس، وإسرائيل لن توقف البناء هناك ومن واجب إسرائيل أن توفر مكانا لمواطنيها ليقيموا فيه» إنه كما ترى إصرارا على مواصلة البناء وتوسيع المستوطنات وهو ما يشكل ضربا للمفاوضات الجارية عرض الحائط على مرأى ومسمع راعي مؤتمر أنابوليس.

- الجدار الفاصل، الذي مازالت إسرائيل تواصل بناءه، لكي يصل طوله إلى ٧٠٤ كيلومتر، يقسم الضفة الغربية إلى أربعة تجمعات سكانية معزولة، وتسيطر إسرائيل على محيطها. ومن ثم يقضي هذا الجدار العنصري على إمكانية قيام دولة فلسطينية متصلة جغرافيا، وقابلة للحياة ضمن حدود ما قبل ١٩٦٧.

- القدس الشرقية. يتمسك بها الفلسطينيون كاملة وقد ضمها الإسرائيليون إلى القدس الغربية وأعلنوا أنها العاصمة الأبدية لدولة الشعب اليهودي. ولا يجوز تقسيمها بعد توحيدها، والسؤال الذي يطرح نفسه، في الختام، هل يمكن للرئيس الأمريكي «بوش» صاحب مبادرة أنابوليس إجبار إسرائيل وليس الضغط عليها على أن تعيد القدس العربية إلى الفلسطينيين، لتكون عاصمة دولة فلسطين المنشودة، التي من أجلها انعقد مؤتمر أنابوليس للسلام؟!

خطبة الجمعة

الناس بين المدح والقدح

[illegible]

إعداد الشيخ / على حامد عبدالرحيم

الحمد لله تبارك وتعالى، له دعوة الحق وكلمة الصدق:

﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾

(النساء: ١٢٢)

أشهد أن لا إله إلا الله، يحق الحق بكلماته، يمحق الباطل بآياته، إن الباطل كان زهوقا، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، الناطق بالحكمة، الهادي للأمة، فعليه من ربه الصلاة والسلام، وعلى آله وذريته، وأنصاره وصحابته، والقائمين بأمر دعوته.

[illegible]

(نحل: ٩)

يا أتباع محمد ﷺ:

من الحقائق التي يجب أن ترسخ في العقول والقلوب أن الناس إما مادح، أو قادح، أو ناصح، وخير الثلاثة هو الأخير، والمدح سلاح خطير ينحرف به صاحبه فيحرب ويدمر، وفي المجتمع أناس كالعلق، يمدحون كل الناس ويجملون لهم العيوب، ويقلبون سيئاتهم إلى حسنات ليخدعوهم عن أنفسهم، ويغرروهم بذواتهم، وينالوا منهم ما يريدون، وبذلك المديح الغاش الكاذب تضيع حقوق، وتضيع شخصيات، وأخطر هؤلاء المداحين الغالين المضلين أولئك الذين يتصلون بالكبراء، أو يكونون بطانة وحاشية للعظماء؛ لأنهم يجملون لهم القبائح، ويحسنون لهم الأخطاء، ويجعلون أمامهم الحق باطلا، والباطل حقا، وبذلك يتعود الكبراء كلمات الثناء والإطراء؛ فيخيل إليهم أنهم معصومون من الزلل، أو أنهم مخلوقون من طينة أخرى أزكى من طينة الناس، ولو [illegible] هؤلاء الكبراء لفعلوا كما فعل خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز - رضوان الله عليه - حيث تولى الخلافة، فقد أحضر عمرو بن مهاجر، وكان رجلا تقيا بصيرا داعية، وأمره بأن يلازمه، وقال له: «يا عمرو، إذا رأيتني قد ملت عن الحق، فضع يدك في تلابيبي، ثم هزني، ثم قل لي: ماذا تصنع؟».

المدح الكاذب!!

وهذا هو سيدنا رسول الله ﷺ يبين خطر المدح الكاذب والثناء المسرف، فيقول: «إياكم والمدح والتمادح فإنه الذبح»[1]، ويحذرنا من أولئك المداحين الذين يتخذون المدح عادة وصناعة وتجارة، بلا صدق أو إنصاف، فيقول:

«إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»[2].

لقد سمع - صلوات الله وسلامه عليه - رجلا يسرف ويبالغ في مدح آخر، فقال له: «قطعت ظهر الرجل»[3] وهذا لا يمنع من تقدير العاملين وشكر الناصحين والثناء على الفاضلين، لأن الإنصاف خلق من أخلاق الإسلام، وبهذا الإنصاف يكون التنافس على الخير، والتسابق في مجال البر، ولذلك أثنى رسول الله على صحابته بما هم أهله؛ فوصف أبا بكر أنه الصديق، وعمر بأنه الفاروق، وعثمان بأنه ذو النورين، وعلي بأنه باب مدينة العلم، وأبو عبيدة بأنه أمين الأمة، وهكذا.

وأما «القادح»: فهو ذلك الخسيس اللئيم الذي يفتح دائما فمه على لسان قذر وضيع، يطعن به ذات اليمين وذات الشمال، فهو ينم دائما، ويفترى دائما، ويتوقح دائما، وفي المجتمع مع الأسف أناس أنذال، يمثلون بألسنتهم العقارب أو الحيات أو الكلاب العاوية باستمرار، فهم يعيشون وراء بذاءة كلامهم، ووقاحة منطقهم، يقرضون الأعراض والحرمات، ويتطاولون على الكرام والفضلاء من الناس بلا استثناء، حتى يرهبهم الكثير من الخلق، ويبتعدوا عن الالتقاء بهم والتعرض لهم، وصلوات الله وسلامه على رسوله حين قال: «إن من شر الناس من اتقاه

---

(١) [illegible]

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح مسلم

[illegible]

[illegible] وقد [illegible] هؤلاء القادحين الجارحين القاصمين المتبجحين بصورة منكرة، فقال للمسلمين في شأن المنافقين المجرمين:

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾

(الأحزاب: [illegible])

أي إذا اطمأنوا وتمكنوا طعنوكم بالسنة كالحديد من شراستها وبذاءتها. كما صور [illegible] [illegible] صورة منكرة [illegible].

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

(الحجرات: ١٢)

وهذا هو رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – يقول: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء»[5] ويقول: «يا معشر من آمن بلسانه [illegible] قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»[6] ويقول: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[7].

واجب التحذير

وهذا لا يمنع أن يؤدي الإنسان لأخيه واجب التحذير من خطأ أو انحراف. [illegible] حكيم. وقد قال بعض [illegible] «إذا كتمت عيب أخيك عنه فقد خنته، وإذا واجهته به فقد بهته (أي واجهته بالأذى فآلمته)، وإذا ذكرته لغيره فقد [illegible]» [illegible] المخطئين في لباقة وبراعة، ليحملوهم على [illegible] حكامنا وكبراءنا إلى هذا الصنف الكريم من [illegible] والرشاد، والرسول يقول: «ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان (حاشيتان) بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى»[8] أي صاحب التوفيق هو من لا يأخذ برأي أهل السوء، ويستعين بأهل الحق والخير.

---

(٥) سنن الترمذي

(٦) صحيح البخاري

(٧) صحيح [illegible]

(٨) صحيح البخاري

[illegible] هو خير هؤلاء الثلاثة، لأنه [illegible] في ترجيبه وتشجيعه [illegible] قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»[1]، والقرآن الحكيم يعلمنا أن [illegible] ويقول:

﴿ وَالْعَصْرِ [illegible] ﴾

(العصر: [illegible])

حقيقة المؤمن

ولقد كان النبي – صلوات الله وسلامه عليه – يبايع كل فرد يدخل الإسلام على [illegible] النصح لكل مسلم، ويقول: «إذا [illegible]»[2] [illegible] والمحمود الذي يطالب القرآن [illegible]

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [illegible] ﴾

(المائدة: ٢)

[illegible] محمد – عليه الصلاة والسلام – حيث قال:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

يا أتباع محمد ﷺ:

«الناس إما مادح، أو قادح، أو ناصح» [illegible] وأعيده وأوطده، فلينظر كل منا أن يكون من هؤلاء الثلاثة: إمعة تضيع ذاته وشخصيته في مدح كل من هب ودب بلا صدق ولا إخلاص، [illegible] الرقطاء، أم هو معتصم بحبل الله، داع إلى صراط الله، ناطق بكلمة الخير ابتغاء وجه [illegible] ولو شاء لهداكم أجمعين، أقول قولي هذا وأستغفر [illegible].

---

(١) صحيح البخاري

(٢) مسند أحمد



للأستاذ الدكتور / محمود عمارة

قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر».
وفي رواية: «كالمجاهد في سبيل الله».
(صحيح البخاري)

تمهيد

مجموعة من طلاب الطب والهندسة والأدب: سمعتهم يختلفون حول قضية زوجة اتفقت مع زوجها على أداء العمرة.. ثم كان الموت أسبق إلى الزوج من العمرة.. فسألت الزوجة عن موقفها لو أنها خرجت لأداء العمرة عنها ثم عن زوجها.. أيجوز ذلك شرعا؟.. أم أن خروجها يخل بالحداد؟؟

وقلت للطلاب المختلفين: إن الحداد هو قضية الوفاء تقديرا للراحل الذي كان ملء السمع وملء البصر.. ثم إذا هو اليوم غائب.. لن يعود.

وقصة هذه المرأة هي قصة ذلك الوفاء أيضا.. والذي يتقاضاها اليوم أن تفي بالعهد الذي كان بينهما بالأمس القريب.. ولتبحث القضية في هذا الإطار.. وكان مما قلته للطلاب المتحمسين [illegible] في غير ميدان [illegible] حدثتم عنها من الناحية الفقهية.. فأين بعد هذا دوركم المرموق للتخفيف من حدة بلائها؟!

[illegible] أنتم فاعلون لهذه التي غاب عائلها وتحملت مسئولية صغارها؟! إن الحديث الشريف الذي معنا.. إنما هو لفت نظر لكل قادر على أن يعمل شيئا يحفظ على هذه الحزينة توازنها.. وكرامتها.. وأن وراء الحكم الفقهي على أهميته دورا مهما في عنق المجتمع كله.. حري بأن يتنافس فيه المتنافسون.. قبل أن ينهار البيت على ما فيه ومن فيه! وهو:

التكفل بحاجة هذه الأسرة.. حتى تظل واقفة على قدميها.. ثم بكفالة صغارها ليكونوا للإسلام جندا.. بدل إهمالهم ليكونوا لكم أعداء؟!

وقفات بين يدي الحديث الشريف

١- تخيلوا هذه الأرملة تجتر ذكرياتها في سالف عمرها.. فتقول:

مررت بوادي النمل يا صاح بكرة
فصحت وأجريت الدموع على خدي
وشممت منه موقف الهاشمي الذي
ملا الأرض توحيدا يزيد على العد
وكم موقف فرشته حر جبهتي
وأبديت في أرجائه ذلة العبد!

٢- تصوروا هذه الضراعة.. التي يهيب بكم الحديث الشريف أن تهرعوا إلى مصدرها.. للتخفيف من حدتها.. فيما يؤكد حضارة أمة لا تترك الضعيف يواجه الأحداث وحده.. [illegible] إلى جانبه.

٣- وإذا كنا منهيين عن كثرة الدخول على [illegible] حتى لا يسري [illegible] بالعدوى؛ فإننا هنا مأمورون بمساعدة الضعفاء.. [illegible] يكسر حدة الغرور فينا.

٤- ولقد كان [illegible] عظيم [illegible] مثل [illegible] القائم.. وباستمرار.. والصائم وباستمرار أيضا.. بل كمن يحمل سلاحه مجاهدا في سبيل الله.

٥- وذلك مشروط بما يلي:

أن يكون [illegible] قليلا وأكدى، اغترف غرفة بيده.. ثم ترك الصحبة ظمأى!

[illegible] بعض الأخيار قد ينفق من رصيده المدخر في البنك، وهو ممن يعيشون في الغرفات آمنين.. لا.

لا يكفي هنا.. بل لا بد أن يكون منك سعي: حركة ذاتية مكلفة تتصبب منها عرقاً.

٦- على أن يكون ذلك من منطق العزة والتجرد.. وذلك بعض ما يفيده حرف الجر (على) بمعنى: أنك تخدم الأرملة «عليها» مستعليا لا تسعى إليها.. ولا لها.. لا تستهدف جمالها.. ولا مصلحة شخصية من ورائها.. وإنما أنت الطائر المحلق في أجواز الفضاء: يلقي إليها الحب.. وليس في ذهنك الحب!!!

لأنك تسعى «عليها» مستعليا بإيمانك على كل رغبة هابطة.. إن الأرملة قد يكون فيها مطمع والمسكين: في زحمة المجتمع: مضيع.. وأنت مطالب بالسعي عليهما من فوق: متجاوزا ما يحيط العمل من شهوات الدنيا.. فإن فعلت.. فإن الجزاء عظيم.. عظيم.. لا يصل إلى ساحله السابح الماهر.. مهما خاض إليه وسبح. وليس هو مما يعده العادون.. بل هو فوق ما يتوهم المتوهمون.

٧- يعينك على صعود تلك القمة العالية ما تراه في مملكة الحشرات.. التي تتعاون على البر والتقوى.. واقرأ قوله عز وجل:

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

(النمل: ١٨)

ولاحظ ما يلي:

أ- النملة.. والتي لا تكاد ترى بالعين المجردة تتخلى عن «الأنا» عن الأثرة.. إلى «نحن» أي إلى «الإيثار» لم تكن قضيتها أن تنجو من الخطر الداهم بمفردها.. وإنما همها.. نجاة أقربائها وجيرانها.

ب- وأهم من ذلك.. أنها تعتذر عن سليمان -عليه السلام- وجنوده.. الذين لو حدث منهم التحطيم.. لكان ذلك بلا قصد منهم لذلك.

جـ- ولا بأس هنا أن نشير إلى أن للنمل «مساكن» هي حق الإنسان.. الذي ينبغي أن يكون له منزل يسكن إليه.. ويجد فيه راحته.

وقلت للفتيان المخلصين.. المتحمسين: وهذا تاريخكم شاهد بما كان من سلفنا الصالح.. من رعاية للأرامل.

مع الضعيف حتى يقوى

فالجزاء وإن بدا ضخما.. إلا أنه على مستوى هذا التكافل الاجتماعي فالسعي دائم موصول.. في سبيل ناس لو أهملوا لكانوا وبالا على المجتمع.. وقد يبرز من هؤلاء من له موهبة تسمو بها الأمة.

الأمة.. التي لا تنطلق وراء ملذاتها مخلعة من ورائها بعضها.. وإنما يتوقف ركبها ليسير أضعفها.. إنها لا تنسى أفرادها في غمرة انطلاقها.. وإنما هي مع الضعيف حتى يقوى.. والفقير حتى يستغني.

ويتراءى الأمل في ذهن كل من حدثته حياته في موقع ما.. ليتأكد أنه لا يعيش في هذه الدنيا وحده.. وإنما هو غصن باسق في شجرة الخلود.. إنه في ضمان أمته سبيلا إلى روضات الجنات.

في مجال التطبيق

لم يكن التكافل الاجتماعي حبرا على ورق.. وإنما كان واقعا ملموسا سجله التاريخ.

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة. فقالت: يا أمير المؤمنين: هلك زوجي وترك صبية صغاراً والله ما يُنضجون كراعا ويعجزون عن تدبير شئونهم، ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع. وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ.

فوقف معها عمر ولم يمض ثم قال: مرحباً بنسب قريب «غفار وقريش أقرباء».. ثم انصرف إلى بعير ظهير «قوي معد للحاجة» كان مربوطا في الدار فحمل عليه غرارتين «جوالين» ملأهما طعاما وحمل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير.

فقال رجل يا أمير المؤمنين.. أكثرت لها!! قال عمر: ثكلتك أمك! والله إني لأرى أبا هذه وأخاها.. قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء[1] سهماننا فيه». فتح الباري ٧/ ٤١٦٠.

ماذا في الموقف من دروس؟

والموقف حافل بالدروس التي تتقاضانا استيعابها: ومن هذه الدروس:

١- الولد يروي عن أبيه.. وإذن: فقد كان الأبناء يعيشون داخل الدار يتلقون التوجيه من آبائهم.. ويمثلون معهم قناة من قنوات المعرفة تحمل العلم إلى الأجيال من بعدهم.. ولم يكن الأب في مكان والولد في مكان لا تطوله يداه.. فنشأ ناشئ الفتيان على ما كان عوده أبوه.

٢- والموقف واحد من الدروس القيمة بما يحمل من عظات وعبر

(١) من الفيء وتعني نصيبنا من الغنيمة [illegible]

فحفظته بتتبع أسعار السلع في السوق كما يراقب المكاييل والموازين حفظاً من معاناة الإنسان. وحماية له من جشع بعض التجار.

وكان خروجه فرصة لمثل هذه المرأة التي فقدت عائلها.. ولو أنه عاش خلف الأبواب والحجاب لما كان هذا اللقاء..

٣ - وقد نجحت المرأة في مسألة حديثه بما ملكت من نصاعة البيان الذي كشفت به عن رقعتها.. مؤكدة أنه إذا كان من حقنا أن نعيش.. فإن من واجبنا أن نطالب بحقنا.. وإلا فحاكم غير مسئول إذا لم يصل إليه صوتنا..

٤ - ولقد كان من فقه عمر - رضي الله عنه - أن طيّب خاطرها بقوله:

أ - (مرحباً بنسب قريب) مما يرفع من معنوياتها.. على نحو يؤكد أنها تأخذ ما تأخذ من موطن العزة.. لا بوصف كونه صدقة.. قد تحس معها الحرة بالانكسار!

ب - ثم بعطائه الكريم متعدداً:

- البعير القوي..
- الجوالين من الدقيق.

وكانت تلك علانية حانية من عمر لا حرج.. ولكننا نلاحظ من أمارات فقهه ورعايته مشاعر الإنسان.. أنه جعل بين جوانب الدرهم والثياب.. من كل ما يخرج لأحد لو كانت علانية.. فلم يعطه.. وجعل دفنه في حجب.

٥ - وقد أبت سوءة برد عمر - رضي الله عنه - على من استكثر ذلك العطاء.. لا بسعد إلا نسجل إعجابنا بهذا الصحابي الجليل.. الذي وجد في نفسه الشجاعة الأدبية ليواجه الحاكم بما يظنه مخالفة.. والذي قال ما قال لأنه لم يستوعب حقائق التاريخ التي وضحها له الخليفة.. الذي يبين له أن ما تعيش فيه الأمة اليوم من خير إنما هو من جهاد أبيها وأخيها.

وحين تقف الأمة معها اليوم.. فإنما ترد بعض الجميل إليها.. فضلاً عن كونه رعاية لأسر الشهداء.. وبخاصة هذه الأسرة التي يذكر تاريخها أن جدها إيماء الغفاري كان من استقبل الرسول ﷺ بالأبواء.. بالمدينة.

ثم أهدى إلى النبي ﷺ مائة شاة وبعيرين.. وكان أبوها خفاف هو الذي أرسله أبوه بها.

وقد قبل ﷺ الهدية.. ثم دعا للمهدي بالبركة.

البركة التي كان من ثمراتها: ما حصل عليه حفيده اليوم!!

ولقد كانت هذه هجّيرى[٢] عمر - رضي الله عنه - السعي على الأرامل.

قـــارورة عطـــر

وقد لاحظ واحد من الصحابة أنه يختلف إلى بيت فيه امرأة!!

فدخل الصحابي وسألها عما يفعله عمر - رضي الله عنه - وكانت المرأة.. عجوزاً عمياء مقعدة!

وكان ردها: إنه يخدمها.. وينظف لها بيتها.. حتى قال الصحابي:

يا ويلتي.. تجسست على عمر..

ونقول نحن:

لم يكن ذلك تجسساً.. وإنما كان من تدبير الله - عز وجل - أن تنكسر (قارورة) العطر حتى يفوح ريحها.. وليعلم الناس كيف كان سلفنا الصالح يطبقون الإسلام فعلاً.. وليس فقط قولاً!

وليعلموا كذلك أن المؤرخ اليوم قد لا يكتب عن عالم اشتهر.. اكتفاء بما كتب عنه.. وقد لا يكتب عن واحد من الأحياء.. لأنه قد يغير رأيه إلا الصحابي.. فحياتهم كلها خير.. وكلها دروس يصلح الله بها دنيانا.

وذلك قوله ﷺ:

«أصحابي كالنجوم.. فبأيهم اقتديتم اهتديتم»[٣].

أي صحابي.. وأي عمل يعمله.

ألا إننا محتاجون اليوم إلى الرجوع إلى تاريخنا.. وعلى ضوئه نجدد حياتنا..

إنه لا توجد أمة تملك مثلما نملك من تاريخ عظيم.. يتقاضانا فقهه.. والسير على هداه..

أما مجرد حفظ النصوص.. فلن تغني عن الحق شيئاً.. وهي شاهد يذكرنا بعلة من علل الإنسان وهي رغبته الملحة في كل عمل لا يكلفه جهداً.. ولكن ذلك لن يصل بنا إلى تحقيق آمالنا.. وإنما الأمر على ما قيل:

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا!!

---

(٢) هجيرى: دأب وشأن.

(٣) كشف الخفاء.

دعوة الإسلام إلى التخلي عن الكبر والتحلي بالتواضع

الكبر: هو استعلاء الإنسان على غيره من الناس، والترفع على من دونه، وهو مرض خلقي، ورذيلة من أسوأ الرذائل نهى الإسلام عنها وحذر منها.

قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾

(لقمان: ١٨)

وقال سبحانه:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾

(الإسراء: ٣٧)

والصورة الواضحة في معنى الكبر، تظهر عندما يدفع المتكبر الحق ويرده، فلا يقبله، وحين يزدرى الناس ويحتقرهم، ولا يحترمهم. عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة» قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس[1]. ومعنى بطر الحق: رده وعدم قبوله، ومعنى غمط الناس احتقارهم وعدم احترامهم.

والكبر من صفات الله تعالى، فهو سبحانه:

﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾

(الحشر: ٢٣)

فالعظمة إزاره، والكبرياء رداؤه. قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي»[2].

والكبر يورد صاحبه موارد الهلاك، لأنه يدفعه إلى كل شر ويبعده عن كل خير. عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: التقى عبدالله بن عمرو وعبدالله بن عمر على الصفا فتواقفا، فمضى ابن عمرو، وأقام ابن عمر يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا أبا عبدالرحمن؟ فقال: هذا -يعني عبدالله بن عمرو- زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه»[3].

بقلم الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
عضو اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

ومن الآثار السيئة التي تترتب على هذا المرض الخلقي - الكبر - ما يأتي:

- أولا: إن الله تعالى يعمي قلب المتكبر، فلا يهتدي إلى الحق، ولا يفهم آيات الله تعالى، ولا يتدبر ما فيها، لأن الله تعالى طمس على قلبه عقوبة له على تكبره، وفي هذا إنذار لكل من تسول له نفسه أن يتكبر، وأن العاقبة الوخيمة لكل من يصرف عن آيات الله بسبب تكبره.

قال سبحانه:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

(الأعراف: ١٤٦)

وقال سبحانه:

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾

(غافر: ٣٥)

- ثانيا: إن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، ولا يحظى بكرم الله تعالى إلا من أحبه فالمتكبر بعيد عن الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

(لقمان: ١٨)

- ثالثا: يمتد خطر الكبر حتى يصل صاحبه إلى أن يستكبر عن عبادة ربه سبحانه وتعالى، فتكون نهايته جهنم وبئس القرار.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

(غافر: ٦٠)

(١) رواه مسلم والترمذي.
(٢) رواه مسلم، وأبوداود، وابن ماجة واللفظ له.
(٣) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان.

● رابعاً: من الآثار التي تعود على المتكبر غضب الله سبحانه، وسوء خاتمته حتى يلقى الله وهو عليه غضبان. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان»[4].

● خامساً: إن الله تعالى يعجل للمتكبر العقوبة ويضاعفها له حتى تصل إلى الخسف في الدنيا. عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر في بردته، إذ أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[5].

● سادساً: إن المتكبر يظل في جهل، وإذا علم شيئاً لا يزداد علمه، لأن كبره يمنعه أن يسأل أهل العلم، وأن يحضر مجالس العلم، وأن يستفسر عما يجهله. وهذا على عكس الإنسان المتواضع فإنه لا يرى بأساً من أن يأخذ العلم عن العلماء وعمن هو أكبر منه وعمن هو مثله وعمن هو دونه. كما قال بعض سلفنا: «لا يبلغ الرجل حتى يأخذ العلم عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه».

● سابعاً: ومن آثار الكبر السيئة التي تعود على صاحبه بالويل والثبور، أنه يمنع الإنسان من قبول آراء الآخرين ونصائحهم وتوجيهاتهم، فتراه يتعصب لرأيه، أو للرأي الذي يعتقده ويزعم أن ما عداه من الآراء الأخرى غير صحيح، وأن رأيه هو وحده الصحيح، فيظل جامداً على رأي واحد، وفكر معين، لا يقبل غيره، ولا يقبل نصائح الآخرين.

وفي هذا التعصب ما فيه من الأضرار التي تضيق ما وسع الله، وتمنع الخير عن الإنسان وعمن يحيط به من إخوانه، وبني جنسه. والتعصب هو شر الآثار السيئة التي تأتي نتيجة الكبر والغرور والصلف.

أسباب التكبر

والذي يدفع الإنسان إلى رذيلة التكبر، هو ضعف إيمانه بالله تعالى إذ لو كان قوي الإيمان بالله، ما تكبر، لأنه يكون حينئذ مؤمناً بأن الله وحده هو الكبير المتعالي، وهو العزيز الجبار المتكبر.

فأول أسباب التكبر، هو ضعف الإيمان بالله، وعدم الإيمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، وأن الملك فيها لله الواحد القهار. قال الله تعالى:

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾

(النحل: ٢٢)

ومن أسباب التكبر التفاخر بالأحساب والأنساب، والله تعالى قد جعل ميزان الأفضلية بالتقوى لا بالأحساب ولا بالأنساب.

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وعن أبي بن كعب – رضي الله عنه – أنه قال: إن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ، فقال أحدهما للآخر: أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبي ﷺ: «افتخر رجلان عند موسى – عليه السلام – فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: قل للذي افتخر: بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم»[6].

ومن أسباب التكبر أن يكون الإنسان أكثر عبادة من غيره، وكان عليه أن يدرك أن حسن الخاتمة بيد الله تعالى وحده، ولا يدري أحد من نفسه أيثبت على الطاعة أم لا. ورب معصية أورثت ذلاً وصغاراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً. وقد روى أن رجلاً من بني إسرائيل أتى عابداً فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد: ارفع فوالله لا يغفر الله لك.

فأوحى الله إليه: أيها المتألي علي بل أنت لا يغفر الله لك[7].

ومن أسباب التكبر المال وكثرة العرض. وعلى من بيده مال ألا يتعالى على الناس به، بل عليه أن يتذكر أن الرزق فيصرفه في الوجوه المشروعة. فالمال عرض زائل، وهو فتنة لصاحبه، فيكون سبب هلاكه إن طغى وتكبر بسبب المال، ويكون خيراً له إن تواضع به وأعطى حقوق العباد منه. وعليه ألا ينسى أنه من تراب وإلى تراب.

قال الشاعر:

يا من تظل معجبة به طيش
حقير فعال تيه وعربدة
وكم أخو حسنه قد تباهى
وجرى أمس كيسه فتمرة
يا أخي لا تغرر بوجاهة عين
مثل أن فخمة ولا أنت فرقد
أنت في البردة الموشاة مثلي
في كسائي الرديء تشقى وتسعد
أنت مني كلينا من تراب
وإلى ميت كلينا عسجد
وإلى من كلينا للتلاشي
وإلى ما ليت للخلود مؤكد
لا فتهدي ونلت ثأني رقصي
كدونها وأي شيء سرمد

[4] رواه الحاكم والطبراني في الكبير.

[5] رواه البخاري ومسلم.

[6] رواه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند.

[7] رواه أبوداود.

أنت مستعلٍ من الثرى وإليه

فلماذا يا صاحبي التيه والصلف

وكان على صاحب المال ألا يتعالى على الناس به وألا يتفاخر ويتكاثر، بل يخرج زكاة ماله، وينفق منه. فنعم المال الصالح للرجل الصالح. فحبذا لو جعل منه صدقة جارية تبقى له بعد موته. كما قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

والذي يتكبر بالمال، لا يأمن أن تزول النعمة من يده، أو يهلك ماله، فليس له أن يستعلي على الناس بالمال بل عليه أن يؤدي حق الله وحق العباد.

المنصب والجاه!!

ومن أسباب التكبر: المنصب والسلطان والجاه، فكثير من الناس يتغيرون في معاملاتهم إذ ولوا منصبا، ويأخذهم الصلف والغرور، وينسون رفقاء رحلتهم أيام التعب والخشونة، ولكن شأن كرام المؤمنين ألا تغيرهم المناصب، وألا ينسوا إخوانهم، كما قال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألفهم في الموطن الخشن

وعلى من رأى في نفسه الاستعلاء بسبب المنصب أن يرى نفسه أصلها وأن يتخلى عن مرض الغرور، ويتحلى بالتواضع، فها هو عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يخطب فيقول: أيها الناس لقد رأيتني أرعى الغنم عند خالات لي من بني مخزوم، فأقبض من التمر والزبيب، فأظل بها يومي. فقال له عبدالرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن عبت نفسك؟ فقال له عمر: ويحك يا بن عوف، إني خلوت بنفسي فحدثتني، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها. وها هو عمر بن عبدالعزيز كان مع بعض جلسائه فاحتاج السراج إلى إصلاح فقام ليصلحه، فقالوا له: كلنا يكفيك ذلك؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص مني شيء.

ويمثل هذا التصرف الحكيم يعالج العقلاء نزوات النفوس التي توردهم موارد الضعف والغرور ويعالجون ضعف أنفسهم بحكمة.

أهل العلم بين الأمس واليوم!!

وقد يكون العلم من أسباب التكبر عند بعض الناس، وذلك حين لا يطلبه صاحبه لوجه الله، وحين يباهي به الناس أو يتظاهر بأنه أعلم الناس وأعظم الناس، والله تعالى يقول:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الإسراء ٨٥)

وقد كان الأولى بأهل العلم أن يكونوا أكثر الناس تواضعا، لأنهم أعلم الناس بفضل التواضع، وأدرى الناس بنهاية المغرورين والمتكبرين.

وقد كان أهل العلم من سلفنا أكثر الناس تواضعا، وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ، الذي كان يستوقفه الرجل والعجوز والصغير والكبير في الطريق وفي كل مكان فيقف ويجيب كل سائل دون ملل أو تبرم، وكان لسلفنا الصالح نماذج عالية في هذا المضمار، رأى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ زيد بن ثابت يوما يركب دابته فأخذ بركابه يقود به، فقال زيد: تنح يا بن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا. فقال زيد: أرني يدك، فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد، وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

هكذا نرى تواضع العلماء مع كبارهم، وتوقيرهم لهم وتواضع كبارهم وآل بيت النبي ﷺ، إنها قمة التواضع والخلق الرفيع والأدب العالي العظيم.

---

(1) الحديث رواه مسلم [illegible]

(2) رواه مسلم والبخاري في الأدب [illegible]

تصويب

وقع خطأ مطبعي غير مقصود في عدد شهر المحرم ١٤٢٩ هـ بهامش ص٩٦ في تاريخ وفاة الشاعر أحمد مخيمر - رحمه الله - وصحته: توفي سنة ١٩٤٧م.

المخطوطات العلمية الشارحة في التراث الإسلامي

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة سابقا

مقدمة

الشرح في اللغة: البسط والتوسعة.

شرح الشيء يشرحه شرحا: بسطه ووسعه يقال شرح صدره بالأمر.

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

(سورة الشرح: ١)

والعرب تطلق عظم الصدر وتريد به القوة وعظيم المنة، والمسرة وانبساط النفس ويفخرون بذلك في مدائحهم، من قبيل أن سعة الصدر تعطي الأحشاء فسحة للنمو والراحة، وإذا تم ذلك للمرء كان ذهنه حاضرا لا يضيق ذرعا بأمر. ومعنى الآية الكريمة: إنا شرحنا لك صدرك فأخرجناك من الحيرة التي كنت تضيق بها ذرعا، بما كنت تلاقي من عناد قومك واستكبارهم عن اتباع الحق وكنت تتلمس الطريق لهدايتهم، فهديت إلى الوسيلة التي تنقذهم بها من التهلكة، وتجنبهم الردى الذي كانوا مشرفين عليه. وقصارى ذلك: إنا أذهبنا عن نفسك جميع الهموم حتى لا تقلق ولا تضجر، وجعلناك راضي النفس مطمئن الخاطر، واثقا من تأييد الله ونصره، عالما كل العلم أن الذي أرسلك لا يخذلك ولا يعين عليك عدوا. فلقد شرحنا صدرك بما أودعنا فيه من الهدى والإيمان[1].

ولهذا تضرع موسى إلى ربه أن يشرح صدره ليذهب عنه الغضب، وليؤدي رسالة ربه:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

(سورة طه ٢٥ - ٢٨)

وعموما من يكتب الله له الهداية يتسع صدره لنور الإسلام، ومن يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقا شديد الضيق، كأنه من الضيق كمن يصعد إلى مكان مرتفع بعيد الارتفاع كالسماء فتتصاعد أنفاسه، ولا يستطيع شيئا

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾

(الأنعام: ١٢٥)

وبالنسبة للكلام يقال: شرح الكلام أوضحه وفسره وكشف غامضه وعلق عليه.

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٩٠م
- [illegible]
- [illegible]
- تفسير المراغي، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٤٦م

أهمية المخطوطات الشارحة وأنواعها

جاءت الشروح في التراث العربي الإسلامي لغاية علمية بحثية تستهدف تعميق العلم وتفريعه وتطويره وتعليله وتحليل أصوله، أو لغاية تعليمية تستهدف تبسيطه، وتسهيله وشرح غامضه، أو لنقده وتفنيد الآراء الواردة فيه وهنا ما يثري الشرح ويجعله أحيانا ذا أهمية لا تقل بمكان عن المخطوط أو الكتاب المشروح، وربما يفوقه شهرة وأهمية واهتماما، وأحيانا يكون للشرح شرح أو شروح نتيجة لتوالي الأفكار وتكاثرها، وهناك أيضا شروح المختصرات ومختصرات الشروح.

وتقاس أهمية العمل الشارح بما يكشفه من تطور معرفي ومنهجي، وبمدى استقلال الشرح في بنيته عن بنية النص[2].

ونذكر من أمثلة المخطوطات الشارحة التي حققت هذه الغايات وحظيت بشروح عديدة على فترات متقاربة أو متباعدة: شروح كتاب «المجسطي» في الفلك لبطليموس، الذي ترجم من اليونانية إلى العربية أربع مرات خلال القرنين (الثامن والتاسع م). وقد بلغت الشروح التطويرية قيمتها على يد ابن الهيثم في القرن (العاشر م)، ثم على يد نصير الدين الطوسي في القرن (الثالث عشر م)، وشروح «الأصول» لأوقليدس ولعل أهمها «شرح مصادرات كتاب أوقليدس» للحسن بن الهيثم، وشرح الخازني في «ميزان الحكمة» مخطوطة البيروني المفقودة عن الأوزان النوعية هناك أيضاً المخطوطات المصورة التي تتضمن رسوما وأشكالا توضيحية، إضافة إلى النصوص العلمية والتقنية الشارحة؛ كما في «كتاب الحيل» لأبناء موسى بن شاكر (يوضح بالرسم والشرح الآلات وتركيبها

(٢) أعمال مؤتمر «المخطوطات الشارحة» مكتبة الإسكندرية ٧-٩ مارس ٢٠٠٦م
- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، القاهرة ١٩٨٣م

وعملها) - وكتاب «التصريف» للزهراوي (يوضح بالرسم والشرح الأدوات الجراحية المختلفة)، وكتاب «تقويم الأبدان في تدبير الإنسان» لابن جزلة (يوضح في جداول الأدوات الجراحية وأسبابه وعلاماته وطرق علاجه)، وكتاب «شفاء الأسقام» لعمر الشغاني (يوجد به مجموعة من صور الأعشاب والزهور مع شرح مبسط لكل منها على حدة)، وهناك «شرح قاضي زادة على الملخص في الهيئة البسيطة» للجغميني بالإضافة إلى شروح أخرى لعبد الرحمن السويدي، وفضل الله العبيدي، والشريف الجرجاني، ومحمد بن زادة الطيب، وكمال الدين التركماني . وتجدر الإشارة هنا -على سبيل المثال والتوضيح - إلى أهمية ملخص الجغميني (ت ١٣٤٤م) ككتاب تعليمي يحوي العديد من المباحث المهمة فلكيا وجغرافيا مثل كروية الأرض وحركتها وحركة الكواكب حولها، ولذلك قام العديد من العلماء بشرح هذا الكتاب واعتبروه من المصادر المهمة في علوم الفلك والجغرافيا ومن ثم فقد ذاع وانتشر في مختلف الأقطار الإسلامية، وذلك لدقته وشمول مباحثه، وقال عنه العلامة نيللينو أنه أحد الكتب المهمة في تاريخ علم الفلك العربي، وكانت دراسته شرطا مهما لإجازة طلاب الفلك والجغرافيا . ومن ثم يمكن اعتباره كتابا تعليميا أساسيا في تاريخ العلم الإسلامي وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية سنة ١٨٩٣م[٣].

هل يعد النظم التعليمي نصا شارحا؟

لقد أدى النظم التعليمي دورا مهما في تيسير حفظ العلوم والمعارف بوجه عام، وسهولة نقلها واسترجاعها فضلا عن أنه أسهم في أحيان كثيرة في الحفاظ على المعارف ذاتها ذلك أن صوغ المعارف الإنسانية في قوالب شعرية يجعلها أكثر قابلية للحفظ والاستظهار وأكثر صونا عن الخطأ والزلل والتحريف، حيث تحكمها قواعد محددة وتضبطها موازين دقيقة ولقد أفادت حضارات متقدمة كالحضارة الإغريقية، والحضارة الهندية، إلى جانب الحضارة الإسلامية، من المنظومات التعليمية ولعل التوسع في هذا النظم وهو سمة واكبت إلى حد كبير ركب الحضارة العربية الإسلامية بصفة خاصة- يفسر لنا ظاهرة الإلمام المبكر لعلماء هذه الحضارة بعدد ليس بالقليل من العلوم والمعارف، فإنه بحفظ مجموعة من «المتون» التي عادة ما كانت تشمل منظومات تعليمية، يتسنى للدارس تكوين خلفية موسوعية تؤهله -حتى في سن مبكر- للإدلاء بدلوه في بحر الحضارة العربية الإسلامية الزاخر[٤].

وليس هناك من شك في أن التعبير عن ألوان المعرفة في قوالب شعرية رصينة يستلزم توفر شرطين لازمين: أولهما: الاستيعاب التام للمحتوى العلمي، أو المضمون، وثانيهما: القدرة على أداء المعنى بأسلوب منظوم، جيد البناء، محكم القوافي والأوزان، الأمر الذي يقتضي جمعا بين تمكن في العلم، وتميز في الأدب، ويستدعي تآلفا بين دقة المعنى، وجمال التعبير، والتقيد بضوابط النظم وهذه الخصائص من شأنها أن تساعد أيضا على حفظ النظم وسهولة استرجاعه وتداوله كلما دعت الحاجة مثال ذلك «ألفية ابن مالك» التي تساعد بالتأكيد على تمثل القاعدة النحوية عندما يحتاج إليها.

وإذا ما قبلنا -في ضوء هذا التصور- أن تعد المنظومات التعليمية نصوصاً شارحة أو على الأقل معينة على الشرح فإن علينا أن نولي هذا الجانب من النشاط الفكري المهم في الحضارة الإسلامية اهتماماً خاصاً يتناسب مع الثراء العظيم في المنظومات التعليمية التي وضعها أعلام هذه الحضارة في مختلف فروع المعرفة على اتساع مجالاتها وتعدد مصادرها - المخطوطة والمطبوعة - رغم تقديرنا لصعوبة الحصول عليها من مظانها المختلفة في أنحاء المعمورة.

وفي مجال العلوم العقلية (الرياضية والطبيعية) بدأ النظم منذ القرن الأول للهجرة حيث ألف الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ - ٧٠٤م) كتاب «فردوس الحكمة» وهو ديوان يشتمل على أكثر من ٢٣٠٠ بيت من قوافٍ مختلفة في علم الكيمياء ومصطلحاته وتوجد له مخطوطات منتشرة في مكتبات العالم[٥] وأوله:

الحمد لله العلي الفرد
الواحد القهار رب الحمد

يا طالبا بضاعة الحكماء
عن (ع) منطقاً حقاً بغير خفاء

ومن هذا النوع من المنظومات التي تفوق

---

(٣) إسهامات الحضارة العربية والإسلامية في علوم الفلك من واقع المخطوطات العلمية بمكتبة الأزهر، إشراف وتقديم د.محمد فؤاد شاشا، مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي بالتعاون مع اليونسكو ومكتبة الإسكندرية والأزهر القاهرة ٢٠٠٦م بالعربية والإنجليزية والفرنسية

(٤) د. جلال شوقي، العلوم العقلية في المنظومات العربية دراسة وثائقية ونصوص، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي سلسلة التراث العلمي العربي، الكويت ١٩٩٠م

(٥) يقال إن ديوان خالد بن يزيد في الحكمة يضم ٢٦٠٣ بيتا جمعها محمد الفلكي سنة ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م

عدة أبياتها ألف بيت نذكر على سبيل المثال: أرجوزة في الطب، وتضم ١٣٢٦ بيتًا نظمها الشيخ الرئيس ابن سينا (ت ٤٢٨هـ - ١٠٣٧م)، والأرجوزة في الطب، أو رجز في الطب، وتشتمل على أكثر من ٧٧٠٠ بيت نظمها محمد بن عبدالملك بن الطفيل (ت ٥٨١هـ - ١١٨٥م).

أما المنظومات العربية في مختلف العلوم العقلية فمنها الألفيات وما دونها. وهناك منظومات حظيت بشروح عديدة منها الأرجوزة الياسمينية في علم الجبر والمقابلة، لابن الياسمين (ت ٦٠١هـ - ١٢٠٤م)، ويبلغ عددها ٥٣ بيتًا من بحر الرجز[6]. وهي تعرض بصفة أساسية لشرح أصول علم الجبر، واستخراج جذور معادلات الدرجة الثانية بأنواعها الستة وفيها يقول:

لما بدت لي الجذور مغلقة
نظمت في أجناسها المحققة
أرجوزة تبين ما قد أبهم
وتوضح المشكل من تلك السهم
يا سائلي عن صنعة الجذور
اسمع هديت رشد الأمور
فإنها قد قسمت لستة
لضرب ثم الجمع ثم القسمة
وبعده التصنيف مثلو الطرحا
والسادس التجذير فيها أضحى

هناك أيضًا أرجوزة صور الكواكب، لعبدالرحمن الصوفي (ت ٣٧٦هـ - ٩٨٦م) وهو صاحب كتاب صور الكواكب، لذى نظمت الأرجوزة من واقعه ومحتواه في ٢٤٤ بيتًا. والقصيدة العينية في المنازل والبروج للحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ - ١٠٣٩م) وتقع في ٧٧ بيتًا. ونظم في البروج وما يخصها من النحوس، لعبدالله الخليفي (ت ١٣٨١هـ - ١٩٦١م). وبغية الطلاب في علم الأسطرلاب، للحسن الكلمساني (ت ٨٦٧هـ - ١٤٦٣م). ومنظومة في الفلك، ليحيى الخزرجي الأنصاري (كتب المخطوط حوالي ١١٠٠هـ - ١٦٨٨م) وغير ذلك كثير كثير.

***

(٦) أصل تفعيل بحر الرجز: مستفعلن مستفعلن مستفعلن لكل من المصراعين

تهنئة ودعاء

أصدر السيد الرئيس، محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية القرار رقم ([illegible]) لسنة [illegible] بتعيين فضيلة الشيخ

عبدالفتاح علي محمد علام

وكيلا للأزهر الشريف

اعتبارًا من ١٩-٦-٢٠٠٧م وحتى بلوغه السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة.

وأسرة مجلة الأزهر تتقدم بخالص التهنئة لفضيلة الشيخ عبدالفتاح علي محمد علام وتدعو لفضيلته أن ينفع الله به الأزهر والأمة الإسلامية إنه ربنا نعم المولى ونعم المجيب.

أصدر الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء القرار رقم ١٥٠ لسنة ٢٠٠٨ بتعيين فضيلة الشيخ/

علي عبدالباقي شحاتة شكر

أمينًا عامًا لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

بالدرجة الممتازة حتى بلوغه السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة.

وأسرة مجلة الأزهر تتقدم بخالص التهنئة لفضيلة الشيخ علي عبدالباقي وتدعو لفضيلته أن ينفع الله به الأزهر والأمة الإسلامية

إنه ربنا نعم المولى ونعم المجيب

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ القُرَّاءِ

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــي جمعـــة

مفتي جمهورية مصر العربية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر المقيد برقم ١٩٤٤ لسنة ٢٠٠٧م المتضمن:

زكـــاة المـــال

● السؤال الأول: ورد من السيد [illegible]

[illegible] يحسب الزكاة عن جميع السنوات الماضية؟

●● الجواب: تكون الزكاة على هذه المبالغ بإخراج ربع العشر على المال المودع في الدفتر الذي بلغ نصابا ومر عليه حول قمري وعلى المال الذي يمر عليه حول قمري من الأرباح كذلك. والنصاب هو نصاب الذهب، وقدره خمسة وثمانون جراما من الذهب من عيار واحد وعشرين، على ما هو المعمول به في نصاب الزكاة في النقود الورقية. وعليه فتحسب الزكاة عن كل الأحوال القمرية الماضية.

مـــواريث

● السؤال الثاني: ورد من السيد ع. م. أ

توفي رجل وترك زوجة وبنتا وإخوة وأخوات أشقاء، ولكنه أوصى بثلث ما ترك للفقراء، ولديه خمسة أفدنة وما زالت هذه الأرض عليها أقساط تدفع للدولة. فهل تنفذ الوصية؟ ومن يدفع بقية الأقساط؟

●● الجواب: إذا كانت هذه الوصية ثابتة بما تثبت به الحق قضاء أو لم تكن كذلك غير أن الورثة جميعا مقرون بها فإنه يجب تنفيذها، ويجب إخراجها من التركة قبل توزيعها، لقوله تعالى في معرض الكلام على أنصباء الوارثين:

﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾

(النساء: ١١)

فإذا كانت هذه الأفدنة الخمسة هي كل التركة فإن ثلثها هو الوصية، والثلثان الباقيان هي التركة التي يمتلكها الورثة المذكورون بعد إخراج الوصية بنسبة أنصبتهم: للزوجة ثمنها (سهم من ثمانية)، وللبنت نصفها (أربعة أسهم من ثمانية)، وللإخوة والأخوات الأشقاء الباقي (ثلاثة أسهم) للذكر منهم مثل حظ الأنثيين، فيدفعون ما بقي من أقساطها بهذه النسب ويخرجون ثلثها وصية بعد أن يخصموا من الوصية ثلث الأقساط التي يدفعونها والتي تخص الثلث الموصى به، ثم يتملكونها في النهاية بهذه النسب أيضا.

الهبـــة

● السؤال الثالث: ورد من السيد [illegible]

شخص يريد أن يكتب لزوجته جزءا من أرضه وماله نظرا لأنها ساعدته كثيرا في حياته، وليس لهما ولد، وذلك خوفا عليها من إخوته بعد وفاته. فما الحكم في ذلك؟

●● الجواب: يجوز للإنسان أن يتصرف في ملكه في حال كمال أهليته بالبلوغ والعقل والاختيار وعدم الحجر عليه أو كونه في مرض الموت بشتى أنواع التصرفات المشروعة كما يشاء حسبما يراه محققا للمصلحة. فإذا فعل ذلك ثم مات فإن هذه

التصرفات ـ سواء أكانت هبات أم تنازلات أم بيوعا أم غير ذلك ـ هي عقود شرعية صحيحة نافذة يعمل بها، ولا تدخل الأشياء التي تصرف فيها بهذه العقود ضمن التركة، بل تكون حقا خالصا لمن كتبت له لا يشاركه فيها غيره من ورثة الميت، ولا حق لهم في المطالبة بشيء منها، وقد يخص بعض من يصيرون ورثته بشيء زائد عن غيرهم لمعنى صحيح معتبر شرعا، كمواساة في حاجة أو مرض أو بلاء أو كثرة عيال أو لضمان حظ صغار أو لمكافأة على بر وإحسان أو لمزيد حب أو للمساعدة على تعليم أو زواج أو غير ذلك، ولا يكون بذلك مرتكبا للجور أو الحيف، لوجود علة التفضيل، وبهذا يعلل ما وجد من تفضيل بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم لبعض من ورثتهم على بعض آخر، كما روي ذلك عن أبي بكر وعائشة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما.

وعليه فلا مانع من أن يهب زوجته هذا الشيء للسبب المذكور.

● السؤال الرابع [illegible] ورد من السيد [illegible] يقول: [illegible] ماتت وتركت أولاد [illegible] فهل ترث بنات الأخ في عمتهم؟ وما نصيب كل وارث؟

●● الجواب: [illegible] كان الحال كما ورد بالسؤال فالتركة كلها للذكور فقط من أولاد الأخ الشقيق بالسوية بينهم تعصيبا، لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب، ولا شيء للبنات منهم، لأنهن من ذوي الأرحام المحجوبين في الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات.

والله سبحانه وتعالى أعلى أعلم

***

بين الصحف





إعداد

محمود الفشني

علا عبد الرحمن

وصيـــة الشـــيخ

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد بهجت في جريدة (الأهرام) بعددها الصادر في ٢١/١/ ٢٠٠٨ في زاوية «صندوق الدنيا» متذكرا الفرقاء في فلسطين بوصية الشيخ الذي أراد أن ينبه أولاده إلى أن في تجمعهم قوة وفي تفرقهم الضعف، وساق في بداية مقاله تلك الوصية التي قرأناها جميعا في مطلع دراستنا ثم قال:

ذكر قادة فتح أن إسرائيل تستغل الخلافات القائمة بين الحركتين لصالحها، وقد تحولت غزة على يد إسرائيل إلى سجن كبير لا طعام فيه ولا ماء ولا دواء، إنما أنهار من دماء الفلسطينيين، ووسط هذا الجحيم الذي تمسك إسرائيل بمفاتيحه لا يبقى أمام القضية إلا أن يتحد أطراف الصراع من الجانبين في محاولة أخيرة لإنقاذ الموقف، وقد توقع مسئولون معتدلون في الجانبين الوصول إلى اتفاق في حالة بدء الحوار بين فتح وحماس. ومن غير المتوقع حدوث تقدم فوري في العلاقة بين فتح وحماس، ولكن المؤكد أن التطورات الأخيرة كسرت الجليد بين الطرفين وأعادت ترميم المشاعر والعلاقات الشخصية.. الأمر الذي يمهد لحدوث تقدم في المستقبل. دعونا نأمل أن يكون المستقبل أفضل من الحاضر.

زيارة بوش والبشرى بالأمل لحياة أفضل؟

في (عقيدتي) تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ مجدي سالم في عددها الصادر في ٨/١/ ٢٠٠٨ قبل زيارة بوش قائلاً:

قبل أن يبدأ الرئيس الأمريكي جورج بوش زيارته لمنطقة الشرق الأوسط خرج علينا المتحدث باسم البيت الأبيض

بتصريح يؤكد فيه أن زيارة بوش للمنطقة تحمل الأمل لشعوبها التي تسعى لحياة أفضل! هكذا وبكل بساطة مازالت الإدارة الأمريكية تواصل عمليات الاستخفاف بعقول البشر.. أي أمل يحمله جورج بوش لشعوب المنطقة التي تسعى لحياة أفضل وهو الرجل الذي حمل للبشر - ليس في هذه المنطقة وحدها وإنما في جميع أنحاء العالم - مشاكل توقد نيران الحرب في كل مكان تصل إليه يده وسياساته ولنعد إلى التاريخ القريب.. ومنذ بدأ جورج بوش ولايته الأولى لنقرأ كيف أدت سياسة جورج بوش إلى إشعال الحروب والفتن وإشاعة القتل والترويع والجوع بين البشر دون تفرقة بين لون ولون.. وجنس وجنس.. أي أمل حملته سياسة جورج بوش طوال فترتي ولايته للبشر وقد أصبح العالم اليوم أكثر سخونة وتكاد الأرض تلتهب تحت أقدام من يمشون عليها.. هل أصبح العالم اليوم أكثر أمنا؟.. دعنا من العالم كله.. ولنتساءل.. هل أصبحت أمريكا نفسها اليوم أكثر أمنا من ذي قبل؟؟! الجواب بالتأكيد بالنفي.. امتلأ العالم بالإرهاب والترويع.. وعدنا إلى حافة الهاوية والتهديد بقيام حرب عالمية ثالثة.. وأثمرت سياسة الفوضى الخلاقة التي رفع شعارها رجال اليمين الأمريكي إلى فوضى تعجز أمريكا نفسها عن مواجهتها.. انتشر الجوع واليأس وأصبح الأمر ينذر بخطر كبير على مستقبل البشرية.. فعل جورج بوش كل هذا وسيفعل أكثر فيما بقي له من فترة في حكم أمريكا من أجل أنه يرى نفسه مبعوث العناية الإلهية لتخليص البشر من الإثم.. حتى ولو بالقتل!!!.. ولنتأكد من ذلك.. انظروا لما تفعل سياساته وآثارها في أفغانستان والعراق وفلسطين وأفريقيا.. وحتى في أمريكا نفسها!!!

القول لبروكسل.. والفعل لتل أبيب

وكتب الأستاذ/ محمد الشماع في مجلة (آخر ساعة) بعددها الصادر في ٢٠٠٨/١/٢٣ عن قرار البرلمان الأوروبي بخصوص سجل حقوق الإنسان في مصر قائلاً:

لا يتصور العديد من الدول أصحاب المصالح مع القاهرة أن تتخلى مصر عن الدور الريادي والقيادي لها في تلك المنطقة الحساسة من العالم أو حتى خارجها؟! والذي يتمثل في مشاركات مع العديد من قوات حفظ السلام الدولية من أجل السلام الدولي خارج حدود منطقة الشرق الأوسط، والتي تعدت السبع عشرة مشاركة في مناطق التوتر بالعالم وبينها أوروبا نفسها، وحيث كانت المشاركة المصرية في البوسنة من أنزه المشاركات وأكثرها حيادا بعكس الكثير من المشاركات الأوروبية المحابية لأطراف الصراع من دون الاتحاد اليوغسلافي السابق. ومصر التي تدرك كل هذه الحقائق وتدرك حجمها ودورها في الأمن القومي العربي تتصرف بما يمليه عليها حجمها ودورها ومصالحها ومصالح أمتها ولا تهتز تحت التهديد بتخفيض معونة أو بقرار تحدده أقلية في البرلمان الأوروبي الذي لن يجبرنا قطع العلاقات معه.

ولا شيء بعد بوش سيتغير

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمد أبوالحديد بجريدة (الجمهورية) بعددها الصادر في ١/١٧/ ٢٠٠٨ قائلاً:

جاء بوش.. ذهب بوش. ولا شيء تغير أو سيتغير. إنه يريد أن تواصل أمريكا - بنا نحن العرب - احتلال العراق لعشر سنوات أخرى على الأقل. ويريد أن يحارب بنا نحن العرب إيران بزعم أنها خطر علينا وعلى العالم، ولابد من مواجهته قبل فوات الأوان.

ويريد بنا الضغط على الفلسطينيين لكي يقضي نصفهم على النصف الآخر، فلا يتبقى منهم في النهاية ما يحمل إسرائيل على أن تجلس معهم أو تقيم لهم دولة، بعد أن يصبحوا منزوعي الأسنان والسلاح.

ويريد أن يسترد منا ما دفعته أو تحملته الخزانة الأمريكية من أموال نتيجة الزيادات الرهيبة في أسعار البترول. ويريد منا أن نتبع النمط الأمريكي في الحياة. وفي الديمقراطية. و.... و.... هو يريد أن يحقق لأمريكا.. بنا وبأموالنا استراتيجيتها في المنطقة. وعندما نضع أمامه مطلبنا الوحيد وهو أن تمارس أمريكا الضغط على إسرائيل حتى تجلو عن الأراضي الفلسطينية وتفتح الباب لإقامة نموذج الدولتين وفقا لرؤيته هو، يكون رده النهائي: «لا نستطيع» وفي الحقيقة.. هو.. لا يريد.

الشجب لا يحل مشكلة غزة

في «رأي الأهرام» بعددها الصادر في ١/٢١/ ٢٠٠٨ كتب المحرر عن أحداث غزة وما يجري فيها قائلاً:

الاجتماع الطارئ لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة يجب ألا يكتفي بشجب وإدانة ما ترتكبه إسرائيل في قطاع غزة من قتل للأبرياء ومن تعتقد أنهم كوادر المقاومة، وقطع إمدادات الوقود والكهرباء عن أبناء القطاع، بما فيها المستشفيات؟ فالشجب والإدانة والتصريحات لن تحل مشكلة شعب يموت خنقا بالحصار، وقتلا بالرصاص وقذائف الطائرات.

يجب أن يتخذ مجلس حقوق الإنسان إجراء عمليا ولا يخضع لضغوط الولايات المتحدة أو ابتزاز إسرائيل، وأن يصدر قرارا لا لبس فيه بأن ما يحدث جريمة ضد الإنسانية يعاقب عليها القانون وتستوجب التدخل الدولي، ويجب أن تتوقف تل أبيب عند

فوراء، وإلا تمت إحالة المسألة إلى مجلس الأمن باعتباره الذراع التنفيذية للأمم المتحدة ليتخذ بشأنها قرارا مقترنا بفرض عقوبات مناسبة على إسرائيل حتى تقلع عن جرائمها. صحيح أن حلفاء إسرائيل، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة، سيعوقون على الأرجح عمل مجلس الأمن وسيمنعونه من اتخاذ قرار بفرض عقوبات عليها في ضوء اعتبار وشطط العمليات الإسرائيلية دفاعا عن النفس، لكن على الأقل سيكون قد تم فضح جرائم إسرائيل وتخاذل الولايات المتحدة وغيرها أمام المجتمع الدولي، الأمر الذي يشكل على الأقل ضغوطا معنوية عليهما أمام شعوب العالم وشعوبهما.

الهدف.. الحقيقي!!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ هشام عبدالرءوف في جريدة (المساء) الصادرة في ٢٠/١/ ٢٠٠٨ يقول:

مرت فترة وحتى الآن.. وأنا أحاول فهم الهدف الحقيقي من المؤتمر الذي عقدته منظمة اليونسكو مؤخرا حول المسجد الأقصى في مدينة القدس المحتلة.

ومثل هذا المؤتمر لا ينبغي أن ننتظر منه خيرا. فهو يعقد في المدينة المقدسة التي ترزح تحت الاحتلال الإسرائيلي.. وفي الوقت نفسه فقد امتد النفوذ اليهودي إلى تلك المؤسسة الثقافية والتراثية العالمية.

لكن ما يلفت النظر حقا هو مشاركة مجموعة من الخبراء الأردنيين في هذا المؤتمر أو الاجتماع أو المنتدى.. لا أحد يعرف اسمه بالضبط. وفي هذه المشاركة تقدم الخبراء الأردنيون بتصميم جسر يؤدي إلى باب المغاربة وهو أحد أبواب الحرم القدسي الشريف والذي تقوم إسرائيل بإجراء حفريات حوله وتحته بما يمكن أن يؤدي إلى انهياره. وقال الخبراء الأردنيون: إن هذا التصميم يراعي الطابع الإسلامي والثقافي للمنطقة!! وهذا أمر غريب بل يمثل كارثة.. فالحفريات كما حذرت أكثر من مؤسسة إسلامية في القدس.. ومن واقع ما ورد في الصحافة الإسرائيلية تهدف إلى إقامة جسر يساعد اليهود على الدخول بشكل سريع ومباشر إلى ساحة الحرم الشريف. وبمعنى آخر فإن هذا التصميم يعني ببساطة أن دخولهم سيكون عبر جسر يحمل الطابع الإسلامي!!

وكنا نظن أن هؤلاء «الخبراء» قد حضروا لتوضيح مخاطر المؤامرة الإسرائيلية على هذا المعلم المهم والذي يعتبر من عيون التراث الإنساني الجديرة بالحماية. إنه مؤتمر مشبوه يصب في مصلحة إسرائيل بكل تأكيد وعلينا أن نذكر في النهاية أن المسجد الأقصى هو الملف الرئيسي في الصراع وأن إسرائيل تسعى لهدمه من أجل إقامة الهيكل المزعوم وعليه المتصدي لهذه المؤامرة.. ولا أن يكون حريصا عليه.. ولعلمه.. فقد دس وزير الأمن الداخلي الصهيوني وعدد من ضباط الاحتلال حول المسجد الأقصى أثناء انعقاد هذا المؤتمر..!!

الأمم المتحدة الأمريكية!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ فرحات حسام الدين في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٢/١/ ٢٠٠٨ يقول:

تزامن دفاع جون هولمز مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشئون الإنسانية عن حق إسرائيل في الدفاع عن النفس والرد على التهديدات الأمنية الفلسطينية مع إعلان الإدارة الأمريكية على لسان شون ماكورماك المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، رفضها توجيه أي انتقادات إلى إسرائيل بسبب المجازر التي ارتكبتها -ولا تزال- ترتكبها ضد الشعب الفلسطيني في غزة وإحكام الحصار عليها بضوء أخضر من الرئيس الأمريكي جورج بوش، قبل أن يغادر المنطقة. وقد عمق هذا التزامن والتطابق في وجهة نظر مسئول الأمم المتحدة والإدارة الأمريكية من جديد الإحساس لدى الفلسطينيين والعرب وغيرهم بأن الأمم المتحدة لاتزال وستبقى تابعة للولايات المتحدة وكأنها إحدى إدارات الخارجية الأمريكية؛ حيث بدا ذلك واضحا في تأكيد هولمز وماكورماك وجهة النظر الأمريكية المساندة والمنحازة لإسرائيل على طول الخط.

فواشنطن بعد أن أصبحت القطب الأوحد، تفرض على الأمم المتحدة أن تنفذ توجيهاتها وتنتهي بنواهيها، وإذا لم تفعل المنظمة ذلك فلا تعتمد أمريكا من القرارات الدولية إلا ما يتفق مع سياستها، أي أن الولايات المتحدة تريد أن يحدث تداخل بينها وبين الأمم المتحدة حتى أطلق البعض على المنظمة الدولية في بعض قراراتها «الأمم المتحدة الأمريكية». ولأن الدكتور بطرس غالي الأمين العام الأسبق أصر على إعلان نتائج تحقيق الأمم المتحدة حول مذبحة «قانا» التي أكدت مسئولية جيش الاحتلال عنها ومقتل ١٠٠ مدني لبناني، رفضت واشنطن التجديد له وأصرت على الإطاحة به، وحتى لا يلقى كوفي أنان الأمين العام السابق للمنظمة ورجل أمريكا الذي اختارته على هواها مصير غالي سارع بالامتثال لتعليمات الإدارة الأمريكية وضغوط إسرائيل بحل لجنة التحقيق الدولية في مذبحة «جنين». وسحب موظفي ومفتشي المنظمة من العراق إيذانا ببدء الحرب على بغداد التي أكدت واشنطن خلالها تجاهلها للأمم المتحدة لعدم تمريرها مشروعات القرارات الأمريكية وفقا لمصالحها وسياستها باعتبارها «الأمم المتحدة الأمريكية».



توصيات مؤتمر مكة المكرمة تبرز أهمية:

دور الخطاب الإسلامى فى إشـــاعة مفاهيم العدل والسلام



مؤتمر مكة الثامن والذى عقد بمقر رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة قبيل عيد الأضحى مباشرة وطوال جلساته الخمس والتى شارك فيها كتاب ومفكرون من علماء المسلمين من كل البلاد الإسلامية أبرز من خلال المناقشات أن المقصود بمعالجة «الخطاب الإسلامى»، لا يعنى أن يقوم الناس بتغيير أحكام هذا الدين، أو يتعرضون لأسس الإسلام وأحكامه القطعية، لأن هذه القضايا من عند الله سبحانه وتعالى، والبشر عليهم أن يذعنوا ويستسلموا لأحكامه، وأن يعملوا على تطبيقها فى مختلف قضاياهم، سواء كانت قضايا عامة أو قضايا خاصة.

والبحوث التى نوقشت كان من بينها «الخطاب الإسلامى سماته وأهدافه» للدكتور سعيد بن حارب المهدى، و«المشكلات التى تواجه الخطاب الإسلامى القصور الذاتى» للدكتور عبدالكريم محمد بكار.. والخطاب الإسلامى بين الواقع والمأمول للدكتور عبدالله بن ضيف الله الرحيلى، وبحث للدكتور جعفر عبدالسلام بعنوان «موقف الآخرين من الخطاب الإسلامى - الأسباب والعلاج»، و«جوانب من مشكلات الخطاب الإسلامى» للدكتور محمد الحبيب الهيلة هذه البحوث القيمة والتى تحتاج لمؤتمرات وليس لمؤتمر واحد، تتناول بالفعل المشكلات التى تواجه الخطاب الإسلامى. وتناقش الخطاب الإسلامى بين الرفض والتسليم، و«الخطاب الإسلامى بين الواقع والمأمول» لا تخفى أهميته كما يقول الدكتور عبدالله الرحيلى الأستاذ بجامعة طيبة بالمدينة المنورة فى بداية بحثه. إن هذا الموضوع لا تخفى أهميته على المعنيين بالإصلاح اليوم، والمشتغلين بالعلاقات والتواصل وإن اختلفت الرؤى. إن استقراء ورصد الخطاب الإسلامى. يحتاج إلى جهد كبير. وإلى دراسة مسحية لأدبيات أصحاب هذا الخطاب على اختلاف مناهجهم ومشاربهم وأطروحاتهم. وذلك بعد تقعيد القواعد المنهجية التى ينبغى الأحكام إليها وتطبيقها بهذا الخصوص.

ومن خصائص الخطاب أنه لا تحده حدود لتحصره فى منحى خاص من مناحى الحياة. كما أنه توجد علاقة وثيقة بين الخطاب والسلوك، وبين القول والفعل. وبين البرامج والأهداف.

تناول البحث النشاط الثقافى والفكرى وقضايا العلاقات. وأنماط التواصل مع الآخرين. وما تستلزمه من أعمال وتصرفات وأنشطة.

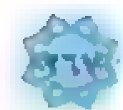
وإذا كان البشر عامة يحتاجون إلى التواصل فيما بينهم. فإن حاجة المسلمين لذلك أولى وأشد. فإنهم أصحاب الرسالة الخاتمة التى أمر الله باستفاضة البلاغ بها.

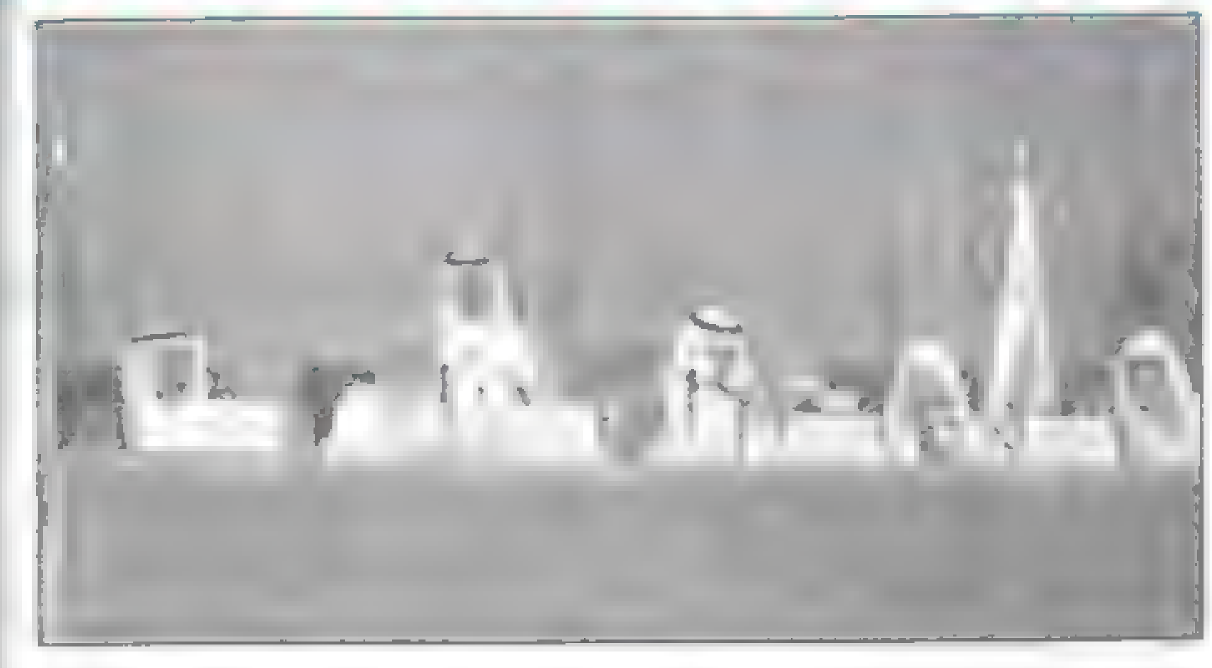
والخطاب بمفهومه الشامل هو أهم وسائل هذه الاستفاضة. ومن هنا كان للمسلمين مسلكهم الخاص فى خطابهم. ذلك الخطاب الذى لا ينحصر فى مخاطبة الآخر غير المسلم، بل يشمل كذلك الخطاب الإسلامى تجاه المسلم.

ويؤكد البحث على كشف النقاب عن واقع الخطاب الإسلامى، ومدى ملاءمته للمطلوب شرعاً. ومدى التزامه بهدى الكتاب والسنة فى هذا الباب ومن هنا تعرض البحث إلى أصناف الخطاب الإسلامى وهى ثلاثة:

أولا: الصنف الذى التزم منهج الغلو فى







التكفير والتبديع والهجر، فخرج بذلك عن دائرة الفقه الإسلامي الصحيح.

ثانياً: هو الذي التزم منهج المعارضة والنقد للخطاب الإسلامي بشتى أنواعه من منطلق الاعتراض على الخطاب الإسلامي، من حيث هو خطاب إسلامي، بغية الإساءة إليه، ولكن بأسلوب غير مباشر قد يؤثر في كثير من المسلمين.

ثالثاً: الصنف الذي التزم منهج الوسطية والاعتدال، وفق دلالات الكتاب والسنة، وجمع بين التأصيل الشرعي والمعاصرة المنضبطة بضوابط الشرع.

وقد ركز البحث على الصنف الأول، لأنه هو الذي له آثاره السلبية على الخطاب الإسلامي، فبين جملة من المنزلقات التي وقع فيها بعض القائمين بالخطاب الإسلامي، وأورد البحث كذلك أمثلة ونماذج من تطبيقات منهج الصنف الأول، وذلك في القديم والحديث مع مناقشة موضوعية لها وتعليقات تهدف إلى بيان الحق والصواب.

ثم خلص البحث إلى إيراد نماذج من معالم الخطاب النبوي، من خلال أحاديث النبي ﷺ، سواء ما تعلق منها بصورة مباشرة بمسئولية الكلمة وأمانتها، أو ما كان فيه مخاطبة للمسلمين وغير المسلمين من الموافقين والمخالفين، أو ما اشتمل على مكاتبات الرسول للمسلمين وغيرهم وذلك بغية التعرف على منهجه في الخطاب واستخراج القواعد والآداب المتعلقة بذلك، كما ينبغي للمسلمين مراعاته بدقة في خطابهم، حتى ينالوا السعادة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

ذلكم هو منهج الحرص على خير الناس جميعاً، ونجاتهم من النار، ودفع الضرر عنهم، وجلب المصلحة لهم، وتكريمهم ورحمته بهم والإحسان إليهم ودفع السوء بالإحسان، مما يقلب العدو إلى صديق حميم.

أشار الدكتور عبدالله الرحيلي إلى عدة نقاط حول نتائج الخطاب النبوي الكريم وآثاره الحسنة في الآخرين ما يلي:

١- بيان مدى الإسلام في الخطاب والعلاقة والتعامل والحوار والتواصل.

٢- تقرير الأسس الشرعية للخطاب الإسلامي.

٣- تشريع منهج الخطاب الإسلامي للأمة.

٤- قوة التأثير الحسن في المخاطبين وفق ذلك المنهج القديم.

٥- تأليف قلوب الناس على الإسلام وعلى الخير.

٦- تخفيف عداوة الخصوم وتحييد شرهم.

٧- التعامل مع الخصوم ومع غير المسلمين بعد نظر تحسب فيه مصلحة الأمة.

٨- تربية المسلمين على منهج الخطاب النبوي. وضرب المثل والقدوة الحسنة.

٩- خلو الروايات من أي أثر سلبي للخطاب النبوي في أي من الناس وهذه بشرى عظيمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

كما أورد البحث جملة من الآداب والقواعد الأساسية المتعلقة بالخطاب الإسلامي منها:

- أنزل الله هذا الدين العظيم لينعم الناس جميعاً بخيره. وكلف الله المسلمين بدعوة غيرهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن قوة في الحجة وجمالاً في الأسلوب.

- مهمة المسلمين العرض لا الفرض، وعدم الإكراه في الدين من الأحكام الأساسية المعلومة من الدين بالضرورة.

- اشتمل الوحي من كتاب وسنة على منهج الخطاب الإسلامي وأسسه وقواعده وآدابه، والواجب الاهتداء بذلك والوقوف على دلالته ومقاصده.

- لكل حال ومقام حكم ومقال. ففقه حال السلم يختلف عن فقه حال الحرب، ولا يجوز الخلط بين الأمرين، أو الخطأ في تطبيق أحكام حال على آخر.

- يجب أن نراعي في منهج الخطاب الإسلامي قاعدة تحقيق المصالح وتكميلها ودرء المفاسد.

- باب الاجتهاد في الدين بضوابطه الشرعية مفتوح. وعلى الخطاب الإسلامي مراعاة ذلك بدقة بالغة.

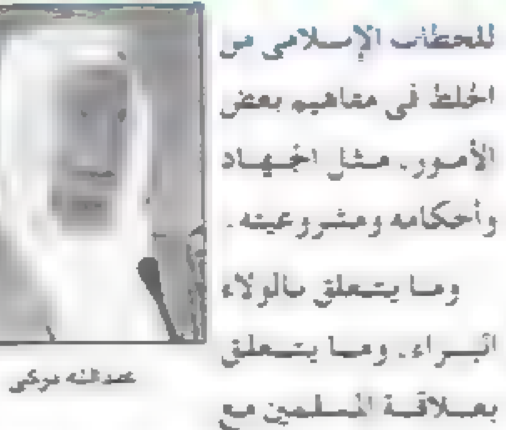
كما تعرض البحث إلى بعض سمات

الخطاب الإسلامي الأصيل من خلال استقراء نصوص الكتاب والسنة، مثل جمعه بين الصدق والحق، وقوة الحجة وبين جمال الأسلوب وسمو العبارة.. والعناية بتصحيح الأخطاء وتقويم السلوك، بدل الوقوف عند إصدار الأحكام على الناس والأمر بالصبر والتقوى والعدل والإحسان، والدعوة إلى لين الجانب وطيب الكلام وحسن العشر.

الخلط في المفاهيم

وعلى هامش المؤتمر والجلسات عقد الأمين العام معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مؤتمراً صحفياً حيث دعا من يتصدون إلى الخطاب الإسلامي إلى عدم الخوض في مجالات ليست من اختصاصهم.. مشيرا إلى المتتبعين للخطاب الإسلامي يرصدون مثل هذه الخطابات التي فيها خروج عن الطريق السوي، ويأخذون منها فكرة أن الإسلام يعادي الآخرين، وأنه لا يريد التعاون مع الأمم الأخرى مشيراً إلى أن كثيراً من الأبحاث والدراسات والتقارير التي تصدر في العالم العربي بالذات عن الإسلام والمسلمين لا تتبع إلا مثل هذه الخطابات التي فيها تطرف وتشدد، أو الآراء التي تميل إلى القسوة، ولا ينظرون- للأسف الشديد- إلى الغالبية من المسلمين الذين يسيرون على الطريق الصحيح.

وحذر الدكتور التركي الذين يتصدون للخطاب الإسلامي من الخلط في مفاهيم بعض الأمور، مثل الجهاد وأحكامه ومشروعيته.



عبدالله تركي

وما يتعلق بالولاء والبراء، وما يتعلق بعلاقة المسلمين مع الآخر، ودار الإسلام ودار الكفر، وقضية الهجرة، وقضية الإقامة في غير بلاد المسلمين، ومشكلات الأقليات الإسلامية. وما يتعلق بالمرأة والأحكام التي تخصها، وحقوق الإنسان.

وأوضح معاليه أنه كلما كان خطاب المسلمين خطابا معتدلا ومتكاملا ومراعيا للمصالح، كلما كان في ذلك خير للإسلام والعالم الآخر، لاسيما وأن هناك فئة واسعة من الناس ترغب في التعاون مع المسلمين.

التعريف بمبادئ الإسلام

البحوث التي ناقشها المشاركون في مؤتمر مكة الثامن استنكرت الخطاب الذي ينشر الدعاية السوداء ضد الإسلام والمسلمين، وينفث سموم التشويه والسباب والتحريف لديهم، ويلصق ظلما واعتسافا تهم الإرهاب والوحشية بهم، ويذكي روح الكراهية والعداء لهم، ويضعهم ودينهم العظيم في قفص الاتهام وأكد المشاركون في المؤتمر على أن هذا الخطاب الذي شذ عن القيم الإنسانية، وتجاهل آداب العلاقات بين الأمم عمل على طمس مبادئ الحق والعدالة والسلام والأمن والمساواة والحرية والكرامة والتعاون وغيرها من المبادئ السامية التي ينشدها الخطاب الإسلامي في مهمته بالتعريف بمبادئ الإسلام، وإشاعته لمفاهيم العدل والسلام والتعاون والتعايش بين البشر.

وأكدوا على أن الخطاب الشاذ الذي تعلو نبرته للنيل من الإسلام وحامل رسالته ﷺ. والافتراء على كتاب الله الكريم، لن يزيد الإسلام ودعوته إلا قوة وصلابة، لأن الدين محفوظ بحفظ الله لكتابه كما يقول تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)

الحوار واجب ديني

وبعد مناقشات مستفيضة في خمس جلسات على مدى يومين ومحاضرات مصاحبة لفعاليات المؤتمر من بينها محاضرة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية بعنوان «المرأة ومكانتها في الإسلام» ومحاضرة أخرى للدكتور عصام البشير الأمين العام للمركز العالمي للوسطية عن «الخطاب الإسلامي، مسارات الحاضر ودروب المستقبل» وقد ألقى الدكتور أحمد بن نافع المورعي رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر في الجلسة الختامية بيان المؤتمر وتوصياته.

حيث أشار إلى أن مؤتمر مكة المكرمة الثامن للعام ١٤٢٨هـ تحت عنوان «الخطاب الإسلامي وإشكالات العصر»، والذي بدأ أعماله في ٦٠/١٢/١٤٢٨هـ الموافق ١٥ ١٢ ٢٠٠٧م، انعقد في ظل أهم سمات الخطاب الإسلامي، وأبرزها ما يلي:

١- الخطاب الإسلامي ذو مرجعية شرعية، يتميز عن غيره من الخطابات بهذه المرجعية التي تحقق له سلامة الهدف ونيل الغاية.

٢- الخطاب الإسلامي خطاب عقدي ينطلق من التعريف بالعقيدة وحمايتها والدفاع عنها، ولذلك لابد أن يكون للعقيدة أثر قوي فيه.

٣- الخطاب الإسلامي خطاب بشري معبر عن فهم المسلمين للنصوص والأحكام الشرعية، ولابد من النظر إليه باعتباره فكرا إنسانيا لابد من مراجعته وتقويمه.

٤- أيضا هو خطاب وسطي معتدل، ينبذ الانفعال والانسياق وراء ردود الأفعال، ويتلاءم مع مهمة أمة الوسط.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

البقرة: ١٤٣



٥- والخطاب الإسلامي أيضاً خطاب حضاري، يبرز حالة الشهود الحضاري للأمة من خلال مشاركتها مع الآخرين في وضع الحضارة القائمة على العدل والحق والخير.

الخطاب الإسلامي وإشاعة روح التفاؤل

وقد توصل المؤتمر إلى ثلاث عشرة توصية من بينها:

١- يؤكد مؤتمر مكة المكرمة على أن الإسلام دعا منذ ظهوره إلى الحوار بين الحضارات، وقد اتخذ النبي ﷺ من العقل والحكمة والمجادلة بالحسنى أساساً ومنهاجاً لحوار مخالفيه، ودعوتهم إلى الإسلام استجابة لقوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾

آل عمران (٦٤).

والحوار واجب ديني تمليه مهمة التعريف بالإسلام والدعوة إليه، ويؤكده وجوب إزالة سوء الفهم والتصورات الخاطئة التي تروج عن الإسلام.

٢- دعوة الجامعات الإسلامية لإبراز منهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في الدعوة إلى الله والحوار مع المخالفين وما يجب لهم من التوقير، بما يتناسب مع منزلتهم ومكانتهم عند الله - عز وجل -، وإبراز جملة من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها.

٣- دعوة الجامعات والعلماء والدعاة إلى العناية بشباب الأمة وتوعيتهم وتربيتهم على المنهج الصحيح، وتحذيرهم من الإقدام على الفتيا من غير أهلية شرعية.

٤- نظراً إلى أن الخطاب الإسلامي يعبر عن الإسلام وهو رسالة عالمية، فإن مما ينبغي العناية به:

- استحضار البعد العالمي في الخطاب القرآني، باعتباره أصلاً يستمد منه الخطاب الإسلامي مادته وأسلوبه.

- تناول أبرز مشكلات الواقع الإنساني في إطاره العالمي مع ملاحظة الفروق بين ما هو مشترك إنساني، وما هو خصوصية حضارية.

- العناية بالمقاصد الشرعية للخطاب الإسلامي التي تؤكد عالمية الإسلام وتبرز قيمه بوصفه منهج حياة، يقدر الاختلاف والتنوع بين البشر.

- مراعاة الخصوصية الثقافية لغير المسلمين عند توجيه الخطاب إليهم.

- إشاعة روح التفاؤل المرتكز على الإيجابيات في الخطاب الإسلامي.

- توظيف وسائل الإعلام واستعمال تقنية وسائل الاتصالات الحديثة للوصول إلى الآخرين وتعريفهم بطبيعة الدين الإسلامي.

وكان من بين التوصيات المهمة للمؤتمر أيضاً وبهدف تفعيل الخطاب الإسلامي في عصرنا التواصل المستمر مع المؤسسات الإسلامية داخل المجتمعات العربية ودعمها، والتواصل مع المنصفين من غير المسلمين، من مؤسسات والعلماء، وإقامة مؤتمرات والندوات الإسلامية الدولية، ودعوة المختصين من غير المسلمين لحضورها والمشاركة فيها.

كما تضمنت التوصيات دعوة رابطة العالم الإسلامي لإنشاء قناة فضائية باللغات الحية لكي توضح للرأي العام حقائق الإسلام وحضارته، والتركيز على إبراز معالم الحضارة الإسلامية، فضلاً عن المطالبة بتضامن العالم الإسلامي، في مواجهة الغزو الذي يستهدف هويته وثقافته واقتصاده باسم «العلمانية» و«العولمة» و«النظام العالمي الجديد».

والخطاب الإسلامي هو القناة التي تنفذ من خلالها الدعوة إلى الإسلام والتعريف به ونشر تعاليمه بين الناس.

والأمل أن يكون هذا الخطاب رشداً يرتقي بالمستوى الفكري والسلوكي العام للأمة وينقيها من بذور التطرف والغلو.

طرائف.. ومواقف

قال رسول الله ﷺ «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»(١)

وقال عون بن عبدالله: إذا عصتك نفسك فيما كرهت، فلا تطعها فيما أحببت، ولا يغرنك ثناء من جهل أمرك.

وقال الأحنف بن قيس: من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم.

وقال بعض الحكماء: من رضي عن نفسه أسخط الناس عليه

وقال آخر: من قوي على نفسه تناهى في القوة، ومن صبر عن شهوته بالغ في المروءة.

مرض معاوية بن أبي سفيان مرضًا شديدًا، فأرجف مصقلة بن هبيرة، وساعده قوم على ذلك، ثم تماثل وهم في إرجافهم.

فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه أنه يرجف به ويسلط أقوامًا على أن يحذو حذوه، وذلك ليرى رأيه فيه. فلما دخل مصقلة على معاوية قال له ادن مني. فلما دنا منه أخذ بيده فجذبه فسقط مصقلة على الأرض. فقال معاوية:

أبقى الحوادث من حلمي
لك مثل جندلة المراجم
صلبًا إذا خار الرجا
ل أبل ممتنع الشكائم
قد رامني الأعداء قب
لك فامتنعت من المظالم

فقال له مصقلة: يا أمير المؤمنين قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك حلمًا وكلأً ومرعى لأوليائك، وسمًا ناقعًا لأعدائك. كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين، وأصبح الناس مسلمين، وأنت أمير المؤمنين.

ثم نهض مصقلة، فوصله معاوية (أي أعطاه صلة)؛ وأذن له في الانصراف إلى الكوفة. فقيل له كيف تركت معاوية؟ فقال: زعمتم أنه لما به، والله لقد غمزني غمزة كاد يحطمني وجذبني جذبة كاد يكسر عضوًا مني.

قال حكيم: إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو شكرًا للقدرة عليه.

قيمة كل امرئ ما يحسنه. وقال الحسن محمد بن لنكك البصري:

عدينا في زماننا
عن حديث المكارم
من كفى الناس شره
في فهو في جود حاتم

وقال أبو الطيب المتنبي:

إنا لفي زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس إحسان وإجمال

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: رحم الله عبدًا سمع فوعى، ودعي إلى الرشاد فدنا، وأخذ بحجزة هاد فنجا، وراقب ربه، وخاف ذنبه، وقدم خالصًا وعمل صالحًا، واكتسب مذخورًا، واجتنب محذورًا، ورمى غرضًا، وأحرز عوضًا، وكابر هواه، وكذب مناه، وحذر أجلًا، وأدب عملًا؛ وجعل الصبر رغبة حياته، والتقى عدة وفاته، يظهر دون ما يكتم، ويكتفي بأقل مما يعلم، لزم الطريقة الغراء، والحجة البيضاء، واغتنم المهل، وبادر الأجل، وتزود من العمل!

قال أبو مسهر: أتيت أبا جعفر محمد بن عبدالله بن عبد كان فحجبني فكتبت إليه:

إني أتيتك للتسليم أمس فلم
تأذن عليك لي الأستار والحجب
وقد علمت بأني لم أرد ولا
والله ما رد إلا العلم والأدب

قال فأجابني ابن عبد كان بقوله:

لو كنت كافيت بالحسنى لقلت كما
قال ابن أوس وفيما قاله أدب
ليس الحجاب بمقص عنك بأملي
إن السماء ترجى حين تحتجب

ووقف بباب محمد بن منصور رجل من حاشته فحجب عنه فكتب إليه

على أي باب أطلب الإذن بعد ما
حجبت على باب الذي أنا حاجبه

ووقف أبو العتاهية الشاعر المشهور إلى باب بعض الهاشميين، فطلب الإذن، فقيل له تكون لك عودة فقال:

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/٤٠٦

لئن عـدت بعـد اليـوم إني لظالم

سأصرف وجهي حيث تبغى المكارم

متى يظفر الغادى إليك بحاجة

وشنت محجوب وشنت نائم

قيل لعنترة: صف لنا الحرب. فقال: أولها شكوى. وأوسطها نجوى. وآخرها بلوى

وقال ابن عبدربه مؤلف العقد الفريد: هي رحى ثقالها الصبر، وقطبها المكر، ومداوها الاجتهاد، وزمامها الحذر. ولكل شيء من هذه ثمرة. فثمرة المكر الظفر. وثمرة الصبر التأييد، وثمرة الاجتهاد التوفيق، وثمرة الحذر السلامة، ولكل مقام مقال، ولكل زمان رجال، والحرب بين الناس سجال، والرأى فيها أبلغ من القتال.

وسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفارس المغوار عمرو بن معد يكرب أن يصف له الحرب. فقال: مرة المذاق. إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن نكل عنها تلف. ثم أنشد

الحرب أول ما تكون فتية

تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا حميت وشب ضرامها

عادت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء جزت رأسها وتنكرت

مكروهة للشم والتقبيل

- قال علي بن أبي طالب: قرنت الهيبة بالخيبة. والحياء بالحرمان. والحكمة ضالة المؤمن
- قال الحسن البصري: من استتر عن الطلب بالحياء لبس للجهل سرباله.
- قال الخليل بن أحمد: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة.
- وكان ذوو الحجى من حكماء الأمة يقولون: إذا جلست إلى عالم فسل تفقها، ولا تسل تعنتا

أحسن ما قيل في التهيب قول الشاعر:

سأصبر من لو عسر يرد ندمه

على كنت شعبى ندمه

ومن هابني في كل شيء وهبته

فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

وقال آخر

أما شيء يدقني دين ودنيا

ومن هو في اللباب من اللباب

أعابك أن أبوح بذات نفسي

وتركي للعتاب من العتاب

اللهم أعطني من الحلم أجمعه، ومن العلم أنفعه ومن الرزق أوسعه. واجعلني من عبادك الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

ذكريات إسلامية لتنمية الذاكرة

٢

الأستاذ / محمد مصطفى البسيوني

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف

إن تعلق ارتباط الأعمال بالنية (أي بالإرادة) هو مناط الثواب والعقاب، وقد أخذ بهذه القاعدة الإسلامية الكثير من القوانين الحديثة والمعاصرة في العالم حيث يرتبط فيها الجزاء بمدى دور الإرادة في تنفيذ الفعل أكثر من نتيجته ويسمون النية هنا (سبق الإصرار)

أما إذا أرجعنا كل سيئة نرتكبها إلى الشيطان اللعين فما هي إذن مسئوليتنا نحن؟ ثم ألا يدل هذا على ضعف الإيمان حيث إن الإرادة والإيمان متلازمان قوة وضعفا؟ ومن هنا يقول النبي ﷺ: (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف)[1]

وهكذا لا نلتمس الأعذار لأهل الشك بحجة أنهم وقعوا ضحايا إبليس الرجيم. لأن الله -عز وجل- قد من علينا في مقابل الضعف أمام المغريات بعقل يعقل شهواتنا ويكبح سلوكياتنا، ولذلك يقول رسول الله ﷺ: (إياك وكل أمر يعتذر منه)[2] أي أن المرء ينبغي قبل أن يقدم على عمل ما أن يقلب وجوه الأمر. ويقلب المسألة حتى لا يأتي بخطأ يضطر بعده إلى الاعتذار منه فيذم نفسه ويذمه الناس. وحتى يقدم على العمل وقد بحث كل ما يرتبط به من مخاطر ومعايير متوكلا على الحي الذى لا يموت واثقا من إيمانه به -عز وجل- فإذا قدم الإنسان رحله قبل الخطو موضعها قدمه وشكر أن إذا أراد الحق سبحانه - غير ما يريد العبد. رضى وصبر. لأن الله يعلم وأنتم لا تعلمون، ولأنه سبحانه القائل:

• ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ •

(النساء ١٩)

أن تعمد ارتكاب الوزر بكامل الإرادة وتمام الرغبة فإن الجزاء هنا من جنس العمل.

---

(١) رواه مسلم كنوز الحقائق للإمام المناوي

(٢) الضياء عن أنس (الجامع الصغير)

وكان ابن سلول هذا من بني عوف بن الخزرج وكان كبير المنافقين وإليه كانوا يجتمعون وهو الذي قال:

﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾

(المنافقون ٨)

وذلك في غزوة بني المصطلق، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها، كما كان هو ورهطه يراسلون يهود بني النضير سرا حين حاصرهم رسول الله ﷺ محرضين إياهم على الثبات قائلين لهم:

فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم فأنزل الله تعالى فيهم:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

(الحشر ١١)

ثم تواصل الآيات تكذيب هؤلاء المنافقين وكشفهم أمام أنفسهم وأمام الناس إلى قوله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الحشر ١٦)

ولقد جاء في السيرة[3] بعد ما قدم رسول الله ﷺ المدينة وكان عبدالله بن أبي بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له في نفسه وفي قومه. وكان فيهم شريفا إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به، وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس. حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت. فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرا[4] أن قمت أشدد أمره. فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: ما لك ويلك؟! قال: قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجبذونني ويعنفونني لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره، قال: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ. قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.[5]

عصابة النفاق

ولم يكن عبدالله بن أبي بن سلول وحده هو المنافق الوحيد الذي واجه الحنيفية السمحاء بالغدر الخفي والحقد المستور ولكنه كان علما شائنا على عصابة شوهاء ممن هم على شاكلته وممن ظنوا أنهم يخادعون النبي ﷺ وأصحابه بينما هم لا يخدعون إلا أنفسهم وهم سادرون في غيهم لا يشعرون ولا يفقهون.

ومن هؤلاء (نبتل بن الحارث) وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ (من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث)، وكان نبتل هذا يأتي رسول الله ﷺ

(٣) ابن هشام عن ابن إسحاق

(٢) [illegible] (المصدر السابق)

(٤) البجر: الشر، أو الأمر العظيم (المحرر)

(٥) سيرة ابن هشام

يتحدث إليه ويسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: إنما محمد أذن من حدثه شيئا صدقه فأنزل الله - عز وجل - فيه:

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(التوبة ٦١)

وكان منهم كذلك ممن بنى (مسجد الضرار)[6] أبو حبيبة بن الأزعر وعباد بن حنيف، ووديعة بن ثابت الذي قال (إنما كنا نخوض ونلعب) فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾

(التوبة ٦٥)

كما كان من هؤلاء الأشرار أيضا أوس بن قيظي الذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخندق: إن بيوتنا عورة[7] فأذن لنا فلنرجع فأنزل الله - تبارك وتعالى فيه:

﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾

(الأحزاب ١٣)

كما كان منهم الجد بن قيس، وهو الذي نقل عنهم قوله الآثم: يا محمد ائذن لي ولا تفتني فأنزل الله - تعالى - فيه:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾

(التوبة ٤٩)

ولله در علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عندما قرظ رجل منافق من معصيه في الثناء عليه فقال له علي: (أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك).

وكذلك المنافقون لا يسكتهم إلا الإفحام ولا يطفئهم إلا الصمت عن المناحرة بالكلام.

ابن سبأ

ولم يقتصر اعتناق النفاق على الجاهليين فحسب بل شارك في هذه العدوى قوم من أهل الكتاب ولاسيما من اليهود الذين قرأوا كتبهم القديمة وعلموا منها البشرى بالنبي العربي الذي سيشرق نجمه في مكة. وكانوا لا يفتأون يتوعدون أمام سكان الجزيرة العربية بأنهم على علم بتباشير هذه النبوة الخاتمة. وعلامات هذا النبي:

﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾

(الأعراف ١٥٧)

(٦) مسجد الضرار هو مبنى [illegible] جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء [illegible] جماعة منهم إلى الرسول ﷺ طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون فنزل عليه [illegible] جماعة من أصحابه [illegible] فهدموه [illegible]

(٧) عورة أي معورة للعدو وسائبة

وقد بدأ تاريخهم الأسود في مواجهة الإسلام بحقد ولؤم أمام هذا الدين الذي يدعو إلى السلم والأمن والطمأنينة فلم يحاربوه بالسلاح ولكن حاربوه بالنفاق والمراوغة والمداراة فدخل من أحبارهم في الإسلام متظاهرون الذين كانوا يبطنون الردة ويحقدون الحقد البغيض وكان كثير منهم من يهود بني قينقاع مثل: سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، ونعمان بن أبي أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى. وتحدثنا كتب السيرة أن ابن اللصيت هذا هو الذي قاتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بسوق بني قينقاع وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ: (يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته)!! فقال رسول الله ﷺ عندما جاءه الخبر بما قال عدو الله وقد دل الله - تبارك وتعالى - رسوله ﷺ على ناقته: (إن قائلا قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته. وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها) فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ وكما وصف.

ومن هؤلاء اليهود الذين تظاهروا بالإسلام نفاقا (رافع بن حريملة) وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ حين مات: (قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين).

وكان كبير هؤلاء المارقين ذلك الأثيم الذي كان يسمى أحيانا بعبدالله بن سبأ، الذي تظاهر بالإسلام في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ثم غلا وأظهر الطعن على أبي بكر، وعمر، - وعثمان رضي الله عنهم. وتزعم بزعمه أن عليا - كرم الله وجهه - قد أمره بذلك. فأرسل له فجيء به وجرى له أن يقر فلم على يديه الزعيم الفاجر فأمر بقتله، وعندما شفع له الغير صيره علي إلى المدائن ولقد كان من سعي هذا الدعي المكذب أن ادعى النبوة، وعما كشف أن عليا - رضي الله عنه - هو المعبود بالله من ذلك فبلغ ذلك عليا فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: (نعم أنت هو وقد ألقي في روعي أنك أنت الله وأني نبي). فقال له علي - كرم الله وجهه -: ويلك. قد سخر منك الشيطان فارجع عما تكلمت عنك وتب، فأبى. فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار[1].

وتسمى جماعة المارق عبدالله بن سبأ أحيانا (بالسبئية) لأنهم كانوا يسودون الشيعة[2] كما سمى أصحابه الأشرار فرقة تنتسب إليه وتسمى (السبئية) وكانوا يقولون - وهو يهودي - قبل أن يتظاهر بالإسلام (يوشع بن نون[3] وصي موسى) مثل ما قال في علي بأنه وصي محمد ﷺ. فهو خاتم الأوصياء كما أن محمدا هو خاتم الأنبياء ﷺ كما كان ابن سبأ أول من أظهر المقالة التي زعموا أن عليا حي لم يقتل[2].

ويذهب البعض إلى أنه قد أحكم كيده بإحكام فحشد في الأمصار جماعات سرية تستتر بمكيدة وتتداعى فيما بينها إلى الفتنة حتى تم الخروج على الخليفة عثمان ذي النورين - رضي الله عنه - وحصاره وقتله.

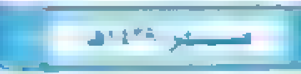
وإنه لمن شأن هذا المخادع بإبليس - لعنه الله - عندما شرع مع كفار مكة في (دار الندوة) في التدبير

(1) موسوعة الفرق الإسلامية - بيروت.

[illegible]

[illegible]

[illegible]



لقتل النبي ﷺ في ليلة الهجرة، حيث جعل إبليس بصفه [illegible] كي يهم حتى أعجب برأي خليفة الآدمي أبي جهل لعن الله سعيه.

كذلك ابن السوداء حين اجتماع أتباعه من أهل الشقاق والفرقة عندما أحسوا بقرب التوصل إلى اتفاق على الصلح بين المختلفين حول قتل عثمان. إذ كان الرأي الذي أعجب به ذلك الشقي هو أن يحزموا أمرهم ويكتموا سرهم حتى إذا التقى الجمعان أنشبوا القتال من غير أمر من علي - كرم الله وجهه - وهكذا يوقظون الفتنة التي لعن الله من أيقظها. ويشعلون الحرب. ويحولون بين الفريقين وبين ما كانا يريدان من صلح ووئام، وهكذا حق على ابن السوداء أن يلقب بإبليس الجماعة، شأن إبليس القوم في دار الندوة.

وبعد. فإن الحديث عن سيرة أئمة النفاق وشذاذ الآفاق وشرار الفكر والأخلاق التي واكبت مسيرة الصراط المستقيم والحق القويم هو حديث - وإن كان يصيب المرء بالغثيان - فإنه يريح النفس بكشف ستور الزور والبهتان. كما أنه حديث لا ينتهي لأن أحداثه لا تنتهي طالما يوجد إبليس حي لا يموت وشيطان مريد له رهبنة من الجن والإنس يرون لذتهم في رفع شعار أستاذهم الرجيم:

﴿ لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾

(الأعراف ١٦)

حتى لقد صدق على حالهم الكريمة قول الحق عز وجل: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾

(الواقعة: ٨٢)

وحسبك ما تراه اليوم ليلا ونهارا وسرا وجهارا من أساليب المواجهة الشرسة للإسلام بالسلاح، وأساليب مقللة السماحة (بالكاريكاتير).

وما هذه كله إلا نتائج حديثة لمقدمات قديمة، والخطر كل الخطر من أن تكون بعض بدايات قائمة لمقدمات قادمة. وقد قضت سنة المولى - جل وعلا - أن يستمر ذلك حتى يميز الخبيث من الطيب وحتى يكتشف الفاصل الحد بين الحق والباطل وعندئذ يحل قضاؤه - سبحانه وتعالى - عندما يقول:

﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ ﴾ (الأنبياء ١٨)

ولكن هم المخلصين العاملين وهم يعمرون الأرض التي استخلفهم الحق فيها، هو معايشة القانون الإلهي السرمدي:

(الطارق ١٥-١٧)

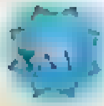
وإن هذه ليست مجرد ذكريات إنما هي عظات حية أمام أعيننا عالقة ورائحة تهب مما في ماضيه العالقة بالبارحة.

وقد قصدنا بذكرها أن تصحو ذاكرة المسلمين الذين ربما يكون (الشيطان) قد أنساهم إياها فيما يزعمه من (زحمة الحياة) واللهاث وراء متطلبات العيش وغير ذلك من علل لا تربطها بالمطولات علاقة حقيقية أو صلة واضحة.

وهنا يحق لنا أن نلهج بإلحاح قبل ألسنتنا:

﴿ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

(هود ١١٤)



أحقاد يهودية قديمة متجددة

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي

كنا فى زمن الإعلام المقروء والمسموع نتابع الفواجع والمآسى التى تحدث لنا فى فلسطين ـ وغيرها فى الوطن الإسلامى ـ ونكاد نموت كمدا!!! والآن وبعد البث المباشر للتليفزيون وتعدد القنوات أصبحنا نعيش المآسى والفواجع فى الوطن كله الذى يتمزق أشلاء.

لكن يبدو أننا فقدنا الأحساس بالألم!! وكأن منظر الدماء والأشلاء لا يثير فينا نخوة النجدة وحمية الفداء وكأننا فقدنا روابط المودة حتى تقطعت أواصر الأخوة التى قال عنها رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1] هل فقدنا الإيمان فلم يعد ثمة ودٌ يغذى التراحم؟ أم نزعت الرحمة فتقطعت أواصر الأخوة فلم يعد سيل الدم المُراق يحرك مشاعرنا؟

ما الذى دهاك يا أمة الإسلام؟ ولماذا لم تعد لك هيبة ولا اعتبار فى قلوب الأمم؟. أحْسَبُ أننا نعيش ذلك الزمن الذى أخبر عنه المصطفى ﷺ حيث قال: «ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: حُبّ الدنيا و كراهية الموت»[2].

● قال صاحبى منفعلاً: مالك ملأت قلوبنا حسرة وحلوقنا مرارة!! وتركت عنوان مقالك وتسرَّب منك ما بدا أنه من مقالك السابق عن أحداث مهمة ومهمات عظيمة وقعت بعد الهجرة وهو مسلك طيب ـ حيث إنك تركت السرد المتكرر لما جرى فى رحلة الهجرة!! أظن أننا تعرفه

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة

(٢) سنن أبى داود، كتاب الملاحم

لكن شيوخك وخلانك ـ خطباء المناسبات ـ مولعون به!!!

●● قلت لصاحبى ـ وأنا أكظم غيظا قهرنى ـ الحمد لله أن جعل لكم قلوبا تتحسر وحلوقا تحس بالمرارة!!

ثم واصلت حديثى قائلاً: هذه الأحقاد وتلك المآسى التى نشاهدها صباح مساء، ليست وليدة اليوم، ولكنها قديمة، قديمة منذ فجر الدعوة الإسلامية، أخذت تتقلب فى الأزمان، وتأخذ أشكالاً عديدة.

قد تعقد أحلاف، وربما تُنقض معاهدات، وهدفها واحد هو الكيد للإسلام والقضاء عليه، وذلك ما ظهر من اليهود منذ الهجرة النبوية واستمر حتى اليوم، وأخذ أشكالاً وأبعاداً متعددة أخطبوطية نمت وتشعبت رأسيا وأفقيا.

● قال صاحبى فى لهفة متعجلة: احك لى عن كل ذلك أو بعضه ـ إن استطعت ـ فأنا أحب أن أسمع من حكايات هؤلاء القوم.

●● قلت: الأمر أخطر من حكايات، إنها مؤامرات وصراع، وأحقاد وحسد، نحن فى حاجة إلى يقظة وانتباه ووعى، لأن حقد اليهود ومكرهم فاق كل خيالاتنا اللاهية المسترخية، وذكاءهم ودأبهم وحيلهم التى لا تنتهى فاقت كل طموحاتنا المترهلة العاجزة إن الاستمرارية والدأب واللدد والابتزاز للموالين، الطامعين ـ أيضا ـ ليس له نهاية!!

ثم قلت لصاحبى: تعال معى، إلى التاريخ لترى كيف يتعامل هؤلاء معنا. لن أذهب بك إلى تاريخ موغل إلى «هرتزل» ومؤتمر «بال» فى سويسرا!!!

● قال صاحبى فيما يشبه الملل: حدثنى عن اليهود بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة المنورة..

●● قلت: سوف أروى لك ما يثبت مكر هؤلاء القوم وخداعهم وتزويرهم. ثم واصلت حديثى قائلا: روى البيهقى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: «وُصِفَ محمداً ﷺ فى التوراة: أكحل العينين ربْعة، جعْد الشعر، حسن الوجه.. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ـ ورآه اليهود على هذه الصفة من الحسن والجمال ـ حسده أحبار اليهود، فغيروا صفته فى كتابهم. وقالوا: نجد نعته عندنا النبى الأمى طويل أزرق سبط الشعر.. تأمل التزوير والتحريف فى كتابتهم التوراة بأيديهم حسدا للنبى ﷺ ـ وقالوا للسفلة ـ يعنى العامة من الشعب ـ ليس هذا نعت النبى الذى يُحرِّم كذا وكذا فألبسوا بذلك على الناس، يعنى أصدقوا الشك عند الناس بما قالوا وغيروا ـ إنما فعلوا ذلك ـ يعنى الأحبار غيروا وزوروا لماذا؟ لأن الأحبار كانت لهم مأكلة يطعمهم إياها السفلة ـ أى العامة ـ لقيامهم على التوراة، فخافوا أن يؤمن السفلة

فتنقطع عنهم تلك المأكلة، تأمل خافوا أن يدخل عامة الناس في الإسلام فتنقطع عنهم الرواتب فزوروا في التوراة.. هل هناك أتعس أحقد من ذلك من أجل الرواتب يزورون ويبدلون في الكتب المنزلة، لقد حرفوا كتبهم بأيديهم.

ويروى ابن إسحق والبيهقي وأبو نعيم عن أم المؤمنين صفية بنت حييّ بن أخطب - رضي الله عنها - أنها قالت: لم يكن من ولد أبي وعمي أبوياسر أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ - المدينة - غدا إليه أبي وعمي - ذهبا إليه ليتعرفا عليه وهما من أكابر يهود خيبر - مُغَلِّسين - يعني وقت الغلس - بعد طلوع الفجر، وقبل طلوع الشمس - فو الله ما جاءانا إلا مع غروب الشمس، فجاءانا بأمر - النبي ﷺ - جاءا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما نظرا إليّ، واحد منهما - يعني لم يرحب بي واحد منهما كما كانا يفعلان - وذلك لأنهما مهمومين لما أصابهما وما شاهدا. وتحققا من وصف رسول الله ﷺ كما جاء في التوراة - فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم.. قال: أعرفته بصفته ونعته؟. قال: نعم.. قال: فما في نفسك منه؟. قال: عداوته والله ما بقيت!!!

هذه نصوص واضحة جلية تبين بجلاء ووضوح حقد اليهود على المسلمين وكراهيتهم للهدى الذي جاء به رسول الله ﷺ، وكراهيتهم لكل خير، وأن الحقد والكراهية طبع أصيل فيهم، كما أن التلون والتحول من النقيض إلى النقيض جبلة فيهم، فهم يراوغون كما يتنفسون، ويكذبون كما يشربون، طبيعة خبيثة، وخداع فطري وتمرد غير مألوف في بني آدم، لكنه عند هؤلاء القوم عادي وطبيعي ومألوف لأنهم جبلوا على الخداع والمراوغة وهم في استعداد دائم لتدمير العالم من أجل مصالحهم ومطامعهم.

● قال صاحبي: لماذا ناصبوا النبي ﷺ العداء مع أنهم أهل التوراة، وقد بشرت بالنبي ﷺ وذكرت أوصافه وأن أحبارهم وجدوا أوصافه كما ذكرت التوراة.. أليس هذا غريباً؟

●● قلت لصاحبي - وأنا مغتبط لمتابعته واهتمامه -: ليس هذا وحده هو الغريب والعجيب، إنما الغريب والعجيب أنهم آمنوا به قبل بعثته وأنهم كانوا إذا قامت بينهم وبين المشركين - الأوس والخزرج - حرب يتوسلون إلى الله - تعالى - بالنبي ﷺ أن ينصرهم على أعدائهم من المشركين ويقولون: اللهم إنا نستنصر بحق محمد النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم».

● قال صاحبي - متسائلاً: إذاً ماذا كفروا بالنبي ﷺ بعد هذا كله، فهو جاء في كتبهم ويعرفونه ووجدوه كما وصفته التوراة؟ عجيب أمر هؤلاء، لماذا كفروا؟. ثم واصل في وعي متألق عجيب - أرأيت أنهم لم يكفروا بنبي الإسلام، ورسالته فقط أنهم كفروا بكتابهم التوراة؟

●● قلت على الفور - في لهفة وفرح مقاطعا صاحبي وأنا أريد أن أستخرج ما في وعيه المتألق - كيف تقول إنهم كفروا بكتابهم مع أنهم يهود وكتابهم التوراة؟.

● قال - في ثقة محببة وفصاحة ووضوح ومنطق -: ألم تقل إن التوراة بشرت بالنبي ﷺ؟ وأن نعته وصفته وردا في التوراة، وأنهم عرفوا صفته كما جاءت في التوراة؟. وأنهم كانوا يستنصرون الله - سبحانه وتعالى - به على الذين كفروا، أليس كذلك؟.

●● قلت في لهفة وأنا أترقب إجابة التألق من صاحبي: بلى..

● قال صاحبي: إذاً هم كفروا بالتوراة ولم يستجيبوا لما جاءت به. ثم واصل كلامه في تأكيد ومنطق: لقد ورد ذكر الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، فما هو القول فيما لم يصدق بالنبوة.. أليس كافراً؟..

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

لأنه أنكر شيئاً لزم من الدين بالضرورة وهم كافرون بالتوراة لأنهم أنكروا ما جاء بها، بل وبدلوه وزوروه، وأثبتوا ما لم يكن فيه»

● قلت: رعاك الله يا صاحبي، هل تعتقد أن يهود اليوم أصحاب ديانة؟. ثم أجبت: بالقطع لا، إنهم أصحاب أحقاد ومصالح وحسد. لا دين لهم لأنهم كفروا بما جاء في كتابهم. يقول الله - تعالى -:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة: ٨٩)

ويقول الله - سبحانه وتعالى - أيضا عنهم

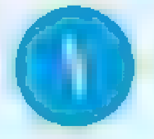
﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾

(التوبة: ٣٤)

●● قلت لصاحبي: أعتقد أن في ذلك كفاية

قراءة في كتاب





هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات عن اليهودية: التاريخ والعقيدة والأخلاق.

يكشف فيه المؤلف مراعم اليهود الرامية للتوسع كما يكشف عن حبهم الشديد لسفك الدماء.. مستشهداً بنصوص من كتابهم المقدس، ومؤيداً أقواله بأقوال العلماء ما وسعه إلى ذلك سبيلاً، فتراه يستشهد بأقوال علماء غربيين بالإضافة إلى استشهاده بأقوال علماء من اليهود أنفسهم.

ويقع الكتاب في اثنين وتسعين ومائة صفحة من القطع (٢٣ x ١٦,٥) صدر عن دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة وقد قسمه المؤلف إلى تسعة فصول تناول الفصل الأول دراسة عن الاسم والتاريخ وأن أول من سكن أرض فلسطين هم الفلسطينيون وأن إدعاء الإسرائيليين بأحقيتهم في تملك هذه البلاد مغالطة كبرى.

وقد قدم المؤلف شهادة توماس كيرناك التي سجلها في ص٢٥٣ من كتابه (العرب) حيث قال: «الصهيونيون أوربيون تماماً وليس هناك أي رابطة بيولوجية أو انثروبولوجية بين يهود أوربا والقبائل العبرية القديمة، أي: ليس هناك أي قرابة عضوية أو قرابة دم بين الصهيونيين من أهل أوربا -المدعين كذباً بأنهم شعب الله المختار الموعود بالأرض وبين قدماء العبريين».

يدلل المؤلف على ما يتمتع به اليهود من حب لسفك الدماء فيقول:

ولكن موسى وهارون -عليهما السلام- ماتا في التيه في سيناء، وترك موسى تلميذه (يشوع، ١٢٦٧ - ١١٥٧ قبل الميلاد) في قيادة اليهود. وبحسب روايات التوراة فإن مع بداية قيادة يشوع لليهود يبدأ عصر المذابح الدموية التي ارتكبها اليهود، لأن الرب -بزعمهم- حدد له مملكة اليهود التي يجب عليهم الاستيلاء عليها.

وكانت أول المذابح التي قام بها (يشوع) مذبحة أريحا حيث خربها (يشوع) وأحرقها ودمرها تدميراً وذبح كل من فيها سوى الزانية راحاب.. كما جاء في سفر يشوع: «فتكون المدينة وكل ما فيها محرماً للرب (راحاب) الزانية فقط وكل من معها في البيت؛ لأنها قد خبأت الجاسوسين. وحرقوا (أبيدوا) كل من في المدينة بالنار مع كل ما فيها وحلف يشوع في ذلك الوقت: ملعون قدام الرب الذي يقوم ويبني هذه المدينة» (يشوع: ١، ١١) وعلى هذا المثال الوارد في التوراة تتبع الدولة الصهيونية الآن قرية تبرير ما تفعله من مذابح بقريبة دينية، أي أنها تقتل الأبرياء بموجب أمر الرب.

ومع أن سفر يشوع مختلق تماماً، لأن يشوع فتى موسى لا يفعل كل هذا الدمار بلا مبرر، والذي يؤكد أن سفر يشوع من إفراز خيالهم المريض ما نقله رجاء جارودي عن عالم اللاهوت الأب ديفو الذي أكد أن أريحا لم يكن لها وجود على الإطلاق في عهد يشوع.

خلق اليهود

ويوضح المؤلف في هذا الفصل ما تعلق اليهود به من صفات دلت على سفالتهم وفي مقدمة هذه الصفات الصفة اليهودية بأسبابها

وأورد المؤلف عدداً من هذه الصفات التي رمى بها اليهود أنبياءهم زوراً وبهتاناً فقال ص٥١

«تزعم التوراة أن يعقوب فر من وجه أخيه (عيسو) إلى مساكن خاله (لابان) لا رمى بين زوجتيه (ليئة وراحيل) ثم فر من خاله بعد أن سرق أغنامه وأمواله وأصنامه بحيلة غريبة وهي أن يعرض على الأغنام وهي حوامل عيداناً مخططة فولدت أغناماً مخططة فسرقها.

ويقول ص ٦٠ من هذا الفصل: وبلغ بهم الأمر أن انتشرت عبادة الأوثان والزنا واللواط، بل وصل الأمر إلى أن معابدهم كان يخصص فيها عدد من العاهرات المتبرعات بالزنا من أجل المعبد والكهنة والشعب.

التوراة وأسفار اليهود

وقد خصص المؤلف هذا الفصل لعرض آراء العلماء في التوراة فجعل الجزء الأول منه لآراء علماء اليهود والنصارى وجزء ثاني لآراء علماء المسلمين ثم اختتمه بذكر في الفرق عن التوراة.

ومن الآراء التي عرضها المؤلف في هذا الصدد

١- رأي الأب ديفو حيث قال ص٦٨:

«ومن كثير الدراسات العربية موضوعية

دراسة الأب ديفو. وقد بدأ شكه في صحة التوراة فقد رأى أنها كتاب غير كتاب موسى عليه السلام؛ لما ورد فيها من تحديد يوم موت موسى ودفنه وغير ذلك فكيف فعل موسى ذلك؟ أفعله بعد موته؟ إنه من المستحيل أن يكتب موسى – عليه السلام– بنفسه كيف مات ودفن».

٢– ومن هذه الآراء –أيضاً– رأى موريس بركاى حيث يقول: إن التوراة حقيقية. وأنها في الأصل كتاب سماوى أنزل على موسى –عليه السلام– لكن لضياع النسخة الأصلية، ولأن اليهود ظلوا يكتبون فيه ويضيفون ويبدلون على مدى يربو على ألف عام اعتماداً على تراث كان يتنقل بين العبرانيين مشافهة مع تحويرهم له وتحريفهم فيه بسبب أحداثهم التاريخية وبسبب ما انطوت عليه نفوسهم من عدم الاستقرار وحب التقلب انتهى إلى هذه الصورة التي هو عليها.

٣– أما إدموند جاكوب فيقرر «أن التوراة اختلط بها الكثير من الأقوال والأمثال الشعبية والأغاني الفلكلورية، وأن تناقل هذه الأقوال كان يتم إما عن طريق الأسرة وإما عن طريق المعابد في شكل روايات لتاريخ شعب الله المختار».

ويرى جارودى أن كتابة التوراة خضعت لأهداف سياسية ولاهوتية أدت إلى إيجاده بهذه الصورة فاختلطت فيه أهداف الإنسان بإرادة الرب».

وخلاصة القول: إن ما تضمنته التوراة ليس من تاريخ اليهود وحدهم، ولكنه يحوى قسمات من تاريخ أمم كثيرة وحوادث متفرقة وشرائع متباينة لأمم مختلفة».

أما آراء العلماء المسلمين، فقد أورد المؤلف عدداً منها (بدءاً من ص ٧١) نذكر هنا قول الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ حيث يقول: «إن التوراة التي بيد اليهود الآن هي التوراة التي كتبها (عزرا الوراق) بعد فتنتهم مع (بوخذ نصر) وقتله جموعهم وطوائفهم.. وجعله أموالهم غنيمة لسراياه وعساكره، وإتلافه ما بأيديهم من الكتب لعدم انقياده لأحكام شريعتهم».

وذكر المؤلف آراء أخرى لابن القيم والشيخ رحمة الله خليل الرحمن الهندى تدور جميعها في نفس الفلك.

وكلام علماء المسلمين عن التوراة جاء في ضوء ما أورده القرآن الكريم، فالقرآن يعترف بالتوراة كتاباً سماوياً منزلاً من عند الله –تعالى– بدين التوحيد على موسى ولكنهم ضيعوه بأيديهم بين التحريف والكتمان والإخفاء من ذلك قول الحق تبارك وتعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

(المائدة: ١٥، ١٦)

وفي هذا الفصل يتناول المؤلف اللغات التي كتبت بها التوراة.. فيقول ص ٧٩

«ليس أمام الدارسين سند يبين ما هي اللغة

التي نزلت بها التوراة، بل عد بعض الدارسين أن عدم وجود السند لكتب العهد القديم يقدح في كونها صحيحة مبرأة من التحريف والتبديل».

أهم فرق اليهود واعتقاداتهم

يذهب المؤلف إلى أن اليهود تفرقوا إلى إحدى وسبعين فرقة أهمها:

١– الفريسيون: وهم الربانيون الأشعثية القائلون بأقوال الأحبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود وأكثرهم عدداً في تاريخهم القديم والحديث.

وقد بالغوا في تفضيل أنفسهم حتى على الملائكة فقالوا ص ٩٧: يوجد لدى اليهود صلاة عديمة المثال يصلونها باللغة الكلدانية. والملائكة يجهلون هذه اللغة حتى لا يحسدون اليهود على صلاتهم، واليهودى هو الإنسان فقط، وباقي الناس حيوانات في صورة إنسان هم: حمير وكلاب وخنازير ويزعمون أن اليهودى معتبر عند الله أرقى من الملائكة.

٢– الصدوقيون: وهذه الفرقة تعتقد أن العزير ابن الله. وهم ينكرون وجود الملائكة والشياطين والجن، ولا يؤمنون بالقضاء والقدر ويرون أن اللذة هدف منشود لذاته.

٣– السامرية: نسبة إلى السامرة وهي منطقة في نابلس غرب الأردن.

وهم أثبتوا نبوة موسى –عليه السلام– وهارون ويشوع بن نون وأنكروا من بعدهم من الأنبياء إلا نبياً واحداً وقالوا: إن التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى، ولكن لم يتفقوا عليه.

٤– العنانية: القراؤون

من فرق اليهود التي ظهرت بالعراق في زمن أبي جعفر المنصور العباسي، وتنسب إلى عنان بن داود، ولهذا يسمون بالعنانية، أما تسميتهم بالقرائين فمعناها المتمسكون بالكتاب.

ويزعمون أن الإنجيل ليس كتاباً أنزل على عيسى وحياً من الله –تعالى– بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله. وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين.

يرون أن التلمود ما هو إلا موسوعة من الأكاذيب؛ ولهذا سماهم التلمود (ميتم) أي الزنادقة الكفرة وفي المقابل فهم يتبرأون من قول الأحبار (التلمود) ويكذبونهم.

٥– العيسوية: هم أصحاب أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني.

وكان أبو عيسى هذا قد زعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر.

حرم في كتابه الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذى روح على الإطلاق.

خالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة.

أعياد اليهود وأيامهم الدينية

السبت:

وهو العيد الأسبوعي عندهم ويبدأ من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت

لا يشعلون فيه شيئاً ولا يؤدون عملاً حتى لو اشتد المرض بأحدهم لا يستدعي الطبيب يوم السبت.

ومن يخرج على هذه الشريعة (يوم السبت) يقتل، ولا توجد عقوبة في توراتهم أقل من ذلك؛ لأن يوم السبت يوم مقدس، وكل عمل دنيوي في شريعتهم يدنسه ومن دنسه يقتل قتلاً.

هذا ظاهر شريعتهم في (السبت)، ولكن الحقيقة أنهم يحتالون فيه، ويحاربون ويعتدون لأن حاخاماتهم أباحوا لهم ذلك. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك.

عيد الغفران (يوم كيبور)

وهو اليوم العاشر من الشهر السابع العبري، وفي هذا اليوم يؤدون صلوات الصوم ويعترفون بخطاياهم.

ولأن في هذا اليوم سيحمل عنهم (تيس الخطايا) كل خطاياهم؛ لهذا يبادرون إلى ارتكاب جميع الموبقات قبل أن يأتي الكاهن ويقدم الذبائح طالباً من الله الغفران.

عيد المظال

وهو عيد زراعي، يحتفلون فيه بالعنب وتخزين المحاصيل الزراعية. ويسمى بعيد المظال لأنهم يظلون في مخيمات (مظال) من سعف النخيل لمدة أسبوع تذكاراً لرحلة التيه التي استمرت أربعين سنة كانوا لا يجدون فيه ما يحميهم من الشمس إلا هذه المظال من سعف النخيل وأغصان الزيتون.

عيد الأبواق

ويقع في غرة شهر إيثانيم (أكتوبر) أول السنة اليهودية فهو عندهم عيد بدء الشهور، وعيد رأس السنة اليهودية. وعيد ميلاد العالم، وفيه يهتفون بالأبواق بكثرة في الشوارع إلا أن يكون يوم سبت فيكتفون بعمل الأبواق في المعابد فقط. ويحرم العمل فيه وتقدم فيه الذبائح وتحرق المحارق للرب. كما يفعلون في كل أعيادهم.

عيد الفصح (عيد الفطير)

وهو أشهر أعيادهم وأهمها على الإطلاق يحتفلون فيه بخروجهم من مصر، أي: بنجاتهم من فرعون، لأن الخروج يعني ميلاد أمة اليهود والفصح من كلمة عبرية معناها العبور.

ويسمونه عيد الفطير؛ لأنهم يأكلون فيه فطيراً لم يختمر بدل الخبز في أثناء احتفالاتهم به ويستمر سبعة أيام

وعلى كل أسرة في هذا العيد أن تذبح خروفاً وتمس عتبة الباب العليا والقائمين بدم الخروف تنفيذاً لما جاء في سفر الخروج.

واليهود يمزجون ويعجنون الفطير بدم آدمي غير يهودي إذا تيسر لهم ذلك. مثلما حدث في فبراير ١٨٤٠ حيث خطف اليهود (توما - الكبوجي) من أصل إيطالي - وخادمه (إبراهيم عمارة) وعجنوا فطير عيد الفصح بدمهما. وكان الذى أشار بذلك على يهود دمشق الحاخام (أنتنابي) كبير حاخامات يهود الشام.

يتبع

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

قضية فلسطين.. إلى أين؟!

في سنة ١٩١٧م صدر عن الحكومة البريطانية الوعد المشهور بـ«وعد بلفور» وزير خارجيتها والذى نص على النظر بعين العطف لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.. ذلك الوعد الذى صدر ممن لا يملك لصالح من لا يستحق!!

ومضت سنوات كانت العصابات الصهيونية فيها قد سعت لتحويل الوعد إلى واقع على أرض فلسطين العربية وتفجر الصراع بين عرب دخلاء يمتلكون المال والسلاح وبين أبناء الأرض الحقيقيين المجردين من السلاح

أجل.. كان الصراع غير متكافئ، ففلسطين كانت بلا جيش وبلا حكومة، وإنما كانت تحت الإدارة البريطانية وبشكل كامل. الفلسطينيون كانوا بلا سلاح، في حين عمد البريطانيون إلى تسليح العصابات الصهيونية وتدريبها على أعمال الإرهاب والسطو على الأراضي العربية.. فأصيب الفلسطينيون بالفزع من هول ما يواجهون.. القوم كانوا يعيشون في أمن وسلام إلى أن وجدوا أنفسهم في مواجهة خطط الشيطان متربصين.. ثم صدرت قرارات الأمم المتحدة لتعترف بالوجود الشيطاني الصهيوني على جزء من أرض فلسطين. وشيئاً فشيئاً اتسعت المساحة لتستولي العصابات الصهيونية على كل فلسطين.. ويصبح أبناء الأرض الأصلاء مشردين ولاجئين على أرضهم، وعلى أراضي غيرهم.. ومضت السنون.. واختار الفلسطينيون المقاومة المسلحة لاسترداد أرضهم المسلوبة.. فلم يستطيعوا!! ثم وضعوا السلاح ووافقوا على السلام.. فتم اعتقالهم داخل أراض منزوعة السلاح.. فالرشاشات التقليدية وصواريخ القسام البائسة والتي لم يكن لها على الإطلاق أي تأثير مادي ملموس على الأهداف الإسرائيلية لا يمكن أن تكون سلاحاً ذا بال.. إنها أسلحة أشبه بالألعاب النارية التي يلهو بها الأطفال في الأعياد والمناسبات ولا يمكن مقارنتها على الإطلاق بالترسانة العسكرية الإسرائيلية من طائرات، وبوارج، وصواريخ وقنابل موجهة بالليزر.. فضلاً عن السلاح النووي

وترددت وعود.. ووعود تعتني بشعب.. مجرد الحرف.. فتعلقت عدة مبادرات.. حربية.. طريق الأمريكية.. وهي في مجملها مجرد وعود بإقامة وطن قومي للشعب الفلسطيني على جزء ضئيل من الأرض الفلسطينية!!

وتصور البعض أن المسألة في طريقها للانفراج.. وأنه كما حصل اليهود قديما على وعد بلفور وأنشأوا لهم وطنا بمقتضاه على أرض فلسطين.. فإن الفلسطينيين سيحصلون على الأمر نفسه على "الطريقة الأمريكية".. ولكن هيهات!! لأن الوضع مختلف.. العصابات الصهيونية قديما اتفقت كلمتها وتوحدت صفوفها وتكلمت لغة واحدة عنوانها: «الموت للعرب» وحصلوا على دعم عسكري غير محدود من أوروبا بزعامة بريطانيا.. وهي أمور لم تتوفر للشعب الفلسطيني الذي سقط أبناؤه ضحية صراع طائش على سلطة ليس لها على أرض الواقع وجود وكان اقتتال فلسطيني / فلسطيني أهوج وطائش كان من نتيجته أن أصبح أبناء شعب فلسطين البسطاء في حالة يأس كامل.. فالموت يهم محيط من كل جانب ليس بالرصاص والقنابل فقط.. حيث ظهر لهم عدو جديد هو الجوع والفقر والمرض.

وسط كل هذا تفتق ذهن الصهاينة عن مشروع جديد.. مشروع ظاهره صالح الفلسطينيين.. وباطنه الاستيلاء على كل أرض فلسطين.. مشروع غزة الكبرى وهي دولة فلسطينية تقام على غزة، ورفح الفلسطينية، ورفح المصرية، وألف كيلو متر من أرض سيناء المصرية.. وتكون رفح الموحدة عاصمة لهذه الدولة المقترحة التي تخرج الشعب الفلسطيني كله من الأراضي الفلسطينية باستثناء غزة ورفح الفلسطينية، بمعنى أن إسرائيل ستستولي في المقابل على الضفة الغربية بالكامل بما فيها القدس!!

ولوضع الفكرة الخبيثة موضع التنفيذ بدأ مخطط تجويع الشعب الفلسطيني وفرض حصار صارم من جهة الأراضي الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية، وقطع كل مقومات الحياة عن الشعب الفلسطيني في غزة ورفح.. بحيث يصبحون بلا ماء وبلا طعام، وبلا دواء وبلا كهرباء، وبلا كساء، وبلا وقود.. فلم يجد الفلسطينيون أمامهم - وقد انشغل قادتهم في صراع هزلي على سلطة لا وجود لها - سوى مخرج واحد لم يصوب سلاحه تجاههم.. إنها سيناء.. إنها مصر التي لم ولن تبخل يوما بكل غال ونفيس تجاه أشقائها في أراضي فلسطين المحتلة.

ولكن.. هل يرضى أبناء فلسطين الشرفاء - بعدما قدموا من تضحيات جسيمة في نضال شرس لاسترداد الأرض السليبة والحقوق الضائعة - أن يستبدلوا أرضهم بأرض جارتهم التي احتضنتهم ودعمتهم وقدمت زهرة شبابها دفاعا عنهم؟

هل يرضى الفلسطينيون اليوم بالتنازل عن حلمهم في الحياة على أرضهم وعاصمتها القدس ويستبدلونها بغزة الكبرى وعاصمتها رفح؟!!

هل يرضى الفلسطينيون بتحقيق حلم إسرائيل بإخلاء أرض فلسطين بالكامل من سكانها العرب لتصبح دولة يهودية خالصة مع ما يترتب عليه ذلك من ضياع القدس للأبد؟!!

يبدو أن هناك من يحاول دفع الإخوة الفلسطينيين إلى أن يرضوا بذلك، بل ويطالبوا بذلك، وأعني بهم أولئك الذين عمدوا إلى الاشتباك مع قوات الأمن المصرية دون أسباب مفهومة، خاصة بعد أن وافق الرئيس محمد حسني مبارك على دخول الإخوة الفلسطينيين إلى مصر لشراء احتياجاتهم من الغذاء والدواء وإلا فما هي مبررات العدوان على قوات الأمن المصرية في رفح خاصة وأنها تحلت بأقصى درجات ضبط النفس، فلم تنطلق رصاصة مصرية واحدة تجاه الأشقاء أثناء عبورهم الجارف للحدود؟!

ليس هذا فقط.. بل سقط تجار رفح المصرية والعريش البسطاء ضحية الغدر عندما اكتشفوا أن الإخوة الفلسطينيين سددوا ثمن ما اشتروه من طعام وكساء ودواء بدولارات مزيفة، ليجد هؤلاء أنفسهم في مواجهة كارثة حقيقية وهي أنهم أصبحوا أو كادوا مفلسين ولا أحد يعلم من أين حصل الفلسطينيون على هذه الدولارات المزيفة، ولكن المؤكد أنها لا يمكن أن تدخل الأراضي الفلسطينية إلا بعلم السلطات الإسرائيلية.

ترى هل ينخدع الفلسطينيون بالمخططات الإسرائيلية أم تراهم يفيقون فيبحثوا أولا عن ذاتهم التي ضاعت أو على الأقل كادت أن تضيع بفعل فئة حمقاء تصر على أن تقودهم تجاه الهاوية؟!!

أحمد تقي الدين

المحمول!!

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ محمد عباس محمد عرابي، قال:

أصبح العالم الآن قرية كونية صغيرة. فأنت تستطيع أن تحادث قريبا لك أو صديقا في أي مكان في العالم عبر الإنترنت أو عبر الهواتف المحمولة والثابتة. ورغم أن وسائل الاتصال اخترعت من أجل سعادة الإنسان وقضاء حاجاته وراحته إلا أن إساءة استخدامها أصبحت تشكل ظاهرة في أغلب المجتمعات. ولكن هذه الظاهرة (أعني سوء استخدام الهاتف) تتراوح بين المد والجزر في مجتمع ما، وفقا لقواعد الضبط الرسمي وغير الرسمي المتعلقة به، ووفقا للقواعد وأسس التنشئة الاجتماعية المعمول بها، وإضافة لذلك ووفقا لوعي المجتمع بما يجب أن يكون عليه أبناؤه ومتطلبات المجتمع التنموية من أفراده.

فأسباب انتشار هذه الظاهرة:

● شيوع امتلاك شريحة عريضة من المراهقات والمراهقين لهذه الوسيلة دون أدنى حاجة إلى استخدامها سوى لاعتبارات التقليد والمظهرية وغياب الوعي الاجتماعي والتربوي لدى بعض الآباء والأمهات فيما يتعلق بغرس السلوك الصحيح لدى الأبناء في ظل ثقافتنا الإسلامية وأيضا رغبة بعض المراهقين والمراهقات في تقليد ثقافات مغايرة لثقافتنا ولا تتمشى معها مثل الرغبة في مصادقة الجنس الآخر. مما يؤدي في نهاية المطاف إلى الانحراف. وانتشار بعض السلوكيات المنحرفة لدى شريحة من المجتمع دون رادع أو ضابط يزجر مثل هذه السلوكيات ويمنع انتشارها الوبائي المتزايد وكذلك ضعف الرقابة المدرسية وسماح بعض المؤسسات التعليمية بأن يحمل الطلاب هواتفهم المحمولة معهم داخل المدرسة والفصول الدراسية مع غياب التوعية التربوية الصحيحة التي توضح للطلاب والطالبات المقاصد الرئيسية من وسائل الاتصال.

● انتشار وسائل اللهو والترفيه الرخيصة عبر بعض وسائل الإعلام الفضائي وما تبثه هذه الوسائل من أفلام ومسلسلات تشكل نموذجا رديئا للمحاكاة لدى المراهقين والمراهقات. يضاف إلى ذلك جماعات رفاق السوء وتأثيرها المباشر على سلوكيات الكثير من أفراد المجتمع من الشباب نظرا لما تمثله هذه الجماعات من سلوكيات منحرفة.

● وللتقليل من خطورة هذه الظاهرة نقترح:

١- ضرورة تكاتف فئات المجتمع معا في التوعية بخطورة مثل هذه الظاهرة وشيوع انتشارها واستخدام وسائل الإعلام المختلفة، مسموعة ومرئية، ومقروءة. في توعية أفراد المجتمع بترشيد استخدام وسائل الاتصال وخصوصا على الأغراض المحددة لها فقط.

٢- مخاطبة البنين والبنات بأسلوب تربوي يتمشى مع مراحلهم العمرية وذلك لغرس الثقافة الصحيحة في نفوسهم، وجعلهم يتمثلون المجتمع في ذواتهم فيصبح كل سلوك صادر منهم لخدمة ذلك المجتمع. والحفاظ عليه. وعلى نقائه واستمراره قويا سليما

٣- ضرورة وضع ضوابط مجتمعية رادعة لمن لا يقبل بضرورة التعايش مع المجتمع في ظل ثقافته. ومن ثم ردع هؤلاء الذين يستخدمون الهواتف المحمولة في المعاكسة كما يجب على الوالدين أن يوجهوا أبناءهم إلى الطريق الصحيح. وينبغي على الأم بصفة خاصة أن تغرس في بناتها سلوك العفة. ومقاومة المحاولات السخيفة التي تعمل على وضع الفتاة في مواقف لا تليق

بها وتوعية الأبناء والبنات بضرورة ترشيد الهواتف النقالة إلا في مقاصدها الصحيحة ولا يسرفا في منح [illegible] من هم في سن المراهقة، وأن يكون الأبوان نموذجاً للاقتداء داخل الأسرة. كما يجب على الفتاة ألا تضع نفسها موضع الشبهات وأن تقطع الطريق على كل من يحاول أن يستميلها للانحراف وألا تعطى أرقام هواتفها لخطيبها وغيرها وإلا لمن تثق فيهن من زميلاتها، وإن تلقت معاكسات على الهاتف عليها أن تبلغ الأسرة و[illegible] الأجهزة الرقابية [illegible] وأن يكون [illegible] قوية في الحفاظ على نفسها وردع كل من يحاول أن يضعها في موضع الشبهات

تمنيـــت!!

ومن الأستاذ عاصم سيد المحامي كانت تلك الكلمة:

تمنيت أن أكون [illegible] تكريم. [illegible] مع [illegible] وبكى تتمنع فيه أحياناً ولم يهبني الله الصوت العذب الجميل وبالتالي لم أكن كذلك.

تمنيت أن أكون مبتهلاً تشدو معي الريح والطير كسيدنا داود – عليه السلام – ولكن لم أمتع [illegible] من قوة الصوت وحسن الأداء وغيره ولكن – كما يقال – ليس كل ما يتمناه المرء يدركه [illegible] لم أكن كذلك.

تمنيت أن أكون داعياً إلى الله في جميع دول العالم ابتغاء مرضاة الله في نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة [illegible] قلوب العاصين [illegible] ولكن لم يمهد لي [illegible] لم أكن كذلك.

تمنيت أن أكون بحاراً أشق البحار والمحيطات والأنهار [illegible] غواصاً في الأعماق، أرى كل الكنوز التي لم يرها أحد.. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، ولم أكن كذلك.

تمنيت أن أكون طياراً أحلق في الهواء طليقاً، [illegible] كل جديد، ولكن.. لم يحالفني الحظ ولم أكن كذلك.

تمنيت أن أكون مهندساً معمارياً أشيد المباني قوية [illegible] ولم أكن كذلك.

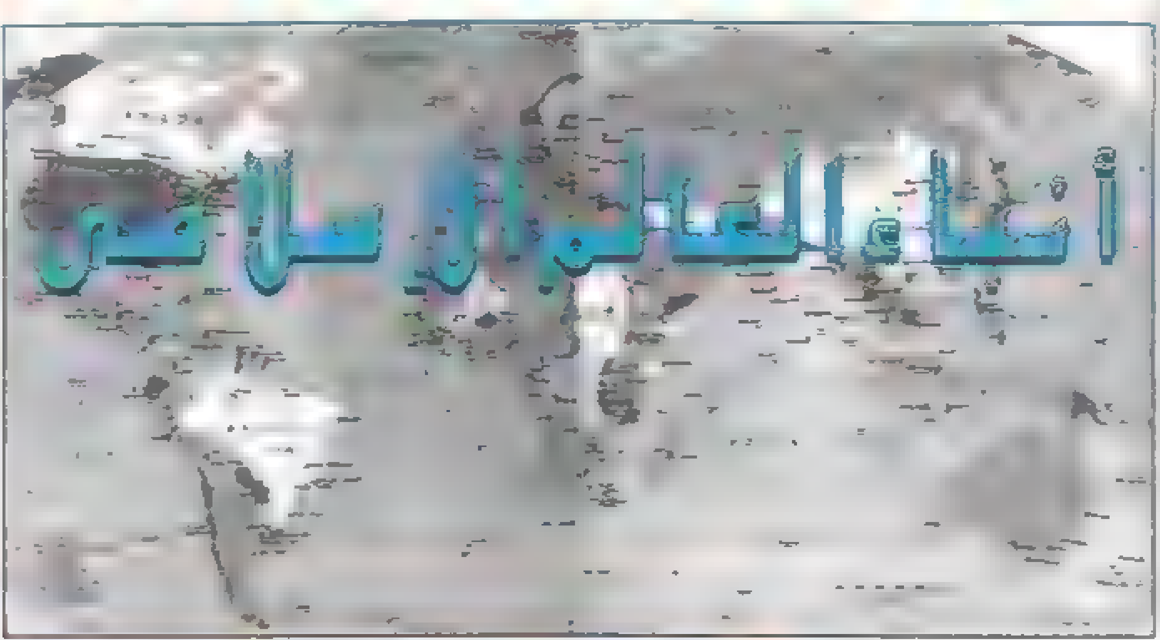
تمنيت أن أكون طبيباً ماهراً أعالج جميع المرضى، أخفف آلامهم، أصبحت موهوماً!! أنا لا أستطيع أن أتمكن من جميع التخصصات.. لم يسعفني طموحي ولم أكن كذلك.

تمنيت أن أكون مربياً معلماً للفضيلة والأخلاق الحسنة لأجيال وأجيال، يتذكرونني مهما مرت الأيام بهم.

تمنيت أن أكون عالماً وفيا أعرف كل شيء.

تمنيت.. تمنيت.. ولكن مع لحظة تأمل وجدت تحقق كل الأماني أمامي رويداً رويداً ووجدت نفسي في كل مخلص في عمله [illegible] بالأدب والاطمئنان والرضا عند ممارسة عمله كما لو كنت أرى نفسي في كل مهنة تمنيتها. وكأنني أسمع صوت صدى [illegible] يحدثني عما يدور في داخلي [illegible] [illegible] مثلي حينما أتقن وأخلص في عملي [illegible] حديث رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» فلابد أن نكرس كل مجهودنا لجودة وإتقان العمل حتى يحبنا الله، وإذا أحبنا يكون – عز وجل – سمعنا الذي نسمع به ويدنا التي نبطش بها، فهل منا من لا يرغب في أن يكون عبداً ربانياً يقول للشيء كن فيكون.. ولتشاركني التفكير.. هل تمنيت أن تمتهن مهنة ما أو تحولت بك دفة الحياة [illegible] لتوجه بك لمصير آخر خلاف ما تتمنيه؟ وجدت ما تمنيته في صورة شخص آخر أخلص في مهنته وأتقنها وأصبح بارعاً فيها وسعدت به ودعوت له بدوام التوفيق؟





أردوغان: الملبس حرية شخصية وليعرف كل منكم مكانه

رد رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بحدة على المدعين الجمهوريين ورؤساء المحاكم الذين أعلنوا معارضتهم ما أعلنه حول ضرورة رفع حظر الحجاب قبل انتظار صدور الدستور الجديد، حتى لو كان ينظر إليه على أنه رمز ديني. ووجه أردوغان – خلال لقاء مع عضوات حزب العدالة والتنمية الحاكم (فرع النساء) في إسطنبول رسالة تحذير شديدة اللهجة إلى رجال القضاء والمدعين الجمهوريين قائلاً: «يجب أن يعرف كل فرد في تركيا مكانه ووضعه». وأضاف أردوغان أنه ليس من حق أي أحد في تركيا أن يفرض على المواطنين ملبساً معيناً لأن هذه حرية شخصية تخضع لاختيار كل إنسان. وأشار إلى أن هناك فصلاً بين السلطات في تركيا. وليس من حق السلطة القضائية أن تتدخل في عمل السلطة التنفيذية أو التشريعية، والعكس. ولذلك فإن على كل واحد أن يعرف مكانه ووضعه ويلزمه.

تقييد أسيرة فلسطينية أثناء ولادتها!

ارتكبت سلطات الاحتلال الإسرائيلي جريمة جديدة في مجال خرق حقوق الإنسان بقيامها بتقييد أسيرة فلسطينية (٤٠ سنة) بالسلاسل وسط حراسة مشددة أثناء دخولها للمستشفى لوضع مولودها، في مستشفى «مئير كفار سابا»، واستهجن الدكتور عاطف عدوان – وزير شئون الأسرى المكلف في حكومة هنية المقالة – قرار إدارة السجون الإسرائيلية بعودة الأسيرة ومولودها مباشرة إلى السجن، حيث إنها بحاجة إلى رعاية صحية

ومتابعة لمدة أيام داخل المستشفى وأوضح أن الأسيرة وضعت مولودها، وحيدة دون أن يكون بجوارها أحد من أقاربها أو حتى من المؤسسات الحقوقية حيث رفضت سلطات الاحتلال السماح لأقاربها من الدرجة الأولى وكذلك رفضت السماح لمحامية مؤسسة مانديلا بحضور عملية الولادة. وبين، عاطف عدوان، أن إدارة السجون لا تعامل الأسيرات معاملة خاصة في مثل هذه الحالات.. خاصة أن الطفل الرضيع بحاجة إلى ملابس وأغطية في هذا الجو شديد البرودة وفي ظل قلة الأغطية والملابس الموجودة لدى الأسيرات.

مفتي القدس يحذر من اقتحام المتطرفين اليهود ساحات المسجد الأقصى

حذر الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، سلطات الاحتلال الإسرائيلي من السماح للمتطرفين والمستوطنين اليهود بالصلاة في ساحات المسجد الأقصى المبارك وأكد مفتي القدس في تصريح صحفي له -ردا على طلب تقدم به عضوان من الكنيست الإسرائيلي للسلطات الإسرائيلية بالسماح لهما بالصلاة في المسجد الأقصى، أن المسجد الأقصى بجميع ساحاته ومرافقه هو مسجد لعبادة المسلمين وحدهم ولا يجوز لكائن من كان أن يغير هذا الوضع أو يتدخل في شئون المسجد.. وحمل سلطات الاحتلال النتائج الخطيرة المترتبة على مثل هذه الصلاة التي تأتي في سياق الاقتحامات المتكررة للمسجد.

قوات الاحتلال الغربية تستخدم الأطفال الأفغان في البحث عن الألغام

أعلنت وزارة الدفاع الألمانية عزمها إجراء تحقيق شامل بعد أن كشف ضابط ألماني سابق في قوات المساعدة الأمنية الدولية «إيساف» بأفغانستان عن قيام قوات حلف شمال الأطلنطي «الناتو» باستغلال الأطفال الأفغان مرارا وتكرارا في البحث عن الألغام الأرضية المزروعة في الطرقات.

فقد كشف الضابط في كتابه الذي صدر بعنوان «محطة نهائية» أن الأطفال الأفغان يتم استغلالهم من قبل قوات المساعدة الأمنية الدولية لإيجاد الألغام الأرضية في منطقة كابول منذ عام ٢٠٠٢.

إسلام ٣ قساوسة و١٤٤ شخصا في إثيوبيا

أكد الشيخ صالح عبدالواحد المدير التنفيذي للهيئة العالمية للتعريف بالإسلام التابعة لرابطة العالم الإسلامي أن أول نتاج لهذه الهيئة هو المناظرة التي تمت في إثيوبيا لأحد الدعاة الذين يعملون تحت مظلة الهيئة، وهو الشيخ قمر حسين، تحدى أكف كتابين عن الإسلام والإنجيل والتوراة، مع عشرين قسيسا وبعدما تم اللقاء طلبوا المناظرة على الملأ فحضر المناظرة حوالي عشرة آلاف ما بين مسلمين ونصارى، على أثر تلك المناظرة أسلم ١٤٤ رجلا وامرأة في وقت واحد ومن ضمنهم ثلاثة قساوسة.

٤٢ أجنبيا يعتنقون الإسلام باليمن

بلغ إجمالي عدد الأجانب الذين أشهروا إسلامهم في اليمن مؤخرا ٤٢ شخصا بينهم عدد من النساء.. وقالت «لجنة التعريف بالإسلام اليمنية»، إن ٤٢ رجلا وامرأة من الجنسيات الأمريكية والهندية والفلبينية والإثيوبية والفرنسية والبريطانية والصومالية أشهروا إسلامهم باليمن وذلك خلال العام الجاري.

المجلس الإسلامي بأفغانستان يحذر من تنامي بعثات التبشير

حذر المجلس الإسلامي بأفغانستان من ازدياد نشاط بعثات التبشير وتأثير ذلك على الاستقرار السياسي والاجتماعي في البلاد. وقال المجلس الذي يضم علماء دين من مختلف مناطق البلاد في بيان له: إن المجلس يشعر بالقلق بشأن أنشطة بعض المنظمات التبشيرية والإخبارية وتعتبر هذه الأنشطة مخالفة للشريعة الإسلامية والدستور وتتعارض مع الاستقرار السياسي.. ومن ناحية أخرى، دعا مجلس العلماء إلى منع المحطات التليفزيونية المحلية من بث المسلسلات والأفلام الهندية التي تعرض مشاهد خارجة تهدد أخلاقيات المجتمع

بوش يشارك في الذكرى الستين لتأسيس إسرائيل

ذكرت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية أن الرئيس الأمريكي جورج بوش سيزور إسرائيل في مايو المقبل، للمشاركة في احتفالات الذكرى الستين لإعلانها كدولة. وأشارت الصحيفة إلى أن الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز وجه الدعوة إلى بوش منذ شهور إلا أن البيت الأبيض لم يؤكد مشاركته إلا أخيرا.

ألف مسلم في الجيش النمساوي!

للمرة الأولى على الإطلاق قررت وزارة الدفاع النمساوية تعيين إمامين مسلمين للقيام بالإرشاد الديني في صفوف الجيش. القرار الذي أعلنه وزير الدفاع «نوربرت» جاء تلبية للاحتياجات الروحية لأكثر من ألف مسلم يؤدون الخدمة العسكرية. جدير بالذكر أن الإسلام هو الديانة الثانية التي يدين بها عناصر الجيش الذي يضم الآلاف من المجندين من أصول تركية.

القدس فقدت أكثر من ١٠٠ ألف من سكانها

كشف معهد أبحاث إسرائيلي عن أن أكثر من ٢٧٢ ألف إسرائيلي أغلبهم يهود، قد تركوا مدينة القدس في الفترة ما بين عامي ١٩٩٠ و٢٠٠٦ بينما انتقل إليها ١٧٠ ألف إسرائيلي خلال نفس الفترة.

أظهر التقرير السنوي الإحصائي لمدينة القدس لعام ٢٠٠٦ الذي نشره معهد القدس للدراسات الإسرائيلية أن ما يقدر بنحو ١٧ ألفا و٣٠٠ يهودي تركوا القدس عام ٢٠٠٦ مقارنة بـ١٠ آلاف و٩٠٠ يهودي انتقلوا إليها.

أشار التقرير الإحصائي أيضا إلى أن نحو نصف أولئك الذين غادروا القدس، انتقلوا إلى ضواحيها بما في ذلك المستوطنات القائمة في الضفة الغربية!

مخاوف في هولندا من مشروع فيلم معاد للإسلام

أثار مشروع فيلم لنائب وسياسي هولندي متطرف خوفا في هولندا من ردود أفعال عنيفة، ويتبنى المشروع النائب المتطرف جيرت فايلدرس الذي تعود على التصريحات المثيرة ضد الإسلام. ودعا مرارا في البرلمان إلى حظر القرآن مقارنا إياه بكتاب هتلر «كفاحي» كما دعا إلى وقف هجرة المسلمين وزعم أن القرآن الكريم يحرض الناس على ارتكاب أعمال مروعة.. وأعرب رجال أعمال هولنديون عن قلقهم وأفادت وسائل الإعلام بأن الحكومة أعدت خطة لإخلاء سفاراتها وإجلاء مواطنيها عن الشرق الأوسط. كما أعلن رئيس الوزراء الهولندي بأن الحكومة مستعدة للرد بسرعة كبيرة إذا تسبب ذلك في تجاوزات

مسئول أمريكي يطالب بإغلاق جوانتانامو

أعرب رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة الأدميرال مايك مولين عن رغبته في إغلاق معتقل جوانتانامو نظرا لانعكاساته على صورة الولايات المتحدة . وأوضح مولين خلال أول زيارة له للمعتقل منذ توليه منصب رئاسة الأركان المشتركة أن التعقيدات القانونية العديدة تعيق إغلاق المعتقل . كانت زيارة مولين قبل يومين من الذكرى السادسة لفتح المعتقل العسكري . حيث تحتفظ الإدارة الأمريكية بمئات من المعتقلين المشتبهين بالإرهاب . ويواجه المعتقل انتقادات حادة بسبب الانتهاكات وسوء المعاملة التي يتعرض لها المعتقلون والتي تتنافى ملابسات اعتقالهم مع الدستور والقوانين السارية .

مستوطنون يهود يحرقون مسجداً قرب بيت لحم

أضرم مستوطنون يهود النار بالكامل في مسجد (الحميدية) في مدينة الخضر جنوب مدينة بيت لحم بالضفة الغربية وشرعوا بهدم سقف المسجد الذي يعتبر معلما أثريا قديما ومهما . واستنكر رئيس وأعضاء بلدية الخضر وأهالي المدينة الاعتداء على المسجد وناشدوا المسئولين بالتدخل لحماية أماكن العبادة . ودعت البلدية وزارات الأوقاف والسياحة والآثار للعمل على إعادة ترميم المسجد والمحافظة عليه من أجل تثبيت الموقع والمحافظة على الأراضي المحيطة به .

الكشف عن خندق إسرائيلي جديد قرب المسجد الأقصى

باشرت سلطة الآثار الإسرائيلية وجمعية استيطانية حفر خندق جديد قرب المسجد الأقصى بطول ١٥٠ مترا يمر بمحاذاة أسوار الحرم القدسي الشريف في بلدة القدس القديمة من تحت بيوت قديمة وتاريخية ونقلت شبكة «فلسطين اليوم» عن جمعية «عير عميم» (مدينة الشعوب) أنها حذرت في رسالة وجهتها للمستشار القضائي للحكومة الإسرائيلية من أن هذه الحفريات تجري دون الحصول على موافقة أصحاب البيوت الفلسطينية التي ستتضرر من هذا النفق - حتى دون مخطط يضمن سلامة المنطقة . وحاولت سلطة الآثار الإسرائيلية والجمعية الاستيطانية الالتفاف على الحقيقة . وزعمتا أنهما لم تباشرا الحفريات . بل ما يجري الآن هو «عملية فحص للربط بين كنيستين» .

دفن المسلمين في ألمانيا بدون صندوق خشبي

قررت سلطات الألمانية المحلية تخفيف القيود المفروضة على طريقة دفن موتى المسلمين المقيمين في ألمانيا والسماح بدفن الجثث بدون صندوق خشبي . وهو ما كان يتعارض مع التقاليد الإسلامية وكذلك سرعة دفن المتوفى في غضون ٢٤ ساعة عملا بالتقاليد الإسلامية . وقد أعرب بكير اليوجا المتحدث باسم مجلس التنسيق للمسلمين عن ارتياحه لتخفيف السلطات الألمانية للإجراءات الخاصة بدفن موتى المسلمين . مشيرا إلى زيادة نسبة دفن الموتى المسلمين في ألمانيا . بعد أن كان ٩٠ ٪ من الموتى يوصون بدفنهم في أوطانهم . وأشار التقرير إلى أن قواعد الدفن في ألمانيا كانت لا تتوافق مع عملية دفن المتوفى المسلم .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبد النبي فراج
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الاتحاد السويسري

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف صباح يوم الخميس الموافق ١٠ / ١ / ٢٠٠٨ السيد باسكال كوشبان - رئيس الاتحاد الكونفدرالي السويسري يرافقه السيد شارلي ادوارد هيلد - سفير سويسرا بالقاهرة والسادة المستشارين لسيادته .

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق لسيادته في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات الطيبة بين مصر وسويسرا وقدم فضيلة الإمام الأكبر شرحا مبسطا عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة مؤكدا على أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال مبينا أن الدين الإسلامي ينبذ العنف والتعصب والإرهاب بكل صوره لأنه دين السلام والتسامح والمحبة والتعاون والتعارف ، كما أن الإسلام يدعو إلى العدل والإنصاف وينبذ التعصب الأعمى والعصبية البغيضة . والإسلام يؤكد على أن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون والتعارف والمودة . كما أشار فضيلته إلى أن الحضارات عند العقلاء لا تتصادم بل تتعاون لأنه لا توجد دولة في العالم تستطيع أن تعيش معزولة عن العالم . فتبادل المنافع هو نوع من تعاون الحضارات وهذا ما يقره العقلاء .

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال مؤكدا أن للأزهر سمعة كبيرة وطيبة في سويسرا . بل في العالم أجمع . وأن سويسرا تحترم الأزهر كمؤسسة دينية مفتوحة على العالم تحترم جميع المعتقدات . وأشاد سيادته بالدور الذي يلعبه الأزهر الشريف لحل المشاكل بين الحضارات وتهدئة النفوس ، كما أشاد سيادته بما قاله فضيلة الإمام الأكبر ووصفه بأنه في غاية الحكمة والعدل . وأنه يشارك فضيلته في جميع الآراء .

الإمام الأكبر يستقبل نائب رئيس وزراء تايلاند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأحد الموافق ١٧ / ١ / ٢٠٠٨ وفداً تايلاندياً برئاسة الجنرال سونتى - نائب رئيس الوزراء التايلاندى للشئون الأمنية - يرافقه السيد / نوبادون تيبيتاك - سفير تايلاند بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف موضحاً لهم بأنه يوجد عدد كبير من طلبة تايلاند يدرسون بالأزهر وهم يمتازون بالسلوك الحميد وبالاجتهاد فى دروسهم وأن الأزهر يقدم لهم كل التيسيرات فى دراستهم. حيث إن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالاعتدال والوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء كما أننا نعتبر أن الناس جميعاً أخوة فى الإنسانية. وكل إنسان له عقيدته. والذى يحاسب على العقائد هو الله. كما أوضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد أن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن العدالة تقتضى أن يتعامل الجميع معاملة متساوية فنحن فى مصر مسلمين ومسيحيين متساوون فى الحقوق والواجبات وفى كل ما يتعلق بحقوق الإنسان. وهذه هى العدالة التى تقتضيها الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة. وبالعدل تحيا الأمم وتتقدم.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على هذا الاستقبال الطيب موضحاً بأن هذه الزيارة تأتى للاطمئنان على الطلبة التايلانديين الذين يدرسون فى الأزهر ويتمتعون برعاية الأزهر لهم.

الإمام الأكبر يستقبل سفير ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الإثنين الموافق ٢١ / ١ / ٢٠٠٨ السيد داتو زين العابدين عبدالقادر - سفير دولة ماليزيا بالقاهرة والذى قدم دعوة لفضيلة الإمام الأكبر من رئيس وزراء ماليزيا لحضور الملتقى العالمى لخريجى الأزهر الشريف من دولة ماليزيا الذين أتموا دراستهم بالأزهر الشريف وجامعته وذلك فى الفترة من ١٥ إلى ١٨ فبراير ٢٠٠٨ وسوف يلقى فيه فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة ثم يتم تكريم فضيلته من جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا بمنحه الدكتوراة الفخرية.

كما يقام حفل كبير فى الاستاد الوطنى يحضره حوالى ٢٠٠٠٠ من مواطنى ماليزيا ومن جنوب تايلاند وسيتم فيه إلقاء كلمة من فضيلة الإمام الأكبر وكلمة من رئيس وزراء ماليزيا. ومن جانبه وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الدعوة تمهيداً لتلبيتها.

وسوف يحضر هذا الملتقى الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف. والأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر.

افتتاح أول موقع للمعاهد الالكترونية بالأزهر الشريف

لمسايرة التطور العلمى فى عالم الاتصالات والإنترنت ولمواصلة مسيرة التقدم والتحديث بالأزهر الشريف شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وبحضور الأستاذ الدكتور صفوت النحاس رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة افتتاح أول موقع للمعاهد النموذجية الذكية الالكترونية بالأزهر الشريف يوم الخميس الموافق ١٧ / ١ / ٢٠٠٨ والذى يضم أول أرشيف الكترونى لنتائج الشهادات الأزهرية منذ عام ٧١ للشهادة الثانوية ومنذ عام ٩٢ للشهادة الإعدادية وتنفيذ أول برنامج للكمبيوتر الخاص بتحفيظ القرآن الكريم من خلال الكمبيوتر وهذا البرنامج بالحق حتى يتيح للطلبة الحفظ الصحيح معتمداً على قراءات كبار المشايخ والقراء. ومن فعاليات الموقع أيضاً متابعة أولياء الأمور لأبنائهم الطلاب من خلال الموقع من حيث البرامج الأرشيفية لجميع الطلاب من البيانات والاختبارات الشهرية واختبارات الصف الأول والأخير من العام ويمكن لولى الأمر متابعة الطالب من خلال صفحة خاصة بكل طالب ولا يدخل عليها إلا ولى أمر الطالب من حيث الاسم والرقم السرى لكل طالب للاطمئنان على سلوكه فى الدراسة وانتظامه. وطرق الدراسة بالمدرسة وحضوره وانصرافه ودرجاته فى الاختبارات ولولى الأمر إبداء الملاحظات الخاصة بالطالب ومراسلة إدارة المعهد لإبداء الرأى. مما يزيد من تفعيل دور أولياء الأمور بالاشتراك نحو إبداء الرأى فى العملية التعليمية وسهولة متابعة أبنائهم بأيسر السبل من أى مكان فى العالم عن طريق شبكة الإنترنت.

وتجرى هذه التجربة على مجموعة من المعاهد الأزهرى العادية والنموذجية بمنطقة القاهرة والجيزة الأزهرية لحين تعميمها بإذن الله على جميع معاهد المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية.

الدورة التدريبية التاسعة والسبعون لوعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر يوم الأربعاء الموافق ٢٣ / ١ / ٢٠٠٨ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية الثامنة والسبعين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى بدأت فى الفترة من ١ / ١١ / ٢٠٠٧ ولمدة ثلاثة أشهر وعددهم ١٩ إماماً وواعظاً من دول (الجزائر - السودان - رواندا - توجو - الفلبين - نيجيريا - ليبيا) وذلك بعد أن أتموا دورتهم التدريبية لمدة ثلاثة أشهر تلقوا خلالها العلوم العربية والشرعية وأمور الفقه على أيدى أساتذة وعلماء من الأزهر الشريف والتى عن طريقها يمكنهم الرد على الأسئلة والاستفسارات التى يتعرضون لها عند عودتهم إلى بلادهم.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن تلك اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله نتدارس فيها العلم النافع ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض نتناقش فى أمور الدين والدنيا ونتحاور فى العقائد والمعاملات فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة بين الناس ونشر الإسلام السمح.

وفى نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق فى عملهم. ثم قام فضيلة

الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع شهادات التخرج على الخريجين ومنح كل واعظ من وعاظ الدورة مكتبة دينية تساعده على أداء مهامه بنجاح وتكون مرجعا له وقت الحاجة. كما وافق فضيلته على افتتاح أعمال الدورة التدريبية رقم ٧٩ للأئمة والوعاظ من العالم الإسلامي اعتبارا من ١ / ٢ / ٢٠٠٨ ولمدة ثلاثة أشهر لعدد ٢٣ إماما وواعظا من دول (الجزائر - السودان - بنجلاديش - ساحل العاج - غينيا كوناكري).

كردستان تطلب تدريس مناهج الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ / ١ / ٢٠٠٨ الأستاذ / عثمان المفتي مستشار أول وزارة الأوقاف الكردستاني يرافقه الأستاذ الدكتور / أحمد مصطفى - عميد كلية الشريعة - بجامعة صلاح الدين - بأربيل.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد الكردستاني في الأزهر الشريف وشكر الضيوف فضيلة الإمام الأكبر على التنسيق مع جامعة الأزهر لإمكانية قبول ١٠ طلاب من طلبة كردستان المتميزين للدراسة في جامعة الأزهر وتيسير إجراءات قبولهم بالجامعة كما طلب الوفد من فضيلة الإمام الأكبر مساعدتهم للتمهيد لإنشاء معهد ابتدائي أزهري بكردستان يقوم بتدريس مناهج الأزهر التي تمتاز بالوسطية والاعتدال. ورحب فضيلة الإمام بإمداد المعهد بالمنهج الأزهري الذي يدرس في المعاهد الأزهرية والكتب الدراسية وإرسال مدرسين من الأزهر.

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف

وافق المجلس الأعلى للأزهر الشريف في جلسته رقم (١٦٥) برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر على وقف تنفيذ القرار الصادر بعدم قبول قيد الحاصلين على مؤهلات عليا من الجامعات المصرية انتسابا في بعض الكليات الشرعية لجامعة الأزهر على أن تقوم الجامعة بعقد امتحان في المواد الشرعية والعربية وحفظ القرآن الكريم المقرر على طلاب الشهادة الثانوية تحريريا وشفويا وأن يكون القبول بالانتساب فقط.

عبد النبي فراج رئيسا لقطاع مكتب الإمام الأكبر

صدر قرار رئيس مجلس الوزراء بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بتعيين السيد / عبدالنبي محمد إبراهيم فراج رئيسا لقطاع مكتب شيخ الأزهر بالدرجة الممتازة حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لإنهاء الخدمة.

ومحمد الحداد رئيسا للإدارة المركزية للعلاقات العامة

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف القرار رقم (٤٩) لسنة ٢٠٠٨ بتعيين فضيلة الشيخ / محمد كامل مصطفى أحمد الحداد - رئيسا للإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام حتى بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة وذلك اعتبارا من ٢٢ / ١ / ٢٠٠٨.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

اجتماع مجلس مجمع البحوث الإسلامية

في جلسته المنعقدة في ٣١ / ١ / ٢٠٠٨ استعرض مجلس مجمع البحوث الإسلامية العديد من الموضوعات الهامة. حيث قرر المجلس ترشيح المستشار السيد علي بن السيد عبدالرحمن الهاشمي مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة للشئون القضائية والدينية لعضوية مجمع البحوث الإسلامية.

كما تقدم فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ببحثين:

- الأول: بماذا يثبت هلال شهر رمضان.
- الثاني: بمناسبة احتفالية الأزهر الشريف بفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق

وقد أحيط المجلس علما بالتحيين على أن يتقدم أعضاء المجلس الذين يريدون المشاركة في احتفالية الأزهر بفضيلة الشيخ محمود شلتوت بأبحاثهم. كما تقدم الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي عضو مجمع البحوث الإسلامية بأبحاث قرر مجلس المجمع إحالتها إلى لجنة البحوث الفقهية للنظر وإبداء الرأي والعرض على المجلس في جلسته القادمة.

الأزهر ينفي منع موفديه لإيطاليا من زيارة معبد يهودي

صرح فضيلة الشيخ علي عبدالباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن ما ذكرته وكالات الأنباء الإيطالية منسوبا إلى الأزهر بمنع أحد أفراد بعثته الموفدة لدولة إيطاليا من زيارة أحد المعابد اليهودية بروما. لا أساس له من الصحة.. كما أوضح فضيلته أن الأزهر لم يكن على علم بالزيارة التي كان من المقرر أن يقوم بها المبعوث علاء العباشي إمام المركز الثقافي الإسلامي بروما إلى مقر المعبد اليهودي بالعاصمة الإيطالية روما، مشيرا إلى أن هذه الزيارات تتم وفقا لبرنامج التبادل الثقافي والتعاون الديني المدرج في جدول أعمال المركز الثقافي ولا يتم الرجوع فيها إلى الأزهر الشريف.

مأساة شعب فلسطين

وتعليقاً على الوضع المأساوي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، أصدرت لجنة القدس والجهاد بمجمع البحوث الإسلامية بياناً جاء فيه:

تشعر اللجنة بالأسى والحزن على ما يجري على الساحة الفلسطينية من اعتداءات همجية شرسة على أرواح وممتلكات الفلسطينيين والحصار المطبق عليهم من جميع الجوانب مما يشكل محرقة جديدة لشعبنا المسلم.

وتناشد القادة العرب أن يبذلوا أقصى ما في وسعهم لفك الحصار وحماية الأرواح.

كما تناشد الأخوة الفلسطينيين بأن يتحدوا ضد هذا العدوان، وأن يحتكموا فيما بينهم بالحوار الهادئ الحكيم كي يعود الصف الفلسطيني إلى مساره الصحيح نحو الهدف المنشود لتحرير الأرض والحفاظ على المقدسات حتى لا يستغل أعداؤنا هذه الفرقة في تنفيذ مخططاتهم المعلنة لهدم الأقصى وتهويد القدس الشريف مستغلين الخلاف القائم بين حكام غزة والضفة الغربية.

ترقيات علماء الوعظ

صرح فضيلة الشيخ عبدالحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة بأنه سيتم بمشيئة الله تعالى إجراء اختبار الترقيات الأدبية لعلماء الوعظ يوم الأحد الموافق ١٠ / ٢ / ٢٠٠٨م من: واعظ إلى واعظ أول، ومن واعظ أول إلى موجه، ومن موجه إلى موجه أول بشرط توافر المدة الكلية وهي كالآتي:

ثماني سنوات لواعظ أول، ستة عشر عاماً لموجه، وعشرون عاماً لموجه أول. كمدة كلية لابد من استكمالها تنفيذاً لقرار فضيلة الإمام الأكبر ومدة بينية ثماني سنوات من واعظ إلى واعظ أول، وست سنوات من واعظ أول إلى موجه وثلاث سنوات من موجه إلى موجه أول.

وسيجرى الاختبار بمقر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية في القرآن الكريم والفقه الإسلامي والمعلومات العامة وذلك في تمام الثانية عشر ظهراً.

سلطنة عمان تطلب مبعوثين من الأزهر

طلب الجانب العماني في اجتماع لجنة التعاون المشترك بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بسلطنة عمان إيفاد ثلاثة أساتذة متخصصين في الخطابة من الأزهر الشريف إلى مركز السلطان قابوس للثقافة الإسلامية لمدة عام وكذلك إيفاد خمسة قراء معلمين من الأزهر الشريف لعقد دورة في حفظ القرآن الكريم وتجويده لمدة ستة أشهر وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على طلب الجانب العماني

بدعم الأزهر للصداقة والتعاون العلمي بين البلدين الشقيقين في الشئون الإسلامية.

وقد عقدت لجنة البعوث والمعاهد جلسة بمكتب فضيلة وكيل الأزهر لإجراء مقابلة مع المرشحين لتحفيظ القرآن الكريم لاختيار خمسة مدرسين للقراءات برئاسة فضيلة وكيل الأزهر الشيخ عبدالفتاح علام وفضيلة الشيخ علي عبدالباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد معصراوي رئيس لجنة مراجعة المصحف بالأزهر الشريف وفضيلة الشيخ حسن عبدالنبي وكيل اللجنة.

طلاب نيجيريا بالأزهر الشريف

في الاحتفال السنوي بالطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف أكد فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية أن عدد الطلاب الدارسين بالأزهر الشريف من دولة نيجيريا الشقيقة بلغ ٥٤٩ طالب وطالبة في مختلف مراحل التعليم حيث تضم المرحلة الابتدائية ٥٣ طالباً وست طالبات، والمرحلة الإعدادية ٣٢ طالب وطالبتين، والمرحلة الثانوية ٣٣ طالب و٤ طالبات، والمرحلة الجامعية ٣٩٥ طالباً و١٢ طالبة، والدراسات العليا ١٧ طالب.

ويبلغ عدد الدارسين منهم على نفقة الأزهر ٣١٠ طالب وعلى نفقة جهات مختلفة ١٦ طالباً وطالبة، وعلى نفقتهم الخاصة ٢٢٣ طالب وطالبة.

قصة البيت الحرام



صدر عن إدارة المطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية إصدار جديد بعنوان «قصة البيت الحرام» للأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم عبدالقادر أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف.

وقد تضمن الكتاب قصة البيت الحرام منذ أول يوم وحتى دولة بني أمية وروى فيه المؤلف الأحداث التي وقعت فيه وفي الأماكن المقدسة حوله وكيف حفظ الله بيته من كيد أعدائه وبدد شمل من أراده بسوء؟.

وقد اشتمل الكتاب على خمسة فصول: «البيت الحرام قبل جرهم وخزاعة - البيت الحرام في عهد قصي وذريته - مكة في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم - البيت الحرام في عهد الخلفاء الراشدين - البيت الحرام في عهد بني أمية» وقد صاغ المؤلف كتابه بأسلوب سهل سلس يفهمه العامة والخاصة.

As Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) was the most perfect example of the human being who has perfect attributes, comprehensive mediated actions and balanced justice, his perfect pattern of life was not lacking jokes and jests that eased the soul and revived the energy. Moreover, his cheerfulness helped overcome the obstacles of hard life along with commitment to right, truthfulness and justice. Certainly, this is the real mediation without exaggeration.

We know from the Prophetic life that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was joking with his male and female companions, but his saying was always right to the extent that his companions told him, "O Allah's Messenger, you are joking with us."

Ali Ibn Abi Taleb said in describing the attributes of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "Allah's Messenger was cheerful, simple and flexible."

Abdullah Ibn Al-Harith said, "I have never seen a person more cheerful than the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

Narrated by At-Termezy and Imam Ahmad.

He was the most cheerful person who always smiled at his companions, the matter that stirred their amazement. He liked the entertainment. He gave way to Habashi group that was singing and dancing in Medina Mosque. He asked his wife 'Aishah (may Allah be pleased with her) to watch them if she wished. Then, she stood behind him sticking her cheek to his cheek making a delicate scene till she was satisfied and left them.

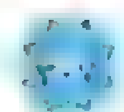
When Umar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him) entered the mosque, he scolded the Habashi group. However, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) stopped him and encouraged the Habashi group to continue playing saying:

"O the family of Artadah, I want to let the Jews know that our religion calls for cheerfulness and mercy."

Narrated by Muslim .

Jabir Ibn Samurah said about the companions of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "They were poetizing in front of him as well as mentioning many pre-Islamic matters. He was laughing and never scolded them except in forbidden matters."

Abdullah Ibn Mas'ud said, "Perhaps he smiled till his teeth appear."



Ka'ab Ibn Malek said, "If he smiles, his face brightens as if it were a piece of the moon".

Narrated by Al-Bukhary and Muslim .

Anas Ibn Malek said, "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was the most smiling person with his wives.

Aishah (may Allah be pleased with her) said, "Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Sawdah Bint Zam'ah were visiting me, and I made a kind of food which I brought and asked Sawdah to eat.

She said: I do not like it.

I said: I swear by Allah you should eat or I will stain your face with it!

She said: I will not eat.

I took some of it and stained her face. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) lowered his knees to encourage Sawdah to stain my face. Then she did stain my face with some of it, the matter that made the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) laugh).

Narrated by Abu Ya'aly

'Aishah (may Allah be pleased with her) said, "I competed with the Prophet and I preceded him. When I held the meat, he competed with me and preceded me. Then, he said, 'this time is in return for the other time.'"

Narrated by Abu Dawod and Imam Ahmad.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

pattern linked the mediation between strong patience and reverence to Allah in prayers:

{And seek help in patience and prayer. and surely it indeed great except for the submissive.}

[Al-Baqarah (The Cow): 45]

Moreover, his good pattern united kindness to human beings, animals, plant and environment because they are all alive worshipping Allah in a way unknown to us and extreme anger for the sake of religion, forbidden matters and Allah's limits.

His good pattern joined the reluctance of the rich in life and love of beauty created by Allah. He called the people to select nice names and to enjoy the permitted fun. He asked Allah to forbid the ugly scene while traveling, and asked Allah in Al-Istisqa prayers. "O Allah! Please send in our land the best of earth."

His mediation joins preferring life with the miserable --not the luxurious kings- to kindness and delicateness. It was narrated about his attributes. "No hand was more delicate than his hand, no smell was better than his smell. His face was shinning due to cheerfulness."

Narrated by Imam Ahmad .

His mediation joined active worshipping at the mosque and the good appearance during worshipping. He used to ask his wife Aishah to comb his hair.

Narrated by Imam Ahmad .

Thus, the good pattern of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with this Islamic mediation embodied the perfect example of the human being who becomes perfect without exaggeration.

(3)

This illiterate prophet did his best to change the world in the regard of religion and worldly life affairs, exerted great effort to transfer the way of history and the concept of culture, civilization and humanity. He extremely suffered from the plots of the disbelievers during thirteen years in Mecca. He established the Islamic state, formulated the nation, and led more than sixty battles during the nine years of staying in Medina. He is the same person who joined hard work and suffering and easing the soul to



revivification the energy to be able to continue working and striving as well as enjoying the kinds of beauty created by Allah.

We have allocated for the artistic and beautiful attributes of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) studies that were published previously. In The following we will be concerning the Sunnah of the illiterate prophet in easing the soul by jokes and making fun.

As we mention these attributes of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), we should know the meaning of jokes and making fun in the expressions of the Arabic language and the Islamic culture. Jokes are said to ease the soul and to make fun, the information that is mentioned by Al-Zamakhshary (467-538 H / 1075-1144 A.D).

At-Termah (125 H / 743 A.D) was speaking to his wife Sulimah:

You do your best to be the most beautiful woman

I love you and your beauty.

In (The Arab's Tongue) by Ibn Manzhoor [630-711 H / 1233 – 1311 A.D]. It was narrated about Ibn Abbas. "The truthful person has three attributes: making fun, solemnity and love."

Fun is funny saying, action or movements that give the situation fun and excitement. It is an intention added to the necessary sayings and deeds, which should be mediated. It is like salt that is added to food, and should be neither scarce nor abundant.

Jest (Torfa) and the plural (Toraf) are the matters that are funny and enjoyable. It is the funny saying, movement or action that adds meaning that eases the souls of the listeners and viewers.

The lingual meaning of joke (Noktah) and the plural (Nokat) is the white point in darkness or the dark point in brightness. It has another meaning which is the accurate matter that resulted from deep thinking. Metaphorically, it is the unfamiliar meaning and funny sentence that ease the soul

Kidding is the opposite meaning of seriousness. The people who are joking are those who are neither silly nor awful. Thus, kidding is a kind of coloring to the words and movements in a way that makes them interesting not tough. This is the definition of expressions.

Tales about the cheerfulness of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

The expression "religion" is used by all of the nations and peoples, but its significance per the people of "positive religions" differs from its significance per the people of the Book. Its meaning and concept in the materialistic philosophies is the superstitious and legendry secretion of the human mind in the childhood phase. However, its heavenly meaning is the heavenly values descended by the honest revelation to the prophets and messengers for the sake of guiding the intellectual people in life.

Cultures, while it means in the western positive civilization the art of making best possible result out of the current situation for carrying out power regardless the values and morals. However, Islam links - in the philosophy of politics- the political approaches to values and morals. In this regard, politics means the approaches with which the people are close to righteousness and far from corruption.

There is great difference between this concept of politics and the western concept of Machiavelli (1469 – 1527 A.D. This was the well-known meaning of the politics philosophy in the western positive civilization, and is still well-known and ruling up to now.

The expression "feudalism" is mentioned by all of nations and peoples; while it means in the western civilization owning the land and the creatures living upon it. However, it means in Islam owning for the sake of benefiting, reviving and investing the wasteland according to procedures set by the Shari'a, as the Owner of all money and wealth is Allah, Glory be to Him.

This is the same case of the expression "mediation", which means in the folk thinking the lack of fixation and determination and the mediated situation lacks sense and taste. It means in the philosophy of Aristo (384-322 B.D) a virtue between two vices; it is the third situation or a static point between two poles. It differs from the two other poles.

In the Islamic concept, mediation is not as such, it is a third situation between the opposing poles without contradicting with them completely. It collects from both of them the elements of right and justice to form this new mediated situation. It signifies rejection for exaggeration that sides with one pole.

The mediation of Islam rejects the exaggerated materialism of Judaism and exaggerated spiritualism of Christianity. However, it is the mediation that gathers the elements of right and justice of materialism and



spiritualism. Thus, this Islamic mediation formulates the mediated human who prays at night and works at the day. It joins individualism and collectivism, life and afterlife, religion and worldly life, religion and politics, and self and the other, worshipping the Creator and enjoying life created by Allah.

(2)

As good pattern improves in the atmosphere of good bringing up and formulation for the human being, society, culture and civilization, Allah, Glory be to Him, willed that the perfect pattern for the Islamic mediated nation is the illiterate Prophet, whose life represented the most perfect pattern for the best Islamic mediation. Allah made him the perfect example for Islamic mediation, as he is a human being who passes through all life incidents. He is born, becomes ill, passes through pain, , eats, walks in the markets,does not have supernatural abilities except those that Allah granted him in some cases, and he at last dies.

At the same time, as he is received revelation from Allah, he represents the link and relation between heaven and earth. Imam Muhammad Abdu (1265-1323 H - 1849-1905 A.D) said that the Prophet's soul (may the blessings and peace of Allah be upon him) is provided by Allah. No one can dominate his soul, as he knows the unseen and the people's affairs by Allah's will. His rank is higher than the other people, in the worldly life as if he does not belong to it. Moreover, in the hereafter he is not like the other people. He receives Allah's revelation and orders informing them to the worshippers, and expressing the matters that the people's minds can bear and understand. However, he is a normal human being that is affected by the effects that afflict the other people.

He was brought up and educated by Allah in the best way. His life and policy linked the human efforts to revelation. He was the active worshipper who stood between the Hands of Allah till his feet swelled. He regarded strife for Allah's sake his own duty and that of his nation. The fighters used to hide behind the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) when the fighting increased and worsened. Then, no one but him became closer to Allah's enemies.

He was extremely shy making this attribute one of his branches of belief. He was the most courageous and kindest person in the whole world. His worshipping was like strife for the sake of Allah' satisfaction. His good

Thus, Israel fabricates reasons for disturbing the atmosphere after Annapolis conference, as it does not aim at peace. This point of view is advocated by the head of Hamas political office, Khaled mishaal in his talk to zvika krieger, the representative of the US weekly Newsweek issued on December 24, 2007.

Krieger asked Khaled mishaal, "What is your opinion about peace process in Annapolis conference? Khaled mishaal replied, "Annapolis conference was not a serious step from the US side, but a way of widening the conflict between Hamas and Fath, and a way of advocating the Israeli Prime Minister Ehud Olmert in confronting the internal problems. Also, Annapolis is one of the steps of the US way for attacking Iran. Thus, the USA resorted to the conference to gain the Arabs at its side. The USA is in need for revealing that it has a role in the Palestinian Israeli dispute. Thus Annapolis conference was not serious and does not aim at peace."

There were Abbas Olmert nine meetings between Abbas and Olmert before Annapolis conference which ended in failure. It was clear from the speech of President Bush in the conference that he does never intend practicing any pressure on Israel. If the US administration does not practice pressure on Israel, peace will not occur.

Us presdent George Bush wrapped up his visit to the Holy land on Friday, January 11-2008, concluding his first presidential mission to the occupied west Bank after his visit to Israel . Bush arrived in Kuwait, the first of five stops with Arab allies he hops will aid the tragic peace process and help contain Iran's growing regional cloat. In travels over the next few days, Bush said the would urge Arab allies to begin, to reach out, to help the peace process. After Kuwait, Bush visited Bahrain, the united Arab Emirates, saudi Arabia and Arab Republic of Egypt. Bush promissed to return to the Arab Area once again and he intended to use the future visit to help the peace process move forward. He did mot set a date for the trip. The key obstacle to a peace deal is a sense among many Arabs of US bias in favour of Israel. There are also doubts about Bush's newfound commitment to resolving the conflict. Bush also hopes to enlistArab opposition to US fore Iran. Us warned Iran of "serious consequences if the Iranian vessels tried to parade its power once again".

*The smiling of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

He was joking and was always saying the truth...!

By: Dr. Muhammad Imarah

Islam is the religion of mediation; Allah, Glory be to Him, made it as such and did not make this attribute as a choice. Allah, Glory be to Him, said.

{And thus We have made you a middle nation to be witnesses over mankind, and (for) the Messenger to be a witness over you.}

[Al-Baqarah (The Cow): 143]

We note from this holy verse that Allah made this mediation as a reason for regarding the Islamic nation and the messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him)as (witnesses) over the world including the nations, peoples, religions, messages, cultures and civilizations. This justification is strongly related to the meaning of "mediation" and "witnesses". Mediation, as Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) taught us, is justice. He said:

"Mediation is justice and Allah made us a mediated nation."

Narrated by Imam Ahmad.

Justice is the condition qualifying for witness over the world and the people. As the Islamic nation is the last nation believing in the other prophets. Messages and Heavenly Books, it is the only nation that is qualified for witnessing the people and the whole world including informing all of the Messages to the concerned people.

As the scientists unanimously said, "There is no contradiction in the words and expressions", the nonexistence of contradiction occurs only in the use of these words and expressions. However, contradiction occurs in the significances behind the use of these expressions, especially in case of its variety. Sometimes, the significances of the same expression contradict as for the variety of cultures, civilizations, philosophies and inheritance

*An article published (in Arabic) at Al –Azhar Magazine.

terrorism and provocation being committed either by the Palestinians or the Israelis.

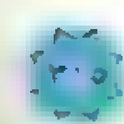
For the sake of establishing Palestinian and Israeli states that live in peace and security with each other, the two parties agreed on starting bilateral negotiations to reach peace agreement that settles all of the pending issues with no exception. Furthermore, the issues should be settled as it was mentioned in the previous agreements before the end of 2008.

For this aim, the Palestinian President, Mahmoud Abbas and the Israeli Prime Minister, Ehud Olmert will meet every two weeks to follow up the negotiations. The two parties took upon themselves carrying out immediately their commitment regarding road map, which will lead to perpetual resolution for the Palestinian Israeli- dispute, being based on establishing two states. Furthermore, it is the map issued by the international tetramerous committee in April, 2003. The two parties should agree on forming American, Israeli and Palestinian mechanisms being led by the USA to follow up the performance of the road map.

Annapolis meeting was followed by another financial meeting held in Paris on December 17, 2007 regarding the international donors. The participants reached an agreement on allocating 7.4 billion dollars aiming at providing financial donations to establish a Palestinian state in the future. 3.8 billions Out of the above-mentioned sum should be paid to the Palestinian authority in the year 2008.

There was a kind of compromise between the Palestinians and the Israelis before Annapolis conference, as the Israelis should pave the way for the conference such as releasing 2000 detainees and withdrawing from the Palestinian territories that Israel reoccupied after the Uprising (Intifadah) on December 28, 2000. Furthermore, Israel declared that they will not make any other settlements as well as re-operating the Palestinian institutions in the western Jerusalem, removing the barriers, and lifting the siege.

However, Israel mentioned that they will carry out these demands on the condition that all of the military operations in Gaza as well as the West Bank should stop. In a reportage by Hany Badr Ad-Din, a journalist in the Arabic Ahram magazine, with Nabil Sha'th, a member of the central committee of Fath movement, one of the eminent personalities of the Palestinian foreign politics and one of the eminent Palestinian negotiators, issued in the magazine on Saturday, December 16, 2007, the great



Palestinian politician emphasized, "Israel practiced serious pressure on the Palestinian delegation to be declared as a Jewish state. The Israeli delegation tried to reach his target by presenting many forms that lead at last to their target. "

The Palestinian delegation resisted these attempts in spite of the clear U.S support to the Israeli efforts, as President Bush mentioned three times the Judaism of Israel in his speech in the conference. It is clear that Israel aims at hindering the efforts of repatriation of the Palestinian refugees in addition to getting rid of the Palestinians who did not leave the occupied territories since 1948.

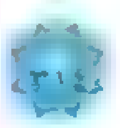
It is clear from the Israeli actions, especially after their return from Annapolis conference that they accuse and fabricate crises with Egypt. This is clarified by Yediot Aharonot newspaper issued that ten families of the Israeli settlement, Sidrot, sued a case against Egypt asking for compensation reaching 300 million L.E for the casualties that occurred to them because the Palestinian Qassam fired rockets against them from Gaza Strip.

The lawsuit included - as the newspaper mentioned - the accusation of Egypt of smuggling explosives and weapons to Gaza Strip. The Israeli Foreign Minister, Tsippy Livny, accused Egypt with the same accusations causing the President Muhammad Hosny Mubarak to declare to the representative of Yediot Aharonot newspaper that the Israeli Foreign Minister exceeded the red lines in accusing Egypt of smuggling weapons to Gaza Strip throughout Sinai.

President Mubarak said in his talk to Yediot Aharonot newspaper, which is issued on December 28, 2007 that Livny should have contacted the Egyptian authorities or sent a delegation for negotiation instead of complaining to media and saying such accusations. The President continued his talk saying, 'The relations with Israel are important and should not be spoilt by the actions taken by the foreign Israeli Minister.

Replying to the question about the passing of the Palestinian pilgrims to Rafah passage, the President Mubarak said, "Egypt is a Muslim country and can not prevent the pilgrims from performing hajj. Israel asked Egypt not to allow them to pass through Rafah passage claiming that they are going to camps for training not for hajj.

It is well known that Israel refused their return from Rafah passage claiming that they hold money from abroad.







ENGLISH
SECTION
Feb-March. 2008

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Does Annapolis Conference aim at peace or is planned to be something else...?

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

On Wednesday 21st of November 2007, the Israeli Prime Minister Ehud Olmert attended at Sharm Al-Sheikh and met the Egyptian President Muhammad Hosni Mubarak. President Mubarak expresses his wish that the international conference, which will be held in Annapolis in the USA, would succeed in breaking the frozen state of the peace process concerning the Palestinian-Israeli attitude. He wishes that it may open the way for comprehensive and impartial peace in all respects.

Furthermore, President Mubarak said, "We regard "Annapolis' as a beginning of serious negotiations leading to real compromise." He stressed the necessity of establishing a Palestinian state that includes Gaza and the West Bank in addition to taking into consideration the Arab peace initiative as one of the targets of the conference. President revealed that Egypt has opened the way for peace and has done her best to push the peace process throughout the last three decades.

Ehud Olmert thanked President Mubarak referring to his role in supporting and sustaining the peace efforts in the region. Olmert regarded that Annapolis meeting represents a serious beginning of peace negotiations with the Palestinians on the basis of establishing two states. He took upon himself not to neglect any of the issues concerning the Palestinians during the negotiation phases.

Before Annapolis conference Olmert told the US President whom he met in Washington, "This time is different, as we have many participants in the meeting which I hope that it could lead to serious negotiations between the Palestinians and us.

The conference was held on the agreed upon day, 2[illegible] of November 2007. A mutual statement was issued out of this conference revealing that the Palestinian and Israeli parties have reached after years of the freezing of peace process to mutual agreement on the beginning of a new period of peace being based on freedom, security, justice, dignity, respect, exchanged confession, spreading peace culture, discarding aggression, and resisting

الفهـــرس

AL AZHAR

MAGAZINE





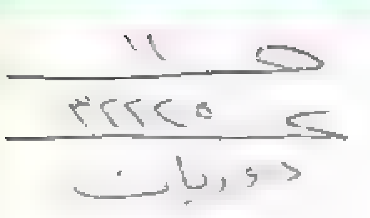






الأزهر
فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم
وأنتم الأعلون والله معكم
غزة
أمة تذبح
وشعب يباد

بسم الله الرحمن الرحيم





الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ . د . محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٠ دولاراً أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم : مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية م. نصر

☎ ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

ربيع الأول ١٤٢٩هـ - مارس ٢٠٠٨م - الجزء الثالث - السنة (٨١)



الافتتاحية

محمد ﷺ في مرآة الكاتب الأمريكي واشنجتن إرفنج

قرأت كتاب «حياة محمد» للكاتب الأمريكي واشنجتن إرفنج فلمست فيه تفوق براعة التصوير ودقة الملاحظة، ثم تشوقت إلى تاريخ العرب في الأندلس يختلف عما يعهده في كثير ممن يكتبون عن هذه الحقبة الماضية في تاريخ الإسلام، وحملت له تقديرا في نفسي لاسيما حين قرأت قوله عن المسلمين في الأندلس: «لقد اعتمدوا ... على مجموعة من القوانين الحكيمة العادلة، ودأبوا على تشجيع العلوم والفنون والنهوض بالزراعة والصناعات والتجارة، وعلى مر الأيام شادوا إمبراطورية لا تنافسها إمبراطورية أخرى مسيحية في ازدهارها، وحرصوا على أن يجمعوا حولهم أسباب الترف والنعيم من الإمبراطورية العربية في الشرق في أوج مدنيتها، ونشروا نور المعرفة الشرقية في ربوع الأقاليم الغربية من أوروبا التي كانت في ظلمات الجهل».

... كتبه المستشرق الأمريكي عن الأندلس قد قربه إلى نفسي ثم علمت أنه كتب مؤلفا مجيدا عن رسول الله ... «حياة محمد» وقد ترجمه الأستاذ الدكتور علي حسني الخربوطلي إلى العربية فتشوقت إلى قراءته، وكدت أن أروح ... الرسول الكريم ... أتحدث ... من الأبواب والفصول، ولكن ... قرأت من فصوله ... ولم تختلف ... إلا أن الكاتب الكبير كان موضوعيا لم ينحرف إلى ... [illegible] ... في كثير ممن كتبوا عن رسول الله من رجال الغرب، وبخاصة فيما قبل القرن التاسع عشر لأن هؤلاء في مجموعهم لأنهم قد ... على ... حين ... مجتمعهم تنجر إلى التحامل بأساطير كاذبة ...

إلى النبي الكريم دون أدنى احترام لروح البحث العلمي النزيه ثم شاء الله أن تخمد روح العداء قليلا فيما بدأ يكتبه أبناء القرن التاسع عشر وما يليه، وأقول قليلا لأن روح التحيز المغرض لا يمكن أن تغيب عن أناس لا يعتقدون في نبوة الرسول الكريم، والمنصف منهم يحاول أن يصوره مصلحا ناجحا لم تتصل أسبابه بالسماء، ولكن كتاب «حياة محمد» قد جاء بما يمكن أن ينتهي إليه كاتب منصف يحاول أن يكشف الحقيقة جاهدا قدر ما يستطيع ولن نكلفه أكثر من هذا فكل إنسان يخضع لمؤثرات خاصة تظهر سماتها في اتجاهه مهما حاول التحرر وحسبه أن رسم صورة النبي الكريم رسما يروق أبناء الأمة الإسلامية بصفاته الحميدة.

لقد عاش واشنجتن إرفنج في الفترة ما بين ١٧٨٣ - ١٨٥٩، ولد في نيويورك وتنقل في العواصم الأوروبية وزار متاحفها وقرأ ما عثر عليه في مكتباتها ورحل إلى إسبانيا فاطلع على آثار الحضارة العربية بما أوحى إليه التفكير ... لأعمال هذه الحضارة ودفعه ذلك إلى أن يقرأ تاريخ الإسلام قراءة متعمقة، وأن يؤلف في هذا التاريخ. فتحدث عن رسول الله في كتاب مستقل وكتب عن الخلفاء الراشدين في حيدة وإنصاف وأترك مترجم «حياة محمد» الأستاذ الجليل الدكتور علي حسني الخربوطلي يتحدث عن الكتاب الذي بذل الجهد في ترجمته الأمينة: «تعتبر ترجمة الكتاب لحياة محمد من أوفى وأدق وأصدق التراجم التي كتبها مؤرخون مستشرقون ليسوا بالعرب ولا المسلمين فقد اهتم بجمع الحقائق التاريخية وعرضها عرضا شائقا في أسلوب جميل واضح، وابتعد عن القدح والتعريض والألفاظ النابية، والأخطاء التي تجدها في مؤلفات بعض المستشرقين مثل ميور وسبرنجر ولامانس وفيل وغيرهم».

ولم يبالغ الأستاذ الدكتور الخربوطلي فيما قال: فالكتاب بأيدينا قرأته أكثر من مرة وإذا كانت أحداثه مشهورة لدى المسلمين إذ لم يأت بجديد فيما دوّنه عنها، فإن ما كتبه لبني قومه يعتبر جديدا على أكثرهم وإن بصفته المفكر لرسول الله سمة خلقية تنبئ عن معدن كريم في خلاله النفسية الكريمة، وسأنقل من كتابه ما نص على ذلك مستعينا بالترجمة الأمينة التي كتبها الدكتور الخربوطلي إذ قدم لنا صورة جميلة أسعدت الروح المؤمنة عن يقين.

يقول الكاتب الكبير ص ٢٩٤: كانت جميع تصرفات الرسول تدل على رحمة عظيمة وكان سريع البديهة قوي الذاكرة واسع الأفق، عظيم الذكاء، ورغم قلة نصيبه من التعليم فقد نمى مداركه ومعلوماته بقوة ملاحظته ومن استفادته من معرفة وبخاصة في شئون العقيدة. كان حديثه رصينا مؤثرا بديعا له نغمات موسيقية هادئة، ثم يقول ص ٢٩٦: كان الرسول عادلا، إذ يعامل الأصدقاء والغرباء، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء على قدم المساواة، وكان عامة الناس يحبون الرسول إذ كان يحسن استقبالهم ويستمع إلى شكواهم.

ثم قال المؤلف ص ٣٠٠: دخل على قصة حياة الرسول كثير من الأساطير مما يجعل من الصعب الحكم على شخصيته، وهنا ما تخالف المؤلف فيه، ويمكننا أن نقسم حياته إلى فترتين أما الفترة الأولى فتبدأ منذ حداثته إلى رجولته ونتساءل: هل كان ثريا؟ لا بل كان فقيرا، إلا أنه تزوج خديجة فأصبح على جانب من الثراء وجده في سبيل تنمية ثروته. هل كان ...؟ نعم قد كان له شأن في وطنه فقد كان رجلا ذكيا وأب

هل كان قوي العود؟ نعم. فقد كانت أسرته تقوم بسدانة الكعبة وتتولى شئون مكة تلك المدينة المقدسة، وربما كان مركزه وما تتصف به من أخلاق كريمة يؤهلانه ليكون موضع الثقة وقد بلغت النظر أنه قضى الفترة الأولى من حياته قبل نزول الوحي في عشرة زوجية في وحدة وصيام وصلاة وتعبد، وقد نزل عليه الوحي من السماء ليعلن أنه رسول الله فوقع في حيرة شديدة، أحلم هو أم رؤيا؟ وتعلل شكوكه إلى زوجته المخلصة، فذهبت إلى ورقة وعادت تؤكد له حقيقة نبوته.

وفي الفترة الثانية من ٦٢٢ حينما وصل إلى المدينة لم يكن يفكر في القوة العظيمة التي كانت تنتظره كان تفكيره منصرفا إلى بناء مسجد يستطيع أن يصلي فيه وينشر دعوته ورغم انتصاراته العسكرية فإن هذه الانتصارات لم تثر كبرياءه وغروره فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحته الشخصية. وهو في أوج مجده كان يحافظ على بساطته وتواضعه. كان يكره إذا دخل حجرة بها جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به. لقد كان في كل تصرفاته عادلا رحيما ناكرا لذاته بعيدا عن التكبر في الثراء أو المصالح المادية وكانت ثقته بربه هي التي تجعله يتسم بالثبات عند الخطوب. إذ كان يتوجه بكل آماله إلى الله طالبا رحمته.

هذا كثير من قليل مما ذكره في مجال الإشادة بنبي الإسلام، وهي إشادة صادقة أوحى بها نظر محايد لا يميل إلى الإطراء الكاذب بل يجعل الحقائق تنطق بوقائعها دون تلبيس، على أني أرى اختلاف النظر معه في بعض ما سجل من الآراء كأنه أمر طبيعي لا مشاحة فيه، فقد عثت على المؤلف فكرة التأثر بتعاليم المسيحية لدى محمد وردّدها في موقف سني مستدلا بما ذكره الرواة من أحاديث لا ترتقي إلى مرتبة اليقين ومن ذلك ما ذكره عن رحلتي رسول الله إلى الشام مع عمه أبي طالب، إحداهما في سن التاسعة والأخرى في سن الثانية عشرة فقد قال ص٤٧: استقبل الراهب أبا طالب وابن أخيه حين بلغت القافلة بصرى وهي على حدود سوريا قرب الأردن استقبالا عظيما وعجب به الراهب بحيرى أو سرجيوس وأثنى على رغبته في الاستزادة من العلم وبحاجة في المسائل الدينية وتناقش الراهب مع محمد حديث في عدة مواضع ولا شك أن الراهب قد وضع همه في إنشاء على تعاليم الكثير التي سبقت سماع ويسبب التكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحي إلى محادثة مع ذلك الراهب. وقد لعبت هذه المعلومات دورا كبيرا في حياة محمد فيما بعد ويبدو أن ذلك الراهب حريص على التبشير بدينه قد توسم خيرا في هذا الشاب فذكى في الشاب إيمانا ورأى أنه خير من يحمل نور المسيحية إلى مكة ثم عاد محمد إلى مكة وقد تأثر خياله بالقصص والروايات التي سمعها في الصحراء وبأحاديث ذلك الراهب النسطوري.

وأقول: لم يخترع المؤلف هذا الحديث اختراعا، ولكنه وجد سنده في بعض الروايات العربية التي تحفل بها كتب السيرة قطعا، والحق لا شك فيه مع أن أي عاقل ينكر بداهة أن يكون غلام في التاسعة أو في الثانية عشرة يجلس إلى راهب بصرى ساعة أو بعض ساعة فيتلقى أسرار المسيحية ويتأثر بتعاليمها، وقد رحل مع عمه ليدرب مرانه على الرحلات التجارية وليكون تاجرا رحالة فيما بعد، وقد قال الأستاذ الكبير محمد كرد علي في تفنيد هذه الروايات وهو يفند ما كتبه الدكتور هيكل في كتابه (حياة محمد):

وقد تابع هيكل بعض المؤرخين في دعوى أن الرسول اجتمع مع الراهب بحيرى في بصرى ثم اتصل في

رحلته الثانية ببعض نصارى الشام وتحدث إلى رهبانهم وسمع منهم وهذه الروايات في اجتماع الرسول ﷺ ببحيرى ونسطور لا تستند إلى أصل تاريخي صحيح، ولذلك أوردها ابن كثير في البداية والنهاية بصيغة التشكيك فقال: زعموا ولم يرد لبحيرى ذكر في كتب السريان، وقد اختلف الناس فيه فمن قائل: إنه كان حبرا من يهود تيماء، ومن قائل: إنه كان من عبد القيس واسمه سرجيس وفي سيرة ابن هشام أنه كان إليه علم النصرانية.

ثم يقول الأستاذ محمد كرد علي بعد أدلة منطقية مقنعة: إن تناقض الروايات في دين الراهب أكان يهوديا أم نصرانيا؟ وتناقض الروايات في محل الاجتماع هل كان في تيماء أو كان في بصرى، وتناقضهم في الرحلة الثانية واجتماع الرسول بنسطور مما يوقع الشك في أمرها. كما أنه من المتعذر أن يأخذ الرسول عن الرهبان وهو غلام صغير في سن التاسعة أو الثانية عشرة شيئا من دينهم.

وأقول: إن الثابت عن يقين أن رسول الله لم يدع إلى الإسلام ولم يشر مجرد إشارة إلى الديانات السابقة بعد رجوعه من رحلتي الشام فكيف تؤثر فيه تعاليم مسيحية ثم يسكت سكوتا تاما على مدى ثلاثين عاما لا يشير بشيء إلى ما سمع من الراهب وما وعى عنه؟ وكيف يتصور الراهب أن طفلا في التاسعة يستطيع أن يقوم بالدعوة إلى المسيحية في مكة بعد رجوعه؟ والذين يفدون إلى بصرى من تجار العرب شبانا وشيوخا كثيرون وهم عقلاء مفكرون! أفلا يجد الراهب غير هذا الطفل الصغير ليلقنه تعاليم مسيحية في ساعة أو ساعتين ثم يكون لهذا الاجتماع في هذه السن الباكرة أثره الخطير!!

ونحن نوافق المؤلف على قوله: إن محمدا لم يدع أنه جاء بعقيدة جديدة بل هو يردد ما جاء به القرآن من قوله - عز وجل -

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(البقرة ١٣٠، ١٣١)

فهذا حق لا شك فيه نضيف إليه قول الله - عز وجل -:

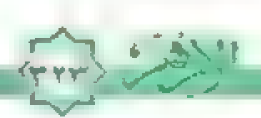
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

(الشورى ١٣)

ولكن دعوى الإفادة من بحيرى الراهب ليس لصحتها أدنى دليل.

- يتبع

د./ محمد رجب البيومي



تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝﴾

(الآيات ١٦١-١٦٤)

نهى -سبحانه- عن الغلول وبرأ نبيه ﷺ عن ذلك فقال -تعالى-:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

وقوله ﴿يَغْلُلْ﴾ من الغلول وهو الأخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها يقال: غل فلان شيئا من المغنم يغل غلولا إذا أخذه خفية ويقال: أغل الجازر أو السالخ إذا أبقى في الجلد شيئا من اللحم على طريق الخفية.

وأصله من الغلل وهو دخول الماء في خلل الشجر خفية والغل: الحقد الكامن في الصدر وسميت هذه الخيانة غلولا لأنها تجرى في الملك على خفاء من وجه لا يحل.

والمعنى: ما صح ولا استقام لنبى من الأنبياء أن يخون في المغنم لأن الخيانة تتنافى مع مقام النبوة الذى هو أشرف المقامات.

﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾ أى: ومن يرتكب شيئا من ذلك

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

أى يأت بما غله يوم القيامة حاملا إياه ليكون فضيحة له يوم الحشر ليؤخذ بإثم غلوله وخيانته.

وقد روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها ما أخرجه أبو داود والترمذى عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية»

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾

في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها وأكثروا في ذلك فأنزل الله الآية.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أيضا أن المنافقين اتهموا رسول الله ﷺ بشيء فقد فأنزل الله -تعالى-:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾

قال ابن كثير -بعد أن ساق هاتين الروايتين- وهذه تبرئة له ﷺ من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسمة الغنيمة وغير ذلك[1].

وفى ورود هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن غزوة أحد حكمة عظيمة وتأديب من الله للمؤمنين وتحذير لهم من الغلول ذلك أن الرماة الذين تركوا أماكنهم مخالفين أمر رسول الله ﷺ قد دفعهم لذلك خشيتهم من أن يتفرد المقاتلون بالغنائم فعملوا ما فعلوا ولقد روى أن الرسول ﷺ قال للرماة: «أظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم»[2].

وقد نهى ﷺ في كثير من الأحاديث عن الغلول ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك، ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك، ولا

(1) تفسير ابن كثير

ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق - أي ثياب - فيقول يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت - أي ذهب وفضة - فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك».

هذا، وجمهور العلماء على أن الغال يأتي بما غله يوم القيامة بعينه على سبيل الحقيقة لأن ظواهر النصوص من الكتاب والسنة تؤيد ذلك ولأنه لا موجب لصرف الألفاظ عن ظواهرها.

ومن العلماء من جعل الإتيان بالغلول يوم القيامة مجازا عن الإتيان بإثمه تعبيرا بما غل عما لزمه من الإثم مجازا.

قال الفخر الرازي: «واعلم أن هذا التأويل - المجازي - يحتمل، إلا أن الأصل المعتبر في علم القرآن أنه يجب إجراء اللفظ على الحقيقة إلا إذا قام دليل يمنع منه وهنا لا مانع من هذا الظاهر فوجب إثباته»[3].

ومن المفسرين الذين حملوا الإتيان على ظاهره الإمام القرطبي فقد قال عند تفسيره لقوله - تعالى -:

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

أي: يأتي به حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومرعوبا بصوته، وموبخا بإظهار خيانته على رءوس الأشهاد.

وقال بعد إيراده للحديث السابق الذي رواه مسلم عن أبي هريرة: قيل الخبر محمول على شهرة الأمر أي يأتي يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل بعيرا له رغاء أو فرسا له حمحمة.

قلت: وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه، وإذا دار الكلام بين الحقيقة والمجاز فالحقيقة الأصل - كما في كتب الأصول - وقد أخبر النبي ﷺ بالحقيقة ولا عطر بعد عروس»[4].

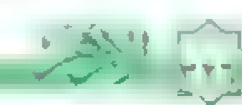
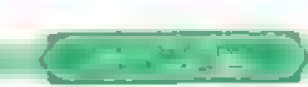
ثم نبه - سبحانه - على العقوبة التي ستحل بالخائن، بعد أن بين ما سيناله من فضيحة وخزي فقال:

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

أي: ثم تعطى كل نفس يوم القيامة جزاء ما كسبت من خير أو شر وافيا تاما، وهم لا يظلمون شيئا، لأن الحاكم بينهم

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ٩ ص٦٣

(٤) تفسير القرطبي جـ٤ ص٢٥٦

هو ربك الذي لا يظلم أحداً.

وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها وهو قوله ﴿ وَمَن يَغْلُلْ ﴾ وجاء العطف بثم المفيدة للتراخي؛ للإشعار بالتفاوت الشديد بين حمله ما غل وبين جزائه وسوء عاقبته يوم القيامة.

وقال - سبحانه -:

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ ﴾

بصيغة العموم، ولم يقل ثم يوفى الغال - مثلا - لأن من فوائد ذكر هذا الجزاء بصيغة العموم، الإعلام والإخبار للغال وغيره من جميع الكاسبين بأن كل إنسان سيجازى على عمله سواء أكان خيرا أو شرا فيندرج الغال تحت هذا العموم أيضا فكأنه قد ذكر مرتين.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: فإن قلت: هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به؟ قلت: جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى، وهو أبلغ وأثبت، لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيراً أو شراً مجزى فموفى جزاءه، علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب»[5].

ثم أكد - سبحانه - نفي الظلم عن ذاته فقال:

﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾

بأن واظب على ما يرضيه، والتزم طاعته، وترك كل ما نهى عنه من غلول وغيره؛

﴿ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾

أي كمن رجع بغضب عظيم عليه من الله بسبب غلوله وخيانته وارتكابه ما نهى الله عنه من أقوال وأفعال؟

فالآية الكريمة تفريع على قوله - تعالى - قبل ذلك:

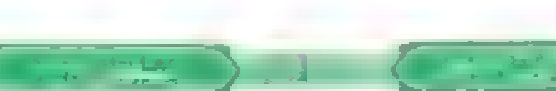
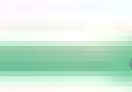
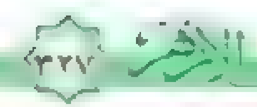
﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

وتأكيد لبيان أنه لا يستوي المحسن والمسيء والأمين والخائن.

والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا يستوي من اتبع رضوان الله مع من باء بسخط منه.

وقد ساق - سبحانه - هذا الكلام الحكيم بصيغة الاستفهام الإنكاري، للتنبيه على أن عدم المساواة بين المحسن والمسيء أمر بدهي واضح لا تختلف فيه العقول والأفهام، وأن أي إنسان عاقل لو سئل عن ذلك لأجاب بأنه لا يستوي من اتبع رضوان الله مع من رجع بسخط عظيم

(٥) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٢٥

بسبب كفره أو فسقه ونفاقه، وشبيه بهذه الآية قوله - تعالى -:

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾

(السجدة: ١٨)

وقوله:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾

(ص: ٢٨)

والفاء في قوله ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ ﴾ للعطف على محذوف والتقدير، أمن اتقى فاتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله؟

ثم أعقب - سبحانه - ذكر سخطه بذكر عقوبته فقال:

﴿ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

أي أن هذا الذي رجع بغضب عظيم عليه من الله - تعالى - بسبب كفره أو فسوقه وخيانته، سيكون مثواه ومصيره إلى النار وبئس ذلك المصير الذي صار إليه وكان له مرجعا ونهاية.

ثم بين - سبحانه - النتيجة التي ترتبت على عدم تساوي المحسن والمسيء فقال:

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

والضمير ﴿ هُمْ ﴾ يعود على «من» في قوله:

﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾

وقوله

﴿ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾

أي على الفريقين. وبعضهم جعل مرجعه إلى الفريق الأول فقط.

والدرجات: جمع درجة وهي الرتبة والمنزلة، ومنه الدرج بمعنى السلم لأنه يصعد عليه درجة بعد درجة.

وأكثر ما تستعمل الدرجة في القرآن في المنزلة الرفيعة، كما في قوله - تعالى -:

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾

(الزخرف: ٣٢)

بخلاف الدركة فإنها تستعمل في عكس ذلك، كما في قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾

(النساء: ١٤٥)

ولذا قال الراغب: «الدرك كالدرج لكن الدرج يقال اعتبارا بالصعود. والدرك اعتبارا بالحدور، ولهذا قيل: درجات الجنة ودركات النار ولتصور الحدور في النار سميت هاوية»[1].

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص١٦٢

والمعنى: هم - أي الأخيار الذين اتبعوا رضوان الله، والأشرار الذين رجعوا بسخط منه متفاوتون في المثوبات والعقوبات على حسب أعمالهم كما تتفاوت الدرجات وإطلاق الدرجات على الفريقين من باب التغليب للأخيار على الأشرار، والمراد أن الذين اتبعوا رضوان الله يتفاوتون في الثواب الذي يمنحهم الله إياه على حسب قوة إيمانهم، وحسن أعمالهم.

كما أن الذين باءوا بسخط منه يتفاوتون في العقاب الذي ينزل بهم على حسب ما اقترفوه من شرور وآثام، فمن أوغل في الشرور والآثام كان عقابه أشد من عقاب من لم يفعل فعله وهكذا.

والذين قالوا إن الضمير «هم» يعود على الفريق الأول فقط احتجوا بأن التعبير بالدرجات يستعمل في الغالب في الثواب، وبأن الله قد أضاف هذه الدرجات لنفسه فدل ذلك على أن المقصود بقوله: هم الذين اتبعوا رضوان الله. وبأن هؤلاء الذين اتبعوا رضوان الله قد فضل الله بعضهم على بعض كما جاء في بعض الآيات ومنها قوله:

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

(الإسراء: ٢١)

والذي نراه أن عودة الضمير «هم» على الفريقين أقرب إلى الحق، لأن تفاوت الدرجات موجود بين الأخيار كما أن تفاوت العقوبات موجود بين الأشرار، فالذين أدوا جميع ما كلفهم الله به من طاعات ليسوا كالذين قصروا في أداء الفرائض، والذين انحدروا في المعاصي إلى نهايتها ليسوا كالذين وقعوا في بعضها.

وقوله ﴿ عِندَ اللَّهِ ﴾ أي في حكمه وعلمه وهو تشريف لهم والظرف متعلق بدرجات على المعنى، أو متعلق بمحذوف وقع صفة لها، أي درجات كائنة عند الله.

وقوله

﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

أي مطلع على أعمال العباد صغيرها وكبيرها ظاهرها وخفيها، لا يغيب عنه شيء، وسيجازي كل إنسان بما يستحقه على حسب عمله، بمقتضى علمه الكامل، وعدله الذي لا ظلم معه.

وبعد أن نزه الله - تعالى - نبيه ﷺ عن الغلول وعن كل نقص، وبين أن الناس متفاوتون في الثواب والعقاب على حسب أعمالهم

بعد أن بين ذلك أتبعه ببيان فضله - سبحانه - على عباده في أن بعث فيهم رسولاً منهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور فقال - تعالى -

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾

قال الرازى: قال الواحدى: «للمن فى كلام العرب معان.

أحدها: الذى يسقط من السماء، وهو قوله

﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾

(البقرة: ٥٧)

وثانيها: أن تمن بما أعطيت كما فى قوله

﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾

(البقرة: ٢٦٤)

وثالثها: القطع كما فى قوله

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾

(القلم: ٣)

ورابعها: الإنعام والإحسان إلى من لا تطلب الجزاء منه- وهو المراد هنا.»[1]

والمعنى: لقد أنعم الله على المؤمنين، وأحسن إليهم

﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾

أى: بعث فيهم رسولاً عظيم القدر، هو من العرب أنفسهم، وهم يعرفون حسبه ونسبه وشرفه وأمانته ﷺ.

وعلى هذا المعنى يكون المراد بقوله:

﴿ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أى من نفس العرب، ويكون المراد بالمؤمنين مؤمنى العرب، وقد بعثه الله عربياً مثلهم، ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع بتوجيهاته.

ويصح أن يكون معنى قوله:

﴿ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أنه بشر مثل سائر البشر إلا أن الله - تعالى - وهبه النبوة والرسالة، ليخرج الناس - العربى منهم وغير العربى - من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، وجعل رسالته عامة فقال:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وخص الله - تعالى - منته وفضله بالمؤمنين، لأنهم هم الذين انتفعوا بنعمة الإسلام، الذى لن يقبل الله ديناً سواه والذى جاء به محمد - عليه الصلاة والسلام-.

والجملة الكريمة جواب قسم محذوف والتقدير: والله

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ثم بين - سبحانه - مظاهر هذه المنة والفضل ببعثة الرسول ﷺ فقال:

---

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٩ ص٨١

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾

والتلاوة: هى القراءة المتتابعة المرتلة التى يكون بعضها تلو بعض.

والتزكية: هى التطهير والتنقية.

أى: لقد أعطى الله - تعالى - المؤمنين من النعم ما أعطى، لأنه قد بعث فيهم رسولا من جنسهم يقرأ عليهم آيات الله التى أنزلها لهدايتهم وسعادتهم.

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أى: يطهرهم من الكفر والذنوب، أو يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين طاهرين مما كانوا عليه من دنس الجاهلية، والاعتقادات الفاسدة.

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾

بأن يبين لهم المقاصد التى من أجلها نزل القرآن الكريم، ويشرح لهم أحكامه، ويفسر لهم ما خفى عليهم من ألفاظه ومعانيه التى قد تخفى على مداركهم.

فتعليم الكتاب غير تلاوته: لأن تلاوته: قراءته مرتلا مفهوما أما تعليمه فمعناه: بيان أحكامه وما اشتمل عليه من تشريعات وآداب.

ويعلمهم كذلك ﴿ الْحِكْمَةَ ﴾ أى الفقه فى الدين ومعرفة أسراره وحكمه ومقاصده التى يكمل بها العلم بالكتاب.

وهذه الآية الكريمة قد اشتملت على عدة صفات من الصفات الجليلة التى منحها الله - تعالى- لنبيه محمد ﷺ.

ثم بين - سبحانه - حال الناس قبل بعثة الرسول ﷺ فقال:

﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

أى: إن حال الناس وخصوصا العرب أنهم كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ إليهم فى ضلال بين واضح لا يخفى أمره على أحد من ذوى العقول السليمة والأذواق المستقيمة.

وحقا لقد كان الناس قبل أن يبزغ نور الإسلام الذى جاء به ﷺ من عند ربه فى ضلال واضح، وظلام دامس، فهم من ناحية العبادة كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى، ومن ناحية الأخلاق تفشت فيهم الرذائل حتى صارت شيئا مألوفا. ومن ناحية المعاملات كانوا لا يلتزمون الحق والعدل فى كثير من شئونهم.

والخلاصة: أن الضلال والجهل وغير ذلك من الرذائل، كانت قد انتشرت فى العالم بصورة لا تخفى على عاقل.

فكان من رحمة الله بالناس ومنته عليهم أن أرسل فيهم نبيه محمدا ﷺ لكى يخرجهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان إلى نور الهداية والاستقامة والإيمان.



السنة

أنا دعوة أبي إبراهيم

عن عرباض بن سارية - رضي الله عنه - صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إني عبد الله، وخاتم النبيين، وإني منجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة التي رأت) وكذلك أمهات النبيين يرين، وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام، ثم تلا:

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾

(الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

رواه الحاكم في مستدركه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

التعريف بالراوي

هو عرباض بن سارية السلمي، يكنى أبا نجيح، روى عنه عبد الرحمن بن عمرو، وجبير بن نفير، وخالد بن معدان، وسكن - رضي الله عنه - الشام، وكان من أهل الصفة، والصحابة الأجلاء، وهو أحد البكائين، روى له أصحاب السنن: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وتوفي - رضي الله عنه - سنة خمس وسبعين للهجرة، وقيل: توفي في فتنة ابن الزبير - رضي الله عنه -.

المفردات

عرباض: الغليظ الشديد من الإبل، ومن الناس.

وخاتم النبيين: أي آخرهم، وقد تأتي بالفتح (خاتم) فيكون معناها زينتهم [illegible] والمراد به [illegible] - عليه السلام -.

منجدل: ملقى على الأرض.

[illegible] دعوة أبي إبراهيم [illegible] كان ثمرة لدعوة أبيه إبراهيم - عليه السلام - حين ذهب في زيارة إلى بيت الله الحرام، وقف يدعو ربه قائلا:

﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾

(البقرة: ١٢٩)

وبشارة عيسى: البشارة التي قالها عيسى - عليه السلام - كما حكى القرآن الكريم:

﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾

(الصف: ٦)

ورؤيا أمي آمنة: حيث رأت أنه نور خرج منها أضاءت له قصور الشام.

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا﴾

(الأحزاب: ٤٥)

أي: على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة.

ومبشرا: أي تبشرهم برحمة [illegible]، وعظيم ما [illegible] من عند ربك - عز وجل.

ونذيرا: أي من [illegible] يدخلون [illegible] فيعملوا بما هم [illegible]، وحذرهم [illegible] من عند الله - عز وجل.

الشرح والبيان

معلوم أن آدم - عليه السلام - هو أول الخلق وجودا، فأوليته [illegible]، أما أولية محمد ﷺ - فهي أولية رتبة تشريفية عالية، فهو - وإن كان آخر الأنبياء [illegible] أولهم رتبة ومقاما، فقد ختم الله به النبيين، وأكمل به الرسالة، وأتم الدين، قال تعالى:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾

([illegible])

وقال:

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾

(الأحزاب: ٤٠)

وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

ثم راح رسول الله - ﷺ - يوضح لأصحابه ذلك، فقال: (أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة التي رأت) وأخذ راوي الحديث يبين أن آمنة لم تكن بدعا من أمهات النبيين، فقد كن يرين، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورا خرج منها أضاءت له قصور الشام، وأكد ذلك بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم:

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾

(الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

أي: داعيا إلى توحيد الله، وإفراده بالألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة

والأوثان. وكان ذلك بعد مولده ﷺ الذى بهر الدنيا بسيرته، وملأ التاريخ بعظمته، فإنه فى شهر ربيع الأول من عام الفيل فرحت الأرض وازينت السماء واستبشرت الكائنات بمولد خير البرية ورسول الرحمة الذى أقام موازين العدالة، ونصب مشاعل الهداية، ودعم أركان السلام فى كل مكان، وأسس قواعد الحق ثابتة لا تميد ولا تهتز بعد أن قوض أركان الباطل، وهدم سلطانه وهزم أنصاره وأعوانه فى وقت كانت حالة الناس فيه قد وصلت من الفساد إلى النهاية، وبلغت البشرية الدرك الأسفل من الانحطاط، وغشيت العالم كله ظلمات كثيفة من الكفر والجهل والفجور، وغيّر الناس وبدلوا فى دين الله، وحرّفوا الكتب التى أنزلها الله على رسله، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وعبدوا من دون الله آلهة شتى.

وكان العرب إذ ذاك أسوأ الناس حالاً، وأشدهم إمعانًا فى الجهالة والضلالة فلقد أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وعبدوا العديد من الأصنام والأوثان التى لا تضر ولا تنفع ولا تغنى عن نفسها شيئًا.

وفى وسط هذا الظلام الدامس، والجهل المطبق، والضلال المبين الذى أعمى أبصارهم وبصائرهم، وأفقدهم رشدهم، انتشرت بينهم العادات القبيحة، والأخلاق الذميمة مثل شربهم الخمر، وإتيانهم الفاحشة، وأكلهم الربا، ووأدهم البنات، واستقسامهم بالأزلام، إلى جانب الطبقية المقيتة، من سادة وعبيد، سادة يملكون كل شىء، وعبيد لا يملكون أى شىء، بل يساومون فى الأسواق كما تساوم الأنعام.

وظل الأمر على هذا، حتى شاء الله - عز وجل - لهذا الليل أن ينجلى، ولهذا الجهل أن يغيب من الوجود، ولهذا الضلال أن ينقشع، ولهذا الباطل أن يزهق، فبزغ الفجر عظيمًا، وأشرقت شمس يوم جديد.

يوم يتيه على الزمان صباحه ... ومساؤه بمحمد وضاء

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... وفم الزمان تبسم وثناء

ولد محمد ﷺ فلم يكن ميلاده ميلادًا عاديًا، لم يكن مجرد إنسان درج على هذه الأرض، كما يدرج آلاف الناس الذين تنشق عنهم أمهاتهم فى كل ساعة من ساعات اليوم، بل كان ميلاده نورًا للأحياء، وروحًا للحياة. قال تعالى:

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾

(المائدة: 15)

فالنور هو محمد، والكتاب هو القرآن الكريم، وقال تعالى:

﴿ يا أيها الذين ... ﴾

(الأنفال: 24)

أى: لما فيه حياتكم.

وفد على الإنسانية كما تفد العافية على عليل أضناه السقم، وأنهكته العلة، وطرق بابها كما يطرق الغنى الكريم باب قوم عضهم الفقر وأذلهم الحرمان، وأطلّ على الدنيا كما يطلّ الفجر الصادق، ينشر الضياء على آفاقها فتولى جحافل الظلام

مقهورة مدحورة، وكيف لا؟ وهو رسول يهدى ويعلم، وإنسان يعز ويكرم، وأب يحنو ويرحم:

وإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان فى الدنيا هما الرحماء

[illegible] ... وإذا سخوت بلغت بالجود المدى

وفعلت ما لا تفعل الأنواء

ثم هو بعد هذا وذاك صديق ودود لكل الناس يعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ويحلم عمن جهل عليه:

وإذا عفوت فقادرًا ومقدرًا ... لا يستهين بعفوك الجهلاء

وكيف لا يكون كذلك، وقد تولى الله - عز وجل - تربيته ورعايته بنفسه فى أطوار حياته كلها، قبل مولده وبعده، وقبل بعثته وبعدها، فأما رعايته له قبل أن يولد؛ فهو اختياره له أكرم الآباء والأمهات، وفى ذلك يقول رسول الله - ﷺ -: (إن الله اصطفانى من بنى هاشم، واصطفى بنى هاشم من قريش، واصطفى قريشًا من بنى إسماعيل فأنا خيار من خيار)[1].

وحسبنا أن جده الأعلى هو أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم - عليه السلام -، ورسول الله محمد - ﷺ - هو دعوة ذلك الجد الأعلى حين دعا الله - تبارك وتعالى - فى إحدى زياراته للبيت الحرام وأهله قائلا:

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾

(البقرة: 129)

وأما رعايته له من مولده إلى البعثة، فهو إمداده له بأسباب العصمة مما يأتيه الأطفال فى حداثتهم، وما كان للشبان من ميل إلى اللهو والعبث، وما كان للجاهلية عامة من معتقدات وعادات وتقاليد، لاسيما الاستقسام بالأزلام، وشرب الخمر ولعب الميسر، هذا إلى جانب ما أمده الله به من محاسن الخلق ومعالى الصفات، وهى الصفات التى أشارت إليها زوجه خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - حين رجع إليها ترجف بوادره من روعة الوحى، وهو يقول لها: لقد خشيت على نفسى، فقالت: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق.. رواه البخارى ومسلم.

وتلك مكارم هى هى بعينها التى لفتت إليه أنظار أهل مكة حتى اجتمعوا على تسميته بالصادق الأمين، فعندما أمره الله - تعالى - بالجهر بالدعوة، ونزل عليه قوله - تعالى -:

﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾

(الشعراء: 214)

صعد على الصفا، فقال: (يا معشر قريش) فقالت قريش: محمد على الصفا يهتف، فأقبلوا واجتمعوا فقالوا: مالك يا محمد؟ قال: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم

---

(1) السنن الكبرى للبيهقى ٣٢١/٢، صحيح مسلم الفضائل ١٠، بنحوه.

تصدقوني؟ قالوا: نعم، أنت فينا غير متهم، وما جربنا عليك كذبا قط)[2].

وحين حرصت قريش على تجريحه، وتلفيق ما يشين نسبه، وصرف الناس عن دعوته، وقف أحد زعمائهم وهو النضر بن الحارث وقال: يا معشر قريش: إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر.

وهذه مكارمه يشهد بها التي بعثت إليه تطلبه خديجة فآثرته وهو الفقير على كل من تقدم إليها من أهل الشرف والغنى والجاه والرياسة، إذ كان الخلق العظيم في فطرتها الصافية أرجح لديها من كل ما للناس من شارات الشرف والغنى والجاه.

وهكذا كان محمد - ﷺ - رغم نشأته في هذه البيئة الفاسدة نموذجا وحده فما شرب خمرا، وما أتى فاحشة، وما تعلق بوثن، وما سجد لصنم قط، وإنما شغل نفسه بعظائم الأمور وجلائلها، فعاش حياته كلها منزها عن النقائص، مبرأ من العيوب، مثال الكمال والإجلال، مثار الإعجاب والتقدير، ولا عجب، فقد زكى الله سبحانه نطقه فقال:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

(النجم 3)

وزكى بصره فقال:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾

(النجم 17)

وزكى فؤاده فقال:

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾

(النجم 11)

وزكاه كله فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: 4)

هذا وقد شهد كثير من الذين لم يؤمنوا بنبوته.. بفضله وصدقه وأمانته.

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الأعداء

يقول الكاتب الكبير برناردشو: لو كان محمد بعث في هذا العصر لحسبت لنجح نجاحا تاما في حل المشكلات العالمية وقاد العالم إلى السعادة والسلام وصدق رب العالمين إذ يقول لنبيه الكريم ورسوله العظيم:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

(الشرح: 1: 4)

فكان يخلو بنفسه في غار حراء منصرفا بقلبه وفكره عن كل ما عداه ليفرغ بهمه إلى مناجاة مولاه حتى كانت الليلة التي أكرمه الله فيها وشرفه بالاجتباء للرسالة؛ وهو حري بها وأهل لها. فلقد كان - ﷺ - ربانيا في كل شيء: في أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، وعباداته ومعاملاته، وكان دائم المراقبة لربه كثير الذكر له. كان نطقه ذكرا،

(2) مجمع الزوائد للهيثمي ج9 ص 122

وصمته فكرا، وحديثه عبرة، وكان من حبه لربه أن سخر جوارحه كلها لخدمة مولاه، فلله ما يفعل ولله ما يترك، ما أحب شيئا ولا أحدا إلا لأن الله يحبه، وما بغض شيئا ولا أحدا إلا لبغض الله له، ومع ذلك كان دائما أبدا يطلب إلى ربه أن يرزقه المزيد من هذا الحب فكان يقول: (اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك، واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد)

ولكن كانت معرفته - ﷺ - الكاملة بالله وصفاته قد دفعته إلى هذا الحب العظيم. وإن هذه المعرفة الكاملة بعينها هي التي أورثته جلال الخوف والهيبة من الله - سبحانه - حتى في أكثر حالاته قربا إلى الله - عز وجل.

فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت نائمة إلى جنب النبي - ﷺ - ففقدته من الليل، فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول: (أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) رواه الإمام مالك في موطئه.

هذا وإذا كان الله - عز وجل - قد حسَّن خلق نبيه الكريم ورسوله العظيم فقد حسَّن خلقه وما أروع ما أنشده الصحابي الجليل حسان بن ثابت - رضي الله عنه - يمتدح به النبي ﷺ:

وأحسن منك لم تر قط عيني
وأعظم منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وقد ورد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: صحبت رسول الله - ﷺ - عشر سنين، وشممت العطر كله، فلم أشم نكهة أطيب من نكهته.

فلا عجب بعد هذا كله أن يأمرنا رب العالمين بأن نقتدي به في كل أحواله وسائر تصرفاته:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: 21)

وأن نطيعه في كل أمر ونهي صدر عنه:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

(الحشر: 7)

وقد روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) فهنيئا لكل من أطاعه واتبع هداه وويل لكل من عصاه واتبع شيطانه وهواه، ولا يكون الإيمان إيمانا كاملا إلا إذا ترك هوى نفسه واتبع هوى نبيه وفي هذا يقول رسول الله - ﷺ - (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) رواه صاحب (الإبانة الكبرى) عن عبد الله بن عمرو.

وفقنا الله - عز وجل - جميعا لاتباع شرعه وإحياء سنته، والتخلق بأخلاقه، والسير على نهجه، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

(2) إتحاف السادة المتقين ج 5 ص 78، ميزان الاعتدال 3334

الرسول الداعية ﷺ

[illegible]

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. [illegible]

والحديث عن سيدنا محمد كداعية يساعد كثيرا وبخاصة في عصرنا الحاضر لنقتدي به ونسير على نهجه في هذا الطريق العظيم. وذلك لأن هذا الدين جعله الله تعالى ليكون دينا عالميا ومن هنا جاءت مقولة عالمية الإسلام إذ يقول الحق تبارك وتعالى في دستوره الخالد

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

مفاد الآية أن رسالة سيدنا محمد كانت عامة لجميع المخلوقات والكائنات، فكان رحمة رحم الله بها العباد جميعا فرحمته عمت الإنسان والحيوان والنبات والجماد فكل الكائنات مستهم رحمته تعالى ومع هذه الرحمة كانت دعوته ﷺ للناس جميعا مبشرا لهم بالنعيم المقيم في حالة إيمانهم وعبادتهم لربهم الخالق البارئ المصور الذي له الأسماء الحسنى يقول تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

(سبأ: ٢٨)

كما يقول تعالى

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

(الفرقان: ١)

فالآيات تبين أن هذه الدعوة كانت عامة لكل البشر وكما جاء القرآن الكريم مبينا لهذه العالمية بين لنا الحق تبارك وتعالى كيف تكون الدعوة؟ وبين لنا طريق الدعوة يقول تعالى

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

(النحل: ١٢٥)

ومن أجل ذلك كانت هذه الدعوة مؤثرة وكانت مباركة يلتف حولها من شرح الله صدره للإسلام وهداه إلى الطريق القويم والصراط المستقيم. ومن الطريق المستقيم حث لهم بالحسنى والحوار الذي يقوم على إظهار الحق ومعرفة اليقين ولذلك يقول تعالى

﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

وكما يقول تعالى

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

ولذلك فكما كان الرسول ﷺ يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة كان أصحابه وأتباعه بل والأمة الإسلامية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولذلك كان هؤلاء القوم هم المفلحون في الدنيا والآخرة، فلقد تحملوا عبء هذه الدعوة في الدنيا وكان لهم الفضل في نشرها وذيوعها في الآفاق وقد يكون من الحسن أن نبين كيف كان الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة؟ وكيف كان نموذجاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لقد كانت حياة النبي ﷺ وطريقته لنشر هذا الدين صورة رائعة للداعية. وإذا كانت حياة النبي ﷺ هي مقياس السلوك لعامة المسلمين فإنها بالنسبة للدعوة أكثر لزوما وضرورة لمن يعملون في هذا المجال ومن الواضح أن الرسول ﷺ بدأ دعوته في مكة المكرمة ولاقى هناك عنتاً شديداً ولكنه صبر وصابر واتبع صلوات الله وسلامه عليه في عمله خطوات تعد نموذجاً لكل داعية، فقد دعا للدين سراً في بادئ الأمر ثم خطا خطوة إلى الأمام فدعا أهله وعشيرته ثم ارتقى إلى القمة عندما جهر بالدعوة إلى جميع الناس وكان القرآن هادياً في هذه الخطوات وهو بذلك درس لكل داعية ألا يندفع إلى [illegible] بل [illegible] أن يترفق الداعية بالناس ولا يتجاهل بعدهم في العقيدة عنه ويبحث عن الوسيلة للوصول إلى قلوبهم وقد تكون هذه الوسيلة بدعوة الأصدقاء وأحب [illegible]

وبالاعتماد على صلات القرابة فإذا وجدت الدعوة بعض الاستجابة عن هذين الطريقين راح يجهر بعد أن قوى جانبه ومن الثابت والواضح أن الرسول ﷺ ضحى من أجل الدعوة بما يملك من جهد ومال ولذلك سخر منهم عندما قالوا له: إن كنت تريد مالاً أعطيناك مالاً وإن كنت تريد الرياسة ملكناك علينا.. فما كان له في ذلك هدف ومأخذ من هذا: [illegible] في عمل الدعوة حيث يتعين على الداعية أن يترفع عن متاع الدنيا حتى تكون [illegible] ودعوته أعمق تأثيراً وأكثر نجاحاً. ومع أن الدعوة لم تنجح في الانتشار بمكة وكانت المقاومة عنيدة ومستمرة، ولكنه الداعية العظيم - صلوات الله وسلامه عليه - لم يلن ولم يضعف وراح يتلمس أمكنة أخرى يبذر فيها بذوره الطيبة، فلجأ إلى الطائف بيد أن رحلة الطائف على الرغم من وعورة الطريق وصعوبة الزاد لم تأت بطائل [illegible] مرة أخرى طريق الحجاج فاتخذ من مواسم الحج فرصة لنشر الدين بين وفود القبائل التي [illegible] في مكة ولكن [illegible] [illegible] في [illegible] خطورة ... عمه أبولهب الذى كان يتبعه ويتبع فى القوم الذين يلقاهم محمد قائلاً: إنه لصابئ يريد أن تنسلخوا عن دين آبائكم إلى ما جاء به من بدعة وضلالة، وكان

جاه قريش وسطوة أبي لهب تنال العلبة في كثير من الأحوال فكانت جماعات الحجيج تقول لمحمد إن قومك وذوى قرابتك أعرف الناس بك ولو كنت على حق لاتبعوك وساعدوك ولكن ذلك لم يوهن عزيمته فاستمر في لقائه بجماعات الحجيج حتى صادف جماعة من يثرب فدعاهم وتلطف إليهم وكان ذلك بدءاً لافتتاح الأبواب المغلقة والقلوب المقفلة وتمت الدعوة وانتشر بين أهل المدينة. وفي أحد اللقاءات جاءت الدعوة من مسلمي المدينة إلى محمد ليهاجر إليهم بعد انتشار دين الله فدخل كل بيت من بيوت المدينة تقريباً واستجاب لهم الرسول بعد ما أذن الله له بالهجرة وبدأت الدعوة إلى الإسلام بالمدينة تأخذ طابعاً جديداً. فقد بنيت مساجد أصبحت مراكز للدعوة وأصبح للدعوة جاه وحماه وأصبح المسلمون بعد [illegible] الجديد أقوى من أعدائهم في هذا المقر الجديد وقد اتخذت الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة شقين كبيرين الشق الأول: مع المسلمين لتعليمهم التزامات الدين الجديد وشرح التشريعات الجديدة التي بدأت أن تتدفق في القرآن الكريم في هذا العصر والشق الثاني: المواجهة مع الكتل الكبرى بالمدينة التي كانت لم تدخل الإسلام بعد، ثم الاتجاه للدعوة للإسلام خارج

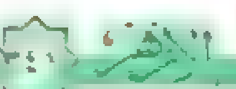


المدينة وفي الشق الأول اهتم الرسول ﷺ اهتماماً كبيراً ليثبت الدعوة في قلوبهم وليعلمهم ما جد من تشريعات فكان [illegible] المسجد والمسلمون يحيطون به يعلمهم ويرشدهم وهم يسألونه عما يشغلهم فيجيبهم ويهديهم. واهتم الرسول كذلك بالمرأة اهتماماً كبيراً ومن ذلك قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» وكان فيما يرويه البخاري يصلي خلفه بعض النساء صلاة الفجر. وكان من حكمته عليه السلام أنه عقب السلام ونية الخروج من الصلاة كان يبقى في مكانه فترة لينصرف النساء في الصفوف الخلفية فإذا انصرفن إلى [illegible] فهن قام وقام معه الرجال، وكان يخفف صلاته إذا سمع بكاء الطفل خلفه خشية أن تفتتن به أمه فتنشغل عن صلاتها. وفي الشق الثاني وهو دعوة غير المسلمين للإسلام كانت سياسة الرسول غاية في الروعة والذكاء وقد بدأ أولاً بالمدينة لتأمين المركز الإسلامي الجديد وكان في المدينة منافقون تظاهروا بالدخول في الإسلام وعرب تمسكوا بوثنيتهم وجماعات اليهود. ففيما يتعلق بالمنافقين [illegible] الرسول الطرف عن نفاقهم وأظهر أنه لا يعرفه وأخذ

يلاطفهم ويتودد إليهم حتى أزال النفاق من قلوب الكثير منهم، أما العرب الوثنيون واليهود فقد عقد معهم معاهدة للتعاون بين المسلمين وغير المسلمين وأمن المسلمون بذلك الحياة في المدينة [illegible] الدعوة [illegible] الشاغل للرسول بعد أن استقرت الأمور بالمركز الجديد وقد زاول الرسول دعوة عرب المدينة الذين كانوا لم يدخلوا الإسلام بعد، ويوماً بعد يوم استجاب هؤلاء لدعوته حتى شمل الإسلام عرب المدينة كلهم تقريباً واتجه الرسول إلى اليهود فظل يتخير أفضلهم ويدعوهم إلى الإسلام حتى دخل منهم جماعة مستجيبين لهذه الدعوة ثم تطلع الرسول إلى خارج المدينة فانتشر الإسلام في قلب الجزيرة العربية عن طريق إرسال الرسائل والمبعوثين. فكان ذلك إيذاناً بالفتوح الإسلامية التي جاءت في العصور التي تلت عصر الرسول ﷺ وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه نموذجاً عظيماً لحمل الدعوة وشرحها وتقديمها للناس [illegible] فما أحوج الدعاة في عصرنا هذا أن يتخذوا رسول الله طريقه للتأسي بها

***

(١) الطبراني في الكبير ١٠/٢٤٠



مكانة الرسول ﷺ وفضل الصلاة عليه

حسب في الرد على المتطاولين على مقام خاتم المرسلين أن يعلموا أن رسول الله ﷺ مكانته العالية التي أحله الله سبحانه وتعالى إياها، ومنزلته السامية التي بوأه الله تعالى فيها، حيث جعله خاتم الأنبياء والمرسلين ورحمة للعالمين.

وأثنى عليه ربه في القرآن الكريم حيث قال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)

وجعل من أطاعه فقد أطاع الله:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠)

وجعل الذين يبايعونه إنما يبايعون ربهم سبحانه حيث قال سبحانه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (الفتح: ١٠)

قال أبو طالب المكي: «هذه الآية أبلغ فضيلة لرسول الله ﷺ لأنه تعالى جعله في اللفظ بدلاً عنه وفي الحكم مقامه ولم يدخل بينه وبينه كاف التشبيه ولا لام الملك. وليس هذا المقام من الربوبية لخلق غير رسول الله ﷺ» اهـ.

وأمر الله تعالى عباده أن يأخذوا ما آتاهم به، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه. فقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧)

وجعل الله تعالى الصلاة والسلام على رسوله طريقاً للقرب والوصول.

وإن الصلاة على رسول الله ﷺ لها فضل عظيم وأجر كريم. وحسب الصلاة أن الله سبحانه وتعالى قبل أن يأمرنا بها بين لنا في القرآن الكريم أنه سبحانه وتعالى يصلي على حبيبه ومصطفاه بنفسه. وأن الملائكة المقربين يصلون أيضاً عليه. وبعد بيان صلاة الله وملائكته جاء الأمر الإلهي بالصلاة والسلام على خير الأنام حيث قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

الكرامة الكبرى

ووضع الرسول صلوات الله وسلامه عليه الكرامة الكبرى التي يمنحها الله من يصلي على حبيبه ومصطفاه حيث إن الذي يصلي عليه مرة يصلي رب العزة سبحانه عليه بها عشر مرات. قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي مرة، صلى الله عليه بها عشراً»[1] أي أن من أراد أن يصلي الله عليه فليصل على رسول الله ﷺ.

وجاء التشريع الإسلامي بالصلاة على النبي في أهم عبادة من العبادات وهي عبادة الصلاة حيث يتم ذلك في جلوس التشهد فنصلي على النبي عليه الصلاة والسلام ونسلم عليه في التشهد قائلين: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وورد السلام بصيغة الخطاب ولا يكاف الخطاب (السلام عليك)، ولا يخاطب يكاف الخطاب إلا من يتأتى خطابه ويسمع الخطاب إذ لو لم يكن سامعاً للخطاب والسلام. ما شرع لنا في عبادة الصلاة أن نسلم عليه.

التشهد

وكما أمرنا في الصلاة أثناء التشهد أن نصلي على سيدنا محمد ﷺ فقد أمرنا أيضاً أن نصلي على آل بيت سيدنا محمد ﷺ. وأن نقول في التشهد: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد... والذي لم يقل (وعلى آل سيدنا محمد) كان تشهده ناقصاً وبالتالي تكون صلاته ناقصة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

يا آل بيت رسول الله حبكمو
فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم الفخر أنكمو
من لم يصل عليكم لا صلاة له

وما كان آل البيت لينالوا هذه المرتبة العالية والمنزلة السامية إلا لمكانتهم من رسول الله ﷺ.

وكما علمت أن مرتبة الصلاة والسلام على رسول الله بأن الله وملائكته يصلون عليه. وأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشراً. وأن الله تعالى شرعها في الصلاة إلى جانب هذا ظهرت الثمرات والآثار لفضل الصلاة على رسول الله ﷺ منها تفريج الكروب، ومنها قضاء الحوائج

(١) صحيح النسائي ج٣ ص٥٠

مع الشيخ عبد الحليم محمود

ومن أجل ذلك كانت هناك صيغ من الصلوات مأثورة لها آثارها وفوائدها ولها دلائل قبولها ومن ذلك صيغة صلاة الفرج التي تحولت حروفها إلى نور أمام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق العارف بالله الإمام عبد الحليم محمود رحمه الله رحمة واسعة، وذلك عندما تعرض لشدة من الشدائد وأعطاه أحد أحبابه الصالحين صيغة من صيغ الصلاة على خاتم النبيين ﷺ وأسر عليه أن يكثر من قراءتها في خلوة فلما أكثر من قراءتها رأى حروفها التي كتبت بها من الحبر قد تحولت إلى حروف من نور قال: فعلمت أن لي عند الله ... وحدث ذلك عندي فوجدت حروفاً من الأنوار في الغرفة، فأيقن أن فرج الله قد جاء.

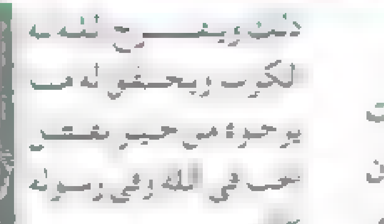
وهذه الصيغة هي: (اللهم صل صلاة جلال وسلم سلام جمال على حضرة حبيبك سيدنا محمد واغشه اللهم بنورك كما غشيته سحابة التجليات فنظر إلى وجهك الكريم، وبحقيقة الحقائق كلم مولاه العظيم الذي أعاذه من كل سوء اللهم فرج كربي كما وعدت:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾

(النمل: ٦٢)

وعلى آله وصحبه أجمعين)

ومما لا شك فيه أن كل دعاء أو ذكر أو استغفار أو صلاة على سيدنا محمد ﷺ أو نحو ذلك من أنواع العبادات والطاعات لابد معها من تقوى لمن يقولها وحضور قلبه وإخلاصه وبقدر مرتبته من القرب من الله يرى ثمرة ذلك. فالعارف بالله الإمام عبد الحليم محمود رأى النور ولكن من الممكن لمن يكون دونه في رتبة القرب ألا يرى النور إلا أنه تحصل له ثمرة





عبد الحليم محمود

ذلك ويفرج الله عنه الكرب ويحقق له ما يرجوه من خير بفضل حب في الله وفي رسوله ﷺ.

وأهمية الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كبيرة حتى إن من لا يصلي عليه عند ذكره بخيلا وشقيا كما جاء في الحديث، عن جابر رضي الله عنه قال: رقي النبي ﷺ المنبر فلما رقي الدرجة الأولى قال: «آمين، ثم رقي الثانية فقال آمين، ثم رقي الثالثة فقال: آمين فقالوا: يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات قال: لما رقيت الدرجة الأولى جاءني جبريل فقال: شقي عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له فقلت: آمين. ثم قال: شقي عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة فقلت: آمين. ثم قال: شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين» رواه البخاري في الأدب وابن حبان وابن خزيمة.

أفضل الأيام للصلاة على النبي

ومن أفضل الأيام والأوقات للصلاة عليه يوم الجمعة لفضل هذا اليوم ولأن الصلاة تعرض عليه في هذا اليوم كما جاء في الحديث عن أوس ابن أوس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة. فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت، فقال: إن

الله -عز وجل- حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

ومن المواطن المخصصة للصلاة على النبي ﷺ بعد سماع الأذان وبعد أن يردد الإنسان ألفاظ الأذان خلف المؤذن ثم يصلي على الرسول ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.

ولمقام الرسول ﷺ ومنزلته عند ربه سبحانه وتعالى جعل لمن يلازم الصلاة والسلام عليه سعادة في الدنيا والآخرة ففي الدنيا يفرج الله كربه ويكفيه همه وفي الآخرة يغفر الله ذنبه.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

«يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه. قال أبي: فقلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت. قلت: الربع؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك. قلت: فالنصف؟ قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك. قال: فالثلثين؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك» رواه الترمذي والحاكم.

طريق للوصول إلى الله!!

والصلاة على النبي ﷺ طريق للوصول إلى الله سبحانه وتعالى. قال الشيخ الصاوي رحمه الله في حاشيته على تفسير الجلالين: اعلم رحمك الله أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها لأنها تعرض عليه ويصلي الله على المصلي بخلاف غيرها.

ويرد الرسول ﷺ على كل من سلم عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد السلام عليه» رواه أحمد وأبو داود والبيهقي.

من ثمرات الصلاة على النبي ﷺ

وهكذا نرى أن من ثمرات الصلاة والسلام على رسول الله:

- أن الله سبحانه يصلي على من يصلي على حبيبه ومصطفاه
- أن الله تعالى يفرج بالصلاة على نبيه الهموم والغموم ويقضي له حاجته
- ومن ثمرات الصلاة على النبي ﷺ أن الله تعالى يكفي المصلي على رسوله همه ويغفر له ذنبه إلى غير ذلك من الثمرات والفوائد الدينية والدنيوية والأخروية ولكن تحقيق هذه الفوائد وتلك الثمرات لمن يؤدي الصلاة على الرسول ﷺ وهو على حال من السلوك المستقيم والعمل الصالح والقرب من الله تعالى وصفاء القلب ونقاء السريرة فهذا هو الذي يستشعر تحقيق الرجاء وقبول الصلاة والدعاء بما يتفضل الله من فضل

ربيع الشهور وعطر أيام العام بميلاد المصطفى خير الأنام

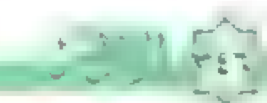
كما يهل علينا فصل الربيع بعبق زهوره، ونفحات عبيره، يحل علينا أيضا ربيع الشهور بذكرياته التي عطرت أرجاء دنيا الإنسان، وأنواره المتلألئة المشرقة، التي بددت من هذه الدنيا دياجير الظلام، وذلك بميلاد خير الأنام، محمد - عليه من الله أفضل صلاة وأزكى سلام - ويكفي هذا الشهر من علو المنزلة ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسنده عن جابر وابن عباس قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات.

وكل حدث من هذه الأحداث العظيمة يكفي وحده لكي يتمتع شهر ربيع الأول بتلك المكانة المهمة، والمنزلة الرفيعة، في ضمير كل مسلم ومسلمة، في مشارق الأرض ومغاربها، فليس بكثير على الشهر الذي كان بشيرا بخير البشر، من أن يحظى بهذا الشرف العظيم، الذي غير الدنيا من حال سيئة إلى أحسن حال، ولا نملك إلا أن نردد مع الإمام البوصيري قوله:

ليلة المولد الذي كان للدين
سرور بيومه وازدهاء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

وقد نحا هذا المنحى، أمير الشعراء أحمد شوقي، في همزيته الشهيرة: التي جاء في بعضها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله
للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهي
والمنتهى والسدرة العصماء



والوحي يقطر سلسلا من سلسل
واللوح والقلم البديع رواء

ويتقارب من شاء بين ما كانت عليه الدنيا قبل مولده ﷺ وبعدها، سواء دنيا العرب أو دنيا الناس عامة، من عرب وعجم، بشتى أجناسهم، وأنواعهم، وألوانهم ولغاتهم.. بشر انسلخوا عن عقيدتهم الصحيحة وانغمسوا في وثنية مقيتة، وحياة تدنت فيها القيم، وتهرأت الأخلاق، وشذت عن سواء الجادة السلوكيات، وانهارت مبادئ أو كادت، نزعات عصبية جاهلية، ونزعات شيطانية قبلية، استشرت في ظلها الفوضى، وانتشرت الخلافات والحروب بين الناس لأقل وأتفه الأسباب: كرقعة من الكلأ، أو بئر من الماء!

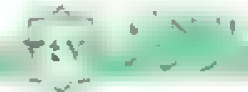
يقول أستاذنا العقاد -رحمه الله- في كتابه (مطلع النور) حول المقدمات التي سبقت البعثة المحمدية أنها: مقدمات ترتبط بما تلاها من الحوادث ارتباط الأسباب بالمسببات ومقدمات لا ترتبط بما تلاها هذا الارتباط، بل لعلها تناقضها وتؤدي إلى خلافها، وإنما ترتبط بها ارتباط الداء بدوائه والعلة بما يزيلها فليست النتائج هنا وليدة مقدمات بل هي العلاج الذي يزيلها، والآية الإلهية التي تحول الأسباب الطبيعية إلى طريق الحكمة الأبدية، التي تكشف أوائلها من خواتيمها، خلافا للعرف الشائع من دلالة الأوائل على الخواتيم.

ويستطرد الأستاذ العقاد ليقول: ورائدنا في متابعة هذه المقدمات بنوعيها، أن ننظر في الآيات الكونية والمعاني التاريخية، لأنها ولاشك عنوان إرادة الله المتصرف في الكون كله، ولأنها -على هذا- مفتوحة الصفحات لكل ناظر ومتأمل، يعمل بفريضة الإسلام الكبرى، وهي التفكير في ملك الله، والنظر بالعقل في حقائق السماوات والأرضين [٣].

كانت بعثته [illegible] في وقتها المناسب تماما، لتستقيم الدنيا على الموازين المعتدلة وتتجدد فيها قيم الحق والخير والجمال، فتعود للحياة بهجتها وتستعيد الإنسانية رسالتها الفطرية التي خلقها الله من أجلها، يقول الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣)

(٣) عباس محمود العقاد (١٩٦٦) مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية - سلسلة كتاب الهلال، دار الهلال بالقاهرة ص١٠



لقد كان مولده بحق وباختصار رحمة [illegible] كله [illegible] من قبله ومن بعده [illegible] حسبنا [illegible] ربه [illegible] في قرآنه الكريم، في آية واحدة من سورة الأنبياء:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وإلى ذلك يشير أيضاً أستاذنا العقاد في كتابه القيم: «عبقرية محمد» حيث يقول: علامات الرسالة الصادقة هي عقيدة [illegible] لأمة وهي أسباب تمهد لظهورها وهي رجل يضطلع بأمانتها في أوانها فإذا تجمعت هذه العلامات [illegible] يلحب إلى علامة [illegible] عليها [illegible] في علامة [illegible] تعوض ما نقص منها [illegible] وقد خلق محمد [illegible] لله ليكون رسولاً [illegible] وإلا فلأي شيء خلق؟.. ولأي عمل من أعمال ترشحه كل [illegible] زمانه، وأعدته له فطرته هو الرسالة العالية دون سواها، وما من أحد قد أعد في هذه الدنيا لرسالة دينية إلا لم يكن محمد قد أعد [illegible] إعداد[3].

الرسالة المحمدية ونشأة العلوم الحديثة

كانت الرسالة المحمدية وكتابها الخالد القرآن الكريم أساساً متيناً لنشأة العلوم المختلفة، حيث استلهم المسلمون جميع العلوم، التي استحدثوها وبرعوا فيها بوحي من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، [illegible] شاملة في جميع المجالات: الفقهية واللغوية والأدبية والعلمية، من فيض القرآن الكريم وخدمة الإسلام[4].

ولذلك سنطيل النظر في هذا المبحث القيم، لطرافته وأهميته القصوى، وليعلم المسلم كيف فتح القرآن عيون المسلمين على عوالم وعلوم لم يكن لهم بها عهد، إلا بعد أن وجههم [illegible] في الآفاق وفي أنفسهم. وبعد [illegible] فكانت القراءة في كتاب الله المسطور (القرآن الكريم)، التي وجهت بدورها إلى قراءة أخرى، في كتاب الله المنظور، وهو الكون كله، فكان التقدم الهائل في جميع المجالات.

ولنترك الرافعي نفسه، وبأسلوبه الجزل [illegible] حيث يقول [illegible] يتدبرون تاريخ [illegible] ويستقصون في [illegible] ويتثبتون عند الخاطر من ذلك إذا أقدموا عليه، وعند الرأي إذا قطعوا به- أنه لو لم يكن القرآن الكريم لكان العالم اليوم غير ما هو عليه الآن في كل ما يتصل به، في تقدمه وانبساط ظل [illegible] على [illegible]. وفي نموه واستبحار عمرانه فإنما كان القرآن أصل النهضة الإسلامية وهذه كانت على التحقيق هي [illegible] وتهذيبها وتعميمها. وإطلاق [illegible] منها، وأخذه على ذلك بالبحث والنظر والاستدلال والاستنباط، بما كان سبباً في طلب العلم للعمل. [illegible] التي [illegible] أخرى ليس هذا موضع بسطها، وهذا كله كان أساس التاريخ العلمي في أوروبا فما من موضع في هذا (الأساس) القائم إلا وأنت واجد من دونه قطعة من الآداب الإسلامية أو العقول الإسلامية، [illegible] الإسلامية. فالقرآن من هذا الوجه إنما هو الباب الذي خرج منه العقل الإنساني المسترجل، بعد أن قطع الدهر في طفولة وشباب[5].

ثم يقول الكاتب: وأما أن القرآن معجزة [illegible] الإسلامية، فذلك بين من كل وجوهه، غير أننا سنقول في الجهة التي تتصل بنشأة العلوم، إذ هي [illegible] وقد أومأنا إلى بدء تاريخ التدوين العلمي وبعض أسبابه في باب الرواية من الجزء الأول من تاريخ آداب العرب، فنقتصر هنا على موجز من [illegible] العلمية.

ثم كانت النهضة [illegible] في علوم [illegible] وعلوم الدنيا، وهي التي [illegible] من مؤرخي العلم، شرقاً وغرباً، [illegible] باسم الحضارة الإسلامية، التي دامت قروناً طويلة ونهل من معينها الثر، بمختلف العلوم والصناعات والفنون، أمم الغرب وبنوا عليها حضارتهم فكانت الأساس المتين، الذي قامت عليه [illegible] حضارتهم [illegible] عليه الآن.

نحن قوم أعزنا الله بالإسلام

وهذه كلمة حق، أجراها الله -تعالى- على لسان الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- [illegible] وعقله الراجح، هذه الحقيقة ولخصها في هذه المقولة، لكن ذلك [illegible] وإصراره لمحو الضلالات وتغيير العادات، [illegible] الإسلام، وإعلاء كلمة الله، وتغيير [illegible] من بيئة جاهلية إلى بيئة إسلامية، تعلي كلمة الحق الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويرفعهم من [illegible] إلى [illegible]، ويهديهم إلى سواء السبيل، ليصدق فيهم قول الله -تعالى-:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وإذا كنا فعلاً نريد أن نستعيد سالف [illegible] حضارتنا، ونتقدم الأمم كما كنا، فلا علينا إلا أن نتذرع بما تذرع به أوائلنا، فهل نحن [illegible]؟

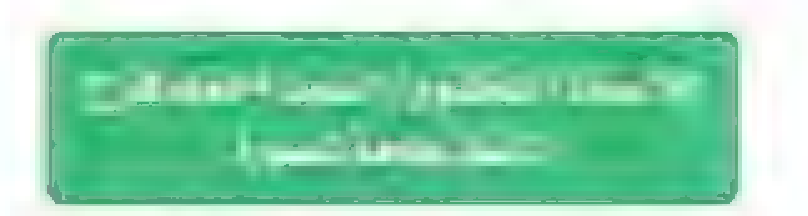
(٣) عباس محمود العقاد (١٩٥٢) عبقرية محمد – سلسلة كتاب الهلال، الطبعة الثانية دار الهلال بالقاهرة ص٣٥

(٤) د. محمد فتحي فرج بيومي (٢٠٠٦) مع القرآن في شهر رمضان – العدد رقم ١٢٥ من سلسلة دراسات إسلامية المجلس الأعلى [illegible]

(٥) مصطفى صادق الرافعي (١٩٩١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – الطبعة الأولى – دار النشر بالقاهرة ومكتبة فياض بالمنصورة ص [illegible]

اختلاف الصحابة بعد الرسول ﷺ





العلامة الدهلوى يبين موقف العلماء من الاختلافات الفقهية

يقول الدهلوى فى كتاب الإنصاف فى بيان أسباب الاختلاف، مبينا موقف العلماء من الاختلافات الفقهية

«وقد كان فى الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من يقرأ البسملة ومنهم من لا يقرؤها، ومنهم من يجهر بها، ومنهم من لا يجهر بها، وكان منهم من يقنت فى الفجر، ومنهم من لا يقنت فى الفجر، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والقيء والرعاف ومنهم من لا يتوضأ من ذلك.

ومع ذلك فكان بعضهم يصلى خلف بعض مثل ما كان أبوحنيفة أو أصحابه والشافعى أو أصحابه وغيرهم -رضى الله عنهم- يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وإن كانوا لا يقرءون البسملة لا سرا ولا جهرا.

وصلى الرشيد إماما وقد احتجم فصلى الإمام أبويوسف خلفه ولم يعد وكان أفتاه الإمام مالك بأنه لا وضوء عليه.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف (نزيف الدم من الأنف) والحجامة فقيل له: فإن كان الإمام مالك قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، هل تصلى خلفه؟

فقال: كيف لا أصلى خلف الإمام مالك، وسعيد بن المسيب. وروى أن أبا يوسف ومحمد كانا يكبران فى العيدين تكبير ابن عباس، لأن هارون الرشيد كان يحب تكبير جده.

ولما حج المنصور قال لمالك: قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التى وضعتها فتنسخ ثم أبعث فى كل مصر من أمصار المسلمين منها بنسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها إلى غيره.

فقال: يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ودانوا به من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم.

ويحكى أن هارون الرشيد شاور مالكا فى أن يعلق موطأه فى الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقال: لا تفعل فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى البلدان، وكل سنة مضت. فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله.

وروى أن أبا يوسف رحمه الله تعالى صلى الجمعة مغتسلا من الحمام وصلى بالناس، وتفرقوا، ثم أخبر بوجود فأرة ميتة فى بئر الحمام فقال: إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة: إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا.

وختم الدهلوى الكلام بقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه [illegible] لأحد يأخذ بأحد الأقوال التى اختلف فيها العلماء، لابد أن يكون عالما بها، بحيث يعرف أقوالها. فقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لا ينبغى لأحد أن يعرف أقاويل العلماء فى الفتاوى الشريعة ويعرف مذاهبهم فإن سئل عن مسألة يعلم أن العلماء الذين يتخذ مذهبهم قد اتفقوا عليها، فلا بأس بأن يقول: هذا جائز، وهذا لا يجوز، ويكون قوله على سبيل الحكاية.

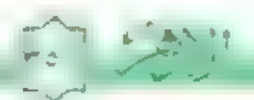
وإن كانت مسألة قد اختلفوا فيها، فلا بأس بأن يقول: هذا جائز فى قول فلان. وفى قول فلان لا يجوز، وليس له أن يختار فيجيب بقول بعضهم ما لم يعرف حجته».

إن الاختلاف إذا تدافع، فهو خطأ وصواب، والواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على الأصول منها وذلك لا يعدم، فإن استوت الأدلة، وجب الميل من الأشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنة.

فإذا لم يتبين ذلك وجب التوقف، ولم يجز القطع إلا بيقين فإن اضطر أحد إلى استعمال شيء من ذلك فى خاصة نفسه، جاز له ما يجوز للعامة من التقليد.

وهذا من رأى مالك والشافعى، والليث ابن سعد والأوزاعى وأبى ثور وجماعة من أهل النظر.

وقد عرض ابن عبدالبر فى كتاب جامع بيان العلم وفضله موقف السلف من الاختلافات الفقهية تحت باب (جامع بيان ما يلزم الناظر فى اختلاف العلماء)



قال: حدثنا إسماعيل بن يحيى المزني قال: قال: الشافعي في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: أصير منها إلى ما وافق الكتاب والسنة أو الإجماع، أو كان أصح في القياس وقال في قول الواحد منهم: إذا لم يحفظ مخالفا منهم صرت إليه وأخذت به إن لم أجد كتابا ولا سنة، ولا إجماعا، ولا دليلا منها، هذا إذا وجدت معه القياس، قال: وقل ما يوجد ذلك.

قال المزني: فقد بين أنه قبل قوله بحجة، ففي هذا مع اجتماعهم على أن العلماء في كل قرن ينكر بعضهم على بعض فيما اختلفوا فيه، على أن لا يقال إلا بحجة، وأن الحق في وجه واحد.

وقد ذكر الشافعي في كتاب أدب القضاء أن القاضي والمفتي لا يجوز له أن يقضي، ويفتي حتى يكون عالما بالكتاب وما قال أهل التأويل في تأويله، وعالما بالسنن والآثار، وعالما باختلاف العلماء حسن النظر، ورعا، مشاورا فيما اشتبه عليه، وهذا كله مذهب مالك وسائر فقهاء المسلمين في كل مصر يشترطون أن القاضي والمفتي لا يجوز أن يكون إلا في هذه الصفات.

أما أبو حنيفة فقد قال: أما أصحاب رسول الله ﷺ فآخذ بقول من شئت منهم ولا أخرج عن قول جميعهم وإنما يلزمني النظر في أقاويل من بعدهم من التابعين، ومن دونهم.

وفي نحو هذا ذهب أحمد بن حنبل.

وعلى كل حال فقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ، فخطأ بعضهم بعضا، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها، ولو كان قولهم كله صوابا عندهم لما فعلوا ذلك.

وقد جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في غير مسألة أنه قال: «أقول فيها برأيي فإن يك صوابا فمن الله وإن يك خطأ فمني وأستغفر الله».

الاختلافات الفقهية

ولهذا قال ابن عبدالبر: وفي رجوع أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم على بعض، ورد بعضهم على بعض دليل واضح على أن اختلافهم عندهم خطأ وصواب.

وكان كل واحد منهم (رضي الله عنهم) يقول: جائز ما قلت أنت، وجائز ما قلت أنا.

ومما يذكره ابن عبدالبر من اختلافات السلف الفقهية يلاحظ ما يلي:

١- إن الاختلاف لم يكن في طبيعة الفقه نفسه، ولا في الحكم عليه من حيث ذاته. وإنما هو اختلاف من حيث مواقف المختلفين منها. فما من عالم منهم إلا وقد اختلف مع غيره، ولم ينكر ذلك من نفسه. كما لم ينكره من غيره، يؤيد ذلك ما ذكره ابن عبدالبر: وفي رجوع أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض، ورد بعضهم على بعض دليل واضح على أن اختلافهم عندهم خطأ وصواب ولذلك لأن يقول كل واحد منهم [illegible] ما قلت أنت، وجائز ما قلت أنا.. فلا عيب من اختلافنا، والصواب مما اختلف فيه [illegible] في وجه واحد، ولو كان الصواب في وجهين متدافعين ما خطأ السلف بعضهم بعضا في اجتهادهم [illegible] والنظر يأبى أن يكون الشيء وضده صوابا كله.

ومن [illegible] رجوع عمر [illegible] معاذ في [illegible]، وقوله لولا معاذ هلك عمر. [illegible] ما قلت.

وإنما رجع عمر إلى قول معاذ فيها لما أرادوا رجمها حاملا. فقال معاذ: ليس لك على ما [illegible].

كذلك رجع إلى قول علي في التي وضعت لستة أشهر، فقد هم عمر برجمها. فقال له علي: ليس ذلك لك. قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾

(البقرة ٢٣٣)

وقال:

﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾

(الأحقاف ١٥)

فخلى عمر عنهما

٢- إن محل الاختلاف، إنما هو في موقف العالم الناظر في الأدلة من هذه الاختلافات [illegible] والاجتهاد، لا العامي الذي لا يملك كيف ينظر إليها، وإنما جوز له التقليد.

٣- حمل قول من قال إن في اختلاف المجتهدين من الصحابة - والعلماء الفقهاء، ومن بعدهم توسعة ورحمة. على أن المراد بالتوسعة هنا، أنهم اجتهدوا في الأحكام الشرعية، فاختلفوا فيها فكان اجتهادهم توسعة على من بعدهم [illegible]

وهذا لا يتعارض مع حقيقة الاجتهاد. إذ على العالم أن يجتهد في بحث الأقوال المختلفة، ويسحب منها ما ظهر له [illegible] الصواب، أم الخطأ. وهذا ما يوافقه ما ذكره [illegible] عن إسماعيل بن إسحاق عن أبي ثابت، قال: سمعت ابن القاسم يقول: سمعت مالكا والليث ابن سعد يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك أن أناسا يقولون فيه توسعة، فقالا: ليس كذلك، وإنما هو خطأ وصواب.

قصيدة العدد

في ذكرى المولد النبوي

أبو الزهـــراء

للشاعر الكبير الأستاذ
[illegible]

أطلّت على سحب الظلام ذُكاءُ ... وفجّر من صخر التوفة ماءُ(١)

وخبّرت الأوثان أنّ زمانها ... تولّى، وراح الجهلُ والجهلاءُ(٢)

فما سجدت إلا لذي العرش جبهةٌ ... ولم يرتفع إلا إليه دعاءُ(٣)

تنفّس ثغر الصبح عن مولد الهدى ... فللأرض إشراقٌ به وزهاءُ(٤)

وعادت به الصحراء وهي جديدةٌ ... عليها من الدين الجديد رُواءُ(٥)

وباهت الأرضُ السماءَ بكوكبٍ ... وضيء المحيّا ما حوته سماءُ(٦)

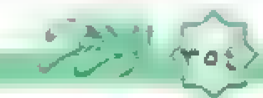
له الحقّ والإيمان بالله هالةٌ ... وفي كلّ أجواء العقول فضاءُ(٧)

تألّق في الدنيا بريح غلامها ... فزال عمًى من حوله وعماءُ(٨)

وردّ إلى العرب الحياة وقد مضى ... عليهم زمانٌ والأمام وراءُ(٩)

حجابٌ طوى الأحداث والنفس دونهم ... فأظهر ما تجلو العيون خفاءُ(١٠)

(١) ذُكاء: الشمس. صخر التوفة: الحجارة بالمفازة، والمقصود صحراء الحجاز.
(٥) رُواء: حسن المنظر.



[illegible] أمّ عرج الحضارة حولهم ... وأقعدهم إلا لهم وحداءُ(١١)

عكوفٌ من الأحجار هدّت بنيانها ... وكلّ بكيمٍ للبكيم كِفاءُ(١٢)

وكم كان للرومان والفرس صولةٌ ... وهم في بوادي أرضهم سجناءُ(١٣)

عراكٌ وأحقادٌ يشبّ أوارها ... جحيمًا وكِبرُ الجوف وغباءُ(١٤)

عجبت لأمر القوم يحمون ناقةً ... وساداتهم من أجلها قتلاءُ(١٥)

* * *

بدا في دجى الصحراء نور محمدٍ ... وجلجل في الصحراء منه حداءُ(١٦)

سبى [illegible] أباطح مكةٍ ... وعزّ به ثورٌ وتاه حراءُ(١٧)

ينادي جرى الأصغرين بدعوةٍ ... أكبّ لها الأصنام والزعماءُ(١٨)

دعاهم لربٍّ واحدٍ جلّ شأنه ... له الأمر يولي الأمر كيف يشاءُ(١٩)

دعاهم إلى دينٍ من النور والهدى ... سماحٌ ورفقٌ شاملٌ ووفاءُ(٢٠)

دعاهم إلى [illegible] ... أمام إله العالمين سواءُ(٢١)

دعاهم إلى أن ينهضوا بعفاتهم ... كرامًا، فطاح الفقر والفقراءُ(٢٢)

دعاهم إلى أن يفتحوا القلب كي ترى ... بصيرته ما يبصر البصراءُ(٢٣)

دعاهم إلى القرآن نورًا وحكمةً ... وفيه لأدواء الصدور شفاءُ(٢٤)

دعاهم إلى أن يهدموا الشرك طاغيًا ... تسيل نفوسٌ حوله ودماءُ(٢٥)

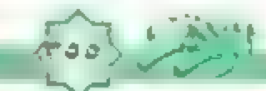
دعاهم إلى أن يبتنوا الملك راسخًا ... له العدل أسٌّ والطموح بناءُ(٢٦)

دعاهم إلى أنّ الفتى [illegible] ... وليس له من قومه شفعاءُ(٢٧)

دعاهم إلى أن يملكوا الأرض عنوةً ... سماحًا، لا كبرٌ ولا خيلاءُ(٢٨)

فلله من عليا معدٍّ غصافرٌ ... كماةٌ إذا اشتدّ الوغى شهداءُ(٢٩)

(١٦) حداء: سوق الإبل والغناء لها.
(١٧) الأباطح: مسيل واسع فيه حصى. تاه: اختال.
(١٨) الأصغرين: القلب واللسان. [illegible]
(٢٢) عفاتهم: طلاب المعروف. طاح: ذهب.
(٢٩) معد: قبيلة معد وهي من أشراف العرب. غصافر: أسود. شجعان. كماة: [illegible]



[illegible] ما باهى [illegible] بمثليهم   وهم [illegible] في [illegible] (٣٠)

[illegible]   وما مرة للمستجير أساءوا (٣١)

ولقد حملوا أرواحهم في أكفهم   وليس لهم إلا الخلود جزاء (٣٢)

إذا حكموا في أمة لان حكمهم   فما هي أنعام ولا هي شاء (٣٣)

فيا تعلم الصحراء أن رعاءها   [illegible] آفاق البلاد رعاء (٣٤)

[illegible]   [illegible]

لقد شربوا من منهل الدين [illegible]   [illegible]

[illegible]   [illegible]

[illegible]   [illegible]

وصبر على اللأواء ما لان عوده   ولا [illegible] في المعضلات عناء (٣٩)

[illegible]   [illegible]

تراه لدى المحراب [illegible]   وتلقاه في الميدان وهو [illegible] (٤١)

إذا صال لم يترك مجالاً لصائل   وإن قال ألقت سمعها البلغاء (٤٢)

[illegible]   ومن حلل [illegible] عليه رداء (٤٣)

كلام أراقته [illegible]   [illegible]

كلام هو السحر [illegible]   [illegible]

[illegible]   تضاءل عن [illegible] العلماء (٤٦)

ومن يصطفي الرحمن [illegible]   ودهم الليالي [illegible] (٤٧)

***

[illegible]

٣٨) مجازه [illegible]

٤٠) [illegible]

[illegible]

[illegible] قد حرق الأنفس الصدى   ونحن لفيض من يديك ظماء (٤٨)

[illegible] علينا [illegible]   [illegible] (٤٩)

وليس لنا إلا [illegible] وسيلة   وليس لنا إلا [illegible] رجاء (٥٠)

[illegible] إلى مجد العروبة [illegible]   وما نحن في ساحاته غرباء (٥١)

[illegible] العرب [illegible]   وما طاله في العالمين لواء (٥٢)

[illegible] لنا فوق [illegible] دولة   وفي الدهر حكم نافذ وقضاء (٥٣)

[illegible]   إذا [illegible] أو ألم بلاء (٥٤)

[illegible] إن طغى السيل [illegible]   وقاض بما يحوي الإناء إناء (٥٥)

[illegible] راية العرب [illegible]   [illegible] (٥٦)

[illegible] بكف أنت [illegible]   فما طاش سهم أو أخل رماء (٥٧)

[illegible] بحق المصطفى [illegible]   فليس لغير الأقوياء بقاء (٥٨)

[illegible] علينا [illegible]   لنا في [illegible] الحادثات وقاء (٥٩)

***

[illegible]   [illegible] (٦٠)

[illegible]   [illegible] الشعراء (٦١)

[illegible]   بقدرك من حظ القبول لقاء (٦٢)

ولي نسب [illegible]   [illegible] عزة وإباء (٦٣)

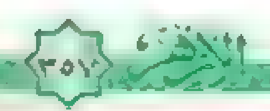
عليك سلام الله ما ذر شارق   وما عطر الدنيا عليك ثناء (٦٤)

---

٥٨) [illegible]

٦٢) سبب انتماء وقرابة يشير إلى نسب الشاعر إلى الرسول ﷺ.

[illegible]





مواقف إسلامية

الطريق إلى العفو

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من حكمة الله ـ تعالى ـ ما طبع عليه النفوس من التألم بالاعتداء عليها.. وكان من رحمته ـ عز وجل ـ أن أعان المُبتلى على تحمل هذا الألم.. حين [illegible] الأذى.

وذلك هو: جهاد النفس النزاعة إلى تصفية الحساب.. بالثأر ممن ظلمها.. والصابر أعظم أجرا من المنفق. وإذا ضوعفت حسنات المنفق لتكون سبعمائة ضعف.. فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب.

[illegible] عز وجل ـ

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[illegible]

[illegible]

الكاظم غيظه هو: الذي امتلأ قلبه بالغيظ.. فلم [illegible] مع أنه ممتلئ به: يغالبه حتى لا يرد على العدوان، بل حتى [illegible] تحاول أن تسد عليه.. أو كما يأخذ المعتدى بمجرى نفسه.. على ما في ذلك من مقاومة بالغة حد المشقة.. بمعنى أن من وقع عليه العدوان قادر على الانتقام استجابة للدم الذي يغلي في عروقه.. لكنه لا يمضيه احتسابا..

ومعنى ذلك أنه وبعد وقوع العدوان يكون هناك شد وجذب، لكن القوى يحسم هذا التردد بالصبر المنتهي به إلى العفو..

[illegible] لا يختص به المسلمين فقط وإنما التجاوز عن كل الناس.. يعينه على ذلك أنه بالعفو يظفر بحب الله ـ تعالى ـ للمحسنين الذين صار بالتسامح واحدا من هؤلاء [illegible] إذا أحبهم الله ـ تعالى ـ كان سمعهم [illegible]

عقبات الطريق

[illegible] الطريق إلى العفو محفوف بمخاطر [illegible] وكيف نتجاوزها؟

١ ـ الغضب: وهو سلاح يحاول به الشيطان [illegible] شل حركة العقل.. لأن العقل للإنسان خير معتصم في مواطن الزلل.. وإذا فقد ضل سبيله. [illegible] كان الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم [illegible] حتى أكون في قلبه [illegible] حتى أكون في رأسه.. وهكذا

٢ ـ محافظة [illegible] الأشرار الذين يريدون [illegible] أو أعلى.. ولأن الوصول إلى العفو هكذا صعب [illegible] الانتقام [illegible]

[illegible] تحركت الأرض من تحتها: فرارا من غليان الدم في العروق.. وما يفرزه من دخان يعكر الجو.

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(الشورى / ٤٣)

[illegible] في مقاومة نوازع الانتقام الواردة من الداخل والخارج، بدليل التعبير باللام في ﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ وفي ﴿ لَمِنْ عَزْمِ ﴾.. [illegible] في مواجهة الأخطار.

ب ـ بصحبة الأخيار وتجنب مجالسة الأشرار.. الذين يحاولون إشعال نار العداوة.. ولا يطيب لهم عيش إلا في الجو المكفهر..

وتلك هي وصية حكمائنا.. الذين قالوا:

«جالسوا أهل العلم والدين.. فإن لم تقدروا عليهم.. فجالسوا أهل المروءات من أهل الدنيا، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم».

فمجالسة أهل العلم.. تفتح ذكاء القلوب.. ومجالسة أهل الدين تجلو عن القلوب صدأ الذنوب.. ومجالسة ذوي المروءة تدل على مكارم الأخلاق.

إن لله عبادا: أنعم عليهم فعرفوه.. وشرح لهم صدورهم.. فأطاعوه.. وتوكلوا عليه، فسلموا الأمر له.. فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين.. وبيوتا للحكمة.. وتوابيت للعظمة.. وخزائن للقدرة..

فهم بين الخلائق مقبلون مدبرون.. وقلوبهم تجول في الملكوت.. وتلوذ بمحجوب الغيوب.. ثم ترجع ومعها من لطيف الفوائد ما لا يمكن لواصف أن يصفه..

فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا..

وهم في الظاهر مبذولون لمن أرادهم تواضعا..

جـ) بتغيير وضع الغاضب.. لتتغير وجهته.. وإلا فلا يلومن إلا نفسه..

ومن جهلت نفسه قدره

رأى غيره منه ما لا يرى!.

وقد نتجاوز في انفعالنا الخطوط الحمراء غافلين عن دروس الزمان:

[illegible] رحم الله [illegible]

فلما خلعنا.. صاروا لنا روسا!

وللمرحوم الشيخ محمد الغزالي كلام نفيس [illegible]

وقد رأينا الغضب يشتط بأصحابه إلى حد الجنون.. [illegible] عينيه [illegible]، ويبرز [illegible] حقير [illegible] إلا [illegible]

فلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من فضائله بحس بوخز الألم.. على هذا النحو الشديد؟.

كلا!.. إن الإهانات تسقط على قائلها قبل أن تصل إلى مرماها البعيد.

إن [illegible] مطالبون بضبط النفس [illegible] التي [illegible] الانفعال.

وإن الشخص الغضوب كثيراً ما يذهب به غضبه مذاهب حمقاء:

فقد يسب الباب إذا استعصى عليه فتحه.. وقد يكسر آلة تضطرب في يده، وقد يلعن دابة جمحت به،

وقد حدث أن رجلاً سب الريح لما نازعته رداءه.. فسمعه الرسول ﷺ فقال له:

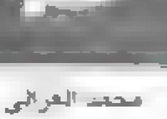
«لا تلعنها.. فإنها مأمورة مسخرة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه» رواه الترمذي.

وإن الإنسان بشر محكوم بطبيعته البشرية فقد كان من حكمة الله تعالى ورحمته أن [illegible] يقول عز وجل:

[illegible]

([illegible])

فنحن مطالبون بالعفو [illegible] والتجاوز عن [illegible]





محمد الغزالي

فلا ترد عليه بقول أو فعل وبالصفح فلا عتاب ولا تثريب.. بل هنالك [illegible] على الغضب عنه ولا يكفي العفو [illegible] سلبية[2] وإنما هو الإقبال على المسيء بصفح الوجه.. إعلاناً عن نسيان ما مضى..

وذلك بعض ما يشير إليه قوله عز وجل:

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾

(الحجر: ٨٥)

[illegible] عن سيئات المؤمنين.. ولكي [illegible] أوسع من الموقف كله.. ثم يجيء الغفران كما [illegible] يجيء شلالاً يغطي الساحة كلها وكأن شيئاً لم يكن!.

ويبقى العفو [illegible] موقف [illegible] عليه من معاني: (الفضل والمعروف والخيرية والجود...).

وقبل ذلك لابد من الصبر تدريباً على مغالبة الأحداث.. وتمهيداً لتمكين قيمة العفو..

ولعل «كظم الغيظ» هو الصبر.. ولك أن تتصور معاناة صاحب «القربة المملوءة ماء».. والتي يحاول [illegible] حتى لا ينفجر [illegible] تصور [illegible] القدرة على تصور حجم المعاناة التي يباشرها [illegible] بالصبر

الصبر الذي هو: حبس النفس: حبسها، بينما تريد هي الانطلاق..

حبس الجوارح حتى لا تنتقم.. وحبس اللسان..

فلا يشكو [illegible]

● [illegible]

● والسكون عند البلاء

● [illegible] على المكاره

[illegible]

[illegible] كي ترضى [illegible]

[illegible] ترضى ويشتفي [illegible]

وقيل:

تجرع الصبر فإن قتلك.. قتلك شهيداً

وإن أحياك.. أحياك عزيزاً حميداً

ولكنه الصبر الجميل: الذي لا شكوى معه، كالصفح الجميل الذي لا عتاب معه، كالهجر الجميل الذي لا أذى معه.

من فقه السنة النبوية

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الصرعة فيكم؟» قالوا: الذي لا يصرعه الرجال. قال: «ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب» رواه مسلم.

ومن هؤلاء الذين ملكوا أنفسهم عند الغضب: رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه، ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا.. ولا أجملت!. فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم رسول الله ﷺ أن كفوا.. ثم قام ودخل منزله فأرسل إليه وزاده شيئاً.. ثم قال له: أحسنت إليك؟. قال: نعم.. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال له النبي ﷺ: إنك قلت ما قلت آنفاً.. وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي.. حتى يذهب ما في صدورهم عليك.. قال: نعم.. فلما كان الغد جاء.. فقال النبي ﷺ: إن هذا الأعرابي قال لي ما قال فزدناه.. فزعم أنه رضي.. أكذلك؟.. قال: نعم.. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً[1].

فهذا أعرابي جاهل بآداب السلوك.. فعامله الرسول بما عاد به إلى الحق.. وبه كفى الله المؤمنين فتنة [illegible] الله تعالى [illegible] الرسول ﷺ ما سوف يذيعه أعداء الإسلام من أن محمداً يقتل أصحابه.. وبقي الطريق ممهداً بين يدي كل راغب في الإسلام بلا خوف.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه.. فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، وعلق بها سيفه ونمنا نومة. فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: «إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً [illegible]

[illegible]

عنده فقال: من يمنعك مني؟. فقلت: الله «ثلاثا».. ولم يعاقبه وجلس» متفق عليه..

وهكذا أيضا تبدو قيمة العفو في تلك.. فكيف بمن دونه[2] إنه الإسلام.. دين السلام.

ومن هدي السنة

«ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى. إن شئت يا رسول الله. قال: فإن شراركم الذي ينزل وحده، ويمنع رفده، ويجلد عبده.. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله. قال: من يبغض الناس ويبغضونه. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلكم. قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله. قال: الذين لا يقبلون عثرة. ولا يقبلون معذرة. ولا يغفرون ذنبا».

وكنت إذا صحبت رجال قوم
صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم
وأجتنب الإساءة إن أساءوا
أشاء سوى مشيئتهم
فآتي مشيئتهم.. وأترك ما أشاء

التواصي بالعفو

إنك متى رأيت صاحبك قد غضب، وأخذ يتكلم بما لا يصلح.. فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله خنصرا.. ولا أن تؤاخذه به.. فإن حاله حال السكران، لا يدري ما يجري.

بل اصبر لفورته، ولا تعول عليها، فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر.. ومتى أخذت في نفسك عليه، أو أجبته بمقتضى فعله كنت كعاقل واجه مجنونا، أو كمفيق عاتب مغمى عليه.. فالذنب لك.. بل انظر بعين الرحمة وتلمح تصريف القدر له، وتفرج في لعب الطبع به، واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر، وأقل الأقسام أن تسلمه فيما يفعل في غضبه.. إلى ما يستريح به.

إن المتخاصمين ليسوا طرفا في القضية.. ومن أجل ذلك كان عقلهم حاضرا، وعليهم أن يتصرفوا بحكمة يمتلكون زمامها.. بينما حرم منها المتخاصمون، ولقد كان سلفنا الصالح عند حسن الظن بهم.. يقفون إلى جانب المظلوم بالوصية.. حتى يتجاوزوا معه خطة الخطر.. ثم لا يكون صدام.

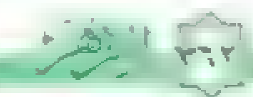
وقد يكون المظلوم صاحب سلطان أو مال.. ومن ثم يريد أن يرد الصاع صاعين.. ولكن كان هناك من ينصحه بحكمة.

دخل رجل على عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه. ويقع فيه (يشتمه).. فقال له عمر: (إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي.. خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها» (الإحياء/ ٣/ ١٨٣). وهذا هو الدرس الذي نتعلمه على يد «الشافعي» -رحمه الله- حيث يقول:

قالوا سكت وقد خوصمت، قلت لهم:
إن الجواب لباب الشر مفتاح
فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب
نعم. وفيه لصون العرض إصلاح

---

[2] - المعجم الكبير الطبراني ص٢٨٦، الجزء العاشر



إن الأسود لتخشى وهي صامتة
والكلب يخشى ويرمى وهو نباح

وعلى هذا الأساس كانت وصاياهم:

سمع «سلم بن يسار» رجلا يدعو على ظالمه فقال له: «كل الظالم إلى ظلمه.. فإنه أسرع إليه من دعائك عليه.. إلا أن يتداركه بعمل.. وقمن ألا يفعل» (الإحياء ٣/ ١٩٤).

ولقد كانت لهم في هذا الباب حكم غالية ونصائح عالية: كتب رجل إلى صديقه يحرضه على العفو عن إخوانه «فلان هارب من زلته.. إلى عفوك، لائذ منك.. بك.. واعلم: أنه لن يزداد الذنب عظما.. إلا ازداد العفو فضلا» (الإحياء/ ٣/ ١٩٦). وعلى هذا الأساس كانت وصاة الآباء لأبنائهم.. سدا لذرائع الفتنة.

ومن ذلك: «لا أحد أحمق من السفيه للخلال المذمومة. والبعد من الخصال المحمودة. فإنه لا يستحيي من الخال، ولا يرى العار في حال.. فاحذره جهدك. وباعده عمرك.. فإذا اضطرك الدهر إلى الجمع به.. فأعد له حلما تدفع به شره.. وصبرا تقمع به صره.. وكن معه.. كمن مر بروضة شوك يسعى في تخليص جسده عنها، ولم يسأل عما تعلق بثيابه منها».

«ولقد آثر أهل الفضل مجالسة الكتب، وجعلوها عوضا عما فاتهم من مجالسة الأصحاب»

فكان الانفراد أسكن للفؤاد..

لم يبق شيء من الدنيا تسر به
إلا الدفاتر: فيها الشعر والسمر
صامت الذين لهم فضل ومكرمة
وفي الدفاتر من يحسابهم أثر

«أكثر من مجالسة أهل الأدب.. فإن صلاح الأخلاق وفسادها كثيرا ما يكون ذلك على قدر أخلاق الذين نطيل صحبتهم.. وكثيرا ما يفسد الطبع الحسن معاشرة أهل الخيل والريب».

مصادر القوة

إن العفو قوة.. يمتلك بها الإنسان زمام نفسه.. فإذا هو أقوى من الموقف كله، ومن معاني ذلك:

أن قوة الإنسان مشتقة من المنظومة الأخلاقية.. التي هي ثمرة الإيمان. وفي طليعتها: سابقة العفو.. بمعنى أنها ليست منطلقة من قوته المادية فقط.. وإنما بالدرجة الأولى من ثروته الأخلاقية.

ونقرأ هنا قوله -عز وجل-:

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾

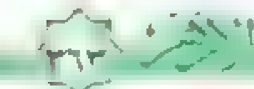
(الأنفال ٦٥)

وقد رددت بهذه الآية الكريمة على من قال:

إن عظماء بعض الرياضيين كالمسلح، مع أن كل الفريق يأكل طعاما واحدا!. وقلت له: بل إن الرجل يغلب بما هو أعظم من عظامه!.

فالعشرون في الآية الكريمة أجساد قوية.. لكنها تملك ما هو أقوى، وهو الصبر.. الذي به تواجه قسوة الموقف.. ليكون لها الغلب في نهاية المطاف.. إن الحق -سبحانه وتعالى- يدل على عظمته بخلق هذا الإنسان.. وهذا الإنسان بخلقه يدل على أنه الأقوى حقا.

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (متفق عليه).



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنة النبوية

[illegible]

٤

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهام الرسل والأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام. وقد وصف الله - سبحانه - رسوله محمداً ﷺ - بعدة صفات عظيمة الشأن، هي من خصائص مهمته في تبليغ الرسالة منها: أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقول الله - جل شأنه -:

﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ۝ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾

(الأعراف ١٥٦، ١٥٧)

فقد وصف الله - سبحانه وتعالى - رسوله محمداً ﷺ في الآية الكريمة بعدة أوصاف:

● **الوصف الأول:** أنه رسول الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً.

● **الوصف الثاني:** أنه نبي أوحى الله إليه بشريعة عامة كاملة خالدة باقية إلى يوم الدين.

● **الوصف الثالث:** أنه أمي، ما قرأ وما كتب ولا جلس إلى معلم، ولا أخذ علمه عن أحد، ولكن الله - عظمت قدرته - أوحى إليه بالقرآن الكريم عن طريق جبريل - عليه السلام - وأفاض الله عليه من لدنه علماً ومعرفة توضح ما أنزل الله عليه من القرآن الكريم، فأمته عليه الصلاة والسلام، مع هذه العلوم والمعرفة الواسعة التي تعلمها وعرفت تعلمها من السنة النبوية، والتي بها صلاح أمر الدنيا والآخرة هي أصدق دليل على أن ما يقوله عليه الصلاة والسلام إنما هو وحي من الله إليه.

● **الوصف الرابع:** أن أهل الكتاب - اليهود والنصارى، يجدون اسمه ونعته مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل. ووجود اسمه ونعته في كتبهم، من أكبر الدواعي إلى الإيمان به وتصديقه واتباعه.. ولقد كان اليهود يبشرون ببعثة النبي محمد ﷺ قبل زمانه، ويقرءون في كتبهم ما يدل على ذلك.. فلما بعث الله - سبحانه - نبيه محمداً بالهدى ودين الحق آمن منهم الذين تفتحت قلوبهم للحق، وحاربه وعاداه منهم الذين غلبتهم النفس والهوى، وأن الذين استكبروا واستكبروا وحسدوا محمداً ﷺ على ما آتاه الله من فضله. فقد حذفوا من كتبهم ما جاء عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فيها، أو ما يؤولونه تأويلاً فاسداً، أو يكتمونه عن عامتهم «وللعلماء والمفسرين كلام كثير وشرح طويل في هذا الموضوع».

● **الوصف الخامس:** أن هذا الرسول النبي الأمي الذي يجده أهل الكتاب مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل من صفاته أنه يأمرهم بالمعروف الذي يتناول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما يتناول مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وغير ذلك من الأمور التي جاء بها الشرع الحنيف، وارتاحت لها العقول السليمة، والقلوب الطاهرة، وينهاهم عن المنكر الذي يتناول الكفر والفسوق والمعاصي ومساوئ الأخلاق.

● **الوصف السادس:** أن هذا الرسول يُحلّ لأهل الكتاب ما سبق أن حرّمه الله عليهم من الطيبات كالشحوم وغيرها بسبب ظلمهم وفسوقهم عقوبة لهم، ويُحلّ لهم كذلك ما كانوا قد حرّموه هم على أنفسهم دون أن يأذن به الله كلحوم الإبل وألبانها، ويُحرّم عليهم ما هو خبيث كالدم ولحم الميتة والخنزير في المأكولات، وكأخذ الربا وأكل أموال الناس بالباطل في المعاملات.. وفي ذلك سعادتهم وفلاحهم.

● **الوصف السابع:** أن هذا الرسول جاء ليرفع عن أهل الكتاب ما ثقل عليهم من تكاليف كتبها الله عليهم بسبب ظلمهم. «الإصر: الثقل الذي يحبس صاحبه عن الحركة لثقله، ويطلق على العهد، والغل: ما يوضع في العنق أو اليد من حديد»، فإن بني إسرائيل كان قد أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال: فإنهم كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه، وإذا جمعوا الغنائم نزلت نار من السماء فأكلتها، وإذا حاضت المرأة لم يقربوها، وكاشتراط قتل النفس لصحة التوبة.. إلى غير ذلك من التكاليف الشاقة، فجاء النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فيسّر ووسّع على هذه الأمة أمورها وسهّلها لهم، فطهّر الثوب الذي يصيبه البول بالغسل، وأحلّ الغنائم، وأباح مجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها.

فرض كفاية

قال الإمام النووي - رحمه الله - ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم الكل ممن تمكن منه بلا عذر أو خوف، ثم إنه - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قد يتعين ويصير فرض عين على

الإنسان، كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف.

قال العلماء - رحمهم الله -: «لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله - عز وجل -:

﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

(المائدة ٩٩)

قال العلماء - رحمهم الله -: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين. قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين. فإن غير الولاة في الصدر الأول، والعصر الذي يليه كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية..

ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة: كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحو ذلك، فكل المسلمين علماء بها.. وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء، ثم العلماء ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه.

بطانة الحاكم!!

ومسئولية بطانة الحاكم كبيرة، وحسابها عسير أمام الله إذا لم يلتزموا بتنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعليهم مسئولية توجيه الحاكم إلى المعروف وإرشاده إلى فعله إذا أهمله أو تركه، وتوجيهه إلى ترك المنكر ونهيه عنه إذا اقترفه وسلك طريقه.. فهم شركاء الحاكم في المسئولية والحساب، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى»[1].

وقد يظن بعض الناس أن مفهوم البطانة قاصر على بطانة الحاكم، أو المسئول في الجهاز الإداري للدولة فقط أيا كان موقعه، وهذا فهم ناقص وخاطيء لمعنى البطانة، فالبطانة في معناها العام تشمل كل من يحيط بالإنسان - أيا كان كبيرا أو صغيرا مسئولا أو غير مسئول رجلا أو امرأة - ويعينه ويساعده على اتخاذ قرار.. يؤكد هذا المعنى الحديث الشريف الذي يرويه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال: خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج فيها، ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبوبكر - رضي الله عنه - فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟ فقال: خرجت ألقى رسول الله ﷺ وأنظر في وجهه والتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر - رضي الله عنه - فقال: «ما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوع يا رسول الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «وأنا قد وجدت بعض ذلك». فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم التيهان الأنصاري، وكان رجلا كثير النخل والشاء، ولم يكن له خدم، فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء، ولم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها فوضعها، ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته، فبسط لهم بساطا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو فوضعه، فقال النبي ﷺ: «أفلا تنقيت لنا من رطبه؟» فقال: يا رسول الله إني أردت أن تختاروا، أو قال: تخيروا من رطبه وبسره. فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال رسول الله ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة: ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد». فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاما، فقال النبي ﷺ: «لا تذبحن ذات در». قال: فذبح لهم عناقا أو جديا، فأتاهم بها فأكلوا فقال النبي ﷺ: «هل لك خادم؟» قال: لا، قال: «فإذا أتانا سبي فأتنا» فأتي النبي صلى الله عليه وسلم برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبوالهيثم فقال النبي ﷺ: «اختر منهما» فقال: يا نبي الله اختر لي. فقال النبي ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا فإني رأيته يصلي، واستوص به معروفا».

فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تعتقه. قال: فهو عتيق. فقال النبي ﷺ: «إن الله لم يبعث نبيا ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا، ومن يوق بطانة السوء فقد وقي»[2].

صمام الأمن

وفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي دعا إليها الإسلام وعدها من أهم ركائز بناء المجتمع الإسلامي السليم، واعتبرها صمام الأمن والأمان لحماية مبادئه وتعاليم الإسلام والدفاع عنه، والوسيلة الفعالة لنشر الفضائل والقضاء على الرذائل.. هذه الفضيلة التي قد تراخى المسلمون في أدائها!! فآل أمر الأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه من تفشي الفساد وعموم البلاء، وضياع الحقوق وطغيان الأقوياء.

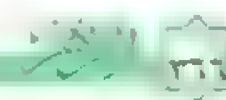
قال الإمام النووي - رحمه الله -: اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان، إلا رسوم قليلة جدا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله - تعالى - بعقابه

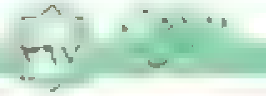
﴿ [illegible] ﴾

(النور ٦٣)

(١) - البخاري - الفتح ١٣ (٦٦٩٨)

(٢) [illegible]





الأجر على قدر النصب

فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله - عز وجل - أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لاسيما وقد ذهب معظمه.

وعلى الآمر بالمعروف أن يُخلص نيّته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، لأن الله - تعالى - قال:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾

(الحج: ٤٠)

وقال - سبحانه -:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(آل عمران: ١٠١)

وقال - تعالى -:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

وقال - تعالى -:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

(العنكبوت: ٢، ٣)

واعلم أن الأجر على قدر النَّصَب، ولا يتركه أيضًا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حُرمة وحقًا، ومن حقه أن ينصحه، ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًا لنا بهذا، وكانت الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - جميعاً أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها نسأل الله الكريم توفيقنا وتوفيق أحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته.

وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق بمن يخاطبه وينصحه، ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، وتحقيق المصلحة وبلوغ الغاية.

قالت أم الدرداء: «من وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه».. وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: «من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه».

من توجيهات النبي ﷺ

الدعوة بالقدوة

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

تلك حقيقة إنسانية، وضرورة بشرية، ألقاها الله على لسان هذا الشاعر حكمة خالدة تحمل في ثناياها قاعدة لا تصلح امور الناس إلا بها، وهي أن كل أمة لابد لها من قيادة، وكل قيادة لابد لها من منهج حكيم، حتى لا تكون قيادة جاهلة، تسيرها الاهواء، وتميلها الشهوات، وتستبد بها حظوظ النفس فتضل ضلالا بعيدا.

تأملت هذه الحقيقة فتمثل لي نموذج الإنسان الكامل في قول ربي - سبحانه -

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

ورأيت كيف خاطب الحقُّ - سبحانه وتعالى - البشرية كلها بضمير الخطاب «لكم» وهو - سبحانه - يعلم تفاوت أقدار الناس، وتباين طباعهم واختلاف معايشهم، وطرائق تفكيرهم، وبرغم هذا فقد دعاهم جميعا إلى أخذ القدوة من حبيبه ومصطفاه ﷺ.

ولقد أراد المولى - تبارك وتعالى - أن يكون النموذج بشرا من الناس يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويكون القدوة في السلوك والعبادات والمعاملات والعادات. وقد مضت سُنّة الله أن يرسل لكل قوم رسولا بلسانهم ليبيّن لهم ما غمض عليهم، لكنه - سبحانه وتعالى - أرسل محمدا للعالمين كافة، بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، لأنه المثل الأعلى للإنسان الكامل، ولكل من أراد أن يعيش سعيدا في نفسه وفي أهله وفي دوائر حياته كلها.

القدوة وأثرها فى التعليم

وقد اختار ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الأسلوب العملى فى تعليم الأمة وإرشادها، ففى أمور العبادات لا يكتفى ببيان أهمية الصلاة وأنها ركن الإسلام الأعظم، وإنما يتقدم ليصلى بهم ويطلب منهم أن يتابعوه فى صلاته قائلا: «صلوا كما رأيتمونى أصلى»[1] وفى مجال العبادات العملية الأخرى كالحج وغيره يقول لهم: «خذوا عنى مناسككم»[2].

وعندما دعا أصحابه إلى التحلل من إحرامهم فى عُمرة الحديبية، تردد المسلمون كثيراً وتثاقلوا فى تنفيذ أمره ﷺ حتى دخل مُغضبا على «أم سلمة» ـ رضى الله عنها ـ فأشارت عليه بأن يخرج عليهم فينحر بدنة، ويحلق أمامهم. ففعل رسول الله ﷺ كما أشارت. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما[3] وفى هذا الموقف بيان لأثر القدوة العملية، وعظمة سلطانها على النفوس.

وعن أثر القدوة العملية فى نفوس المدعوين يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ عند حديثه عن موقف الرسول ﷺ فى مواجهة المشركين يوم الخندق: «إن دراسة موقفه ﷺ فى هذا الحدث الضخم لمما يرسم لقادة الأمم والجماعات طريقهم، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ويطلب القدوة الطيبة، ويذكر الله ولا ينساه. ثم يقدم ـ رحمه الله ـ مشهداً عمليًا مؤثراً يدل به على أثر مشاركة القائد لجنوده، والداعية لمدعويه فيقول: «خرج رسول الله ﷺ يعمل فى الخندق مع المسلمين، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة، ويحمل التراب فى المكتل، ويرفع صوته مع المرتجزين، وهم يرفعون أصواتهم بالرجز فى أثناء العمل، فيشاركهم الترجيع!. وقد كانوا يتغنون بأغانٍ ساذجة من وحى الحوادث اليومية: كان هناك رجل من المسلمين اسمه «جُعَيل» فكره رسول الله ﷺ اسمه، وسماه «عمراً» فراح العاملون فى الخندق يغنون بهذا الرجز الساذج:

سماه من بعد جعيل عمرا

وكان للبائس يوما ظهرا

فإذا مروا فى ترجيعهم بكلمة «عمرو» قال رسول الله ﷺ «عمراً» وإذا مروا بكلمة «ظهر» قال ﷺ «ظهراً». ثم يعلق على هذا المشهد الجماعى الأليف بقوله:

«ولنا أن نتصور هذا الجو الذى يعمل فيه المسلمون والرسول ﷺ بينهم، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة، ويحمل فى المكتل، ويرجع معهم هذا الغناء ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو فى أرواحهم، وأى ينبوع يتفجر فى كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز»[4].

بهذا الحضور الروحى، وبهذا الائتلاف الإيمانى، عايش رسول الله ﷺ أصحابه فأخذوا عنه مناسكهم وصلوا بصلاته وصاموا بصيامه، وعندما رآهم يتابعونه فى أمره كله حتى فيما لا يطيقون من الأعمال، كان يلفتهم إلى اختصاصه بهذا الأمر دونهم، حتى لا يشق عليهم، فقد رآهم يتابعونه فى مواصلة الصيام فنهاهم عن ذلك قائلا: «وأيكم مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى».

ولم يقف أمر القدوة العملية فى حياة رسولنا الكريم ﷺ مع أصحابه على ما يختص بأمور العبادات؛ وإنما كان هذا شأنه فى كل ما يصدر عنه من عمل، وكل ما يحتاج إليه الناس من أمور الحياة.

الأسوة الحسنة لكل داعية!!

وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لا يأمرهم بأمر ولا يدعوهم إلى شىء إلا كان أسبقهم إلى فعله، وأسرعهم تنفيذا له. حتى فى أدق المواطن ـ وأشدها خطرا ـ وهذه شهادة فارس من أعظم فرسان قريش وهو علىّ بن أبى طالب ـ الذى يضرب به المثل فى الشجاعة وقوة النفس ـ يقول: «كنا إذا حمى القتال واشتد الوطيس، واحمرت الحدق نحتمى برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه».

وقد شارك أصحابه فى حمل اللَّبِن عند بناء المسجد أول قدومه إلى المدينة، وشاركهم فى إعداد الطعام فى أسفارهم وفى الغزوات، بل كان يختار من الأعمال أشقها؛ فقد اختار جمع الحطب.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، فقد كانت حياته كلها نموذجا عمليا لأمته. فهو الأسوة الحسنة لكل داعية ولكل داعية ولكل قائد ولكل أب ولكل أخ ولكل زوج ولكل صديق. وهو القدوة الكاملة لكل مرب وكل سياسى وكل رئيس دولة. وكل داعية إلى الإصلاح فى الأرض.

ولقد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ أثر القدوة فى حياة الأمة وكانوا دائمى التذكير بها والإشادة بمن يقيمها فى حياة المسلمين.

وتُحدثنا كتب السيرة أن جنود المسلمين قد عادوا من بلاد فارس بعد أن فتحوها ومعهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والأموال التى لم يسمعوا بمثلها ووضعوها جميعا بين يدى

---

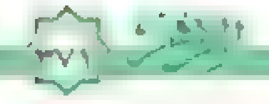
(1) صحيح البخارى ١/٢...

(2) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٤، ص٣٦٧، ٤٦٩.

(3) ... صحيح البخارى، كتاب الشروط ... ٢، حديث رقم (٢٧٣٢)

(4) فى ظلال القرآن جـ ٥ تفسير سورة الأحزاب





أمير المؤمنين عمر، فلما نظر إلى الأموال وكثرتها ورأى هؤلاء الفقراء والعراة لم يظلموا منها مثقال ذرة قال عمر: «إن قومًا أدوا هذا لأمناء»، فقال له «علي» ـ رضي الله عنه ـ: «يا أمير المؤمنين عففت فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعوا»[5]. ولا يقف أمر العناية بالقدوة عند طبقة الحكام وكبار المسئولين فحسب بل إن الإسلام يقيم نظامه كله على القدوة العملية، بدءًا من الخلية الأولى في البناء وهي الإنسان داخل الأسرة. فيخاطبه بقوله

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا﴾

(التحريم ٦)

الفطرة ودور الوالدين

ويجعل مسئولية التشكيل الأولى لكيان هذا الإنسان على عاتق الوالدين، ففي الحديث الصحيح: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[6]. فهو مهيأ منذ اللحظة الأولى لميلاده لكي يتكون ضميره ويتشكل وجدانه وشعوره، من خلال وسائل المعرفة الأولى وهي: السمع والبصر والفؤاد، ولهذا يقول الخالق الحكيم ـ سبحانه ـ:

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾

(النحل ٧٨)

وخطورة هذه المنافذ الثلاثة في كيان الإنسان شدد الحق ـ تبارك وتعالى ـ على الإنسان في استعمالها فقال:

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾

(الإسراء ٣٦)

وحتى لا تبقى قضية التربية مبهمة ومحيرة لمن لا يملك الخبرة والبصيرة، قدم الحق ـ تبارك وتعالى ـ أهم عنصر يصلح به الكيان الإنساني كله وهو الصلاة بقوله ـ سبحانه ـ:

﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾

(طه ١٣٢)

ويشدد المصطفى ﷺ على ضرورة تعويد الصغار على أداء الصلاة منذ بداية مرحلة التمييز ولا ينتظر به وقت البلوغ كما هو المعهود في جميع التكاليف الأخرى التي تشترط البلوغ مثل الصيام

(5) البداية والنهاية جـ 4 ص ٧٥ ـ دار الفكر العربي

(6) صحيح البخاري ج٢، ١١٨، ج١، ص١٢٣

والحج وغيرها من المسئوليات. حتى لا تمر مرحلة التشكيل الأولى فيستعصي هذا الغصن الطرى على التقويم.

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت

ولا يلين إذا قومته الخشب

والأمر بالصلاة لا ينبغي أن يقف عند حدود الأمر القولي المجرد مع مخالفة ذلك بالأفعال، فذلك من أخطر ما يصيب المتلقي بالانتكاس والفساد.

فليس من المقبول ولا المعقول أن يجلس الوالد ليتابع برنامجًا، أو يقرأ صحيفة، أو يستلقي على سريره، ثم يأمر ولده بالنزول للصلاة في المسجد عند إقامة الصلاة، دون أن يرى الولد للوالد عذرًا في التخلف عن النزول لشهود الجماعة في المسجد وهذا المثل نضربه للعقلاء الأسوياء من المسلمين، أما الوالد الذي لا يصلي أصلًا، فلن نتوقع منه أن يأمر ولده بالصلاة ففاقد الشيء لا يعطيه. وهذا الوالد الذي قدم لولده أسوأ صورة للقدوة العملية لن يكون موضع استهجان الولد واستغرابه فقط بل سيكون موضع سخريته وازدرائه؛ لأنه كان سبب إفساده وانحرافه

وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عوده أبوه

تصحيح المفاهيم

إننا حين نعرض لدور القدوة العملية، لا نقصد من ذلك إثارة الإعجاب السالب، ولا التأمل التجريدي، ولا الاستمتاع بقصص الناجحين؛ وإنما نقصد إلى تصحيح المفاهيم. لدى من يظنون الدعوة إلى الله وبناء الأمم خطبًا بليغة، وأوامر صارمة، وتقطيبًا في الوجه، واتهامًا للنوايا، واستعلاء على الناس، فإذا طلبت واحدًا من هؤلاء عند مواطن التضحية، ومواقف البذل، وجدته يذوب كما يذوب الملح في الماء؛ لأنهم ألفوا الجانب المجاني من الإسلام، الذي لا يمس جيوبهم ولا أبدانهم، ولا يحول بينهم وبين ما يشتهون.

«إن الداعية الموفق الناجح، هو الذي يهدي إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثل حي متحرك للمبادئ التي يعتنقها. وقد شكا الناس في القديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيئون الفعل!! والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء يجب أن تسبقها شكوى الأديان منهم، لأن تناقض فعلهم وقولهم أخطر شيء يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم»[1].

(1) مع الله، للشيخ محمد الغزالي ص [illegible]

وعادت صحف الدانمارك مرة أخرى للرسوم التي تسيء لنبينا الكريم ﷺ

عادت الصحف الدانماركية من جديد لممارسة استفزازها للإسلام والمسلمين. ونشر تلك الرسوم التي تسيء لنبينا الكريم ﷺ ولم يعد لديها ما يوقفها عن العداء السافر للمسلمين..

وعموما فإن ظاهرة العداء للإسلام والخوف منه والحقد عليه انطلاقا من مصالح خاصة، وخوفا من سيادة قيمه العليا ومكارم الأخلاق، وما يدعو إليه من رحمة وعدل وحرية وإخاء.. هذه الظاهرة قديمة، فقد حدثت في عهد الرسول ﷺ.

وعلى الرغم من هذه الهجمة الشرسة في عهد الرسول الكريم ﷺ وحتى الآن على الإسلام، فقد أكد القرآن الكريم أن هذه الهجمة الحاقدة لم تتمكن من النيل من الإسلام، الذي وعد الله بحفظه وحفظ كتابه. واستمر وسوف يستمر إلى قيام الساعة. وازداد انتشارا في كل أنحاء العالم، وأصبح المسلمون اليوم يمثلون ربع سكان العالم، منهم ٤٠ مليون مسلم في أوروبا و٨ ملايين مسلم في الولايات المتحدة، والباقي موزعون على الدول الإسلامية وجميع أنحاء العالم.

وهناك كُتّاب كثيرون تناولوا نظرة الغرب للإسلام، وتلك النظرة الغربية للمسلمين ومن هؤلاء الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر، وكذلك الكاتب المعروف فهمي هويدي، فالجاليات الإسلامية في دول الغرب يُنظر إليها على أنها خلايا إرهابية نائمة، ترصد تحركاتها وأموالها وعلاقاتها، وتخضع للمراقبة عبر الشرطة. وقد أفرز الغرب بعض المصطلحات للحرب ضد الإسلام مثل «الإسلاموفوبيا» و«الخطر الأخضر» و«نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات»، وأخيرا مصطلح «الحرب على الإرهاب». وكلها مصطلحات تستهدف الحرب على الإسلام والمسلمين وعلى نبيهم الكريم.

ولا شك أن الهجوم على نبي الإسلام من حين إلى آخر، وخاصة في صحافة الغرب وأشهرها وآخرها صحافة الدانمارك، هو حلقة في حلقات هذه الحرب المستمرة، ومن المعروف أن مثل هذه الحملات من شأنها إجهاض أية محاولة حوار بين الإسلام والغرب. وإذا حاولت تفسير هذه العلاقة المتوترة بين الغرب والإسلام، فإننا نجد أن الغرب تتحمل المسئولية الأكبر فيها ولكن المسلمين أيضا يتحملون نصيبا منها.

فمن المسلمين من يهاجم الحضارة الغربية، دون تمييز بين الجوانب المشرقة والجيدة في هذه الحضارة وبين الجوانب السلبية. ودون وعي بمعطيات التاريخ وأسرار الحضارة، والتفاعل بين الحضارات. فكل حضارة بوصفها إفرازا بشريا، يتفاعل فيه الإنسان مع بيئته، ويتعامل بواسطته مع التحديات، وبوصفها نتاجا للتفاعل بين حضارات مختلفة، فلابد أن تكون فيها سلبيات.. والحضارات لا تدان بسبب وجود سلبيات فيها. ولكن تدان بسبب رفعتها واحتقارها، وتوظيفها ضد الآخر الحضاري وضد الشعوب الأخرى.

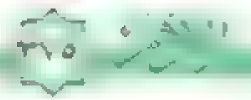
نحن والغرب

والسؤال: ما دورنا فيما يقع من أخطاء.. وما هو المشترك في تلك الأخطاء؟..

إن من أهم الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين، الحكم على الغرب كله بالفساد الأخلاقي أو بالكفر أو بكراهية الإسلام والحقد عليه، كما أن البعض من المسلمين لا يميز بين اتجاهات السياسيين واتجاهات الشعوب.

ومن أخطاء المسلمين الخطيرة، عدم نجاحهم في توظيف الثروات الفكرية والثقافية والدينية، أو توظيف إمكاناتهم المتنوعة وثرواتهم الطبيعية وعقولهم وعبقرياتهم في التعامل العقلاني مع الغرب، فلقد أهمل المسلمون مقومات نجاح حضارتهم العملاقة التي أفادت العالم كله، بما فيه العالم الغربي، وأخرجته من الظلمات إلى النور.

أهملوا التفكير والعلم والتكنولوجيا وتنمية عمارة الأرض، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. واستسلموا للخوف والتبعية والهيمنة الغربية، ومحاولات التمزيق والتفريق، وبهذا لم يعد لديهم شيء يتحصنون به، إلا الماضي وأمجاد الآباء والأجداد، وتخلوا عن واقعهم وثرواتهم الطبيعية الهائلة ومقدراتهم لكي يتحكم فيها الغرب، الذي يتسم بالعنصرية والنزعة الاستعلائية الشديدة، وتلك



ضرورة مقاطعة المنظمات الغربية المحتقرة للأديان ووسائل الإعلام التي تتستر بحرية التعبير

رأسمالية متوحشة مسيطرة على مجتمعاته.

هذه السمات البغيضة لدى الغرب من استعلاء وعنصرية واستنزاف لثروات الآخرين، لم يستطع الغرب التخلص منها، حتى بعد أن رفع راية الحريات وحقوق الإنسان والديمقراطية.

ظاهرة ينبغي التصدي لها

لكن على الرغم من هذا التشخيص، فإن الغرب يجب ألا يؤخذ كوحدة. فهناك المنصفون للإسلام وللرسول ﷺ من أمثال «مايكل هارت» و«برنارد شو» و«جوته» و«سيجريد هونكه» و«كارين أرمسترونج» وغيرهم من كبار المفكرين الغربيين.

وهناك الشعوب التي يتشكل وجدانها من المناهج الدراسية وأجهزة الإعلام المغرضة ولا ذنب لها. وهناك مراكز الغربية للدراسات الإسلامية المحايدة.

صحيح أن هناك نزعات تطرف في الغرب، مثل حركة اليمين المسيحي، أو المسيحية الصهيونية في الغرب. وحركة «الميثودست»، وصحيح أنه توجد لدينا في الإسلام جماعات متطرفة متشددة باسم الإسلام، لكن المهم هنا الإشارة إلى أن التطرف ظاهرة عالمية، يجب التصدي لها والحرب عليها، وهي ظاهرة في كل المجتمعات وكل الأديان، ويجب ألا تتحمل الشعوب جريرة هذا التطرف. ويجب عدم تحميل المسلمين وحدهم جريرة هذا التطرف والإرهاب، الذي يتجاهل كل الديانات والشعوب ولا وطن له ولا دين.

الإساءة للرسول ﷺ

ومفهوم خاطئ لحرية التعبير

يشير أحد الكتاب المعروفين وهو «فهمي هويدي» إلى أن المثير في التطاول والبذاءات الغربية على الإسلام وكتابه ورسوله. ليس هو تطاول شخص أو جماعة متعصبة، أو حتى منبر إعلامي معين على شخصية الرسول ﷺ، أو على مقدس من مقدسات الإسلام والمسلمين. ولكن ما يدهش أكثر هو تعامل الحكومات والصفوة المثقفة في الغرب مع هذه الإساءات، فقد تبنت بعض الحكومات المسئولين فيها هذه الاتهامات والإساءات والبذاءات. وقد علا صوت الحاقدين والمتعصبين للإسلام على صوت المنصفين والعقلاء من مثقفي ومفكري الغرب. وهناك رؤساء، لبعض تلك الدول مثل «نيكسون» في كتابه «انتهز الفرصة» يقول: «إننا لا نخشى



على المسلمين أن يتوحدوا ليعلموا الغرب المتعجرف أن يحترم خير أمة أخرجت للناس

الصحوة الروسية. ولكن نخشى الإسلام والحرب العقائدية التي قد تقضي على الهوية المدنية للغرب».

التحليل العلمي لهذه الهجمة الشرسة كما يشير إليها د. سيد السمالوطي في بحثه المستفيض بعنوان «نحو استراتيجية علمية منهجية لنصرة الرسول ﷺ»، يحتاج إلى الكشف عما وراءها واستخلاص العبر والدروس. حتى يتمكن للصفوة من مثقفي الإسلام الرد المنهجي والعلمي عليها. فلا شك أن تلك الهجمة ناجمة عن اعتبار المشروع الحضاري الذي يقدمه الإسلام خطرا على ممارساتهم للظلم الاجتماعي. وعدم العدالة في التوزيع. والرأسمالية التي توحشت، وخطرا على محاولات الهيمنة والسيطرة على مقدرات العالم من الثروات. ومحاولة احتلال دول. وممارسة أبشع أنواع إبادة الجنس البشري في العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى. فإن هذه الإساءات التي تصدر تحت مظلة حرية التعبير. والواقع أن التعبير هو سلوك اجتماعي يجب حمايته ماداما يخدم أية قضية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية.. إلخ. لكن يجب ألا يجمح التطاول والعدوان على حريات الآخرين.

والواقع أن فكرة الحرية المطلقة غير موجودة في كل دول العالم إلا في مجال حرية الاعتقاد والتفكير، وقوانين الحضارة وحقوق الإنسان. تؤكد ضرورة عدم الإساءة إلى أية مقدسات لأي دين سماوي أو وضعي. وقد كان القرآن الكريم واضحا في هذه النقطة عندما قال تعالى:

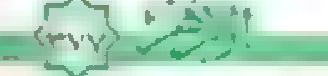
﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

(الأنعام ١٠٨)

وهناك عوامل سياسية - بلا شك - تقف وراء هذه الهجمة الشرسة والحاقدة على الإسلام والمسلمين من بينها..

تلك الحساسية الشديدة - تاريخيا - إزاء المسلمين منذ الحروب الصليبية، وماتزال آثارها باقية في العقل الغربي، وفي مناهج عندهم، فضلا عن عمليات الإثارة والتحريض المستمرة ضد الإسلام. التي تمارسها الأبواق الإعلامية العملاقة، الموجهة من الحركة الصهيونية العالمية.

ونقول: إن خير أساليب الدفاع عن الإسلام وعن الرسول ﷺ والرموز الدينية. هو أن نحقق نحن في ذاتنا توحدا جيدا مقتدين بسُنَّة الرسول الكريم ﷺ، في كل مجالات



[illegible]

حدة. فمشكلة الغرب تتمثل في وجود نماذج سيئة لا تعكس الإسلام الصحيح، والمشكلة أننا نعاني - كشعوب مسلمة - من حالة الضعف وأننا لا نستطيع أن نكشف عنه، ولا نرد عليه بشكل إعلامي ثقافي مكثف، يصل إلى رجل الشارع في الغرب.

وقد كنت أتمنى أن تكون الجالية الإسلامية في الغرب أن تقدم للغرب وللمجتمعات التي يعيشون فيها نموذجًا جيدًا للإسلام في حضه على قيم العدل والحق والتسامح والعلم، فإن المشكلة أن بعض المسلمين في الغرب يضطرون إلى التخلي عن قيمه الإسلامية، حتى يكون مقبولا ومندمجا في مجتمعات الغرب. مثلما حدث في أزمة الحجاب في فرنسا وغيرها من دول أوروبا، وهذا يقتضي منا إعادة النظر في الثقافة والتعليم والإعلام، ومنظومة الفكر داخل الدول الإسلامية. وأساليب تعاملنا مع الآخر.

فهذه الإساءات الموجهة للرسول ﷺ توجه إلى ما يقرب من ربع سكان الكرة الأرضية. ولا ينبغي السكوت عليها، وما يحدث داخل هذا الغرب الذي يتشدق بحقوق الإنسان والحريات والعدالة والمساواة، ولا يطبق فكرة حرية التعبير في المقدسات والعدوان إلا على المسلمين، وهذا يقتضي منا تغييرا في سياساتنا الداخلية والخارجية وأن ننصر الرسول في إحياء سنته والاسترشاد بهديه.

وتحقيق التقدم الذي طالبنا به الإسلام بالاستحواذ على كل مصادر القوة، حتى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس. كما قال عنا ربنا - سبحانه وتعالى -.

وهذه استراتيجية علمية يمكن أن نتبعها دفاعا عن الإسلام ونبيه ﷺ، سوف نواصل تدوينها إن شاء الله.

لكني أقول إن الدانمارك وإعلامها امتداد - في عصرنا - لمسيلمة الكذاب وأهل اليمامة، وكل المعاندين والحاقدين على دعوة الحق والعدل.. دعوة السلام والمحبة.. دعوة الإسلام ودعوة كل الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام، وحتى محمد ﷺ.

وإذا كانت الدانمارك والصحف الدانماركية مصرة على عنادها وانحرافها في الهجوم على الدين الإسلامي، وعلى رسوله الكريم ﷺ فإن على المسلمين مجتمعين من المحيط الأطلسي شرقا وحتى إندونيسيا غربا واجبا يتمثل في الدعوة إلى احترام الأديان والمعتقدات، وعدم الاعتداء عليها في المواثيق من خلال المنظمات الدولية.

وعلى المسلمين - كذلك - أن يبحثوا في العقوبات التي يمكن فرضها على هؤلاء المصرين على الإساءة للإسلام والمسلمين، دون وجه حق ودون أي سند قانوني أو ديني أو أخلاقي!.

مكارم الأخلاق غاية الرسالة المحمدية

[illegible]

يقول رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1] ولا أظن مسلما لا يعرف هذا الحديث. لكن ما ثمرة المعرفة وما قيمتها إذا لم يصحبها عمل إيجابي لتثبيت الأمة وتثبيت أركانها؟ إذ لا فائدة ترجى من مجرد الحفظ والترديد بل ربما كانت المعرفة - المجردة العاجزة - ذنبا سوف نسأل عنه يوم القيامة!!

ذلك في ميزان الإسلام الذي يجعل المعرفة مسئولية والعلم أمانة تجب صيانتها ويلزم أداؤها كما يجب حفظها ورعايتها من التزييف والتحريف وأيضا فإن العالم مطالب بجانب الأداء والتبليغ - أو قبله - بالعمل. فمن عمل بعلمه ورثه الله علما لم يكن يعلمه. وذلك تصديقا لقول رسول الله ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[2].

وأعتقد أننا نحن المسلمين فرطنا كثيراً وتقاعسنا، حيث إننا وإن كنا في بعض الأحيان المتأخرة حصلنا بعض المعرفة إلا أننا نسينا كثيرا وفرطنا كثيرا وتكاسلنا وتقاعسنا خصوصا في مجال التبليغ وترديت إلى مرحلة التفريط، وعاد كل ذلك بالسلب على الإسلام نفسه فكل ما ابتلينا به من نقص المعرفة وانعدام أمانة الحفظ وعجز التبليغ عاد بالسلب على الإسلام نفسه حتى أصبح السؤال المنطقي الذي نعجز عن الجواب عنه لماذا أنتم يا خير أمة أخرجت للناس تتسولون الأمم؟!

(١) [illegible]

(٢) إتحاف السادة المتقين، ج ١، ص ٢٠١، ج ٢، ص ٤٩.

قلت لصاحبي ـ وأنا أكظم غيظاً موجعاً وألماً مقضاً ـ: ألسنا بذلك نُنفّر العالم من الإسلام؛ لأنه بنعته لعصر بطء أنتج شعوباً متخلفة، وبناء عليه فهو نظام معيب؟ أرأيت يا صاحبي أصبحنا نحن بتكاسلنا وتقاعسنا وضعفنا سبباً في التشكيك في الإسلام ثم قلت: هل تذكر ـ وأعتقد أنك تذكر ـ أن النبي ﷺ نهى أصحابه يوماً أن يسب الرجل أباه. فعجبوا وقالوا: كيف يا رسول الله يسب الرجل أباه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب الرجل أباه ويسب أمه[٢]، وبهذا القياس الجليّ الذي جعل تطاول الرجل على الآخرين بسبّ آبائهم فيسبون أباه فيكون في الواقع هو الذي سب أباه، واتساقاً مع هذا الإشراق النبوي الهادي ألسنا نحن الذين ازدرينا الإسلام وحقرناه؟

وأعتقد أن هذا التصرف سوف يجعل شعوباً كثيرة مسالمة لم تَشُوّهها مطامع السيطرة على ثروات المسلمين فتتذرع بأسباب واهية للطعن في الإسلام. أعتقد أن شعوباً مثل هذه مهمشة ليست ضدنا ولا هي صديقة لأعدائنا، ألست ترى لو أنها أرادت أن تفكر في الدخول في دين الإسلام ألسنا بتخلفنا وضعفنا وهواننا نرد هؤلاء الناس عن الدخول في الدين؟؟

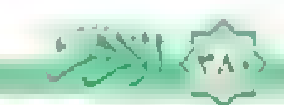
وذات يوم كنت أقرأ سورة الممتحنة فبهرتني آية أقضت مضجعي بقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ على لسان المؤمنين:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(الممتحنة ٥)

ولقد فتشت فيما أتيح لي من كتب التفسير على أجد مخرجاً؟ وتحيرت زمناً. كيف نكون سبباً في فتنة الذين كفروا؟ أليسوا هم كافرين؟ وهل بعد الكفر ذنب؟ فأي فتنة يعتبرونها نكون نحن سبباً فيها؟ قال صاحبي: لعلك هديت إلى صواب أو جواب تطمئن إليه. أخبرني به فإن كنت أنت تحيرت زمناً فإني متحير منذ سمعت الآية فمازالت الأسئلة تدور في رأسي حيرى لا تجد جواباً. قلت لصاحبي: بدا لي الآن ما قلناه سالفاً يتسق تماماً مع ما قاله المفسرون. فلقد قالوا: (يقولون ـ أي الكفار ـ لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، أو يقول المؤمنون: لا تنصرهم يارب علينا فيفتنوا بهذا حيث يعتقدون أنهم إنما ظهروا لحق هم عليه) اتساقاً مع هذا المعنى هل يمكنني أن أقول: (وقد كدنا نفتقد القدوة الصالحة اليوم أن بعض كبرائنا اليوم أحسبهم يقولون أو ينبغي أن يقولوا وقد فقدنا القدوة من سلوكهم ربنا لا تجعلنا فتنة

(٢) البخاري ٨/٣، مسلم الإيمان ١٤٦

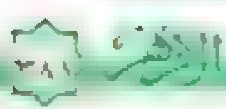


للذين آمنوا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، ثم واصل كلامه قائلاً: لقد تحدثت في مقالتيك السابقتين عن أحداث وقعت في المدينة بعد الهجرة النبوية إليها، فمالك اليوم تركت ما بدأته وسلكت طريقاً وعراً لا أحبه لك؟

قلت لصاحبي: رعاك الله وألهمك الرشد والتريث، مازلت أريد أن أحدثك عن أحداث وقعت في المدينة بعد الهجرة وليت زعيمة العولمة تسمع حديث لتعلم أن الإسلام شريعة قويمة وأن دعوته ﷺ سبقت دعواها المخادعة ـ أو قل إن شئت شراكها الخبيثة التي توقع بها ضحاياها وتفتك بهم وتنهب ثرواتهم ـ مثل المواطنة وحرية الأديان وحقوق الإنسان وليت أذنابها وعملاءها يسمعون هذا الكلام ـ الذين يريدون أن يهزوا ثوابت هذا الوطن ويزعزعوا أمانه ـ ليتهم يسمعون أو يعقلون، فها هو ذا رسول الله ﷺ يعقد أول معاهدة أمان في التاريخ البشري لم يعرفها العالم حتى اليوم لم يعرفها عملاً وكل ما عنده دعاوى باطلة وأكاذيب مخادعة ومخالب مغلفة بحرير وكلام معسول. هذه المعاهدة كانت بين رسول الله ﷺ وبين يهود المدينة وتسميها كتب السيرة موادعة رسول الله ﷺ يهود المدينة ونصها: (هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ﷺ بين المؤمنين وأهل يثرب ومن تبعهم فَحلّ معهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة دون المهاجرين من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين والمسلمين إلى أن يقول: وأنه من تبعنا من اليهود له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم إلى أن يقول: وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين معهم وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين. لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم وأن ليهود بني النجار ما ليهود بني عوف وكذلك يهود كل منهم وأن على اليهود نفقتهم وعلى المؤمنين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وأنه لم يأثم امرؤ بحديثه إلى آخر الصحيفة من أمان.

أرأيت ما فيها من أمان وعهد ومواثيق وإقرار كل على دينه بلغت حد المساواة في النفقة في الحرب والأمن. في السلم والنصرة على كل ظالم جائر، أرأيت بالله عليك هل يقارن هذا بما يفعل بالعراق وما يتربص به من دوائر غدر للعرب والمسلمين في كل مكان.

هذه هي رسالة رسول الله ﷺ وصدق حيث قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وهي أمانة في أيدينا سوف نوصلها للعالم كله ـ بإذن الله ـ حتى يعم الأمن والسلام كل العالم وهذا عهد وميثاق نقدمه لرسول الله في عزم وصدق يوم ذكرى مولده ﷺ ونعتقد أنه أفضل ما نقدمه في هذا اليوم الكريم الميمون مشرق ... لله من وراء القصد

خطبة الجمعة

كان خلقه القرآن

الشيخ محمد الغزالي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

قال ربنا تبارك اسمه وصفا للكتاب العزيز:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣)

معنى أن القرآن متشابه في هذه الآية أن معانيه متماثلة على كثرة السور وأن المحاور التي يدور عليها متقاربة وإن تعددت الآيات وطالت.

وليس معنى التشابه هنا ما يقابل المحكم في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران: ٧)

المقصود بالتشابه في آية سورة الزمر أن معاني القرآن الكريم على كثرتها تدور على مبادئ معروفة محدودة وأغراض معينة واضحة ولذلك فإن في الإمكان القول بأنها متشابهة. فالقرآن الكريم دارت آياته الكثيرة على أربعة معان:

● **المعنى الأول:** وصف القرآن الكريم للكون وحديثه عن مادته وحقائقه وقواعده وأسراره.

● **والثاني:** تاريخ محض وسرد قصصه

● **والثالث:** اليوم الحاضر وما فيه من تكاليف وما يقع على الناس من أعباء.

● **والرابع:** مشاهد القيامة وما إلى ذلك مما يتصل بالحساب من ثواب وعقاب.

معنى المثاني: الازدواج في الجمع بين أمرين فالقرآن الكريم في تربيته للنفوس وفي توجيهه للأمم يجمع بين مصلحتي الروح والجسد بين منطقي الفكر والعاطفة بين مصلحتي المعاش والمعاد، بين الوعد والوعيد، بين الرغبة والرهبة.

إننا في هذا الشهر نتحدث في السيرة الشريفة في السيرة العطرة لصاحب عليه الصلاة والسلام وقد بدأت بالحديث عن القرآن لأن نبينا ﷺ كان قرآنا حيا في مسلكه، في خلقه، في معاملته، في عبادته، في جهاده، في حربه، في سلمه، في سفره، في إقامته، في انتصاره، في انهزامه، في صحته، في مرضه، في حزنه، في سروره كيف

صح عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت للسائل: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن[1].

المعنى الذي شاع لهذا الحديث أنه ما من خير جاء في القرآن أو بر أو فضل أو مكرمة إلا والنبي ﷺ قد تخلق بها، وظهر به واصطبغت نفسه بحقيقته وما من شر أو مرذول من السلوك والعمل حذر القرآن منه ونهى عنه إلا ابتعد النبي عليه الصلاة والسلام عنه وكان أبعد ما يكون عن اقترافه والقرب منه.

هذا هو المعنى الشائع للحديث لكن الحديث يجعل دائرة القرآن في شمائل النبي وسيرته لا تعدى الأخلاق.

شديد الحس بالوجود الإلهي

في تأملي للسيرة وفي تأملي لآفاق النبوة وجدت أن الحديث يمكن أن يكون أوسع دائرة وأرحب أفقا يمكن أن يكون المعنى المقصود أن النبي ﷺ كان قرآنيا في حياته كلها.

إن القرآن الكريم في العصر الأول فيه تعرف رب العالمين عن طريق آثاره في الكون وبدائعه في خلقه فهو يعرف الله جل جلاله فيقول:

● ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (النحل: ٤٨)

● ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١)

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤)

● ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (غافر: ٧٩، ٨٠)

فيها نجد أن الوصف لله سبحانه وتعالى هو موجه الأنظار إلى أسمائه الحسنى وصفاته العليا في كتاب الكون المفتوح وفي هذا العالم الذي يسر لنا كل ما فيه وسخرت لنا سماواته وأرضه.

كان النبي ﷺ في هذا الجانب من القرآن شديد الحس بالوجود الإلهي ومعنى «خلقه القرآن»... في هذه الناحية: أنه ما ينظر إلى شيء إلا ويرى الوجود الأعلى مسيطرا عليه نافذا فيه، واضحا من خلاله يتضح هذا في ذكره لله واستشعاره مجده وعظمته ووحدته.

فالله جل شأنه في كل شيء زمانا ومكانا وقبل أن نشرح الزمان والمكان أجيء بآية من سورة الأنعام تقول:

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ (الأنعام: ١٢)

فهذه الآية تتحدث عن المكان والآية التي بعدها تتحدث عن الزمان، قال تعالى:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام: ١٣)

---

(1) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه ٦/١٦٨، ١٦٩.

ملاحظة هذه المعاني زمانا ومكانا كانت تظهر في حياته ﷺ نوعا من التسبيح والتحميد والتمجيد والذكر والشكر لم يعرف مثله في حياة بشر آخر كان إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه النشور»[3].

وكان يحمد ربه قائلا:

«يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك»[4].

إلى آخر هذه التسبيحات والتحميدات التي لهج بها لسانه، وعمر بها جنانه، وتحركت بها عواطفه، وتركها في تراثه نورا يقود الناس إلى ربهم ويربطهم به أوثق رباط.

كان في شعوره بهيمنة الله على الكون ينظر إلى القريب والبعيد فلا يرى إلا قدرة الله وجلاله، ينظر إلى الهلال وقد بدا فيقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله»[5].

كان يرى المطر فيسر ... ثوبه حتى أصابه من المطر، فإذا سئل قال:

«لأنه حديث عهد بربه تعالى»[6].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

«كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به، وإذا تخيلت[7] السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه فعرفت ذلك في وجهه قالت عائشة: فسألته فقال: لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾»[8].

كان إذا رأى قرية يريد دخولها قال:

«اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها»[9].

كان ارتباطه بالقرآن تطبيقا

هذا هو تجاوب النبي مع ما في القرآن من وصف للكون.

الناظر العادي يرى الشمس تطلع ويراها تغيب، يرى الريح تعصف ويراها ترقد فلا يهتز.

أما نبينا عليه الصلاة والسلام فقلبه مرتبط بمن سخر الشمس والقمر، وبمن شق الأرض عن النبات، وبمن أدار القمر هلالا ثم عاد كالعرجون القديم، إلى آخر ما في ذلك من مظاهر الكون.

كان ارتباطه بالقرآن تطبيقا، وهو يقرأ القرآن وسطوره وهو يقرأ آياته مع الكون، يعرف رب الكون من خلال صفحات هذا الكون الكبير.

هذه ناحية، وهي معرفة الكون وأسراره وآثاره جل جلاله في ملكوته الضخم، وتجاوب النبي ﷺ معه.

تاريخ الماضين وسرد قصصهم

تاريخ الحياة، تاريخ الناس منذ ظهروا على ظهر هذا الكوكب وبدأ نشاطهم يملأ أرجاءه. إن هذا التاريخ يصور مدنيات ظهرت وبادت. وقرى عمرت بالإيمان وبالفجور ثم حصدت وعادت إلى ربها ليسألها عما قدمت وأخرت، هذا التاريخ يحكيه القرآن الكريم ليعيش نبينا ﷺ وهو يتلاقى معه. في سورة الأنعام نقرأ قوله تعالى - وهو يصف عمل المرسلين بين الناس -:

﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴾

(الأنعام ٤٨، ٤٩).

ثم يجري رب العالمين على لسان نبيه ﷺ هذا الكلام:

﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾

(الأنعام ٥٠، ٥١).

ثم يقول الله له بعد جدال مع المشركين:

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾

(الأنعام ٥٢).

هذا كلام يوجه به النبي ﷺ وهو يتعامل مع المشركين في مكة، لكن لا جديد تحت الشمس، وما يقع له في مكة وقع مثله لأول المرسلين نوح عليه السلام.

يعيش مع ماضي الإنسانية وحاضرها

القصة واحدة، والقضية واحدة، والتلاقي بين الموضوعين ظاهر، إلا أننا نجد القرآن الكريم وهو يذكر قصة نوح قبل الطوفان يتجاوز العصور الطويلة بعد الطوفان إلى عهد البعثة المحمدية، ثم في أثناء سرد قصة نوح تجيء آية

﴿ أم يقولون افتراه ... ﴾

وهي كلام عن موقف المشركين في مكة مع النبي الخاتم ﷺ وهو يؤسس عقيدة التوحيد ويطارد خرافات الوثنية. تجيء هذه الآية أثناء الحديث عن نوح لتنقل الماضي كله إلى حاضر الناس وتنقله إلى يومنا هذا، وهي تشير إلى أن الإنسان الكبير الذي كان خلقه القرآن كان فعلا يعيش مع ماضي الإنسانية ومع حاضرها، وأن موقفه ممن كذبوه وآذوه وتربصوا به هو موقف الأنبياء من قبل، وأن النتيجة واحدة، ولذلك قال الله في آخر السورة:

---

(٣) رواه البزار وإسناده جيد كما في مجمع الزوائد ١١٤/١٠

(٤) رواه الترمذي في الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال

(٦) رواه مسلم في صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٢٦/٣

(٨) رواه البخاري في بدء الخلق

(٩) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ٥٤٣ وابن خزيمة وابن حبان (موارد الظمآن ٢٣٧٧)

(٣) رواه ابن ماجة في الأدب ١٢٤٩/٢



«[illegible] ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون»

(هود: ١٢٠ـ١٢٣)

كان خلقه القرآن، كان مع القرآن في سرده قصص الأولين، وفي عرضه لعقاب ومثوبة الأولين من خير أو شر، من نصر أو هزيمة، من عقاب أو عفو، كان مع هذا التاريخ يعيش فيه ويبقى معه.

اليوم الحاضر وما فيه من تكاليف

إن القرآن الكريم يأمر وينهى، يعلم ويربي، يعظ ويذكر، لنسير وفق مراد الله لنا، ووفق ما حط عيشنا على ظهر الأرض. ورب العالمين لا يستفيد من طاعات الناس شيئا، ولا يضره من معاصي الناس شيئا، إنه يفعل ذلك لمصالح العباد أنفسهم.

«وقيل [illegible] هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين»

(النحل: ٣٠)

والواقع أن الناس ـ الآن وقبل الآن ـ قسمان:

قسم: يريد أن يحيا وفق هواه، ما يتجه بتوجيه الله له، إنما يريد أن يتحث من رغباته ومن شهواته ومن أهوائه وآرائه لا يبالي بشيء.

وقسم يستمع إلى هدايات الله ويرى أن فيها مصلحته ورحمته، وأن من حكمة أن نعيش وفق الخط الذي أمره الله أن يستقيم عليه.

حاضر الناس أو ما هم عليه في معتقداتهم وفي أعمالهم وفي أحوالهم كلها كان نبينا عليه الصلاة والسلام صورة جيدة له، فهو فيما يصيبه من خير أو شر يرى أصابع القدر في كل شيء، هناك ناس ـ كما وصف الله ـ:

«[illegible]»

(الفتح: ١٩)

رأينا نبينا عليه الصلاة والسلام في أشد الساعات تعبا له يستقيم لقدر الله، ويرجو من الله الرضا.

في هزيمة «أحد» كان المصاب شديدا، وكان الجرح عميقا، وكان الألم مستوليا على المؤمنين غما يغم، ومع ذلك فإن النبي ﷺ في أعقاب المعركة قال لأصحابه: «استووا حتى أثني على ربي»[10]!!

اليوم الآخر وما يتصل به

اليوم الآخر ذكر في القرآن وفي السنة كثيرا، والموت ذكر في القرآن وفي السنة كثيرا، الواقع أن السبب في كثرة كلام الله جل جلاله عن الدار الآخرة هو كسر غرور الناس بالدنيا، فإن انشغال الناس بحاضرهم وحساباتهم في آلامهم وآمالهم الحاضرة يكاد يذهلهم ذهولا مطلقا عن اليوم الذي ينتظرهم، فيريد الله أن يبين لأي إنسان يستطيع في لحظة أن ينتقل من صحراء حر برة إلى أنهار النعيم في لحظة شهادة!! لحظة واحدة سريعة تنقله من دار ليس فيها إلا التعب إلى دار أخرى فيها النعيم المقيم والرحيق المختوم!!

وكان نبينا عليه الصلاة والسلام إذا قرأ القرآن يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ[11].

الروحانية الفوارة

وروا أنه كان في الصلاة يوما فتأخر فسئل بعد ذلك فقال: «لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت»[12].

هذا إحساس إنسان الروحانية الفوارة تغلب على شخصيته أحيانا فتكاد تسلخه عن الإهاب الآدمي ليرى ما لا يستطيع الآخرون أن يروه. وهو نبي ملهم وإنسان يحدث من السماء!!

هذا في نظري معنى «كان خلقه القرآن».

معنى كان خلقه القرآن: أنه ـ في حياته على ظهر الأرض وبين آفاقها وأرجائها وتحت السماء الرحبة، ومع تاريخ الحياة والأحياء على امتداده الطويل، وفي زحام الأحياء الذي يلهي بمشاغله ومتاعبه، وفي هذه النهايات التي تنتظرها حصادا لحياتنا على ظهر الأرض ـ كان يتجاوب مع القرآن الكريم!!

إن هذا القرآن إذا تجاوب إنسان معه صاغه صياغة جديدة في أحواله كلها، ثم يمشي المؤمنون بعد ذلك على منهج نبيهم ﷺ وقد أجرى الله على لسانه:

«قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴿١٦٢﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»

(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

هذه هي السيرة الحقة، وتلك صلتها بالقرآن في معانيه التي تتشابه أو التي تزدوج.

هذا هو كتابنا الذي يجمع بين التربية والتعليم، بين الرغبة والرهبة، بين الوعد والوعيد، بين الخوف والرجاء، بين الدنيا والآخرة، بين الروح والجسد، بين العقل والعاطفة، هذا الكتاب الذي تشابهت معانيه وهو يصف ملكوت الله وحياة الأولين ومستقبل الآخرين.

هذا الكتاب كله تجسد سلوكا وجهادا، عبادة وقيادة، تشريعا ومعاملة وسياسة في مسلك النبي الخاتم ﷺ فكان بهذا قديرا على تغيير الدنيا إلى وضع آخر وإلى وجهة أخرى.

وجدير بأتباعه إذا اعتنقوا القرآن وفهموه وتشبعوا منه وعاشوا في وجوده أن يقوموا بتلك الرسالة وأن يؤدوا ما عليهم لله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

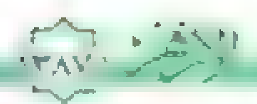
(١٠) [illegible]

(١١) [illegible]

(١٢) رواه البخاري في كتاب العمل في الصلاة ٢/ ٨٢ ومسلم في صلاة الكسوف ٣/ ٢٨.







الهجـــرة النبويـــة في منظور مصطفى صادق الرافعي

إن الهجرة فى تصور الرافعى، ليست تاريخا يروى، ولا قصة تحكى، وإنما هى إرهاصات ناطقة، ومواقف سامقة، وكأنها للتاريخ قلب ينبض بالفروسية والإباء، وهى للإنسانية لسان ناطق بالصدق واليقين والفداء.

وهو لم يحتشد لرصد هذا الحدث الكبير فى عمل قصصى، أو عمل روائى، أو عمل فنى فى صورة سيرة متكاملة لرسول الله ﷺ مثلما فعل العقاد حين أصدر «عبقرية محمد»، ود. هيكل حينما أصدر «حياة محمد» و«فى منزل الوحى»، ولكن الرافعى اكتفى بفن «المقال» فى كتاب «وحى القلم» ليصور رؤيته وتصوره لحدث الهجرة الأعظم؛ وهو تصور أدبى فلسفى مكثف، نأى فيه الرافعى عن رصد الأحداث المباشرة، وتكرار المألوف والمعروف من مشاهد الهجرة، وكتب مقالته «وحى الهجرة» وهى أولى مقالاته فى مجلة الرسالة، وقد أنشأها للعدد السنوى الخاص بالهجرة، وهى تحمل كل خصائص وسمات أدب الرافعى، فهو ينفرد بملكة إبداعية ابتكارية فى صياغة الأساليب، مع ارتباط شعورى صادق بكل مقومات التاريخ الإسلامى، وبالمصدرين الرئيسيين للدين الإسلامى وهما «القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة»، وكتابه «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» يظل منارة مضيئة تموج أشعتها الهادية فى كل زمان ومكان، تهدى العقول الحائرة، وتقوى العزائم الفاترة، وتدفع عن حياض الدين غزوات المعتدين، وشبهات الملحدين، ومؤامرات المنافقين، وهو لا يكتب رأيا إلا إذا امتحنه على آداب القرآن الكريم، وأصول الإسلام، فما وافقها فهو رأيه، وما خالفها فهو برئ منه»[1].

---

(١) انظر مجلة الأدب الإسلامي عدد خاص عن مصطفى صادق الرافعي [illegible]

ومقالة «من وحى الهجرة» تأتى بعد مقالتين فى كتاب «من وحى القلم، جزء ...نى»، وهما «الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام» و«حقيقة المسلم» وتأتى بعدها أربع مقالات تتصل بالفكرة الرئيسة التى يريد الرافعى ترسيخها فى ذهن المتلقى البصير الواعى، وفى وجدان وعقل كل مسلم وهى كما جاء فى مقدمة مقالة «وحى الهجرة»: إن التاريخ ليتكلم بلغة وسع من ألفاظه إذا قرأه من يقرؤه على أنه بعض نواميس الوجود، صورت فيها النفس الإنسانية كيف اعتورت عواصفها؟ وكيف هدت فى سخفها وتغلغلت فى مسالكها؟ ومن تأتى لها فتحرت مجراها؟ وما دفعها فتحدرت منه إلى مقارها؟ فهو ليس بكلام تستقبله تفرغ فيه، ولكنه أحوال من الوجود تعترضك فتعير عليك حسك بأنهامها وأحلامها.

فالرافعى يرصد مظاهر الثبات والقوة والعظمـة فى تاريخ الإسلام، ومظاهر التفرد والحكمة والقدرة الحسنة فى تاريخ نبى الإسلام؛ فكل أوصافه كما يقول الرافعى: طابع إلهى على حياته الشريفة يثبت للدنيا بكل برهانات العلم والفلسفة أنه الإنسان الأكمل، وأنه الأقدر، وأنه الأقوى.

وكان المقالات التى تلت مقالة «وحى الهجرة» تثبت لدعائم هذا الحدث، وتوعيه لنتائجه، وتعضيد لصورة المجتمع الإسلامى فى دار الهجرة، كما تحقق، وكما نطقت بذلك حوادث جليلة، وتفسير معركة، ومقالات هى «فلسفة قصة، وفوق الآدمية، الإسراء والمعراج، الإنسانية العليا، ودرس من النبوة، وسمو الفقر فى المصلح الاجتماعى الأعظم».



مصطفى صادق الرافعى

والرافعى فى مقالتيه «وحى الهجرة» و«فلسفة قصة» عنى برصد صورة «المرحلة المكية فى تاريخ الدعوة الإسلامية»، ولم يتكلم عن أحداث الهجرة، ولم يتعرض لآثارها المباشرة فى المجتمع الإسلامى حيث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبداية تكوين الدولة الإسلامية، ولكنه فى غمرة تصويره الأدبى لهذه المرحلة المكية التى كانت تنمو فى بطء وثبات وأبناء يستطنون من الأحداث دروسا علمتهم الهجرة للمسلمين، ولنلمس هذه المقاربة الأدبية البليغة العميقة بين واقع الهجرة وواقعها بعد الهجرة المباركة يقول الرافعى فى سياق تصويره لنشأة الإسلام ونموه البطئ فى مكة عبر ثلاث عشرة سنة: ثم كان

أول النمو في الإسلام بحر وعدد أفراده أبو بكر، وأمثاله قليل. ثم تسق النمو قليلا قليلا ببطء الهموم في سيرها، وصبر الحر في تجلده، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامد لا ينمو. وكان النبي ﷺ أخو الشمس يطلع كلاهما وحده كل يوم، حتى إذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول إلى المدينة، بدأت الدنيا تتقلقل، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها، وكانت خطواته في هجرته تخط في الأرض، ومصائبه تخط في التاريخ. وكانت المسافة بين مكة والمدينة، ومعناها بين المشرق والمغرب.

وهذه الموازنة الدقيقة لحركة الدعوة بين المرحلة المكية والمرحلة المدنية صاغها الرافعي في أسلوب بياني مكثف. ولنتأمل إشاراته وإيحاءاته بما لاقاه المسلمون في مكة من عذاب، واضطهاد، وما لاقاه الرسول ﷺ من إيذاء واتهامات وعناد، وهذه الإيحاءات يشع بها تصويره لنمو الإسلام بطيئا وكأنه بطء الهموم في سيرها؟! وكلمة «الهموم» مشحونة بكل ما تتصوره النفس من عذابات وأهوال تحملها المسلمون في مكة قبل الهجرة، وهذه الصورة المتوالية التي تشخص واقع المسلمين قبل الهجرة وهم صامدون في مكة يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. هذه الصور تشخص التاريخ متمثلا في سنوات المحنة قبل الهجرة «ثلاث عشرة سنة»، وكأن الزمن في هذه الحقبة «واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامد لا ينمو».

وهذه النزعة التصويرية نأت بالرافعي عن المبالغة والتهويل في تجسيد الآلام والمعاناة والقهر الذي أحاط بالمسلمين من كل جانب في مكة قبل الهجرة، حيث يقول: (وكأن) ولم يجزم، ولم يقرر بأن هذا الواقع الجامد، والضيق، والذي لا يتحرك أصبح متحققا يعز على التغيير.

والصورة الرائعة التي صور بها موقف رسول الله ﷺ ـ تؤكد قوة الإسلام وتعلن عن البشارة بمستقبل هذا الدين، فالنبي ﷺ في عمرة عاد الكفر وتكاثف ظلمات الشرك كأنه أخو الشمس: يطلع كلاهما وحده كل يوم.

ويستخلص الرافعي دروساً من واقع ثبات المسلمين، وثبات الرسول ﷺ أمام جبروت المشركين في مكة. وهذه الدروس يصوغها الرافعي صياغة أدبية راقية تحتاج إلى «كد الذهن وإعمال الخاطر» ويلجأ فيها إلى ما يسمى بالمفارقة، حيث يجمع بين الأضداد مستخلصا المواقف الإيجابية. والخصائص الإسلامية لهذه الأمة التي أرساها نبيها مهاجر، ورسولها الكريم محمد ﷺ.

وهذه الخصائص تعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم محاطاً بهذه القيم، ومحصنا بتلك المبادئ. عماد في قلبه، وقوته في إيمانه. وموضعه من الحياة موضع المدافع قبل المتمتع، والمصلح قبل المفسد. وفي نفسه من قوة الحياة ما يموت به في هذه النفس أكثر ما في الأرض من شهوات ومطامع.

ومن وحي الهجرة يرصد «الرافعي» حشد الخصائص الإسلامية لهذه الأمة، ويصفها بأنها عوامل أخلاقية ألقيت في صنع التاريخ الإسلامي، ليعبّ منها تياره، فتندفع في مجراه بين الأمم. وهذه الخصائص يصوغها الرافعي في عبارات متماسكة، محكمة، آسرة، تتشابه أساليبها في صياغتها، وتتنوع في إيحاءاتها ودلالاتها. وتتموج بكثير من الرؤى والمواقف، ويتوهم البعض أن فيها استطرادا وإطنابا، وأن فيها حشوا وإسهابا، ولكن هذا الوهم ينشأ من التسرعة في الحكم، وعدم التأمل الدقيق في آفاق المعاني، ودلالات الأساليب.

ولنتأمل هذه الخصائص في هذا النسق الأسلوبي العجيب وهي تسع خصائص الثبات على الخطوة المتقدمة وإن لم تتقدم، وعلى الحق وإن لم يتحقق، والتبرؤ من الأثرة وإن شحت عليها النفس، واحتقار الضعف وإن حكم وتسلط. ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب، وحمل الناس على محض الخير وإن ردوا بالشر، والعمل للعمل وإن لم يأت بشيء، والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة، وبقاء الرجل رجلا وإن حطمه كل ما حوله.

وهذا الإيقاع الأسلوبي الذي يتسم به النثر الفني عند الرافعي يأسر المتلقي، ويلقي بالقارئ في دهشة المفاجأة أمام هذا السيل من توالد المعاني، وتوالد الأساليب، والحرص على استقصاء الفكرة، ولم شتاتها من جميع جوانبها وزواياها، وتكرار أسلوب الشرط هنا تسع مرات على نمط واحد مع توالد المعاني، وتنوعها، وحذف الجواب؛ لأن ما قبل الشرط يفسره ويضيء معالمه، إن هذا النمط الأسلوبي الذي يتكرر كثيراً في أساليب الرافعي لا يحدث رتابة، ولكنه يبهر المتلقي، ويشحذ فكره وحماسته، ويثري ذوقه؛ لأن المعنى لا يصل إلا بعد التأمل والتفكر والروية، وهذه الطريقة تقود الرافعي أحياناً إلى الوقوع في مزلق

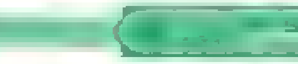
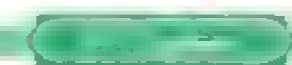
يكشف حجب مستقبل غيبه [illegible]
وتشخيصه [illegible] في تشخيصه. ويكون ذلك لا يكون إلا قليلا، ففي أدب الرافعي - كما يقول د. أحمد بسام ساعي -: لا نستطيع فصل عنصر الخيال عن عنصر اللغة، ومن قبله عنصر الفكر، فليست الفكر وحدها [illegible] كذلك أيضاً، وهي صور رائعة نادراً ما تحققها الإبداعات العربية قديماً أو حديثاً [illegible] يواكب توالد الفكرة ثم العبارة ليحقق هذا [illegible] الثلاثة [illegible].

وفي هذا المقال يفند «الرافعي» كل التهم التي لحقت برسول الله من المستشرقين المعادين للإسلام، ومن العلمانيين والدهريين والوجوديين وغيرهم من أصحاب الأفكار والملفات المادية، وهذا التفنيد يصوغه في عبارات معقولة، على النمط نفسه الذي صاغ فيه خصائص الأمة الإسلامية التي قادها المهاجرون في سبيل الله والأنصار الذين [illegible] وهي «ثلاث عشرة سنة» هي في حقيقتها: «زمن نبي لا زمن ملك أو سياسي أو زعيم، ويرد [illegible] ثلاثة عشر دليلاً تثبت صدق النبي في رسالته، وأورد «الثلاث عشرة جملة» تبدأ بحرف النفي «ليس، أو (لا)»، ويذيل كل جملة بما يؤكد نفي مضمونها، وعدم تحققه في الواقع: لأنها تهم باطلة، ودعاوى زائفة، والنمط الأسلوبي [illegible] الإيقاع والنظام اللغوي الدقيق في الصياغة والتراكيب هو نفسه الذي اتبعه في رصده السابق لخصائص الأمة الإسلامية، وكأن هذا النظام اللغوي، والتنسيق الأسلوبي هو صورة لنظام هذه الأمة ونسقها وتآلفها الذي يجب أن يكون.

وهذه التهم التي نفاها الرافعي يسردها في إشارات موجزة، ولا يفصل القول فيها، وقد ألمح إلى أنها بعدد السنوات التي قضاها رسول الله في مكة، وهذا التلميح لم يصرح به، ولكنه في صدر هذه «الفقرة» قال: «ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر دليلا.....» ثم سرد ثلاث عشرة جملة تعد أدلة على نفي هذه التهم لأنها صيغت في أسلوب «النفي»: مع إقامة

(٢) انظر: الرافعية الإسلامية [illegible] د. أحمد بسام ساعي



وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

حجة على المدعين في ختام كل جملة، حيث يقول: ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر دليلا تثبت أن النبي ﷺ

ليس رجل ملك، ولا سياسة، ولا زعامة: ولو كان واحداً من هؤلاء لأدرك في قليل، وليس مبتدع شريعة من نفسه، وليس صاحب فكرة تعمل أساليب النفس في انتشارها، وليس رجلاً متعلقاً بمصادفات الاجتماعية، وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما يقبل منه سياسة ومخادعة، ولا رجل وطنه تكون غايته أن يشمخ في أرضه شموخ حجر فيها، ولا رجل حاضره [illegible] أن معه الغد وتيه، ولا رجل طبيعته بشرية يلتمس لها ما يلتمس [illegible] لطنه، ولا رجل شخصيته يستهوى بها ويسحر، ولا رجل بطشه يغلب به ويتسلط، ولا رجل الأرض في الأرض.

وبعد هذا الاسترسال في سرد هذه الشبه التي دحضها في مقاله: نراه يصل إلى مرفأ فكرته، وإلى شاطئ مرفقه بعد هذه المجالدة والمصارعة في مواجهة خصوم النبي وأعداء الإسلام فيقول عن رسول الله بعد أن نفى عنه كل ما مضى: ولكنه رجل السماء في الأرض.

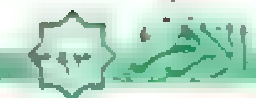
وفي نهاية المقال: بعد هذا التحليق الممتع، والفكر المقنع، والأسلوب المجنح: يصل الرافعي إلى استخلاص العبرة، وهي أن إرهاصات الهجرة ومقدماتها: هي سر قوة الإسلام، وعظمة المسلمين، وصمود محمد رسول الله والذين معه في وجه الأعاصير، [illegible] الريح، يقول: هذه هي حكمة الله في تدبير [illegible] الهجرة، فقص عنه طرف الزمن، وحصره من ثلاث عشرة سنة في مثله سنة واحدة، وكأنما كانت شمس اليوم الذي سينتصر فيه، قبل أن تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة مشرقة في قلبه.

وهذه الشمس الإيمانية التي أشرقت في قلب رسول الله منذ نزول الوحي، وقبله بحفظ الله له ورعايته وإعداده لحمل الرسالة وتبليغ الأمانة، أشرقت على العالم كله بعد الهجرة، وبعد أن أذن الله للمسلمين في القتال دفاعاً عن أنفسهم، وحماية لدينهم في قوله:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾

(البقرة ١٩٣)

يقول الرافعي: «فحل الفصل، وانطلقت الصاعقة، وكانت الهجرة، ثم يقول: [illegible] مقدمة [illegible] للتاريخ



الصدقة في ميزان الإسلام

لقد سطر التاريخ وقفة أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - من مانعى الزكاة بسطور من نور. حيث كانت تلك الوقفة القوية هى التى أعادت الأمور إلى نصابها.

وإذا كان بعض المؤمنين المتأولين قد اختلط عليهم الأمر في قوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ (التوبة: ١٠٣)

واعتبروا أن الأمر بالأخذ الوارد فى الآية الكريمة يختص بالنبى ﷺ ولا يتعداه إلى غيره.

فقد غاب عنهم المراد من قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج: ٢٤، ٢٥)

وغاب عنهم أيضا حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه: «بنى الإسلام على خمس - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت»[1].

فالزكاة ركن من أركان الإسلام قولا صريحا لا تأويل فيه بل هى الركن الاجتماعى الذى به يقوم الوئام بين أفراد المجتمع وبه يندفع الحقد والحسد من النفوس وهو أهم وسائل التكافل بين الطبقات. وما تدهور حال المسلمين إلا بتهاونهم فى تنفيذ هذه الشعيرة وتكاسلهم عن إقامة هذا الركن.

والقول عن الزكاة وفرضيتها مما هو معلوم من الدين بالضرورى ولذلك سنلقى الضوء على الصدقات.

وقد شرع الله -تعالى- صدقة التطوع، وجعلها باباً عظيماً من أبواب رحمته الواسعة، وهى كثيرة ومتنوعة، لا يعلمها كثير من الناس، ويترتب على الجهل بها ضياع الكثير من الحسنات، وفوت العظيم من القربات، وإذا كان الغالب فى الصدقات أن يكون مالاً أو ما يقوم بمال، فإن منها مالا يتطلب إلا النية الصادقة الخالصة لله -تعالى- كى تسجل عند الله، بل إن منها مالا يتطلب مالاً أصلاً.. كإماطة الأذى عن الطريق، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حديث النبى ﷺ «تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الردئ البصر لك صدقة وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة»[2]

ولما كان أثر الصدقات عظيماً عند الله فى الدنيا والآخرة فقد ورد فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تحض على الصدقة نذكر منها قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١)

﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد: ١٨)

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٤)

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٠٣)

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون: ١٠)

﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن: ١٦)

من الآيات السابقة يخبرنا الله -تعالى- عن الثواب العظيم الذى أعده للمتصدقين على المحتاجين والمساكين ويعدهم بأن يضاعف لهم الثواب إلى عشرة أضعاف بل ويزيدهم إلى سبعمائة ضعف وأكثر ما داموا قد فعلوا هذا الخير ودفعوا صدقاتهم خالصة لا رياء فيها ابتغاء مرضاة الله لاينتظرون جزاء ولاشكورا من أحد، ولا يريدون بذلك سوى وجه الله الكريم من أجل ذلك نجد أن الله -سبحانه

(١) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى فى سننه ومنا انتقاه من الترمذى ج٢

(٢) سنن الترمذى ج١

وتعالى- يصف ماقدموا بأنه قرض له - سبحانه وتعالى - والله غنى عن العباد وعن العالمين، وليس من وراء ذلك إلا مصلحة العباد فقط وتطهيرهم من آفات النفس المهلكة والتى تعصف بهدوئهم وسكينتهم وأشد هذه الآفات الأثرة، وعلاجها الصدقة.

ويخبرنا الله -سبحانه وتعالى - أن لا [illegible] الفقر [illegible] الصدقة تنقص المال.. لذلك يؤكد لعباده المؤمنين أن الرزق بيده سبحانه وتعالى يبسطه لمن يشاء من عباده، [illegible] وجه الله [illegible] الله يخلفه

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

(سبأ/ ٣٩)

ثم يؤكد لهم أن هذه حقيقة التى قد يكتنفها الشك عند بعض المؤمنين فتدعوه إلى التسويف وإرجاء إخراج زكاة ماله، هذه الحقيقة ستبدو أمام ناظريه - ساعة أن يأتيه الموت - واضحة وضوحا لايخالطه لبس مثل غيرها من الحقائق.. فعليه أن يقدم خيرا قبل أن يقول

﴿ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(المنافقون/ ١٠)

هكذا يسير الأسلوب القرآنى بين الترهيب والترغيب فالله -سبحانه- عليم بخلقه، فيعلم أن منهم من يصلحه الترهيب ومنهم من يكفيه الترغيب، فالله -سبحانه وتعالى- يبسط الرزق ليكرم عباده، وقد يبسط لهم الرزق اختبارا. وكذلك قد يقبض الرزق ويضيقه على بعض عباده اختبارا -أيضا- ليرى ويسمع تضرعهم فيثيبهم ويحاسب غيرهم على عدم صبرهم وشدة تضجرهم.

وفى الآيات تحذير للمؤمنين من انتهاء العمر قبل أن يكونوا فى زمرة الصالحين. فعليهم أن يحذروا عذاب الله ويتجنبوا [illegible] المعاصى والعمل بما يقربهم إلى الله -تعالى- ومنها الزكاة المفروضة والصدقات التى تقيهم شح أنفسهم

وللمؤمنين فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ففى توجيهاته وأقواله خير زاد وأوضح سبيل وأضوأ منار للوصول إلى رضا الله تعالى: فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رجل: يارسول الله، أى الصدقة أفضل؟ قال: أن تصدق وأنت شحيح أو صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر، ولاتمهل حتى إذا كانت بالحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا[illegible]

[illegible]



وقد روى عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (مثل الذى يعتق عند موته مثل الذى يهدى إذا شبع)(٤).

وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان: فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفا)[illegible]

وفى الحديث تأكيد وتوضيح لما ورد فى الآية الكريمة السابقة الذكر وفيهما ترغيب فى الإنفاق فى كافة وجوه البر. لأن الله تعالى يخلف على المنفق فى العاجل ويجزيه الثواب الجزيل فى الآجل وكذلك نجد إشارة إلى التهديد للذين يبخلون ويمتنعون عن الإنفاق فى وجوه الخير.

وقال ﷺ: (تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته فيقول الذى أعطيها: لو جئتنا بها بالأمس قبلتها)(٦).

وفى هذا الحديث حث على [illegible] المال قبل أن يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد من يقبلها منه.

وحتى لايستصغر المؤمن صدقته قال رسول الله ﷺ: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب -ولايقبل الله إلا الطيب- فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل

وعدل التمرة أى: قيمتها.. فأى شىء أصغر من هذه الصدقة [illegible] ولكن لأن الله -سبحانه وتعالى- يعلم أنها من كسب حلال طيب فإنه ينميها ويزيد فيها حتى تكون عنده مثل الجبل.

ونستفيد من الحديث فائدتين عظيمتين:

● الأولى: لا [illegible] خيرا لأن [illegible] القليل كثير.

● و[illegible] حلال طيب لايقاس عند الله بمقاييسنا وأنه -سبحانه وتعالى- لاينظر إلى مقدار الصدقة وقيمتها [illegible]

وما أقرب هذا المعنى من قول النبى ﷺ: إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم

ولا [illegible] من أقوال السلف الصالح الذين تأسوا بسيدنا رسول الله ﷺ فنقول فى عجالة:

يروى عن على -رضى الله عنه- أنه قال [illegible] النعمة موصولة بالشكر والشكر متعلق بالمزيد وهما مقرونان فى قرن ولن ينقطع المزيد من الله عز وجل - حتى ينقطع الشكر من العبد.

وعن عمر بن عبدالعزيز قال: قيدوا نعم الله بالشكر [illegible] عز وجل [illegible] الله [illegible] نعمة

[illegible]



(٤) سنن الترمذى جـ٤.

(٥) صحيح البخارى جـ٢

[illegible]

(٨) صحيح مسلم جـ٤

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾

التوكل على الله

ممارسة تربوية للإرادة

للأستاذ [illegible]

يحي هنا أمام لفظين كثيرا ما تلوكهما الألسن بمناسبة وبغير مناسبة، وكثيرا ما يتشدق بهما أصحاب التظاهر بالثقة والتباهي بالحسن، وكثير ما هو في هذه الأيام التي يحلو فيها لكل من هب ودب أن يصول في غير مصال، ويجول في غير مجال.

ورحم الله شيخنا السيد حسن القاياتي عندما وصف أحد هؤلاء قائلا: «ضبه لم يمر على شيء قط»[1].

فماذا تراه كان قائلا في معاصرة هذا السبق لو أنه كان بين ظهرانينا اليوم؟

وهذان اللفظان اللذان قصدتهما في مطلع هذا الحديث هما «التوكل» و«الإرادة»، وعلى نهج مشايخنا الذين علمونا المنطق، في شرح المسائل نحاول قدر المستطاع التبسيط وتوضيح معاني هاتين الكلمتين.

أما التوكل فهو الاعتماد كافة الأسباب الممكنة التي تعين على ما يتصور من نجاح العمل أو الفكرة دون إغفال ما صغر منها وما كبر[2].

وأما الإرادة وهي من مشتقات «أراد يريد» فهي تعني القصد أو النية كما تعني الرغبة الملحة في الأداء، وهي عند مفكرين مسلمين تعني «النية» بينما يسميها فقهاء القانون الوضعي «سبق الإصرار».

---

(١) [illegible]

(٢) معاجم اللغة.





والمعنى العكسي للتوكل هو «التواكل» وهو قطعا غير التوكل بل هو تشويه معناه، وهدمه ...

والتوكل بهذا المعنى هو اتخاذ وكيل قادر ذي شأن على القيام بما لا يستطيعه الأصيل في أمر من الأمور، ومن هنا فقد درج الناس دائما في مجال التقاضي مثلا على البحث عن الوكيل النابه الذي عرف باقتداره الفذ في مجال المرافعة والدفاع.

ولما كانت حاجات المرء متشابكة ومنها ما يدركه وما لا يدركه، كما أن منها ما يقدر عليه، ومنها ما يعجز عنه، ومنها ما هو ماثل للعيان ومنها ما يغيب في الزمان والمكان، بل إن منها ما يتعلق بالدنيا العاجلة ومنها ما يتعلق بالآخرة الآجلة.

لما كان ذلك كذلك فإن البحث عن وكيل ينوب عنا في هذه الأمور هو أمر يتسم بالعجز والقصور بل هو العجز ذاته والقصور عينه، ومن هنا شاءت رحمة الخالق سبحانه وحكمته أن يكفي خلقه مؤونة البحث عن هذا المستحيل فتكفل عز وجل بهذه الوكالة حتى يصرف عباده همهم إلى خلافة الأرض ويوجهوا اهتمامهم إلى استكناه الكون.

ولكن الإنسان الذي كان أكثر شيء جدلا يصر على أن يبحث بنفسه ولنفسه دائما عن وكيل من البشر، ومع ذلك فإن رحمن الدنيا والآخرة الصبور جل وعلا لا يفتأ يذكر الناس بالقرآن تارة وبالتجربة العملية تارة أخرى بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه وأنه هو وحده الوكيل المطلق ليس للبشر فقط بل للعالمين جميعا من إنس وجن وحيوان ونبات وغيرهم يدبر أمرهم وينظم شئونهم، ويصوب أخطاءهم ويمحق أخطارهم ويقيل عثراتهم ويغفر زلاتهم وينبه الإنسان الغافل، أو المتغافل، في بداهة واضحة وبساطة ساطعة أن إذا كنت مخلصا في البحث لك عن وكيل فكن كيسا فطنا

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾

«الفرقان: ٥٨».

وتأمل كلمة «الذي لا يموت» لترى فيها عجبا: ماذا ينفعك إذا توكلت على حي لا يلبث أن يموت ولو بعد حين بعد أن تكون قد ارتبطت به برباط صورة أنت وحدك أنه وثيق؟

والله كم يصدق هذا على كثير من ما يحدث في الحياة اليومية. فصديقك الذي ارتضيته دون غيره موضع توكلك في الشدائد قد مات وبقيت الشدائد، ورئيسك في العمل الذي كم تزلفت إليه ونافقته وحرصته على زمالاتك أملا في أن يفرض إليه ويرضى عنك إذا به يموت ويتركك بعد ليعيش زملائك في سيرتك بالسر والعلن والضمر والعلن. وهكذا من الأمثلة التي لا تعد ولا تحصى في العلاقات المعقدة بين الناس التي يصدق عليها قول العزيز الحكيم:

﴿ [illegible] ﴾

«الأحزاب: ٣٧».

أما الحي الذي لا يموت سبحانه فقد أعطاك كل شيء ولا ينتظر أي شيء إلا أن تكون عبدا شكورا تؤمن عملا بقوله تعالى

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

«الرحمن: ٦٠».

لا ينتظر منك مالا لأنه هو الغني المطلق بل هو مالك ما تملكه ولا يرجو منك تعاقا لأنه هو الكمال المطلق بل إنه لا ينتظر منك الشكر على عطائه لك، ومع ذلك فأنت إذا شكرته سجل لك هذا في ميزان

حسناتك باعتباره عرفانا بالجميل وهذا العرفان سمة من سمات الخلق الكريم الذي يربطك الحق عز وجل أن تكون متحلياً به.

خلافة الأرض تحتاج إلى جهد

وهكذا عندما يدعوك ربك سبحانه إلى أن تتوكل عليه وحده لأنه هو الحي الذي لا يموت فإنما يدعوك إلى عبادة سامية تتجه إليها كافة العبادات إن لم تكن هي ذاتها تعددت. وأنت عندما تنطق محتفياً بالشهادتين، وعندما تصلي وتزكي، وتصوم رمضان وتحج البيت فإنما تتجه إلى حي لا يموت ترجو رحمته وتخشى عقابه. فما أحمق أن تتوكل على حي يموت، وأنت مثله في كل شيء كلاكما يجوع ويأكل ويعطش ويشرب وينام ويصحو ويمرض ويصح، ويجد ويلهو فكيف تلقي إليه زمامك؟!

وليس التوكل كلمات لسان، أو عبارات بيان، وإنما هو مزاج من الدعاء والتضرع والعبادة يتقرب بها العبد إلى ربه بعد أن يكون قد استنفد طاقته في الأخذ بالأسباب المؤدية إلى الهدف المنشود، والأمل المقصود، وعند حدود العبد القاصرة تتدخل تجليات المعبود القادرة.

وتأمل لو أن تعبداً لم يبذل جهده ولم يأخذ بالأسباب ثم تحققت أحلامه هينة لينة هل كان يصلح خلافة الأرض ومواجهة الحياة؟

إن من معالم أساليب التربية - ولله المثل الأعلى - أن يدرب الأستاذ تلميذه على أن يقوم بنفسه بحل المسألة، حتى إذا بذل كل ما يستطيع دون جدوى تدخل الأستاذ لتمهيد الطريق وإضاءة المصابيح وذلك بعد أن تتجلى جدية الطالب، ورغبته الأكيدة في التعلم.

وإن لنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، ففي «غزوة الخندق»[٣] ألم يكن ربك بقادر على أن ينصر صفيه الحبيب وجنوده دون أن تضيق صدورهم بعد أن رأوا حشود الأحزاب المشركة وقد جاءت بمزيد من العدة والعدد والعتاد؟!

إن النصر الإلهي لم يتحقق إلا بعد أن حفر محمد ﷺ ومن حوله المسلمون الخندق شمالي المدينة استجابة لمشورة الجندي المؤمن الواعي المستنير سلمان الفارسي رضي الله عنه وإلا بعد أن عقد المسلمون الاتفاقيات مع يهود المدينة وغير ذلك من الاحتياطات والأخذ بالأسباب.

ولكن ما كاد يهود بني قريظة يخونون العهود وما كاد المشركون يقبلون محاولين حصار المسلمين حتى وقف محمد ﷺ رافعاً يديه الشريفتين نحو السماء، ورافعاً صوته الضارع بالابتهال والدعاء مطمئناً إلى أن الله لن يخذله بعد أن أخذ بأسباب النصر، وقد كان.

وكان دعاء النبي ﷺ كما ورد في بعض كتب السيرة «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم»[٤].

فاستجاب له ربه في اليوم الثالث من المعركة وبعث الله عليهم الملائكة فقطعت أطناب الفساطيط[٥] وأطفأت النيران وجالت الخيل بعضها على بعض وأرسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملائكة فولى الأحزاب هاربين بعد اثني وعشرين يوماً من الحرب[٦].

مسيرة الكون بين العبد وربه

وقد سجل القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾

«الأحزاب: ٩»

وهكذا ندرك أن مسيرة الكون، وعمران الأرض هي أمر بين العبد وربه فالعبد يعمل ويأخذ بالأسباب، ويتوكل مخلصاً على الخالق عز وجل، والخالق يتجلى بقبول هذا التوكل الخالص ويوفق العبد إلى إحسان العمل وتحقيق الغاية ولنا في فاتحة الكتاب أعظم المثل في هذا التصوير.

اتساق الهدف والوسيلة

أرأيت طالب علم هدفه النجاح في الامتحان يتوسل إلى ذلك بالسهر في دار السينما ليلة الامتحان؟ أو رأيت زارعاً يرجو تنمية محصوله فينام دون سقيا أرضه لأنه أمضى الليلة أمام التلفاز؟ أو رأيت تاجراً يهدف إلى كسب ثقة الناس ثم يغش سلعته أو يغالي في ثمنها؟ أو رأيت معلماً يعيا قول شوقي «كاد المعلم أن يكون رسولاً» ثم تكون وسيلته إلى هذا الغاية أن يحيل رسالته المقدسة إلى تجارة توشك أن تبور إن لم تكن قد بارت فعلاً؟

ولئن قيل فيما مضى إن الجزاء من جنس العمل فإننا نقول أن الوسيلة أيضا ينبغي أن تكون من جنس الهدف والهدف الشريف ينبغي أن تكون الوسيلة إلى تحقيقه شريفة.

وهكذا نرى كثيراً من الناس يدعون التوكل على الله بينما الأسباب والوسائل التي ينتهجونها بعيدة كل البعد عن موضوع هذا التوكل وهنا لم يتوكلوا على الله «حق» توكله فأنى لهم أن يمدهم الله «بحق» مدده!!.

إن هذا المصباح الذي يضيء الآن يستمد ضوءه من مولد عظيم فإذا أدرت مفتاح هذا المصباح فلم يظهر الضوء فاعلم أن هناك خللاً ما بين المصباح ومصدر الضوء. وقد يكون الخلل في المصباح ذاته أو في أداة الوصل بينه وبين مصدره الذي يستمد منه الضوء.

والكون كله يستمد نوره من الله عز وجل - ولله المثل الأعلى - مصداقاً للحقيقة الربانية التي أكدها

---

(٣) [illegible] وبتحريض من يهود بني النضير بالمدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل تراب الخندق بجسمه متمثلاً شعر ابن رواحة شهيد غزوة مؤتة

[illegible] وما تصدقنا وما صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

من صور التبيين، للشيخ محمد المصري



(٤) مسند أحمد [illegible]

(٥) أي حبال الخيام

(٦) تاريخ مدينة المنورة د/محمد [illegible]



الذكر الحكيم

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

«النور: ٣٥»

وهو نور يسمو على الكم والكيف ويعلو على كل ما يخطر على قلب البشر إذ يتعلق بمن:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

«الشورى: ١١»

سبحانه جل شأنه إنه هو نور الهداية، ونور العمل، ونور الحياة، ونور الحقيقة.. إلى آخر ما نعى في هذا المجال على قدر علمنا القاصر، ووعينا المحدود.

وفي هذا السياق يجدر بنا أن نسوق من التربية مثلا يتصور طالبا وقف مع أستاذه في مختبر للبحث عن بعض القوانين العلمية، فإن هناك وسيلتين أمام المعلم ليصل بتلميذه إلى هذا القانون، إما أن يقوم هو بنفسه بالتجربة كاملة أمام تلميذه أو يعطيه الفرصة لبذل الجهد وإعمال الفكر حتى إذا استنفد التلميذ طاقته في ذلك تدخل المعلم لمواصلة التجربة إلى النهاية.

فأي الوسيلتين أفضل للطالب من حيث تحقيق إيجابيته.. وصقل شخصيته وتدريبه على تحمل المسئولية والمشاركة بفاعلية في مواجهة المشكلات والتصرف إزاءها بما يتفق معها دون تبرم أو ضيق صدر

وإن البارئ– وله سبحانه المثل الأعلى على الإطلاق– لا يرضى أن يسعى إليه عبده خالي الوفاض من العمل المثمر والجهد البناء في مواجهة المواقف يقول يارب يارب وهو يعلم «أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة»[70]

إن المولى جل وعلا قد خلق الإنسان للسعي الدءوب والبناء المثمر حتى يكون بحق خليفة له سبحانه في الأرض، يعي المعنى الحق للعبادة دون تحويلها إلى مجرد عادة كالدمى التي يحركها «الريموت».

ومن هنا كان «التوكل على الله هو عمل «مريد» وليس عشوائيا أو عفويا فالتوكل الحق يتمتع بإرادة واعية وفاعلة ويعرف تماما أنه قد قدر في مسيرته بما قدره الله به قدر طاقته ولا ينقصه إلا أن يتوجه إلى العناية الإلهية التي تتوج هذه المسيرة البشرية الإيجابية بتحقيق الغاية المرجوة:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾

«النحل ٩»

وإذا كان لابد هنا من بيان مفهوم الإرادة كما عبر عنها المفكرون ولاسيما من أعلام المسلمين فإن الفارابي[80] مثلا في كتابه «أهل المدينة الفاضلة» قد أوضح معناها بأنها «النزوع عن إحساس أو تخيل».

كما فسرها ابن رشد[90] كذلك بأنها «قوة فيها إمكان فعل أحد المتقابلين على السواء أي حرية الاختيار» وذلك في كتابه «تهافت التهافت» الذي رد فيه على كتاب «تهافت الفلاسفة» للإمام الغزالي.

٧٠- تنسب هذه العبارة للفاروق عمر رضي الله عنه

٨٠- [illegible]

٩٠- ابن رشد ٥٢٠–٥٩٥هـ من قرطبة اشتهر في شئون الفقه والفلسفة وحاول أن يوفق بين الفلسفة والدين.

وهكذا نرى أن الصلة واضحة تمام الوضوح بين التوكل الذي هو «الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس» وبين الإرادة التي ذكرنا بعض معانيها منذ قليل.

فعندما يتوكل العبد المؤمن على ربه بعد أن يستنفد الأسباب فإنما يقوم بعمل إرادي مقصود لأنه يعلم علم اليقين إلى من يتوجه وعلى من يتوكل

وهكذا نرى أن التوكل بهذا المعنى هو تدريب للإرادة للعبد على جدية التوجه.. واستقامة القصد والوعي تماما بالاتساق بين الأسباب والمسببات.. والاتفاق بين العلل والمعلولات.. ويكون بهذا قد وقف على عتبات السنن الكونية وهو ما نسميه في العصر الحديث بالمنهج العلمي في التفكير.

رد مفحم للشيخ محمد عبده

ولعله من المناسب في هذا السياق أن نذكر موقف المفكر المعاصر الأستاذ الإمام محمد عبده[10] عندما حاججه بعض دعاة الكسل والخمول، والتواكل، حيث استخلص الإمام الفرق بين التوكل والتواكل من مسيرة حياته الشخصية العملية منذ نشأته الأولى شأنه في هذا شأن «علي مبارك» وفلسفته التربوية التي سجلها في «الأنحة رجب» والتي تعبر بحق عن أحداث طفولته وصباه ومسيرته الذاتية.

والتوكل عند محمد عبده ليس جبرية واستكانة وإنما هو ثقة بالله في السعي والعمل، وعندما حاججه قومه حول قول النبي صلى الله عليه وسلم «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا «جائعة» وتروح بطانا[11] مشبعة» وادعى هؤلاء أن الحديث ليس فيه دعوة للعمل والسعي إذ كيف يسعى الطير ويعمل؟ فرد عليهم الإمام ردا مفحما فسألهم: هل قال النبي ﷺ «لرزقكم كما يرزق الطير تلبث في أعشاشها وتفتح أفواهها فيسقط فيها الغذاء» ثم عبر عن حركة الطير فقال «تغدو وتروح» أي تبذل الجهد في الذهاب والإياب بحثا عن الغذاء؟

الشيخ محمد عبده

رحم الله الأستاذ الإمام الذي قصد بالتوكل وعدم التواكل استنهاض همم المسلمين خوفا من ركونهم إلى الخمول وترك العمل تحت ستار الدين فيلبسون الدين غير ثيابه ويظهرونه بغير إهابه.

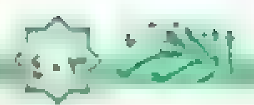
ولكن نحتاج اليوم إلى تعميق هذه المعاني التربوية الإيجابية في أعماقنا وسلوكنا ولاسيما في ظل ظروف معاصرة اختلطت فيها الأمور، وتكثف فيها الضباب حتى كادت الهمم أن تفتر، مما أدى إلى انتشار ثقافة الميل إلى بطء السعي وتقاعس الاجتهاد وسرعة الكسب بأية وسيلة ومن أي باب!!

١٠- محمد عبده ١٨٤٩–١٩٠٥م [illegible]

١١- لأحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عمر «الجامع الصغير للسيوطي»

١٢- محمد [illegible]





الديــن في حياة البشرية

خلق الله - عز وجل - الإنسان، وجعله في أروع صورة، وأحسن تقويم. وجعل من خصائصه آلة العقل التي لا نظير لها في عالم الموجودات. بها يستطيع تسخير ما عداه لمصلحته هو. وعلى هدى من نورها يملك القدرة على توجيهها لخدمته وإعانته. قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(التين: ١ - ٤)

ولما كان الإنسان مرفوع الرأس كان دائم التطلع إلى ما حوله وما فوقه وما يحيط به، فكان أن وجد نفسه بين كثير من العوامل المختلفة بما فيها مما يُرغِّب أو يُرهِّب. فأخذ يقف من الطبيعة التي حوله مواقف مختلفة حسبما تُبديه مما يُنذر ويُحذِّر، أو ما يُبشر ويُرغب. ليدفع عن نفسه غائلة ضُرها، ويفيد مما بها من نفع، ولكنه وجد وراء ذلك كله نظاماً طبيعياً، يتغير ولكنه لا يدرك حقيقته، ولا يرى لنفسه دخلاً فيه، فكان أن أدرك أن هناك قوى عليا، هي التي تسيِّر دفة الحياة من حوله، وهي التي تستطيع أن ترفع عنه غوائل هذه الطبيعة من جهة، كما أنها تستطيع أن تحقق له رغباته التي لا حيلة له في تحصيلها من جهة ثانية. فكان ذلك أول ما ظهر من حاجته إلى الدين، استجابة إلى ما سبق أن أودعه الله فيه وهو بعد مايزال في عالم الذر، حينما أخذ عليه العهد والميثاق. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

(الأعراف: ١٧٢، ١٧٣)

حاجة الناس إلى الدين

ولما كانت حاجة الناس إلى الدين فطرية «يدل عليها - بعد ما جاء في كتاب الله - إجماع الناس على الاحتياج إليه، حتى في القرن التاسع عشر الذي بلغت فيه النظريات الإلحادية أوج قوتها، وما كان هذا الإجماع لينعقد إلا لأن في النفس داعية إليه، وفي العقل الإنساني حاجة به.

«هذا التعليل لا يشق على الفهم، فإن للإنسان عقلاً لا يقف من مطامحه عند حد، فهو دائم النظر في الوجود، مغرى بالاستدلال والاستنتاج، لا يردعه عن محاولاته هذه عائق، حتى ولا عظمة الوجود نفسه. فهو يحاول الوصول إلى مساتيره بكل ما يستطيعه من وسيلة، فإن أعياه أمره لجأ إلى خاصة التفكير فيه، وسبح منها في مجال لا حد له. وعاد يتدارك عليه لا تتعلق والوقائع. ولكنه يحرص عليها جهده، ولا يفتأ يعرضها على محك النظر والاستقراء، غير حاسب لما يناله من وراء ذلك من لغوب (تعب ومشقة).

«يرى الإنسان الحوادث الطبيعية تتوالى بين يديه، فلا يدعها تمر حتى يشبعها تأملاً وتتبعاً، ليدرك أسبابها القريبة منها، والبعيدة عنها، طماعية في أن يدخل الوجود وما فيه دائرة علمه، وحيز إدراكه.

وقد يرى الإنسان أنه كثيراً ما أخطأ في النظر، وشط في الاستدلال، وأبعد في الاستنتاج. ولكن ذلك فضلاً عن أنه لم يردعه عن متابعة النظر، زاده ولوعاً به، وهذا هو سر عظمته العقلية، وعلة تأسيسه للعلوم، وتمهّره في الفنون، وتدرجه في تسخير قوى الوجود».

إن المكتشفات الأثرية القديمة، التي تتزايد أعدادها يوماً بعد يوم لتشتمل ضمن محتوياتها على كثير من الأدوات، التي تلزم الإنسان في حياة أخرى يعيش فيها بعد حياته الأولى، التي تنتهي بموته، مما يدله دلالة قاطعة على أنه كان يؤمن بالبعث والجزاء على ما قدم من خير أو شر. وهو ما يأتي رديفاً لفكرة الدينونة، ويبنى على أساسها. هذه الفكرة أو هذه العقيدة، التي يخضع فيها الإنسان لقوى عليا تسيطر على مصيره في الدار الآخرة، كما سيطرت على حياته في الدار الأولى.

حقيقة الدين

فما حقيقة هذا الدين، كما يعرفه أرباب الفكر، والباحثون في عقائد الشعوب القديمة؟ ثم ما هو وارد في كتاب الله العزيز،

(١) الأستاذ محمد فريد وجدي من معالم الإسلام، ص٢١ والكتاب ضمن نشاط مكتبة الأسرة



وما هو متعارف عليه في علم اللغة؟ هذا ما سنطوف في رحابه – على قدر ما يتاح لنا طبعاً – دون أن نسجل كل ما تحت أيدينا، ولكن سنختار منها ما يهم القارئ.

يرى الدكتور «محمد عبدالله دراز» عضو هيئة كبار العلماء سابقاً، أن الرجوع إلى المعاجم – وهو ما لابد منه في مثل هذا البحث – لا يعطينا كل ما نطلبه في تحديد المراد من الكلمة، لأن مهمة المعاجم إنما هي «ضبط الألفاظ، لا تحديد المعاني، وأن مهمتها هي تقويم اللسان، لا تثقيف الجنان» وبعد أن طوّف الشيخ حول ما يراد من كلمة «الدين» في استعمالات اللغة، استخلص النتيجة التالية، حيث قال: فكلمة «الدين» التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير: (أحدهما) هذه الحالة النفسية التي نسميها «التدين» بمعنى الخضوع والطاعة والعبادة والورع. و(الآخر) تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الجارية أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً، وهذا المعنى أكثر وأغلب[3].

ومما ورد في معنى كلمة «الدين» لغوياً ما ذكره الشيخ مصطفى عبدالرازق في كتابه «الدين والوحي والإسلام» حسبما نص عليه الراغب الأصفهاني في مفرداته. إذ يقول «والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة. والدين كالملة. لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة، فللدين على رأيه معنيان لغويان أصليان. هما الطاعة، والجزاء. ومعنى الشريعة مستعار من المعنى الأول[2].

محمد عبدالله دراز

ويرى هربرت سبنسر، وماكس مولر، أن الدين هو نوع من الإدراك لما يفوت العلم، وينقطع دونه العقل[3].

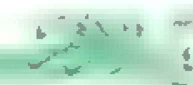
ويرى البعض أنه «ضبط الحياة الإنسانية عن طريق الشعور برابطة تصل بين الروح الإنساني وروح غيبيّ يعترف البشر بسلطانه على العالم كله مع شعورهم باتصالهم به»[4].

بقي أن نتعرف على دلالة هذه الكلمة في القرآن الكريم، لأنه المصدر الذي يعتمد عليه حينما تتشعب الآراء، وتتصادم، أو تختلف مجرد اختلاف وجهات النظر.. فلنذهب إلى كتاب الله العزيز، ونتصفح آراء المفسرين.

(٣) ارجع إلى كتاب «الدين» للدكتور محمد عبدالله دراز، وقرأ من ص٢٤ إلى ص٢٩ وما [illegible] خلاصة هذه الصفحات، والكتاب من منشورات «الأزهر الشريف» سلسلة البحوث الإسلامية

[illegible] الإسلامي مصطفى عبدالرازق ص [illegible]

[illegible] (٤) نفس المصدر ص١٧





ونلاحظ أن القرآن قد استعمل لفظ دين بهذا المعنى الشامل، كما يدل عليه تسمية نحل المشركين أديانا في قوله

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

(الكافرون ٦)

محاولة لهم واختصر طريق الجدال والمناقشة معهم. وهو من أسماء البلاغيين «مشاكلة» فإن القرآن قرر في أمر الدين أصولا جعلت للدين معنى شرعيا خاصا. فالدين لا يكون إلا وحيا من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من بين عباده، ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله كما يؤخذ من كثير من آيات الكتاب العزيز.

من المعروف سلفا أن كلمة «الدين» وردت في كثير من المواطن في القرآن يصعب حصرها وهو ما يحول دون تتبعها كلها، ولذلك سنكتفي بالحديث عنها كما وردت في الآيات التالية.

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران ١٩)

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(آل عمران ٨٥)

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى ١٣)

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

(الكافرون: ٦)

لنستخلص منها القول الفصل في المعنى الإسلامي لهذه الكلمة، وهو ما نقف من خلاله على المعنى الذي يراه الباحث جديرا بأن يكون صحيحا معتمدا.. وسيكون تركيزنا على اثنين فقط من أهم كتب التفسير التي تحت أيدينا، حتى لا نطيل على القارئ. وهما «مفاتيح الغيب» للعلامة الفخر الرازي، وتفسير الإمام العلامة «القرطبي»

* ففي الآية الأولى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

يقول الفخر الرازي: «أصل الدين في اللغة الجزاء، ثم الطاعة. وهي تسمى دينا لأنها سبب الجزاء» (مفاتيح الغيب ص١٣٦ جـ ٤ دار الغد العربي).

ويقول القرطبي: «الدين في هذه الآية، الطاعة والملة» (ص١٢٨٥ ط كتاب الشعب)

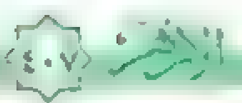
* أما قوله تعالى

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

فقد قال العلامة الفخر: «اعلم أنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة:

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران ٨٤)



أتبعه بأن الدين فى هذه الآية هو الإسلام، وأن كل دين سوى الإسلام، فإنه غير مقبول عند الله، لأن القبول للعمل هو أن يرضى الله ذلك العمل؟ ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه ولذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة ٢٧)

أما الإمام القرطبى، فقد اكتفى بإعراب الكلمة، دون أن يضيف شيئاً من معناها اعتماداً على ما سبق أن ذكره فى الآية السابقة:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

* وأما قوله تعالى

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

فقد قال فيه الإمام الفخر الرازى كلاماً كثيراً ثم لخصه فى قوله: «وبالجملة فالمقصود من الآية، أنه يقال شرع لكم من الدين ديناً تطابقت الأنبياء على صحته» ثم أضاف الإمام الفخر.

وأقول: يجب أن يكون المراد من هذا الدين شيئاً مغايراً للتكاليف والأحكام، وذلك لأنها مختلفة متفاوتة قال تعالى:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(المائدة: ٤٨)

فيجب أن يكون المراد منه الأمور التى لا تختلف باختلاف الشرائع، وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، (مفاتيح الغيب جـ١ ص١٨).

أما الإمام القرطبى، فقد قال

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾

أى الذى له مقاليد السموات والأرض، شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم بين ذلك بقوله.

﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾

وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً. ولم يرد الشرائع إلى مصالح الأمم على حسب أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة، قال الله تعالى:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

* وفى قوله تعالى

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

فقد فسر الإمام فخر الدين الرازى «الدين» بالعادة، وقال: «لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم ومن الشياطين، ولى عادتى المأخوذة من الملائكة والوحى» (مفاتيح الغيب جـ١٦ ص ٧٢٢).

أما الإمام القرطبى فيقول: «ومعنى لكم دينكم، أى جزاء دينكم، ولى جزاء دينى وسمى دينهم ديناً لأنهم اعتقدوه وتولوه» (تفسير القرطبى ص٧٣١٩ ط كتاب الشعب).

الدين مرادف الإسلام

ومن هنا نستنتج أن «الدين» فى القرآن، وهو المتحدث باسم الإسلام، هو الطاعة والانقياد لأوامر الله - عز وجل - وهو مرادف للإسلام الذى هو طاعة وانقياد لله. وأنه ما تطابقت الأنبياء جميعها على صحته وضرورة اتباعه، وهو توحيد الله - عز وجل - وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء والحساب. ويجمع كل هذا ما جاء بصيغة القصر فى قول الله تعالى: «إن الدين عند الله الإسلام» حيث قصر معنى الدين الحق الجدير بهذا الاسم على الإسلام، وهو ما صرحت به الآية الكريمة «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين».

أما أن يطلق القرآن على ما ارتضاه المشركون لأنفسهم من الشات على ما ورثوه عن أسلافهم وشياطينهم «ديناً» فهو من باب التجوز والمشاكلة، إيثاراً للمشاركة وللمسالمة فى الحوار، بعد أن تبين للرسول ﷺ - شدة عنادهم وثباتهم على طريق الضلال.

ولذلك نرى أن الخضوع والاستسلام والانقياد لا يسمى «ديناً» على وجهه الصحيح إلا إذا كان قائماً على أساسين اثنين:

● **أحدهما:** فى صفات الشىء الذى يقدسه المتدين، ويخضع له.

● **والثانى:** فى طبيعة هذا الخضوع.

أما من حيث تحديد صفات الشىء الذى يقدسه المتدين ويخضع له فهى:

● أن يكون ذاتاً مستقلة قائمة بنفسها، وليست مجرد عرض من الأعراض، أو لقب من الألقاب.

● أن يكون غيبياً لا يدركه إلا بعقله ووجدانه، أى أنه وراء الطبيعة.

● أن يكون هذا الشىء ذا قوة فعالة مؤثرة، وأن يكون له أسلوبه الخاص فى تصرفاته، هذا الأسلوب الذى يختلف عن الأسلوب الذى تؤثر به المادة فيما حولها.

● أن يكون لها اتصال معنوى بالناس، فهى ليست قوة منطوية على نفسها منعزلة عن العالم، بل تسمع نجواهم، وتصغى لشكواهم، وتعنى بآلامهم وآمالهم، وتستطيع إن شاءت أن تكشف عنهم ما يدعونها إليه.

خضوع شعورى اختيارى!!

أما من حيث طبيعة هذا الخضوع، فإن التدين هنا لا يقف عند حد التقديس لمعنى الشرف والعرض والحرية والكرامة.. وما إلى ذلك من المعانى النبيلة، وما نشعر به من الخضوع والطاعة القهرية لقوانين الكون وسننه الثابتة التى لا نستطيع أن ننقضها أو نبدلها، وإن كانت كل هذه المشاعر قاسماً مشتركاً بين الناس جميعاً، وإنما «التدين» خضوع فوق هذا كله، أو قل هو خضوع وراء ذلك كله: حيث يتوجه المرء إليه بالرغبة والرهبة والتقديس، والامتثال لأوامره ونواهيه هو وحده، ولا يشرك معه شيئاً سواه فى ذلك.

إنه خضوع «شعورى اختيارى معاً. وهو حين

يخضع لمعبوده ويسجد لعظمته يفعل ذلك عن طواعية لا عن كراهية. لأنه يقوم في ذلك بحركة نفسية من التمجيد والتقديس. تأبى طبيعتها أن تؤخذ قهرا. وإنما تعطى وتمنح لمن يستحقها متى اقتنعت النفس بهذا الاستحقاق»[1].

ومن هنا يحق للمرء - أيا كان دينه شريعة أو يكون سماويا صحيحا موحى به من عند الله تبارك وتعالى إلى أحد أنبيائه - أن يتساءل: ما قيمة «الدين» في حياة الأمم والشعوب؟ وما الفرق بينه وبين عبادة الطبيعة التي يراها فريق «الطبيعيين» من أمثال ماكس مولر (الألماني) أو جيمونس (الإنجليزي)، في حالتيها: الطبيعة الهادئة، أو الشاذة الثائرة؟ والجواب على هذين السؤالين سيكون واحدا لأن أحدهما متعلق بسبب من الآخر. فنقول:

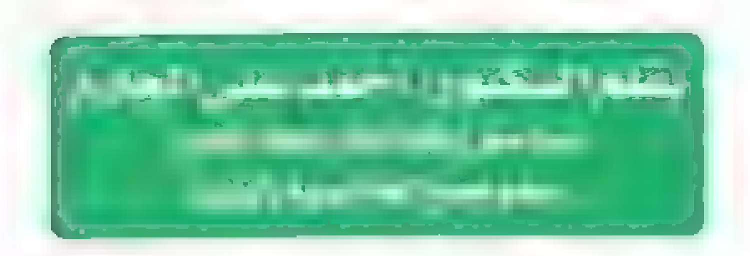
إذا كانت عبادة الطبيعة - كما يراها الطبيعيون - تقوم على مزيج من الأمل، والحذر. أمام دولاب الحوادث. التي لا تتوقف بخيرها وشرها؟ ولذلك فهي تخضع لسياسة الأمر الواقع بحلوه ومره.. فإن عبادة المتدينين تقوم على الصعود إلى بواطن الأمور وأعماقها «فتقيس الوجود بمقاييس العقل. وتزنه بموازين الإمكان» وبذلك يتكشف لها الكون عن حقيقته. فلا ترى في نظامه الواقعي ضرورة ذاتية. ولا في تبديل هذا النظام استحالة ذاتية. بل ترى فيه طابع الصنعة الموضوعة. وأثر الترتيب المقصود. وترى أمر بقائه أو تطوره.

هينا بالإرادة التي وضعت هذا النظام وحفظته. لأن من استطاع أن يربط السلسلة. استطاع أن يقطعها. من أدار الدولاب ذات اليمين قدر أن يديره ذات الشمال. ومن صرف الأمور بمحض اختياره على وجه كان في وسعه أن يحدث في سيرها من العجائب والشواذ والمفاجآت ما يخرق كل حساب. فيبرئ المريض. الذي عجز الطب عن علاجه. ويخلص الأسير الذي أوصدت دونه الأبواب. وينزل الغيث في القيظ. وينصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة»[2].

من هنا، وانطلاقا من هذه القاعدة، كان التصديق بمعجزات الأنبياء. التي هي في حقيقتها خرق لنواميس الكون وسننه التي تتكرر أمام نواظر الناس منذ ملايين السنين مثل قلب العصا حية تسعى. وانفلاق مياه البحر لتصير كالطود العظيم.. ومثل إبراء الأكمه والأبرص. وإحياء الموتى بإذن الله ومثل انشقاق القمر. ورد عين الرجل بعد أن خرجت على خده لتصير أبرأ من السليمة. وحنين الجذع وأنينه شوقا إلى رسول الله - ﷺ - حتى يسمعه كل من في المسجد..!! وغير ذلك الكثير والكثير مما يؤمن به أصحاب «الدين» الصحيح.. وصدق أبو بكر - رضي الله عنه - حين قال في قصة إسراء حبيبه - ﷺ - ومعراجه: «والله إني لأصدقه في خبر السماء حين يأتي به الوحي في ساعة من ليل أو نهار. أفلا أصدقه في خبر انتقاله - ﷺ - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»!!

(١) راجع في كتاب الدين للدكتور محمد عبد الله دراز وغيره صفحات من [illegible] - ٤٥
(٢) انظر كتاب الدين للدكتور دراز ص ٤٤ [illegible]

ما لم يقل عن طه حسين



في مقال لي بعنوان «تعلمت من والدي»[1] أشرت إلى علاقة الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي كما يقولون بكبار شعراء عصره مثل شوقي وحافظ إبراهيم وعلي الجارم مما كتبه في كتابه «حافظ وشوقي»[2] عام ١٩٣٣ حيث قال في ص ١٤٠ «شعراؤنا جامدون في شعرهم لأنهم مرضى بشيء من الكسل العقلي بعيد الأثر في حياتهم الأدبية. فهم يزدرون العلم والعلماء ولا يكبرون إلا أنفسهم ولا يحفلون إلا بها وهم لذلك أشد الناس انصرافا عن القراءة والدرس والبحث والتفكير. وكيف يقرءون أو يبحثون أو يفكرون وهم أصحاب خيال ومن شأن الخيال أن يصعد في السماء بجناحيه في غير تفكير ولا بحث؟... الفرق بين الشعراء والكتاب في هذا العصر - أن الشعراء لا يقرءون ولا يتعلمون ولا يعنيهم أن يقرءوا أو يتعلموا فهم غير متصلين بعصورهم وهم لذلك عاجزون عن التقدم أو التطور. أما الكتاب فيقرءون ويتعلمون ويتزيدون من القراءة والعلم ولا يرون الحياة إلا قراءة وعلما فهم لذلك متصلون بعصرهم. يقرءون فتضطرهم القراءة إلى التفكير. ويتعلمون فيضطرهم العلم إلى البحث وتنشأ لهم من هذا شخصية قوية ملاكها العقل والخيال والابتكار معا».

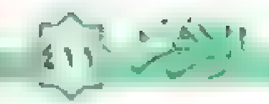
طه حسين

وقد أشرت إلى أنه ما كتب هذا الكلام - غير العلمي وغير الموضوعي - إلا تحت تأثير حالة نفسية ضاغطة أساسها حقده على هؤلاء الشعراء الكبار لما لشعرهم من شهرة وذيوع وبقاء على الزمان خلاف ما يكتبه هو من نثر لا يتعدى الصفحة التي كتب فيها. ولقد حاول أن يكون شاعرا فلم يفلح (راجع المقال) فاشتط في حقده مما أفقده توازنه النفسي فكتب ما كتب مثل هذا الكلام الهزيل.

وقد أرجعت في مقالي السابق أحد أسباب عصبه

(١) صحيفة [illegible] العدد ١٩ أكتوبر [illegible]
(٢) كتاب حافظ وشوقي، مطبعة الاعتماد، مارس ١٩٣٣





على الجارم، والذى حدث هو اختيار الجارم عام ١٩٣٣ أحد خمسة عشر عضوا عند إنشاء مجمع اللغة العربية وعدم حصوله على العضوية آنذاك ولابد أنه كان يرى نفسه أحق من الدكتور منصور فهمى الذى اختير ممثلاً لكلية الآداب لعضوية هذا المجمع فاشتط فى غضبه وأوغل فى تهجمه. ويذكر الأستاذ أنور الجندى نموذجا لهذا التهجم فى كتابه «طه حسين حياته وفكره فى ضوء الإسلام»[3] ص ١٢١ «لم يقبل طه حسين بين أعضاء المجمع اللغوى فكانت حملته عليه عنيفة حيث كتب فى ذلك الوقت يهاجمه أبشع هجوم ويحاور فى أنه لا يصلح لشىء ولا حاجة إليه. فلما أصبح عضوا فيه ثم رئيسا له بعد وفاة لطفى السيد تغير ذلك كله إلى تقدير كامل لأعمال المجمع وأهميته. وفى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ يقول: والمجمع اللغوى، ويا بؤس المجمع اللغوى، ويا بؤس الناس من المجمع اللغوى، ويا خزى مصر من المجمع اللغوى. سل المستشرقين عن رأيهم فيه وعن احترامهم له وعن إيمانهم بنفعه فتسمع منهم ما يسوء. (دائما المستشرقين). ويهاجم المجمع فى جريدة كوكب الشرق فى ٣/٩/١٩٣٤: «لقد أراد حلمى عيسى باشا (وزير المعارف آنذاك) أن يتظاهر بالإحسان على النهضة الثقافية فى البلاد فلم يكد يجد فى الصحافة الأصوات منادية بوجوب إنشاء مجمع لغوى حتى راح يستمع فيه إلى الحزبية السياسية فرشح لهذا المجمع عددا كبيرا من مؤيدى الوزارة أو مديريها أو المشتغلين حتى كادت الفكرة تستحيل بذلك إلى شبه لجنة حكومية لم تنظر فى تعيين أعضائها إلى سائر الاعتبارات الجوهرية من سعة الاطلاع وامتلاك ناصية اللغة (يقصد نفسه بالطبع) واحتمال التاريخ العلمى للمعترف فيه بالتأثر والإحسان إلى النهضة الثقافية. وقد دارت مناقشات واسعة بينه وبين منصور فهمى عام ١٩٣٧ حول مهمة


على الجارم

المجامع اللغوية تجمعها فى كتابنا «المعارك الأدبية»، فى هذه المساجلات يقول الدكتور طه حسين: «هون عليك أيها الصديق. فالأمر أيسر من هذا كله فقد عاشت مصر من غير المجمع اللغوى فلم تجدب أرضها الخصبة ولم تعش سماؤها الباسمة ولم يبخل بنيلها الجواد الكريم. وقد أنشئ المجمع اللغوى فى مصر فلم تزد أرضها خصبا ولا سماؤها ابتساما ولا نيلها كرما وجودا. وقد عاشت اللغة قبل المجمع وعاشت مع المجمع ولو قد ذهب المجمع مع الريح لما تعرضت اللغة لخطر ولا أدركها مكروه»[4] هذا المجمع هو الذى يتهالك عليه الدكتور طه فى أيامه الأخيرة وهو مريض ليحمل إليه حتى تنشر الصحف صورته ويخطب فى الأعضاء ويؤكد عودته ويسافر إلى أوروبا ستة شهور فى العام ويقوم المجمع بأداء كل مطالب رئيسه المحبوب».

وقد تعلمنا ممن سبقونا أن الناقد الموضوعى عليه أن يتعرف جليا على نفسية الكاتب وظروفه - حتى الصحية منها - وظروف مجتمعه قبل الحكم على ما يكتبه. وهنا يجب أن نتعرض للظروف القاسية التى تعرض لها كاتبنا الدكتور طه حسين فى طفولته من بؤس وشقاء مما أدى إلى مرض عينيه ثم إلى فقد بصره وهو فى الرابعة من عمره. وهنا اشتجر طموحه الفطرى وذكاؤه المتقد مع إمكاناته المحدودة العاجزة. ودعنا نتحرى الآن نتيجة هذه المقابلة القاسية حتى نصل إلى أغوار نفسيته ونتفهم أحواله وطبيعة الحياة التى عاشها، المليئة بالسخط والقهر والحقد والرفض. والتى أدت إلى إصابته بعقد نفسية متعددة أوضحها عقدة «الاستعلاء» التى لازمته من طفولته إلى شيخوخته.

وقصة أخرى ذكرها الدكتور محمد الدسوقى[5] فى كتابه «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره» وكان يعمل لديه سكرتيرا خاصا من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٢ ويكتب ما يقوله طه حسين حرفيا، جاء فى هذا الكتاب فى ص ٣٥ قول الدكتور طه حسين: «لقد حضرت وأنا طالب فى الأزهر مجلسا من مجالس لطفى السيد فى الجريدة (وهى التى كان يرأس تحريرها لطفى السيد فى ذلك الوقت). وكان يتحدث عن نابليون وعبقريته وكيف أنه أخذ زوجة من زوجها قهرا وعنوة. ويقول الدكتور طه. وقلت للطفى لقد فعل محمد ذلك (يقصد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام) أخذ زينب من زوجها زيد. ويحكي الدكتور طه أن الصمت ساد الجميع. وبعد أن انفض المجلس دعانى لطفى وأسر فى أذنى: يا بنى لا تتحدث هكذا عن القرآن أمام الناس».

وقد انفعل الدكتور محمد الدسوقى وعلق فى كتابه هنا فى الهامش بما يأتى: «موضوع زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش فى الواقع ليس كما أشار العميد. فالرسول لم يأخذ زينب من زوجها. وملخص الموضوع أن الرسول تبنى زيدا، وكانت عادة العرب فى الجاهلية تحريم زوجة المتبنى على من تبناه، فكان زواج الرسول من زينب إبطالاً لتلك العادة فضلاً عن أن زينب كرهت زوجها ولم تطق العيش معه، وكان الرسول ينهاها عن رغبتها فى الطلاق من زيد. فزواج الرسول من زينب كان بأمر من الله. وصدق الله العظيم

﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ﴾

(الأحزاب ٣٧)

وكان الدكتور الدسوقى كان أكثر موضوعية عندما شرح فى هامش الكتاب قصة زواج زينب وزيد من لطفى السيد (أستاذ الجيل) الذى ما ساءه من الطالب طه حسين سوى أنه أبدى ملاحظته المنكرة هذه أمام الجمع الحاضر مجلسه فى مجلة الجريدة بدلاً من أن يذكرها بطريقة أخرى.

وهكذا يستمر الحديث عن الدكتور طه حسين ويستمر الحرص على تفهم نفسيته ومشاعره الداخلية منذ طفولته إلى أن أصبح عميدا للأدب العربى والعوامل المؤثرة فى كتاباته وأدائه مثل ما حدث منه فى كتابته كتاب «فى الشعر الجاهلى» وإنكاره لما جاء فى القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل.

وعندى الكثير ولكنى أكتفى بما تقدم


٣- كتاب طه حسين حياته وفكره فى ضوء الإسلام، للأستاذ أنور الجندى، صادر من دار الاعتصام ١٩٧٧

٤- تذكرت هنا قول الشاعر: النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، والنار التى أقصدها الآن هى نار الحقد والغيرة العمياء.

٥- كتاب طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس ١٩٧٨)

طرائف .. ومواقف

● روى أن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام: لف العلم حول عنقك، واكتبه في ألواح قلبك.

● وروى أنه قال له أيضاً: اجعل العلم مالك والأدب حليتك.

● وقيل لأبي عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم.

● وقال عروة بن الزبير لبنيه: يا بني اطلبوا العلم فإن تكونوا صغاراً لا يحتاج إليكم، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم.

● وروى عن أحد ملوك الهند أنه قال لولده وكان له أربعون ولداً: يا بني أكثروا من النظر في الكتب وازدادوا في كل يوم حرفاً فإن ثلاثة لا يستوحشون في غربة: الفقيه العالم، والبطل الشجاع، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي.

● وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه: إياكم أن تجلسوا في الأسواق إلا عند زراد أو وراق

● روى طاوس أن الحجاج سمع رجلا من اليمن رافعا صوته بالتلبية في الحرم المكي، فطلبه. فلما مثل في حضرته قال له: أنت من اليمن؟

●● فقال: نعم.

● فقال له الحجاج: كيف خلفت محمد بن يوسف؟ (يعني أخاه وكان عاملاً على اليمن).

●● فقال: خلفته عظيماً جسيما خراجا ولاجا.

● قال: ليس عن هذا سألتك، كيف خلفت سيرته في الناس؟

●● قال: خلفته ظلوماً غشوماً، عاصياً للخالق مطيعاً للمخلوق.

● فزور الحجاج من ذلك وقال: ما حملك على هذا وأنت تعلم مكانته مني؟

●● فقال له الأعرابي: أتراه بمكانته منك أعز مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى وأنا وافد بيته، وقاضي دينه، ومصدق نبيه (صلى الله عليه وسلم)؟

فوجم الحجاج ولم يحر جوابا حتى خرج الرجل بلا إذن.

قال طاوس: فتبعته حتى أتى فتعلق بأستار الكعبة فقال: بك أعوذ وإليك ألوذ، فاجعل لي في اللهف إلى جوارك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين، وغنى عما في يدي المستأثرين. اللهم فرجك القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة!

قال عبدالله بن المبارك: كل من ذكر لي عنه شيء وجدته دون ما ذكر عنه. إلا حيوة ابن شريح وأبا عون.

وقد أثر عن حيوة هذا وخلد في سجل مناقبه أنه قد يكون في الدرس فتأتي أمه فتقول له: قم يا حيوة ألق الشعير للدجاج فيقوم، وهذا أبلغ ما عرف من طاعة الأمهات.

كان بنو أنف الناقة يكرهون أن يدعوا بهذه النسبة حتى مدحهم الحطيئة بها. فانقلبت كراهتهم لها إلى افتخار بها. أما قول حطيئة فهو:

سيري أمام فإن الأكثرين حصى
والأطيبين إذا ما ينسبون أبا

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وصف أحد الأدباء الليل فقال:

فيه تجم الأذهان، وتنقطع الأشغال، ويصح النظر، وتؤلف الحكمة، وتدر الخواطر ويتسع القلب. والليل أضوأ في مذاهب الفكر، وأخفى لعمل البر، وأعون على صدقة السر، وتلاوة الذكر. ومدبرو الأمور مختارون الليل على النهار فيما لم تعف فيه الأناة لرياضة التدبير، وسياسة التقدير، في دفع الملم، وإمضاء المهم، وإنشاء الكتب، وتصحيح المعاني، وتقويم المباني، وإظهار الحجج، وإيضاح النهج، وإصابة نظم الكلام، وتقريبه من الأفهام.

دخل المأمون يوماً ديوان الإنشاء فلقي غلاماً صبيح الوجه مليح الطلعة قد وضع قلمه فوق أذنه فقال: من أنت؟ فقال: أنا الناشيء في دولتك، المتقلب في نعمتك، المؤمل في خدمتك الحسن بن رجاء.

فقال المأمون: بحسن البديهة تتفاضل العقول. ارفعوا هذا فوق مقامه.

إذا مـــا مـعـشـر جـــاروا علـى نـاس
كـــلاكـمـه مـع بـمـحـــويـبـه
فـقـل بـعـقـب مـتـبـين بـه لـيـفـو
سـيـلقـى مـن مـسـون كـمـا بـقـيـه

● قيل لبعض الحكماء: أي وقت الطعام فيه أفضل؟ قال: أما لمن قدر فإذا جاع، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد.

● وقال الشاعر:

وعادة الجوع فاعلم عصمة وغنى
وقد يزيدك جوعاً عادة الشبع

وقال العتبي: قلت لرجل من أهل البادية: يا أخي إني لأعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا، وعوامكم أظرف من عوامنا، ومجانينكم أظرف من مجانيننا!

قال: وما تدري لم ذاك؟ قلت: لا. قال: من الجوع، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلو جوفه؟

● وأحسن من ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم: «حسب الإنسان من الطعام لقيمات يقمن صلبه».

قال بعض الحكماء: من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء الظن.

وقال الشاعر:

ومن دعـــا النـاس إلى ذمـــه
ذمـــوه بالحق وبالبــاطـل
مـقـــالة الســـوء إلى أهلهـــا
أسـرع من منحــدر ســـائل







اللهم يا من ليس قبلك شيء، ويا من ليس بعدك شيء، ويا من ليس فوقك شيء، ويا من ليس دونك شيء، يا حي يا قيوم، اقض عنا ديننا، وفرج كربنا، ويسر أمرنا، ووسع رزقنا، ونق أعمالنا، وطهر قلوبنا، واشرح صدورنا، واختم بالصالحات أعمالنا، وعلى الإيمان الكامل توفنا، إنك على كل شيء قدير.

قصة العدد

موت أم

رجعت من الجنازة بعد أن غبرت قدمي ساعة في الطريق التي ترابها تراب وأشعة. وكانت في النعش لؤلؤة آدمية محطمة، هي زوجة صديق خضخضتها الأمراض فتقلبت بين علل الموت، وكان قلبها يحييها فأخذ يهلكها، حتى إذا دنا أن يقضي عليها - رحمها الله - فقضى فيها نعمته. ومن ذا الذي مات له مريض بالقلب ولم يره من قلبه في علته كالعصفورة التي تهتز تحت عيني ثعبان سلط عليها سموم عينيه؟

كانت مسكينة في الخمسة والعشرين من سنها، أم فتيين اثنتين وفوق ذلك، هي في سن الشباب وهو متهمة في سن الموت.

وكانت فاضلة تقية صالحة، لم تتعلم ولكن علمها التقوى والفضيلة، وأكمل النساء عندي ليست هي التي ملأت عينيها من الكتب فهي تنظر إلى الحياة نظرات تحل مشاكل وتخلق مشاكل، ولكنها تلك التي تنظر إلى الدنيا بعين متلألئة بنور الإيمان تقر في كل شيء معناه السماوي، فتزن بأخرته وتحرجها معاً، وتأخذ ما تعطى من يد خالقها رحمة معروفة أو رحمة مجهولة. هذه عندي تسمى امرأة، ومعناها العبد المقدسي، وتكون الزوجة، ومعناها القوة المسعدة، وتصير الأم، ومعناها التكملة الإلهية لصغارها وروحها ونفسها.

ومهما تبلغ المرأة من العلم فالرجل أعظم منها بأنه رجل، ولكن المرأة حق المرأة هي تلك التي خلقت لتكون للرجل مادة الفضيلة والصبر والإيمان، فتكون له وحي الهدى والعزاء والقوة، أي زيادة في سروره ونقصاً من آلامه.

ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد، هو صفاتها التي تجعل رجلها أعظم منها.

ومشيت من البيت الذي ألبسته الميتة معنى القبر، إلى القبر الذي ألبس الميتة معنى البيت. وأنا منذ مشيت في جنازة أمي (رحمها الله) لا أسير في هذه الطريق مع الأحياء، ولكن مع موتى، فأشيع من أميت صديقه ليس رجلاً ولا

امرأة؛ لأنه من غير هذه الدنيا، ولمشى في ساعة ليست ستين دقيقةً؛ لأنها خرجت من الزمن. ولا أرى الطريق من طرق الحياة؛ لأنني في صحبة ميت، وتصبح للأرض في رأيي جغرافيةٌ أخرى عمي الناسُ عنها لشدة وضوحها، كالألوهية خفيت من شدة ما ظهرت.

يقولون: إن ثلاثة أرباع الأرض يغمرها البحر. أما أنا فأرى في تلك الساعة أن ثلاثة أرباع الأرض لا يغمرها البحر الذي وصفوا، ولكن خضمٌّ آخر زخارٌ متضرب. هو ذلك البحر الترابي العظيم المسمى «المقبرة».

يقولون: إن الحياة هي ... هي مادة ... ويحكم - أيها المغرورون، أفلا ترون هذه الصلة الدائمة بين بطن الأم وبطن الأرض؟

لعمري كيف تجعلُ هذه الحياةُ للناس قلوباً مع قلوبهم. فيحسُّ المرء بقلب. ويعملُ بقلب آخر يعتقد ضرر الكذب ويكذب، ويعرف معرة الإثم ويأثم، ويوقن بعاقبة الخيانة ثم يخون، ويمضي في العمر منتهياً إلى ربه، ما في ذلك شك، ولكنه في الطريق لا يعمل إلا عمل من قد فر من ربه...؟

هبت الريح في السحر على روضة غناء عطايت لها، فعقدت عُقدتها أن تتخذ لها بيتاً في ذلك المكان الطيب لتقيم فيه.. يا لها حكمةً من التدبير! تزعم الريح الإقامة على حين كلُّ وجودها هو خطةُ مرورها. وتحلُم بالقرار في البيت وهي لا تملك بطبيعتها أن تقف.

يا لها حكمةً سامية: لا يسكنها من المعنى إلا أسخفُ ما في الحُمق!

همد الحي وانطفأت عيناه. ولكنه تحرك في تاريخه مما ضيّق على نفسه أو وسّع، وأصبح ينظر بعين من عمله: إما مُبصرة أو كالعمياء؛ فلو تكلم يصف الحياة الدنيا لقال: إن هذه النجوم على الأرض مصابيحُ مأتم تقيم بليل.

وما أعجب أن يجلس أهلُ المأتم في المأتم ليضحكوا ويلعبوا!

ولو نطق الموتى لقالوا: أيها الأحياء، إن هذا الحاضر الذي يمر فيكون ماضيكم في الدنيا، هو بعينه الذي يكون مستقبلكم في الآخرة، لا تزيدون فيه ولا تنقصون. وإن الدنيا تبدأ عندكم من الأعلى إلى الأدنى من العظماء إلى الفقراء، ولكنها تنقلب في الآخرة فتبدأ من الفقراء إلى العظماء، وأنتم ترسمونها بخطوط المطامع والحظوظ، ويرسمها الله بخطوط الحسنات والمجاهدة؛ إن الشمس على الأرض من ثَمّ بشعاعها ونداتها، ولكن الشمس في السماء من ثم بنفسها وحدها.

يا أسفا! لن يقولَ الميتُ للحي شيئاً، ومن يدري؟ لعلنا ونحن نُلحد للموتى ونُنزلهم في قبورهم، يرون بأرواحهم الخالدة أننا نحن موتاهم المساكين، وأننا مدفونون في القبر الذي يسمونه «الكرة الأرضية»؛ وهل الكرة الأرضية من اللانهاية إلا حفرةٌ برجل نملة لتدفن فيها نملة..

الحياة.. أتريد أن تعرفها على حقيقتها؟ هي المبهمات الكثيرةُ التي ليس لها في الآخر إلا تفسيرٌ واحد: حلالٌ أو حرام.

ورجعنا مع الصديق إلى بيته. وله خمسة أطفال صغار لو أنهم هم الذين انتزعوا من أمهم لترك كلٌّ واحد على قلبها مثل الكواة المحمى عليها في النار إلى أن تحمر. ولكنَّ أمهم هي التي نُزعت منهم. فكان بقاؤهم في الحياة تحميضاً لسكرة الموت عليها. وغشيتها الغشية فماتت وهي تنصحك؛ إذ تراهم بأنفسهم تحت جناح الرحمة الإلهية الممدود. وقالت: إنها تسمع أحلامهم. وكانوا هم عقلها في ساعة الموت!

تبارك الذي جعل في قلب الأم دنيا من خلقه هو، ودنيا من خلق أولادها!

تبارك الذي أثاب الأمَّ ثوابَ ما تعاني، فجعل فرحها صورةً كبيرةً من فرح صغارها!

وجاء أكبر الأطفال الخمسة، وكأنه ثمانية أرطال من الحياة لا ثمانيةُ أعوام من العمر، جاء إلينا كما يجيء الفزعُ لقلوب مطمئنة، إذ كان في عينيه الباكيتين معنى فقد الأم!

وطفت عليه الدموعُ فتناول منديله ومسحها بيده الصغيرة، ولكنَّ روحه اليتيمة تأبى إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معاني يتمها!

وظهر الانكسارُ في وجهه يعبر ببلاغة أنه قد أحس حقيقة ضعفه وطفولته بإزاء المصيبة التي نزلت به. وجلس مستسلماً تترجم هيئته معاني هذه الكلمة: «رفقاً بي!».

ثم تطير من عينيه نظراتٌ في الهواء، كأنما يحس أن أمه حوله في الجو ولكنه لا يراها!

ثم يُرخي عينيه في إغماضة خفيفة، كأنما يرجو أن يرى أمه في طويته!

ولا يصدق أنها ماتت، فإن صوتها حي في أذنيه لا يزال يسمعه من أمس!

ثم يعود إلى وجهه الانكسارُ والاستسلام، ويتململ في مجلسه، فينطق جسمه كله بهذه الكلمة: «يا أمي!».

أحس - ولا ريب - أنه قد ضاع في الوجود؛ لأن الوجود كان أمه.

ولمس خشونة الدنيا منذ الساعة، بعد أن فقد الصدر الذي فيه وحده لينُ الحياة لأن فيه قلبَ أمه وروحها.

وشعر بالذل يتسربُ إلى قلبه الصغير؛ لأن تلك التي كان يملك فيها حقَّ الرحمة قد أُخذت منه وتركته بلا حق في أحد، وليس لأحد أمان!

ولمسته المسكنة؛ لأن له شيئاً عزيزاً أصبح وراء الزمان فلن يصل إليه!

ومسته المسكنة؛ لأنه صار وحده في المكان كما هو وحده في الزمان!

وارتسم على وجهه التعجب، كأنه يسأل نفسه: «إذا لم تكن أمي هنا، فلماذا أنا هنا؟!».

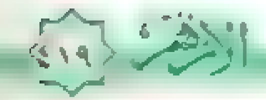
ثم تغرغرت عيناه فيخرج منديله ويمسح دمعه بيده الصغيرة، ولكن روحه اليتيمة تأبى إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معاني يتمها!

ونهض الصغيرُ ولم ينطق ببنت شفة، نهض يحمل رجولته التي بدأت منذ الساعة!

انتهت - أيها الطفلُ المسكينُ - أيامُك من الأم، هذه الأيام السعيدة التي كنت تعرف الغد فيها قبل أن يأتي معرفتك أمس الذي مضى؛ إذ يأتي الغد ومعك أمك!

وبدأت - أيها الطفلُ المسكين - أيامُك من الزمن، وسيأتي كلُّ غدٍ محجباً مرهوباً، إذ يأتي لك وحدك، ويأتي وأنت وحدك!

الأم..؟ يا إلهي، أيُّ صغير على الأرض يجدُ كفايته من الروح إلا في الأم؟!



تيار المرجعية الإسلامية في نموذج التقدم

إبان حقبة الاستعمار المباشر لوطن العروبة وعالم الإسلام، اجتمعت لتيار التبعية الفكرية و«الخيار الغربي» في نموذج التقدم وفي مرجعية النهضة.. اجتمعت له كل إمكانات هيمنة الحضارة الغربية..

إبان تألقها وازدهارها.. وسلطات الدعم الاستعماري للمؤسسات والتيارات التي دعت إليه.. فإن أصالة الهوية الإسلامية للأمة قد أفرزت -في مواجهة هذا التيار- تيار الإحياء والتجديد، الذي دعا إلى تجديد دنيا المسلمين، بتجديد فكرهم الديني.. وإلى اختيار الإسلام سبيلا للإصلاح الإسلامي في مختلف الميادين، وإلى استلهام الحلول الإسلامية علاجا لمختلف المشكلات التي يعاني منها المسلمون.. لا لمجرد التعصب للإسلام والاستمساك بحلوله المتميزة؛ وإنما -أيضا- لأن الخيار الإسلامي الحضاري، والسبيل الإسلامي في حل مشكلات التقدم والتجديد، هو الأصلح، والأنجع، والممكن.. والمقبول على امتداد ديار الإسلام.. فهو البذرة الوحيدة التي يمكن أن تنبت في أرض الحياة الإسلامية.. وذلك فضلا عن أنه الطريق لدى أمر الله المسلمين بالتزام السير فيه!..

الطهطاوي ونقد الغرب

• فرفاعة رافع الطهطاوي (١٢١٦-١٢٩٠هـ ١٨٠١-١٨٧٣م) ابن الأزهر الشريف- الذي كان أول عين للشرق على الغرب.. لم يكتف فقط برفض الفلسفة الوضعية اللادينية الغربية، والدفاع عن الخيار الإسلامي والشريعة الإسلامية.. وإنما نفذت بصيرته -رغم تألق النموذج الغربي- إلى نظرات نقدية للطابع المادي واللاديني والتوجه الوضعي لذلك النموذج، فأسس تجربة النحل الإسلامي على موازنة موضوعية رجحت فيها لديه كفة الخيار الحضاري الإسلامي، كسبيل للنهضة والتجديد.

لقد انتقد الطهطاوي «الوضعية الغربية» التي استغنت «بالعقل» و«التجريب» عن الدين.. والشرع.. والتي عزلت علمانيتها الدين عن الدولة والمجتمع وسائر شئون العمران.. فتحدث عن أن أكثر تلك البلاد -وإن برعوا في علوم التمدن المدني، والتي يجب أن نتتلمذ عليهم فيها- إلا أنهم «ليس لهم من دين النصرانية إلا الاسم فقط.. ويعدون من الفرق المحسِّنة والمقبِّحة بالعقل، أو فرقة من الإباحيين الذين يقولون: إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب.. ولذلك، فهم لا يصدقون بشيء مما في كتب أهل الكتاب، لخروجه عن الأمور الطبيعية».

وبعد نقده لهذه الفلسفة الوضعية، التي لا تعتد في العلم والمعرفة بغير «العقل المجرد» و«التجربة الحسية في المادة والأمور الطبيعية»، يبرز انحيازه إلى النموذج والخيار الإسلامي في المعرفة، ذلك الذي يجمع ما بين «الوحي» ومعارفه وبين «الطبيعة» وعلومها.. فيقول: «إن تحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به إلا إذا قرره الشارع.. والشريعة والسياسة مبنيتان على الحكمة المعقولة لنا أو التعبدية التي يعلم حكمتها المولى سبحانه، وليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقبيحه.. فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العاقبة الحسنى، ولا عبرة بالنفوس القاصرة، الذين حكّموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنوا إليها تحسينا وتقبيحا، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود، بتعدي الحدود.. فينبغي تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع، لا بطرق العقول المجردة..»(١).

---

(١) «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي» جـ٢ ص١٥٩، ١٦٠، ٧٩، ٣٣، ٤٧٧، ٢٨٦، ٢٨٧ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

من هنا -وعند الطهطاوى- يبدأ تأسيس تيار التجديد والإحياء الإسلامى، الناقد للنموذج الحضارى الغربى - لعلمانيته ووضعيته وماديته- والداعى إلى إحياء واختيار النموذج الإسلامى، الجامع ما بين العقل والنقل والتجربة، والمؤسسة على العلوم والمعارف الشرعية. والجامع ما بين علوم الحكمة المعقولة لنا والأحكام التعبدية التى لا يعلم حكمتها إلا الله.

وهو تيار حضارى، قد تبلور عند الطهطاوى من خلال الدراسة المقارنة فى النموذج الغربى وليس فقط بالميراث والتقليد..

وعندما يلمح الطهطاوى بواكير تسلل «القوانين الوضعية الأوروبية» إلى «المجالس التجارية المختلطة» فى بعض المدن الإسلامية - بعد زيادة المخالطات والمعاملات التجارية مع أوروبا- يدعو إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والاحتكام إليها، ويطلب تقنين فقه معاملاتها ليفى بجميع احتياجات الحياة المعاصرة، فيقول: «إن المعاملات الفقهية لو انتظمت، وجرى عليها العمل، لما أخلت بالحقوق، بتوفيقها على الوقت والحالة.. ومن أمعن النظر فى كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية.. إن بحر الشريعة الغراء، على تفرع مشارعه، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقى والرى، ولم تخرج أحكام السياسة عن المذاهب الشرعية؛ لأنها أصل وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع»(٢)

وعندما نقارن موقف الطهطاوى هذا -الرافض للقانون الوضعى الأوروبى والداعى إلى البديل والحل الإسلامى الشريعة الإسلامية.. وفقه معاملاتها- .. عندما نقارنه بسعى رفقاء المعلم يعقوب حنا -١٨٠١م- عام ولادة الطهطاوى؟!- إلى إحلال النظم والشرائع الفرنسية فى مصر- ندرك أننا أمام خطين من المرجعيات والحلول.. النمط الغربى، ذو المرجعية الغربية، وحلوله الوضعية والعلمانية الهادفة إلى عزل بلادنا عن هويتها الإسلامية، وعن محيطها الإسلامى.. والنمط الإسلامى، ذو المرجعية الشرعية وحلوله النابعة من هويتنا الإسلامية والاجتهاد الإسلامى الذى يمتد بفقه المعاملات إلى حيث تستجيب أحكامه للمستجدات.

لقد مثل الطهطاوى -على درب مواجهة العقل المسلم لمشكلات التقدم والتغيير- خطة النقد الواعى للحل الغربى، وبداية الاختيار الواعى للحل الإسلامى، الجامع - فى مرجعيته- بين «الوحى» و«العقل» بين «الشرع» و«النواميس الطبيعية»، والتميز -بهذا- عن الحلول الغربية العلمانية، ذات المرجعية الوضعية والمادية.

(٢) المصدر السابق جـ١ ص٤٤٤، ٣٦٩، ٣٧٠.

الأفغانى وحركة الجامعة الإسلامية

● وعلى يد جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) وحركة «الجامعة الإسلامية» التى قادها، تعمق فكر تيار الإحياء والتجديد والخيار الإسلامى للنهضة، وامتد إلى أنحاء كثيرة من عالم الإسلام.. فانتقد الأفغانى دعاة «التحديث على النمط الغربى» وقال: «إنه لا ملجئ للشرقى فى بدايته أن يقف موقف الغربى فى نهايته».. ورأى فى استعارة الدولة العثمانية ومصر لحلول ونماذج التمدن الغربى فى التحديث «تحديثا شكليا» و«تقليدا» لنموذج إن مثل تمدنا طبيعيا فى أوروبا فإنه مقحم وغير طبيعى فى عالم الإسلام.. وقال: «لقد شيد العثمانيون عددا من المدارس على النمط الجديد، وبعثوا بطوائف من شبانهم إلى البلاد الغربية ليحملوا إليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب، وكل ما يسمونه تمدنا، وهو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنسانى.. فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك؟.. ربما وجد بينهم أفراد يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها.. ومنهم آخرون قلبوا أوضاع المبانى والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون، وتنافسوا فى تطبيقها على أجود ما يكون منها فى الممالك الأجنبية، وعدوها من مفاخرهم.. فنقلوا، بذلك، ثروة بلادهم إلى غير بلادهم.. وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم»(٣)

الأفغانى

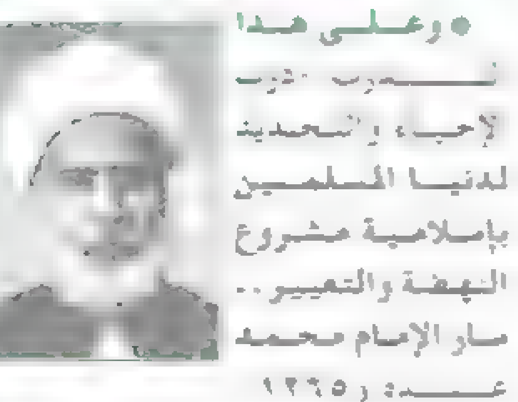
ثم يقطع الأفغانى بأن هذا التحديث على النمط الغربى هو اختراق أجنبى للكيان الحضارى الإسلامى المتميز، يقوم فيه المقلدون بدور «الطابور الخامس». فيقول: «لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها.. وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم»(٣)

ذلك أن للإسلام بديلا متميزا عن النموذج الغربى فى التغيير والتجديد، مرجعيته -كما يقول الأفغانى- «الدين، الذى هو السبب المفرد لسعادة الإنسان. فلو قام الدين على قواعد الأمر الإلهى الحق، ولم يخالطه شىء من أباطيل من

(٣) «الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى» ص٣٢٢، ٣٢٨ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

يزعمونه ولا يعرفونه، فلا ريب أنه يكون سببا في السعادة التامة والنعيم الكامل، ويذهب بمعتقديه في جواد الكمال، ويصعد بهم إلى ذروة الفضل.. ويرفع أعلام المدنية لطلابها ليفوزوا بسعادة الدارين.. إن العلاج الناجع لانحطاط الأمة الإسلامية أن يكون برجوعها إلى قواعد دينها، والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته.. فهي متأصلة في النفوس، والقلوب مطمئنة إليه، وفي زواياها نور خفي من محبته، فلا يحتاج القائم بإحياء الأمة إلا إلى نفخة واحدة يسري نفسها في جميع الأرواح لأقرب وقت.. فإذا قاموا، وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم، فلا يعجزهم أن يبلغوا في سيرهم منتهى الكمال الإنساني»[1].

أما الذين يستدلون المرجعية الغربية والتمدن الأوروبي بالنموذج الإسلامي والمرجعية الإسلامية للتغيير والتجديد، فعنهم وعن تحديثهم الغربي يقول الأفغاني: «وأما من طلب إصلاح الأمة بوسيلة سوى هذه، فقد ركب بها شططا، وجعل النهاية بداية، وانعكست التربية، وانعكس فيها نظام الوجود، فينعكس عليه القصد، فلا يزيد الأمة إلا نحسا، ولا يكسبها إلا تعسا»[2].




● وعلى هذا الدرب.. درب الإحياء والتجديد لدنيا المسلمين بإسلامية مشروع النهضة والتغيير.. سار الإمام محمد عبده (١٢٦٥- ١٣٢٣هـ ١٨٤٩- ١٩٠٥م) ومدرسة (المنار) التي رعاها الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢- ١٣٥٤هـ ١٨٦٥- ١٩٣٥م).. فانتقد الشيخ محمد عبده المرجعية المادية للنموذج الحضاري الغربي.. عندما تحدث عن مدنيتها فقال: «إنها مدنية الملك والسلطان، مدنية الذهب والفضة، مدنية الفخفخة والبهرج، مدنية الختل والنفاق، وحاكمها الأعلى هو «الجنيه» عند قوم، و«الليرا» عند قوم آخرين. ولا دخل للإنجيل في شيء من ذلك..» على حين تميز الإسلام، ومن ثم نموذجه الحضاري، بالوسطية الجامعة بين الدين والدولة.. والروح والمادة.. والدنيا والآخرة.. فلقد «تميز الإسلام، لا روحانيا مجردا، ولا جسدانيا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك، آخذا من كل القبيلين بنصيب، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره، ولذلك سمى نفسه دين الفطرة، وعرف له ذلك خصومه اليوم. وعدوه المدرسة الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية.. إن الإسلام دين وشرع. فهو قد وضع حدودا، ورسم حقوقا.. ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود، وتنفيذ حكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة.. والإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله، ويأخذ على يده في عمله.. فكان الإسلام: كمالا للشخص، وألفة في البيت، ونظاما للملك، امتازت به الأمم التي دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه»[1].

وبعد هذا الحديث عن تميز الإسلام، ومن ثم نموذجه الحضاري، عن النموذج الغربي في المرجعية والتحديث.. يدعو الشيخ محمد عبده تيار التقليد للغرب إلى الإقلاع عن محاولاتهم.. «فالمدنية العربية غير صالحة للإنبات في «التربة» الإسلامية.. والإسلام هو السبيل الوحيد للإصلاح في أمة الإسلام وبلاد المسلمين.. ذلك لأن نفوسهم قد أشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعا فيها، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التي أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه. وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التي يسمونها أدبية، من عهد محمد علي إلى اليوم.. فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فسادا. وإن قيل إن لهم شيئا من المعلومات، فما لم تكن معارفهم وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم.. إن سبيل الدين، لمريد الإصلاح في المسلمين، سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا. وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم في غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟»[2].

- يتبع -

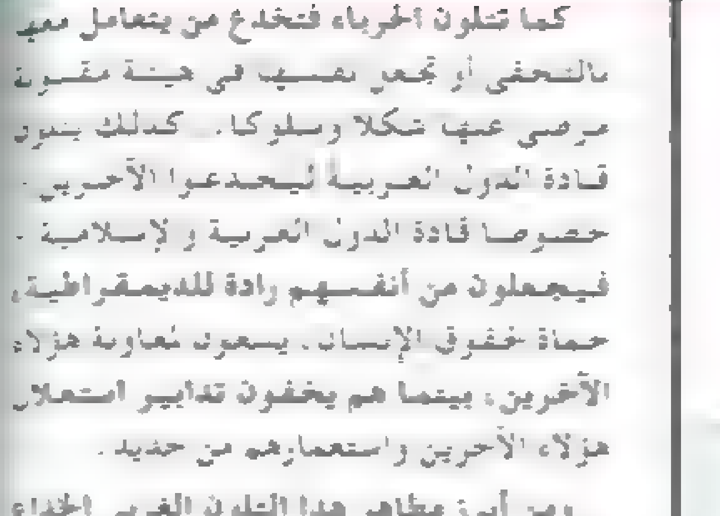
---

(١) المصدر السابق ص١١٣، ١٩٢- ١٩٩.

(٢) المصدر السابق جـ٣ ص١١٣، ٢٤٨.







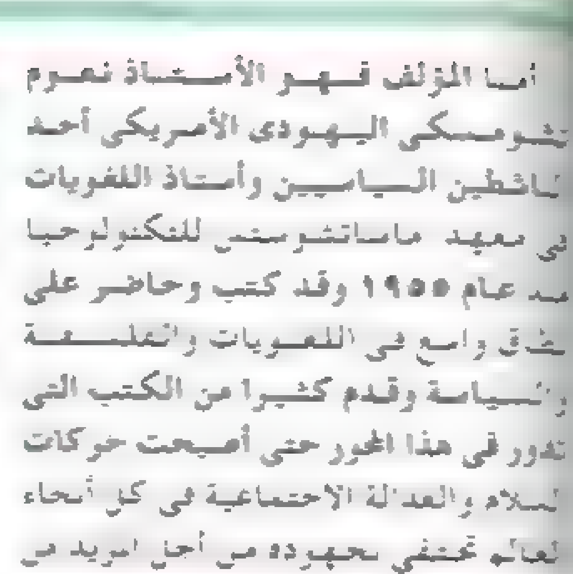
كما تتلون الحرباء فتخدع من يتعامل معها بالتخفي أو تجعل نفسها في هيئة مقبولة مرضي عنها شكلا وسلوكا.. كذلك يبدو قادة الدول الغربية ليخدعوا الآخرين.. خصوصا قادة الدول العربية والإسلامية.. فيجعلون من أنفسهم رادة للديمقراطية، حماة لحقوق الإنسان.. يسعون لمعاونة هؤلاء الآخرين، بينما هم يخفون تدابير استغلال هؤلاء الآخرين واستعمارهم من جديد.

ومن أبرز مظاهر هذا التلون الغربي الخداع في زماننا هذا مشروع الشرق الأوسط الذي تولى الإعلان عنه والترويج له حديثا الرئيس الأمريكي جورج بوش والمتعلقون بأذياله من قادة أوروبا وما لابس هذا المشروع من دعوى محاربة الإرهاب التي جعلها ستارا يحارب من ورائه كل من ينهض لمقاومته من أحرار الأمة.

ولكن بعضا من نور الحقيقة انطلق من أقلام وألسنة طائفة من مفكري الغرب الذين حركتهم نزعاتهم الإنسانية وتوجهاتهم الحيادية لكشف مثل هذا التلون الحربائي.

وعلى هذا الطريق الكاشف قدم ناعوم تشومسكي كتابه «أوهام الشرق الأوسط» الذي نقدمه في سلسلة «كتاب الشهر» لقراء مجلة الأزهر الغراء.

وهذا الكتاب قامت بتعريبه شيرين فهمي لتنشره معربا دار الشروق الدولية بالقاهرة في طبعته الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ويضم تقديما وخمسة فصول.. تشغل تسعا ومائة صفحة من القطع المتوسط.



أما المؤلف فهو الأستاذ نعوم تشومسكي اليهودي الأمريكي أحد الناشطين السياسيين وأستاذ اللغويات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا منذ عام ١٩٥٥ وقد كتب وحاضر على نطاق واسع في اللغويات والفلسفة والسياسة وقدم كثيرا من الكتب التي تدور في هذا المحور حتى أصبحت حركات السلام والعدالة الاجتماعية في كل أنحاء العالم تحتفي بجهوده من أجل المزيد من الديمقراطية.

السلام في الرؤية الامريكية

وقد بدا تشومسكي بكشف ما تعنيه أمريكا بالسلام ففي الفصل الأول «عملية السلام في الاستراتيجية الأمريكية العالمية» قدم من أقوال المسئولين المدعومة بالأهداف الواقعية ما يعرف بالمقاصد الأمريكية من عملية السلام التي لا ينقطع عن التشدق بها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عندما أصبحت الولايات المتحدة هي القوة المهيمنة على العالم.

وكان الحصول على «النفط» والهيمنة على منابعه في مقدمة الدوافع الأمريكية في قراراتهم وسياساتهم وقد بدا ذلك واضحا في عدم اكتفائهم بالسيطرة المطلقة على نصف الكرة الغربي بواسطة وثيقة «مونرو» وسعيهم الخبيث للهيمنة الكاملة على الشرق بفرض وثيقة أخرى مثل وثيقة «مونرو» فقد سعت واشنطن


مونرو

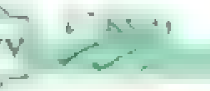
شه بيرلر

إلى مد نموذج «مونرو» إلى مناطق الشرق الأوسط المنتجة للنفط حتى يكون لها الحق المطلق في التصرف كما يحلو لها دون اكتراث بتدخل الأمم المتحدة أو محكمة العدل الدولية أو أي طرف آخر.

وقد تحقق مسعاها في ظل إدارة كلينتون حيث نجحت في تطبيق نموذج «مونرو» في الشرق الأوسط فرأينا (مادلين أولبرايت) عندما كانت سفيرة أمريكا في الأمم المتحدة تقول أمام مجلس الأمن: «إننا نعتبر منطقة الشرق الأوسط ذات أهمية قصوى للمصالح الأمريكية القومية ولذلك لا نعترف بأي حدود أو عراقيل أو حتى بقوانين دولية أو أمم متحدة».

وفي سبيلها إلى ذلك كان على الإدارة الأمريكية أن تحقق ثلاث مهام هي

١ - دفع الشعب الأمريكي إلى الإجماع على (أن الصناعة المتقدمة لا تتحقق إلا بالدعم الحكومي) حتى تتمكن بذلك من تعميم التكاليف والمخاطر على كل الشعب وتخصيص



لسلطة ولترجح لسبيل أحقية تدعم أو قبوله تحت ستار الأمن القومي وبذلك ترفع قيمة الإنفاق الحربي على حساب خفض الدعم الاجتماعي.

٢- إعادة بناء اقتصاد الدول الضعيفة وإعادة تنظيم الاقتصادية للتمكن من السيطرة على الطرق المؤدية إلى منافذ الشرق للوصول إلى آبار النفط السعودي فكان عليها:

• أولاً: أن لا تسمح بقوة كبرى أخرى تهيمن على إيطاليا ولذلك أصبحت إيطاليا هدفاً أساسياً للمخابرات الأمريكية المركزية التي عملت على تقويض الديمقراطية الإيطالية بما قدمته من تمويل للأحزاب السياسية كي تهيمن على مسار الانتخابات على الرغم من عدم مشروعية ذلك في الداخل الأمريكي.

• ثانياً: دعم اليونانيين في التخلص من الحكم الفاشي لتضمن السيطرة كذلك على النفط الشرق أوسطي فقد كانت أمريكا تراه مصدراً هائلاً للقوة الاستراتيجية

• ثالثاً: إعادة المستعمرات السابقة إلى وظيفتها التقليدية المرتكزة على توفير السعادة والرفاهية للنظام الرأسمالي العالمي وهذا جعلها ترى أن خطراً كبيراً يكمن في الدعوة إلى الاقتصاد القوي لقيامه على مبدأ حصر الإفادة من تنمية مصادر الدولة في شعب تلك الدولة.

[illegible]

ولكي يتحقق لأمريكا هذا المقصد تجاهلت كل ما يتعلق بحقوق الإنسان من شن الحروب على أي دولة تعوق مسيرتها الاستعمارية وسفك الدماء وفرض حكومات من رجال البنوك ورجال الأعمال وتجار المخدرات لتضمن بتلك الحكومات تنفيذ إرادتها ولقد بدأت ذلك في فيتنام ثم التزمت به في الشرق الأوسط معتمدة على الفيتو في إجهاض كل المحاولات التحريرية من العرب ومن الفلسطينيين على وجه الخصوص.

وقد استغل الرئيس جورج بوش مناسبة احتلال بنما ليعلن استمراره في مساعدة صديقه وحليفه صدام حسين حرصاً منه على ضمان السيطرة الأمريكية على أغنى المخزونات النفطية في العالم معتمداً على ذلك على إسناد الإدارة الخلفية في واجهة عربية مستقلة عن التوجهات الديكتاتورية التي تعد النموذج المفضل والمحبب على الرغم من سلوكياتها الوحشية وغير الآدمية تحظى مثل هذه الواجهات بالاحترام والحماية مادامت تخدم مصالح الولايات المتحدة في شتى المجالات.

فإذا قامت هذه الحكومات الديكتاتورية تتجنب على أكمل وجه تلقت المكافأة الضخمة من قبل دافع الضرائب الأمريكي الذي لا يعرف شيئاً عما تقدمه هذه الحكومات أو العائلات.

ولأن الواجهات العربية تتسم بالضعف والطاعة كانت معرضة للقلاقل الجماهيرية لدحضية الشعبية في استفادتها من ثرواتها فأصبحت هذه الواجهات في حاجة إلى الحماية مما ألجأ أمريكا إلى فرض رجال شرطة محليين مستعدين لتنفيذ ما يطلب منهم كما وصفتهم إدارة نيكسون مثل إيران في ظل الشاه وتركيا وإسرائيل وباكستان.

[illegible]

وذكر تشومسكي من بين الوسائل التي تبررها الغايات الأمريكية بقاء دولة إسرائيل كما يوضحه الجنرال (شلومو جازيت) الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية في قوله: «إن مهمة إسرائيل الأساسية لم تتغير على الإطلاق فهي باقية على أهميتها وضروريتها الخاصة فموقعها في مركز الشرق الأوسط العربي المسلم يقدر لها أن تكون حارساً للاستقرار في جميع الدول المحيطة بها وذلك يتمثل في حماية الأنظمة القائمة من خلال منع أو وقف العمليات الراديكالية ومنع توسع أي حماس أصولي ديني».

وعلى هذا الطريق بدأ مع سبعينيات القرن العشرين تحالف بين إسرائيل وإيران الشاه حيث شاركا السعودية في إحباط العناصر الراديكالية في دول عربية بعينها ولما سقط الشاه عام ١٩٧٩ تنامت أهمية دور إسرائيل كرجل شرطة في المنطقة.

ولذلك عملت أمريكا على حماية إسرائيل والوقوف مع خضوعها لاستيطانية ضاربة بالقرارات الدولية عرض الحائط عن طريق استخدام حق «الفيتو» كلما ظهر من مجلس الأمن أي اتجاه للوقوف في وجه إسرائيل غير آبهة بتعرضها هي وإسرائيل إلى عزلة دبلوماسية كاملة حتى أصبحت واشنطن في نهاية عام ١٩٨٨ موضع سخرية العالم.

ومع ذلك كله رفضت الولايات المتحدة إعلان مؤتمر فيينا عن حقوق الإنسان في عام ١٩٩٣ الذي نص على أن أي احتلال خارجي يمثل انتهاك حقوق الإنسان وقررت أن الإضرابات في الأراضي المحتلة تعد أعمالاً إرهابية ضد إسرائيل.

ولكي تمكن لإسرائيل في المنطقة أحدثت في تحريك صدام حسين لغزو الكويت عن طريق وزارة الخارجية الأمريكية التي أوضحت لصدام أن واشنطن لن تتدخل في تصحيحه للحدود المتنازع عليها مع الكويت وأرسلت إليه إدارة جورج بوش الأب المعونات للقيام بهذا الدور حتى لقد تحولت إدارة بوش من انسحاب سريع من الكويت حذر منه كولن باول رئيس أركان الجيش حتى لا تفشل الخطة الأمريكية.

ومع ديكتاتورية صدام الباطشة فعلت

أمريكا أن تمكن لوحش بغداد ليحكم قبضته الحديدية على العراق رافضة التحدث مع العراقيين الديمقراطيين قائلة لصدام حسين: «الحال مستتب الآن يمكنك القيام بأى أعمال وحشية» مع دعمه من تركيا وإسرائيل.

ومن هنا صار الطريق مفتوحا أمام الولايات المتحدة لتحقيق مبدأين أساسيين كانت تدعمهما في صمت هما:

- لا للمؤتمرات الدولية
- لا لحق تقرير المصير للفلسطينيين.

وهكذا.. يتضح من السياسة الأمريكية اعتمادها على مبدأ «الفساد المتفشى فى الدول العميلة لا يعد مشكلة كبيرة» كما هو الحال في الدولة الكبرى المموِّلة مادام الناس دون الأهمية يأخذون نصيبهم.

والهيمنة على الفلسطينيين والأكراد

وكان من أبرز وسائلهم الوقحة إغراق الفلسطينيين فى أوهام المؤتمرات من «مؤتمر أوسلو ١» و«أوسلو ٢» إلى مؤتمر «مدريد» حتى جعلوهم يوهمون أنفسهم ويوهمون غيرهم بأن إسرائيل قد ألزمت نفسها بالانسحاب من الأراضى الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس وفق قرار ٢٤٢ أو غيره من القرارات أو بأن الإسرائيليين وافقوا على منح الفلسطينيين السيادة على المياه والاتصالات والنقل أو بأن مبادرة «مدريد» قد تضمنت تطبيق قرارات الأمم المتحدة على فلسطين وتنفيذها أو بأن «مصطلحات المرجع» لعملية السلام يتم تقديمها وعرضها عبر قرار مجلس الأمن ٢٤٢ واتفاقيات أوسلو ومؤتمر مدريد التى تحتفظ بمبدأ «الأرض مقابل السلام».

فالأفعال والوثائق يؤكدان أن كل هذه المقولات ليس فيها شيء من الحقيقة «كما يصرح بذلك الواقع في داخل إسرائيل وفى الشتات الفلسطينى خصوصا بعد رفض كلينتون قرار الأمم المتحدة ١٩٤ الذى تحدث عن المعنى الدقيق للمادة ١٣ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

[illegible]

وفى الفصل الثانى (إمكانيات السلام في الشرق الأوسط) استعرض (تشومسكى) طائفة من التصريحات والأفعال الأمريكية التى تكشف مفهوم السلام عندهم والتى توضح أن السلام الأمريكى شعار يماثل نفق اليربوع أو الثعلب ذا الفتحتين اللتين تمكنانه من الفرار والروغان فإذا طلب من منفذ هرب من المنفذ الآخر.

والقادة الأمريكيون - بسلامهم هذا - ينطلقون على طريق يريهم الأشياء وفق مقاصدهم مع تجنيبهم الوقوف أمام المرآة العقلية التى تريهم حقيقة أنفسهم وما يباشرونه من جرائم استحالة تعقيدها تهيمن عليهم وتقرر أنه لابد من التركيز على جرائم الآخرين وندبها والنواح عليها مع تجاهل جرائمهم هم وإنكارها.

ولكى يحدثوا التأثير المقصود في نفوس الآخرين حاولوا إلى تسليط الأضواء الإنسانية في شتى الأدبيات على جرائم الآخرين مع الإظلام التام على أعمالهم الوحشية المريعة.

وقدم تشومسكي ثلاثة مواطن شرق أوسطية برز فيها هذا النهج الأمريكى مزدوج المعايير هي العراق في علاقة صدام بالشعب وتركيا في موقفها من الأكراد وإسرائيل في تعاملها مع الفلسطينيين.

١- فــفي العــراق.. وضح النهج الأمريكى فى عمليات الإبادة والتدمير للشعب العراقى بحجة تمكين صدام من إحكام قبضته على الشعب العراقي وفق ما جاء في تصريحات (مادلين أولبرايت) فكان مصدر تهديد وقلق للدول المجاورة بما يرتكبه من أفظع الجرائم وأشرسها في ظل التأييد الأمريكى المطلق.

فعلى الرغم من التسليم بأن المعاناة العراقية ليست إلا نتيجة لخطأ صدام الذى لا يرون فيه إلا وحشا ظل صدام هذا صديقا مفضلا وشريكا تجاريا وحليفا للأمريكيين بغض النظر عن هذه الوحشية الشرسة الصارخة.

٢- وفى سبيل تخلص أمريكا من الأكراد الذين تلمس فيهم صلابة المقاومة أعانت حليفها الاستراتيجى تركيا لتقوم بذلك الدور وظلت تلك المعونات فى التنامى حتى زادت عام ١٩٩٧ عن جميع ما قدمته أمريكا فى المدة من ١٩٥٠ إلى ١٩٨٣.

وبهذه المعونات قتل من الأكراد عشرات الآلاف ودمر ثلاثة آلاف وخمسمائة قرية كردية وهرب نحو ثلاثة ملايين لاجئ تصنع أمريكا كل هذا تحت شعار «المبادئ والمثل والسعى للدفاع عن حقوق الإنسان».

٣- وبالنسبة للإسرائيليين فإن الأمر أكثر وضوحا فلما ذهب شارون مع حوالى ألف جندى لاقتحام المسجد الأقصى فى ٢٩ من سبتمبر سنة ٢٠٠٠ لم يبد من الأمريكيين أى تعليق وحين هبت «انتفاضة الأقصى» بسبب ذلك الاقتحام جاء رد الفعل الأمريكى سريعاً متمثلاً فى مقولة السفير الأمريكى «مارتين إنديك» «نحن لا نؤمن بمكافأة العنف» فقامت الطائرات الأمريكية يقودها الإسرائيليون بتصعيد العنف قتلا وتدميرا طوال شهر أكتوبر ثم تحولت فى شهر نوفمبر لاستهداف الرموز السياسية واغتيالها على الرغم من إصدار تقرير من منظمة العفو الدولية يلزم أمريكا بعدم إرسال طائرات عسكرية إلى إسرائيل تحت هذه الظروف ولكن وزارة الدفاع الأمريكية - فى تحد لهذا التقرير أبرمت اتفاقية تقضى بصفقة قيمتها نصف مليون دولار لإرسال طائرات الأباتشى الهجومية لإسرائيل.

وعلى الرغم من اطلاع المكاتب الإعلامية على هذا لم يرغب واحد أن يطلع قراءه على شيء من ذلك.

يتبع

بين الصحف  المجلات

إعـــداد

محمود الفشني

علا عبد الرحمن

الشريعة وصلت بريطانيا!

تحت هذا العنوان كـتب الأسـتاذ/ حـازم عـبـد الرحـمن في جـريدة الأهرام الصـادرة في ٢٠٠٨/٢/١٧ يقول:

أدلي أسقف كنيسة إنجلترا بتصريحات مهمة حول الشريعة الإسلامية، واقترح ضرورة النظر في إمكان تطبيق جوانب منها على المسلمين المقيمين في بريطانيا.. والمهم في هذه التصريحات، ليس دلالتها المباشرة فقط، بل سعيها إلى هدم الصورة النمطية التي يجرى تكوينها في بريطانيا عن الإسلام والمسلمين، وكيف أنها أثارت ردود فعل قوية وثورية من فئات مختلفة في المجتمع البريطاني.

جاءت تصريحات روان ويليامز، أسقف كانتربري. فالرجل يعلم جيدا أن كل ما يراه حوله، وأمامه سواء في جانب المسلمين، أو في جانب الغالبية العظمى من البريطانيين، هو سياسة، وتقاليد اجتماعية، وتراث، لا شأن للدين الإسلامي به، بل إنه يرى في صميم وجدانه، أن هذه الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين هي صورة ظالمة، وخطيرة ويجب تغييرها.

وأهم ما يحتم هذا التغيير، هو أنه خلال السنوات الأخيرة، حدث تزايد أعداد المسلمين الذين يتحدرون، ليس من بريطانيا وحدها، بل من كل دول أوروبا، وأمريكا الشمالية، مستقرا دائما لهم لأسباب لا تحصى، وهو يدرك تماما أن هذا التزايد السكاني يفيد المجتمعات الغربية بخبرات وكفاءات نادرة هي في مسيس الحاجة إليها.

والآن.. كيف يتم التعامل مع هؤلاء؟

الأسلوب التقليدي القائم على أساس التعامل باستعلاء، وحصر أو عزل الوافدين في أحياء معينة، لن يكفي. ففي العمل، والمواصلات، والمطاعم، ودور السينما والمسارح والمتنزهات، وفي الانتخابات.. في كل هذه المجالات يختلط الجميع معا. وليس من الطبيعي، ولا من المقبول، ولا من الإنسانية في شيء، أن ينظر الجار إلى جاره على أنه أقل منه أو دونه، أو يزدريه ويحتقره. ففي مثل هذه الظروف ستتكون في وجدان هذا الجار نوازع العنف والتطرف والرغبة في القتال.

ولا يمكن تخيل أن هذه الأعداد ستتوقف عن التزايد.. إذن فتأثير هؤلاء لابد من الاعتراف به.. وأبسط أشكال هذا التأثير على الأقل، هو أن تبدأ دول غرب أوروبا، وأمريكا الشمالية، في التعامل معهم، وفقا لعقائدهم وأديانهم، وبذلك توفر لهم طريقة جاذبة للاندماج في المجتمع. فليس يكفي الاندماج عن طريق العمل، والنشاط اليومي والسياسي بل لابد من الانفتاح عليهم في القضايا الوجدانية. قضايا القيم العميقة التي تؤثر فيهم. هذا هو جوهر محاولة أسقف كانتربري، عندما قال، أو اقترح، أنه يعتقد أن تنظيم الزواج بين المسلمين في بريطانيا مثلا عن طريق الشريعة الإسلامية. هو أمر في مصلحة المجتمع البريطاني كله.

وعلى الرغم من أن أغلب ردود الفعل كانت سلبية، إلا أننا علينا أن نميز بين موقفين. في غاية الأهمية: الأول: موقف رئيس الوزراء جوردون براون. فقد قال المتحدث باسمه أنه يعترف بأن ما قاله الأسقف، يكشف عن شجاعة وبصيرة عميقة لدى روان ويليامز، ولكنه في الوقت نفسه، لا يقبل بوجود قوانين موازية غير بريطانية تطبق على جزء من الناس دون الآخرين، وبذلك يصبح فيها نظامان قانونيان.

أما الموقف، فهو موقف المجمع المقدس للكنيسة الإنجيليكانية الذي أيد بالكامل موقف الأسقف. وامتدح شجاعته في الجهر برأي صدم الكثيرين، ولكن من سوى أسقف إنجلترا يستطيع أن يجهر بما لا يستطيع أحد سواه أن يجهر به؟!.

القضية شائكة، وشديدة التعقيد، ولكنها تكشف في الجانب المهم منها، عن أن الهجرات الأجنبية إلى الدول الأوروبية، والأمريكية، ليست مجرد أعداد من الناس، ولكنها ستؤثر في قوانين وثقافات هذه المجتمعات.

دعوة للعقل

كتب الأستاذ/ السيد عبدالرءوف في مقاله الأسبوعي بجريدة عقيدتي الصادرة في ٢٠٠٨/٢/١٩ عن إعادة نشر الصحف الدانماركية للرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم ووصفها بأنها جريمة وتحدث عن تفاوت ردود أفعال الدول الإسلامية ومدى التعالي والصلف الذي قابل به رئيس الوزراء الدانماركي سفراء الدول الإسلامية عندما نشرت الرسوم لأول مرة، ثم تحدث الكاتب عما يجب فعله من وجهة نظره قائلا:

إننا إذا افترضنا وجود مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين ــ وهي موجودة بالفعل ــ فإن السؤال الذي يجب علينا أن نجيبه هو: وماذا

لعل مواجهة هذه المرة؛ إن مظاهرات التي يقوم بها الألوف من المسلمين في مختلف أنحاء العالم لا تكفي للضغط على الحكومات ومؤسسات الرأي في البلاد الغربية ومواجهة اللوبيات الصهيونية فيها.. ولكن هناك سبلاً كثيرة لعل أهمها من وجهة نظري:

●● تكاتف جهود الحكومات والمنظمات الأهلية الإسلامية للضغط من أجل استصدار قرار دولي واضح وصريح يلزم بتجريم ازدراء الأديان والرموز الدينية.

●● التعامل مع الدول بلغة المصالح هي لغة لا تعترف بالعواطف أو المشاعر والتجربة الدنماركية السابقة مجرد نموذج لما يمكن أن تحققه الضغوط الاقتصادية.

●● قيام المؤسسات العلمية والثقافية والإعلامية بفتح القنوات وبناء جسور التواصل مع نظيراتها في البلاد الأوروبية لإدارة حوار ثقافي حضاري للوصول إلى اتفاق على مبدأ احترام ثقافة الآخر وحضارته والاعتراف بقيمة وأهمية التنوع في الارتقاء بحياة البشر.

ليس مطلوباً أن نهيج في كل مرة تحدث فيها إساءة أو إهانة للإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ثم سرعان ما نهدأ ويتحول غضبنا إلى زوبعة في فنجان ويعود أعداء الإسلام لممارسة جرائمهم ضده وضدنا ومطلوب أن تكون لدينا رؤية وخطة لتحسين واقع الدول الإسلامية فإنه لا يستقيم الظل والعود أعوج وعلينا أن يكون لدينا رؤية وخطة للدفاع عن الإسلام وإخراجه من دائرة الاتهام. وهذه مهمة مشتركة للحكومات ومنظمات المجتمع المدني والعلماء.

الحملة المسمومة.. والحرب على الإسلام

في جريدة الإسبوع بعددها الصادر ٢٠٠٨/٢/١٦ قال الأستاذ/ مصطفى بكرى في الصفحة الأولى قائلا:

أعادت الصحف الدانماركية (١٧ صحيفة) نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، لتعيد بذلك السيناريو القبيح لهذه الرسوم التي سبق أن نشرتها صحيفة «يولاندس بوسطن» الدانماركية في سبتمبر ٢٠٠٥.

يومها ثار العالم الإسلامي، وانطلقت المظاهرات وحملة المقاطعة والشجب والإدانات، غير أنه سرعان ما هدأت الأوضاع، وتوقفت المقاطعة، رغم أن حكومة الدانمارك لم تتدخل وتعاقب الرسام الدانماركي «فيستر جارد» الذي شارك في التطاول على الإسلام ورسولنا الكريم.

كانت الحجة هذه المرة هي أن الشرطة الدانماركية اعتقلت مهاجرين تونسيين وآخر دانماركي من أصول مغربية اشتبهت في أنهم كانوا يخططون لقتل «مستر جارد» الذي هو واحد من ١٢ رساما كاريكاتير شاركوا في الرسوم المسيئة لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

والحقيقة أن ما قامت به الصحف الدانماركية من إعادة نشر هذه الصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم أمر لا يمكن فهمه وتبريره. إلا في إطار أنها حملة تستهدف الإسلام والمسلمين وتحرض على اختراق الحرمات وتتعمد الإساءة للرسول عليه الصلاة والسلام.

إن كافة الحجج التي تسوقها هذه الصحف لتبرير النشر هي حجج واهية. والأكاذيب من صناعة استخباراتية. فالأمر مجرد شبهات. لا ترقى إلى الحقيقة حتى الآن. وحتى لو كانت هناك جريمة حقيقية. فلا يجب أن يعطي ذلك مبررا لهذه الصحف لإعادة نشر هذه الرسوم المسيئة.

لقد تجاوزت هذه الصحف وغيرها من وسائل الإعلام وجهات حكومية وشعبية غربية عديدة كافة الحدود في تعاملها مع الإسلام والمسلمين، تطاولوا، وأحرقوا المساجد، واعتدوا على المقدسات، ومنعوا الحجاب وحرموا النقاب، ومزقوا القرآن، وأنتجوا الأفلام التي تسيء إليه.

لم يتركوا شيئا في الدانمارك أو النرويج أو فرنسا أو هولندا، وحتى في النمسا أصدر المسئولون في إحدى ولاياتها قرارا بحظر بناء المساجد في هذا الإقليم، وأعدوا لذلك قانونا خاصا حتى أن «هايدر» زعيم حزب التحالف من أجل مستقبل النمسا قال: «إننا يجب أن نعارض إقامة مساجد ومآذن كمراكز للإعلان عن قوة الإسلام».

وفي هولندا أنتج أحد النواب فيلما يتعمد فيه الإساءة إلى القرآن وتمزيقه وإطلاق الادعاءات الكاذبة من حوله، وهدد بأنه سيعرض هذا الفيلم التسجيلي في كافة وسائل الإعلام. غير أن الحكومة الهولندية راحت تردد ذات الادعاءات حول الحرية وعدم قدرتها على التدخل ومنع الفيلم المهين. إذن هي حرب تشن على الإسلام. حرب تتعمد الإساءة وتطلق صيحات المكارثية الجديدة في مواجهة المسلمين، وهي حرب تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن حديث الغرب عن الحرية وحقوق الإنسان مجرد أكاذيب ودعايات رخيصة.

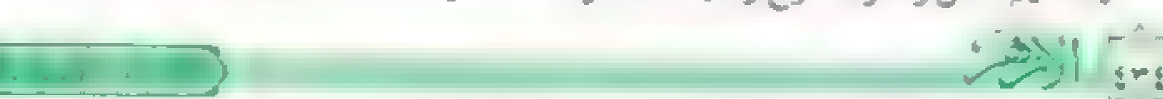
إن الحرية التي يتباهى بها الغرب تعني حرية الاستعباد وإهدار آدمية الآخر، تعني الإساءة للأديان والمقدسات، وتحريم العبادة والشعائر الدينية بل والتدخل في شئون بلداننا العربية والإسلامية تارة تحت شعار بحث سبل مقاومة الإرهاب، وتارة تحت شعار تجديد الخطاب الديني وهلم جرا.

نعم الأمة مستهدفة. في عقيدتها. ورموزها، وتاريخها، وحضارتها، وأمنها، واستقرارها، وحدودها وشعوبها، غير أن الأمة غائبة عن الوعي، وإذا تحركت وانتفضت فهي انتفاضة مؤقتة سرعان ما تهدأ وتتوارى خجلا، وكأن شيئا لم يحدث.

الصور لثالث مرة!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ هشام عبدالرءوف في جريدة المساء الصادرة في ٢٠٠٨/٢/٢١ يقول:

أمر غريب حقا أن يتعرض المسلمون لاتهامات بالتعصب لأنهم ثاروا على إقدام



صحيفة دانمركية على نشر صور تسيء إلى رسولهم الكريم.

الأمر في البداية يثير أكثر من تساؤل حول توقيت النشر.. فتلك المرة الثالثة التي تنشر فيها تلك الصور أو الرسومات.

فبعد نشرها لأول مرة وبعد أن هدأ الغضب الذي ثار في العالم الإسلامي أعادت الصحيفة نشرها للمرة الثانية وهو ما تكرر في المرة الثالثة بمعنى إذن واضح لا لبس فيه ولا جدال وهو أن السلبية والتجاهل إزاء هذه الإساءات يحلان المشكلة.. لأن الجهات التي وراءها سوف تتمادى وإذا كان أصحاب الصحيفة التي نشرت الرسوم المسيئة يحتجون بحرية الرأي وتساندهم حكومة الدانمارك في ذلك فإننا نتحداهم أن ينشروا آراء تشكك في أكذوبة المحارق النازية التي فرضها اليهود على العالم.. ولا نقول تكذبها.

وقتها سوف تغلق الصحيفة ويشرد محرروها ولن تقف بجوارهم حكومتهم التي تدافع عن حرية الرأي.

ولعلنا نذكر الحكم الذي أصدرته محكمة نمساوية منذ فترة على المحامية «أرست سوندل» بالسجن لمدة ثلاثة أعوام ونصف العام ومنعها من ممارسة المحاماة خمس سنوات أخرى بسبب إنكار محارق النازية وجاء هذا الحكم بعد ٣ سنوات من إدانة مواطن ألماني آخر كانت المحامية تدافع عنه خلال محاكمته بتهمة إنكار المحارق وقد أدين المواطن وصدر عليه حكم بالسجن خمسة أعوام.

من هنا فإن غضب المسلمين له ما يبرره.. ومن غير المعقول أن يكون هذا الغضب من حق اليهود فقط أما التجاهل.. فلا يحل المشاكل على الإطلاق لأن هناك من يهتم بإشعال النار ليحقق أغراضه.

العداء للإسلام.. ليس طريق النجاح

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عبداللطيف فايد في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠٠٨/٢/٢٣ يقول:

يظن الإعلام الدانمركي أنه ينتصر على الإسلام حينما يترك الهجوم عليه يستشري في بعض صحفه. وهو ظن خاطئ، وينم عن المسئولية الإعلامية هناك بعدم المعرفة للحقائق التاريخية في مسيرة الإسلام بالإضافة إلى الحقائق التي تحفل بها عقيدة الإسلام. فالهجوم الإعلامي الدانماركي على الإسلام ليس الأول من نوعه قديما وحديثا. فقد بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين الخاتم وهو يتعرض للهجوم من هنا وهناك. ويتعرض رسوله لهذا الهجوم نفسه. إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم ما في صدور الذين يعادون رسالته ويطلب لهم الهداية والرشاد من ربه سبحانه. وحينما اشتد أذاهم له إلى الدرجة التي لا يطيقها بشر بعث الله إليه أمين الوحي جبريل عليه السلام يطلب رأيه في الانتقام منهم وإطباق جبال مكة عليهم حتى يهلكوا ويستريح من شرورهم فكان موقفه إنسانيا إلى أبعد الحدود لأنه يدرك عدم معرفتهم بحقائق الإسلام الذي يدعوهم إليه، وقال قولته العظيمة في التسامح وطلب الهداية من الله لهم «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

والتاريخ يحفظ رسالة الإسلام بحفظ الله للقرآن والسنة ففي شأن القرآن قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

إن محاولات الإعلام الدانمركي وسكوت سلطات بلاده عليها لن تضر بالإسلام. فقد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرنا وهو يزداد مع الزمان قوة ويكثر أتباعه. ويتضاعف الدارسون له أفرادا وجماعات. ولم تفلح محاولات المستشرقين في مختلف عهودهم في تشويه صورته النقية. بل إن منهم من أنصف الإسلام واعتنقه ودعا إلى اعتناقه. كذلك لم تفلح محاولات إكراه أهله على تركه بتطبيق المذاهب الملحدة على حياتهم. والدليل على ذلك أن الشيوعية حينما انكشف زيفها للعالم كله عادت شعوب المسلمين التي كانت خاضعة لها لبناء شخصيتها الإسلامية وحفظ الكثير من أفرادها للقرآن الكريم. وافتتحوا المدارس الإسلامية لأبنائهم. وإن جامعة الأزهر مبارك شاهد صدق على تطوير التعليم المعاد للإسلام إلى التعليم العالي الذي يتجاوز التلقين إلى البحث العلمي طبقا لقواعده التي استفادت من المناهج العلمية لعلماء المسلمين.

إن لم تفرط في تحميله الغضب من هذا التشويه لحقائق الإسلام. فهي محاولة فاشلة عاصرت منذ بدء نبوته. وقد كتب الله عليها الفشل. وفشلها ثم مثلها كان لها من بعدها. ولذلك فإن من واجب المسلمين أن يطلبوا من إعلام الدانمارك فتح باب للمناقشة العلمية حول هذا الاتجاه الذي يحاول تشويهه. والهيئات الإسلامية ممثلة للمسلمين جديرة بإظهار الحق لدى من يحاول إعلام الدانمارك تشويهه ليكسبوا هذا الإعلام إلى جانبهم، لأنه ليس من خلق الإسلام أن يعادي المنظمات التي تقف في معسكرات التشويه له. لأن من خلقه أن يهديها إلى الصواب حتى تعرف الطريق الصحيح.

لماذا يصر الإعلام الدانمركي على الإساءة للمسلمين؟!

تحت هذا العنوان كتب محرر رأى الأهرام في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٨/٢/٢١ يقول:

من جديد تصر وسائل الإعلام الدانمركية على الإساءة لمشاعر ومقدسات ملايين المسلمين في جميع أنحاء العالم. في خطوة لا تبدو عليها ملامح العقلانية. أو ما يقال عن أنه حرية الفكر والتعبير. حتى يبدو للمرء أن ثمة خطة وضعت بعناية ثم تدبيرها بكل دهاء وخبث لاستفزاز مشاعر المسلمين وإثارة غضبهم. وربما دفعهم أو دفع بعضهم لارتكاب حماقات تؤكد المقولات النمطية التي يرددها الغرب دوما عن الإسلام والمسلمين ومنها مثلا: الإرهاب والعنف.

وبفقض الآخر أو الحوار مع الآخر!

فبعد أن هدأت أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، وما صاحبها من مظاهرات احتجاج واسعة في أنحاء العالم، عادت وسائل الإعلام الدنماركية إلى تكرار الإساءة لمشاعر ومقدسات المسلمين من خلال إعادة نشر هذه الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول الكريم. وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن المسألة ليست عشوائية وربما لا علاقة لها بحرية التعبير والرأى، وأن ثمة إصرارا من البعض في الغرب على الإساءة لمشاعر المسلمين وإثارة غضبهم بشكل يكاد يكون مقصودا في حد ذاته.

وقد جاء رد فعل مصر قويا على تكرار هذه المحاولات من جانب وسائل الإعلام الدنماركية، حيث استدعت وزارة الخارجية المصرية سفير [illegible] بالقاهرة، وعبرت له عن رفض مصر محاولات الإعلام الدانماركى تكرار الإساءة لمشاعر ومقدسات المسلمين في جميع أنحاء العالم، وقد كان المتحدث باسم الخارجية صائبا تماما عندما قال: إنه من المؤسف إصرار وسائل الإعلام في الدانمارك على إعادة محاولة الإساءة إلى الدين الإسلامي، وذلك بعد أن كانت أزمة نشر هذه الرسوم الكاريكاتورية المسيئة قد أكدت بما لا يدع مجالا للشك أن مثل هذه الأفعال المشينة لا تؤدى إلا إلى المزيد من التوتر والاحتقان.

مجرد اجتهاد

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمد الزرقانى فى جريدة اللواء الإسلامى الصادرة فى ٢٠٠٨/٢/٢١ يقول فيه:

●● هل صحيح أن إعادة الصحف الدانماركية ـ وبعض الصحف الأخرى في أوروبا ـ نشر الرسوم الكاريكاتورية القذرة التي تسيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت بسبب ما يدعون أنه محاولة لاغتيال الرسام صاحب تلك الرسوم التي نشرت لأول مرة منذ أكثر من عامين؟.

بالطبع لا، وإنما المؤكد أنه تم الادعاء بوجود هذه المؤامرة المزعومة، حتى يتسنى لهم الرد عليها بإعادة نشر تلك الرسوم.. وهو ما يؤكد حقدهم وغلهم وغيظهم من الإسلام الذى يعرفون قيمته وقدرته على الانتشار في بلادهم، فهو الدين القيم، وهو الدين القائم على الحرية وإعلاء قيمة الإنسان، ورفضه لما يؤمنون به من فجور ومادية مقيتة، وليس هناك ـ في رأيهم ـ ما هو أغلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المسلمين لكى يسيئوا إليه، معتقدين أنهم بذلك يسيئون للإسلام ويحدون من قدرته على الانتشار والانتصار، وهى القدرة التي يدركونها تماما، بالرغم من أن الظواهر قد لا تدل على ذلك، بسبب تدنى أحوال المسلمين.. ولكنهم - في الغرب - يدركون أن هذا التدنى هو أمر مؤقت، وأن الإسلام ـ بإذن الله سبحانه وتعالى ـ قادم لا محالة.

أمة القرآن!

شعر/ السيد الصديق حافظ

[illegible]

[illegible] الله منك اليوم أدنى من ذراع

قد [illegible] يخشى موزها كل الــبقاع

[illegible]

[illegible] ما عن بقينى وقناع

[illegible]

• • •

أمــة القرآن [illegible] خير أمة!

أمة الصديق والفاروق [illegible]

أمة [illegible] الجيش معقود [illegible]

هل لهم مثل بلال أو صهيب أو سمية

[illegible]

[illegible]

• • •

[illegible]

في [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأسلاك للعلو ولم يخضع لملك

[illegible]

• • •

[illegible]

[illegible] عن تلك القوى الرعناء [illegible]

[illegible] وجه الجهاد الحق في [illegible]

[illegible]

[illegible] التكبير والتهليل للأمر المطاع

[illegible]

• • •

[illegible]

وعلمنا أن حزب الكفر هو خير المناصر!

واليهود اليوم كالأمس وباء غير قاصر!

هو مع الأشرار حزب [illegible] الأواصر!

[illegible]

[illegible] لا تخشون إلا بخشى القاصر!

• • •

[illegible]

[illegible] الأحرار و[illegible] الخراثر!

[illegible] الروابى فاستثيرت همم الخطائر!

[illegible] لها [illegible] والقاهر!

[illegible] من [illegible]

إذ يطل ليل الأسى فانفجرت بالبشائر!

• • •

لا تراعى أمة القرآن [illegible] لا تراعى!

[illegible] بأولاد الأفاعى!

[illegible] على [illegible] الطباع؟

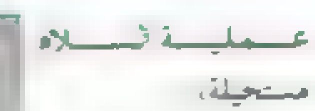
إنما [illegible] تطويع لإذلال [illegible]!

[illegible]

[illegible]

الحصار الإسرائيلي ومشروع غزة الكبرى!!

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد



من المعروف لكل متابع لتطورات القضية الفلسطينية أن قطاع غزة تم إخلاؤه عسكريا واستيطانيا في سبتمبر ٢٠٠٥ من جانب واحد تحت ذريعة عدم وجود شريك فلسطيني صالح للتفاوض مع إسرائيل. وعلى الرغم من انسحاب القوات الإسرائيلية من القطاع فقد ظلت تسيطر عليه برا وجويا وبحريا. وحقيقة أن الحصار الإسرائيلي المحكم على قطاع غزة، لم يبدأ منذ سقوط القطاع في أيدي حماس في الرابع عشر من يونيو ٢٠٠٧ بل بعد أن نجحت حركة حماس في الانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٦ وصعودها إلى سلطة الحكم وتشكيلها حكومة حماسوية. من هنا كان تعاون إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في تنظيم حملة عالمية لمحاصرة حكومة حماس من أجل تجويع الشعب الفلسطيني عقابا له على اختياره حماس للحكم. ومنذ اللحظة الأولى التي سيطرت فيها حماس على قطاع غزة بما فيها المعابر في ١٤ يونيو ٢٠٠٧ كان من الواضح وقف العمل باتفاقية المعابر التي عقدتها السلطة الفلسطينية مع إسرائيل والمجموعة الأوروبية، إذ تقضي هذه الاتفاقية بتسلم الجانب الفلسطيني هذه المعابر من خلال قوات حرس الرئاسة كما كان جليا أيضا أن استبدال حرس الرئاسة بقوات حماس، سيكون ذريعة لإسرائيل لإغلاق هذه المعابر وهو ما حدث بالفعل. فقد أغلقت الدولة العبرية علاقتها، وإحكام حصار خانق حول قطاع غزة أدى بدوره، إلى تدفق الآلاف الفلسطينيين من القطاع إلى الحدود المصرية عبر معبر رفح الحدودي للحصول على احتياجاتهم من الغذاء والدواء والوقود. ونقدير الظروف الصعبة التي يعيشها سكان غزة فتحت مصر بوابات معبر رفح أمام الآلاف الزاحفة وتركتهم يعبرون منها هربا من جحيم الحصار والتجويع. أو كما يقول البعض فرارا من الخلاف الفلسطيني الفلسطيني الذي مزق عرى الوحدة الوطنية الفلسطينية وأساء إلى القضية الفلسطينية.

وفي هذا السياق يرى البعض أن إسرائيل هي التي مهدت الأرض وفتحت كل المنافذ لتصدير أزمة الحصار إلى الجانب المصري الذي تحمل بسبب ذلك خطورتين:

- **الأولى:** ما يشكله هذا العبور المنفلت من متاعب أمنية.
- **والثانية:** غضب أمريكي وأوروبي بتحريض إسرائيلي لفتح مصر رفح أمام الموجات البشرية الجائعة من جراء الحصار الصهيوني المميت.

ومن هنا اتخذت مصر حزمة من الإجراءات، شملت:

- **أولا:** قبول فتح الحدود مؤقتا بطريقة عفوية، للسماح لمواطني غزة بالتزود بكل احتياجاتهم التي حرمهم منها الاحتلال الصهيوني.
- **وثانيا:** التوجه إلى تنظيم عملية العبور الفلسطيني من وإلى الأراضي المصرية بالتنسيق مع الأطراف المعنية على أساس مبدأ حق الدولة في حماية حدودها، مع المعبر.
- **وثالثا:** الدعوة إلى الحوار بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس. لتوحيد الصف الفلسطيني.

واللافت أن الرئيس «محمود عباس» أعرب يوم الخميس ٢٤ يناير ٢٠٠٨ عن قلقه من اعتماد إسرائيل على فصل قطاع غزة عن الأراضي الفلسطينية في الضفة، مستغلة الأوضاع الحالية التي توترت فيها الحدود بين مصر والقطاع قائلا: «إن هذا يصب في مصلحة إسرائيل في تقسيم الوطن وشطره عن بعضه بعضا من أجل أن تصبح عملية السلام مستحيلة».





وفي هذا الصدد قال «ماتان فلنائي» نائب وزير الدفاع الإسرائيلي «إن على إسرائيل أن تستغل الأوضاع الحالية في قطاع غزة وتلحقه بمصر». وهكذا يكشف نائب وزير الدفاع الإسرائيلي بصراحة عن مخطط إسرائيلي لإلحاق قطاع غزة بمصر، بعد حصار شديد على القطاع. وفي الحقيقة أن فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية يمثل أحد السيناريوهات التي وضعتها الدولة العبرية للتعامل مع المشكلة الأمنية في القطاع الذي انسحبت منه في سبتمبر ٢٠٠٥ من جانب واحد والمطالبة بعزله خلف ستار حديدي وإجبار مصر من خلال إحكام الحصار عليه على تزويده بحاجاته من الوقود والمواد الغذائية والأدوية. وصولا إلى مرحلة تضطر فيها الدولة المصرية إلى ضمه في النهاية.

ويذهب البعض إلى أن حلا من هذا النوع سيسهل على إسرائيل من طرح «الخيار الأردني» في

الضفة الغربية وإلحاقها بالأردن بعد ضم جزء حيوي منها «للمستعمرات الكبرى» إلى الدولة الصهيونية، لتصبح الحدود الدائمة هي بينها وبين كل من مصر والأردن فقط بدلا من حدود الدولة الفلسطينية الموعودة، وبذلك تضيع القضية الفلسطينية.

وهنا يتحدث موسى أبو مرزوق عضو المكتب السياسي في حماس فيقول: «إن إسرائيل باتت تتحدث عن فك الارتباط مع غزة أي عدم تزويدها بأي شيء من جانبها. وقد يجب أن يكون ثمة حوار مع القاهرة لفتح المعبر بطريقة قانونية لأن البديل هو الجانب المصري» وحول فتح الحدود بين مصر وغزة واجتياز آلاف الفلسطينيين من أهالي غزة للحدود المصرية بصورة منفلتة قال «صائب عريقات» رئيس دائرة شئون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية «إن المسئولية تقع على عاتق الاحتلال الإسرائيلي وما جرى كان المقصود منه إحراج مصر».. وأضاف «عريقات» أن إسرائيل تضغط باتجاه أن يبقى معبر رفح مغلقا، وتحاول أن تدفع نحو جعل قطاع غزة تحت مسئولية مصرية كاملة وأن تفصل بين القطاع والضفة الغربية إلى الأبد وهذا هو أخطر ما يواجه القضية الوطنية الآن. وفي هذا المقام أعربت القيادة المصرية عن رفضها محاولة الزج بمصر في الخلافات بين الفلسطينيين فقال الرئيس «حسني مبارك» في كلمته يوم ٢٤ / ١ / ٢٠٠٨ خلال الاحتفال بعيد الشرطة:

«إن مصر تعي تماما اعتبارات أمنها القومي ولن تفرط فيها ولن تسمح لأحد أن يقترب منها أو يحاول اختراقها».

وأضاف الرئيس: «أن أحدا لا يملك المزايدة على مصر في دعمها لهذا الشعب الصامد وقضيته العادلة. ونحن نبذل أقصى الجهد في تحركنا واتصالاتنا لإنهاء معاناته ولرفع إجراء العقاب الجماعي الإسرائيلية وعودة إمدادات الوقود، والكهرباء، والمساعدات الإنسانية لقطاع غزة».

تصدير الأزمة إلى مصر

واللافت للنظر أن ثمة ارتياحا إسرائيليا بسبب تصدير أزمة قطاع غزة إلى مصر، وتحميلها المسئولية عن سكانه، وإعفاء إسرائيل منها، كما تتصور فقد صرح نائب وزير الدفاع الإسرائيلي «ماتان فلنائي» أن تحرر إسرائيل من المسئولية عن سكان القطاع قد يكون أحد مزايا الأوضاع الأخيرة. وأضاف «نحن نتوقف عند المسئولية عن القطاع ونحن نريد فك الارتباط عن القطاع، وهذا ما نواصل من خلال رغبتنا بوقف إمداد القطاع بالكهرباء، وليحصل عليها من مكان آخر».

وفي هذا الشأن قال نائب وزير الخارجية الإسرائيلي «مجلي وهبي» إن قرار الرئيس «مبارك» تمكين سكان القطاع من اجتياز الحدود باتجاه سيناء. قد يكون مقدمة لحل، أي لانضمام القطاع إلى مصر لتتحمل المسئولية»

لاشك أن تلك التصريحات الإسرائيلية تؤكد تنصل إسرائيل من مسئوليتها عن الوفاء بواجباتها التي يفرضها عليها القانون الدولي تجاه قطاع غزة المحتل بوصفها دولة الاحتلال وتحاول دحرجة هذه المسئولية إلى مصر، سعيا منها إلى إثارة القلاقل في المنطقة وتعميق الانقسام الفلسطيني الفلسطيني، والفلسطيني المصري، والفلسطيني العربي.

ومن ناحية أخرى يذكر أن مصادر أمنية إسرائيلية أشارت إلى أن «السلطات المصرية بقرارها



أصعب مشهديات الحصار والقصف الوحشي الإسرائيلي

تمكين الفلسطينيين من دخول سيناء. إنما دشنت فك الارتباط الإسرائيلي عن قطاع غزة، وأضافت هذه المصادر أن يوسع المصريين الآن تحمل المسئولية عن القطاع من ناحية المعونات الإنسانية. وأن حكومة حماس ستضطر إلى الاستعانة بالبنى التحتية المصرية. لتزود سكانها بالوقود والأغذية. وسائر الإمدادات. من دون الحاجة إلى الاعتماد على إسرائيل. أو الادعاء أن إسرائيل تفرض حصارا على السكان».

وتتوالى التصريحات الإسرائيلية التي تدعو إلى فصل غزة عن الضفة. وتحميل مصر المسئولية عن قطاع غزة فتقول المعلقة الإسرائيلية في الشئون العربية في صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية «سميدار بيري»: «إن إسرائيل توسلت في الماضي لدى مصر والأردن. بتقاسم المسئولية عن القطاع والضفة. لكن البلدين العربيين رفضتا ذلك حتى جاءت حماس».

كما نقل المعلق العسكري الإسرائيلي في صحيفة «يديعوت أحرونوت» «إليكس فيشمان» عن أوساط أمنية إسرائيلية رضاها عما حدث في معبر رفح. وأن ثمة فرصة رائعة لدحرجة المسئولية عن القطاع إلى أعتاب المصريين ليزودوا القطاع بالأغذية والوقود والكهرباء والماء. وها هو الحلم الإسرائيلي البعيد بالانفصال عن القطاع. يمكن أن يتحقق. ومن ٢٣ / ١ / ٢٠٠٨ بدأ فك الارتباط الحقيقي عن غزة. وأضاف «فيشمان» أن حماس تسببت في فصل تام ونهائي بين اقتصاد القطاع واقتصاد الضفة. لنشوء كيانين منفصلين.

وهكذا يعترف الإسرائيليون بمسئولية حماس عن الانقسام الذي حدث بين الفلسطينيين، ونشوء كيان برأسين. لكنني لا أعفي إسرائيل من مسئولية هذا الانقسام. والسبب واضح للعيان، إذ إنها أحكمت حصارها الخانق على الفلسطينيين في الضفة والقطاع منذ تشكيل حماس منفردة للحكومة، وبعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية بعد اتفاق مكة واعتبار قطاع غزة «كيانا عدوانيا» وبالتالي تكريس هذا الانقسام.

مشروع غزة الكبرى

وفي إطار فك الارتباط الإسرائيلي عن غزة يتحدث «يوسي بيلين» زعيم حزب ميرتس اليساري فيقول: «لقد كان للانفصال (أي عن غزة) فائدتان:

الأولى: أننا أصبحنا نحكم عددا أقل من الفلسطينيين «يقصد سكان الضفة الغربية».

والثانية: أنه أوجد سابقة إخلاء المستوطنات على نطاق واسع جدا.

وبهذين المعنيين حقق الانفصال نجاحا. لكن إذا كان هناك من اعتقد أنه سيؤدي إلى هدوء فالانفصال قد فشل، وإذا كان هناك من اعتقد أنه سيقرب من العملية السياسية فيه يكون الانفصال قد فشل أيضا».

وبهذا التصريح من جانب زعيم حزب ميرتس «يوسي بيلين» يتأكد أن نجاح الانفصال في نظره، يقتضي الانسحاب من الأرض المحتلة في الضفة والقطاع، وإزالة جميع المستوطنات وإعادة الأرض المحتلة إلى أصحابها من عرب فلسطين. وبغير ذلك لن يتحقق السلام والهدوء بين العرب وإسرائيل، فهل تعي دولة الاحتلال العبري ذلك؟

وفي سياق عزل غزة عن الضفة وتكريس فصليهما أشار كبير حاخامات إسرائيل إلى مخطط إسرائيلي بضم جزء من سيناء إلى غزة لتحقيق ما يسمى «مشروع غزة الكبرى»، فقد ذكر هذا الحاخام أنه تداول الأمر مع الحاخامات. ووجدوا أن الحل هو اقتطاع جزء من أرض سيناء، وبناء مدينة عليها وضمها إلى غزة. وقد وصف كبير الحاخامات هذا المشروع بأنه «فكرة رائعة»، من هنا ليس من قبيل المصادفة أن انعقد في مدينة «هرتزليا» الإسرائيلية في السابع عشر من يناير ٢٠٠٨، مؤتمر شارك فيه عدد من الأكاديميين الإسرائيليين، ناقشوا فيه وثيقة تسمى «وثيقة تبادل الأراضي» بين إسرائيل وجاراتها من أجل استقرار السلام، وتتضمن هذه الوثيقة اقتطاع جزء من سيناء، وأجزاء من الأردن ولبنان وسوريا لتوطين الفلسطينيين فيها بدلا من إسرائيل التي ترفض حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم الأصلية عام ١٩٤٨، والهدف هنا في غاية الوضوح وهو أن تبقى إسرائيل دولة للشعب اليهودي فقط دون الفلسطينيين أصحابها الشرعيين، وكما ذكرنا من قبل، فإن تداعيات «حادثة أو أزمة غزة» تعني في نظر كثير من المراقبين، عودة للحديث عن «الخيار الأردني» في الضفة، أي إلحاقه بالأردن. بعد ضم حوالي ٩٠٪ من أراضيها «أي الضفة» إلى الدولة العبرية، وهو ما يعني القضاء على حلم الفلسطينيين بأن تكون لهم دولة مستقلة في الضفة والقطاع.



القتلى والجرحى يسقطون بالعشرات يوميا .. والهدف تدمير القطاع و الحاقه بمصر

إسرائيل تسعى إلى تدمير القضية الفلسطينية

وفي هذا الإطار يذكر المراقبون أن مصر والأردن البلدين الوحيدين المرتبطين بمعاهدتي سلام مع إسرائيل، لن ينجرا إلى سيناريو للتقاسم الوظيفي مع جوارهما المحتل «غزة والضفة» خصوصا أن مصر والأردن لن تقبلا بأي حال من الأحوال إعادة الوضع على ما كان عليه قبل الاحتلال عام ١٩٦٧ حينما كانت غزة تحت الإدارة المصرية والضفة الغربية جزءا من الأردن واللافت أن إسرائيل تسعى إلى تحقيق هذا السيناريو لتدمير القضية الفلسطينية برمتها ويذهب البعض إلى أنه في حال حدوث هذا السيناريو الكارثي بضم غزة إلى مصر، كما تسعى إسرائيل فستجد تل أبيب الفرصة سانحة لإحياء خطة الانسحاب من المدن الفلسطينية في الضفة وستضع الأردن أمام خيارين سبق رفضهما من جانب عمان وهما إما فتح الحدود أمام موجات النزوح على مثال ما حدث في غزة أو أن يتولى الأمن الأردني ضبط الأوضاع في الضفة الغربية

أهمية الدور المصري

ومن جانب آخر يجمع المحللون أن ثمة استياء من جانب مصر بسبب اختراق الحدود المصرية من جانب حركة حماس، إذ ترى مصر في ذلك «خرقا» فاضحا لسيادتها لن تسمح به بعد ذلك ومحاولة لتصدير خلافات الفلسطينية فهي أي مصر لم تستطع التعامل بحسم وقسوة مع أهالي غزة الذين اخترقوا الحدود إلى رفح والعريش والشيخ زويد، طلبا للغذاء والدواء والوقود والسبب هو التعاطف مع الفلسطينيين الذين أحكمت إسرائيل طوق

الحصار حول أعناقهم لإجبارهم على النزوح صوب سيناء. ولكن يبدو أن «حماس» قد فهمت من حيث لا تدري في هذا الوضع المتردي حينما استولت على قطاع غزة بالقوة في الرابع عشر من يونيو ٢٠٠٧ لذلك أصبحت حماس في قفص الاتهام من جانب ثلاثة أطراف:

• **الأول:** السلطة الفلسطينية التي اتهمتها بالانقلاب على الشرعية وتكريس الانقسام بين الفلسطينيين وشق الصف الفلسطيني والإساءة إلى القضية الفلسطينية.

• **والثاني:** إسرائيل وأمريكا وأوروبا الذين اتهموها بالإرهاب منكرين على حماس حق مقاومة المحتل الغاصب.

• **والثالث:** من جانب عدد من الدول العربية الذين اتهموها بالخروج على الشرعية وإضعاف الموقف الفلسطيني.

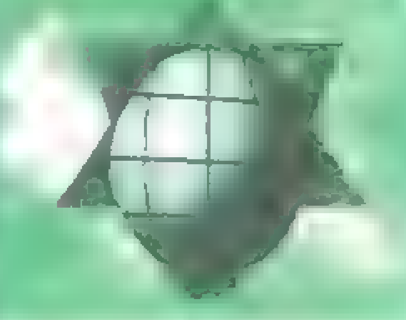
وفي هذا السياق يتحدث الدكتور «جورج جقمان» أستاذ العلوم السياسية ومدير مؤسسة «مواطن» للأبحاث في رام الله حول اختراق معبر رفح فيقول: هنا يجيء مجددا مدى غباء السياسة الإسرائيلية، فالمعبر فتح، ولم يعد بإمكان أحد إغلاقه من جديد «ولقد بدأ بالفعل تعاون حماس مع مصر لغلقه من جديد، وهذا يجعل إسرائيل مضطرة للتعامل مع حقيقة أن حماس في موقع قوة في القطاع، وأضاف: «هنا تظهر أهمية الدور المصري، فإسرائيل وأمريكا لن تقبلا أي دور لحماس في إدارة معبر رفح. ومصر هي الطرف الوحيد القادر على إقناع حماس بموافقة على قيام حكومة «محمود عباس» بإدارة قطاع غزة، وأضاف أيضا «هذا هو الحل الوحيد الذي يبدو ممكنا لأنه يخدم الأطراف الثلاثة، فحماس تضمن إعادة فتح معبر رفح وهذا يخدم حكمها للقطاع والرئيس الفلسطيني «عباس» يضمن عودته لإدارة جزء مهم من غزة ومصر ترتاح من القلق الذي يسببه الحصار والتجويع في غزة».

ويتحدث الكاتب البريطاني الشهير «باتريك سيل» حول السيطرة على معبر رفح والهزيمة النكراء التي نزلت بإسرائيل فيقول: «إنه يجب على مصر أن تفاوض بشأن السيطرة على معبر رفح مع حركة حماس «وينتهي «سيل» إلى القول: لقد تكبدت إسرائيل هزيمة سياسية واستراتيجية نكراء، وارتد عليها العقاب الجماعي الذي أنزلته بشعب عربي بكامله، فلم يستسلم الفلسطينيون وهم مستمرون بالمقاومة، لقد تضررت صورة إسرائيل كثيرا واتهمت سياساتها بالوحشية واللاأخلاقية وبالانتهاك الصارخ للقانون الدولي».

مخطط صهيوني خبيث!!

وفي الختام يمكن القول إنه لابد من «بناء جدار حديدي» على الحدود قادر على الضبط والحماية ومنع التسلل إلا عبر المنافذ الشرعية. لأنه لا يمكن لمصر الواعية أن تسمح بأي حال من الأحوال بما قيل عن فصل غزة عن الضفة وإلحاقه بمصر وإقامة «الوطن البديل» الذي يستهدف سيناء كلها وليس جزءا منها. إذ تمثل سيناء في الرؤية الإسرائيلية والأمريكية حلا للقضية الفلسطينية. لقد كان المخطط الإسرائيلي والإيراني أن يكسر سكان غزة الحصار الخانق عليها والنزوح إلى سيناء المصرية لتكون وطنهم البديل، ولكن هيهات هيهات فإن مصر واعية ومستيقظة لكل هذه المخططات الصهيونية الخبيثة.

قراءة في كتاب



يفترض المعادون لليهود الذين يهاجمون أعضاء الجماعات اليهودية بسبب ما جاء في التلمود، أن كل يهودي قد درس التلمود بعناية فائقة، وأنه يخضع كل حركاته وسكناته لما ورد فيه من تعاليم سلبية. لكن هذا تصور ساذج وتبسيط آلي، فما يحدد سلوك فرد ما، يهودي أو غير يهودي، ليس كتبه الدينية ومثله العليا وحسب وإنما مركب هائل من الأسباب التاريخية (الاقتصادية والاجتماعية) التي تختلف باختلاف الزمان والمكان. ولا يمكن فهم سلوك العرب عندئذ في ضوء ما جاء في تراثهم الديني، أو في ضوء ميثاق جامعة الدول العربية، برغم أهمية كل ذلك في تحديد هذا السلوك. والواقع أن دراسة التلمود مسألة شاقة للغاية تتطلب معرفة بالقراءة والكتابة باللغتين العبرية والآرامية، وهما لغتان ساميتان يصعب على الإنسان غير المتخصص دراستهما في الوقت الحاضر.[1]

والأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج مؤلف كتاب اليهود واليهودية يجيد عدة لغات ولعل هذا ما سهل عليه أمر الكتابة في هذا الموضوع والتصدي للحديث عنه إذ يقول في الفصل السادس من هذا الكتاب ص ١١٩ تحت عنوان التلمود

---

(١) عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية

لفظ التلمود مشتق من لفظ عبرى «LAMAD» ومعناها تعليم، وهو مجموعة من الروايات الشفوية التى كانت تنقل من جيل إلى جيل فى شئون العقيدة والشريعة والتاريخ والسير على ألسنة أحبار اليهود وفقهائهم شرحاً وتفسيراً للتوراة. ثم شروحاً وحواشى لهذه الشروح وهكذا.

وانتقلت هذه الشروح والتفاسير على ألسنة اليهود من جيل إلى جيل. ثم وصلت كتبة الوحى اليهودى وعلمائه، والأحبار والربانيين وذلك فى حدود ٧٠ إلى ٢٢٠ ميلادية.

وكما أسلفنا فإن المؤلف يستشهد بأقوال الغربيين ما وسعه السبيل إلى ذلك فينقل صـ١٢٢ عن «ول ديورانت» أن التلمود «ليس موسوعة فى التاريخ والدين والشعائر والطب والأقاصيص الشعبية فحسب، بل هو فوق هذا كله رسالة فى الزراعة وفلاحة البساتين، والصناعة، والمهن، والتجارة، والسرقة، والمحاكمات القضائية والقوانين الجنائية.. وأول ما نذكره أن التلمود أولاً وقبل كل شىء قانون «أخلاقى يهودى».

ويكاد يتفق العلماء على صعوبة دراسة التلمود ويصل المؤلف إلى نفس الرأى حين يقول: ويعجز الباحث عن فهم التلمود كوحدة كلية ذات موضوعات أساسية تستحق البحث، لأنه يفاجأ بأنها معلقة. ويسوق رأى الدكتور حسن ظاظا الذى يرى: أن الباعث إلى كتابة التلمود كان رغبة اليهود فى عمل كتاب يظل مستغلقاً على غير اليهود. وخلافاً لذلك يقول الدكتور المسيرى «والواقع أن التلمود ليس من الكتب الباطنية أو تلك التى تحيط بها هالة من السرية والغرابة والاخفاء كما يتوهم البعض».

إلا أنه يوجد عداء واضح منذ عهد بعيد ضد التلمود للاعتقاد بأنه يحتوى على الغش والخداع.

وقد تنبه إلى ذلك عدد كبير من الرهبان المسيحيين الذين حضروا مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥ ميلادية بدعوة من الامبراطور قسطنطين. فأشاروا إلى نشاط اليهود وما لهم من حلقات تلمودية، فناشدوا الامبراطور أن يأمر بوقفها.. فصدر مرسوم امبراطورى يلبى هذا الطلب، بحيث ان التلمود أورشليم توقف قبل أن يكتمل. (صـ١٢٢).

وبعدما يقرب من قرنين من الزمان من النكبة التى أصابت تلمود أورشليم اكتملت كل اجزاء التلمود البابلى، ويقع تلمود بابل فى اثنى عشر مجلداً ضخماً

وما أن اكتمل التلمود كما أراده واضعوه حتى تعرض لعدد غير قليل من الأوامر بالإحراق، لما يحتويه من تحريض على الغش والخداع لغير اليهود.

ذكر منها الكاتب اثنتا عشرة مرة فى الفترة من ١٢٤٢ حتى ١٥٥٩ كان الإحراق سنة ١٢٤٢ بأمر الملك لويس التاسع ثم الأمر البابوى عام ١٢٤٨ بمنع تملك التلمود فى فرنسا.

ويعود المؤلف للاستشهاد بأقوال «ول ديورانت» فى قصة الحضارة فى قوله «والله كما يصفه التلمود: إله متصف بصفات البشر فهو يحب ويبغض ويغضب ويضحك. ويبكى ويحس بوخز الضمير. ويلبس التمائم، ويجلس على عرش يحيط به طائفة من الملائكة المختلفى الدرجات يقومون على خدمته، ويدرس التوراة ثلاث مرات كل يوم».

ثم يذكر المؤلف من صـ١٢٨ - صـ١٣٠ عدداً من الشنائع التى أوردها التلمود نقتصر هنا على واحدة إذ يقول:

- جاء فى تلمود «كثوبوث Kethuboth» - الطبعة الثانية بلندن سنة ١٩٣٦م - إذا أجرت امرأة بمالها بعد استئذان زوجها. شخصاً ليتصل بها اتصالاً جنسياً، فليس فى عملها هذا مايشينها، وأما إن كان الشخص المأجور غير يهودى. فعملها مشين، لأن المستعبد فى هذه الحالة غير يهودى».

عقيدة اليهود بين الوثنية والتوحيد

وينتقل المؤلف إلى الفصل السابع من هذا الكتاب فيستهله بقوله صـ١٣٣

«يزعم اليهود - باطلاً - أنهم أول أمة عرفت ديانة التوحيد الذى أخذته عنها الأمم الأخرى، وهذا زعم باطل، لأن الله - سبحانه وتعالى - ماخلق خلقه إلا ما خلقهم إلا من أجل توحيده: توحيد ألوهية، وتوحيد ربوبية وتوحيد عبادة، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الذاريات ٥٦)

ثم يدلل على عكس ادعائهم بأنهم كانوا من الأمم التى حادت عن التوحيد قبل موسى بل وأثناء دعوة موسى عليه السلام فقد انتهزوا فرصة ميقات موسى مع ربه جل شأنه وعبدوا عجلاً من ذهب صنعه السامرى لهم.

وعن تحول اليهود عن التوحيد إلى الوثنية يقول الأستاذ المسيرى «والعقيدة اليهودية. فى إحدى طبقاتها، توحيدية تؤمن بإله واحد يتجاوز المادة، منزه عن مخلوقاته يقف وراء الطبيعة والتاريخ يحركهما، ولا يرد إليهما. ولكن اليهودية مثل تركيب جيولوجى تراكمت داخله عدة طبقات متناقضة. وفى بعض هذه الطبقات، نجد أن اليهودية تأثرت بالتشكيل الحضارى السامى الوثنى.[٦]

وقريبا من هذا يقول المؤلف تحت عنوان العقيدة فى شريعة اليهود صـ١٣٥

«كانت اليهودية أول الديانات الكبرى التى دعت إلى التوحيد وكانت دعوة

(٦) مرجع سابق



موسى - عليه السلام - بأمر ربه - تعالى - التوحيد، ولكن اليهود كان لهم طبع يخالف الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها، فكثرت فيهم الردة، وكثر بعث الأنبياء فيهم تبعاً لذلك».

ويختتم المؤلف هذا الفصل بالحديث عن اليهود وعبادة القمر ثم الكابالا أو السحر الأسود.

عقيدة اليهود في التوراة والقرآن

يبرهن المؤلف في هذا الفصل على أن اليهودية الحقة جاءت بالتوحيد وقدم بياناً وشرحاً بقوله تعالى

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾

(المائدة: ٤٤)

ثم يورد صفات اليهود مؤيداً ذلك بما ورد في القرآن الكريم.

ثم يقول المؤلف ص١٥١: «ومجال عقيدتهم ذلك العالم الأرضي، ولما كانت عقيدتهم تعد المملوك بحتم السعادة دنيويا، كان خيره ... باعتقادهم بحسب ذلك الاعتقاد، لا بحسب الإيمان بالله واليوم الآخر. لأن الإنسان باعتقادهم - لن يتعرض لليوم الآخر ولن ينعم بالأعمال أو يعذب بها إلا في حياته الدنيا فقط. ومن ثم لم يرد في دينهم شيء عن الخلق الأخروي».

ويعود المؤلف إلى أقوال «ول ديورانت» الذي يؤكد أن اليهود مافكروا في البعث طوال تاريخهم الطويل إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلهم أخذوا هذا من الفرس أو من المصريين القدماء».

ويسوق المؤلف قولاً آخر لديورانت يؤكد هذا المعنى حيث يقول:

«إن اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود وكان ثوابهم وعقابهم مقصوران على الحياة الدنيا».

موقف اليهود من الإسلام

وفي الفصل الأخير من الكتاب أفاض المؤلف في الجانب التاريخي فيقول ص١٦٥:

«يتحدد موقف اليهود من الإسلام والمسلمين منذ زمن يسبق الإسلام بأمد طويل، يرجع إلى زمن ادعائهم بأن الذبيح هو إسحق - عليه السلام - لا إسماعيل».

ثم يوضح أنهم بهذا التضليل أرادوا الوسيلة إلى تضليل آخر وهو أن الذبيح مفضل عند الله ومبارك ونسله مفضلون ومباركون كذلك، وموعودون من الرب بملك - يمتد من النيل إلى الفرات كما جاء في توراتهم.

أما النقطة الثانية فهي إنكارهم بشارة التوراة بمحمد ﷺ ويقدم نماذج من كتابات العلماء المسلمين مثل ابن القيم في كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» ليؤكد أن علماء اليهود كانوا يعرفون النبي محمد ﷺ كما يعرفون

أبناءهم.

ويختتم المؤلف هذا الفصل بحديث عن ما لاقاه اليهود منذ الأسر البابلي في عام (٥٩٧ ق.م) حتى قضى عليهم الرومان الذين دخلوا النصرانية وأنهم تفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وكما أنهم تعرضوا لعداء أباطرة الرومان وبطارقتهم ولم ينج من الاضطهاد سوى من اتجهوا جنوباً إلى جزيرة العرب، حيث عاشوا في سلام وحرية دينية مع العرب.

وأنهم كانوا يتفاخرون على أهل يثرب من العرب الوثنيين ويعيرونهم بوثنيتهم وأنهم لايرقون إلى اليهود (أهل الكتاب) ويؤكدون لهم: أنهم سيتبعون الرسول بمجرد أن يبعث، ولكنهم كانوا ألد أعداء محمد - ﷺ - فأتوا على التوراة التي بأيديهم وبدلوا ماكان بأيديهم من أخبار وحرفوها، وكتموها على الناس، ليخفوا بشارة التوراة بنبوته ﷺ.

ويقول المؤلف في ص١٧٣

«ولما هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب وغير اسمها إلى المدينة ولم يشأ الله لرسوله أن يدخل في خصومة مع اليهود عقب دخوله المدينة، فكتب الصحيفة (صحيفة المدينة) وجعلها شرعاً ينظم حياة الجماعات التي بالمدينة من مسلمين ومشركين وأهل كتاب.

ويوضح المؤلف أن نصوص هذه الصحيفة توجب على اليهود أن يكونوا عوناً للمسلمين ضد أي عدوان خارجي، مع كفالة الرسول ﷺ لكل حريته الدينية وحقوق العامة والخاصة والتناصر فيما بينهم والتعاون على البر، وعلى الأخذ بيد المظلوم.

ولكن اليهود كذبوا ونقضوا العهد مع رسول الله ﷺ.

ويسرد المؤلف في الصفحات الأخيرة من هذا الفصل غدر اليهود وحسدهم على الرسالة ثم صوراً من الحرب النفسية التي مارسها اليهود ضد المسلمين وبخاصة في مسألة تحويل القبلة، وأنه لما فشلت الحرب النفسية تحولوا إلى التخطيط العسكري.

وبعد أن سرد المؤلف العديد من المواقف التي توضح نفاق اليهود ونقضهم العهد وأطماعهم في الماضي اختتم كتابه بشيء عن أطماعهم في العصر الحديث إذ يقول ص١٨٥:

«وفي العصر الحاضر لايزالون يطمعون في المدينة المنورة التي لاتبعد عن ميناء إيلات على خليج العقبة بأكثر من ٤٥٠ ميلا فقط.

وأطماع اليهود في شمال الحجاز معروفة، فهم يطالبون باسترداد مواقعهم القديمة التي أخرجهم الرسول - ﷺ - منها في قينقاع وقريظة والنضير وخيبر، وهي الأماكن التي كانت مسرحة للعرب قد وسعتهم فيها. بعد فرارهم من الامبراطور الروماني «تيطس» سنة ٧٠ ميلادية. «ولم ينس العرب بعد مساعي «روزفلت» لدى الملك عبدالعزيز آل سعود

يرحمه الله - يوم عرض عليه مبلغ ٥٠ مليون جنيه مقابل أن يسمح لليهود باستيطان هذه الأماكن حول المدينة المنورة مستغلا حاجة المملكة الماسة إلى المال في ذلك الوقت، ولكن الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - رفض بإباء المسلم أن يبيع الأرض الطاهرة بالمال مع حاجته إليه

وبعد:

فلقد كشف هذا الكتاب عن كثير من الصفات التي تخلق بها اليهود، واستقصى الكثير من مواقفهم من الأنبياء وأن خلقهم جحود وازدراء كل ماعداهم من البشر وهو ماأوضحه المؤلف في تقديمه لقسم بابا مزيا بالتلمود الذى يقول:

إن بني إسرائيل هم وحدهم بنو آدم إن غير اليهودى لا يمكن أن يكون لنا أخاً المال الذى يملكه غير اليهودى متى زعى دون مالك، تسيرون عليه، تصبح من يملكها أولا، ومثلها مثل مال غير اليهودى لليهودى إن الله لايغفر قط لمن يعيد إلى غير اليهودى ماله إن الله لن يغفر لمن يرفع الضرر عن غير اليهودى».

والكتاب بحق يعد إضافة حقيقية للمكتبة العربية ولا يقلل من أهميته أن نقول:

إن المؤلف أورد عبارة «تلمود أورشليم» في عدة مواضع وقد أثبت الدكتور المسيرى خطأ هذه التسمية وأن الصواب هو التلمود الفلسطيني حيث إن القدس خلت من المدارس الدينية بعد هدم الهيكل الثاني، وانتقل الحاخامات إلى إنشاء مدارسهم في يفنه وصفورية وطبرية.

ثم أما بعد:

فإنه لابد أن أسجل أنني عشت عدة من الساعات مع هذا الكتاب أشعر بالاختناق من كثرة ماعرض به من إفك وتزوير وتشنيع اليهود على الأنبياء والمرسلين الذين هم خير البشر أجمعين

وهو مايلقي الضوء على مابذله الدكتور السيد أحمد فرج مؤلف هذا الكتاب من جهد في جمع مادة هذا الكتاب بصفة خاصة وتتبع آثار اليهود ورصد سلوكياتهم وقد مكنه من ذلك كما أسلفنا - إجادته لعدة لغات.

والدكتور السيد أحمد فرج أستاذ متفرغ بكلية التربية بالمنصورة وقد أصدر كتابا عن الروائي الكبير نجيب محفوظ من وجهة مخالفة للرأى العام فكان له صدى كبير.

عبدالوهاب المسيرى







إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

ماذا نحن فاعلون ؟!

١١٦ شهيداً وثلاثمائة جريح وخطف ثمانين مواطناً فضلاً عن التدمير الشامل الذى لحق بالمدينة البائسة.. تلك هى حصيلة الغزو البربرى الإسرائيلى لقطاع غزة.. وكالعادة العالم كله يتفرج بقلوب ومشاعر فقدت الإحساس.. من بين القتلى أطفال رضع لم يسعفهم الوقت لاستنشاق الهواء بعد أن رفضت إسرائيل الاعتراف بحقهم فى الحياة.

صور مأساوية امتلأت بها صفحات الإنترنت منها صورة للشقيقتين سماح عسلية وسلوى عسلية. حيث تحول نصفهما العلوى إلى قطع متفحمة أما بقية جسديهما فقد تحلل بفعل القذائف الخارقة !!..

بسام عبيد كان يهم بمغادرة منزله برفقة نجله محمود فسقطت عليهما قذيفة مدفعية، وعندما حاول الابن الثانى إنقاذهما أطاحت به هو الآخر رصاصات (دم دم) محرمة دوليا.

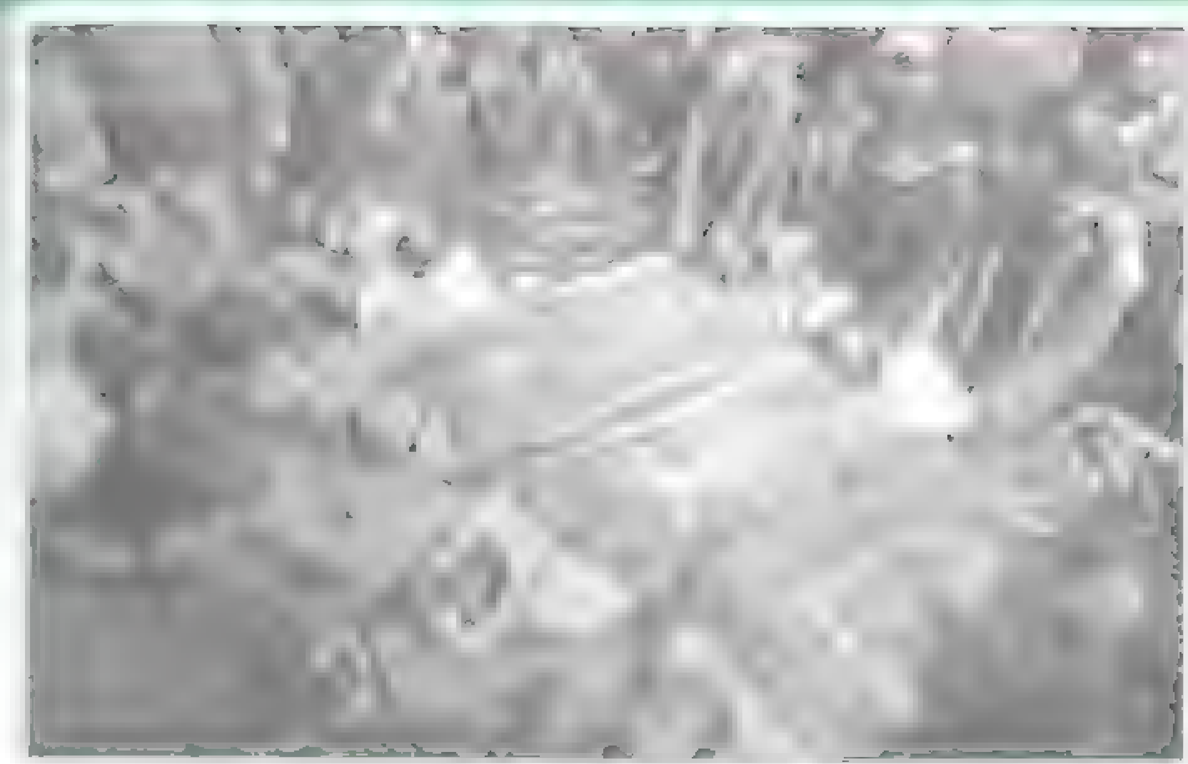
جاكلين أبوشباك شاهدت شقيقها يسقط مصاباً بقذيفة مدفعية وعندما تقدمت لإسعافه عاجلها صهيونى برصاصات غادرة فسقطت بجوار شقيقها.

ومشهد لأطفال رضع يدمى القلوب البعض منهم بدى كدمى ممككة الأجزاء''.

هذه المشاهد لم تكن الأولى... فقد سبقتها مشاهد أكثر مأساوية كما حدث فى مدرسة بحر البقر الابتدائية المصرية التى قصفها الطيران الإسرائيلى عندما عجز عن مواجهة الرجال، فسقط أطفال المدرسة صرعى يتضرجون فى دمائهم.

ومذبحة كفر قاسم الفلسطينية التى اعتذر عنها منذ فترة «شيمون بيريز» والتى سقط فيها أبناء البلدة الآمنة قتلى عن بكرة أبيهم.

والمشهد القريب الذى مازالت صوره حاضرة، مشهد



[illegible] لدى [illegible] الإسرائيلي إلي واحدة من أكبر المقابر الجماعية في التاريخ بعد أن عجز الصهاينة عن القتال مثل الرجال.

كل هذا ارتكبته إسرائيل التي مازالت تبتز العالم وتحصل على تعويضات طائلة جراء زعم لم يشهد أحد [illegible] إلا على شاشات [illegible] التي تفننت في إبراز المحارق التي يزعمون أن اليهود تعرضوا لها على يد النازي.

ورغم مشاهد القتل المروعة لم يحتج [illegible] الإسرائيلي من [illegible] على «محمد أبوتريكة» اللاعب الخلوق لا لشيء إلا لأنه تعاطف مع شعب غزة المقهور مع أنه لم يطالب بقتل اليهود مثلا!!

و[illegible] [illegible] شعبت [illegible] [illegible] لأغنية الشهيرة «أنا باكره إسرائيل» مجرد التعبير عن الكراهية أثار إسرائيل فماذا نفعل نحن وقد صارت دماؤنا مستباحة؟!!.

وقام الإعلام الصهيوني كذلك بعمل قائمة بأسماء «أعداء السامية» ويطالب بمحاكمتهم وأصحاب هذه القائمة هم مجرد أصحاب أقلام... ولكن المؤسسات الإسرائيلية تعمل كلٌ في تخصصه، الآلة العسكرية تبيد البشر، والإعلامية تقطع الألسنة.

ونحن فقط نتفرج [illegible] [illegible] العدل من قوم لن ينصفونا لأنهم جميعا يحملون في [illegible] [illegible] في مواجهتنا، جميعهم يشارك في قتلنا، جميعهم يسخر من نبينا ﷺ، جميعهم [illegible].

فماذا نحن فاعلون بعد أن تداعت علينا الأمم.

وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - قال:

لاتزال التداعيات وردود الأفعال لأمة الإسلام تتوالى حرقة وكمدا وحزنا وانفعالا، بسبب تهجم نفر من الغرب على من لم تشرق شمس على مثله.. رسول الله محمد ﷺ - بأبي هو وأمي - وأخذ بعض المفكرين والدعاة والوعاظ منحى مختلفاً في التعامل مع حملة الإساءة الجديدة (الرسوم الخبيثة)، إذ رأينا نبرة أكثر هدوءاً وواقعية مع دموع غزيرة تملأ القلوب وإن لم تظهر لمعتها في العيون.. كل هذا يدعو - مع الأسى المكتوم - إلى الاستبشار بأننا - كمسلمين ربما أصبحنا غير منساقين لعواطفنا فقط - وهي واجبة قطعا - لنبي هذه الأمة وقائدها ومصطفاها - صلوات الله وسلامه عليه - لكن رأيت طرحاً آخر في الدعوة والموعظة يحث الأمة الباكية المكلومة أن تتخذ من حرقتها على نبيها - ﷺ - سبيلاً لشحذ همة الأمة، وتجديد إيمانها. بل ولتفتح باب آخر لتعريف الناس عموما والغرب خاصة بشخصية الرسول - ﷺ - فنشطت أقلام واعدة على مواقع عديدة على شبكة الإنترنت تنبئ عن حضور لا ينكر لشباب الأمة مذكراً بأعمال وبرامج ونصائح ووصايا وأذكار وصلوات نصرة للحبيب المصطفى - ﷺ - وهنا أقول ينبغي أن يكون هناك مكاتب أو جهات رصد لهذه القضية في هذه المرة وكيف تعاملت الأمة مع هذه الهجمة المتكررة والتي قد تراها دوائر غربية ذات تأثير فرصة لشغل الأمة واستفزاز المسلمين ليحولوهم إلى أن يتحول الجميع إلى فقاقيع هواء سرعان ما تنفجر من الصراخ فلا تخيف أحدا ولا يعمل لها أي حساب.. إننا - نحن المسلمين - نعيش في حالة من الاستضعاف العالمي، فنحن «مكرهين» على مستويات عديدة، لذا فالواجب على جهات التأثير في المجتمعات المسلمة في مقدمتهم الدعاة العاملين الذين ينظرون إلى أحوال الأمة عموماً ويقدمون «واجب الوقت» على غيره في طرحهم الدعوي.. أقول على الدعاة ألا يزيدوا الأمة قهراً وجلداً وألا يحملوهم ما لا يطيقون، بل عليهم أن ينتهجوا مع مثل هذه «الأزمة» نهجا تربويا هادئا وعينا مجرداً من أي توجهات، واضعين نصب أعينهم حالة «الإكراه» التي أصابتنا جميعاً لنصل إلى حالة «الاطمئنان الإيماني» التي عبر عنها كتاب الله العزيز بقول الله تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾

(النحل ١٠٦)

الرحمة المهداة

وبمناسبة المولد النبوى الشريف كانت تلك الكلمات التى وافانا بها الأستاذ أحمد عبد المحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية للبنين - بالدقى - جيزة قال:

بشر سيدنا عيسى بن مريم - عليه السلام - بمجيء سيد المرسلين والرحمة المهداة وذكره باسمه وأكد القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

الصف / ٦

● وهذا الاسم «أحمد» هو علم للنبى ﷺ. وفى الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «إن لى أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا الماحى الذى يمحى الله به الكفر، وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى» أخرجه أحمد.

● وهذه الآية الكريمة تبين أن سيدنا عيسى - عليه السلام - قد بشر قومه ببعثة الرسول ﷺ.

● وجاء فى التوراة صفات خاصة بالرسول ﷺ. قال عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال: (قرأت فى التوراة صفة النبى محمد ﷺ: عبدى ورسولى، سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح ويأمر الناس باعتناق الفضائل، واجتناب الرذائل).

وإن الله سبحانه وتعالى أنزل عليه شريعة تحل للناس الطيبات، وتحرم عليهم الخبائث، وجاء إلى الناس بالشريعة السمحة التى تمتاز باليسر واللين لا بالعسر والشدة.

● والكتب السماوية السابقة قد بشرت به ﷺ ووصفته بأكرم الصفات وأفضلها التى تدعو كل إنسان عاقل إلى اتباعه والإيمان به.

● إن الدعوة التى كلف رسول الله ﷺ بها هى دعوة الناس كافة إلى إخلاص العبادة لله وحده، والتحلى بمكارم الأخلاق.

● وكل من يقرأ سيرة سيدنا محمد ﷺ يعرف أنه لقب بالصادق الأمين، ويكفيه شهادة الله تعالى له فى قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

القلم / ٤

وكيف لا يكون كذلك وهو القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».. وقال الله تعالى عنه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الأنبياء / ١٠٧

فكانت فضيلة الرحمة ملازمة للرسول ﷺ طول حياته، وفى أحرج الأوقات والدليل على ذلك عندما ذهب إلى الطائف، وعندما أساء السفهاء عليه، لم يدع عليهم بما يهلكهم، بل دعا لهم بالهداية فقال: (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون).

وقد أراد الله تعالى أن يمن على العالم بمن يصلح أخطاءه ويخفف أحزانه فأرسل نبى الرحمة، والهادى البشير ﷺ.

من وحى الهجرة

تحت هذا العنوان جاءت قصيدة كتبها الأستاذ سيد عبد الرحمن - هرجيسيا - الصومال - تخيرنا منها هذه الأبيات:

يا مولد النور مرحى إذ توافينا ... ولتملأ الكون إيمانا وتبيينا

أشرق [illegible] ... [illegible] ثم وادينا

أشرق فدنيانا دوما مقطبة ... إن أضحكت يوما دهرا تبكينا

يا أيها العيد قد ضاقت محاصرنا ... [illegible] من أمجاد ماضينا

[illegible] ... فى كل أوطانها كانوا أساطينا

يا أيها العيد فلتشهد لنا قبسا ... من هدى أحمد على الهدى يغرينا

فاقصص علينا كريما من مناقبه ... واحمل إلينا تعاليم النبيينا

يا أيها العيد حدث عن صحابته ... حول العظيم عظام صنع داعينا

هات عن الصديق، عن عثمان عن عمر ... عن فارس الإسلام عن سعد يروينا

هات عن الجراح، يصلى الروم يقهرهم ... عمرو على ابن العاص يسترجع [illegible]

لولا زلزلة للأرض [illegible] ... [illegible]

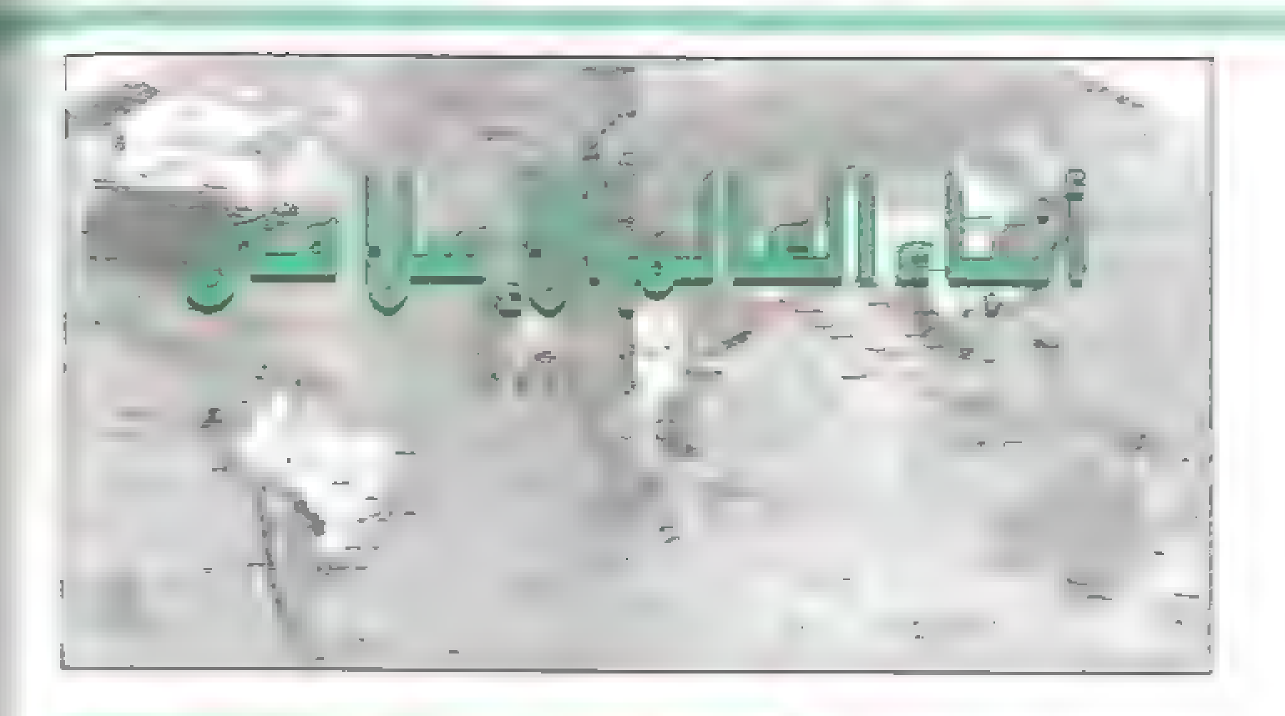
[illegible] ... لا الأرض تأسى، ولا الأفلاك تبكينا

العيد يا مرشدى [illegible] ... [illegible] لا تأتيك خاطينا

هيا بنى الإسلام فلنبعث عقيدتنا ... [illegible] من تباكينا

هذا السبيل لإرضاء الرسول إذا ... [illegible] على الذكرى [illegible]

***



[illegible]

[illegible]

تعرض «د. روان وليامز» كبير أساقفة كانتربري لهجوم عنيف بسبب دعوته لتبني بعض جوانب الشريعة الإسلامية في إنجلترا، وفقًا لوزير الثقافة البريطاني «من غير الممكن تطبيق نظامين قانونيين في آن واحد...» وقالت صحيفة «صن» البريطانية: من السهل عزل كبير أساقفة كانتربري روان وليامز؛ إنه في الحقيقة تهديد خطير لأمتنا.

وجاء في بيان عن وليامز: «إن اقتراحه لم يدع إلى اعتماد قوانين الشريعة لتكون منظومة قانونية موازية للقانون المدني».

وأوضح البيان أن الدكتور روان وليامز كان هدفه الرئيسي هو تبني بعض القضايا الكبرى بشأن حقوق المجموعات الدينية داخل دولة علمانية، وكان الدكتور روان وليامز قد أكد أهمية تبني جوانب معينة من الشريعة الإسلامية، قائلًا: إن تطبيق بعض جوانب الشريعة الإسلامية قد يساعد في الإبقاء على الاندماج الاجتماعي.

ونوه وليامز إلى أنه لا ينبغي أن يفرض على المسلمين «الخيار الصعب بين الولاء الثقافي والولاء السياسي».

وقد رفض رئيس الوزراء البريطاني جوردن براون دعوة الدكتور روان. فقد نقلت الإذاعة البريطانية «بي بي سي» عن المتحدث باسم رئيس الوزراء البريطاني قوله: «إن جوردن براون يؤمن بضرورة الاعتماد

على ما أسماه بالقيم البريطانية».

كما أعربت الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا عن قلقها بسبب تداعيات الجدل الدائر حول تصريحات أسقف كانتربري.. وقالت الملكة: إنها تخشى أن هذا الأمر يهدد بتقويض سلطة الأسقف وحدة صرح الكنيسة بإنجلترا.

[illegible]

أكد الرئيس الجديد لمؤتمر الأساقفة الألمان «روبرت تسوليتش» حق المسلمين الذين يعيشون في الغرب في بناء مساجد.

كما أكد «تسوليتش» على أهمية مد يد المساعدة للمسلمين الذين يعيشون في ألمانيا حتى يحصلوا فيها على حقوقهم. وقال «تسوليتش»: للمسلمين الحق في بناء مساجد لهم يتواجدون. ولكنه أضاف أن مسألة مساحة المسجد يمكن أن تطرح للبحث.

كما أشار رجل الدين الكاثوليكي إلى أن مؤتمر الأساقفة كان يحبذ دومًا فكرة تدريس مواد دينية إسلامية في المدارس إذا ما استدعت الضرورة ذلك، على أن تكون باللغة الألمانية وعلى يد معلمين تدربوا في ألمانيا.

مفكر ألماني يرفض ربط المشكلات الاجتماعية بالإسلام

أكد البروفيسور فيرنر شيف أور- أستاذ الإنتربولوجيا الثقافية بجامعة فيادرينا بمدينة فرانكفورت الألمانية- أن ربط المشكلات الاجتماعية التي يواجهها المجتمع الألماني بالدين الإسلامي يعد خطأ كبيرًا يصل إلى درجة الكارثة، وأردف أنه من الخطأ ربط المشكلات الاجتماعية لاسيما مشكلة ارتفاع الجريمة في المجتمع الألماني بالدين الإسلامي مشيرًا إلى أن معدل الجريمة في ألمانيا مرتفع بشكل ملحوظ بين المهاجرين من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقًا ويوغوسلافيا.. وقال: «أعتقد أن المسألة تزداد تعقيدًا عندما يكون الحديث عن الشباب المسلم، لأننا نضفي على المشكلة حينئذ الصبغة الإسلامية. فما كان في السابق يقترن بمشكلات الهجرة والمشكلات الاجتماعية، أصبح اليوم يقترن بالإسلام، وهو ما اعتبره كارثة».

[illegible]

انتهى مركز الدراسات الإسلامية بجامعة لندن من مشروع معجم ألفاظ القرآن الكريم باللغتين العربية والإنجليزية الذي يعد أحد أهم المشاريع العلمية من نوعها على المستوى العالمي.

أوضح الدكتور محمد عبدالحليم- مدير المركز المصري الجنسية- أن المعجم استغرق عمله ما يزيد على خمس سنوات وتم إنجازه في ١٠٧٠ صفحة وفق أحدث القواعد العلمية المعروفة بعمل المعاجم. وأشار إلى أن المعجم تميز بجمع ألفاظ كلمات القرآن الكريم في أسسها باللغة العربية، ومعانيها وذلك في وقت يرون الفراد الكريم ثم حصر ورودها في كتاب الله- عز وجل- وجزئت إلى أقسام حسب المعاني النحوية ثم ذكر معانيها المعقودة في سياقاتها المختلفة التي وردت بالقرآن الكريم.

تناول المعجم شرح الحروف والأدوات وبيان معانيها في القرآن وأهميتها في ربط الجمل.. وأن المعجم تميز بتحديده لأماكن جميع الأسماء الجغرافية التي وردت في القرآن الكريم بالإضافة إلى أنه يقدم نبذة مختصرة عن الأسماء الشخصية أو الموصوفة التي ذكرها القرآن عن أشخاص معينين.

المجلس الشرعي الإسلامي في لبنان يحذر من الفتنة

أصدر المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى برئاسة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني بيانًا حذر فيه من خطورة الوضع الراهن بالبلاد مطالبا قادة لبنان تجنب الفتنة.

وحذر المجلس الشرعي من الفتنة المذهبية والطائفية التي تطل برأسها من حين لآخر داعيا الجميع على وقف التشنج الطائفي، الذي لن يؤدي إلا إلى مزيد من التباعد بين أبناء الوطن الواحد، ودعا إلى تقديم وحدة البلاد على كل ما عداها من مصالح شخصية أو فئوية.

عدوان إسرائيلي جديد لهدم مسجد العمري التاريخي بالقدس

في خطوة جديدة لطمس المعالم الإسلامية بمدينة القدس اتخذت السلطات الإسرائيلية قرارا بهدم المسجد العمري التاريخي بمنطقة أم طوبا جنوب شرق القدس المحتلة، بحجة أن المسجد تم بناؤه بدون ترخيص.

من جانبه أدان الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية القرار، وقال في بيان له بهذا الصدد: إن سلطات الاحتلال تتذرع بحجة بناء المسجد من غير ترخيص علما أن المسجد شيد قبل ٧٠٠ عام وتم ترميمه آخر مرة عام ١٩٦٣م ويعد المسجد الوحيد في قرية أم طوبا.

وأضاف أن سلطات الاحتلال تمعن في المس بالمقدسات بهدف طمس المعالم الدينية والإسلامية في فلسطين.

وحذر سلطات الاحتلال من العواقب المترتبة على هذا القرار مطالبا اليونسكو وجميع المنظمات الدولية والعربية والإسلامية بالتدخل لوقفه.

وأدانت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» بشدة القرار الذي اتخذته سلطات الاحتلال الإسرائيلي بهدم المسجد العمري.. ودعت – الإيسيسكو – المجتمع الدولي إلى التدخل للضغط على إسرائيل.. باعتبار ذلك تطاولاً على المقدسات الإسلامية وانتهاكًا صارخًا للقانون الدولي.

الأصوات اليهودية المستقلة في بريطانيا تدين حصار إسرائيل لغزة

أدانت جماعة كبيرة من الناشطين اليهود والأكاديميين البريطانيين ممارسات الأمن الإسرائيلية الأخيرة في قطاع غزة، داعية الدولة العبرية إلى رفع حصارها الاقتصادي عن القطاع ومتهمة إياها بخرق القانون الدولي.

وذكرت صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية – في موقعها على شبكة الإنترنت – أن الجماعة التي يطلق عليها اسم «الأصوات اليهودية المستقلة» قد شكلت قبل عام ومن بين الموقعين عليها «هارولد بينتر» الفائز بجائزة نوبل للآداب.

وأضافت الصحيفة أن البيان الذي يدين هذه الأعمال وقع عليه ٢٥٠ شخصا من أعضاء الجماعة. ويحمل عنوان «أوقفوا الحصار على غزة» حيث أدانت الموقعون على البيان من حصار على قطاع غزة باعتباره خرقا للقانون الدولي. ودعت في الوقت نفسه إلى وقف هجمات الصواريخ الفلسطينية.

منظمة المؤتمر الإسلامي تشيد بقرار مبارك فتح الحدود مع غزة

أشادت الدول الأعضاء في منظمة مؤتمر الإسلامي بقرار الرئيس مبارك بموافقته على فتح معبر رفح أمام أبناء قطاع غزة لشراء ما يلزمهم من سلع وخدمات من الجانب المصري. أعلن المشاركون في مؤتمر اتحاد مجالس الدول الأعضاء بالمنظمة والذي عقد بالقاهرة أن مبارك أعاد الالتحام بين أبناء الشعب الفلسطيني بدعوته للحوار بين فتح وحماس وضرورة تحقيق الوحدة الوطنية بين الفصائل الفلسطينية. وانتقد أعضاء مؤتمر الحصار الإسرائيلي لغزة والاعتداءات الوحشية على الفلسطينيين والإجراءات القمعية في الأراضي المحتلة وإقامة جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية وقطاع غزة لتحويل الشعب الفلسطيني وتفريغ غزة من سكانها. كما انتقد المؤتمر استمرار أعمال الحفر والهدم التي تقوم بها إسرائيل حول المسجد الأقصى وطالبت الوفود المشاركة بضرورة الفصل بين الإرهاب وحق الشعوب في المقاومة المشروعة والكفاح المسلح ضد المستعمر لتحرير وطنه واستعادة حقوقه.

البرلمان التركي يقرر رفع حظر الحجاب بالجامعات

أقر النواب البرلمانيون الأتراك بصفة نهائية تعديلا دستوريا يتم بموجبه رفع الحظر عن ارتداء الحجاب في الجامعات التركية وفق ما أعلنه رئيس البرلمان التركي.

وجاء في التعديل الأساسي للمشروع أنه لا يمكن حرمان أحد من حقه في التعليم العالي.. في إشارة إلى الطالبات المحجبات. وبعد إقرار البرلمان هذا التعديل سيحال إلى رئيس الجمهورية عبد الله جول ليصادق عليه، ثم يدخل حيز التطبيق، إذا لم يعترض عليه العلمانيون أمام المحكمة الدستورية ويأتي هذا التعديل في ظل دعوة المعارضة العلمانية إلى الاحتجاج متهمة الحكومة بالسعي لتقويض أسس العلمانية في تركيا. فقد دعت أكثر من سبعين منظمة نسائية علمانية إلى تجمع احتجاجي أمام مبنى البرلمان بعد أن كان أكثر من ١٢٥ ألف متظاهر قد احتجوا على الموضوع نفسه، وتقول الحكومة إن مبادرتها لهذا التعديل تهدف إلى إشاعة المزيد من الديمقراطية والحرية في تركيا التي تسعى للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. وقال أردوغان: إن هذا التعديل سينهي معاناة فتياتنا في الجامعات موضحا أن الأمر يتعلق بالجامعات فقط ولا يمتد للمدارس العليا أو الدوائر العامة.

وقد منع ارتداء الحجاب في الجامعات بعد تولي الجيش السلطة عام ١٩٨٠ وحرم هذا القرار العديد من الطالبات من مواصلة تعليمهن في حين اضطرت أخريات إلى الاحتيال على قانون المنع.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

هل السخرية من رسول الله ﷺ حرية إبداع!!

تناولت الصحف خبر تقديم السيد/ مصطفى الجندى ـ عضو مجلس الشعب استجوابا للسيد الدكتور رئيس مجلس الوزراء عن انتشار العديد من الكتب التى تسيئ لشخص النبى صلى الله عليه وسلم فى مصر بلد الأزهر الشريف وكيف تجرؤ بعض دور النشر على نشر مثل هذه الكتب دون رقابة من الأزهر الشريف ووزارة الثقافة.

ومجلة الأزهر إذ تشكر للسيد عضو مجلس الشعب غيرته المحمودة على دين الله عز وجل ورسوله الكريم.. صلى الله عليه وسلم تود أن توضح الصورة أمام السادة القراء، حتى لا يتهم الأزهر بالتقصير فى أداء رسالته التى حملها بكل أمانة وإخلاص عبر تاريخه المجيد

لذا فقد توجهنا بالسؤال إلى السيد صاحب الفضيلة الشيخ **علي عبدالباقي شحاته**

أولا: الأزهر الشريف بمقتضى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م ولائحته التنفيذية الصادرة بقرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م يختص بفحص المؤلفات والمصنفات الإسلامية وإبداء الرأى فيما يتعلق بنشرها أو تداولها أو عرضها وبناء على ما تقدم فإن حدود اختصاص الأزهر تقف عند إبداء الرأى فيما يعرض عليه من مؤلفات أو مصنفات تحتوى شأنا إسلاميا أو تتعرض للإسلام من حيث الموافقة على نشرها أو تداولها أو عرضها، سواء تقدم بها المؤلفون أنفسهم أو وردت إلى الأزهر عن طريق الجهات الرسمية المعنية، أو وردت بشكاوى من المواطنين الغيورين على دينهم.

وإذا رأى الأزهر الشريف فى أى مؤلف أو مصنف ما يتعارض مع ثوابت الدين وأصول العقيدة، أو إساءة لرسل الله عليهم جميعا الصلاة والسلام أو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو السلف الصالح فإنه يقوم على الفور بإخطار الرقابة على المصنفات بوزارة الداخلية لإعمال شأنها نحو منع تداول هذه المؤلفات واتخاذ الإجراءات القانونية طبقا للصلاحيات التى خولها لها القانون.

ثانيا: بالنسبة لكتاب «الحب والجنس فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم» فقد ورد إلى مجمع البحوث الإسلامية بتاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠٠٨م من أحد المواطنين متضمنا شكوى يتضرر فيها من محتويات الكتاب ويطلب من المجمع اتخاذ اللازم وعلى الفور تم فحص الكتاب وتبين أنه يحتوى على مخالفات دينية منها ما يلى:

١) عنوان الكتاب غير لائق، ولا يتفق مع الأدب الواجب مع النبى صلى الله عليه وسلم وفيه نزول بالاسم وصفة النبوة إلى مستوى العوام من الناس.

٢) الترويج لأفكار جماعة من الجماعات الضالة «جماعة القرآنيين» والطعن فى السنة النبوية بصفة عامة، حيث إنها شنت هجوما صريحا على الإمام البخارى واتهمته بالوضع فى الحديث وكذا بالشعوبية مع التشكيك فى صحة ما أورده فى صحيحه من أحاديث نبوية.

٣) الفصل الثالث عبارة عن عرض لحياة النبى صلى الله عليه وسلم الجنسية مع زوجاته من زاوية الطعن فى شخصيته.

٤) الفصل الرابع احتوى على حديث مفصل عن كيفية اللقاء الجنسى فى أسلوب صريح مكشوف بعيد عن الحياء، وكذلك الأمر فى الفصل الخامس احتوى على وصف تفصيلى لطرق الجماع بين الزوجين فى أسلوب مكشوف دون خجل أو حياء.

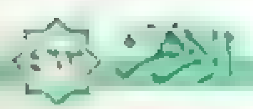
٥) الفصل الثانى والثالث والرابع والخامس فصول فيها خروج كثير عن الحياء وعون على الفحش، فضلا عما ذكر من طعن فى شخصية الإمام البخارى.

وبعد اعتماد تقرير الفحص تم إخطار الجهات المعنية المختصة لاتخاذ اللازم بتاريخ ٣ / ٢ / ٢٠٠٨م.

● وبسؤال فضيلة الشيخ عبدالظاهر أبو عز الدين مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية أجاب قائلا:

بالكتاب نقل يوافق ما جاء على لسان الذين يطعنون فى السنة النبوية بصفة عامة والذين سموا أنفسهم «بالقرآنيين»

وبه أيضا بعض العبارات التى تشير إلى أن بالكتاب نعرة تبشيرية تدل على أن كاتبها مسيحى يدعو للتبشير وهى عبارة «هل أدعوك يا أخى المستمع الكريم لكى تقرأ عن شخصية السيد المسيح وسيادته الفائقة، ونعمته الغنية التى يعطيها لنا بمجرد طلبها منه «هذه النعمة» أغنى أن نبحث عن خلاص نفوسنا قبل أن نقف أمام الله ولا تشفع أية حجة واهية، فها نحن نسمع صوت الله الحب كرسالة لكل واحد منا، هل تستجيب؟ أصلى أن يعطيك الرب رحمة ونعمة آمين» ص٦٣



من كل هذا وذاك ويطلب من الأزهر السماح بتركة بكتب ونوثيقه على تداوله بين المسلمين تحت زعم حرية الفكر والتعبير وبهذه المناسبة أسواق هذا الخبر للمتباكين على حرية الرأى والفكر والمرتمين تحت أقدام الغرب.

- فى يوم ٢١/١١/٢٠٠٧م فى جريدة الجمهورية العدد ١٩٦٨٨ ص١٠ نشر خبر نصه الآتى:

تغريم رسامي كاريكاتير

أهانا ابن ملك أسبانيا

باريس - وكالات: قضت محكمة جنح مدريد بغرامة ٦ آلاف يورو ضد اثنين من رسامي الكاريكاتير بصحيفة "الجويبس" الأسبانية الأسبوعية الساخرة بتهمة الإساءة للأمير فيليب ابن ملك أسبانيا وزوجته الأميرة ليتيثيا بعد نشر رسم يظهرهما يمارسان الجنس معا فى إشارة لقرار حكومى تمنح مكافأة ٢٥٠٠ يورو لكل زوجين ينجبان طفلا بأسبانيا كإجراء وقائى لمنع الهجرة إليها.

المحرر:

أبعد هذا يمكن أن يقال: إن الغرب لا يستطيع أن يفرق بين حرية الرأى وبين الإساءة؟ وهل الإساءة إلى ابن ملك أسبانيا أمر لا يغتفر والإساءة إلى رسول الله ﷺ أمر فيه نظر؟.

المسابقة العامة للبعوث

صرح فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام المساعد للبعوث الإسلامية: أنه تم الإعلان عن المسابقة العامة للبعوث الإسلامية (بعثات الأزهر) للابتعاث للخارج للعام الدراسى ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ فى الإسبوع الأول من شهر نوفمبر لفتح باب القبول للمتقدمين للمسابقة من السادة العاملين فى مجالى التدريس والوعظ بالأزهر الشريف وقد بلغ عدد المتقدمين للمسابقة ٤٦٠٠ متقدم وسوف يعقد الامتحان فى القرآن الكريم ومادة التخصص بدءا من يوم الأحد الموافق ٢/٣/٢٠٠٨ وينتهى فى ١٤/٤/٢٠٠٨ بواقع ١٥ لجنة فى اليوم وفى كل لجنة عشرة ممتحنين فقط لضمان تحقيق الأمن والجودة والنزاهة بين المتسابقين.

- وسيتم إجراء امتحان للغات للمتقدمين للمسابقة العامة للمبعوثين إلى الدول الأوروبية وأمريكا فى مادتى اللغة الإنجليزية والفرنسية وقد بلغ عدد المتقدمين للغة الإنجليزية (٧٦) والفرنسية (٤) للابتعاث إلى أوروبا وأمريكا والمراكز الإسلامية فى مختلف دول العالم غير الناطقين بالعربية.

ترقيات علماء الوعظ

صرح فضيلة الشيخ عبدالحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة والوعظ: أنه انتهت يوم الخميس الموافق ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٨ امتحانات الترقيات لعلماء الوعظ على مستوى الجمهورية.

وقد سادت الامتحانات الشفافية المطلقة حيث عقدت اختبارات تحريرية فى مادتى الفقه والقرآن الكريم وسوف تنتهى أعمال التصحيح وإعلان النتيجة فى خلال الإسبوع الأول من شهر مارس وسوف يوزع الناجحون على المناطق جغرافيا حسب الحاجة ومن يمتنع أو يفضل البقاء فى منطقته يعتبر تنازلا منه عن حقه فى الترقية وقد قام باختيار الممتحنين لجنة من علماء الأزهر الشريف تنفيذا لتعليمات السيد صاحب الفضيلة شيخ الأزهر وفضيلة الأمين العام أما بخصوص المدة البينية فلا استثناءات فيها إلا فى الضرورة القصوى لحاجة المنطقة فقط.

الطلاب الوافدين

صرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية بأن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قد وافق على محضر لجنة شئون الطلاب الوافدين التاسع والخمسين بتاريخ ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٨ على ترشيح عدد ٤٥٥ طالبا وطالبة للعام الدراسى ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨ للمرحلة الجامعية والمعاهد الأزهرية.

كما صرح فضيلته بأن عدد الدارسين فى الأزهر الشريف من دولة إنجلترا قد بلغ هذا العام ١٢٤ طالبا وطالبة فى مختلف مراحل التعليم حيث تضم الدراسات الخاصة ٥ طلاب، والمرحلة الابتدائية ٤٦ طالب و٤٣ طالبة، والإعدادى طالبين وطالبة واحدة، والثانوى ٩ طلاب، والجامعة ١٧ طالبا.

صدر حديثا

صدر لفضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلى مدير عام سلسلة البحوث الإسلامية بالعدد الأخير من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية كتاب: «كما علمني عمر» للأستاذ: محمد عبدالرحمن عبداللطيف، قدم فيه المؤلف جانبا من تاريخ ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب كمثل إسلامى فريد فى الإسلام وفريد فى التاريخ الإنسانى كله واستطاع المؤلف أن يضع يد القارىء على التجارب العمرية فى إقامة العدالة الاجتماعية التى تستوحى العدل فى العطاء وتستلهم المساواة فى الأخذ والحرص على الحرية الشخصية بميزان دقيق حازم يغلق به باب المقارنات الذاتية والتطلعات الطبقية ويتم ذلك بالقدوة وإعطاء المثل من صاحب الفكرة وواضع المنهج حتى يكون مثلا وأسوة ينأى عن شبهة التناقض بين الفكرة والتطبيق، فهو مثل نادر لا ترقى إليه التجارب الاجتماعية الحديثة مجتمعة

والكتاب يعد دفاعا عن تجارب الفاروق عمر وتوضيحا لمفاهيمه بأسلوب علمى راق وبألفاظ سهلة واضحة.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

بيان من الأزهر الشريف

[illegible] الأزهر الشريف وجميع مؤسساته [illegible] وسائل الإعلام [illegible] صفاقات وإساءات إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإلى الإسلام والمسلمين، ويحذر هؤلاء الذين لا يعرفون معنى [illegible] ولا يحمد بحال من الأحوال قضية السلام بين الأمم.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

البيان الختامي للجنة المشتركة للحوار

عقد الاجتماع السنوي للجنة مشتركة للحوار بين اللجنة الدائمة بالأزهر لحوار الأديان السماوية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان وفي نهاية الاجتماع صدر البيان الختامي على النحو التالي:

إيماناً بدور الأديان التوحيدية في توفير أساس لقيم السلام والحق والعدل والسلوك الحسن والتعاون في سبيل تطوير العالم [illegible] لتحقيق الأخوة والسلام [illegible] الشعوب [illegible] الإنسان، وبخاصة في زمننا الحاضر الذي ذابت فيه الحدود بين الدول وقلت فيه أوجه التميز بين الشعوب، والذي ازدادت فيه مظاهر العنف والتطرف والإرهاب، فضلاً عن تدني التمسك بأهداب الدين والقيم الدينية وبكل ما يعتبره الناس مقدساً.

آخذين بالاعتبار مكانة الأزهر الشريف وتاريخه ودوره المميز في العالم الإسلامي، وآخذين كذلك بالاعتبار [illegible] المجلس البابوي للحوار بين الأديان في الكنيسة الكاثوليكية، وإقراراً من الطرفين بأهمية المعرفة المتبادلة والبحث عن أرضية مشتركة بين الديانتين كأساس لتعاون أوسع ولعلاقات أفضل.

عقدت اللجنة المشتركة اجتماعها السنوي في مقر مشيخة الأزهر يومي الاثنين ٢٥ شباط فبراير والثلاثاء ٢٦ شباط فبراير ٢٠٠٨ برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ [illegible] علام، وكيل الأزهر ورئيس اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية، ونيافة الكاردينال جان-لوي توران، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان.

ناقشت اللجنة موضوع «الإيمان بالله ومحبة القريب كأساس للحوار الإسلامي-المسيحي» مستعينة بورقتين قدم إحداهما الأب رينيه-فاساد دي جرانلوبية، الدومينيكي، والأخرى قدمها الأستاذ الدكتور [illegible].

وركزت اللجنة خلال النقاش على المبادئ والقيم الأخلاقية والروحية المشتركة، إذ تساعد هذه على تربية [illegible] من الدين الآخر. ناقشت اللجنة كذلك موضوع حرية التعبير، مشيرة إلى أنه لا يمكن اتخاذها ذريعة لإهانة مشاعر الناس فيما يختص بالأمور الدينية، مما يؤدي إلى توتر العلاقات وهدم المحبة الأخوية.

أدانت اللجنة بشدة إعادة نشر الرسوم المسيئة والهجوم على الإسلام وعلى نبيه الكريم، مستذكرة ما ورد في خطاب البابا بندكتوس السادس عشر، لدى تقديم سفير المغرب لأوراق اعتماده لدى الكرسي الرسولي، أنه [illegible] (٢٠ شباط فبراير ٢٠٠٦) [illegible] وفي نهاية الاجتماع اتفق المشاركون على التوصيات التالية:

- **أولاً:** [illegible] ومعتقد، وإنما تعني أي اعتداء على سلامة الشخص أو ماله أو عرضه.
- **ثانياً:** دعم الاحترام الحقيقي للأديان والمعتقدات والرموز الدينية والكتب المقدسة وكل ما يعتبره الناس مقدساً. ويجب على القادة الدينيين مسلمين ومسيحيين، كما على قادة الفكر والمربين بذل كل جهد ممكن لغرس تلك القيم من خلال عملهم في مختلف أماكن التعليم وعلى كافة مستويات المجتمع.
- **ثالثاً:** [illegible] حرية التعبير إلى ذريعة لإهانة الأديان والمعتقدات والرموز الدينية وكل ما يعتبره الناس مقدساً [illegible] التطرف وأن يشجعوا القبول المتبادل والمحبة واحترام الجميع بصرف النظر عن الدين.
- **رابعاً:** تشجيع تبادل وجهات النظر حول مسائل مستجدة وذات اهتمام مشترك.
- **خامساً:** التأكد من تطبيق هذه التوصيات خلال الاجتماعات القادمة للجنة.

واتفقت اللجنة على عقد اجتماعها القادم في روما يومي ٢٤-٢٥ شباط فبراير ٢٠٠٩

الإمام الأكبر شيخ الأزهر [illegible] البحوث الإسلامية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر أن شريعة الإسلام أعطت المرأة حقوقاً وواجبات [illegible] خلال افتتاحه للموسم الثقافي لمجمع البحوث الإسلامية أن شريعة الإسلام أعطت حق المرأة في [illegible] الأمة وكذلك حق في العمل الشريف [illegible] شريعة الإسلام [illegible] في الدفاع عن حق والوطن وحرية الإنسان وردع الظلم [illegible] استعماله في القتل والتخريب فهو خروج عن تعاليم الإسلام ومن يفعل ذلك فهو مجرم آثم قلبه.

وفي [illegible] طالب الإمام الأكبر [illegible] على كرامة الأمة وحريتها [illegible] في [illegible].

ويستقبل سفير المملكة المتحدة

كما استقبل فضيلته صباح يوم الأحد الموافق ١١ / ٢ / ٢٠٠٨ م السيد السفير / دومينيك سكويت - سفير المملكة المتحدة بالقاهرة، بمناسبة توليه العمل كسفير لبلاده في جمهورية مصر العربية متمنيا لسيادته إقامة طيبة في القاهرة والتوفيق في عمله حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في الأزهر الشريف، وقدم شرحا [illegible] الأزهري [illegible] وأن [illegible] الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون وأن الذي يحاسب على العقائد هو الله. كما أننا في الأزهر نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات وأن لكل بلد حضارتها تستفيد من بعضها البعض وهذا هو الإخاء الإنساني.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تايلاند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الخميس الموافق ١٥ / ٢ / ٢٠٠٧ السيد السفير [illegible] سفير تايلاند بالقاهرة [illegible] رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في الأزهر الشريف، [illegible] العلاقات [illegible] الأخوية بين [illegible] الأزهر يستقبل أبناء تايلاند للدراسة به حيث إن عدد الدارسين يقارب ٢٥٨٠ طالبا وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة. كما أنه قد خصص [illegible] ٦٣ منحة جديدة لأبناء تايلاند [illegible] من علماء الأزهر [illegible] في تدريس العلوم العربية والشرعية. كما أن الأزهر لا يتأخر [illegible] لأبناء تايلاند [illegible] الأزهر الشريف.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة الفرصة له [illegible] معالته بلقاء فضيلته وأنه حينما يواجه أي مشكلة يتوجه للأزهر لأخذ النصيحة والمشورة من فضيلة شيخ الأزهر، مستطردا في حديثه بأنه يقوم حاليا بالترتيب والتنسيق لزيارة سمو الأميرة / ماها تشاكري ولية العهد والنجلة الكبرى لجلالة ملك تايلاند - التي ترغب في زيارة الأزهر الشريف في منتصف مارس القادم، وفي نهاية اللقاء قدم [illegible] دعوة رسمية من رئيس وزراء تايلاند لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة تايلاند في الوقت [illegible] مناسبا.

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على هذه الدعوة وأكد له [illegible] في الوقت المناسب.

[illegible]

عقد يوم الأحد الموافق ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٨ اجتماع المجلس الأعلى للأزهر [illegible] برئاسة فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر. وقد ناقش المجلس عددا من الموضوعات الخاصة بالعملية التعليمية بالأزهر واحتياجات المعاهد والطلاب حيث وافق المجلس على: رصد مبلغ ٩ ملايين جنيه لشراء أجهزة حاسب آلي وتزويد [illegible] المعاهد الأزهرية [illegible] طلاب كل معهد [illegible] أجهزة حاسب آلي على كل المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية [illegible] المجلس الأعلى للأزهر [illegible] الأزهرية بالاتصال [illegible] رجال الأعمال وبعض الشركات الكبرى للحصول على [illegible] المعاهد الأزهرية [illegible] بعد موافقة السلطة المختصة وإنشاء هيئة للأبنية التعليمية بالأزهر. ومناقشة اقتراح ملحقين مع القرآن الكريم كمادة للرسوب.

However, the situation is difficult, the reckoning is heavy, the sins are weighty, and the crimes are serious. What will be their destiny?

{Upon that Day, (the ones) who have disbelieved and disobeyed the Messenger would fain if the earth were leveled with them; and they will not keep back from Allah any discourse.} [An-Nisa' (The Women): 42]

This verse descended immediately after the last verse the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) heard from Ibn Mas'ud making him weep as we mentioned before. The disbelievers will hope that the earth would split and swallow them or that they would be leveled with earth like dust. Also they hope that they would not be resurrected not to face this terrible Day due to extreme shame, disgrace and torture.

{On the Day when a person will flee from his brother. And his mother and his father. And his female companion and his seeds. Upon that Day every (single) person of them will have an affair that will avail him. (Some) faces upon that Day shall shine. Laughing (happy) at the glad tidings. And (some) faces upon that Day will be covered by resentment. Oppressed by gloom. Those are the ones who are the shameless , impious disbelievers.} [Abasa (He Frowned): 34-42]

Away with them and what a bad destiny!

The expounders said that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) wept as he was strongly effected by the meanings of Qur'an, and the accurate description of the Day of Reckoning included in the holy verse. The prophets will be witnesses for their nations either believing or denying them, and the last Prophet will be a witness for all of them. What a glorious situation and an accurate feeling of the Prophet of this sublime duty. Said Ibn Al-Musayyeb (may Allah be pleased with him) said, "Every day the conditions of the nation are presented to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) who realizes their deeds and attributes. Thus, he witnesses them. Allah, Glory be to Him said

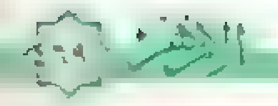
{Upon that Day, (the ones) who have disbelieved and disobeyed the Messenger would fain if the earth were leveled with them; and they will not keep back from Allah any discourse.} [An-Nisa' (The Women): 42]

The saying of Ibn Al-Musayyeb shows us how the responsibilities of the Prophet increase, and he is the best one to carry this responsibilities.

Our Love for Allah' Messenger because he tolerated much suffering and troubles and exrted much patience may Allah the most high forgive me and you as well.

Translated by: Eman Ali El-Khateb .

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil





Speech

The witnessed Messenger

By: The Honorable Shiekh Dr. Ahmad Al-Sharbasy

Prepared by: Sheikh Ali Hamed Abdul-Rahim

Praise be due to Allah. Glory be to Him, the Ever-Ruler Who controls, creates and selects everything according to His will. Praise be to Allah Who is the only God that accounts for all of our deeds whatever small it is. I witness that Mohammad is Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him, his family, ancestors, companions and followers), who witnessed at Allah's worshippers.

{Upon those are the prayers from their Lord, and mercy; and those are once (who) are the right-guided.} [Al-Baqarah (The Cow): 157]

Mohammad's followers

There is a situation by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) at which the believer should meditate, consider and regard submissively feeling the great deeds of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). He endured much suffering and burdens that can not be tolerated by heroes.

This situation was between the great Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Abdullah Ibn Mas'ud (may Allah be pleased with him). We will present here a glance about this great companion. He believed in Islam at its beginning, and he said, "I am the sixth Muslim on earth." He immigrated to Abyssinia and Medina, and witnessed with the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) Badr, Uhud, Al-Khandaq battles, Ar-Radwan treaty and many situations. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) promised him of paradise. He used to accompany the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) who mentioned him in many Hadiths. He was one of the eminent persons in Qur'an, doctrine, religious opinions and science. He was one of four companions from whom Qur'an can be taken. He said, "I swear by Allah, Who is the only God that I know the place at which every surah descended. Moreover, I know the occasion of the descending of every verse. If I know a person who memorizes Qur'an more than me, I will do my best to reach him wherever he is." He used to read Qur'an at night when all the people are asleep making an echo alike that of the bees till down.

Ibn Mas'ud was ill and was visited by Othamn (may Allah be pleased with him) who asked him: "What are you complaining of?"

He said: My sins

Othman asked: What do you long for?

He said: Allah's mercy.

Othman said: May I order to bring anything for you?

He said: I do not need anything.

Othman said: I can ask to bring anything for your daughters.

He said: Do you fear poverty for my daughters? I ordered them to read the Event Surah (Surat Al-Waqi'ah) every night as I heard the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying, "The one who reads the Event Surah is never afflicted by poverty."

The Prophet's weeping

It is a general view about Ibn Mas'ud, from which you realize that he frequently read Qur'an with his pleasant voice. He used to accompany the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), who loved him. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) liked to listen to Qur'an from persons other than him, as he frequently read Qur'an for the people and in the prayers. However, he liked to listen to Qur'an for other persons to realize the way that Qur'an flows from the hearts to the lips.

It was narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) told Ibn Mas'ud, "Read Qur'an." Then Ibn Mas'ud said, "How can I read it while it descended upon you by the revelation ? Ibn Mas'ud read "The Women Surah" till he recited more than forty verses and reached the following verse

{How then will it be when We cause to come from every nation a witness and cause you to come as a witness against these?} [An-Nisa' (The Women): 41]

Then the Prophet said, "Stop now. Ibn Mas'ud raised his eyes and found the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) weeping till his cheeks became red. Then the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "O Allah, I witnessed the case of those with whom I live. What about those whom I do not see? It is narrated that he said, "I witness them as I live among them. When I die, You Observe them, as You are the Ever-Witness."

Allah Accounts, Observes and is the All-Powerful

The meaning of the holy verse in brief is what will be the case of the disbelievers and the whole nation in the Day of Judgment in front of Allah (Glory be to Him) when all of the nation is collected and every nation has its witnessing messenger and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) witnesses all of them. What will be their destiny? Will they live in torture or in paradise? Will they win or lose? They will not escape from their deeds, as the accountancy is very accurate, and Allah accounts, observes and is the All-Powerful. Nothing will be lost or forgotten.

{And the Book shall be laid down. So you shall see the criminals feeling timorous about what is in it, and they say, "oh woe to us! How is it with this Book, that it leaves out nothing, small or great, except that it has enumerated it." And they shall find whatever they did present, and your Lord does no justice to any one.}

[Al-Kahf (The Cave): 49]

The Muslim Makes Use of Time…!

By: Dr. Muhammad Rajab Al- Biomy

The worst attribute that harms the intelligence is the immorality and lack of firm will. The one who has these bad attributes can not earn the fruits of his sharp brain or exploit his sound thinking. If the intelligent person has good morals and firm will, he will leave in the field of serious work the fruits that make the nation happy, instead of losing his skill in vain. Thus he will achieve personal or public benefits.

I say the field of serious work meaning the reasons of human happiness in all of the different branches of life. I know many people who are distinguished with sharp intelligence and trained skills in a way that fills the souls of the [illegible] with sorrow as they spend their time in stirring [illegible] and [illegible] malice. If they write, they stir seditions and riots and search for the ways of dissension and plots.

They use their minds in disturbing the souls, rousing the minds and maintaining injustice. It seems that their laziness and loss of time are better than filling their time with the reasons for unhappiness and misery.

We wished that the morals become sublime along with the progress of civilization and science, but it is - as one of the great thinkers said - a civilization without morals. Let's leave those spoiled people live in [illegible] and care about those who spend their spare time in making the best use of their time. If the intelligent person becomes lazy, surrenders to relaxation without reading, trading or manufacturing, his talent becomes useless. He becomes stripped of his talent in a way that assimilates him to the naive, who are excused in their time. However, what is his excuse?

You may see amazing matters in this life; you may see a man of your acquaintances whose intelligence and skills are limited, but he sharpens his resolution and collects his power in continuous work. He does not take rest except for relaxing his mind, and then he becomes active for his work. While the time passes, his continuous production, in spite of his limited skills, promotes him. He becomes well known among the people and has better rank than who are more intelligent than him. The reason is exploiting the time in benefits and leaving laziness.

Life often does not give except the one who continues to work in spite of obstacles, being armed with strong will and patience till he succeeds.

People say that time is like gold; a wise saying; it is a short sentence that lost its significance for most people. Now it does not stir firm will because its widespread fame extinguished its effect in the souls. Its continuous repetition by the parents and illiterate people makes it useless. Eventually it results in the spread of laziness in many communities that may become very useful if they become active leaving laziness and sluggishness.

If the lazy people are blamed for losing their time, the cultured people are blamed more for the same reason. If you blame the lazy worker, sluggish merchant or the inactive farmer at neglecting their work, the cultured and enlighten person should be blamed more for losing his time in vain.

I know some of the university professors - without naming any of them as the subject is not personal - who spent more than twenty years in teaching certain subject to one class without amending the curriculum for many years. The professor spent twenty years teaching only one note, which is his whole [illegible]. He contents only the famous issues that can be written by any unspecialized person, contending he loses his time and skills. I wonder how a cultured person of the rank of professor could spend seventy years of his life without leaving a clear effect as if he has lived seventy days not seventy years.

You may say that scientific writing is not everything in the scientist's life, as there are people who help in forming personalities not books such as Jamal Ad-Din Al-Afghany, Hassan Al-Banna, Abd Ar-Rahman Al-Kawakeby and others. I do not contradict with you, but I emphasize that the one who is satisfied with writing only one note throughout his university life can not form an excellent student being armed with strong will and aspiring ambition. This will be the case as the one can not give what he does not own.

I will discuss the opposite case of those who contrast [illegible] with the other party. They understand that making use of time means writing books in every subject without considering specialization. They write in one year three or four books which do not add any information. This result is expected as literal research and scientific writing are a kind of hard work that bears fruit only when the necessary normal time of planting the seed passes. If the normal period does not pass, there will never be a fruit.

I was discussing those who follow the same attitude and said that At-Tabary (may Allah forgive him) narrated that he told his pupils: "Are you ready to write the world history?" They replied: "How many pages will be written in this respect?" He said that it is written in about thirty thousand pages. They said that they may die without finishing writing. He said: "we are created by Allah, there is no more firm will". Then he dictated them around three thousand pages.

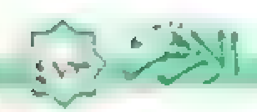
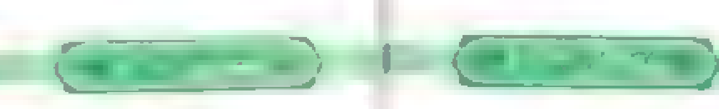
When At- Tabary wanted to write the explanation of the meaning of Qur'an, he told them the same, rendering them think that it is beyond their capabilities. Then he wrote the explanation of the meaning of

Qur'an in approximately the same number of pages written for history. If you count the days that Imam At-Tabary lived and divide them on the number of pages he wrote in various fields of science, it will be fourteen pages every day.

This was the case of At- Tabary in his time. Many people who collect data without renewal quote his case in writing many pages. Those who follow their pattern in spending their time in collecting and writing data, forget an important point that can not be neglected for any amendment. The concept of writing in their time is different from its contemporary procedures. The encyclopedic author referred to different narrations and contradicted sayings without selection in most cases.

There are many narrations that the mind rejects naturally without inspection. The method of writing does not deviate from the former one and [illegible] of writing which is collection, following up and examination. You may read one incident in different narrations contradicting with each other. Thus it presents the scientific subject to those who want to write now. It seems that scientific honesty of the antecedents stirred them to write all the narrations. They may state that what they write is corrupted, but this is not a common attribute of all their writings.

This collective method served the historical heritage in preserving all of the narrations and sayings whether strong or weak.


He treated all the people equally without any discrimination between a Muslim and non-Muslim. He used to give every one his right regardless of his **religion, as Allah ordered him in His Quran:**

"And do not let antagonism of a people who barred you from Inviolable Mosque provoke you to transgress. And help one another to benignancy and piety, and do not help one another to vice and hostility, and be pious to Allah, surely Allah is strict in punishment." [Al-Maidah (The Table): 2]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was attributed with all of these good manners and others, which are neglected and denied by the ill-minded Danish caricaturists. They have degrading behavior, awful manners and mean souls. Their offending caricatures were published in the **Danish (Ulands Boston Newspaper) in September, 2005.**

Seventeen Danish newspapers republished these silly caricatures on Wednesday 13th of February 2008 without considering their bad effect on the Islamic nation. Demonstrations came out in all of its parts, boycotting **campaigns, protests and denial spread.**

These seventeen newspapers exceeded the red lines and cultural borders, and the so-called freedom of expression, to which this misguided group resort does not justify their offensive action. These caricaturists offended the Islamic sacred symbols.

Some of the Egyptian journalists enquired, "Would those caricaturists and the responsible characters behind them accept the same action form the Egyptian, Arab and Islamic newspapers?" "Would they accept publishing the caricatures of their Queen and Prime Minister in offensive scenes resorting to the freedom of expression?" I am sure that all of the Muslims do not accept this action as the Islamic manners refuse such actions.

An Egypt's **foreign ministry spokesman said on Tuesday, February, 19,2008:** that the Danish ambassador was summoned and informed of the full Egyptian rejection of the reprint of the cartoons, lampooning the prophet Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) in Danish newspapers. the reprint of the cartoons hurt the feeling of Muslims all over the word. It shows insistence on the abuse against the great prophet of Islam, this is fully rejected, the spokesman added. He cautioned that this abuse against Muslims would lead to nothing but more tension and hatred. Mean while, the Egyptian minister of information ustaz Anas Al-fiqi banned four foreign newspaper from the newsstand in Egypt for reprinting the offensive cartoons, two German newspaper "Die welt and Frankfurter Allegemeine zeitung along with the wall street journal and others were also banned"

While these events take place in Denmark, which is supposed to be a small neutral country and a peaceful one at the past, we find at the other side of Europe, specifically in Britain a different matter. Dr. Rowan Williams, the Archbishop of Canterbury **in Britain, delivered a lecture, which had a broad echo and stirred** conflicting comments. He said, "The British legislation should adopt some of the **sides of the Islamic Shariah."**

Thus, the reactions differ, as the Islamic Shari'ah council in Britain, which was formed twenty five years ago, welcomed the declarations of Dr. Williams. However, some of the Christian scholars called upon deposing Williams, while **others accused him of lack of knowledge of the Bible.**

Moreover, he should go back to Oxford University they demanded. Some of the British people supported Dr. Williams considering that he intended to present the issue for debate. They asked the common people to read his real declarations **not as presented by press.**

However, U.K Prime Ministry interfered and contacted Dr. Rowan Williams intensively to explain and clarify his declarations. The spokesman of U.K Prime Minister said, "U.K Prime Minister thinks highly of Rowan." But he added that **the U.K law should depend on the British values".**

The spokesman emphasized that there is a good relation between Brown and Williams, and that Williams has the right of expressing his point of view. The **Conservatives refused the point of view of the Archbishop.**

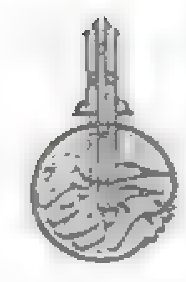
Baron Farsi, the Minister of social integration affairs, in the Shadow Government in the party said, "The significant principle is equity, which we should ensure for the people before the law whatever their origins and religions are." By virtue of the British law, two parties can resolve their conflicts in front **of a third party as long as they agreed on this resolution.**

Regarding defending his point of view, Dr. Rowan Williams said, "The Muslims should not be left in a situation in which they should choose between their loyalty to their present country or their private culture." He added that this matter depends on the necessity of understanding the Islamic Shari'ah entirely. Moreover, he said that there is a room for discussing the positive adaptation with the principles of the Islamic Shari'ah, as we do with the principles derived from **other religions.**

Then, Dr. Williams said that he felt that his declarations are excluded from the sound context and framework in which they were said. Williams tried to explain in his speech the declarations he announced previously. He gave hints **that adopting some points of the Islamic Shari'ah is inescapable.**

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabee Awwal 1429 A.H



ENGLISH SECTION

March-April 2008

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

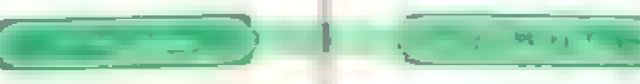
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University





At The Memory of the Birth of The Prophet (May the Blessings and Peace of Allah be Upon him), a wafe of Delusion and madness Renders to Denmark, While Good Winds Blow From Canterbury…!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah, Glory be to Him, revealed to His Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) the Noble Quran, including all of the sublime principles and honorable manners. It was the best Book being sent by Allah, Glory be to Him, to His Muslim worshipers, from which they derive the best patterns. Allah entrusted the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to explain, expose and apply it. Allah, Glory be to Him, said:

{And We have sent down to you the Remembrance that you may make evident to mankind what has been sent down (ever since) and that possibly they would meditate.} [An-Nahl (The Bees): 44]

It is impossible that Allah, Glory be to him, orders in the Noble Quran to follow certain manners, while the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) contradicts with them. However, he was the first one to apply them.

Thus, the mother of the believers, Aishah, the most truthful, the daughter of Abu Bakr As-Seddik and the wife of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) answered when she was asked about the manners of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him): "He was mannered by Quran." Allah, Glory be to him, praised the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in the Noble Quran by saying:

{And surely you are indeed of magnificent character.} [Al-Qalam (The Pen): 4]

Also, Allah, Glory be to him, attributed him with mercy and clemency. He said:

{Indeed there has already come to you a Messenger from (among) yourselves; Mighty to him is whatever distresses you; Most eager is he for your (welfare), to the believers (he is) constantly compassionate, constantly merciful.}

[At-Tawbah (The Repentance): 128]

Allah, Glory be to him, said:

{And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds.}

[Al-Anbiaa (The Prophets): 107]

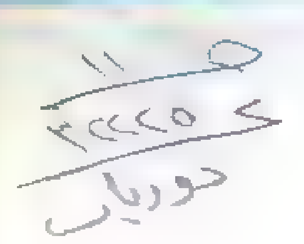


الفهـــرس


AL AZHAR
MAGAZINE

الأزهر

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله متم نوره ولو كره
الكافرون



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

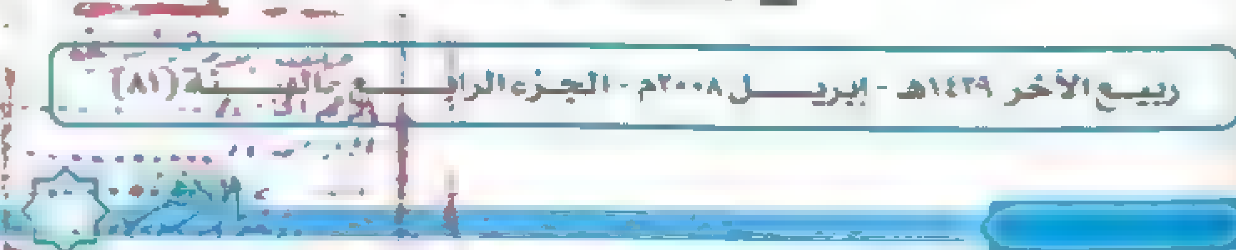
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٣٦٢٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٢٩هـ - إبريل ٢٠٠٨م - الجزء الرابع - السنة (٨١)





في ذكرى المولد النبوي

محمد ﷺ في مرآة الكاتب الأمريكي واشنجتون إرفنج

٢

إن القول بأن شرع الله واحد في الأديان السماوية جميعها شيء. والقول بأن رهبان المسيحية قد تركوا أثرا ما في اتجاه محمد الإسلام قول آخر. وقد قرأت كثيرا عما قيل في دحض هذه الأسطورة المتمكنة لدى نفر ممن كتبوا سيرة رسول الله من رجال الغرب ولكني لم أجد أسد منطقا مما قاله الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد في تفنيد هذه الأسطورة إذ قضى عليها قضاء مبرما في قوله متحدثا عن حال المسيحية في بلاد العرب قبل مبعث الرسول «إن خلافات بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية لم تدع وجها للاتفاق على طريق مسيحي متحد. فإذا كان رسول الله ﷺ قد تعلم من بحيرى أو نسطوري فماذا تعلم منهما؟ أتعلم مذهب من يقول بطبيعتين مختلفتين للإله؟ أم مذهب من يقول بطبيعة واحدة؟ ثم ما هذه المدة الزمنية التي تكفي للإلمام بمذهب واحد فضلا عن مذهبين وهل جاء القرآن بالتوحيد الخالص ليرد على هذين المذهبين أو ليؤيد أحدهما؟ وإذا جاء ليقرر أن المسيح عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فلا تقولوا بإلهين أو ثلاثة: إنما هو إله واحد، فهل كان هذا الحسم البات مما يراه الرهبان أو مما يعارضونه كل المعارضة، فأين هو أثر الأحبار في توجيه الرسول إلى دين النصارى أو إلى أي دين سواه!

إن الإلحاح على فكرة التأثير المسيحي في رسول الله لم يقتصر على بحيرى الراهب بل تعداه إلى ورقة بن نوفل حيث قال المؤلف ص ٥٦:

«أدى زواج محمد من خديجة إلى توثيق صلاته بأحد أقربائها الذي كان له أكبر الأثر في حياة محمد الدينية ذلك هو ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، وكان رجلا ذا أفق واسع وإيمان صادق وكان في الأصل يهوديا ثم اعتنق المسيحية، وكان يجيد أعمال التنجيم ويرجع له الفضل في ترجمة بعض أجزاء الكتب السماوية إلى اللغة العربية. ولا شك أن محمدا قد اطلع عليها واستفاد مما جاء فيها».

وهذا قول بعيد عن الواقع فلم يعرف عن رسول الله أنه اتصل بورقة قبل نزول الوحي عليه في غار حراء ولم يطرأ على باله أن يسأله عن حقيقة ما نزل به حين رجع حائرا إلى خديجة، ولكن خديجة من تلقاء تفكيرها رأت أن تذهب إليه وهي تعتقد في بعده عن الأصنام فتخبره عن حال محمد بعد أن نزل عليه الوحي كما لم يقل أحد. إن ورقة قد ترجم بعض أجزاء الكتب السماوية إلى العربية. وهو قول لو تحقق لعرفه المكيون وأشاروا إليه، ولكن أحدا منهم لم يقل ذلك إطلاقا. ثم إن هذه الترجمة إلى العربية لو فرض وقوعها فرضا، ما كان لمحمد أن يقرأها، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب. ولكن المؤلف قد ذهب بخياله الواسع إلى أن رسول الله ﷺ قد اتصل بورقة، وقرأ ما كتب. كما ذهب بخياله الواسع إلى أن رسول الله ﷺ قد قرأ أسطرا مكتوبة بحروف من نور حين نزل عليه جبريل في غار حراء لأول مرة. حيث قال المؤلف واصفا هذا اللقاء الدائع ص ٦٠:

«قال جبريل لمحمد: اقرأ، فقال محمد: ما أقرأ؟ فقال الملك:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(العلق ١ - ٥)

واستطاع محمد بواسطة الضوء المنتشر في المكان أن يقرأ الكلمات المنقوشة على الثوب، وهي الآيات القرآنية السالفة الذكر حتى إذا انتهى من قراءتها سمع الملك يقول. يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل».

والذي ذكره المؤلف عن رسول الله ﷺ حين قال. إنه سأل جبريل ما أقرأ. يخالف الواقع لأن الرواية الصحيحة التي جاءت في كتب السنة المطهرة تقول: ما أنا بقارئ! إذ أنه ﷺ أمي لا يقرأ، ولكن المؤلف ترك هذا النص الحاسم ليقول بعد ذلك. واستطاع محمد بواسطة الضوء المنتشر في المكان أن يقرأ الكلمات المنقوشة على الثوب! وهو مما يذكرنا بقوله: إن رسول الله قد قرأ ترجمة الكتب السماوية التي نقلها ورقة بن نوفل إلى العربية وورقة لم يترجم كتابا، ومحمد لم يجتمع به قبل مبعثه! ولكنه الخيال الروائي الذي يضيف إلى الواقع ما لم يكن؛ ليعبر عن فكرة خاصة بالمؤلف يريد أن يؤكدها فيما يقول، والخيال الروائي مستحسن في القصص إذا جاء لتأكيد حقيقة مشتهرة عن بطل القصة، فوظيفة الخيال حينئذ تقريب الواقع إلى ذهن القارئ لا

الابتعاد عن الحق المشهود! ولا يجوز لمؤلف ما أن يسبح بخياله فيذكر ما لم يكن على أنه كان في سيرة نبي مرسل يتحدث عن وقائعه المشهورة ليكون كتابه مرجعا لأبناء لغته، مرجعا أمينا يتقيد بالواقع، ولا يجنح إلى الخيال!

وتتمة الحديث عن خديجة -رضي الله عنها- فإن المؤلف ذكر زواجها الكريم برسول الله كما هو مدون في كتب السيرة المشهورة. وقد أبدع فيما كتب إبداعا جيدا، ولكن الخيال اشتط به حين قال ص٥٣: «ولكن خديجة كانت على جانب كبير من الحكمة، فرأت أن تقدم قلبها على ثروتها، فأقامت حفلا كبيرا دعت إليه أباها وبعض أقربائها، وعمي محمد أبا طالب وحمزة، وبعض رجالات قريش. وكان أبوها خويلد يحب النبيذ فأثقل بعض منه حتى ثمل. وطلبت خديجة من أبيها، وهو واقع تحت تأثير الخمر أن يوافق على زواجها من محمد فأبدى موافقته متناسيا فقر محمد وتبادل الفريقان الخطب فخطب أبوطالب وخطب ورقة أحد أقرباء خديجة وباركا الزواج وتم الاتفاق على المهر وسرعان ما تم الزواج».

هذا ما قاله المؤلف وأنا أعجب أكثر العجب من قوله إن خديجة قدمت النبيذ لوالدها كي يسكر ويوافق على الزواج وهو ثمل لا يفيق! وقوله إن ورقة قد خطب في هذا الحفل. لأن الحفل قد أقيم خاصا بالزواج فكيف يحضر خويلد إليه وهو لا يعلم شيئا عن هذا الاجتماع؟! ثم يسكر بالنبيذ ليوافق على إتمام الزواج! ألم يسأل نفسه حين رأى الجمع المشهود عن الداعي لإقامته؟! وكيف جاء هو وهاشم محتفلين مرحبين فلاقوا أجمل مظاهر التكريم؟! وهل مثل أبي طالب في رياسته ووجاهته بمكة يقبل أن يخدع والد خديجة عن محمد؟! إنه خطب في الحفل فقال: إن محمدا بن عبدالله بن أخي لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا، وإن كان قليل المال فإن المال ظل زائل وعارية مسترددة. وقد أنصت الجميع إلى قول أبي طالب وأثنوا عليه وباركوه وخرج أقارب خديجة كما خرج أقارب محمد مسرورين مغتبطين. أما حضور ورقة فلم يشر إليه أحد ممن كتبوا سيرة رسول الله! فيكون الخيال قد اشتط بالمؤلف حين ذكر سكر خويلد! وحين ذكر خطبة ورقة! وما كان له أن يبتعد عن الواقع فيصان من حقيقته بما سطر من أوهام.

هذا ما أذكره في نقد ما وقع فيه المؤلف من أخطاء لم يحاول أن يلتفت إلى ما تحويه من شطط جامح ولكن الكثرة الكاثرة من صوابه وتوفيقه تدفعنا إلى الإشادة بجهده وإنصافه ومن هذه الإصابات الرائعة قوله ص ١٣٨ عن حياة الرسول بالمدينة وسلوكه مع زوجاته:

لم تختلف حياة محمد العائلية عن حياة غيره من المسلمين وقد وصفت عائشة هذه الحياة بعد وفاة الرسول بعدة سنوات فقالت: إنه كان يمضي شهر دون أن يوقد نارا، وكان طعامهما يتألف من البلح والماء ولم يكن أهل منزل الرسول يأكلون خبز القمح يومين متتاليين.

كان طعام محمد يتألف غالبا من البلح والخبز وأحيانا يأكل بعض اللبن والعسل. وكان يكنس حجرته ويوقد النار، ويصلح ثيابه، ويخدم نفسه بنفسه. خصص محمد لكل من زوجاته مسكنا منفصلا ملحقا بالمسجد وكان يتردد عليهن بالتناوب، وإن ظلت عائشة زوجته المفضلة.

كما قال مؤلف الكتاب عن رسول الله يوم الفتح مما نعرفه جميعا ص٢٣١:

كان الرسول رحيما عطوفا، فقد قدم إليه زعماء قريش ينتظرون حكمه عليهم فقال لهم الرسول: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم فقالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم فقال **الرسول: اذهبوا فأنتم الطلقاء.**

تطلع بعض المسلمين إلى الأخذ بثأر بعض قتلاهم ولم يروا ما أبداه الرسول من رحمة وتسامح، ولكن الرسول حرم القتال وسفك الدماء في مكة وكان قد اعترف أن يعاقب من أتوا أعمالا حاسما، ولكنه ما لبث أن عفا عن معظمهم. كان من بين الناس اللاتي تقدمن يبايعن الرسول هند زوجة أبي سفيان. تلك المرأة الشرسة التي رأيناها تلوك كبد حمزة في معركة أحد انتقاما لمقتل أبيها على يد حمزة وحينما رآت الرسول يوجه نظره نحوها ارتمت على قدمه وهي تقول: نعم إني هند فاعف عني عفا الله عنك. فعفا عنها. وبعد حديث شائق عن عفوه عن وحشي وهبار بن الأسود وعبدالله بن أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل قال المؤلف في ص ٢٣٣

كانت تصرفات الرسول في مكة تدل على أنه نبي مرسل. لا على أنه قائد مظفر فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه مع أنه أصبح في مركز القوة ولكنه توج كفاحه وانتصاره بالرحمة والعفو.

وبعد،

فلم أقصد بتدوين هذا البحث أن أتتبع المؤلف في صفحات كتابه كما ألفها وفق ترتيب زمني يعرض الأحداث منذ بدء الرسالة إلى ختامها الدعوة بوفاة رسول الله؛ لأن السيرة في منهجها التاريخي معروفة متداولة وليس المهم لدى القارئ العربي أن يتتبعها في كتاب غربي، لأنه يعرف المضمون التاريخي معرفة تفوق لدى الدارسين معرفة كل مؤلف غربي ولكني أردت أن أتحدث عن ناحيتين هامتين في هذا الكتاب النادر. الناحية الأولى: ما وفق فيه المؤلف من إبراز الحياة الطاهرة الشريفة لرسول الله وتمتعه بكريم الخصال وشريف الفضائل وتسجيل ذلك للقارئ العربي بأفق مفيد. أما الناحية الثانية: فالإشارة إلى بعض ما وقع فيه المؤلف من أخطاء لم يدرك صحتها لعدم الإدراك فجاءت تخالف الواقع وكل إنسان يخطئ ويصيب وأقول بعض ما وقع فيه، لأني تجاوزت عن أخطاء يعرفها القارئ المسلم عن يقين، وقد يكون في بعضها ما تختلف فيه وجهة النظر دون أن يكون لها خطورة في سلامة البحث وانحراف المنهج. ولعلي بهذا البحث أدفع القارئ إلى تصفح هذا الكتاب فقد يجد فيه الكثير مما يشبع نهمه العلمي في التحصيل تارة وفي النقد تارة أخرى؛ وإذا تحقق ذلك فقد بلغت كل ما أريد.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

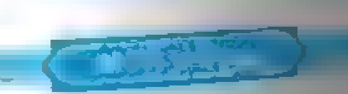
﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الآيات ١٦٥-١٦٨)

فقوله تعالى

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾

كلام مستأنف مسوق لإبطال بعض ما نشأ من الظنون الفاسدة، إثر إبطال بعض آخر تقدم الحديث عنه

من فوائد غزوة أحد أنها كشفت عن قوى الإيمان من ضعيفه، وميزت الخبيث من الطيب. وقد كان انتصار المسلمين في بدر حمل كثيرا من المنافقين يدخلون في الإسلام طمعا في الغنائم، [illegible] عدم انتصارهم في أحد قد أظهر المنافقين على حقيقتهم.



ويسر للمؤمنين معرفتهم والحذر منهم.

والهمزة في قوله ﴿ أَوَلَمَّا ﴾ للاستفهام الإنكارى التعجبى. و«الواو» للعطف على محذوف و﴿ لَمَّا ﴾ ظرف بمعنى حين مضافة إلى ما بعدها مستعملة في الشرط.

والمصيبة أصلها في اللغة الرمية التي تصيب الهدف ولا تخطئه. ثم أطلقت على ما يصيب الإنسان في نفسه أو أهله أو ماله أو غير ذلك من مضار. وقوله ﴿ مِّثْلَيْهَا ﴾ أى ضعفيها، فإن مثل الشيء ما يساويه. ومثليه ضعفه.

والمعنى: أفعلتم ما فعلتم من أخطاء، وحين أصابكم من المشركين يوم أحد نصف ما أصابهم منكم قبل ذلك في بدر تعجبتم وقلتم ﴿ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾ أى من أين لنا هذا القتل والخذلان ونحن مسلمون نقاتل في سبيل الله، وفينا رسوله ﷺ وأعداؤنا الذين قتلوا منا من قتلوا مشركون يقاتلون في سبيل الطاغوت.

فالجملة الكريمة توبيخ لهم على ما قالوه، لأنه ما كان ينبغي أن يصدر عنهم. إذ هم قد قتلوا من المشركين في بدر سبعين من صناديدهم وأسروا منهم قريبا من هذا العدد وفي أحد كذلك كان لهم النصر في أول معركة على المشركين، وقتلوا منهم قريبا من عشرين إلا أنهم حين خالفوا وصية رسولهم ﷺ وتطلعوا إلى الغنائم منع الله عنهم نصره، فقتل المشركون منهم قريبا من سبعين.

وقوله: ﴿ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ في محل رفع صفة «لمصيبة». وفائدة هذا القول التنبيه على أن أمور الدنيا لا تبقى على حال واحدة. وإن من شأن الحرب أن تكون سجالا، إلا أن العاقبة جعلها الله للمتقين.

وقوله ﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾ هو موضع التوبيخ والتعجيب من شأنهم. لأن قولهم هذا يدل على أنهم لم يحسنوا وضع الأمور في نصابها حيث ظنوا أن النصر لابد أن يكون حليفهم حتى ولو خالفوا أمر قائدهم ورسولهم ﷺ ولذا فقد رد الله -تعالى- عليهم بما من شأنه أن يعيد إليهم صوابهم وبما يعرفهم السبب الحقيقي في هزيمتهم فقال:

﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾

أى: قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا ما قالوا: إن ما أصابكم في أحد سببه أنتم لا غيركم.

فأنتم الذين أبيتم إلا الخروج من المدينة مع أن النبي ﷺ أشار عليكم بالبقاء فيها. وأنتم الذين خالفتم وصيته بترككم أماكنكم التي حددها لكم وأمركم بالثبات فيها. وأنتم الذين تطلعت أنفسكم إلى الغنائم فاشتغلتم بها وتركتم النصيحة، وأنتم الذين تفرقتم عن رسول الله ﷺ في ساعة الشدة والعسرة فلهذه المخالفات التي نبعت من أنفسكم أصابكم ما أصابكم في أحد، وكان الأولى بكم أن تعرفوا ذلك وأن

تعتبروا وأن تقلعوا عن هذا القول الذى لا يليق بالعقلاء. إذ العاقل هو الذى يحاسب نفسه عندما يفاجئه المكروه ويعمل على تدارك أخطائه ويقبل على حاضره ومستقبله بثبات وصبر مستفيدا بماضيه ومتعظا بما حدث له فيه.

وما أحوج الناس في كل زمان ومكان إلى الأخذ بهذا الدرس فإن كثيراً منهم يقصرون في حق الله وفي حق أنفسهم وفي حق غيرهم، ولا يباشرون الأسباب التي شرعها الله للوصول إلى النصر.. بل يبنون حياتهم على الغرور والإهمال، فإذا ما أصابتهم الهزيمة مسحوا عيوبهم في القضاء والقدر، أو في غيرهم من الناس، أو شدهوا لهول ما أصابهم ـ بسبب تقصيرهم ـ ثم قالوا: أنى هذا؟ وما دروا لجهلهم وغرورهم أن الله ـ تعالى ـ قد جعل لكل شيء سببا. فمن باشر أسباب النجاح وصل إليها بإذن الله ومن أعرض عنها حرمه الله ـ تعالى ـ من عونه ورعايته.

ولقد أكد ـ سبحانه قدرته على كل شيء فقال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

أى إن الله تعالى ـ قدرته فوق كل شيء فهو القدير على نصركم وعلى خذلانكم وبما أنكم قد خالفتم نبيكم ﷺ فقد حرمكم الله نصره، وقرر لكم الخذلان. حتى تعتبروا ولا تعودوا إلى ما حدث من بعضكم في غزوة أحد. ولتذكروا دائما قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾

(الشورى: ٣٠)

ثم أكد ـ سبحانه ـ عموم قدرته وإرادته فقال:

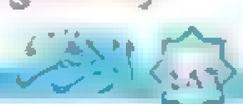
﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

أى: وما أصابكم ـ أيها المؤمنون ـ من قتل وجراح وآلام يوم التقى جمعكم وجمع أعدائكم في أحد، ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى فبإرادته وعلمه، إذ ما من شيء يقع في هذا الكون إلا بتقدير الله وعلمه، فعليكم أن تستسلموا لإرادة الله، وأن تعودوا إلى أنفسكم فتهذبوها وتروضوها على تقوى الله وطاعته، حتى تكونوا أهلا لنصرته وعونه

و(ما) موصولة بمعنى الذى في محل رفع بالابتداء، وجملة ﴿ أَصَابَكُمْ ﴾ صلة الموصول، وقوله ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ هو الخبر. ودخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط. وقوله

﴿ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بيان لبعض الحكم التى من أجلها حدث ما حدث في غزوة أحد.

والعلم هنا كناية عن الظهور والتقرير في الخارج لما قدره ـ سبحانه ـ في الأزل أى أراد الله أن يحدث ما حدث في غزوة أحد



ليظهر للناس ويميز لهم المؤمنين من غيرهم

وقوله

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾

حكمة ثانية لما حدث في غزوة أحد أى: حدث ما حدث في غزوة أحد ليعلم ـ سبحانه ـ المؤمنين من المنافقين علم عيان ورؤية وظهور يتميز معه عند الناس كل فريق عن الآخر تميزاً ظاهرا.

إذ أن نصر المسلمين في بدر فتح الطريق أمام المنافقين للتظاهر باعتناق الإسلام. وعدم انتصارهم في أحد، كشف عن هؤلاء المنافقين وأظهرهم على حقيقتهم، فإن من شأن الشدائد أنها تكشف عن معادن النفوس، وخبايا القلوب.

ثم بين ـ سبحانه ـ بعض النصائح التي قيلت لهؤلاء المنافقين حتى يقلعوا عن نفاقهم، وحكى ما رد به المنافقون على الناصحين فقال:

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾

أى فعل ـ سبحانه ـ ما فعل في أحد ليميز المؤمنين من المنافقين الذين قيل لهم من النبي ﷺ ومن بعض أصحابه: تعالوا معنا لتقاتلوا في سبيل الله، فإن لم تقاتلوا فادفعوا أى فانضموا إلى صفوف المقاتلين، فيكثر عددهم بكم فإن كثرة العدد تزيد من خوف الأعداء.

أو المعنى: تعالوا معنا لتقاتلوا من أجل إعلاء كلمة الله. فإن لم تفعلوا ذلك لضعف إيمانكم، واستيلاء الشهوات والأهواء على نفوسكم، فلا أقل من أن تقاتلوا لتدفعوا عن أنفسكم وعن مدينتكم عار الهزيمة.

أى إن لم تقاتلوا طلبا لمرضاة الله، فقاتلوا دفاعا عن أوطانكم وعزتكم.

قال الجمل: وهذه الجملة وهى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا ﴾ تحتمل وجهين.

أحدهما: أن تكون مستأنفة، أخبر الله أنهم مأمورون إما بالقتال وإما بالدفع أى تكثير سواد المسلمين ـ أى عددهم.

والثاني: أن تكون معطوفة على ﴿ نَافَقُوا ﴾ فتكون داخلة في خبر الموصول. أى وليعلم الذين حصل منهم النفاق والقول المذكور وإنما لم يأت بحرف العطف بين تعالوا وقاتلوا لأن المقصود أن تكون كل من الجملتين مقصودة بذاتها[1].

وقوله:

﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾

(١) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص ٣٣٤

حكاية لردهم القبيح على من نصحهم بالبقاء مع المجاهدين.

أى قال المنافقون ـ وهم عبدالله بن أبى وأتباعه ـ لو نعلم أنكم تقاتلون حقا لسرنا معكم، ولكن الذى نعلمه هو أنكم ستذهبون إلى أحد ثم تعودون بدون قتال لأى سبب من الأسباب.

أو المعنى ـ كما يقول الزمخشرى ـ: «لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا ﴿ لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشىء، ولا يقال لمثله قتال. إنما هو إلقاء بالنفس إلى التهلكة لأن رأى عبدالله بن أبى كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج»[2].

وقال ابن جرير: «خرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل من أصحابه وحتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة. انخذل عنهم عبدالله بن أبى بن سلول بثلث الناس وقال: أطاعهم. أى رسول الله ﷺ فخرج وعصاني. والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق والريب، فاتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام ـ أخو بنى سلمة ـ يقول لهم: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم ـ وقاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ـ فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أن يكون قتال.

فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عن المؤمنين قال لهم: أبعدكم الله يا أعداء الله فسيغني الله رسوله عنكم. ثم مضى مع رسول الله ﷺ»[3].

هذا هو موقف المنافقين في غزوة أحد. وهو موقف يدل على فساد قلوبهم، وخبث نفوسهم، وجبنهم عن لقاء الأعداء.

ولقد كان المؤمنون الصادقون على نقيض ذلك. فلقد خرجوا مع رسول الله ﷺ وثبتوا إلى جانبه فكانوا ممن قال الله فيهم:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب: ٢٣)

ولقد حكى لنا التاريخ أن بعض المؤمنين الذين كانت لهم أعذارهم التي تسقط عنهم الخروج للجهاد. كانوا يخرجون مع المجاهدين لتكثير عددهم.

فعن أنس بن مالك قال: «رأيت يوم القادسية ـ عبدالله بن أم مكتوم ـ وكان رجلا أعمى ـ وعليه درع يجر أطرافها وبيده راية سوداء. فقيل له: أليس قد أنزل الله عذرك؟ فقال: بلى ولكني أحب أن أكثر المسلمين بنفسي»[4].

هذا، وقد أصدر ـ سبحانه ـ حكمه العادل على أولئك المنافقين فقال:

﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾

أى هم يوم أن قالوا هذا القول الباطل قد بينوا حالهم، وهتكوا أستارهم وكشفوا عن نفاقهم لمن كان يظن أنهم مؤمنون، لأنهم قبل أن يقولوا:

﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾

كانوا يتظاهرون بالإيمان، وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر.

أو المعنى: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان. لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال فيه تقوية للمشركين.

قال الجمل: «وقوله: ﴿ هُمْ ﴾ مبتدأ. وقوله: ﴿ أَقْرَبُ ﴾ خبره، وقوله: ﴿ لِلْكُفْرِ ﴾ وقوله ﴿ لِلْإِيمَانِ ﴾ متعلقان بأقرب، لأن أفعل التفضيل في قوة عاملين. فكأنه قيل: قربوا من الكفر وقربوا من الإيمان، وقربهم للكفر في هذا اليوم أشد لوجود العلامة وهي خذلانهم للمؤمنين»[5].

وقوله:

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

جملة مستأنفة مبينة لحالهم مطلقا لا فى ذلك اليوم فحسب.

أى أن هؤلاء القوم من صفاتهم الذميمة أنهم يقولون بألسنتهم قولا يخالف ما انطوت عليه قلوبهم من كفر، وما امتلأت به نفوسهم من بغضاء لكم ـ أيها المؤمنون.

قال صاحب الكشاف: وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم، وأن إيمانهم موجود فى أفواههم معدوم في قلوبهم، بخلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم»[6].

وقوله:

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾

تذييل قصد به زجرهم وتوعدهم بسوء المصير بسبب نفاقهم وخداعهم.

أى والله ـ تعالى ـ أعلم منكم ـ أيها المؤمنون ـ بما يضمره هؤلاء المنافقون من كفر ومن كراهية لدينكم، لأنه ـ سبحانه ـ يعلم ما ظهر وما خفي من أمورهم، وقد كشف الله لكم أحوالهم لكى تحذروهم، وسيحاسبهم يوم القيامة على أعمالهم، وسينزل بهم ما يستحقونه من عذاب مهين.

ثم حكى ـ سبحانه ـ لونا آخر من أراجيفهم وأكاذيبهم التي قصدوا من

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٢٨.

(٤) تفسير القرطبي جـ٤ ص٢٦٦

(٥) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص٣٣٤ بتصرف يسير

(٦) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٣٧

وراثها الإساءة إلى المؤمنين، والتشكيك في صدق تعاليم الإسلام فقال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾

أى أن هؤلاء المنافقين لم يكتفوا بما ارتكبوه من خيانات قبيل غزوة أحد وخلالها، بل إنهم بعد انتهاء المعركة قالوا لإخوانهم الذين هم مثلهم في المشرب والاعتقاد قالوا لهم وقد قعدوا عن القتال: لو أن هؤلاء الذين استشهدوا في أحد أطاعونا وقعدوا معنا في المدينة لما أصابهم القتل، ولكنهم خالفونا فكان مصيرهم إلى القتل.

ويجوز أن تكون اللام في قوله «لإخوانهم» للتعليل فيكون المعنى: أنهم قالوا من أجل إخوانهم الذين استشهدوا في غزوة أحد، لو أن هؤلاء الذين قتلوا أطاعونا ولم يخرجوا لبقوا معنا على قيد الحياة، كما هو حالنا الآن، ولكنهم لم يستمعوا إلى نصحنا وخرجوا للقتال فقتلوا.

وعلى كلا التفسيرين فقولهم هذا يدل على خبث نفوسهم، وانطماس بصيرتهم وجهلهم بقدرة الله ونفاذ إرادته، وشماتتهم فيما حل بالمسلمين من قتل وجراح يوم أحد.

ولذا فقد رد الله عليهم بما يخرس ألسنتهم، ويدحض قولهم، ويكشف عن جهلهم وسوء تفكيرهم فقال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾

أى قل لهم يا محمد على سبيل التوبيخ والتهكم بعقولهم الفارغة: إذا كنتم تظنون أنكم دفعتم عن أنفسكم الموت بقعودكم في بيوتكم، وامتناعكم عن الخروج للقتال، إذا كنتم تظنون ذلك ﴿ فَٱدۡرَءُواْ ﴾ أى ادفعوا عن أنفسكم الموت المكتوب عليكم، والذى سيدرككم ولو كنتم في بروج مشيدة.

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة الرد عليهم بما يبطل أقوالهم عن طريق الحس والمشاهدة، وذلك ببيان أن القعود عن الجهاد لا يطيل الحياة، كما أن الخروج إلى ساحات القتال لا ينقص شيئا من الآجال، فكم من مجاهد عاد من جهاده سالما، وكم من قاعد أتاه الموت وهو في عقر داره.

فزعم هؤلاء المنافقين بأن أولئك الذين استشهدوا في أحد لو أطاعوهم ولم يخرجوا للقتال لما أصابهم القتل زعم باطل، وإلا فإن كانوا صادقين في هذا الزعم فليدفعوا عن أنفسهم الموت الذى سينزل بهم حتما في الوقت الذى يشاؤه الله، ولا شك أنهم لن يستطيعوا دفعه فثبت كذبهم وافتراؤهم.

وقوله تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾

في محل نصب بدل من قوله:

﴿ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾

أو في محل رفع بدل من الضمير في قوله: ﴿ يَكۡتُمُونَ ﴾ فكأنه قيل: والله أعلم بما يكتم هؤلاء الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا...

وقوله ﴿ وَقَعَدُواْ ﴾ حال من الضمير في ﴿ قَالُواْ ﴾ بتقدير حرف «قد» أى قالوا ما قالوا والحال أنهم قد قعدوا عن القتال.

وجواب الشرط في قوله

﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾

محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله

﴿ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ ﴾

والتقدير: إن كنتم صادقين في زعمكم أن الذين قتلوا في أحد لو أطاعوكم وقعدوا كما قعدتم لما أصابهم القتل، إن كنتم صادقين في هذا الزعم فادرأوا عن أنفسكم الموت عند حلوله.

قال الآلوسى: والمراد أن ما ادعيتموه سببا للنجاة ليس بمستقيم، ولو فرض استقامته فليس بمفيد، أما الأول: فلأن أسباب النجاة كثيرة. غايته أن القعود والنجاة وجدا معا وهو لا يدل على السببية.

وأما الثانى: فلأن المهروب عنه بالذات هو الموت الذى القتل أحد أسبابه فإن صح ما ذكرتم فادفعوا سائر أسبابه، فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء، وأنفسكم أعز عليكم وأمرها أهم لديكم[7].

وقال ابن القيم: وكان من الحكم التى اشتملت عليها غزوة أحد، أن تكلم المنافقون بما في نفوسهم، فسمعه المؤمنون، وسمعوا رد الله عليهم، وجوابه لهم، وعرفوا مراد النفاق، وما يؤول إليه، كيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة.

فالله الله كم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة، ونعمة على المؤمنين سابغة، وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتنبيه، وتعريف بأسباب الخير والشر ومآلهما وعاقبتهما[8].

***

(٧) تفسير الآلوسى جـ٤ ص ١٢٠.

(٨) زاد المعاد لابن القيم نقلا عن تفسير القاسمى ص ١٠٣٢.



روى الإمام البخاري، رحمه الله، عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، وترد في فقرائهم. فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

الشرح والبيان

في هذا الحديث النبوي الشريف يطلب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى عامله الصحابي الجليل معاذ بن جبل «رضي الله عنه» إذا أتى أهل الكتاب أن يدعوهم أول ما يدعوهم إلى التوحيد الذي هو أساس كل دين سماوي قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

آل عمران ٦٤

وأن يعلمهم أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي رسول الله فإن هم نطقوا بالشهادتين فأعلمهم أن الله «عز وجل» افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أدوها في أوقاتها، مستكملة الأركان، مستوفاة الشرائط، فأعلمهم أن الله «عز وجل» افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم. ولما كان رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة ـ كان أجود الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ولم يؤثر عنه أنه رد سائلا قط حتى أنشد مادحه:

ما قال «لا» إلا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه «نعم»

مفهوم الصدقة

وسنتناول من هذا الحديث مفهوم الصدقة في الإسلام. إذ الإسلام يقرر مبدأ التعاون والتعاطف بين الناس. ويرسي بناء المجتمع كله على ركائز من الخير، ودعائم من الحب. لا تميد ولا تهتز ولكن البشرية تضل طريقها حين تحيد عن تعاليم هذا الدين، وتبحث عن الخير في غيره. مع أن الإسلام لم يدع صغيرة ولا كبيرة في كل شأن من شئون الحياة إلا سلط عليها أضواءه وشرع لها آدابه بحيث تصبح الحياة جنة حافلة بالرفق واللين، فهل يجعلها المسلمون كذلك بحسن أعمالهم، وجميل سلوكهم؟

إن المؤمن العاقل يؤمن بأنه لا يعيش لنفسه، يجاهد في هواها، ويسعى وراء شهواتها، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه، واليد الواحدة لا تصفق، ولكنه يعيش في بيئة يتعاون معها، ويعمل خيرها، ويجاهد في سبيل رفع شأنها، وإعزاز مكانتها. فسعادته مرتبطة بسعادتها، وشقاؤه مرهون بشقائها.. كما أنه يؤمن بأن عمله من أجل إسعادها عمل عظيم يستحق عليه الأجر والمثوبة، فتعالوا بنا لنستمع إلى معلم الإنسانية، رسول الله ﷺ وهو يوجه كل إنسان منا إلى أن يقدم لأمته الخير الذي يستطيعه، والجهد الذي يطيقه روى الشيخان من حديث أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ـ ﷺ «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة» وفي رواية أخرى «كل سلامى عليه صدقة كل يوم، يعين الرجل في دابته يحامله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة. ودل الطريق صدقة».. فما الصدقة؟

الصدقة: هي الشكر الذي يؤديه الإنسان إلى ربه اعترافا بما وهبه من نعم، وأفاض عليه من أفضال، ويكفي أن يلتفت المرء إلى أقرب شيء إليه، ليعرف فضل ربه، ويذكر نعم خالقه، يكفي أن ينظر إلى جسمه، فكل عظمة فيه تؤدي واجبها وتقوم بدورها في بناء جسمه، ونظام حياته قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

الذاريات ٢١

وقد ذكر علماء الطب أن عظام البدن كثيرة متعددة، وكل قطعة فيها ـ مهما تناهت في الصغر. وإن غفل الغافلون عن

سرها، وتغاضوا عن حكمتها ـ لها دور تؤديه، ومهمة تعمل لها. آلات دقيقة في بناء هذا الإنسان، إذا توقفت آلة عن عملها ـ اختل البناء وربما وهن الجلد وانتشر الشيب، وسقط الإنسان سريعا في معترك الحياة، أفلا تستحق هذه النعم الكبرى ومن أعطى أن تذكر فتشكر، وأن تعرف فتقدر؟!

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾

النحل: ٥٣

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

النحل: ١٨

وإذا كان الشكر واجبا عليك بالصدقة الدائمة للذي خلقك في أحسن تقويم، وصورك فأحسن صورتك فبالأحرى وبالأجدر أن تزكي عن الخير الذي ساقه الله إليك، والمال الذي رزقك فإذا بلغت نقودك حد النصاب وجب عليك زكاة المال شكرا لله الذي أعطاك وأعطاك قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

المعارج: ٢٤، ٢٥

وقال:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

التوبة: ١٠٣

وإذا أغلت أرضك من خيرات الله وجب عليك زكاة الزرع، شكرا لربك الذي أودع أرضك من أسرار قدرته فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾

(الواقعة: ٦٣ - ٦٧)

شكر للخالق

وإذا نمت ثروتك الحيوانية، وتتابع نتاجها ـ وجب عليك زكاة السائمة شكرا لربك على ما رزقك من بهيمة الأنعام.. انظروا وتأملوا كيف تتنوع الزكاة وكيف أن لكل شيء زكاة؟ فكما أن للمال زكاة، وللزرع زكاة، وللأنعام زكاة، وللركاز زكاة فكذلك للصحة والعافية أيضا زكاة، ففي كل يوم تطلع عليك شمسه وأنت صحيح معافى ـ صدقة تؤديها شكرا لله عز وجل، روى الترمذي وابن ماجة عن عبيدالله بن محصن الخطمي قال: قال رسول الله ﷺ «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» وفي رواية «بحذافيرها». فمع كل حركة في بدنك مفصل، أو اضطرب في جسمك عضو وجبت عليك صدقة شكرا للخالق المنعم، وأدق من هذا في كل قطرة دم تجري في عروقك وفي كل نظرة يرمي بها بصرك، وفي كل نفس تحقق بها رئتك ـ نعمة كبرى ينبغي أن يتصدق عنها، حمدا لله وشكرا.

ثمرات الصدقة

وناهيك عما للصدقة من ثمرات دنيوية وأخروية، فمن ثمراتها الدنيوية أنها دواء لكل داء، وعلاج لكل مرض روى أبو داود عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ «داووا مرضاكم بالصدقة» وأنها تدفع ميتة السوء. وروى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبدالله «رضي الله عنه» قال: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أدى الرجل زكاة ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره».

والصدقة تزيد الرزق، وتمنحه البركة قال تعالى:

﴿ ... كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

البقرة: ٢٤٥

ومن ثمرات الصدقة الأخروية أنها تكفر الذنوب، وتمحو الخطايا. روى الترمذي في سننه عن كعب بن عجرة قال: قال لي رسول الله ﷺ.

«يا كعب بن عجرة، الصلاة برهان، والصوم جنة حصينة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار».

والصدقة تظل صاحبها يوم القيامة روى أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن عقبة بن عامر «رضي الله عنه» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس» وروى الامام أحمد في مسنده عن يزيد بن أبي حبيب قال: كان مرثد بن عبدالله لا يجئ إلى المسجد إلا ومعه شئ يتصدق به. قال: فجاء ذات يوم إلى المسجد ومعه بصل فقلت له: أبا الخير، ما تريد إلى هذا ينتن عليك ثوبك قال: «يا بن أخي، والله ما كان في منزلي شيء أتصدق به غيره، إنه حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ظل المؤمن يوم القيامة صدقته»

هذا ولكن المتأمل في حديث «كل سلامى من الناس عليه صدقة» يجد أنه خرج بالصدقة عن معناها الحسي الضيق إلى معنى أرحب وأوسع فمفهوم الصدقة أنها نقود تعطى للفقير من الغني عادة وهي بهذا المعنى ضيقة الدلالة، لكنها في الحديث واسعة الدلالة وواجبة على الأغنياء والفقراء جميعا. فهي حق معلوم لا في الأموال والنقود فحسب ولكن في العواطف النبيلة والإحساس المرهف والشعور الكريم الذي يشد أفراد المجتمع بروابط وثيقة من التآخي والتراحم والتعاطف. ولعلك تلمس ذلك بوضوح في قول النبي ـ ﷺ ـ لمعاذ بن جبل «رضي الله عنه» ـ في حديث البخاري ـ: «إياك وكرائم أموالهم» فهو

بهذا يحافظ على مشاعر الأغنياء، بحيث لا يخرج أحدهم شيئا تتعلق به نفسه، وتتأثر بخروجه عن دائرة تملكه. إن الصدقة - بهذه الصورة - تفجير لمنابع الخير في النفس البشرية حتى تنساب على طبيعتها، فتغمر كل واد، ويرتوي منها كل مكان وهذا من فضل الإسلام على الناس، فلو أنه حبس الصدقة في دائرة الأموال وجعل الخير مقصورا على الجود المالي لحرم كثيرون من أبناء البشرية من بلوغ هذه الغاية الشريفة، ولبقي كثير من الينابيع الجياشة حبيسة في مواطن النفوس لا تتحرك للخير ولا ينتفع بها أحد ولكن الإسلام عبّد طرقها ويسر أمرها حتى أصبحت في مقدور كل إنسان..

على كل مسلم صدقة!!

ومن هنا أطلق رسول الله ﷺ الصدقة في عموم وشمول - روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري «رضي الله عنه» عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة»، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمل بالمعروف. وليمسك عن الشر فإنها له صدقة»... وروى ابن حبان «رحمه الله» في صحيحه عن أبي ذر «رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس»، قيل: يا رسول الله، ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: «إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم وتهدي الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك». وبهذا البيان الواضح الشامل يدعو الرسول الكريم ﷺ كل مسلم أن يقدم لأمته الخير الذي يطيقه وتتسع له دائرة نفسه وعليه أن يسهم في بناء نهضتها ودعم كيانها بما يستطيع. وقد أوضح رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة تنوع الصدقة فالعدل بين المتنازعين صدقة والإصلاح بين المتخاصمين صدقة ومعونة المحتاج صدقة والكلمة الطيبة صدقة. وإماطة الأذى عن الطريق صدقة. وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة طلبا للجماعة صدقة. فأبواب الخير كثيرة وأدناها أن يكف الإنسان شره عن الناس.

جعلني الله وإياكم من الأسخياء الكرماء وعصمنا أن نكون من الأشحاء البخلاء.

الصدقة في ميزان الإسلام





> قال أحد أهل الورع إذا وجدت من يأخذ منك الصدقة فأعطها له وقبل يده. فتعجب المخاطب وقال: كيف؟
>
> فقال الورع: يا أخي لا تعجب. وانظر إلى عطائك وعطائه. فإذا ما أعطيته صدقة. فإما أن يأكلها - إن كانت طعاما - أو يشتري بها حاجة من حاجاته. وبعدها صدقتك بالنسبة له تنتهي. أما هو فقد أعطاك ثوابا ادخر لك عند الله تلقاه عنده يوم الحساب. فعطاء من أبقى؟ عطاؤك أم عطاؤه؟
>
> فقال المتصدق: بل عطاؤه أبقى لي.
>
> فقال الورع: إذن فقبل يده.

- استكمالاً لحديثنا عن الزكاة.. نعرض اليوم لأمر الصدقة التي تلألأ لها وجه النبي محمد ﷺ. تلك الصدقة التي دعا لها النبي المصطفى حين رأى جماعة من مضر في ثياب رثة، فساءه حالهم، ودعا المسلمين إلى مساندتهم وحثهم على التعاطف معهم والتراحم فيما بينهم.

فعن أبي عمرو جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة، مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى، ثم خطب فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ إلى آخر الآية

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

(النساء ١)

والآية (١٨) في سورة الحشر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾

تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: (ولو بشق تمرة) فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة(*) فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[١] رواه مسلم.

وتخبرنا القصة بعدة مشاهد، أولها: أن هؤلاء القوم جاءوا إلى الرسول في صورة حزينة، حفاة الأقدام، عراة الأجسام إلا من ثياب، أو عباءات من صوف ممزقة بالية مختلطة الألوان. جاءوا في صورة تزلزل قلوب الرحماء، وتهتز لها أفئدة أهل الحلم، فرقّ حالهم رقةً شديدة، وأشفق عليهم شفقة رحيمة. فدخل بيته ليبحث عن شيء يسد به حاجة أولئك البائسين المحرومين، لكنه لم يجد شيئاً في بيته يعطيه لهم، ولا عجب في ذلك

ـ فقد قالت عائشة رضي الله عنها

«ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ»[٢] ـ فأمر بلالاً ليؤذن في الناس ثم يدعوهم بالوقوف في جانب إخوانهم الفقراء، ويسدوا حاجتهم. ولنا في هذه القصة وقفة مع ما تلا ﷺ من آيات يرقق بها قلوب المسلمين فأما الأولى وهي آية أول النساء، فلأنها أبلغ في الحث على الصدقة لما فيها من تأكيد حق الأخوة وأما آية الحشر ففيها وعظ وتذكير بالآخرة حيث يقول ابن عطية في تفسيره لهذه الآية:

«في هذه الآية وعظ وتذكير وتقريب للآخرة وتحذير مما لا تخفى عليه خافية، فأثار الرسول بذلك شعور صحابته الكرام، فما أن فرغوا من صلاتهم حتى راحوا يتسابقون في الخيرات ويتنافسون في الصدقات رغبة فيما عند الله، وليضربوا لنا المثل العظيم لقول رسول الله ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٣].

لقد سر رسول الله ﷺ سروراً عظيماً بمبادرة أصحابه إلى الامتثال لما أمرهم به ودعاهم إليه فهل نعمل مثل عمل الصحابة؛ ليسر بعملنا رسول الله ﷺ، ونرضي ربنا خاصة إذا علمنا أن الصدقة تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد العبد؟

وقوله ﷺ: مثل المؤمنين، أي: الكاملين في الإيمان، في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد فيه حث على التراحم والملاطفة والتعاضد في كل الأمور التي فيها خير وبعد عن الإثم والمكروه.

ولابن أبي جمرة قول لطيف في معرض شرحه لهذا الحديث حيث يقول

الثلاثة خصال وإن تقاربت معناها بينها فرق لطيف فالمراد بالتراحم أن يرحم بعضهم بعضاً بحلاوة الإيمان لا لشيء آخر وبالتواد: التواصل الجالب للمحبة كالتهادي وبالتعاطف: إعانة بعضهم بعضاً (مثل الجسد الواحد) بالنسبة لجميع أعضائه. ووجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة

. فكذا المؤمنون يجب أن يكونوا كنفس واحدة إذا أصاب أحدهم مصيبة يغتم جميعهم ويقصدوا إزالتها وفي هذا التشبيه تقريب للفهم وإظهار المعاني في الصور المرئية»[٤].

ومن ألطف ما وجدت في شأن هذا الحديث أن الإمام الأعظم أبي حنيفة قد صنف هذا الحديث في مسنده تحت باب: «حديث الحب».

وإني من هذا المنطلق أجزم أن المجتمع الذي يتآزر بالصدقة والتهادي لإعانة بعضهم بعضاً إنما هو مجتمع متحاب.

ومن أجل ذلك كان تهلل وجه النبي نوراً وصفاءً لما رأى دلالة الحب سائدة بين أصحابه. فصلاة الله عليك سيدي يا رسول الله، ورضوان الله على صحابتك الكرام وعلى تابعيهم الأخيار الذين علمونا أن عطاء المتصدَّق عليه أبقى من عطاء المتصدق.

وبعد... فهل لنا أن نقتفي أثر هؤلاء السلف الصالح حتى يرضى عنا الله ورسوله؟

❊❊❊

* المراد به الصفاء والاستنارة

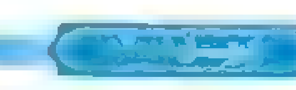
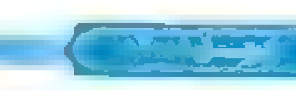
(١) صحيح مسلم

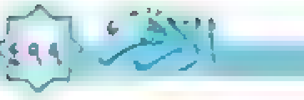
(٢) المرجع أخرجه مسلم جـ ٤ والإمام أحمد في مسنده جـ١ ص ١٩٨

(٣) صحيح مسلم جـ .

(٤) [illegible]

(٥) المرجع السابق



طريق الدعوة

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

وبعد.

فلقد دأب بعض المستشرقين والحاقدين من أعداء الدين أن يتقولوا على القرآن والإسلام أنه دخل قلوب الناس عن طريق القهر والخوف من السيف وحده وهؤلاء ما تقولوا بهذه الأقاويل وغيرها إلا حقدا وحسدا من عند أنفسهم وإن كان الكثير منهم يعرف الحقيقة الناصعة ولكنهم يكابرون ويعاندون نتيجة ما تخفيه صدورهم من عداء كامن في قلوبهم لهذا الدين الذي يزداد انتشارا ولا يكادون يواجهون أبواق الدعاية التي يملئونها بتلك السموم التي افتراها هؤلاء وفي هذا نوضح الحقائق التي تم عن طريقها نشر هذا الدين فقد اتخذت دعوة الإسلام سبيلها إلى قلوب الناس بطريقين لا ثالث لهما:

١- إعجاز القرآن الكريم.

٢- سمو المبادئ الإسلامية.

أثر القرآن الكريم في انتشار الإسلام

ولابد لنا أن نتحدث عن الوحي وطرقه وعما يحتويه القرآن الكريم الذي يعد هو المصدر الرئيسي للتشريع الإسلامي.

أما عن الوحي فذكر لنا ابن القيم أن له مراتب ثمانية نذكر منها ما يلي: المرتبة الأولى: إن جبريل كان ينزل على الرسول ﷺ فيتمثل له رجلا كاملا حتى كأنه شخص واحد ويلقي جبريل إلى الرسول ﷺ الآيات التي أمر بحملها وقد روى أن الرسول كان يتفصد عرقا عندما كان جبريل يأتيه على هذه الحالة

ومن المراتب أن جبريل عليه السلام كان يأتيه ﷺ على صورته الأصلية الملائكية ويلقي للرسول ما يريد أن يلقيه.

ومنها أن جبريل كان يأتيه ويلقي ما جاء به في روع الرسول [illegible] دون أن يظهر [illegible] ودون أن يشعر الرسول وقد روى أن الرسول [illegible] قال: إن روح القدس نفث في روعي.

ومن المراتب التي ذكرها ابن القيم أن الله سبحانه وتعالى قد يكلم الرسول بلا واسطة ملك.

وأما عن محتويات القرآن الكريم فبحسب ما يحتويه من حكم ومواعظ وأخبار فهو أيضا يحتوي على نظم الإسلام وقوانينه الخاصة بالدين والدنيا وقد جاء في القرآن قوله تعالى

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾
(الأنعام ٣٨)

ومعنى ذلك أنه لا يوجد أمر ذو بال إلا وقد كشف القرآن عنه النقاب إجمالا وتفصيلا حسب أهميته وقد كان القرآن الكريم مصدر إعجاز وكان مصدر تشريع ومصدر أخلاق ومن المعلوم أن ثلثي القرآن نزل بمكة والثلث الباقي نزل بالمدينة وقد اتجه الجانب المكي من القرآن إلى إبراز وحدانية الله وإقامة الدليل على ذلك:

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾
(الأنبياء ٢٢)

كما اهتم هذا الجانب بالدعوة إلى مكارم الأخلاق وضرب الأمثال بالأمم الماضية وما حصل لها عندما كذبت الرسل، أما الجانب الآخر وهو المدني من القرآن فقد ظهر فيه التشريع الإسلامي بتفصيله وإحاطته مثل نظم المواريث ونظم الدين ونظم الزواج والمحرمات من النساء على الرجال ونظم الطلاق وغيرها من أحكام الأسرة.

والقرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الأولى وهو معجزة خالدة تشهد على مر السنين وتعاقب الأجيال على صدق محمد ﷺ ورسالته وأكثر الذين يجيدون اللغة العربية يعترفون بدون تردد سواء دخلوا الإسلام أم لم يدخلوه أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من قول البشر لأنه أسمى بأفكاره وأسلوبه من كل ما استطاعه البلغاء وما توصل إليه الفصحاء أما الأقلية من العرب التي لم تعترف بإعجاز القرآن فقد كانت متأثرة بمؤثرات أخرى قوية حملتهم هذا الحمل الصعب الذي ظهر أحيانا في تحديهم للقرآن ومحاولة الإتيان بمثله وقد سجل التاريخ الإسلامي روايات عديدة تثبت أن هذا القرآن معجز للبشر بل إنه معجز للإنس والجن وقد روى أن الشاعر لبيد بن ربيعة أحد شعراء المعلقات أمسك عن قرض الشعر بعد أن دخل الإسلام ولم يرو عنه أنه قال شعرا في الأربعين سنة التي أمضاها في ظل الإسلام إلا قوله:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي

* [illegible]

حتى [illegible] من الإسلام [illegible]

وكان إذا سئل عن الشعر تلا سورة من القرآن وقال:

أبدلني الله خيرا منه

ويروى أيضا أن أعرابيا مر بفتاة تنشد الرجز التالي:

[illegible] كله

قتلت إنسانا بغير حله

[illegible]

وانتصف الليل ولم أصله

فقال لها الأعرابي: «يا فتاة أرجوزتك أبلغ ما سمعت من القول». قالت الفتاة وهل ترك لنا القرآن بلاغة يا عماه؟ لو قرأت القرآن لوجدت أن أقوالنا هباء. قال لها الأعرابي: ماذا تقصدين؟ قالت الفتاة: هذه يا عماه آية من قصار الآيات بها أمران ونهيان وبشارتان ووعدان مع جزالة وروعة أسلوب

﴿ [illegible] ﴾

([illegible]: ٧)

فأخذ الأعرابي يكرر الآية ويقول: نعم هذا نوع آخر من القول وقد تحدى الله سبحانه وتعالى كل البلغاء والفصحاء فدعاهم إلى الإتيان بمثل هذا القرآن إن استطاعوا وأكد لهم أنهم لن يستطيعوا ولو تعاونوا بحماس أن يبلغوا هذه الغاية قال تعالى:

﴿ [illegible] بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

(الإسراء: ٨٨)

المبادئ الإسلامية وأثرها في نشر الدعوة

عرفنا أنفا أن القرآن الكريم كان من أهم الأسباب التي دعت الكثيرين من العرب إلى الدخول في الإسلام ولكن كيف دخل الإسلام إلى قلوب هؤلاء الذين لا يعرفون اللغة العربية من غير العرب مثل المصريين والسوريين والفرس وغيرهم؟ فمن المعلوم أن عمل الحكومة في الدولة المسلمة هو أن تعيش للمحكومين وأن تعمل على إسعادهم فالحكومة الإسلامية تتعب ليستريح المحكومون وتسهر لينام [illegible] في هدوء وأمان ومثل هذا وأكثر كانت الحكومة الإسلامية على عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين لقد طلع الإسلام على الناس بمبادئ كانت أكثر [illegible] يأمنون وتحت [illegible] يتصورون وعشق الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون هذه المبادئ بل إنهم تحمسوا لها واختلطت بقلوبهم ووجدانهم ووجدوا فيها لذة ونعيما فساروا عليها وبالغوا في تطبيقها باسم هذه اللذة والنعيم فقد كانت تلك المبادئ تقوم على أسس ثلاثة هي: المساواة، العدالة، الحاكم الفقير. فلقد نادى الإسلام بالعدالة في زمن كانت العدالة فيه تعد ضعفا وخزيا ونادى الإسلام بالمساواة في وقت كان [illegible] فيه يقوم على الطبقية والعنصرية في جميع نواحي الحياة وفي مختلف الأقطار [illegible] كله.

خطبة الجمعة

رعاية اليتيم

الشيخ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل أراد لعباده الأطهار طريق الخير والبر، ومنهج العدل والفضل:

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٨)

أحمده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، يعز الأتقياء الشرفاء، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى الطيبين من ذريته وآله، والطاهرين من صحابته ورجاله، والمهتدين بأعماله وأقواله:

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾

(الجن: ١٤)

[illegible] الشيخ محمد [illegible]

أقام الإسلام مجتمعه العاقل الفاضل على أركان ثابتة ودعائم راسخة، ومن أهم هذه الدعائم أن يتحقق بين أبناء المجتمع روح التضامن والتعاون، فيأخذ القوي بيد الضعيف، ويشد القادر من أزر العاجز، ولعل أقوى مظاهر التضامن وأكرمها، هو أن يحرص المجتمع على حسن الرعاية لمن فيه من اليتامى الذين فقدوا آباءهم أو أمهاتهم، وتعرضوا لابتلاء الحياة وهم صغار ناشئون، وفقدوا من يرعاهم ويتولى [illegible]

وأنت تستطيع أن تحكم على المجتمع بالصلاح والخير، إذا رأيت اليتيم فيه معززا مكرما، لا يضيع وسط الزحام، ولا تسحقه الأقدام، ولا يصبح ماله نهبا مقسما بين الخونة اللئام من سفلة الناس وشياطين البشر.

وحسب رعاية اليتيم شرفا وتنويها بين الفضائل أن يحدثنا القرآن المجيد بأنها صفة من صفات النبي ﷺ يحدثنا بها رب الأرباب سبحانه وتعالى، أليس هو القائل لنبيه:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾

(الضحى: ٦)

وحسب اليتيم شرفا أن يخرج الله جل جلاله إلى ساحة الحياة خاتم أنبيائه وإمام رسله، يتيما بلا أب ولا أم، لقد مات أبوه وهو جنين في بطن أمه، وماتت أمه وهو صغير، وتولت عناية الله رعايته وصيانته وتوجيهه، فماذا كان من شأن اليتيم محمد؟.. لقد شاءت إرادة الله أن يسمو ويعلو، حتى يبز السابقين واللاحقين، وحتى يكون رسول الله إلى الناس أجمعين، ورحمة الله للعالمين.

والقرآن الكريم يقرع أسماعنا بقول خالقنا:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

وهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام، يرفع من شأن كافل اليتيم وراعيه، الذي يحفظ له ماله وينميه، ويشيد بمكانته السامية عند الله سبحانه يوم القيامة، فيقول:

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة كهاتين» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.[1]

مال اليتيم

ولعل أهم شيء يجب أن يرعى لليتيم ويصان، هو ماله الذي تركه له والده أو وصل إلى ملك اليتيم بأي طريقة من طرق التملك، فواجب ولي اليتيم، أو من يرعى شئونه تطوعا أو تكليفا أن يصون كل كثير وقليل من مال اليتيم وأن يحافظ عليه، ويختار أحسن الوسائل لتنميته وتثميره، وأن يحرص عليه أكثر من حرصه على ماله ومال أولاده، وألا يمسه بسوء، وألا يستبيح لنفسه بالاستيلاء على أي قدر منه دون حق، وإلا اكتسب حراما يؤدي به إلى الخراب في الدنيا والعذاب يوم القيامة، والرسول ﷺ يحذر وينذر حين يقول: «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»[2] وما أسوأ عاقبة المال الخبيث، والله جل جلاله يقول:

﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

(النساء: ٢)

حوبا كبيرا: أي إثما عظيما.

وهذه الرعاية الدقيقة لمال اليتيم وشئونه لا تتحقق على وجهها السليم بالقانون وحده، أو رقابة الناس فقط، فكم من تشريعات وضعت للمحافظة على أموال اليتامى والقصر الضعفاء، ومع ذلك ظل السلب والنهب شائعا عند كثيرين من اللصوص الذين يسطون على أموال اليتامى بلا تحرج أو [illegible].

إنه لا ينفع هنا إلا التقوى والوازع الديني، والخوف من الله العلي الكبير المنتقم الجبار، العزيز القهار، الذي قد يمهل ولكنه لا يهمل، والذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

(الزلزلة: ٧-٨)

[illegible] القرآن هنا يعطي الإنسان درسا لا يجحده ولا ينساه، لأنه مأخوذ من صميم الحياة ومن لباب الواقع المتكرر المشاهد الذي لا يجحده، ولا يكابر فيه أحد:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

(النساء: ٩-١٠)

إن القرآن هنا يمس شغاف القلوب، ويهز أوتارها هزا عنيفا بليغا، فهو يدفع الناس دفعا إلى تصور ذريتهم الضعيفة المكسورة الجناح، تهجم عليهم [illegible]، وتفتك بهم ذئاب الإنسانية، فقد تموت عنهم الأيدي، وتحطمهم الأقدار يتامى، لا حول لهم ولا قوة، يطمع فيهم الطامع، ولا من نصير لهم أو مدافع، والجزاء من جنس العمل.

فليتق الآباء ربهم، وليحذروا عقابه، وليكونوا حراصا على من يكفلونهم من اليتامى، يحفظون أموالهم، ويحسنون تربيتهم، ويتقنون إعدادهم للحياة، والله خير الشاكرين، يشكر معروفهم، ويقدر سابقتهم، ويهيئ لأولادهم اليتامى من بعدهم من يحفظهم، ويعاملهم بالبر كما كان أبوهم يفعل مع يتامى الناس من قبل، وإلا فيا سوء المصير.

عزت أمة ترعى اليتامى!!

ولقد قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»[3] أي الأمور المهلكة لصاحبها في دينه ودنياه والتي تعرضه للمصير والعذاب الأليم، وذكر منها أكل مال اليتيم، كما جاء في حديث الإسراء قول النبي ﷺ: «ورأيت قوما لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟. قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما»[4]

[illegible] محمد [illegible]

عزت أمة ترعى اليتامى، وتحافظ عليهم وعلى أموالهم، حتى يخرج منهم من ينفع الوطن والناس، وذلت أمة يضيع بينها اليتيم، كأنه بين سباع أو ذئاب، وسبحان من لو شاء لهدى الناس أجمعين.

٤ - تهذيب الآثار للطبري

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾

العدل
صمام الأمان فى المجتمع

إذا كانت عظمة الأمور والأشياء، تستمد عظمتها ممن تنسب إليه، فإن فضيلة العدل تأتى فى ذروة سنام العظمة، لأن الله - تعالى العظيم وصف ذاته بها، حتى صارت اسماً من أسمائه الحسنى، التى أمرنا أن ندعوه بها، امتثالاً لقوله - عز وجل -:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾

(الأعراف: ١٨٠)

فهو سبحانه الحكم العدل، وبهذه الصفة العظيمة، كان إيجاده تعالى لكل موجود، وخلقه لكل مخلوق، وبها تكون النهاية للجميع، عندما ينصب الله الميزان فى يوم الحساب، ويكون الجزاء بناء على نتيجة ما خف من الوزن أو ثقل.

وقد جاء فى الأثر: بالعدل قامت السماوات والأرض، وكما وردت عبارة «العدل أساس الملك» فى قول مأثور تواترت روايته عن أحد الحكماء، ثم تناقلتها ألسنة العامة والخاصة، للتعبير عن ضرورة العدل، لقيام أى نوع من الملك، ولو كان بشرياً، مما يجعل فضيلة العدل حتى من سنن الله تعالى فى الكون، التى يترتب على توافرها حفظ نظام هذا الكون واستقراره، وعلى تخلفها فساده وانهياره، ومن هنا تظهر

أهمية العدل فى تثبيت صرح المجتمع وحمايته، وتحقيق الأمن والاستقرار فيه.

والقيمة الحقيقية للعدل كإحدى السنن الإلهية فى الكون، تظهر من خلال تطبيقه فى واقع حياة الناس، وهذا يقتضى توافر ثلاثة عناصر رئيسة هى: الرغبة التى تدفع لإقامة العدل بينها، سواء كانت أفراداً أم جماعات، والحاكم يكلف بإقامة العدل، والأداة المستعملة فى توصيل العدل لأصحابه، وهو النموذج الأمثل، الذى تشعر معه الرعية بأنه يحقق لها العدل، وقد استقر نظام الدولة الحديث، على أنه هو القانون، وإذا ما كانت للقانون السيادة فى مجتمع، شاعت فيه موجبات العدل، التى ينعم بها كل أفراده.

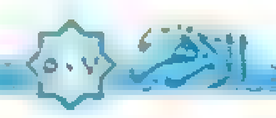
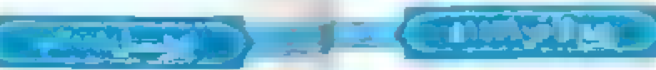
هذه الكلمات جزء من عبارة، قالها أحد الحكماء، نصها: لا ملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالتعمير، ولا تعمير إلا بالعدل، فالعدل أساس الملك، وهذه العبارة تدل بوضوح على أهمية وخطر العدل فى حياة الفرد والجماعة على السواء، إذ أن هناك علاقة وثيقة بين إقامة العدل بين الناس، وقيام الحضارات وانهيارها.

والعدل الذى يبنى عليه الملك، لا يكون بمجرد وجهه الإيجابى، وهو إقامة العدل، بل يكون أيضاً بوجهه السلبى، وهو عدم الظلم، وقد قيل: إن الله تعالى يقيم الدولة الكافرة مع العدل، ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم، وقد قال الرسول ﷺ: «العدل حسن...»[1] وفى تعليل ذلك قال العلماء: لأن العدل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتنعم به الأرض، وتنمو به الأموال، ويكثر معه العمران، ويعم معه الأمان.

والعدل حلم يراود كل إنسان منذ بداية الخليقة، ويتطلع إلى تحقيقه فى حياته، وفى حياة الآخرين، ولهذا فقد اجتهد الإنسان بفطرته، قبل نزول الرسالات السماوية، فى البحث فى فكرة العدل، مستعملاً منهج الفلسفة فى الوقوف عليها، ولكن المفهوم الحقيقى للعدل لم يستقر، إلا بعد مجىء رسالات السماء لأهل الأرض.

وقد جاءت رسالة الإسلام الخاتمة، لتجعل العدل من بين أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، التى إذا أحصاها المسلم، كانت طريقه إلى الجنة، كما أخبر الرسول ﷺ، ومن خلال منهج هذه الرسالة، الذى حملته النصوص المقدسة، فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يمكن الإشارة بإيجاز، إلى نظرة الإسلام عن فكرة العدل.

(١) كنز العمال ٤٣٤١٩

المفهوم العام لفكرة العدل

كلمة العدل جامعة، تدل على فضيلة تتولى النفس [illegible] بها. وهي من الاعتدال والاستقامة، وللتعبير عن هذه الفضيلة، تعددت في الأذهان مفاهيم العدل، ومما قيل في بيان هذه المفاهيم الآتي :ـ

أ ـ العدل هو : إعطاء المرء ما له، وأخذ ما عليه، فالعادل هو من أعطى كل إنسان حقه، دون محاباة أو ظلم.

ب ـ العدل هو : وضع الشيء في محله، اللائق به شرعاً وعرفاً، ومن ثم فهو يشمل كل فعل جميل، مادياً كان أو معنوياً

جـ ـ العدل هو أن يكون ذو الأمر والسلطان، مانعاً نفسه وكل فرد من رعيته، من الجور والاعتداء على غيره

د ـ العدل هو : التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، [illegible] الشيئين [illegible]، ومن ثم فهو واجب الرعاية في كل شيء.

هـ ـ العدل هو : إزالة الجور والظلم، ولذا يسمى القسط، من الفعل الرباعي أقسط «بهمزة الإزالة أو السلب»، من الفعل الثلاثي قسط بمعنى جار وظلم. كما في قول الحق تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

[illegible] ١٤ ، ١٥

القاسطون : أي الظالمون

الأمر بالعدل والنهي عن الظلم

إذا كان العدل هو أصل لجميع الأخلاق الحميدة، وكلها متفرعة عنه، فإن ما ورد في ذم الظلم، هو أيضاً مدح للعدل، أي أن العدل نال المدح بلسانين، لسان التنصيص على فضله، ولسان التنصيص على ذم ضده، وبياناً لقدر عظمة فضيلة العدل، في حياة الناس والمجتمعات، كان بها الأمر القرآني الصريح، شاملاً للكافة، بصيغة الأمر العام في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾

«النحل: ٩٠»

وفي قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾

«الأعراف ٢٩»

والقسط هو أحد معاني العدل.

كما جاء هذا الأمر، موجهاً بصفة خاصة للرسول ﷺ، بالتزام العدل، وذلك في قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

«الشورى ١٥»

وفي قوله تعالى

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾

«المائدة ٤٢»

ومن أوجه العظمة في هذا الأمر، أن الخطاب به يستفيد منه المسلم وغيره من عباد الله تعالى، أياً كانت دياناتهم.

كما جاء الخطاب بالعدل موجهاً للأفراد العاديين، المخاطبين بأحكام الشريعة الغراء، وذلك على لسان الرسول الكريم ﷺ، المبلغ الرسالة عن الله تعالى، كما روى البخاري في الهبة، ومسلم في الفرائض، عن النعمان بن بشير، قال: أتى بي أبي إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي. فقال: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ قال: لا، قال: فارجعه، وفي رواية، فقال: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا. قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم. قال النعمان: فرجع أبي فرد تلك الصدقة، وفي رواية. قال رسول الله ﷺ: يا بشير: ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، قال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا. قال: فلا تشهدني إذن، فإني لا أشهد على جور. وفي رواية قال: أشهد على هذا غيري، ثم قال: أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ قال: نعم، قال: فلا إذن، وفي رواية أخرى: «إني عدل. لا أشهد إلا على عدل».

وفي المقابل جاء النهي القاطع عن الظلم، لأن الله تعالى حرم على نفسه الظلم. كما في قوله تعالى

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ [illegible] حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

«النساء: ٤٠»

وفي الحديث القدسي، يقول الرسول ﷺ، رواية عن رب العزة: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا......»[1]

نطاق العدل

وهذا النطاق من السعة، بما يجعل العدل يشمل كل أوجه نشاط وسلوك الإنسان في الحياة، سواء كان ذلك في القول بصفة عامة، كما أشار القرآن في قوله تعالى

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

«الأنعام ١٥٢»

أو القول المتعلق بالشهادة، كما في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ [illegible] ﴾

«المائدة ٨»

أو كان في الفعل كما أشار الله تعالى، إلى أن يكون استعمال أداة الكيل الوزن بالعدل، في قوله تعالى:

---

(1) الترغيب والترهيب ٣ / ١٧٤

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

(الإسراء: ٣٥)

وكذلك في الكتابة التي توثق التصرفات، كما في قوله تعالى:

﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾

(البقرة: ٢٨٢)

حتى في مجال الصلح بين المتخاصمين، يجب مراعاة العدل بينهم، كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الحجرات: ٩)

ولكن من أخطر ميادين إقامة العدل، تكون في الحكم بين الناس، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

(النساء: ٥٨)

وعقب ذلك رتب الله تعالى على الحكم بالعدل، الاستجابة لأمره بطاعة ولي الأمر، كما في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

(النساء: ٥٩)

فقد روى صاحب الفردوس عن علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه، قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا نبي الله ما علامة المؤمن، قال: «ستة أشياء حسن، ولكن في ستة من الناس أحسن»، ثم قال: «العدل حسن، ولكن في الأمراء أحسن، السخاء حسن، ولكن في الأغنياء أحسن، الورع حسن، ولكن في العلماء أحسن، الصبر حسن، ولكن في الفقراء أحسن، التوبة حسن، ولكن في الشباب أحسن، الحياء حسن، ولكن في النساء أحسن»[3].

وقد ذكر العلماء أن العدل في الأمراء أحسن، لأن الأمراء إذا لم يعدل الواحد منهم، فإن السلطان يتولى تقويمه، وأما السلطان إذا لم يعدل فلا مقوم له، ولأن العدل ميزان صلاح السلطان، ونجاحه وفلاحه واستمرار دولته؛ إذ لا نظام لها إلا به، وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور.

(٣) كنز العمال ٤٣٤٥٢



وقد قال الإمام الغزالي في الإحياء: إن الإمارة والخلافة من أفضل العبادات، إذا كانت مع العدل والإخلاص، ولم يزل المتقون يحترزون منها، ويهربون من تقلدها، لما فيها من عظيم الخطر، إذ تتحرك به الصفات الباطنة، ويغلب على النفس حب الجاه والاستيلاء ونفاذ الأمر، وهو أعظم ملاذ الدنيا.

ومن أوجه العظمة في أمر الله تعالى بالعدل، أنه جاء ليشمل الكافة ـ أيًا كانت عقيدتهم أو ديانتهم ـ ولو كانوا بلا عقيدة أو دين، وحتى ولو كانوا من الأعداء، الذين تبغضهم النفس، كما يوضح ذلك قول الحق تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(المائدة: ٨)

شنآن: أي بغض وكراهية

ثمرة التزام العدل والبعد عن الظلم

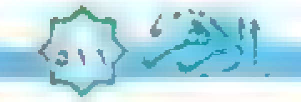
إن الإنسان دائمًا يستشرف العدل في حياته، ويتمنى أن يتم التعامل معه بمقياس العدل، ويتطلع إلى جني ثمار إقامة العدل معه، وهي كثيرة متعددة، قد لا تقع تحت حصر، ولكن منها، بعد نفي الظلم، ما يحظى به القائمون بالعدل من الإحسان في الدنيا والآخرة فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. وهذا يتمثل في الثمار الآتية:

١ ـ في الحياة الدنيا

في هذه الحياة ينعم الإنسان العادل بالأمن والاطمئنان والسكينة. كما كانت حياة الخليفة العادل سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ، والتي وصفها الهرمزان رسول كسرى، حين رآه نائمًا في ظل شجرة فقال: عدلت فأمنت فنمت. فضلًا عن ذلك فإن العدل فضيلة تجعل من يتصف بها مستجاب الدعاء، فقد روى الترمذي والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله تعالى فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك، ولو بعد حين».

كما أن العدل يكون سببًا في التسامح مع صاحبه، إن وقع منه بعض الشطط في الحكم، وأجريت عليه زلة، كما روى الخطيب البغدادي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الرسول ﷺ، قال: «تجاوزوا عن ذنب السخي، وزلة العالم، وسطوة السلطان العادل، فإن الله تعالى آخذ بيدهم، كلما عثر عاثر منهم»[4].

(٤) كنز العمال/ ١٢٩٨٣، إتحاف السادة المتقين/ ٨/ ١٧٤



٢ ـ في الآخرة:

وهناك ما أحوج الإنسان إلى أن ينعم بموجبات العدل الإلهى، مضافاً إليها المنة والفضل من الحكم العدل تعالى، حتى يفوز بالقرب من الله المنعم، في ظل عرشه الكريم. فقد روى الترمذى والإمام أحمد عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه. أن الرسول ﷺ. قال: «إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، وأدناهم منه مجلساً، إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى. وأبعدهم منه إمام جائر».

وكما روى مسلم والنسائى والإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو – رضى الله عنهما –، أن الرسول ﷺ، قال: «إن المقسطين عند الله يوم القيامة، على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

وكما روى مسلم أيضاً عن أبي هريرة وأبي سعيد – رضى الله عنهما –، أن الرسول ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: إمام عادل.....»، أى يدخلهم في ظل رحمته. وإضافة الظل إليه تعالى. إضافة تشريف كناية عن رحمة الله، والسلطان العادل هو التابع لأوامر ربه. أو جامع للكمالات الثلاث. الحكمة والشجاعة والعفة. التي هي أوساط القوى الثلاثة العقلية والغضبية والشهوية، وقدمه لعموم نفعه وتعديه إلى الغير.

عاقبة الظلم وعدم التزام العدل

يكفى لبيان هذه العاقبة، أن نورد ما رواه الطبراني والبزار عن عوف بن مالك – رضى الله عنه –، قال: استعملني رسول الله ﷺ على عمل فلما رجعت قال: كيف وجدت الإمارة؟ قلت: ما ظننت إلا أن الناس كلهم حول. والله لا آلى على عمل أبدا، فقال الرسول ﷺ: «إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هى؟»، فناديت بأعلى صوتى، وما هى يا رسول الله؟، قال: أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل».

وما رواه البيهقى عن أبي هريرة – رضى الله عنه – أن الرسول ﷺ، قال: ما من أمير عشرة، إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، حتى يفكه العدل، أو يوبقه (أى يهلكه) الجور».

والله تعالى ولى التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***





عناية الإسلام بالأسرة

إن رابطة الأسرة رابطة مقدسة، وكل محاولة للإخلال بها أو تقويضها فهى جريمة في نظر الإسلام ومن حاول إفساد زوجة على زوجها أو بذر بذور الجفاء والشقاق بينهما مجرم آثم وجريمته مزدوجة بل هى مجموعة من الجرائم، إذ يضاف إلى جريمة إفساد الزوجة جرائم تشريد الأطفال وإفساد المجتمع وإيقاد نار العداوة والبغضاء بين الأسر.

لقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماما عظيما ووضع لها نظاما حكيما يرتكز على دعائم وأسس قوية، ولم يترك الإسلام شأنا من شئونها إلا ودعمه بقسط كبير من الإرشادات والتوجيهات التي لو أخذت الأمة بها لسارت في طريقها راشدة كما كان يسير سلفها الصالح

إن للإسلام هدايته في اختيار الزوج للزوجة وفي مراعاة الكفاءة بين الزوجين وفي نظام المهور وما يتعلق بالخطبة من شئون. وإجراءات عقد الزواج وإشهاره، وحقوق كل من الرجل والمرأة، وحقوق الأولاد وما يتعلق بهم من حق النسوة والرضاعة والحضانة والنفقة .. إلخ

وحقوق أقارب هذين الزوجين وواجبات كل منهم تجاه الآخر ومدى مسئولية كل فرد في الأسرة وما يتمتع به من حقوق وما عليه من واجبات .. إلخ ثم أحكام الميراث، كل هذا في نظام محكم بديع لا يدل إلا على أن مبدعه إنما هو الإله الخالق الذى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا تغيب عنه أعمال العباد ولا أسبابها ولا نواياهم المكنونة في سرائرهم وضمائر نفوسهم فنجد توجيهه ﷺ في البداية لإنشاء الأسرة الصالحة فيقول ﷺ

(١) أبو الوفا المراغي: العبث بكيان الأسرة جريمة عظمى. مجلة الأزهر – المجلد ٤٥ سنة ١٣٩٣هـ ص ٤٩٠

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[2].

فإذا تيسرت تلك الأسباب للزواج دعا الإسلام إلى الأخذ بمعيار الكفاءة وهو أدعى لاستمرار الحياة الزوجية، والكفاءة هي التقارب والمماثلة بين الزوجين.

وعليه أن يقدم لعروسه مهراً حيث جعل الإسلام المهر حقاً خالصاً للزوجة ويفهم ذلك من قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ [illegible] فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ [illegible] مُّبِينًا ﴾

(النساء الآية: ٢٠)

ولا تنقطع تعاليم الإسلام عند هذا الحد بل ترافق هذين الزوجين فتأمرهما بحسن العشرة.

فنجد قول الحق تبارك و تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(النساء الآية: ١٩)

وقوله

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(البقرة الآية: ٢٢٨)

والزوج والزوجة مطالبان بتعليم أبنائهم أمور الدين من طهارة وصلاة وصيام... إلخ.

لا فرق بين ذكر أو أنثى فهم في ذلك سواء في طلب رضوان الله لقوله تعالى:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾

(آل عمران الآية: ١٩٥)

ولقد حرص الإسلام على استقرار الأسرة، حتى لا تعيش في قلق واضطراب، وحتى يستظل الأبناء بظلال الوالدين الوارفة الرحمة فحث على ذلك رسول الله قائلاً: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء أنا وهو وضم أصابعه»[3].

وأوصى الله الأزواج بزوجاتهم خيراً فقال تعالى «وعاشروهن بالمعروف.. خيرا كثيرا» النساء ١٩.

وقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً»[4].

ولا تقف تعاليم الإسلام عند التأكيد على حسن العشرة بين الزوجين بل تتعداها إلى حث الأبناء على بر الوالدين فنجد قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [illegible] فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

(الإسراء الآية: ٢٣)

(٢) صحيح البخاري جـ ٥

(٣) صحيح [illegible]

(٤) صحيح مسلم [illegible]



﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(النساء الآية: ٣٦)

ولقد سن الإسلام لهذه الأسرة - التي هي وحدة بناء المجتمع - نظاما متكاملا من أحكام الميراث، ولأهمية هذه الأحكام أمر الرسول ﷺ بتعلمها فقال: «تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإنه نصف العلم وهو أول شيء ينسى وهو أول شيء ينتزع من أمتي»[1].

وحث الإسلام على عدم التفريق وعدم فك عرى الزوجية فقال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»[2].

ولا يفرك يعني لا يبغض فالإسلام يحث الرجل الذي يريد أن يفارق زوجته لخلق يبغضه فيها، يحثه على البحث عن خلق آخر يرتضيه فيها، فيكون داعيا للتمسك بزوجته لأجل ذلك الخلق الطيب.

من أجل ذلك نجد تحذير الله ووعيده لمن يهدم هذا البنيان.

فنجد قول النبي ﷺ: «أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة»[3].

وفيه تشديد لعقوبة فراق الزوج من غير إيذاء يقع عليها.

والخلع: هو ما يطلقه الفقهاء على: طلب المرأة من زوجها الفراق مقابل عوض تدفعه له.

وهو مثله مثل الطلاق في هدم الأسرة وتشريد الأطفال.

إن الإسلام لم يشرع الطلاق أو الخلع إلا لاستخدامه كوسيلة من وسائل الشفاء عندما تتعذر الحياة الزوجية وتتعطل أسباب النهوض بالأسرة ككل. ويصل الأمر إلى حد اليأس، هنا يمكن للرجل استعمال الطلاق الذي هو أبغض الحلال لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق»، وكذلك يمكن للمرأة استعمال الخلع إذا استحالت العشرة.

إن امتلاء الصحف اليومية بأخبار الطلاق والخلع لأوهى الأسباب بشكل مستمر ولافت - وكأن الأزواج والزوجات في سباق لاستخدام هذا الحق - ليؤكد أن هناك إساءة لاستخدام هذا الحق من جانب الطرفين، وهو ما يدعونا أن نقول: إن حل عرى الزوجية لابد أن يكون بعد تروٍ وتفكير.

ترو للنظر في أمر الأسرة وما سيؤول إليه حالها.

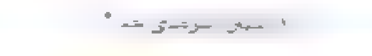
وتفكير: في وعيد الله للمخالف إن هو هدم هذا البنيان جريا وراء نزوة أو طمعاً في عرض زائل.

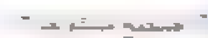
وإن في ذلك لذكرى لأولي الألباب.

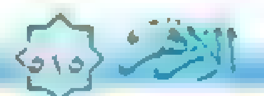
(١) سنن [illegible]

(٢) صحيح مسلم [illegible]

(٣) سنن الترمذي [illegible]







مواقف إسلامية

تساوت الرءوس وما تساوت النفوس!

بعض الناس قد يعلو به منصبه فى أحوال لنعت، ولكنه يترك نفسه فى الأرض تتمرغ فى ترابها ''وأظهر ما يكون ذلك بين التلميذ وأستاذه التلميذ الذى ركب الكرسى الدوار وصار يأمر وينهى.. مزهوًا بمنصبه الذى مازال يمسك بالقلم وبورقة معلمًا'' وعندما يأتيه يلقت نظر إلى شيء من رأى صحيح وقف.. تساوت الرءوس'' يقولها وما يدرى أنه ما تساوت النفوس'' فمازال الأستاذ أستاذًا.. والتلميذ تلميذًا'' مهما تلاشت المكانة فى النفوس وإن لم يكن به فى المدرسة مكان''

سبب الداء

والداء هنا هو الغرور الذى يقتضيه الظهور!! فما هو الغرور؟ الغرور هو: سكون النفس واستسلامها لما يوافق هواها ويميل إليه الطبع صادرًا فى ذلك عن شبهة أو مبالغة المنافقين من حوله ونذكر هنا قول العاشق المسكين والذى كان بالمسكنة واحدًا من أسباب الغرور

أعرضت منى أن حسنت فدللى

وإنك مهما تأمرى القلب يفعل''

إنه يقول بحسرته

إنه معترف بأنه سبب تكبرها عليه

أولًا لأنه بالغ فى حبه كبعض الفاشلين إن كلمة الحب لا تحمل كل مشاعره ومهما كانت طاقة الكلمات فحبه أكبر منها!

وثانيًا لأنه صار أسير حبها فكان رهن إشارتها إذا أمرته بشيء مهما كان ذلك الشيء! وبهذا الهوان اغتر الطرف الآخر ووضعه الغرور فى غير موضعه وبعض الناس يتسلقون من حساب كرامتهم إلى رؤسائهم الذين يحسبون أنهم على شيء.. فيتملكهم الغرور الذى لا يقدرون على فك رقابهم من قبضته.

ومن أسباب الغرور الجهل.. الجهل الذى يعنى اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه فيتصور المغرور أنه الأقوى والأعلم والأكثر نفوذًا.. والشيطان يجرى فى عروقه يزين له هذا الظلم والذى يكون من مظاهره: أنه كلما زادت نعم الله ـ تعالى ـ عليه كلما ثبت على معصيته! والجاهلون

﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾

(الأعراف ١٤٦)

مغرور جاهل

ونذكر هنا كيف هجم مغرور جاهل رئيس دولة كبرى فقيرة بأنه كان «حباطا» ولم ينكر الرئيس ذلك ولكنه أضاف نعم: كنت حياطًا لكننى كنت أمينًا وفيًا ويكفينى هذا وبهذه الأمانة وهذا الوفاء تبوأت هذا المنصب الخطير.

لقد كان ياقوت الحموى عبدًا والعبودية لم تمنعه من أن يكون عالمًا نحريرًا وكان والد «المتنبى» سقاء.

وتأمل كيف يتحول الغرور إلى حقد بعدما يتحول فى كيان الإنسان إلى ثقة بالنفس بعيدة عن شخصيته.. وأمر مدى يعرض عند الاغترار ربما تمنعه من حرية حين لم تستعد للعجب وما يجر سببه من معاطب!

بل إن الغرور قد يتحول إلى كذب أشر وذلك بما يدعيه من مفتريات عن خصومه حتى يتفرد بكل المحاسن فى الوقت الذى يحاول فيه تجريدهم من خصائصهم وبهذا البهتان يظل وحده فى القمة!!

وأحيانا يدخل الغرور بصاحبه آفاق الغدر.. وعندئذ تتعقد المشكلة وفى تاريخنا شواهد منها

أنه لما جعل «المنصور» العهد إلى موسى بن عيسى ثم غدر به وقدم المهدى عليه قال عيسى:

أيتنسى بنو العباس ذبى عنهمو

بسيفى.. ونار الحرب زاد سعيرها؟!

فتحت لهم شرق البلاد وغربها

فذل معاديها وعز نصيرها

قطع أرحاما على عزيزة

وأبدى مكيدات لها وأثيرها

فلما وضعت الأمر فى مستقره

ولاحت له شمس تلألأ نورها

رفعت عن الأمر الذى أستحقه

وأوثق أوساق من الغدر عيرها

وعندئذ فواجبنا إزاء هذا الغدر أن نتعلم التسامح عليه كهذا الرجل العاقل الذى استبقى خادمه «الأحمق» ليتعلم عليه «الحلم»!!

الخروج من شرنقة الغرور

ومن أجل الخروج من مأزق الغرور.. قبل أن يستحيل كبرا

١ـ مراجعة الحسابات وإعادة النظر فيما نستمد من مظاهر الدنيا.. مستعينا بحكمة الحكماء الذين قالوا:

خل دنيـــــاك إنهـــــا
يعقب الخيـــر شـــرها
هـــي أم تـــعـــق مـــن
ليدهـــا من يبـــرها
كل نفس لـــها
تشتـــهي مـــا يســـرها
و... يســـوقـــها
ولامـــــرئ تعـــــرها
... تحلت حتى
... الحلو مــــرها
يستـــوي في ... بحـــه
عـــــ... وحـــرها

قال ابن الجوزي: من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر

ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر

ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، ويتحقق الضرر ثم يغشاه:

تخشى الناس والله أحق أن تخشاه

تغلبك نفسك على ما تظن.

ولا تغلبها على ما تستيقن

أعجب العجائب: سرورك بغرورك!

وسهوك في لهوك عما قد خبئ لك

تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم

وتفرح بعافيتك غافلا عن قرب الألم

لقد أراك مصرع غيرك مصرعك، وأبدى مضجع سواك مضجعك!

«صيد الخاطر».

٢ـ تدريب النفس على التواضع:

روى الطبراني: عن عبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ أنه مر في السوق وعليه حزمة حطب فقيل له: ما يحملك على هذا؟! وقد أغناك الله عن هذا؟! قال: أردت أن أدفع الكبر في نفسي.

ولما بويع أبوبكر بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا ـ وكان قبل الخلافة يحلب للناس أغنامهم ـ فلما سمعها الخليفة قال: لعمري لأحلبنها لكم وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه فكان يحلب لهم!!

ومن بعده رأينا الخلفاء رجالا لا تغيرهم المناصب

مر غلام على حمار بعمر ـ رضي الله عنه ـ فقال له الغلام: احملني معك فوثب الغلام عن الحمار وقال: اركب يا أمير المؤمنين: قال: لا اركب أنت وأركب أنا خلفك: تريد تحملني على المكان الوطيء وتركب أنت الموضع الخشن؟! فركب خلف الغلام فدخل المدينة هكذا.. والناس ينظرون.

وكان عثمان ـ رضي الله عنه ـ يلي وضوء الليل بنفسه فقيل له: لو أمرت بعض الخدم فكفوك؟ قال: لا، إن الليل لهم يستريحون فيه.

وأخرج البخاري في الأدب: رأيت عليا ـ رضي الله عنه ـ اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفته فقيل له: أنا أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال: أبو العيال أحق أن يحمل.

وهكذا كبار النفوس لا تغيرهم المناصب.. وهم أبدا لأنفسهم بالمرصاد، فكلما بدا منصب مغريا.. يذكرهم بنعمه ـ سبحانه ـ ثم يحاولون تأديب النفس النزاعة إلى الأبهة بحملها على ما تكرهه وفي النهاية يسلس قيادها للحق. فلا يكون غرور أبدا.

ومنهم ذلك التلميذ الذي سألوه يوما هل أنت أطول أم أستاذك! فقال: أنا أطول: ولكني أقف على كتفيه؟!! وهكذا لا ينسى الجبل أنه كان في الأصل «ربوة» وأنه في البحر الواسع «قطرة».. إن النحلة الفرعاء لا تنسى في بهرجة منصبها لا تنسى أنها كانت النواة السحوق!.

عمر بن الخطاب.. ودروس في التواضع!

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه.

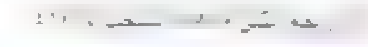
فلما رجعت ـ وكنا ببعض الطريق ـ عدل إلى الأراك لحاجة له.

قال: فوقفت له حتى فرغ. ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فلم أستطع هيبة لك قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبرتك به

فانظر ماذا ترى؟

ترى العلاقة المتميزة بين الأستاذ وطالب العلم.

وطالب العلم هنا هو: ابن عباس صاحب اللسان السؤول والقلب العقول وابن عم رسول الله ﷺ، ويعني ذلك أنه يملك مسوغات فهم الآية الكريمة مستقلا، ولكنه يسأل ويسأل أهل الذكر ويسأل وهو لا يعلم طلبا لأن يعلم ولم يكن سؤاله تعنتا.. ثم هو لا يجد في نفسه شجاعة سؤال الفاروق وظل يغالب حاجته إلى المعرفة وعلى مدى عام كامل لكن ذلك الزمن المتطاول لم يمت رغبته في العلم بل ظلت حية تؤرقه حتى حانت فرصة الحج، فحج معه ثم لم يجرؤ على سؤاله في الذهاب إلى أن كان الرواح لتحين الفرصة التي رأى فيها الأستاذ مهيأ للحوار فسأله.. وهكذا كان احترام التلميذ لراحة أستاذه بل لمزاجه هذا المزاج الذي لابد من اعتداله ليجيء الجواب معتدلا، وقبل ذلك حتى لا يكلف أستاذه مشقة الجواب في



وقت لم يستعد له.. وهكذا وضع سلفنا الصالح أصول هذه التربية الإسلامية المثالية حتى سمعنا: أنه كان للمعلم احترامه من قبل تلميذه: إلى حد أن الأستاذ: إذا تنحنح أو سعل.. قدم عنه التلميذ وكان لا يسأله وهو مشغول ولا يضيق عليه بالسؤال.. وينصرف عنه إذا بدا منه غضب أو قلق أو جوع أو عطش..

وكان لنا في أستاذنا الحاكم فيه أسوة.

وهكذا كان عمر -رضى الله عنه: «خرج إلى الشام ومعه «أبو عبيدة بن الجراح» فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له: فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟! تخلع نعليك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك فقال عمر: أوّه!! لو يقل ذلك غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله» الحاكم في المستدرك ١/ ٦٢ وصححه الذهبي.

وهو درس في التواضع يكشف عما يجب أن يكون عليه المسلم: أن يضع نفسه عند من هو دونه في الدنيا ليعلمه أنه ليس له بدنياه فضل عليه وفي نفس الوقت: يترفع عما هو فوقه في الدنيا استهانة بهذه الدنيا وبه أيضا؟!

وهكذا يظل الأستاذ بتواضعه عاليا عاليا..

ويبقى التلميذ تلميذا بين يديه مهما ارتقى في سلم المناصب. ولكن ذلك لا يمنع من اختلاف وجهة النظر والذى يشهد ببلوغ التلميذ سن الرشد والممنوع فقط هو: الغرور وكراهية المعلم. كان «أرسطو» يقول:

«أحب أفلاطون.. وأحب الحق ولكن حبي للحق أعظم»، ومن أجل ذلك كان منطقيا مع نفسه لما هاجم أستاذه «أفلاطون» وانتقد نظريته في المُثل.. وفي كل مناسبة.. ولكن لم يكن من حقه أن يكره أستاذه.

- أولاً: تقديرا لجميله من حيث علمه
- وثانيا: لما كان يتمتع به من خلق عملى مشرف:

ذات يوم دخل على أفلاطون رجل فوجده منحنيا:

فلما سأله الضيف لماذا أنت منحن هكذا؟

قال: انحنيت لأضرب خادمي بالسوط.. فلما تأمل هيئته وهو منحن ظل عليها تأديباً لنفسه وهكذا عرف أفلاطون كيف يقلم أظفار نفسه الأمارة بالسوء مؤكدا ما تعرفه نحن كمسلمين وهو: أن العبد يكون أقرب إلى غضب الله إذا غضب! وعليه أن يحمي نفسه بألا يغضب «ولا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب».

وهكذا الرجل العظيم: يعاقب قدرة ولكنه يعفو حلما. ويتواضع لتلميذه منطلقا من: الخضوع للحق والانقياد له بقبوله حتى من تلميذه بل من أجهل الناس: تواضعا لله -تعالى- يصير

يعلو به مسالكا لواحد من «مصايد الشرف» وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع. هذا الخلق الذى إذا فقده المسلم فقد معه وجوده الأدبي كله مهما كان في أعلى المناصب.

عن عمرو بن شيبة قال:

كنت بمكة المكرمة -بين الصفا والمروة- فرأيت رجلا ركب بغلة وبين يديه غلمان يعنفون الناس. قال: ثم عدت بعد حين -فدخلت بغداد فكنت على الجسر- فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر. قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله. فقال لي: ما لك تنظر إلي؟! فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة المكرمة ووصفت له الصفة فقال: أنا ذلك الرجل!! فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس «إحياء علوم الدين / ج٣ / ٣٤٣».

الكرم في التقوى.. والشرف في التواضع

وهكذا كل من ترفع على ولي نعمته..

(وصدق أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- في قوله: وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين.. والشرف في التواضع).

ويا لقومي: تلك هي عظة الصديقين فما لهم عن التذكرة معرضين؟

أما بعد:

فقد قصد الصديق زيارة صديقه الذى لم يسمح له بلقائه مغترا بمنصبه فكتب إليه يقول عنه:

نسي الطين ساعة أنه طين حقير
فصال تيها وعربد
وكسى الخز جسمه فتباهى
وحوى المال كيسه فتمرد
يا أخي لا تمل بوجهك عني
ما أنا فحمة. ولا أنت فرقد
قمر واحد يطل علينا
وعلى الكوخ والبناء الموطد

وهذا ما تعلمناه من حكمته ﷺ

(فالمناصب العليا لابد منها في كل مجتمع ولكن حب الرياسة داء عضال ومزلقة إلى الوضاعة في الدار الآخرة. ولقد تطلع إلى الإمارة بعض الصحابة الأخيار ولكن الرسول ﷺ حذرهم منها لأنهم لم يستكملوا أدواتها: جاء عن أبي ذر -رضى الله عنه- أنه قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله: ألا تستعملني! أي: «تجعلني أميرا» قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر: إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها) ثم يعلق الغزالي قائلاً:

«إن الإنسان قد يكون عالما أو أديبا أو باحثا أو مكتشفا ولكنه صفر من الناحية الإدارية فولايته على الناس لا تجديهم ولا تجديه وكثيرا ما تكون الرياسة إشباعا لنزعة الكبرياء أو التسلط على الآخرين أو اقتناص المال من وجوه مريبة».

إبراهيم بن أدهم
تأملات في نمطه الحياتي والفكري

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العرب
[illegible]

في تاريخنا الإسلامي نماذج من بطولات قادرة بالفعل على العطاء الواهب في كل اتجاه. وربما كان المستوى الفاعل في هذه البطولات هو ما يستقطب اهتمامات كل العصور بما هو المستوى الدافع لحركة التطور وإلى حركة التطور معا. لأن ما سواه من مستويات البطولة وأنماطها جميعا يبقى في النهاية ظلما إلى فعل قد يحرك طاقات الأغيار في اتجاهه. ولكنه يظل غير قادر هو على التحرك الذاتي في اتجاه الأغيار أو حتى في أي اتجاه!!

ولأن الإسلام في بدء اندلاعه الحركي كان طاقة فعل، ولم يكن مجرد ظلما إلى الأفعال. فقد عبر تخوم المنطقة، وغير خريطة العالم، واجهض حضارات محوطة كانت تعربد على الأرض لتشيد على أنقاضها الرثة حضارة بحجم كل العصور.. فلما هدأت الموجة، وأغمدت السيوف وطفت على السطح مقولات هاربة من قدر المواجهة على مستوى الفعل إلى قدر اللامواجهة على أي من المستويات، انحسر المد الإسلامي، وانكفأت الحركة على ذاتها ومقولاتها، وعلى يدع صمتها الفادح في عالم ضاج بملايين النداءات!!

إبراهيم بن أدهم، الصوفي الزاهد الجهير، واحد من أولئك العماليق الذين حركوا قصية البطولة في اتجاهها الصوابي، أعني أنه لم يمارس تجربته الصوفية على مستوى الهجرة من عالم الفعل إلى عالم المقولات، ولكنه على النقيض مارس تجربته الصوفية على مستوى الهجرة من عالم الحلم إلى عالم الفعل، منتضيا كل أسلحته ومقولاته ليجعل منها ركائز حركة، ومنطلقات إبداع!!

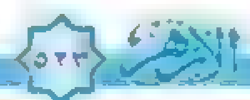
تذكر دائرة المعارف الإسلامية أنه: «إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر (أبو إسحاق) التميمي العجلي، زاهد مشهور من كورة بلخ ينحصر تاريخ وفاته طبقا لوثائق مختلفة بين سنتي ١٦٠-١٦٦هـ، ٧٧٦-٧٨٣م، وكانت وفاته على ما قيل أثناء اشتراكه في حملة بحرية ضد البيزنطيين «حلية الأولياء» مخطوطا باليد جـ١ ص١٨٨»..

وتستطرد دائرة المعارف الإسلامية قائلة: «وتؤكد كثير من الروايات الواردة في كتاب (حلية الأولياء) أنه هاجر إلى بلاد الشام بعد أن تصوف، وعاش هناك من عمل يده إلى وقت مماته، ويقال إنه أجاب عبد الله بن المبارك عندما سأله عن سبب تركه خراسان: «ما تهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: هو موسوس، ومن يراني يقول: هو جمال».

وتستطرد دائرة المعارف الإسلامية قائلة: «وتدل القصص والأقوال التي ينسبها إليه أقدم كتاب سيرته على أنه كان زاهدا ينزع إلى الناحية العملية في تصوفه، وعبثا نحاول أن نجد أي أثر في تصوفه للنزعة النظرية التي نمت في القرن التالي، وهو كغيره من الزهاد المتقدمين كان يحرص على أن يكون طعامه موافقا لقواعد الدين، ولم يعتنق مذهب التوكل إلى حد احتقار كسب العيش بمجهوده الذاتي، بل كان على عكس ذلك يعيش من الزراعة واحتصاد وطحن الغلال وما إلى ذلك».

هذا هو الواقع التاريخي للحياة المادية التي عاشها إبراهيم بن أدهم، وربما كانت الإيماضات الروحية التي تخللت هذه المسيرة الحياتية وخلال هذا الرصد التاريخي تعطي مؤشرا حقيقيا إلى المنحى الذي عاشه هذا الزاهد البطل، فأن يموت في جزيرة من جزائر البحر في بلاد الروم أثناء اشتراكه في حملة بحرية ضد البيزنطيين، فإن ذلك يعني على الفور أن هذا الفارس الزاهد كان يعرف دائما طريقه، وأن الزهادة في معتقده لم تكن اعتصاما بقنة جبل في انتظار الخلاص بالموت، وإنما كانت اعتصاما بالسيف لا في انتظار الخلاص بالفعل، وإن كان الفعل ورد الفعل على السواء في نهاية الأمر صائرين إلى صيرورة الموت.. إلا أن الموت هنا لا يعني قدوما على عفن رابض على الأرض، ولكنه يعني لقاء متكافئا مع جدل ثوري رابض في كيان الإنسان!!

وقد يتحيف السادجون من مقولة احتواء إبراهيم بن أدهم حركة الفعل في مسيرته الحياتية والروحية حين يقفون أمام قوله: «ما تهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: موسوس، ومن يراني يقول: هو جمال».. لأنهم سيفهمون كلماته هذه على أنها فرار من حركة المجتمع إلى سكونية الخلاء، ومن الحوار المادي مع مفردات الواقع اليومي إلى الحوار الميتافيزيقي مع الوجد الصوفي والانعزال عن وضعية الإنسان فوق هذه الأرض على هذه الأرض.. وأبدا لا يمكن أن يكون هذا هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمات، فإن سلوك هذا الفارس البطل الحياتي من جهة، ومنحاه الفكري في كل تراثه من جهة ثانية لا يمكن أن يعطي هذه النتيجة، أو حتى يوحي بهذا الانطباع.. إن سلوكه الحياتي يؤكد أنه إنسان «الفعل» الحقيقي على هذه الأرض، إن هذه الفرضية لا تتوارى من حياته حتى وهو في قمة انفتاحه على البعد



الميتافيزيقي في تجربته الروحية. إننا أمام قصة انقلابه من النمط الحياتي المعتاد إلى النمط الصوفي الزاهد المتعبد لانفقد أبدا إحساسنا بالتزامه الصميمي بوضعيته كإنسان فاعل على مستوى حقيقي، فقد رووا أن إبراهيم كان أميرا من أمراء بلخ، خرج يوماً للقنص والصيد فأثار أرنبا برياً وهو في طلبه، فهتف به هاتف: يا إبراهيم.. ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ثم هتف به أيضاً من قربوس سرجه: والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، فنزل عن دابته وصادف راعياً لأبيه فأخذ منه جبته وكانت من صوف حتى ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم «رفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة».

هذه هي قصة الانقلاب الصميمي في مسيرة حياة إبراهيم بن أدهم، فإذا تجاوزنا - مضطرين - عن التشابه الذي يكاد يكون حرفياً بين هذه القصة وقصة انقلاب «بوذا» الروحي، ورحنا نتأمل أحجام ما فيها من الفعل واللافعل، لندهش على الفور أن الفعل فيها طوفان يكتسح ممالك اللافعل بلا حدود، إن الاستجابة البادهة للصوت الموقظ في أعماقه كل مناطق الاشتعال، توحي على الفور بأن هذا الفارس العارف كان يعاني من مخاض فكري وروحي، وأن استجابته البادهة على هذا النحو تعني لحظة القمة الدرامية في مسيرة طولها بحجم عمره تماماً، إن الانعطاف من منحى وجودي إلى منحى وجودي آخر ليس هوى يختاره التافهون، وإنما هو تحريك جذري لمدركات إنسان في كون ومدركات كون في إنسان، وهذا وحده هو ما ينفي عن القضية كل تسطيح الإطلاقات.. أعني أن إبراهيم ابن أدهم لم يكن ليكون هكذا مستجيباً لصوت أو لصدى صوت قد يكون، فينخلع من ماضيه وحاضره، ويلقي بنفسه في تيار عالم مجهول بلا ضفاف، لو لم يكن أساسا قد عانى مراحل التأمل والبحث ومحاولة الاستكناه، ثم تفتح وعيه الكوني لهواتف التدلي أو هواتف الصعود، لقد يخيل إليّ - من خلال تأمل ذاتي في إبراهيم بن أدهم - أن هذا الزاهد البطل كان مؤهلاً - في لحظات انقلابه - لتدمير ذاته ولإعلائها معاً، وكان وعيه الكوني كما أسلفت مرهفا إلى درجة التخاطب الفوقي، وكان - تأسيساً على هذه الفرضية - مؤهلا لحركة التدلي حتى قيعان التمزق، أو حركة الصعود إلى ذروة الاستجلاء. لقد كانت استجابته البادهة للصوت أو لصدى الصوت - لا يهم - انفراجاً حقيقياً لأزمة روحية طاحنة ما لبثت أن عانقت قرارها الإيجابي انبهاراً بالاختيار الأصوب، وانتحاء عن الجانب الأظلم الذي كان يمكن أن يكون أهم شيء.

والشيء الآخر أن امتداد هذه الرحلة المستحدثة والبكر في حياة إبراهيم بن أدهم يؤكد صوابية ما ذهبت إليه، وهو أن هذا الانقلاب الروحي لم ينعطف به إلى المنحى الصوفي الاعتزالي. أعني أنه لم يعطه قناعة اعتزال الكون المائج إلى كهف السكون، فلقد بدأ إبراهيم بن أدهم مسيرته المستحدثة بامتشاقه السيف، وبانخراطه في كتائب الزحف، حتى عانق قدره الأخير في غربة الجهاد.. يروون في هذا الصدد أنه:

«غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمسا وعشرين مرة، كل مرة يجدد الوضوء، فلما حس بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وتوفي وهي في كفه، ودفن في جزيرة من جزائر البحر في بلاد الروم - فوات الوفيات - »..

إن هذا الفارس المقاتل لم يهجع على حرير العزلة البارد، وإنما قاتل.. وقاتل.. حتى آخر أرماقه، وحين أحس بنهاية الرحلة، لم يشأ أن يودع دنياه، ويده قابضة على غير سيفه البتار وقوسه المشرعة في اتجاه أعدائه، إن الرمز هنا يوشك أن يكون مقصوداً بلا حدود، أعني أن حركة إبراهيم ابن أدهم في اتجاه أن يسدل الستار عليه وهو قابض على قوسه متوجه إلى أعدائه، تعطي رمزاً بحجم أن نقاتل حتى الموت.. بحجم أن نقاتل إذا استطعنا رغم كل الموت.. بحجم أن نقاتل حتى نقهر الموت!! وتعطي أن هذا هو لونه الحقيقي، وهذا منحاه''

فإذا انتقلنا من التفرس في ملامح السلوك الحياتي لإبراهيم بن أدهم إلى التفرس في ملامح منحاه الفكري توغلا إلى محاولة المعرفة، رأينا هذا الإيقاع المتوافق بين السلوك والفكر، «قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات:

● الأولى: أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.

● والثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل.

● والثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد.

● والرابعة: أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.

● والخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.

● والسادسة: أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت» - طبقات الصوفية - .. إن هذا المنحى الفكري الهادف إلى تأصيل حركة العمل والمجاهدة والتيقظ لهواتف الآن والمابعد، يؤكد صدق مقولة أن هذا المتصوف الرائع لم يكن منتحياً حركة العالم إلى سكونية الخلاء، ولكنه كان على النقيض من ذلك تماماً، خائضاً في تيار كونه، مستثمرا من خلال عراكه الوجودي مع الأشياء دبيب السر في الأشياء، منفتحا دائما على الجانب الصميمي.. إن وقوفنا أمام وصاياه السالفة يؤكد بالضرورة صوابية هذه المقولة. إن المقابلات القائمة بين النعمة والشدة، والعز والذل، والراحة والجهد، والنوم والسهر والغنى والفقر والأمل والموت.. ليست مطلقا بلاغيا مجدب المضمون، وليست هي بالتأكيد اندفاعا إلى جانب السلب في مواجهة الإيجاب، إن الدعوة إلى اعتناق الشدة، والذل، والجهد، والسهر، والفقر، والموت.. هي الدعوة

حقيقية إلى تدعيم بناء العصر الإنساني. النموذج الذي لا يتحلل دراته تحت نفح خربة عاطفة. أو ينهزم فتولا أمام زحف معاناة على أي مستوى قد تجئ.. وهي الدعوة الحقيقية إلى امتلاك الجانب الآخر بالفعل.. ثم تجاوزه.. أعني أن فهم السياق في قوله «أن تغلق باب.. وتفتح..» يوحي بضرورة إلى حتمية امتلاكك لقدرتي الفتح والإغلاق. فأن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة معناه أنك قد احتويت بالفعل ممالك النعمة وتجاوزت مرحلة التثاؤب الكلي على وسائدها الوثيرة في محاولة للهجرة إلى عالم الشدة. لتذهب ممكنات الفعل والإبداع فيك لخوض معارك الجدل الوجودي على كل مستوياته، بدءاً من التعالي على حركة الشيء وانتهاء إلى معانقة المعنى في الشيء، واللامنظور في المنظور، وإمكانية الإمكان والمستحيل جميعاً بلا تجميد على جبهة من الجبهات هكذا في همود!!

لا أريد أن يفهم أن نوعاً من الإطلاق في الحكم يؤطر هذه الكلمات، أن كل حروفها تعني ما تقوله تماماً، إن هذا الرجل الرائع بحق واحد من الأنماط التي لم تتقاصر بالرقص على إيقاع الشعارات، لقد كان يعرف دائماً ما يريده، ويعرف طريقه القاصد إلى صوغ مفهومه عما يريد، ثم يتحرك إلى هذا الهدف المراد من خلال مكتبية محسوبة تكاد لا تزيد أو تنقص. وربما استطعنا أن نلمح كل هذه الخصائص الصميمية في كلماته: «من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه» - طبقات الصوفية - إن تحديد الهدف، وانتقاء الجهد، ومجانبة الإطلاق على مستوييه: العملي والقولي. هي مضمون هذه الكلمات.. إن إحساساً هائلاً بقيمة المنهج الحياتي من جهة، والمنهج الذاتي من جهة ثانية، والمنهج الحركي من جهة ثالثة، والمنهج الفكري من جهة أخيرة، هو ما يشكل مضمون وإطار هذه المقولة الرائعة التي أطلقها إبراهيم بن أدهم. هادفاً إلى تأصيل شيء ما، وليس اللعب بشيء ما على الإطلاق!!

عند هذه المرحلة من مسيرتنا مع إبراهيم ابن أدهم قد نلتقي بكلمات الوداع، وقد نمضي إلى المابعد، ولكني أزعم أننا مع المرحلتين قد قلنا كلماتنا فيه، إن هذا الصوفي المجاهد الرائع يشكل في حركة التصوف الإسلامي أولاً في حركة الزهد نموذج الزاهد البطل الذي كان يتحرك من خلال قضية «الفعل» وليس من خلال قضية «الانتحاء».. أن مسيرة حياته المادية تؤكد هذه المقولة.. إن امتدادات هذه المسيرة تؤكد على تأكيد هذه المقولة.. إن منحاه الفكري يشكل الشاهد الآخر في حركة احتوائه الصميمي لهذه المقولة!!

فلنقل وداعاً إذن..

أو فلنواصل لهثنا على الطريق..

فلن نعود بغير هذه الأبعاد!!!



قصة العدد



كان المعتصم بالله الخليفة العباسي يجلس غاضباً، يعبس وجهه وتحمر عيناه، ولم يستطع أحد من حاشيته أن يدنو من مجلسه، فيسأله عما به من توتر متأزم، ولكن أحد العارفين بمكانة القاضي أحمد بن أبي دؤاد في نفس المعتصم أشار على بعض الخدم أن ينهض فيستدعي القاضي لمجلس الخليفة، ويعلمه بما يعانيه من ضيق متأزم فقد يستطيع ابن أبي دؤاد بلطف مدخله، وحسن تأتيه أن يروح عن المعتصم بعض الشيء، وله في هذا المجال سوابق ذائعة، يعرفها من بالقصر من الندماء والمقربين.

وسرعان ما مثل القاضي بين يدي المعتصم، وقال له في ابتسام هادئ:

● أقبلت يا مولاي دون استدعاء منك، فقد حدثتني نفسي أن أتشرف بلقائك، ولي بها نسمة أكيدة أن تأذن لي بالجلوس.

●● ابتسم المعتصم وقال: لقد سررت بمقدمك يا أحمد وإني لفي ضيق كارب لما جاءني اليوم من أنباء (بابك) اللعين فقد دحر جيوش الخلافة للمرة السابعة، وقتل من أبطال المسلمين ما يزيد على مائتي ألف شهيد، وصرع بين يديه أربعة من عظام القادة في الدولة! فكيف يقضي عشرين عاماً متمتعاً في ملكه وجنوده، ولا نملك له دفعاً، والدولة هي الدولة العباسية ذات الجند الحاشد، والقادة الأكفاء والسلاح الموفور!! عشرون عاماً يا أحمد يتسلط سفاح رهيب على خراسان وما حولها من البقاع، ولا يكتفي بأن يكون ملكاً، بل يدعي أن روح الله قد حلت به، وأن الكون طوع إرادته يصرفه كما يشاء، وتجيء انتصاراته الساحقة برهاناً واضحاً يؤكد دعواه في نظر الأغرار من أتباعه المخدوعين! أجب يا أحمد كيف استطاع هذا المارق أن يسحر هؤلاء؟

● ابتسم أحمد متكلفاً الابتسام، ونظر في ود مخلص إلى المعتصم، ثم بدأ يقول.

الناس يا أمير المؤمنين عبيد الشهوات، إلا من عصم الله، وقد أباح هذا المارق لأتباعه شهوات الجنس، فلا عفة عن المحارم

والأجنبيات، وشهوات للمال فلا ملكية لأحد، ولكلٍّ من أتباعه له أن يشارك فيما تقع عليه عيناه، وشهوات للمعصية فلا نار ولا حساب، لأنه الحاكم الذى يذل ويعز، وينعم ويعذب، وترى الناس أنفسهم كأنها نسمة من الخيرات، فاستراحوا للفجور، وأنسوا باللذة، وظفروا بالمال حيث وجدوه دون رقيب! وهكذا خرجوا عن ربقة الإسلام!

●● قال المعتصم: وكيف يفقد هؤلاء المخبولون عقولهم، فيتركون كتاب الله، ويستمعون إلى هذا الشيطان الرجيم؟!

كيف يحدث عاقل نفسه بهذا الانحلال؟

● سكت أحمد قليلا، ثم قال:

يا أمير المؤمنين، هذه الآفات ليست جديدة على القوم، فقد قام في فارس على عهد الملك قباذ بن فيروز من يسمى مزدك ونادى بالشيوع في الأموال والنساء، وأباح كلَّ محرم، فاستجاب له قباذ، وانحدر الشعب في مهواة سحيقة حتى مات قباذ، وخلفه ابنه العادل كسرى أنوشروان فأدرك الانحلال الجارف الذى هوت فيه البلاد، وبدأ فدعا مزدك وطلب منه التوبة عن إثمه، فلم يستجب، فقتله شر قتلة، وعاد بالبلاد إلى ما كانت عليه من التصون والتماسك. ولكن دعوة مزدك قد ظلت تعاود بعض النفوس، حتى قام هذا اللعين بابك بتجديدها، فوجد من العصاة من استجاب، وطال عهده بالرئاسة، فتجمع حوله أوباش الناس، وسفلة القوم، ولم تستطع العقول الهادية أن تواجه التيار في طوفانه المكتسح، إذ أعمل اللئيم السيف في رقاب المعترضين، حتى خرست الأفواه، ونكست الرءوس، ثم قام بين دعاة السوء من يجمعون له الأشياع من كل صقع فارسي قريب أو بعيد. واشتغلت الدولة هنا بحروب الروم، وبعض الخلافات الداخلية فأعطته الفرصة المواتية للرسوخ والاستعلاء.

●● أطرق المعتصم مفكرا، وعلائم الضيق لم تفارق محياه! ثم سأل: وماذا يقول دعاة السوء هؤلاء؟ يقولون إن الفسق والفجور والاغتصاب والخديعة والمكر سبيل السعادة! وإذا قالوا ذلك أفيكون جميع السامعين بلهاء؟

● فرد ابن أبي دؤاد يقول: جاءني من أقوال هؤلاء الدعاة ما أثار العجب والحفيظة في نفسي؟ فقد زعم هؤلاء أن بابك الجديد سيعيد مجد بابك القديم! وقد سمّي باسمه ليرجع بتاريخ فارس كما كان.

●● فتطلع الخليفة سائلاً: لم أعلم شيئا عن بابك القديم، فما أنباؤه؟

● قال أحمد: هو أول ملوك الدولة الساسانية، وقد كانت فارس من قبله طوائف قددا، فاستطاع أن يضم البلاد المنعزلة إلى إمارته بلدا بلدا، وقام بحروب تكللت بالنصر، فتم له توحيد الدولة الفارسية، وصار الملك الأوحد، بل تعدد أمراء المقاطعات، وصادف أن ازدهر الرخاء في عصره، فعظمت مكانة الدولة، وانتصرت على الروم في مواقع كثيرة، هذا ما كان من أمر بابك القديم وهذا اللعين يحدث نفسه أنه سيملك العالم، ويعد أتباعه بالسيطرة على آفاق الأرض، ويقول: ستكونون جميعاً أمراء! والعامة هم العامة، يندفعون دون تعقل، ويسرعون دون انتقاد!

●● قال المعتصم: وهل كان مؤسس الدولة الساسانية فاجرا عربيدا، كما نرى بابك اليوم؟

● فأجاب أحمد: لو كان كذلك ما تم له النصر، ولو عقل الرعاع الذين جمعهم بابك حوله لعلموا أن الفرق بعيد، بين عاهر مشلج، وشيطان مريد! على أن الأمر يا مولاي في يدك، فأنت رجل حرب، وبطل معارك، ولك خبرة كافية بالرجال الأبطال، فاختر من هؤلاء من يقود جيشك الظافر، وامدده بكل ما تستطيع أن تمده به الدولة من عتاد وسلاح، وأمر جنده أن يكونوا طوع بنانه، كما تأمره أن يستشير ويراجع، وسيكتب النصر بعون الله، ورضا أمير المؤمنين؟

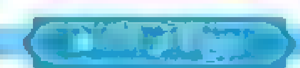
●● قال المعتصم: ومن ترى يا أحمد أن يكون قائد الأمر؟

● فمضى أحمد يقول: أرى الأفشين، على ما في نفسي إزاء عجميته وكبريائه، ولكنها الحرب، وهو بطلها المغوار، إذا شاء أمير المؤمنين!

●● فتطلع المعتصم إلى جليسه وقال: لقد فكرت في الأفشين كثيرا، وما عدلت به سواه.

-٢-

أراد الأفشين أن يحارب بالعقل والحيلة قبل أن يلتحم بالسلاح والذخيرة، وقد عرف أن بابك يتحصن بالجبال الوعرة ويختار من الدروب ما يعسر الالتحام به، لضيقه، وقد هدم كثيرا من القلاع التي اتخذتها الدولة لحفظ المال والذخيرة والأنفس، فبدأ القائد بإصلاح الحصون لتكون مراكز للتجمع، ثم أحضر من استأمنهم من المثقفين على ثقة ليعرف منهم وصف الدروب وأماكن الاختفاء في أغوار الجبال، وقد أمدهم بالمال ليكونوا عيونه، على ألا يظهروا لأتباع بابك أنهم على صلة بجيش الأفشين، وكانت هذه حيلة ماكرة أفادت الجيش العباسي بما وفر عليه كثيرا من المتاعب. وقد سهر الأفشين ذات ليلة مع جواسيسه من عارفي بابك، ليعلم منهم ما خفي من أمره، وكيف استطاع أن يجمع هذه الحشود التي تفتديه دون مبالاة؟ فعرف أن بابك كان راعيا للنوق في بعض الجبال، وكان ذا قوة واحتيال، وسمحت له الظروف أن يلتحق بخدمة (جاويدان) الخرّمي كبير العصاة، وقد ملك البلاد، وأصبح نافذ الكلمة، مرهوب الجانب، فأظهر من التفاني في خدمته، والإخلاص في تنفيذ مشيئته ما صادف ارتياح (جاويدان) فخلطه بنفسه، وأصبح موضع سرّه، ثم مات (جاويدان) فجأة، فقيل إن ذلك بتدبير زوجه التي أحبت (بابك) وتآمرت معه على اغتياله بالسم، وقيل إن الموت كان فجائيا بتأثير الخمر إذ شرب كميّات وفيرة لم يطق احتمال تأثيرها! ولعلّ مما يرجح الرأي الأول أن الزوجة قد أعلنت في الناس أن (جاويدان) قد أعلن أن روحه قد انتقلت إلى بابك، وأنه أصبح خليفته المطاع، وسيتم على يده اكتساح العالم، ونشر مبادئ الخرمية، فصدق الناس ما نطقته الزوجة وسارعوا إلى مبايعته، ثم مالبثت الزوجة أن اقترنت ببابك، وقالت إنها تنفذ وصية جاويدان، وبدأ بابك عهده بالإغارة على القوافل وسفك الدماء، ونهب الأموال



ستكون شركة بين أتباعه، وستكون النساء ليصبحن نهبا مشاعا لمن يريد!!

علم الإفشين ذلك كله، فأدرك أن الحرب ستكون طاحنة، لأن مثل هؤلاء الذين يعتصمون بالتلال الشاهقة ذات الدروب الملتوية لن يحسم أمرهم في معركة قريبة، إذ لابد أن تتصل المعارك، ثم رأى أن يقيم الجند المسلمون على أفواه الدروب، ليأخذوا من يحاول التسلل، وكان ذلك أشق ما عاناه بابك، إذ تعود من قبل أن يقتحم الدروب دون أن يجد من يصده، وأن يجد أتباعه من الغنائم ما يسد حاجتهم دون مشقة، ولكن الوضع قد تغير، فأصبحت مهمة عسيرة، والدروب المفتوحة للإغارة قد قامت عليها الكتائب، والأمداد الحربية والغذائية لا تنقطع من بغداد، لتشبع حاجة الجيش الراصد، على حين أحدث الأقوات تقل وتتعانى كما تتعانى الذخيرة والعتاد عند بابك، وأعظم من ذلك كله أن كثيرا ممن كانوا لا يشكون خطأه في مناصرة بابك قد أدهشهم أن يتباطأ عن القتال، وأن يفنى القوت هكذا دون أن يشبع الجند، وأن يراقبوا الثمة في حصونهم دون أن تجد الردع المتكافئ! وكان في بابك غطرسة واستعلاء، فمن يبدو منه خلاف له في الرأي، فهو يقتل دون تحرج، فإذا وجد الغضب من بعض ذوي قرباه، بشرهم بأن القتيل قد انتقل في جسمه في السماء، فهو هادئ قرير!

وكانت شهور الشتاء تتيح الهدنة للفريقين، حيث يغمر الثلج الدروب، وتشتد البرودة إلى حد يتجمد معه الماء، ويصبح الهواء شرارا يلفح الوجوه ويرعش الجسوم! فأخذ بابك يفكر في أمره على تؤدة، ثم صمم أن يقود الجموع متى ارتفع الثلج، وأن يأخذ الجيش العباسي على غرة في ظلام الليل، وقد اعتاد النصر بهذه الهجمات [illegible] على مدى عشرين عاما فلعله يفوز!

وكان في بطانة بابك من يعرف كيده، ويضيق به الشر، فأعلن للإفشين ما يعتزمه بابك، وسرعان ما أخذ الأهبة، وأعد المشاعل لتنير الطريق حين يلتحم الجيشان في الظلام، ثم أوقف على أفواه الدروب من يحصدون كل من تحدثه نفسه بالوثوب محاربا، أو بالفرار هاربا، وقد وقعت الموقعة وتقدم الإفشين لقيادة المعركة في بسالة عهدت عنه. وفوجئ بابك بأن عدوه قد أخذ أهبته التامة، فلم يعد للمفاجأة سحرها في حندس الظلام، وقدم القواد للهيب المعركة دون أن يكون في مقدمة الصفوف! وذعر العدو حين رأى كرات القطن الملتهب، تقذف على أبعاد شتى لتبعث الحريق، فأخذوا يلتمسون أفواه الدروب طلبا للنجاة، فتلقفتهم سيوف المترصدين، ووقعوا بين المطرقة والسندان، وأيقن بابك من الهزيمة ففر مستخفيا، وتبدد شمل أتباعه، ودوى النصر في كل مكان حتى جاء بغداد على جناح الطائر، فامتلأت المساجد لصلاة الشكر، وأطلقت الأسارى من سجون بابك في أكثر من عشرين مدينة، وقد بلغ عددهم سبعة آلاف من المسلمين، وتريث الإفشين فلم يسرع بالعودة، حذرا من أن يجمع بابك جيشا آخر من أصقاع مجاورة، فيكون على أهبة الاستعداد لملاقاته. وقد استبعد قادة الجيش الإسلامي هذا الاحتمال، ولكن

الإفشين أصر على ألا يرجع سامراء حتى يحمل رأس بابك إلى أمير المؤمنين؟!

أين سار بابك؟ وإلى أي وجه رحل؟

لقد انطلقت الكتائب الظافرة تبحث عنه في الدروب في رءوس الجبال، وفي مغارات الكهوف، وسبقت زوجته إلى الإفشين يحملها على الفرس ثم تعلمه من أمره ما عرفت، وأعلنت أنها لم تره منذ عهد، وتقدم بعض الموتورين من بابك يعلنون للإفشين أنها مصدر البلاء، وأنها التي سقت زوجها السم، ليحلو لها الجو مع بابك، وقد ادعت الوصية الكاذبة ليصبح بابك خليفة الزوج الراحل. ولو لم يكن ذلك كله ما كان لبابك أمر ولا نهي. قال الموتورون ذلك وأعادوه. ولكن الإفشين قال: لن أقتل امرأة عزلاء!

مرة ثانية: أين سار بابك؟ وإلى أي وجه رحل؟

علم بابك أن جبال أرمينية حصينة، وأن طريق الإفشين إليها وعر، لأن شعابها المعقدة حربية في طرقها الملتوية قد يتأخر، وقد يسقط الثلج في موعده، فيتيح الفرصة كي يجمع أنصاره حوله من جديد، وقد زعم أنه متى كون نفرا من تابعيه، وأرسلهم إلى مقر ملكه السابق فإن الجموع ستحتشد ناصرة. وهكذا أسرف في الأمل الكاذب حين اتجه وحيدا إلى أرمينية، ولم يدر أن الدنيا لمن غلب، فإن الذين سمعوا بهزيمته قد شمتوا فيه، وأخذوا يذيعون مثالبه التي كانوا يتحاشون الجهر بها خيفة من شره، لاسيما أن عيونه كانت تنقل إليه كل نبأ عن بادرة عصيان ليقابلها بالسحق القاهر! وما كاد يصل إلى الجبل حتى وجده قاعا صفصفا لا أحد به، فتنكر في ثياب تخفي شخصيته، وجعل يسأل عن أنصار بابك في حذق ليجمع حوله منهم من يشد أزره، ولكن الجولة كانت خاسرة، وقد تتبعه بعض من شك في أمره، حتى عرف مكانه في الكهف المستتر في أعماق الجبل، فأسرع إلى بطريق أرمينية «سهل بن سنباط»، وأعلمه بمكمن هذا الفاجر، وكان البطريق شديد الغيظ مما يبلغه من فتكه إذ يذبح النساء ويدعو إلى التحرر في المحارم دون وازع، كما أعلن انتقاص المسيحية والإسلام معا، فأراد سهل بن سنباط أن يشفي غله بحيلة ماكرة تمنعه من الفرار، فتقدم إليه راكعا، وأعلن أنه على مذهبه، وأن الكنيسة طوع أمره، وعليه أن يتبوأ مقعده بها آمنا غير خائف، فهو يعرف مريديه الكثيرين وسيجمعهم حوله في أقرب وقت يتاح! وصدق الطاغية ما سمع، وهرع إلى الكنيسة، وقد عاوده غروره فأنف أن يسير أحد إلى جواره، وحين جاء الطعام تقدم البطريق ليأكل معه، فنهره، وقال له: أنت سوقة مهما كبر مركزك! وكانت رسل البطريق قد وصلت إلى الإفشين تعلمه بسقوط الفريسة فهرع إليه نفر من ذوي البأس ليسعروه في الأغلال. وحين تبين الأسير براعة الخديعة، صاح بالبطريق ستعلم من أنا يا وغد! ولكنها صيحة قوبلت بالتشفي والتهكمات!

وسار بابك إلى سامراء ليلقى مصيره المحتوم في مشهد لم تعرف المدينة له من مثيل

المخطوطات العلميـــة الشــارحة فى التــراث الإسلامى



للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

منهج وتطبيقه للحسن بن الهيثم

حظي علم الضوء كظاهرة طبيعية، باهتمام الفلاسفة والعلماء عبر كل العصور، وظهر علم المناظر (أو البصريات Optics) ليعنى بدراسة طبيعة الضوء وخصائصه وما يتصل بهما من ظاهرات وتطبيقات. وتكمن أهمية هذا العلم فى أن أى تقدم يحرزه المتخصصون فيه ينعكس مباشرة على مختلف فروع العلم ومجالات التقنية الأخرى.

وكان كتاب «المناظر» (أوبطيقا) لبطليموس (١٠٥م) أول كتاب ترجم إلى العربية فى هذا العلم، ثم ظهر اهتمام علماء الحضارة الإسلامية بدراسة الضوء وظواهره فى بعض مؤلفاتهم ونذكر منهم: يعقوب بن إسحق الكندى (ت ٨٧٣م)، وحنين بن إسحق (ت ٨٧٣م)، وثابت بن قرة (ت ٩٠١م)، وأبا بكر الرازى (ت ٩٢٣م)، وابن سينا (ت ١٠٣٧م) وابن رشد (ت ١١٩٨م)، ونصير الدين الطوسى (ت ١٢٧٤م)، وابن النفيس القرشى المصرى (ت ١٢٨٨م) وغيرهم.

إلا أن الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٠هـ / ٩٦٥-١٠٣٩م) كان له القدح المعلى فى هذا الميدان فقد تعرض فى كتابه «الشكوك على بطليموس» لشرح وتفنيد كتاب «المناظر» لبطليموس وكان تصنيف المقالات فى صيغة اعتراضات أو «شكوك» على مؤلفين السابقين تقليدا أدبيا ورثه العرب عن اليونان ومضوا فيه، وقبل ابن الهيثم وضع أبوبكر الرازى مثلا فى القرن التاسع الميلادى مقالة بعنوان «الشكوك على جالينوس» ينقد فيها بعض آراء «فاضل الأطباء» الذى عاش بعد بطليموس بقليل ولكن الذى لاشك فيه أن ابن الهيثم لم يضطلع بكتابة شكوكه على بطليموس، باعتبارها مجرد تمرين أو قالب أدبى جرت العادة أن يصنف فيه المؤلف مقالة أو مقالتين. ولكنها تضمنت نقداً حاداً تأدى إليه صاحبه بعد تفكير وجهد فقد شك فى عدد المعانى التى يدركها البصر، وأوضح أنها اثنان وعشرون نوعاً وليست سبعة أنواع كما قال بطليموس، كذلك شك فى أغلاط البصر، وفى خيالات المرايا، وفى خيالات الانعطاف ... لكن ابن الهيثم فى شرحه ونقده لا يهدف إلى تقليل شأن بطليموس، فهو يعرف له مكانته ويقر بأنه وجد فى كتب هذا الرجل المشهور بالفضيلة، المتفنن فى المعانى الرياضية، المشار إليه فى العلوم الحقيقية، علوما كثيرة ومعانى غزيرة كثيرة الفوائد، عظيمة المنافع، لكن الحق، عند ابن الهيثم «مطلوب لذاته وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده ووجود الحق صعب، والطريق إليه وعر، والحقائق منغمسة فى الشبهات وحسن الظن بالعلماء فى طباع جميع الناس، فالناظر فى كتب العلماء إذا استرسل مع طبعه، وجعل غرضه فهم ما ذكروه وغاية ما أوردوه حصلت الحقائق عنده هى المعانى التى قصدوا لها، والغايات التى أشاروا إليها، وما عصم الله العلماء من الزلل ولا حمى علمهم من التقصير والخلل. ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء فى شىء من العلوم. ولا تفرقت آراؤهم فى شىء من حقائق الأمور

(١) انظر ذلك فى الشكوك على بطليموس للحسن بن الهيثم تحقيق الدكتور عبدالحميد صبره والدكتور نبيل الشهابى تصدير الدكتور إبراهيم مدكور، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٩٦



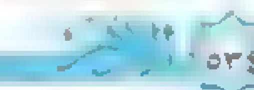


والوجود بخلاف ذلك فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم، المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع الحجة والبرهان، لا قول القائل الذي هو إنسان، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان والواجب على الناظر في كتب العلوم، إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصما لكل ما ينظر فيه ويجيل فكره في متنه وفي جميع حواشيه ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه ويتهم أيضا نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسمح فيه فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشبه ... ولما نظرنا في كتب الرجل المشهور بالفضيلة.. وخصمناها وميزناها وتحرينا إنصافه وإنصاف الحق معه، وجدنا فيها مواضع مشتبهة وألفاظا بشعة، ومعاني متناقضة إلا أنها يسيرة في جنب ما أصاب فيه من المعاني الصحيحة فرأينا أن في الإمساك عنها هضماً للحق وتعديا عليه وظلما لمن ينظر بعدنا في كتبه في سترنا ذلك عنه.. ورأينا أن نذكر هذه المواضع وإظهارها لمن يجتهد من بعد ذلك في سد خللها وتصحيح معانيها بكل وجه يمكن أن يؤدي إلى حقائقها»[٢].

وهكذا يعبر ابن الهيثم عن منهجه في الشرح والبحث والاستدراك على آراء غيره من السابقين عليه أو المعاصرين له ويفصح عن معنى «الشك العلمي» لدى الباحث في العلم بموضوعية ومنهجية سواء قبل الشروع في إجراء الخطوات التنفيذية للبحث في ظاهرة ما، أو بعد الوصول إلى النتيجة النهائية بخصوص نفس الظاهرة وكأنه يعبر عن إحدى صور التداخل الذاتي في البحث الموضوعي بأفضل مما عبر عنه فيلسوف العلم المعاصر «كارل بوبر» في منطق التكذيب ومنطق الكشف العلمي[٣]، وتظهر روعة المنهجية التي يقدمها ابن الهيثم في الشرح والبحث في أنه يعرض مبدأ الشك في منهج نقدي تجريبي إيماني قادر على بلوغ الحقيقة العلمية الجزئية بأكبر قدر ممكن من اليقين لكن كارل بوبر لا يرى في العلم إلا مجموعة من العبارات التي استقر العمل والاعتراف بها، ولا يمكن

(٢) المرجع السابق.

(٣) كارل بوبر منطق الكشف العلمي، الترجمة العربية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٨.



أن يدعي أنه قد توصل إلى الحقيقة أو حتى ما يشابهها كأن تكون احتمالا فنحن لا نعلم -على حد قوله- ولكننا نخمن فقط. ويزيد من أهمية مقالة الشكوك على بطليموس لابن الهيثم أنها أغنت عن الأصل العربي المفقود لمناظر بطليموس كما أنها دلت على أن ذلك النص العربي كان مبتور الآخر، كما هو الحال في الترجمة اللاتينية.

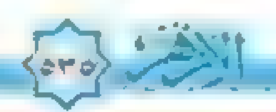
كتاب المناظر لابن الهيثم

يعتبر «كتاب المناظر» الذي صنفه حسن بن الهيثم في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أول أساس علمي يعول عليه في دراسة نظرية الضوء وخصائصه وظواهره وتطبيقاته جاء بعد غفوة بلغت ألف عام تقريبا منذ كتاب «بطليموس» (١٥٠م)، وبعده عند العالم مرة أخرى لمدة ستمائة سنة حتى جاء «جوهانس كبلر» سنة ١٦٠٤م فقدم كتابا آخر في علم البصريات لكنه لم يرق إلى مستوى «المناظر» لابن الهيثم.

وأهم ما جاء به الحسن بن الهيثم في كتابه «المناظر» هو أنه استطاع أن يضع حدا للخلافات القديمة التي لم تتوصل إلى اتفاق حول تفسير عملية الإبصار وحدوث الرؤية وإدراك الألوان. واتبع منهجا استقرائيا دقيقا لتحقيق نظريته الجديدة في الإبصار على أساس أن يكون الجسم المرئي مضيئا بذاته أو بإشراق ضوء عليه، وأن يكون بين الجسم المرئي والعين بعد ما، وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشفا، وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار، وتوصل إلى أن الإبصار لا يتم إلا بتأثير الضوء الوارد إلى العين من المرئيات وأكمل على ذلك شرحا تفصيليا لكيفية حدوث الإبصار بواسطة العين بعد أن وصف تركيبها من الناحية التشريحية، وبين وظيفة أعضائها وأفصح عن طرق إدراك العقل لها.

وفرق بين الإدارك بالمعرفة والإدراك بالقياس والتمييز وقد بسط تفاصيل ذلك كله في المقالات الثلاث الأولى من كتابه ثم عرض في المقالتين الرابعة والخامسة لشرح عملية انعكاس الأضواء عن الأجسام الصقيلة (أو المرايا) وكيفية إدراك البصر للمبصرات (المرئيات)

[illegible]



بالانعكاس. ويرى الدكتور عبدالحميد صبرة الذي قام بتحقيق المقالات الخمس الأولى من كتاب المناظر، أن المقالتين الرابعة والخامسة تحتويان على الجزء الأكبر من لب الكتاب الذي يمثل طابعه التجريبي والرياضي معاً، ففي هاتين المقالتين يميز ابن الهيثم بوضوح وترتيب منهجي بين ما تستند عليه قضايا الكتاب من التجارب والحجج التجريبية (وذلك في المقالة الرابعة) وبين ما يستند منها بعد ذلك على البراهين الهندسية وبخاصة ما يتعلق بتحديد مواضع الخيالات أو الصور المشاهدة في المرايا المختلفة الأشكال (وذلك في المقالة الخامسة). ولعل أهم ما تضمنته هاتان المقالتان هو الحل غير مسبوق لمسألة سماها الأوربيون للحسن، أو الهازن Alhazeni problema Alhazen,s problem) وعرفت باسم «مسألة الحسن» منذ القرن السابع عشر الميلادي وهي تنص على أنه «إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس».

وحلول هذه المسألة كثيرة ومتنوعة وهي تتراوح بين اليسر والسهولة في الأحوال العامة، وحيثما يكون السطح العاكس مستويا وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كريا أو أسطوانيا أو مخروطيا، محدبا أو مقعرا أو حيثما تعتبر حالات خاصة. أما المقالتان السادسة والسابعة من كتاب المناظر فموضوعهما في أغلاط البصر فيما يدركه بالانعكاس، وعلله وفي كيفية إدراك البصر بالانعطاف (الانكسار) من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الهواء. ولجأ ابن الهيثم في شرحه لظواهر انتشار الضوء وانعكاسه وانعطافه إلى استخدام الخيال العلمي في المماثلة بين الظواهر المختلفة، وكان التمثيل الذي استخدمه هو النموذج الميكانيكي لحركة كرة صغيرة من الحديد أو الصلب تسقط على سطح صلب أملس فترتد عنه وهنا أدخل ابن الهيثم لأول مرة طريقة تحليل «المتجه» vector إلى قسطين (مركبتين) متعامدين وأفاد من رؤيته النقدية في استخدام المنهج الرياضي إلى جانب المنهج التجريبي الاستقرائي ولهذا فهو يعتبر بحق المؤسس الأول لعلم «البصريات الهندسية» Geometrical Optics.

ولم يقتصر عمل ابن الهيثم في «المناظر» على تصحيح تصورات القدماء واستحداث نظريات علمية جديدة هي بمثابة ثورة علمية بمقاييس فيلسوف العلم المعاصر (توماس كون)[٢]. بل هو بحث يسجل في صدر الكتاب أصول المنهج الاستقرائي السليم في البحث العلمي قبل فرنسيس بيكون بعدة قرون فيقول: «ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات ونلتقط بالاستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثلج الصدر ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف، وتنحسم بها مواد الشبهات وما نحن من جميع ذلك براء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية ومن الله نستمد المعونة في جميع الأمور»[٣].

من ناحية أخرى لمس ابن الهيثم جوانب معرفية أخرى في ثنايا كلامه في الإبصار، مثال ذلك ما يتعلق بعلم الجمال من عوامل تؤثر في إظهار الحسن وإدراكنا له وهو هنا قد تكلم بلسان العالم الفيزيائي الرياضي ومشاهداته لما يبصره لا بلسان الشاعر أو الفيلسوف الخيالي ويقول بكل إيجاز إنه تفطن إلى الأمور الجزئية التي تبرز الجمال في المرئيات بانفرادها وباقترانها: الضوء اللون، البعد المناسب، الوضع، الشكل، والحجم المناسب، تماثل الأقسام، وخصوصا الائتلاف والتناسب في الأجزاء وإدراك الحسن عند عالمنا أمر نفسي، لأن تلك الأمور تؤثر في النفس[٣].

كذلك عرض ابن الهيثم في كتابه القيم للحديث عن ظواهر عدة مثل الهالة والتقزيح وامتزاج الألوان وتكون الظلال وغيرها.

---

(٢) توماس كون، بنية الثورات العلمية، الترجمة العربية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت

(٣) كتاب المناظر للحسن بن الهيثم تحقيق د.عبدالحميد صبرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت جزءان ١٩٨٣ و٢٠٠٢م

قصيدة العدد

حبيبنا المصطفى ﷺ

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رَبَّاهُ أدرك بني الإسلام ربَّاه ... فالغرب يمتد حقداً من نواياه

ذاقوا [illegible] واستمرأوا صلفا ... [illegible] شعوب الأرض [illegible]

عاثوا فساداً وزادوا في تمردهم ... أوّاهُ من ظلمهم يارب أوّاهُ

لم يعرفوا قدر هادينا ومقصده ... هل كان يرحم هذا الكون لولاه؟!

ما بالهم كرروا الإيذاء ثانيةً؟ ... أما دروا أن رب العرش يرعاه؟!!

أما دروا أن رب العرش عاصمه؟! ... وإن رموه بسوء في [illegible]

سلوا (الدنمارك) عن رسامهم وسلوا ... هل كان [illegible] له في [illegible]

قال الألى انتصفوا: لا فرق في يده ... وإنما هو شيطان [illegible]

* * *

يا أمة المصطفى توبوا لربكم ... حتى يرد عدوا فاغزوا [illegible]

فما الانتكاسات لم تنزل بأمتنا ... إلا بذنب عظيم قد فعلناه

قوموا اتقوا الله وادعوه فلا أمل ... في النصر يا أمتي إلا بتقواه

* * *

يا [illegible] في حق مصطفاكم ... إن التضرع للمحبوب عقباه

حبيبنا المصطفى من ذا يبارئه ... حبيبنا المصطفى من ذا تحداه

يحب أحمد [illegible] على من محبته ... لـ[illegible] قد [illegible]

هو الحبيب المرتجى يوم لا أحد ... في موقف الحشر يدري أين مثواه

هو الحبيب المرتجى يوم لا أحد ... يستطيع دفع عذاب قد تعداه

له الشفاعة دون الرسل قاطبة ... فبالشفاعة ربُّ العرش أرضاه

يا أمتي اتخذوه [illegible] في ثقة ... إن تنصروه ينصركم الله

* * *

من قام [illegible] لاحت بشائره ... في [illegible] قد سماه مولاه

وبشرت رسل مولى بمبعثه ... كلٌّ تمنى على الرحمن يلقاه

وعاهدوا الله في حب لنصرته ... عهداً أكيداً وربُّ العرش أمضاه

سمى عليه إنه خلق في خلق ... لا شيء في الكون أسمى من سجاياه

[illegible] في القرآن في وصف ... [illegible] لنبي الله معجزة

[illegible] ... والله أكمل معناه ومبناه؟!

من ذا الذي [illegible] فاستطعت ... [illegible]

[illegible] ... أم ذاك حقد دفين في خفاياه؟

[illegible] ... ولا [illegible] رسول قد [illegible]

[illegible] ... من [illegible] في بساط [illegible]

هو الحبيب دعاه الله خالقه ... في يوم [illegible] كي يحظى بلقياه

وقد [illegible] في المعراج مرتقيا ... يا سعد من خصه بالقرب مولاه

* * *

كيف ننتصر لرسول الله ﷺ؟

لم أستغرب لما صدر عن الصحافة الأوروبية من إساءات لمقام الرسول الكريم ﷺ، بل لا أبالغ إذا قلت إن استغرابي وعجبي كان من ردود الأفعال التي صدرت عن المسلمين!.
فقد كشفت عن قدر كبير من السذاجة والغفلة وسوء التقدير، وكأنما كان القوم يحبون رسول الله ﷺ واليوم يكرهونه، أو أنهم كانوا يحترمون مشاعر المسلمين واليوم يهينونها، وكأن أمة الإسلام نسيت قول ربها سبحانه وتعالى:

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (البقرة ١٠٥)

وكأنهم لم يقرءوا في يوم من الأيام قوله سبحانه

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (البقرة ١٠٩)

أو أنهم لم يسمعوا قط قول ربهم سبحانه:

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة ١٢٠)

حقد وكراهية

وإذا كانت الآية الأولى قد أظهرت عمق العداوة التي يكنها أهل الكتاب لهذه الأمة، وكشفت عن خبيئة نفوسهم نحو الإسلام ورسول الإسلام ﷺ، ونبهتنا إلى ما يضمرونه من حقد، وما تنطوي عليه صدورهم من عداوة وكراهية وبغضاء، فإن الآية الثانية قد بينت العلة وراء هذا الحقد وهذه الكراهية، وفسرت ما يقع منهم من عدوان جهنمي همجي كافر، إن هذا كله من أجل إيماننا بهذا الدين، وسعادتنا بهذا النبي الكريم، فهم يحسدوننا على اصطفاء الله لنا لنكون خلفاءه في أرضه، وأمناءه على خلقه، والمصطفين لوراثة الأرض من بعد أن ائتمنهم على قيادة الأرض فخانوا، واستحفظهم على وحيه فحرفوه وبدلوه، وأرسل إليهم الرسل فقتلوهم وعذبوهم، وأظهر لهم المعجزات فجحدوا بها، وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم، وأخذ عليهم الميثاق ألا يعبدوا إلا الله فأشركوا به وقالوا على الله قولا عظيما

توحيدنا يذكرهم بشركهم

وكلما رأوا مظاهر عودة المسلمين لإسلامهم، واعتزازهم بدينهم اشتعلت البغضاء في قلوبهم، ولقد أطلع الله سبحانه وتعالى نبيه على هذه الحقيقة بقوله تعالى

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

(المائدة ٦٨)

فهل أقام أهل الكتاب شيئا من أحكام التوراة أو الإنجيل، وهم الذين قتلوا الأنبياء وحرفوا الكتب ونقضوا الميثاق وسفكوا الدماء، وتطاولوا على الله، وقالوا:

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾

(آل عمران: ١٨١)

وقد حكم الله بكفرهم بقوله

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(المائدة ٧٣)

لقد يئس هؤلاء المجرمون من الهداية، وأيقنوا بالبوار وسوء القرار، فأخذوا على عاتقهم هدم الإسلام بكل وسيلة، ومن كل طريق. وهذا ما أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليه بقوله

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾

(النساء ٨٩)

وهم في سبيل هذه الأمنية لا يترددون في أن يجندوا الجنود، ويجيشوا الجيوش، ويحشدوا كل ما لديهم من قوة، ليصلوا إلى مرادهم، وما نراه اليوم في أفغانستان وفي العراق، وفي فلسطين أوضح شاهد على هذا الحقد الدفين، وما كنا بحاجة إلى إثبات هذه الحقيقة لو أننا وعينا على ربنا قوله الحكيم:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

(البقرة ٢١٧)

وما تخفي صدورهم أكبر

فهل يحتاج المؤمن الصادق بيانا أوفى من هذا البيان، حتى يحسن فهم ما يقع الآن من بذاءات بعد أن ضاقت عن حملها صدورهم؟! وصدق الحق الحكيم الذي أخبرنا بمشاعرهم تلك بقوله

﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾

(آل عمران: ١١٨)

إن ما حدث في أوروبا من إساءات متعمدة لمقام رسول الله ﷺ لم يفاجئنا. وسكوتهم عن ذلك ينبغي ألا يخدعنا، فهم يتعاملون مع الإسلام من منطلقات عقائدية وثوابت تاريخية. خلاصتها قوله تعالى:

﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾

(التوبة: ١٠)

الرد الأمثل!!

ويبقى على المسلمين أن يحسنوا تقدير الأمور، ووضعها في نصابها، وأن تعرف كيف ترد الصاع صاعين، وكيف ترد هجومهم بهجوم أعنف، وبقوة أشد. فهل ما رأيناه من انفعالات وجدانية، ومسيرات عاطفية، وهتافات نارية، هل هذا هو الرد الأمثل الذي يشفي ويغني مع هؤلاء الحاقدين؟

إن هذا الرد وإن كان عبر عن غضبنا، وأشعرهم باستيائنا، فإنه يظل تفريغا وقتيا لشحنة الغضب، ما تلبث النفوس بعدها أن تهدأ، وما تلبث المشاعر أن تنطفئ، والعقول أن تنسى. ثم تعود الحال إلى ما كانت عليه، من فتح أسواقنا لبضائعهم، وفتح عقولنا لأفكارهم ومبادئهم، ووسائل إعلامنا لنجومهم ولهوهم. وتهيؤ شبابنا لتقليدهم والشعور بالفخر عند محاكاتهم. ومسارعة نسائنا وبناتنا لتقليد نسائهم وبناتهم. وفتح جامعاتنا لمناهجهم. والثقة المطلقة في نظرياتهم وطرق تربيتهم. وتقديم رموزهم وأدبائهم وقادتهم وعلمائهم ليحتلوا في نفوس شبابنا محل علمائنا وأدبائنا. وقادتنا ورموزنا. ثم نظن بعد هذا كله أننا لم نسيء إلى رسولنا، ولم نطعن في ديننا؟! ولم نخالف قول ربنا عندما حذرنا بقوله:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾

(آل عمران: ١٠٠)

ولقد أعلمنا سبحانه وتعالى أننا غير معذورين في هذه المسارعة إليهم ومحاولة تقليدهم وطاعتهم لأن الله أغنانا عن تقليدهم بشريعته. وعن أهوائهم بوحيه وحكمته. وعن ضلالهم بدينه وهدايته. ووصف من يسارعون فيهم بالضعف والجبن والنفاق بقوله

﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾

(المائدة: ٥٢)

التعليم والإعلام.. وسيرة الرسول

إن الرد الحقيقي على سفاهات هؤلاء الغربيين هو أن نشعرهم بالندم على فعلتهم هذه، وأعظم موقف يجعلهم يندمون ويحترقون هو أن يروا إقبال الأمة على دينها واعتزازها بنبيها، وتمسكها بصحيحها وعودتها إلى كتابها، والتخلص من هذا الفصام الفاصل بين عقيدة الأمة وبين واقعها، وأن تتحول وسائل التعليم والإعلام إلى خادم حقيقي لعقيدة الأمة وتراثها. وفي سيرة الرسول ﷺ زاد لمن أراد الانتصار له، ورد الإساءة والإهانة عنه.

يقول ابن إسحق: حدثني رجل من أسلم، كان واعية: أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبدالله بن جدعان بن عمرو ابن كعب في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له، وكان حمزة صاحب قنص. وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أشد فتى في قريش وأشد شكيمة فلما مر بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام: وجده ها هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ. فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامته. فخرج يسعى ولم يقف على أحد. معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول، فرد ذلك علي إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبوجهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا، وتم حمزة -رضي الله عنه- على إسلامه[1].

هكذا يكون الانتصار للمبادئ. فحمزة -رضي الله عنه- لم يقل لأبي جهل أتسبه وهو ابن أخي، وإنما قال: «أتسبه وأنا على دينه، أقول ما يقول». وهذا الانتصار الذي يريده رسول الله ﷺ وهذا ما يريده من الأمة نبيها أن تنتصر لرسول الله، لأنه

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١- دار القلم ص ٣١١-٣١٢

صاحب الرسالة والمبلغ عن ربه والمبعوث رحمة للعالمين، وهو النجاة لأهل الأرض أجمعين. وهذا ما نفهمه من قول ربنا سبحانه:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(آل عمران:٣١)

الله يعصمه!!

أما ما فعله هؤلاء الحاقدون، وما لم يظهروه مما هو أشد من ذلك وأعظم، فإنني أريد أن أطمئن أمة الإسلام جميعا بأن فعل هؤلاء السفهاء لا يمكن أن ينال من قدر رسول الله ﷺ شيئا، وكيف ينالون من رسول الله ﷺ والله سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظه وعصمته في حياته بقوله سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة:٦٧)

وتعهد برفع قدره، وخلود ذكره في حياته وبعد مماته بقوله سبحانه:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

الشرح (١:٤)

فإذا كان جبار السماوات والأرض ـ سبحانه ـ قد تعهد بحمايته ورعايته، فمن يملك من أهل الأرض جميعا أن ينال من قدر رسول الله وحبيبه ﷺ؟ وإنني لعلى ثقة بأن الذهب الخالص لا تزيده النار إلا لمعانا ورونقا وجمالا.

وصدق الشاعر الحكيم حيث يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت
أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

لقد عودتنا التجارب والأحداث أن كل عدوان على حرمات الله ومقدساته لابد أن تثمر ثمرة مباركة طيبة تسعد المسلمين وتغيظ الكافرين، فعندما دخل شارون إلى ساحة المسجد الأقصى ليدنسه، كان فعله هذا تفجيرا للانتفاضة المباركة.

والذين يحاولون الإساءة لرسول الله ﷺ فاهتزت الأرض كلها في زلزال مخيف، أرعب الكفر وأفزعه، ولفت أنظار أهل الأرض جميعا إلى عظمة هذا الرسول الكريم، لكي نطمئن إلى قول ربنا سبحانه:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(الصف:٨)

***

منبع الدين فى الإنسان

في مقالنا السابق، كنا قد ذكرنا أن حاجة الناس إلى الدين فطرية، واستدللنا على ذلك بإجماع الناس على الاحتياج إلى الدين، حتى في العصر الذي بلغت فيه النظريات الإلحادية أوج عظمتها، وهو القرن التاسع عشر. كما استدللنا أيضا بالمكتشفات الأثرية، التي تدل على اعتقاد الإنسان في الحياة بعد الموت، وفي الجزاء والحساب في الدار الآخرة. واليوم نثبت أن الدين حقيقة أزلية مركوزة في الإنسان، حتى قبل أن يوجد على سطح الأرض..!! وليس ذلك عجيبا، ولا ذهابا مع الخيال الجامح، وإنما هو ثابت في نصوص واضحة لا تقبل الجدل أو المناقشة، وإن تنكب الناس طريق التعبير عنها.

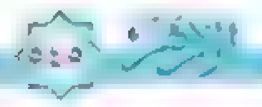
ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الله» عدة نظريات، منها نظرية «الأساطير» التي جعلها البعض أصل الدين عند الهمج.

ونظرية «ضعف الإنسان» التي اعتبرها البعض دافعا يعللون به العقيدة الدينية في الإنسان.

ونظرية «الطواطم» التي يقرنون بينها وبين عقيدة الأديان حيث يعتبرونها طلائع لها.

وأخيرا نظرية «الحاسة الاجتماعية». وقد نسب العقاد هذه النظرية إلى الفيلسوف الفرنسي «هنري برجسون»، وقالوا عنها: إنها «حيلة نوعية» يلجأ إليها خيال النوع الإنساني لكبح الأثرة الفردية، وإقناع الإنسان بنسيان مصالحه في سبيل المصالح الكبرى التي تتعلق بها حياة النوع في جميع الأجيال.

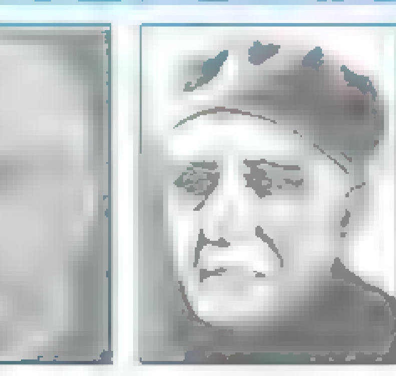
ولقد ناقش الأستاذ العقاد كل هذه الآراء والنظريات بما بين أوجه القصور فيها، إلى أن قال: «وإلى هنا نحسب أننا قد ألممنا بأهم الفروض التي خطرت على الأذهان في تعليل العقيدة الدينية، أو تعليل نشأتها الأولى.. وجملة ما يقال أننا لا نجد



قوما منها يستوعب أسباب العقيدة كلها، ويغنينا عن التطلع إلى غيره.. وجملة ما نفهمه من ذلك أن مسألة العقيدة أكبر من أن يحصرها تعليل واحد، وإنما قد تتسع لجميع تلك التعليلات معاً، ولا تزال مفتحة الأبواب لما يتجدد من البحوث والدراسات.

أما الأستاذ الدكتور «محمد عبدالله دراز» عضو جماعة كبار العلماء، فقد ذكر في كتابه «الدين» أن بعض كتاب القرن الثامن عشر، الذين مهدوا للثورة الفرنسية، زعموا أن الديانات والقوانين ما هي إلا منظمات مستحدثة، وأعراض طارئة على البشرية، حتى قال (فولتير): «إن الإنسانية لابد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة في حياة مادية خالصة، لم تعرف فيها حرثاً، ولا نحتاً، ولا بناء، ولا حدادة، ولا نجارة، قبل أن تفكر في مسائل الدينيات و«الروحانيات» بل قال «أي فولتير»: إن فكرة التأليه إنما اخترعها دعاة ماكرون، من الكهنة والقساوسة، الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء.

ومن نسب إليهم مثل هذه النظريات «جان جاك روسو» الذي كان لا يرى في فكرة القانون إلا أنها وضعية تحكمية. حيث فسر ذلك بقوله: إن الأفراد الذين سبقوا إلى وضع أيديهم على بعض


العقاد — محمد عبدالله دراز

مساحات من الأرض، حدا بهم جشعهم، وحرصهم على المحافظة على ملكيتهم، إلى أن يأتمروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ليخدعوا بها الجمهور، ويضللوا الفقراء» وفي تعليقه على هذه النظريات يقول الشيخ «دراز»:

«على أنه لم ينقض القرن التاسع عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم؛ حيث كثرت الرحلات إلى خارج أوروبا، واكتشفت العوائد والعقائد والأساطير المختلفة، وتبين من مقارنتها أن فكرة التدين فكرة مُشاعة لم تخلُ عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي ودركات الهمجية، وهكذا ظهر أنها أقدم في المجتمعات من كل حضارة مادية، وأنها لم تقم على خداع الرؤساء وتضليل الدهاة، ولم ترتكز على أسباب طارئة أو ظروف خاصة، بل كانت تعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس».

ثم ذكر الشيخ ما جاء في معجم «لاروس»

(١) [illegible]

من أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية.. وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية. ويقرر هذا المعنى بقوله: إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي، بل لا تضعف ولا تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة، وعند عدد قليل جدا من الأفراد»(٢).

عقيدة الألوهية

إن عقيدة الألوهية في الإنسان ترجع في جذورها البعيدة إلى ما قبل أن يخلق الإنسان نفسه، ويمشي على هذه الأرض، أعني إلى ما كان عليه وهو -بعد- لا يزال في عالم الذر، وحين إذ نبادر بذكر هذه الحقيقة، لا ننحو باللائمة على أصحاب النظريات الخائضة من الغربيين غير المسلمين، فهم لم يقرءوا كتاب الله العليم الخبير، ولم يتدبروه.. أو لعلهم قرءوه ولكنهم لم يصدقوه.. وإنما ننحو باللائمة على المفكرين وأصحاب القلم من المسلمين، الذين يرددون مثل هذه الأقوال والنظريات الفلسفية ويناقشونها بما يبين أوجه القصور فيها، ثم هم يقفون في منتصف الطريق دون أن يدرسوا هذه القضية من وجهة النظر الإسلامية، التي جاء بها كتاب الله -عز وجل- في كثير من آياته البينات: فلقد ذكر الحق -تبارك وتعالى- في محكم التنزيل ما يبين أن عقيدة الألوهية في الإنسان مركوزة فيه حتى قبل أن يوجد على ظهر هذه الأرض، وهو بعد لا يزال في عالم الذر، وذلك حين قال:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾

(الأعراف: ١٧٢، ١٧٣)

ويعلق «صاحب الظلال» على هذا المشهد الرائع، الذي لا نظير له قائلا: إنها قضية الفطرة والعقيدة، يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد -على طريقة القرآن الغالبة- وإنه لمشهد فريد. مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق، المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود.

«إنه مشهد كوني رائع باهر، لا تعرف اللغة له نظيراً في تصوراتها المأثورة! وإنه لمشهد عجيب فريد حين يتملاه الخيال البشري جهد طاقته! وحينما يتصور تلك الخلايا التي لا تحصى، وهي تجمع وتقبض، وهي تخاطب خطاب العقلاء -بما ركب فيها من الخصائص المستكنة التي أودعها إياها الخالق المبدع- وهي تستجيب استجابة العقلاء، فتعترف وتقر وتشهد، ويؤخذ عليها الميثاق في الأصلاب»(٣).

(٢) «الدين» د. دراز ص ٧٧- ٧٩ مقتطفات

(٣) الظلال ص ١٣٩٢ المجلد ٣ ط الشروق

وإني لأعجب، كيف يسمع المحللون وأصحاب الفكر المسلمون هذه الآيات، وهي تقرر هذه الحقيقة العقدية الكبرى، ولا يلتفتون إليها، ولا يذيعونها باعتبارها حقيقة الحقائق لأنها صادرة من العليم القدير..!! ثم هم يسعون ليضيعوا وقتهم وجهدهم وهم يحللون ويناقشون هذه النظريات تحليلية حرفية، سواء ألغوها أو صدقوها أو صدقوا بعضها دون البعض الآخر.. مرة أخرى، نؤكد على أننا لا نرفض مبدأ دراسة مثل هذه النظريات بما يبين وجه الصواب أو الخطأ فيها، وإنما الذي نؤكد على ضرورته، أن يثبت هؤلاء العلماء والدارسون المسلمون ما ورد في كتاب الله- عز وجل- بشأن هذه القضية.

قصة ابني آدم

ومما يحمل الدلالة القوية على أن عقيدة الألوهية صحبت الإنسانية، على أرض الواقع وفي العالم المشهود منذ باكورة وجوده، ما جاء في قصة ابني آدم التي ذكرت في سورة المائدة، حيث لم تكن عقيدة الألوهية غائبة عنهما، حيث كانت تدور أحداث هذه الواقعة، وإنما كان الله حاضراً أمام ناظريهما: حينما قدّما لله قربانيهما؛ اعتقاداً منهما بأن في ذلك مرضاته تعالى، وحينما أطاعه أحدهما وعصاه الآخر بعد أن سولت له نفسه ذلك. بل كانت قضية الحساب والعقاب والجنة والنار، حاضرة بكل تفاصيلها، ضاربة بجذورها البعيدة في أعماقهما.. قال تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾

(المائدة: ٢٧- ٣٠)

ومن هنا، كانت تسمية من يجحد هذه الحقيقة على الجملة، وهي عقيدة الألوهية كافرا، لأن الكفر في معناه اللغوي الأول، هو الستر والتغطية، ولما كثر استعماله بعد ظهور الإسلام في وصف من ينكرون الألوهية ويقولون:

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾

(المؤمنون: ٣٧)

وأتباعهم من الملحدين، غلب هذا الاستعمال حتى صار كأنه الأصل، وما عداه فرع عنه، إلا أنه- على كل حال- يدل على أن من ينكر العقيدة الألوهية، إنما يستر شيئا له وجود في طبيعة الإنسان منذ الأزل.

وليست عقيدة الألوهية قاصرة على الإنسان وحده، وإنما هي إحدى عناصر التركيبة التي فطر الله عليها السماوات والأرض.. فلقد لفت الله -عز وجل- نظر الإنسان ونبّهه بسبب كفره وجحوده، وهو يقارن بينه وبين السماوات والأرض في موقف كل من الطرفين إزاء الاعتراف بالعبودية لله رب العالمين.. قال تعالى:

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

(فصلت: ٩- ١١)

بل إن الكون كله بجميع مفرداته، لتتجاوب فيه أصداء هذه الألوهية الأزلية الأبدية، في مثل قول الحق- تبارك وتعالى:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

(آل عمران: ٨٣)

وفي تعليقه على هذه الصورة الرائعة، التي جمعت الكون كله من أطرافه في وحدة واحدة، وتلاحم رائع في الاعتراف بالربوبية المطلقة لله رب العالمين، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وطبائعهم.. يقول صاحب الظلال: "إنها صورة شاملة وعميقة للإسلام والاستسلام صورة كونية تأخذ بالمشاعر، وترجف لها الضمائر. صورة الناموس القاهر الحاكم، الذي يرد الأشياء والأحياء إلى سنن واحد وشرعة واحدة، ومصير واحد، فلا مناص لهم في نهاية المطاف من الرجوع إلى الحاكم المسيطر المدبر الجليل..."

الرسالات السماوية

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، إذا كان أمر الدين في نفوس البشر بهذه المثابة، وإذا كانت عقيدة التأليه طبيعة أصيلة في الإنسان إلى الحد الذي تأكد أمامنا الآن.. فما دور الرسالات السماوية؟ ولماذا المعاناة الشديدة التي عاناها الرسل على امتداد تاريخ الرسالات السماوية الطويلة.. حتى وصل الأمر إلى قتل بعض هؤلاء الرسل على يد أعدائهم؟

إن عقيدة التأليه هذه، إنما هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهذه الفطرة بين حالتين: إما أن تظل على نقائها وطهارتها، وشعورها الدائم بأن وراء هذا الكون قوة الخالق المدبر.. وإما أن ترين عليها نوازع الشر، ونزعات الشهوات، وحب الزعامة والأثرة.. فإذا كانت من الأولى كانت في حاجة إلى مزيد من وضوح الرؤية العملية وسماع الحق الذي يتلاقى مع دخائلها الصالحة، وإذا كانت من الثانية، قامت عليها الحجة، واستحقت العذاب الأليم قال تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

(الإسراء: ١٥)

وعلى كلتا الحالتين فإن الرسالات، إنما تقوم بتوضيح العقيدة الإلهية وبيان ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله تعالى ويجب له من الكمال المطلق.. ثم بيان أحكام الشريعة تفصيلا وحسبما تطيقه كل أمة..

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾

(النساء: ١٦٥)

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

تأملات فقهية في حديث نبوي

[illegible]

الفقه هو الفهم، ويقال: فقيه يعني عالم، واختص في الاستعمال الشائع بعالم الشريعة.

ويقال: تفقه، يعني: تدارس الفقه والعلم وبذل الجهد في تحصيله، وكذلك فاقهه يعني: باحثه وتباحث معه في العلم.

بهذا المنطلق الرحب احب ان نتدارس حديثاً نبوياً شريفاً ورد في صحيح مسلم، عن السيدة عائشة ام المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس ابراهيم، فان قريشا حين بنت البيت استقصرت، ولجعلت لها خلفا».

والحق أن الذي دفعني إلى هذا الحوار الفقهي والمفاقهة - يعني التباحث ومحاولة الفهم - أسباب عدة:

- أولها: ضيق الصدر الغالب لدى كل من المختلفين والمتنافسين - حتى في [illegible] - كل غالب الصدر متبرم [illegible] ضيق بالأزمة [illegible] عن حلها، حتى وإن بدا أن المسئول [illegible] في الواقع شديد المراوغة ضيق الصدر، لا يرى لمناقشته ومحاورته حقاً في أن يشكو أو يعاتبه، فضلاً عن أن يطلب حقاً مشروعاً له [illegible].

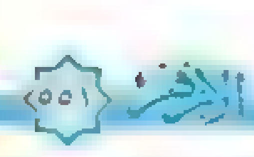
- ثانيها: أن الذين يريدون أن يعبروا عن آرائهم، أو أن يعلنوها، أو حتى الذين يحتجون في أمور لم تصل إلى حد الأزمة وقد تكون في بلاد بعيدة عنهم - حتى هؤلاء تراهم يتصايحون، أو في أيديهم يشرحون منفعلين متشنجين، وكأنهم تعاهدوا على الصياح وتواطئوا على الاختلاف واتفقوا على ألا يتفقوا!!

- ثالثها: وهذا هو الأهم، أن الخلاف الفقهي تحكمه قواعد علمية واضحة ومحددة، ووضع هذه القواعد [illegible] تتحكم في كثير من النقاش بين الأطراف. ولا فرق [illegible] من أجل هذا وغيره أردت أن أدير حواراً فقهياً حول حديث نبوي، أي محاولة لفهم علمي محدود بعيد عن الأهواء والأعراض خال من الصياح والتشنج، كما أنه لا تشوبه فكرة مسبقة [illegible] تقف حاجزاً بين صاحب الهوى وما يراد فهمه واستيعابه. حيث إن أناساً من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا دائماً ما يثيرون زوابع، ويصطنعون مشكلات نتيجة لفهم قاصر وتعصب ممقوت. وقد ابتلينا في هذه الأيام بما يمكن أن نسميه الخوارج الجدد، كان كل همهم تفريق الأمة وتكفير الناس واتهامهم بالشرك مادام الناس لا يوافقون منهجهم في التفكير والتكفير [illegible] فهم لا يحاولون أن يفهموا روح النص ولا يرغبون أن يعيشوا سعة الإسلام وعالميته وسمو الفقه. حتى ضيقوا [illegible] وحصروه في شكل ضيق وقدموا الدين للناس على أنه زجر وحدود وتقطيع أياد فقط بيد أنهم فيما أعتقد لم يحسنوا التفكير كما ينبغي. ولذلك أتقدم لهم بكل التواضع والصدق طالباً بيان العلة في قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت، ولجعلت لها خلفاً».

والفهم من هذا أن رسول الله ﷺ رغب أن يصوب مبنى الكعبة المشرفة ويعيد بناءها على القواعد التي أقامها عليها سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - حيث إن الكعبة هدمت قبل بعثته ﷺ وأعاد العرب بناءها - والقصة معروفة مشهورة في السيرة النبوية - لما اختلفت القبائل العربية فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، وكاد القتال أن ينشب بينهم وهداهم الله - سبحانه وتعالى - وارتضوا أن يحكموا أول داخل عليهم، فكان أول داخل هو رسول الله ﷺ فاستبشروا بقدومه وصاحوا جميعاً فرحين: هذا هو الصادق الأمين، وكانت حكمته التي أنقذت القبائل من القتال، فأتى بردائه ووضع الحجر الأسود وسط الرداء وأمر رئيس كل قبيلة بطرف الرداء حتى حاذوا به مكانه وتناوله بيده الشريفة ووضعه مكانه، ورضي الجميع بحكمه، وأنقذت حكمته القبائل من شر مستطير.

وعلى أي حال فبناء الكعبة لم يتم على قواعد إبراهيم، وكان ﷺ يرغب في إقامتها على قواعدها الأصلية، ونستخلص من هذا عدة أمور يراها الفقه الرشيد ولا يرفضها العقل السليم:

- أولاً: أن بناء الكعبة لم يكن على قواعده الأصلية



- **ثانياً:** أن رسول الله ﷺ كان يعرف ذلك.

- **ثالثاً:** أنه كان يرغب في إعادة القواعد إلى وضعها الأصلي.

- **رابعاً:** أنه ﷺ لم يفعل ذلك.

- **خامساً:** أن بقاء القواعد بوضعها الحالي على غير ما كانت عليه يوم أن بناها سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - لا يؤثر في العقيدة، كما أنه لا يفسد الصلاة. وقد قال الفقهاء: إن الواجب على من هو بعيد عن البيت الحرام التوجه إلى جهة الكعبة وليس عينها لما رواه الترمذي: «ما بين المشرق [والمغرب] قبلة».

وبناء على ما سبق، فعلى المصلي داخل المسجد الحرام التوجه إلى عين الكعبة، أما المصلي خارج المسجد فإنه يكفيه أن يتحرى جهة الكعبة فقط، وهذا هو الرأي الراجح، ولذلك قالوا: لو كان الفرض إصابة عين الكعبة لما صحت صلاة الصف الطويل المستقيم على خط مستو[1]، وذلك فقه جيد مؤسس على واقع مشاهد - في اعتقادي - ومن إقراره ﷺ.

- **سادساً:** أن الباعث الذي حمل على بقاء البناء كما هو وعدم الهدم والتغيير أو الإصلاح والتعديل، هو حداثة عهد المسلمين في ذلك الوقت بالجاهلية والشرك، بمعنى أن كل الصحابة كانوا قريبي عهد بالكفر، ورغم أن أصحابه ﷺ لم يكونوا ليعترضوا على أمر رآه ﷺ، إلا أنه آثر بقاء الوضع على ما هو عليه - في رأيي - لسببين:

- **الأول:** أن الصلاة صحيحة دون شك.

- **الثاني:** أنه ﷺ لم يرغب أن يثير بلبلة في جموع الصحابة ... لا في جميعهم - خصوصا وأن الأمر لا يترتب عليه فساد الصلاة، كما أن الوضع لا يخلو من مشككين مروجين متربصين مضللين.

- **سابعاً:** أن العلة في ترك الوضع على ما هو عليه هي حداثة العهد بالكفر وقربهم من الجاهلية، بمعنى أنه لو تقادم العهد على الكفر وعم الإسلام و رسخ الإيمان في قلوب الناس، لفعل الرسول ﷺ ما رآه وأعلمه الله به وحكاه لأم المؤمنين.

- **ثامناً:** أنه عند رسوخ الإسلام في القلوب وتقادم العهد بالجاهلية والكفر ينتفي الخوف والانزعاج من الإشراك؛ حيث إن القلوب ملئت إيمانا ورسخت العقيدة، وثبتت الأفئدة باليقين، ولأمكن تعديل الوضع القائم، فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، فوجود الخوف يمنع التغيير، وبانتفائه يمكن أن يحدث التعديل، وبعبارة أخرى امتنع التعديل لوجود الخوف من الشرك وحداثة العهد بالكفر، وعند انتفاء الخوف من الشرك وتقادم العهد بالإسلام يمكن التعديل والتغيير. و[هذا] ما أريد توضيحه ... ولعلي أكون قد بلغت ما أريد - أننا لسنا حديثي عهد بجاهلية وكفر، ما دام الأمر كذلك - وهو كذلك بإذن الله - فلا داعي لرمي المسلمين بالشرك والكفر، تبعا للهوى ... [بغير] وجه حق ...

- **تاسعاً:** أن المراد بقوله ﷺ: «قومك» هم المسلمون، إذ لا يعقل أن يكون المقصود هم المشركون حديثو عهد بالكفر ... إذ هم منغمسون فيه ... فلولا قرب عهد المسلمين بالجاهلية وحداثة عهدهم بالإسلام، لولا ذلك لهدم ... الكعبة ولأقامها على قواعد سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة و السلام -، وكما يقول أهل اللغة إن «لولا» حرف امتناع لوجود، فهي تدخل على جملتين، وتفيد امتناع الثانية لوجود الأولى، كقول سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما قضى قضاء وصوبه له سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال: لولا علي لهلك عمر، يعني لولا وجود علي لهلك عمر، بمعنى أنه امتنع هلاك عمر لوجود علي، فـ«لولا» حرف امتناع لوجود، والمعنى ... أنه لقرب عهد المسلمين بالجاهلية خوفا عليهم امتنع هدم الكعبة، وكما يقول الأصوليون في مصطلحاتهم في فهم دلالة الألفاظ على معانيها مما نرغب ونحب توضيحه في مقالات لاحقة بإذن الله تعالى، حيث تتنوع دلالة الألفاظ باعتبارات مختلفة، فهناك دلالة النحوي، ودلالة الإشارة، ومفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة مما هو خاص بمحل علم أصول الفقه.

ولكل ما سبق وبناء عليه فلا هو مقبول ولا صحيح ولا مستساغ رمي المسلمين بالشرك والكفر الآن، حيث إن الإيمان والإسلام رسخ في قلوب الناس وقد تقادم العهد بالإسلام وسحقاً للحداثة[2] ومن يريد أن يبعثها في بلاد المسلمين.

ويؤيد ما قلناه - أن العلة هي حداثة العهد بالجاهلية - أحاديث أخرى تذكر العلة، أي السبب في منع كثير من الأشياء أبيحت بعد رسوخ الدين وبعد الاطمئنان وتقادم العهد بالإسلام، فلا خوف من ردة أو شرك، من ذلك قوله ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها تذكر بالآخرة». وأعتقد أن النهي عن زيارة القبور كان سببه وعلته قرب عهد الناس بالجاهلية والخوف عليهم كما صرح القرآن الكريم به في قوله - تعالى -:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾

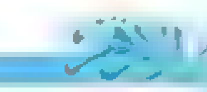
(التكاثر: ١، ٢)

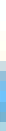
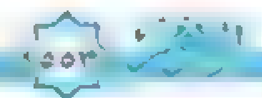
فلما زال الخوف أمر النبي ﷺ وحث المؤمنين على زيارة القبور لأنها تذكر بالآخرة، والله - سبحانه وتعالى - أعلم.

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]



﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنَّة النبوية



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا شاع وانتشر في المجتمع فإنه يهيئ الجو العام الصالح، والمناخ الطيب الذي تنمو فيه الآداب والفضائل، وتترعرع فيه القيم السامية والشمائل الكريمة، وتختفي فيه المنكرات والرذائل، ويتربى في ظله الضمير العفيف والوجدان اليقظ الذي يرقى بالأمة ويأخذ بيدها إلى النهضة والتقدم والرفعة والقوة، ويتحقق لها العدل والأمن والأمان.

أما إذا أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشاع في المجتمع التغاضي عن المنكرات، بل واستحسان الموبقات، وصار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثالاً للسخرية والاستهزاء، فلا تنتظر إلا أن يجني الناس ثمرة هذا الانحراف عن الخط السوي بالسقوط في مزالق الغي والسعي والمعاصي، والوقوع في [illegible] يكتسح [illegible] المجتمعات في كل مكان، وينتشر بسببه الخراب والدمار في جميع الأنحاء والأرجاء، وتلك عدالة تشير إليها الآية الكريمة

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)

أي ظهر الفساد في الأرض برها وبحرها. ومن مظاهر هذا الفساد [illegible] وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وسفك الدماء، وشيوع الأحقاد والأضغان، والاعتداء على المال والأعراض، ونقص البركة في الزروع والثمار وإعراض الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجرأة على ارتكاب المعاصي والمنكرات، وقد قيل: «من عصى الله في الأرض فقد أفسد فيها، لأن صلاح الأرض والسماء يتم بالطاعة».

وعموم هذا الفساد بسبب اقتراف الناس لتلك المعاصي، وإعراضهم عن تنفيذ ما أمرهم به الله، وإتيانهم ما نهى عنه، كما قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠)

لظهور الفساد وانتشاره نتيجة لأعمال بعض العباد السيئة، كي يرجعوا عن غيهم وفسقهم، ويعودوا إلى طاعة ربهم، وعقوبات للناس على ما يرتكبون من معاصي لعلهم يرجعون عنها إلى الطاعة والعمل الصالح.

طوق نجاة الأمة!!

وفي كلمة الفساد في الآية الكريمة إشارة واضحة إلى انقلاب الأوضاع، وتغيير المفاهيم في المجتمع الذي ينتشر فيه الفساد، فالمعروف يصير منكرًا والمنكر يصير معروفًا، والرذائل تصبح فضائل، والفضائل تصبح رذائل، وكل شيء يصير إلى غير محله، بسبب فساد العقول، وانحراف الفطرة السليمة، واختلال الأذواق والأحاسيس، وانصراف الناس إلى عبادة البشر، وسجودهم للشجر والحجر، وخضوعهم لأنظمة حاكمة جائرة، جعلت من الذئب راعيًا، ومن الخصم قاضيًا، ومن المجرم سيدًا، ومن اللص شريفًا، ومن الصالح محرومًا شقيًا!!!

فطوق نجاة الأمة، وإعلاء شأنها، واسترداد هيبتها مرتبط بتمسك أبنائها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل نشر هذه الفضيلة.

فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»(1).

وقال حذيفة بن اليمان -رضي الله

(1) مسلم.

عنهم: الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والإسلام (النطق بالشهادة) سهم، وقد خاب من لا سهم له، والسهم الثامن هو حج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

المائدة: ١٠٥.

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»[٢].

وأعظم المجاهدين الذين نطقوا بكلمة الحق عند السلاطين والملوك والحكام والأمراء والولاة فنالوا شرف الجهاد الذي بشرهم به رسول الله ﷺ في حديثه الشريف: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٣].

موقف العظماء!!

لقد سجل التاريخ مواقف كثيرة لهؤلاء العظماء الذين لم ترهبهم سطوة الحكام، ولم تخفهم قوة الملوك والأمراء، فنطقوا بكل شمم وإباء كلمة الحق، رافضين الجور، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وبذلك استحقوا رضا الله ورسوله، وتقدير المسلمين واحترامهم، وتخليد ذكرهم على مر الأزمنة والعصور.

من هؤلاء العظماء الحسن البصري، رحمه الله، فقد عرف بأنه كان عفا يقول الحق ولا يخش فيه لومة لائم، لا يجامل وزيرا، ولا ينافق أميرا، فكان قدوة حسنة ومثلا يحتذى من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

روى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائهم فجعل يسألهم، وجعل يكلم عامر الشعبي، فجعل لا يسأله عن شيء إلا ووجد عنده منه علما.. ثم أقبل الحسن البصري فسأله، ثم قال: هما هذان، هذا رجل أهل الكوفة ـ يعني الشعبي ـ وهذا رجل أهل البصرة ـ يعني الحسن ـ فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن.

فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو: إني أمين أمير المؤمنين على العراق، وعامله عليها، ورجل مأمور على الطاعة، ابتليت بالرعية ولزمني حقهم، فأنا أحب حفظهم وأتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه، فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال، ومن نيتي أن أرده عليهم،

فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو، فيكتب إليّ ألا ترده، فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة، فهل عليّ في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت؟

قال الشعبي: فقلت: أصلح الله الأمير، إنما السلطان والد يخطئ ويصيب. قال: فسر بقولي وأعجب به، ورأيت البشر في وجهه، وقال: فلله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول: إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها، ورجل مأمور على الطاعة، ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحق الرعية لازم لك، وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة، وإني سمعت عبدالرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة». ويقول: إني ربما قبضت من عطائهم إرادة إصلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إليّ ألا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه.

وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه. يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة: إن الله ليمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله وإن أمر الله فوق كل أمر، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

فقال ابن هبيرة: أربع على ظلعك أيها الشيخ، وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين، فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل، وإنما ولاه الله ـ تعالى ـ ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به، وما يعلمه من فضله ونيته.

فقال الحسن: يا ابن هبيرة: الحساب من ورائك سوط بسوط، وغضب بغضب والله بالمرصاد، يا ابن هبيرة: إنك إن تلق من ينصح لك في دينك، ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلق رجلا يغرك ويمنيك.

فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه.

قال الشعبي: فقلت: يا أبا سعيد، أغضبت الأمير وأوغرت صدره، وحرمتنا معروفه وصلته. فقال الحسن: إليك عني يا عامر.

قال: فخرجتُ إلى الحسن التحف والطرف، وكانت له المنزلة، واستخف بنا وجعينا، فكان أهلا لما أدى إليه، وكان أهلا أن يفعل ذلك بنا. فما رأيتُ مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا الفرس العربي بين المقارف، وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا. وقال لله ـ عز وجل ـ وقلت مقربة لهم. قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله ألا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه.

وروى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما: قف على الباب، فإذا مر بك رجل فأدخله عليّ ليحدثني. فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح ـ وهو لا يعرفه ـ فقال له الحاجب: يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز، فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك يا وليد! فغضب الوليد على حاجبه وقال له: ويلك أمرتك أن تدخل إلى رجلا يحدثني ويسامرني فأدخلت إلى رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذى اختاره الله لي. فقال له حاجبه: ما مر بي أحد غيره. ثم قال لعطاء: اجلس، ثم أقبل عليه يحدثه، فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هبهب، أعده الله للولاة الجائرين في حكمه، فصعق الوليد من قوله، وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه، فقال عمر بن عبد العزيز لعطاء: قتلت أمير المؤمنين. فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة، وقال له: يا عمر إن الأمر جد فجد، ثم قام عطاء وانصرف. فروى أن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزة عطاء في ذراعي.

وكان ابن أبي سميلة يوصف بالعقل والأدب، فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: تكلم، قال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله؟ فبكى عبد الملك ثم قال: يرحمك الله، لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين: إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت.

عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه، قال: وقال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به، فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له»[4].

---

(4) الطبراني والبيهقي

في المؤتمر العشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وفود ٨٨ دولة تناقش .. والأبحاث تتناول مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام

- الرئيس مبارك في كلمته: العالم الإسلامي بات في أشد الحاجة إلى الأمن المجتمعي لضمان سلامته واستقراره.
- فضيلة الإمام الأكبر: القرآن الكريم يبين لنا أن نعمة الأمن على رأس النعم التي أعطاها الله للمؤمنين الصادقين
- الدكتور محمود حمدي زقزوق: أمن المجتمع من أمن أفراده وتحقيق الأمن المجتمعي على المستويين المادي والروحي هو الهدف الأسمى لتعاليم الإسلام

وسط حشد كبير من علماء المسلمين عقد المؤتمر العام العشرون للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في النصف الأول من شهر ربيع الثاني بعنوان «مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام» وتحت رعاية السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية.

استمر المؤتمر أربعة أيام تمت فيها مناقشة أربعة محاور، ترتبط بالمقوم الإيماني والعدل الاجتماعي والحقوق الاجتماعية ودور المؤسسات في تحقيق الأمن المجتمعي وذلك من خلال مائة بحث تدور حول قضية الأمن المجتمعي شارك في المؤتمر ٨٨ دولة ومنظمة و٢٠٤ من الشخصيات الإسلامية والعالمية، فضلا عن استضافة ١٢ سفيرا من الدول العربية، بالإضافة إلى نخبة من مفكرى الغرب الذين شاركوا في الحلقات النقاشية

التي عقدت على هامش المؤتمر، وهي ثلاث:

- الأولى: بعنوان حوار الأديان، أدارها فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية.
- الثانية: بعنوان كيفية بناء جسور الثقة، أدارها الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.
- الثالثة: حول آليات التعاون بين الإسلام والغرب، أدارها فضيلة الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر. كما تم تكريم ثمانية من العلماء ومنحهم الرئيس حسني مبارك الأوسمة تقديراً لدورهم الكبير في العمل الإسلامي.

قضية تشغل العالم كله

ألقى الدكتور أحمد نظيف كلمة السيد الرئيس حسني مبارك نيابة عنه والتي قال فيها: ضيوف مصر الأعزاء.. مرحبا بكم في مصر ـ بلد الأزهر الشريف ـ منارة العلوم والحضارة الإسلامية ومصدر إشعاعها على العالم أجمع.

كما دعا الرئيس مبارك ـ في كلمته ـ المولى عز وجل أن يحفظ الله أرض الكنانة وسائر بلاد العالم الإسلامي.

وقال: يسرني أن أرحب بكم ضيوفاً أعزاء على أرض مصر التي شرفها الله في القرآن الكريم، بأن جعلها بلداً آمناً، فقال في محكم كتابه:

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

(يوسف ٩٩)

وقال الرئيس مبارك في كلمته: لقد كانت قضية الأمن والإرهاب، قضية تشغل العالم كله، وخاصة في عالمنا المعاصر، الذي تهدده المخاطر، وينتشر فيه الإرهاب في كل مكان.

الرئيس مبارك

ومن المعلوم أن مفهوم الأمن المجتمعي مفهوم متعدد الجوانب.

ولاشك في أن مجتمعاتنا الإسلامية التي تحاول اللحاق بركب العصر، وتتطلع إلى مستقبل مشرق لشعوبها، تجد نفسها في أشد الحاجة إلى تحقيق برامج تنموية شاملة على جميع المستويات، تحقق لشعوب هذه الأمة التقدم والازدهار.

وتحقيق هذا الهدف يتوقف على شرط أساسي لا غنى عنه، وهذا الشرط ينحصر في توفير المقومات الكافية التي تحقق الأمن للمجتمع، حتى تتهيأ الفرصة للأفراد والجماعات، للانطلاق نحو مستقبل واعد، وتحقيق الآمال الكبار للأمة في كل مكان.

وإذا كانت التنمية الشاملة في المجتمع الإسلامي تتوقف على توفير الأمن بمفهومه الشامل لهذه المجتمعات، فإن سلامة العلاقات بين شعوب العالم الإسلامي، وبقية شعوب العالم ترتبط أيضاً ارتباطاً وثيقاً بتحقيق الأمن المجتمعي في عالمنا الإسلامي.

أخطر العقبات

وعن أخطر العقبات التي تواجه مجتمعنا الإسلامي أشار السيد الرئيس إلى أن هناك العديد من المعوقات الداخلية والخارجية، التي تقف عقبة في طريق الأمة الإسلامية، نحو تطوير مجتمعاتها، وتنمية شعوبها، وتصحيح علاقاتها بغيرها من الأمم. وأخطر العقبات الداخلية في عصرنا الحاضر يتمثل في الفهم الضيق، والتفسير الخاطئ، لتعاليم الإسلام من جانب بعض التيارات المتطرفة، هذا الفهم الذي يحاول أن يشد عالمنا الإسلامي إلى الوراء، ولا يريد له أن يواكب العصر الذي نعيش فيه.

وقد كان لهذا الفهم الضيق والتفسير الخاطئ، لتعاليم الإسلام وتداعياته داخلياً وخارجياً، أثر سلبي، انعكس على صورة الإسلام في الخارج، فكان هذا الخلط الظالم في الإعلام الدولي بين تعاليم الإسلام، وبعض التصرفات المحسوبة عليه، التي تصدر من قلة قليلة من المسلمين لا يمثلون مجتمعاتهم بأي حال من الأحوال.

التصدي لظاهرة التطرف

وفي كلمته قال الرئيس مبارك: إن العالم الإسلامي بات في أشد الحاجة إلى الأمن المجتمعي، لضمان سلامته واستقراره، حتى تكون لديه فرصة للتنمية الشاملة والمتكاملة، وحتى يمكن توفير الأمن للمجتمعات الإسلامية في عالمنا المعاصر، فإن علينا أن نتعاون من أجل تحقيق الأهداف التالية:

- التصدي لظاهرة التطرف والتعصب.
- العمل على نشر قيم التسامح والتراحم والتكافل في المجتمع، عن طريق التوعية الصحيحة، والفهم السليم لحقائق الإسلام.
- الارتقاء بالعلم والتعليم، واللحاق بركب العصر ومواكبة متغيراته المتسارعة وترسيخ القيم الدافعة إلى تقدم المجتمع.
- تمكين العقل من أداء دوره الفاعل في التغيير والتطوير للمجتمعات الإسلامية.
- كما طالب الرئيس حسني مبارك في كلمته المهمة في افتتاح المؤتمر بضرورة تعزيز العمل المشترك بين بلاد العالم الإسلامي وتحقيق التكامل. فالأمة الإسلامية لديها جميع المقومات التي تساعدها على تحقيق هذه الأهداف، إذا أحسنت توظيفها، وقامت باستثمار كل إمكانياتها المادية والروحية.

إن هذا المؤتمر فرصة مواتية لتبادل الأفكار، ومناقشة مختلف الرؤى، من أجل التوصل إلى رؤية قابلة للتطبيق، تحفظ هويتنا، وتساعد في توضيح معالم الطريق، نحو الحلول الملائمة لمشكلات مجتمعاتنا الإسلامية.

الأمن في القرآن

وجاءت كلمة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر مرحباً بوفود المؤتمر داعياً المولى الكريم أن يجعل جميع المناسبات خالصة لوجهه الكريم.

وقال فضيلة الإمام: إن ألفاظ اللغة لا

تكفي للتعبير عما يشعر به الإنسان عندما يجد نفسه واحداً من هذا المجلس الكريم، الذي لم ينعقد فيه من أجل متعة فانية، ولا من أجل ثروة عابرة ـ التقينا فيه جميعاً على التضامن على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان ـ التقينا فيه لكي نجدد الأخوة، ولكي نكون جميعاً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، لاسيما في تلك الأزمنة التي عمت فيها الفتن.

وأصبح الحليم حيراناً، مما يراه في العالم الآن من فتن كقطع الليل المظلم. وفي حقيقة هناك ألفاظ عندما يسمعها الإنسان، يحس بالراحة النفسية، ومن هذه الألفاظ: لفظ الأمن الذي تكرر في القرآن الكريم عشرات المرات.

الأمن والأمان والاطمئنان وما إلى ذلك من الألفاظ، التي تدل على الاطمئنان القلبي والاستقرار النفسي.

هذه الكلمات تكررت كثيراً في القرآن الكريم، ويكفيها شرفاً وفخراً أن أول بيت وضع للناس، جعل الله ـ عز وجل ـ من أوصافه أن من دخله كان آمناً.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

عندما سيدنا إبراهيم عندما تضرع إلى الله سبحانه وتعالى ـ بالدعاء ـ اختار نعمة الأمن، ونص عليها القرآن:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

(البقرة: ١٢٦)

إذاً لماذا اختار سيدنا إبراهيم نعمة الأمن؟ اختارها لأنها إذا ما ظللت أمة من الأمم، يأتيها الخير، ويأتيها الرخاء، وتأتيها القوة.

ويقول الإمام الأكبر في كلمته وأذكر خلال قراءتي لتفسير الإمام الفخر الرازي عند تفسير قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾

(البقرة: ١٢٦)

قال رحمه الله: أستطيع أن أقول نعمة الأمن في الأمة وفي الفرد، أهم من نعمة الصحة، ثم ضرب مثالاً جميلاً، بحيث لو كانت عندك شاة وكانت مريضة، وربطتها إلى جانبك، وقدمت إليها الطعام مع مرضها، لأكلت منه على قدر حاجتها، ثم نامت في أمن واطمئنان، ولو جئت بشاة في غاية القوة والصحة، وإلى جوارها ربطت حيواناً مفترساً ما استطاعت أن تأكل، وإن أكلت ستأكل باضطراب وخوف وفزع.

وبعد أن يسوق هذا المثل يقول: فأنا أومن بأن نعمة الأمن بالنسبة للإنسان، أهم من نعمة الصحة، لأن الإنسان إذا كان آمناً على بدنه وعلى نفسه وعلى رزقه، استطاع أن ينتج، وأن يتحرك، وأن يعمل، أما إذا كان خائفاً، فإنه في هذه الحالة تضطرب حياته، ولا يستطيع أن يعمر أو ينتج، وإن أنتج شيئاً قليلاً، لأن الخوف والاضطراب معه لن يحسن العمل.

ونلمح ونقرأ من القرآن الكريم أن الله بين لنا نعمة الأمان على رأس النعم التي أنعم بها الله سبحانه على عباده.

وفي غزوة بدر يسوق لنا القرآن الكريم بشارات متعددة، هذه البشارات تدل على أن النصر في النهاية سيكون للمؤمنين، ومن بين هذه البشارات نعمة الأمن:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾

(الأنفال: ١١)

قبل أن تبدأ المعركة ساق الله النعاس للمؤمنين، لكي يرتاحوا، ولكي يكون أماناً لهم، والخائف لا ينام.

نعمة النعم.. وليدة العدل

لذلك جعل الله هذه النعمة من بين النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين الصادقين:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾

(النور: ٥٥)

ونعمة الأمن هي نعمة النعم، ونعمة الأمن وليدة العدل، والأمة التي ينتشر فيها العدل وينتشر فيها الخير، ويكثر فيها عدد العقلاء الذين يصلحون ولا يفسدون، الذين يعملون ولا يخربون، الذين يبنون ولا يهدمون، الذين يتعاونون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

هذه الأمة التي يكثر فيها عدد الذين يتمسكون بفضيلة العدل، لابد أن تنمو فيها نعمة الأمن والخير، لأن نعمة الأمن وليدة العدل.

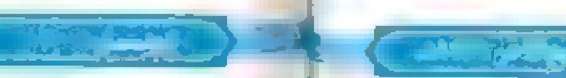
عندما تنتشر في الأمة العدالة والأخوة الصادقة، ويكثر عدد العقلاء، الذين يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم، والذين يحرصون على سعادة أمتهم وعلى نشر كل ما هو خير فيها.. عندما يكثر هؤلاء يأتي الأمان، يسكن الاطمئنان، والله ـ عز وجل ـ بين لنا بأن له سنناً كونية، لا تتغير، ولا تتبدل، من هذه السنن قوله عز وجل:

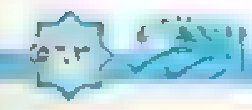
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة: ٧، ٨)

الحقوق الأساسية للإنسان

وجاءت كلمة الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، لتبرز أهمية هذا المؤتمر والمحاور التي ناقشها على مدار انعقاده لأربعة أيام، أدلى فيها العلماء بآرائهم من خلال المناقشات والمداخلات.





وقد بين وزير الأوقاف مفهوم الأمن بقوله: مفهوم الأمن من المفاهيم المحورية في حياة الإنسان، فهو كما كان ذلك هو حاله في الماضي، ولا يزال كذلك في الحاضر، وسيظل في المستقبل، يتطلب الأمن وكيزة أساسية لكل تحركات الإنسان في مختلف المجالات.

وبدون الأمن تختل الموازين، وتضطرب حركة الحياة، وتتوقف عن الانطلاق نحو تحقيق الأمان للأفراد والجماعات، ومن هنا تحرص الأمم في كل زمان ومكان على توفير الأمن لشعوبها، حتى تستطيع الانطلاق إلى آفاق التقدم والرقي.

وقال د. حمدي زقزوق: وعندما نتحدث في هذا المؤتمر عن الأمن، فإننا نقصد الأمن بمفهومه الشامل لكل جوانب الحياة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية، وعلى مستوى الأفراد والجماعات.

ويرتبط مفهوم الأمن في الشريعة الإسلامية بالحقوق الأساسية للإنسان، والتي دون الحفاظ عليها لا يمكن الحديث عن الأمن في أي صورة من الصور، وتتمثل هذه الحقوق الأساسية للإنسان في المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وعلى رأس هذه المقاصد، حماية حق كل فرد في المجتمع في الأمن على حياته، وحتى يستطيع أن يؤدي مسئولياته التي كلفه الله بها في هذه الحياة، لابد أن يكون آمنا على حياته في المقام الأول، وآمنا على عدم المساس بها بأي شكل من الأشكال.

ويرتبط بضمان حق الحياة للإنسان مقاصد أخرى مناسبة تعد بمثابة شروط أساسية لا



د. محمد سيد طنطاوي — د. محمود حمدي زقزوق

غنى عنها لتوفير الأمن للأفراد والجماعات، وتتمثل هذه الشروط في الحفاظ على العقل وتمكينه من أداء دوره الفاعل في حياة الإنسان، وكذلك الحفاظ على عقيدة الفرد، وعدم المساس بها أو العدوان عليها، فهي من أخص خصوصياته التي من شأنها أن توفر له الأمن النفسي والاطمئنان الداخلي.

وأشار وزير الأوقاف إلى أن الإسلام يؤكد أيضا حماية الملكية الخاصة للأفراد والجماعات، وحماية الأسرة التي تعد الخلية الأساسية لتكوين المجتمعات على نحو سليم، وعند ذلك يتضح أن الأمن يتسع مفهومه ليشمل الأمن النفسي والروحي، والذي يطلق عليه القرآن الكريم السكينة، بمعنى الاطمئنان النفسي الذي يقضي على كل شكل من أشكال القلق من النفوس، وذلك فضلا عن الأمن المادي أو الخارجي.

وقد أكد القرآن الكريم الأمن في هذين الجانبين في قوله تعالى متحدثا عن أهل مكة

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾

(قريش: ٣، ٤)

ومقصد الإسلام من ذلك كله هو سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة على السواء، وإذا غدا الإنسان وزال عنه القلق، أصبح إنسانا سويا، قادرا على الإسهام بشكل فاعل في توفير الأمن للمجتمع.

فأمن المجتمع من أمن أفراده، وتحقيق الأمن المجتمعي على المستويين المادي والروحي هو الهدف الأسمى لتعاليم الإسلام.

واختتم د. زقزوق كلمته بقوله: إن إلقاء نظرة على محاور المؤتمر وعناصر كل محور تبين شمولية العناصر للجوانب التي من شأنها توفير الأمن في المجتمع، واهتمام الإسلام بذلك، هو اهتمام في الوقت نفسه بأمن واستقرار هذا العالم الذي نعيش فيه، فالمجتمع الإسلامي إذا توافرت له كل أسباب الأمن، سيكون من غير شك سندا قويا أكيدا لأمن واستقرار هذا العالم.

فالأمن في المجتمع الإسلامي لا يمكن فصله عن الأمن في المجتمعات الأخرى فدوائر الأمن متداخلة وبخاصة في عصرنا الحاضر، عصر العولمة، فما يحدث اليوم في مكان ما من العالم، ينعكس أثره سلبا أو إيجابا، عاجلا أو آجلا في كل مكان في العالم.

ومن هنا لم يعد التقوقع أو الانعزال عما يجري في عالمنا المعاصر أمرا ممكنا، فكلنا في النهاية في زورق واحد، ومصيرنا جميعا مصير واحد مشترك، والأخطار التي تهدد عالمنا، تمس بشكل أو بآخر بقية أجزاء العالم.

توصيات المؤتمر

هذا وقد أوصى مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والذي ناقش على مدى عشر جلسات موضوع الأمن المجتمعي ومقوماته في الإسلام وشهدته وفود ٨٨ دولة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر والدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، بتفعيل دور القيم المشتركة بين الرسالات السماوية وشعائرها في الرقي العملي في المجتمعات الإسلامية.

وناشد المؤتمر منظمة مؤتمر العالم الإسلامي المشتركة بإنشاء قناة فضائية لشرح حقائق الإسلام، وتصحيح المفاهيم المغلوطة بحقه، والقضاء على الحملة التي تثيرها قوى الإلحاد في الفضائيات.

وأدان المؤتمر وسائل الإعلام التي تسيء إلى رسول الإسلام، بدعوى حرية التعبير، وأيد جهود مصر والدول الإسلامية لاستصدار قرار من هيئة الأمم المتحدة، بضرورة احترام الأديان ومقدساتها، وتجريم الإساءة إليها.

وطالب المؤتمر بتفعيل كل صور التعاون وتبادل المنافع بين البشر بما يحقق الخير والنفع للجميع، وإلى إحياء الأنظمة التي وضعها الإسلام، لتحقيق العدالة بكافة صورها، وإشاعة ثقافة العمل بين الناس.

وناشد المسئولين في الشعوب الإسلامية بتفعيل الحقوق الاجتماعية الإسلامية التي وضعها الإسلام وتكفل له الأمن والاستقرار، كما طالب المؤتمر بوضع سياسة إعلامية للتعريف بالإسلام ونشره وإظهار سماحته بلغات حية في كل دول العالم.

طرائف.. ومواقف

فكرة بسيطة تكفي للتدبر

● قال ابن عباس – رضي الله عنه: الرخصة من الله صدقة، فلا تردوا صدقته.

وقال: لكل داخل هيبة، فابدءوا بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدءوا باليمين.

● وقال ابن مسعود: الدنيا كلها هموم، فما كان منها في سرور فهو ربح.

● وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غرماؤه.

وقال: أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار.

●● يقولون: لسنا نرى هذا، نرى أن السفهاء إذا أكرموا استهتروا في غيهم. وأمعنوا في بغيهم. فما يكفوننا من العار والنار يكفيناه الله إياه بكمال الرجولة، وتمام العصبة.

● وقال المغيرة بن شعبة: العيش في إلقاء الحشمة. وفي كل شيء سرف إلا في المعروف.

● وقال مصعب بن الزبير: التواضع من مصايد الشرف.

فضل الحنكة

● قيل لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه: إن فلانا لا يعرف الشر.

●● قال: ذلك أحرى أن يقع فيه.

● وقال عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، إنما العاقل الذي يعرف خير الشرين.

● وفي مثل هذا قول الشاعر:

رضيت ببعض الذل خوف جميعه
كذلك بعض الشر أهون من بعض

● وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب فقال: كان والله له فضل يمنعه من أن يخدع، وعقل يمنعه من أن ينخدع.

● وقال إياس: لست بخب والخب لا يخدعني.

● وقال أبو أيوب: من أصحابي من أرجو بركته ولا أقبل شهادته.

● ومن هذا قولهم: حلب فلان الدهر أشطره، وشرب أفاويقه، إذا نالهم خيره وشره. فإذا مرت به الشقاء عرفه، وإذا مرت به البلاء لم ينكره.

وفي ذلك قول الشاعر:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني
ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركي
ولكن متى أحمل على الشر أركب

طلب الرزق بالسفر

روى أن عقبة بن ربيعة شاور أخاه شيبة في النجعة فقال: إني قد أجدبت، ومن أجدب انتجع (أي قصد إلى موضع خصب)، أخذ هذا المعنى أبو تمام الطائي فقال:

أراد بأن يحوى الغنى وهو وادع
ولن يفرس الليث الطلا وهو رابض

● وقيل لأعشى بكر الشاعر: إلى كم هذه النجعة والاغتراب، أما ترضى بالخفض والدعة؟

فقال: لو دامت الشمس عليكم لمللتموها.

● أخذه أبو تمام فقال:

وطول مقام المرء في الحي مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد
فإني رأيت الشمس زيدت محبة
إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

وقال المأمون بن الرشيد: لا شيء ألذ من السفر في كفاية، لأنك في كل يوم تحل محلة لم تحلها، وتعاشر قوما لم تعاشرهم.

أخذ هذا المعنى شاعر فقال:

لا يمنعنك خفض العيش في دعة
من أن تبدل أوطانا بأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللت بها
أهلا بأهل وإخوانا بإخوان

الحلم وما قيل فيه

الحلم ضبط النفس عند ثوران الغضب. وقد قالت الحكماء: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يعرف الجواد إلا في العسرة، والشجاع إلا في الحرب، والحليم إلا في الغضب.

وقال الشاعر:

ليست الأحلام في حال الرضا
إنما الأحلام في حال الغضب

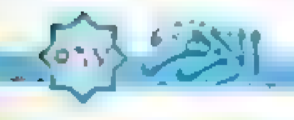
وقال آخر:

من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه
لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

طرفة أزهرية

رسب أحد الطلاب بكلية اللغة العربية في اللغة العبرية، فواساه الأستاذ الكبير المرحوم الشيخ أحمد شفيع السيد بهذين البيتين:

الأزهريون الكرام..
وهم لعربيتهم جنود
قد أوجبوا حرب اليهود..
فأسقطوا لغة اليهود



مقدار المزاح

قال النبي صلى الله عليه وسلم: بعثت بالحنيفية السمحة. وقال: إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً.

وقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم عبارات من المزاح تعتبر مثلاً عليا في هذا الباب.

وقال أبو الفتح البستي:

أفد طبعك المكدود بالهم راحة
يراح وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

الأدب قرابة

قال شاعر حكيم:

ذو الود وذو القربى بمنزلة
وإخوتي أسوة عندي وإخواني
عصابة جاورت آدابهم أدبي
فهم وإن فرقوا في الأرض جيراني

وقال آخر في هذا الباب:

إن نفترق نسباً يؤلف بيننا
أدب أقمناه مقام الوالد
أو نختلف فالوصل منا ماؤه
عذب تحدر من غمام واحد

ما قيل في الصديق

قال شاعر:

ليس الصديق الذي إن زل صاحبه
يوماً رأى الذنب منه غير مغفور
وإن أضاع له حقاً فعاتبه
فيه أتاه بتزويق المعاذير
إن الصديق الذي تلقاه يعذرني
فيما ليس صاحبه فيه بمعذور

وقال شاعر آخر:

كم من أخ لك لم يلده أبوكا
وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صاف الكرام إذا أردت إخاءهم
واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا
والناس ما استغنيت كنت أخاهم
وإذا افتقرت إليهم رفضوكا

دعاء

اللهم اجعل منتهى مطالبنا وجهك ورضاك، وأقصى مقاصدنا عفوك وغفرانك، وأذقنا لذة مناجاتك، فقد وقفنا على بابك، يا قريباً لمن سأل، يا مجيباً لمن دعا، يا سميعاً لمن طلب، يا سريعاً لمن قصد، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

***



خالد بن الوليد

أحمد شوقي

من طبع السيف ومن جلاه ... هل يصنع الأبطال إلا الله
إلى الحديد ينسب المهند ... ليس بصنع يمن أو هند
وكيف لا يصحبه المضاء ... وقينه المقدار والقضاء
خلده من ربه محمد ... يسله بإذنه ويغمد
خلقت لا أعطي السيوفا ... إلا الشريف العالي العيوفا
مقتدى بمجده من ظلمه ... والمهتدي بنوره في الظلمه
وناصر الحق على المعاقل ... والضارب الباطل في المقاتل
والرافع الدولات ركناً ركنا ... بالحق بنيان الخليل الركنا
كان الوليد موئل الأعداء ... سيق إليه سيد الإسراء
طلق جاهلية المعاصي ... ودخل الإسلام وابن العاص
كلا العظيمين فتى قريش ... صدر ندي ولواء جيش
تخير الصحبة غير دار ... ما خلفها من عجب الأقدار
من نعم تترى وعيش مرغد ... وشأن اليوم وذكر في غد
سبحان ربي منشئ النوابغ ... مسبغ المواهب السوابغ
هل خالد إلا فتى من فهر ... لم يشتهر بصولة وقهر

مرتلة في عـ[illegible] عليه ... وشيم تقطر جاهليه

زهو الصناديد بني الجلاد[1] ... [illegible]

تقي غلتها الجاهلية القما ... وأرضعتها جرأة ومقدما

[illegible] ... لم تبد للصنائع والنقاد

فكان من عناية السلام ... به اكتساب أدب الإسلام

إذ كان في دولته مجال ... فيه جلت أسرارها الرجال

لابد للعقل الكبير من وسط ... وللشعاع من مدى و[illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

إذا [illegible] ... [illegible] عليه [illegible]

[illegible] سيف الله يوم [illegible] ... [illegible] في [illegible]

فما مضى في موطن أو همّا ... إلا وكان [illegible]

ليس [illegible] في الإسلام [illegible] ... [illegible] يوم الردة

وقاتل الكذاب[2] في المعارك ... [illegible]

أيامه مشهورة في [illegible] ... مسطورة في صحف [illegible]

[illegible] ... وفتح الحيرة والأنبار

واحتاجت الشام إلى همام ... [illegible] عسكر [illegible]

يقحمها على جموع الروم ... ويمشي [illegible]

[illegible] ... [illegible] من [illegible]

قبائل فؤادها موزع ... دين هو [illegible]

فلم تقع إلا عليه الخيرة ... إن الرجال أفضل الذخيرة

فخف للغياث في ليوث ... [illegible] أهلة غيوث

حتى العراق وتولى الشاما ... تجمعا لأحوال السرى جشاما

(١) الجلاد القتال.

(٢) مسيلمة وكان ادعى النبوة بعد موت رسول الله.



يقضي غفلا ويجوب باترا ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

حتى حوى الجيش القوي فسارا ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الأطراف من [illegible]

[illegible] ... هل ثبتوا لخالد في معترك

[illegible] ... بالخيل [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الروم [illegible]

[illegible] سيف الله [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... وانتظروا [illegible] خالد

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... إن [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الوداعا

(٣) معركة مشهورة بين العراق والشام اجتازها خالد بن الوليد فكان عملا عظيما له شأن في تاريخ الحروب [illegible]

(٤) [illegible]



سبيل وحدة الأمة

[illegible]

بداية يحسن أن أشير إلى أنه ليس من التطلعات المنظورة أن يفهم الناس من التطلعات المنظورة: التوفيق بين المذاهب. وليس من الكياسة كذلك أن نفهم من التطلعات المنظورة: أن يتحول المعتزلي إلى أشعري والإمامي إلى معتزلي، أو يتسنن شيعي أو يتشيع سني.

كل ذلك ليس واردا إنما المراد من التطلعات المنظورة: استثمار ما وصلت إليه المذاهب الإسلامية، للوصول إلى انطلاقة الفكر الإسلامي، وبيان فقهه، وقدرة هذا الفكر على التصدي والمواجهة، لكل التيارات المناوئة للإسلام.

إذن التطلعات: أن يتحد أهل الإسلام على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلما إلا بها وأن ينظر الجميع فيما وراء ذلك نظرة من لا يبتغي الغلب، ولكن يبتغي الحق، والمعرفة الصحيحة.. فنحن جميعا نؤمن بالله ربا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وبالقرآن كتابا، وبالكعبة قبلة وبيتا محجوجا، وبأن الإسلام مبني على الخمس المعروفة وبأنه ليس بعده دين، ولا بعد رسوله نبي ولا رسول.. وبأن كل ما جاء به محمد ﷺ حق.

فالساعة حق، والبعث حق، والجزاء في الدار الآخرة حق، والجنة حق، والنار حق، وما اختلف فيه من شيء فحكمه إلى الله ورسوله أي أننا متفقون على أسلوب الخلاف.

إذن الأمة الإسلامية وإن اختلفت فيها المدارس الفكرية- تملك أسسا مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها، وتوحد كلمتها.. فهي أمة واحدة، ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد.

هذه هي الأصول الثابتة التي تشترك فيها الأمة.. فإذا أدركتها جيدا والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منها أمة واحدة، تلتقي على وحدة الغاية، وحدة المنهج، وحدة العبادة، ووحدة العقيدة.

الاختلاف ضروري!!

والأمة الإسلامية في «عقلانيتها» التي انطلقت من دعوة القرآن، لم ترفض الوحي، ولم تتنكر للنص المأثور وأيضا فهي لا تقف لتتعبد بالنص المأثور دون وعي، وإنما وازنت بين العقل والنقل، ووفقت بين الحكمة والشريعة، وحكمت العقل وجاءت إلى التأويل عندما لاح التعارض بين ظواهر النصوص وبين براهين العقل.

فليس من مصلحة المسلم ترك الضحالة، والرتابة، والآلية، تطمر أعماقه، وتأكل إرادته.

ومن سبل التطلعات المنظورة في توحيد صفوف الأمة أن ندرك أن الخلاف والاختلاف ضروري، لأن ورود المتشابه في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(سورة آل عمران آية ٧)

كان سببا في اختلاف العلماء في مواضع المتشابهات من القرآن الكريم.

وحاول كثيرون من ذوي الأفهام تأويله والوصول إلى إدراك حقيقة معناه. فاختلفوا في التأويل اختلافا بينا لأنهم لم يقنعوا بالإيمان بالمتشابهات جملة من غير تفصيل، فجمعوا التي قد يظهر بينها خلاف وسلطوا عليها عقولهم، فأداهم النظر في كل مسألة إلى رأي.

التأويل

فإذا وصلوا إليه عمدوا إلى الآيات التي يظهر لهم أنها تخالف الأولى فأولوها، فكان التأويل طريقا من طرق النظر العقلي وطبيعي أن هذا المنحى في التأويل وإعطاء العقل حريته في البحث والنظر يستلزم تعدد المذاهب.

والتأويل -كمنهج عقلي- يقصد منه إبعاد التصورات التي لا تليق بالألوهية وكوسيلة للتقريب، والتوفيق بين العقائد الدينية التي تثبتت بالوحي وبين مقتضيات العقل ظاهرة دينية

والتأويل كمنهج عقلي يرتبط تاريخيا بالمعتزلة الذين أيقنوا من أن أبعاد التصورات والصفات والأحوال التي لا تتفق وطبيعة الألوهية لا يكون إلا عن طريق تأويلها مجازيا

وبعد ظهور الإمامين أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) وأبي منصور الماتريدي السمرقندي (-٣٣١ هـ) أخذ المتكلمة من أشاعرة وماتريدية، بالتأويلات المجازية، متبعين في ذلك الأسلوب الذي بدأه المعتزلة من قبل.

لقد كان هناك المشبهة والمجسمة الذين يثبتون كل ما جاء في القرآن الكريم من فوقية وعلية واستواء على العرش، ووجه، ويد، ومحبة، وبغض، وما جاء في السنة من ذلك أيضا من غير تأويل وبالظاهر الحرفي، ممن تمسكوا بإثبات الظاهر فصاروا يتهمون من قبل الأشاعرة بالتشبيه والتجسيم.

ومن هؤلاء أبو الحسن [illegible]، والقاضي محمد بن الحسين أبو يعلى، وأبو عامر القرشي، الذي اشتهر عنه وهو يفسر قوله تعالى

﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾

(سورة القلم آية ٤٢)

أراد أن يدفع بحجية بلاغة التعبير المجازي فضرب على ساقه وقال: ساق حقيقة شبيهة تماما بهذه وأشار إلى ساقه

وإذا كان المعتزلة والأشاعرة وخلفهم ابن الجوزي الحنبلي يؤولون فإن الشيعة الإمامية يفسرون الأسماء والصفات بالقرآن الكريم. يقول الشيخ المفيد في قوله تعالى

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾

(سورة طه آية ٥)

وأما لفظة «استوى» وهي التي جعلت الآية من المتشابهات عند القوم فمعناها: التمكن التام، والاستيلاء الكامل بدليل ما يظهر من آية:

﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ﴾

(سورة المؤمنون آية ٢٨)

أي تمكنت [illegible]

﴿ فاستغلظ فاستوى على سوقه ﴾

(سورة الفتح آية ٢٩)

أي تمكن واستقام [illegible]

﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكما ﴾

(سورة يوسف آية ٢٢)

فالاستواء فيهن بمعنى التمكن التام دون الجلوس كما زعمت المشبهة.

إن انطلاقة علماء المذاهب الإسلامية كانت من القرآن الكريم والقرآن كان رائدهم فيما ذهبوا وكما قال الأنباري: «إن القرآن يدل على الاختلاف. فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب. فمن قال بهذا مصيب ومن قال بهذا مصيب»

وإذا كان الاختلاف يخترق جميع الأمم والملل المعروفة فإن للاختلاف الذي وقع بين المذاهب الإسلامية [illegible] الأصلية مستمدة من خصوصية النص القرآني

ونعني بالخصوصية هنا ما منح النص القرآني إعجازه، وما امتاز به على سائر النصوص، فالخطاب في القرآن كلام تتسع معانيه، وتتعدد وجوه الدلالة فيه كلاما لا يمكن [illegible] معانيه ولا حصر دلالاته. يقول الزركشي: «معاني القرآن لا تستقصى ولا يدرك [illegible] كلام [illegible] ولا يمكن لأحد [illegible] عليه [illegible] تحقيقه [illegible] التأويلات [illegible] واختلاف [illegible] وتعدد الفرق والمقالات

الاختلاف حق إنساني

إذن نحن إنما نحتاج أول ما نحتاج إلى الإعلان عن «حق الاختلاف الذي هو حق من حقوق الإنسان إن لم يكن أبرزها حتى يكون اختلاف الآخر عن الأنا أمرا لا جدال فيه أي: حتى يتم قبول كل فريق بالفريق الآخر، [illegible] كما هو في معتقده ومذهبه

وما دمنا لم نصل إلى الوحدة بعدم اعترافنا بحق الغير فالأولى أن نعترف بذلك فإن وحدة تحاول أن تستتبع الآخر أو تلحقه، أو تغيره [illegible] لن تعمر طويلا إذ سرعان ما يتصدع البناء. كذلك فإن الخطاب الذي لا يزيد عن تكرار أجوف لهوية فاقدة لمقوماتها لن يصنع وحدة قط.

هكذا ينبغي للجميع أن يكتبوا ببيان الاختلاف معترفين [illegible] بأن الواحد هو شطر الآخر، وبأن العقائد والمذاهب هي وجوه [illegible] واحدة والاعتراف بحق الغير وبأن له حقيقته وقيمته من [illegible]

[illegible]

ولا يخفى [illegible] [illegible] [illegible] على الإقرار بالاختلاف، وأنه ضرورة من ضرورات الحياة، استطعنا أن نبدأ في الطريق.

[illegible] الأمة [illegible] على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلما إلا بها ثم تعي بعد ذلك دور العقل الإسلامي وانطلاقاته.

وتدرك في وضوح: أن الخلاف والاختلاف ضرورة [illegible]

والأمة الإسلامية [illegible] رصيدا ضخما من الأصول والقواعد يمكن الأمة من تنمية فلسفتها الخاصة بها، والتي تجمع شملها وتوحد صفوفها وقد أتم الله على الأمة وحدة الأصل الإنساني ووحدة العقيدة، ووحدة المصدر، ووحدة الشعور، ووحدة [illegible]، ووحدة [illegible]

وتستطيع الأمة في ظل [illegible] [illegible] [illegible] التي تصنع نسيج الأمة وتجعلها متكاملة كما تستطيع أن تدعم العلاقات الراهنة إلى مستوى العلاقات بين أئمة المذاهب الإسلامية ولا شك أن ذلك يوسع نطاق التضامن الإسلامي ليصنع مجتمعا يواجه التحديات الماثلة.

❊❊❊



﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين،

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر، المقيد برقم ١٨١ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن أنه وردت أسئلة إلى الإدارة العامة للمجلة، للإجابة عنها في باب استفتاءات القراء.

عقود الإيجار القديمة

● السؤال الأول ورد من السيد م. ع. أ

استمعت إلى أحد الشيوخ الأفاضل على إحدى القنوات الفضائية يقول: إن الصلاة في الشقق ذات الإيجار القديم لا تصح على المذهب الحنبلي حيث إنها مغتصبة من أصحابها، وعقودها باطلة شرعا، وحيث إنني حفيد مستأجر ومقيم بشقة المرحوم جدي وهي إيجار قديم مع أنني أمتلك أكثر من مسكن، فهل ينطبق علي قول الشيخ؟ وماذا علي أن أفعل؟

●● الجواب: عقد الإيجار في الشريعة الإسلامية يجب أن يكون مؤقتا بمدة، ولا يجوز أن يكون على التأبيد من غير أجل محدد، فإذا نص في العقد أنه مؤبد بطل، وإذا نص فيه على مدة محددة يجب الالتزام بها

وإذا صدرت قوانين تمد أجله بشروط معينة، فإن لولي الأمر أن يقيد المباح، وتنزل حينئذ مدة العلاقة الإيجارية منزلة المدة الطويلة التي تمتد إلى خمسين سنة عند بعضهم، وإلى تسعين عند آخرين، والعلاقة بين المؤجر والمستأجر لازمة من طرف المؤجر، جائزة من طرف المستأجر، وعليه فإن للمستأجر أن يبيع باقي المدة التي بين بدء عقده وبين التسعين سنة المذكورة، لصاحب الملك أو للغير، بحسب الحال.

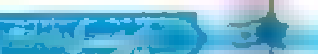
وهذا النظر يصحح عقود الإيجار المعمول بها الآن في عصرنا، ولا يبطل على الناس جل عقودهم من ناحية، ولا يعارض ما ارتآه ولي الأمر لتحقيق المصالح الاقتصادية والاجتماعية لاستقرار الأمن في البلاد من ناحية أخرى، والأخير غرض شريف مطلوب في الشريعة، ومرغوب إليه فيها.

وما يؤخذ اليوم مما يسمى «بالفروغ»، أو «خلو الرجل أو اليد» لا مانع منه شرعا، فللمالك المؤجر أن يأخذ من المستأجر مقدارا مقطوعا من المال مقابل الخلو أو الفروغ. ويعد المأخوذ جزءا معجلا من الأجرة المشروطة في العقد.

وأما ما يدفع في المستقبل شهريا أو سنويا فهو بالإضافة إلى ما تم تعجيله يعد جزءا آخر مكملا من الأجرة مؤجل الوفاء.

وأما ما يأخذه المستأجر من الفروغ مقابل تنازله عن اختصاصه بمنفعة العقار المؤجر لشخص آخر يحل محله. فهو جائز أيضا إذا كانت مدة الإجارة باقية، وإلا كان غصبا حراما. فقد صرح الشافعية أثناء كلامهم عن صيغة عقد البيع بما يقارب هذا المعنى فقالوا: لا يبعد اشتراط الصيغة في نقل اليد في الاختصاص - أي عند التنازل عن حيازة النجاسات لتسميد الأرض - كأن يقول: رفعت يدي عن هذا الاختصاص، ولا يبعد جواز أخذ العوض عن نقل اليد كما في النزول عن الوظائف، انظر مثلا: حاشية العلامة الشرواني على تحفة المحتاج للإمام ابن حجر الهيتمي (٤: ٢١٧)

إلا أن ذلك كله مقيد شرعا ضمن مدة الإيجار المتفق عليها، وتنازل المستأجر لغيره بعوض بعد انتهاء المدة مرهون برضا المالك. وبالرغم من أن أصل المذهب الحنفي لا يجيز الاعتياض عن الحقوق المجردة كحق الشفعة. وكذا لا يجيز بيع الحق. فإن كثيرا من الحنفية أفتى بجواز النزول عن الوظائف بمال كالإمامة والخطابة والأذان ونحوها. وتستند هذه الفتوى إلى الضرورة وتعارف الناس، وبالقياس على ترك المرأة قسمها لصاحبتها. لأن كلا منهما مجرد إسقاط للحق. وقياسا على أنه يجوز لمتولي النظر على الأوقاف عزل



يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـــي جمعـــة
مفتي جمهورية مصر العربية

نفسه عند القاضي. ومن العزل: الفراغ لغيره عن وظيفة بمال أو بغيره. وقد جرى العرف بالفراغ بعوض.

هذا وللمتأخرين من علماء المالكية رسالة بعنوان «جملة تقارير وفتاوى في خلوات [illegible]» لأئمة منهم [illegible] مفتي المالكية إبراهيم الرياحي بتونس المتوفى سنة ١٢٦٦هـ والشيخ محمد بيرم الرابع التونسي، والشيخ الشاذلي بن صالح باش مفتي المالكية بتونس، والشيخ محمد [illegible] قاضي تونس. قرروا فيها جواز المعاوضة عن الخلوات عملاً بالعرف والعادة، ولأن المستأجر يملك المنفعة، فله أن يتنازل عنها بعوض كالإجارة وبغير عوض كالإعارة، فقد نقل البناني عن البرزلي في النزول عن الوظيفة ما يقتضي جوازه، ونقل فتوى العاصميين بجواز بيع الخلو. وقال الشيخ محمد بيرم: وما أشبه الخلو بالمغارسة، غير أن الخلو لا تحصل به ملكية الرقبة لتعلقه بالمنفعة.

ويحسن هنا إيراد ما تضمنه قرار مجمع الفقه الإسلامي في دورته رقم (٦) لعام ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م:

أولاً: إذا اتفق المالك والمستأجر على أن يدفع المستأجر للمالك مبلغاً مقطوعاً زائداً عن الأجرة الدورية (وهو ما يسمى في بعض البلاد خلواً)، فلا مانع شرعاً من دفع هذا المبلغ المقطوع، على أن يعد جزءاً من أجرة المدة المتفق عليها، وفي حالة الفسخ تطبق على هذا المبلغ أحكام الأجرة.

ثانياً: إذا تم الاتفاق بين المالك وبين المستأجر أثناء مدة الإجارة على أن يدفع المالك إلى المستأجر مبلغاً مقابل تخليه عن حقه الثابت بالعقد في ملك منفعة بقية المدة، فإن بدل الخلو هذا جائز شرعاً، لأنه تعويض عن تنازل المستأجر برضاه عن حقه في المنفعة التي باعها للمالك.

أما إذا انقضت مدة الإجارة، ولم يتجدد العقد صراحة أو ضمناً عن طريق التجديد التلقائي حسب الصيغة المفيدة له، فلا يحل بدل الخلو، لأن المالك أحق بملكه بعد انقضاء حق المستأجر.

ثالثاً: إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد أثناء مدة الإجارة على التنازل عن بقية مدة العقد لقاء مبلغ زائد على الأجرة الدورية، فإن بدل الخلو هذا جائز شرعاً، مع مراعاة مقتضى عقد الإيجار المبرم بين المالك والمستأجر الأول، ومراعاة ما تقضي به القوانين النافذة الموافقة للأحكام الشرعية. على أنه في الإجارات الطويلة المدة خلافاً لنص عقد الإجارة طبقاً لما تسوغه بعض القوانين لا يجوز للمستأجر إيجار العين لمستأجر آخر، ولا أخذ بدل الخلو فيها إلا بموافقة المالك.

أما إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد بعد انقضاء المدة، فلا يحل بدل الخلو، لانقضاء حق المستأجر الأول في منفعة العين. انتهى ما تضمنه القرار.

وأخذ مقابل عن المدة المتبقية في العقد هو الأصل من فقه الشريعة، فهو مباح، ولا يحرم إلا إذا صدر من ولي الأمر ما يمنعه، فلا يجز الافتيات عليه في ذلك. ويكون حينئذ حراماً من جهة حرمة مخالفة ولي الأمر.

وفي واقعة السؤال: فإن القول بأن الصلاة في مسكن ذات الإيجار القديم لا تصح على المذهب الحنبلي حيث إنها مغتصبة من أصحابها، [illegible] فيه خلل من عدة وجوه:

الأول: أن هذه الشقق ليست مغتصبة من أصحابها على التوجيه الشرعي السابق، بل هي مستأجرة بعقود صحيحة، والأصل تصحيح عقود الناس وحملها على السلامة ما أمكن ذلك.

الثاني: أنه يجوز للحاكم تقييد المباح بما لا يخالف الشرع الشريف، وله أن يتخير في الأمور الاجتهادية ما يراه محققاً للمصلحة، ويجب على من كان في سلطانه أن يلتزم بحكمه، حتى لو كان ذلك مخالفاً لرأيه أو لمذهبه الذي يرجحه ويقلده، حفظاً للنظام العام وحفاظاً على حقوق الخلق، وإلا لسادت الفوضى وضاعت الحقوق بدعوى خلاف المذاهب والترجيح بينها. ولذلك كان من المقرر في الفقه الإسلامي أن حكم الحاكم يرفع الخلاف.

الثالث: أن القول ببطلان الصلاة في المغصوب هو قول مخالف لقول الجمهور الذين يفرقون بين حرمة الغصب وصحة الصلاة التي تتوقف على الإتيان بها مستوفية الأركان والشروط.

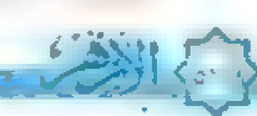
قال الإمام القاضي أبو بكر الباقلاني: «لم يأمر أئمة السلف الغصبة بإعادة الصلوات التي أقاموها في الأرض المغصوبة» اهـ نقلاً عن البحر المحيط للزركشي (١/ ٢٦٤).

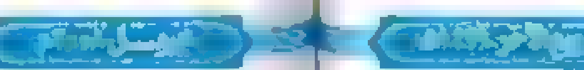
بل نقل الإجماع على ذلك، حتى إن حجة الإسلام الغزالي [illegible] ومن أنكر هذا فيلزمه ما هو أظهر منه وهو أن لا تحل امرأة لزوجها وفي ذمته دانق ظلم به ولا يصح بيعه ولا صلاته ولا شيء من عباداته، ولا يحصل التحليل بوطء من هذه حاله، لأنه عصى بترك رد المظلمة ولم يتركها إلا بتزويجه وبيعه وصلاته وتصرفاته، فيؤدي إلى تحريم أكثر النساء وفوات أكثر الأملاك، وهو خرق للإجماع قطعاً، وذلك لا سبيل إليه. اهـ من المستصفى (١/ ٧٨-٧٩).

وعليه فإن صلاتك في مسكنك هذا صحيحة شرعاً ما دامت مستوفية الأركان والشروط الشرعية. وإذا كنت ممن تنطبق عليه شروط امتداد عقد الإيجار فإنه لا حرمة عليك أصلاً في الانتفاع به، ويجوز لك أخذ مقابل إذا تبقى من عقدك مدة، وهو مبلغ المثل للمدة المتبقية لك في منفعة المسكن، ولو كانت هذه المدة القانونية التي تعطيك حق السكن الطويل. لأن القانون هنا يمكن توجيهه شرعاً، فينزل منزلة العرف، ومعلوم أن المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً.

أما إذا كنت ممن لا تنطبق عليهم شروط امتداد عقد الإيجار فلا يجوز لك شرعاً أن تنتفع بهذه الشقة إلا بإذن صاحبها، وليس لك أن تساومه على مقابل لتركها إلا إن أعطاك هو طيبة بذلك نفسه.

والله سبحانه وتعالى أعلم





تيار المرجعية الإسلامية في نموذج التقدم

دكتور محمد عمارة

الزعيم مصطفى كامل

أجمعت مدرسة الإحياء والتجديد على نقد النموذج الغربي في التحديث.. وعلى رفضه كطريق للنهضة الإسلامية واختارت الإسلام طريقا للإصلاح، والمرجعية الإسلامية منطلقا لمشروع النهضة والتجديد لواقع أمة الإسلام.

● ولقد وجد هذا الاختيار الإسلامي في الإصلاح والتجديد، مكانه في فكر أول حزب وطني تبلور في مصر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. لتزاملت في فكر الزعيم الوطني مصطفى كامل (١٢٩١ - ١٣٢٦هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨م) «الوطنية» و«الإسلامية».. وكما يقول: «إن الدين والوطنية توأمان متلازمان، وإن الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حبا صادقا، ويفديه بروحه وما تملك يداه.. وإن في الإسلام كافة المواد الحيوية لأرقى مدنية يشتهيها بنو الإنسان. فهو الدين الذي يؤدي أهله وذويه إلى أسعد حالات الحياة وأتم نعيمها».

بل ويقطع مصطفى كامل بأن «من المستحيل إحياء الأمة وإنهاضها بغير الحقيقة الدينية».. ويسأل الذين ينكرون ذلك: «لماذا يكون الإنجليزي وطنيا وبروتستانتيا في آن واحد، ولا يكون المصري المسلم وطنيا ومسلما؟!..»[1]

هكذا تبلورت في الواقع الإسلامي إزاء تعدد المرجعيات في مشاريع النهضة والتجديد والتحديث، تبلورت تيارات وخيارات ثلاثة:

● تيار «التقليد»، الذي حافظ على التراث، لكن «التقليد» قد أعجزه عن إبداع البديل الحضاري القادر على منافسة النموذج الغربي- الذي كان في قمة ازدهاره وعنفوانه.

● وتيار «التغريب»، الذي رأى- وفق عبارة الدكتور طه حسين (١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م) أن السبيل إلى النهضة «واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب.. نذهب مذهبهم في الحكم، ونسير سيرتهم في الإدارة، ونسلك طريقهم في التشريع..»[2]!!

● أما التيار الثالث، فهو تيار الإحياء والتجديد الإسلامي، الذي أراد تجديد دنيا المسلمين بتجديد فكر الدين الإسلامي، ودعا إلى «إسلامية مشروع الإصلاح».. والحلول الإسلامية لمشكلات الواقع الإسلامي..



مصطفى كامل — طه حسين

وعلى حين وضع الاستعمار كل إمكانات السلطة السياسية وعلى طاقات المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية في خدمة فكر التغريب

(٢) د. طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر) جـ١ ص٤٤، ٣٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م

وتيارها.. فلقد اتبع سياسة الوقيعة بين تيارى السلفية والتجديد حتى يستنزف طاقات علمائهما ومجتهديهما في الصراع بينهما ليبقى «الفراغ الفكرى» قائما يعمل على ملئه تيار التغريب؟!..

فمنذ الحرب الاستعمارية العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٦هـ ١٩١٤-١٩١٨م) والسنوات التى أعقبتها، توالت الأحداث والتطورات التى عمت بها بلوى الاحتلال والاحتواء الاستعمارى لأغلب ديار الإسلام.. فوفق معاهدة «سايكس- بيكو» (١٣٣٤هـ ١٩١٦م) ووعد «بلفور» (١٣٣٦هـ ١٩١٧م) وزعت بقايا تركة الدولة العثمانية على القوى الاستعمارية الغربية، وفى السنوات التى أعقبت الثورة البلشفية فى روسيا (١٣٣٥هـ ١٩١٧م) بسطت البلشفية الروسية هيمنتها على البلاد الإسلامية فى آسيا الوسطى [illegible] القيصرية الروسية.. وفى المشرق العربى -الذى مثلته «عصبة الأمم»- هذا الاحتواء والاحتلال.. فلما جاء عام ١٣٤٢هـ ١٩٢٤م نجح الغرب الاستعمارى فى أن يفرض على «الكماليين» -فى تركيا- إلغاء الخلافة الإسلامية فغربت شمسها عن الوحدة الإسلامية لأول مرة فى تاريخ الإسلام.. وصاحب ذلك، على الجبهة الفكرية، صدور العديد من الكتب التى «تشرع» لإلغاء الخلافة، وتغريب عقيدة الإسلام، بل وتشكك فى عقائد الدين والقرآن الكريم!.. وبعد أن كان «التغريب» فكر «نخبة»، أغلبها من أبناء الأقليات التى تربت فى مدارس التبشير، قامت فى الواقع الإسلامى تيارات وأحزاب «وطنية» و«قومية»، ترى أن تقليد الغرب هو السبيل إلى التحرر من الاحتلال.. ومع [illegible] التعليم الأجنبى الذى عمم فى أغلب دوائر المثقفين، قامت الجامعات الحديثة ومؤسسات الفكر والثقافة والإعلام الجديدة التى تبنت مناهج الغرب ونظرياته فى العلوم الإنسانية والفلسفات والفنون والآداب..

حسن البنا والإخوان المسلمين

لقد اقتحم «التغريب» عقل «الأمة».. ولم يعد فكر «نخبة» لا يتعدى دوائر المثقفين المتغربين!

وأمام تصاعد مخاطر هذه التحديات، التى نقلت المعركة إلى ميدان «الهوية الإسلامية» للأمة كانت الاستجابة الإسلامية -من تيار الإحياء والتجديد- استجابة تاريخية.

فبعد فشل الجهود التى بذلت لإحياء الخلافة الإسلامية، التى دعت عشرة علماء الإسلام ومفكريه فى (١٣٤٥هـ ١٩٢٧م) إلى المؤتمر الذى عقد فى القاهرة وأثمر قيام «جمعية الشبان المسلمين».

وفى العام التالى (١٣٤٦هـ ١٩٢٨م) أسس حسن البنا (١٣٢٤-١٣٦٨هـ ١٩٠٦-١٩٤٩م) -وهو الذى شارك فى المؤتمر التأسيسى للشبان المسلمين- أسس جماعة الإخوان المسلمين، كتنظيم جماهيرى لتيار الإحياء والتجديد الإسلامى فى العصر الحديث.. فأمام تصاعد التحديات، واقتحام التغريب عقل الأمة.. وتأسيس أحزاب «وطنية» و«قومية» تتبنى مرجعيات مستوردة، ومرجعية غربية وتوجهت فى التحديث.. الأمر الذى نقل المخاطر إلى «الهوية الإسلامية للجماهير»، كان لابد من نقل حركة اليقظة الإسلامية وتيار الإحياء والتجديد من إطار الصفوة والنخبة والعلماء والمفكرين إلى إطار الأمة والجماهير.. فأمام «عموم البلوى» كان لابد من استدعاء «الأمة» إلى ميدان الدفاع عن الإسلام، والمرجعية الإسلامية لمشروع النهضة والتغيير!..

إن مدرسة مجلة (المنار) قد حملت إلى العالم الإسلامى، على امتداد نحو أربعين عاما، معالم المشروع الإسلامى للإحياء والتجديد.. وإذا كان الشيخ محمد رشيد رضا، عندما أراد تفسير القرآن الكريم، قد بدأ من حيث انتهى الإمام محمد عبده فى هذا التفسير.. فإن حسن البنا قد صنع ذات الشىء، فبدأ تفسيره للقرآن من حيث انتهى الشيخ رشيد رضا.. بل وواصل إصدار مجلة (المنار)، تأكيدا على استمرارية حلقات مدرسة وتيار الإحياء والتجديد.

لكن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، كان بداية لمنعطف جديد فى هذه المسيرة.. فأمام تصاعد التحديات، و«عموم البلوى» جاءت اللحظة التاريخية التى استدعت إشراك «الأمة».. وليس فقط «الصفوة» -فى هذا الصراع الحضارى، الذى أخذ يهدد «هوية الأمة» بالمسخ والنسخ والتشويه!.

وعند هذه اللحظة التاريخية، التى أثمرت هذا التطور الجديد، فى مسيرة القوى الداعية إلى حل مشكلات النهضة بالإسلام، تجاوزت الدعوة إطار الصفوة والنخبة والعلماء.. والقادة إلى حيث استدعت الصفوة «الأمة» -من خلال التنظيمات الإسلامية الجماهيرية، لتتبنى الدعوة إلى الإسلام منهاجا شاملا لكل ميادين النهضة والتقدم والتجديد والتغيير.. إن فى نظام الحكم.. أو فى سبل التقدم.. أو فى الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى.. أو فى تحرير المرأة.. أو فى بناء الانتماء الإسلامى، الجامع لمختلف درجات ودوائر الانتماء.. أو فى العلاقات الدولية.. أو فى علاج مشكلات وثغرات الأقليات- الدينية والقومية.. إلخ.. إلخ.. إلخ..

وليبدأ فى سبيل الجهد الإسلامى، لوضع هذه الحلول الإسلامية فى الممارسة والتطبيق..

هكذا رأينا كيف أقامت الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام،

في قلب هذا العالم وفكر نخبة من أبنائه «خيارا للنهضة»، و«مرجعية للتقدم»، و«حلولا للمشكلات»، لا تنطلق من المنطلقات الإسلامية، وإنما تتبنى الوضعية والمادية والعلمانية الغربية، التي عزلت الدين عن أن يضبط حركة العمران البشرى، وحررت الدنيا من حاكمية الدين في الدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد.. وأحيانا في القيم والمثل والأخلاقيات.

فدعت هذه النخبة إلى أن تستبدل النموذج الغربي في الإدارة والحكم والتشريع بالنموذج الإسلامي في هذه الميادين.. ورأينا كيف نهض تيار الإحياء والتجديد الإسلامي، مدافعا عن المرجعية الإسلامية لمشروع النهضة، والحلول الإسلامية لمشكلات التقدم والتطور والتجديد.. فقال أعلامه

● بلسان رفاعة رافع الطهطاوى: «إن بحر الشريعة الغراء لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها.. ولم تخرج أحكام السياسة عن مذاهب الشرعية.. فيسمى تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع، لا بطرق العقول المجردة».

● وبلسان الأفغانى: «إن العلاج الناجع لانحطاط الأمة الإسلامية إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها.. ومن طلب إصلاح الأمة بوسيلة أخرى فقد ركب بها شططا.. فينعكس عليه القصد، ولا يزيد الأمة إلا نحسا، ولا يكسبها إلا تعسا».

● وبلسان محمد عبده: «إن سبيل الدين لمريد الإصلاح في المسلمين، سبيل لا مندوحة عنها.. وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ماليس لهم في غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!».

● وبلسان مصطفى كامل: «إن في الإسلام كافة المواد الحيوية لأرقى مدنية يشتهيها بنو الإنسان، فهو الدين الذى يؤهل أهله وذويه إلى أسعد حالات الحياة وأتم نعيمها.. ومن المستحيل إحياء الأمة وإنهاضها بغير الحقيقة الدينية».

لكن.. من الحق -بل ومن الواجب- أن نقدم أبرز معالم هذا الخيار الإسلامي في النهضة.. إذ ما الذى يعنيه هذا «البديل الإسلامي»، المنطلق من «المرجعية الإسلامية» من «حلول»، تكون أبرز المعالم والسمات والقسمات للنظام الإسلامي، الذى ندعو إليه، بديلا عن النظام الغربي، الذى يبشر به ويدعو إليه المتغربون العلمانيون؟؟

لتبيان ذلك.... تأتي صفحات هذه الدراسة.. بعد هذا التمهيد الذى بلور «مشكلات النهضة».. والتيارات التى اختلفت حول هوية ومرجعية «الحلول» المرشحة لحل هذه «المشكلات».

كتاب الشهر

أوهام الشرق الأوسط

تأليف

ناعوم تشومسكي

تعريب:

شيرين فهمي

٢

وإذا كان السلام -بجذره اللغوي- يعني في الاستعمال العربي والإسلامي يعني البراءة والتبرئة من الأذى، والخلوص من جميع الآفات، إلى غير ذلك من كل ما يشيع الراحة، ويوفر الطمأنينة، ويحقق الأمن والاستقرار للإنسان أيا كان لونه أو جنسه أو دينه، أو مذهبه...

فإن السلام -بجذره اللغوى كذلك في استعمال البرابيع والثعالب- لا يعنى شيئا من ذلك إلا لمن يريدون، وفي الوقت والمكان الذى يريدون

فهم يفتحون -من هذا الجذر اللغوى نفسه- بابا آخر يتسع للذبح، والبطش، والقهر، إلى غير ذلك من كل ما يشيع الفزع، والرعب، والخوف، والقلق

وبهذا يجعلون من الكلمة الواحدة نفقا ذا فتحات أو منافذ مختلفة، يستطيعون عن طريقها الروغان والتقلب، ويتمكنون بها من ارتداء ثوب ذى وجهين، ينقض أحدهما الآخر، ويضعون على أعينهم منظارا ذا رؤيتين متناقضتين قدم التناقض والتضاد، فيرون به من يتعدى على السلام في أمريكا مثلا إرهابيا يجب استئصاله، لأنه تعدى السلام، ويرون به ذاته من يتعدى على السلام في فلسطين، أو العراق مثلا مكافحا بطلا يضحى من أجل توفير السلام

على هذا الطريق.. وبهذا المنهج رأينا الولايات المتحدة بقيادة (ريجان)، و(بوش) تستصرخ عالم اليوم لينهض في ركابها مؤازرا من أجل هذا السلام؛ أيا كانت الوسائل التى

يحققون بها تلك الغاية، مستغلة ما لكلمة السلام من بريق أخاذ؛ يتوق الإنسان المطحون في شتى بقاع الأرض إليه.

وللبرابيع ذيول

ويذكر (ناعوم تشومسكي) أن إسرائيل استطاعت في سنة ١٩٦٧ أن تلبي مستصرخ القادة الأمريكيين، لتقدمت لأمريكا خدمة كبرى بتحطيم جبروت الجيوش العربية.

ومن جهة أخرى لجأت أمريكا إلى صديقها (صدام حسين) فدفعته إلى غزو إيران، لإسقاط الخطر المتمثل في وجود دولة نفطية مستقلة.

ولم تجد أمريكا مانعا من التعاون مع إسرائيل والعراق لتحقيق مقاصدها على الرغم من سابقة الاعتداء الإسرائيلي على سفينة أمريكية سنة ١٩٦٧م، وسابقة قتل العراق سبعة وثلاثين بحاراً أمريكيا كما لم تجد مانعاً أخلاقيا من قصف طائرة ركاب إيرانية مخلفة ٢٩٩ قتيلاً، وهي تحلق في الفضاء الإيراني.

وبعد استعراض مطول لمثل هذه السلوكيات الأمريكية قدمه (تشومسكي)، عاد ليقدم تساؤلاته الباحثة عن مدى الالتزام الأمريكي الأسطوري بحقوق الإنسان، وعن كيفية تحديد تلك الحقوق، ثم أجاب عن ذلك بقوله: «إن الحقوق تتحدد على أساس الإسهامات في حفظ النظام؛ فالولايات المتحدة لديها حقوق لا جدال عليها، وبريطانيا لديها حقوق ما دامت تلعب دور الكلب التابع الوفي.

أما الفلسطينيون... فلأنهم أناس ليس لديهم أي ثراء، ولا أي قوة، فليس لهم أي حقوق، بل لهم حقوق سلبية، لأن معاناتهم وتشريدهم في مختلف البلاد يثير الاضطرابات والمعارضات في بقية أنحاء العالم».

ومن هذا المنطلق نرى (شلومو بن عامي) الذي كان رئيس المفاوضين في عهد (إيهود باراك) يصرح سنة ١٩٩٨م بأن الهدف من مفاوضات (أوسلو) هو وضع الأراضي المحتلة تحت مظلة (الاعتماد الدائم للاستعمار الجديد)؛ لأن هذا يتفق مع مصالحهم، ومصالح رجال الأعمال الأمريكيين.

وأمريكا تحرص على تضخيم الاستيطان

وفي الفصل الثالث (انتفاضة الأقصى) استعرض (تشومسكي) طرفا من المواقف والأحداث التي واكبت انتفاضة الأقصى، لافتا النظر إلى مراوغات (باراك) التي تمثلت في حديثه عن تقديمه مخطط تفصيليا لتحقيق السلام، ولكنه لم يقدم هذا المخطط، واكتفى بتقديم الخطوط الأساسية التي تتوافق مع ما أسمته أمريكا (خريطة الوضع النهائي) وقدمته قاعدة لمفاوضات (كامب ديفيد) التي انهارت في يوليو سنة ٢٠٠٠م.

وهذه الخريطة تدعو إلى تقسيم الأراضي التي احتلتها إسرائيل سنة ١٩٦٧م وتحويلها إلى (كانتونات)، مع وضع آليات تضمن بقاء الأرض والثروات صالحة للاستخدام في أيدي إسرائيل، بينما تقدم سلطة فلسطينية فاسدة وقمعية تقوم بإدارة شئون الفلسطينيين، مع الحرص على قطع الصلات بين الفلسطينيين والقدس، ومع انتشار أعداد ضخمة من وحدات جيش الإسرائيلي.

وبناء على هذه المقترحات... سلكت إسرائيل نشاطها الاستيطاني المتضخم في ظل الإغراق الأمريكي، وفي ظل قدرة الولايات المتحدة على تطبيق سمة جديدة من عملية السلام بعد حرب الخليج سنة ١٩٩١م.

وقد انهارت مفاوضات (كامب ديفيد) عندما وضح أن الهدف منها لا يتجاوز الحصول على التزام رسمي فلسطيني بمشروع (باراك).

وبعد انهيار تلك المفاوضات لجأ (باراك) إلى خطة أخرى تعتمد على العنف بدأها بتفويض (شارون) في زيارة إلى المسجد الأقصى في حماية ألف شرطي إسرائيلي في يوم الخميس ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠م.

وفي اليوم التالي وجه (باراك) حشدا عسكريا مضافا إلى الشرطة لمواجهة آلاف المصلين عند خروجهم من المسجد، أدى إلى مقتل ستة فلسطينيين، وجرح أكثر من مائتين.



شارون باراك

وبذلك... نجح (باراك) في إشعال المنطقة بفظائع العنف التي وقعت بعد ذلك، ومع رغبته هو و(كلينتون) في إخفاء ما يفعله الإسرائيليون والأمريكيون في الأرض المحتلة لفرض طغيانهم بالقوة المباشرة بدلا من الدبلوماسية الملزمة، حيث تمكنت من الهيمنة على معظم أراضي الضفة الغربية، و٢٠٪ من أراضي قطاع غزة؛ فضاعفت من أعداد المستوطنين، مع توسيع المستوطنات، والاستمرار في السياسة العسكرية بتخفيض حصص المياه، ومنع التنمية الفلسطينية، وحصر الشعب الفلسطيني في داخل مناطق شديدة الحدودية بدعم مطلق من الولايات المتحدة، أملا في أن يستسلم الفلسطينيون أمام المطالب والمطامع الإسرائيلية.

ومفكرو الإسرائيليين يستشعرون الخوف

وفي الفصل الرابع (الولايات المتحدة - إسرائيل - فلسطين) وضح (ناعوم تشومسكي) حقيقة الدور الأمريكي في عملية السلام؛ فاستعرض من المواقف والأحداث ما يؤكد أن استدعاء الولايات

المتحدة للتدخل في عملية السلام أمر عديم المعنى. بحيث تبدو التوقعات بشأن المستقبل في ظل هذا الاستدعاء كالحة باهتة.

يؤكد ذلك: ما لاحظه عالم الاجتماع بالجامعة العبرية (باروخ كيمبرلينج) في قوله سنة ٢٠٠١م: «ما كنا نخافه قد تحقق؛ اليهود والفلسطينيون واقعون الآن تحت حالة من الارتداد إلى القبلية الخرافية... الحرب تبدو وكأنها مصير محتوم، تبدو كأنها حرب شريرة ستعمرية».

وفي قول (زانيف شتيرن هيل) زميل (كيمبرلينج): إنه في الأراضي المحتلة تبدو الحياة الإنسانية رخيصة، فالقيادة لم تعد تتحرج من التحدث عن حرب، بينما هي في حقيقة الأمر متورطة في أعمال الشرطة الاحتلالية، مما يعيد إلى ذاكرتنا اقتحام الشرطة البيضاء للمناطق السوداء الفقيرة في جنوب أفريقيا، في أثناء الفترة العنصرية.

أما المقيمون في تلك الأراضي فهم يقفون وحدهم بدون سلاح؛ فالكثيرون منهم يعيشون في معسكرات مدمرة ونائية، وهم يعانون حاليا أشد أنواع الإرهاب المادي الشرس التي تحمله تلك الحروب الشريرة الاستعمارية، الأمر الذي يدفعهم الآن إلى القيام بعمليات وحشية في حق أنفسهم كنوع من الانتقام.

ويذكر (تشومسكي): أن عملية (أوسلو) السلمية لم تغير المفهوم الأساسي للاحتلال. وإن كانت قد غيرت من شكله الخارجي له. فقبيل انتقال الحكومة إلى (إيهود باراك) كتب المؤرخ (شلومو بن عامي) قائلا: «إن اتفاقيات (أوسلو) قد أسست على قاعدة الاستعمار الجديد، حيث يصير طرف معتمدا على الطرف الآخر مدى الحياة».

وبعد ذلك... صار (بن عامي) مهندسا للمقترحات الأمريكية الإسرائيلية في (كامب ديفيد) سنة ٢٠٠٠م؛ التي أكدت الالتزام بشرط اعتماد طرف على الآخر.

وقد تم الثناء على هذه المقترحات وبشدة- فيما كتبه المعلقون الأمريكيون، مع إلقاء اللوم والتقريع على الفلسطينيين، وعلى قائدهم الشرير لكونهم أفشلوا المحادثات، مما أدى إلى العنف المتتالي.

ولكن (كيمبرلينج) علق على هذا بقوله: «إن هذا غش وتدليس؛ لينضم بصوته هذا إلى بقية المعلقين الغربيين الجديين. فقد لاحظ أن مقترح (كلينتون- باراك) يقدم بعض الخطوات التي تسهم في تفعيل الاستيطان؛ حيث كان فلسطينيو الضفة الغربية محصورين- أو محبوسين- في أكثر من مائتي منطقة مبعثرة. فجاء هذا المقترح ليحقق -في الظاهر- تحولا إيجابيا، تمثل في تعزيز ثلاثة كانتونات تحت الهيمنة الإسرائيلية، منفصلة



بعضها عن بعض، ومنفصلة عن المقاطعة الرابعة (شرق القدس) التي تعتبر مركزا للحياة والاتصالات الفلسطينية في المنطقة.

أما الكانتون الخامس (منطقة غزة) فقد ترك أمره بدون توضيح، اللهم إلا أن يبقى سكانه محصورين ومسجونين، كما كانوا من قبل.

ومع هذا كله... لم يقدم أصحاب المقترح أي خرائط أو تفاصيل لما تقدموا به.

ثم يذكر (تشومسكي): أن الدور الأمريكي -الذي سيظل حاسما وفاصلا- وضح كما جاء في (النيويورك تايمز) الذي تمثل في التمسك على خطاب الرئيس، وتناقض رؤيته الجديدة التي تقوم على إنهاء الإرهاب الفلسطيني في أسرع وقت ممكن، كي يتشجع الإسرائيليون لأخذ العرض التاريخي الذي قدمته جامعة الدول العربية القائم على سلام واعتراف كاملين مقابل انسحاب إسرائيلي أكثر جدية.

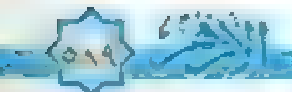
فالتوجه الأمريكي الإسرائيلي استمر كامنا في الاتجاه الرفضي، حيث لم تخرج العروض عن المبدأ الأول والأخير للاحتلال الذي تمثل في الامتهان المتواصل، والازدراء بالكرامة الفلسطينية، إلى جانب عمليات التعذيب والإرهاب، وتدمير الممتلكات، والتشريد، والاقتلاع، ومواصلة الاستيطان، والاستيلاء على الثروات الأساسية.

ولكن (تشومسكي) يلاحظ أن الولايات المتحدة تقوم حاليا بإجراء بعض التعديلات على سلوكها الرافض للحقوق الفلسطينية، وأن هذه التعديلات ليست إلا تعديلات تكتيكية وضعيفة جدا.

فلكي تتمكن من ضرب العراق.. سمحت بصدور قرار من الأمم المتحدة يدعو إلى الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلت حديثا، كما سمحت بصدور قرار آخر ينادي بإيجاد رؤية لدولة فلسطينية.

ومن جهة أخرى... واصلت الولايات المتحدة تعزيزها للإرهاب الإسرائيلي؛ بإعلان التزامها بتسليم إسرائيل شحنة جديدة من أحدث طائرات (الهليكوبتر)، وبرفضها قرار الأمم المتحدة الذي طالب بتنفيذ خطة (ميتشيل)، وإرسال مراقبين دوليين بغية تخفيض العنف. ثم مقاطعة مؤتمر دولي في جنيف، قضى بتطبيق (ميثاق جنيف الرابع) على الأراضي المحتلة؛ لعلمها أن كل ما تفعله هي وإسرائيل يعد نقضا صريحا للميثاق، على الرغم من أن الولايات المتحدة لم تسحب رسميا اعترافها بتلك المواثيق.

ويخلص (تشومسكي) من هذا العرض إلى تقريره: إن استدعاء الولايات المتحدة للتدخل في عملية السلام أصبح عديم المعنى، وأن التوقعات بشأن المستقبل ستظل كالحة وباهتة.



لبنان

بين الفراغ الرئاسي وتشكيل الحكومة الجديدة

[illegible]
باحث في الشئون السياسية

غادر الرئيس اللبناني «اميل لحود» قصر بعبدا تاركا كرسي الرئاسة خاليا في الرابع والعشرين من نوفمبر ٢٠٠٧ بعد انتهاء ولايته الرئاسية في الثالث والعشرين من الشهر نفسه ولقد توافق الجميع معارضة وأكثرية على اختيار قائد الجيش اللبناني العماد «ميشيل سليمان» ليكون الرئيس الجديد الذي سيتم انتخابه في المجلس النيابي اللبناني ليجلس على كرسي الرئاسة الخالي. ومن المعروف أن جلسة انتخابه تأجلت للمرة الخامسة عشرة إلى جلسة ١١ مارس ٢٠٠٨. ويبدو من الواضح أن مؤتمر القمة العربي في دمشق المقرر انعقاده في ٢٩ مارس ٢٠٠٨ في انتظار انتخاب الرئيس اللبناني الجديد حتى يمكن توجيه الدعوة إليه لحضور هذه القمة.

واللافت أن الفراغ الرئاسي في لبنان ليس هو الأول من نوعه في تاريخ الحياة السياسية اللبنانية بل يعتبر الفراغ الثالث منذ استقلال الدولة اللبنانية عام ١٩٤٣ فقد كان الفراغ الأول للرئاسة في الحادي والعشرين من سبتمبر ١٩٥٢ حينما قدم الرئيس اللبناني «بشارة الخوري» استقالته، أما الفراغ الرئاسي الثاني فحدث في عام ١٩٨٨ حين انتهت ولاية الرئيس «أمين الجميل» والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق هو ما السبب في عدم إقدام الأكثرية في المجلس النيابي اللبناني على انتخاب رئيس جديد بنصاب النصف + واحد، وفق ما قررة الدستور؟ على هذا السؤال يجيب ممثل الأكثرية وزعيم تيار المستقبل النائب «سعد الحريري» قائلا: «لأن هناك توافقا ونحن نريد أن يكون هناك إجماع حول هذا التوافق» ويرى البعض أن سبب تعطيل انتخاب رئيس جديد للجمهورية في لبنان يعود إلى التناقض القائم بين الدستور وميثاق العيش المشترك إذ لوحظ أن كلا من الأكثرية والمعارضة قد توصلت عشية موعد الاستحقاق الرئاسي إلى صيغة «لا غالب ولا مغلوب» ودفعت إلى انصراف كل منهما إلى عدم اتخاذ أي خطوات استباقية كان تلجأ الأكثرية الموالاة، إلى انتخاب الرئيس بنصاب «النصف + واحد» أو أن تبادر المعارضة «الأقلية» إلى تشكيل حكومة جديدة

ويذهب بعض المحللين إلى أن سبب الأزمة الحالية في لبنان هو تمسك الأكثرية بالدستور لانتخاب رئيس جديد وتمسك الأقلية «المعارضة» بمبدأ «الديمقراطية التوافقية» القائم على أساس ميثاق العيش المشترك، لانتخاب الرئيس ومن هنا جعلت من تعطيل انعقاد المجلس النيابي «حقا دستوريا» لها ويجمع الكثيرون على أن الدستور اللبناني يكاد يكون الوحيد في العالم الذي يشمل في الفقرة «ي» من مقدمته أن «لا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك» كما جاء في المادة (٩٥ /أ) منه أن «تمثل الطوائف بصورة عادلة في تشكيل الوزارة» لذلك أقدمت كل من المعارضة والأكثرية على استغلال هذا التناقض بين الدستور وميثاق العيش المشترك لتحقيق أهدافها السياسية.

إن فكرة التوافق بين المعارضة والأغلبية تفترض في الأساس الموافقة على طريقة «لا غالب ولا مغلوب» وأن سبب التعطيل خصه العماد ميشيل عون ممثل المعارضة في لقاء حاسم مع عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية حامل المبادرة العربية إلى أطراف الأزمة اللبنانية عندما قال له «نحن نريد ١١ وزيرا + ١٠ + ١٠» وتتوزع المقاعد الباقية «٩» في الحكومة بين الأكثرية ورئيس الجمهورية المنتخب، واللافت أن المبادرة العربية التي تهدف إلى حل أزمة الفراغ الرئاسي وتشكيل حكومة وحدة وطنية تتضمن ثلاثة أمور هي انتخاب رئيس جديد للجمهورية في لبنان، وتشكيل حكومة جديدة ووضع قانون جديد للانتخاب. ومن اللافت أن سوريا كطرف إقليمي مؤثر في انتخاب الرئيس الجديد وفي تشكيل الحكومة الجديدة بحكم ارتباطها بالمعارضة اللبنانية «حزب الله وحركة أمل والتيار الوطني الحر» ترى أن صيغة الثالثية المطروحة (١٠ + ١٠ + ١٠) أي ١٠ وزراء للأكثرية و ١٠ وزراء للمعارضة و ١٠ وزراء لرئيس الجمهورية الجديد هي الصيغة المنطقية، إذ هي تحقق التوازن المطلوب بين الفرقاء اللبنانيين وتضمن تطبيق مبدأ «لا غالب ولا مغلوب» وفي هذا السياق نقل ممثلو المعارضة إلى «هشام يوسف» مدير مكتب الأمين العام للجامعة العربية أن تفسيرهم لما جاء في البند الثاني من المبادرة العربية «تشكيل حكومة وحدة وطنية» هو اعتماد صيغة «الثالثة» بين المعارضة والأكثرية والرئيس المنتخب وهي (١٠ + ١٠ + ١٠).

وإذا كان هذا الأمر متعذر التوافق عليه فإن المعارضة تصر على المطالبة بحصة الثلث الضامن أو ما يسمى بالثلث المعطل «١٠ + ١» كحد أدنى في أي تشكيلة حكومية كما أن ممثلي الأكثرية عبروا عن استعدادهم للسير في اقتراح الأمين العام «عمرو موسى» وهو صيغة ١٣ وزيرا للأكثرية و ١٠ وزراء للمعارضة و ٧

وزراء للرئيس الجديد.

والجدير بالذكر أنه في الاجتماع الرباعي الثاني في ١٩ / ١ / ٢٠٠٨ في لبنان لدى ضم العماد «ميشيل عون» ممثل المعارضة والرئيس الأسبق «أمين الجميل» زعيم «حزب الكتائب» والنائب «سعد الحريري» زعيم تيار «المستقبل» وممثل الأكثرية ود. «عمرو موسى» الأمين العام للجامعة العربية، ذكر «جبران باسيل» ممثل «ميشيل عون»: «أنه فيما يتعلق بتشكيل حكومة الوحدة الوطنية فإن تفسير المعارضة هو أن يكون التوزيع مثالثة (١٠ + ١٠ + ١٠) بين الأكثرية والمعارضة والرئيس الجديد باعتبار أن هذه الصيغة لا تعطي إمكانية الحصول على حق الإسقاط للمعارضة أو حق الإقرار للأكثرية وأن صيغة ١٣ للأكثرية و١٠ للمعارضة و٧ لرئيس الجمهورية التي اقترحها «عمرو موسى» بصفة شخصية تعطي للأكثرية حق الإسقاط أو التعطيل كما تعطيها الترجيح «١٣ + ٧» في حال انضمام أصوات الوزراء الذين سيختارهم الرئيس المنتخب «وهم هنا ٧ وزراء» إلى أصوات الأكثرية «وهم هنا ١٣ وزيراً».

والحقيقة أنه أمام احتدام الخلاف بين المعارضة والأكثرية حول تشكيل الحكومة الجديدة قدم «عمرو موسى» اقتراحا للتفكير فيه يقوم على إعطاء الأكثرية ١٣ وزيراً، والمعارضة ١٠ وزراء، والرئيس الجديد المنتخب ٧ وزراء، مع دراسة إمكانية التوصل إلى تفاهم سياسي بين الطرفين يمنح المعارضة والأكثرية ضمانات وتطمينات متبادلة.

وفي هذا الإطار عرض الأمين العام للجامعة العربية تفسير الجامعة للبند الثاني من المبادرة العربية المتعلق بتشكيل الحكومة الجديدة على أساس أن القاعدة التي يبنى عليها هذا البند هي «أن أي صيغة لتشكيل الحكومة الجديدة يجب ألا تمنح «الثلث + واحد» (١٠ + ١) للمعارضة الذي يمنحها حق الإسقاط أو التعطيل، ولا «النصف + واحد» (١٥ + ١) للأكثرية الذي يمنحها حق إقرار أي قرارات تريدها، على أن يكون لرئيس الجمهورية حق الترجيح» واللافت للانتباه في هذا الصدد أن الحد الأقصى المطروح لهذا التفسير يمكن أن يكون ١٥ وزيراً للأكثرية و١٠ وزراء للمعارضة و٥ وزراء لرئيس الجمهورية. وأن الحد الأدنى كما تطرحه المعارضة هو صيغة المثالثة (١٠ - ١٠ - ١٠) وفي كل الأحوال فإن المعارضة وفق تفسير مبادرة الجامعة العربية لن يكون باستطاعتها الحصول على الثلث الضامن أو ما يسمى الثلث المعطل «المؤثر» وهو (١٠ + ١) كما أن الأكثرية لا يمكن أن تحصل على «النصف + واحد» أي (١٥ + ١) ومن المعلوم أن الأكثرية وافقت من حيث المبدأ على السير في اقتراح الأمين العام «عمرو موسى» وهو صيغة «١٣ - ١٠ - ٧» السابق الإشارة إليها وقد أكد العماد «ميشيل سليمان» الرئيس التوافقي والمرشح لتسلمه رئاسة الجمهورية اللبنانية حرصه على لعب دور المحايد بين الطرفين المعارضة والأكثرية، وتعهد بأن ينحاز إلى التوفيق بينهما في القضايا الخلافية بحيث لا يكون الوزراء الذين سيختارهم مؤيدين لهذا الفريق أو ذاك. حفاظا

على وحدة البلاد والتوافق الوطني بين مختلف الفرقاء اللبنانيين.

ويرى بعض المراقبين أن الزيارة غير المعلنة التي قام بها وزير الخارجية السعودي «سعود الفيصل» إلى دمشق التي تمثل عنصراً مؤثراً على المعارضة اللبنانية «خصوصاً حزب الله وحركة أمل» لم تحقق هدف الزيارة لتقارب المنشود بين موقف الرياض التي لا تزال تصر على ضرورة تعاون دمشق لتنفيذ المبادرة العربية بما يضمن انتخاب العماد «ميشيل سليمان» رئيساً للجمهورية اللبنانية وتشكيل حكومة وحدة وطنية تحفظ للأكثرية حقها في أن تكون أكثرية، وبين موقف دمشق التي تنتصر لقسمة مقاعد الحكومة الجديدة بين الأكثرية- والمعارضة والرئيس المنتخب بحيث يحصل كل منهم على ثلث مقاعد في هذه الحكومة أي (١٠ + ١٠ + ١٠) وهو الوضع الذي ترفضه الأكثرية لأنه يعطل تسمية رئيس الحكومة ويعطل أيضا تعيين كبار المسئولين في الحكومة وفي القوات المسلحة الذين يدخل تعيينهم في اختصاص مجلس الوزراء الجديد.

ومن جهة أخرى جاء على لسان المتحدث باسم المعارضة العماد «ميشيل عون» أن المعارضة تريد تسمية رئيس الوزراء، ووزراء السيادة ابتداء من الداخلية إلى العدل والخارجية والمالية والدفاع كما تريد أيضا قسمة مقاعد الحكومة الجديدة على أساس ١٤ وزيرا للأكثرية و١١ وزيرا للمعارضة و٥ وزراء لرئيس الجمهورية بما يعني بقاء الثلث الضامن في يد المعارضة بدلاً من اقتراحها السابق الذي يقضي بالمثالثة المتساوية (١٠ - ١٠ - ١٠) بين الأكثرية والمعارضة والرئيس المنتخب أما بشأن موقف الأكثرية فقد أكدت مصادر لبنانية أن «نبيه بري» رئيس المجلس النيابي أبدى مرونة في اجتماعه مع «عمرو موسى» لكنه بقي في السياق العام موقف المعارضة خصوصاً أن موافقته على الصيغة التي اقترحها الأمين العام للجامعة العربية وهي (١٣ + ١٠ + ٧) بين الأكثرية والمعارضة والرئيس المنتخب جاءت مشروطة بأن يكون للمعارضة رأي حاسم في تسمية وزير من الوزراء المحسوبين على رئيس الجمهورية وهو ما يعني ربط تحديده عن صيغة المثالثة (١٠ + ١٠ + ١٠) بالحصول بطريقة غير مباشرة على الثلث المعطل المؤثر وهو (١٠ + ١) وهو ما تركز المعارضة عليه.

ويذكر المحللون أن المبادرة العربية ترفض صيغة المثالثة (١٠ + ١٠ + ١٠) لأنها تنطوي في جوهرها على سلب الأغلبية «الأكثرية» حقها في أن تكون أغلبية مما يعيد الجميع «أكثرية ومعارضة» أنفسهم مرة أخرى أمام المربع رقم ١، ويتواصل وجود الفراغ الرئاسي انتظاراً لمجهول لا يعرف ما يحمله من أخطار على الداخل اللبناني.

وتسجل مصادر قريبة من فريق المعارضة عدداً من النقاط الخطيرة نذكر وهي:

- أولاً: على الرغم من الشروط الجديدة التي طرحها العماد «ميشيل عون» ممثل المعارضة في الاجتماع الرباعي وأزعجت «عمرو موسى» وفاجأت «نبيه بري» رئيس المجلس النيابي والقاضية بالإصرار على الثلث المعطل أو المؤثر

(١٠ + ١) في تشكيل الحكومة الجديدة والاتفاق على مواصفات رئيس الحكومة وعلى تحديد حقائب الوزارية السيادية الأربع على وزارتين سياديتين للمعارضة فقد أبلغ «نبيه برى» عمرو موسى عند حضوره إلى بيروت وكد له أنه مع خيار توزيع الحصص على أساس الثلاثة أى ١٠ وزراء للأكثرية و١٠ وزراء للمعارضة و١٠ وزراء للرئيس الجديد.

● وثانياً: أن فكرة توزيع الحصص مثالثة داخل الحكومة الجديدة وهي موضوع الخلاف الأساسي بقيت على طاولة المفاوضات وأن قادة الأكثرية لم يعلنوا موافقتهم عليها في ظل رفض الرئيس الأسبق «أمين الجميل» والنائب «سعد الحريرى» للثلث المعطل (١٠ + ١) للمعارضة.

● وثالثاً: يعتبر «نبيه برى» رئيس المجلس النيابي أن خيار توزيع الحصص على أساس (١٠ + ١٠ + ١٠) يحظى بغطاء عربي لأنه سبق لسوريا أن وافقت عليه في وقت لا يحظى الثلث المعطل بهذا الغطاء.

ولقد أسفرت زيارات موسى إلى لبنان عن ثلاثة مواقف فيما يخص الخلاف على نسب التمثيل في تشكيل الحكومة الجديدة.

● الأول: مطالبة العماد ميشيل عون بالثلث المعطل وهو (١٠ + ١) للمعارضة إضافة إلى شرطي الاتفاق على اسم رئيس الحكومة الجديدة والحقائب الوزارية السيادية.

● والثاني: موقف الأكثرية المتمسك بمقترح «عمرو موسى» الشخصي باعتماد توزيع الحصص على أساس ١٣ وزيرا للأكثرية و١٠ وزراء للمعارضة و٧ وزراء للرئيس الجديد.

● والثالث: هو موقف «نبيه برى» رئيس المجلس النيابي المرحب بفكرة المثالثة (١٠ + ١٠ + ١٠) لاعتقاده أنها تحظى بموافقة الجانب السوري.

أما مواقف القوى الإقليمية من انتخاب رئيس جمهورية جديد للبنان فقد أخذت مسارات مختلفة.

● فأولاً: تؤكد دمشق احترامها ما يتفق عليه الأطراف اللبنانية بشأن اختيارهم رئيسهم الجديد وأنها لا تنوى أن تتدخل في الانتخابات الرئاسية اللبنانية وأشارت إلى مقترح «برى» رئيس المجلس النيابي الداعي إلى انتخاب رئيس للجمهورية بالتوافق مع ضرورة توفر نصاب ثلثي أعضاء مجلس النواب لانتخاب الرئيس الجديد.

● وثانيــاً: تصــر الرياض على أن تكون انتخابات الرئاسة في لبنان «بعيدة عن النفوذ السوري والإيراني» ولا ينبغي أن تكون مسألة اختيار الرئيس الجديد «بازارا سياسياً» كما لا ينبغي أن تسعى المعارضة لفرض مرشح للرئاسة تكون مهمته الأساسية التفكك والتملص من القرارات الدولية الشرعية.

● وثالثاً: تصرح باريس بأنها ترفض فكرة التدخل الدولي في انتخابات الرئاسة اللبنانية وتعتبر أن عن لبنان واستقراره واختيار رئيسه الجديد لا يستدعي حلا من الخارج وتؤكد أن الرئيس القادم ينبغي أن يأتي بالتوافق بين الأطراف اللبنانية المعنية وأن طهران تساند مبادرة «نبيه برى» حول الاستحقاق الرئاسي.

● ورابعاً: تصر واشنطن على إبعاد نفوذ طهران ودمشق من الاستحقاق الرئاسي وأعلنت الولايات المتحدة بصراحة أن هدفها في المرحلة الحالية هو استبعاد النفوذ الإيراني والسوري من مجلس اختيار الرئيس اللبناني الجديد سواء كان نفوذا مباشراً أو غير مباشر من خلال حزب الله وفي هذا السياق رفض رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة «مايكل مولين» الربط بين إرسال المدمرة «يو إس إس كول» قبالة السواحل اللبنانية والسورية وبين انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية الذى تأجل حتى ١١ مارس ٢٠٠٨ وأكد مصدر أمريكي مسئول لصحيفة «الحياة» بعدد بتاريخ ١ / ٣ / ٢٠٠٨ «أن سوريا هي الجهة المستهدفة من إرسال المدمرة كول وأن الأزمة الرئاسية اللبنانية مستمرة وتعطى من الدور السوري مهدا لاتخاذ هذه الخطوة» متمنيا أن «تقنع الخطوة السوريين بتغيير تصرفهم حيال لبنان لأن ليس هناك أى دليل على أنهم يلعبون دوراً بناء اليوم لا في دفع المبادرة العربية ولا في لبنان عموما» ووصفت سوريا هذه الخطوة الأمريكية بأنها «رهان فاشل» وأن القمة العربية ستعقد في موعدها في ٢٩ و٣٠ مارس ٢٠٠٨ وعن الاتهامات الموجهة إلى دمشق بعرقلة حل في لبنان قال وزير الخارجية السوري «وليد المعلم»: «إن من يعرقل الرئيس التوافقي في لبنان معروف للجميع» في إشارة إلى واشنطن وأضاف المعلم «إن وجود المدمرة كول قبالة لبنان يؤكد أن واشنطن تقوم بتعطيل ما يطرح من حلول للأزمة اللبنانية».

ويمكن التأكيد في ضوء ما سبق أن الإنجاز الكبير الذى حققه الأمين العام للجامعة العربية «عمرو موسى» في جمع كل من الرئيس اللبناني الأسبق «أمين الجميل» زعيم حزب الكتائب والنائب «سعد الحريرى» زعيم كتلة «المستقبل» وممثل الأغلبية والعماد ميشيل عون زعيم تكتل الإصلاح والتغيير وممثل المعارضة حول طاولة واحدة ظل غير مكتمل مالم يتوج بإجماع الأكثرية والمعارضة على تبنى المبادرة العربية التي توصل إليها وزراء الخارجية العرب في اجتماعهم في القاهرة كإطار عام لحل الأزمة السياسية اللبنانية.

والحقيقة أن جوهر الخلاف الراهن بين الأكثرية والمعارضة أن الأخيرة لاتزال متمسكة بالثلث المعطل أو الضامن كما تسميه وهو (١٠ + ١) أى أن يكون لها ١١ وزيرا في حكومة جديدة تتألف من ثلاثين وزيرا وهو أمر ترفضه الأغلبية وفي ختام يمكن أن نقول نصائح من يبقى لبنان الشقيق بلا رئيس؟ وهل من المعقول أن يظل كرسى الرئاسة شاغرا بلا رئيس؟ وماذا يريد الطرفان «الأكثرية والمعارضة» من حل أزمة الفراغ الرئاسي وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية؟ ولماذا لا يتفقان على إنقاذ لبنان من الوضع الخطير الذى يمكن الانزلاق إليه؟ وهل يريدون حقا تدويل الأزمة السياسية اللبنانية؟ ولماذا هذا العناد الذى يهدد الوحدة الوطنية اللبنانية؟ يا سادة إن مصلحة لبنان يجب أن تنأى عن كل الخلافات الحزبية وكفى إهداراً للوقت فإن الخطر جسيم والوضع خطير والأعداء يتربصون بلبنان الدوائر.

ومع ذلك فالجميع متفائل والفرصة متاحة في أن يتوجه نواب المعارضة ونواب الأغلبية إلى مجلس النواب اللبناني ليقولوا: «نعم» للرئيس التوافقي «ميشيل سليمان» ولا لزوم لتأجيل ذلك مرة أخرى.

بين الصحف



المجلات

إعداد

محمود الفشني

علا عبد الرحمن

جنة الديمقراطية

فى الأهرام العربى فى ٢٠٠٨/٣/٢٢ قال أحمد عبدالحكم فى تقرير اعده عن الأوضاع المتردية والانتهاكات الامريكية فى العراق:

إلى الذين صدعوا رؤوسنا بالترويج للديمقراطية الامريكية في منطقتنا على أن يكون العراق هو مركز الشع والإشعاع.. على هؤلاء أن يخجلوا ويطلبوا نصرهم فبين فقد تحقق ما أرادوا وإليهم الدليل

● يتراوح عدد المفقودين العراقيين خلال الحروب الأخيرة مليونا و٣٧٥ ألف عراقى فيما اختفى عشرات الآلاف وقد تعذر إطلاقا تحديد هوية الكثيرين ممن قتلوا في العنف الجارى لأن مصلحة الطب الشرعي لم تستلم سوى نسبة ضئيلة من الجثث.

● يقبع حاليا في السجون عشرات الآلاف من العراقيين جميعهم تقريبا من الرجال الذين يعيشون بعيدا عن ديارهم بعدما تركوا وراءهم أسرا تعيلها امرأة في معظم الحالات

● معسكر بوكا الواقع في الجزء الجنوبي من البلاد بالقرب من البصرة والذي تقوده القوات الأمريكية أكبر مكان للاحتجاز في العراق إذ يأوى ٢٠ ألف سجين. ولا يتمكن ذووهم من زيارتهم خصوصا القادمين من محافظتي الأنبار وبغداد.. فهؤلاء قد يفقدون حياتهم في هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر

المصادر العراقية تفيد بأن أكثر من ٢٢٠٠ طبيب وممرض قتلوا كما خطف ما يزيد على ٢٥٠ ومن الاطباء المسجلين عام ١٩٩٠ والبالغ عددهم ٣٤ ألف طبيب.. غادر البلاد منهم ما لا يقل عن ٢٠ ألف.. وبات واضحا الآن أن نظام الرعاية الطبية في العراق هو الأسوأ من أى وقت مضى.. فقد أزهقت العديد من الأرواح بسبب قلة الرعاية الطبية.

● لقد تفشى مرض الكوليرا العام الماضي حيث يضطر العديد من العراقيين إلى الاعتماد على مصادر مائية غير صحية.. ولم يعد بمقدور العديد منهم الحصول على الماء النقى

● تدهورت الخدمات بشكل رهيب. فالعراقيون يشتكون من الشكوى من الانقطاع المتواصل للكهرباء. فقد تدهورت شبكة الإمداد بالكهرباء خلال العام الماضي ودرجات الحرارة تصل إلى ٥٠ درجة صيف ومع ذلك لا تتلقى كثير من المناطق الكهرباء سوى ساعة واحدة يوميا.

ومآسى أخرى يعانى منها الشعب العراقي المنكوب بجنة الديمقراطية المزعومة.

ليس هناك «شعب يهودى» بل فقط «ديانة يهودية»

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة ليلى حافظ في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٨/٣/٥

عندما قام «المؤرخون الجدد» في إسرائيل بفتح الملفات القديمة بعد مرور ٤٠ عاما على قيام الدولة العبرية وكشفوا أول كذبة لفقها أعضاء المنظمات اليهودية العالمية لتبرير الاستيلاء على أرض فلسطين لإقامة دولتهم وهى أنها كانت أرض بلا شعب وكتب المؤرخون الجدد أبحاثا تؤكد صحتها وبأن ما بها سكانا والدراسات التى تؤكد أن الفلسطينيين كانوا يعيش فيها شعب هو الشعب الفلسطيني. وأن المستوطنين اليهود الأوائل ذبحوا من ذبحوا وطردوا من طردوا وهرب من الهرب من هرب خوفا من بطش المستوطنين اليهود

فقد نشر شلومو زاند المؤرخ الإسرائيلى والأستاذ بجامعة تل أبيب كتابا بالعبرية في إسرائيل بعنوان «متى وكيف تم اختراع الشعب اليهودي» أكد فيه كذب المقولة أن هناك «شعبا يهوديا» وأنه هرب لاجئا من بطش الرومان في عام ٧٠ ميلاديا وقال ليس هناك ولم يكن هناك أبدا شعب يهودى بل فقط ديانة يهودية

يدحض الكتاب الجديد الذى أثار ردود فعل واسعة النطاق داخل إسرائيل الفكرة الأساسية التى قامت عليها الدولة الإسرائيلية والتى ينص عليها إعلان الاستقلال الإسرائيلى بقوله «الشعب اليهودى نشأ فى أرض إسرائيل وطرد من أرضه»، ويتعلم كل تلميذ أن الشعب اليهودى طرد من أرضه في عصر الرومانيين في عام ٧٠ ميلادى وأن الشعب ظل مخلصا لأرضه التى عاد إليها بعد ألفى عام من المنفى ولكن المؤرخ الإسرائيلى زاند ينفى تلك المعلومات ويؤكد في كتابه الجديد أنه لم يكن هناك أبدا «شعب يهودى» ولكن فقط «ديانة يهودية»، كما يؤكد الكتاب أن الرومان لم

ينفوا أبدا اليهود كما لم ينفوا شعوبا كاملة بل سمح الرومان لمعظم اليهود بالبقاء في البلاد ولم يزد عدد الذين نفوا إلى الخارج عن عشرات الآلاف وعندما دخل العرب البلاد اعتنق العديد من اليهود الإسلام وتم دمجهم في المجتمع العربي.

ويتصاعد تساؤل مهم وهو إذا كان عدد اليهود الذين خرجوا من أرض فلسطين في زمن الرومان لم يكن عاليا فكيف وصل عددهم إلى الملايين في جميع أنحاء العالم؟ ويجيب زاند بقوله: «إن من هاجر من اليهود هاجر بمحض إرادته ومن نفي إلى بابل بقي فيها لأنه اختار ذلك». ويعكس ما هو سائد من أن اليهود لا يقبلون أن يعتنق غير اليهود ديانتهم فإن اليهود المهاجرين أجبروا غير اليهود إلى الدخول في ديانتهم وهو ما حدث خوفا منهم، وذلك يفسر وجود الملايين منهم في العالم ويفسر الكتاب الذي استند على العديد من الدراسات في إسرائيل نفسها ولكنها ظلت سرية حتى لا تثير بلبلة كيف أن يهود إسبانيا يشكلون مجموعة من العرب الذين اعتنقوا اليهودية ومن الأوروبيين الذين اعتنقوا اليهودية أما «الاشكيناز» وهم اليهود الغربيون المقيمون في ألمانيا، يؤكد زاند أن هؤلاء لم يأتوا من أرض إسرائيل كما يقال ولم يتوجهوا إلى أوروبا الشرقية قادمين من ألمانيا ولكنهم تحولوا إلى الديانة اليهودية في مملكة خازار في منطقة القوقاز. ويفسر زاند أن أصل الثقافة اليديشية فهي ليست ثقافة قادمة من ألمانيا ولكنها نتيجة التواصل بين أبناء الخازار الذين اعتنقوا اليهودية والألمان الذين توجهوا إلى الشرق للتجارة

ويقول زاند في كتابه الذي علق عليه توم سجيف أحد المؤرخين الجدد الإسرائيليين «إن الصهاينة كانوا في حاجة لأن يخلقوا لأنفسهم عرقا مشتركا واستمرارية تاريخية وهو ما أسفر عن سلسلة من الأكاذيب والاختراعات بالإضافة إلى تأليف نظريات عرقية ودمجها في عقلية الحركة الصهيونية ونتيجة لذلك فإن زاند يخلص إلى رفض كل النصوص والقصص التوراتية التي تشير إلى الهوية القومية اليهودية بما في ذلك الهجرة من مصر، بالإضافة إلى رفض كل المآسي التي قيل: إنها جرت مع غزو جوشوا، وقال إن كل تلك القصص ما هي إلا أساطير غير صحيحة تستخدم كمبرر لإقامة الدولة الإسرائيلية وكمبرر لدعوة كل يهود العالم إلى العودة إلى أرض إسرائيل تماما كما فعل من جوريون وإسحق بن زفي وآخرون قبل ثلاثين عاما من إعلان الاستقلال في عام ١٩٤٨.

ويرى زاند في كتابه أن الحل الوحيد الآن هو إقامة دولة لكل المواطنين: اليهود والعرب وليس دولة يهودية كما تريد السلطات الإسرائيلية

مجرد اجتهاد

كتب الأستاذ محمد الزرقانى فى مقاله الأسبوعى بجريدة اللواء الإسلامى الصادرة فى ٢٠٠٨/٣/٢٧ عن تنصير المصرى «مجدى علام» يقول:

●● لعل المهم فى خبر اعتناق المصرى «مجدى علام» للمسيحية الكاثوليكية ليس هو «تنصر» هذا «الزنديق».. وقبل أن أتحدث عن المهم فإن مجدى علام هذا لا صلة له بمصر ولا بالإسلام منذ سنوات طويلة وعلاقته بهما مقطوعة تماما، وهو يعمل فى إحدى الصحف الإيطالية وهو كما وصفته «زنديق» ليس له صلة بالإسلام، إلا بالانتساب إليه، وهو شخص لا خلاق له يعيش حياته منفلتا ولذلك فكما كان يعيش وهو مسلم فسيظل يعيش وهو كاثوليكى وما إعلانه اعتناق الكاثوليكية إلا وسيلة للتقرب من سادته الذين باع لهم نفسه المريضة والذين اشتروه بثمن بخس لكى يكون وسيلة لضرب الإسلام والعروبة وهم فى ذلك واهمون!

●● والمهم فى هذا الخبر هو قيام بابا الفاتيكان «بندكت» بنفسه بتعميد هذا الشخص «الزنديق» وهو بذلك يوجه رسالة إلى العالم الإسلامى والمسلمين فى العالم كله بأنه ماض فى طريقه لدى أعلنه صراحة من قبل وهو أن تنصير المسلمين مسألة «حياة أو موت» بالنسبة له ولسياسة ... كاثوليك، وهو شخص مسؤول بالنسبة له ... بالنسبة ... كاثوليك، ولو عاد ... بعثات التبشير، لأدرك كم يرهم ... يعيش فيه هو ومن ... ورائه ... «الفاتيكان» فعبر مئات السنين فشلت البعثات التبشيرية التى صاحبت القوات الأوروبية الاستعمارية فى كل بلدان إفريقيا وآسيا فى أن تجبر أبناء هذه البلدان المسلمين على ترك دينهم واعتناق المسيحية بالرغم مما قامت به هذه البعثات من ترغيب قليل بالمال والغذاء ومن ترهيب كثير ورهيب مستعينة فى ذلك بقوات وأسلحة المستعمر.. تعرض المسلمون فى هذه البلدان لعمليات قتل وتنكيل وتعذيب على أوسع نطاق وحرقت ودمرت قراهم ومدنهم وحوصروا بالجوع والعطش لإجبارهم على التخلى عن دينهم إلا أن الإسلام بقى راسخا فى نفوس هؤلاء الناس البسطاء الذين أسلم أجدادهم عن اقتناع، أسلموا بقلوبهم وعقولهم، أسلموا مختارين وغير مجبرين.

الانسان عدو ما يجهله..

وحبيب ما يعلمه

كتب د. عبدالله النجار فى عموده «قرآن وسنة» بجريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٨/٣/٥ عن فكرة الغرب عن الإسلام والمسلمين يقول فيه:

يبدو أن فكرة بعض إخواننا من غير المسلمين عن الإسلام ليست حسنة، فهم لا يتصورون الإسلام إلا مصدرا للإرهاب، وخطرا على أمن البشرية وحياتها. ولا يرون المسلمين إلا أنصارا لتلك المبادئ التي أشاعها الإسلام فيهم والتي لا تخرج عن كره الآخرين ونبذ المعيشة معهم، والاستهانة الكاملة بالنفس البشرية والعمل على منع حمايتها، وهذا كله لا أساس له من الصحة، ولا ظل له من الحقيقة، لأن الإسلام هو الدين الذي يظهر فيه - واضحا جليا - الحرص على حفظ النفس الإنسانية لجميع البشر، وأنه يحظر على كل إنسان أن يمس تلك النفس البشرية على نحو يؤذيها أو يهلكها، أو يلحق تلفا بها من أي نوع، بل إنه هو الدين الذي يعلن في وضوح وصراحة حمايته لكافة حقوق الإنسان، ومنها - بجانب حماية النفس البشرية - حقه في حماية شرفه واعتباره، وحريته الكاملة في ممارسة جميع مفردات حقوقه كإنسان ومما يدل على أن تلك الفكرة قائمة في أذهانهم وأنها تحتاج إلى تصحيح. أنني لم أكد أنتهي من كلمتي التي ألقيتها في اللقاء السنوي للحوار بين الأديان بين الأزهر ووفد الفاتيكان، بعنوان: (الإيمان بالله وحب القريب)، والتي ورد فيها أن الإسلام يحمي الكيان الآدمي لكل إنسان بصرف النظر عن دينه ومعتقده أو جنسه أو لونه. لأنه - أي الآدمي - بناء الرب ملعون من هدمه، وذلك على نحو ما ورد في الأثر الدال على ذلك. أقول لم أكد أنتهي من كلمتي حتى طلب الكاردينال جان لوي رئيس وفد الفاتيكان التعليق على ما قلته، وبعد أن أبدى إعجابه بما سمعه من تعاليم الإسلام في المحافظة على النفس البشرية قال ما نصه: «أن هذا كلام جميل وطيب وأحسن ما فيه أنه يقال هنا في الأزهر الشريف». وقد فهمت من عبارته تلك أنه يسمع هذا الكلام لأول مرة. وأنه يناقض فكرة راسخة في نفسه تختلف عنه، وأن تركيزه على ذكر هذا الكلام في الأزهر الشريف يومئ إلى أن فكرته عن هذا المعهد العريق كانت مختلفة عنها قبل سماع هذا الكلام، وربما كان فكره متأثرا بتلك المقولات الكاذبة التي تصف الأزهر الشريف بأنه معهد لتخريج الإرهابيين والمتطرفين، فلما سمع ما قيل استغرب ما سمع وعلق عليه بما يشير إلى أن ذهنه كان مشغولا بفكرة مختلفة عنه. وهذا يؤكد المقولة الشهيرة التي جاء فيها: أن الإنسان عدو لما يجهله وحبيب لما يعلمه.

هزيمة الغرب التنويري

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربي الصادرة في ٢٠٠٨/٣/١ ورد فيها:

أعادت أوروبا القرن الحادي والعشرين إلى ظلام العصور الوسطى لعدة سنوات تشن حملة همجية ضد الإسلام والمسلمين وصلت ذروتها في نشر رسوم مسيئة للرسول - ﷺ - في الصحف الدانماركية للمرة الثانية بعد أن كانت الصحف نفسها قاعدة الانطلاق منذ ما يقرب من عامين وبدلا من الاعتذار لـ مليار و ٢٠٠ مليون مسلم حول العالم تمادت في التأكيد على موقفها بذريعة حرية التعبير وبذريعة التنوير الأوروبي وكلها ذرائع لا تنطلي على أي عقل غير ناضج.

فكيف يوافق الشعب الأوروبي بمختلف أجناسه وقومياته ولغاته على سب دين سماوي آخر في وقت لا يستطيع أن يشكك مجرد التشكيك في حادثة تاريخية هي المحرقة اليهودية التي يقال إنها وقعت في ألمانيا النازية إبان حكم الزعيم النازي أدولف هتلر؟ إن فلاسفة ومؤرخين وكتابا طالتهم المحاكمات بسبب التشكيك ليس في وقوع المحرقة نفسها إنما فقط في عدد القتلى.

وكيف لنا أن نصدق التنوير الأوروبي وحرية التعبير والتشدق بحقوق الإنسان في وقت يتحول فيه قانون معاداة السامية إلى سوط يطارد كل من يقترب بالسؤال عن مدى مصداقية المحرقة النازية أو الرؤية الصهيونية لتاريخ فلسطين العربية أو حتى سب السلوك اليهودي وليس الديانة اليهودية التوحيدية وكيف لأوروبا التي قيل إنها عانت من محاكم التفتيش وظلام القرون الوسطى أن تعمل على إرجاع الزمن لإشعال حروب الكراهية تمهيدا لحملة صليبية جديدة بذرائع دينية ساذجة؟

مجلس يستحق الرثاء..!!

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية يقول» في ٢٠٠٨/٣/٣ يقول:

يقف مجلس الأمن الدولي الخاضع للوصاية الأمريكية عاجزا عن إدانة الجرائم التي يرتكبها مجرمو الحرب الإسرائيلية في قطاع غزة من قتل للأطفال والنساء وقطع الطريق على سيارات الإسعاف وتدمير المساجد بالصواريخ، وتحول القطاع إلى محرقة وقودها من جثث المدنيين الأبرياء العزل من السلاح المحاصرين من كل جانب.

إن مجلس الأمن الذي نصبته الولايات المتحدة الأمريكية متصرفا في شئون الدول يستحق الشفقة بل الرثاء لعجزه الفاضح عن حماية المواثيق والمعاهدات الدولية التي قام على أساسها ومن أجلها وترك قوة عظمى غاشمة ودولة إجرامية تابعة لها تكتسبان بدماء الأبرياء في غزة شهادة رسوب المجتمع الدولي في امتحان حقيقي للحفاظ على حقوق الإنسان بينما نراه يستأسد في امتحانات أخرى مفتعلة ويحرك جيوش القتل والتدمير ضد الشعوب الرافضة لقوى الهيمنة والاستغلال.

***

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

ولا تزال المعركة التي يشنها الصليبيون الجدد ضد الإسلام مستمرة فبعد تصريحات وتصرفات لا مسئولة صدرت عن الرئيس الأمريكي جورج بوش وبطانته الحاكمة في الولايات المتحدة.. وأخرى مشابهة لبابا الفاتيكان طلع علينا نائب في البرلمان الهولندي «فيلدرز» بفيلم يهاجم الإسلام ويصف كتابنا المقدس «القرآن الكريم» بأنه كتاب فاشي، وبأن نبينا إرهابي!!

ويبدو أن هؤلاء لم تأمرهم كتبهم -التي يؤمنون بها- بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على نحو ما هو ثابت عندنا في قرآننا الكريم وفي سنة نبينا ﷺ، ومعجزاته وبيناته كما لم تطالبهم باحترام ديانات غيرهم.. إلا أننا مع ذلك لن ننزلق فيما انزلقوا فيه وسنظل على إيماننا بما أنزل الله وبما أرسل من رسل وأنبياء.

ولكن كان غريباً على الأمة الإسلامية بما تملك من مقدرات اقتصادية هائلة أنها لم تفكر يوما في تعريف هؤلاء بالإسلام.. لم يفكروا إلا بعد وقوع كارثة الإرهاب الذى ألصق بالإسلام زورا وبهتانا!!

لم نحاول نشر رسالة الإسلام في الأرض وتعريف شعوب العالم به على ما نملك من مقدرات إعلامية هائلة، إلا أننا انشغلنا بالاستثمارات المالية التي درت بالفعل أرباحا طائلة أعادت علينا بالوبال، إذ جلبت إلينا كل وسائل الرفاهية والترف بشكل جعلنا ننسى واجبنا نحو ديننا وضرورة عرضه وتقديمه وإبلاغه للناس في مشارق الأرض ومغاربها ولو فعلنا لكنا بالفعل قمنا بأداء حق فريضة الجهاد الأكبر.

ولكنه تكاسلنا وتقاعسنا، بل وأعرضنا حتى عن تقديم الإسلام لأبنائنا وأهلينا وعشيرتنا فخرج من بين صفوفنا للأسف من أساء فهم الدين وحقيقة الجهاد فعاث في الأرض فسادا وأساء إلى الإسلام أبلغ إساءة!!

قدمنا بأيدينا إلى عدونا السلاح لكي يفتك بنا ويهزأ من ديننا ويسخر من نبينا!! كيف لا والعالم كله يكاد يجهل حقيقة الإسلام ورسالة سيدنا محمد ﷺ.

ولكن رغم كل ذلك يزداد انتشار الإسلام في أوروبا وأمريكا بصورة مذهلة وصار الإسلام هو الديانة الثانية في أوروبا من حيث عدد السكان والديانة الأولى من حيث الإقبال على اعتناقه.. فالارتداد عن الديانة المسيحية واعتناق الإسلام في أوروبا والولايات المتحدة أصبح ظاهرة تقض مضاجع صناع القرار هناك.. والفيلم الذى أنتجه وروج له البرلماني الهولندي «فيلدرز» بقصد الإساءة والتشويه أدى إلى ارتفاع معدلات بيع المصاحف الالكترونية في هولندة بوجه خاص وفي كل أنحاء أوروبا بوجه عام.. إذ طلع الكثيرون على نسخة الفيلم التي يجري بثها على شبكة الانترنت، فانطلقوا يبحثون عن الحقيقة وصدق الله العظيم

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾

(الصف ٨)

القارة الأوروبية شهدت حديثا إقبالا غير عادي للتعرف على الإسلام وباتت يعتنقون الإسلام.. وهو الأمر الذى أثار غضب طغاة العصر.. إذ استغل بابا الفاتيكان فرصة اعتناق صحفي مصري مقيم في إيطاليا للمسيحية، فقام بنفسه باستقباله وتعميده والاحتفال به بشكل غير مسبوق ومحاولة الادعاء بأن هناك إنسانا خرج من الضلال إلى الهدى بالارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية.. وهي أمور لا نقدم نحن عليها مع ما نملك من وسائل إعلامية متنوعة وكثيرة.. ولكن ثلاثة هولنديين فعلوها بكل جرأة وشجاعة.. إذ اعتنقوا الإسلام وأعلنوا عبر شبكات الانترنت اعتناقهم له بعد اطلاعهم على ترجمة كاملة للقرآن الكريم أوجدت لديهم يقينا كاملا بكذب كل ادعاءات الفيلم الهولندي المشبوه وصاحبه «فيلدرز» الذى أصابه الذهول عندما أخبره أحد الصحفيين بأن فيلمه تسبب في زيادة مبيعات كتاب المسلمين «القرآن الكريم» وأن أنباء مؤكدة تقول بأن عددا من الهولنديين اعتنق الإسلام!!

أحمد تقي الدين

صبـــر القـــلوب

تحت هذا العنوان جاءت رسالة صديقنا الشيخ مصطفى الأزهرى ـ إمام وخطيب مسجد سوق الحمام ـ السيدة عائشة ـ قال:

تمر بنا نحن البشر في رحلة الحياة الدنيا محن وفتن وأزمات قد تعصف بالإنسان وتهدد كيانه وتنهار النفوس أمامها وهو المخلوق من ضعف وهلع كما وصفه اللطيف الخبير بقوله تعالى

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾

وكما أخبر عنه الخالق العظيم سبحانه بقوله

﴿ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾

ونحن نرى الناس أمـام الأزمـات أو الابتلاءات التي تقع بهم سواء الابتلاء بالنعم أو الابتلاء بالنقم والمصائب لا يخرجون عما وصف القرآن هذه الطبيعة السطحية التي تفرح بالنعمة والمسرة وتنهار وتضجر عند نزول المحنة ووقوع البلاء . قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾

وتلك هي نظرة المرء المتململ فاقد المعرفة بحكمة الخالق جل وعلا في تصريف الأمور ، ولو أيقن المرء أن ربه ما خلقه ليضره أو يهلكه أو ينتقم منه بلا سبب بل لما فيه خيره وصلاحه ، ولو رأى بعين قلبه ما وراء قول الخلق عز وجل

﴿ [illegible] ﴾

لاستراح قلبه واطمأنت نفسه ولرضي ـ حقا ـ بما قسمه الله له وقدره عليه ، من هنا ولعلم الله تعالى بنا نحن البشر لقد أنزل إلينا أدوية قرآنية تجدد فينا الأمل وتفتح لنا آفاقاً جديدة للحياة والصبر على ما فيها من صعاب وما يعتري المرء من أزمات ، فجاءت بالدعوة إلى (الصبر) آيات تترى ، وبدأت توجيهاتها لسيد الرسل ﷺ، "اصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا" "فاصبر صبرا جميلا" "فاصبر وما صبرك إلا بالله" . آيات عديدة تخص الحبيب المصطفى ﷺ وتزيده بأسا وقوة في مواجهة عقبات الدعوة وتكاليف نقل البشر من الظلمات إلى النور، كما أخذت آيات مثلها بأيدينا لنتخطى أزمات الحياة واختباراتها من بداية الطريق قال الله لنا:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾



فالصبر واجب والرضا مستحب، وعلى صخرة الصبر يتكسر اليأس ويتهشم السخط، واليقين على الأجر والثواب يمنح صاحب الأزمة طاقة ليس لها مثل ويكفيه لو فكر قول الله تعالى

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

أجل .. بغير حساب . كما أن الصبر طاقة بدنية وروحية هائلة . وهو كذلك على مرارة مذاقه له في قلوب أهل اليقين حلاوة ليس لها نظير . والعجيب أن يعتبره الإسلام أوسع أصناف العطاء كما أخبرنا رسولنا العظيم بقوله (وما أعطي أحدا عطاء خيرا وأوسع من الصبر)

عفـــو رســـول اللـــــه

من الأستاذ أحمد عبد المحسن على محمد ـ مدرسة الأورمان الثانوية للبنين النموذجية بالدقى جيزة كانت هذه الرسالة:

تخرصت الألسنة، وليس ذلك بجديد عليها، فقد استباحت لنفسها أن تتطاول على رسول الله ﷺ بالإساءة بالرسوم التي إن دلت إنما تدل على ذلك الحقد الدفين الذى ملأ تلك القلوب الغلف على الأمة الإسلامية وقدوتها الذى كان يقابل الإساءة بالعفو والصفح والغفران ويكفيه شرفا قوله تعالى فيه:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

لقدم :

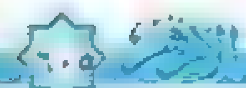
وقوله عن نفسه «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

● واللافت للنظر أن كل تلك الأباطيل تقال والبعض من المسلمين لا يحركون ساكنا وكأن الدنيا أعمت أبصارهم وحجرت قلوبهم وأصبحوا أبواقا للغرب يتشدقون بكلمات لا تسمن ولا تغنى من جوع كقولهم «حرية الرأى» في الوقت الذى إن حاول الفلسطينيون أو غيرهم التعبير عن غضبتهم لبلادهم وما يحدث بها من انتهاكات وتنكيل لهؤلاء العزل من أبنائهم عدوا ذلك إرهابا .. حتى صدق فيهم قول الشاعر:

والغرب يبسم ضاحكا فى ثوبه ..
وعقوق أمتنا النزوه يموج.

● هذه النفوس المريضة تنتقل فيها الأباطيل التى لا أساس لها من الصحة من مكان إلى مكان على سبيل السخرية واللمز يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون ما يعرفونه ويشيعون الأكاذيب حول من يقف أمام أهوائهم ومطامعهم.

● ومنذ بعثته ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهؤلاء حريصون على نشر الأكاذيب لإيذاء رسول الله ﷺ، ولا شك أن الحقد والعناد والأطماع على رأس الأسباب التى تحمل أصحابها على نشر تلك الأكاذيب حول غيرهم.



● إن أكثر الناس تعرضاً للإهانات الباطلة هم الأنبياء الذين أرسلهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وحضهم على التحلي بمكارم الأخلاق.

● وهذه الأكاذيب ليست بجديدة على هؤلاء فقد سجل القرآن الكريم ذلك حيث بين أن مشركي قريش قالوا في شأن الرسول ﷺ عندما دعاهم إلى إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى أنه ساحر وكذاب، قال تعالى:

«كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به»

● عفوا رسول الله فقد كثر السفهاء في عالم الإفك والبهتان

توعية المسلم.. خير من حوار الطرشان

ومن الأستاذ / إبراهيم مسلم ابراهيم النجار ـ مدير عام تنظيم وادارة سابقا ـ القاهرة ـ كانت تلك الرسالة:

● إننا نؤمن بأن الكلمة الطيبة قد تكون ثمرة في التعايش مع الآخر.. فالتزمت ليس من الإسلام.. إلا أن الغرب لا يعترف بذلك.. بل يحاربنا بكل الوسائل.. ولا غرو فقد بدت البغضاء من أفواههم برفض التشبكات الحوار معنا انطلاق من اعتقادهم الخاطئ أن دعوتنا إلى الحوار إنما هي ضعف المستهان.. ويتناسون أن أساس دعوة الإسلام تقوم على مبدأ الحوار والمجادلة بالحسنى قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

(النحل: ١٢٥)

● إنهم يشيعون بيننا الفرقة والانحلال والإفساد بكل أنواعه ويبثون المؤامرات الإلحادية والعنصرية خلق قوميات متنافرة متقاتلة متجردة من قوميتها وعروبتها لتلحق بركبها المبطن بغطاء رقيق من الإنسانية الزائفة عنوان حضارتهم المتردية المتعفنة التي تلفظ أنفاسها بعد أن قاست.. ولازالت.. تقاسي من ويلاتها شعوب الأرض.

● إنهم يريدون محو هوية الشرق العربي والإسلامي ووحدته الروحية الأصيلة التي زرعها الآباء والأجداد عبر آلاف السنين للقضاء على إسلامنا الحنيف ومبادئه التي تبشر بإنشاء حضارة أخرى جديدة تحتاجها الإنسانية.. ولأن ذلك يقلقهم ويقض مضاجعهم.. فكل همهم تحويل العالم عن قيادة رسول البشرية ومعلمها الأول محمد ﷺ إلى قيادتهم الشريرة.. ولكننا نقول لهم: «كفاكم عبثا ولهوا بمقدرات الشعوب، فلا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة!! أصحاب الجنة هم الفائزون.. ومهما حاربونا في ديننا وعقيدتنا وأساءوا بحقدهم وغلهم إلى رسولنا الكريم وقرآننا العظيم فلن يجدي ذلك معنا.. ولن نتأثر بأباطيلهم وبهتانهم فقد حفظ الله رسوله ﷺ الذي وصفه بقوله الكريم:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة: ١٢٨)

● إن مصالحهم ودعواتهم كلها تتكدس في الدعوة إلى تشويه صورة الحضارة الإسلامية.. وبذلك فإن ضعفنا أعطاهم الفرصة في التحرش والتعدي علينا ومعهم اليمين المتطرف من كتاب الكتاب في الداخل والخارج ليفتشوا في عضد الأمة ويقطعوا أوصالهم لتكون لقمة سائغة لأطماعهم ومخططاتهم. وأصبح محتماً علينا أن نستعيد ثقتنا في ماضينا وحاضرنا بإعادة بناء المجتمعات في بلادنا لتساير الأوضاع العلمية الحديثة.

● وحيث إنه لا غنى عن الدين في الرؤية المستقبلية خصوصا وأننا جعلنا الله أمة هادية وحملنا أمانة تبليغ رسالته فيجب علينا حسبما نعتقد العمل على تصحيح مفاهيم معتقداتنا التي نعرفها بما يتمشى ومتطلبات العصر

١ـ وضع ستراتيجية مشتركة بين الإعلام والديني بالتعاون الإيجابي بينهما لخدمة الدعوة الإسلامية على أن يكون إعلاماً قوياً ومتفتحاً يتمشى مع متطلبات العصر.. فقد أصبح الإعلام هو معيار وعي الأمة.

٢ـ تقديم صحافة جادة ومتطورة تقوم على التوعية الإسلامية بإفساح المجال للأكفاء من العلماء والمثقفين وأصحاب النقد الخلاق لنربي جيلاً مبدعاً.. بدلاً من هذه الأساليب التي تشكي على الوعي وتبير التحضر ولا تسمن ولا تغني من جوع، اللهم إلا بعض المبشرات هنا وهناك.

٣ـ إن الضعفاء لا يصنعون أمة ولا يبنون نهضة وعلينا مواجهة التحديات الداخلية والخارجية والعمل على تنمية شعبيات تمسك الأمة بالدين متمسكة ووسائل الإعلام خالية مما هي حتى أسباب تدهور لغتنا الجميلة وانحطاطها لانشغال الناس عنها والانصراف عن الدين فالسخرية من الفصحى في الأفلام والمسلسلات كارثة خطيرة. لأن اللغة العربية أكثر يسراً وسهولة وقدرة على التعامل مع مستجدات العصر، لذلك لابد من إعادة النظر في منهج الإعلام والارتقاء بالحوار لأنه هو الأصلح

نصائح لمرتادي الإنترنت

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ محمد عباس محمد عرابي. قال:

شبكة الإنترنت شبكة دخلت معظم البيوت، وهي سلاح ذو حدين تشتمل على الخير فتكون نعمة، وعلى الشر فتكون نقمة، لذا يجب على مرتادي الإنترنت استماع هذه النصائح حتى تكون عليهم هذه الشبكة نعمة لا نقمة:

١- لا تجعل الإنترنت يشغلك ويضيع وقتك فيما لا نفع فيه. فتتجول بين المواقع والمنتديات الساعات الطوال هدرا لساعات عمرك على حساب واجباتك، وحقوق الناس عليك من أهل، ووالدين، وأرحام. أو وظيفة تكسب منها قوتك وقوت من تعول.

٢- إياك ومواقع المحادثات التي تبدأ فيها بالتعارف، وتنتهي بالندم، واحرص على ارتياد المواقع والمنتديات المفيدة التي تضيف إلى علمك علما نافعا، وتوسع مداركك وآفاق معارفك.

٣- ألا يحتو الإنسان بجهاز الكمبيوتر بحيث يجعله في غرفة مغلقة فإن الشيطان يحضر حينئذ ويبدأ يمارس مهمته المعروفة لإغراء الإنسان بالولوج إلى بعض المواقع بحجة التعرف والاستطلاع بل يجب أن يكون الجهاز في مكان عام في المنزل، وليكن المكث معه في الأوقات التي يكون أهل البيت متواجدين فيها. فإن ذلك أبعد عن الشر.

٤- بما أن أطفالنا أصبحوا يعرفون كيف يستخدمون الإنترنت.. فمن الواجب أن نضع شروطا لهذا الاستخدام

أ- لا تعط معلوماتك الشخصية مثل عنوان منزلك ورقم هاتفك لأي شخص على شبكة الإنترنت إذا ألح أحد في هذا الطلب تجاهله تماما وقل: لا، مهما كانت الأسباب التي يعطيها

ب- لا تتحدث مع من تحدثه بأي ألفاظ بذيئة أو غير لائقة لأن ديننا يحض على مكارم الأخلاق.

جـ- أخبر والديك بأية معلومات غير ملائمة تجدها على الشاشة وتشعرك بعدم الارتياح

د- لا تقابل أي شخص تتعرف عليه في شبكة الإنترنت خارج المنزل.

هـ- ضع جدولا بمساعدة والديك للأوقات التي تجلس فيها على شبكة الإنترنت وعن طول المدة المسموح لك بها إلى جانب الإنترنت.

انتبهوا أيها السادة.. الخطر قادم!!

تحت هذا العنوان جاءت رسالة حملت توقيع. مصري وطني مخلص قال فيها:

ظاهرة خطيرة فرضت نفسها على الساحة في الآونة الأخيرة، وهي إقبال عدد كبير من تجار مصر المحروسة على جلب كافة المنتجات الصينية دون تمييز بين ما هو موجود من صنع محلي وما هو غير ذلك، مما يعني ضرب الصناعات الوطنية في الصميم تحت شعار الربح الوفير والربح في حد ذاته لا عيب فيه، ولكن هناك عدة عوامل أهمها السعر الزهيد. ولو نظرنا بعين البصيرة إلى الأسباب التي أدت لذلك وهي: المغالاة في أسعار الخامات المستخدمة محليا وارتفاع أجور العمال الذين يقومون على هذه الصناعات، وكذلك الضرائب المتعددة التي تفرض على الخامات سواء محلية أو جمارك إن كانت مستوردة من الخارج، كما لو كانت كل هذه العوامل تضافرت لتفرز لنا هذه المنظومة المتكاملة التي أدت إلى تقهقر الصناعات الوطنية أمام الغزو الخارجي للمنتج المحلي ولكن أخطر هذه الظواهر: ظاهرة استيراد اللوحات والمعلقات التي كتب عليها آيات من القرآن الكريم أو أسماء الله الحسنى، أو بعض الأدعية الدينية الجميلة.. والتي كانت تصنع في مصر بأيدي عمال مهرة في خان الخليلي والنحاسين، وكانت مصدر رزق لآلاف الأسر التي توارثت هذه الحرف الدقيقة على مر أجيال عديدة، وعاش عليها تجار كثيرون وكانت معلما من معالم السياحة في مصر توارت هذه الحرف والصناعات وانزوت في ركن سحيق من السوق المصري وظهرت مكانها المنتجات الصينية مما يعني ضياع حرف عاشت عليها أجيال ثم صار أرباب تلك الحرف عالة على المجتمع لعدم قدرتهم على مجاراة السوق الصيني الذي تفتح له الأبواب على مصاريعها لتقبر صناعاتنا في ركن مظلم من الشارع السياحي بخان الخليلي، وأهدرت الطاقات البشرية على ما تملك من مهارة فنية نادرة. وأضيف طابور آخر من العاطلين إلى طوابير أخرى سبقت.

وعلى المدى البعيد لن يكون صناع خان الخليلي وتجاره هم الذين يتجرعون كأس الضياع. بل سوف تلحق بهم سوق السياحة لأن السائح سوف يجد في أماكن أخرى متعددة بعد التمتع بالسياحة الأثرية سوف يجد متعة التسوق وبأسعار رخيصة ونكون بذلك أضفنا بأيدينا خسارة جديدة.. لعلنا ننتبه قبل فوات الأوان.





في بيانها الختامي .. في داكار:

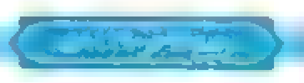
القمة الإسلامية تتهم إسرائيل بارتكاب جرائم حرب

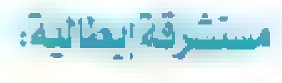
اتهمت القمة الإسلامية في ختام أعمالها بالعاصمة السنغالية داكار إسرائيل بارتكاب جرائم حرب ضد المدنيين الفلسطينيين، كما نددت القمة في بيانها الختامي بالحملة العسكرية الإسرائيلية المتصاعدة في غزة، ودعت مجلس الأمن والمجتمع الدولي إلى الضغط على سلطات الاحتلال الإسرائيلي لإنهاء حصارها وعدوانها ضد الشعب الفلسطيني في القطاع، وطالبت القمة اللجنة الرباعية الدولية بالتحرك الفوري لمعالجة الأزمة السياسية والإنسانية الحالية. وأعرب قادة الدول الإسلامية المجتمعين في العاصمة السنغالية داكار عن قلقهم لاستمرار الخلافات بين الفصائل الفلسطينية، وأكدوا ضرورة إجراء حوار وطني لتحقيق المصالحة بما يخدم القضية الفلسطينية.

كما أعربت القمة الإسلامية عن دعمها للمبادرة العربية لحل الأزمة اللبنانية، وطالبت بانتخاب رئيس جديد في الموعد المقرر.

ودعا المؤتمر جميع الدول الأعضاء إلى إعادة فتح سفاراتها في العراق وإلى تحريك الإجراءات لفتح مكتب تنسيق للمنظمة الإسلامية في بغداد.

كما نددت القمة بالرسوم المسيئة ضد الرسول ﷺ.



مستشرقة إيطالية:

إسرائيل سبب البلاء في المنطقة ولابد من إزالتها حتى يعم الاستقرار

أكدت ريناتي دي ميللو المستشرقة الإيطالية – أستاذة التاريخ العربي بجامعة روما – أن إسرائيل سبب كل البلاء في المنطقة العربية ولابد من إزالتها حتى يعم الاستقرار وقالت خلال مشاركتها في فعاليات مؤتمر مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام والذي نظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: إن إسرائيل كيان غريب زرعه الغرب في المنطقة، وهي التي تتسبب في الصراعات والاقتتال وعدم الاستقرار، وعلى اليهود أن يرحلوا ويعيشوا في العالم كله وليس في فلسطين.

وحملت دي ميللو الغرب والولايات المتحدة الأمريكية مسئولية دعم إسرائيل في ارتكابها للمجازر الوحشية ضد أبناء الشعب الفلسطيني.

كما نددت دي ميللو بالاحتلال الأمريكي الغربي للعراق ولأفغانستان وقالت يجب أن تخرج الولايات المتحدة من العراق ومن أفغانستان وتترك هذه البلاد لأهلها حتى تتوقف حمامات الدم التي سببها احتلالها لهذه البلاد.

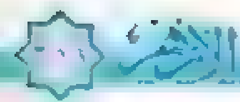
دليل الطالب الأمريكي للدفاع عن إسرائيل

أصدرت جمعية (اكتب من أجل إسرائيل) دليلا للطالب الأمريكي يمكنه من الرد على الاتهامات الموجهة لإسرائيل ودحض جميع الافتراءات التي يوجهها أعداء إسرائيل لها.

جمعية (اكتب من أجل إسرائيل) توجه كتابها لطلاب المدارس العليا في الولايات المتحدة، وطلاب الجامعات بهدف حشد الدعم لإسرائيل، والكتاب مكون من ثمانية فصول ويحتوي ردودا على الاتهامات الأكثر شيوعا لإسرائيل مثل: «اليهود غير راغبين للمشاركة في فلسطين ورفضوا حل الدولتين، والاحتلال الإسرائيلي غير شرعي، وإسرائيل لم تبذل جهودا قوية نحو السلام وقتلى الفلسطينيين أكثر من الإسرائيليين، وإسرائيل دولة عنصرية» ولماذا يجب الدفاع فهي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط والشريك والصديق الأقرب والأكبر للولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب.

ضغوط يهودية على واشنطن لمقاطعة مؤتمر ضد العنصرية

تتعرض الإدارة الأمريكية لضغوط كثيفة من بعض الأوساط اليهودية لمقاطعة مؤتمر عن العنصرية، وذلك بسبب مخاوف يهود أمريكيين من أن يتحول إلى حدث ينتقد إسرائيل وممارساتها.



وطالب السناتور الأمريكي اليهودي نورمان كولمان وزيرة الخارجية كوند اليزا رايس في جلسة استماع أخيرة في الكونجرس بمقاطعة المؤتمر المزمع عقده العام القادم.

كما طالبت - الكاتبة الإسرائيلية كلوديا راست - واشنطن أن تكون قدوة للدول الأوروبية وتقاطع المؤتمر.

إسرائيل تحتج على كوستاريكا للاعتراف بدولة فلسطين

قررت إسرائيل إرجاء اجتماع كان من المقرر أن يعقده دبلوماسي إسرائيلي مع رئيس كوستاريكا احتجاجا على قرار بلاده الاعتراف بالدولة الفلسطينية.

ونقلت إذاعة «صوت إسرائيل» عن الناطق بلسان وزارة الخارجية الإسرائيلية - آريه ميكيل - قوله: «إن إسرائيل وجهت إلى كوستاريكا رسالة أعربت فيها عن خيبة أملها من القرار الذي عممته بشأن إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الكيان الفلسطيني».

واعتبر الناطق أن هذه الخطوة تتنافى تماما وعلاقات الصداقة التي تربط كوستاريكا بتل أبيب منذ تأسيس دولة إسرائيل.

جريدة أمريكية توزع مجانا كتابا يتطاول على الرسول ﷺ

عزمت جريدة أمريكية أنها ستوزع مجانا لمشتركيها نسخة كتاب لمؤلف أمريكي متطرف يسيء للرسول ﷺ ويتهمه بدفع المسلمين إلى قتل اليهود وبخيانة صلح الحديبية وخلق اضطرابات في العالم.

قالت مجلة «هيومن إيفنتس» الأمريكية الأسبوعية المقربة من اليمين الأمريكي والمحافظين والحزب الجمهوري، أنها ستوزع نسخا مجانية من كتاب للكاتب الأمريكي روبرت سبنسر اسمه: «الحقيقة حول محمد، مؤسس أكثر ديانة غير متسامحة في العالم».

ويأتي قرار الجريدة الأمريكية بتوزيع الكتاب مجانا برغم عدم نجاح الكتاب عند طرحه أول مرة وإثارته موجات من الغضب بين مسلمي أمريكا ضد هذا الكتاب الذي كتب عدة كتب تتهم الإسلام بالإرهاب.

وجاء توزيع الكتاب على الرغم من تعرضه لانتقادات من أكاديميين وخبراء في الدراسات الإسلامية للكتاب. حيث قالت المؤلفة البريطانية «كارين أرمسترونج» صاحبة كتاب محمد ﷺ قالت: إن هذا الكتاب مخطوط بالكراهية.. وبه أخطاء كبيرة وتجاهل للأدلة.

زجاجات خمور في باحات المسجد الأقصى

عثر حراس المسجد الأقصى على زجاجات خمر فارغة في إحدى ساحات الحرم القدسي من مخلفات جماعات يهودية متطرفة، دأبت على الدخول إلى ساحة الحرم من باب المغاربة الواقع تحت سيطرة شرطة الاحتلال الإسرائيلية. وقال الشيخ عكرمة صبري رئيس الهيئة الإسلامية العليا: إن هذا الحادث يؤكد أن المسجد الأقصى في خطر شديد وأنه يتعرض لعمليات تدنيس وعدوان مستمر.. وطالب المسلمين من عرب ١٩٤٨ بتكثيف تواجدهم في ساحات المسجد وشد الرحال إليه على مدار الأيام للذود عن قدسية وحرمة ومكانة المسجد المبارك.

وزير الداخلية الألمانية يؤكد أن الإسلام جزء من بلاده

في محاولة لتهدئة الأوساط العربية والإسلامية في ألمانيا، بعد تصريحاته المثيرة للجدل التي أيد فيها نشر رسوم الكاريكاتور المسيئة للرسول ﷺ في الصحف الأوروبية، صرح وزير الداخلية الألمانية بأن الإسلام أصبح جزءا لا يتجزأ من ألمانيا. وحذر وسائل الإعلام الألمانية من إثارة مخاوف الألمان من الجاليات المسلمة، وقال في تصريحات لصحيفة «فرانكفورتر الجماينة» إحدى الصحف الألمانية القليلة التي أعادت نشر الرسوم: أن الغالبية العظمى من المهاجرين المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا مسالمون، وأن قلة فقط هي التي تسبب مشكلات ولا تندمج في المجتمع الألماني.

كما اقترح وزير الداخلية الألماني تدريس الدين الإسلامي في المدارس الألمانية في مسعى لدمج المسلمين في ألمانيا الذين يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين نسمة من الوقوع في فخ التطرف - بحسب تعبيره - وقال الوزير في مقابلة مع صحيفة «سويددوتشيه زايتونج» مشيرا إلى كل الوسائل لوضع حد لنشاط دعاة الكراهية. عندما نقدم دروسا في الإسلام في المدارس إنما نقف بشكل أو بآخر بوجه هؤلاء الدعاة المتشددين وأكد أن هذه الدروس ستعطى بالألمانية.

المقاطعة الإسلامية تضر بصادرات الدنمارك

أعلنت شركة دانماركية لمنتجات الألبان تخفيض إنتاجها بعد أن أدى غضب الدول الإسلامية بسبب إعادة نشر الرسوم المسيئة للنبي الكريم محمد ﷺ، إلى الإضرار الكبير بحجم الطلب.

وأوضحت الشركة الدانماركية أنها ستخفض إنتاجها بمقدار ١٥٠ طن أسبوعيا في مصنع.. لمنتجات الألبان شمال الدانمارك.

وتوقعت مصادر اقتصادية في كوبنهاجن تعرض شركات كثيرة لأضرار هذه المقاطعة.

الرسوم المسيئة للرسول الكريم فى شوارع التشيك

علقت لوحات إعلانية تحمل واحداً من الرسوم المسيئة للنبى الكريم ﷺ والتى نشرت فى ٢٠٠٥ فى الدانمارك فى شوارع جمهورية التشيك، حملت مجموعة اللوحات التى تم تعليقها توقيع مجموعة تطلق على نفسها اسم «أصدقاء حرية الكلمة» وكتبت تحتها «حرية ليست مجانية»، وتعليقاً على هذه اللوحات قال وزير الخارجية التشيكى كارل شفارتسنبرغ إن هذا الأمر لا علاقة له بحرية التعبير مدينا الذين قاموا بتعليق اللوحات وعدوانيتهم.

رئيس وزراء هولندا يحذر منتج الفيلم المسيء للقرآن

حث رئيس الوزراء الهولندى يان بيتر بالكنينده النائب خيرت فيلدرز على التفكير فى العواقب المحتملة للفيلم الذى يعتزم انتاجه والذى ينتقد القرآن وبرغم قلق الحكومة الشديد إلا أن رئيس الوزراء قال إن القرار النهائى يقع على عاتق فيلدرز.

كما خرج نحو ٥ آلاف شخص فى مظاهرة حاشدة للتنديد بمواقف النائب الهولندى صاحب الفيلم المسيء للإسلام والقرآن الكريم، وتركزت المظاهرة فى ميدان امستردام الرئيسى حيث رفع المشاركون لافتات تؤيد الحوار بين الأديان ورفض العداء بسبب الدين والمعتقد.

وقد دعا زعماء إسلاميين وعلماء دين الحكومة الهولندية إلى العمل على وقف عرض هذا الفيلم تأكيدا لمبدأ التعايش السلمى بين الأديان.

مبعوث بابا الفاتيكان فى القاهرة

نرفض الإساءة للمسلمين تحت دعاوى حرية الرأى

أعلن الفاتيكان رفضه لأى نوع من الإساءة لنبى الإسلام محمد ﷺ تحت دعاوى حرية الرأى والتعبير بمنطق الصحف الدانماركية والهولندية التى نشرت رسوما مسيئة للمسلمين.

جاء ذلك على لسان الكاردينال جان لوى كوران رئيس المجلس البابوى للحوار بين الأديان ومبعوث البابا عند افتتاح منتدى الحوار مع الأزهر فى المركز الكاثوليكى بالقاهرة.

ودعا الكاردينال المسلمين والمسيحيين إلى مقاومة التطرف والدفاع عن مقدساتهم



أنباء مجمع البحوث الإسلامية



بيان من الأزهر الشريف

ووزارة الأوقاف ودار الإفتاء المصرية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فإنه فى ضوء ما ورد إلى الأزهر الشريف، بشأن اعتزام عضو البرلمان الهولندى خيرت فيلدرز بالإعداد لإنتاج فيلم تليفزيونى تحت عنوان «القرآن الفاشى» يتضمن تطاولا صريحا على المقدسات الإسلامية، وفى مقدمتها القرآن الكريم باعتباره يحض على الإرهاب والعنف.

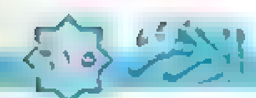
عقد مجمع البحوث الإسلامية جلسته يوم الخميس ٢١ صفر ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠٠٨م.

وناقش فى جلسته الحملات المتكررة للإساءة إلى الإسلام ونبيه والتطاول على رموزه ودفت بإعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة إلى الرسول - ﷺ - فى الصحف الدانمركية وغيرها

ويلغ هذا المخطط مداه بقيام أحد زعماء التيار المتطرف فى المجلس النيابى الهولندى بالإعداد لفيلم تليفزيونى بعنوان «القرآن الفاشى» يكتمل به إحكام دائرة وصم الإسلام كدين يأمر بالإرهاب والعنف والعداء لقيم المدنية والحضارة.

وإذ يكشف هذا الحدث عن تشويه للإسلام فاق كل الحدود بغية استعداء الرأى العام العالمى ضده وتصويره على أنه دين يقوم بالتصفية الجسدية للمخالفين، ويرفض التعايش مع الآخر، ويحض أتباعه على الكراهية وتدمير غير المسلمين. فإن فى استمرار هذا المسلسل الظالم من شأنه أن يؤجج المشاعر ويغرس بذور الكراهية فى النفوس ويزعزع السلام العالمى وهو ما لا يرضاه الإسلام

ويأتى التطور الأخير المتمثل فى هذا الفيلم لوثائقى بعرض تأصيل هذا الشعور وتكريس هذا الانطباع لدى المسلم، وإنسان المدنية المعاصرة.



وترفض المؤسسة الإسلامية تصاعد هذا الاعتداء على كل تعاليم الأديان، وعلى رأسها الدين الإسلامي بصفة خاصة لأنه في جوهره رسالة سلام من الله الذي من أسمائه الحسنى السلام، أكدها القرآن الكريم في غير موضع بالدعوة الصريحة والقاطعة بين بني البشر عبر الزمان والمكان.

وإذ يتولى هذا الجنوح والجموح من زعامات تضطلع بمسئولية رسم السياسات وصنع القوانين والتشريعات؛ فإن الطامة الكبرى تبرز في ذلك الصمت المريب من المحافل الدولية والمواثيق العالمية تجاه هذا النمط الفج من الافتراءات المتلاحقة ضد الإسلام، عبر موجات لاتلبث أن تهدأ حتى تشتد مرة أخرى وكلها تدور حول القصد المصمم على النيل من الإسلام والرغبة الدفينة في الإساءة إليه، وهيهات أن يحققوا مآربهم الذي يطفح بالتعصب الصارخ والتطرف الشديد.

وإدراكا من المؤسسة الإسلامية للآثار المدمرة لهذا الفيلم وما على شاكلته من أعمال عدائية ضد الإسلام، ونشر ثقافة الكراهية والازدراء ضد الأديان، وخاصة الإسلام فإنها تؤكد بقوة إدانتها واستنكارها لهذا الاتجاه بحسبانه يتناقض مع صريح مبادئ الإسلام وتعاليم الأديان السماوية في دعوتها إلى التسامح ونبذ ثقافة الازدراء والتعصب.

ورغبة في تأكيد هذه الحقيقية فإن المؤسسة الإسلامية انطلاقا من مرجعيتها الإسلامية تناشد الضمير الإنساني والرأي العام العالمي التصدي لهذا الاتجاه المعادي للإسلام، المزدري لقيم الأديان وحرصا على وأد الصراعات وإماتة النزاعات، وتجنبا لتكريس المواجهة بين أتباع الأديان، وتأجيج نعرات الهيمنة وفرض النموذج المخالف للإسلام وهي تداعيات سوف تجلب على البشرية أحزانا ومآسي يعجز عنها الوصف.

وإذ تؤكد المؤسسة الإسلامية إيمانها بحرية الكلمة، التي جسدها القرآن المعتري عليه، في تقرير حرية الاعتقاد وحق التعبير؛ فإنه ينبه على ضبط هذه الحرية وحمايتها من الشطط والانزلاق في مهاوي التدمير والانفلات، فالحرية المطلقة مفسدة مطلقة، ومن ثم فإن حرية التعبير ليست بمعزل عن هذا الضبط، فهي تقف أو تتوقف عند الأديان والمقدسات لا يجوز لها أن تستخف بحرماتها أو تزدري أصولها ومقدساتها أو تنتقص من حقوق أتباعها وتسفه من عقائدهم وهوياتهم؛ فإن هذا - فضلا عن مخالفته لصحيح الإسلام - يتناقض مع الحدود الدنيا من حقوق الإنسان التي قررها لكل إنسان وصارت من منجزات عصر التنظيم الدولي.

وعلى هدى هذا وترتيبا عليه؛ فإنه المؤسسة الإسلامية تشدد على ضرورة الالتزام بالثوابت الإسلامية نحو الإنسانية قاطبة، ونشر ثقافة السلام والتسامح، وإشاعة قيم المحبة والتعاون على الخير وما فيه صالح البشرية، بما يتطلبه ذلك من تعميق التواصل بين الأمم والشعوب وما يقتضيه من نبذ آفات الكراهية والتعصب والتمييز ضد الإسلام وتعاليم الأديان السماوية، وضرورة احترام الهوية والمقدسات.

وقصدا لبلوغ ذلك فإن المؤسسة الإسلامية تهيب برموز الأديان وصناع القرار في العالم كله، والضمير العالمي، أن يقوم كل بواجبه نحو تصعير حكومة هولندا، وكذا حكومة الدانمرك بخطورة الخلط بين حرية التعبير عن الرأي والتلدد في الإساءة والتطاول على الإسلام.

وأن يعمل على سرعة إصدار قرار جامع وقاطع في تحريم ازدراء الأديان أو الإساءة إليها وأن يؤكد على احترام كل دين سماوي ويعترف بالتعددية الثقافية للأمم والشعوب.

وقد أصبح القيام بهذا الواجب ضرورة حتمية لتلافي الآثار المدمرة التي تتمخض عنها تلك الدعوات الهدامة حق الله الخالق سبحانه وتعالى وحق البشرية وحق الشعوب وحري بالعقلاء أن يستجيبوا لنداء هذا الواجب، ونحسب أن هذا سيكون صنيع الحكومة الهولندية والدانمركية وغيرها.

«والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

(يوسف: ٢١)

أسئلة من الاتحاد العربي لمنظمات المجتمع المدني

أرسل الاتحاد العربي لمنظمات المجتمع المدني بعدة أسئلة لمجمع البحوث الإسلامية طالبا الإجابة عنها، وجاءت الأسئلة وإجاباتها على النحو التالي:

السؤال الأول: ما هو الرأي الشرعي في مقترح بمنع تعدد الزوجات وتجريم إقدام الرجل على الزواج بأكثر من زوجة وحبسه إذا ارتكب هذا التصرف؟

الإجابة: إباحة التعدد بشروطه الشرعية حكم شرعي قطعي الثبوت والدلالة ولا مجال للاجتهاد فيه.

السؤال الثاني: ما هو الرأي الشرعي بعدم تجريم وعدم تحريم الزنا إذا ما تم خارج بيت الزوجية بالنسبة للمرأة وقصر تحريك الدعوى الجنائية ضد المرأة على إتيانها هذا الفعل في فراش الزوجية فقط؟

الإجابة: الزنا محرم قطعا بأدلة قطعية الثبوت قطعية الدلالة سواء كان هذا الزنا في فراش الزوجية أو في غيره والنسبة للرجل والمرأة على السواء.

السؤال الثالث: ما هو الرأي الشرعي في إباحة الإجهاض في حالات الحمل السفاح الناتج عن علاقة غير شرعية وإباحة إعادة العذرية الصناعية من خلال طبيب لأي فتاة فقدت عذريتها مع عدم سؤالها عن الظروف التي فقدت فيها هذه العذرية؟

الإجابة: لا يجوز الإجهاض في حالات الحمل السفاح الناتج عن علاقة غير شرعية، كما لا يجوز إعادة العذرية الصناعية بحال من الأحوال.

السؤال الرابع: ما هو الرأي الشرعي في وقف تعرض الآباء للأبناء بعد سن الـ ١٦، وخاصة البنات وعدم سؤالهن - مجرد السؤال - عن علاقاتهن وعدم عقابهن عن

آخر أو حتى أثبت خروج منزل العائلة؟

الإجابة: عدم الموافقة شرعًا على عدم التعرض للفتاة الوارد في التساؤل عنه في البند رابعا.

السؤال الخامس: ما هو الرأى الشرعى في قيد الزوجة بإقامة الدعوى الجنائية ضد زوجها وعقابه بالحبس في حالة قيامه بالعلاقة الجنسية الشرعية دون رغبتها بما يسمى باغتصاب الزوجة؟

الإجابة: لا يجوز للزوجة أن تقيم على زوجها دعوى جنائية بحجة أنه مارس معها العلاقة الزوجية الشرعية دون رغبتها ولا يعد ذلك اغتصابا.

السؤال السادس: ما هو الرأى الشرعى في تعديلات مقترحة لتعديل قوانين المواريث بحيث يتساوى الرجل والمرأة في المواريث تحت شعار المساواة بين الرجل والمرأة؟

الإجابة: أحكام المواريث محكومة بنصوص قطعية الثبوت والدلالة فلا يجوز تعديلها أو الخروج عنها.

السؤال السابع: ما هو الرأى الشرعى في مقترح يقول بتقسيم ثروة الزوج والزوجة مناصفة بينهما في حالة الانفصال بالطلاق؟

الإجابة: ترى اللجنة عدم الموافقة على هذا الاقتراح، لأنه يصادم النصوص الشرعية.

السؤال الثامن: ما هو الرأى الشرعى في صلاحية محاكم الأسرة في قضايا الخلع في حالة وجود حكم جنائى بحبس الزوجة وتغريمها لارتكابها جريمة تعدد أزواج وتزوير ورق. وهل يجوز خلع في هذه الحالة مع وجود هذا الحكم الجنائى؟

الإجابة: ترى اللجنة أن لا محل لخلع في مثل هذه الحالة.

السؤال التاسع: ما هو الرأى الشرعى تجاه ما يقال بضرورة إعطاء أجرة للزوجة مقابل عملها في بيت الزوجية وخدمة زوجها وأولادها؟

الإجابة: عمل المرأة في بيتها من قبيل حسن المعاشرة الزوجية وتبادل المنافع بين الزوج والزوجة وحينئذ ليس من حقها أن تطلب أجراً على هذا العمل.

السؤال العاشر: ما هو الرأى الشرعى تجاه ما يقال في بعض الهيئات عن ضرورة إلغاء المهر المقدم للعروس عند الزواج باعتبار أن هذا المهر يحول المرأة إلى سلعة؟

الإجابة: لا يجوز شرعاً إلغاء المهر في عقود الزواج الشرعية لثبوت ذلك للمرأة بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة.

والله الموفق للخير والهادى إليه

حملة جديدة ضد الإسلام في أمريكا اللاتينية

وردت بعض التقارير الصحفية إلى مجمع البحوث الإسلامية تفيد بأن بعض الأشخاص في كيتو عاصمة الإكوادور في منطقة أمريكا اللاتينية قاموا بتوزيع كتيبات معادية للإسلام في وسائل المواصلات العامة هناك.

وقد لوحظ أن الكتيب قد تم طبعه في الولايات المتحدة الأمريكية باللغة الأسبانية لتوزيعه في الإكوادور. وقد تكون هذه بداية لحملة جديدة ضد الإسلام في منطقة أمريكا اللاتينية.

والجالية الإسلامية في كيتو تبحث الآن إعداد الرد المناسب على ما جاء بالكتيب من افتراءات على الإسلام والمسلمين.

القصة في القرآن الكريم



صدر عن مجمع البحوث الإسلامية كتاب: القصة في القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، ويقع الكتاب في جزءين. وقد تناول فضيلته عددا من قصص الأنبياء ساقها القرآن الكريم، وبعض القصص الأخرى لأقوام من المؤمنين وجانبا آخر للجاحدين الحاقدين، بدأها بأبى البشر وختمها بخاتم الأنبياء سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ بأسلوب سهل شيق، مظهراً بلاغة القرآن الكريم، وما في القصة من الأثر العميق في النفس موضحا عنصر التشويق وجانب الاتعاظ والاعتبار.

ويظهر ذلك جليا في الدروس المستفادة وما يؤخذ منها من عبر وعظات لكي نسلك الطريق القويم، ونسلم وجوهنا لله الواحد الذى أرسل رسله وأنبياءه برسالة واحدة وهي عبادته - جل شأنه - وبيان أن القرآن من عند الله - تعالى - وتسلية ومواساة خاتم الأنبياء ﷺ.

والكتاب بعباراته وألفاظه السهلة الواضحة الجلية يدعو الآخرين إلى التفكر والعودة إلى دين الله الحنيف لما في القصص القرآنى من شاهد ودليل على أنه من عند الله مصدقا لرسالة نبيه الخاتم سيدنا محمد ﷺ.

مسابقة لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

أعلن فضيلة الدكتور / طه مصطفى أبو كريشة مقرر لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية أن موعد تلقي الأبحاث الخاصة بالمسابقة العالمية للإعجاز العلمي للقرآن الكريم والتي تنظمها لجنة وقف المستشار / محمد شوقى الفنجرى بالاشتراك مع بنك فيصل الإسلامى المصرى

تحت عنوان «وجوه الإعجاز القرآني في اللغة أو الاقتصاد أو علوم الأحياء»، وقد تم تمديده من ٣١/٣/٢٠٠٨م إلى ٣٠/٦/٢٠٠٨م.

وأن جوائزها ثماني عشرة جائزة، وموزعة كالآتي:

- خمسة عشر ألف جنيه للفائز الأول.
- عشرة آلاف جنيه للفائز الثاني.
- خمسة آلاف جنيه للفائز الثالث.

كما تمنح جوائز أخرى تشجيعية بواقع ألفي جنيه بكل جائزة وعشرة آلاف جنيه جوائز أخرى بوقع ألف جنيه لكل فائز.

على أن تكون الأبحاث مكتوبة على الكمبيوتر بإحدى اللغات الثلاث (عربية - إنجليزية - فرنسية) وألا يقل البحث عن مائة صفحة ولا يتجاوز مائة وخمسين صفحة مصحوباً بملخص من عشرة إلى عشرين صفحة والسيرة الذاتية للباحث.

٢٢٤ طالب سعوديا بالأزهر الشريف

في الإحصاء السنوي للطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف أكد فضيلة الشيخ / رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية أن عدد الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف من المملكة العربية السعودية الشقيقة بلغ هذا العام ٢٢٤ طالباً وطالبة في مختلف مراحل التعليم وهي

المرحلة الابتدائية: ٢٠ تلميذاً و١٢ تلميذة.

المرحلة الإعدادية: تلميذان

المرحلة الثانوية: ٥ طلاب وطالبة.

والجامعة: ١١ طالباً و٣ طالبات.

وفي الدراسات العليا: ١٧٠ طالبا

إعلان نتيجة ترقيات الوعاظ

صرح فضيلة الشيخ / عبد الحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة بأنه تم إعلان نتيجة الترقيات.

فقد اجتاز الاختبار التحريري والشفهي من واعظ إلى واعظ أول عدد اثنين وعشرين واعظا وتم الإبقاء عليهم في محافظاتهم.

كما اجتاز أيضا الاختبارات التي عقدت للترقيات من واعظ أول إلى موجه ستة وستين واعظا وتم توزيعهم جغرافيا حسب المناطق التي بها عجز مع الإبقاء على الناجحين بأعلى الدرجات في محافظاتهم وتوزيع من عداهم

كما اجتاز أيضا في تلك الترقيات من موجه إلى موجه أول عدد عشرين موجها أولا نظرا لحاجة المناطق التي يتواجدون بها فقد تم الإبقاء عليهم في مناطقهم

على أن يباشر الناجحون عملهم الجديد من ١/٤/٢٠٠٨ ومن لم يباشر عمله خلال خمسة عشر يوما يلغى قرار ترقيته ويصبح كأن لم يكن.

وقد عقد اجتماع لمديري عموم مناطق الوعظ وحثهم على المتابعة والاهتمام بعلماء الوعظ الجدد.



تكريم فضيلة الإمام الأكبر

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر فعاليات المؤتمر الدولي الثامن عشر لطب الأزهر والذي يعقد هذا العام بالتعاون مع كلية طب فلورنسا الإيطالية تحت عنوان

(دور التغذية في الصحة والمرض)

وذلك بقاعة مؤتمرات الأزهر في الفترة من ٢٦ــ٢٧ من مارس ٢٠٠٨.

وقال فضيلة الإمام الأكبر في افتتاح المؤتمر إن إيطاليا ذات حضارة عالية في العلوم الطبية وفن العمارة والبناء منذ قديم الزمان، وعلاقتها بمصر علاقة حميمية، وأشعر بالسعادة النفسية لاسيما أن موضوع المؤتمر من ألزم لوازم الحياة، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون تغذية، ولا يستطيع كذلك أن يعيش آمنا إلا إذا كانت هذه التغذية صحية ومفيدة، لأن الغذاء غير الصحي، والإسراف يجعلان الإنسان فريسة لكثير من أمراض العصر.

وقد قامت كليتا طب الأزهر، وفلورنسا بتكريم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما يقوم به من جهد في خدمة الإنسانية.

وقد اتسع المؤتمر لإحدى عشرة حلقة نقاشية شملت كل حلقة ما بين أربعة وخمسة أبحاث.

رأس المؤتمر كل من الأستاذ الدكتور إسماعيل شبيث عميد طب الأزهر، والأستاذ الدكتور جيوفاني أورلاندي عميد طب فلورنسا

أنباء مكتب شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يؤكد:

لابد أن يعاقب من يسيء للرسل أو الكتب السماوية أو الخالق عز وجل

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي – شيخ الأزهر بمكتبه يوم الاثنين الموافق ٣ – ٣ – ٢٠٠٨ وفداً من الأسقفية الأمريكية برئاسة السيدة جانيت بي – وتأتي هذه الزيارة بناء على برنامج تبادل الآراء والأفكار وتوضيح شئون الديانات السماوية وقدسيتها من قبل هيئة الكنيسة الأمريكية والتي تعمل بهدف دعم وتنمية التعاون بين الشعب الأمريكي وشعوب منطقة الشرق الأوسط من خلال التبادل الثقافي.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد في الأزهر الشريف، ثم قدم لهم شرحاً موجزاً عن التعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة التي تمتاز المرحلة فيه بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى. كما أوضح فضيلته للوفد بأننا في الأزهر نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات، وأن لكل بلد حضارتها وتستفيد من بعضها البعض وهذا هو الإخاء الإنساني. وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون وأن الذي يحاسب على العقائد هو الله.

وقد أبدى الوفد أسفه الشديد عما ينشر في بعض الصحف الأوروبية من إساءة للرسول ﷺ، وأنه يقدر مشاعر المسلمين ويتفهم من إيمان الآخرين لأنه إذا أساء أحد لمشاعر السيد المسيح – عليه السلام – فهم يثوروا لذلك حيث إن هناك سوء فهم كبير.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد أنه لابد أن يكون هناك خط أحمر بالنسبة للأديان ولا يسمح لأحد بأن يتخطاه وهناك شيء اسمه الكرامة الإنسانية، ونحن ضد هذه الإساءة وضد من يقوم بها سواء من الشرق أو الغرب، ولابد أن يأتي اليوم الذي يعاقب فيه من يسيء للرسل أو الكتب السماوية أو الخالق عز وجل وما لا يحارب هؤلاء فهو مقصر، وعندما يسيء أحد إلى السيد المسيح عليه السلام فنحن كمسلمين أشد غضباً منكم لأننا نؤمن بأن سيدنا عيسى نبي ونحترمه كاحترامنا لسيدنا محمد ﷺ، كمحبتنا لعيسى عليه السلام ونحن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل ونحبهم بأمرنا بذلك.

وفي نهاية اللقاء أعرب الوفد عن شكره لما قدمه فضيلة الإمام الأكبر من شرح لهذه الأمور التي كانت مستغلقة على الأفهام.

الإمام الأكبر يستقبل وفد مجلس اللوردات البريطاني

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي – شيخ الأزهر بمكتبه يوم السبت الموافق ٨ – ٣ – ٢٠٠٨ وفداً من مجلس اللوردات وكبار رجال الأعمال وقيادات المؤسسات المالية والاستثمارية العالمية بالمملكة المتحدة برئاسة اللورد برين جريفتس – يرافقهم الدكتور منير حنا – مطران الكنيسة الأسقفية بمصر وشمال أفريقيا والقرن الأفريقي والمطران الرئيسي لإقليم القدس والشرق الأوسط.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد ومرافقيه في الأزهر الشريف. وقد أوضح فضيلته للوفد بأن المرحلة في الأزهر الشريف تقوم على السماحة والاعتدال، واعتبار أن الناس جميعاً إخوة في الإنسانية، وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون، لأن الناس جميعاً خلقهم الله عز وجل من أب واحد وأم واحدة، وكل إنسان له فكره وعقيدته وتجاربه ورؤيته. ونحن نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات، لأن تصادم الحضارات يؤدي إلى انتشار الكراهية والحقد بين الناس وهذا يمثل خسارة فادحة للعالم بأسره؛ كما أن العقائد لا إكراه عليها وأن لكل إنسان عقيدته، والذي يحاسب على العقائد هو الله. وأن الأديان السماوية كلها تتفق على مكارم الأخلاق وأن الصدق فضيلة والكذب رذيلة، وأن العدل فضيلة والظلم رذيلة، وأن التعدي والعدوان على الغير رذيلة، وهذه حقائق تتفق عليها العقلاء سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود. وأن هناك فضائل يجب أن نحترمها وأن هناك رذائل يجب أن نجتنبها، وعلينا جميعاً أن نحترم جميع الأنبياء والرسل وجميع الأديان السماوية، وأن أي إساءة إلى الأديان السماوية وإلى الرسل الكرام هي إساءة إلى الله عز وجل لأن الله سبحانه وتعالى أرسل إليه الرسل لهداية البشر. كما حث فضيلته الوفد أن يتضامنوا مع المسلمين ويحاربوا كل من يسيء إلى الأنبياء وخاصة سيدنا محمد ﷺ، ولا يكونوا سلبيين مع هؤلاء الذين يسيئون إلى الأديان السماوية والرسل الكرام لأن هذا فرض واجب عليهم ومن لا يفعل ذلك يكون مقصراً في حق شرف الإنسانية. وفي هذه الحالة يكون قد وقف إلى جانب الحق وإلى جانب الفضائل لأننا كمسلمين نحترم سيدنا عيسى «عليه السلام» ولا نقبل إطلاقاً كمسلمين من يسيء إليه.

ومن جانبه شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر حسن الاستقبال، مؤيداً كل ما قيل عن احترام الأديان السماوية والكتب المنزلة والرسل الكرام جميعاً. وأنه لا يوجد مسيحي مؤمن يقبل الإساءة إلى الرسل جميعاً، وطالب الوفد بأنه لابد أن يكون هناك حوارات بين الشعوب وبين الشباب ولابد من تفعيل الحوار بين مفهوم الحرية وبين حقائق الأديان.

وفي نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر للوفد بأن الفضائل دائماً تنتصر ما دام الإنسان يدافع بقدر ما يستطيع عنها وعن الأديان وعن الرسل والكتب السماوية المنزلة.

الإمام الأكبر يستقبل سفير هولندا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الأثنين الموافق ٨ / ٣ / ٢٠٠٨م السيد تشيرد دى رجت سفير هولندا بالقاهرة.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير فى الأزهر الشريف وتأتى هذه الزيارة بمناسبة تقديمه بيان من وزير الخارجية الهولندى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يوضح فيه بأن حكومة الهولندية تختلف بشكل جوهرى فى الرأى مع السيد ويلدرز المتشدد بالبرلمان الهولندى حيث إن رأيه لا يمثل رأى حكومة الهولندية فى هذا الموضوع. وإن تفهمه وإدراكه للإسلام لا يمثل منظور أو سياسة حكومة الهولندية بأى شكل من الأشكال. وإن كافة الناس فى هولندا لديهم حق فى التعبير عن رأيهم بدون موافقة مسبقة من السلطات. وهذه هى أهم الحقوق التى يقدرها المجتمع الهولندى ولكن الشخص الذى يمارس هذه الحرية تقع عليه مسئولية كبيرة وبالرغم كما تتضمن البيان أن الإسلام يعد عنصرًا هامًا عندما يقوم الناس بالتعريف عن هويتهم وهوية الآخرين. وإن الاختلافات السياسية بدأت تظهر بزيادة على نحو التعبير عن الاختلافات الدينية مما أدى بالبعض لأن يربط الإسلام على أنه تهديد وهذا خطأ بشكل واضح. ولا يجب أحد شيئًا من تأويل الدين على العنف والتعصب. كما أوضح البيان بأن المسلمين يلعبون دورًا فعالًا فى المجتمع والبرلمان الهولندى. والمجتمع الإسلامى فى هولندا قد أثبت قدرته على الإدراك والوعى حول محتوى المعركة التى تجرى الآن فى هولندا. وإن حكومة الهولندية تحترم جميع الأديان ما فيها الإسلام. وسوف نستمر فى محاربة الكراهية والتفرقة والتعصب والمتطرفين فى كل النواحى. كما أكد فضيلة الإمام الأكبر للسفير الهولندى على خطورة عرض هذا الفيلم لأن هذا الفيلم فيه إساءة للإسلام ولرسول الله ﷺ ليست صحيحة. وحث فضيلته السيد السفير بأن تقوم الحكومة الهولندية بالضغط على البرلمان بمنع عرض هذا الفيلم لأن ضرره سيكون كبيرًا. ونحن نستنكر هذا الاعتداء على جميع الأنبياء بصفة عامة، ولا نسمح بأن يساء إلى سيدنا عيسى عليه السلام أو غيره من الأنبياء.

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف قرر المجلس الأعلى للأزهر أن يتم امتحان الطلبة الوافدين غير الناطقين باللغة العربية الملتحقين بجامعة الأزهر فى القرآن الكريم موزعًا على جزءين كل عام بحيث يتم عقد الأجزاء التى يتم الامتحان فيها لمتقدمه للدراسات العليا ٨ أجزاء وأن يتم حسم الطلاب الوافدين عندما يتم امتحان الدراسات التمهيدية للماجستير فى جزء عم لسنة الأولى وفى السنة الثانية فى جزء تبارك وقبل مناقشة الماجستير والدكتوراه يتم امتحانهم فى جزئين معًا ويتم ترجمة الامتحان التحريرى بترجمة الامتحان الشفوى كما تقرر الموافقة من حيث المبدأ على إنشاء معاهد متوسطة لتحفيظ القرآن الكريم.



الإمام الأكبر يستقبل وفدًا عراقيًا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ / ٣ / ٢٠٠٨م وفدًا برلمانيًا من عشائر السنة والشيعة العراقية مكون من الشيخ كاظم عبد الواحد شيخ عموم قبيلة العبيد، والشيخ صالح عرموش شيخ عموم قبيلة بنى مالك العربية والشيخ أحمد العلى الرئيس العام لقبيلة آل عام والشيخ سيد هاشم رئيس عشائر السادة الإسماعيلية والشيخ كاظم عودة رئيس عشيرة الكطاوية والشيخ خالد السعدون - شيخ عشائر السعدون وهم جميعًا من العشائر العربية النسب والانتماء وهى قبيلة محاذية حدود مع إيران وترفض الاحتلال بشكل كبير. ويعانون من مطرقة التهديد والاعتقال والتصفية وهم يعانون من نقص الغطاء الذى يوفر لهم أى حماية. وأن حمايتهم الوحيدة هى مبادئهم العربية والوطنية وأبناء عشائرهم الملتفين حولهم.

وقد أعرب الوفد عن أن مصر برئاسة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ووزارة الخارجية المصرية لم تتوان عن توفير سبل التعاون. وهذا عهد مصر دائمًا تجاه العراق بصفة خاصة. كما أنهم أن يمتد صوتهم جميع الدول العربية والإسلامية من خلال لقائهم بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى له الكلمة المسموعة لدى عموم المسلمين للتكاتف معهم والوقوف إلى جانب الشعب العراقى مثل وقفة المسلمين الأوائل بالدعم الإعلامى والسياسى والمعنوى للتصدى لهذه الرياح العاتية.

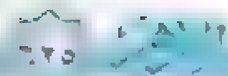
ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر للوفد العراقى بأن العراق سنة وشيعة هم وحدة واحدة ولا يوجد بينهم فرق واحد فالكل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والكل يصلى لله ويؤدى الزكاة ويحج البيت ويصوم رمضان والسنى والشيعى يتصاهران من بعضهما البعض وأن وحدة العراق هى الطريق الوحيد الذى سيؤدى إلى نهضة العراق وعودته إلى سابق عهده متماسكًا ومترابطًا. لأنهم من منبت واحد ويزرعون ويأكلون من أرض واحدة ويسيرون فى قارب واحد.

كما أكد فضيلته بأنه دائمًا يدعو إلى وحدة العراق لأنه مبدأ نعيش ونموت عليه. داعيًا الله تعالى أن يكشف الغمة ويجنبا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تشاد

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف محمود آجى - سفير جمهورية تشاد فى القاهرة - تأتى هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل كسفير لبلاده فى جمهورية مصر العربية وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف متمنيًا لسيادته إقامة طيبة فى القاهرة والتوفيق فى عمله.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر لهذا اللقاء وأنه يعتز بتواجده فى الأزهر الشريف منارة العلم ولقاء شيخ الأزهر. كما شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر والأزهر الشريف على عنايته بالطلبة التشاديين الدارسين بالأزهر والذى تمتاز الدراسة فيه بالوسطية والاعتدال.



{Or (even) did you reckon that you should enter the Garden, while as yet there had not come up to you the like of (the ones) who passed away even before you? Misery and tribulation touched them, and (they) were shaken until the Messenger and the ones who believed with him said, "When does victory from Allah (come)?" Verily, victory from Allah is surely near.}

[Al-Baqarah (The Cow): 214]

Allah recorded the event and conquest of Abrahah by the birds in Surat Al-fil (The Elephant), as He says:

{Have you not seen how your Lord performed with the companions of the elephant? Did He not make their plotting go into great error? And He sent upon them baleful birds (in flocks), Throwing against them stones of baked clay; So he made them like green blades eaten (up).}

[Al-Fil (The Elephant)]

Allah's saying came true, when He said:

{And in no way have We made the Wardens of the Fire except Angels, and in no way have We made their (right) number except as a temptation of the ones who have disbelieved, (and) that the ones to whom the Book has been brought may have certitude, and that the ones who have believed may increase in belief, and that the ones to whom the Book has been brought and the believers may not be suspicious, and that the ones in whose hearts there is sickness and the disbelievers may say, "What would Allah intend by this as a similitude?}

[Al-Muddaththir (Shrouded): 31]

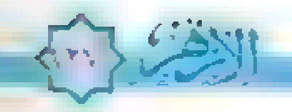
The world, including the believers and disbelievers, recently is not watchful to the [illegible] powerless and frightened. I wish that the human being would resort to Allah to remove the calamity, which renders to the spoilage of the human being damaging the surrounding world. However, the human being is still lost in the darkness of misguidance. Allah, Glory be to Him, says:

{Corruption has appeared in the land and the sea for what mankind's hands have earned, that He may make them taste some (part) of that which they have done, that possibly they would return.}

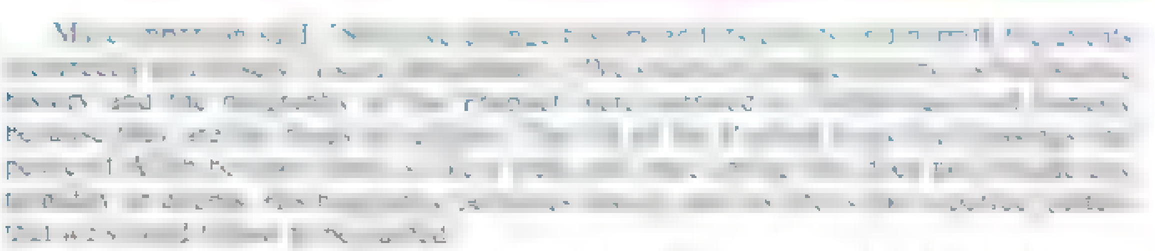
[Al-Rum (The Romans): 41]

I told my companion, "Do the event of the Elephant and the response of Abd Al-Mottaleb to Abraha stir sound thinking about the biography of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Allah's method in the world and with His Prophets and Messengers? My companion said in persuasion and caution: Yes.

I was happy to hear my companion's answer and I said, "Can not we understand the event of sucking from Halima Al-Sadya in this kind and sublime respect? The, I said, "I hate to deal with it in this naive and shallow way. I feel that we wrong our Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), and we do not reach the sound contemplation in the signs of the existence of Allah in this universe.







My companion said, "[illegible]

He said, "How?" I said, "I feel disturbed to read the biography with unconsciousness. I refuse what is claimed about Halima Al-Sadya when she described the wet nurses who came to Mecca seeking infants and refuse to suckle Mohammad as he was an orphan till the end of the story. I really reject this foolish reason, but I do not deny the narration or the history.

However, I understood and [illegible] the Prophet (may the blessing and peace [illegible] prophets and I resemble a house [illegible]."

[illegible]

I believe that Allah, Glory be to him, kept Mohammad to Halima selecting her as [illegible] defined by the believers as, "When Allah wills something to occur to someone, He makes His preparations."

In the light of these bright words I understand this event. Halima described her circumstances when she reached Mecca saying, "I had an infant and a camel that did not [illegible]

Halima described that night as a blessed night, as they slept in a good status. Her husband said, "I swear that you took a blessed and kind breeze, do not you realize the welfare that occurred to us when we took him? She said, "I swear that I hope so."

I told my companion whom I found him full of awe for the facts I mentioned, "This [illegible] orphan abandoned by the wet nurses, Isn't it ?

Then, I added emphasizing that the Islamic history is pure and faithful. We should understand it with awareness and consciousness to repulse the ignorant people.

Translated by: Eman Ali El-Khateb .

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil



Out of the Inspiration of the Memorandum of the Birth of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By: The Honorable Sheikh. At-Taher Al-Hamedy

[illegible] miracle as. "The extraordinary event that Allah, Glory be [illegible] the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) [illegible]. Also, they define the miracles that preceded Islam as [illegible] Allah, Glory be to Him, revealed to His creatures to pave the way [illegible] the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

We can explain some historical events in the light of what is previously mentioned in a way that suits the above-mentioned definitions. Allah, Glory be to Him, sent the Messengers to the creatures, as He said.

{And for their disbelief and their speaking against Maryam a tremendous all-malicious (calumny).}

[An-Nisaa (The Women): 156]

We understand from the above-mentioned verse that Allah sent the Messengers as a mercy for the creatures. Also, He sent our Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with miracles, and created some events to pave the way for the appearance of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

[illegible] regarded as a mercy and guide for all of the creatures. The whole world expected that the Message of Mohammad will save humanity from the beastly decline in which humanity fell in. The Message of Mohammad was sent to save humanity. The coming poetic words express incredibly the state of the humanity welcoming the birth of our Prophet Mohammad:

When the world [illegible] its suffering

To Its creator -

He saved it by sending Mohammad

With his religion to rescue it from danger

He came with light and Islam

To spread among the creatures as if it were rain

One of the historical events that took place to pave the way for the coming of Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) is the event of the elephant, which occurred on his birthday. This event was affirmed and evidenced in history, as Allah kept Abrahah and his troops from attacking the Ka'baa. I think that the significance of this event is that Allah, Glory be to Him, defended His Prophet and the inhabitants of Mecca as well as the Ka'baa from the outcomes of these events such as killing of fighters and capture of women and children.

If we think of the actions of the aggressor while Mohammad was just an embryo in the womb of Amena Bent Wahb,we can guess that she may fell, as many women, as a captive-Allah Forbids- in the hands of the aggressor. Thus, Allah protected her and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from this despicable situation. Also, Allah secured the Ka'baa and conquered Abrahah to be a model for every one who may learn the lesson.

We can understand in the light of this perfect Divine arrangement the conversation taking place between Abd Al-Mottaleb - The grandfather of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) - and Abrahah, the attacker and the aggressor. The following is a part of that conversation – as narrated in history – at the time when Abd Al-Mottaleb came to Abrahah who took his camels, and Abd Al-Mottaleb went to ask Abrahah to give them back to him:

Abrahah said Abd Al-Mottaleb in clear mockery and ridicule: "I thought [illegible] you when I saw you, but I disregarded you when you spoke." Abrahah said in arrogance: "How do you ask about your camels and [illegible] the Ka'baa [illegible] undoubtedly to destroy?" Then, Abd Al-Mottaleb said in clear belief, as if he knows the divine secrets: "I own the camels, [illegible] the Ka'baa [illegible] Allah [illegible] protect it.

The saying of Abd Al-Mottaleb is extremely great, as he is the origin of the kind and honorable progeny. He had the prophecy light which descended from Adam till it reached him and Abdullah, his son. Then, a woman called Abdullah for the matter desired by any woman in an honorable man. She saw light glittering in his forehead, which [illegible] Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) being affected by the [illegible]. Allah [illegible] their eyes as well as their hearts, and they will be destined to extreme torture.

Allah, Glory be to him, protected the Ka'baa by sending His soldiers in shape of weak creatures to awaken the heedless people who are lost in the misguidance of paganism. The believers and the followers of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) should defend their religion and their Prophet without fearing anyone. Also, they should not ask anyone for supporting them [illegible] or any kind of sustenance. The power of tyranny will not succeed in changing Allah's Will

{Surely the ones who have disbelieved expend their riches to bar from the way of Allah, so they will soon expend them; thereafter these will be a cause of regret for them; thereafter they will be overcome; and the ones who have disbelieved will be mustered to Hell.}

[Al-Anfal (The Spoils): 36]

The honorable Prophet informed us with this matter, and we are all witnesses. The mockery and ridicule that are practiced towards the greatest human being in the world is a kind of application for one of Allah's methods in his creation, which is a kind of test for the believers and the strivers for the sake of Allah and His Messenger.

{That Allah may discriminate the wicked from the good, and set up the wicked one upon another, (and) so accumulate them up altogether, and then set them up in Hell; those are they (who are) the losers.}

[Al-Anfal (The Spoils): 37]

Thus, it is a test for the strength of believers as they are right.

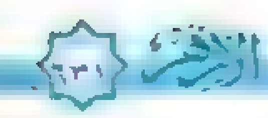
This, in brief, what was mentioned in the report. Moreover, Egyptian journals frequently described this as unprecedented news. Professors of law and society who were concerned of social reform matters wrote many articles about the subject since the establishment of ministry of social affairs in 1939. Many writers, however came to denounce the precedence of this rights. They tried to prove that these rights have been crystal clear in Islam for more than fourteen centuries. Among those writes were the then famous Islamic scientists Mohammad Khalaf and Mohammadd Abou Zahra.

They really motivated many others to conduct a number of researches on the social insurance in islam .

Concerning social Insurance, those who are concerned called for the establishment of the institutes in the forms for "Social service" they declared that they follow Europe in this respect. It is true that this idea was brand new, however, the forms of this service were quite familiar in the bright Islam era for it established the cabinet of piety and charity as represented in the activity carried out by the ministry of social Affairs. It also established the cabinet of a new represented in the ministry of Religious Endowments. It established a cabinet for collection obligatory donations and distributing them among the poor. It also established corner and small mosques to shield the disabled and the poor and to provide them with food, clothes and refuges.

In addition to this, it gave due care, to widows, divorced and single women and provide them with special unions which were not familiar in western world then. It is clear, thus, these institutes were not enough. The unawareness of the Islamic civilization resulted in considering all that comes from the west as new. Forms of Islamic civilization should be mentioned to be ultimate human differences between the two trends.

The European insurance law motives each individual to pay a small sum of money every month. The government then should save and invest it in great project. Both poor and rich should pay and benefit equally. And if someone needs to get more interests, he can double the amount of money paid to retain it when retired. Whereas for the Islamic Insurance according to the Islamic Insurance according to the Islamic countries, doesn't ask the poor or the disabled to pay a certain amount of money. It is, in fact, one of the countries duties to support the poor without anything in return. This shows That these who do not pay in the west are not offered any kind of help – the absence of the financial rights on becoming disabled losing a job, in contrast to what we can see in Islam. It is we who portion out between them their livelihood in the life of this world and we raise some of them above others in ranks, so that some command work



from others. but the mercy of thy lord is better than wealth which they amass .(Al Zukhruf:32)

It is neither human nor just to debrive the poor and to ignore the disabled, robbing them out of their dignity. A nation resembles one body if there is a tired organ, the rest of the organs are tired as well. prophet Mohammed-peace be upon him – says:" you can be close me to thought helping the weak around you ". this hadith, in fact, is very eloquent because it has many deep meanings. It states the fact the satisfying the prophet will not be achieved only by mentioning his name repeat but by dedicating efforts for the poor. Those who only pray and fast without giving any donations do not abide by Islam. It is worth mentioning that one of Abou Bakr's motivations for the break of Apostasy war was that people started to abstain from giving the obligatory donations.

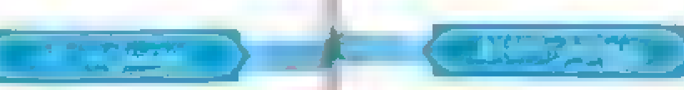
Shawki described those who only pray and fast as follow:

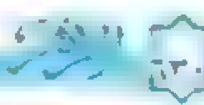
Islam did not haphazardly impose social Insurance. it didn't enhance charity work to create a bunch of lazy people who just worship God in without doing anything and then got everything. Islam has established a set of rules, which solidify the whole nation as if a tree with fixed roots. The first rule prevents those who do not work – but can be able to do so – from being offered any kind of help. This is certainly fair enough because health is more powerful a grace than wealth. Health can bring wealth but this will never be reversed. God Almighty says: it is he who has made the earth Tractable for you , so walk traverse he through its tracts and enjoy of the substance which he furnishes but unto him is the Resurrection)

(Al mulk :15) .

Prophet Mohammed says: nothing is better than working for one self, Dawood, Gods prophet, used to work for himself.

Sometimes, however, the work performed is not equal to the revenues to be acquired. In this case, pioneers of the society should provide guidance for those whose jobs do not suit their physical and mental capacities. One can find a strong young man who keeps wandering a number of office shops carrying cheap tools such as needles, pens and pins to earn few pennies which do not lift him up to the standard of a good way of living .





{And as the ones who have disbelieved were scheming to confine you, or kill you, or drive you out, and they were scheming, and Allah was scheming; and [illegible]

[Al-Anfal (The Spoils): 30]

From the English section Readers

comments "Opinions and Suggestions"

A comment from Mr. Badr Salamah, Al-Wadi Al-Gadid, Egypt reached the [illegible] Prof. Ahmad Fuad [illegible] about the incident that the [illegible] Zaid Ibn [illegible] the talks and speeches of the Jews [illegible] Abu-Dawood [illegible] fifteen days. Mr. Badr Salamah comments that we should take care of [illegible] as learning a language is not that easy and takes a long time. For [illegible] from faculty of art [illegible] than a year [illegible] I still use the dictionary in [illegible]

I do not deny the incident [illegible] the English section addresses the [illegible] This is the way our Prophet dealt with his companions [illegible] One of them was [illegible] the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) [illegible] "Do not be angry." We should learn from the Prophet in such things.

The English section thanks Mr. . salamah for his comment and interest [illegible] whatever the obstacles he suffered from the non-Muslims are." Allah said in the Noble Qur'an:

{O You Messenger, proclaim whatever has been sent down to you from your Lord [illegible] His Message, and Allah [illegible] Surely Allah does not guide the disbelieving people}

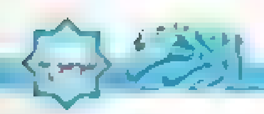
[Al-Ma'idah (The Table): 67]

Also, He says in the same Surah:

{The Messenger has only to proclaim the Message, Allah knows what you reveal and hide}

[Al-Ma'idah (The Table): 90]

The Prophet [illegible] the people about me with even a verse [illegible] Umm Hani [illegible] the Night Journey [illegible]



Social Insurance :

Precedence of the Islamic sharia to Impose it…!

By :Dr. Muhammad Rajab Al-Biomy

Many writers Worked on talking the subject of social insurance in Islam. They have mentioned the strict instructions stated by the true Islamic religion concerning the indispensability of the social insurance in Islam. Some of those writers quoted a number [illegible] whereas other preferred to follow western modeless in this field .They claimed that new social demands have resulted from [illegible] be shed on this issue " social insurance " [illegible] people until the break of the second world war.

"Insurance" did not have definite meaning, people always talking about mercy, cooperation, obligatory donations and compassion for the poor. then, the war negatively influenced the [illegible] numbers of handicaps and orphans there. So reformists, therefore, called for saving the souls of those victims." many "Beefrage" report appeared then to strike the whole world. Egypt was one of the countries [illegible] English researchers for adding a number of suggestions in this respect . Journalists and university professors believed that this report was one of

a kind . Editor in chief , professor Mohammad Abd Elwahed Khalf conducted an unequivocal research about the Economic suggestions mentioned in that report.

He stated the following : Undoubteddely , " Beefrage " project guarantees a new right for the [illegible] called for giving due attention for the poor, the weak and the disabled. Reformists asked for this as well, but it subject to the voluntary efforts carried out by individuals and groups moved by [illegible] However, these efforts had a limited influence .

with the development of societies and civilization, government through that aids should be provided for these [illegible] still this was not enough for solving the problem. "Beefrage" report according to Khalaf, appeared to unite all these different plans and to cleary declare that each country has to protect its [illegible] for better and worse [illegible] right add to the French Revolution charter of human rights .



The disbelievers claimed that Mohammad learnt the Qur'an from a Christian man, implying that he was taught by a human being. Allah, Glory be to him, replied saying:

{And indeed We already know that they say, "Surely only a mortal is teaching him." The tongue of him about whom they blaspheme is foreign, and this is an evident Arabic tongue.}

[Al-Nahl (The Bee): 103]

They said that he is a poet or a priest. Thus, Allah, Glory be to him, said:

{Surely it is indeed the saying of an honorable Messenger. And in no way is it the saying of a poet- little do they believe- Nor the saying of a soothsayer- little are you mindful of! A successive sending down from the Lord of the worlds.}

[Al-Haqah (The inevitable Truth):40-43]

They said that he is a magician or a bewitched person.

{And the ones who have disbelieved have said, "Decidedly this is nothing except a falsehood he has fabricated, and other people have helped him to it." So they have already come with injustice and forgery. And they have said, "Myths of the earliest (people) that he has had written down so that they are dictated to him before sunrise and at nightfall." Say, "He has sent it down, (He) Who knows the secret in heavens and the earth. Surely He has been Ever-forgiving, Ever-Merciful." And they have said, "What is it with the Messenger that he eats food and walks in the markets? Had there not been an Angel sent down to him, so that he would be a warner with him. Or (had there been) a hoarding cast down to him, or (had) there been to him a garden to eat of?" And the unjust (people) have said, "Decidedly you are only closely following a man bewitched." Look how they strike similitudes for you, so they have erred away, then they are unable to (find) a way! Supremely Blessed is He Who, in case He decides, will make for you a more charitable (thing) than that- gardens from beneath which rivers run, and He will make for you palaces.}

[Al-Furqan (The Criterion): 4-10]

The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) was upset for their rejection, but Allah ordered him to get away from them and worship Him to a certain moment. The ways of hurting developed in away that they boycotted the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companions belonging to Bani Hashim and bani Abd Al-Mottaleb. He was besieged and hurt while praying in front of the Ka'baa, as Uqbah Ibn Abi Mo'ait suffocated him by his clothes and spread awful things on his head.

In spite of all of this hurt, the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) was patient and not turning away from informing Allah's Message to the people to get them out of darkness to light. In Badr conquest, the disbelievers were killed and beaten by the minority of the weak Muslims.

{How often a little community has overcome a much (bigger) community by the permission of Allah, and Allah is with patient.}

[Al-Baqarah (The Cow): 249]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered the Muslims to kill Abi Mo'ait. The Muslims dug a hole to bury the murdered disbelievers, while the Prophet asked them, "Did the saying of Allah come true? I found that the saying of Allah came true." Abu Lahab died after Badr conquest disdained and diseased. Allah drove the disbelievers back from the Muslims who were disdained by the disbelievers. Allah, Glory be to him, said:

{Surely we suffice you against he mockers.}

[Al-Hijr (Thamud's Habitation): 95]

{O you Prophet, Allah is enough for you and (for) the ones of the believers who closely follow you.}

[Al-Anfal (The Spoils): 64]

The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) and the believers did not fear anyone but Allah. The disbelievers tried to frighten the Muslims after [illegible] conquest, but they said, "Allah will sustain us." Allah, Glory be to Him, punished those who hurt the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him).

Al-Bukhary narrated in his book, Al-Manaqeb, a chapter dealing with the signs of prophecy about Anas (may Allah be pleased with him) who said, "Christian man became a Muslim after being Christian, and he read Al-Baqarah and Al-Imran. But he became Christian once more. He used to say that Mohammad does not know except what I wrote. When he died, he was buried, but at the morning the earth ejected him. His people said that this is the act of Mohammad and his companions. They dug a deep hole, but the earth ejected him. They said it is the act of Mohammad and his companions who disentombed him when he fled from them. They dug a very deep hole, but the earth ejected him once more, then they knew that he does not belong to the people, the matter that let them throw him.

Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) suffered from hurt and mockery at every age including his life and after his death. But Allah protected him and repulsed the mockers and cunning people. Allah, Glory be to him, said:

{Surely we suffice you against he mockers.}

[Al-Hijr (Thamud's Habitation): 95]

Also, Allah, Glory be to Him, said:

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabie Aker, 1429 A.H.

ENGLISH SECTION

April-May 2008



﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

At the Memorandum of the Prophet Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him).

If they knew his attributes and the reality of his Message, they would not ever attack him, but they become sincere followers ...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

My family and I were [illegible] one of the well-known [illegible] watching the displayed [illegible] became far from us and I [illegible] heard my [illegible] and [illegible] Mohammad" I answered her [illegible] said that Mohammad was a [illegible] people and [illegible] their [illegible] her I asked her [illegible] business administration. I asked her [illegible] She said "Since my childhood I [illegible] and religious men. She added that [illegible] be doubted.

I asked her once again: "Did not they say that Mohammad [illegible] Messenger to guide the humanity [illegible] guide the humanity were committing such acts? Your teachers and priests are not the first people to [illegible] the Prophet Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). When he announced his Da'wa [illegible] asked the people to worship Allah [illegible] newborn girls in the sand. He asked the people [illegible] ill, young and needy [illegible] bearing his harm [illegible] disdaining or insulting.

Although he called the people [illegible] the reasonable- he was [illegible] at every place, a [illegible] saying nonsense. The [illegible] of declaring the Da'wa [illegible] Lahab said: "May evil [illegible] Glory be to Him, said:

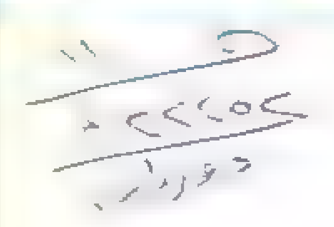
{Would the hands of Abu Lahab be [illegible] no way did his wealth [illegible] flaming fire. And his wife, the [illegible] she will have a rope of palm-fibers.}

[Al-Masad (The Palm-Fibers)]

الفهـــرس


AL AZHAR
MAGAZINE


الأزهر
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي
يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٢٩هـ - مايو ٢٠٠٨م - الجزء الخامس - السنة (٨١)





بقلم رئيس التحرير

مجاملة المراهقات بالمديح الكاذب

(مثال رائع للدكتور طه حسين في توجيهه النقدي)

حاولت أن أبرّد عواطفي حين مسكت القلم لأكتب هذا المقال، إن وهجاً سخيناً قد شب في عروقي حين سمعت أحد نقاد الأدب يتكلم في حماسة حارة عن قصة ساذجة لبعض الناشئات ممن لا يحسن قواعد الإملاء والنطق المتواضع، فضلاً عن تصوير الأحداث، واستشفاف الخوالج. وقد شاء حظ الكاتبة أن تقع قصتها في يدي من قبل، فأخذت أقرؤها لأتثقف وأستمتع! فجعلت أتفكه وأسترجع ... ثم يجيء الناقد فيرتفع بالقصة وكاتبها إلى حالق لبعض العبقريات! هنا شب الوهج في صدري، وأخذت أقلب كفا فوق كف.

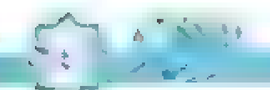
وقبل كل شيء أعلن أني أقدّر أدب المرأة الموهوبة، وأعرف من شاعرات الأمس واليوم من يقفن مع كثير من الرجال في مستوى رفيع! بل أعرف في شعر المرأة حنانا يفجر الماء من يابس الصخر، ولوعة مكظومة تزين لفائف القلوب، كما قرأت روائع القصص للمعاصرات من أمثال ميّ زيادة وسهير القلماوي وبنت الشاطئ وأمينة السعيد ولطيفة الزيات ووداد سكاكيني وأمينة الصاوي. إذن فلست خصيما لشعر المرأة وقصصها، ولكني مشغوف بروائعه، ولست وحدي في ذلك فإن توفيق الحكيم في صدر شبابه حين كان ينتهي بأنه عدو المرأة قد أنصف مقدرتها القصصية وقال فيما قال: (مجلة الثقافة ٢٨ ٢ ١٩٣٩).

«إن الشعور والتحليل هما الدعامة التي شيدت عليها المرأة كل آثارها الخالدة، في تاريخ الأدب والفنون فمن شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام إلى سافو إلى مدام دستال وجورج ساند، وجورج إليوت. إلى كوليت وماري وكاترين وسحريد أندست كلهن قد ارتفعن متألقات في سماء الفن. على أجنحة العاطفة الرقيقة، وكلهن قد أظهرن من البراعة في التحليل ما قصر عن إدراكه كثير من نوابغ أهل الفن من الرجال، والتحليل هو الملكة التي لا بد منها لكل كاتب يعالج الرواية الخالصة. فهذا النوع من الأدب إنما يقوم على التغلغل في نفوس الناس، وضمائر الأشخاص.. وهنا استطاعت المرأة بالفعل أن تظهر من طول الباع، ومن قوة الجلد على تحليل التفاصيل ما أثبت لنقاد الأدب أن الرواية الخالصة نوع توشك أن ترفع فيه المرأة علم السيادة».

توفيق الحكيم

هذا بعض ما قاله توفيق الحكيم لا كله، وإذا كان ما قال شهادة رائعة للأدب القصصي الذي تبدعه المرأة فإنه من ناحية ثانية حجة هامة لإبداع قائم على التغلغل والتوغل في نفوس الناس، وضمائر الأشخاص، وعلى قوة الجلد في تحليل التفاصيل، والتفاصيل الكبرى يذكر ما يخفى على العين العابرة، ولم يتحدث الحكيم عن جمال التعبير الأدبي لأنه أمر مفروغ منه بدءاً، ولابد لكل موهوب أن يمتلك ناصيته قبل أن يلج إلى تحليل المشاعر وسرد التفاصيل، فإذا جئنا اليوم إلى هذا الطوفان المكتسح الذي يتدفق في السلاسل الأدبية الحكومية وغير السلاسل الأدبية الحكومية، فهل نجد لدى الفتيات في قصصهن الساذجة غير ما نجد في مذكرات التلميذات بالمدارس الثانوية! والهازلات منهن بنوع خاص، هؤلاء اللاتي يجعلن الحب المبتذل كل شيء فيما يكتبن، ولا أعرف لدى مرة من عالجت غير مواقف الحب الشريف والداعر معا! ولكن أي معالجة؟ إنها الرصد لأحاسيس المراهقة في نشوز أدبي، لا يعرف طلاقة التعبير بل لا يعرف القواعد الأصلية للإعراب! ثم يجيء ناقد في البرنامج الثاني، أو على صفحة جريدة يومية فيقرن هذه المسكينة بالشهيرات من أديبات الغرب، ويمزج الحديث بمختلط ركيك من المصطلحات التي لا يدرك من معناها الأصيل شيئا. وهو في بعض أموره وأحواله دكتور ومدرس بالجامعة!

وقد قلت في مقال متواضع نشرته بجريدة صوت الأزهر، إن كثرة هذا النوع الجسدي



المقرر لدى فتيات القصة يؤكد أن هناك مخططا خافيا يهدف إلى تسطيح الفكر الأدبي، وبعده عن النظر في القضايا الاجتماعية والسياسية والإسلامية التي تصور هموم المجتمع الإسلامي والعربي معا، مع تيسير الوسائل السريعة لنشر هذه المخدرات الهابطة على نطاق واسع. وما تكاد قصة ركيكة من هذا الطراز ترى النور المطبعي حتى تقام الندوات للإشادة بها في البرامج الأدبية بالإذاعة وفي الصالونات المظهرية التي تحاول استرجاع عهد الآنسة مي دون كفاءة واعية. وفي أعمدة الجرائد والمجلات التي يحتلها أناس لا يقرءون غير العنوان. ثم يخوضون في تهويمات هي أشبه باللغو السقيم! ولو قرءوا ما وصلوا إلى شيء.

لقد ألزمت نفسي ألا أشير إلى أسماء الفتيات والناقدين، وهذا ما يجعل المقال موضوعيا في اتجاهه الهادف. ولكني لا أجد مفرًا من أن أضحك القارئ بما سمعت في ندوة بالبرنامج الثاني تتحدث عن قصة تبجل (إيزيس) ذات الشخصية المصرية العريقة ولكنه تبجيل السذاجة الغافلة التي لا تستند إلى منطق. وقد قالت المؤلفة العظيمة عند نفسها وعند الناقد والمذيعة فحسب - "إنها اختارت (إيزيس) بدل (ليلى) هذه الرمة المدفونة في صحراء العرب ولا يحسها أحد في مصر، وكنت أنتظر من الناقد أن يستنكر هذا اللغو العابث. ولكن القول السخيف مضى دون تعقيب!! إن اسم ليلى ياهذه يوجد في كل صف من صفوف مدارس البنات بحيث يشتمل الصف الواحد على عدة ليلات! وما وجدت إيزيس في كشف من كشوف الأسماء. فكيف تكون ليلى رمة مدفونة بصحراء العرب لا يحسها أحد في مصر! ولديك أسماء الفنانات وهن أقرب إلى التفرنج المبهر. فمن أسمائهن ليلى مراد، وليلى فوزي، وليلى حمادة، وليلى طاهر، وليلى علوي وليلى جمال. وليلى نظمي ومن لا أعرف من حسان هذا الميدان! ولست أجحد مقام إيزيس فأنا مصري عريق. ولكني استنكر هذه الطفولة العابثة التي تهتف بما لا تعرف! إن اسم ليلى في الأدب العربي كاسم جوليت في الأدب الإنجليزي واسم شرين في الأدب الفارسي، وقد جرى المثل العربي بقول القائل: (كلٌّ يغنّي على ليلاه).

أتريد مثلا آخر لنفاق الناقد غير المستساغ؟ لقد تعرض أحدهم للحديث عن قصة مبتذلة لكاتبة واهنة، كتبت في مجموعتها قصة شغلت ثلاث صفحات من صفحات الكتاب. وقد جعلت النصف الأسفل من الصفحة أبيض فارغا من أي حرف؛ وكنت أنتظر أن يسأل الناقد عن سبب هذا التجديد المباغت. ولكنه تبرع من عند نفسه بالإجابة عن السر الذي لا يعرفه أحد. أيدري القارئ ما قال هذا الناقد المتعمق؟ إنه قرر أن القصاصة المبدعة أرادت أن يتخيل القارئ أشياء تلهمها القصة فتركت له مزيدا من الفراغ. ليأخذ القلم ويدون في السطور البيضاء ما أوحي إليه" ومعنى هذا أن فتحا جديدا قد ظهر في عالم التأليف القصصي. إذ على الكاتب أو الكاتبة فيما بعد أن يتركا نصف الصفحة بيضاء، ليسجل القارئ ما يتخيل! ويا له من فتح!

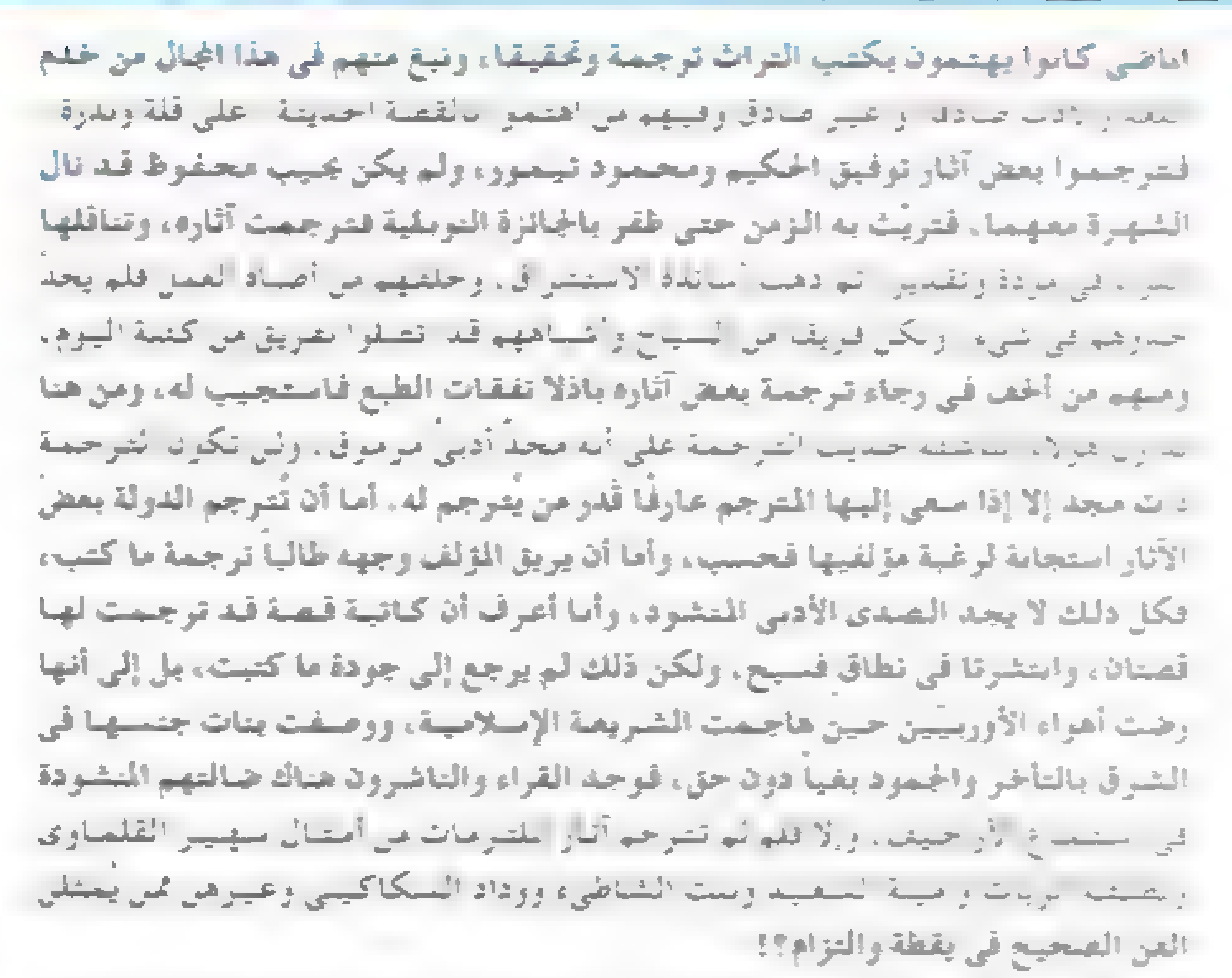
أترك حديث الندوات النقدية إلى بعض ما ينشره النقاد في الصحف، إذ تجد من الغرائب ما لا يصدق. فالناقد المحترم من هؤلاء لا يجد ما يقوله بوضوح. فيلجأ إلى تهويمات غامضة تقرأ سطورها فتفهم الألفاظ منفردة. ولكن المراد من السياق لا يسفر عن وجهه أبدا. ثم ينتهي بعد هذا الضباب المتراكم إلى مثل ما قاله ناقد بجريدة الأهرام عن قصة هلامية لا تعطي شيئا ما غير النفور الضائق:

«إن أسلوب الكتابة ينهل من موهبة صاحبته في التأمل والملاحظة والتقاط الصورة من بين الآلاف المشوشة في الحياة اليومية. وهذه الموهبة تثري العمل القصصي بنماذج حية إذ الشحنات الوجدانية مهما كان من قيمتها بالنسبة للأديب فإنه من المؤكد كما يقول (مالرو) إنه لن يكون في وسعنا أن نحدد نوع نشاطه الفني بالاقتصار على وجدانه أو إلهامه أو خياله».

هذا ما ختم به الناقد تهويماته العائمة" أما كيف جاءت الشحنات الوجدانية بأثرها الفعال في التأمل والملاحظة والتقاط الصور فهو ما لم يستطع الإفصاح عنه" ولابد أن يذكر (مالرو) في مجال التهويم ليدل على ثقافة الناقد وأما صور العبث الجسدي الرخيص في المجموعة فهو بعض هذه الشحنات.

أنا لا أمنع التشجيع، والأخذ بالأيدي الضعيفة لتقوى وتشتد. فهذا حق الناقد. ولكن أي ناقد؟ إنه الذي يزن العمل بميزان متزن لا تميل فيه كفة عن وضعها الصحيح. ولكن ماذا تقول في مجلس مداهنة كاذبة يتشح ظاهريًا بعباءة النقد لينتهي إلى تنويه من تخطئ في الإملاء والقواعد. فتقول أخوكي. أخوكي محاطبة زميلتها الأنثى. وتقول تعرفي حبي لك. وتعلمي موقفي منك! ولا تكاد تنصب مفعولاً. وهو أول ما يعرفه تلميذ المدرسة الابتدائية! أيترك هذا كله" ويترك معه تفاهة العرض. وسطحية الحوار. وانحدار الهدف. ثم يقنع الناقد في غفلة. متكلما أو كاتبا. بأنه أدى دوره الصحيح" وتخرج الكاتبة وقد أصبحت من رائدات القصة الحديثة. وتقول في شموخ. لقد جاءني من سيترجم قصصي" وقد وافقت! هكذا سمعت!

وحديث ترجمة القصص حديث لافت للنظر. فنحن نعلم أن المستشرقين في الزمن



الماضي كانوا يهتمون بكتب التراث ترجمة وتحقيقا، ونبغ منهم في هذا المجال من خلع [illegible] صدق وغير صدق، وفيهم من اهتموا بالقصة الحديثة على قلة وندرة فترجموا بعض آثار توفيق الحكيم ومحمود تيمور، ولم يكن نجيب محفوظ قد نال الشهرة معهما، فتريث به الزمن حتى ظفر بالجائزة النوبلية فترجمت آثاره، وتناقلها الناس في مودة وتقدير، ثم ذهب أساتذة الاستشراق، وخلفهم من أضداد العمل فلم يجد جيلهم في شيء، ولكن فريقا من الشباب وأشباههم قد تشاغلوا بفريق من كتبة اليوم، ومنهم من أخف في رجاء ترجمة بعض آثاره باذلا نفقات الطبع فاستجيب له، ومن هنا بدت لهؤلاء [illegible] حديث الترجمة على أنه مجد أدبي مرموق. ولن تكون الترجمة ذات مجد إلا إذا سعى إليها المترجم عارفا قدر من يترجم له. أما أن تترجم الدولة بعض الآثار استجابة لرغبة مؤلفيها فحسب، وأما أن يريق المؤلف وجهه طالبا ترجمة ما كتب، فكل ذلك لا يجد الصدى الأدبي المنشود، وأنا أعرف أن كاتبة قصة قد ترجمت لها قصتان، وانتشرتا في نطاق فسيح، ولكن ذلك لم يرجع إلى جودة ما كتبت، بل إلى أنها رضت أهواء الأوربيين حين هاجمت الشريعة الإسلامية، ووصفت بنات جنسها في الشرق بالتأخر والجمود بغيا دون حق، فوجد القراء والناشرون هناك ضالتهم المنشودة في [illegible] الأراجيف. ولا ندري لم تترجم آثار الملتزمات من أمثال سهير القلماوي [illegible] وأمينة السعيد وبنت الشاطئ ووداد السكاكيني وغيرهن ممن يمثلن الفن الصحيح في يقظة والتزام؟؟!

ولي أن أنتقل إلى ما يسمى الآن «بالزمن الجميل» والقصد منه زمن الارتقاء السالف في دنيا الأدب والنقد والفكر والفن حين كان أقطاب هذه الفنون أساتذة حقا، يملئون السمع والبصر ويحتلون منازل الحب والتقدير، ولا ينكر أحد أن الأستاذ الدكتور طه حسين كان في طليعة هؤلاء، وكان في دروسه الجامعية كما كان في مقالاته النقدية يعطي النموذج الأعلى للنقد المنصف، وللتقييم الصحيح. لقد تحدث عن مؤلفات الكثيرين من معاصريه حديث الناقد الموجه، وفيمن تحدث عنهم سيدات فضليات بعثن إليه بآثارهن فقرأها قراءة الراغب المستفيد، ووضعها موضعها الصحيح دون حيف أو مغالاة، وكتب عن كل أثر من آثارهن فصلا نقديا يجب أن يقرأه الآن أساتذتنا المتصدرون للنقد، ومن حظهم أن الرجل الكبير قد جمع أكثر مقالاته في أجزاء تعددت طبعاتها، واحتلت قلوب الناس قبل أن تحتل رفوف المكاتب، وسأكتفي بالإشارة هنا إلى نموذجين من كتاب واحد كي تسهل العودة إليه لمن يريد الاستقصاء، والكتاب هو «فصول في الأدب والنقد» وقد طبعته دار المعارف عدة طبعات. ثم انتقل إلى دور النشر اللبنانية فبلغ حظا كبيرا من الاشتهار!



طه حسين

أما النموذج الأول فهو ما كتبه عن قصة «حريم» للسيدة قوت القلوب الدمرداشية، وهي كاتبة مصرية شاءت أن تكتب مؤلفاتها باللغة الفرنسية. فقد أنصف المؤلفة حين ذكر أن كتابها أعطى أدق صورة وأصدقها لحياة كثير من الأسر المصرية في جدها وهزلها وفي العظيم من أمرها واليسير، فالخطبة مصورة أصدق تصوير وأروعه وحفلة الزواج مصورة أصدق تصوير وأروعه، ويوم الزفاف، ومقدم المولود، وحفلة الأسبوع والحياة اليومية في أيام الأعياد، والخلاف الزوجي الذي ينتهي إلى الطلاق، وهذه اللوعة التي تصيب الأسر حين يختطف الموت من بينها زعيمها وحاميها، وكل ذلك لا تنظر إليه الكاتبة من عل، وإنما تعيش بين الناس وتصور ما ترى وتحس، وبعد أن أفاض الناقد في تحليل الكتاب، وبسط ما تضمن من صور ومشاهد وأزمات، قال في عطف تتخلله الرقة الحانية، ولكنه لا يغفل واجب النصح الهادف، والتقويم السديد:

«وتسألني عن رأيي في الكتاب، أراض أنا، أم ضائق به؟ فأما من الناحية الفنية الخالصة. فأنا راض عن الكتاب مثن عليه. آسف لأنه لم يكتب باللغة العربية، حريص على أن يترجم إلى هذه اللغة، وأما من الناحية المصرية فقد أتحفظ على هذا الرضا بعض الشيء. لأن الأجانب يسجلون علينا ما سجلته، فلندع لهم ذلك. وفي حياة المصريين ما تستطيع أن تسجله للأجانب فترضيهم ولا تضحكهم، ولست أرى بأسا بأن يكتب هذا الكتاب باللغة العربية لنظهر على نقائصنا فنصلحها، وعلى محاسننا فنزداد منها، ولست أرى بأسا بأن يترجم هذا الكتاب إلى لغة أجنبية، فيعرف الأجانب أننا لا نشفق من تسجيل عيوبنا، والجد في إصلاحها، فأما أن تصور هذه الخصائص مباشرة في لغة أجنبية. لا لنظهر نحن عليها، بل ليظهر عليها غيرنا، فهذا الذي أقف منه موقف التحفظ. ومن الحق أني لن ألومه عليه. ولننتقل الآن إلى عيب فني أثر هذا التحفظ ثم قال الدكتور: وهل تأذن لي الكاتبة في أن ألاحظ في رفق أن الذين يقرءون كتابها قد يخدعون عنها أحيانا، وقد يظنونها فرنسية لأنها تجهل عن المصريين ما لا ينبغي أن يجهل. فشيخ الإسلام مثلا هو الرئيس الأعلى للمؤمنين. وهو عند المصريين شيخ جامع الأزهر فقط! ومحمد وأحمد اسمان لاثنين من أبناء النبي ﷺ، وهما عند المسلمين اسمان من أسماء النبي نفسه! وإن تعجبا قد دهشت ما كتبته سيدة هي ابنة شيخ من كبار مشايخ الطرق الصوفية. وقد نشأت في جو الذكر والأدعية والأوراد والصلاة على رسول الله، ثم لا تعلم اسم نبيها الكريم! لقد اكتفى الدكتور بتسجيل هذا الخطأ،

ولكني أرى أن الموقف كان يستدعي أكثر من التسجيل، لأن التي تجهل اسم نبيها العظيم تجهل من الإسلام كل شيء!

أما النموذج الثاني مما كتبه الدكتور، فهو ما كتبه عن قصة (سلمى وقريتها) التي ألفتها بالفرنسية الكاتبة (مدام أمي خير) وهي سيدة لبنانية عاشت في المنصورة بأرض مصر، وثقفت الفرنسية، ولم تتحدث عن مصر بل تحدثت عن موطنها الأصلي في إحدى قرى لبنان، وقد قال الدكتور أنه لا يخفي رضاه عن الكتاب، وإعجابه ببعض فصوله. ولكنه اعترف أن القصة التي تتضمن الأحداث ليست غريبة ولا طريفة. بل هي مألوفة نكاد نقرؤها في كل كتاب من كتب الأدب العربي يتحدث عن العشاق الذين يضنيهم الحب حتى يفضي إلى الموت! فالبطلة قد حيل بينها وبين حبيبها لاعتراض أبيها وقد أرغم الوالد ابنته على الزواج بغيره. كما حدث لقيس بن ذريح تماما! ثم قال الدكتور:

«إن المؤلفة تنبئنا أن كتابها صورة فوتوغرافية لسلمى وقريتها. وقد يكون هذا حقا. وهو في الوقت نفسه مصدر فضل الكتاب. وكم كنت أود لو أن هذا الكتاب لم يكن صورة فوتوغرافية بل كان صورة فحسب، صورة من عمل الإنسان، لا من عمل الآلة الفوتوغرافية. صورة تظهر فيها شخصية الكاتبة ظهورا واضحا نأنس إليه ونستعين به، على إساغة هذه الحقائق التي يشتمل عليها هذا الكتاب. ولكن القصة كانت كما أرادت مدام خير صورة فوتوغرافية فامتازت بالصدق والدقة، وفقدت شيئا كثيرا من الحياة والتأثير».

هذان نموذجان مما كتب الدكتور عن القصة النسّوية، وفيهما ما يقدم المثال المنشود لناقد اليوم، فقد وصف الدكتور محاسن القصتين وأشاد بهما إشادة المشجع العطوف. وهذا ما نحرص عليه دون أن نجد اعتراضا ما يتّجه إليه. ولكنه مع العطف المشجع قد أبدى رأيه الناقد فيما وجده مستحقا للنقد الجاد. ولم يكن ناقدا فحسب، بل كان أستاذا موجها يهدي للتي هي أقوم، ولعل الكاتبتين قد أفادتا من توجيهه. فعرفت موضعي الخطأ والصواب.

وهنا ألفت النظر إلى ناحية هي -على ضرورتها الملحة- ليست اليوم بذات شأن عند الكاتب والناقد معا. فكلاهما يعد الخطأ النحوي أمرا شكليا لا صلة له بجودة الفن. بل ربما نظر باستخفاف إلى من يحتّم التزام القواعد النحوية. ويعدانه قاصرا عن استيعاب المنحى الفني للقصة، وللدكتور طه حسين في هذا المجال موقف حاسم، حكته

الآنسة سهير القلماوي في مقال نشر بمجلة الرسالة الصادرة في (١٦ ٤ ١٩٣٤) تحت عنوان (غلطة نحوية) وخلاصته -لأن المقال طويل نسبيّا- أن الطالبة سهير، نشرت بمجلة الرسالة مقالا يتضمن غلطة يسيرة في عودة الضمير لجمع المؤنث. ولم تدر أن الدكتور طه قرأ المقال، ولكنها فوجئت به يتشدد في طلب رؤيتها، حتى حسبت أن الأمر جد خطير، وما حان موعد لقائه في الغد، حتى نهضت إليه متوجسة، وقد ذهبت الظنون بها كل مذهب، تقول الآنسة سهير القلماوي متحدثة عن نفسها بضمير الغائبة:

«ودَخَلَتْ حجرته، فحيته وحيّاها، وهي تحاول في جهد أن تتتبّع كلامه، وأن تخفي عجلتها واشتياقها لمعرفة ما جاءت من أجله. وخفق قلبها. ولم تستطع حفظ مظهر الاتزان الذي تكلّفته. . . ثم صاح الدكتور يا فريد. هات عدد الرسالة الماضي. إنها غلطة تكبرك بكثير. وقد كلمت الأستاذ الزيات بشأنها. إنها غلطة نحوية كبيرة، إما أن تُقلعي عنها. وإما تطلعي على الناس بمذهب جديد لا يفرقْ في الجمع بين المذكر والمؤنث. دوّني في مذكراتك أن أستاذك استدعاك من العباسية إلى عابدين. من أجل غلطة نحوية». فقالت: سأدوّن!!

هذا لباب ما جاء في المقال فماذا يرى الذين يستحسنون من القاصة الناشئة، أن تقول لصاحبتها (أبوكي. أرجوكي. تعرفي معزّتي عندك!) ثم لا تقيم مثنى أو جمع مذكر على وجههما وهي بذلك تطلع على الناس بمذهب جديد في النحو. كما تهكم طه من قبل!

لقد كنت أحسب أن موجة التأليف النسائي للقصة المتهافتة ستنجلي حين تعرف الناشئة وجه الصواب فترجع إليه. ولكن (طبل) الناقد وهتافه المتواصل. مما جعل الموجة تمتد إلى أبعد الآماد، ومما جعلني أقلّل من طمعي في العودة إلى الصواب، وهو طمع لا تقوم الدلائل على يُسر تحقيقه. بل دونه أهوال وصعاب. كتلك التي عناها الشاعر الصوفي حين قال:

ولي طمعٌ في قلب ظمياء عهدُهُ ... بعيدٌ، وكمْ خابتْ لديها المطامع

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

الآيات: ١٦٩ - ١٧٢

فقوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾

كلام مستأنف ساقه - تعالى - لبيان أن القتل فى سبيل الله الذى يحذره المنافقون ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر، بل هو أجل المطالب وأسناها. إثر بيان أن الحذر لا يدفع القدر، لأن من قدر الله له القتل لا يمكنه الاحتراز عنه. ومن لم يقدر له ذلك لا خوف عليه منه.

فهذه الآيات الكريمة رد على شماتة المنافقين إثر الردود السابقة، وتحريض للمؤمنين على القتال. وتقرير لحقيقة إسلامية ثابتة هى أن الاستشهاد فى سبيل الله ليس

فناء بل هو بقاء والخطاب فى قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ للنبى ﷺ أو لكل من يتأتى له الخطاب.

والحسبان الظن. والنهى هنا منصب على هذا الظن. أى أنهاكم عن أن تظنوا أنهم أموات. ونون التوكيد فى قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ لتأكيد هذا النهى.

أى: لا تحسبن أيها الرسول الكريم، أو أيها المؤمن أن الذين قتلوا فى سبيل الله، من أجل إعلاء كلمته. لا تحسبهم أمواتا لا يحسون شيئا ولا يلتذون ولا يتنعمون. بل هم أحياء عند ربهم. يرزقون رزق الأحياء، ويتنعمون بألوان النعم التى أسبغها الله عليهم. جزاء إخلاصهم وجهادهم وبذلهم أنفسهم فى سبيل الله.

وقوله ﴿ الَّذِينَ ﴾ مفعول أول لقوله ﴿ تَحْسَبَنَّ ﴾ وقوله ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ مفعوله الثانى وقوله ﴿ أَحْيَاءٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أى بل هم أحياء.

وقوله ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ يصح أن يكون خبرا ثانيا للمبتدأ المقدر أو صفة لأحياء أو ظرف له لأن المعنى. يحيون عند ربهم.

والعندية هنا مجاز عن القرب والإكرام والتشريف. أى هم أحياء مقربون عنده. قد خصهم بالمنازل الرفيعة. والدرجات العالية. وليس المراد بها القرب المكانى لاستحالة ذلك فى حق الله - تعالى -.

وقوله: ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ صفة لقوله ﴿ أَحْيَاءٌ ﴾ وحال من الضمير فيه أى يحيون مرزوقين. هذا وقد وردت أحاديث متعددة تصرح بأن هذه الآيات الكريمة قد نزلت فى شهداء أحد، ويدخل فى حكمهم كل شهيد فى سبيل الله، ومن هذه الأحاديث ما أخرجه أبوداود وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله - تعالى -: «أنا أبلغهم عنكم. قال: فأنزل الله هذه الآيات:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾

إلخ الآيات.

وأخرج الترمذى وابن ماجة عن جابر بن عبدالله قال: لقينى رسول الله ﷺ فقال: «ياجابر مالى أراك منكسا مهتما»؟ قلت يا رسول الله استشهد أبى - فى أحد - وترك عيالا وعليه دين. فقال: ألا أبشرك بما لقى الله - عز وجل - به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا - أى مواجهة ليس بينهما حجاب - وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب، فقال له يا عبدى تمن أعطك. قال: يا رب فردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية. فقال الرب - تعالى - إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورائى فأنزل الله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾

قال القرطبي- بعد أن ساق هذين الحديثين وغيرهما -ما ملخصه: «لقد أخبر الله -تعالى- في هذه الآيات عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون. والذي عليه الكثيرون أن حياة الشهداء محققة. ثم منهم من يقول: ترد إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون، كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون. وصار قوم إلى أن هذا مجاز، والمعنى أنهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة. وقال آخرون أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون وهذا هو الصحيح من الأقوال، لأن ما صح به النقل فهو الواقع. وحديث ابن عباس- الذي سقناه قبل قليل- نص يرفع الخلاف»[1].

والذي تطمئن إليه النفس أن الآية الكريمة تنبه على أن للشهداء مزية خاصة تجعلهم يفضلون الموتى المعروفين لدى الناس، وهي أنهم في حياة سارة، ونعيم لذيذ، ورزق حسن عند ربهم. وهذه الحياة الممتازة ترفعهم عن أن يقال فيهم كما يقال في غيرهم: أموات، وإن كان المعنى اللغوي للموت- بمعنى مفارقة الروح للجسد في ظاهر الأمر- حاصلا للشهداء كغيرهم من الموتى.

إلا أن هذه الحياة البرزخية التي أخبر الله بها عن الشهداء نؤمن بها كما ذكرها الله- تعالى ولا ندرك حقيقتها، إذ لا يمكن إدراكها إلا من طريق الوحي، فقد قال- تعالى- في آية أخرى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

[البقرة: ١٥٤]

أي ولكن لا تحسون ولا تدركون حال هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله بمشاعركم وحواسكم، لأنها من شئون الغيب التي لا طريق للعلم بها إلا بالوحي.

ثم بين- سبحانه- ما هم فيه من مسرة وحبور فقال:

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

أي فرحين فرحا عظيما بعد انتقالهم من الدنيا، بما أعطاهم الله في حياتهم الجديدة من ضروب النعم المتعددة التي من بينها الثواب العظيم، والنعيم الدائم، والسعادة التي ليس بعدها سعادة.

وقوله ﴿ فَرِحِينَ ﴾ يصح أن يكون حالا من الضمير في ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ أو من الضمير في ﴿ أَحْيَاءٌ ﴾ وقوله ﴿ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ متعلق بآتاهم.

و﴿ مِنْ ﴾ يصح أن تكون للسببية أي الذي آتاهم متسبب عن فضله. أو لابتداء الغاية وقوله:

(١) تفسير القرطبي جـ٤ ص ٢٦٨

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ معطوف على فرحين لتأويله بيفرحون. أو هو حال من الضمير في ﴿ فَرِحِينَ ﴾ بتقدير وهم يستبشرون.

وأصل الاستبشار: طلب البشارة وهو الخبر السار الذي تظهر آثاره على البشرة إلا أن المراد هنا السرور استعمالا للفظ في لازم معناه.

أي: أن هؤلاء الشهداء فرحين بما آتاهم الله من فضله من شرف الشهادة، ومن الفوز برضا الله، ويسرون بما تبين لهم من حسن مآل إخوانهم الذين تركوهم من خلفهم على قيد الحياة، لأن الأحياء عندما يموتون شهداء مثلهم سينالون رضا الله وكرامته، وسيظفرون بتلك الحياة الأبدية الكريمة كما ظفروا هم بها. فالمراد بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم: رفقاؤهم الذين كانوا يجاهدون معهم في الدنيا ولم يظفروا بالشهادة بعد، لأنهم مازالوا على قيد الحياة.

وفي هذا دلالة على أن أرواح هؤلاء الشهداء قد منحها الله -تعالى- من الكشف والصفاء ما جعلها تطلع على ما يسرها من أحوال الذين يهمهم شأنهم في الدنيا.

وقيل: إن معنى ﴿ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم.

وقوله ﴿ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿ يَلْحَقُوا ﴾ أي لم يلحقوهم متخلفين عنهم باقين بعد في الدنيا. أو متعلق بقوله ﴿ يَلْحَقُوا ﴾ فإنه على معنى أنهم قد بقوا بعدهم وهؤلاء الشهداء قد تقدموهم.

وقوله:

﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

بدل اشتمال من قوله:

﴿ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾

مبين لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم.

والمعنى: ويستبشرون بما تبين لهم من حال الذين تركوهم من خلفهم في الدنيا من رفقائهم المجاهدين. وهو أنهم لا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما تركوه في الدنيا، بل هم سيكونون آمنين مطمئنين بعد فراقهم للدنيا وعندما يبعثون يوم القيامة.

ونفى عنهم الخوف والحزن، لأن الخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل في المستقبل. والحزن يكون بسبب فوات النافع التي كانت موجودة في الماضي. فبين- سبحانه- أنه لا خوف عليهم فيما سيأتيهم من أحوال القيامة، ولا حزن لهم فيما فاتهم من متاع الدنيا.

وقوله:

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

استئناف مبين لما هم عليه من سرور يتعلق بذواتهم. بعد أن بين -سبحانه- سرورهم بحال الذين لم يلحقوا بهم.

والمعنى أن هؤلاء الشهداء يستبشرون بحال إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم.

كما أنهم يستبشرون أيضا لأنفسهم بسبب ما أنعم الله به عليهم من نعم جزيلة وبسبب ما تفضل به عليهم من زيادة الكرامة، وسمو المنزلة.

وهذا يدل على أن هؤلاء الشهداء لا يهتمون بشأن أنفسهم فقط. وإنما يهتمون أيضا بأحوال إخوانهم الذين تركوهم في الدنيا، وفي ذلك ما فيه من صفاء نفوسهم، وطهارة قلوبهم، حيث أحبوا الخير لغيرهم كما أحبوه لأنفسهم، بل أن تقديم استبشارهم بحال إخوانهم على استبشارهم بما يتعلق بأنفسهم ليشعر بأن اهتمامهم بحال إخوانهم أشد من اهتمامهم بحال أنفسهم.

ويرى بعضهم أن الضمير في قوله:

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ ﴾

يعود على الذين لم يلحقوا بهم فتكون جملة ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ حال من الذين لم يلحقوا بهم. وعليه يكون المعنى أن هؤلاء الذين لم يلحقوا بهم لا خوف عليهم ولا حزن لهم مستبشرون بنعمة من الله وفضل...

وقوله:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

معطوف على:

﴿ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾

وهذا على قراءة الجمهور بفتح همزة أن على معنى وبأن.

والتقدير: يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله -تعالى- لا يضيع أجر المؤمنين. وإنما سيعطيهم النصر والعزة والكرامة جزاء جهادهم.

وقرأ الكسائي: «وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين» بكسر همزة إن على الاستئناف والمقصود من الآية الكريمة بيان أن كل مؤمن يخاف مقام ربه وينهى نفسه عن الهوى، ويجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله، فإن الله - تعالى - لا يضيع شيئا من أجره، بل يعطيه من الجزاء الحسن -بفضله وإحسانه- أكثر مما يستحق.

ثم مدح -سبحانه- المؤمنين الصادقين الذين لم تمنعهم جراحهم وآلامهم عن الاستجابة لأمر رسولهم ﷺ فقال -تعالى-:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

قال الفخر الرازي ما ملخصه: اعلم أن الله تعالى مدح المؤمنين على غزوتين تعرف إحداهما بغزوة حمراء الأسد. والثانية بغزوة بدر الصغرى. وكلتاهما متصلة بغزوة أحد أما غزوة حمراء الأسد فهي المرادة من هذه الآية، فإن الأصح في سبب نزولها أن أبا سفيان وأصحابه بعد أن انصرفوا من أحد وبلغوا الروحاء، ندموا وقالوا: إن قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل فلم تركناهم؟ بل الواجب أن نرجع ونستأصلهم. فهموا بالرجوع.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوة فندب أصحابه إلى الخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا أريد أن يخرج الآن معي إلا من كان معي في القتال -في أحد-.

فخرج الرسول ﷺ مع قوم من أصحابه حتى بلغوا حمراء الأسد. وهي مكان على بعد ثمانية أميال من المدينة.

فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فانهزموا.

وروى أنه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة، ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة أخرى. وكان كل ذلك لإثخان الجراح فيهم. وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا ﴾ بمعنى أجابوا. وقيل: استجابوا. أصلها طلبوا الإجابة لأن الأصل في الاستفعال طلب الفعل والمراد الجراح الشديدة.

والمعنى أن الله تعالى - لا يضيع أجر هؤلاء المؤمنين الصادقين. الذين أجابوا داعي الله وأطاعوا رسوله، بأن خرجوا للجهاد في سبيل عقيدتهم بدون وهن أو ضعف أو استكانة مع ما بهم من جراح شديدة. وآلام مبرحة.

ثم بين -سبحانه- جزاءهم فقال:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

أي للذين أحسنوا منهم بأن أدوا جميع المأمورات، واتقوا الله في كل أحوالهم بأن صانوا أنفسهم عن جميع المنهيات، لهؤلاء أجر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله -تعالى-.

وقوله:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا ﴾

في موضع رفع على الابتداء وخبره قوله:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾

ويجوز أن يكون في موضع جر على أنه صفة للمؤمنين في قوله:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال صاحب الكشاف: و«من» في قوله:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ ﴾

للتبيين مثلها في قوله -تعالى-:

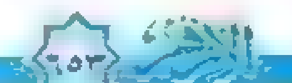
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[الفتح: ٢٩]

لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم[1].

---

(1) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤٤١.



السنة

القرآن الكريم رباط بين الأرض والسماء

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام البخارى عن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: قال لى النبى ﷺ: «اقرأ علىّ. قلت: يارسول الله. اقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: نعم. فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

النساء: ٤١

قال: حسبك الآن. فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

الشرح والبيان

القرآن الكريم رباط بين الأرض والسماء، وعهد بين الله وبين عباده. وحسبه شرفاً وفضلاً أنه كلام الله (عز وجل)، وأنه أفضل الكلام. وأنه (سبحانه) وصفه بصفاته العلية، فأسماه (العظيم) وهو العظيم:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾

الحجر: ٨٧

وأسماه (الحكيم) وهو الحكيم:

﴿ يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾

يس: ١ - ٢

وعزيزاً وهو (العزيز)

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾

فصلت: ٤١

وسماه مجيداً وهو (المجيد)

﴿ ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾

ق: ١

وكريماً وهو الكريم:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾

الواقعة: ٧٧

وماظنكم بكلام ربّ العالمين وقد امتنّ به على أمة أحبّ أحبابه، وأصفى أصفيائه سيدنا محمد «ﷺ»، ليفتح به أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، ويضع به نظام الحياة للأحياء، ويدفع به الإنسانية إلى طريق التقدم والرقى والكمال. قال تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

المائدة: ١٥، ١٦

السعادة فى التلاوة!!

فالقرآن الكريم دستور إلهىّ، وميثاق سماوىّ، وهو عهد الله وأمانه إلى العباد. من تمسّك به هداه، وعصمه، وأرشده إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم. قال تعالى:

﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

الأنعام: ١٥٥

وقال:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

الشورى: ٥٢ - ٥٣

ومن ثمّ كان رسول الله «ﷺ» لايجد سعادة نفسه، ولانعيم قلبه، ولاحياة روحه إلا فى حالة تلاوة هذا الكتاب، أو الاستماع إليه من غيره، ولذلك لما طلب إلى ابن مسعود (رضى الله عنه) أن يقرأه عليه تعجب ابن مسعود، وسأله: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال نعم؛ لأنه «صلوات الله وسلامه عليه» يحبّ أن يسمعه من غيره، ولذلك طلب الحقّ (سبحانه) من النبى الكريم والرسول العظيم «ﷺ» أن يقرأه على بعض أصحابه لينقلوه إلى غيرهم غضاً طرياً. روى البخارىّ (رحمه الله) عن

أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب (رضي الله عنه): [illegible]
قال أبي: آلله سمّاني لك؟! قال: الله سماك لي، فجعل أبيّ يبكي. قال قتادة: [illegible]

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾

البينة ١

فأفضل الخلق عند الله وأكرمهم الذين يقرءون القرآن الكريم ويتدبرون معانيه، ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، يحلون ما أحلّ الله فيه، ويحرّمون ما حرّم، [illegible] (سبحانه) بين تلاوة القرآن والإيمان به، [illegible]

﴿[illegible] أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

البقرة ١٢١

[illegible] (رضي الله عنه) في تفسير هذه الآية: أنّ من حقّ التلاوة أن يقرأه كما أنزله الله، ولايحرف الكلم عن مواضعه، ولايتأوّل منه شيئاً على غير تأويله.

أهل القرآن!

روى النسائي وابن ماجه وأحمد عن أنس (رضي الله عنه) عن النبيّ ﷺ قال: (إن لله أهلين من الناس). قالوا: من هم يارسول الله، قال: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته).

روى مسلم (رحمه الله) عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده ـ أي: موقف الإبل ـ إذ جالت فرسه، فقرأ، ثمّ جالت أخرى فقرأ، ثمّ جالت أيضاً. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى ـ أي: ابنه ـ فقمت إليها، فإذا مثل الظلّة فوق رأسي فيها أمثال السُّرج عرجت في الجوّ حتى ما أراها. قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ ابن حضير). قال: فقرأت، ثمّ جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ ابن حضير). قال: فقرأت، ثمّ جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ ابن حضير). قال: فانصرفت، وكان يحيى قريباً منها، فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُّرج ـ أي: المصابيح ـ عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: (تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس، ماتستتر منهم).

فياحملة كتاب الله، عليكم أن تتأدبوا بآدابه، وتتخلقوا بأخلاقه؛ لأنّ حامل القرآن هو حامل راية الإسلام، لأنه يحدث عن ربّه، ويناجيه بالقرآن. روى أبو داود عن أبي سعيد الخدريّ (رضي الله عنه) قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر، وقال: (ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذينّ بعضكم بعضاً، ولايرفع بعضكم على بعض في القراءة ـ أو قال في الصلاة ـ).

كما ينبغي أن يتأمل القارئ والسامع معاني القرآن، وأن يتدبره، وأن يتعظ بما فيه من بشرى للصالحين، وعبرة للمتأملين، ووعد للطائعين، ووعيد للعاصين، كما أرشدنا إلى ذلك النبيّ الكريم ﷺ، روى ابن ماجه بإسناد جيّد عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) أنّ النبيّ ﷺ قال: (اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا).

مأدبة الله!!

فالقرآن الكريم غذاء الروح، كما أنّ الطعام والشراب غذاء البدن، فينبغي أن نعمر به بيوتنا؛ لأنّ البيت الذي يخلو من القرآن بيت خرب، والبيت الذي تتلى فيه سورة البقرة يفر منه الشيطان. قال ابن مسعود ـ فيما رواه الطبراني ـ: هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإنّ أصفر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، وإنّ البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي لاعامر له، وإنّ الشيطان يخرج من البيت سمع فيه سورة البقرة).

أطلق الصحابيّ الجليل ابن مسعود (رضي الله عنه) في هذه العبارة هذا الوصف (مأدبة الله) على القرآن الكريم، لأنّه غذاء الروح لأمتنا الإسلاميّة، وهذا يوضح الفرق الشاسع بين غذاء المسلمين وغذاء الأمم السابقة، فقد أنزل الله على بني إسرائيل المنّ والسلوى ـ والمنّ سائل يشبه العسل الأبيض، والسلوى طائر يشبه السماني ـ قال تعالى:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۝ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾

طه ٨٠، ٨١

فأكلوا وتنعموا حتى سئمت نفوسهم وعافت المائدة، فطلبوا من موسى (عليه السلام) أن يأتيهم بطعام آخر كما حكى القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾

البقرة ٦١

لأن الطعام ـ مهما كان شهياً ـ فإن استمرار تناوله يحمل النفوس على الزهد فيه. كما طلب الحواريون إلى عيسى (عليه السلام) أن يدعو ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء كما حكى القرآن الكريم:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾

المائدة ١١٢

إلى أن قال:

﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

المائدة ١١٤

أما القرآن الكريم مأدبة الله ـ غذاء الأرواح والنفوس لهذه الأمة؛ فإنه لا تبلى جدته، ولا تزهده النفوس المؤمنة، وهذا من فضل الله على هذه الأمة، إذ جعل مائدتهم لا تسأمها النفوس، ولكي تعشقها القلوب، وتهفو إليه الأرواح. هذا وقراءة القرآن الكريم من أحب الأعمال التي يقدمها المرء طاعة لربه (عزّ وجلّ). روى البخاري (رحمه الله) عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله «ﷺ»: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران).

ويابشرى كل من حفظ شيئا من كتاب الله، ووعاه! روى أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح ـ عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) عن النبي «ﷺ» قال: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها).

القرآن رحمة

وعلى أي حال فكل من اتصل بهذا الكتاب سينال من رحمة الله (عزّ وجل) في الدنيا والآخرة. قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

فاطر ٢٩ ـ ٣٠

قال قتادة: هذه آية القراء، وذلك لما أثبتته لهم من الأجر العظيم، والثواب مضاعف، فهم لا يمنعون الأجر والثواب، بل يزيدهم الله إكراما وفضلا)، لأنه غفور لذنوبهم، شكور لقليل من أعمالهم. ثم يقول سبحانه

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾

فاطر: ٣١

أي: والذي أوحينا إليك من القرآن يا محمد ـ هو الحق مصدقا لما بين يديه من الكتب السابقة، (إنه بعباده لخبير بصير) أي: خبير بمن يستحق الفضل على من سواه، وأمة محمد «ﷺ» أفضل الأمم، ولهذا ورثها الله (سبحانه) أفضل الكتب، وهو القرآن الكريم. قال تعالى

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

(فاطر ٣٢، ٣٣)

والضمير في يدخلونها (واو الجماعة) يعود على الظالم والمقتصد والسابق فكلٌ يدخل الجنة بفضل الله ورحمته. روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله «ﷺ» يقرأ هذه الآية. ثم قال: (فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته)

أي: تداركهم بها ـ فهم الذين يقولون

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

فاطر ٣٤ ـ ٣٥

الكتاب والسنة عز الأمة

فإذا أرادت الأمة أن تنهض من كبوتها، وأن تفيق من غفوتها، وأن يعود إليها مجدها، وعزها، وقوتها، ومنعتها ـ فعليها أن تعود إلى كتاب ربها، وسنة نبيها «ﷺ»، إذ لا رفعة لها إلا إذا اتخذت كتاب ربها منهجا في حياتها. روى الإمام مسلم في صحيحه عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبدالحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمل على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله (عزّ وجلّ)، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: (أما إن نبيكم «ﷺ» قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين). وقد روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله «ﷺ»: قال: (يأيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه «ﷺ»...).

ولما كان القرآن الكريم يزيل الغمّ، ويجلب الفرح والسرور كان رسول الله «ﷺ» يدعو الناس أن يتوجهوا إلى الله بهذا الدعاء، فعن عبدالله بن مسعود أن رسول الله «ﷺ» قال: (من كثر همه فليقل: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، وفي قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك. أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وجلاء همي وغمي، ما قالها عبد قط إلا أذهب الله غمه، وأبدله به فرحا)..

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

من مبادئ الدعوة

[illegible]

تناولنا في المقال السابق فلسفة الدعوة التي سببت تدفق الناس على الدين الجديد وكانت هذه المبادئ تعني ثورة كبيرة قلبت الأوضاع وغيرت الاتجاهات وذكرنا أن هذه المبادئ والفلسفات تتمثل في:

١- المساواة. ٢- العدالة. ٣- الحاكم الفقير.

لقد نادى الإسلام بالمساواة في وقت كان النظام الطبقي هو السائد في كافة الاتجاهات والنواحي وهذا في جميع أنحاء العالم.

ونادى الإسلام بالعدالة أيضا في الوقت الذي كانت العدالة تعتبر ضعفا وخزيا وهذا شاعر عربي يعير رجلا بأنه من قبيلة ضعيفة لا تغدر بالعهد ولا تستطيع أن تظلم يقول في ذلك:

قبيلة لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

الأوضاع مقلوبة مخالفة لكل القيم والأحكام السماوية.

كما أهاب الإسلام بالحاكم أن يعمل للناس لا أن يعمل لنفسه فخلق بذلك حاكما من نوع جديد حاكما فقيرا يوجد بين رعاياه من يفوقه غنى ويملك أضعاف ما يملك ولقد حدث هذا في وقت كان الحاكم يعتبر نفسه مالكا للناس ولما يملكه الناس، كان سيدا يملك الأرض ورقيق الأرض كان يرتع في الملاذ وكان الناس يعملون ليحققوا له دوام هذه المتع وتلك الملاذ.

العدالة

وعن المساواة والعدالة يذكر أنه قبل الإسلام كان بفارس ملوك يدعون أن دماء إلهية في عروقهم وأنهم من عنصر غير طبيعة البشر أسمى درجة وأعز شأنا وجاء الإسلام فحقق المساواة بين محمد ﷺ أو الخليفة من بعده وبين كل أفراد الرعية فهذا زيد بن سعنة اليهودي كان له دين على الرسول ﷺ وجاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه في ذات العسرة أمسك به فجذبه زيد وأمسك بتلابيبه وجذبه بقسوة وقال له [illegible] [illegible] وارتاع عمر لقسوة زيد فأخرج سيفه وهم بضربه فصاح به الرسول ﷺ مه يا عمر سيفك في جرابه فقد كان خيرا لك أن تنصحني بحسن الأداء وتنصحه بحسن الطلب وذهل اليهودي مما رآه من خلق رائع ومساواة تامة بالرغم من اختلاف المكانة والدين فما كان منه إلا أن أعلن إسلامه ونطق بالشهادتين قائلا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

وهكذا نرى الإسلام ينتشر ويدخل الناس في دين الله أفواجا لما لمسوه من أخلاق جمة ومبادئ سامية والأمثلة عبر هذا كثيرة.

الفاروق عمر بن الخطاب

وهناك يهودي آخر له قصة مع الفاروق عمر بن الخطاب ذاته فقد روى أن سيف عمر فقد منه ثم رآه عمر مع يهودي فادعاه وادعى اليهودي أن السيف سيفه فقاضاه عمر إلى قاضيه فلما ذهبا إلى القاضي جلس عمر واليهودي بين يدي القاضي ليحكم في هذا النزاع عليه بينهما وسأل القاضي عمر فادعى السيف وسأل اليهودي فأنكر أن هذا السيف لعمر وطالب القاضي عمر بالبينة فلم تكن له بينة فحكم بالسيف لليهودي وعجب اليهودي كيف يحقق الإسلام بين الخليفة عظيم الشأن وبين فرد عادي من أتباع ديانة أخرى وكيف يجلس معه عمر بين يدي القاضي ثم كيف يكون الحكم لصالح اليهودي ولا يغضب القاضي لشأن عمر ولم يستطع اليهودي مقاومة نفسه فما كان منه إلا الاعتراف بأن السيف سيف عمر وأعلن إسلامه ونطق بالشهادتين.

وعديد قصص أخرى روتها كتب السيرة وحوتها كتب السنة ومنها أيضاً قصة شهيرة بين عمر - رضي الله عنه - وبين جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة فقد دخل جبلة الإسلام وكان عمر يكرمه ويجله ولكن حدث ذات مرة أن وطئ أحد العامة ذيل إزار جبلة وجبلة يطوف بالبيت فاستدار جبلة وضرب الرجل بقسوة على أنفه فذهب الرجل وشكا إلى عمر فاستدعى عمر جبلة وأجلسه بجوار خصمه للقضاء بينهما فاعترف جبلة بأنه ضرب الرجل فحكم عمر بالقصاص قال جبلة: أنا ملك وهذا سوقة تجلسه بجواري وتقتص له مني؟ فأجابه عمر: لقد سوى الإسلام بينكما. ولم يستطع جبلة أن يفهم هذه الفلسفة

الجديدة التي جاء بها الإسلام فاستمهل عمر حتى يرضى خصمه ويطيب خاطره فأمهله عمر فهرب جبلة وارتد عن الإسلام لقد خسر الإسلام جبلة ولكن كم من الناس دخلوا الإسلام على أثر هذه الحادثة؟ إنهم آلاف وآلاف دخلوا الإسلام حبا في هذه المساواة والتي لم يكن لهم عهد بها، بل يروى أن جبلة نفسه بعد أن أفاق من تسرعه وفكر في أمره، أسف لما حدث منه وتمنى لو بقي على الإسلام وتأدب بآدابه ومما يروى عنه في ذلك قوله

تنصرت الأشراف من عار لطمه
وما كان فيها لو صبرت ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة
وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني
رجعت إلى الأمر الذي لي قال عمر

الحاكم الفقير

أما عن المبدأ الثالث وهو الحاكم الفقير فقد دهش الناس عندما رأوا لأول مرة حكاما يفقدون أموالهم ويسيرون من صفوف الأغنياء إلى صفوف الفقراء. وكان العهد بالحاكم أن يجمع الأموال ويزيد في ثروته. فقد كان محمد وكان بعض العرب يسمونه ملك الملوك صلوات الله وسلامه عليه - يرقع ثوبه ويخصف نعله ويبيت على الطوى وكان له مال وغنى بعد أن تزوج خديجة.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾

[الضحى: ٦ - ٨]

ولكنه لم يضف شيئاً إلى هذا المال ولم يحتفظ به بل فقده فلما مات كان مدينا وكان أبو بكر غنياً قبل الإسلام ثم أنفق أكثر ماله في سبيل الله ولما ولي الخلافة حمل تجارته على كتفه واتجه للسوق يريد أن يربح رزقه ورزق أولاده وكان عمر -تحت سلطانه أمر فارس والشام ومصر- يعيش في بيت صغير وينام في المسجد ويرتدي لباس الفقراء.

وهذا عثمان بن عفان ذو النورين وثالث الخلفاء الراشدين مع أنه أغنى تجار العرب فقد فقد ماله كله في سبيل الله وكان علي - كرم الله وجهه - يقدم ما عنده من الطعام للمحتاجين مع أنه في حاجة إلى ذلك الطعام حتى استحق أن ينزل فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

[الحشر: ٩]

وقد أدرك الفرس وأهل الشام ومصر هذه المبادئ السامية والأخلاق المثالية وقاموا بالموازنة بين هؤلاء الحكام وبين الحكام الذين عرفوهم من قبل هؤلاء الذين لم يكن لهم هم إلا جمع المال وحرمان الرعية منه.

ولم يكن الحاكم فقط هو الذي فطن وانتبه من غفلته وعرف ربه ولكن المحكوم أيضا انتبه من غفوته وعرف حق ربه وكان من قبل يؤمن بأنه وما يملك ملك لكسرى أو قيصر. وانهال الناس يدخلون في هذا الدين الذي حقق لهم ما هو أبعد مما كانوا يحلمون به.

حقد وجهل بالإسلام!!

وبالرغم من كل هذا نجد أن هذه الإساءات المتكررة للإسلام إنما تحدث من أناس يجهلون الإسلام ويحقدون على المسلمين علوا واستكبارا وحقدا من عند أنفسهم ويطعنون في الإسلام بأنه دين انتشر بحد السيف وكذبوا لجهلهم وتطاولهم على هذا الدين وحكمهم على أمر يجهلونه فما كان منهم ذلك لو أنهم فهموا ما جاء به الإسلام ذلك الدين الذي فيه صلاح أمر البشرية ولو أنهم قرءوا التاريخ جيدا وما كتبه أبناء جلدتهم من الكتاب المنصفين الذين جعل الله كلمة الحق على ألسنتهم وفي كتاباتهم لما وسعهم إلا أن آمنوا بالإسلام ورسول الإسلام بل ويتخلون عن تلك المساوئ والبذاءات التي يرمون بها رسول الإسلام الذي جعل الله رسالته خاتمة الرسالات ونبوته خاتمة النبوات وما ذلك إلا أن هذا القرآن دستور خالد يصلح به أمر الدنيا والآخرة وما ذلك إلا أن محمداً ﷺ أرسله الله رحمة للعالمين كافة للناس بشيرا ونذيرا والذين درسوا الإسلام وفقهوا مبادئه يتحولون من دعاة لكراهية الإسلام إلى دعاة إلى الحب وهداة إلى الطريق المستقيم وإلى الصراط القويم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وليحفظ الله كتابه كما وعد ووعده الحق.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر: ٩]

وليظهر هذا الدين على الأديان كلها مصداقاً لقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]

***

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى القرآن الكريم والسنّة النبوية



"الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا صار صفة وخلقا للأمة يلتزم به الجميع، ويتواصون بأدائه وتنفيذه: فإنه يكون شباب الأمة الواعى اليقظ، الذى يتمسك بالحق ويدافع عنه، ويرفض الباطل ولا يهاب سطوته، ويكون الرأى العام المسلم الحر الذى يحرس آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها، ويجعل لها شخصية وسلطانا هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون."

ولذلك نجد أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أخذ منزلة كبرى ومكانة عظمى فى أوامر وتوجيهات الدين الإسلامى، وذلك يرجع إلى أهميته فى صلاح الأمة وبناء مستقبلها على دعائم قوية وأسس سليمة. كما جعل الدين الإسلامى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من صفات المؤمنين الصادقين الذين إذا مكنهم الله فى الأرض، ونصرهم على أعدائهم شكروا الله على نعمه وفضله بالامتثال لأوامره ونواهيه.

ومن هذه الصفات: أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يقول الله - تعالى -:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٣٩-٤١)

أخرج الإمام أحمد والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما خرج النبى ﷺ من مكة مهاجرا قال أبو بكر رضى الله عنه: أخرجوا نبيهم ليهلكن. فنزلت هذه الآيات، وهذه أول آية نزلت فى القتال.

وقد بين الله -سبحانه- فى هذه الآية الكريمة بعض الأسباب التى من أجلها شرع الله الجهاد فى سبيله. أى: إن الله عظمت قدرته لقدير على نصر المؤمنين الذين أخرجهم الكافرون من ديارهم بغير حق، وبغير أى سبب من الأسباب سوى أنهم كانوا يقولون: ربنا الله وحده ولن نعبد من دونه إلها آخر.

الجهاد

ثم حرض الله -سبحانه وتعالى- المؤمنين على القتال فى سبيله، بأن بين لهم أن هذا القتال يقتضيه نظام هذا العالم وصلاحه، أى: ولولا ما شرعه الله -تعالى- للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك على زمام أمور الأمة، وعطلوا وهدموا ما بناه أهل [illegible] من مواضع [illegible] العبادات، ولكن الله دفع تسلط هؤلاء بأن أوجب القتال لتعلو كلمة الله، وليتفرغ أهل الدين للعبادة.

فالجهاد أمر متقدم فى الأمم، وبه صلحت الشرائع وعلا الحق وزهق الباطل، وسنة الله فى خلقه التى لا تتخلف أبدا: أن الله ينصر من ينصر دينه؛ لأن الله هو القوى على كل فعل، القادر على كل شىء، العزيز الذى لا يغالبه ولا ينازعه منازع.

ثم وصف الله - سبحانه وتعالى - هؤلاء المؤمنين الذين وعدهم الله بنصره بأكرم الصفات وأفضلها، وأن من صفاتهم إذا مكنهم الله فى الأرض، ونصرهم الله على أعدائهم: شكروا الله على ما أكرمهم به من نعمه، فأقاموا الصلاة فى مواقيتها بخشوع وخضوع وإخلاص. وقدموا زكاة أموالهم وأخرجوها فى مصارفها التى حددها الله، عن طيب خاطر ونفس راضية، وأمروا غيرهم بالمعروف ونهوه عن المنكر.. ولله وحده عاقبة الأمور ومردها ومرجعها فى الآخرة، فيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب.

فالآية الكريمة تبين بوضوح أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام، وأنه من صفات المؤمنين الصادقين الشاكرين لنعم الله وفضله، [illegible] على حرماته

الإمارة في الإسلام

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل، أريب العقد، لا يطلع منه على عورة، ولا يخاف منه على حرة، ولا تأخذه في الله لومة لائم. وقال -رضي الله عنه-: الأمراء أربعة: فأمير قوي ظلف نفسه وعماله فذاك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة. وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «شر الرعاء الحطمة فهو الهالك وحده»[1]. وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا.

غير أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يستقيم أمره، ولا تثمر دعوته، ولا يجني زرعه إلا إذا كان صادقا مع نفسه أولا فيما يأمر به وينهى عنه، فيكون مثالا لما يدعو إليه من معروف وينهى عن منكر، ونموذجا مجسمـا متحركا لما يتفوه به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتتطابق أفعاله مع أقواله، ويكون قدوة حسنة لأفراد مجتمعه، ويشكل مركزا قويا للجذب والتأثير.

أما إذا كان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر غير صادق مع نفسه. وغير ملتزم بما يقول، فيأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه فمن يستمع إليه؟ ومن يصدقه؟ ومن يتأثر به؟ فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟

إن النفوس تنفر ممن يفعل ذلك. وتستنكر منه حاله؛ لأن من طبعها أن تنفر من الذي يشغل نفسه بالمهم ويترك الأهم. مثلما تنفر ممن يتحرج عن تناول مغصوب وهو مواظب على أكل الربا، ومثلما تنفر ممن يتحاشى عن الغيبة ويشهد بالزور، لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر.

ونفور الناس ممن يفعل ذلك واستنكارها هذا، ليس معناه أن ترك الغيبة ليس بواجب، أو أن أكل الطعام المغصوب ليس محرما، وإن مرجع النفور والاستنكار على من يفعل ذلك أنه انشغل بالمهم وترك الأهم، فصار مثل من سُرق فرسه ولجام فرسه، فاشتغل بطلب اللجام وترك طلب الفرس!!

يأمرون بالبر وينسون أنفسهم

صحيح أن طلب الاثنين مطلوب ولكن طلب الفرس أهم.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه. وننهى عن الشر ونأتيه»، وروي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى -عليه الصلاة والسلام-: «عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني».

ولقد أنكر الله -سبحانه وتعالى- حال من يأمر بما لا يفعل، في قوله جل شأنه

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة: 44)

كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره، ولذي قرابته، ولمن بينه وبينه صلة من المسلمين: أثبت على الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل- يريدون محمدا ﷺ- فإن أمره حق، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه، فأنكر الله عليهم ذلك، أي كيف يليق بكم يا معشر اليهود، وأنتم تأمرون الناس بأمهات الفضائل، وألوان الخيرات، أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون به غيركم!!

وأنتم مع ذلك تقرءون توراتكم وتدركون أي عقوبة أليمة لمن يأمر الناس بالخير وينسى نفسه؛ أفلا عقل لكم يمنعكم عن هذا السفه الذي ترديتم فيه، ويحذركم من سوء عاقبته"

والمراد بالنسيان في الآية الكريمة تركهم العمل بما يأمرون به غيرهم، لأن الإنسان حقيقة ليس مؤاخذا على ما نسيه، كما أن التوبيخ الموجه إليهم ليس إلى كونهم يأمرون الناس بالبر، فهذا فعل محمود، وإنما التوبيخ موجه إلى كونهم تركوا العمل بما يرشدون إليه سواهم. وإن قراءتهم لكتبهم أبطلت اعتذارهم بالجهل. وأنهم بفعلهم هذا يحكم عليهم بأنه لا عقل لهم

عن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه «تخرج أمعاؤه» فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى. كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر، وآتيه»[3].

صفات المؤمنين

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صلاح المجتمع، وإزالة عوامل الشر والفساد فيه، وفي استقرار أمن

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(2) تخريج حديث الأحد

(3) متفق عليه رياض الصالحين.

الأمة والعمل على رقيها ونهضتها.. ونظرا لما يلاقيه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من مشاق، وما يصيبهم من أذى، وقد يصل الأمر بهم إلى التضحية بحياتهم في سبيل القيام بهذا العمل العظيم.. بشر الله المؤمنين والمؤمنات الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بأنهم سينالون رحمة الله ونعيمه المقيم الخالد يوم القيامة. يقول الله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(التوبة: ٧١، ٧٢)

لقد فصل الله - سبحانه وتعالى - في الآية الكريمة الصفات الخمسة التي يتحلى بها المؤمنون والمؤمنات، فبدأها - جل شأنه - بأن من صفاتهم: أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. أي: يأمرون بكل خير دعا إليه الشرع، وحثت عليه تعاليم الدين، وينهون عن كل شر تأباه تعاليم الإسلام، وتحرمه شريعته الغراء.

ثم ذكرت الآية الكريمة عدة صفات أخرى للمؤمنين والمؤمنات، بأنهم يحرصون على أداء الصلاة في أوقاتها بكل إخلاص وخشوع، وأنهم يخرجون زكاة أموالهم ويعطونها لمستحقيها بنفس راضية دون من أو أذى. وأنهم يطيعون الله ورسوله في كل أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم بدون ملل أو انقطاع أو تكاسل.

وأن الجزاء الطيب الذي ادخره الله لهؤلاء المؤمنين والمؤمنات المتصفين بتلك الصفات الحسنة هو: أن الله - تعالى - سيرحمهم برحمته الواسعة، ويثيبهم الثواب الحسن. ويدخلهم جناته التي تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها خلودا أبديا، ولهم في تلك الجنات منازل طيبة حسنة تنشرح لها الصدور، وتستطيبها النفوس، والبشرى الكبرى التي أعدها الله لهؤلاء المؤمنين والمؤمنات. والتي هي أعظم من كل ذلك هي: أنهم سينالون رضوانا من الله أكبر وأعظم، وهو: رضا الله - تعالى - عنهم وتجليه عليهم. وتشريفهم بمشاهدة ذاته الكريمة، وشعورهم بأنهم محل رعاية الله وكرمه.

الفوز العظيم!!

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير بين يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا.

وقوله سبحانه:

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(التوبة: ٧٢)

أي: ذلك الذي وعد الله به المؤمنين والمؤمنات من الجزاء والثواب والنعيم، ومن رضا من الله عنهم، وهو الفوز العظيم الذي لا يقاربه فوز، ولا يدانيه نعيم، ولا يسامي شرفه شرف.

إن هذه البشرى الكريمة التي بشر الله بها المؤمنين والمؤمنات، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وذلك الجزاء العظيم الذي وعدهم به الله - سبحانه وتعالى - يبين ويوضح ويؤكد على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة. وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة. وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»(١)

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: ما لنا بد؛ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر»(٢).

نسأل الله وندعوه أن يكتبنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذين يفعلون ما يقولون، وأن يرزقنا الجزاء الطيب الذي وعدهم به، وأن تنال رضوانه الذي يحله عليهم.

(١) الترمذي (١٩٥٦)

(٢) البخاري - الفتح ٥-(٢٤٦٥) واللفظ له، ومسلم ٢١٢١.

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾

(المجادلة: ٢١)

رسوم ساخرة!! أم إسقاطات سافرة؟!

[illegible]

منذ خمسة عشر قرنا من الزمان قضت المشيئة الإلهية بتتويج الرسالات السماوية بالبعثة المحمدية الخاتمة، وبالوحي الحق إلى سيد الخلق ورسول الله إلى العالمين سيدنا محمد ﷺ ومنذ هذه الانطلاقة الكونية الكبرى أصابت إبليس لوثة شيطانية شعواء أعادت إلى كيانه الشرير ذكرى خلق آدم - عليه السلام - وتكريمه الرباني الذي تمثل في أمر الخالق - سبحانه وتعالى - إلى ملائكته:

﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ ﴾ (البقرة: ٣٤)

الذي تتحرك بداخله النفخة الإلهية المقدسة التي تحمل أسرار حركة هذا الكائن البشري في تحمل أمانة الخلافة على هذه الأرض التي خلق من مائها وطينها.

ولما كان الشر لا يولد إلا شرا فقد تكاثفت الحوافز الشيطانية حول ذكريات إبليس اللعين، ولا سيما عندما رد الأمر الإلهي الأعظم فلم يذعن، ولم يستجب بل أرغى وأزبد، وتوعد وهدد، ووجه تهديده ووعيده إلى هذا المخلوق الآدمي وذريته هاتفا - لعنه الله - هتاف الضعفاء الذين لا يملكون إلا الهتاف الأجوف وهو يفر من الساحة الطاهرة ساحة الملائكة الساجدين:

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

(الأعراف: ١٦)

وقد كان.. إذ كلما أرسل الحق رسولاً إلى قومه ليهديهم إلى معالم الصراط المستقيم أسرع العدو الشيطاني المريد وجنده من الكفرة الفجرة يبثون الوساوس الكافرة والخواطر النافرة مزينين للقوم الكفر والنفور، ويناصبون أنبياء الله ورسله وأقوامهم العداء والفجور فمنهم من يصمد، ومنهم من يقع حتى يأتي أمر الله.. بهلاك جند الشيطان وأتباعه ... .

حدث هذا مع المسيرة الآدمية منذ آدم ونوح وصالح وهود - عليهم السلام - وغيرهم وغيرهم ممن حدث القرآن الكريم عنهم

﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾

(غافر: ٧٨)

حتى وقع الحدث الأكبر الذي زلزل عرش إبليس وأعوانه، وكانت الطامة الكبرى على رءوسهم وذلك عندما تحققت نبوءة الكتب السماوية مصادفة ببزوغ النور المحمدي الذي يفرق الخبيث من الطيب ويحق الحق ويضع حدا حاسما وعادلا لتلاعب مرضى البشرية - عبر العصور - بجدية المقدسات السماوية التي تضع الإنسان في مكانه الصحيح بين الكائنات سيدا فعالا يحقق التوازن الكوني الذي أراده مبدع هذا الكون عندما أكد سبحانه في محكم بيانه:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾

(الرحمن: ٧)

ولكن إبليس ومريديه من الجن والإنس يمقتون التوازن ويبغضون الميزان، ويعملون على أن يسود الخلل في كل شيء في كيان الفرد لأن الخلل هو مبعث الزلل وأساس الخطأ والخطل، وغير ذلك من الظلمات التي يتكاثف بعضها فوق بعض والتي لا تروق الحياة للمعتدين والمعتدين إلا في أجوائها حيث ترتاح إليها أعينهم العشواء وأنفسهم الحمقاء وعقولهم البلهاء.

ولا شك في أن إبليس - لعنه الله - ... عندما عرف أن بشرى محمد ﷺ تلوح في الآفاق صاح في قومه أن الأمر من حيث الكم كبير، ومن حيث الكيف جد خطير فرسالة محمد ﷺ تعم كافة الأرجاء والآفاق، وتكشف للعالمين بواطن الظواهر والأعماق.

مولد الهدى

ومن هنا، ومن أول يوم حمل فيه محمد ﷺ وقومه أعباء الرسالة المقدسة فحملوها انقسمت البشرية جميعا - ونقول البشرية ونعني ما نقول - إلى صنفين: صنف تفكر بعقله، وتأمل بفطرته سواء السبيل فاهتدى، وصنف تعمد إلغاء عقله، وطمس فطرته فضل واعتدى؛ وذلك عنادا منه وكبرا وحرصا - كما يدعي - على المكانة والمكان، والجاه والسلطان، وكذلك زين له الشيطان.

ونظرة متأنية ومستفيضة عبر مشاهد التاريخ منذ ولد الهدى المحمدي الراجح على يد المبعوث رحمة للعالمين - كل العالمين

ـ ﷺ تدل النصوص الرشيدة ذات الفكر السديد على مدى الغيظ والشنآن الذى قوبلت به الحنيفية الغراء السمحاء على يد أعدائها ومعارضيها.

بل إننا لنذهب إلى أبعد من هذا منذ أذن المولى ـ عز وجل ـ بأن يشرق نور محمد فى الوجود حيث تحرك الشيطان بشره وعناده وعدته وعتاده وأوعز إلى «أبرهة الأشرم» أخزاه الله بأن يجعل مولد محمد ﷺ مناسبة سوء ـ والعياذ بالله ـ تقترن بحدث أحمق مجنون هو محاولة هدم الكعبة المشرفة رمز الوحدة والتوحيد منذ أقام قواعدها أبو الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ، فكانت هذه المحاولة الخرقاء إيذانا بالمعركة ومنذرا بالشر والشرور، وفى نفس الوقت مبشرا بالخير المبين والنصر المكين.

وربما كان الأمر يبدو منطقيا إذا اقتصر هذا العداء والكراهية على ذوى الأصنام، وعبدة الأزلام، وأهل الشرك والآثام، ولكن غير منطقى الذى لا يتفق وطبائع الأشياء، ولا يتسق ومعقولات الأمور أن يشتمل هذا العداء، وتحتدم هذه الكراهية الشعواء فى أنفس هؤلاء الذين أسماهم الإسلام فى كتابه الأزلى الأبدى «بأهل الكتاب»، وبدى شرع احترام ذواتهم، وحرمة أنفسهم وحماية معابدهم وصون حقوقهم، وحقن دمائهم، وحسن معاملتهم من منطلق «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا»، ويكفيهم من الإسلام تكريما أن نسبهم إلى ما أنزل سبحانه من الكتب السماوية المقدسة.

وسماهم فى بعض آيات القرآن الكريم بأهل الذكر فقال:

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل : ٤٣)

ولكن من أسف أن يتحرف بعض هؤلاء إلى تيار الكفر، وينحرفون عن طريق الحق، فصاروا ممن يصدق فيهم قول العليم الخبير سبحانه

﴿ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾

(الجاثية : ٢٣)

ومن ثمة انضم القوم إلى حزب الشيطان فأشعلوا الفتنة تلو الفتنة وأوقدوا نيران الحروب فكان الله ـ سبحانه وتعالى ـ رحمة منه بالعالمين يكبت هذه الفتن، ويطفئ نار هذه الحروب

﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾

(المائدة : ٦٤)

أما المؤمنون فإنهم لم يقنطوا من روح الله إيمانا بقوله تعالى:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم : ٤٧)

وهكذا ظل «أبرهة» اللعين يتجسد فى إهاب الأشرار حينا، ويتجسد فى ثوب الفجار حينا آخر مستبدلا بفيله آليات الحروب التى ينجزها التوظيف الشيطانى للعلم.

ولكم تفتقت القرائح الشريرة عن أسلحة متجددة، ومتطورة تحاربه الإسلام وتواجه المسلمين حتى لوح إبليس لأعوانه بسلاح السخرية من الإسلام، والاستهزاء بنبى الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولكن أنى لهم.

لقد كان سلاح الاستهزاء هذا سلاحا قديما ابتدعه الكفار فى مطلع البعثة المحمدية الهادية حيث ظهر نفر من أشرارهم يستهزئون بالرسالة، ويسخرون من الرسول، ولكن الله سبحانه الحفيظ على دينه كان يطمئن «عبده» ﷺ وأصحابه الموقنين المؤمنين بقوله عز وجل:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾

(الحجر : ٩٥)

من الذاكرة الإسلامية

ومن يشحذ الذاكرة الإسلامية يجدها زاخرة بمثل هذا الهراء الساخر والهزو الفاجر منذ بزوغ النور المحمدى على الكون من «غار حراء» بمكة المكرمة فقد رأى رسول الله ﷺ من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدة، وكان من أعظمهم أذى لرسول الله جماعة سموا لكثرة أذاهم «المستهزئين» وأولهم وأشدهم أبو جهل ومنهم كذلك أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله، كما أن منهم عقبة بن أبى معيط الذى كان الجار الثانى لرسول الله، ومن هؤلاء المستهزئين العاص بن وائل السهمى القرشى، ومنهم الأسود بن عبد يغوث الزهرى، وكذلك الأسود بن عبد المطلب الأسدى ومنهم أيضا الوليد بن المغيرة، كما أن منهم كذلك النضر بن الحارث العبدرى، وقد انتقل هذا السلاح الأحمق عبر الزمن من أسلوب إلى أسلوب حتى تسلح به ذوو المواهب الفنية المريضة الذين كان ينبغى عليهم أن يقدروا ما حباهم الوهاب من موهبة لكى يسخروها لترقية الوجدان، وكرامة الإنسان، ولكن ويا للأسف الأليم قد جرت على أقلامهم الضالة رسوم هزلية ساخرة قبيحة تنطق بالزور والبهتان، والإثم والعدوان، والجهل والنكران بما يرضى الشيطان، ويشوه دور الفنان، ورسالته فى السمو بالإحساس بين الناس وذلك بحجة ما يدعون من حرية التعبير ويا أيتها الحرية المظلومة كم من الآثام ترتكب باسمك !!.

ولكم كنا نود لو أن صناع هذه الأراجيف وبدلا من تسخيرهم للفن ولا حتى التعرف على شخصية سيد الأولين والآخرين، وإمام النبيين والمرسلين ﷺ، والتحقق من تاريخه البناء وحجته الناصعة السمحاء، ولا سيما لو رجعوا إلى كثير من مؤلفات موضوعيهم وأهل مذاهبهم ونسبهم من المنصفين الذين عرفوا للنبى ﷺ قدره فسجلوا أفكارهم فى موضوعية ونزاهة بلا غرض أو مرض فى كتب وأسفار مازالت تشهد لهم باللسان العفيف والفكر النظيف والقلم الحصيف. ولعمرى ليس الإنصاف كالإسفاف.



أى محمد يقصدون؟

وهل تساءل هؤلاء الموتورون والمحرورون: أى محمد يقصدون؟ أهو محمد الذى أذعن لقول ربه عز وجل:

﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾

(ص: ٢٦)

ولم يحص المسلمين من الناس فأخذ بحق اليهودى من المسلم؟ أم هو محمد الذى لم يحمل السيف إلا مدافعا [illegible] أم هو محمد الذى كان ينزع من قلوب الناس الفزع حين يقول لهم: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد فى مكة»(1) أم هو محمد [illegible]؟

ولكنه «الإسقاط»(2) الذى يدفع بصاحبه إلى أن يخلع ما به من نقيصة وعيب على غيره ويسقط ما تعانى أعماقه من عقد على سواه، هكذا قال أهل علم النفس من بنى جلدة هؤلاء المرضى المعتوهين من أمثال اليهودى المتعصب «سيجموند فرويد» فلندع هؤلاء إلى أن [illegible] رسومهم، [illegible] أعمالهم.

أما الإسلام فإن سلاحه دائماً فى مواجهة الموتورين عبر التاريخ من أمثال هؤلاء يتسق مع ما يتسم به من صبر إيجابى فعال فى مثل القول القرآنى الكريم:

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾

(المزمل: ١٠)

ومن ثقة [illegible] فى مثل قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

(الطور: ٤٨)

وغير ذلك من قيم الشجاعة النفسية والشكيمة الروحية [illegible]: من صدق الإيمان بالله عز وجل، وحسن التوكل عليه، وعمق التأكد من إنجازه وعده للمؤمنين بالنصر والغلبة ولو بعد حين لأن انتصار الحق هو سنة الخالق فى الخلق:

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب: ٦٢)

إن دين الحق لا تبهره استثارات الصبية، ولا يحركه صغار الصغار، ولا إسقاطات [illegible] محال حركته هو الكون بأسره وآفاقه تسع الدنيا والآخرة جميعاً.

ولولا ثقة الإسلام بنفسه [illegible] الجليل عمرو بن العاص -رضى الله عنه- [illegible] مصر ذراعيها وقلبها مرحبة بمبعوث الفاروق عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- [illegible] بحجة أن هذه (الأصنام) [illegible] على الإسلام فى مصر [illegible] الشعور الإسلامى بالثقة بالنفس جعل المسلم العظيم عمرو بن العاص يستشعر [illegible] الدعوة الإسلامية راسخة الأقدام، عالية [illegible]، ومن هنا لم تتعد هذه التماثيل دورها المعبر عن حضارة مضت، وثقافة خلت دون أن تفوح منها رائحة عقائدية، وإنما هى مما يصدق عليه قول الحق سبحانه فى آياته عن الحضارات الدارسة:

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(الصافات: ١٣٧، ١٣٨)

وهكذا يستمد الإسلام ثقته بنفسه ويغذو بها المؤمنين به عندما يتدبرون القرآن وهو يقول:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

وعندما يقول:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾

(آل عمران: ٨٥)

[illegible] محمد ﷺ [illegible] العالمين كافة نورا للأرواح، وطهرا للأنفس، [illegible] الإنسانية المثلى على الأرض، وليس مجرد «ميتافيزيقا» غامضة كالتى يقول عنها [illegible] الإغريقى فى [illegible] البحث فى [illegible] هو موجود»(1).

إنه دين [illegible] والخاصة [illegible] والصغير والكبير، والغنى والفقير يفهمه الجميع لأن الجميع مكلف بأوامره ونواهيه.

وإننا لا نجد ردا على هؤلاء الموتورين المغرورين الكاذبين المكذبين أبلغ من أن يكون حبيبنا محمد ﷺ هو منطلق ألسنتنا، ومنطلق أفعالنا عملاً بقوله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

وعندما تصدق إرادتنا فى التأسى بمحمد ﷺ فى مثل هذه الانطلاقات الإيمانية على أرض الواقع نكون قد برهنا أنصع برهان على أن الاصطبار القادر فى وجه الطغيان الغادر هو سلاح الواثقين بربهم وبدينهم، وأن [illegible] هو عدة الأنفس [illegible] التى تستثار فتثور، ثم [illegible]، ومن هنا وجه ربنا العزيز الحكيم رسوله ﷺ وأصحابه وأحبابه على مدى الأزمنة [illegible] إلى الحكمة الأزلية [illegible]

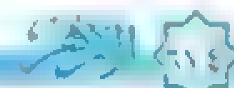
﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

---

(1) [illegible]

(2) الإسقاط هو فى التحليل النفسى أسلوب من أساليب الدفاع عن النفس وتبرير تصرفاتها فينسب الشخص إلى غيره [illegible]




نصرة رسول الله ﷺ
تبدأ بسلوكنا قبل مطالبة الآخر باحترامه ونصرته

[illegible]

نصرة النبى ﷺ إزاء ما يتعرض له من حين لآخر أخذت قدرا كبيرا من اهتمام علماء المسلمين، وخاصة علماء الأزهر الشريف. والذين تصدوا لهذه الحملات بكلام هادئ مقنع وبليغ. هذا الرد يكون بالاقتداء بسيد الخلق قولا وعملا وسلوكا.. فهؤلاء المسيئون لا يعرفون ربا ولا يؤمنون بنبى، ولا يدينون بكتاب. لأن أنبياء الله جميعا أخذ الله عليهم ميثاقا بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ، الذى جاء بدين الكمال والتمام، وأوضح أن كل الرسالات تعانقت من أجل مكارم الأخلاق، وعدم الإساءة لأحد.. وأبلغ رد على هذه الإساءات وغيرها، هو إظهار حقيقة الإسلام وسماحته، وأن تقف الأمة الإسلامية كلها موقفا واحدا، وأن تتحد وتستعيد مجدها العظيم.

احترام العقائد

إن الحرية فى الإسلام تعنى أن الإنسان حر فيما يتعلق بنفسه، بشرط ألا يعتدى على حرية الآخرين أو يؤذيهم، وتعنى أيضا حرية التعليم والاختيار والتملك. ولكن فى حدود ما أباحه الإسلام وشرعه الله سبحانه وتعالى.

وحرية الفكر فى أى دين وفى أى ميثاق، هى ألا تعتدى على حرية الآخرين، ولا تسخر من معتقداتهم، ولا تؤذيهم فى مشاعرهم أو ممتلكاتهم أو أعراضهم أو ممتلكاتهم، وكما نحترم حريات الآخرين، ينبغى عليهم أن يحترموا حرياتنا ومقدساتنا. وينبغى على مجلس الأمن والأمم المتحدة أن تسارع بإصدار قانون.. يجرم ويحرم الاعتداء على المقدسات أو العقائد. حتى لا تحدث فوضى فى العالم.

وديننا الحنيف أمرنا بأن نحترم عقائد الآخرين، ونؤمن بجميع الأنبياء وجميع الأديان.

ومواجهة هذه الحملات الشرسة للاعتداء على رسولنا عليه الصلاة والسلام، وعلى ديننا الإسلامى، سواء بالنشر فى الصحف، أو بالدراما أو بالأفلام، تحت اسم حرية الفكر وحرية التعبير، لا يكون بمجرد عقد مؤتمرات داخل العالم الإسلامى، وإنما يتطلب بتعريف الآخر - غير المسلم فى الغرب والشرق - بحقيقة الإسلام فى وسطيته وسماحته، وفى تقبله للحضارات الأخرى، وفى تقبله لكل ما يفيد الإنسان، مطلق الإنسان، مسلما أم غير مسلم.

دين الرحمة والمساواة

فالبعض فى الغرب، الذين يهاجمون محمدا ﷺ، لا يعرفون عنه شيئا، ويجهلون تماما حقائق الإسلام، بوصفه دينا يدعوا إلى الرحمة لكل الناس، ويدعوا إلى حقوق الإنسان فى كل مجالاتها، ويعلى من شأن المرأة، ويمنع كل أشكال الاعتداء والعنف والتطرف.

هم لا يعرفون شيئا عن هذه الحقائق والسبب فى ذلك تقصير بعض مؤسساتنا الإسلامية فى أداء دورها المطلوب منها تجاه ذلك.. وتقصير المسلمين المقيمين فى الدول غير الإسلامية.

تقديم الدين فى صورة الصحيحة

ومن هنا فإن الخطوة الأولى فى مواجهة هذه الأزمة، لا تنطلق - كما أسلفنا - من عقد مؤتمرات داخل العالم الإسلامى، وإنما فى تقديم الدين الإسلامى الصحيح - للغرب والشرق - فى صورة مبسطة يتم فيها إبراز فلسفة الإسلام الاجتماعية فى الرحمة والعدل والإخاء والمساواة بين كل الناس، مسلمين وغير مسلمين. فإن أبهم

غير معتدين. وكذلك دور فلسفة الإسلام في التنمية وعمارة الأرض.

ولو عرف الغرب هذه الحقائق، ما هاجموا الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وما هاجموا الإسلام الحنيف، وما كانت هذه الإساءات الناجمة عن الجهل بأساسيات هذا الدين الذي اعتنقه مليار وثلاثمائة مليون مسلم، يمثلون خمس تعداد العالم!

مثال من عندهم

والنبي ﷺ نصره الكثيرون من المستشرقين، فقد قال «توماس أرنولد» في كتابه الرائع الذي لم يسبقه إليه أحد من المسلمين أو غيرهم «الدعوة إلى الإسلام»، والذي ترجمه الأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس: إن من الخرافة وإلغاء العقل ألا نعترف بنبوة محمد. وإن من الخرافة أيضا أن نقول إن هذا الدين انتشر بالسيف، مع أن الرسول ﷺ أرسل إلى الملوك والرؤساء في العالم بعد صلح الحديبية، وكان المسلمون في قمة الضعف، بعد أن خرجوا من غزوة الخندق.

وأما الأمريكي «مايكل هارت» فقد اختار من كل عظماء التاريخ وعباقرته مائة سماهم «الخالدون المائة» وجاء الرسول محمد ﷺ هو الأول وذكر هذا المستشرق الأسباب التي جعلت الرسول ﷺ يتفوق على كثير من الأنبياء بمقاييس العبقرية فقال: النبي محمد كان مثلاً أعلى لكل ما يدعوا إليه، عاش ككل الناس فقيرا لم يتخذ شيئاً من أشياء الدنيا في سبيل دعوته، فكان في مكة كما كان في المدينة، ومات على حصير، وكان عبقريا يرضي كل الناس.

بينما تناول الفرنسي «مارسيل بوازار» الجوانب الإنسانية للرسول في حروبه وسلمه ومعاهداته، وفي شعوره نحو العالم كله تحقيقا لقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

الأنبياء: ١٠٧

واستشهد هذا المستشرق بموقف النبي عند دخوله مكة بعد فتحها وخطابه لأبناء قريش «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

كما بذلت المستشرقة الإنكليزية «كارين أرمسترونج» جهودا علمية متعمقة لتصحيح التاريخ، والكشف عن أخطاء شائعة حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ، كما حاولت في دراسة قامت بها، تنقية الفكر الغربي من العديد من الأكاذيب حول سيرة الرسول ﷺ، وانصفته بما يفوق قدرة الكثير من علماء المسلمين.

وأوضحت موقع المرأة ومكانتها الرفيعة في الإسلام وكيف حرص الإسلام على إعلاء مكانتها وإعطائها الحرية، وقد أوردت موقف أم سلمة- رضي الله عنها- في واقعة صلح الحديبية، عندما منع الرسول ﷺ من دخول مكة وأداء العمرة بعد أن أحرموا وساقوا الهدي، وبعد إبرام صلح الحديبية طلب محمد ﷺ من أصحابه فك إحرامهم انتظارا إلى العام القادم

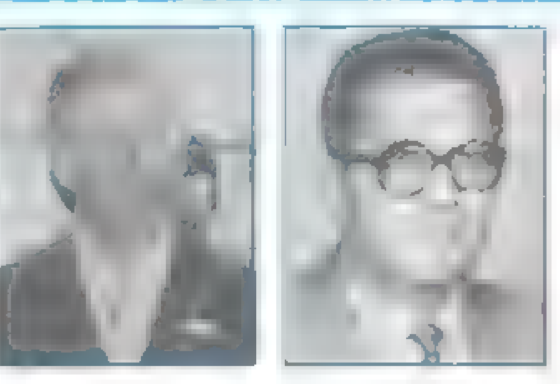
حسب نصوص الاتفاقية، فأبى كثير من المسلمين وذكر ذلك لأم سلمة، وقال لها: إن المسلمين يعصون أمري، فأشارت إليه بحل عملي بسيط أنقذ الموقف، أن يحل إحرامه ويخرج إلى الناس، وبالفعل كان في هذا حلا للموقف، وحل كل المسلمين معه إحرامهم.



استراتيجية للدفاع عن الإسلام ونبيه

وإذا كنا نتطلع إلى منع تلك الإساءات، وإبراز الصورة الصحيحة للإسلام، والتي غابت عن كثيرين في الغرب، فلابد من وضع استراتيجية علمية للدفاع عن الإسلام ونبيه ﷺ وتبدأ بالحرص على إعادة ترتيب البيت الإسلامي من الداخل، وأن ننصر الإسلام ونبيه الكريم، في أنفسنا وفي مجتمعاتنا، وأن نتمسك بالثوابت الإسلامية، حتى تكون لدينا نماذج إسلامية مشرقة في مجالات البحث العلمي والتقدم الاقتصادي، وإتقان العمل والشورى وحقوق الإنسان والحرية، وهي من أهم مرتكزات الإسلام. وهذا يتيح لنا بناء القوة التي نحمي بها أنفسنا من جهة، ويحقق لنا التقدم الاقتصادي الذي يحمينا من التبعية، ويتيح لنا فرصة لتقديم نماذج إسلامية علمية في كل مجال، بدلاً من مجرد الحديث مع الغرب والعالم عن نظم واستراتيجية إسلامية نظرية لا نطبقها نحن المسلمين، ونعاني من التخلف والفقر.

ثانيا: ضرورة نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة داخل مجتمعاتنا، لأن الكثير من



عبدالحليم عويس — تشاربو

جوانب هذه الثقافة تمثل عمليات التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها في غرسها في النشء وهذا هو سبب الانحراف والتمزق والضياع والبعد عن الدين الصحيح، الذي يعد المدخل الصحيح لتحقيق النهضة، ومواجهة كل المشكلات التي يعاني منها مجتمعنا.

ثالثا: كذلك هناك أهمية في مخاطبة الغرب والشرق- كل بلغته- ولا نظل نتحدث فيما بيننا فقط، ومن الضروري الوصول إلى كل مواطن في الغرب بوسائل متعددة، من خلال كتيبات مبسطة وصحيحة حول الإسلام في سماحته ويسره ووسطيته، ومن خلال قنوات فضائية موجهة إلى الغرب بلغاتهم، وحتى من خلال شراء ساعات تبث في القنوات الغربية، تعرض حقائق الإسلام وعن نبينا محمد ﷺ.

كذلك من الضروري استثمار آراء الغربيين المنصفين للإسلام وأصحاب الكتابات الموضوعية، لعرضها على مثقفي الغرب ومواطنيه، لكي يعرفوا كيف فهم

هؤلاء الإسلام بشكل موضوعي وصحيح، وللوقوف أمام الحاقدين على الإسلام من المستشرقين والصهاينة، وأصحاب المصالح الخاصة والرأسمالية المتوحشة.

رابعا: ضرورة تفعيل هذه الاستراتيجية العلمية للدفاع عن الإسلام ونبيه الكريم ﷺ. فلابد من التواصل والتعاون مع مراكز الدراسات الإسلامية في الغرب، والتي تتسم بالحيدة والموضوعية والإنصاف للإسلام ونبي الإسلام ومن بين تلك المراكز، مركز الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد بإنجلترا بقيادة الأمير تشارلز، الذي يتحدث عن الإسلام أفضل بكثير مما يتكلم به بعض علماء المسلمين. ومثل مركز الدراسات الإسلامية في جامعة جورج تاون.

بالإضافة إلى تأييد الجهود التي تبذلها هيئات دولية مثل اليونسكو والمعهد السويدي بالإسكندرية وجامعة الدول العربية، لتنقية المناهج الدراسية في دول الغرب من الأخطاء الفادحة حول خصائص الإسلام ومبادئه وأهدافه وقيمه، وخصوصا تنقية صورة الإسلام الخاطئة في كتب التاريخ التي يدرسها الطلاب في الغرب وأوروبا، وكذلك إصلاح صورة الغرب عند الطالب العربي، وذلك يحتاج بالطبع إلى نظرة موضوعية نقدية محايدة، وتعاونا جادا بين المسئولين التربويين لدى المسلمين ولدى الغرب.

عرض حقائق الإسلام

هناك الكثير من الأفكار التي تنسجم مع الاستراتيجية لنصرة رسول الله ﷺ وإعلاء الدين الإسلامي، من بينها دعوة كبار المشتغلين بالفكر الإسلامي من الغرب والشرق لإلقاء محاضرات في دولنا العربية الإسلامية، ولإطلاق حالة حوار وتواصل معهم لإطلاعهم على الإسلام الصحيح. وفي رأيي أن مثل هذه الفكرة ليست غائبة عنا، ولكنها تحتاج دائماً إلى تطوير واهتمام أكثر، فضلا عن ضرورة توظيف المواقع الإسلامية على الانترنت، لعرض حقائق الإسلام والرد على كل الافتراءات والأخطاء والأكاذيب التي تحاول تشويهه.

كما ينبغي أن تهتم القنوات الفضائية الإسلامية والتي يتكاثر عددها كل يوم بأن تبث إرسالها إلى جانب اللغة العربية بالعديد من اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية والألمانية، وتوجهه على القمر الأوروبي، والأقمار التي تشاهدها أوروبا وأمريكا.

نقد ذاتي

لقد كثر الاستنكار من كل الهيئات الإسلامية، وربما كان آخره ما جاء في الاجتماع الثالث والخمسين للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، والذي عقد على مدار يومين في الشهر الماضي، وترأسه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف ورئيس المجلس، حيث استنكرت هيئة رئاسة المجلس الإسلامي العالمي التطاول على الإسلام ومقام النبي ﷺ في وسائل الإعلام الغربية، واعتبرت تشويه صورة الإسلام في الغرب، بالفيلم الهولندي جريمة اعتداء متعمد على الدين الإسلامي، وتحريضا مثيرا للصراع الحضاري بين الشعوب، ونوعا من الحرية غير المسئولة أو المنضبطة التي لا تقرها الأديان، ولا القوانين الدولية، وطالبت الحكومات الإسلامية وشعوبها بالمقاطعة الاقتصادية والتجارية ضد الدول التي تسيء للإسلام والمسلمين، كحد أدنى للرد على هذه الإساءات.

لكن.. لابد من القول بأننا نتحمل جزءاً كبيرا من المسئولية عن الصورة السيئة للإسلام، وعن إساءة الغرب والشرق لنبي الإسلام ﷺ، فهم لا يعرفون الإسلام، ولا يعرفون النبي ﷺ إلا من خلال واقع المسلمين في بلاد الإسلام، وواقع الجاليات الإسلامية في دول الغرب.

والمسلمون يعانون- للأسف- من التخلف وإهمال مقومات النهضة من تعليم وعلم وتكنولوجيا وإنتاج وتقدم اقتصادي.

ونحن في مجتمعاتنا الإسلامية- للأسف أيضا- عالة على المجتمعات الغربية في كل ما نستهلك أو أغلبه، وفي مقدمة ذلك الغذاء والدواء وكل مقومات التكنولوجيا الحديثة والسلاح.

والحل هو أن نبدأ نحن بحب الله والرسول حبا حقيقيا ونصرته في أنفسنا وقيمنا وسلوكنا.

ولابد من تكوين لوبي إسلامي في مواجهة اللوبي الصهيوني الذي يؤدي دورا خطيرا من خلال الضغوط والنفوذ القوي، الذي جعله يتدخل في إنشاء أو إلغاء قرارات سياسية خطيرة. لدينا الأقليات الإسلامية التي يصل عددها إلى عشرة أضعاف عدد اليهود. علينا طرح هذه الفكرة على الحكومات العربية والإسلامية لتتبنى هذا الطرح، وتدعمه سياسيا، وإزالة أية معوقات تعترض طريقه، خاصة أن المسلمين في الغرب ينتمون إلى جنسيات متعددة، ويمتهنون أعمالا بسيطة غير مؤثرة، وما يمكن أن يحبط هذا اللوبي باتهامات الإرهاب، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

د. محمد سيد طنطاوي

لذلك فإن دعم واقتناع الدول والحكومات العربية والإسلامية ضروري لإنجاح (اللوبي) الذي سيهم بشكل فعال وعملي في مثل هذه الأزمة التي أصبحنا نواجهها فجأة وبدون أية مقدمات وبذريعة غريبة وغير مقنعة أو منطقية هي ما يسمونه بحرية التعبير!

فنصرة رسول الله ﷺ لابد أن تبدأ بسلوكنا والاقتداء به قبل مطالبة الآخر باحترامه ونصرته.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

آل عمران ٣١

الرد على الفيلم الهولندى المسىء للقرآن الكريم

للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

[illegible]

[illegible] أنعى [illegible] ... لا قول بعد بلاغة القرآن

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

***

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... وترد عنه هجمة الطغيان

[illegible] ... أزرى بكل الرسل والأديان

[illegible] ... [illegible]

[illegible] كتاب الله وهو منزه ... عن ترهات الشعر والبهتان

من قبل قال المشركون سفاهة ... وضلالة سحر من الشيطان

[illegible] كتاب الله إلا حكمة ... وهداية جاءت من الرحمن؟!

[illegible] ... فى الذكر أبيات من الأوزان؟!

[illegible] ... قد جاء فاشيا على الإنسان

[illegible] ... أفكاره فى الإثم والخسران

[illegible] ... آياته بالعفو والإحسان

[illegible] ... هى رحمة الإنسان والحيوان

[illegible] ... لا يهتدى بهداية الفرقان

***

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] فى الإمكان

[illegible] ... لا يلتقى كفر مع الإيمان

***

نزل الكتاب على الحبيب المصطفى ... [illegible]

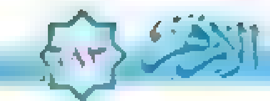
[illegible] ... وبلاغة حملت أجل معانى

[illegible] ... فأزاح ليل الظلم والأوثان

[illegible] ... بالعلم والإيمان فى الأوطان

[illegible] ... قلنا جهول [illegible] للشيطان

[illegible] ... [illegible] على [illegible]



صدقة أبقت مالاً وأورثت رضاً ورضواناً

لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة

"

ان يحصل الانسان على الجزاء المكافىء لما قدم فهذا هو العدل. وان يحصل الانسان على عشر امثال ماقدم من خير فذلك الفضل من الله - تعالى - وأن يضاعف الله الجزاء إلى سبعمائة ضعف او يزيد ففى ذلك فليتنافس المتنافسون:

• ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ •

(البقرة ٢٦١)

اما ان يحصل العبد على ثواب او جزاء عن صدقة لم تخرج من يده فذلك الشيء العجيب!!

"

إن الصدقة التى نتحدث عنها اليوم، هى صدقة عجيبة لم يأخذها طالبها. وإنما ظلت في يد صاحبها المتصدق بها، مع قبولها عند الله بقبول حسن، أثمر رضا الله ـ تعالى ـ وفوز صاحبها بالجنة..

وقصة هذه الصدقة العجيبة وردت في حديث شريف. فقد حدثت فعلا في بنى إسرائيل. وقد أعلم الله ـ تعالى ـ بها رسوله الخاتم ﷺ؛ ليخبر بها أمته المرحومة. ليكون لها منها العظة والعبرة، وليتعلموا منها درساً ربانياً عن حكمته ـ تعالى ـ في خلقه وعطائه للطائعين.

فعن أبى هريرة أنه سمع النبى ﷺ يقول:

إن ثلاثة في بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص - على هيئته - فقال أى شيء أحب إليك؟. قال: لونٌ حسن، وجلد حسن. ويذهب عني الذى قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً قال: فأى المال أحب إليك؟. قال: الإبل. فأعطى ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع فقال: أى شيء أحب إليك؟. قال: شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس.. قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعراً حسناً.. ثم قال: فأى المال أحب إليك؟. قال: البقر.. فأعطى بقرة عشراء فقال: بارك الله لك فيها.

قال: ثم أتى الأعمى فقال: أى شيء أحب إليك؟. قال: أن يرد الله إلىَّ بصرى فأبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأى المال أحب إليك؟. قال: الغنم. فأعطى شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا قال فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد

من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي السبل في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟. فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته وهيئته – السابقة – فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال الملك: إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت.

قال: ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته السابقة فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي السبل في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت. فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك[1].

إن هذه القصة الواعظة الهادفة، والتي وردت في الحديث الشريف تمثل موقف الخلق من نعمة الخالق، فمن الناس من يجأرون إلى الله – تعالى – ويتضرعون إليه في كل وقت وحين، ليرفع عنهم البلاء، ويكشف عنهم السوء، ويوسع عليهم من فضله ونعمته، ويعاهدون الله الكريم إن أجاب دعاءهم وكشف كربهم، وبسط لهم من رزقه ليكونن من الشاكرين المحسنين. ثم إذا أجاب الحق دعاءهم وكشف غمهم وبدلهم

(١) رواه البخاري ومسلم



من ضعف إلى قوة ومن قبح إلى حسن ومن ضيق إلى فرج، إذا هم يجحدون النعمة ويشتغلون بها عن المنعم، ويتخذونها وسيلة لارتكاب ما حرم الله ويمنعونها خلق الله غير مبالين بأحوال المحرومين من خلق الله وما هم فيه من بؤس، وعوز كانوا أنفسهم فيه من قبل. ثم إذا ذكروا بما كانوا عليه من قبل لم يحمدوا الله، بل يدعون أن هذا الغنى وهذه الصحة قد ورثوها عن أجدادهم!! وصدق الحق – تبارك وتعالى – إذ يقول:

﴿ وَإِذَا مَسَّ [illegible] ﴾

(يونس: ١٢)

فليتدبر كل منا هذه القصة النبوية الآن، وما آل إليه مصير كل من أصحابها الثلاثة، ليعظم في نفسه قيمة الطاعة لله، وما يؤول إليه مصير المطيع، وأيضًا ما يؤول إليه مصير الجاحد لفضل الله – تعالى –، وبخاصة ونحن في زمن أحوج ما نكون فيه إلى عطف الأغنياء على الفقراء، وأن نتعاون على البر والتقوى لا على احتكار واستغلال حاجات الناس وآلامهم. وليتذكر كل منا ماذا يأخذ معه من الدنيا؟!.

إنه بحق يترك كل ما جمعه لغيره ثم يحاسب عليه، وليتدبر حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه لأصحابه:

«أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟. قالوا: كلنا ماله أحب إلينا من مال وارثنا، فقال ﷺ: فمالك ما أنفقت ومال وارثك ما أبقيت»[2].

(٢) رواه البخاري

أولو الألباب فى القرآن الكريم

إعداد الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

العقل نفس موهبة الرحمن عند الإنسان به يعمد الإنسان أن يعرف النافع من الضار والحسن من القبيح والخطأ من الصواب والسفه من الرشد.

ولقد وردت في القرآن الكريم نحو ثلاثمائة آية تتحدث عن العقل ووظائفه وطرقه في الفهم والاستنتاج والحكم.

لكن ذلك العقل مناط لتكليف بالإيمان والإحسان والعدل والمرحمة فإن هذا هو العقل الذي يمتاز به الإنسان على الحيوان وهو العقل الكلي الكامل.

هناك ما نسميه نقصا في العقل أو ما نسميه جنونا جزئيا وهو خلل في متكبر يتشرب كثير من خلق الله.

عندما آمر الناس بالتقوى وأنا فاجر أو عندما آمر الناس بالرحمة وأنا قاس أو عندما آمر الناس بالسماحة وأنا متعصب فإن هذا شيء يدل على ضرب من الخبل يجب أن يعالج بالتذكير والهداية وهذا سر قوله تعالى:

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾

(البقرة: ٤٤)

كأن هذا التصرف جنون جزئي يقال للإنسان معه: ألا تعقل؟ تأمر الناس بالبر وأنت بعيد عنه شارد عن طريقه؟ ومن عجائب لغتنا أنها سمت العقل بأسماء عجيبة

سمته «النهي»[1] والنهى جمع نهية كأن وظيفة العقل أن ينهى الإنسان عن الإسفاف.

وسمته «الحجر»[2] كأن وظيفة العقل أن يحجر على الإنسان إذا ضل وتصرف تصرفا عابثا حتى يكف عن عبثه.

وسمته «العقل» لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهلكات لأن العقل هو الذي يقيد الإبل والدواب حتى لا تشرد وتنطلق على غير هدى فالعقل في ديننا كما هو عصالة في فهم الحقائق فهما سليما فهو كذلك أساس في زجر الإنسان عن الاضطراب والفوضى إذا رغب في الاضطراب والفوضى

وقد رأيت وأنا أتلو القرآن الكريم أن هناك كلمة تستوقف الأنظار وينبغي أن نتريث طويلا أمامها وهي كلمة «أولي الألباب» ومعناها أصحاب العقول كأن اللب هو العقل أو العقل هو اللب وماعداه قشر يطير مع الريح لا وزن له.

تكررت كلمة «أولي الألباب» ست عشرة مرة في القرآن الكريم نذكر منها قوله تعالى:

﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾

(البقرة: ١٩٧)

ومعنى الكلمة هنا أن في مناسك الحج حكما يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها وأن الذين تصوروا أعمال الحج مناسك غامضة بعيدة عن التصور العقلي مخطئون.

وقوله تعالى:

﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾

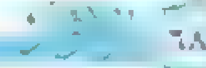
(البقرة: ٢٦٩)

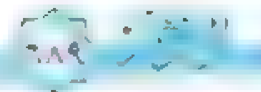
وعندي أن الحكمة في هذا الموضع تعني الحقيقة الراشدة العاقلة التي تجعل الإنسان يحسن توزيع ماله على مطالبه

---

(١) [illegible]

(٢) وفي التنزيل العزيز: «هل في ذلك قسم لذي حجر» (الفجر ٥)





الخاصة وعلى مطالب ذويه وواجبات مجتمعه بحيث يكون فيما يملك مدخر للفقراء والمساكين ومجال للإنفاق في سبيل الله.

والحكمة أوسع من هذا المعنى إذ إنها تعني أحيانا أن يكون التعليم مناسبا للطلاب فقد جاء «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(٢) «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»(٣).

وقد تكون الحكمة في غير المال وتعلقه وفي غير العلم وعرضه قد تكون في الدعوة كيف تعرض على الناس وكيف يخاطب كل مجتمع بما يلائمه ويناسب حاجته ويوائم مستواه العقلي ولكنها على أية حال خير كثير يعرف قدره أولو الألباب.

ووردت كلمة «أولي الألباب» مرتين في سورة آل عمران

منها قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(آل عمران: ٧)

وقد بينت للمسلمين أن المحكم من كتابهم هو الذي حوى أصول العقيدة والأخلاق والسلوك وأن المتشابه لا معنى للخوض فيه لأنه فوق طاقة العقل أولا وبعيد عن أن يصل الإنسان إلى حقيقته بأدواته الكليلة ثانيا، ثم هو مثار فرقة وخلاف وينبغي أن يبقى المجتمع المؤمن موحد الرأي موحد الهدف.

ومنها ما ورد في سورة يوسف حيث قال:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(يوسف: ١١١)

بيّن رب العالمين أن القصص الذي يسوقه في الوحي المبارك ليس روايات مؤلفة ولكنه أحداث تاريخ وقع ويعني ذلك أن المسلم قارئ القرآن ينبغي أن يدرس التاريخ لأنه لا جديد تحت الشمس

(٢) رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود في مقدمة صحيحه ١/ ٩

(٣) [illegible]

يمكن أن نقيس به الحاضر على الماضي، يمكن أن نستنتج مما كان حقيقة ما سيكون ولذلك أوتينا العقل لكي نعيش ونرى ونعتبر ونتدبر.

ومنها ما ورد في سورة الرعد:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(الرعد: ١٩)

الناس كثيرون في هذه الدنيا لكن بعض الناس في أبصارهم قصور فلا يرون من بعيد أو في أبصارهم عمى فلا يرون شيئا قط، هذا الذي يكون من آفات في العيون قد يكون آفات في البصائر التي ينبغي أن تعرف الحق وأن تتبعه وأن تدرك حسنه وأن تعرف الباطل وتشمئز منه وتنفر من قبحه وقد بين القرآن الكريم أن الإنسان تعرض عليه الآيات وينبغي أن يستعمل عقله وأن ينتفع بأنفس ما وهب الله له:

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾

(الأنعام: ١٠٤)

ومنها ما ورد في سورة إبراهيم:

﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(إبراهيم: ٥٢)

إن هذا القرآن تلاه النبي ﷺ على الناس ثم ذهب إلى الرفيق الأعلى وترك الكتاب الخالد يتلى على الناس كي يفطمهم عن الشهوات ويصدهم عن الأهواء القبيحة كي يتذكر من له عقل أن الله واحد وأن المرجع إليه وأن المهاد الحسن ما نعده نحن لأنفسنا عنده، فالذين يعملون الصالحات لأنفسهم يمهدون والذين يعملون السيئات لأنفسهم يمهدون ولكن شر مهاد.

ومنها ما ورد في سورة ص:

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(ص: ٢٩)

هذا القرآن لا تفنى عجائبه وكلما وقفت أمام بابه تقرع الباب لمعنى جديد وجدت خزائن الرحمة فيه سيالة ومن عيوب الذين ابتعدوا عن الرحمن أن حجبا صدتهم عن الكتاب فهم ما يحسنون السماع إذا تلي ولا القراءة إذا اطلعوا أما عباد الرحمن فقد وصفهم الله بقوله:



﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾

(الفرقان: ٧٣)

الأصم: من استمع إلى الآيات فلم ينتفع بها، ما انتفع بحاسة السمع.

الأعمى: من قرأ القرآن فلم يستفد به، ما انتفع بحاسة البصر.

من عجائب التاريخ ومن غرائب العالم أن المحطات الأجنبية عموما تذيع القرآن الكريم على الناس!! كأنما اطمأنت إلى أن المسلمين لن يفهموا منه شيئا إنما يتسمعون نغم حلو والصوت العذب وانتهى الأمر!!

أما سورة الزمر فقد تضمنت ثلاثة مواضع:

الموضع الأول:

﴿ [illegible] ﴾

(الزمر: ٩)

الحديث بدأ بمقارنة بين ليل الرسول ﷺ وليل غيره، غيره نائم، جثة ملقاة على الفراش كثيب دانة خنقها الإعياء، فهي تستريح، أما هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فإن جسده ينام وقلبه يقظان فإذا تحرك في فراشه تحرك بذكر الله ثم على عجل ينهض لينتصب على قدميه يقرأ الكتاب العزيز.

الموضع الثاني:

﴿ [illegible] أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(الزمر: ١٧، ١٨)

المؤمن ليس متعصبا لشيء سبق إلى عقله إنه إنسان يحسن الموازنة والمقارنة بين ما يعرض عليه من مبادىء وأفكار ويختار ما يرى أن الشرع إليه أقرب وأن العقل إليه أميل.

الموضع الثالث:

﴿ [illegible] ﴾

(الزمر: ٢١)

يذكر الله العباد بجلال قدره وعظمة قدرته وافتتانه فيما أبدع من خلقه لأنه أحسن كل شيء خلقه انظر كيف يتحول الطين إلى ورود ورياحين! انظر كيف يتحول الغذى إلى سكر ونشا وحلو وأشياء أخرى معجبة وألوان أخرى تسبى العيون!!

وفى سورة غافر:

﴿ [illegible] وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(غافر: ٥٣، ٥٤)

يبدو من السياق أنه يتناول الأقدمين من بني إسرائيل ولا ريب أن أتباع موسى الأوائل كانوا أولى بالحق والنصرة والتكريم من فرعون وآله وجنده ومن هنا أعطاهم الله الكثير.

وفى سورة الطلاق:

﴿ [illegible] ﴾

(الطلاق: ٨-١٠)

هذه الآية تشير إلى سنة كونية وهي أن الله لا يعاجل الناس بالعقوبة إذا عاجلوه بالمعصية بل هو يتأنى بهم ويعطيهم فرصة للمتاب فإذا أبوا إلا الجماح وإذا آثروا الضلال على الهدى فإنه يضربهم الضربة التي تشيب لها النواصي.

هذه بعض المواقع التي تكررت فيها كلمة «أولي الألباب» في كتاب الله عز وجل لتبين أن القرآن الكريم يطلب من المسلمين أن يكونوا أصحاب عقول مستنيرة وأصحاب معرفة مستوعبة وأصحاب علم واسع.

إن الأفق الضيق شر على صاحبه وشر على المبدأ الذي يحمله وشر على العقيدة التي ينقلها إلى الناس ونحن نريد أن نكون على مستوى الدين.

لا أعرف كتابا في الأولين والآخرين أعلى قدر العقل وجعل أمته أمة الحضارة العاقلة الواعية المتقدمة الهادية إلا هذا القرآن الكريم! فاعرفوا قدر كتابكم وأحسنوا اتباعه.

هداني الله وإياكم سبيل الرشاد.

دور الرسالات السماوية

كنا قد تعرضنا في الجزء الاخير من مقالنا السابق، منبع الدين في الإنسان، للإجابة عن هذا السؤال المهم، ما دور الرسالات في حياة البشر؟ واقتضينا القول في هذه القضية نظرا لضيق المساحة الممنوحة لنا من جانب وحرصا على وقت القارئ من جانب آخر واليوم تجيب على هذا السؤال بشيء من التفصيل المناسب نظرا لأهمية القضية ولضرورة أن يعطى كل نبي ورسول حقه من التوقير والاحترام.

جاءت الرسالات السماوية لتكون المنهاج الواضح والتطبيق العملي لما استقر في فطرة الإنسان. بعد أن أخذ الله عليه العهد الموثق. وهو بعد الإيمان في عالم الذر وتنظيم العلاقة عمليا بين العبد وخالقه عقيدة وعبادة. ولإشاعة الاستقرار والحياة الآمنة بين الأفراد والجماعات وتخطيه ما قد يعترض مصلحة الفرد في مواجهة المجتمع أو المجتمع في مواجهة الفرد. وبذلك يستحق شرف الخلافة في الأرض

• ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ •

(البقرة: ٣٠)

جاءت الرسل، وبيد كل واحد منهم مما أوحاه الله إليه ما يؤكد على أن الخير الذي ينشده البشر إنما هو في اتباع هدى الرسول عقيدة ومنهاجا وعملا

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾

(المائدة: ٤٤)

• ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ •

(الإسراء: ٢)

كما أيد كل رسول بالمعجزات التي من شأنها أن تدعو إلى التصديق به وبأنه مبلغ عن الله عز وجل.

لكن الناس في موقفهم مما جاءت به الرسل، لم يكونوا على سنن واحد. وهو موضع الابتلاء الحقيقي، والاختبار الذي يخرج منه البشر فريقين:

• ﴿فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ •

(الأعراف: ٣٠)

ولكي تتحقق العدالة المطلقة، وتتكافأ الفرص بين البشر جميعا في هذا الاختبار، جعل الله كل رسول ونبي من بني قومه وبلسانهم، لتكون الحجة أبلغ، وليكون شاهد صدق عليهم أمام الرب تبارك وتعالى

• ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ •

(إبراهيم: ٤)

• ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ •

(النساء: ٤١)

• ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء﴾

(النحل: ٨٩)

التوحيد

ولقد كانت دعوات هؤلاء الرسل، تقوم على قاعدتين أساسيتين:

- أولهما: قاعدة التوحيد الخالص لله عز وجل
- والثانية: الشريعة الواضحة بشقيها:
- الأول: ما يتعلق بكيفية العبادة التي تصل العبد بخالقه.

والثاني: ما يتعلق بتنظيم المعاملات بين الناس.. أما ما يتعلق بالقاعدة الأولى، التي هي التوحيد الخالص للخالق المدبر، الذي بيده مقاليد السموات والأرض ومن فيهن. فإن جميع الرسل قد أعلنوها صريحة مدوية وهي الأساس الوحيد الذي تبنى عليه جميع شئون حياة الفرد والجماعة. حتى تتوحد وجهة الإنسانية، وتسير في طريق واحد لا عوج فيه، ولا ظلمة.. فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه

• ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ •

(الأعراف: ٥٩)

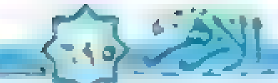
وهذا هود عليه السلام يقول لقومه عاد:

﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ •

(الأعراف: ٦٥)

وهذا صالح - عليه السلام - يقول لقومه ثمود





﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

(الأعراف ٧٣)

ويستمر جميع الرسل في أداء هذه الأمانة العظمى بكل دقة وإخلاص، سائرين في طريق التوحيد للخالق المدبر، على اختلاف أعصارهم وأقوامهم، إلى أن جاء خاتمهم - عليه السلام - الذي جاء بالدين الأعظم الذي جمع تحت لوائه وسلطانه كل ما سبق من الدعوات.

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

(المائدة ٤٨)

التوحيد جوهر دعوة موسى وعيسى

ولقد شاءت إرادة الله - عز وجل - أن يبقى في كتب اليهود والنصارى - بالرغم من حرصهم الشديد على التحريف والتبديل - جملة صالحة من الآيات، التي تدل على أن عقيدة التوحيد كانت جوهر الدعوة التي جاء بها الرسولان الكريمان: موسى وعيسى - عليهما السلام.

فلقد جاء في أسفار العهد القديم - التوراة التي أنزلت على موسى - في الوصايا العشر، ما يلي الوصية الأولى «احفظ ما أنا موصيك اليوم.. لا تسجد لإله آخر، لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو...»[1].

وفي الإصحاح العشرين: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لها تمثالا منحوتا ولا صورة ما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن»[2].

وفي إنجيل مرقس أيضا: حينما تقدم أحد الكتبة إلى المسيح قائلا: أي وصية هي أول الكل؟ فأجاب يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب، إلهنا واحد»[3].

وهكذا نرى أن عقيدة التوحيد هي ديدن الرسل جميعا، من لدن آدم - عليه السلام - إلى محمد ﷺ مصداقا لقول الله - عز وجل - في كتابه العزيز

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾

(النساء ١٦٣)

***

(1) سفر الخروج إصحاح ٣٤ فقرة ١٤

(2) سفر الخروج إصحاح [illegible]

(3) [illegible]

ومع هذه الوحدة التامة في القاعدة الأولى التي قامت عليها كل رسالات السماء، كان الاختلاف في القاعدة الثانية، التي هي الشرائع السماوية.. قال تعالى:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(المائدة ٤٨)

ففي اختلاف الشرائع ما ييسر على الناس في كل أمة وفي كل حين أمر العبادة، التي تجعل العبد في معية الله - عزوجل - كما ييسر لهم سبل المعاملات وتبادل المنافع، حتى يعيش الناس في أمن واستقرار.. إلى أن بلغت الإنسانية رشدها، واستوت على سوقها، وتقاربت الأمم والشعوب، وأصبح من الميسور أن يجتمعوا على قانون سماوي واحد، فكانت شريعة الإسلام التي جاء بها خاتم المرسلين محمد ﷺ من عند الله - تبارك وتعالى -.

قال الله - عز وجل - في محكم التنزيل مخاطبا نبيه ﷺ:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(الأعراف ١٥٨)

عالمية الإسلام وخلوده

وهناك الكثير من الآيات الدالة على عالمية الإسلام وخلوده إلى يوم القيامة، يضيق المقام عن ذكرها، لكن، هل في طبيعة هذا الدين ما يؤكد على عالميته؟

إن الذي يتفحص طبيعة هذا الدين بعين باصرة، وبقلب واع لا يبغي إلا الحق، ليرى فيه الكثير من الأدلة القوية التي تكفل له البقاء، مثلما تكفل له الانتشار، لأنها تعد الركائز القوية، التي تقوم عليها حياة الإنسان وهو يؤدي دوره المنوط به، وتلك المقومات الأساسية الخالدة للإسلام هي كما يقول الأستاذ محمد فريد وجدي - أنه دين الفطرة، وأنه قائم على العقل والبرهان، وأن هناك أصولا أولية يتألف منها دستور علمي يوجه إلى ينابيع الحكمة، وهي تنحصر في هذه الكليات، التي أجمعت عليها فلسفات العالم، وهي دوام النظر والتفكير في الوجود إجمالا، وفي الكائنات التي فيه تفصيلا، ودرس أحوال الأمم، والاعتبار بها، وتنور نواميس الاجتماع من خلالها، والاستهداء بالأعلام الإلهية المنصوبة في الوجود لهداية السالكين للحقائق الخالصة من الشوائب، والتجرد من جميع الصيغ الوضعية ومن الهوى في الحكم على الأشياء، والاجتهاد في تحصيل العلم حيث كان، وعند أية أمة وجد، والأخذ بالأحسن من كل شيء، والعمل بمبدأ حرية البحث وعدم الاستخذاء للتقليد، وعدم الجمود على شيء، والجري على سنة التجديد، استبقاء للتناسب بين أهله وبين كل جديد، واعتبار الفضائل وسائل لبلوغ الكمال، الذي قدره الخالق للإنسان في هذا العالم، واعتبار وحدة الإنسانية، وأن الناس ما انقسموا إلى أمم

وشعوبًا وقبائل ليتحاسدوا ويتناكروا، ولكن ليتعارفوا ويتحابوا، وأن باب الاجتهاد في الدين وفي الأحكام مفتوح إلى يوم القيامة ولا تختص به طائفة ولا تستأثر به أسرة.

وهذه هي الأصول الأساسية في الإسلام، وكلها كما ترى أصول حاصلة على جميع أهل العلم والفلسفة في العصر الحديث. وهي مع هذا أصول خالدة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، وفي كل أمة من أمم الأرض كتب لها السمو وطول البقاء. فهل تعجب بعد هذا البيان من قولنا إن تعاليم الإسلام خالدة خلود النواميس الطبيعية، وأنها تصلح لكل زمان ومكان»[4].

الإنسان في الإسلام

وانطلاقًا من جملة هذه المقومات الأساسية الخالدة للدين الإسلامي، تحددت مقاصد الشريعة الإسلامية وقد اتفق العلماء والمحللون على تسميتها الكليات الخمس، وهي على سبيل الإجمال على النحو التالي:

● حفظ النفس الإنسانية بعدم الاعتداء عليها، حتى قبل

«الإنسان بنيان الله ملعون من هدمه» ولم يقتصر الأمر على الإنسان الموجود بالفعل، فحق الإنسان في الحياة يبدأ -في نظر الإسلام- منذ تكوينه في رحم أمه، ومن هنا كانت حرمة إسقاط الجنين خشية الفقر.

● ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء: ٣١)

وتستمر حرمة الاعتداء على النفس طيلة حياتها

● ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: ٣٣)

وهو مظهر من مظاهر تكريمه عند الله عز وجل

● ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)

ولعل ذلك رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت العتيق مخاطبا هذا البنيان المقدس: «والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك».

● حفظ العقل الذي جعله الإسلام مناط التكليف وجعله صاحب الأولى في قضايا العقيدة والشريعة وأوجب استعماله في كل ما يعن للإنسان في حياته العامة والخاصة ونعى على من يهملونه اتكالا على ما ورثوه من أسلافهم وأمر باستعمال الحواس الأخرى التي تعد منافذ طبيعية له يطل منها على العالم من حوله ليؤدي دوره بجدارة وليؤدي إلى نتائج طيبة قال تعالى في محكم التنزيل:

● ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩)

ويقول الرسول ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»[1]

● حفظ الدين، فالنزعة الدينية ثابت من أصول التركيبة البشرية

والدعوة إلى الدين تقوم على الحوار بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن

● ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥)

● حفظ النسل، وحب النسل فطري في الإنسان وغيره من الكائنات الحية ولذا كانت المحافظة عليه أصلا من أصول الإسلام حيث إن مدلوله لم تتصادم مع فطرة ومن صور المحافظة عليه طهارته من الزنا الذي يؤدي إلى اختلاط الأنساب

محمد فريد وجدي

كما فضل الإسلام الزواج من غير الأقارب حرصا على سلامة سلالة النسل البشري

● حفظ المال لأنه مع النسل يشكلان زينة الحياة الدنيا، ولذا فقد شرع الإسلام الجد في تحصيل كل منهما بل اعتبر ذلك عبادة يثاب المرء عليها وجعل الدفاع عنه حتى الموت شهادة قال عليه السلام: «من قتل دون ماله فهو شهيد»[2] وحرص على أن يكون تحصيله من طريق حلال وأن يكون مصرفه أيضا في حلال ولذا كان من أهم ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ماله «من أين اكتسبه وفيم أنفقه» (سنن الترمذي)

هذا هو دور الرسالات السماوية وتلك هي مهمة الرسل الكرام الذين اصطفاهم الله ليهدوا به خلقه

● ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)

(1) سنن الترمذي

الثقة القوية
أولى خطوات النجاح

لقد بات من الواضح الصريح أن أمتنا الإسلامية - فى مشروعها الحضارى المأمول - ليست بحاجة إلى منهج حكيم، أو تصور سليم، فذلك أمر كفيناه بمنهج الله القويم، فى كتابه الكريم.

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢)

فهو المنهج الذى تنزه عن النقص، وسلم من العيب، واستعلى على الأهواء، وتبرأ من العجز، واكتملت له جوانب الكمال والتمام، وهو المنهج الربانى الفريد على وجه الأرض اليوم، فلا دخل فيه لأهواء البشر.

وهو المنهج الواقعى، الذى سلم من التهويمات الخيالية، والنظريات المثالية - فهو يتعامل مع النفس الإنسانية من حيث هى: معترفا بضعفها، مقرا بقصورها، ملبيا لحاجاتها كلها روحية وعقلية وجسدية، دون تغليب شئ على شئ وهو إلى جانب ذلك كله يلتقى مع الفطرة السليمة النقية، لأنه منهج صدر عن الله، ليعالج فطرة هى من صنع الله، فلم يكن غريبا أن نرى هذا العناق الحميم بين المنهج الربانى والفطرة الربانية:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (الروم: ٣٠)

وهذا الالتقاء الحميم بين الفطرة والمنهج هو ما يفسر لنا هذا الإقبال العظيم على اعتناق الإسلام عقيدة وشريعة، من كثير من أتباع الملل الأخرى، على اختلافها وتباينها، بالرغم من أن حال الإسلام بأهله اليوم لا يغرى أحدا بالإقبال عليه، أو الدخول فيه، نظرا لما يعانيه أهله من غياب الهوية وضعف السلطان.

وهذا الإقبال يفسر من جانب آخر سر خوف الرعب الذى يجتاح نفوس معرضين الحاقدين، من سدنة الكفر ورءوس الضلال، عندما يرون الإسلام ينتشر فى بلادهم، وبين ذويهم، وخاصة بين فئة المثقفين والمفكرين الذين تنشرح صدورهم للحق فيدخلون فى دين الله أفواجا.

فإذا أضيف إلى المنهج الإسلامى سمة أخرى، هو أنه منهج مجرب، تم تطبيقه والعمل به قرونا طويلة فى حياة الناس، فأنشأت نجاحا أذهل الدنيا، وأسعد العالمين، أدركنا أننا لسنا بحاجة إلى هذا اللهاث المجنون وراء مناهج من صنع عبدة الأهواء والشهوات، وسدنة الإلحاد والفجور.

الثقة بالنفس

إن كل ما ينقص أمتنا اليوم - لكى تتقدم بالإنقاذ إلى أهل الأرض هو أن تثق بنفسها، وتستعلى بدينها وتستقيم على منهج ربها، وسنة نبيها وأن تعلن فى جرأة وقوة إنهاء حالة الفصام الفاضح بين عقيدتها التى تؤمن بها، وتعتز بالانتماء إليها وبين ممارسة تلك العقيدة فى حياة الناس، سلوكاً وشريعة وأخلاقاً ونظام حياة.

إننى لا أدرى، ولا أحد من جميع المخلصين فى الأرض يدرى، ما الذى يحول بيننا وبين الأخذ بمنهجنا، وهو أعظم منهج شهدته الأرض وأحكم شريعة عرفتها الحياة.

إنه لا يعرف تفسير واضح لذلك التخبط الفاضح الذى تعيشه أمتنا اليوم إلا الفساد الذى أصاب العقيدة فأخمد جذوتها، وأطفأ شعلتها فتحولت إلى سطور فى الأوراق، بعد أن كانت روحا دافقة توجه السلوك وتحكم الأخلاق

«فالعقيدة الصالحة والأدب القوى، والعرف الصالح كقوة البارود فى دفع القذيفة، تدفع الأمم بقدر ما فى عقائدها من قوة واستقامة، وهذه القوة الدافعة تسوق الأمم إلى الأمام حتى إذا ما تبددت، بقيت الأمم حيث أوصلتها الدفعة الأولى، ثم هوت إلى الأرض كتلة لا تعى، وكأنما سلبت حياتها، والتاريخ يشهد على أن انحطاط كل قوم من الأقوام يبتدئ حيث تبلغ السيطرة المادية حد التسلط على حياتها، وتسيرها وتحل محل السيطرة الروحية والمعنوية أو

بعبارة أخرى حين تغلب شهوات الأبدان شهوات الأرواح، تلك هي ساعة الفصل بين التقدم والتأخر(١).

حفظ الله الأمة

وإذا كانت أمتنا قد فقدت تلك القوة الروحية والمعنوية أو بعبارة أخرى غلبت شهوات الأبدان على شهوات الأرواح فوصلت إلى ما وصلت إليه الآن، فإن من رحمة الله بها وإحسانه إليها، أن حفظ لها منهجها الذى سعدت به ردحاً طويلاً من الزمن، حتى إذا تركته وأهملته كلفها جراء ذلك سقوط هيبتها، وانتقاص سيادتها، وامتهان لكرامتها، وهواناً على الناس، فإذا أرادت العود بعد الخروج الطويل، وجدت رحمة الله فى انتظارها ومنهج الله بين أيديها، تستأنف به نهضتها، وتعود من جديد لقيادة البشرية وهداية الناس.

إن الإسلام لا يستمد بقاءه من أحد مهما كان شأنه، وإنما الناس جميعاً يستمدون وجودهم وسعادتهم من الإسلام.

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾

(محمد ٣٨)

إن الإسلام قائم بنا أو بغيرنا، أما نحن فلا وجود لنا إلا بالإسلام وما أصدق قولة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله».

لقد رد الحق - سبحانه وتعالى - على أقوام سوء فهمهم، وفساد تصورهم عندما منوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باعتناقهم الإسلام فقال سبحانه، مصححاً فهمهم، مقوماً تصورهم:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(الحجرات ١٧)

وها هى أمتنا مدعوة اليوم للعودة إلى كتاب ربها، وسنة نبيها عودة تائب أثقله الذنب وآلمه الندم، وأحرقه لذع الضمير.

فقدان الثقة

وهى مطالبة فى عودتها تلك أن تتسلح بثقتها فى نفسها، ويقينها فى ربها، يقول الأمير شكيب أرسلان:

«إن من أعظم أسباب انحطاط المسلمين فى العصر الأخير فقدهم كل ثقة بأنفسهم، وهو من أشد الأمراض الاجتماعية وأخبث الآفات الروحية، لا يسلط هذا الداء على إنسان إلا أرداه، ولا على أمة إلا ساقها إلى الفناء وكيف يرجو الشفاء عليل يعتقد - بحق أو بباطل - أن علته قاتلة؟ وقد أجمع الأطباء فى الأمراض البدنية، أن القوة المعنوية هى أساس الأدوية، وأن من أعظم عوامل الشفاء إرادة الشفاء. فكيف يصلح المجتمع الإسلامى، ومعظم أهله يعتقدون أنهم لا يصلحون لشئ ولا يمكن أن يتصلح على أيديهم شئ وأنهم إن اجتهدوا أو قعدوا فهم لا يقدرون أن يصارعوا الأوروبيين فى شئ»(٢).

وهذا الشعور بالدونية الذى عاشته أمتنا فى العصر الأخير جدير وحده أن يصيبها بالخور، وأن يسلمها إلى الدمار المحقق والفناء الرهيب.

ومما يروى من سيرة سيدنا على «كرم الله وجهه» أنه سمعت له فى إحدى المعارك بعمائة تكبيرة، وكان من عادته أنه يكبر كلما صرع قرناً. فقيل له فى ذلك فأجاب «كنت إذا حملت على الفارس ظننت أنى قاتله، فكنت أنا ونفسه عليه».

والتاريخ يسجل لسيف الدين قطز قاهر التتار، أن أول بشائر انتصاره على التتار كانت فى رده الحاسم القاطع على غرور هولاكو وتجبره، إذ قام بقتل رسله الأربعة وعلق رءوسهم على أبواب القاهرة ليعلم أهل مصر لدى ملاقاتهم الرعب من أخبار التتار أن التتار يقتلون، وحتى يتحرر الناس من عقدة الانهزام النفسى، والسقوط المعنوى، الذى بلغ بهم حد الخور والاستخذاء والهوان.

شكيب أرسلان

لقد اختصر هذا الموقف الرائع نصف طريق الانتصار وأشعر الأمة الثقة فى نفسها والاطمئنان إلى قيادتها، فكأنها نشطت من قيد أو فكت من عقال، وانطلقت جحافلها تتحرق شوقاً إلى لقاء العدو، وتستعجل اللحظة التى تلقى فيها هذه الحشود الكافرة الفاجرة، لتروى من دمائها لهيب الثأر وشهوة الانتقام.

إن إحياء الأمة من موتها دور لا ينهض به إلا العلماء المخلصون والقادة المؤمنون، الذين يدفقون فى شرايين الأمة فورة الإيمان، ويشعلون فى كيانها جذوة الجهاد، وروعة القرآن، ويدفعون بشباب الأمة إلى معالى الأمور ويحببون إليهم الجنة، ولسان حالهم يقول:

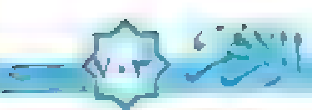
تهون علينا فى المعالى نفوسنا
ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

---

(١) الرسالة الخالدة- عبد الرحمن عزام- دار الشروق سنة ١٩٧٩ ص-٢٤

(٢) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم- شكيب أرسلان- دار البشير ص١٤٩







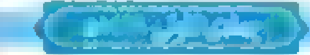
امتحان

تزخر حياة الرسول ﷺ بالمواقف التى تفيض بجمال الإيمان وجلال الثبات على العقيدة. ولكن أزخر فترات حياته بتلك المواقف الفترة التى قضاها فى مكة منذ بدء الوحى إلى الهجرة، فى هذه الفترة التى قضاها فى مكة منذ بدء الوحى إلى الهجرة. فى هذه الفترة كان الامتحان فى ثبات العقيدة يتكرر صعبا عسيرا، وكان الإيذاء فى سبيل الإيمان مرا أليما ووحى يتنزل متى أراد الله، لا متى تريد الظروف، ولا متى تدعو إليه الحاجات الإنسانية.

وقوم حوله يكذبون، هازئين خائفين من امتداد الأمر واستفحاله. حريصين بمجرد خيال يشير بزوال السلطان المادى عنهم. وهم يعد لهم عزتهم ونعرتهم وآلهتهم وأنسابهم ومقامهم الذى ورثوه مثقلا بجهالة السنين، مدعما بسلطان المال وبطش القوة، والأنصار قليلون مستضعفون مستقتلون فى سبيل إيمان. واستشهادهم يخدم الدعوة، ولكنه يؤلم القلب ويدمع العين.

وكان الله يبعث بومضات أمل وسط هذا الليل من الشدائد وبواعث اليأس، فهذا قريب يعطف ويحنو، وذاك كبير شأن يسلم، هذا «حمزة» عم النبى يدخل الدين الجديد فى شجاعة وقوة ملائمتين لعزته فى قومه وقوة شكيمته

هنالك يجتمع أكابر مكة كما اجتمعوا من قبل، وكما سيجتمعون من بعد، يتداولون فى حالهم إزاء هذه الأحوال الجديدة، وشبح زوال السلطان يسرع فى عظامهم ويلهب أفئدتهم ويطلق ألسنتهم. والعزة القرشية والإباء العربى يكسوان هذه الأفكار ألفاظا خلابة مثيرة، ويبدأ العقل يفكر فى مسائل القلب، فينظم الفروض ويستوحيها، ويبتكر الحلول ويكسوها خلابة وإغراء، ويخرج آخر الأمر بخلاصة وافية يرضى عنها العقل كل الرضى. ويعرضها فى إعجاب، بل فى وثوق بالنجاح. هذا الرجل الذى يجاهر بدعوته الجديدة، إما أن يكون مريضا بها أمرا، وإما أن يكون مرغما على الجهر بها، فإن كان الفرض الثانى فهو إذا



يتحدث بدعوته تحت تأثير سلطة خارقة. تقذف به إلى هذا الشقاء الذى يلقاه، وتقوده إلى هذا الأمر الذى يحوزه، وهى فى حقيقة الأمر تؤذيه هو أكثر مما تؤذيه، هذه القوة لا يمكن إلا أن تكون شيطانا، وعلاج الإنسان من مس الشيطان بواسطة الطب أمر ميسور متى توفر المال، وإما إذا كان الفرض الأول هو الأكثر احتمالا. فهو يريد بدعوته شيئا لا يخرج عن أمرين: إما المال وإما السلطان، وكلاهما فى أيديهم يمكن أن ينزل عن جزء كبير منهما حتى يؤمن هذا الشبح الرابض على قلوبهم بتقلباته. والرجل آخر الأمر واحد منهم، من أوسطهم نسبا، وأعلاهم مقاما. فليقروا على ما أراد، حتى تستمر تقاليد مكة على ما كانت عليه من قبل ميلاد محمد (ص) زمنا طويلا.

هكذا جلست الجماعة من سراة قريش فى ناديها، تفكر وتمعن فى التفكير، يقلبون الأمر على ميزان العقل، يقدمها المقدمة. ويخلصون إلى النتيجة ويقررون ما يستقرون عليه من رأى وجلس بينهم عتبة بن ربيعة سيدا فى قومه مهيبا وقورا. قال: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه، ووافق المجلس على هذا الاقتراح، وذهب عتبة إلى محمد «ﷺ» وفى الطريق تداعبه خيالات الانتصار، ألم يقلبوا الأمر على كل وجه؟ ألم يكونوا أسخياء فى عروضهم المعقولة كلها، وعرضوا عليه أن يختار منها ما يريد هو؟ مما من شك إذا أن الرجل سيكف عما يدعو إليه، وسيعود إلى قومه راضى النفس قد اطمأن إلى ما أراد أن تصل إليه آماله.. وسيتلاشى هذا الشبح الثقيل الذى ربض فوق مكة، من خلاف أهلها وفوضى الأمر واضطراب الحال. كل شىء سيعود كما كان.

ويقترب عتبة من رسول الله «ﷺ»، ويتبع فى كلامه خطة تدريجية نفسية مؤثرة. فهو يبدأ الكلام بقوله: «يا ابن أخى»، ويبين له بعد ذلك مكانته العظيمة من قومه، ثم يتحدث إليه فى رفق وبساطة، مصورا له فى أيسر لفظ خطر ما يدعو إليه: «لقد فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت من سلف من آبائهم» لقد بسط عتبة الحال، وجاء أوان الحلول. وهذه خلاصة ما قد وصلوا إليه. فروض مختلفة لا يمكن أن يخرج الأمر عن أن يكون واحدا منها، ثم عرض سخى ثمنا لعلاج كل مرض. ويعيد عليه فى حنان ورفق تلك العروض بادئا بصوته الرفيق الشفيق «يا ابن أخى»، ثم يفصل الحال فى إيجاز: «إن كنت تريد بما عنيت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالا. وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك»، وكأنما أحس عتبة أن هذا القدر لا يكفى. فأردف: «وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا».. فهل بعد هذا كله من مزيد؟ لا حرب، ولا اضطهاد، ولا تعذيب. سلطان عريض، ومال وفير. أيمكن أن تصل أطماع الرجل إلى أكثر من هذا العرض السخى؟ وفى صوت أكثر إشفاقا، كأنه يخشى أن يخدش إحساسه، يعرض عليه قائلا: «وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك. طلبنا لك الطب، وبذلنا أموالنا حتى نبرئك منه».. وكأنما يعتذر إليه، «فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه».

سمع الرسول «ﷺ» هذا الكلام في هدوء وصبر، هذا شيخ ناصح طيب القلب يريد به الخير، ولكنه في واد، والرسول الكريم في واد آخر، هؤلاء يزنون بموازين الدنيا، وهو قد وزن الدنيا بما فيها بميزان الآخرة. عروض سخية تغري أهل الأرض، تعرض على أهل السماء الذين جاءوا الأرض في سفرة قصيرة عارضة، إنه أرسل ليضع دستورا لهذه السفرة القصيرة، أمامه لقاء في الآخرة وحساب الجهاد في الدنيا واجب، ولكن لا للملك ولا للمال ولا للسلطان، الجهاد جهاد لله وفي سبيل الله.

كان أحرى بهذا الكلام أن يثير ويغضب. أمال وسلطان وطب وشياطين. وكل همه أن يعد نفسه للقاء الله. حياة كلها جهاد ليصل إلى أن يستطيع أن يقول: «ألا قد بلغت؟ اللهم فاشهد».. أرئيا يراه، وقد رأى جبريل عليه السلام، وحمل رسالة ناءت بها الجبال الراسيات؟ ولكن الشيخ يتحدث في رفق، والدعوة الإسلامية تأمر بالصبر، وتوصي باللين في معاملة الناس، والنفس الطيبة الوادعة تحسن الظن، وتقدر إشفاق المشفق بل تشفق عليه بدورها لأنه لم يفهم بعد.

إن معجزة صغيرة كانت تسكت هؤلاء القوم وتدعوهم فيؤمنون. إن مناقشة هادئة قد تقنع هذا الشيخ فيكسبه إلى صفه بالحجة والدليل، ولكن الدين الحنيف لا يعتمد على المعجزات، ولا يعتمد على المناقشة والحجج. إنه يستمد قوته من معين أصفى وأروع

ويقول محمد «ﷺ»: يا أبا الوليد أفرغت؟ قال عتبة: نعم.. قال: فاستمع مني. وشحذ أبو الوليد عقله واستعد لمناقشة حادة يقرع فيها الحجة بالحجة، ويبطل الدليل بالدليل ولكن ما هذا الذي يسمعه؟ كلام؟ ولا شك ولكنه ليس كلاما.. إن الرسول ﷺ يقول:

﴿حم ۝ تنزيل من الرحمن الرحيم ۝ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ۝ بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾

(فصلت: ١ - ٤)

وقال الوليد في نفسه: حقا لماذا لا يسمعون؟ وسمع وسمع. وإذا الرسول الكريم يسجد في بساطة الإسلام وجمال الإيمان وجلال الصلاة. إن عتبة لا تتحرك عيناه. إن فيضا من إحساس عجيب عنيف يغمر كيانه فينسى السلطان والمال والرئي الذي يرى. إن شيئا في نفسه يتحول وإن شيئا جديدا ليخلق خلقا.

* * *

لقد امتحن الرسول ﷺ في ثباته وقوة إيمانه، بأن عرض عليه أسخى عطاء ليكف عن رسالته. فإذا أردنا معرفة النتيجة في هذا الامتحان، فهذه صورة عتبة وقد عاد إلى قومه لا يقول شيئا وفي وجهه أحسن جواب.

إنهم لم يفهموا شيئا وفسروا الأمر بمنطق الأرض والعقل فقالوا للصامت أمامهم: «لقد سحرك يا أبا الوليد»

قصيدة العدد

المتكبر الوضيع



من روائع الشاعر المهجري «إيليا أبي ماضي»

نسي الطين ساعة أنه طين ... حقير فصال تيها وعربد

وكسى الخز جسمه فتباهى ... وحوى المال كيسه فتمرد

يا أخي لا تمل بوجهك عني ... ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

أنت لم تصنع الحرير الذي تلبس واللؤلؤ الذي تتقلد

أنت لا تأكل النضار إذا جعت ولا تشرب الجمان المنضد

أنت في البردة الموشاة مثلي ... في كسائي الرديم تشقى وتسعد

لك في عالم النهار أماني ... ورؤى والظلام فوقك ممتد

ولقلبي كما لقلبك أحلا ... م حسان فإنه غير جلمد

* * *

أأماني كلها من تراب ... وأمانيك كلها من عسجد؟

وأماني كلها للتلاشي ... وأمانيك للخلود المؤكد؟

لا، فهذي وتلك تأتي وتمضي ... كذويها، وأي شيء يؤبد؟

أيها المزدهي إذا مسك السقم ألا تشتكي؟ ألا تتنهد؟

وإذا راعك الحبيب بهجر   ودعتك الذكرى ألا تتوجد؟

أنت مثلي يبش وجهك للنعمى   وفي حالة المصيبة يكمد

أدموعي خل ودمعك شهد؟   وبكائي ذل ونوحك سؤدد؟

وابتسامي السراب لا ري فيه   وابتساماتك اللآلي الخرد؟

فلك واحد يظل كلينا   حار طرفي به وطرفك أرمد

قمر واحد يطل علينا   وعلى الكوخ والبناء الموطد

إن يكن مشرقا لعينيك إني   لا أراه من كوة الكوخ أسود

النجوم التي تراها أراها   حين تخفى وعندما تتوقد

لست أدنى على غناك إليها   وأنا مع خصاصتي لست أبعد

* * *

أنت مثلي من الثرى وإليه   فلماذا يا صاحبي التيه والصد؟

كنت طفلا إذ كنت طفلا وتغدو   حين أغدو شيخا كبيرا أدرد

لست أدري من أين جئت، ولا ما   كنت، أو ما أكون، يا صاح، في الغد

أفتدري؟ إذن فخبر وإلا   فلماذا تظن أنك أوحد؟

* * *

ألك القصر دونه الحرس الشاكي   ومن حوله الجدار المشيد

فامنع الليل أن يمد رواقا   فوقه، والضباب أن يتلبد

وانظر النور كيف يدخل لا يطلب إذنا. فما له ليس يطرد؟

مرقد واحد نصيبك منه   أفتدري كم فيك للذر مرقد؟

ذدتني عنه. والعواصف تعدو   في طلابي. والجو أقتم أربد

بينما الكلب واجد فيه مأوى   وطعاما. والهر كالكلب يرفد

فسمعت الحياة تضحك مني   أترجى، ومنك تأبى وتجحد

* * *

ألك الروضة الجميلة فيها   الماء والطير والأزاهر والند؟

فازجر الريح أن تهز وتلوي   شجر الروض ـ إنه يتأود

والجم الماء في الغدير ومره   لا يصفق إلا وأنت بمشهد

إن طير الأراك ليس يبالي   أنت أصغيت أم أنا إن غرد

والأزاهير ليس تسخر من فقري. ولا فيك للغنى تتودد

* * *

ألك النهر؟ إنه للنسيم الرطب درب وللعصافير مورد

وهو للشهب تستحم به في الصيف ليلا كأنها تتبرد

تدعيه فهل بأمرك يجري   في عروق الأشجار أو يتجعد؟

كان من قبل أن تجيء وتمضي   وهو باق في الأرض للجزر والمد

* * *

ألك الحقل؟ هذه النحل تجني   الشهد من زهره ولا تتردد

وأرى للنمال ملكا كبيرا   قد بنته بالكدح فيه وبالكد

أنت في شرعها دخيل على الحقل ولص جنى عليها فأفسد

لو ملكت الحقول في الأرض طرا   لم تكن من فراشة الحقل أسعد

أجميل؟ ما أنت أبهى من الوردة ذات الشذى ولا أنت أجود

أم عزيز؟ وللبعوضة من خديك قوت، وفي يديك المهند

أم غني؟ هيهات تختال لولا   دودة القز بالحباء المبجد

أم قوي؟ إذن مر النوم إذ يغشاك والليل عن جفونك يرتد

وامنع الشيب أن يلم بفوديك ومر تلبث النضارة في الخد

أعليم؟ فما الخيال الذي يطرق ليلا؟ في أي دنيا يولد؟

ما الحياة التي تبين وتخفى؟   ما الزمان الذي يذم ويحمد؟

أيها الطين لست أنقى وأسمى   من تراب تدوس أو تتوسد

سدت أو لم تسد فما أنت إلا   حيوان مسير مستعبد

إن قصرا سمكته سوف يندك،   وثوبا حبكته سوف ينقد

لا يكن للخصام قلبك مأوى   إن قلبي للحب أصبح معبد

أنا أولى بالحب منك وأحرى   من كساء يبلى ومال ينفد

* * *

منهج الإسلام في مكافحة الغلاء

قد تمر على الأمم فترات من تقلب الأسعار في السوق التجاري، وخاصة في المراحل الانتقالية لأنظمة هذا السوق، ويكون المستهلك هو الأكثر تأثرا بهذا التقلب، وهنا يظهر المعدن الطيب للتجار، حتى لا تزداد الأعباء وطأة على كاهل المواطن العائل، ومن ذلك الواقع الذي نعيشه هذه الأيام، الذي يشير إلى قيام كثير من الصعوبات التي تكدر حياة أناس أطلق عليهم وصف محدودي الدخل، ويأتي في مقدمة هذه الصعوبات، الزيادة الملاحقة في أسعار العديد من السلع، وخاصة ما كان منها مرتبطا بأساسيات الحياة، وربما كان السبب من وراء ذلك هو أن بعض التجار في السوق المصري، أساء استغلال التحولات الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وانكب على احتكار بعض السلع المتصلة مباشرة بقوام حياة هذا القطاع من المواطنين، بغية تحقيق الربح السريع، الأمر الذي يفرض علينا بذل الجهد في إلقاء الضوء على موقف الشريعة الغراء، في مواجهة بعض السلبيات التي تقع من بعض التجار، في هذه الفترات الصعبة، وهو ما سنحاول بيانه.

الصدق في التجارة

والتاجر الصدوق، هو الذي اتخذ من الصدق شعاراً له، وطبقه قولا وعملاً في تجارته، وقد امتدح الرسول الكريم ﷺ، هذا النوع من التجار، بقوله الذي رواه الحاكم في المستدرك: التاجر الأمين الصدوق المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة،

وفي رواية: في ظل عرش الله، وهو التاجر الذي جاء وصفه في قول الرسول ﷺ الذي رواه البيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم

يعسروا»، وهي صفات يشترط فيها كل من يجمعهم هذه الصحبة، التي تنتهي بهم إلى جنة الخلد، التي أعدها لهم في الآخرة..

ومن صدق التاجر أن يشهد بالحق على السلعة وصفاً وثمناً، وأن ينصح للمشترى إن كان بها عيب، وأن يمتثل أمر الله تعالى ورسوله ﷺ في البيع والشراء، مع عدم المغالاة في طلب الربح السريع، على حساب عباد الله المستهلكين، والرضا بما قسمه الله له من الرزق الحلال، فتدركه البركة في كل أمواله، بل ويأتيه الرزق من الله تعالى، كما أخبر الصادق الأمين ﷺ بقوله: «التاجر الصدوق» ينتظر الرزق، والمحتكر ينتظر اللعنة».

ومع هذا فهناك حديث نبوي شريف توقفت أمامه كثيراً، وهو ما رواه الحاكم والإمام أحمد والبيهقي عن عبد الرحمن بن شبل والطبراني عن معاوية، أن رسول الله ﷺ قال: «إن التجار هم الفجار»، وتحيرت في أمر هذا الوصف، الذي جاء على لسان من لا ينطق عن الهوى، وهو ﷺ القائل في حديث آخر: «تسعة أعشار الرزق في التجارة»، ولكن بمداومة البحث في السنة النبوية المطهرة، تبين أن هناك أحاديث أخرى، أوضحت أن هذا الفجور ليس على إطلاقه، ولكنه مخصص بأمور معينة، قد يقع فيها بعض التجار، كالغش والتلاعب في الموازين وسوء الطلب والقضاء، وكثرة الحلف لترويج السلع وربما كان كاذباً، ومن هذه الأحاديث، ما رواه الحاكم والإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خير التجار من كان حسن القضاء، حسن الطلب، وشر التجار من كان سيء القضاء، سيء الطلب»، وما رواه الطبراني عن واثلة، أن الرسول ﷺ قال: «يا معشر التجار، إياكم والكذب»، ويقصد بذلك التاجر الذي ينفق السلعة باليمين الكاذب، أو الذي لا يتوقى الربا في تعامله.

التيسير في المعاملة

التيسير بصفة عامة من خصائص المميزة لشريعة الإسلام، بل هو من قواعدها الكلية، التي تدور عليها الأحكام الشرعية، وأحوج ما يكون الناس للتيسير، في معاملتهم اليومية، ولاسيما في أوقات الأزمات التي تتعرض لها الأمة، ولذا فمن صفات التاجر الصدوق التحلي باليسر مع كل المتعاملين معه، ومن النماذج الطيبة لهذا التاجر، ما رواه الحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتى الله عز وجل بعبد من عباده آتاه مالاً، فقال له: «ماذا عملت في الدنيا؟»، فقال: ما عملت من شيء يا رب إلا أنك آتيتني مالاً، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي، أن أيسر على الموسر وأنظر المعسر، قال الله تعالى: «أنا أحق بذلك، تجاوزوا عن عبدي»، حقا، لقد صدق من قال: إن العبد لا يكون أكرم من سيده، فما بالنا إذا كان هذا السيد هو مالك الملك والملكوت، صاحب الخزائن التي لا تنفد.

ولعظمة اليسر في الأمور كلها، فقد جعله الرسول الكريم إحدى الخصائص

المميزة لدين الإسلام، فقال ﷺ: «إن هذا الدين يسر، فأوغل فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»، وأمر بالأخذ به في كل الأحوال قائلاً: «يسروا ولا تعسروا»، وكان ﷺ إذا خير بين أمرين، اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم.

وأولى الناس بالتيسير هم من أصابهم أي نوع من العسر في هذه الحياة، وإذا كان الجزاء من جنس العمل، فإن من قدم اليسر لمن كان في حال العسر، فالله تعالى يبادله أيضاً اليسر في مواطن كثيرة، يكون فيها أشد حاجة إليه في الدنيا والآخرة، مصداقاً لقول الرحمة المهداة ﷺ الذى رواه مسلم والترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة...»، وقد ذكر العلماء أن من يسر الدنيا: توسيع الرزق والحفظ من الآفات والشدائد، والمعونة على فعل الخيرات، ومن يسر الآخرة: تسهيل الحساب والعفو عن العقاب، ولما كان الإعسار أعظم كرب الدنيا، لم يقتصر جزاؤه على الآخرة وحدها، بل عممه الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وأفضل مواطن اليسر، إذا كان الإنسان يئن تحت وطأة الدين، لأن الدين كما أخبر رسولنا الكريم ﷺ همّ بالليل ومذلة بالنهار، ولهذا أمر الله تعالى بالصبر على المعسر في قوله المحكم:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾

(٢٨٠ من البقرة)

وأخبر رسول الله ﷺ أن جزاء هذا الصنيع هو الأمن يوم الفزع الأكبر من عذاب الله عندما تدنو الشمس من الرءوس، فقال فيما رواه مسلم عن أبي قتادة رضى الله عنه: «من نفس عن غريمه «مدينه»، أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة»، والتنفيس يكون بمد أجل السداد أو تأخيره، ولكن المحو يكون بالإبراء من الدين، وعدم المطالبة به بالمرة.. إن التيسير على المدين يفتح باب التوبة واسعاً أمام المذنب العاصى، فقد روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: من أنظر «أعطى مهلة» معسراً إلى ميسرته، أنظره الله بذنبه إلى توبته...».

المحتكر ملعون

وإذا كان الاحتكار كما عرفه العلماء هو: جمع السلع وإمساكها بعض الوقت، بقصد بيعها في وقت الحاجة بثمن أكبر من ثمنها الأصلى، وذلك انتظاراً للغلاء، فإن كثيراً من التجار قد يقع في الاحتكار دون أن يدرى، وذلك عندما يظن أن الأساس في التجارة مجرد الربح، أياً كان مصدره، ويغفل عن خطر الاحتكار على عقيدة الإنسان، فقد قال رسول الله ﷺ، فيما رواه الحاكم في المستدرك والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه: من احتكر حكرة، يريد أن يغلى بها على المسلمين، فهو خاطئ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله، وفي رواية: «فهو ملعون»، والمحتكر استحق اللعنة، وهي الطرد من رحمة الله، لأنه حرم خلق الله من الانتفاع بالخيرات التي سخرها لهم، مع بذلهم الثمن المقرر لها..

وهذه اللعنة لا تقتصر على الموقف العظيم في الآخرة، بل تنال المحتكر وهو في حياته الدنيا، لأنه كما ضيق على الناس معاشهم، فلا ينجو من هذا الضيق، ولكن بصورة أخرى، وهذا ما أخبر به الرسول الكريم ﷺ بقوله الذى رواه البيهقى والإمام أحمد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس، وقال العلماء: إن السر في إصابة المحتكر بالجذام لأنه أراد إصلاح نفسه بثمرة هذا الاحتكار، وهذه أنانية عمياء، وأن السر في إلحاق الإفلاس به لأنه أراد تكثير أمواله، فالله يعامله بنقيض قصده..

ويلاحظ أن ألفاظ هذه الأحاديث وإن كانت خاصة، كالمسلمين والطعام، إلا أنها تفيد العموم من باب أولى، فمن يحتكر ليضر المسلمين، فيكون إضراره بغيرهم أشد، ومن احتكر الطعام، وهو من أكثر الأشياء طلباً، وأقلها في الاستغناء عنها، فيكون احتكاره لما دونه من الأشياء أشد، وفي كل الأحوال، فإن الاحتكار حرام شرعاً، لما فيه من الأضرار الجسيمة التي تلحق بالأفراد والمجتمع.

وإذا كان هذا هو حكم الشريعة الغراء في الاحتكار، فإنه عملاً للسياسة الشرعية المقررة في هذه الشريعة، يجوز لولى الأمر أو من ينديه، أن يتدخل لمنع هذا الاحتكار، رفعاً للظلم الواقع على الرعية، وذلك بسن التشريع الكفيل بالقضاء عليه.

جواز تسعير السلع والخدمات

كما يروى عن الصحابى الجليل جرير بن عبدالله البجلى رضى الله عنه، أنه أرسل غلامه لشراء دابة من السوق، وعندما أحضرها، وجدها جرير تساوى ثمناً أكبر من الذى دفعه الغلام للبائع، فأرسل في طلبه، وعرض عليه شراءها بالثمن الذى رآه مناسباً لها، فوافق البائع وهو تسيطر عليه علامات الدهشة والتعجب من هذا الصنيع، لأن المشترى دائماً يلتمس تخفيض ثمن المبيع لا زيادته، ولكن هذه العلامات زالت عندما سمع سيدنا جرير يقول له: «يا هذا، لقد عاهدت رسول الله ﷺ، على النصح لكل مسلم، وهذه الدابة تساوى الثمن الذى دفعته لك، وما كنت خائناً لهذا العهد».

على ضوء ذلك، يكون الفهم الصحيح لما رواه أبوداود والترمذى وابن حبان عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، أنه قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: سعر لنا، فقال: «إن الله تعالى الخالق القابض الباسط الرازق المسعر، وإنى لأرجو أن ألقى الله، لا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمتها إياه، في دم ولا مال»، فقد كان جمهور الفقهاء يرى حرمة التسعير، إلا أن من فقهاء الأمصار كربيعة وابن العربى استثنى أحد

تدهب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. قالوا بجواز التسعير وضبطه بقانون، لأن به يحقق نظام الأسعار، وليس فيه مظلمة لأى من البائع والمشترى، ويقول ابن العربى: وما قاله رسول الله ﷺ حق، وما فعله هو حكم صحيح، ولكن كان مع قوم صحت نياتهم وسلمت دياناتهم «من أمثال سيدنا جرير»، أما قوم قصدوا أكل أموال الناس والتضييق عليهم، فباب الله أوسع وحكمه أمضى.

ويلاحظ من هذا الحديث، أنه ذكر بعض صفات الله المتعلقة بالرزق، ومن بينها صفة التسعير، وإذا كان المؤمن مطالب بالتخلق بصفات الله التى تقبل ذلك، فيكون من مقتضى التخلق بهذه الصفة جواز التسعير، فضلا عن هذا، فإن العلة من عدم استجابة الرسول ﷺ لطلب التسعير هى مخافة الوقوع فى الظلم، مع قوم يخشون الله ورسوله، فإذا كان هناك ظلم محقق وقع بالناس، من قوم لا ذمة لهم ولا عهد، فإن رفعه يكون واجبا، يقوم به ولى الأمر الأعظم، أو يندبه لذلك..

إن ما تعيشه البلاد فى هذه الأيام من موجة غلاء فى أثمان كثير من السلع، والاستغلال السيىء من بعض التجار لحرية السوق، ينبئ بوقوع ظلم ربما يكون فادحا على السواد الغالب من المستهلكين، مما يستوجب التدخل الحاسم لرفع هذا الظلم عن هؤلاء المظلومين، ومن بين الوسائل الناجعة التى تساعد على ذلك، الأخذ بنظام التسعير، وخاصة بالنسبة لأثمان السلع الأساسية، التى تقوم عليها حياة كافة أبناء المجتمع، ولا حرج على ولاة الأمر فى ذلك، تحقيقا للصالح العام، وللقضاء على الجشع والغلاء.

كيفية مواجهة الاحتكار الإجبارى

مع تقدم وسائل الحياة فى العصر الحديث، وظهور المخترعات التى لم تكن معروفة من قبل، فى شتى المجالات، ظهر نوع جديد من الاحتكار، يرد على الحق فى براءة هذه المخترعات، وهو ما يمكن تسميته بالاحتكار المعنوى، لأن مجاله الفكر ونشاط العقل، وليس المادة أو السلعة، وهذا النوع من الاحتكار قاصر على الدول المتقدمة، صاحبة السبق فى الوصول إلى الكشف عما هو جديد من مخترعات، ثم يمكن وصفه بالاحتكار الإجبارى، الذى يترتب عليه حرمان الدول الأخرى، غير المخترعة، من الاستفادة من ثمرات هذا الاختراع، إلا بإذن خاص من الدولة صاحبة الحق فيه، وذلك على النحو الذى نظمته اتفاقية التجارة الدولية، المعروفة باسم «الجات».

ومواجهة هذا الاحتكار لا يكون إلا بالتسلح بالعلم النافع الموصل إلى طريق الإبداع والاختراع، بحيث تقف الدول النامية على قدم المساواة مع الدول المخترعة، وهذا الطريق ليس سهلا ميسورا، بل يحتاج إلى البذل والتضحية بكل ما تملكه تلك الدول فى سبيل كسر دائرة هذا الاحتكار البغيض.

إن الحياة لم تعد تسير كما كانت من قبل، بل طرأ عليها ما يريد من مكدراتها، سواء أكان ذلك على الأفراد أو الجماعات أو حتى على الدول، وإذا كان الاحتكار واحدا منها، فالواجب على كل متضرر منه، أن يتخذ الوسيلة المناسبة التى تعينه على مواجهته، قبل فوات الأوان، ويسأل الله العون على ذلك.

التكافل الاجتماعى

وهو قيام الأفراد بتقديم العون المادى أو المعنوى بعضهم لبعض، فى أى مكان أو زمان أو لأى سبب، ولا سيما فى أوقات الأزمات، والأساس فى ذلك قول الحق تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

«المائدة: ٢»

إن هذا التكافل الاجتماعى يعد مقياسا حقيقيا لمعرفة درجة نقاء معدن الإنسان، بل إن بذل المال لمن يستحقه هو من شعب الإيمان المتعددة، ومن تقاعس عن ذلك كان على شعبة من النفاق، بل هو يعد مكذبا برسالة الإسلام، لقول الحق تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾

«سورة الماعون - ١: ٣»

وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى إحدى الصور التى لا يكتمل فيها إيمان الإنسان، بقوله الشريف الذى رواه البيهقى والطبرانى: «ليس المؤمن من بات شبعان، وجاره جائع على جنبه، وهو يعلم»، ومن رحمة الله ورسوله بنا أن جعلا عدم اكتمال الإيمان فى هذه الحالة، مرتبطاً بعلم الجار بجوعة جاره، أو عدم علمه، وإلا كانت العاقبة سيئة على الجميع.

وهناك نموذج رائع لقوم تحققوا بالتكافل الاجتماعى فى أفضل صوره، فكانوا أهلا للدرجات العليا من الإيمان، إنهم الأشعريون قبيلة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، الذين قال فيهم أشرف المرسلين ﷺ، فيما رواه البيهقى عن أبى موسى: «إن الأشعريين إذا أرملوا «نفد زادهم» فى الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جعلوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية، فهم منى وأنا منهم».

فهؤلاء القوم الكرام كانوا يتكافلون فى أوقات الحرب والسلم، وكان كل واحد منهم يتفقد أحوال غيره من بنى قومه، فإذا تبين أن هناك من هو فى حالة عوز مادى، أخبر عنه الآخرين، فيقدم الجميع كل ما لديهم، ويتقاسمونه بالتساوى فيما بينهم، حتى لا يتميز أى واحد منهم على الآخر، وبذلك يتحقق لكل منهم الأمن الاجتماعى فى حياته...

والله تعالى ولى التوفيق.

الغناء والموسيقى حلال .. أم حرام؟؟

الغناء: كلام .. ولحن .. واداء..

ولقد دار الحديث عن هذا الغناء فى الموروث الاسلامى -سنة شريفة.. وفقها.. وفكرا تحت مصطلحات عدة. منها: مصطلح «اللهو».. ومصطلح «السماع»..

وقد يتبادر الى الذهن المعاصر ان استخدام مصطلح «اللهو» فى وصف الغناء انما يحمل معانى سلبية. تشى بالكراهة او التحريم للغناء.. ولما كان هذا الذى يتبادر الى الذهن المعاصر غير وارد ولا صحيح. كان علينا ان نبادر بضبط مضمون مصطلح «اللهو».. الذى صنفت تحته -فى كتب السنة- الاحاديث التى وردت فى موضوع الغناء.. والذى استخدم كذلك فى القرآن الكريم.

فاللهو -فى مصطلح العربية- ليس بالضرورة ما يلهى عن الطيبات والعبادات والخيرات.. وإنما هو كل ما يستمتع به الإنسان ويتشغل به فيلهيه ويتلهى به عن سواه.. فالاشتغال بالطيبات لهو عن الخبائث.. والعكس صحيح.. واللهو: ما يأنس به الإنسان ويعجب به.. لكن استعمال هذا اللفظ غلب على ما يطرب النفس ويؤنسها ويروح عنها.. وكما جاء فى (لسان العرب) -لابن منظور- «فاللهو: مالهوت به ولعبت به وشغلت من هوى، وطرب ونحوهما.. ولهيت عن الشيء، إذا سلوت عنه وتركت ذكره، وإذا غفلت عنه. ولهت المرأة إلى حديث المرأة تلهو لهوا: أنست به وأعجبها. واللهو «النكاح» أى الزواج واللهو: المرأة والولد -أى زينة الحياة- وقد يكنى باللهو عن الجماع.. والملاهى هى آلات اللهو.. أى مطلق الوسائل التى تحدث الأنس والمتعة للإنسان. فتشغله عند حدوثها عما سواها.

وكذلك الحال فى القرآن الكريم.. يرد الحديث عن اللهو فى سياق المناشط الإنسانية المباحة، إذا هو لم يله الإنسان عن الفرائض والواجبات والضرورات.. فتتحدث الآيات عن فرائض، وضرورات، ومباحات، عن صلاة الجمعة، والبيع، والانتشار فى الأرض، والابتغاء من فضل الله، وذكر الله، والتجارة، واللهو، داعية المؤمنين إلى وضع كل منها فى مقامها وتوقيتها، وناعية عليهم خلل لدى يضع الأمر فى غير موضعه، أو يصرف عن الواجب إلى المباح

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ۝ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۝ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾

(الجمعة ٩-١١)

اللهو ليس محرما لذاته

فالبيع ليس حراما.. لكن الحرام أن يلهينا ويشغلنا عن صلاة الجمعة.. والانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله من الضرورات.. لكن وقتهما ومكانهما ليس فى وقت الصلاة والتجارة واللهو من المباحات.. بشرط ألا يشغلا الإنسان ويصرفاه عن صلاة الجمعة.. فاللهو -أى المتعة والطرب- وضع هنا مع البيع والتجارة والانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله -أى من الضرورات والمباحات- وإذا كان اللهو هو مطلق ما يلهى ويشغل الإنسان عن أمر آخر، فإن الآيات لا تحرمه، لأنه ليس محرما لذاته وعينه، وإنما لما فيه من التحول عن الواجب -ولقد وضعته مع المباحات والضرورات والواجبات- وإنما هى تدعو إلى التوازن الجامع فى حياة الإنسان. ليقوم بالواجبات، ويحقق الضرورات، ويحصل الحاجيات، ويجدد ويزين حياته بالتحسينات والكماليات والملذات من المباحات.

بل إن هذا الإنسان لو لهته وشغلته الصلاة غير المفروضة -مثلا- كل الوقت عن الضرورات والمباحات لعد ذلك غلوا فى الدين.. وكذلك الحال لو لهته الضرورات عن الفرائض، أو شغلته المباحات عن الواجبات والضرورات

ولقد روى عن جابر أن رسول الله، ﷺ، قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة. إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبى أو مملوك. فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه، والله غنى حميد»[1].. فترك التجارة واللهو هنا مطلوب ممن وجبت عليه الجمعة، أما من لم تجب عليه الجمعة من

(1) أخرجه الدارقطني. انظر القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جـ١٨ ص١٠٣ طبعة دار الكتب المصرية القاهرة

النساء والمرضى والمسافرين والصبيان فلا عليهم أن يمارسوا المباحات(٢).

وعن جابر بن عبدالله: «كانت الجوارى إذا نكحن يمررن بالمزامير والطبل، فانفضوا إليها، فنزلت» -آيات سورة الجمعة- «وقيل إن خروجهم لقدوم دحية الكلبي بتجارته، ونظرهم إلى العير تمر»(٣).

وفي سورة الأنعام:

﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾

(الأنعام: ٣٢)

وليس المراد بها ذم الحياة الدنيا، ولا ذم اللعب واللهو، وإنما المذموم هو قول الكفار:

﴿ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾

ما جاء في سياق الآية وقالوا:

﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ۝ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۝ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون ۝ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾

[الأنعام: ٢٩-٣٢]

وفي النص على أن المذموم ليس الحياة الدنيا ولا اللعب واللهو، وإنما المذموم هو إنكار الكافرين للبعث. يقول القرطبي: فالقصد بالآية تكذيب الكافرين في قولهم

﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا ﴾(٤)

الغناء مباح لذاته

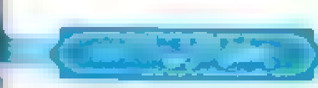
فالنظرة الإسلامية للهو -الغناء- تضعه في خانة المباحات، المباحات لذاتها، والتي تعرض لها -بسبب ما يلحق ويقترن بها وينتج عنها- الأحكام الشرعية التي تعرض للمباحات.. فقد يبقى الغناء على الإباحة -التي هي الأصل- وقد يعرض له ما يجعله واجباً، أو مندوباً، أو مكروهاً، أو حراماً.. مثله في ذلك مثل سائر المباحات -ومنها الأكل والشرب- الأصل فيها الإباحة، وقد يعرض لها ما يجعلها واجبة، أو مندوبة، أو مكروهة، أو حراما.

غناء الطيور

وإذا كان الغناء، في جوهره: صوت جميل تصاحبه ألحان وأنغام مؤتلفة تزيده جمالاً، فلقد عرض الفكر الإسلامي لهذا الغناء باعتباره فطرة إنسانية تحاكي بها الصنعة الإنسانية، الخلقة الإلهية التي أبدعها الله وخلقها في الطيور والأشجار.. فالصوت الجميل الصادر من حنجرة الإنسان هو محاكاة للأصوات الجميلة الصادرة من حناجر البلابل والعنادل والكروان، ومعزوفات الأوتار التي تشمر الألحان المؤتلفة

(٢) المصدر السابق جـ١٨ ص١٠٧ (٣) المصدر السابق جـ١٨ ص١١١

(٤) (الجامع لأحكام القرآن) جـ٦ ص٤١٤



وجميلة هي محاكاة الصنعة الإنسانية لما تعزفه الأشجار والأغصان والأوراق في الحدائق الغناء عندما تهب عليها الرياح والنسمات.. وإذ كان غير وارد ولا جائز ولا معقول تحريم الأصوات الجميلة إذا جاءت من حناجر الطيور، فلا منطق لتحريمها إذا صدرت من حنجرة الإنسان.. إذ لا فرق بين حنجرة وحنجرة.. وإذا كان غير وارد أن يحرم أحد الأصوات المنكرة، ولا الأعواد المتنافرة.. فمن غير المنطقي ولا المعقول تحريم الأصوات لأنها جميلة غير منكرة.. أو الأعواد لأنها مؤتلفة غير متنافرة.

بهذه النظرية الفطرية نظر العقل المسلم والإسلام دين الفطرة إلى الغناء والأنغام.. وجاءت كلمات حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م) معبرة عن هذا المنطق الفطري عندما قال:

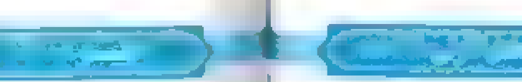
«فالأصل في الأصوات حناجر الحيوانات، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر. وهو تشبيه للصنعة بالخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها.. فمنه تعلم الصناع، وبه قصدوا الاقتداء.. فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة موزونة. فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب، وسائر الطيور.. ولا فرق بين حنجرة وحنجرة، ولا بين جماد وحيوان.. فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام، باختيار الآدمي. كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره»(٥)..

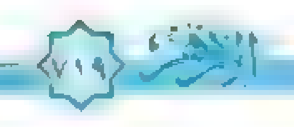
وإذا كان هذا هو منطق الفطرة وبرهان العقل، فإن برهان النص والنقل -في الإسلام- يدعم هذه الفطرة، التي جعلت الغناء من المباحات في ذاتها، والتي جعلت الأحكام الأخرى عارضة له وعليه بسبب ما يعرض له فيخرجه عن أصل الإباحة..

فالنموذج الإسلامي للحياة الإنسانية -والذى نتأسى فيه برسول الله ﷺ هو النموذج المتكامل المتوازن، الذى يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً، والذى يقبل على الآخرة التي هي خير وأبقى.. دون أن ينسى نصيبه من زينة الحياة الدنيا وطيباتها، والذى يتجنب غلوى الإفراط والتفريط في كل مناحى الحياة.

فالأسوة الحسنة ﷺ كان نبي الملحمة، وأيضاً نبي الرحمة.. وكان يأنس إلى المساكين ويستطيب الخشن من العيش والفرش. وفي ذات الوقت يستعيذ بالله من الفقر والدين.. وكان يستشعر ويستلهم آيات ومظاهر ومصادر الجمال التي أودعها الله، سبحانه وتعالى، في الوجود.. فيستعيذ بالله -في دعاء السفر- من كآبة المنظر.. ويدعو ربه -في صلاة الاستسقاء-: «اللهم أنزل علينا في أرضنا زينتها».. ويطلب للمسلم -حتى في المجتمع الفقير- الزينة والجمال.. في الاسم، والثوب، والطيب.. بل وحتى في النعال!- حتى ليحكي خادمه أنس بن مالك، رضي الله عنه، فيقول: «ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله، ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ألين مسا

(٥) [illegible]





من كف رسول الله.. كان أزهر[3] اللون، كأن عرقه اللؤلؤ.

النموذج الإسلامي

إنه كل ذلك.. الأسوة المتكاملة والجامعة والمتوازنة... فلأفئدة تتزود من الوقوف بين يدى الله، والاستشعار لحضرته روح سارية في كل مناحي الحياة.. والمزاح والنكات تعانق الصدق [illegible]... [illegible] لأن عبادة الله هي الشكر له، سبحانه، على نعمه المبثوثة في الحياة، ومنها نعمة الجمال، التي لن نستطيع تقدير عظمتها، والشكر لله عليها، إذا نحن أدرنا لها الظهور والعقول والقلوب، وأغلقنا قنوات استشعارها في هذا الكون، الذي أبدعه الخالق الجميل، الذي يحب الجمال.

ولأن هذا هو النموذج الإسلامي في الحياة، والذي تأسى فيه برسول الله ﷺ كان للغناء مكانه في المجتمع النبوي. والسنة النبوية بالقول والإقرار، بحتى أصبحت هذه السنة من «السنن العملية»، التي قامت وتجسدت في واقع خير القرون.

ففي صحيح البخاري، تروي أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، فتقول: «دخل رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث[4]، فاضطجع على الفراش، وحوّل وجهه. فدخل أبوبكر، فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ؟!. فأقبل عليه رسول الله فقال: «دعهما».

فنحن أمام سنة نبوية -عملية- تقر فيها رسول الله ﷺ، الغناء، في بيت النبوة، من فتاتين، ويسمعهما رجال، ويغنيان بأشعار تتحدث عن ذكريات وقائع الحرب في التاريخ، بل والتاريخ الجاهلي- وعندما اعترض الصديق أبوبكر، رضي الله عنه، مجتهدا في المنع، اعترض الرسول ﷺ على هذا الاجتهاد، مؤكدا الإباحة..

وتحويل الرسول وجهه عن الفتاتين المغنيتين هو غض للبصر، وليس كفا للآذان عن السماع..

ولم يطعن أحد من علماء الجرح والتعديل على أحد من رواة هذا الحديث، الذي رواه البخاري في الصحيح..

وفي ذات الحديث تكملة تروي فيها السيدة عائشة أحداث واقعة ثانية لسُنّة عملية أخرى في هذا الموضوع، تقول رضي الله عنها: «وكان يوم عيد، يلعب السودان -الحبشة- بالدرق والحراب، في المسجد، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: «تشتهين تنظرين»؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، يسترني بثوبه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون -أي يرقصون- فزجرهم عمر -رضي الله عنه- فقال النبي ﷺ: «دعهم، أمنا بني أرفدة»، «دونكم يا بني أرفدة»، حتى إذا مللت، قال: «حسبك»؟ قلت: نعم، قال: «فاذهبي».

فهذه أيضا سنة عملية أقرت اللعب بالحراب والرقص... [illegible] وفي بعض الروايات أنهم كانوا يغنون شعرا يقول:

يا حبذا دين الحنيف [illegible]

لولا [illegible] عند الدار

[illegible] بيته تربه [illegible]

متعوك من جهد ومن إقتار

وفي بعض الروايات: «كانت الحبشة يزفنون، (أي يرقصون)». وفي بعضها: «يرقصون بين يدي رسول الله ﷺ ويقولون: محمد عبد صالح».

وفي البخاري أيضا عن عائشة ما يشهد أن هذا الغناء مباح قد يعرض له ما يجعله مطلوبا ومسنونا، في الأعراس، والتطلب له والحث عليه من رسول الله ﷺ. فعن أم المؤمنين عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «ياعائشة، ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو».

وفي رواية النسائي لذات الحديث، يقول الرسول: «يا عائشة، أهديتم الفتاة؟ ألا بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم، فحيانا وحياكم».

فيحث على الغناء، بل ويرشح الكلمات..

ولهذا الحث على الغناء -في مناسباته- نظير في الحديث الذي خرجه الإمام أحمد -في مسنده- عن عبدالله بن عمير -أو عميرة- قال: «حدثني زوج ابنة أبي لهب، قال: دخل علينا رسول الله ﷺ حين تزوجت ابنة أبي لهب، فقال: «هل من لهو؟».

وفي سُنّة أخرى، يروي النسائي -عن السائب بن يزيد-: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقال لعائشة: «يا عائشة، أتعرفين هذه؟ قلت: لا يا نبي الله، قال: «قَيْنَة[12] بني فلان، تحبين تغنيك»؟، فغنتها.

وإذا كانت القينة هي الجارية المغنية، فنحن أمام مغنية تحترف الغناء لبني فلان -أي للرجال والنساء- يعرض الرسول على عائشة أن تسمع غناءها، فتغني لها، في حضرة رسول الله ﷺ.

ولقد مضت هذه السنة -إباحة الغناء، أو ندبه- جارية مرعية في مجتمع الصدر الأول.. فيروي النسائي عن عامر بن سعد يقول: دخلت على قرظة بن كعب، وأبي مسعود الأنصاري، في عرس، وإذا جوار يغنين، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ ومن أهل بدر، يُفعلُ هذا عندكم؟! فقالا: اجلس إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت اذهب «فقد رخص لنا في اللهو عند العرس»..

فالبدريون من صحابة رسول الله ﷺ قد مضوا على سنة الاستماع والاستمتاع بلذة الطرب بالغناء الحلال المباح.

---

(3) الأزهر- وجمعه زُهْر- مضم الراي وسكون الهاء- النيّر، الصافي اللون، والمشرق الوجه

(4) رواه مسلم والإمام أحمد

[illegible]

[illegible]

(10) [illegible] وفيه سماح وتشجيع على مواصلة اللعب. وأرفدة: أشهر أجداد الحبشة

(11) أخرج هذه الرواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك، ورواه النسائي أيضا عن أبي هريرة -في باب اللهو بالحراب-

(12) القينة جمعها قيان- المغنية، وتطلق على الأمة والماشطة

المخطوطات العلمية الشارحة فى التراث الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة سابقا

٣

وكان من بين الذين عنوا بنقل العلم الإسلامى إلى اللاتينية عالم بولونى يدعى «فيتيلو» الذى اشتهر بكتاب صنفه سنة ١٢٧٠م فى البصريات وذكر أنه وضعه على أساس ما جاء فى كتاب لبطليموس القلودى وكتاب آخر لمؤلف عربى يدعى «الهازن» Alhazen وفى سنة ١٥٧٢م نشر «ريزنر» Risner ترجمة لاتينية كاملة للكتاب العربى بعنوان «ذخائر البصريات للهازن» Alhazen Optica Thesaurus فتبين أن جل ما ورد فى كتاب «فيتيلو» قد نقل نقلاً أو بشىء من التصرف قليل أو كثير من الكتاب العربى المذكور، وقد أشار عالم الكيمياء الإنجليزى «بريستلى» pristley فى كتاب له عن تاريخ الكشوف المتعلقة بالضوء والألوان إلى ما ذكره «ديلا بورتا» Della Porta عن «فيتيلو» وأخطائه فى كل أقواله عن الهازن.

ولبث هذا الكتاب المنقول من العربية إلى اللاتينية مرجع أهل أوروبا فى علم الضوء خلال القرون الوسطى وإبان عصر النهضة، وكان له أثر عميق فى توجيه علم البصريات إلى الوجهة الصحيحة، خاصة بعد أن بين «فيدمان» E.wiedemann فى رسالة عنوانها «بصريات ابن الهيثم» Optik Zu Lbn Al Haitams نشرها سنة ١٩١٠م، فضل هذا الكتاب على كثير من الأعلام البارزين من أهل أوروبا.

وقد ظن كثير من المؤرخين أن اسم «الهازن» الذى نسب إليه الكتاب العربى المذكور «ذخائر البصريات» إنما هو تحريف اسم «الخازن» أو «الخازنى» فقيل إن هذه الأسماء جميعها هى لمسمى واحد هو «أبو جعفر الخازن» مؤلف كتاب «زيج الصفائح» وكتاب «المسائل العددية»، وقد ساعد على هذا اللبس والغموض أن الأصل العربى للكتاب لم يكن قد عثر عليه وبقى الأمر كذلك حتى عثر «فيدمان» سنة ١٨٧٦م على مخطوط عربى فى مكتبة ليدن لكتاب فى البصريات عنوانه «تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر» مؤلفه «كمال الدين أبو الحسن الفارسى» وهو تنقيح كتاب المناظر لابن الهيثم وقارن «فيدمان» بين كتاب التنقيح وكتاب الذخائر اللاتينى للهازن فوجدهما متشابهين متطابقين إلا فى مواضع علق فيها الفارسى من عنده على أقوال ابن الهيثم، وفى مواضع أوجز أو أجمل فيها أقوال ابن الهيثم، وفى أخرى ذكر فيها رأيه الخاص أو أضاف فيها نتيجة دراساته الخاصة ولم يجد «فيدمان» مجالاً للشك بأن كتاب الذخائر اللاتينى إنما هو ترجمة كتاب المناظر لابن الهيثم.

على هذه الصفة انجلى الغموض -بفضل كتاب تنقيح المناظر للفارسى- وعرف على التحقيق أن الأصل العربى للكتاب اللاتينى الذى ظل ينشر فى أوروبا حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادى هو كتاب المناظر لابن الهيثم وأن لفظ «الهازن» إنما هو تحريف «الحسن» لا «الخازن» أو «الخازنى» كما ظن أول الأمر.

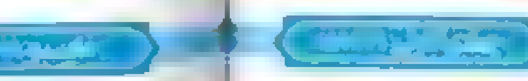
كتاب تنقيح المناظر للفارسى

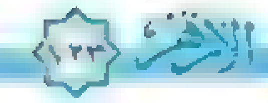
من ناحية أخرى فيما يتعلق بكتاب «التنقيح» ذاته وترجمة صاحبه، جاء فى نسخة غير كاملة مخطوط بعنوان «البصائر فى علم المناظر» أنه تلخيص لكتاب «التنقيح» أتمه كمال الدين فى سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨-١٣٠٩م ويذكر ناسخ مخطوط الحسين بن الحسن شهنشاه السمنانى الذى فرغ من تعليق المخطوط يوم الأحد ٢٧ من ذى القعدة لسنة إحدى وثلاثين وسبعمائة هجرية (١٣٣١م) إنه علقه من نسخة منقولة من شريف خط المصنف، كتب المصنف، الحسن بن على بن الحسن الفارسى، فى آخرها أنه فرغ من تسويدها فى شهور سنة ثمان وسبعمائة ويضيف السمنانى أن المصنف كانت وفاته فى ١٩ ذى القعدة سنة ٧١٨ هلالية (١٢ يناير ١٣١٩م) ببلدة تبريز وكانت مدة عمره ٥٣ سنة، وعلى ذلك يكون ميلاده فى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦-١٢٦٧م.

أما كمال الدين الفارسى نفسه فلم يصلنا من أخباره غير القليل الذى أمكن استنباطه من مؤلفاته التى قدرها من جاء وبعده وذكرها فى مؤلفاتهم فقد كان من تلاميذ قطب الدين الشيرازى (ت ٧١٠هـ/ ١٣١١م) وشغف منذ شبابه بالعلوم العقلية وصرف همه إلى طلبها وترك فيها مؤلفات عديدة منها «أساس القواعد فى أصول الفوائد» «تذكرة الأحباب فى بيان التحاب» رسالة فى الحساب، وعندما أعطاه القطب الشيرازى نسخة من كتاب «المناظر» بخط ابن الهيثم، وطلب منه

[illegible]







اختصره، استحسان الفارسي وقام بما ندب له على الوجه الأكمل وصنف كتاب «تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر»، ثم اختصره بعد ذلك في كتاب بعنوان «البصائر في علم المناظر»[1].

ولم يفت الفارسي -حرصا على النهج الأخلاقي لعلماء الحضارة الإسلامية- أن يسجل جانبا من تاريخ اشتغاله بالعلم وصلته بعلماء عصره فيقول في مقدمة كتابه عن علاقته بقطب الدين الشيرازي: «ثم إني كنت برهة من الزمان مهتما بالنظر بتحقيق أمر المناظر، مشغوفا بتبيين كيفية إدراك البصر للصور، وخصوصا بالانعطاف لما كنت أرى المبصرات في الماء من وراء البلور على أشكال عجيبة يخالف مرآها بالاستقامة في الهواء... فراجعت الحضرة وحكيت القصة... ففكر ساعة ثم تذكر أنه كان قد رأى في أوان صباه -على أنه في ذلك الزمان كان من أكابر أيامه شبيبته الأيام فضلا فشاخ في شبيبته لا شيبة في ناصيته- في بعض خزائن الكتب بفارس كتابا منسوبا إلى ابن الهيثم في المناظر مجلدين كبيرين فقال: لعل طلبتك ثم وعلى تناوله ولو كان منوطا بالثريا فلما شمر في طلبه عن ساق العزم: جزمت بنيل المراد أي جزم والدهر يتشفني فيه:

نفس موفقة في كل ما شرعت ... من أمرها فهي محمود مساعيها

صحت بصواب الرأي خاطره ... حتى الأمور لديه مثل ما فيها

فبينما أتردد في الرجاء، إذ وفق التقدير فأصاب المرمى سهام عزائمه السداد.

وحصل الكتاب (يقصد ابن الهيثم) من أقصى البلاد ثم ذكر أنه تأمله فوجدت بحرا متلاطما فيه مع ما لم أحصه من الفوائد، واللطائف والفرائد، مستندة إلى تجارب صحيحة وعتبرات محررة بآلات هندسية ورصدية وقياسات مؤلفة من مقدمات صادقة، وتحقق منه أن المقدمة في الانعطاف إنما هي نقل منهم قد اكتسى لباس الانحراف لأنهم لم يظفروا بما حقق فيه ولم يعوا تحقيقها».

وقد أبقى الفارسي في التنقيح على نفس عناوين المقالات السبع والفصول التي جاءت في كتاب «المناظر» لابن الهيثم، ولكنه خالفه في أسلوب الإيراد وطريقة العرض ورأى أن يميز بين موضوعات كل فصل والمسائل الواردة فيه ويرتبها على النمط المعهود في كتب الهندسة مثلا فسماها مقاصد ورقمها كل واحدة منها برقم يميزها، وأورد ما سوى ذلك بعناوين تناسبه، فجاء بعضها بعنوان تخييل (أي تجربة عملية) وبعضها بعنوان تنبيه وبعضها بعنوان «حجة» وبعضها بعنوان «فائدة» وما إلى ذلك وأورد أقوال ابن الهيثم مسبوقة بلفظ «قال» وأورد أقواله التي أضافها من عنده شرحا أو نقدا أو تعديلا مسبوقة بلفظ «أقول» وسلك هذا السبيل في جميع مباحث الكتاب.

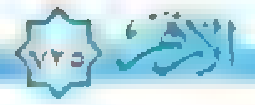
وجعل الفارسي لكتابه خاتمة وذيلا ولواحق أما الخاتمة فقد أورد فيها مباحث له في الانعطاف إتماما لما ورد في المقالة السابعة لابن الهيثم، وأما الذيل فخصصه لموضوع قوس قزح والهالة، وأما اللواحق فهي ثلاث مقالات لابن الهيثم في الأظلال، وصورة الكسوف، والضوء، أحقها الفارسي بالكتاب بعد مباحثه وقد استعان الفارسي بالرسوم والأشكال التوضيحية التي تعين على فهم ما يذكره من المسائل المختلفة وليس هناك من شك في أن الكثير من تعليقات الفارسي يعتبر جديدة واستكمالا لكتاب المناظر، بعد فترة امتدت إلى نحو ثلاثمئة عام وهي فترة كافية لأن يتغير فيها الأسلوب والمضمون بما يتفق مع طبيعة التقدم العلمي. والحق أن كمال الدين الفارسي لا يضيره في شيء أنه لم يؤت السعة من الشهرة التي نالها ابن الهيثم، وحسبه أن يعرف بكتابه «تنقيح المناظر» الذي حفظ مقالات ابن الهيثم السبع في «المناظر» وزاد عليها ما زاد من اللواحق المفيدة. وكان له في أثناء ذلك آراء وأقوال تدل على تميزه في النظر يقضي الإنصاف بأن نقول كما حق فيه في جانب الفارسي. لكن حق أيضا أن آراء كل من ابن الهيثم وكمال الدين الفارسي في مباحث عدة خاصة في الخيالات (الصور) التي ترى في المرايا الأسطوانية والمخروطية المحدبة والمقعرة، لا تخلو من مآخذ، ولعل الحذر في هذه البحوث بالتقصير يأخذ بالهندسية فهي تتضمن مسائل في الهندسة الفراغية ليس من السهل تصور أشكالها العامة، ولكنهما سلكا في الشرح طريقة ألانت صلابتها فاستطاعا تبسيطها ومعالجتها بأسلوب علمي جدير بالإعجاب والتقدير.

تحقيق كتاب تنقيح المناظر للفارسي

كان الجزء الأول من تحقيق كتاب تنقيح المناظر لكمال الفارسي قد صدر في طبعته الأولى عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب والمجلس الأعلى للثقافة، بتحقيق مصطفى حجازي ومراجعة د. محمود مختار، متضمنا المقالات الأولى والثانية والثالثة من «المناظر» وصدر الجزء الثاني عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) عن دار الكتب والوثائق المصرية مع الطبعة الثانية للجزء الأول بعد ثلاثة وعشرين عاما متضمنا تحقيق المقالات الرابعة والخامسة والسادسة وسوف يتلوه قريباً -إن شاء الله تعالى- إصدار الجزء الثالث والأخير مشتملا على تحقيق المقالة السابقة وما تبقى من موسوعة التنقيح للأستاذ مصطفى حجازي والدكتور أحمد فؤاد باشا ولا شك أن توفير نص «التنقيح» كاملا للباحثين من أهل الاختصاص سوف يتيح فرصة أكبر للمزيد من الدراسات المنهجية والمعرفية والتأصيلية المعمقة التي تتناول مختلف جوانب التراث العلمي الإسلامي.

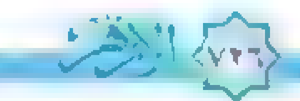
(١) كمال الدين الفارسي: تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر، تحقيق مصطفى حجازي [illegible] القاهرة [illegible]

(٢) مصطفى [illegible]









من الكتب الموضوعية القليلة، ذات الطابع العلمي الفلسفي، التي اطلعنا عليها مؤخرا، كتاب «أخلاقيات العلم: مدخل»[1] The Ethics of Science: An([illegible]) من تأليف ديفيد ب. رزنيك ([illegible] B.Resnik) (١٩٦١م)، الذي يعمل أستاذا للعلوم الإنسانية الطبية بكلية طب برودى في جامعة East ([illegible]). كما يشغل منصبا إداريا متصلا بتخصصه الدقيق؛ حيث يعمل مديرا للبرامج الجديدة، في مركز أخلاقيات العلوم البيولوجية في جامعته، ويعالج هذا الكتاب جملة من الموضوعات، التي تتعلق بفلسفة العلم وأخلاقيات تطبيقاته، في شتى مجالات إنتاج العلم وتطبيقه، بدءا بالمختبر، ومرورا بعملية النشر العلمي، إلى العملية النهائية التي تختص بتطبيقه

وربما تتضاعف الآن أهمية هذا الكتاب، في بلادنا العربية، لما يدور حوله، أو يثيره من مسائل وقضايا، تتعلق بأخلاقيات البحث العلمي والأمانة العلمية، وما ينبغي أن يتصف به العلماء والباحثون، سواء في مجال العلوم البحتة أو العلوم الإنسانية. من صفات افتقر إليها - مؤخرا - نفر ممن يحسبون على العلم، ملأت أخبارهم السيئة صفحات الحوادث، في الصحف السيارة، حتى إنهم يسيئون - بسلوكهم المشين، من سرقات علمية أو تلفيق للبحوث والنتائج، أو ادعاء ما ليس لهم بحق، إلى غير ذلك من التصرفات المشينة - إلى العلم والعلماء، وقبل ذلك إلى أنفسهم، إن كانت نفوسهم لازالت تستشعر التمييز بين ما يزين وما يشين!

(١) ديفيد ب. رزنيك (٢٠٠٥): أخلاقيات العلم: مدخل، ترجمة [illegible]

وقد ترجم هذا الكتاب الدكتور عبد النور عبد المنعم وراجعته الدكتورة يمنى طريف الخولي، أستاذ فلسفة العلوم ومناهج البحث بآداب القاهرة، وقد صدر هذا الكتاب عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بعدد رقم ٣١٦، عام ٢٠٠٥.

وعلى الرغم من أن الكتاب ليس جديدا في بابه، إلا أنه يستمد أهميته بعد الثورة التي أحدثتها التطورات الهائلة، في مجال الهندسة الوراثية وبحوث الاستنساخ، والنتائج المذهلة لكشف الجينوم الوراثي للإنسان أو ما يسمى بالجينوم، لاسيما وأن بحوث المؤلف الحالية تتركز حول المسائل الأخلاقية، في التكنولوجيا الحيوية، والوراثة البشرية، إضافة إلى المسائل الفلسفية المتعلقة بتحولات العلم والتقنية والطب

كلمة عامة عن الكتاب

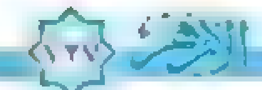
الكتاب في مجمله - كما أوضحت د. يمنى الخولي، في تصديرها للكتاب - «معالجة فلسفية متكاملة لأخلاقيات العلم والبحث العلمي؛ منهاجا وتطبيقا؛ حيث بلغت أصول الطرح الفلسفي مع هذا المؤلف نضجها التام، فهو يبدو في معظم الإشكاليات والمسائل والقضايا الشائكة، عبر فصول الكتاب، يطرح الرأي والرأي الآخر، وحجج كل منهما وحيثياته، ثم لأيهما ينتصر ولماذا، تاركا للقارئ أن يتخذ الموقف الذي يتبدى له، ويصدر الحكم الذي يراه ملائما، فالكاتب يصرح في ثنايا الكتاب ليقول: بوصفي فيلسوفا، أهتم أكثر بإثارة الأسئلة السديدة، وبتنبيه المسائل المهمة، أكثر من اهتمامي بوضع إجابات مطلقة». ومع هذا لايخلو الكتاب من خطوط إرشادية واضحة، تضيء السبيل أمام اتخاذ القرار الخلقي السديد، في المواقف العلمية الحرجة والشائكة. والكتاب - كما يشير المؤلف - وكما يبدو من عنوانه، مدخل أو مقدمة عامة، لتوضيح المبادئ والمعايير والقضايا، التي تهتم بأخلاقيات العلم، مع إيراده نماذج لإشكاليات تختص بها، نشأت جميعها في السياق الغربي، بطبيعة الحال؛ الأمر الذي يجعل صاحبة التصدير تتمنى ظهور إصدار عربي أصيل؛ في أخلاقيات العلم، نابع من المعايير والقيم العربية وخصوصيات وحيثيات الثقافة العربية، مواثم لواقع العلم وقضايا البحث العلمي في البيئة العربية[3].

والواقع أن ما تتمناه مراجعة الكتاب وصاحبة تصديره، موجود بالفعل، إلا أن انشغالاتها وأسفارها الكثيرة، ربما تكون قد حالت دون اطلاعها عليها[4]

(٢) د. يمنى طريف الخولي، من تصديرها للكتاب السالف، المصدر رقم ١، ص ١٢

(٣) يرجع القارئ في ذلك على سبيل المثال إلى مؤلفات الدكتور أحمد فؤاد باشا وكتاب الدكتورين إبراهيم حران وعلي علي حبيش [illegible] حسب النبي، إلى غير ذلك من مؤلفات وتصنيفات.





بعض الأفكار المطروحة في الكتاب

لا يستطيع الكاتب، الذي يتصدى لعرض ونقد الكتب، أن يعرج على كل التفاصيل والمسائل التي يحتويها أي كتاب، مهما كان حجمه، أو موضوعه. وحسب الكاتب من ذلك أن يعرف بالقيمة العلمية للكتاب، ثم يركز على بعض من أهم أفكاره وقضاياه. والكتاب الذي بين أيدينا من الكتب الكبيرة نسبيا، فضلا عن موضوعه المهم بالنسبة لشريحة من الناس، يمثلون النخبة في أي مجتمع من المجتمعات، حيث يعملون في حقل العلم والبحث العلمي. هذا إلى طبيعة الكتاب العلمية، التي تجمع إلى بعض العمق شيئا من الجفاف في آن واحد. إلا أن المؤلف بتدفق آرائه وموضوعيته وسلاسته في عرض القضايا وتحليلها، وإيراده لنماذج وأمثلة كثيرة، كل ذلك قد أضفى على الكتاب مسحة من التشويق والعذوبة، قلما نجدها في هذه النوعية من الكتب.

ففي مستهل الفصل الأول، تحت عنوان «العلم والأخلاقيات»، يلفت الكاتب انتباهنا إلى ضرورة تزاوج العلم، والبحث العلمي، بالمعايير الأخلاقية؛ ذلك أن الافتقار إلى الأخلاقيات في العلم، كان يهدد سلامة واستقرار البحث ذاته، حيث تضمنت حالات الانحراف هذه، الادعاء بالانتحال والخداع، وشبكات الفئويين، وسوء إدارة التمويل، واستغلال المرؤوسين، والانهماك في توليفات الشهرة الزائفة (...)، والتحامل والانحياز، وصراع المصالح، ومشاكل أخرى كثيرة، [illegible] أحيانا.

إلا أن الكاتب يعود ليستدرك أن الانحراف في العلم أقل من الانحراف في مهن كثيرة؛ كالأعمال الحرة، والطب، والقانون، وغيرها (ص١٤). لاسيما أن العلماء والباحثين قد [illegible]، ووثقوا بعض حالات السلوك الأخلاقي السيئ، وأصدروا أحكاما عليها، وذلك في ميادين كثيرة من البحث العلمي. إضافة إلى ذلك قيام الجامعات والجمعيات العلمية برعاية ورش عمل، ومؤتمرات تعنى بالدراسات الأخلاقية في ميدان العلم. كما أن العلماء لا يدخرون وسعا في دمج الأخلاقيات داخل مقررات تدريس العلوم، على مستوى الدراسات العليا أو دونها. هذا، فضلا عن المؤلفات والمقالات، التي تتعلق بأخلاقيات البحث العلمي، والتي يكتبها العلماء، والباحثون في الإنسانيات (ص١٥). أما الدوريات الحديثة فتنتهج نهجا حسنا في كونها تستهل دراساتها بعناوين تتعلق بالمسائل الأخلاقية في العلم.

النظرية الأخلاقية

يأتي الفصل الثاني بعنوان «النظرية الأخلاقية والتطبيقات»، ويتعرض فيه المؤلف لمجموعة من الموضوعات الفرعية المتشابكة من مثل: الأخلاقيات والقانون والدين والسياسة، نظرية خلق العادة، الاختيارات الخلقية العامة، والخير [illegible] Rest

هذا، ولا ينسى المؤلف أن يميز في مستهل هذا الفصل بين الأخلاقيات النظرية أو علم الأخلاق [illegible] وبين الخلق العام [illegible]. ويقصد بالشرح هنا المبادئ أو القواعد الأخلاقية العامة، إذ تتألف هذه من معايير شديدة العمومية في مجتمع ما. [illegible] (ص٣٢) – ويقصد بشرح [illegible] على الناس جميعا من هذا المجتمع، بغض النظر عن دورهم في المؤسسات الاجتماعية أو عن مهنهم. وفوق ذلك فالمعايير الأخلاقية العامة تميز بين الصحيح والخاطئ (يقصد الشرح بين الصواب والخطأ)، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والعدالة (العدل) والظلم. وقد خصص كثير من الكتاب لهذه المبادئ الأخلاقية العامة، التي ينبغي أن تعلو على سواها. فإذا كان لدي واجب خلقي عام يحتم علي ألا أكذب فإنه ينبغي علي ألا أفعل ذلك، حتى إن حتمت علي حيثيات الوظيفة أن أكذب.

من أهداف العلم

يشير الكاتب أهداف العلم إلى نوعين: أهداف معرفية وأخرى عملية. أما الأولى فتتضمن الأسئلة التي تتقدم في جوانب المعرفة البشرية، وتتضمن وصف دقيق للطبيعة، ونظريات وفروض تفسيرية متماسكة. كما تمكن من تنبؤات موثوق بها، وحذف الخطأ والتحيز، وتعليم العلم للجيل القادم من العلماء، وتبليغ الناس بالأفكار والوقائع العلمية.

أما بالنسبة لأهداف العلم العملية فتتضمن حل مشاكل في مجالات الحياة المختلفة كالهندسة والطب والاقتصاد والزراعة، ومجالات أخرى للبحث التطبيقي، وهذا من شأنه تحسين الصحة العامة للبشر وزيادة القوة التكنولوجية والسيطرة بوجه عام على الطبيعة.

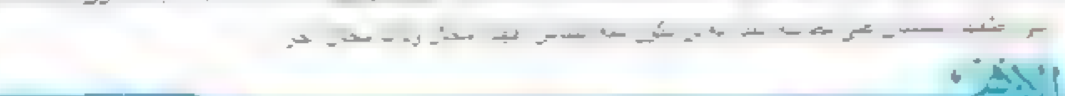
معايير السلوك الأخلاقي في العلم

تحت هذا العنوان يعدد المؤلف في الفصل الرابع من الكتاب، عددا من معايير السلوك الأخلاقي، التي ينبغي أن يتحلى بها المشتغلون بالعلم. ومنها: **الأمانة**، التي تختلف عن الخطأ، والتي يعتبرها المؤلف هي القاعدة في العلم، إذ ينبغي على العلماء ألا يختلقوا المعطيات والنتائج، أو يكذبوا أو يحرفوها. عليهم أيضا أن يكونوا موضوعيين، وغير منحازين وصادقين في سائر مناحي عملية البحث (ص٨٦).

ومن هذه المعايير أيضا **الحذر واليقظة**، إذ يجب على العلماء أن يتجنبوا الأخطاء في البحث، خاصة في عرض النتائج، وأن يعملوا على تقليل الأخطاء البشرية والتجريبية والمنهجية إلى حدها الأدنى، ويتجنبوا خداع الذات والانحياز وصراع المصالح (ص٩٠).

ومنها أيضا **الانفتاحية**، حيث ينبغي أن يتشارك العلماء في النتائج والمعطيات والمناهج والأفكار والتقنيات والأدوات. ويجب أيضا أن يتيحوا للعلماء الآخرين مراجعة عملهم وأن يكونوا متفتحين للنقد والأفكار الجديدة (ص٩٢).

ومنها أيضا **الحرية**، فينبغي أن يكون العلماء أحرارا في أن يقوموا بالبحث في أي





مشكلة أو فرص متسبب للأفكار الجديدة [illegible] ثبتت صحتها)، متصدي للأفكار القديمة [illegible] لم تكن صحيحة). فالصراعات التي خاضها جاليليو وبرونو وفيزاليوس وعلماء الوراثة السوفيت تشهد جميعها على أهمية الحرية في البحث العلمي (ص٩٤).

ومن هذه المعايير أيضاً: كلمة التقدير Acknowledgment، الذي يعتبر من الدوافع القوية لإجراء البحوث. ومن جانب آخر فإن التقدير يلعب دوراً مهماً في معاقبة العلماء أو توجيه اللوم إليهم؛ فإذا افترضنا أن جزءاً من بحث به خلل ما، هنا ينبغي أن نعرف من المسئول عن ذلك، بحيث يمكن تصحيح الأخطاء أو معاقبة المتسببين (ص٩٧)؛ إذ أن كل حق أمامه واجب، وهنا ينال الفرد التقدير على جزئية من جزئيات البحث، فقط إذا كان مسئولاً عنها.

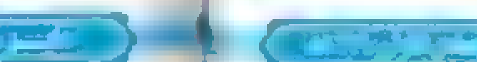
ومنها أيضاً: **التعليم**، إذ يجب على العلماء أن يعلموا شباب العلماء، ويتأكدوا من أنهم تعلموا كيف يمارسون العلم الجيد. كما يجب عليهم أيضاً أن يعلموا العامة ويبلغوهم بأمر العلم.

ومنها أيضاً: **المسئولية الاجتماعية** (تجنب الإضرار بالمجتمع، والعمل على تحقيق منافع اجتماعية، وتحمل المسئولية عن نتائج الأبحاث، وإبلاغ الجمهور بذلك)، **والمشروعية** (طاعة القانون)، **وتكافؤ الفرص** (عدم إهدار الفرص في استخدام المصادر العلمية أو في التقدم في المسار المهني والعلمي)، **والاحترام المتبادل** (التعامل مع الزملاء باحترام)، **والفعالية** (استخدام الموارد الاقتصادية والتكنولوجية بفعالية)، **واحترام الذات** (عدم انتهاك حقوق وكرامة الإنسان والحيوان عند إجراء التجارب) (ص١٠٥).

[illegible] الفصل الخامس [illegible] الموضوعية في البحث، فقد بسط المؤلف الكلام فيه حول بعض معايير السلوك والأخلاقيات العلمية التي ذكرها في الفصل الذي سبقه، وحول المسائل الأخلاقية في النشر العلمي، وناقش فيه الكاتب بعض المسائل التي تتعلق بنشر البحوث العلمية كالموضوعية في النشر وإعطاء التقدير فقط لمن يستحقه، والملكية الفكرية الخاصة بحيازة البحث وعلاقة العلم بوسائل الإعلام والجمهور، وذلك لأهمية التثقيف العلمي، وأكد على [illegible] الانفتاح في العلم (ص١٧٨).

وينهي المؤلف كتابه بتذييل وضعه تحت عنوان: «حالات للدراسة»، تناول فيه الكاتب مناقشة خمسين مسألة من المسائل التي تتعلق بأخلاقيات العلم والبحث العلمي، يضيق المقام عن ذكرها. [illegible] عرضها الكاتب بعد معالجة فلسفية متكاملة لأخلاقيات العلم، من الناحية المنهجية والتطبيقية، صاغها المؤلف و[illegible] المترجم بأسلوب سلس مشوق، دون غرق في متاهات فلسفية أو علمية، ترهق غير المتخصصين، وتحول دون مواصلتهم قراءة الكتاب من بدايته حتى نهايته. على الرغم من ترجمة المؤلف لبعض الألفاظ والمصطلحات العلمية التي يفضل المتخصصون في العلم ترجمتها بألفاظ ومصطلحات أدق منها وأقرب إلى المعنى المراد. ذكرت القليل منها في ثنايا المقال، إلا أن المقام يضيق عن ذكر المزيد.





همس الأحجار في غزة!

[illegible]

[illegible] للنسور إلى الأوكار قد ركنت
[illegible] [illegible] أساوده؟![1]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
قد باعها الوغد وعدا خاب واعده![2]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
على [illegible] وأن [illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
والذل والرجس في الدنيا [illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
حتى يغيبه في الرمث لاحده!

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] خلقكم من ذا يعانده!

[illegible]
[illegible][4]

[illegible]

(١) [illegible]

(٤) [illegible]



أوهام الشرق الأوسط

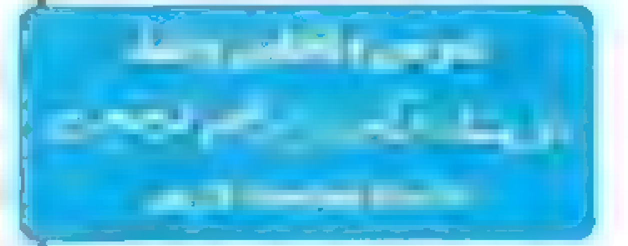
تأليف

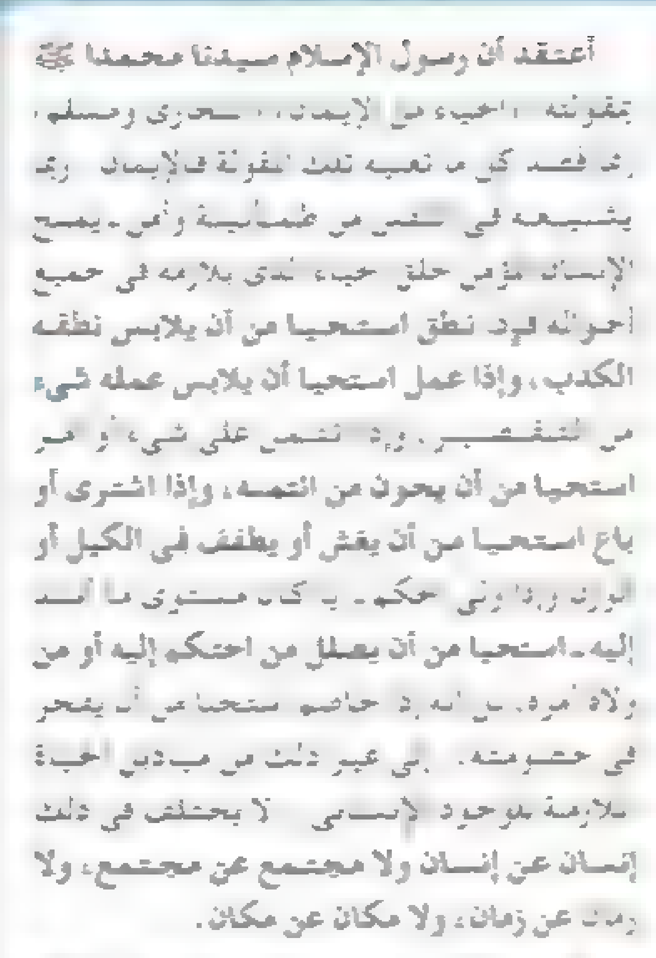
ناعوم تشومسكى

تعريب:

شيرين فهمى







أعتقد أن رسول الإسلام سيدنا محمدا ﷺ بقولته «الحياء من الإيمان» ... وحسبه، ... كل ما تعنيه تلك المقولة في الإيمان ... يشيعه في النفس من طمأنينة وأمن، يمنح الإنسان المؤمن خلق الحياء الذي يلازمه في جميع أحواله، فإذا نطق استحيا من أن يلابس نطقه الكذب، وإذا عمل استحيا أن يلابس عمله شيء من التقصير، وإذا ... على شيء أو أمر استحيا من أن يخون من ائتمنه، وإذا اشترى أو باع استحيا من أن يغش أو يطفف في الكيل أو الوزن، وإذا ولى حكما - أيا كان مستوى ما أسند إليه - استحيا من أن يظلم من احتكم إليه أو من ولاه أمره ... خاصم استحيا من أن يفجر في خصومته ... إلى غير ذلك من ... الحياء ملازمة لوجود الإنسان ... لا يختلف في ذلك إنسان عن إنسان ولا مجتمع عن مجتمع، ولا زمان عن زمان، ولا مكان عن مكان.

ولأهمية الأمن في الرؤية الإسلامية ... توفير الأمن من نعم الله تعالى التي لا تحصى ... قريش ... نعمة ربهم فقال جل شأنه

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

(قريش ٣ - ٤)

ولا ريب في أن مثل هذا الإنسان - بإيمانه ذاك - لن يضطره شيء - أي شيء - عن الخروج على مقتضيات الإيمان من قوة، وصراحة، ووضوح، وجرأة، ومصداقية في تعاملاته، وفي علاقته بنفسه وبالآخرين فلن يلجئه أمر - أو شيء - إلى المراوغة الحقيرة، ولن يتوافق - بأي حال - مع نهج اليرابيع، ومراوغة الثعالب ولن يضطره شيء إلى أن يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب ولا أن يكون حرباء يغير لونه مع كل موقف ليخدع الآخرين، ولا ... يكون ذلك الموقف الذي لا يستحي من تضليل من يطمئن إليه، والذي لا يتردد لحظة في أن يسرق من ... به - بوقاحته الفاجرة - يعد الاطمئنان إلى الآخر حماقة، ويرى في ائتمان الآخر سذاجة، ولذلك.. فإنه لا يستحي من أن يكون مخادعا، ولا يخجل من أن يوصف بالتضليل، ولا يتردد لحظة في أن يتذرع - بكل وسيلة - ليغير الآخر، أو ينال منه، أو يفتك به متى حانت له الفرصة، غير مكترث بما قد يجره على هذا المسلك من ويلات، ولا ملتفت إلى أنه يدفع بنفسه إلى الهلاك والدمار الذي توعد به - أمثال هذا - سيدنا محمد رسول الإسلام ﷺ فيما رواه ابن ماجة: إن الله إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء



عود إلى التخويف بالإرهاب

وعلى هذا الطريق الحربائي المضلل يرينا «تشومسكى» قادة الولايات المتحدة الأمريكية في سياستهم السالفة والحديثة التي تجردوا فيها من الحياء واستمرأوا فيها أسلوب التضليل والتزييف.

ففي الفصل الخامس «عالم متغير؟ إعادة التفكير في الإرهاب بعد ١١ / ٩» نبه «تشومسكى إلى: أن الولايات المتحدة

بعد أن دفعت - بأطماعها - شعوب العالم إلى المقاومة.. لجأت إلى أسلوبها المراوغ، فوصمت المقاومة بوصمة الإرهاب ثم راحت تستصرخ حكومات العالم لمحاربة الإرهاب - دون موافقة على تحديد المقصود بالإرهاب فتحا لباب المراوغة على مصراعيه - مكررة بذلك ما صنعته في عهد «ريجان» الذى أعلن أن الحرب على الإرهاب ستصبح عمود السياسة الخارجية الأمريكية وأساسها.

وخص من ذلك الإرهاب الذى تقف وراءه الدول، حيث وصفه «ريجان» بأنه أشرس أنواع الإرهاب وعلى نهج «ريجان» في المراوغة سار «جورج شولتز» وزير الخارجية الأمريكي، فجعل هذا الإرهاب مرضا استشرى على يد أولئك المحرومين المعارضين للحضارة نفسها، ليعودوا إلى حياة البربرية والهمجية في العصر الحديث فلم يكتف بجعل المقاومة إرهابا ولكنه جعل دافع المقاومة حرمانا من الحياة المترفة. وجعل معارضة الاستعمار معارضة للحضارة وعشقا للهمجية والبربرية كي يخدع شعبه وغيره من الشعوب الأوربية.

وواصل «شولتز» خداعه للشعب الأمريكي ولشعوب العالم وحكامه فانطلق يحوف من هؤلاء المقاومين معلنا: أنهم يتهددون الحياة الأمريكية وحضارتها، مدعيا أنهم كالسرطان يجب مقاومته، دون أن نشغل أنفسنا بالضغوط والقيود الأخلاقية، أو نلزمها بشىء من ذلك.. على نحو ما كان «أدولف هتلر» يصيح به في الشعب الألماني.

على طريق تغيير الجلد الحربائي

ويقدم «تشومسكى» نماذج للسلوك البراجماتي الحربائي من الحكام الأمريكيين فيذكر أن هؤلاء الحكام وذيولهم يحرصون - بشدة - على التبرؤ من شأن أى قوة يمكن أن تعوق طغيانهم، أو تشوه صورته، على نحو ما أعلنه «شولتز» مدينا أولئك الذين يقفون وراء الوسائل الطوباوية والشرعية. مثلما تفعل هيئة الأمم المتحدة، والمحكمة الدولية، وعلى نحو ما جاء في إجابة «ريجان»، و«شولتز» في أثناء إدانتهما للإرهاب، فقالا في تعريف الإرهاب: الإرهاب هو الاستخدام المحسوب للعنف، أو التهديد بالعنف للوصول إلى أهداف لها طبيعة سياسية دينية أو أيديولوجية.. من خلال الترهيب والإجبار وبث الخوف.

وهم في ذلك يغفلون أو يتغافلون - عن تلك الأمثلة الكثيرة من الإرهاب الأمريكي في شتى بلاد العالم؛ مثلما جاء في إعلان «أدميرال سير ميخائيل بويس» رئيس أركان الدفاع البريطاني، هذا الإعلان الذى أخبر فيه الأفغانيين أن الهجمات الأمريكية البريطانية سوف تستمر حتى يعترف أهل البلاد أنفسهم أن هذا الأمر سيبقى حتى يقوموا بتغيير قيادتهم.

ومثلما حدث في بيروت سنة ١٩٨٥م من جرائم مروعة أمام مسجد. أسفرت عن مقتل ثمانين وجرح أكثر من مائتين وخمسين. معظمهم من الفتيات والنساء بغير ذلك من الأعمال الوحشية التى تم وصفها في الصحف الأمريكية بأنها مجرد حوادث عادية بينما قام بتدبيرها مخابرات المركزية الأمريكية وكان الهدف من ورائها قتل عالم دين مسلم استطاع أن يفلت من تدبيرهم في النهاية.

وكذلك كانت ثمرة الممارسة التى اتخذها «بويس» مع زملائه في واشنطن: وضع أعداد هائلة من المدنيين الأفغان تحت ضغوط ومخاطر حقيقية من الجوع والتشرد كما وضعت الملايين هناك تحت ظروف قهرية غير محتملة

وهذا ما تصنعه إسرائيل

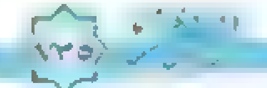
ويذكر «تشومسكى» من بين الأمثلة على سلوك التغيير الحربائي للألوان والمبالغة في تضليل الشعوب والحكام فيقدم مثالا آخر لذلك يكشف عن أبعاد الوقاحة في الفتك بالآخرين.

فيذكر بما صنعت إسرائيل عندما قامت باحتلال لبنان تحت مظلة التأييد الأمريكي العسكرى والدبلوماسي مما أدى إلى مقتل ثمانية عشر ألف نفس دون أى مبرر لفعل ذلك!

وقد حاولت أن تدفع اللبنانيين إلى قبول تبرير عدوانها في ظل تأييد أمريكي صريح لكل ما تفعله ولما باءت محاولاتها بالفشل في ذلك الصدد ولم تؤت استفزازاتها المتكررة أى ثمرة تستر وراءها وتبرر به الاحتلال حتى توقف التهديد بإنجاح أى تسوية دبلوماسية لا ترغب فيها الولايات المتحدة الأمريكية وربيبتها إسرائيل على الرغم من الرغبة العالمية في تحقيقها.

عندما فشلت إسرائيل في استفزاز الفلسطينيين لم يكن أمامها إلا أن تسفر عن وجهها القبيح وتسقط تلك الأقنعة البربرية وتعتصم بكل ألوان الوقاحة ضاربة عرض الحائط بما أسفرت عنه حملتها البربرية من قتلى بلغ عددهم ثمانية عشر ألفا، سوى الجرحى والمشوهين.

ومع هذا كله.. لم تجد من الحياء والخجل ما يردعها عن مواصلة عدوانها الوحشي وظلت مصرة على احتلال معظم الأراضى اللبنانية طيلة عشرين عاما منتهكة قرارات مجلس الأمن الدولي واستمرت في نشر الإرهاب في كل الأجزاء اللبنانية على وجه الخصوص حتى تطمئن على أن أحدا لن ينهض في وجه تلك الانتهاكات لمقاومتها فلما كانت سنة ١٩٨٥م ونهض بعض اللبنانيين لمقاومة هذا العدو الرابض على أرضهم شهدت لبنان أشنع عملية إرهابية وأفظع عملية وحشية طيلة عقدى الاحتلال «شيمون بيريز» بقيادة ما أسماه «القبضة الحديدية» التى صبت اعتداءاتها على القرويين المقاومين للاحتلال باعتبارهم إرهابيين.

وتكرر إسرائيل جرائمها الإرهابية

وفي سبيل تشومسكي ترصد الإرهاب الإسرائيلي الأمريكي بوقاحته المقررة.. يقدم حادثة التفجير الإسرائيلي في تونس سنة ١٩٨٥م التي أسفرت عن قتل خمسة وسبعين فلسطينيا وتونسيا بدون أي تبرير مقنع وكان ذلك بمساهمة واضحة من الولايات المتحدة الأمريكية حيث أخبر «شولتز» إسرائيل بأن واشنطن لديها تعاطف حقيقي مع ما فعلته وفي الوقت نفسه أخفت الأمر عن تونس فلم تخبرها بقدوم الإسرائيليين الذين قاموا بالتفجير.

ولما صدر عن مجلس الأمن استنكار لتلك العملية التفجيرية وصفها فيه بأنها اعتداء مسلح مع رفض الولايات المتحدة التصويت.. بعد ذلك كشفت الولايات المتحدة بالتعاطف في السر ولم تعلن عنه.

ولكن «شيمون بيريز» قدم بعد تلك الحادثة بأيام إلى واشنطن ليشارك «ريجان» في إعلانه الوقح عن استنكار الإرهاب لشرير المتوحش وسحقه.

فكل هذه الممارسات الإسرائيلية الأمريكية لا تدخلهم وقحتهم في نطاق الإرهاب الدولي بسبب جوهري لا يستحي واحد منهم من التصريح به حيث يقررون -في غير خجل- أن الإرهاب هو ما يوجه إليهم ويستهدفهم بغض النظر عما يفعلونه هم مع الآخرين.

الاحتكام إلى القانون أو الشرعية ضعف

بوش

وأن أمريكا تنطلق من قاعدة عملية تقول إن الأقوياء لا ينتظرون أي سلطة ولا يعيرون شيئا، لهذا رفضت انتظار موافقة مجلس الأمن على عملياتها الانتقامية في أحداث الحادي عشر من سبتمبر ولا انتظار التعرف على مدبري الأحداث ولكنها انطلقت بعملياتها الانتقامية من الشعب الأفغاني ودولة أفغانستان بكاملها.. كما إنها رفضت النظر في تسليم المتهمين المشكوك في علاقتهم بتلك الأحداث.

وبعد الحادي عشر من سبتمبر قدمت جريدة «وول استريت جورنال» استقصاء آراء رجال الأعمال والبنوك المسلمين ذوي العلاقات الوطيدة مع الولايات المتحدة حيث أعلنوا ضيقهم الشديد حيال التأييد الأمريكي للحكومات الأنظمة الظالمة كما أعلنوا تبرمهم من تأييد الإدارة الأمريكية للاحتلال الإسرائيلي الغاشم ومن تأييدها لفرض العقوبات على العراق التي أتت على الشعب العراقي فدمرته. بينما تركت الديكتاتور الدموي يزداد قوة وبطشا مؤيدا من أمريكا وبريطانيا في أشرس عملياته في داخل العراق.

ومع هذا وذاك.. نجد الرئيس «جورج بوش الابن» في غير حياء ولا خجل يطلق سؤاله متسائلا «لماذا يكرهوننا؟» فيذكرنا هذا على لسان «أيزنهاور» سنة ١٩٥٨م في قوله «إن مشكلتنا في العالم العربي هي أننا نقف أمام حملة من الكراهية موجهة ضدنا، ليس من قبل الحكومات، ولكن من قبل الشعوب».

مما يؤكد أن افتقاد الحياء والخجل ليس مقصورا على واحد من هؤلاء الحكام بشخصه وإنما هي سمة تعم جميع الحكام الأمريكيين وذيولهم وليس مقصورا على عهد بذاته فقد سمعناه اليوم سمعناه منذ نصف قرن وبحسب «تشومسكي» هذا نرصد نصيحة بنائية مخلصة يقول فيها «إن لصدق بشركنا في النهاية أمام معضلة حقيقية إما أن نهرب منها بالنفاق التقليدي المعهود، كما يفسره الإعلام، وهو الاختيار السهل، وإما أن نختار الطريق الصعب، ولكنه بالتأكيد الملزم لنا إذا أردنا تجنيب العالم مزيدا من الكوارث الأسوأ.

وبعد

فالكتاب -بما تضمنه- يعلن أن المؤلف حرص على أن يستقرئ السلوك الأمريكي إزاء الأحداث الواقعية والأحاديث الصادرة من القادة الأمريكيين والإسرائيليين والإنجليز ومواقفهم ذات المعايير المزدوجة التي تلبس ثوبا يخفي ما يضمرونه من حقد وشر أسود للإسلام وللمسلمين متخفيا وراء ما أطلق عليه «الشرق الأوسط الجديد» «مشروع الشرق الأوسط» تحقيقا للغاية المقصودة وهي القضاء على ما يسمى «الأمة العربية» أو «العالم العربي» ولأهمية هذا الموضوع وخطره حرص المؤلف على أن يدعم رؤيته بأكثر من موقف صريح وحدث صارخ ومقولة ثابتة حتى لا يتعلل واحد بعلة «الصدفة» غير المقصودة.

كما وضح توجه المؤلف ومصداقيته من عباراته الكاشفة وجولاته بين أحداث التاريخ الصريحة.

بيد أن الأستاذة شيرين فهمي وقفت عند حدود الترجمة الحرفية فأصابت فقرات الكتاب بالتفكك الذي يصيب القارىء بالإعياء إذا أراد أن يلم بمقاصد الكتاب ويربط ما قدمه المؤلف من أحداث.

ولو أنها عايشت الكتاب بالفكر المرتب لقدمت الكتاب في صورة أوضح.

والله من وراء القصد

السوق الخليجية المشتركة

في ختام دورته الثامنة والعشرين في الرابع من ديسمبر ٢٠٠٧ أصدر المجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي «إعلان الدوحة» في شأن انطلاق تنفيذ السوق الخليجية المشتركة في الأول من يناير ٢٠٠٨. وتقوم هذه السوق على المبدأ الذي نصت عليه المادة الثالثة من الاتفاق الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي الست وهو أن يعامل مواطنو دول المجلس الطبيعيون والاعتباريون في أي دولة من الدول الأعضاء «السعودية - الإمارات - قطر - البحرين - الكويت - عمان» معاملة مواطنيها نفسها من دون تفريق أو تمييز، بما في ذلك جميع الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية والخدمية وممارسة الحرف والمهن وتداول وشراء الأسهم وتأسيس الشركات والعمل في القطاعات الحكومية والأهلية والمساواة في التنقل والإقامة والعمل، والتأمين الاجتماعي والتقاعد والمعاملة الضريبية والاستفادة من الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية.

والملاحظ، كما جاء في «إعلان الدوحة» أن السوق الخليجية المشتركة، تهدف في المقام الأول إلى إنشاء سوق خليجية واحدة يتم من خلالها تمتع مواطني دول مجلس التعاون الخليجي بالفرص المتاحة في الاقتصاد الخليجي، وفتح مجالات أوسع للاستثمار البيني والأجنبي، وتعظيم الفوائد الناجمة عن اقتصادات الحجم، ورفع الكفاءة في الإنتاج، وتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة وتحسين الوضع التفاوضي لدول المجلس إزاء التكتلات الاقتصادية الدولية، وتعزيز مكانتها الفاعلة الاقتصادية والسياسية بين التجمعات الاقتصادية العالمية.

وجدير بالذكر أنه تم الاتفاق بين دول مجلس التعاون الخليجي الست، على جميع المتطلبات الرئيسية لقيام السوق الخليجية المشتركة من خلال الجهود التي بذلت في غضون الأعوام الخمسة الماضية، منذ إقرار برنامجها الزمني من جانب المجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي، في دورته الثالثة والعشرين، في ديسمبر ٢٠٠٢ في شأن استكمال متطلبات هذه السوق الموحدة في نهاية عام ٢٠٠٧، ووضع القواعد التنفيذية اللازمة لتفعيلها.

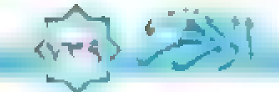


مقومات النجاح

ومن ناحية أخرى جرى تقدم ملموس فيما يتعلق بخدمة قيام السوق الخليجية المشتركة، تجسد في البدء في تنفيذ «مشروع الربط الكهربائي»، ومشروع «البطاقة الشخصية الخليجية»، «البطاقة الذكية»، واستخدامها في تسهيل التنقل بين دول المجلس. وقد حث المجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي، اللجنة المعنية بالانتهاء من دراسة الجدوى الاقتصادية لـ «مشروع سكة حديد» لربط دول مجلس التعاون الخليجي الست، واستكمال بحث نتائج دراسة الجدوى لـ «مشروع الربط المائي».

ويرى كثير من الاقتصاديين أن مقومات نجاح إنشاء أية رابطة اقتصادية أو سوق مشتركة، تتجلى في أمرين رئيسيين، سياسي واقتصادي. فعلى سبيل المثال، فإن الاتحاد الأوروبي لم يشهد له النجاح إلا بعد أن زال التوتر السياسي بين فرنسا وألمانيا، وما كان للاتحاد أن يبلغ ما بلغه لو لم يبدأ السوق الأوروبية المشتركة ووضع الأنظمة المتكاملة، ودراسة الاتفاقات والقوانين المشتركة، واستمرار التعاون المثمر بين الأعضاء المؤسسين، والأعضاء الملتحقين في مراحل متتالية ليضم الاتحاد الأوروبي اليوم عددا من الدول المتباينة في الاقتصاد والثقافة واللغات، لكنها راغبة في الاتحاد والتكامل في إطار مصلحة مشتركة واحدة. وفي هذا السياق، فإن المجالات التي تشملها السوق الخليجية المشتركة عديدة وقد أشرنا إلى بعضها من قبل، منها حرية ممارسة الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية والخدمية، وانتقال رؤوس الأموال، وتملك العقارات، وحرية تملك الأسهم وتداولها، وإقامة الشركات، وممارسة الحرف والمهن، وحرية الانتقال والإقامة والعمل بين دول مجلس التعاون الخليجي. ولا شك أن هذه السوق ستحقق المساواة في المعاملة الضريبية لمواطني دول المجلس، والحصول على الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية وفي التأمينات والتقاعد، على قدم المساواة.. ومن المنتظر في المرحلة المقبلة أن تتحول دول مجلس التعاون الخليجي بفضل إنشاء هذه السوق المشتركة الموحدة، إلى «قوة اقتصادية عملاقة» في مواجهة الاتحادات الإقليمية والدولية.

والحقيقة أن السوق الخليجية المشتركة، تمتلك اليوم أكبر احتياطي للنفط والغاز الطبيعي، وأن ناتجها المحلي بلغ عام ٢٠٠٦ حوالي ٧١٥ مليار دولار حيث بلغ نصيب المواطن الخليجي من هذا الناتج حوالي ٢٠,٤ ألف دولار، كما يبلغ حجم تجارتها الخارجية أكثر من ٧٠٠ مليار دولار، منها ٢٢٠ مليار للواردات، و٤٧٠



مليار للصادرات، مع تحقيق فائض في الميزان التجاري، قيمته حوالي ٢٥٠ مليار دولار، وتنتج دول مجلس التعاون الخليجي نحو ٢٢٠ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، ونحو ٩٠٠ مليون طن نفط في العام، وتستحوذ على طاقة تكرير تبلغ حوالي مليونين و٧٢٠ ألف برميل في اليوم. كما تتوفر لديها قدرة على استقبال نحو ١٥ مليون حاوية في السنة، وبلغ الاستثمار فيها نحو ١٣٠ مليار دولار في عامي ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦، توازي نسبة ١٨.٢٪ من الناتج المحلي.

المواطنة الاقتصادية

وتشير بعض التقديرات إلى أن عوائدها النفطية بلغت ٥٢٠ مليار دولار عام ٢٠٠٧، وأن صافي أصولها الخارجية حوالي ١.٦ تريليون دولار، وتستثمر ٥٦ مليار دولار في مشاريع النفط والغاز.. كما تشير هذه التقديرات إلى أن قطر وعمان والإمارات والكويت تستثمر أكثر من ٢١ مليار دولار في بناء مشاريع خاصة بالغاز الطبيعي. كما نمت الاستثمارات في صناعة البتروكيماويات بمعدل ٥٪ في الأعوام السبعة الماضية لتبلغ ٧٠ مليار دولار.

لقد اجتازت دول مجلس التعاون الخليجي، مرحلة تقارب تجاري واقتصادي بين ١٩٨٣ و٢٠٠٢، غير أنها شهدت قرارات مهمة لتحقيق السوق الخليجية المشتركة تحت اسم «المواطنة الاقتصادية الخليجية» وارتفع النمو في حجم التبادل البيني أقل من ٦ مليارات دولار في عام ١٩٨٣، إلى نحو ٢٠ مليار دولار عام ٢٠٠٢، وتبين تقديرات بعض الاقتصاديين أنها تجاوزت ٣٠ مليار دولار عام ٢٠٠٧. وتهدف الخطوات المستقبلية للسوق الخليجية المشتركة إلى استكمال خطوات التقارب الاقتصادي عبر التطبيق الكامل للاتحاد الجمركي وتحقيق الاتحاد النقدي واعتماد العملة الخليجية المشتركة في عام ٢٠١٠. كل ذلك في إطار تحديث التشريعات وجعلها متشابهة.

وفي هذا الإطار ذكر «محمد خلفان بن خرباش» وزير الدولة للشؤون المالية والصناعي الإماراتي «إن إعلان الدوحة في شأن قيام السوق الخليجية المشتركة يعد خطوة مهمة على طريق التكامل الخليجي» وحول المزايا التي يمكن أن تحققها السوق الموحدة الخليجية، أكد «ابن خرباش» «إن قيام السوق الخليجية المشتركة يؤدي إلى زيادة معدلات النمو الاقتصادي، وارتفاع مستوى التشغيل والإنتاج، وجذب الاستثمار، وتعزيز ازدهار الأوضاع الاقتصادية للدول الأعضاء. وأن هذه الخطوة ستتيح، وللمرة الأولى، إمكان تطبيق المفهوم الحقيقي لفكرة المواطنة الخليجية، في شكل عملي، إضافة إلى كونها تمثل بداية مرحلة جديدة لتفعيل التكامل الاقتصادي البيني، على مرتكزات واقعية، تؤسس لإقامة «اقتصاد خليجي قوي، وفاعل على المستويين الإقليمي والدولي، وفتح مجالات أوسع للاستثمار، وزيادة الإنتاجية، وتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، وتعزيز الوضع التفاوضي لدول مجلس التعاون الخليجي في تعاملها مع الدول والتكتلات الاقتصادية الدولية، وتنسيق السياسات الاقتصادية والمالية والمصرفية لدول المجلس وتوحيدها».

تحديات

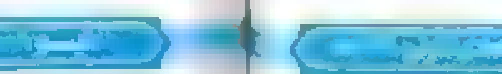
ومع إطلاق تنفيذ «السوق الخليجية المشتركة» يأمل مواطنو دول مجلس التعاون الخليجي الست ـ الذي يربو عددهم على ٣٨ مليون نسمة ـ من العيش في أي مكان يختارونه ومزاولة أي نشاط اقتصادي داخل دول مجلس التعاون الخليجي وتتيح هذه الخطوة، كما سبق القول لمواطني الدول المذكورة على تملك العقارات والشركات والأسهم التجارية ومتابعة الدراسة في مدارس وجامعات دول المجلس الخليجي والاستفادة من الخدمات الصحية.

وثمة تحديات عدة تواجه قيام السوق الخليجية المشتركة ذكرها المحلل الاقتصادي «عبد الخالق عبد الله» عندما قال «إن إطلاق السوق الخليجية المشتركة يحمل في طياته تحديات تشريعية وفنية، كثيرة أهمها تفكيك التشريعات وإعادة صوغها بما يتلاءم مع الواقع الجديد ويفترض أنه يزيل الحواجز كليا للأفراد والبضائع بهدف بلوغ «وحدة اقتصادية متكاملة» على مثال «الاتحاد الأوروبي» ويشير عبدالخالق عبدالله إلى أنه يتنظر من المنطقة تعديل قوانينها المحلية حتى تتوافر فرصة لنجاح الوحدة على المدى الطويل.

ويرى هذا المحلل الاقتصادي «إن عدم التوصل إلى عملة خليجية واحدة يظل أحد عوائق استكمال متطلبات السوق لاسيما أن المسؤولين في المنطقة باتوا يتحدثون عن عدم إمكان إطلاقها في عام ٢٠١٠ بسبب اختلافات فنية بين دول المجلس.

ويخشى محللون اقتصاديون أن تواجه منطقة الخليج صعوبات أخرى في المدن التي تشهد طفرات اقتصادية كبيرة، وأن تؤدي الهجرة المتوقعة بين دول مجلس التعاون الخليجي إلى ضغوط إضافية على قطاع الإسكان والبنية التحتية والتعليم والخدمات الصحية في البلدان التي تتمتع بمستويات معيشة مرتفعة مثل الإمارات وقطر.

ومن التحديات الأخرى التي أشار إليها هؤلاء المحللون الاقتصاديون والتي تجابه نجاح السوق الخليجية المشتركة، قيام دول خليجية بتوقيع اتفاقات اقتصادية منفردة مع دول غير خليجية. وهو ما يثير مخاوف حول مصير التعاون الاقتصادي المشترك وفوق ذلك احتمال فشل دول الخليج مجتمعة في إبرام اتفاقات للتجارة الحرة مع



كتل اقتصادية مثل الاتحاد الأوروبي.

ويذهب رجل الأعمال الإماراتي «سعيد العابدي» إلى «أن المشكلة التي تواجه دول الخليج هي تشابه اقتصادياتها المعتمدة على النفط والصناعات البتروكيماوية إضافة إلى تشابه المشاريع».

لذلك يعتقد «العابدي» أن إطلاق السوق الموحدة يجب أن يتبعه خطوات أخرى أهمها التركيز على إنشاء صناعات مختلفة في المنطقة الخليجية، لتتمكن من بلوغ مرحلة التكامل التام مثل الاتحاد الأوروبي غير أن «العابدي» أشار إلى أن المنطقة الخليجية أصبحت الآن أكثر جذبا للاستثمارات الأجنبية للاستفادة من السوق الكبيرة التي تتسم باتساع نطاقها وهو ما يؤدي إلى زيادة حجم الإنتاج وانخفاض التكاليف والأسعار وإيجاد سوق كبيرة وقوية، تمكن الدول الأعضاء من الوقوف في وجه السلع والمنتجات الأجنبية، ويتوقع محللون اقتصاديون أن تؤدي هذه السوق الخليجية الموحدة إلى «توطين» مليارات الدولارات المهاجرة خارج المنطقة الخليجية وتوفير مزيد من فرص العمل لمواطني دول المجلس، وتوطين الوظائف وحل أزمة التركيبة السكانية في منطقة يزيد عدد الوافدين الأجانب إليها على عدد المواطنين. كما يرى هؤلاء الاقتصاديون أن من أهم المكاسب المتوقعة من السوق الخليجية المشتركة، انسياب السلع بين دول مجلس التعاون الخليجي بما يؤدي إلى زيادة التنافس بين المؤسسات الخليجية مصلحة للمستهلك. خاصة أن السوق الخليجية تتمتع بسيولة عالية وقدرة شرائية واستثمارية هائلة.

تجارب الأنظمة

وفي هذا الصدد أشار الأمين العام لاتحاد غرف دول مجلس التعاون الخليجي «عبدالرحيم تقي» إلى أن الأنظمة المعمول بها في دول الخليج متقاربة إلى حد كبير مما يسهل تطبيق السوق مقارنة بالأنظمة المعمول بها في الدول الأوروبية المختلفة إبان تطبيق السوق الأوروبية مشتركة.

ولافت «تقي» إلى وجود لجنة دائمة شكلت لمتابعة سير عمل السوق المشتركة ومدى تطبيقها وتقويم المرحلة الأولى والمراحل اللاحقة ورصد الصعوبات التي تواجهه والعمل على حلها. وهذه اللجنة الدائمة منبثقة من لجنة التعاون المالي والاقتصادي في أمانة دول الخليج. ومن المقرر أن تبدأ هذه اللجنة باكورة اجتماعاتها في أبريل ٢٠٠٨ على أن تتبعها اجتماعات دورية بعضها «جدول زمني» محدد لدراسة العقبات والمشكلات المحتملة في كل مرحلة من مراحل تطبيق السوق وإيجاد حلول ملائمة لها.

ولقد طالب «عبدالرحيم تقي» الأمين العام لاتحاد غرف مجلس التعاون الخليجي بوضع برنامج زمني واضح لتطبيق «العملة الخليجية الموحدة» والوصول إلى التكامل الاقتصادي وإعادة النظر في ارتباط العملات الخليجية بالدولار وتوحيد

مؤشرات الدخول السياحية، إذ أن الدول الخليجية في حاجة ماسة إليه» ويذكر عبدالرحمن بن علي الجريسي، رئيس مجلس إدارة الغرف التجارية والصناعية في الرياض أن السوق الخليجية ستمكن المواطن الخليجي من حرية ممارسة الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية في أي مكان على امتداد دول مجلس التعاون الخليجي، كما أن تحقيق السوق الموحدة يعتبر الخطوة الأبرز والإنجاز الأهم في مسيرة العمل الاقتصادي المشترك لدول المجلس منذ انطلاقه.

أسواق العقارات

وثمة دور حيوي للسوق الخليجية المشتركة التي دخلت حيز التنفيذ مطلع عام ٢٠٠٨ في دعم نشاط السوق العقارية في دول الخليج خصوصا مع قرارات لجنة التعاون المالي والاقتصادي، التي نصت في مايو ٢٠٠٧ في بندها العاشر على تمديد فترة إعفاء الأسمنت وحديد التسليح والحصى المستورد من الخارج من التعرفة الجمركية إلى نهاية عام ٢٠٠٩، وستتأثر أسواق العقارات الخليجية خصوصا في الإمارات صعودها من جديد في ظل عوامل اقتصادية عدة أبرزها أزمة حادة في توافر مواد البناء دفعت «دبي» إلى إلغاء التعرفة الجمركية على الأسمنت وحديد التسليح للتخفيف من حدة الأزمة خدمة للمواطن الخليجي.

ولقد بادرت سلطنة عمان مؤخرا بتعديل قوانينها لتسمح للخليجيين بتملك العقارات إذ توافد إليها بسبب ذلك آلاف الخليجيين في عام ٢٠٠٧ من بينهم ٢٧١٣ مستثمر كويتي و١٥١٧ مستثمر إماراتي و٩٩٢ مستثمر بحريني و١٢٣ مستثمر قطري وهي خطوة إيجابية في الاتجاه الصحيح نحو إقامة سوق خليجية مشتركة، يتمتع فيها جميع مواطني دول الخليج العربية بفرص متكافئة في كافة المجالات. وفي الختام يمكن القول أن الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي وغرفة تجارة وصناعة البحرين نظمت يوم ٢٤ مارس ٢٠٠٨ «منتدى» استضافته «المنامة» عاصمة البحرين ناقش آلية الحد من ظاهرة ارتفاع الأسعار في دول المجلس بعدما بلغت نسب التضخم في بعضها مستويات مرتفعة. كما ناقش المنتدى «دور السوق الخليجية المشتركة» في مواجهة ظاهرة ارتفاع الأسعار وما نفذته الأجهزة الرسمية والأهلية في الحد من هذه الظاهرة وتجارب بعض الهيئات والدول العربية والدولية في مكافحة التضخم. كما أن ثمة اتجاها جديدا أمام السوق الخليجية المشتركة لتطبيق فكرة الشراء الجماعي للسلع الاستهلاكية، وتوحيد أسعارها بين دول مجلس التعاون الخليجي لصالح المستهلك الخليجي ويكفي ما ستؤدي إليه السوق الخليجية المشتركة من تكامل اقتصادي ومواطنة خليجية واحدة وعملة نقدية موحدة، وهي خطوة مهمة على طريق الوحدة الاقتصادية والسياسية لدول الخليج العربية.



مشكلات التعليم فى أفريقيا وواجب المسلمين

للأستاذ الدكتور/ عبدالله نجيب محمد
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة

التعليم رغم انه وسيلة لغايات كثيرة الا انه وقبل كل شيء غاية في حد ذاته. وما نبحثه هنا هو العملية التعليمية المنظمة التي بواسطتها يوفر مجتمع معين التعليم لأفراده. ولا نعني في استخدامنا عبارة (نظام تعليمي) المراحل التعليمية وأنواع التعليم المدرسي والشكلي فحسب. وانما نعني أيضا البرامج والعمليات التربوية والتعليمية المنظمة التي قد تقع خارج نطاق التربية المدرسية ومنها على سبيل المثال الأفلام والبرامج الاذاعية والتليفزيونية الهادفة.

وبداية لابد أن نشير إلى أن (الأفريقية) رباط جغرافي سياسي ثقافي، وأن (العروبة) كذلك، ورغم التباين والاختلافات الثقافية بين الشعوب الأفريقية إلا أنها جميعاً ترتبط بأوثق الروابط بالثقافة العربية الإسلامية، حتى أولئك الذين لم يدخلوا في الإسلام قد تأثروا بهذه الثقافة بدرجات مختلفة؛ حيث تركت بصماتها في كل ركن من أركان القارة.

وثانياً: لابد من الإشارة إلى أن التعليم في أفريقيا قد كان تقليدياً يعتمد على التراث الشعبي والنقل المباشر، وأفريقيا من بين القارات جميعاً لها تراث غني ومتنوع في هذا المجال، تمكنت به من الوصول إلى درجة عالية من التكافل والضبط الاجتماعي، فلما دخل الإسلام إليها، انضم التراث الإسلامي إلى التراث الأفريقي ليشكل نسيجاً واحداً لثقافة أفريقية إسلامية انتشرت من القاهرة إلى الكيب ومن داكار إلى دار السلام.

وثالثاً: وفي ظل الاستعمار الأوروبي حاول المبشرون القضاء على الثقافات الأفريقية، واستهدفت القيم التقليدية واللغات الوطنية لتحقيق أهداف غير دينية. وهو ما تنبه له كثير من مفكري أفريقيا ومنظريها، وحاولوا بعد الاستقلال استعادة هويتهم الثقافية على أسس وطنية.

ورابعاً: وبعد الاستقلال، استمر الغرب في محاولاته لمحق الثقافات الأفريقية وتحقيق ذات الأهداف التغريبية، وساعده في ذلك ما اصطنعه من نخب حاكمة ومثقفة، تولت الأمور واستحوذت على مراكز اتخاذ القرار ولذلك استمرت كثرة من المدارس الوطنية تسير على النمط الاستعماري القديم في نظمها ومناهجها ولم يتغير منها إلا النذر اليسير، هذا علاوة على استحداث ما يسمى مدارس اللغات مما خلق نوعا من الازدواجية في التعليم، تعليم وطني تقوم به الدولة وتعليم تديره وتقوم عليه هيئات أجنبية، استمرتا في خلق نخب متغربة، ومازال هذا الوضع العام قائما.

واقع النظم التعليمية فى أفريقيا

بدأت النظم التعليمية في أوائل الستينيات من القرن الماضي عملية توسع هائلة لم يسبق لها مثيل في القارة، ففي كثير من الدول ازداد التلاميذ المقيدين بالمدارس في مختلف مراحل التعليم إلى أكثر من النصف.

ورغم هذا التوسع الهائل في التعليم فإن هناك نموا موازيا له في السكان، أدى إلى زيادة الأميين بنسبة بلغت أكثر من ٦٠٪ في معظم الدول الأفريقية.

ففي عام ١٩٨٠ كانت نسبة الأمية ٦٠,٣٪ من السكان الراشدين في أفريقيا، وكانت على سبيل المثال تزيد على ٤٠٪ في [illegible] والسودان والمغرب. ومن ذلك يتبين أن النظم التعليمية في أفريقيا تواجه عدداً من المشكلات، التي تختلف حدتها وشكلها من دولة إلى أخرى تبعاً لاختلاف الظروف المحلية الخاصة بكل منها، غير أن اتجاهات القوى الداخلية المحركة لها تبدو متشابهة في جميع الدول الأفريقية، سواء كانت هذه الدول قديمة في نشأتها أم حديثة، وسواء أنشأت لنفسها مؤسسات رسخت واستقرت أم أنها مازالت تناضل وتتحدى ما يوجد فيها من متناقضات، ويمكن حصر هذه المشكلات فيما يلي

١- العبء الطلابي The Student Load: وهو في مقدمة المشكلات التي تواجه دول القارة، حيث تزايد التطلع إلى التعليم

والإقبال عليه عاماً بعد آخر، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الضغط الحالي على المدارس والمعاهد والجامعات القائمة، معدل النمو السكاني يعوق محاولات الدول، القيام بحل المشكلات أو إعادة التوازن إلى العملية التعليمية برمتها، ففي مالي على سبيل المثال كان ١٠٪ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ – ١٤ سنة ٦٨.٠٠٠ يذهبون إلى المدارس في عام ١٩٦١ وفي سنة ١٩٦٤ ظلت نسبة الـ ١٠٪ رغم تضاعف عدد الأطفال تقريباً ليصل إلى ١١٣.٠٠٠

وفي الجزائر بلغت الزيادة في عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية أكثر من الثلثين، أما عدد تلاميذ المرحلة الثانوية فقد زاد عددهم ثلاثة أمثال، أما عدد طلاب التعليم العالي فزاد عددهم بنسبة تزيد على عشرة أمثال.

٢– النقص الحاد في الموارد المالية، وهو ما يؤدي إلى الحيلولة دون استجابة النظم التعليمية للإقبال على طلب التعليم على نحو مقبول، كما يحول دون تزويد المدارس بالوسائل والأدوات التعليمية المناسبة، علاوة على عدم القدرة على تزويدها بالعدد الملائم من المعلمين، والنقص في النوعية الملائمة ذات الكفاءة والجودة المناسبة، ففي كوت دي فوار (ساحل العاج) مثلاً ليس بين ٧٥٠٠ مدرس ابتدائي من يحمل دبلومات سوى ٦٠٠، وتبلغ حالياً نسبة غير المؤهلين في غير ساحل العاج من الدول الأفريقية المتكلمة بالفرنسية ما بين ٧٠، ٨٠٪ وترتفع في تشاد إلى ٩٠٪.

ويؤدي النقص في الموارد المالية أيضاً إلى تغص الأبنية المدرسية والتي تكدس الفصول بأعداد تفوق قدرتها، مما يهدر وقت المتعلمين وجهدهم، ويقلل القدرة على الأداء المناسب والاستيعاب المناسب.

وتبين من الإحصائيات أن قدرة النظم التعليمية الفعلية على استيعاب التلاميذ حوالي ٥٠٪ في معظم الدول، وتزيد قليلاً في التعليم الثانوي والعالي.. مما يوجد فجوة كبيرة بين الطلب على التعليم وقدرة هذه النظم على استيعاب التلاميذ.

٣– الزيادة في التكلفة التعليمية مع تزايد النقص في الموارد المالية، تعاني النظم التعليمية كذلك من الاتجاه المتصاعد في التكلفة الحقيقية للتلميذ، لأن التعليم يتطلب باستمرار عمالة كثيفة، مع كل جهد يبذل لرفع نوعيته والعمل على تطوره.

٤– عدم ملاءمة الخرج التعليمي، في ظل هذه الظروف التي تواجهها النظم التعليمية فإن ثمة ما يدل على أن ما تعلمه لتلاميذها، وما تخرجه من ناتجها البشري على اختلاف أنواعه غير ملائم لحاجات المجتمعات الأفريقية، وغير ملائم للوقت الحاضر والمطالب الحديثة.

الواضح أن عدم ملاءمة مخرجات هذه النظم التعليمية ترتبط بحاجات النمو القومي المتغيرة، وكذلك الحاجات المتغيرة للأفراد ومن ناحية أخرى فإن الاتجاهات والتفضيلات المهنية وأنماط المكانة التي تسهم البيئة في تكوينها، تعرقل الاستخدام السليم لنظام تعليمي عصري معين وتعمل في اتجاه مضاد لإسراع عملية التنمية لإحداث تغييرات اجتماعية واقتصادية عصرية تؤدي إلى عجز اقتصاديات الدول النامية في استيعاب وتشغيل مخرجات نظمها التعليمية مما يؤدي إلى ظهور مشكلة بطالة المتعلمين.

٥– القصور الذاتي وعدم الكفاية لما وقد وقعت النظم التعليمية تحت هذه الضغوط التي تشمل نظم الإدارة والمقررات المدرسية وطرق التدريس والمناهج، وحجرة المدرسة المزودة بالأدوات اللازمة، ووسائل إعداد المعلم وغيرها من الأشياء التي ميزت العمليات التقليدية فإنها تعد الآن صالحة لمواجهة الموقف الجديد، ونستدل على ذلك من كثرة الشكاوى والاعتراضات التي تردد صداها حول تدهور نوعية التعليم والتي تمنعها من العمل على تكييف شئونها الداخلية بسرعة كافية.

٦– هناك نوع من الجمود ملازم لنظم التعليم في كل دول أفريقيا، لا يجعلها تستجيب بالسرعة لملاءمة مناهجها مع ظروف التغيرات والاحتياجات الجديدة في البيئة وعمليات التنمية، وبعض النظم تعطي للاتجاهات والعادات وأحياناً تصب عكس هذا الهدف، وتحاول إفراغ الناس من المضمون الثقافي النابع من تراثهم والمحقق لأهدافهم والملائم للأوضاع والبيئة في مجتمعاتهم.

ويستغل الغرب هذا التناقض، والفشل في السيطرة على التعليم غير الشكلي في تسريب ثقافته ودعم قيمه التغريبية التي لا تحقق الأهداف الوطنية.

المشروع الأمريكي في التنميط الثقافي

(أهدافه ووسائله في أفريقيا)

نحن نعتقد أن المشروع الأمريكي في التنميط الثقافي حلقة جديدة من حلقات السياسة التي اتبعها الغرب فيما يسمى التغريب الثقافي، الذي بدأ بالاستشراق والمستشرقين، ومدارس الإرساليات التبشيرية في العهد الاستعماري، والتعليم المزدوج (مدارس اللغات) الذي هو مجرد تغيير للواجهة والملامح والتكتيك بعد الاستقلال، وكل ما في الأمر أن التعبير عن المشروع الأمريكي وأهدافه وغاياته بعد الحادي عشر من سبتمبر قد اتخذ شكلاً بات يتحدى يصاحبه قدر كبير من الضغط العملي والتهويل الإعلامي، واستثمار ما يسمونه الإرهاب العالمي كذريعة للإسراع والاندفاع نحو تنفيذ ما كان سوف ينفذ.

المشروع الأمريكي هو الحلقة الأخيرة، وهو امتداد لحلقات سابقة، هو حلقة النهاية كما أرادوا وخططوا في الماضي، فإذا كان العصر في رأى فلاسفتهم هو عصر الحقبة الأمريكية، وعصر العولمة بمعنى الهيمنة ونهاية التاريخ وصراع الحضارات، فقد أسفر المشروع الأمريكي عن وجهه واستبانت ملامحه.

يستهدف المشروع ثقافات العالم أجمع، ويقع على رأسها الثقافة العربية الإسلامية التي رأى فلاسفتهم أنها الوحيدة القادرة على الصمود والتحدي.

ولما كانت الثقافة الإسلامية قد أصبحت



جزءاً من نسيج الثقافات الأفريقية، التي يدافع عنها القائمون عليها بكل إصرار وعناد فهي أيضا من مستهدفات المشروع الأمريكي.

الغريب في الأمر أن يصل الأمر بالقائمين على المشروع إلى حد الإعلان عن رغبتهم السافرة في التدخل في صياغة محتوى المناهج التعليمية، خاصة التعليم الديني وهو المفهوم المركزي الذي نحته الغرب وصدره إلى العالم الإسلامي كنواة منظومة منهجية مستبدة ومساعدة، تستدعي كل مكونات الأجندة الغربية الرامية- من أمد طويل- إلى إزاحة مفهوم (الدين) بمنظوره الإسلامي كمنهج حياة شامل يتسم بالعمومية والإطلاق والشمول، وينظم حياة أتباعه في كل المجالات، وإحلال مفهوم (الدين) الذي تكرس في الغرب في عهد الدولة القومية كمعتقدات محصورة في مجال الحياة الخاصة ولا موضع لها في فضاء الحياة العامة.

يتزعم المشروع الأمريكي توجه مروجون له بكل الطرق يربط بين نوعية التعليم الإسلامي وظاهرة الإرهاب العالمي، بل ويربطون بين نوعية هذا التعليم وكل مظاهر الضعف في مستوى الإسلام في العالم، ويطرحون تصورا لما يعتبرونه (إصلاحا لذلك التعليم).

يرى المشروع الأمريكي أن خطورة التعليم الديني الإسلامي ترجع إلى طبيعة الإسلام ذاته في رأى البعض، وإلى ما يعتبرونه تفسيرا غير صحيح للإسلام في رأى البعض الآخر.

ويكاد الفريق الأول بقوة العمل في المشروع، ومن أهم معالم الصورة التي يقدمها هؤلاء أن الإسلام ذاته مناقض للديمقراطية الليبرالية، ولا أساس لإخراج أي نشاط إسلامي من مفهوم الأصولية الإسلامية المعادية للغرب بطبيعتها، والتي يتمثل هدفها الثابت في مناهضة الثقافة السياسية الديمقراطية بكل السبل، لانتفاء وجود أرضية مشتركة بينها وبين القيم الثقافية الغربية العلمانية شأنها شأن الحركات الفاشية والنازية، والمطلوب في رأى هؤلاء هو فرض الوصاية الأمريكية على العالم الإسلامي بالقوة حيث يرى هؤلاء يحتجون أن الصراع الراهن صراع بين الذهنية الإسلامية التوحيدية الأحادية المنغلقة، والذهنية المتفتحة المؤسسة على التعددية العلمانية للغرب اليهودي المسيحي، ويجب تكييف التعليم مع متطلبات الحداثة بمؤشراتها الأربعة:-

١- حقوق المرأة.

٢- التحول الديمقراطي.

٣- التسامح مع الوجود الأجنبي.

٤- إلغاء الحظر على المشروبات الكحولية.

ونلاحظ أن هذه المؤشرات تحرر وتؤدي لتفكك الأسرة وتفكك المجتمعات، والتخلي عن المقاومة والدفاع عن النفس، والاندفاع نحو اللذة والمتعة وفي النهاية القضاء على الذاتية الوطنية والشخصية الدينية والثقافة القومية.

يرى المشروع الأمريكي أن التعليم (خاصة السعودي والمصري) يؤدي إلى الانحراف والبطالة والتخلف والتوتر الاجتماعي، وبالتالي فإن مفهوم (الإصلاح) يصبح مرادفا لتنحية الدين الإسلامي وتهميشه في العملية التعليمية، وأصبح من الثابت في المشروع الأمريكي ضرورة التخلي عن اعتبار الدين شأنا داخليا، ويجب إقامة تحالف دولي من أجل التعليم يتابع الخطط الذاتية التي تضعها كل دولة لتعميم التعليم فيها ويقدم الدعم لتطبيق مبدأ التعليم الأساسي للجميع، وضرورة نشر التعليم العلماني الحديث، والتحذير من استبعاد الحداثة من أرضية إسلامية.

يسعى المشروع إلى تعديل نمط التعليم الشكلي (في المدارس والجامعات... الخ) والتعليم غير الشكلي المنبثق من المسجد على سبيل المثال.

ويرصد المشروع حاليًا كل ما يصدر عن أجهزة الإعلام ومضمون مناهج التعليم في الدول الإسلامية، والأقليات الإسلامية المنتشرة في معظم دول العالم.

آليات المشروع الأمريكي

١- الترويج لفكرة احتضان العرب للإسلام الليبرالي.

٢- توظيف الإعلام الغربي في إعادة تصدير هذا النوع من الإسلام إلى العالم الإسلامي وخاصة الأقليات الإسلامية في الدول الأفريقية.

٣- تهميش اقتصاديات الدول الإسلامية القادرة على التأثير.

٤- ربط التعليم الديني بالإرهاب.

٥- تشويه صورة الإسلام لدى الأمريكان والغرب.

٦- رفض تمكين أصحاب الاتجاه الإسلامي من أنظمة ديمقراطية.

٧- فرض ما يسمى ثقافة السلام.

ونحن نرى أن على المسلمين في جميع أنحاء الأرض أن يعملوا على الآتي:

١- ضرورة إنشاء هيئة عربية أفريقية لخلق تعاون مشترك وتلاحم وتواصل ثقافي بين المفكرين في العالم العربي والأفريقي وبين المسلمين في أمريكا والغرب.

٢- ضرورة أن تقوم الدول الإسلامية الغنية بإعادة النظر في استثماراتها في الغرب وتحويلها إلى أفريقيا والمنطقة العربية.

٣- ضرورة تبني مشروع عربي أفريقي لإعادة ترجمة معاني القرآن الكريم، واستخراج ونشر الكتب القيمة التي كتبها أوروبيون منصفون.

٤- وفي النهاية نحن نرى أن على الجامعات في أفريقيا والعالم العربي دور بالغ الأهمية يتمثل في قيادة العملية التعليمية برمتها، وفي تحديد الأهداف والبرامج والمناهج وفي الرد المناسب على المشروع الأمريكي، والعمل على إجهاض أهدافه، والعمل في ذات الوقت على تحقيق الأهداف الوطنية والثقافية للمسلمين عربا وأفارقة.

بين الصحف و المجلات

إعداد

محمود القشني

علا عبد الرحمن

الإساءة للإسلام عبر (الفيس بوك)

تحت عنوان: حتى لا تكون فتنة: قاطعوا اليوتيوب.. والفيس بوك: كتب الأستاذ/ محمد علي إبراهيم في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠٠٨/٤/٢٠ مقالاً جاء فيه:

انتشرت في مصر ظاهرة «الفيس بوك» وقالت الصحف الخاصة: إنها هي حزب المعارضة الجديد.. ثم ذكر الكاتب أن هذا الموقع ينظر إليها بعض الشباب على أنها «موضة» أو «تقليعة» ثم أشار إلى أننا مطالبون بالمواجهة بعقل وحسم وطريقة عملية وليس بخطب إنشائية ومقالات حماسية، ثم تحدث الكاتب عن كيفية لجوء بعض الشباب المسلم من خلال «الفيس بوك» إلى أن يكون لهم مواقف إيجابية إزاء قضايا رأوا أنها تمثل اعتداء على دينهم وتشويهيهم كمسلمين في العالم كله. فقد سخروا «الفيس بوك» ليحدث أسمى وأنبل وهو التصدي للمواقع التي نشرت وروجت لفيلم «فتنة» الهولندي الذي يمس في العمق مشاعرهم وهو علاقتهم بالرسول «ﷺ» هؤلاء الشباب شاهدوا الفيلم على موقع «فيس بوك» عقب منع عرضه تجاريا في دول أوروبية كثيرة بعد ضغط الدول الإسلامية غير أن أعداء الإسلام – وما أكثرهم – وجدوا في مواقع مثل: «ليف ليك» و«وارتوز شيقا» و«تروف» وموقع «جيرت ويلدرز» وهي مواقع ينبغي ألا يتم الدخول عليها خصوصا الموقع الأخير وهو يحمل اسم مخرج الفيلم والذي يروجه في العالم تحت دعوى حرية الرأي والتعبير.

الهجمة على الإسلام قوية وقوتها في أنها تستخدم الموضة الجديدة أو «الفيس بوك» لأنهم يعرفون أن الشباب يهوى الجديد ولديهم فضول وحب استطلاع فدسوا الفيلم على المواقع التي أشرت إلى البعض منها آنفا.

لا مفر من مقاطعة الفيس بوك نهائياً الآن فقد انتشر أعداء الإسلام على اليوتيوب، والفيس بوك يروجون لما يزعمون أنه فواحش الإسلام ووحشية المسلمين ومجازرهم وأشياء من هذا القبيل

إذا كان ولابد من الدخول على «الفيس بوك» فادخلوا كما دخلت «أسماء حسين» التي أعطتهم درسا في كيفية احترام الأديان السماوية، وأنا لن أتطرق إلى الرد على مزاعم مخرجين معتوهين يسعون لتأليب العالم ضد المسلمين. لكننا في الوقت ذاته نمتلك ما نستطيع أن نحرجهم به دون التطرق إلى نبيهم وعقائدهم ليس لأننا نخاف منهم، ولكن لأن من شروط الإسلام الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله.. تجولت أسماء على مواقع الفيس بوك التي عرضت الفيلم المسيء ووضعت في كل منها تعليقا أو صورا عن ممارسات إسرائيل في الأرض المحتلة وكيف يخاف الأوروبيون من نشرها حتى لا يتهموا بمعاداة السامية، وعن شذوذ القساوسة في أمريكا وعن وعن.. هناك موقع فيس بوك تدافع عن الدين الإسلامي قالت: لا تتصورون نبينا إذا كانت حجتكم قوية وتستطيعون دحضها.. هناك شاب اشتبكوا مع الذين سخروا من نبينا الحبيب وقالوا لهم: إن كنتم تسخرون من الإسلام لأنه لا يعترف بخيرات غريبة فيما تأكلون. فإنكم تشاهدون صورا إباحية لزوجاتكم وشقيقاتكم على الفيس بوك وتقولون أنها حرية شخصية.

لست هنا في مجال الهجوم أو الدفاع عن الفيس بوك واليوتيوب، ولكني أدعو الناس إلى التبصر، فكل موقع «فيس بوك» على الشبكة العنكبوتية أصبح معرضا للاختراق من جانب القراصنة. الموضة الآن نشر الفيلم المسيء للرسول «ﷺ» على كل مواقع المسلمين في العالمين العربي والإسلامي بدعوى حرية الرأي والتعبير.. واعتقد اننا إذا كنا مطالبين بمتابعة الموضة التكنولوجية. فعلى الأقل دعونا لا نساق وراء هجمة ضد الإسلام والدين والرسول متعللة شغفنا بالفيس بوك.

تجاهلوهم

وكتبت الأستاذة ألفت الخشاب في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٨/٤/١٠ عما يجب على المسلمين فعله إزاء الإساءة للنبي ﷺ، ولدين الإسلام.

لقد بدأت مقالها بالإشارة إلى أن التجربة تؤكد عبر سنوات التاريخ أن الحاقدين على الإسلام والمسلمين لن يترفعوا، إذا كانت ردود المسلمين تنحصر في التشنج والعصبية والمظاهرات وحرق الأعلام.. إلخ.. ثم أشارت إلى ما حدث عندما أصدر «سلمان رشدى» كتابه «آيات شيطانية» فقد ارتفع صوت هذا الدجال إلى عنان السماء وبيعت طبعات متعددة من روايته الفاشلة وأصبح من أرباب الملايين وكرمه وزراء ورؤساء الغرب، بل إن ملكة بريطانيا منحته وساما رفيعا، وخصصت الملايين لحراسته واعتبره الغرب ضحية الدفاع عن حرية الرأي والإبداع ولو أهمل هذا الرجل لما حدث ذلك، وهذا ما يحدث الآن وتتكرر المأساة بالرسوم المسيئة للنبي ﷺ وبفيلم أنتجه برلماني هولندي بعد أن وعى الدرس من سلمان رشدى، وأدرك أن ردود أفعال المسلمين المتدفقة ستجعله يربح الملايين ويشهر هذا الفيلم وهو بلا شك لا يستحق المشاهدة أو حتى التعليق ثم أضافت:

ووصل الأمر إلى أن الجهات الرسمية في دول الدانمارك وهولندا أدركت هذه اللعبة، فوجهوا لنا نحن المسلمين النصح بألا نبالغ في ردود أفعالنا حتى لا نعلي من قدر هؤلاء المتاجرين على حساب الدين الإسلامي، فتلك المبالغة تجعلهم يزيدون،

وأن أفضل علاج لهم هو بتجاهلهم، وفي نفس الوقت إلقاء الضوء على ديننا الحنيف بالحوار الهادئ، وباستخدام وسائل الإعلام، خصوصا وكل الوسائل الحديثة والممكنة ومنها الإنترنت.. وبذلك تفشل حيل هؤلاء المتاجرين، ولا يعود لوجودهم أي تأثير، فيمل هؤلاء المرضى ويستوعبه ونتحكم في ردود أفعالنا، فلا الدين الإسلامي سينتقص بمحاولات هؤلاء، ولا النبي الكريم خير البرية وأشرف المرسلين سيتأثر بما يفعله هؤلاء المتاجرين.. إذا كنا حقا نريد الدفاع عن الإسلام وعن النبي ﷺ، فعلينا أن نبدأ أولا باتباع منهجه واتباع سنته، وليس في الملبس وإطلاق اللحى فقط وإنما في العمل والعلم وتحقيق الوفرة والقضاء على الفقر والأمية وتحقيق التقدم، فهذه هي اللغة التي يفهمها ويحترمها الآخرون.. وبهذه اللغة يتحقق قوله تعالى

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

المؤامرة والمواجهة!

ولكن الأستاذ الدكتور محمد المسير كان له رأي آخر أورده أيضاً في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٨/٤/٢٤ قال فيه:

إن الإساءات الدانماركية والهولندية للإسلام والمسلمين، ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، لأنها تنطلق في ظل مؤامرة تتواطؤ عليها السلطة السياسية والدينية في أوروبا ولعلنا نذكر أن غزو العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية كان باسم الحملة الصليبية الجديدة. وأن وزير داخلية ألمانيا أمر جميع الصحف الألمانية بإعادة نشر الرسوم المسيئة، وأن بابا الفاتيكان يجعل قضية تنصير المسلمين مسألة حياة أو موت بالنسبة له. وعندما يستقبل هذا المسئول النصراني رجلا عربياً يدعي علاماً خرج من مصر وعاش في إيطاليا وتخلي عن دينه ويقوم بتعميده وكأن هذا العلام رئيس دولة إسلامية أو صاحب منصب ديني إسلامي كبير.. ألا يدل ذلك التمثيل الإعلامي على حقد دفين وغل أسود وعداوة مستحكمة؟!

إن بعض من تعشى إسلامياً يصفون المؤامرة ويتهمون العلماء بأنهم يعيشون في وهم، وتلك خطيئة فكرية فما لم ندرك حجم المؤامرة التي تحاك ضدنا لن نحسن التعامل معها والمقاومة لها.

إنني أتصور المواجهة مع هذه البذاءات على مستويات ثلاثة.

● المستوى الأول: هو المقاطعة الاقتصادية الكاملة لهذه الدول وهنا واجب الحكومات ورجال الأعمال، ومن المعلوم أن أوروبا لا يمكن أن تتحمل هذه المقاطعة الاقتصادية لأنها لا تملك المواد الخام ولا تملك الأسواق التجارية لمصنوعاتها. وستضطر إلى إلقائها في البحر.

● المستوى الثاني: هو موقف منوط بمنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية، وذلك بسحب السفراء من هذه الدول حتى تستشعر جريمة ما فعلت وبشاعة ما ارتكبت.

● المستوى الثالث: وهو واجب العلماء في الخروج من قفص الاتهام وموقف الدفاع إلى فضح هؤلاء في دينهم وأخلاقهم وسياساتهم وتاريخهم وعداوتهم للبشرية فمن كان بيته من الزجاج فلا يرمي غيره بالحجر.

فيجب على العلماء أن يصبوا على هؤلاء المجرمين حجارة من سجيل تمزقهم إرباً وتكشف فضائحهم.. ولنتذكر قول الله تعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

(البقرة: ٢١٧)

بدء حملة مقاطعة البضائع الهولندية

في العالم الاسلامي

وترصد جريدة الأسبوع في عددها الصادر في ٢٠٠٨/٤/١٢ رد فعل العالم الإسلامي تجاه فيلم «الفتنة» المسيء للإسلام حيث كتبت جيهان حسين تقول:

بدأت حملة المقاطعة الشعبية للبضائع الهولندية رداً على قيام النائب الهولندي المتطرف «جيرت فيلدرز» بنشر فيلم يسيء للقرآن الكريم على شبكة الإنترنت بعنوان «الفتنة».

وكان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قد دعا إلى مقاطعة البضائع الهولندية لتوجيه رسالة شديدة اللهجة للمجتمعات الغربية عموما ـ وهولندا خصوصا ـ بضرورة احترام المقدسات الإسلامية وعدم الإساءة للرسول الكريم (ﷺ).

من جانبه دعا الدكتور محمد سليم العوا الأمين العام للاتحاد كافة مسلمي العالم إلى مقاطعة هذه البضائع بدءا من ١٠ أبريل وحتى يوم ٢٥ من نفس الشهر لأن من حق المسلمين أن يغضبوا بطريقة متحضرة عن طريق وضع لافتات على المحلات «لا يوجد لدينا بضائع هولندية».. مؤكدا أن الأرزاق بيد الله، وأن الدفاع عن القرآن والنبي الكريم يجلب الرزق أضعافا مضاعفة.. مشيرا إلى أن ما يحدث من جانب هولندا أو بعض الدول الأوروبية ليس مجرد حوادث فردية بدليل أن التقرير الذي أعدته منظمة المؤتمر الاسلامي في قمة داكار الأخيرة والذي رصد حوادث الإساءة للإسلام خلال عام واحد، تضمن أكثر من ٨٤٠ صفحة

وأشار العوا إلى أن المواطن الهولندي ليس هو المستهدف من المقاطعة ولكن الهدف هو توصيل رسالة للحكومة مفادها أن مصالح الدولة يمكن أن تتضرر مادام الإسلام لا يحترم في هذه الدولة.

ومن المقرر أن تستمر حملة المقاطعة إذا تكررت هذه الإساءات للإسلام

وأعرب العديد من المصريين عن مشاركتهم في دعم المبادرة لمقاطعة السلع الهولندية والدعوة لتفعيل المقاطعة عن طريق رسائل المحمول SMS والبريد الإلكتروني. ولم تقتصر دعوة المصريين على المسلمين فقط بل وأعرب العديد من المسيحيين عن دعمهم لهذه المقاطعة لأن الإساءة للإسلام هي إساءة لكل الأديان السماوية.

وجدير بالذكر أن وزير خارجية هولندا أعلن أن الفيلم الذي أنتجه نائب البرلمان لا يمثل سياسة الحكومة الهولندية وإن كانت بعض الشركات الهولندية قد هددت بملاحقة النائب فيلدرز إذا أدى فيلمه المعادي للإسلام إلى مقاطعة تجارية منتجات هذه الشركات. وقال رئيس المنظمة الهولندية لأرباب العمل برنارد فينتيس: لا أعرف إذا كان فيلدرز غبيا أو يمتلك تأمينا جيدا لكن إذا تعرضنا لمقاطعة

فسوف نرى إذا كنا نستطيع تحميله ذلك لأن المقاطعة يمكن أن تضر بالصادرات الهولندية وشركات عالمية كبرى مثل «شل» و«فيليبس» إلى جانب الزهور الهولندية التى تمثل مصدرا هاما للاقتصاد الهولندى.

وعلى جانب آخر.. طالبت منظمة «مستهلكين مسلمين» فى ماليزيا بإطلاق حملة لمقاطعة البضائع الهولندية وقال مسئول بالمنظمة: «إن هذه المقاطعة تأتى احتجاجا على فيلم «الفتنة» المسىء للإسلام».

المسلمون والمقدسات الإسلامية العدو الأول لإسرائيل

وتحت عنوان «إسرائيل.. ومحاولات تهويد الخليل» كتب عربى أصيل فى جريدة المساء الصادرة فى ٢٠٠٨/٤/٢١م يقول:

يكشف التقرير الذى خرج من مدينة الخليل المحتلة بالضفة الغربية عن عمليات التهويد المستمرة لتلك المدينة، أنها تواجه مأساة لا تقل خطورة عما يواجهه مدينة القدس المحتلة على أيدى قوات الاحتلال الاسرائيلى ومستوطنيها.. وهذه المعلومات ليست جديدة على الاطلاق. لكن يصبح من المناسب تكرارها للتأكيد على صمود الشعب الفلسطينى فى دفاعه عن تلك المدينة المقدسة مهما لاقى من إرهاب.. فقد سعت قوات الاحتلال إلى إقامة حى يهودى فيها.. وفى سبيل تحقيق ذلك الهدف عملت على تفريغ الحى القديم بالمدينة من سكانه المسلمين حتى وصل عددهم حاليا إلى ٤٠٠ فقط بعد أن كان يتجاوز عشرة آلاف عند الاحتلال.

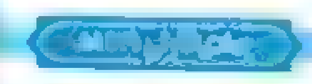
وتحدث عددا من الاجراءات لتقسيم الحرم بين المسلمين واليهود. واستغلت مذبحة الحرم الابراهيمى عام ١٩٩٤ لتوسيع نسبة اليهود إلى أربعين فى المائة. ولا يستطيع أى مسلم دخول الحرم إلا بعد المرور بعشرات الحواجز منها ٣ فى المسجد نفسه. وفى أوقات صلاة الجمعة تتعمد سلطات الاحتلال الإتيان بفرقة موسيقية يهودية تعزف موسيقى صاخبة. وبات ٤٠٠ يهودى يسيطرون على الحى القديم فى حراسة ثلاثة آلاف جندى يهودى، وهذا ليس سوى قدر يسير من جبال المعاناة التى يتحملها الفلسطينيون ولابد من دعمهم.

فيتو أمريكا

وفى صندوق الدنيا بجريدة الأهرام بعددها الصادر فى ٢٠٠٨/٤/٢٢ قال الأستاذ أحمد بهجت

هذه حضارة رعاة البقر.. وهى حضارة تتلخص فى أى مغربقين أسرع فى إخراج مسدسه.. كم من الأفلام شاهدنا حتى حفظنا من يبطىء فى إخراج مسدسه، ومن يسرع بإطلاقه.. الطلقة الأولى لك والثانية عليك.

منذ زمن دخلت إسرائيل لبنان وقال العالم نريد توقيع عقوبة عليها، وقالت أمريكا فيتو.. ما معنى فيتو؟.. معناه أنهم أسرع فى إخراج المسدس وإطلاقه.. لا تقل ضعفا.. أبدا لا يضيع إلا من يضيع نفسه.. المسألة محسومة إذن ومحسوبة.. ولكنها ليست باعثة على اليأس.. نحن وأمريكا نتقاتل.. بيننا مصالح.. نحن سوق لهم.. مشترون كبار.. فلنجرب أن نقاطع البضائع الأمريكية.. لا داعى لتدخل الحكومات



أو حتى معرفتها.. مثل الأمر سيبا لتدخل البضائع الأمريكية، والسيارات الأمريكية، والثقافة الأمريكية. أهلا وسهلا نحن أمة كريمة وشعب مضياف.. سنتفرج على بضاعتهم ونبدى إعجابنا بها.. ولكن لن نشتريها.. سنتصرف كسائحين معجب دون أن نشترى.. سنتفرج ونقول: اللى ما يشترى يتفرج.. هل هى فرجة ممنوعة؟!

لو نجحنا فى هذا الموقف لانحاشت الفيتو فى زور أمريكا قبل أن تقولها.

ولكننا للأسف همل.. كثرة كغثاء السيل.. لم يتأخر الوقت.. نستطيع أن نبدأ من اليوم فلنقاطع السجائر الأمريكية، والسيارات الأمريكية، والثلاجات الأمريكية، والثقافة الأمريكية، والثوب الأمريكية، واللسان الأمريكى.

سنتفرج ولكننا لن نشترى.. سيقولون نحن فقراء.. ولكننا نستطيع أن نقول فيتو.

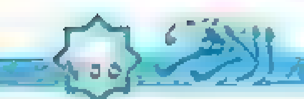
كشف المستور فى أفغانستان!

وفى مجلة آخر ساعة بعددها الصادر فى ٢٠٠٨/٤/١٦ كان هذا التقرير الذى جاء فيه:

فى جولة للصحفية الأمريكية الشهيرة (اليزابيث روبين) والتى تعمل فى مجلة «النيويورك تايمز الأمريكية» إلى أفغانستان لقضاء عدة أشهر مع القوات الأمريكية وقفت مذهولة أمام المشاهد التى رصدتها على أرض الواقع عن حال جيش قوات حلف شمال الأطلنطى بعد سبع سنوات من حرب بلا نهاية

وعندما عادت اليزابيث تحدثت عن هزائم الجيش الأمريكى هزيمة تلو الأخرى وتعجبت فى الوقت ذاته عن الروايات الكاذبة التى تصدر عن البيت الأبيض التى تتحدث عن النصر بينما الواقع على الأرض تؤكد أن الجنود يسيرون من نكبة لعثرة ومن نكسة يعقبها انكسار ويقاتلون عدوا مجهولا.

اليزابيث مكثت أسابيع طويلة فى قلب «كونار» أكثر الأقاليم الأفغانية وعورة وخطورة جغرافيا وحربيا لتضاريسه بالغة القسوة وللمعارك الشرسة الدائرة به منذ أكثر من عام نظرا لاعتقاد سائد بأن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن مختبىء فى مكان ما بالإقليم وهى تؤكد أن كل ما شاهدته وعايشته فى أفغانستان يذكرها بكل ما قرأته وسمعته عن حرب فيتنام من حكايات اختلطت فيها الدم والدموع برائحة البارود، فالجنود الأمريكيون فى حالة نفسية ولا أسوأ وذلك لعدة أسباب منها أن مقاتلى طالبان يتعمدون تبادل أحاديث بالإنجليزية من خلال أجهزة لاسلكى يسهل التقاط موجاتها وفى تلك الاحاديث يصفون الجنود الأمريكان بـ«القرود» و«الزناة» و«الشواذ جنسيا».. كلمات نجحت بالفعل فى تحطيم معنويات المارينز لأقصى درجة، الصحفية الأمريكية أشارت كذلك إلى أن الجنود لا يرون نهاية للنفق المظلم الذى هم فيه منذ أن وطئت أقدامهم الأراضى الأفغانية لاسيما أن الإدارة الأمريكية تجبرهم بشكل أو بآخر على تمديد فترة خدمتهم المقررة فى العقود التى وقعها هؤلاء الجنود الذين أصبحوا بالفعل على شفا حفرة من الجنون.



طرائف .. ومواقف

الشكر على المعروف

● قال رسول الله ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»(١).

● وقال بعض الأدباء: من لم يشكر نعمه، استحق قطع النعمة.

● وقال غيره: من كفر نعمة المفيد، استوجب حرمان المزيد.

● وقال آخر: من أنكر الصنيعة، استوجب قبح القطيعة

● وأنشد بعض الشعراء:

من جاوز النعمة بالشكر لم
يخش على النعمة سلبا لها
لو شكروا النعمة زادتهم
مقالة الله التي قالها
لئن شكرتم لأزيدنكم
لكنما كفرهم غالها
والكفر بالنعمة يدعو إلى
زوالها والشكر أبقى بها

الثبات في حالتي الزمان

قال عبدالعزيز بن زرارة الكلابي
لقد عجمت منه الليالي لأنه
صبور على عضلاء تلك البلابل
إذا نال لم يفرح وليس لنكبة
ألمت به بالخاشع المتضائل

وكتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام يسأله عن حاله فكتب إليه علي رضي الله عنه.

فإن تسألني كيف أنت فإنني
جليد على عض الزمان صليب
عزيز علي أن ترى بي كآبة
فيفرح واش أو يساء حبيب

● وقال حكيم: من عز بإقبال الدهر ذل بأدباره وقال غيره: من أبطره الغنى أذله الفقر.

---

(١) سنن أبي داود

● وقال عارف بأسرار النفوس: من ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها، ومن ولي ولاية يرى ولايته أكبر من نفسه تغير لها

● وقال يحيى بن خالد: الشريف إذا تقوى تواضع، والوضيع إذا تقوى تكبر.

● وقال كسرى أنو شروان: احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع

ما قيل في التعمير

دخل الشعبي على عبدالملك بن مروان فوجده مهتما فقال له: ما بال أمير المؤمنين؟ قال: ذكرت قول زهير

كأني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى وليس برامي

قال له الشعبي: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ السبعين

كأني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عن منكبي ردائيا

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال:

باتت تشكى إلى النفس موهنة
وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فإن تزادي ثلاثا تبلغي أملا
وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال

أليس ورائي إن تراخت منيتي
لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي خلت
أنوء كأني كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذي تعلمانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه
أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى سنة ثم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

الأدب حلية العاقل

روى الأصمعي أن أعرابيا قال لابنه: يا بني: الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب.

وقال حكيم: الأدب صورة العقل. فصور عقلك كيف شئت.

وقال آخر: العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب كالشجر المثمر.

وقال غيره: الفضل بالعقل والأدب. لا بالأصل والحسب. لأن من ساء أدبه، ضاع نسبه، ومن قل عقله، ضل أصله.

وقال بليغ: الأدب يستر قبيح النسب.

تقبيل اليد وغيرها في الإسلام

روى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن عبدالله بن عمر قال: كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن حديث وكيع عن سفيان قال: قال: قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب.

ومن حديث الشعبي قال: لقي النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل ما بين عينيه.

وقال إياس بن دغفل: رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسن.

وروى الشيباني عن أبي الحسن عن مصعب قال: رأيت رجلا دخل على علي بن الحسين في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه.

وقال العتبي: دخل رجل على عبدالملك بن مروان فقبل يده وقال: يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقبيل لعلوها في المكارم وطهرها من المآثم، وإنك تقل التثريب، وتصفح عن الذنوب. فمن أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك، وطريد خوفك.

ودخل جعفر بن يحيى في زى العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكمة ومعه ثمامة بن أشرس. فقال ثمامة: هذا أبو الفضل. فنهض إليه سليمان فقبل يده، وقال له: بأبي أنت ما دعاك إلى أن تحمل عبدك هذه المنة التي لا أقوم بشكرها ولا أقدر أن أكافئ عليها؟

صفة من كملت مروءته

دخل عبدالملك بن مروان على معاوية وعنده عمرو بن العاص، فسلم ثم جلس، فلم يلبث أن قام. قال معاوية لعمرو: ما أكمل مروءة هذا الفتى!

قال عمرو بن العاص: إنه أخذ بأخلاق أربعة، وترك أخلاقا أربعة: أخذ بأحسن البشر إذا لقي، وبأحسن حديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤنة إذا خولف.

وترك مزاح من لا يثق بعقله، وترك مجالسة من لا يرجع إلى دينه، وترك مخالطة لئام الناس، وترك من الكلام كل ما يعتذر منه.

وقال هشام بن عبدالملك لخالد بن صفوان: بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ؟

قال خالد: إن شئت يا أمير المؤمنين أخبرتك بخلة واحدة، وإن شئت بخلتين وإن شئت بثلاث.

قال الخليفة: فما الخلة؟ قال خالد: كان أقوى الناس على نفسه.. قال هشام: وما الخلتان؟ قال خالد: كان موقى الشر، ملقى الخير. قال: فما الثلاث؟ قال خالد: كان لا يحسد ولا يبخل ولا يبغى.

أصبح الذنب قضما

قرأ الأستاذ الكبير الدكتور أحمد شفيع السيد الأستاذ بكلية اللغة العربية رسالة دكتوراة كي يناقشها فكتب في الصفحة الأولى قائلا:

صح لـ أيك قصما وقترما للمراجع

فإذا رمت جميعا غـ ـد لدار سلاقي

دعاء

اللهم اعصمني من شر الفتن، وعافني من جميع المحن، وأصلح مني ما ظهر وما بطن.

دلالات الألفاظ بين جد الأصوليين وعبث الهازلين

"لا يختلف اثنان على أن الألفاظ وعاء المعاني، وأنها أداة لحمل المعنى الذى يريد المتكلم أن يوصله إلى السامع، فإذا انثقب الوعاء تسربت المعاني منه ولم يعد للحوار معنى، وصعب على كل من المتحدث والسامع الفهم أو التفاهم لأن الألفاظ فقدت دلالتها.

كما أنه لا خلاف بين العلماء، حيث إن لكل علم من العلوم مصطلحاته الخاصة به. فللنحويين اصطلاحات، وللبلاغيين اصطلاحات، وللفقهاء اصطلاحات، وكذلك للأصوليين اصطلاحات. وكل أهل علم مسلمون للآخرين باصطلاحاتهم حتى وإن اختلفت عن اصطلاحاتهم. ولذلك استقرت بين جميع العلماء عبارة جيدة حسمت عبث العابثين وهزل الهازلين. وهى قولهم: (لا مشاحة في الاصطلاح) بمعنى أنه لا ينبغى، أو لا يجوز، ولا يليق بأن يمارى العلماء ويرفضوا مصطلحات غيرهم من العلماء."

وتأسيساً على ما سبق نود أن نلج معاً إلى رحاب الأصوليين لنقف على مصطلحاتهم حتى نفهم منهم، وحتى تتبين وقع خطانا ونأمن من العثرات، ولا نخط خبط عشواء في فهم النصوص فنضل ونحرى.

وأكثر الضلال المتعمدون والمخطئون يتنكبون مصطلحات القوم، إما عن عمد مقصود وخبث مدبر، وإما عن غياب المعرفة بالصواب، وكلا الفريقين خطره شديد-ليس على علم الأصول- ولكن على مسيرة أمة، وعبث بالشريعة والتشريع.

فكثيراً ما نسمع على لسان من يريدون أن يعبثوا أو يحرفوا عبارة تقول: «إن عمر- هكذا- عطل حد السرقة»، فما الذى تريدون تعطيله أنتم؟

وبسبب اهتمام علماء الأصول بالألفاظ ودلالاتها، أن أفكارهم طموحة جموحة رحبة. ولذلك كان لابد أن تنضبط الألفاظ؛ لأنه كما يقول العارفون: (كلما اتسعت

الرؤيا خافت العبارة)، وحتى لا يعبث عابث، أو يتجرأ متجرئ معاصر. فلا داعي للبس خطير نتيجة اختلاف المصطلحات و المفردات ولذلك نرى الأصوليين قسموا الألفاظ باعتبار دلالتها على معانيها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: باعتبار وضع الألفاظ لمعانيها.

يقول أبوحامد الغزالي [1] بعد أن انتهى من مقدمة كتابه: ولنشتغل بالمقاصد [2] وهي كيفية اقتباس الأحكام من الصيغ والألفاظ المنطوق بها. وهي أربعة: الأول (المجمل والمبين)، والقسم الثاني في (الظاهر والمؤول) ثم قال بعد أن تكلم في بيان المجمل والمبين: اعلم أنا بينا أن اللفظ الدال الذي ليس بمجمل إما أن يكون نصا، وإما أن يكون ظاهراً، والنص هو الذي لا يحتمل التأويل، والظاهر هو الذي يحتمل التأويل. فهذا القدر عرفته على الجملة وبقي عليك الآن أن تعرف الخلاف في إطلاق لفظ النص، وأن تعرف حده وحد الظاهر وشرط التأويل المقبول. ثم استطرد في حوارات شيقة مهذبة عنيفة - وهي مع كل هذا متعة عقلية؛ بعيدة عن الاعتساف، والنزق، والهوى، والعرض- يستعرض فيها قول رسول الله ﷺ لغيلان - رضي الله عنه - حين أسلم على عشر نسوة: «أمسك عليك أربعاً وفارق سائرهن» [3] وقوله ﷺ لفيروز الديلمي حين أسلم على أختين: «أمسك إحداهن وفارق الأخرى» [4] ويستعرض [illegible] رفيع مستوى في اللفظ، والمعنى بين وجهتي نظر الإمامين أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما. و[illegible] أن تسمح لي بأن نسلك سويا أنت وأنا إلى ساحة الحوار العقلي [illegible] بلا عنف أو شطط ولا لي للنصوص جريا وراء مطمع دنيوى ردىء، [illegible] ولنسأل [illegible] المقصود والمراد من قوله ﷺ: «أمسك أربعا وفارق سائرهن»، وقوله: «أمسك إحداهن وفارق الأخرى»، هل يدل على دوام النكاح السابق؟ أم ابتداء نكاح جديد؟ وبمعنى آخر: هل يفهم من هذا القول إنشاء عقد جديد لأربع، ولو حدث من الأجنبيات؟ أم يفهم بقاء النكاح الأول؟ وما حجة كل قول؟ بالرأي الأول قال الإمام أبوحنيفة - رضي الله عنه - وبالرأي الثاني قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وكل أقام حجته وبين دليله من وضع اللغة والفهم المستقيم لمعاني الكلمات ومدلول الألفاظ، وأبوحامد الغزالي يبحر بنا في

(1) [illegible] المستصفى، لأبي حامد الغزالي ج1 ص384 وما بعدها
(2) يعني الغايات والأهداف من هذا الشرح والترجيح
(3) السنن الكبرى للبيهقي ج٧، ص١٨١، صحيح ابن حبان ج٩/١٨٢، رقم ٤١٥٦، ٤١٤٥
(4) [illegible]



حوار دافئ جيد رصين بين حجة الإمام أبي حنيفة، وكلمة «أمسك» على رأيه يؤيدها (الاستصحاب) و[illegible] (القياس)، ثم نهض إلى رأي الإمام الشافعي - شيخه وإمام مذهبه - وقال: إلا أن جملة من القرائن عضدت (الظاهر) - وهو رأي الإمام الشافعي - جعلته أقوى في النفس من التأويل، وانبرى فارسا دربا يصول ويسوق الأدلة في سلاسة ووضوح. لا أحب أن أثقلك بها. وكذلك ساق مسألة أخرى في الواجب إخراجه من زكاة الغنم. وهل يجوز إخراج القيمة؟ أم أنه لابد من إخراج الزكاة من نفس الواجب فيه الزكاة؟ كل هذا الحوار يدور حول لفظ قوله ﷺ: «في كل أربعين شاة شاة» [5] بمعنى أن الواجب على من ملك أربعين شاة أن يخرج شاة، فهل اللفظ يفيد أن الواجب لا يتم إلا بإخراج شاة واحدة من الشياة أم أنه يتم ويسقط بإخراج قيمة الشاة؟ كل هذا الحوار في مدلول اللفظ، وكيف استخرج صاحب الرأي قوله؟ وما هو مستنده؟

وأحب أن أسوق لك مثالاً آخر أبغي أن أسترسل معه في أدلته؛ لأنه إلى جانب أدلته الحوارية، فيه جانب وعي [illegible] مشرق، حتى تعلم قيمة التراث الذي بين يدينا؛ لأن قوما من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا يريدون أن يهيلوا التراب على التراث.

يقول أبوحامد الغزالي [6] قال قوم في قوله تعالى:

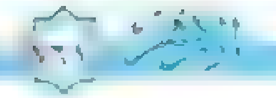
﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾

(المجادلة: ٤)

نص في وجوب رعاية العدد ومنع الصرف إلى مسكين واحد في ستين يوما وقطعوا ببطلان تأويله. وهو عندنا - يقصد الشافعية ومن قال برأيهم - من جنس ما تقدم. فإنه [illegible] بمقصود الاحتمال. وكون الآية نصا بالوضع الثاني فهو غير مرضي، فإنه يجوز أن يكون ذكر المساكين لبيان مقدار الواجب. [illegible] يكفي ستين مسكيناً، وليس هذا ممتنعا في توسع لسان العرب، نعم دليله تجريد النظر إلى سد الخلة. يعني أن المقصود ليس الرقم (٦٠)، وإنما المقصود: إطعام جوعان ستين مرة، أو إطعام ستين مسكينا- كل واحد مرة واحدة. والشافعي يقول: لا يستبعد أن يقصد الشرع ذلك لإحياء ستين مهجة تبركا بدعائهم، وتحصنا عن حلول العذاب بهم، ولا يخلو جمع من المسلمين عن ولي من الأولياء يغتنم دعوته. ولا دليل على بطلان هذا المقصود. فتصير الآية نصا بالوضع الأول والثالث، يعني تكون الآية على هذا دليلا لا يحتمل التأويل على الوضع الأول والثالث لا بالوضع الثاني.

أحسست بضيق صاحبي وكان الملل بدأ يتسرب إليه من عدم التعرف على

(5) المصنف لابن أبي شيبة ج٣/١٢١
(6) المصدر السابق



مصطلحات القوم، ومن أسلوب أبي حامد وخصوصيته. فأردت أن أخفف عنه من وعثاء الكلمات والمصطلحات. فقلت له: لا عليك - عافاك الله- فإني كفيل أن أخفف من عنائك وأقدم لك الموضوع كله سهلاً ميسوراً محبباً فأقول: إن الأصوليين قسموا مصطلحاتهم اللغوية بثلاثة اعتبارات. ويمكنك أن تقول إنهم نظروا إلى الألفاظ من ثلاث زوايا، الزاوية الأولى: من جهة الوضع اللغوي لمعنى اللفظ ومدلوله، وتنقسم الألفاظ بهذا الاعتبار إلى ١- خاص ٢- عام ٣- مشترك. والخاص هو ما وضع لمعنى واحد محدد، سواء كان شخصاً حقيقياً (مثل محمد وعلي)، أو كان معنى من المعاني مثل علم ورأي، وسواء كانت الوحدة حقيقية كالأمثلة السابقة أم كانت اعتبارية كأن يكون اللفظ موضوعاً لمجموع وكثرة محصورة مثل (قوم ورهط). واللفظ الخاص أنواع: إما مطلق وإما مقيد، والمطلق هو: ما دل على معناه ولم يقترن بقيد يقلل أو يحد من إطلاقه وشيوعه مثل (بقرة) في قوله تعالى لبني إسرائيل

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾

فلو أنهم استجابوا لأمر الله تعالى وذبحوا أي بقرة لأجزأتهم، لكن كما قال سيدنا عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - شددوا فشدد الله عليهم؛ حيث قالوا: (ما لونها) فشدد الله تعالى وذكر قيداً ووصفاً للبقرة، فقيدها بلون معين، فلابد من ذبح بقرة صفراء، فلما شددوا ثانية وقالوا (ما هي)، شدد الله عليهم ثانية بقيد آخر فقال تعالى:

﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾

(البقرة: ٦٧- ٧١)

فتعين بذلك بقرة محددة، ومثال اللفظ الخاص المطلق أيضاً أن تقول: (كتاب وطالب)، ثم تقيد (الكتاب) بأنه كتاب شريعة. وتقيد (الطالب) بأنه طالب علم أو طالب هندسة مثلاً. ومثال الخاص المقيد من كتاب الله تعالى قوله في دية القتل الخطأ:

﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾

(النساء: ٩٢)

فلا يجوز تحرير رقبة كافرة.

وعلى هذا فإن ورد اللفظ مطلقاً بدون قيد فيبقى على إطلاقه وإن ورد مقيداً يبقى بقيده الذي ورد به.

ولك أن تسأل: ما هو العمل إذا ورد اللفظ مرة مطلقاً، ونفس اللفظ ورد في نص آخر مقيداً؟

أقول: تلك حالة يلزم بيانها، لكن لها وقت آخر، واكتفي اليوم بأن أذكر لك

(٧) أصول الفقه للشيخ محمد أبو النور زهير، عبدالحميد مطلوب وزكريا البري

التقسيمين الأخريين للألفاظ إجمالاً. وأترك التفصيل إلى مقال آخر - إن شاء الله تعالى- فأقول: التقسيم الثاني للألفاظ باعتبار وضوح المعنى وخفائه، ذلك أن ثمة ألفاظاً واضحة الدلالة على معناها، وألفاظاً أخرى غير واضحة الدلالة على معناها، بمعنى: أن صيغته لا تدل على معناه مجردة، بل تحتاج إلى أمر آخر يوضح المعنى، كما أن درجة الوضوح تختلف وتتفاوت. فبعض الألفاظ أوضح من بعض؛ لذلك قسم الأصوليون الألفاظ باعتبار درجة الوضوح إلى أربع مراتب: الأولى شديدة الوضوح أطلقوا عليها اسم (الظاهر) والثانية أقل منها وضوحاً سموها (نصاً)، والثالثة أقل منها سموها (مفسراً)، والرابعة أقلها وسموها (محكماً). وقد يتبادر إلى ذهنك سؤال ومفاده: كيف يكون محكماً مع أنه أقل درجات الوضوح؟ أقول لك: مهلاً وإياك والتسرع. لقد اتفقنا في أول الحديث على أن لكل علم مصطلحاته، وأنه تبعاً لذلك (لا مشاحة في الاصطلاح) بعد هذا يمكنني أن أقول لك: يبقى لنا أو معنا تقسيم ثالث - وهو لا يقل أهمية عن سابقيه- وهو كيفية دلالة اللفظ على معناه المراد. قال صاحبي في عجلة تنم عن تبرم وضجر متسائلاً: ألم ننته من دلالة اللفظ على معناه واضحاً أم غير واضح. وقسمت دلالته (ظاهر، ونص، ومفسر، ومحكم)؟ قلت: بلى. قال مواصلاً استنكاره. إذاً ما معنى هذا التقسيم الثالث وماجدواه؟ قلت: رعاك الله يا صاحبي، التقسيم السابق باعتبار وضوح المعنى وخفائه. أما هذا التقسيم وهو كيفية دلالته على معناه، بمعنى: هل دلت عبارة النص على معناه؟ أم أن يؤخذ من إشارة النص؟ أم يؤخذ من فحوى اللفظ؟ أم يؤخذ من مقتضى اللفظ؟ (أي لازم الكلام بمقتضى المعنى المأخوذ من اللفظ، مع أن الكلام لم يرد فيه المعنى الذي حكمنا به).

قال صاحبي وقد ازداد ضيقه وتبرمه: كيف ذلك؟ كيف نستخرج حكماً من نص لم يرد فيه هذا الحكم؟

قلت: سوف أستميح القراء عذراً أن أوضح لك ذلك بمثال، مع أني وعدت القراء أن الموضوع كله سوف نحيله إلى مقالات لاحقة، لكن حتى ترضى يا صاحبي وتطمئن إلى أن المسألة ليست ألغازاً ولا أحاجي إنما هي علم معقول منقول، أعني فهماً منقولاً من نصوص ثابتة، تأمل معي قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾

(البقرة: ٢٨٢)

هذا هو النص، واستخرج الفقهاء منه حكماً لم يرد في النص، إنما اقتضاه العمل بالنص، وهو أنهم أخذوا من هذا النص أن الكتابة دليل في إثبات الدين، مع أن هذا لم يرد في النص صراحة.

وإلى لقاء قادم إن شاء الله تعالى.

(٨) راجع محمد أبو النور زهير، زكريا البري، عبدالمجيد مطلوب

الدعوة بين الدفاع.. والاندفاع

يقول الحق – سبحانه وتعالى –:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[فصلت: ٣٣- ٣٥]

تمهيد

على كثرة ما يتجاذب الناس من أطراف الأحاديث.. تظل كلمة الدعوة واسطة العقد وطوق النجاة.. وبطل صاحبها حادى الركب.. والرائد الذى لا يكذب أهله.. بما يقدم للناس من هدى.. وما يمنع عنهم من

أذى.. يقول – سبحانه –:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[النساء: ١١٤]

تنفى الآية الكريمة أن يكون فى أحاديث الناس من خير.. إلا أن يكون أمرا بصدقة تمد مرافق الأمة.. أو بمعروف تصلح به النفوس.. أو إصلاح.. يتوحد به الصف.

ويظل ذلك النشاط كله حبراً على ورق حتى يكون حسبة لله – تعالى –.. وعندئذ فجزاؤه أجر بلا حدود ويكفيه نفاسة أن شهد بعظمة العظيم – سبحانه وتعالى.

وظيفة الداعية

ولا يستحق الداعية هذا الجزاء الأوفى من فراغ.. وإنما هى طبيعة وظيفته التى تفرض عليه أن يكون: صالحا.. مصلحا.. ويعنى صلاحه كما بينت الآية الكريمة الأولى:

(أ) أن يكون فى دعوته محكوما بالهدف الأسمى: ﴿ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾.

(ب) وأن يكون عاملا وفق الشريعة لا كما شاء له هواه: ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾.

(جـ) أن يكون انتسابه إلى قافلة الدعوة شرفا يعتز به.. على ما يقول الألوسى:

﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

أى تلفظ بذلك ابتهاجا بأنه منهم وتفاخرا به مع قصد الثواب.. لا مع مباهاة لا ينافيه).

فإن كان على هذا المستوى.. فهو قائد الركب.. بلا منازع.. ولا أحد أحسن منه.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾

من الصلاح إلى الإصلاح

فإذا خطا الداعية خطوته الثانية ليصلح ما أفسد الناس.. فقد وضع صلاحه موضع التنفيذ وليستعد لتحمل تبعات وظيفته:

إنه – منذ الخطوة الأولى يثير عليه أصحاب الهوى.. حين يسفه أحلامهم.. ويحقر دنياهم التى بها يفتتنون.. إنه صادق.. يكشف عن زيف الكاذبين.. أمين.. يتصدى للخائنين.. مصلح اجتماعى.. يقطع الطريق على المفسدين.. يرى مجتمع كما يقول إقبال:

«الصفوف معوجة منشقة.. والقلوب خاوية حائرة.. والسجدة جامدة.. جامدة لا حرارة فيها ولا شوق؛ فقد انطفأت شعلة القلب وخمدت جمرة الفؤاد. يسمع الخطب والمواعظ.. فكيف حوى الخطيب لا توقظ ركب حياة النوم السكران».

ومن ثم.. يحرص منذ اللحظة الأولى حرب الساحة.. ويبين حسبه قلب شاعر حساس من ذلك النوع الذى قال عنه العربى.. وقد سئل

لم كانت المراثى أجمل أشعاركم؟ فقال لأننا نقولها وقلوبنا تحترق

الداعية فى موقف الدفاع

ومن أجل صعوبة المهمة هكذا.. كان الداعية مستهدفا بالأذى والسخرية من قبل أصحاب الشهوات.. فماذا يفعل؟ عليه أن يأخذ موقف الدفاع.. لا موقف الهجوم، إن الملاح لا يدرب فى الأمواج الهادئة.. وإنما وسط العواصف.. والأمواج المتلاطمة وعليه أن يتحمل مسئوليته بنجاح.

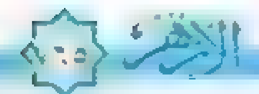
وقفة تأمل

فى سورة الحشر يقول – سبحانه وتعالى –:

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

(الحشر: ٢٠)

فالآية تنفى استواء المؤمنين والكافرين..



فيصبحون وحدهم هم المغلوبون.. ولقد حدث أو وقعت عفة وليس معها إلا..

ما حدث في أنه فعلت.. فقد قرنت أو ولا عكس.

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾

ونحن نحاول أن نقول

إن تكرار "لا" يشير إلى أنه لا إضافة إلى نفي سواء السيئة والحسنة إلا أن كلا منهما مستويات بعضها فوق بعض

فالحسنة في ذاتها درجات

والسيئة في ذاتها دركات.

وإذن فالداعية مأمور في مواجهة العنف من قبل المدعو ألا يقف عند الوسيلة الحسنة الأصغر والصغيرة.. أو الكبيرة.. وإنما عليه أن يكون على أعلى مستويات الحسن.. فيواجه المدعو بالأحسن.. بالأكبر دائماً.

وربما فرض عليه -مرحليا- أن يتغاضى عن السيئة الأصغر -أو الصغيرة.. ثم يواجه الكبيرة.. والأكبر.. بما يليق به من كمال..

بالتي هي بالذات.. أحسن الوسائل الفعلية ورائها في الحسن وراء

مسوغات الإحسان

١- من دواعي الدفع بالتي هي أحسن ما يتعلق بطبيعة الوظيفة.

٢- وما يتعلق بالمدعو نفسه وما يحيط به من ظروف.

١- أما بالنسبة للداعي.. فهو مرآة أخيه المؤمن

ومعنى كونه "مرآة"؟

معناه.

(أ) أنك تعكس عيوب المدعو.. لتتكشف أمام عينيه.

(ب) ثم إنك تكشفها في صدق.. وبلا تزيد

(جـ) وفي صمت وبلا تجريح.

(د) تقول له بلسان الحال: هذه عيوبك أنت.. أنت الذي اجترحتها.. وأنت سيد مصيرك.

(هـ) ويراها المدعو بعينيه ماثلة بين يديه.. فيصبح لسان الحال أبلغ من لسان المقال.. فيستجيب

ولو رأينا الداعي مكانه متنفساً.. فقد استوى الماء والخشبة.. وصار الواعظ في حاجة إلى واعظ والطبيب في حاجة إلى طبيب، وتحول الأمر إلى معركة حامية تنتفخ فيها أوداجنا.. ونستدعي لها كل قوانا.. في معركة خاسرة.

ويرحم الله ابن عباس.. فقد قال له رجل: يلقاني الرجل الفاسق.. فيخاطبني بخير أفأرد عليه؟

قال: لو خاطبني فرعون بخير لرددت عليه بما هو أحسن منه.

٢- أما فيما يتعلق بالمدعو:

فعلى الداعي ملاحظة أن المدعو لن يقبل على فكرته تلقائيا.. وإنما يستقبلها كما يقرر العلماء- مقارنا لها بمعتقداته، وعاداته ومصالحه الخاصة.

وقد يقبل الفكرة بقلبه.. ويرفضها بعقله.. وقد يحدث العكس.

فلابد إذن من حسن التعرض.. وحسن الوسيلة للترجيح.. وإنقاذ المدعو من لحظة التمزق حيال اختيارات حداثة.. لا يملك من فرط جاذبيتها أن يتخذ بشأنها القرار الحاسم.

فإذا تسلحنا بالطريقة المثلى عاد الرشد المسلوب.. وطير خفافيش الخوف..

فإذا أضفنا إلى ذلك أن المدعو قد يكون مجموعة من ذوي الجاه والسلطان ممن يقدرون على محاربتك في رزقك ووظيفتك.. تبين لنا كم تكون الحكمة أصلح الوسائل بإطلاق

من صور الدفع بالتي هي أحسن

عندما شتم رجل أحد العارفين قال له المشتوم

إن كنت صادقا.. فغفر الله لي.

وإن كنت كاذبا.. فغفر الله لك.

ولقد هم أبو بكر -رضي الله عنه- أن يرد على رجل شتمه مرة.. ومرة.. وهم أن يأخذ موقف المهجوم فغضب ﷺ وهم بالقيام من المجلس مسجلا ما ينبغي أن يكون في مثل هذه الظروف.

فإما أن تقول خيراً فتغنم.. أو تصمت فتسلم.

وعلى الذين يطلبون الجنة أن يكونوا أهلاً لها -بالحلم والتسامح- ولقد حفت الجنة بالمكاره.. فليسع إليها الساعون كادحين.. فقد خلقوا في كبد

أين المفعول

ولا تذكر الآية الكريمة ﴿ السَّيِّئَةَ ﴾

وهي مفعول به قوله -تعالى- : ﴿ ادْفَعْ ﴾.

لكنها فقط تذكر الوسيلة.. وهي العنصر الفعال:

﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

وربما- والله تعالى أعلم بمراده- كان ذلك إشارة إلى أن الداعية الكفء.. القادر على تمثيل الحسن في محاضنة الجاهلين.. لايكاد يطل من علياته حتى تذوب السيئة فلا يبقى لها أثر.. ولاسيما والدعوة هنا في بيئة مسلمة يراد لها أن تظل واضعة أقدامها على الصراط المستقيم، أما في البيئة الجاهلة فقد صرح الحق- تعالى- .. بالسيئة.. وذلك في سورة المؤمنون

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾

المؤمنون ٩٦

والفرق هائل بين أن تكون المواجهة مع مسلم عاص، ولكنه مقر بالوحدانية مثلك وبين كافر عنيد يعفر جبهته للصنم.

لاخصومة حقيقية بينك وبين الأول.. وإذن فلا سيئة.. وإنما حالة جهل، تحتاج إلى ترتيب.. وغفلة تحتاج إلى تذكير

ونذكر هنا بعض الكاتبين الذين يتعرضون لوقائع السيرة النبوية فيتلون موقفا من هنا.. ثم يسقطونه على واقع الراهن.. بلا تفريق

لقد كان هناك أبو جهل.. وأبو لهب..

وكم من الأسرى .. يقبعون في مخالب ماع يحترق وأد الدعوة في مهدها .. وإذن فمن الظلم أن أقول للشباب عاملوا الخطائين من المسلمين اليوم بما كان يليق بهؤلاء المارقين.

ثمرة الحكمة

ويخرج الداعية من المعركة التي أثارتها الحكمة.. بصيد ثمين:

• ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ •

الرجل بأخذ مكانه إلى جانبك داعيا إلى الله مثلك .. وسيحفظ لك .. لماذا ؟

لقد كان في إمكانك أن ترد على عنجهيته بالصمت .. إعراضا عنه

أو بالنهي .. تأديبا له

لكنك تجاوزت ذلك .. وضاعفت الإحسان إليه .. ولكن ولاءك له لن يكون مائة في المائة .. بل

• ﴿ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ •

إنه يوشك أن يكون كذلك .. وأمامك الفرصة أن تواصل الإحسان بكسبه .. وإلى الأبد.

عداوة مستوردة

ولا تقول الآية الكريمة: وإذا عدوك .. فليس هو عدوا لك في الواقع.

وإنما صنعت الظروف بينك وبينه حاجزا ..

• ﴿ بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ ﴾

إنها عداوة مستوردة من جهة أخرى .. من عدوكما المشترك الشيطان

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾

[فصلت: ٣٦]

عزيمة الصبر

ولا يمكن أن يصل إلى هذه القمة إلا الذين صبروا

• ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾

[فصلت: ٣٥]

كل صابر هو الذي يلقاها وكل من يلقاها فهو ذو حظ عظيم

إذن .. كل صابر ذو حظ عظيم أو هكذا يقول المنطق السليم

الداعية ربان ماهر

لكن الحكمة محذاقه .. ليستخرج من قاع المحيط لؤلؤا ومرجانا .. ثم ليصل بالمدعو إلى البر .. مهما يواجه موقف الثأر بالحكمة الضابطة.

والكرامة التي لا تساوم بالدنيا كلها على مثقال ذرة من إيمانه. جاعلا من الصبر الجميل وقودا بحيث يرى دائما .. عليا لا ينحني .. عزيزا لا يذل .. وقورا لا يهتز .. ثابتا لا يتغير.

ومهما ادعى المدعون واتهم المتهمون فإنه أمره على ما يقول الشاعر:

وهي قلت هذا النصح لي

أيهى العاذلون عن الفضيلة

الإمام ابن دقيق العيد

تعددت مواقفه الباسلة. فراعت وأدهشت. وكان لها أثرها البارز في الإصلاح والتوجيه. لأن ابن دقيق العيد كان له من المهابة والجلال بحيث يستمع الملوك والأمراء إلى منطقه مكرهين أو طائعين. كما أن عزوفه عن المناصب المرموقة قد أضاف إلى عظمته النفسية ومنزلته الاجتماعية ما أكمله وعظمه. فإن منصب قاضي القضاة مثلا يعتبر أخطر المناصب الدينية في دولة تحكم بالكتاب والسنة. ومع تهافت الكثيرين على تبوئه الشرف. فقد اعتذر عنه الشيخ آبيا. ولكن الإلحاح المتزايد قد اضطره إلى القبول بعد أن اشترط على ذوي الأمر شروطا تحفظ للقضاء كلمته النافذة وسطوته الغالبة دون تعويق[1].

إنه الإمام العالم العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد القشيري المصري، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمسة وعشرين وستمائة بساحل ينبع من أرض الحجاز.

سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وخرج وصنف فيه إسنادا ومتنا مصنفات عديدة مفيدة. وانتهت إليه رئاسة العلم في زمانه، وفاق أقرانه. ولي قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة وكان وقورا قليل الكلام غزير العلوم في

١- أ. د. محمد رجب البيومي- علماء في وجه الطغيان: ابن دقيق العيد فقيه شجاع

... فيه وله شعر رائق.

برع في الفقه المالكي كما برع في الفقه الشافعي ثم حمله بعيدًا عن التعصب، كما أنه دخل ميدان الاجتهاد بدراسته للمذهبين[2].

ترك الإمام ابن دقيق العيد الكثير من الكتب في أحاديث الأحكام منها:

- إحكام الأحكام: شرح فيه كتاب عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي.
- الإلمام بأحاديث الأحكام: جمع فيه ما يزيد عن ألف وخمسمائة حديث من أحاديث الأحكام.
- الاقتراح في بيان الاصطلاح.
- شرح الاقتراح.

وله مؤلفات عديدة في علوم أخرى، فها هو قد أسهم في كثير من ضروب المعرفة تأليفًا وتدريسًا. وقد دفق كثير من رسائله بأسلوبه الأدبي وعقليته الأصولية مع تعمقه الفقهي ورسوخه العلمي.

ولابن دقيق العيد آراء تدل على سعة أفقه وتسديد رأيه، حيث يقول: «متى دار الحكم بين كونه تعبدًا أو معقول المعنى كان حمله على كونه معقول المعنى أولى، لندرة التعبد بالنسبة إلى الأحكام المعقولة المعنى» ومن أجل ذلك أخذت دار الإفتاء المصرية بهذا الرأي فقالت بعد أن قدمت رأيه: فمقتضى ذلك أن تكون زكاة الفطر معقولة المعنى، ويجب عند الاشتباه النظر إلى ما هو أنفع للفقير أو أيسر على المكلف. ولا شك أنه مثل عدد ركعات الصلوات توقيف محض، ولا دخل للعقل فيه. بل الفرق بينه وبين عدد الركعات فرق عظيم.

أما عن تتبع هفوات الصحابة فمذهب الإمام ابن دقيق العيد في وجوب ستر محاسنهم وصرف أمورهم إلى أحسن الوجوه. فيقول: وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه، فمنه ما هو باطل كذب، فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحًا أولناه تأويلًا حسنًا؛ لأن الثناء عليهم من الله سابق، وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل التأويل، والمشكوك والموهوم لا يبطل المحقق المعلوم[3].

وثناء الله عليهم من سابق إشارة إلى قول الحق تبارك وتعالى:

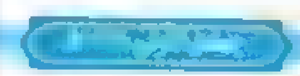
﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾

(الحشر: ١٠)

وفي شرحه حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- حين هلع الناس لكسوف الشمس: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا» قال ابن دقيق العيد: «وفي الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف لاستدفاع البلاء المحذور».

ثم هذا كتابه -وقد تبوأ منصب قاضي القضاة- إلى جميع قضاة الأقاليم، يدعو فيه جميع من

٢. [illegible]
٣. د. محمد رجب البيومي. علماء في وجه الطغيان
٤. إخراج زكاة الفطر مالاً. دار الإفتاء المصرية في ٢٠٠٧/١٠/٢١ http://www.dar-alifta.org
٥. محمد الوهيبي. الإمساك عما شجر بين الصحابة. مجلة البيان العدد ٣٧ ص٣٣
٦. فيصل بن علي البعداني. مسائل الخير. مجلة البيان العدد ١٥٦ ص٩



شرط النصوص الشرع وعدم الالتفات إلى الوساطات والمحسوبيات، ومع أنه منشور قضائي فهو ما يتميز به سمو الهدف، فقد جاء قطعة فنية تتسم بسمات المشرقة والأسلوب البارع وتشي لفن صاحبها بالإبداع والتأثير، قال رحمه الله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(التحريم: ٦)

هذه المكاتبة أرسلها إلى كل من وفقه الله لقبول النصيحة، وآتاه لما يقربه قصدًا صالحًا ودنيا صحيحة، أصدرناها إليه بعد حمد الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويمهل حتى يلتبس الإمهال بالإهمال على المغرور، تذكرة بأمر ربك فإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون، وتحذيرًا صفقة من باع الآخرة بالدنيا فما أحد سواه مغبون، عسى الله أن يرشده بهذا التذكار وينفعه. وتأخذ هذه النصائح بحجزته عن النار، فإني أخاف أن يتردى فيها من ولاه والعياذ بالله معه. والمقتضي لإرسالها ما تعين من معالجة الغفلة المستحكمة على القلوب، ومن تقاعد الهمم على ما يجب للرب على المربوب، لاسيما القضاة الذين يحملون عبء الأمانة على كواهل ضعيفة، وظهروا بصور كبار وهي نحيفة، والله إن الأمر لعظيم، وإن الخطب لجسيم، ولا أرى مع ذلك أمنًا ولا قرارًا ولا راحة، فاتق الله الذي يراك حين تقوم، وقصر أملك عليه فالمحروم من أمله غير مرحوم، وما أنا وأنتم فيها النفر إلا كما قال حبيب العجمي وقد قال له قائل: ليتنا لم نخلق. فقال: «قد وقعتم فاحتالوا»[7].

ويرى رحمه الله ضرورة تخفيف الإمام الصلاة مراعاة لأحوال المسلمين، مع ضرورة إطالة الصلاة عند صلاته منفردًا، ويبدو واضحًا جليًا في إحدى وصاياه -رحمه الله- لأحد تلامذته، يؤكد عليه بالرغبة أحوال نفسه ودفعه على ما يعنيه، ويعيش الصياغة المشرقة والإبداع الرائع؛ يقول: «وعليك بالله أحوج الناس إلى الخضوع والخشوع، وبأن تظمأ وتجوع، وتحمي عينيك الهجوع، ومما يعينك على هذا الأمر الذي قد دعوتك إليه، ويزودك في سفرك للعرض عليه، أن تجعل لك وقتًا تعمره بالذكر والتفكر، وأيامًا تجعلها عدة صالحة [illegible] صعب تلافيه، وأعرض عنه من هو أعلم بما فيه. فاجعل همتك الاستعداد للمعاد، والتأهب لجواب الملك الجواد، فإنه يقول:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

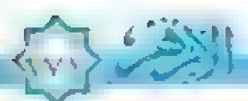
(الحجر: ٩٢-٩٣)

ومهما وجدت من نفسك قصورًا، واستشعرت من نفسك عما بدا لها نفورًا، فالجأ إليه وقف ببابه، فإنه لا يعرض عمن صدق ولا يعزب عنه خفاء الضمائر[8]:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

٧. د. محمد رجب البيومي. علماء في وجه الطغيان ص ٧٦، ٧٧
٨. سلمان بن عمر السنيدي. حتى لا تضيع صلاة التراويح علينا. مجلة البيان العدد ١٦٩ ص ٤٨



بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

ألا ساء ما يحكمون

وتزداد الهجمة على الإسلام والمسلمين شراسة يوما بعد يوم.. ولن يكون الكاتب الهولندي المتعصب «جيرد فيلدرز» آخر الطاعنين في الإسلام وفي سيرة نبي الإسلام ﷺ حقداً وحسداً.. فهناك الكثير والكثير من الهيئات التي تحظى بدعم ومباركة من مؤسسات تبشيرية وأجهزة مخابرات وحكومات أعلنت بدون مواربة حرباً صليبية شعواء ضد الإسلام والمسلمين.

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

(البروج ٨)

وسقط في هذه الحرب الوحشية مئات الألوف من القتلى المسلمين في بوروندي، وفي البوسنة، وفي الصومال، وفي السودان، وأخيراً في العراق وأفغانستان لا لشيء إلا لأن سكان هذه البلاد المنكوبة يدينون بالإسلام.

ألصقوا بالمسلمين تهمة الإرهاب ونشر الإسلام بالسيف والقوة والغلبة والقهر.. وغير ذلك من دعاوى لم يقم عليها دليل مادي واحد ملموس.

اتهموا نبي الرحمة محمد ﷺ باتهامات وقحة مع أنه كان بالبشرية رؤوفاً رحيماً وكان نبيلاً مع أعدائه إلى مدى لم يعرف التاريخ مثله ولن يعرفه.

منذ نحو ألف وأربعمائة عام فتح رسول الله ﷺ مكة وطهرها من الأصنام ومن كل مظاهر الشرك وأصبح بين عشية وضحاها السيد المطاع فيها.. ماذا حدث؟! هل انتقم ممن ناصبوه العداء وآذوه واضطروه للهجرة من أحب البلاد إلى قلبه، هل انتقم ممن عذبوا أصحابه وقتلوهم؟

وقف النبي الكريم وهو في موقف المنتصر وسأل أهل مكة: «ماذا تظنون أني فاعل بكم؟»، فأجابوا والذعر يملؤهم: أخ كريم وابن أخ كريم.

فأجابهم رسول الله ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

هل يوجد في عصور ما يوصف اليوم بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان موقف إنساني أنبل من هذا؟!

عبر كل عصور التاريخ اعتاد المنتصر دائماً وأبداً أن ينصب المشانق ويريق الدماء، انتقاماً وتشفياً من أعدائه فماذا يقول هؤلاء.. بماذا يعلقون على قوله ﷺ «اذهبوا فأنتم الطلقاء»؟!

ماذا يقولون في حق قوم آذوه أبشع الإيذاء وقتلوا ومثلوا بأحبته وقرابته؟!

ماذا يقولون في عفوه ﷺ عن:

● عكرمة بن أبي جهل، وكان قد خرج إلى اليمن كارهاً لنبوة الإسلام وحانقاً على نفسه، فاستأمنت له امرأته بعد أن فر، فأمنه النبي ﷺ وهو ابن أعدى عدو له في الدنيا.. وثب إليه رسول الله ﷺ وما عليه رداء، فرحاً به، وترحيباً، وأسلم عكرمة، فسر به رسول الله ﷺ سروراً عظيماً، وحسن إسلامه، وكان له مواقف عظيمة في حروب الردة وحروب الشام.

● وعفوه عن وحشي مولى جبير بن مطعم، وقاتل عم الرسول وأسد الله ورسوله حمزة بن عبدالمطلب.. وكان رسول الله ﷺ قد أهدر دمه.. فأسلم.. وقبل رسول الله ﷺ إسلامه.

● وعفوه عن هبار بن الأسود.. وكان قد عرض لزينب بنت الرسول ﷺ حين هاجرت، فنخس بها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنينها، ففر، ثم أسلم، وحسن إسلامه.

● واستؤمن لسارة ولإحدى القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه.. فأمنهما وأسلمت.

● ولما اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس لهم، على الصفا وأخذ على الناس السمع والطاعة لله.. ولرسوله.. فيما استطاعوا.

ولما فرغ من بيعة الرجال، بايع النساء، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان متنقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة.

فقال رسول الله ﷺ لهن: «بايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً»، فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذ من الرجال.

«ولا تسرقن»، فقالت: والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة، وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً أم لا؟، فقال أبو سفيان ـ وكان شاهداً لما تقول ـ أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل، فقال رسول الله ﷺ: «وإنك لهند بنت عتبة؟». قالت نعم، فاعف عما سلف، عفا الله عنك.

ثم قال: «ولا تزنين» فقالت: يا رسول الله، وهل تزني الحرة؟ ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن»، قالت: ربيناهم صغاراً، وقتلتهم كباراً.. فأنت وهم أعلم.

فبالله عليكم هل يمكن أن يحدث حوار مثل هذا بين نبي الله محمد ﷺ وبين هند بنت عتبة وهي التي حرضت وحشي بن حرب على قتل أحب الناس إليه ألا وهو عمه حمزة بن عبدالمطلب الملقب بأسد الله، وهل يمكن مقارنة هذا الحلم، وهذا العفو الذي بلغ مدى غير عادي.. هل يمكن مقارنته بما يرتكب الآن من مجازر دموية يروح ضحيتها مئات الألوف من البشر في العراق وأفغانستان، ومن قبل ذلك في البوسنة وبوروندي ضمن حرب إبادة عالمية تتزعمها الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها ضد الإسلام والمسلمين وبعد هذا كله يلصقون تهمة الإرهاب زوراً وبهتاناً بالإسلام والمسلمين؟!

﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

أحمد تقي الدين

أمنيـــــة

ومن الأستاذ صالح البيطار - جريدة الجمهورية - كانت تلك الرسالة التى كتبها عن قسيس أمريكى اعتنق الإسلام فى هذا الزمن.. زمن الحرب على الإسلام.

جوزيف إدوارد استس مواطن أمريكى منتمى لأسرة بروتستانتية، حصل على ماجستير فى الفنون سنة ١٩٧٤ ثم درجة الدكتوراة فى اللاهوت، وأصبح قسيسا.

الرجل أصبح فجأة حديث الفضائيات العلنية.

لماذا؟

الإجابة: لأن الرجل فى زمن الحرب على الإسلام وهو من هو أعتنق الإسلام هو وزوجته ووالده ووالدته وقرر أن يعمل فى مجال الدعوة للإسلام.

ولكن كيف حدث هذا؟!!!

كانت البداية ساكن مغترب مصرى الجنسية اتخذ له سكناً على مقربة من منزل عائلة «جوزيف إدوارد استس» رجل الدين المسيحى الأمريكى المهتم بتعميق الشعور الدينى لدى من يحيطون به. وتربيتهم من أجل دعوة غير المسيحيين وتحييد المسلمين للدخول فى الدين المسيحى حيث الحرية والمساواة والبعد عن التعصب - هكذا كان يعتقد - وشاءت إرادة الله أن ينتقل مواطن مصرى يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية للإقامة على مقربة منه.. وكان جوزيف استس حريصا كل الحرص على التعرف على جيرانه المحيطين به والارتباط معهم بنوع من العلاقة يسمح له بتعميق شعورهم الدينى إذا كانوا مسيحيين أو دعوتهم لاعتناق المسيحية البروتستانتية إن لم يكونوا كذلك.

الجار الجديد كان مصريا كما قلت، واسمه الدكتور محمد عبدالرحمن ويعمل أستاذا للعلوم السياسية فى إحدى الجامعات الأمريكية

بدأ جوزيف بالتعرف على جاره الجديد والتودد إليه وملاحظة سلوكياته وهنا كان التحول فى حياة القسيس الأمريكى.

الرجل أعاد سيرة التجار المسلمين الذين نشروا الإسلام بسلوكهم فى ربوع القارة الإفريقية

يوسف استس

يوسف استس دهش من سلوكيات الرجل.. كانت فكرته مختلفة تماما عن الإسلام.. كان يرى الإسلام دينا يدعو إلى الهمجية، ويرى المسلمين حفنة من الإرهابيين والقتلة.

وجد رجل الدين المسيحى سلوك صديقه المسلم مخالفا تماما لما رسخه الإعلام الغربى عامة والأمريكى خاصة من أن الإسلام دين يعتنقه حفنة من القتلة والإرهابيين.

الدكتور محمد عبدالرحمن أستاذ العلوم السياسية والمصرى الجنسية دفع بسلوكياته التى كانت بعيدة كل البعد عن العنف والفحش، القسيس يوسف استس إلى تعميق حواره مع الدكتور محمد عبدالرحمن ولكن ليس بهدف تنصيره هذه المرة. ولكن بهدف معرفة هذا الدين الذى أوجد سلوكيات حميدة لم يكن يتصور أن يتمتع بها مسلم على الإطلاق.

الدكتور محمد عبدالرحمن كان صادقا فى كلامه وفى أفعاله لم يكذب، لم يعاقر الخمر، معرضا عن مخالطة النساء إلا لضرورة تقتضيها الظروف، لا يلعب الميسر حريص على أداء عباداته فى يسر وسكينة وهدوء كان وجهه يشع نورا يجذب إليه النفوس، سلوكياته راقية بشكل يختلف تماما عما يروج له الإعلام الأمريكى. أمضى جوزيف وقتا طويلا يلاحظ صديقه الدكتور محمد عبدالرحمن قبل أن يطلب منه صراحة أن يكلمه عن الإسلام ذلك الدين الذى أثار الذعر فى العالم كله بسبب جماعات لم تعرف جوهره النقى، ويوما وراء يوم تتغير صورة الإسلام فى نفس القسيس جوزيف استس، وبدأ الدكتور محمد عبدالرحمن يمده بكتب أكاديمية متخصصة فى تاريخ الإسلام السياسى والاقتصادى والاجتماعى، والشريعة الإسلامية. والرجل يسمع ويقرأ فى شغف وانبهار

وكانت النهاية المحتومة عام ١٩٩١ عندما قرر الرجل إشهار إسلامه. وفاجأ أسرته فى عدم نقاش واحد بحديثه عن الإسلام وعن صديقه وفى سببه اعتنق الرجل الإسلام هو وزوجته ووالده ووالدته. وصار داعية يدعو إلى الإسلام"

ترى ماذا يمكن أن يحدث للعالم من حولنا لو صرنا مسلمين قولا وفعلا نفرض إسلامنا على العالم بسلوكنا المستمد من تعاليم ديننا!!

إنها أمنية.. فهل يمكن أن تتحقق.

أزمة الضمير ولحوم الحمير

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور/ محمد احمد ابراهيم حسن - مدير عام كلية اللغة العربية - جامعة الازهر بالقاهرة:

مما لا شك فيه أن انعدام الضمير وضعف الإيمان يجعلان المرء مطية لهوى تارة وللشيطان أخرى، فيصدر عنه أفعال تضره وتضر الآخرين ممن حوله، وقد صدق الشاعر إقبال فى قوله:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحيى دينا

فقد فجعتنا الصحف فى الأيام السابقة بواقعة ذبح الحمير وبيعها لمحلات إعداد الأطباق الشهية من الكفتة والكباب وتبين لنا من التحقيقات الصحفية اعترافات بعض الجزارين بمحافظات مختلفة بقيامهم بذلك دون مواربة، وعللوا إقدامهم على هذا بأن أسعارها رخيصة بالمقارنة بأسعار اللحوم المتصاعدة والتى ترهق (الضحايا) من ذوى الدخول المحدودة. كما أكد بعض المتخصصين على صفحات الجرائد بأن لحومها لها مذاق خاص حيث يكون طعمها (مسكرا) وليس للحوم المعتادة ذلك الطعم والمذاق. وعزا المتخصص ذلك إلى ارتفاع الجلوكوز فى لحوم الحمير المسكرة!!، كما أكد أن نقعها فى مادة الفورمالين يجعل طعمها أحلى من الأوز، وأضاف سيادته بأنه يسمى بمقالة فصيلة تفتى لإقناعه بتحليلها.

أما وإننا مسلمون وشريعتنا الغراء من لدن حكيم عليم، وقد أوضحت لنا ما حرم علينا وما أحل لنا، والحديث صريح فى تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية. وقد امتثل الصحابة - رضوان الله عليهم - لأمر النبى ﷺ فأكفأوا القدور وهى تغلى بلحوم الحمر الأهلية حينما نادى المنادى بأن الرسول قد حرمها.

فما لنا نسعى إلى تحليل ما حرمه الله بدعوى رخص الثمن وحسن المذاق والنكهة، فليس من الغريب أن يطالعنا آخرون فى المستقبل بأن لحم

الكلاب أطعم من الضأن ولحم القرود أفد في عمل النبغة وكباب الحلة وله مزايا صحية تعيد الشباب والحيوية وتقي من الأمراض العصرية، فيتكالب عليها ذوو المآرب الدنيوية طالبو المتع العصرية ويبدلون في ذلك المال الذي يذهب إلى حسابات أصحاب الضمائر الخربة الذين لا يرعون في مؤمن إلا ولا ذمة، فيروجون له الوهم في صورة الحيوية، والمرض في صورة الصحة، ومن زمن غير بعيد قد طرح عديمو الضمائر في السوق المصرية معلبات من لحوم مجمدة خصيصا لإطعام الكلاب مدبلة ولحوم للطيور الجارحة. لكيف كانت من نصيب البطون الخاوية التي أكلتها دون علم، وكم طرحت في الأسواق مواد غذائية فاسدة أودت بحياة الكثيرين ومن نجى عاش مصابا بأمراض العصر.

وما زال مسلسل أزمة الضمير مستمرا، فهناك مجموعة من أصحاب الضمائر الضعيفة لا تألو جهدا في التربح السريع حتى لو كان على حساب صحة الإنسان، فبعض أصحاب مزارع التسمين يضيفون هرمونات النمو إلى علف الحيوانات والدواجن والأسماك، حيث تعمل تلك الهرمونات على التكوين السريع للعظام واكتناز اللحم وتخزين الماء في الحيوانات والدواجن والأسماك المعالجة بالهرمونات فيزيد وزنها، الأمر الذي يحقق لهم أرباحا طائلة، دون مراعاة لما تحدثه تلك الهرمونات للضحية وهو المستهلك.

وسواء كانت تلك الهرمونات طبيعية أو صناعية فإن لها آثارها الضارة على صحة الإنسان، إذ أثبتت بعض الدراسات أن تناول لحوم الحيوانات والدواجن والأسماك التي تتغذى على الهرمونات تؤدي إلى زيادة معدلات الإصابة بسرطان الثدي والرحم عند النساء، وسرطان البروستاتا عند الرجال، أما أثرها على الأطفال فحدث ولا حرج ولعل إعلانات التليفزيون لحملات التبرع لمستشفى سرطان الأطفال أوضح دليل على ذلك، هذا وقد أثبتت بعض الدراسات أن تلك الهرمونات تؤدي إلى تأخر نمو الأعضاء التناسلية لدى الذكور من الأطفال الأمر الذي أدى إلى ارتفاع نسبة العقم عند شبابنا هذه الأيام.

وقد أوضحت بعض الدراسات أن التكاليف الاجتماعية لوقوع حالة وفاة لشخص واحد في مصر تقدر بحوالي ٧٠ ألف جنيه مصري.

كما بينت أن نفاذ طن من الأغذية الفاسدة أو الملوثة إلى السوق يعني احتمال تعرض ٥٠٠ فرد لخطر المرض أو الوفاة المبكرة.. وإذا كان ١٠٪ فقط منهم يحتمل وفاتهم، فإن التكلفة الاجتماعية تصبح ٧٠٠٠٠ جنيه x ٥٠ فرد = ٣,٥ مليون جنيه يوميا، أي حوالي ١٢٧٧,٥ مليون جنيه كتكاليف اجتماعية لحالات الوفاة المبكرة سنويا، وذلك بالإضافة إلى تكاليف علاج المصابين، وخسارة أيام انقطاعهم عن العمل، وكذلك الشعور العام بعدم الرضا، وأثره على الإنتاجية لدى أفراد المجتمع والأثر غير المباشر على السياحة وثقة السوق العالمية وكفاءة نظم الرقابة المصرية.

ولكن هل هذه مشكلة الدولة؟ لا بل هي أزمة ضمير، فالحلول كثيرة، منها التنشئة الدينية التي تخلق إنسانا يقظ الضمير يخشى الله في كل أعماله، والتوعية البيئية للأفراد التي تجعلهم يحافظون على بيئتهم بما يعود عليهم وعلى الأجيال القادمة بالنفع العميم.

فالدولة تفعل ما بوسعها من خلال الأجهزة الرقابية المختلفة، وليس على الدولة أن تضع رقيبا على كل ضمير خرب، فهل إلى صحوة الضمير من سبيل؟

إياك إياك من اللسان

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ/ محمد عباس محمد عرابي - قال:

أخي إياك ثم إياك من لسانك فهناك من يحصي كلامك:

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

ق ١٧، ١٨

وحتى تكون أخي في مأمن من لسانك عليك بما يلي:-

١ ـ احذر الثرثرة وكثرة الكلام، وليكن كلامك مختصرا وافيا بالغرض الذي من أجله تتحدث:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾

النساء ١١٤

٢ ـ لا تتحدث بكل ما سمعت، فإن في هذا مجالات للوقوع في الكذب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» رواه مسلم.

٣ ـ إياك والتعاظم والتقعر في الكلام فهي صفة بغيضة إلى رسول الله «ﷺ» حيث يقول: «وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» رواه الترمذي.

٤ ـ إياك ومقاطعة الناس أحاديثهم أو ردها عليهم أو إظهار الاستخفاف بها.

ولكن حسن الاستماع أدبا لك والرد بالتي هي أحسن شعارا لشخصك.

٥ ـ احذر كل الحذر من السخرية بطريقة كلام الآخرين كمن يتلعثم في كلامه أو عنده شيء من عيوب النطق قال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾

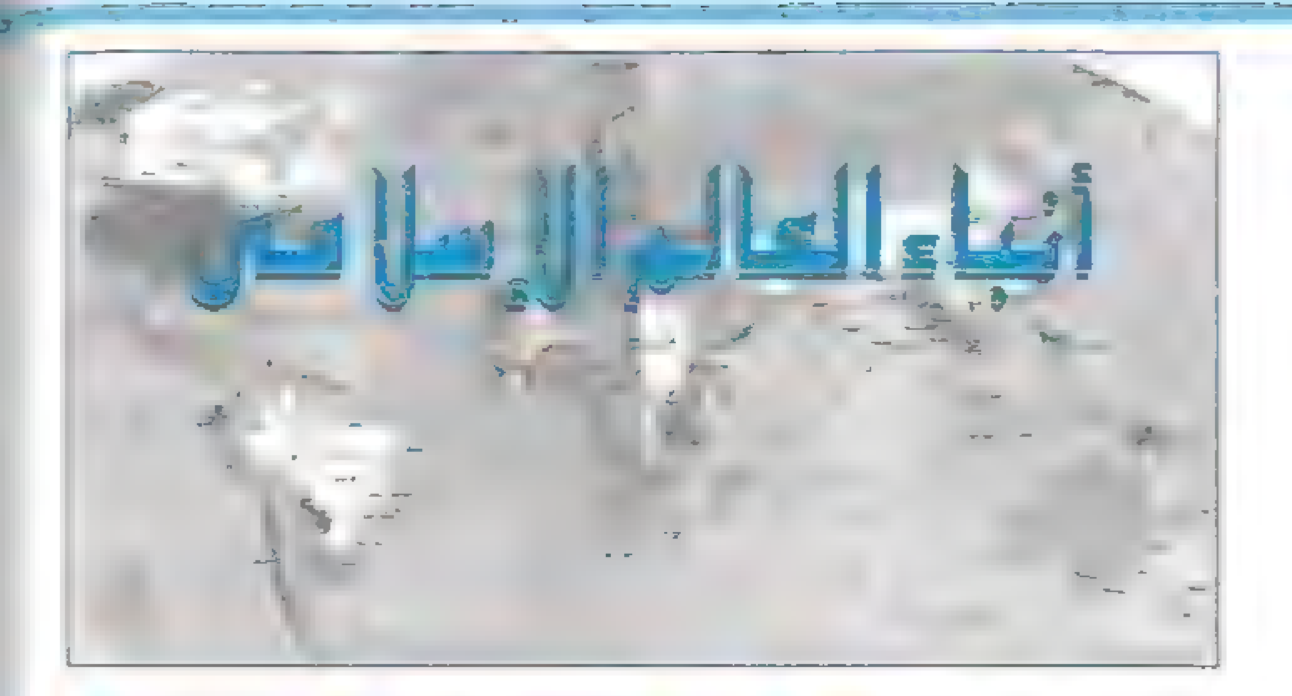
الحجرات/ ١١

قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه مسلم

٦ ـ اجتهد على وزن الكلمة في نفسك قبل أن يقذفها لسانك. واحرص أن تكون الكلمة صالحة طيبة في سبيل الخير بعيدة عن الشر، وما يوصل إلى سخط الله فللكلمة مسئولية عظيمة فكم من كلمة لأدخلت صاحبها الجنة، وكم من كلمة هوت بصاحبها في قعر جهنم فعن أبي هريرة «رضي الله عنه» عن النبي «ﷺ» قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي في جهنم» رواه البخاري.

وفي حديث معاذ «رضي الله عنه» عندما سأل النبي «ﷺ»: «وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال «ﷺ»: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» رواه الترمذي





امريكا تسحب فيلما يسيء للبابا

سحبت هيئة الطرق والنقل فيلما إعلانيا قصيرا يدعو لتخفيف حدة الازدحام المروري تظهر فيه دمية ترتدي زي البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان تقوم بحركات اعتبرتها الكنيسة أمراً مسيئاً لكونه شخصية مقدسة.

مشروع لدعم تعليم اللغة العربية في أسبانيا

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) ومؤسسة غرناطة للنشر والخدمات التربوية بالتنسيق مع المركز الثقافي الإسلامي في مدينة بلنسية الإسبانية دورة تدريبية لتحديث طرق تعليم العربية لأبناء المسلمين في الغرب بدعم مشروع تعليم اللغة العربية بأسبانيا.

واستهدفت الدورة تعزيز معارف المتدربين التخصصية اللغوية وتطوير مهاراتهم ذات الصلة بإعداد الدروس والمواد التعليمية واستثمار التمرينات والتدريب والتطبيقات المرسخة للمهارات اللسانية الأربع وهي القراءة والكتابة والاستماع والمحادثة، والتقريب بين الطرق والمنهجيات والأساليب المعتمدة في تدريس مواد اللغة العربية في مختلف المدارس العربية الإسلامية في اسبانيا.



تأسيس تجمع ضد الاسلاموفوبيا في اسبانيا

قامت مجموعة من أبناء الجاليات الإسلامية في منطقة كتالونيا الإسبانية بتأسيس تجمع يهدف إلى مواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا والعنصرية وكراهية الأجانب.

يضم التجمع ست عشرة جمعية وأوضحت سلوى العربي منسقة التجمع أن الظروف غير الانسانية التي باتت تعيشها فئة المهاجرين خاصة الفئة المسلمة هي التي كانت وراء تأسيس التجمع وقالت إن أوضاع الجالية المسلمة المهاجرة ازدادت تأزما بعد ارتفاع ممارسات العنصرية والكراهية ضد المسلمين من المهاجرين خاصة في كتالونيا التي تقطنها نسبة كبيرة منهم.

ترحيب اسلامي بمقترح لتعديل قوانين الدفن بالعاصمة الألمانية.. وفق قواعد الشريعة

رحب المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بإعلان حكومة محلية بولاية العاصمة برلين اعتزامها تعديل قانون الدفن ليسهل على الأقلية المسلمة إتمام إجراءات دفن موتاهم وفق قواعد الشريعة الإسلامية.

وذكرت وزيرة الصحة والحماية البيئية في حكومة محلية إنها ستراجع قانون الدفن الصادر عام ٢٠٠٤ لتمكين مسلمي الولاية من دفن موتاهم في نفس يوم الوفاة بالكفن فقط ودون تابوت خشبي. وقالت الوزيرة إن التعديل المستحدث لمناشدة أعضاء برلمان الولاية بجعل إجراءات الدفن أكثر مرونة لتلبية رغبة الأقلية المسلمة المتزايدة بالظروف الدينية المختلفة والسماح لها بدفن موتاها حسب التعاليم الإسلامية

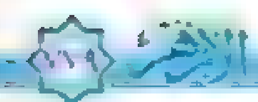
إسلام ٣ هولنديين.. ونفاد المصاحف

شهدت المكتبات في أمستردام إقبالاً كبيراً من الهولنديين على شراء المصاحف الالكترونية المترجمة.. الأمر الذي أدى إلى نفادها من الأسواق.. كما أشهر ثلاثة هولنديين إسلامهم بعدما شاهدوا الفيلم.. فبدت ردود أفعال تختلف عما كان يتمناه منتج الفيلم.

استطلاع يؤكد دراية غالبية الهولنديين بأحكام الشريعة الإسلامية

أكد استطلاع هولندي أن أغلب الشعب الهولندي تعرف على الكثير في الوقت الحالي عن الإسلام مقارنة بالسنوات الماضية. فنسبة ٩٨ يعرفون الآن أن القرآن هو الكتاب المقدس للمسلمين، وأنه لا يمكن تغيير ما ورد فيه من آيات أو أحكام على مر العصور. كما أوضح الاستطلاع أن ٧٧ من الهولنديين المستطلعة آراؤهم يعرفون من هو الرسول محمد ﷺ، كما أن ٥٠ يعرفون بعض أحكام الشريعة، مثل عطاء الزكاة، وتحريم الشذوذ وغيرها من المحرمات في الدين الإسلامي

وأكد الاستطلاع أن أكثر من نصف الهولنديين يرحبون بإجراء الحوار مع المسلمين والتعرف على ثقافتهم وأحكام الدين الإسلامي بصورة أكثر قربا، وذلك من منطلق التعايش الاجتماعي السلمي في مجتمع متعدد الثقافات ورغبة في عدم المساس بالمقدسات الدينية.



جامعتان هولنديتان تخصصان مصلى للطلاب المسلمين

بادرت جامعتان بهولندا إلى تخصيص مصليين للطلبة المسلمين داخل حرميهما، في خطوة تؤكد فيه الأكاديميتان رفضهما الإساءة للإسلام والديانات الأخرى، بعد أن قام مواطنهم النائب المتطرف جيرت فيلدرز بعرض فيلمه «فتنة» المسيء للإسلام على الإنترنت في ٢٧ من مارس الماضي.

وأعرب مسئولو جامعة «جرونجن» خلال لقائهم وفدًا من وزارة التعليم العالي السعودي زار الجامعتين عن أسفهم لعرض «فتنة»، وأكدوا أنهم خصصوا مصلى للتعبير بخصوصية في الطابق الأعلى من مبنى الجامعة، وتم إسناد عمليات نظافته لعامل مسلم.

دعاوى قضائية بالأردن لملاحقة المؤسسات الدنماركية المسيئة للرسول

رفعت ٣٠ مؤسسة إعلامية أردنية دعاوى قضائية لملاحقة وسائل إعلامية دنماركية نشرت في منتصف فبراير الماضي رسومًا كاريكاتورية مسيئة للرسول.

وقال زكريا الشيخ رئيس الحملة التي تجري تحت شعار «رسول الله يوحدنا» إن الدعوة القضائية تم رفعها في محكمة جنايات عمان، وتم قبولها حسب القانون والدستور الأردني.

وأشار إلى أنه سيتم رفع دعوى أخرى لملاحقة النائب الهولندي المتطرف «جيرت فيلدرز» الذي بث في مارس الماضي فيلم «الفتنة» المناهض للإسلام.

عمدة مسلم لمدينة إيطالية

تم انتخاب المسلم «أرتورو شيربوني» (٥٣ عامًا) عمدة لبلدية مونتي أرجنتاريو ... وقد حلف اليمين على القرآن.

تعرض مقابر المسلمين في فرنسا لانتهاكات عنصرية

تعرضت مقابر المسلمين في مقبرة «نوتردام دو لوريت» العسكرية شمال فرنسا إلى عملية تدنيس بعد عام من تدنيس ٥٢ مقبرة في نفس الموقع بكتابة عبارات نازية عليها.

أكد المسئول عن المقبرة «دافيد بردبو» أن ما يقرب من ١٠٠ من رجال الشرطة حضروا إلى المقبرة واصفًا ما حدث بأنه أمر غير مقبول وغير معقول.

واستنكر الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي تدنيس ١٣٦ مدفنًا في القسم المسلم في المقبرة واصفًا هذا العمل بأنه عنصري لا يمكن قبوله، وأعرب عن مساندته لكل الطائفة المسلمة في فرنسا.

وأشار قصر الإليزيه إلى أن ساركوزي يتطلع لمعرفة نتائج التحقيق القضائي في الواقعة من أجل معاقبة مرتكبي هذا العمل.



أنباء مجمع البحوث الإسلامية

الإسلام يأمر أتباعه بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

ورد إلى مجمع البحوث الإسلامية سؤال من مؤسسة التنمية والتعليم بتايلاند بشأن الاستفسار عن ضوابط قتل أتباع الديانات الأخرى، والخروج عن الدولة، وقتل رجال الشرطة والجيش، وموظفي الدولة، وحرق المدارس والمنشآت العامة، وفقه المطالبة بالحقوق، ومن له الحق في إعلان الجهاد.

وقد أجاب مجلس مجمع البحوث الإسلامية بما يلي:

● أولًا: يتميز الإسلام بأنه لا يكره أحدًا على الدخول فيه، ويأمر أتباعه بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وهو يحترم التعامل بالحسنى مع غير المسلمين، بل إنه يطلب من أتباعه البر بهم وإزالة الظلم عنهم ولو كان الظلم من مسلم، بشرط أن يكون غير المسلمين محافظين على هذا الاحترام المتبادل، لا يقاتلونهم في دينهم، ولا يخرجونهم من أرضهم، فذلك قوله تعالى:

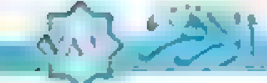
﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(الممتحنة ٨)

فالمسلم لا يبدأ بالعدوان، ولكن عليه أن يرد ما يقع عليه من ظلم، بحيث إذا اندفع الظلم بالأسهل لا يلجأ إلى الأصعب، وقد عقد فقهاؤنا بابًا لرد الصائل الذي يهجم على المسلم ليؤذيه أو يقتله، فبينوا أن المشروع له أن يفعل ما يعيقه عن تنفيذ جريمته إما بنزع سلاحه، أو بضربه في أماكن غير قاتلة، فإن لم يندفع إلا بالقتل كان له حق الدفاع عن نفسه.

● ثانيًا: قتل رجال الشرطة والجيش مجلبة لإثارة القلاقل والفوضى مما يؤدي إلى استفزاز السلطة - وهي الأقوى - فتتذرع بذلك للإبادة الجماعية للمسلمين، فيجب





ضغط النفس ولو وقع ظلم من الدولة التي يعيشون بها، والمؤمن كيس فطن، لا يلقي بنفسه ولا بإخوانه ـ وهم أقلية ـ في التهلكة.. وقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم من العنت والاضطهاد في مكة ما يفوق تحمل البشر، ومع ذلك لم يمارس قتل أحد:

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

الأعراف: ١٢٨ القصص. ٨٣

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

يوسف: ٩٠

- ثالثاً: حرق المدارس ومنشآت الدولة ليس له مبرر، حيث إن فيه إفساداً في الأرض وتضييعاً للمال، وقد نهى الإسلام عن كل ذلك، وارتكاب مثل هذه الأعمال يسيء إلى سمعة المسلمين، ويؤكد لدى العامة ما يروج له الأعداء من أن المسلمين إرهابيون.
- رابعاً: فقه المطالبة بالحقوق من الدولة يتطلب فطنة وحكمة لطرق التفاهم واستخدام أساليب اللين والوعد بالهدوء والأمن والتعاون لمصلحة الوطن. والاتصال المباشر مع من بيده القرار، فقد يتدخل بين المسلمين والدولة من لا يحرص على الهدوء والاستقرار، ولتكن المطالبة بالحقوق المتاحة - ولو بالتدريج - مع المحافظة على الوفاء بما يتعهد به الجانب الإسلامي.
- خامساً: أما من له حق إعلان الجهاد فهم أولو الأمر من جمهور العلماء والأمراء والقادة في دول مسلمة مستقلة يقدرون الظروف والإمكانيات. كما يدركون الدواعي الإسلامية لضرورة هذا الجهاد.

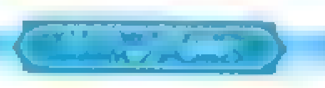
أما في دولة محتلة فإن الأمر يتوقف على الموازنة بين المصالح والمفاسد، ورأى جمهور علماء المسلمين في ذلك البلد.

والله الموفق للخير والهادي إليه،،،

دورات تدريبية لعلماء الوعظ

صرح فضيلة الشيخ عبدالحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة والوعظ بأن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي قد استجاب لجميع مطالب علماء الوعظ بروح الأب الرحيم والقائد الحكيم كما وافق فضيلته على أن يباع كتاب التفسير، والفقه الميسر، لعلماء الوعظ بسعر التكلفة.

وقد كان الاجتماع مثمراً للغاية حيث فتح فضيلة الإمام قلبه لأبنائه علماء الوعظ، وعلماء الوعظ يتقدمون بخالص شكرهم وتقديرهم ودعائهم لهذا الأب الرحيم





والقائد الحكيم، سائلين المولى في علاه أن يطيل في عمره ويمن عليه بالصحة.

وأضاف فضيلة الأمين العام المساعد للدعوة والوعظ بأنه تم عقد دورات تدريبية تثقيفية لقدامى علماء الوعظ بالإسكندرية في نزل الشباب بسموحة، ويحاضر في هذه الدورة نخبة من كبار أساتذة جامعة الأزهر في موضوعات المواريث والأحوال الشخصية والقضايا المعاصرة. والتدريب على الأعمال الإدارية التي يحتاجها الواعظ، ومدة الدورة خمسة عشر يوما على نفقة الأزهر.

كما يتم عقد دورة أخرى في مدينة البعوث الإسلامية على أعمال الفتوى نظرياً وعملياً.

تطوير مكتبة الأزهر

صرح فضيلة الشيخ مهدي شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر بأنه قد تم إنشاء قاعة حديثة مجهزة بأحدث المعدات السمعية الخاصة بالمكفوفين وذلك لتسهيل اطلاع ذوي الاحتياجات الخاصة ومساعدتهم في الحصول على أفضل خدمات في مجال الاطلاع والبحث العلمي.

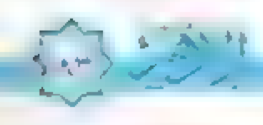
كما تم ضم قاعة جديدة للاطلاع للقاعة السابقة لتساعد الباحثين والمهتمين بالبحث العلمي لتكون القاعة إضافة جديدة حقيقية للمكتبة وبذلك يكون للمكتبة قاعتان إحداهما خاصة للعلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها من العلوم الشرعية والفقهية. والقاعة الأخرى مختصة بمختلف العلوم والفنون. كما تحتوي القاعتان على نفائس وأمهات الكتب.

كما يتم حاليا العمل على تجهيز قاعة ثالثة للبحث المنفرد وتحتوي على كبائن خاصة لكل باحث تعزله عن الآخرين طوال فترة تواجده بالمكتبة، وسوف تحتوي كل واحدة منها على مكتب خاص وأرفف لحفظ الملفات والأغراض الخاصة بالباحث وجهاز كمبيوتر.

طلاب من كندا يدرسون بالأزهر الشريف

في الإحصاء السنوي للطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف. أكد فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية أن عدد الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف بدولة كندا للعام الدراسي ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨ وصل عددهم إلى ٢٠٤ طلاب وذلك على النحو التالي:

- في المرحلة الابتدائية ٩١ تلميذاً و٨٥ تلميذة وفي الدراسات الخاصة تلميذة



وحدة، وفي المرحلة الإعدادية ١٥ تلميذة وربع تلميذات، وفي المرحلة الثانوية عشر طالبات، وفي الجامعة طالبات وطالبة، والدراسات العليا طالبات، ويمكن أن يصل عددهم الإجمالي إلى ٢٠٤ طلاب.

كما صرح فضيلته بأن الأزهر الشريف قد خصص منحة واحدة على نفقة الأزهر مازالت لم تشغل، ومازالت المدة المسموح بها حتى آخر أغسطس، والتقديم عن طريق السفارة المصرية بدولة كندا.

قرارات مجمع البحوث الإسلامية

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب مجمع البحوث الإسلامية قراراته وتوصياته في نشأته وحاضره، وقد صرح فضيلة الشيخ [illegible] مدير عام إدارة المطبوعات بأن الكتاب يقع في جزءين، ويتضمن الجزء الأول منه نبذة مختصرة عن نشأة مجلس مجمع البحوث الإسلامية والإدارات التي يشملها الهيكل الإداري لمجمع البحوث الإسلامية، واختصاص كل إدارة، ثم قرارات وتوصيات مجمع البحوث الإسلامية منذ عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م وحتى نهاية شعبان ١٤١٩هـ/ ديسمبر ١٩٩٨م، والجزء الثاني يتضمن القرارات والتوصيات التي أصدرها حتى نهاية دورة مجلس المجمع في جمادى الأولى ١٤٢٨هـ/ يونيه ٢٠٠٧م، ومجمع البحوث الإسلامية بصدد إصدار كتاب يتضمن قرارات وتوصيات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية التي عقدها في تلك الفترة خلال الشهر القادم بإذن الله تعالى.



تهنئة

أرسل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر الشريف، برقية تهنئة للسيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بمناسبة ذكرى عيد تحرير سيناء هذا نصها:

فخامة الرئيس/

محمد حسني مبارك

«رئيس الجمهورية»

«حفظه الله»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فبمناسبة ذكرى عيد تحرير سيناء يطيب لي أن أتقدم لفخامتكم باسمي واسم الأزهر الشريف علمائه وطلابه والعاملين فيه بخالص التهنئة القلبية بهذه المناسبة العظيمة. كما أدعو الله -سبحانه وتعالى- أن ينعم على مصرنا الحبيبة بمزيد من الانتصارات والأمن والأمان تحت ظل قيادتكم الحكيمة. وأن يمتعكم بالصحة والعافية إنه سميع مجيب.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر الشريف

«أ.د/ محمد سيد طنطاوي»

الأزهر يحتفل بالشيخ محمود شلتوت

وفاء وتكريما لعلماء الأزهر قام الأزهر الشريف يوم الخميس الموافق ٢٤ / ٤ / ٢٠٠٨ م احتفالية كبرى بالإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت ـ شيخ الأزهر الأسبق بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر حيث ألقى علماء الأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية كلمات تناولت الجوانب المختلفة فى حياة الإمام محمود شلتوت، كما ألقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى كلمة تحدث فيها عن الإمام محمود شلتوت مفسرا للقرآن الكريم.

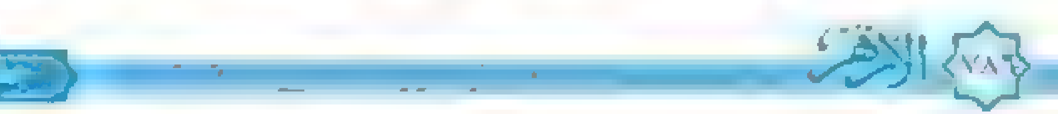
محمود شلتوت

وألقى الدكتور / أحمد عمر هاشم ـ بحثا عن الإمام / محمود شلتوت وجهوده العلمية فى التقريب بين المذاهب، كما قدم الأستاذ الدكتور / محمد عمارة بحثا حمل عنوان: «تجديد الدنيا بتجديد الدين»، وجاء بحث الأستاذ الدكتور الأحمدى أبوالنور ـ وزير الأوقاف الأسبق بعنوان «محمود شلتوت ومكانته الفقهية»، وتحدث الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان عن الإمام / محمود شلتوت وقضية التجديد، وتحدث الأستاذ الدكتور عبدالله النجار عن الإمام محمود شلتوت ودوره فى الفقه المقارن والتقريب بين المذاهب، وقدم الأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى بحثا بعنوان الإمام / محمود شلتوت ـ مجتهد الفتوى، وأخيرا تناول الأستاذ الدكتور مجاهد الجندى جهود الإمام محمود شلتوت فى تطوير الأزهر ومنهجه فى الإصلاح والتجديد.

حضر الحفل فضيلة الأستاذ الدكتور / على جمعة ـ مفتى الجمهورية، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب ـ رئيس جامعة الأزهر، وفضيلة الشيخ على عبدالباقى ـ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الدورة التدريبية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٨ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف حفل تكريم أئمة ووعاظ العالم الإسلامى المشاركين فى الدورة التدريبية العلمية للأئمة والوعاظ رقم «٧٩»





وضمت ٢٣ إماما وواعظا من «الجزائر - السودان - غينيا - كوناكرى - بنجلاديش - بورما - ساحل العاج».

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن هذه اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض، نتناقش فى أمور الدين والدنيا، ونتحاور فى العقائد والمعاملات، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفى نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق فى عملهم، ووزع على أعضاء الدورة المكتبة الإسلامية التى تحتوى على أمهات الكتب ووزع عليهم كذلك شهادات التقدير

حضر الحفل فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ولفيف من علماء الأزهر والسادة سفراء الدول المشارك أبناؤها فى الدورة.

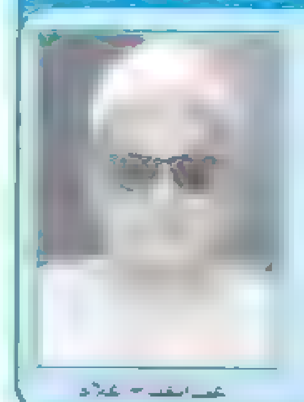
كما افتتح فضيلة الإمام الأكبر أعمال الدورة التدريبية رقم «٨٠» للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى اعتباراً من ١ / ٥ / ٢٠٠٨ م لعدد «١٨» إماما وواعظا من دول «الجزائر - السودان - سيريلانكا - المالديف - بورما».

الإمام الأكبر يجتمع برؤساء ومديرى المناطق الأزهرية

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر عقد يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٨ اجتماعا موسعا بالسادة أصحاب الفضيلة رؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية لمناقشة الترتيبات المتعلقة بأعمال الامتحانات ووضع وتحديد مراكز توزيع الأسئلة والتصحيح ومقار اللجان ومسئولى المناطق للوفاء بمتطلبات تلك المراكز ومواجهة الأعباء المنوطة بها ووضع الضمانات التى تهيئ لأعمال الملاحظة والتصحيح والمراجعة ترتيبها الأساسية ومقوماتها اللازمة، ومناقشة الإجراءات التى يتم من خلالها تأمين مقار اللجان ومراكز توزيع الأسئلة ومراكز التصحيح على النحو الذى يحول دون العبث أو الإضرار بها، ومناقشة ما يجب على المناطق من الالتزام به حيال إتاحة الفرصة لدعم كنترولات النقل بعناصر بشرية جديدة تشارك فى أعمالها وتكتسب خبرات ينتفع بها فى المستقبل والتأكيد على عدم الاستعانة بالإداريين للعمل بمراكز توزيع أسئلة النقل والشهادات.



قرار جمهوري بمد خدمة فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام



عبد الفتاح علام

أصدر السيد رئيس الجمهورية القرار رقم ١١٨، لسنة ٢٠٠٨ بمد خدمة فضيلة الشيخ/ عبد الفتاح على محمد علام - وكيلا للأزهر الشريف لمدة سنة اعتبارا من ٢٠٠٨/٥/١٧ وذلك بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

وأسرة تحرير مجلة الأزهر تهنئ فضيلته وتتمنى له دوام التوفيق.

مسلمو نيجيريا يطلبون دعمهم بعلماء من الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ظهر يوم الإثنين الموافق ٢١ / ٤ / ٢٠٠٨ وفدا تعليميا من دولة نيجيريا برئاسة الشيخ/ يعقوب عباس نائب محافظ ولاية زيجاوا بنيجيريا.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف مؤكدا على عمق العلاقة بين الأزهر الشريف ونيجيريا، وأن الأزهر لا يدخر وسعا فى مساعدة أبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض. وبين فضيلته بأن لنيجيريا عددا كبيرا من الطلبة يدرسون بالأزهر الشريف بمراحل التعليم المختلفة، كما أن لدى الأزهر بعثة أزهرية كبيرة بنيجيريا تقوم على نشر الثقافة الإسلامية والعلوم العربية والشرعية بين أبناء نيجيريا.

ومن جانبه أعرب رئيس الوفد عن سعادته البالغة للتشرف بمقابلة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وأنه جاء إلى الأزهر الشريف، هذا الصرح الشامخ بعلمه وعلمائه والذى يمتد نور علمه إلى شتى بقاع الأرض للاستعانة بعلماء الأزهر الشريف، كلما طلب المزيد من الدعم الفنى بالكتب والمدرسين لتوضيح صورة الإسلام السمحة.

هذا وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بدراسة ما طلبه السيد رئيس الوفد تمهيدا لتلبيته، حضر اللقاء فضيلة الشيخ زكريا اسماعيل - رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

[illegible] has already been evident [illegible]

[Al-Baqarah (The Cow): 256]

[illegible] the people on earth to reach them by the extreme goodness by which it came without limiting it to certain people.

Call to the Whole Humanity

[illegible] Da'wah to the whole humanity [illegible] language. Difference of language [illegible] between Arab and non-Arab.

[illegible] the most [illegible] in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant}

[Al-Hojurat (The Apartments): 13]

Thus [illegible] is not owned by the Arabs or Muslims only. However [illegible] Allah's call for the whole humanity

Say, "O [illegible] mankind, surely I am the Messenger of Allah to you all together, to Whom belongs the Kingdom of the heavens and the earth. There is no god except He. He gives life and causes to die. So believe in Allah and His Messenger, the Prophet the illiterate one who believes in Allah and His Speeches, and follow him closely that possibly you would be guided."

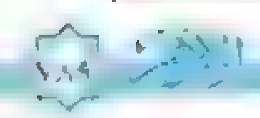
[Al-A'raf (The Battlements): 158]

As the call for Islam is a legitimate duty and a human necessity that is imposed on the [illegible] Muslims are more appropriate for this duty because they tasted the sweetness of [illegible] Islam caused a state of [illegible] "We are happy because of Islam [illegible] will cause them to fight us by swords."

[illegible]

[illegible] And in case you turn away, He will [illegible] exchange you for another people, thereafter they will not be your likes.}

[Muhammad [illegible]]



Islam and the Future of Humanity

Br: Dr. Hamdi Fattouh Wali...!

No one can deny the suffering that the misery from which the whole humanity suffers along with the destruction and conflicts among its peoples. Unfortunately, the destruction does not only afflict the senior criminals, but it included the whole humanity keeping it in constant struggle and continuous misery. Allah is truthful in His saying:

{And protect yourselves against a temptation which will definitely not afflict in particular the ones who did injustice among you; and that Allah is strict in punishment.}

[Al-Anfal (The Spoils): 25]

Nowadays, as the humanity gets tired of the misery surrounding it, it has nothing to do except searching for a means of rescue. However, it seems that humanity will not gain this means soon because of its misfortune and the spoilage of its leaders, who insist on carrying it to bad destiny by getting far from Allah. It is a divine penalty for everyone who does not believe in the Day of Judgment, as Allah said:

{I will soon turn about from My signs (the ones) who wax proud in the earth untruthfully; and in case they see every sign, they do not believe in it; and in case they see the way of righteousness, they will not take it to themselves for a way, and in case they see the way of misguidance, they will take it to themselves for a way. That is for that they cried lies to our signs and were heedless of them.

[Al-A`raf (The Battlements): 146]

As the earth is our ship, we should all cooperate to save it from the frivolous people who play with its future.

The Value of The Human Being

The whole creation-including animate and inanimate beings- is created by Allah. No one but Allah manages the whole world. The human being is an honored creature to whom everything is subjected. There is no materialistic value that surmounts the human being.

Thus, all the criminal excuses of the America and the west of Europe are meaningless. They attack the Muslims out of greediness because of the treasures contained in the Muslims' lands as well as their creed and values. Allah created the whole creatures to be introduced to each other not to struggle, calling them to an eternal divine call, which is to remember their sole origin from one father and one mother as well as their sole aim, which is to get introduced to each other and to render to only one standard that is piety.



{O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.}

[Al-Hojurat: (The Apartments): 13]

These are the main confirmed facts out of which the Muslim springs in the Islamic concept. Did America realize this divine fact to treat all of the peoples of the world being based on the above mentioned confirmed facts letting the earth live in happiness?

Piety and Good Work

All the people are derived from one origin, thus, they are equal and the only distinction among them is piety and good work not any other value such as money, lineage, level or race. Islam governed the earth by these sublime confirmed facts for many centuries presenting to the whole humanity the most luxurious civilizations and the best justice ever known.

Days went on and the world is governed by unbelieving people who do not depend on the divine solution for the problems of the earth. They solely render to the principle of pleasure, benefit, exploitation of power source such as energy and military equipment.

The Crime of the Global System

Islam should reveal itself against this abominable crime practiced by the new global system, as this system does not contain the least reasons for granting happiness to the humanity. This system does not feel any happiness after being dispatched form the Ever-Granting of happiness and blessings.

{And whoever veers away from My Remembrance, then surely he will have a cramped subsistence and We will muster him blind on the Day of the Resurrection. He will say, "Lord! Why have you mustered me blind, and I was already constantly beholding?"

[Taha (Taha): 124-125]

Islam calls the whole humanity for goodness, blessing, guidance and mercy without limiting these graces to a certain people in the way Judaism does. Allah's order is eternally repeated to order the responsible people by the same order directed to Mohammed (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying:

{Say, "O population of the Book, come to a level word between us and you, that we worship none except Allah, and that we do not associate anything with Him, and that some of us do not take to themselves others as lords, apart from Allah." So, in case they turn away, then say, "Bear witness that we are Muslims."

[Al-Imran (The Household of Imran): 64]

Also, Allah does not force the people to be believe in Islam

Moreover, Islam **imposed on every Muslim not to insult and other religion whether divine or not.**

{And do not abuse the ones whom they invoke apart from Allah, (or) then they would abuse **Allah aggressively without knowledge}**

[Al-An`am (The Cattle): 108]

It becomes obvious that Islam is the religion of honor, abstinence and perfection at the time when the newspapers, news agencies and Satellite channels carry continuous provoking from the European countries against the Muslims including offending caricature as well as movies, plays, shows and websites that are specialized in attacking Islam, carrying doubts and distortion attempts concerning the Noble Qur'an and the Sunnah. Furthermore, they attacked the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) to provoke and prompt the Muslims to violent reactions accusing them afterwards of barbarity, terrorism and destruction.

It becomes obvious to the observers that the conflict taking place in Europe between the Muslims and the provoking racialists turned to be a confrontation between the later and the wise governmental responsible people who have vivid conscience and civilized cultures as well as the international organizations and human rights groups. They become assured that the provoking incidents taking place in some of the European countries against the Muslims are not related in any way to the freedom of expression. However, they come out of envious degrading people who lack the requirements of the honorable human civilization.

The caricature that offends the honorable Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was republished in the Danish newspapers and seventeen European newspapers. The Danish royal library kept and authorized this offending caricature as it represents a part of the Danish history, advocating firmly the aims of the degrading owners of the offending caricature.

Recently, the provoking incidents follow each other such as playing a film offending Islam and the Noble Qur'an in the United States of America. Moreover, a German arts museum, specialized for abusing the critics of Zionism in Berlin, the capital of Germany, showed a picture for the Kaaba, on which they wrote "a stupid stone" regarding it as a proof of extremism.

Matters worsened extremely towards much more provoking, as the Israeli Minister at the Vatican, Udid Ibe Hor, in his speech in the American University in Rome, on the last 20th March, 2008 said that the Muslim immigrates in Italy threaten peace and democracy in Europe. Moreover, he criticized the Italians due to their supposed leniency towards the Muslims. He added that the people here should create unbearable hell for the Muslims in Italy. This meaning is emphasized by a Danish rightist organization whose slogan is "Stopping islamision of Europe", as it announced a competition of new caricature offending Islam and **the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).**

The Danish Prime Minister, Andros Grazos, said, "Our aim is to force the Muslims to leave Europe and to return to their countries." On Monday 31st 2008, "Dir Sebigel", the German magazine, published an essay linking between Islam and violence that stirred the Muslims anger. The Minister of Information of Egypt, Mr. Anas Al-Fiqy, issued a ministerial resolution **banning its circulation in Egypt.**

The leader of the rightist liberty party of Netherlands that opposes Islam played a film called "The Sedition" which lasts for seventeen minutes including views offending Islam. It concludes with the message that is directed to the film viewers, the increase of the Islam in Europe, as it presented charts showing the increase of the number of Muslim in Europe especially in Netherlands. The Prime Minister of Netherlands, Ban Peter Bal, had a positive situation towards this offending film, which completely contradicts with the Danish Prime **Minister, Andih Veg Rasmon, during the crisis of the Danish caricature.**

Furthermore, he added that the reaction of the leader of rightist liberty party implies instigation to violence, racism and risk for the social integrity. The offending film is condemned worldly especially by the United Nation Secretary General, Ban Key Mon, who described it as offending Islam and instigates towards hostility and violence. He added that there is no room for freedom of expression in provoking the feeling of the Muslims.

Islam imposed on the Muslims to believe in the unity of the religions so as that it became necessary that every Muslim should complete his creed by confessing Allah's other religions which were sent by His Messengers starting from Adam till Jesus Christ (may Allah's peace be upon them).

Allah says in the Noble Qur'an,

{And who believe in what has been sent down to you, and what has been sent down (even) before you, and they constantly have certitude in the Hereafter.}

[Al-Baqarah (The Cow): 4]

Also, Allah says

{Say (O Muslims), "We have believed in Allah, and whatever has been sent down to us, and whatever was sent down to Ibrahim, and Ismail, and Ishaq and Yaqub and the Grandsons, and whatever was brought down to Musa and Isa, and whatever was brought, and whatever was brought to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we are Muslims.}

[Al-Baqarah (The Cow): 136]

Allah, Glorified be He, says,

{The Messenger has believed in what has been sent down to him from his Lord, and the believers (believe). Everyone (of them) has believed in Allah, and His Angels and His books and His Messengers. We make no distinction between any of HisMessengers.}

[Al-Baqarah (The Cow): 285]

Allah says,

{Say, "We have believed in Allah, and in whatever has been sent down on us, and whatever was sent down on Ibrahim and Ismail and Ishaq and Yaqub, and the Grandsons, and whatever was brought down to Musa and Isa, and whatever was brought to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we are Muslims.}

[Al-Imran (The Household of Imam): 84]



you become Muslims, you will live in peace" and sometimes the content was," Allah will double your reward. If you do not inform your people, you will endure your sin and your people's sin."

Allah says in this regard,

{And whoever inequitably seeks for himself as a religion other than Islam, then it will never be accepted from him, and in the Hereafter (he) will be among the losers}

[Al-Imran (The Household of Imam): 85]

Allah, Glorified be He, says in the same Surah,

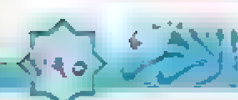
Surely the religion in the Providence of Allah is Islam. And in no way did the ones to whom te Book was brought differ (among themselves) except even after the knowledge came to them, being inequitable among themselves. And whoever disbelieves in the signs of Allah, then surely Allah is swift at the reckoning.}

[Al-Imran (The Household of Imam): 19]

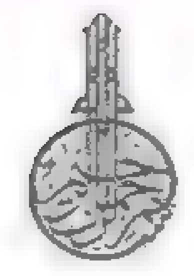
The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) represented the previous Divine Messages as a beautiful house, which is well-constructed, till it became an architectural masterpiece that appeals to everyone. The viewer notices that there is a missing brick which is completed by Islam.

This means that the previous Divine religions were dedicated to specific people and were such phases paving the way for a final aim, which is setting up a religion that units the whole humanity to live as a family under its banner. Thus, humanity backs to its very beginning, when there was no family but the Adam's family with Hawaa and the sons they begot.

Allah knows that the progressive technology and scientific improvement occurring in our age, the age of globalization and internet, will turn the whole world to a village. Thus, there should be only one religion instead of the various religions that cause dispersion, separation and lack of communication. Hence, Islam, that global religion, should unite the whole humanity, which is represented by the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) as a whole building missing one brick and is completed by Islam to reach perfection.







ENGLISH SECTION

May, 2008

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

They offend Islam, while Islam does not offend any one....!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

No one can deny in this age that Islam is a Divine religion. Allah decided that it is the last Divine religion, which descended fourteen centuries ago. When Allah's Messenger died, no revelation descended to the earth, as Mohammad is the last Messenger. Allah says in the Noble Quran.

{In no way is Mohammad the father of any of your men, but he is the Messenger of Allah and the Seal of the Prophets}

[Al-Ahzab (The Allied Parties): 40]

No prophet appeared to refute this fact, although some people claimed falsely their prophecy such as Mosailamah, the liar, and his wife Sagah, Ahmad Al-Qadiany and others who became nameless.

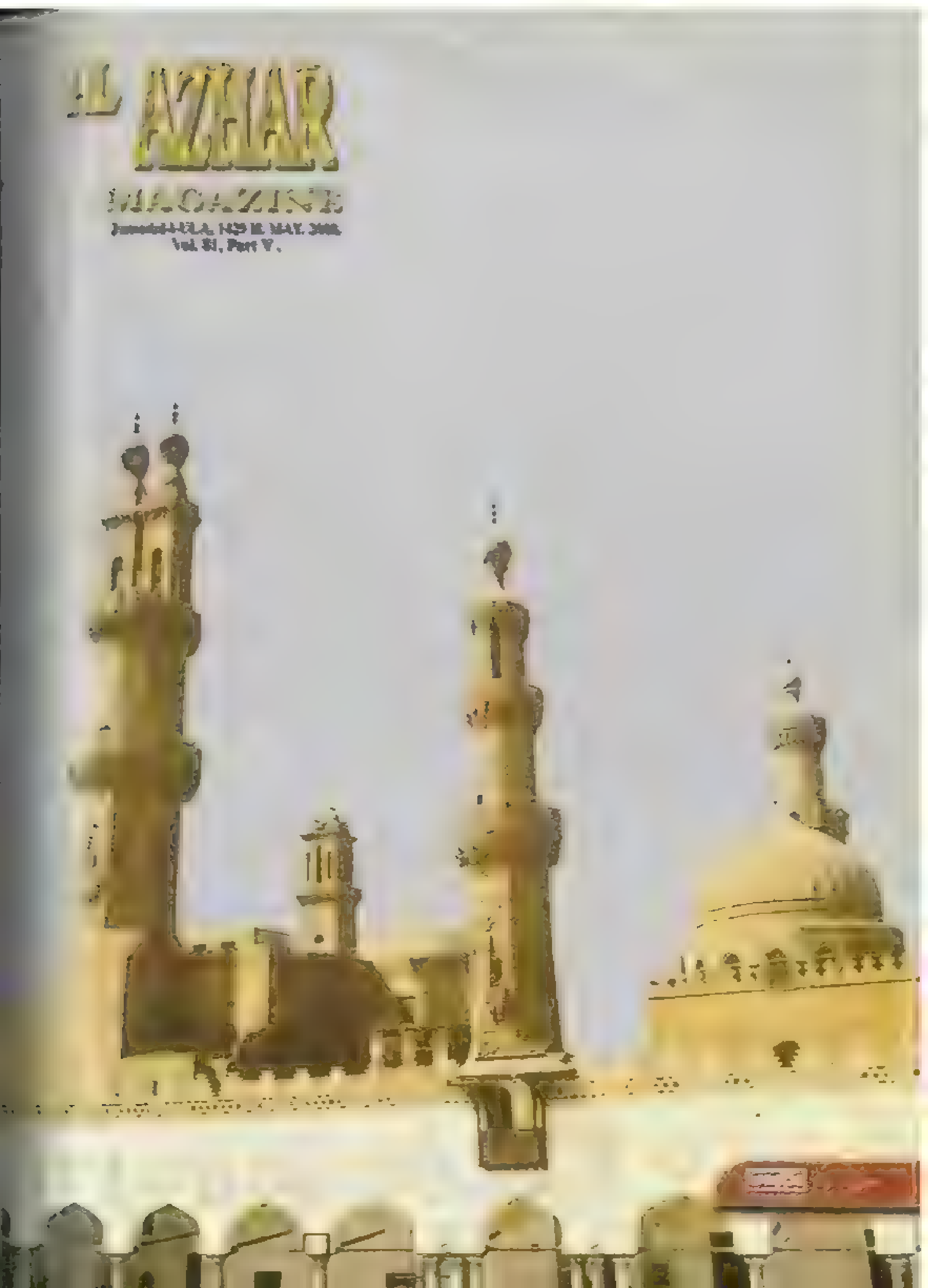
The Noble Quran, which descended upon the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), revealed that Islam is not restricted to the Arabs only, and the Prophet is not confined to them exclusively. However, he is the Prophet of the whole earth with all of its sides (the east, the west, the north, and the south). Allah says addressing the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him):

{And in no way We sent you except as a constant bearer of good tidings and a constant warner to the whole of mankind}

[Sabaa (Sheba): 28]

Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) managed to send messages by his companions to the kings and princes of all countries in his age calling them and their peoples to believe in Islam discarding their current beliefs. Also, they informed that if they did not notify their peoples, they will be sinful. The content of the message was: "If

الفهـــــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Vol. 81, Part V.



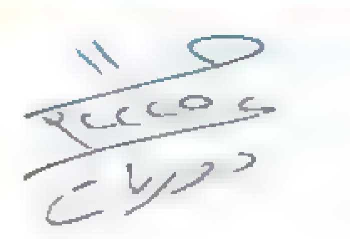
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

احتفالية الأزهر الشريف



بالإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

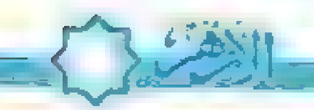
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

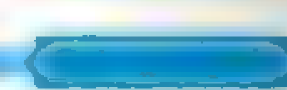
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ - يونيه ٢٠٠٨م - الجزء السادس - السنة (٨١)







العيد الضائع

الكتاب المدرسي عبء ثقيل

وهل يستحق الكتاب المدرسي الذى يقرؤه الطفل فى المدرسة الابتدائية والتلميذ فى المدرسة الإعدادية والمدرسة الثانوية أن يكون موضع نقد افتتاحية لمجلة الأزهر ؟

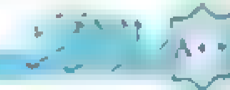
سيقول الذين يزاولون التأليف المدرسي إن التأليف فى هذا المجال خطير إذ لابد فوق الإلمام بالمادة العلمية من مراعاة الناحية العقلية، والناحية النفسية، والمناخ الاجتماعي والوسط الروحي، وكل ذلك يتطلب من الجهد الدائب، والنظر المتواصل ما لايتطلبه الكتاب العام الذى يكتب لغير التلاميذ!

وحق ما يقولون فما لنا أن نجادل فيه، ولكن الذى نسأل عنه ملحين، هل روعيت هذه النواحى العقلية والنفسية والجسمية عند التأليف، أو أن هذه مقررات تذكر سردا فى مقدمات الكتب، ويتباهى بها من يسطرونها فى اعتداد، ثم لا تجد التنفيذ؟

إن من المشاهد المؤلمة حقا أن تجد فى الصباح مئات التلاميذ الصغار يحملون الحقائب فوق ظهورهم -وهذا مالم نألفه من قبل- وقد كدست بكتب الدراسة حتى ضاق بها جهد التلميذ، فأخذ يرزح إعياء، ومن الطريف الذى يذكر فى هذا المجال على سبيل التندر أن شاشة التليفزيون فى مفتتح الدراسة بالعام الماضي، أخذت تعرض حقائب المدرسة فى إعلاناتها المتكررة، وتقول إن بها مكانا لطعام الغداء ومكانا مأمونا لزجاجة الماء، ليجد التلميذ غذاء الجسم والعقل معا! ثم تتم النادرة المضحكة حين يكون ثمن الحقيبة مائتي جنيه فقط! وكأن مصاريف المدرسة وأجور الدروس الخصوصية ليست كافية لإحراج أولياء الأمور؛ فوجب أن تضاف إليها حقيبة الكتب الثمينة، والتلاميذ يقلد بعضهم بعضا، وكم يتعس الوالد المسكين حين يقول له ابنه الصغير: أريد حقيبة كبيرة ممتازة كحقيبة فلان؛ فيترحم الوالد على أيام تلمذته حين كانت الحقيبة بعشرة قروش، وبخمسة أيضا.

لقد حدثتني حفيدتي التلميذة بإحدى المدارس الإعدادية، أن أما مسكينة تجيء كل يوم مع بنتها المريضة لتحمل عنها حقيبة الكتب، لأنها مريضة بالقلب، ولا تستطيع أن تصعد إلى الدور الثالث بما تحمل من أثقال، فتعين على الأم أن ترافقها، ثم عند الانتهاء يعد الظهيرة تنتظر التلميذة دقائق حتى تنهض والدتها إلى إعادتها راجعة كما أحضرتها ذاهبة؟ فتصعد السلم دائبة ولا أدرى ماذا يفرض المدرسون على التلاميذ حمل جميع الكتب كل يوم! أما كان فى تحديد الجدول المدرسي ما يخفف من أعباء هذا العنت؟ ولكيف فرضى الإصلاح؟ لو كنت مكان مدير المدرسة، وشاهدت هذه الأم الحائرة لأمرت المدرسين بتحديد المادة كل يوم، وأخذت من يلزم التلاميذ بإحضار جميع الكتب والكراسات بل حتمت أن يكون فصلها فى الدور الأول.

والذين يكررون فى كل مناسبة أنهم يراعون أدق قواعد التربية فى التأليف فيقدرون الطاقة الذهنية للتلميذ، يحابون التلاميذ والمدرسين بما يقع موقع النقد مما يقولون، ولعل اختيار جماعة من المؤلفين والمراجعين تبلغ الخمسة والستة والسبعة أحيانا ذو أثر فى تضخيم الكتاب، لأن كل واحد سيكتب، ولابد أن تكون مساحة تأليفه لا تقل عن مساحة زميله، فيأتي التضخم المرهق من هذه الناحية! فأين أصول التأليف التربوي؟ وأين مراعاة الطاقات الذهنية والنفسية للطلاب؟ ولا أترك القول دون تمثيل، فقد وقع فى يدى ــ عرضا ــ كتاب «الوطن العربي والعالم الخارجي» وكان مقررا على السنة الثانية الثانوية، فوجدته يشمل مائتين وأربعا وستين صفحة من القطع الكبير، وقد اشتمل على ثلاثة عشر فصلا فى بابين؛ إذ يتحدث عن عرض للخريطة السياسية للوطن العربي، وملامح البيئة به، وتوزيع السكان، وتوزيعهم الجغرافى، وخصائص الزراعة فى الوطن العربي والإنتاج الزراعي والإنتاج الحيوانى والإنتاج التعدينى ومصادر الطاقة، وخصائص الصناعة فى الوطن العربي، وهذا كله فى الباب الأول، أما الباب الثانى فيتحدث عن الوطن العربي والعالم الخارجي فيفيض فى ملامح الدول وموازينها، ويخص الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وغرب أوروبا، واليابان والبرازيل ونيجيريا واستراليا والصين والهند بمعارف كثيرة، ويقع فى مائة وستين وخمسين من الصفحات المكتظة المحتشدة! وقد تقع السعة فيما تقع على المنهج الدراسي الذى قام بوضعه أساتذة التربية والجغرافيا الأجلاء، وهو منهج لا يقوم باستيعابه طالب الدراسات العليا، بله طالب الكلية الجامعية، فكيف صب هذا العبء صبا على طالب لديه أكثر من ثلاث عشرة مادة! ومن المضحك بعد هذا كله أنك تسأل هذا الطالب المجهود بعد نجاحه المتفوق فى الثانوية وحصوله على أكثر من تسعين فى المائة من الدرجات عن عاصمة محافظة من محافظات الجمهورية، فلا يجيب بغير الشاد لأنه، قد ذهبت



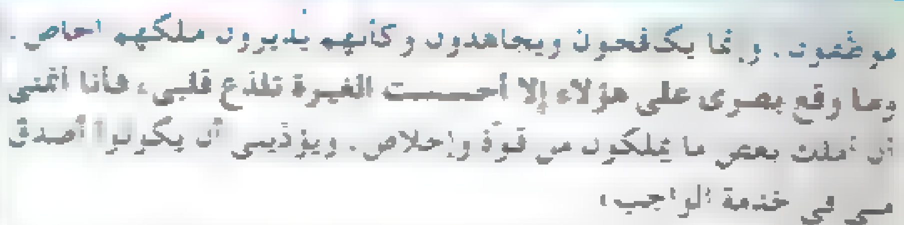
معارفه عن البرازيل ونيجيريا والصين واليابان؟ وكيف نجح فتفوق ونال أعلى الدرجات؟؟

أعرف أن لدينا ما يعرف بالكتاب الخارجي في كل مادة دراسية. وأعرف أن المدرسين يشيرون في الدروس الخصوصية. وغير الخصوصية بالرجوع إليه وحده. وفيهم من يختصره إلى وريقات تقدم للطالب كي يحشو بها ذهنه. وتكون قنطرة الوصول. والسؤال الضرورى تجاه هذا الموقف الغريب هو: لماذا لا توضع كتب الوزارة على نحو يقربها من الكتاب الخارجي؟. بل لماذا لا يكتفي بالكتاب الخارجي إذا كان هو المقرر فعلا؟ وكيف يتحمل الطالب ثمن كتابين في مادة واحدة. أحدهما لا يقرأ أصلا! (والمدرسة بمدرسيها وناظرها وموجهيها يعلمون ذلك عن يقين) والثاني هو المعتمد المرتكن إليه؟ ولعل المصروفات المدرسية في جميع مراحل التعليم تحتاج إلى النصف إذا واجهنا الحقائق ورحمنا المستضعفين.

على أني أعرف أن مدارس جميعها ترسل في آخر العام تقريرات عن المناهج والكتب، يضعها المدرس الأول مع زملائه ويرسلونها إلى المنطقة التعليمية. لتتولى بدورها إرسالها إلى مكاتب التوجيه بالوزارة في القاهرة. ولا شك أن في هذه التقريرات ما يكشف عن عوار في المناهج والكتب معا. وقد وكل إلى حين كنت مدرسا أول بدار المعلمات في بعض السنوات كتابة مثل هذه التقريرات، فكنت أكتبها بحيدة وإخلاص. وأنا أتساءل اليوم عن مصير هذه التقريرات. أيقرؤها الأساتذة المسئولون في الوزارة؟ أم أنها تتحول إلى عمل روتيني يرسل ليهمل. لقد كان المسئولون من قبل أشد اهتماما بهذه النقدات الصائبة، إذ يرسلون من الموجهين الفنيين إلى المدارس من يتحدث عنها، ويناقش ما يراه جديرا بالمناقشة. ولم نعد اليوم نرى لها من صدى يدل على أدنى اهتمام! أخشى أن يكون الكبار في الغرفات العالية بالوزارة. قد أغفلوا هذه الناحية، مع ضرورة الاحتفال بها. وإلا فعلم الكتابة ومؤاخذة من لم يرسل إذا أهمل واستراح؟

لقد كان الاهتمام بمسائل التعليم من قبل واجبا أكيدا، إذ كان المسئولون يبذلون الجهد الدائب في تتبع كل ما يرد إليهم من تقريرات نجد صداها البعيد فور دون إهمال. وقد رأينا من هؤلاء السابقين من يحضر إلى مكتبه مساء لينهي ما بقي من عمل اليوم ولا يستطيع إرجاؤه إلى يوم آخر، دون أجر إضافي. وإذا كان القارئ في شك من ذلك فإني أنقل إليه سطورا كتبها الدكتور زكي مبارك في مقال نشره بمجلة الرسالة الصادرة بتاريخ ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٨، تحت عنوان (رجال التعليم في وزارة المعارف) يقول فيه:

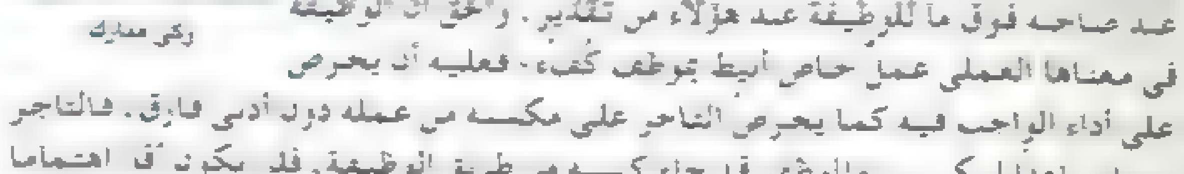
«في مقر وزارة المعارف ناس لا يتكلمون إلا قليلا مثل حسن فايق، ومحمد حسين، وصادق جوهر، وأحمد عاصم والعجاني والدمرداش محمد. ولكن في هؤلاء الرجال الصامتين خصوصية عجيبة، فهم يعتقدون أن وزارة المعارف دارهم، ولا يخطر في بالهم أنهم



موظفون. وإنما يكافحون ويجاهدون وكأنهم يديرون ملكهم الخاص.

وما وقع بصرى على هؤلاء إلا أحسست الغيرة تلذع قلبي، فأنا أتمنى أن أملك بعض ما يملكون من قوة وإخلاص. ويؤذيني أن يكونوا أصدق مني في خدمة الواجب»

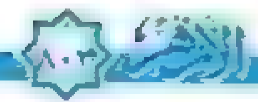
لقد قرر الدكتور أن الوظيفة لدى هؤلاء معناها الثقافي في العمل دون إبطاء! وقد حسب أن المتجر الخاص أو المصنع الخاص له امتياز عند صاحبه فوق ما للوظيفة عند هؤلاء من تقدير. والحق أن الوظيفة في معناها العملي عمل خاص أنيط بموظف كفء، فعليه أن يحرص على أداء الواجب فيه كما يحرص التاجر على مكسبه من عمله دون أدنى فارق. فالتاجر يعمل جاهدا ليكسب. والموظف قد جاء كسبه من طريق الوظيفة. فلن يكون أقل اهتماما من التاجر أو صاحب المصنع، أو زارع الأرض! وهذا الفهم الأصيل كان موجودا تمام الوجود في الزمن الذى كتب فيه الدكتور مبارك مقاله! وقد ذكر أسماء فضلاء كرام في وزارة المعارف. ولو امتد ببصره إلى الوزارات الأخرى لرأى نظراء مختارين لهؤلاء الكرام! أما اليوم فالموظف كبر أو صغر -إلا من عصم الله- يعتقد أن الوظيفة سد للفراغ فقط. وأن العمل الحقيقي هو خارج الوظيفة تماما. وانظر إلى تدهور الأحوال في شتى المصالح الحكومية تجد الدليل المخيف!



زكي مبارك

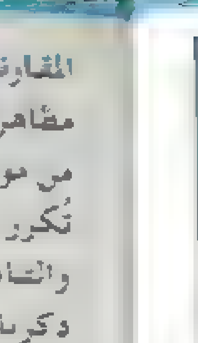
•

لقد كتب الدكتور زكي مبارك مقاله هذا في سنة ١٩٣٨م. وسبق هذا لدى بخمسة عشر عاما. لنرى موقفا جديا من مواقف رجال التربية والتعليم خاصا بتأليف كتاب مدرسي للمطالعة الثانوية. فإن نظرة واحدة إلى ما صاحب ذلك من عمل متصل، واستعصار من المسئولين. وتحديد لأجور المؤلفين. واختيار موضوعات الكتابة المناسبة للتلاميذ. هذه النظرة ترينا كيف يكون العمل الجاد في بدئه بدرة تنمو في استهانة ثمرة مشتهاة. لقد أحس القائمون على شئون اللغة العربية بالوزارة سنة ١٩٢٣، أن المدارس الثانوية في حاجة إلى كتاب للمطالعة، إذ أن الطلاب ظلوا مدى طويلا يدرسون كتابي أدب الدنيا والدين للماوردى وكليلة ودمنة لابن المقفع. وهما كتابان جليلا النفع بالنسبة للقارئ العام. ولكن طلب المدرسة الثانوية يحتاج في كتاب المطالعة إلى تنوع الموضوعات وسهولة الأسلوب. والعيش في حاضره الراهن حين يقرأ عن أمور يشهدها بالعين ويلمسها باليد. لذلك قامت وزارة المعارف بعقد مسابقة لتأليف الكتاب المنشود. وجاءت الكتب على غير المستوى المتوقع. وهنا اجتمع القائمون على شئون الدراسة العربية بالوزارة. وقرروا كتابة خطاب رسمي إلى وزير المعارف يقترح الموافقة على أسماء ذات ميزة خاصة في الحقل العلمي. كي يقوموا بتأليف الكتاب. كما يقترح مكافأة لكل عضو. وتحديدا لموعد الانتهاء من التأليف وبدء الطبع. ويهمنا أن نشير إلى فقرات مما جاء في كتاب المفتش الأول للغة



العربية الأستاذ محمد حسنين الغمراوى بك إلى معالى وزير المعارف يحيى باشا إبراهيم حيث قال فيما أوجزه بتصرف دقيق:

حضرة صاحب المعالى يحيى إبراهيم باشا وزير المعارف:


محمد حسنين الغمراوى

لوحظت همة نفر من الأدباء إلى وضع كتب المطالعة الثانوية بيد أن فحصها قد أسفر عن أنها لا تسد النقص؛ لأن كتاب المطالعة الذى يلائم تدرج العقل، ويساوق الحركة العلمية يشبه أن يكون دائرة معارف مختصرة، ويعسر أن ينفرد واحد بوضعه على الوجه الأكمل فلا محيص من تكوين جماعة يناط بهم تأليف هذا الكتاب، تجتمع فيهم من الصفات أن يكونوا ممن مارسوا تعليم اللغة العربية بالمدارس الثانوية زمنا طويلا. وأن يكونوا ممن عرفوا بسعة الاطلاع. وأن يكون بينهم بعض الذين سافروا إلى إنجلترا وقد عرفوا إبان تلمذتهم فى دار العلوم بتفوقهم على أقرانهم فى اللغة العربية كما درسوا أصول التربية فى إنجلترا، لذلك نعرض عليكم أسماء من نقترحهم للتأليف (ثم ذكر الرجل أسماء اثنى عشر نابها من أساتذة مصر ووظائفهم الحالية) ونرى اللجنة أن تمنح الوزارة كل عضو من هؤلاء أربعين جنيها عند إتمام الكتاب. على أن يمكن انتداب أى عضو فى أثناء العمل إذا ظهر عدم اقتداره عليه.

وجاء رد معالى الوزير موافقا. ومؤيدا كل ما اقترح عليه. وقال: إن المكافأة ستصرف على دفعتين بعد موافقة اللجنة المالية. وتصديق مجلس الوزراء! وفى يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٣ صدر قرار مجلس الوزراء بالموافقة وفقا للشروط المدونة بالخطاب!».

هذا مثل لمدى الاهتمام البالغ بتأليف الكتاب المدرسى، اهتماما يرعاه وزير المعارف، ويصدر قرار مجلس الوزراء بتنفيذه. ثم تقوم اللجنة بالتأليف فيصدر الكتاب فى جزءين تحول بعدهما إلى أربعة مرعاة لسنوات الدراسة. وتقرأ الموضوعات فتجد الكتاب مع سلامة أسلوبه وسهولة تناوله دائرة معارف ميسرة للتلميذ. ولن أحاول أن أذكر عناوين موضوعات إذ إنها تربو على الستين موزعة بين مسائل التاريخ والتربية والأدب والاجتماع والاقتصاد والأخلاق توزيعا يدفع كل قارئ طالبا كان أو غير طالب إلى استيعاب كل مقال دون سأم. وقد رجعت إلى الكتاب اليوم فرأيت فيه ما يفيدنى. وأعددته مرجعا علميا! وأنا قارئ قديم!

أرأيت إذن كيف الاحتفالُ بتأليف كتاب مدرسى؟ وكيف احتشادُ طائفة من النابهين لإعداده؟ وكيف اهتمام الوزير ومجلس الوزراء بموضوعه؟! وقد ظل الكتاب مقررا خمسة عشر عاما حتى ظهرت كتب أخرى حاولت احتذاءه فأصابت كثيرا كثيرا حينذاك، وقد ظهر الكتاب فى عهد الملك فؤاد. فلم نجد به أثرا يشير إلى ذلك. أو موضوعا يخص ولى العهد الأمير فاروق. بل اتجه المؤلفون إلى الغرض المقصود. واقرأ ـ إن شئت ـ على سبيل المقارنة ما ظهر فى الخمسينيات والستينيات من كُتب المطالعة لتجدها قد تحولت إلى مظاهرات إعلامية. فمع كلمات للرئيس عبدالناصر، وللوزير التربية كمال حسين تجد المكرر من موضوعات مديرية التحرير، وحرب القناة، ومشروع الشجرة وعيد الجلاء!! موضوعات تُكرر فى السنوات المختلفة وكأن طالب الفرقة الرابعة لم يقرأ أمثالها فى السنوات الأولى والثانية والثالثة! أما دائرة المعارف التى كانت وجهة السابقين من المؤلفين على نحو ما ذكرنا من قبل فقد أصبحت فى ذمة التاريخ!

وأعود إلى الكتاب المدرسى فأذكر أنى قرأت فى الصحف أن السيد وزير التربية والتعليم قد أمر بإعادة النظر فى المناهج وضرورة التخلص من كثير مما بها من الحشو، ويتبع ذلك أن يجىء الكتاب المدرسى فى العام القادم خالصا من أوراقه المبعثرة فى أكثر صفحاته. وأن يكون التأليف مما يتناسب مع قدرة الطالب عملا فعليا، لا قولا لفظيا؛ لأن بعض المتعصبين لتخصصاتهم يظنون امتلاء المنهج بشتى الموضوعات تركيزا لقيمة المادة بين المواد، وهو ظن خاطئ تماما. ومن وراء هذا الظن تجد الكتاب المقرر على الصف الثانى الثانوى فى علم الاجتماع على سبيل المثال لا صلة له بالتأليف المدرسى على الإطلاق وقد خيل إلى حين تصفحته أنه رسالة جامعية، لا فصول مدرسية؛ إذ ضم سبعة أبواب كبار تتحدث عن موضوع علم الاجتماع ومجال دراسته وأهدافه، والمنهج العلمى فى دراساته، والموضوعات الأساسية للعلم وهذا فى ست وأربعين من الصفحات ذات القطع الكبير، ثم جاء الباب الثانى خاصا بماهية العملية الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية والتعاون والتكيف والمنافسة والصراع. وتلاه الباب الثالث ليتحدث عن نشأة الحياة الاجتماعية وتطورها وأشكالها من نحو الأسرة والعشيرة والقبيلة والقرية والمدينة والدولة والأمة والاتجاه نحو العالمية والباب الرابع يفصل الحديث عن الأسرة والنظام الاقتصادى والنظام السياسى. ولا أفيض فى تعداد ما بالأبواب التالية وهى الخامس والسادس والسابع من فصول متداخلة فى بعض عناصرها ليتم الكتاب فى مائتين وسبع وعشرين من الصفحات الطوال. فليت شعرى أهذا كتاب مدرسى أم كتاب جامعى؟ بل إن الكتاب الجامعى لا يؤلف على هذا النحو من التشتت والاستطراد! ونحن نعلم أن العام الدراسى لا يتجاوز ستة أشهر على الأكثر. فهل تكفل حصص المادة بتوضيح هذا الركام! وقس على كتاب الاجتماع كتبا شتى فى الاقتصاد والمنطق وعلم النفس والتاريخ وما غاب عنى ذكره الآن.

وبعد.. فإذا أردنا أن ينشأ التلميذ محبًا للقراءة، مشغوفا بالكتاب، فعلينا أن نجعل الكتاب المدرسى بعض الوسائل لهذا الحب؛ فيكون فى المواد الإنسانية أشبه بقصة. وذلك ليس بالعسير.

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

الآيات (١٧٣ ـ ١٧٥)

قال الفخر الرازى ما ملخصه: نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سفيان لما عزم على الإنصراف إلى مكة فى أعقاب غزوة أحد نادى: يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى فنقتتل بها إن شئت. فقال النبى ﷺ لعمر: قل له بيننا وبينك ذلك إن شاء الله.

فلما حضر الأجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل بمر الظهران، فألقى الله الرعب فى قلبه، فبدا له أن يرجع. فلقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال له: يا نعيم، إنى وعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر. وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر، ونشرب فيه اللبن. وقد بدا لى أن أرجع. ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاد بذلك جراءة علينا، فاذهب إلى المدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الإبل.

فخرج نعيم إلى المدينة فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: ما هذا بالرأى. أتوكم فى دياركم وقتلوا أكثركم فإن ذهبتم إليهم لم يرجع منكم أحد.

فوقع هذا الكلام فى قلوب قوم منهم. فلما رأى النبى ﷺ ذلك قال: «والذى نفسى بيده لأخرجن إليهم ولو وحدى».

ثم خرج ﷺ فى جمع من أصحابه، ومضوا إلى أن وصلوا إلى بدر الصغرى ـ وهى ماء لبنى كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام ـ ولم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحدا من المشركين.

ووافقوا السوق وكانت معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا أدما وزبيبا، وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين.

أما أبو سفيان ومن معه فقد عادوا إلى مكة بعد أن وصلوا إلى مر الظهران[1].

وقيل إن الذين قابلهم أبو سفيان عند خروجه من مكة جماعة من بنى عبدالقيس، وقد قال لهم ما قاله لنعيم بن مسعود عندما أزمع العودة إلى مكة بعد أن قذف الله الرعب فى قلبه من لقاء المسلمين.

وعلى أية حال ففى سبب نزول هذه الآية والتى قبلها أقوال أخرى للمفسرين اكتفينا بما ذكرناه خشية الإطالة..

وقوله

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾

بدل من قوله:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

[آل عمران ١٧٢]

أو صفة له. أو فى محل نصب على المدح أى أمدح الذين قال لهم الناس.. إلخ

والمراد فى الموصول فى الآيتين طائفة واحدة من المؤمنين وهم الذين لم تمنعهم الجراح عن الخروج للقتال، ولم يرهبهم قول من قال لهم بعد ذلك إن الناس قد جمعوا لكم.

والمراد من الناس الأول وهو قوله:

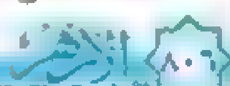
﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾

جماعة بن عبدالقيس أو نعيم بن مسعود.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت كيف قيل «الناس» إن كان نعيم هو المثبط وحده؟

قلت: قيل ذلك، لأنه من جنس الناس كما يقال: فلان يركب الخيل، ويلبس البرد وماله إلا فرس واحد وبرد فرد. أو لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه، ويصلون جناح

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ٩ ص ٩٩





كلامه، ويثبطون مثل تثبيطه[٣].

والمراد من الناس الثاني وهو قوله:

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾

أبو سفيان ومن معه. فأل فيهما للعهد، والناس الثاني غير الأول.

وقوله ـ تعالى ـ حكاية عن هؤلاء المثبطين:

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾

أى أن أعداءكم المشركين قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة ليستأصلوكم، فاخشوهم ولاتخرجوا لقتالهم.

وحذف مفعول ﴿ جَمَعُوا۟ ﴾ فلم يقل: جمعوا جيشا كبيرا أو جمعوا أنفسهم وعددهم وأحلافهم وذلك ليذهب الخيال كل مذهب في مقدار ماجمعوا من رجال وسلاح وأموال، ولكن هذا القول الذى صدر من هؤلاء المثبطين، لم يلتفت إليه المؤمنون الصادقون المخلصون في جهادهم وفي اعتمادهم على خالقهم، بل كانوا كما أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم

﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾

أى أن هذا القول الذى قاله المثبطون، زاد المؤمنين إيمانا على إيمانهم، ويقينا على يقينهم، وثباتاً على ثباتهم، وجعلهم يقولون للمرجفين بثقة واطمئنان

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ أى كافينا الله أمر أعدائنا ﴿ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ أى نعم النصير خالقنا ـ عز وجل ـ فهو الموكول إليه أمرنا ومصيرنا.

وقولهم هذا يدل دلالة واضحة على قوة إيمانهم، وشدة ثقتهم في نصر الله ـ تعالى ـ لهم، مهما كثر عدد أعدائهم، ومهما تعددت مظاهر قوتهم.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف زادهم نعيم أو مقوله إيمانا؟ قلت: لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد، وأظهروا حمية الإسلام، كان ذلك أثبت ليقينهم، وأقوى لاعتقادهم، كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج. ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى جهة العدو طاعة عظيمة. والطاعات من جملة الإيمان، لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل. وعن ابن عمر: قلنا يارسول الله: إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم. يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار». وعن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول: قم بنا نزداد إيماناً. وعنه: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به»[٣].

---

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص٤٤١

(٣) تفسير الكشاف جـ ١ ص٤٤٢

وقال ابن كثير: روى البخارى عن ابن عباس: قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين ألقى به فى النار. وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم».

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» [كنز العمال][٤].

ثم حكى ـ سبحانه ـ ما تم لهؤلاء المجاهدين الذين خرجوا للقاء أعدائهم من عاقبة حسنة وعود حميد فقال ـ تعالى ـ:

﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

فالفاء في قوله

﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾

للتعقيب، وهى معطوفة على مقدر دل عليه السياق.

ومعنى: «انقلبوا» عادوا ورجعوا.

والنعمة: هى العطاء الذى ينفع صاحبه.

والفضل: الزيادة فى العطاء والنعمة.

والمعنى: أن هؤلاء المجاهدين الصادقين خرجوا للقاء أعدائهم بدون وهن أو ضعف أو استكانة فلم يجدوهم. فرجعوا إلى ديارهم مصحوبين ﴿ بِنِعْمَةٍ ﴾ عظيمة ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ـ تعالى ـ، إذ خذل أعداءهم، وسلمهم من شرورهم، ومصحوبين بفضل جليل منه ـ سبحانه ـ حيث أغدق عليهم ربحا وفيرا فى تجارتهم، وأجرا جزيلا بسبب قوة إيمانهم، وإخلاصهم فى دينهم.

قال الألوسى: «روى البيهقى عن ابن عباس أن عيرا مرت فى أيام الموسم ـ أى موسم بدر ـ فاشتراها رسول الله ﷺ فربح مالاً فقسمه بين أصحابه فذلك الفضل».

وأخرج ابن جرير عن السدى قال: أعطى رسول الله ﷺ حين خرج فى غزوة بدر الصغرى أصحابه دراهم ابتاعوا بها فى الموسم، فأصابوا تجارة ـ فربحوا فيها»[٥].

وقوله ﴿ بِنِعْمَةٍ ﴾ فى موضع الحال من الضمير فى ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ ﴾ فتكون الباء للملابسة أو للمصاحبة فكأنه قيل فانقلبوا متلبسين بنعمة أو مصاحبين لها.

وقوله ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف صفة لنعمة، وهو مؤكد لفخامتها وأنها نعمة جزيلة لايقدر قدرها.

وقوله: ﴿ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ أى لم

---

(٣) تفسير الكشاف جـ ١ ص٤٤٢

(٤) تفسير ابن الكثير جـ ١ ص٤٣٠

(٥) تفسير الألوسى جـ ٤ ص١٢٩

يصيبهم أى أذى أو مكروه عند خروجهم وعودتهم.

والجملة فى موضع الحال من فاعل «انقلبوا» أى رجعوا منعمين مبرئين من السوء والأذى.

وقوله:

﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾

معطوف على قوله ﴿ فَٱنقَلَبُواْ ﴾.

أى اتبعوا مايرضى الله ويوصلهم إلى مثوبته ورحمته، باستجابتهم لرسولهم ﷺ وخروجهم للقاء أعدائهم بإيمان عميق، وعزم وثيق.

فأنت ترى أن الله ـ تعالى ـ قد أخبر عن هؤلاء المجاهدين المخلصين أنهم قد صحبهم فى عودتهم أمور أربعة

- أولها: النعمة العظيمة.
- وثانيها: الفضل الجزيل.
- وثالثها: السلامة من السوء
- ورابعها: اتباع رضوان الله.

وهذا كله قد منحه الله لهم جزاء إخلاصهم وثباتهم على الحق الذى آمنوا به.

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بقوله

﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾

أى والله تعالى صاحب الفضل العظيم الذى لايحده حصر، ولايحصيه عد، هو الذى تفضل على هؤلاء المؤمنين الصادقين بما تفضل به من عطاء كريم، وثواب جزيل.

وفى هذا التذييل زيادة تبشير للمؤمنين برعاية الله لهم، وزيادة تحسير للمتخلفين عن الجهاد فى سبيله ـ عز وجل ـ، حيث حرموا أنفسهم مما فاز به المؤمنون الصادقون

ثم أمر الله ـ تعالى ـ عباده المؤمنين أن يجعلوا خشيتهم وخوفهم منه وحده، فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

فالخطاب فى الآية الكريمة للمؤمنين، والإشارة بذلكم إلى المثبط بالذات أو بالواسطة.

وقوله ﴿ إِنَّمَا ﴾ أداة حصر، و﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ مبتدأ و﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ خبره، وقوله: ﴿ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ جملة مستأنفة مبينة لتثبيطه.

وقيل إن ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ مبتدأ أول، و﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ مبتدأ ثان، وقوله ﴿ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ خبر للمبتدأ الثانى، وهو وخبره خبر للمبتدأ الأول.

والمراد بالشيطان إبليس لأنه علم بالغلبة عليه ولأنه هو الذى يخوف بالوسوسة وقيل المراد به أتباعه الذين دسهم لكى يرهبوا المؤمنين من الكافرين وهم جماعة بنى عبد القيس أو نعيم بن مسعود الأشجعى.

إنما ذلكم المثبط لكم عن لقاء أعدائكم هو الشيطان، الذى يوسوس فى قلوبكم بالشر بذاته، أو بواسطة أتباعه الضالين، ومن شأن المؤمنين الصادقين أنهم لايتأثرون بهذه الوساوس الكاذبة. وإنما الذين يتأثرون بها هم ضعاف الإيمان.

وقوله ﴿ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ أى يخوف أولياءه المنافقين وضعفاء الإيمان ليقعدوا عن مقاتلة المشركين. أما أنتم أيها المؤمنون الصادقون فإنكم لن يقعدكم تخويفه، لأن هذا التخويف لا أثر له فى قلب من آمن بالله حق الإيمان، واتقاه حق تقاته.

وقيل إن معنى ﴿ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ يخوفكم بأوليائه فحذف المفعول وحذف الجار. كما فى قوله:

﴿ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِى ٱلۡيَمِّ ﴾

[القصص: ٧]

أى فإذا خفت عليه فرعون فحذف المفعول. وكما فى قوله:

﴿ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾

[غافر: ١٥]

أى لينذركم يوم التلاقى

وقيل إن المعنى: يخوفكم أولياءه فحذف المفعول الأول كما تقول: أعطيت الأموال، أى أعطيت القوم الأموال.

وقوله:

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

أى فلا تخافوا أولياء الشيطان، بل اجعلوا خوفكم منى وحدى، إن كنتم مؤمنين حقاً.

فالمقصود بهذه الجملة الكريمة تشجيعهم، وتقويتهم، وإلهاب شعورهم، إذ الإيمان الحق يستلزم الخوف من الله دون سواه.

والمراد بالنهى عن الخوف وهو أمر نفسى: النهى عن أسبابه التى من أهمها حب الدنيا وكراهية الموت أى خذوا بأسباب القوة التى من أهمها التمسك بتقوى الله فإن ذلك يزيل الخوف من قلوبكم.

وفى المقابلة بين النهى عن الخوف من أولياء الشيطان، وبين الأمر بأن يكون خوفهم من الله وحده، فى هذه المقابلة إرشاد إلى العلاج الذى يزيل الخوف والفزع من نفوسهم، لأن الذى يجعل خشيته وخوفه من الله وحده لن يستطيع الشيطان أو أولياؤه أن يصدوه عن الطريق القويم وصدق الله إذ يقول:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾

(الإسراء: ٦٥)

وبذلك ترى أن الآيات الكريمة قد رفعت منازل الشهداء إلى أعلى الدرجات. وصرحت بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. كما أثنت ثناء مستطابا على الذين لبوا دعوة رسولهم ﷺ حين دعاهم إلى الجهاد فى سبيل الله. ولم يمنعهم عن إجابة دعوته مابهم من جراح، أو ماقاله لهم المرجفون من أقوال باطلة، فرضى الله عنهم وأرضاهم.

عُمْرُ الإنسانِ أمانة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام البخارى فى صحيحه عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

الشرح والبيان:

يجب أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، وأن نزن أعمالنا قبل أن توزن علينا. مادمنا نؤمن أن هناك موازين تنصب، ولاتظلم نفس شيئا. قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

الأنبياء ٤٧

موازين بالحق والعدل والقسطاس المستقيم. قال تعالى:

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾

المؤمنون ١٠٢، ١٠٣

موازين حساسة تزن بمثقال. قال تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

الزلزلة ٧ - ٨

وما دمنا نؤمن أنّ هناك كتاباً ينشر، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وصفحات من العدّ والإحصاء، لابدّ أن تتلى علينا يوم الأشهاد:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

غافر ٥٢

قال تعالى:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

الكهف ٤٩

فلولا محبّة ربنا للغفران ما أمهل من يبارزه بالعصيان، ولولا عفوه وكرمه ما سكنت الجنان.

فهدف الإسلام واضح: تحقيق السعادة فى الدنيا، والنعيم فى الآخرة...... التزام المسلم بأخلاقه وآدابه، إذ لا يكفى مجرد الانتساب إليه.

يا مسلمًا يدعى الإسلام محابا
هلاّ أقمت على دعواك برهانا

إن الدنيا كسوق قام ثم انفض، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنّة أو النار، فمن واجب المسلم أن يحافظ على أوقاته، وألا يضيّع دقيقة من عمره فى غير علم نافع، أو عمل مفيد، أو عبادة مخلصة، أو قربى صادقة.. وهل الحياة إلا دقائق معدودة، وأنفاس محدودة، وخطوات محسوبة.

دقات قلب المرء قائلة له
إنّ الحياة دقائق وثوان

أمانة عظيمة

فعمرك - أيها الإنسان - على هذه الأرض أمانة عظيمة غالية، وهو رأس مالك فى الدنيا والآخرة، وهو محدود معدود؛ لا يزيد لحظة ولا ينقص. قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

النحل: ٦١

فمن ضيّع لحظة من عمره، أو خسر خفقة من قلبه فقد نزل به غبن فاحش، لأنه مسئول أمام الله عن كل دقيقة مرت من حياته، وعن كل نفس خفقت به رئتاه، وقد أنشد الشاعر:

إنّا لنفرح بالأيام نقطعها
وكلّ يوم مضى نقص من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا
فإنما الربح والخسران فى العمل

وقد قدر الإمام على - رضى الله عنه - الدنيا بثلاثة أيام، يوم مضى قد عرفت ما فيه، ويوم أنت فيه فأنت فيه إنْ كنتَ من أهله، ويوم يأتيك فلا تدرى أنت من أهله، أو أنت من الراحلين، فإلى متى ننشغل بالدنيا، وننسى الآخرة، مع أنّ الدنيا فانية، والأخرى باقية..

إلى متى أنت باللذات مشغول
وأنت عن كل ما قدّمت مسئول؟!

روى الترمذي -وقال: حديث حسن صحيح- عن أبي برزة فضلة بن عبيد الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

ومن ثمّ يتضح لنا أنّ عمر الإنسان هو رأس ماله. قال الشاعر:

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس
عليه من الإنفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك
يكر علينا جيشه بالعجائب

الصحة.. والفراغ

وقد جاء من جوامع كلمه ﷺ والتي نفحت الإنسانية كلها دستورا قويما إذا التزم الإنسان به في حياته، وطبّقه في سلوكه: سعد في دنياه، ونعم في أخراه، ما رواه البخاري -رحمه الله- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ».

فمن هذا الحديث النبوي الشريف يشبه النبي -صلوات الله وسلامه عليه- المكلّف العاقل بالتاجر، والصحة والفراغ من العوائق برأس المال؛ لأنهما من أسباب الأرباح، ومقدّمات نيل النجاح، فمن عامل الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وابتدر الصحة والفراغ فإنّ ربحه محقّق لا محالة، ومن أهمل وتكاسل أضاع رأس ماله، وندم حيث لا ينفع الندم، ولذلك لما قرأ الحسن البصري -رحمه الله- قول الحق -جل شأنه-:

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

ق:١٦-٢٢

قال: يابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج بها يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

الإسراء ١٣-١٤

ثم قال: عدل والله من جعلك حسيب نفسك.

هذا ولقد نصح الحسن البصري -رحمه الله- أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- فقال: «إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن أضغاث أحلام، ومن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل».

رضوان الله!!

ومما يؤكّد ذلك ما ورد عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول: «القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر، وقال: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا».

وقد ورد في كتاب (جمهرة خطب العرب) أن أول خطبة خطبها النبي ﷺ بمكة حين دعا قومه قال -بعد حمد الله والثناء عليه-: «إن الرائد لا يكذب أهله. والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا، وإنها الجنة أبدا، أو النار أبدا».

وهذا صحيح، فقد يستغل الإنسان حياته في طاعة الله -عزّ وجل- يقدّم ما يستطيعه من البر والإحسان وصنوف القربات، وبذلك يحظى برضوان الله والجنّة، وقد يبدّد الإنسان قوته، ويتلف صحته بالإسراف في الشهوات، والعكوف على الأهواء والملذات، وإدمان السهر في لغو القول، ولهو الحديث، وتعاطي المكيفات الضارّة التي تهدم صحّته، وتضعف جسده، وتحول بينه وبين العمل النافع، والعلم المفيد. ومن هنا ندرك واجب الإنسان في الحفاظ على صحته، وسلامة جسده، حتى لا يعن في ذلك، أو يلحقه الضرر، وإنما أبدا المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف.

ومن هنا ندرك حكمة النهي عن الإسراف حتى في الحلال الطيّب، حفاظا على الصحة العامة. قال تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

الأعراف ٣١

ويعجبني في هذا المعنى ما أنشده الشاعر:

دع الفؤاد من الدنيا وزخرفها
فصفوها كدر والوصل هجران
وأرع سمعك أمثالا أفصلها
كما يفصّل ياقوت ومرجان
يا خادم الجسم، كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران؟!
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت -بالنفس، لا بالجسم- إنسان

الجسد.. والروح

فإذا كانت حاجة الجسد إلى الطعام والشراب والملبس والمسكن والشهوة شديدة- فإنّ حاجة الروح إلى العلوم والمعارف. إلى الدين والفضائل - أشد. ولعلّ في هذه النصوص وأمثالها ما يردّ الشباب من غوايتهم. وخاصة من هانت عليهم حياتهم، فكان فراغهم نهبا لشياطين الغيّ والسوء، وعناصر الضلال والفساد. وعصابات التمرّد والتحلّل. فإذا بالفراغ الذي كان يجب أن يستغلّ في طاعة الله -عزّ وجل-، وبناء الحضارة والمجد للأمة. وتوفير السعادة والازدهار والرقيّ لها، يستغل في اقتراف الشهوات، وارتكاب المعاصي والمنكرات، ولذا نهيب بالحكومات، وبزعماء الإصلاح.. أن يعملوا جاهدين على أن يوفروا للشباب مطالب الجسد والروح معا، ولن يتأتى ذلك إلا بتوفير فرص العمل لهم. ونشر الأندية الرياضية، والساحات الشعبية في كل المدن والأحياء والقرى والنجوع. ونشر المكتبات العامة في كل مكان، وإيقاظ الوعي الديني بكل السبل المتاحة. سواء عن طريق الأئمة والوعاظ، أم عن طريق وسائل الإعلام والتعليم المختلفة، حتى يسير شباب الإسلام على الطريق السوي، والمنهج الرشيد متسلحين بسلاح الإيمان والعلم. ليغتنموا بذلك عزّ الدنيا، وسعادة الآخرة.. فلا يهدرون الوقت. ولا يقصّرون في أداء الواجب. بل يسارعون إلى فعل الخيرات، ويتسابقون على ألوان البِرّ، وصنوف القربات... فياليت شعري! متى يدرك الناس أن الزمن الذي يمضي لا يعود؟! فعليهم أن يغتنموا فرصته، وأن يتزوّدوا منه بعمل صالح ينفعهم

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(الشعراء: ٨٨، ٨٩)

وصدق الحسن البصري -رحمه الله- حين يقول: «ما من يوم ينشق فجره إلا نادى منادٍ من قِبَل الحق: يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد فتزوّد مني بعمل صالح، فإني لا أعود إلى يوم القيامة».

وقد روى البخاري -رحمه الله- عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- قال: أخذ رسول الله - ﷺ - بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول. «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك. ومن حياتك لموتك».

أجل الإنسان

وقد روى مسلم عن عبدالله بن الشِّخِّير -رضي الله عنه- أنه انتهى إلى النبي - ﷺ - وهو يقول:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾

(التكاثر: ١)

قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت. أو لبست فأبليت. أو تصدقت فأبقيت؟!».

وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «خط النبي - ﷺ - خطا مربعاً، وخَطّ خطّاً في الوسط خارجاً منه، وخطّ خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به -أو قد أحاط به-، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذا الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»، فالنبي - ﷺ - يمثل أمل ابن آدم وأجله وأعراض الدنيا التي لا تفارقه بالخطوط، فجعل أجله الخط المحيط، وجعل أمله وأعراضه خارجة من ذلك الخط، ولا يخفى على العقلاء أنّ الخط المحيط (وهو أجل الإنسان) أقرب إليه من الخطوط الخارجة منه. وكأني برسول الله - ﷺ - ينبه أمته، ويحثها على تقصير الأمل. واستشعار الأجل، مخافة أن يأتيهم الموت بغتة، فمن غُيِّب عنه أجله فهو حريّ بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في غرّة وغفلة. ونعوذ بالله من ذلك.

ولذلك قال عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».

وقد ورد عن عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- أنه قال في آخر خطبة خطبها: «أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله الواسعة، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربّه، وباع قليلاً بكثير، وفانياً بباق، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، ثم يرثها بعدكم الباقون، كذلك حتى يُردّ إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيّعون غادياً ورائحاً قد قضى نحبه. فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير ممهد ولا موسّد، قد فارق الأحباب، وخلع الأسباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنيّاً عما خلّف، فقيراً إلى ما قدّم».

فينبغي أن نترفع عن الدنيا وزينتها، والحياة وفتنتها، وأن نقبل على الله -عزّ وجل- بالعبادات والطاعات وفعل الخيرات، وأن نذكر الموت في كل وقت. فالعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسب. ووزن أعماله قبل أن توزن عليه، قبل أن ينتقل إلى الآخرة التي هي دار ثواب وعقاب. قال تعالى:

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾

النجم: ٣١

وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

عقيدة المسلم

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن العقيدة في الإسلام هي قضية اقتناع بعد البيان والإدراك وليست قضية إكراه وغصب وإجبار ولأن الدين الإسلامي يخاطب العقول بل يخاطب العقول المفكرة والبداهة الناطقة ويخاطب الوجدان المنفعل كما يخاطب الفطرة المستكنة يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه، في غير قهر حتى بالخوارق والمعجزات المادية التي قد تجيء مشاهدها طريقا إلى الإذعان..

وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالمعجزات والخوارق المادية القاهرة، فهو من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو ممارسة الضغط القاهر أو مزاولة الإكراه بلا بيان أو إقناع، ولذلك عندما جاء الإسلام بعد عصور القهر والقمع التي مارسها الرومان تجاه أهل البلاد التي حكموها، لقد جاء الإسلام ليعلن المبدأ العظيم الكبير:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام آدميته وإرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه فيما يخص الهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه وهذه هي أهم خصائص الحرية الإنسانية. إن حرية الاعتقاد أول حقوق الإنسان الذي يصدق عليه وصف الإنسان، فالذي يسلب إنسانا من حرية الاعتقاد، إنما يسلبه صفة الإنسانية ابتداء والإسلام هو أرقى تصور للوجود والحياة وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء هو الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين وهو الذي يبين لأتباعه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين ولهذا يقول الحق تبارك وتعالى في أعظم إعلان سماوي لحرية الاعتقاد

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

ونجد أن التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة في صورة النفي المطلق (لا إكراه في الدين) وهو نفي الجنس كما يقول النحاة أي نفي جنس الإكراه فهو منفي ابتداء وحالا ولهذا فهو يستمده من عالم الوجود والوقوع وليس مجرد نهي عن مزاولته والنهي في صورة النفي والنفي للجنس أعمق إيقاعا وآكد دلالة ونجد أن السياق هنا يريد أن يلمس الضمير البشري لمسة توقظه وتشوقه إلى الهدى وتهديه إلى الطريق وتبين حقيقة الإيمان التي أعلن أنها أصبحت واضحة وهو يقول:

﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾

فالإيمان هو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه والكفر هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن ينفر منه ويتقي أن يوصم به.

فإذا تدبر الإنسان نعمة الإيمان وما تمنحه للإنسان من تصور ناصع واضح وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام وما تثيره في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعر نظيفة وما تحققه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قويم دافع إلى تنمية الحياة وترقيتها فإذا تدبر الإنسان نعمة الإيمان على هذا النحو فإنه يجد فيها الرشد الذي لا يرفضه إلا سفيه يترك الرشد إلى الغي ويدع الهدى إلى الضلال ويؤثر التخبط والقلق والهبوط والضآلة على الطمأنينة، والسلام والرفعة والاستعلاء، ولذلك نجد أن القرآن الكريم يزيد حقيقة الإيمان إيضاحا وتحديدا وبيانا:

﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

إن الكفر يجب أن يوجه إلى ما يستحق الكفر وهو الطاغوت وإن الإيمان يجب أن يتجه إلى من يستحق ويجدر الإيمان به وهو الله تعالى والطاغوت إحدى صيغ الطغيان وتفيد معناها كل ما يطغى على الوعي ويجور على الحق ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله ومن الشريعة التي

يوجبها الله ومنه كل منهج غير مستمد من الله وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صوره ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى. لا انفصام لها وهذه الصورة الحسية توصلنا إلى حقيقة شعورية ومعنوية إن الإيمان بالله عروة وثيقة لا تنفصم أبداً، إنها متينة لا تنقطع ولا يضل المستمسك بها طريق النجاة، إنها موصلة بالله تعالى المالك للهلاك والنجاة والإيمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هذا الوجود، حقيقة الله واهتداء إلى حقيقة الناموس التي سنه الله لهذا الوجود وقام به هذا الوجود، والذى يمسك بعروته يهتدى إلى سبيل ربه فلا يعوقه عائق ولا يتخلف عن ركب المهتدين ولا تتفرق به السُّبل ولا يذهب به الغي والضلال.

إن بعض أعداء الدين يرمون الإسلام بما ليس فيه ولا تشمله مبادئه فيزعمون أن الإسلام انتشر بالسيف في الوقت الذى قرر فيه: أن لا إكراه في الدين، أما بعضهم الآخر فيتظاهر بأنه يدفع عن الإسلام هذه التهمة وهو يحاول في خبث أن ينال من هذا الدين ومن قيامه وانتشاره، ويوحى إلى المسلمين بطريقة ملتوية ناعمة ماكرة

وهؤلاء هم الذين يعملون في حرب الإسلام وتحريف مبادئه ومنهجه كي يأمنوا انبعاث وانتشار هذا الدين بل وألقوا إلى خلد المسلمين أن ما بينهم وبين المسلمين ليس خلاف عقائد، إنما هي حرب أسواق وخامات ومراكز وقواعد. والجهاد الذى يخشاه أعداء الإسلام لم يفرض كي ينتشر بحد السيف كما يزعمون وإنما كان مفروضاً أول الأمر ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم وذلك حتى يدفع المسلمون عن أنفسهم الأذى في العقيدة ولأن الدفاع عن حياة المسلمين إذا كان ذلك من أولى الواجبات - عليهم - فإن أعظم منها أن يدافعوا عن عقيدتهم فإن العقيدة هي أعز ما يملكه المسلمون وهكذا نجد أن الإسلام لم يحمل السيف ليكره الناس على اعتناقه ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى، كما يريد الأعداء أن يتهموه وإنما كان الجهاد مشروعاً في الإسلام ليقيم نظاماً آمناً. في ظله أصحاب العقائد جميعا ويعيشون. في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته التي أعطتهم الحرية الكاملة في الاعتقاد:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

وهكذا ينبغي أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم وحقيقة تاريخهم. فلا يقفوا بدينهم موقف المتهم الذى يحاول الدفاع إنما يقفون دائماً موقف المطمئن الواثق المستعلي على نظم الأرض جميعاً وعلى مذهب الأرض جميعاً ولا ينخدعوا بمن يتظاهر بالدفاع عن دينهم من أعداء الإسلام الذين يستولون على ثروات المسلمين ويشاركون في تسديد السهام المسمومة إلى الإسلام بالإساءة إليه والتقليل من شأنه ويجب على المسلمين التصدى لمثل هذه البذاءات والرد على تلك الأباطيل وذلك بإحقاق الحق وإبطال الباطل والله سبحانه وتعالى هو القادر على حماية دينه وهو أيضاً القادر على أن يجعل هذا الدين هو الظاهر على كل المعتقدات الفاسدة ولأن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الدين آخر الديانات السماوية كي يبقى لأن الحق تبارك وتعالى يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(التوبة: ٣٣)

لأن تلك العقيدة جاءت لكى تعترف بالديانات السماوية التي سبقتها وتصحيح مسارها من التحريف والتبديل، فلا يكون المسلم مؤمناً حقاً حتى يؤمن بجميع الأنبياء والرسل وجميع الأديان السماوية، وقد سجل الله ذلك في دستوره الخالق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. في القرآن الكريم يقول تعالى:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

وما ذلك إلا لأن الإسلام قرر أن دين الله واحد جاءت به الرسل جميعاً وتعاقدت عليه الرسل جميعاً وعهد الله واحد أخذه على كل رسول ومنهج الله هو الوفاء بالعهد تلك الصورة كاملة شاملة عميقة للعقيدة الإسلامية التي ارتضاها لكل البشر وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

***

الشكر يديم النعم

لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الصدقة صورة من صور الشكر بل هي الشكر العملي للنعمة، وقد دلَّ الله عباده على الشكر وكيفيته، بعد أن لفتهم إليه. فقد روى أن داود - عليه السلام - قال: يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة منك؟ فقال الله تعالى: الآن شكرتني حين علمت أن النعم مني.[1]

وهذا موسى - عليه السلام - يقول يوم الطور: يا رب إن أنا صليت فمن قبلك، وإن أنا تصدقت فمن قبلك، وإن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك، فكيف أشكرك؟ قال: يا موسى الآن شكرتني.[2]

ويقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى ١١)

أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء، والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر، وهذا هو الجانب القولي في الشكر أما الجانب العملي فيرد في الصدقة

فالصدقة نوع من أنواع الشكر على نعم الله وهذا ملمح دقيق نتبينه إذا تأملنا قول الحق - تبارك وتعالى

﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (الأنعام ١٤١)

حيث يظهر لنا ارتباط إخراج زكاة الزروع بتمام النضج، ففي يوم الحصاد تم الله نعمته على عبده، وهنا وجب على العبد أن يشكر الله بإخراج حق المسكين في ما أنعم الله عليه من خير.

وهذا المعنى نراه في قول الحق تبارك وتعالى

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾

(سبأ ١٥)

ولكنهم لم يشكروا فكان عقابهم عن إعراضهم عن الشكر بإزالة أسباب الخير، وقد حكى رب العزة ذلك في قوله تعالى:

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾

(سبأ: ١٦، ١٧)

ولقد دل الله عباده على كيفية استدامة النعم بأنها في إخراج الصدقات وهو ما نلمسه في قول الحق تبارك وتعالى

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الروم ٣٧، ٣٨)

فكان الأمر بإيتاء الضعفاء والمساكين إرشاداً إلى وسائل شكر النعمة.

نقول: ما أكثر نعم الله على عباده وما أقل الشاكرين لها، فنعمة الله - تعالى - تملأ الكون كله، وعباد الله قد سخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه، وفتحت لهم أبواب الرزق من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وأتوا من خيرات البر والبحر طيبا حلالا، وسبحان الله القائل:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

الإسراء آية ٧٠

وتبارك الله القائل:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

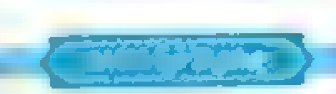
(إبراهيم: ٣٢ - ٣٤)

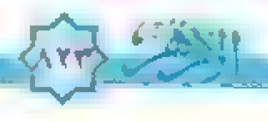
وجل المنعم الكريم القائل:

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الجاثية: ١٢، ١٣)

(١) الدر المنثور ج٦ ص٦٨٠.
(٢) الدر المنثور ج١ ص٣٦٤





هذا وآيات الله الكثيرة في كتابه، وآيات الله العديدة في خلقه، وآيات الله الناطقة في الأنفس وفي الآفاق، تعلم وبكل يقين ووضوح أن الله الواحد العظيم القادر قد أسبغ على عباده نعمه ظاهرة، وباطنة، نعما لا تنقطع ولا تنفد وتتوالى ولا تتوقف لحظة ولا أقل منها، ألا وإن المؤمنين الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والإسلام وكفى بها نعمة ومن تحتها نعم الله الكثيرة التي لا تحيط بها سجلات ولا كتب، يشعرون بمنة الله الكبرى عليهم، فقد خلقهم القادر - تعالى - وأوجدهم من العدم، وأمدهم بالحياة وبتوابع الحياة، ووهبهم في أنفسهم وأهلهم وما يحيط بهم نعما فوق الحصر والعد، لهذا فهم على يقين إيماني جازم بأن الله - تعالى - هو وحده المستحق للحمد والثناء بكل المحامد، ما يعلم منها وما لا يعلم، وهو وحده - تعالى - الواجب له الشكر في كل حال، فهو الرؤوف الرحيم الذي يتودد إليهم بنعمه، في كل طرفة عين، تشتاق قلوب المؤمنين إلى ذكر الله - تعالى - إقرارا بحمده واعترافا بشكره ذكراً عمليا بالعطاء والإنفاق في سبيله، إضافة إلى الذكر القلبي واللساني، ومن المعلوم عند علماء الإسلام أن الذكر العملي أرفع أنواع الذكر المشروع، لأن ذكر الله لابد أن يتحول إلى عمل إيجابي خلاق.

إنه لا يليق بالمؤمن العاقل أبدا أن يكون محطا لاستقبال نعم الله - تعالى - لحظة بلحظة ثم لا يقابلها بالشكر وأداء حق الله - تعالى - فيها، والحقيقة التي لاشك فيها أن النعمة إذا خلت من شكر المنعم -جل وعلا- فإنها لن تكون نعمة بحال، وإنما تكون نقمة، ويكون مآلها الهلاك والخسران.

وسبحان القائل:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

«التوبة ٣٤، ٣٥».

إن النعمة لا تكتمل ولا تطيب إلا اذا سارع المنعم عليه بشكر المنعم الكريم بكل أنواع الشكر قلبا ولسانا وعملا.

إن أهل الإيمان الحق يتسابقون ليل نهار، ويتنافسون فيما بينهم ويسارعون في الخيرات ابتغاء مرضاة الله تعالى، لأنهم على ثقة ويقين جازم بأن شكر المنعم تعالى يكون بإيتاء حق النعمة، لا يمنح خيرها وأجرها فحسب ولكن يستتبع المزيد منها ممن لا تنقطع عطاياه ولا تنفد خزائنه جل وعلا، وهو القائل:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

«إبراهيم ٧».

وأجل النعم وأكرمها من الله - تعالى - لعباده المحسنين نعمة الرضا والرضوان والحب والغفران والأجر العظيم.

أمم شاكرة

ما من أمة أطاعت ربها شاكرة نعمة الله عليها إلا عاشت عيشة طيبة كريمة محفوظة من كل سوء يأتيها رزق الله - تعالى- رغدا من كل مكان.

فأمة النبي سليمان - عليه السلام - تلك التي أنعم الله على رسولها نعما لم تكن فيما مضى لأحد قبله ولا بعده، إجابة لدعوة سليمان - عليه السلام - حين قال:

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

«ص ٣٥ - ٤٠».

ولقد أدام الله تعالى النعمة والمنة والفضل والخير على سيدنا سليمان وأمته، ذلك لأن النعمة كانت موصولة بالمنعم -جل وعلا- حمدا وذكرا وشكرا وعملا صالحا، حيث استعمل سليمان نعمة ربه في هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، حتى أتته بلقيس ملكة سبأ من بلاد اليمن، ومعها خيرة قومها خاضعة مستسلمة وقالت

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

«النمل ٤٤».

ومملكة سبأ ظلت جنباتها طيبة راضية يعيش أهلها في نعيمها وجناتها وخيراتها المباركة طوال مدة شكرهم لربهم وطاعتهم له، وقال لهم ربهم وهم في حال الإيمان والشكر

﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾

«سبأ ١٥».

ولم يتغير حالهم إلا بالاعراض عن هدى ربهم وجحودهم بالنعمة.

والقرية التي أخبر عنها القرآن الكريم في سورة «النحل» أنعم الله على أهلها بالأمن والأمان وساق إليهم الرزق من كل مكان، وظل حالهم هكذا حال شكرهم لربهم واعترافهم بفضله العظيم ومنته الواسعة ولم يتغير حالهم إلا بكفرهم.

والجنة في سورة القلم أدامها الله على الرجل الصالح والد أصحاب الجنة لأنه كان لله حامدا شاكرا لأنعمه منفقا في سبيل الله، رحيما بالفقراء والمساكين ولم يتغير حالهم إلا بمؤامرة أبنائه.

ومن هذا العرض نرى أن القرآن الكريم قد ربط بين نعم الله - تعالى - على عباده وبين طلب الشكر عليها، ومن هنا كان الغني الشاكر خير من الفقير الصابر، والله تعالى أعلى وأعلم.

خطبة الجمعة

من آداب الإسلام

إعداد الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

لك الحمد يا مصدر الكمال وواهب الجمال، انت الذي تقسم المعايش والعطايا بين عبادك، فمنهم شقي وسعيد، وفيهم قريب وبعيد، والآخرة عند ربك للمتقين. نشهد ان لا اله الا انت تحصي القليل والكثير، وتحاسب على الفتيل والقطمير ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ «الانبياء: ٤٧».

ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك خير من تأدب وأدب وقوم وهذب، فصدق فيه قولك الكريم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ «القلم: ٤».

فصلواتك اللهم وتحياتك ورحماتك وبركاتك عليه وعلى آله وصحبه، وجماعته وحزبه، أولئك الذين أشرقت أرواحهم بنور ربهم، فهدوا به في احلك الظلمات واحرج الشبهات، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

سأتحدث إليكم عن أمر تحسبونه هينا وهو عند الله عظيم، ذلكم هو استخفاف الكثير منا بالكرامة الإنسانية والحرمة البشرية حين يسخر من صاحب العاهة أو يهزأ بمن نالته آفة، فيبدو في صورة المعترض على الله، المتغطرس المتكبر على من سواه، وذلك داء يصيب الساخر فيجعله محطا لنقمة العزيز الجبار، مستحقاً للعنة وسوء القرار، وخذوا لذلك مثلا من بين مئات الأمثال:



سوء أدب مع الخالق !!

سمعت رجلا متعاليا على خلق الله يؤنب رجلا مكفوف البصر على خطأ ارتكبه، فسمعته يقول له ساخراً: «ألا لوم عليك فإنك أعمى!» وكأنما جمع الرجل في كلمة «أعمى» هذه كل صفات الإهانة والتحقير فنزلت على كاهل الرجل المكفوف صخرة حاطمة.. وكثيرا ما نسمع من لا خلاق لهم من الآدميين يقولون لمثل هذا المكفوف ساخرين «حقيقة إن كل ذي عاهة جبار» إلى غير ذلك من عبارات السخرية والاحتقار.

إن هذا أولا سوء أدب مع الخالق والمخلوق فلو أراد الله سبحانه لجعل الساخر المبصر مكان المسخور منه الأعمى، فكان الواجب حينئذ على المرء أن يتذكر نعمة الله عليه ومقدار عطائه له، وأن يأسى ويأسف لحرمان المحروم مما تمتع به هو، وأن يسأل له من فضل الله وعوضه ما يجزيه خير الجزاء عما أصيب به من نقص في جانب من جوانب خلقته، بدل أن يهزأ به ويسخر منه ويتندر عليه فيستوجب بذلك لنفسه المقت والغضب، ولذلك قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: إن البلاء موكل بالمنطق، ولو سخرت من كلب لخشيت أن أصير كلبا!. وليس وراء هذا التحفظ والتحرز من عبدالله غاية لتباعد عن رذيلة الاستهزاء!

ولست أدري والله لماذا يسخر الساخر مثلا من الأعمى؟ لئن كان الأعمى قد ولد مكفوف البصر فذلك سابق القضاء وحكم القدر، والسخرية مما سبق في علم الله وجرى بحكمته وعدله محاربة له وتطاول عليه، ومن يفعل ذلك فقد باء بسخط من الله وعذاب شديد، وإن كان المكفوف قد فقد بصره في حادث أو جهاد أو كسب رزق أو تحصيل علم فذلك شرف له، ومنزلة عليا تنتظره عند ربه، ليسعد يوم لقائه برؤية جلاله، والاقتباس من نوره الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، وحتى لو فقد المكفوف بصره في معصية لكان مستحقا للرحمة والرثاء بدل التطاول والاستهزاء. فرب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا. ورفقك بالمفرط المكسور عون له على أن ينجبر ويستقيم، وأما سخريتك منه فتحريض له على العناد والإبعاد في مهاوي الفساد، لقد شرب رجل الخمر على عهد النبي ﷺ فضربوه حدا وتأديبا، فقال له بعض الصحابة: أخزاك الله!.. فغضب النبي من ذلك وهتف: لا تقولوا هذا، لا تعينوا الشيطان عليه [1].

ابن أم مكتوم !!

قد يكون الرجل المكفوف البصر المزدرى في أعين الناس كريما عند الله رفيع المكانة لديه قريب المنزلة إليه لتفتح قلبه وإن ذهب نور عينيه:

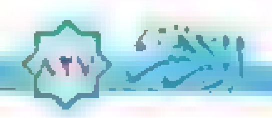
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

«الحج ٤٦».

فها هو ذا الصحابي الجليل عبدالله بن أم مكتوم يقبل على الرسول وهو مشغول بتذكير الزعماء الصناديد من قريش وهدايتهم إلى الله حتى يتابعهم

---

[1] صحيح البخاري ج٨ ص١٩٦



سوالهم، فلا يجد الرسول فرصة عاجلة لينفرد بها بهذا المكفوف الساعي. فيبرز الله تعالى سورة يعاتب بها نبيه على إهمال ذلك الكفيف، فيقول عز من قائل معاتبا ومعرضا ومؤنبا

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَهُوَ يَخْشَى ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾

(عبس: ١-١١)

ولا يصف القرآن الكريم ابن أم مكتوم هنا إلا بوصف «الأعمى» في صراحة وجهر. كأنه يريد أن يقول إن هذا الوصف الذي قوبل صاحبه بالإهمال أو الإمهال كان هو نفسه جديرا بأن يقابل بالرأفة والرحمة والاحتفال. وصلوات الله وسلامه على من أدبه ربه فأحسن تأديبه، وبعثه متمما لمكارم الأخلاق، وجعله على خلق عظيم، ولذلك كان الرسول إذا رآه بعد ذلك اهتم به وقال له: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي[٢]: هل لك من حاجة؟ وجعله خليفة وراءه على المدينة عدة مرات مع أنه كفيف لأن العبرة بجمال النفوس وطهارة القلوب وسعة العقول، ولذلك لما كف بصر عبدالله بن عباس فكان يقول

إن يأخذ الله من عيني نورهما
فـفي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسيف مشهور

منحة لا محنة!!

على أن ضياع البصر اليوم من الإنسان وبقاءه في الحياة بين هؤلاء الأحياء بدون عينيه يعتبر منحة لا محنة. إذ يستريح المرء بهذا من مطالعة كثير من المخازي ومشاهدة عديد من المآسي، ويعفي نفسه عن معاينة تلك المفاسد المكشوفة، فقد أصبحنا في زمن وبيل عليل تتراءى صوره وحوادثه القذاء في عيون الناظرين، ولقد كان الشاعر القديم يطلع إلى دنياه فلا يرى فيها من أناسها من يستحق التأمل فيه أو الاعتماد عليه، ولذلك جعل يقول:

ما أكثر الناس، لا بل ما أقلهم
الله يعلم أني لم أقل فندا
إني لأفتح عيني حين أفتحها
على كثير ولكن لا أرى أحدا

فكيف لو تأخر الزمن بهذا الشاعر حتى أدرك زماننا نعيش فيه بأبصارنا، ونحن نتمنى أن نفقدها لنستريح من جرى ما نرى ونشاهد؟ ماذا كان يقول لو أدركنا زمانا كهذا الزمان أهون ما يوصف به أهله قول القائل:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
والمنكرون لكل فعل منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم
بعضا ليدفع معور عن معور

عظماء وأبطال

وتاريخ المسلمين الطويل العريض يفيض بمفاخر العظماء الأبطال المكفوفين الذين لم تحل هذه العاهة بينهم وبين أن يكونوا في طليعة الأئمة من الفقهاء العلماء الأدباء الشعراء وها هو شوقي يخاطب ملكا مصريا في شأن من يضمهم الأزهر المعمور من مكفوفي الشيوخ والشباب فيقول له مشيدا بهم مباهيا بشأنهم.

نظر أو حسانا إلى عميانه
وكن للمسيح مداويا ومجبرا
والله ما تدري لعل كفيفهم
يوما يكون أبا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد
غبنا وجل المشترى والمشترى

وحتى لو قصر الكفيف أو تقاصر عما سبق إليه غيره من أعمال ومهام، لما كان ذلك مجوزا لنا أن نشتط معه في الحساب، أو نغلظ له في الخطاب، لأن الحق تبارك وتعالى قد جعل عاهته وما شابهها مسوغا للمعذرة وسببا لعدم الحرج حينما يجب أن لا يحتقر غيرهم من الناس فقال القرآن الكريم:

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾

(النور: ٦١)

المسلم النبيل!!

ومن هنا كان واجبا على ذي الخلق الشريف أن يحسن التصرف والخطاب مع ذي الكفيف، وأن يتجنب معه ما يثير في نفسه ألم الحسرة على فقدان ما فقد من نعمة يتمتع بها سواه.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام....

سخرية القوي بنقص الضعيف ليست من شيم الرجل الأصيل، والتذكير بالعورات أو التندر بالعاهات ليس من طبع المسلم النبيل، والمرء يفقد إنسانيته أول ما يفقد حين يسمح لنفسه الأمارة بالسوء أن تستطيل بالاستهزاء أو الاستخفاف على رجل امتحنه الله وابتلاه لحكمة يعلمها ولا نعلمها بعلة مزمنة أو عاهة دائمة، وما كانت مكانات الرجال لتقاس يوما بالأجسام أو الأشكال، ولكنها تقاس بالأخلاق والأعمال، فطهروا ألسنتكم من خنا القول وفحش التعبير، وانطلقوا تحت لواء الله إلى دنيا عريضة من مكارم الطباع ومحاسن الشيم وفضائل الآداب:

﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الزخرف-٨٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(النحل-١٢٨)

قال عليه الصلاة والسلام: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[٣].

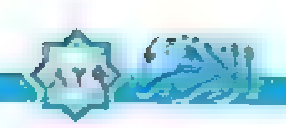
وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: «إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة»[٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم...

٢- تفسير القرطبي ج١٩ ص٢١٣

٣- صحيح مسلم باب البر والصلة

٤- اتحاف السادة المتقين ج٨ ص ١٤٣-[illegible]



صاحب البعثة الكبرى ﷺ

(إلى القطيع المشرد التائه، المتمدن الوحشي، السابح في الدماء...)

[illegible]

خلت الدهور وأنت أنت الأوحد … ذكرى مقدمة ومجد سرمد!

تتضاءل العظماء عندك والكنى … وتحط شاهقة وبمصغر سؤدد

كالطود تضرب في السماء شعافه … وعلى قواعده المنازل ترقد!

قدس النبوة من يطاول سمكه … أو من يروم سماءه أو يصعد؟

هي مظهر لله جل جلاله … لم يعطها غاو ولا متمرد

قد كنت صفوة خلقه فحباكها … شرفا. فأنت المصطفى المتفرد

وقف الفلاسفة الكبار تخشعا … من دون بابك ظامئين ليجتدوا

رادوا الينابيع التي فجرتها … ماء وظلا باردا واستوردوا

ما كل ماء كالفرات مذاقه … كلا. ولا كل المراعي يحمد

كم من زعامة سيد محضتها … فأتى عليها النقد لا تتجلد

يبنون مجدهم على قهر الورى … والمجد يبرأ منهم والسؤدد!

الفتح عندهم هوى وتعسف … وممالك تهوى وأخرى تخمد

أسراء أهواء النفوس فحمدهم … يوم. وأما ذمهم فمؤبد

لم يظهروا إلا ليختفوا مثلما … تبدو فقاقيع السيول وتهمد

وظهرت مثل الشمس إلا أنها … تختفي ونورك في الخليقة سرمد!

وسمت بالخلق المبين فلا هوى … يطغى عليك ولا منى تترصد

الفتح عندك شرعة وعقيدة … وأخوة وتراحم وتودد

دستورك الفرقان: أما وعظه … فهدى. وأما حكمه فمسدد

عال على الأهواء لا متملق … أحدا ولا متعسف يتمرد!

كالسرحة العيناء غصن مثمر … وخميلة تندى وظل أبرد!

تأسو جراح الخلق بالخلق الذي … تروى القلوب به وتشفى الأكبد

ولك السماحة والشجاعة والندى … وهدى النبوة والفعال الأرشد

سق من الخلق العظيم كأنه … فلق الصباح وحسنه المتوقد

تدعو إلى أدب الحياة وعلمها … وتثير دونهما السبيل وترشد

تسع الأنام جميعهم لك ملة … غراء تهدي العالمين وتسعد

زليـ[illegible]ـة أبدية لا [illegible]ـرها … يخبو ولا إشعاعها يتربد!

يزكو عليها الروح فهو منزه … عما يشين وجوهر يتوقد

الوحي أس بنائها العالي الذرا … والحق حائط ركنها والمحتد

والفتح والعمران من آرائها … والعدل والعيش الرخي الأرغد

دنيا أقمت على العقيدة ركنها … ومن العقائد ما يشيد ويخلد

هي هيكل فان. فإذ حلت به … رفت بها الخوباء وهي ترأد

ينبوعها التوحيد: مشرع مائه … للواردين، ونبعه لا ينفد

جم الأيادي فالأنام بخيره … وبخصبه متقلبون وهم يد

ما الناس - لولا البغي - إلا أمة … والدين - لولا الجهل - إلا أوحد

ما أحسن التوحيد يجمع شملهم … فيعود وهو منظم وموحد!

بسناه أخرجت الشعوب من العمى … وهديتها للنهج وهو معبد

فانحزلت فوضى وقامت دولة … وخبت هياكل واستنار المسجد

ومشت على نهج الصعيد حضارة … بالنمس تشرق والهناءة ترغد

إنَّ الجمالَ خفيَّه وجليَّه
إكسيرُها وشعاعُها المتجسِّدُ!

* * *

بعدًا لمفتونين لم يُعرف لهم
رأيٌ يُجلُّ ولا عقالٌ يُحمدُ

نفَوا الرسالةَ وارتأوها دعوةً
زمنيةً أفلتْ وليس لها غدُ

خمدتْ بجيلٍ قد مضى، وبحقبةٍ
طُويتْ، وآثارٌ لا تتأبَّدُ

حسبوا. فما عرف الحقائقَ ماحقٌ
خلعَ العذارَ، ولا غبيٌّ مُلحدُ

الحقيقةُ الكبرى حياةٌ للورى
أبدَ الزمانِ ونعمةٌ تتجدَّدُ

عمَّتْ ولكن قد خُصصتَ بحملِها
يا أحمرًا هو أوَّلُ متعهِّدُ

إنَّ الألى زعموك سيِّدَ قومِه
كذبوا. فإنَّك للبريةِ سيِّدُ!

شمسٌ، وهل تختصُّ ناحيةٌ بها
وشعاعُها في كلِّ أفقٍ عسجدُ؟!

المرسلون، وأنت درةُ عقدِهم
ختموا بسرِّك في الرشادِ ومجَّدوا

أيَّدتَ دعوتَهم وضمَّتْ خلالَهم
فأريتَنا كيف الإخاءُ يُوطَّدُ!

يا رائدَ الإصلاحِ يلتمسُ الهدى
هدْيُ مبادئِه. وهذا المَوْرِدُ!

* * *

ومن العجائبِ معشرٌ أنجبتَهم
تبعوا بدينك في العلا واستمجدوا

من بعد رعيِ الشاءِ قد رعَوا الملا
فانصاع جبارٌ، وذلَّ متمرِّدُ!

أطلعتَهم غُررًا بآفاقِ العلا
يمشي بنورِهم الرشادُ ويسندُ

تتخايلُ الدنيا بعزةِ مُلكِهم
وتكاد من فرحٍ بهم تتميَّدُ

من معجزاتِ الدينِ في أخلاقِهم
ختموا بصنعِ المعجزاتِ وأُفردوا

من كلِّ وضَّاحِ الجبينِ كأنَّه
ينشقُّ في الظلماءِ عنه الفرقدُ

جمُّ الجلالِ تكاد تستخذي به
شمُّ الجبالِ ويتقيه المعتدُ

يمشي بهم للفتح يحدو شوقَهم
دينٌ يثوبُ لآيِه المتشدِّدُ

أذكى عزائمَهم وأورى زندَهم
فاستفتحوا سُرَرَ البلادِ وأبعدوا

بلغوا الممالكَ بين قطبيها، ولو
وجدوا وراءَ البحرِ أرضًا أوردوا

في حقبةٍ قصُرتْ كأنَّ زمانَها
يومُ الوصالِ ومتعةُ المتودِّدِ!

جُعلتْ بآياتِ الجلالِ زواهرًا
يفنى فيها الناظرُ المتعهِّدُ

* * *

تلك الحضارةُ لا مظاهرُ زخرفٍ
تُغري وباطنُها العذابُ الأسودُ!

نارٌ ولا نورٌ، وطغيانٌ ولا
رحمى، وأهواءٌ ولا مسترشدُ!

* * *

يا ربِّ أهلُ الغربِ جُنَّ جنونُهم
وطغى القويُّ على الضعيفِ يُعربدُ

الأرضُ نارٌ، والسماءُ جهنَّمٌ
والبحرُ بركانٌ يثورُ ويرعدُ

لم يبقَ شبرٌ لم يُصبْ بمجازرٍ
أو لا يُراعُ بمثلِها ويُهدَّدُ

عزَّ السلامُ وأنذرتْ غاراتُهم
أنَّ القيامةَ حان منها موعدُ!

يا ربِّ والقومُ الهداةُ تعسَّفوا
سُبُلَ الغوايةِ خلفَهم وتورَّدوا

هجروا سبيلَك فالتوتْ نفوسُهم
فتفكَّكتْ أوصالُهم فاستُعبدوا

سلبَ الطغاةُ ديارَهم وتأسَّدوا
وبغى الطغاةُ جلاءَهم وتوعَّدوا

وهمُ شتاتٌ دينُهم متفرِّقٌ
شيعًا ودنياهم شقاءٌ أنكدُ

شيعٌ تطاحنُ بينها ومذاهبٌ
شتى وأحزابٌ تقيمُ وتقعدُ

قومٌ وراءَ الغربِ في آثامِه
ركعوا يخبُّون الموبقاتِ وأطردوا

ومصرَّعون من الضلالِ كأنما
أوهامُهم لم يدرِ زمرُها قد

هي أزمةٌ يا ربِّ لطفُك وحدَه
يُرجى لها فلعلَّ لطفَك يُنجدُ

النورُ أُطفئَ والزعامةُ أخفقتْ
والبغيُ طبَّقَ والقطيعُ مشرَّدُ

يا ربِّ فليطلعْ (كتابُك) بالهدى
يا ربِّ وليقمِ النبيُّ (محمدُ)

* * *

التعاون على البر والتقوى في القرآن الكريم والسنة النبوية

[illegible]
عضو مجمع البحوث الاسلامية

لم يترك الإسلام فضيلة من الفضائل التي بها يرقى المجتمع وينهض، ويعيش أفراده في أمن وأمان، وحب وصفاء، وسعادة وهناء، إلا وأمر بها وحث على فعلها، ومدح من ينفذها وذم من يتركها.. لما لهذه الفضائل من آثار إيجابية يعود مردودها على صلاح المجتمع واستقامة أمره وسعادة أفراده.

وإذا نظرنا بفكر مستنير وعقل رشيد إلى رسالة الإسلام التي أشرق نورها على الإنسانية وبذل رسولها محمد صلى الله عليه وسلم جهداً كبيراً في مد شعاعها المضيء على الكون كله وجمع الناس حولها ودعا الإنس والجن إلى اعتناقها والإيمان بها عن حرية واختيار نجد أنها لا تنشد ولا تبغي أكثر من تهذيب أخلاق الناس، وتدعيم فضائلهم، وتحقيق الاستقامة والكمال أمام بصائرهم، وغرس قيم الإصلاح فيما بينهم حتى يسعوا إليها على بصيرة ويؤمنوا بها عن يقين..

والعبادات والمعاملات التي شرعها الإسلام، وبنى أركان الإسلام عليها ليست طقوساً مبهمة، وطلاسم مغلقة تربط الإنسان بغيبيات مجهولة، وتكلفه بأداء أعمال غامضة، وتدعوه إلى الامتثال لفعل أوامر غير مفهوم القصد منها.. كلا إنها ليست كذلك، فالفرائض والأوامر والنواهي التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه هي أمور واضحة المقاصد، مفهومة الغايات، محددة الأهداف، يجتني ثمرتها المسلم، ويعود فضلها وخيرها عليه وعلى مجتمعه، فتجعله يحيا حياة سعيدة بأخلاق حميدة، ويعيش بفضائل كريمة، فيظل محافظاً على تلك الأخلاق والفضائل، متمسكاً بها مهما تغيرت أمامه الظروف وتبدلت به الأحوال، لأنه يخشى مراقباً عليه هو أقرب إليه من حبل الوريد، عينه لا تغفل ولا تنام...

الصلاة

فالصلاة التي فرضها الله على المسلم، وأمره بإقامتها أبان القرآن الكريم، وكشفت السنة المطهرة الحكمة من إقامتها، يقول الله -تعالى-:

﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾

(العنكبوت ٤٥)

فإن من شأن الصلاة التي يؤديها المسلم في أوقاتها بخشوع وخضوع وإخلاص واطمئنان، وبإتمام سننها وآدابها أن تنهى مؤديها عن ارتكاب الفواحش -وهي كل ما قبح قوله وفعله-، وعن إتيان المنكر- وهو كل ما تنكره الشرائع السماوية والعقول السليمة-. فالصلاة التي تؤدى مصحوبة بالخشوع والإخلاص والسكينة والوقار تبعد المسلم عن الرذائل، وتطهره من سوء القول وسوء الفعل، روى عن أنس -رضي الله عنه- أن فتى من الأنصار كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي الفواحش، فذكر للنبي ﷺ، فقال: «إن صلاته ستنهاه»[1] فلم يلبث أن تاب الفتى وحسن حاله.

وقد جاء في حديث يرويه الرسول ﷺ عن ربه: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب»[2].

الزكـــاة

والزكاة المفروضة في مال المسلم ليست جباية فيها قهر على المسلم، وليست إتاوة تغتصب منه، وليست ضريبة تنتزع بالقوة من جيبه، وتؤخذ عنوة من زرعه، بل هي غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وبناء مجتمع تسوده الألفة والمحبة، وإرساء لقواعد بناء مجتمع يقوم على التعاون والتكافل، وإطفاء لنار الأحقاد والضغائن، وتوطيد لإقامة علاقات بين أفراد المجتمع، قوامها التعارف والتعاون بين شتى طبقاته.

وقد نص القرآن الكريم في صراحة ووضوح على الغاية والحكمة من إخراج الزكاة، يقول الله -تعالى-:

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم ﴾

(التوبة ١٠٣)

فالصدقة تطهر النفوس من رذائل الشح والبخل والطمع، وتزكي القلوب من الأخلاق الذميمة، وتنمي الأموال والحسنات، وتقضي على بذور حقد الفقراء.. وكراهيتهم وبغضهم للأغنياء، وتفتح أبواب المودة والحب بين الأغنياء والفقراء ومن أجل ذلك وسع النبي ﷺ في

(١) الكاف الشاف في تخريج الكشاف لابن حجر ص١٢٨

(٢) البزار

دلالة كلمة الصدقة التي يسعى أن يبذلها المسلم فقال -عليه الصلاة والسلام-: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة»[٣].

الصوم

والصوم الذي فرضه الإسلام وجعله ركنا من أركانه، حدد القرآن الكريم الثمرة المرجوة من فرضه في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: آية ١٨٣)

فقد عللت خاتمة الآية الكريمة وبينت حكمة مشروعية الصيام، وهي أنكم بأدائكم لهذه الفريضة، مستوفية لشروطها وآدابها، تنالون درجة التقوى والخشية من الله، وبذلك تكونون ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه، فلم ينظر إذن إلى الصيام على أنه حرمان مؤقت في زمن معين من شهوات النفس، ومن تناول الطعام والشراب على وجه مخصوص، وما عدا هذه الأمور الحسية يفعل الصائم ما يشاء وما يريد: من الكذب والغيبة والنميمة والنفاق والغش والخداع والاعتداء على حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل... إلخ الأعمال والأقوال التي تتنافى مع تحقيق التقوى والخشية من الله التي هي الهدف من فريضة الصيام.. كلا وكلا، فالهدف والغاية والعلة من الصيام -كما حددتها الآية الكريمة- هي تحقيق تقوى الله والخشية والخوف منه، وخضوع الصائم لمراقبة الله عليه في كل تصرفاته وأقواله وأفعاله، ويستلزم ذلك مجانبة الصائم لكل ما حرم الله ونهى عنه.

وتأكيدا وإقرارا لهذا المعنى يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٤] ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم»[٥].

ومن تقوى الله التي يهدف الصوم إلى تحقيقها إحساس الصائم بألم الجوع والعطش والحرمان، فيدرك ما يعانيه الفقراء المحتاجون إلى الطعام والشراب، فيبادر الصائم القادر إلى مساعدتهم والعطف عليهم، فيتحقق بذلك التكافل الاجتماعي الذي هو سمة من سمات المجتمع الإسلامي.

---

(٣) البخاري.

(٤) البخاري.

(٥) ابن خزيمة.

الحج

والحج الذي فرضه الله وجعله ركنا من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا ليس عبارة عن مناسك تؤدى بكيفية معينة في أماكن محددة وفي أوقات معلومة، يحسب الحاج أنها تعبدات غيبية يؤدي شعائرها كما طلبها الإسلام وله أن يفعل -فيما عدا ذلك- ما يشاء وما يريد... كلا فقد حدد القرآن الكريم بيان ما يجب أن يتحلى به المسلم من فضائل عند أدائه لهذه الفريضة، يقول الله -تعالى-:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

ومعنى ذلك: أن من نوى الحج وأوجبه على نفسه وأحرم به فعليه أن يتجنب الجماع للنساء ودواعيه، وأن يبتعد عن كل قول أو فعل يكون خارجا عن آداب الإسلام وتعاليمه، أو يكون مؤديا إلى التنازع بين الرفقاء والإخوان، فإن الجميع قد اجتمعوا على مائدة الرحمن، فعليهم أن يجتمعوا على طاعته، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن يتزودوا -وهم يؤدون تلك الفريضة- بالزاد المعنوي الذي يسعدهم في الدنيا والآخرة، ألا وهو تقوى الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والإكثار من العمل الصالح، كما عليهم -في الوقت نفسه- أن يتزودوا بالزاد المادي الحقيقي الذي يغنيهم عن سؤال الناس، ويصون لهم ماء وجوههم. وهنا تستبين الحكمة في قيد أداء هذه الفريضة بـ:

﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران: ٩٧)

كما أن حديث رسول الله ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه»[٦] يشير إلى ثمرة أداء هذه الفريضة إذا أديت كما ينبغي بإخلاص وخشوع وخشية من الله، وكانت نفقتها من مال حلال طيب. والآية الكريمة في قول الله -تبارك وتعالى-:

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾

(الحج: ٢٧، ٢٨)

أشارت أيضا إلى منافع أداء هذه الفريضة التي يجنيها الحجاج في دينهم وهي: غفران ربهم، واستجابة الله لدعائهم. ورضا الله عنهم.. إضافة إلى المنافع الدنيوية التي يجنيها الحجاج

---

(٦) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ...

باجتماعهم فى هذا المكان الطاهر، وتعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتبادلهم المنافع فيما بينهم عن طريق البيع والشراء، وغير ذلك من أنواع المعاملات التى أحلها الله.. ولفظ «منافع» جاء بصيغة التنكير للتعميم والتعظيم والتكثير. أى: منافع عظيمة وشاملة لأمور الدين والدنيا غير محددة نوعاً وكما لكثرتها..

الكمال المنشود

إن الغاية من العبادات التى فرضها الإسلام هى تحقيق الكمال المنشود وللمجتمع الإسلامى، فهى روافد الاستقامة والتطهر، وأسس النظام السليم الذى يصون الحياة، ويعلى شأنها. ويحقق الغاية التى رسمها رسول الله ﷺ فى قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

ومن مكارم الأخلاق التى بعث رسول الله ﷺ لتحقيقها: التعاون على البر والتقوى، وقد أمر الله -سبحانه وتعالى- عباده بالتعاون على البر والتقوى فى قوله جل شأنه-.

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(المائدة: ٢)

البر: معناه: التوسع فى فعل الخير، وإسداء المعروف إلى الناس.

والتقوى: تصفية النفس وتطهيرها وإبعادها عن كل ما نهى الله عنه.

قال القرطبى: قال الماوردى: ندب الله تعالى إلى التعاون بالبر. وقرنه بالتقوى له، لأن فى التقوى رضا الله، وفى البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

والإثم: اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، وجمعه آثام، والآثم: هو المتحمل للإثم، ثم أطلق على كل ذنب ومعصية.

والعدوان: تجاوز الحدود التى أمر الشارع الناس بالوقوف عليها.

أى: وتعاونوا -أيها المؤمنون- على كل ما هو خير وبر وطاعة لله تعالى، ولا تتعاونوا على ارتكاب الآثام ولا على الاعتداء على حدوده، فإن التعاون على الطاعات والخيرات يؤدى إلى السعادة. أما التعاون على ما يغضب الله -تعالى- فيؤدى إلى الشقاء.. ثم أنذر الله فى نهاية الآية الذين يتعاونون على الإثم والعدوان بأن الله شديد العقاب لمن خالف أمره وانحرف عن الطريق القويم الذى أمر الله به.

---

[1] كنز العمال رقم ٥٢١٧، البيهقى ١٠/١٩٢

قصة العدد

تنصرت الأشراف من أجل لطمة

كان حسان بن ثابت يجلس فى فارع بالمدينة، ينشد الشعر، ويتذكر رحلاته فى ربوع الشام والعراق، ومن لاقى من كبار الشعراء فى الجاهلية والإسلام، فأتاه خزرجى من بنى قرابته. يصيح به. أين أنت يا حسان، لقد قدم إلى المدينة صديقك القديم. جبلة بن الأيهم ملك غسان فى وفد من حاشيته، عليه التاج المرصع باللؤلؤ والياقوت، وحلته الذهبية من فوقه ترد خيوط الشمس منعكسة فى أبهى ما رأت العيون، وحاشيته من الأمراء والوجهاء يتربون بأجمل الثياب. وأغلى الأكسية، وجوههم مشرقة تطفح بالنور، وجلالهم يغشى النفوس، لأن أهل المدينة لم يروا مثل موكب جبلة من قبل!

دهش حسان.. وظن أنه فى حلم- وصاح: من يصدق أن جبلة بن الأيهم، يترك دمشق بما بها من الحدائق الزاهرة، والمروج الخضراء ذات النخيل والشجر والثمر، والقصور العامرة بأبهى ما رأت العين من أثاث ورياش ومن وراء ذلك عرش الملك من الذهب الخالص، والجنود من حوله مدججون بالسلاح، وكلهم فى انتظار إشارة من جبلة! لقد رأيت ذلك كله للمرة الأولى فكاد يغشى على، إذ لم أتصور أن هذا النعيم فى الأرض، وأحسبه مدخرا فى السماء! أين دمشق من المدينة يا قوم؟ لا أكاد أصدق! أيترك جبلة دمشق ويأتى إلى المدينة؟ أهذا معقول؟

قال الصديق الخزرجى: لأنك تسجن نفسك فى فارع، ولو شهدت موكب جبلة الذى بهرنا جميعاً، فلم يبق تاجر أو زارع أو عامل، أو فتاة فى منزل، أو عجوز فى خباء، إلا خرج، الجميع يتأملون المشهد المثير، كنت أنتظر -ولك صلتك الوثيقة بجبلة- أن تكون أول من يسعى للقائه، وربما سر بمقدمك وتذكر مدائحك التى جازاك عليها أحسن الجزاء فعمك من حاشيته ورجاله، وأضاف إليك الجديد من هداياه!

عض حسان على شفته، وقال: لا أبحث الآن عن هدايا جديدة، ولكنى أبحث كيف غفلت عن هذا الواجب الأكيد وكيف سكت

القوم حولي، فلم يأت إليّ من يخبرني بهذا الحدث الرائع! وقد اعتزلت الناس كما تعلم!

قال الخزرجي - عجبا - ولماذا اعتزلت الناس، وهم لم يعتزلوك!

فأطرق حسان ثم قال في أسف: كأنك لم تسمع بما كان بيني وبين أمير المؤمنين في مسجد رسول الله! لم أكن أتصور أن عمر بن الخطاب يسمعني أنشد الشعر بالحرم، فيقول لي، ليس هذا مكان الشعر، المسجد للصلاة! فأندفع هائجاً في وجهه فأقول: يا عمر، لقد أنشدت الشعر في هذا المسجد وسمعه من هو أفضل منك، ورحب به. ولم يعترض كما اعترضت! فسكت أمير المؤمنين، ولم يقل شيئا، ولكني عرفت الغضب في وجهه فاعتزلت!

قال الخزرجي: عمر صريح لا يسكت على باطل، ولو لم يقتنع بما قلت، لعارضك، ورد عليك، ثم ما ذنب الناس حتى تعتزلهم، وليس لهم معك في هذا شأن وإنما الأمر بينك وبين عمر.

قال حسان: لم ينطق منهم أحد. وكان المسجد غاصاً مزدحما بهم، وكنت أنتظر أن يواجهوا ابن الخطاب بالاعتراض! أليس لي حق في أن أعتزل هؤلاء!

رد الخزرجي قائلاً: أنت تكبر الأمر، لقد سمعوا ردك ورأوا اقتناع عمر، فماذا تنتظر منهم بعد ذلك. قم يا رجل، واذهب إلى لقاء جبلة فهو الآن في حضرة أمير المؤمنين. ولم يمنعك أحد من تحية الضيف الكبير.

-٢-

اتجه حسان إلى حضرة أمير المؤمنين، فوجد جبلة قد انصرف مع حاشيته إلى خيامه المضروبة خارج المدينة بالعقيق، ولمحه عمر أمير المؤمنين، فصاح به: أقبل يا حسان!

فلم يجد الشاعر بداً من لقاء عمر الذى ابتدأه بقوله: لا تغضب ياحسان مما قلت لك من قبل، فقد رأيت المسجد عامرا مزدحما بالمصلين، وكلهم منيب إلى ربه. وأنت تنشد الشعر بصوت مرتفع فقلت ما قلت. ورددت علىّ فلم أنطق، ولكن قل لي. هل كنت تنشد رسول الله في وقت الصلاة؟ قال حسان: لا يا أمير المؤمنين. فقال عمر: قد اتفقنا إذن فلا تغضب.

ثم ابتسم الفاروق قائلا: أتيت لترى جبلة ابن الأيهم ممدوحك القديم، وهذا واجب الضيف، فماذا أبطأ بك؟

قال حسان: وهل يعرف أمير المؤمنين مدائحي في ابن الأيهم؟

فسارع عمر يقول: أعرف بعض ما قلت، ولكني لا أحفظ شيئا من المدائح. أنا أحفظ حكم زهير بن أبي سلمى وأوثره عليكم جميعا. لأنه لا يعاظل في كلامه، ولا يمدح أحداً بما ليس فيه، وهو فوق النابغة والأعشى وامرىء القيس!

قال حسان. وفوقي في رأيك ورأي الناس، ولكني كسبت الشرف الأكبر بمدح رسول الله وهجاء أعدائه وذلك شرف لم ينله سواي من هؤلاء! إلا ما كان من أمر الأعشى حين مدح ثم أحجم.

نهض الفاروق، ففهم حسان أن وراءه ما يشغله، فاستأذن، وقد زال ما في نفسه، ثم توجه من فوره إلى العقيق ينتظر المثول أمام جبلة، في تطلع واشتياق.

كان حسان يسير إلى العقيق، وفي نفسه موازنة صامتة بين منزل جبلة في دمشق، ومنزله بالخيام في المدينة. فيرى أن البون شاسع بين المنزلين، ثم يقول في نفسه: إن الرجل ضيف عابر، وسيرحل إلى موضع العز في بلاده، وسيزيده الإسلام مجداً على مجد، حتى إذا انتهى إلى مجلس جبلة طلب الإذن، فدخل وحياه جبلة بأكثر مما كان ينتظر من البشاشة، وأدناه من مجلسه حتى كان في جواره، مع أنه في دمشق ينفرد بمجلس عال على كرسي من الذهب، يشرف فيه على الجميع.

ولحظ الحاضرون في جوار حسان أن الملك يريد الانفراد به، فتفرقوا مستأذنين، وتطلع الملك إلى الشاعر فقال له: ما وراءك يا حسان؟

فقال الشاعر: هنيئا لك أيها الملك بالإسلام، لقد زدت به عزاً فوق عز، وستصبح دمشق عاصمة ثانية للمسلمين.

فحدق جبلة في وجه حسان كمن يتفرس ما يكن في نفسه من الخواطر، وقال: تقول إني زدت بالإسلام عزاً فوق عز، فسارع حسان يؤكد ما قال. فقال جبلة: اصغ إلي يا حسان، إن ما قلته كان في ظني يوم اعتنقت الإسلام، ولكني حين حضرت إلي المدينة وشاهدت مجلس أمير المؤمنين، عرفت أني كنت واهما.

قال حسان: وكيف ذاك أيها الملك، قال: يهز عمر ملك قيصر، ويمحق ملك كسرى، ثم يرتدي لباس السوقة، ويمشي بين الناس كأحدهم، فلو رأيته في الطريق ما جال بذهني أنه أمير المؤمنين، لقد حضرت إلى المدينة في أبهى مظاهر الأبهة والجلال، مع حاشيتي ذات المشهد المؤثر، وورائي الخدم والعبيد، ومن خلفهم الجواري والوصائف، وكنت أقول في نفسي لابد أن يكون مجلس الفاروق أبهى منظراً من مجلسي، لأنه رجل العالم الآن، فحين قابلته بمدرعته الصوفية، ولباسه الخشن، ودرته الصغيرة أحذني الدهش. ثم جلست معه فوجدت المسلمين يدخلون بلا استئذان ويخرجون بلا استئذان، ويكلمونه كأحدهم، وأكثرهم يقول يا عمر، يا بن الخطاب، فأين هي الإمارة الكبرى على المؤمنين، وأين هو العز المنتظر الذى أطمع أن يزيد على عزي بدمشق! إن بين عرب المدينة وعرب دمشق وعرب العراق فروقاً كثيرة تبلغ حد التنافر والتضاد، وما أراني قابلا أن أجلس مجلس السوقة، وأن ألبس لباس السوقة، فتضيع مكانتي بين الناس!

قال حسان: ولكن أمير المؤمنين لم يطلب منك أن تلبس ملبس السوقة، وأن تترك حاشيتك الكبيرة، وأن تمنع عن بابك الحجاب، فلماذا يجول بذهنك ما يجول؟!

قال جبلة: الأمر أمر تقاليد وأعراف. إن المسلمين اليوم لا يريدون رئيسا في غير حالة عمر، وهم في أنفسهم ينتقدون مسلكي، وقد يفد على بعضهم إلى دمشق، فيدخل دون استئذان. ولا يخاطبني بالإمارة، ثم لا أستطيع أن أفعل معه شيئا

ومن ورائه عمر بن الخطاب!

قال حسّان مجاملاً: لقد زرت دمشق، ووجدتُ الناس هناك يحيّونك ويجلّونك، ويفدونك بالأرواح ولكل بلد تقليده، فإذا التزموا معك ما يلتزمونه من قبل، فلا ضير.

سكت جبلة قليلا، ثم قال: عرفتُ من رجالى أن موسم الحج قريب، وأننى سأضطر إلى الذهاب إلى البيت الحرام، وكنتُ أشتاق أن أراه فعلاً، لأنى أحفظ له حرمةً وهيبةً منذ عرفت أن إبراهيم عليه السلام هو الذى رفع قواعده، وأذّن فى الناس بالحج ليأتوه رجالا وعلى كل ضامر، ولكن الذى أدهشنى أن للحج ملابس خاصة يرتديها الجميع، لافرق بين ملك وسوقه، فكيف يكون الأمر حينئذ؟ وأنا لا أحب أن أتجرد عن مظهرى الملكى، وبخاصة وأنا غريب بين غرباء!

انتظر حسان فلم يتكلم، فقال له جبلة: مالك لا تقولُ؟ أعرفتَ أنه لا عزّ فوق العزّ القديم؟، فقال حسّان: لو تذكرتَ يا مولاى أنك تقف بين يدى الله وحده، وأنّك تدعوه، وهو مجيب الدعاء، لعلمت أنّ الله الذى خلق الناس سواسية فى الشكل والعقل -إلا ما ندر- يريدهم سواسية فى مجال العبادة، ولماذا الحج يا مولاى؟!، ونحنُ نصلى جميعا. وقد يكونُ أمير المؤمنين فى آخر الصفوف، ولا ضير لأن الجميع بين يدى الله. فكّرْ جيداً فى عظمة الله وحده فسيهون عليك ما يتعاظمك الآن!

خاف جبلة أن يتمادى فى الحديث. فيبدو منه ما يحرص على كتمانه، فشدّ على يد حسّان، وقال له: سأفكّر، وسيهدى الله إلى الصواب!

-٣-

أرق جبلة طيلة ليله. ثم بدا له أن تنتهى الرحلة إلى الحجاز دون شقاق. فتناسى ما يحلم فيه من أبهة. وأخذت الأيام تمر به عجالا حتى جاء موسم الحج. فسار من المدينة إلى مكة مع حاشيته وكلّهم من ورائه يحوطونه ويحفظونه، ولكنّ مشهد الطواف فى البيت قد أخلّ بالنظام الذى رسمه مع حاشيته إذ تقاطرت الألوف من كلّ فج عميق، وازدحم البيت بوافديه ازدحاما لم يعهده الملك من قبل، ودوّى التكبير والتهليل فى كل مكان، ونظر جبلة فرأى عمر يطوف مع الطائفين، وكأنّه أعرابى جاء من بادية السماوة وصحراء نجد. فطال اندهاشه لما يرى. وتقدم فى خطوه، ولكنه فوجىء بأعرابى من فزارة يدوس على ثوبه. فلم يمهله إذ صفعه بعنف على خده. وصاح الأعرابى. يا بن الخطاب أين أنت؟ يا بن الخطاب أين أنت؟ ودوّى النداء فى أذن عمر، فسارع إلى الأعرابى يسأله عن هياجه، فأعلمه أن جبلة قد لطمه على خده دون سبب. وفوجىء ملك غسان بمن يستدعيه إلى لقاء عمر، ثم فوجىء ثانية حين رأى الفزارى يجلس جوار أمير المؤمنين. ولم يلبث أن استمع قول عمر:

لماذا لطمت وجه الأعرابى يا جبلة؟ فنظر الملك دهشا وقال: داس مجترئا على ثوبى، ولو كان سيفى معى لأحدث الذى فيه عيناه!

قال عمر: لابد من القصاص بلطمك كما لطمته!

فصاح جبلة: كيف هذا، أنا ملك وهو سوقة!! فحدّق عمر فى وجهه مستنكرا، وقال القصاص لا يعرف فرقاً بين الملك والسوقه، الملك خادم الرعية فى منطق الإسلام. فعجل جبلة يقول. إذن أرجع عن الإسلام وأعود إلى دمشق.

نظر عمر فى وجهه مستنكرا. وصاح به. كل مرتد حكمه القتل، فانظر ما ترى!

تراجع جبلة مأخوذا، وقال فى استكانة: دعنى أفكر قليلا يا أمير المؤمنين! فأرجأه عمر إلى حين...

خلا جبلة بحاشيته، وهو لا يطيق أن يتكلم من الغيظ، وقد صمّم على أمر عرفه مخالطوه من عينه. ولم يفه بشىء. ورأى الليل ركب جبلة يهوى فى جوف الظلام هاربا من مكة، إلى حيث يستقر هرقل فى القسطنطينية. فيكون بعيدا عن سطوة عمر لدى هرقل. وهرقل يعرف جبلة إذ كان مشمولاً بحمايته قبل الفتح الإسلامى فى ديار الشام، ولعلّ فى بقائه لديه ما يشجع على استعادة ملكه حين يجدّ الجد، هكذا توهّم هرقل. فأفرد للزائر قصرا كقصر دمشق، وأعدّ له من النفائس أثاثا ورياشا وحجرا وأبهاء وتحفاً وثريات كما هو جدير بملك صديق واستشعر جبلة الراحة عاما فعامين، ولكنه نظر فوجد نفسه ملكا دون ملك، وصاحب تاج بغير دولة. ثم إنه رهن إحسان هرقل، فلو مات الإمبراطور وخلفه سواه، فقد ينظر إليه غير نظرة سلفه، وقد تضيق به الدولة لإشاعة يلفقها حسود. ليس الأمر إذن ذا استقرار تؤمن معه العواقب، ثم قال فى نفسه. ماذا لو وجدت سفيرا مخلصا أبعث به إلى أمير المؤمنين، فقد يعفو، وقد يتنازل الفزارىُّ عن حقّه، وإذ ذاك يصفو لى ملك دمشق. ومهما كنت خاضعا لسيطرة الإسلام فهو أهون من البقاء فى معشر غرباء، إذ القوم فى الشام عرب، وأنا من بيت ذى تاريخ، فسلطانى موضع اتفاق..

وعلم جبلة أنّ رسولا من المدينة قد جاء برسالة إلى هرقل، وتوجّس شرّا، يخاف أن تكون الرسالة بشأنه، وأن يهمل الإمبراطور حق الملجوء إليه، فيفرّط فى جواره، ولكنّه اطمأن حين وجد الأمر على غير ما توهّم، وطلبَ الرسول فلاقاه محتفلا، ورجاه أن يسفر بينه وبين الفاروق، فقد ينتهى الأمر إلى وفاق، ثم تذكّر جبلة حسانا- وهو يعلم مكانته فى الإسلام ومنزلته من عمر. فأمر بإعداد هدية فاخرة يحملها الرسول إلى الشاعر الصديق، وأن يخبره أنّه فى شوق إلى زيارة المدينة، وسيعلم حسّان ما وراء تلك الجملة من معانٍ، فقد يهب من فوره إلى لقاء عمر، ويستلين ودّه ببعض ما يجيده من الأقوال، وعمر سيرحم الملك النازح فى منفاه السحيق!

ظلّ جبلة ينتظر الرّد على قلق، وقد جاشت بخاطره الشعر فقال معبرا عن ذات نفسه.

تنصّرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان لو أنى صبرت لها ضرر

وشاء الموت أن يأتى بحكمه الفاصل فأنقذ ملك غسان من حياته قبل أن يعلم شيئا عن رد الفاروق.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٨١ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن: أنه وردت أسئلة إلى الإدارة العامة للمجلة، للإجابة عنها في باب استفتاءات القراء.

الوصيــــة

● ورد من السيد ع. أ. ع.

أنا شخص كفيف، أوصى لي والدى بجزء من أملاكه لم يزد عن الثلث، وبعد وفاته ورثت مع إخوتي الأشقاء وغير الأشقاء، فهل ما كتبه لي والدى حقي الشرعي، علما بأن ذلك تسبب في مشاكل مع إخوتي بعد وفاة أبي؟

●● الجواب: تصح الوصية للوارث وغيره وتنفذ في حدود ثلث التركة بغير حاجة إلى إذن الورثة، ولا تنفذ في الزائد عن الثلث إلا بإذن الورثة كل في نصيبه إذا كانوا من أهل التبرع عالمين بما يجيزونه، وهذا ما عليه الفتوى والقضاء في الديار المصرية، اختيارا من بعض الآراء الفقهية في المسألة، فقد ذهب الجمهور إلى أن الوصية للوارث لا تنفذ إلا بإجازة الورثة، بينما ذهب الإمام الهادى والناصر وأبو طالب وأبو العباس - كما نقله عنهم صاحب البحر من الهادوية - إلى جواز الوصية للوارث مستدلين بقوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

«البقرة: ١٨٠»

محتجين بأن نسخ الوجوب لا يستلزم نسخ الجواز، وحملوا ما روى عن النبي ﷺ من قوله: «لا وصية لوارث» على نفي الوجوب لا على نفي الجواز والصحة، وبهذا الرأي أخذ القانون المصري فأجاز في مادته ٣٧ بالقانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ الوصية للوارث فقال: «تصح الوصية بالثلث للوارث وغيره وتنفذ من غير إجازة الورثة، وتصح بما زاد على الثلث ولا تنفذ الزيادة إلا إذا أجازها الورثة بعد وفاة الموصي وكانوا من أهل التبرع عالمين بما يجيزونه». اهـ

ومن المعلوم أن حكم الحاكم يرفع الخلاف وأن لولي الأمر أن يتخير ما شاء من أقوال المجتهدين والعمل به واجب والخروج عنه حرام، لأنه من قبيل الافتيات على الإمام، فمن أوصى لوارث في الديار المصرية نفذت وصيته ووجب العمل بها لذلك.

وعليه وفي واقعة السؤال فوصية والدك لك صحيحة، وهي حق شرعي لك، ما دامت لا تزيد على ثلث تركته.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علــــى جمعــــة

مفتي جمهورية مصر العربية

صوت المرأة

● ورد من السيدة ف. م. ع.

ما حكم جهر النساء بقراءة القرآن الكريم في بعض الاحتفالات الدينية أو العائلية؟

●● الجواب: دلت نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة على أن صوت المرأة ليس بعورة، وأن المحرم إنما هو خضوعها بالقول، أي الإتيان للكلام بطريقة تطمع أصحاب القلوب المريضة.

فيحكي الله - تعالى - كلام سيدنا زكريا - عليه السلام - للصديقة العذراء مريم - رضي الله عنها - ويحكي ردها عليه في سياق تفضيلها وتكريمها من غير نكير، فيقول سبحانه:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

«آل عمران: ٣٧»

وكذلك كلام بنت الرجل الصالح لسيدنا موسى - عليه السلام - ومخاطبتها له مع حيائها:

﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾

«القصص: ٢٥».

ويخاطب سبحانه نساء النبي ﷺ بقوله:

﴿ وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

«الأحزاب: ٣٢».

فهنا نهى عن الخضوع بالقول، وأمر بالقول المعروف، وذلك يدل على أن صوتها ليس بعورة، إذ لو كان عورة لكان مطلق القول منها منكرا، ولم يكن منها قول معروف، ولكان تخصيص النهي بالخضوع عديم الفائدة.

ومما يؤكد ذلك أن الرجل منهي أيضا عن الخضوع في كلامه لغير امرأته، جاء في لسان العرب «٨ / ٧٢» للعلامة ابن منظور: وخضع الرجل وأخضع ألان كلمه للمرأة، وفي حديث عمر - رضي الله عنه - أن رجلا في زمانه مر برجل وامرأة قد خضعا بينهما حديثا فضربه حتى شجه، فرفع إلى عمر - رضي الله عنه - فأهدره - أي: لينا بينهما الحديث وتكلما بما يطمع كلا منهما في الآخر.... وقال رؤبة: من خالبات يختلين الخضعا، قال ابن الأعرابي: الخُضع اللواتي قد خضعن بالقول وملن، قال: والرجل يخاضع المرأة وهي تخاضعه إذا خضع لها بكلامه وخضعت له ويطمع فيها، ومن هذا قوله:

«ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض»

الخضوع: الانقياد والمطاوعة.. وفي الحديث: أنه نهى أن يخضع الرجل لغير امرأته، أي يلين لها في القول بما يطمعها منه أهـ.

وأما السنة النبوية الشريفة: فالأدلة فيها على أن صوت المرأة ليس بعورة أكثر من أن تحصر، فقد كان النساء يأتين إلى النبي ﷺ يخاطبنه بحضور الرجال ولا ينهاهن، ولا تصح دعوى الخصوصية هنا، لأنه ﷺ لم يكن يأمر من يسمعون غيره من الرجال بالقيام عن المجلس، ولو كان صوت المرأة عورة لكان سماعه منكرا، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وجاء في السنة النبوية سماع النبي ﷺ لصوت الفتيات اللاتي كن يغنين في المناسبات المختلفة كذكريات أيام النصر وأفراح الأعراس، من غير إنكار عليهن إلا في الألفاظ المخالفة للشرع. بل إنما أنكر على من أنكر عليهن غناءهن

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ أبوبكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، فقال أبوبكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ - وذلك في يوم عيد - فقال رسول الله ﷺ: «يا أبابكر إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا» متفق عليه.

وعن الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عندها غداة بني عليها فجلس على فراشها وعندها جويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: «لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين» رواه البخاري وغيره.

وعن عمرة بنت عبدالرحمن قالت: كان النساء إذا تزوجت المرأة أو الرجل خرج جوار من جواري الأنصار يغنين ويلعبن، قالت: فمروا في مجلس فيه رسول الله ﷺ وهن يغنين ويقلن:

وأهدى لها أكبشا تبحبح في المربد
وزوجك في النادي ويعلم ما في غد

فقام إليهن النبي ﷺ فقال: «سبحان الله! لا يعلم ما في غد أحد إلا الله، لا تقولوا هكذا وقولوا: أتيناكم أتيناكم... فحيانا وحياكم» رواه البيهقي في السنن الكبرى وقال: هذا مرسل جيد.

بل إن النبي ﷺ ندب الناس بنفسه الشريفة إلى غناء النساء في الأفراح:

فلما أنكحت عائشة - رضي الله عنها - ذات قرابة لها من الأنصار جاء رسول الله ﷺ فقال: أهديتم الفتاة؟ (زفة العروس إلى زوجها) قالوا: نعم. قال: «أرسلتم معها من يغني؟» قالت: لا. فقال: «إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم.. أتيناكم.. فحيانا وحياكم» رواه ابن ماجه وأحمد.

وفي رواية الطبراني في الأوسط: أن النبي ﷺ قال: «ما فعلت فلانة؟» فقلت: أهديناها إلى زوجها، قال: «فهل بعثتم معها بجارية تضرب بالدف وتغني؟» قالت: تقول ماذا؟ قال:

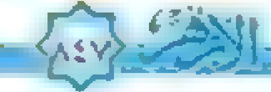
«تقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السمراء ما سمنت عذاريكم»

وروى أبو الشيخ في كتاب النكاح من طريق بريد بن حفصة عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ مر بجوار بناحية بني جدرة وهن يقلن: فحيونا نحييكم، فقال: «قلن: حيانا الله وحياكم»، ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» «٩ / ٢٢٣».

بل جاء في حديث جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - عند المحاملي في أماليه أن النبي ﷺ أمر مغنية بالمدينة يقال لها «زينب» بالذهاب للغناء في زفة العروس، وقال لها: «أدركيها يا زينب» كما في «فتح الباري» «٩ / ٢٢٦».

ولم يقتصر إذن النبي ﷺ للمرأة بالغناء وسماعه لذلك على أفراح الزواج ومناسبات النصر، بل تعداه إلى غير ذلك من المناسبات التي يفرح بمثلها:

فعن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إني كنت نذرت إن ردك الله سالما



أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا»، فجعلت تضرب، فدخل أبوبكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها، ثم قعدت عليه، عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسا وهي تضرب فدخل أبوبكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

قال الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٦ / ٥٧): استدل به على أن صوت المرأة ليس بعورة، إذ لو كان عورة ما سمعه النبي ﷺ وأقر أصحابه على سماعه، وهذا هو الأصح عند أصحابنا الشافعية لكن قالوا: يحرم الإصغاء إليه عند خوف الفتنة، ولا شك أن الفتنة في حقه - عليه الصلاة والسلام - مأمونة، ولو خشي أصحابه - رضي الله عنهم - فتنة ما سمعوا، هذا إن كان حصل منها صوت بدليل قوله في رواية الترمذي «وأتغنى» اهـ.

إلى آخر ما هنالك مما ورد في السنة المشرفة.

وإذا كان سماع صوت المرأة الذي لا خضوع فيه في القول جائزا في غناء الأفراح مع كونه أكثر مظنة للخضوع والتكسر فلأن يجوز سماع صوتها فيما تقل مظنة ذلك فيه كالقرآن والأناشيد الدينية من باب أولى.

وقد صرحت نصوص فقهاء المذاهب الفقهية الأربعة في المعتمد عندهم بأن صوت المرأة ليس بعورة:

جاء في حاشية الشيخ العلامة ابن عابدين الحنفي رد المحتار على الدر المختار (١ / ٤٠٥): قوله: «وصوتها» معطوف على المستثنى يعني أنه ليس بعورة «حلبي»

قوله: «على الراجح» عبارة البحر عن الحلية أنه الأشبه، وفي النهر: وهو الذي ينبغي اعتماده اهـ.

وقال الشيخ العدوي المالكي في حاشيته على شرح الخرشي لمختصر خليل (١ / ٢٣٧): «قوله: لأن صوتها عورة» ضعيف، والمعتمد أن صوتها ليس بعورة في المعاملات وغيرها ما لم يعرض موجب التحريم. شيخنا اهـ.

وقال في موضع آخر (١ / ٢٧٥): «لقوله لأن صوتها عورة المعتمد كما أفاده الناصر اللقاني في فتاويه وشيخنا الصغير أنه ليس بعورة» اهـ.

وقال الشيخ الخطيب الشربيني الشافعي في «مغني المحتاج» (٤ / ٢١٠) طبعة دار الكتب العلمية: «وصوت المرأة ليس بعورة. ويجوز الإصغاء إليه عند أمن الفتنة» اهـ.

وقال الشيخ علاء الدين المرداوي الحنبلي في الإنصاف (٢٠ / ٥٨) طبعة هجر: صوت الأجنبية ليس بعورة على الصحيح من المذهب. قال في الفروع: ليس بعورة على الأصح اهـ.

وقال الإمام ابن حزم في «المحلى» (٣ / ٥٥ - ٥٦): «مسألة: والجهر والإسرار في قراءة لتطوع ليلا ونهارا مباح للرجال والنساء، إذ لم يأت منع من شيء من ذلك، ولا إيجاب لشيء من ذلك في قرآن ولا سنة.

فإن قيل: تخفض النساء، قلنا: ولم؟ ولم يختلف مسلمان في أن سماع الناس كلام نساء رسول الله ﷺ مباح للرجال، ولا جاء نص في كراهة ذلك من سائر النساء. وبالله تعالى التوفيق اهـ.

وصرح السادة الشافعية وغيرهم بأنه يجوز للمرأة أن تجهر بقراءة القرآن الكريم ولا يحرم عليها ذلك لا في الصلاة ولا خارجها، وفرقوا بين قراءتها للقرآن وأذانها، حيث إن الأذان ليس من شأنها بخلاف القراءة.

قال الشيخ عميرة البرلسي في «حاشيته على شرح المنهاج» (١ / ١٧٧): (فائدة) صوت المرأة ليس بعورة على الصحيح، فلا يحرم سماعه ولا تبطل الصلاة به لو جهرت اهـ.

وقال الشيخ الشمس الرملي في «نهاية المحتاج» (١ / ٤٠٧-٤٠٨) طبعة دار الفكر: «ولا يشكل حرمة أذانها بجواز غنائها مع استماع الرجل له، لأن الغناء يكره للرجل استماعه وإن أمن الفتنة، والأذان يستحب له استماعه، فلو جوزناه للمرأة لأدى إلى أن يؤمر الرجل باستماع ما يخشى منه الفتنة، وهو ممتنع ولأن فيه تشبها بالرجال، بخلاف الغناء فإنه من شعار النساء، ولأن الغناء ليس بعبادة والأذان عبادة والمرأة ليست من أهلها فيحرم عليها تعاطي كما يحرم عليها تعاطي العبادة الفاسدة لأنه يستحب النظر إلى المؤذن حالة أذانه، فلو استحببناه للمرأة لأمر السامع بالنظر إليها، وهذا مخالف لمقصود الشارع، ولأن الغناء منها إنما يباح للأجانب الذين يؤمن افتتانهم بصوتها، والأذان مشروع لغير معين فلا يحكم بالأمن من الافتتان، فمنعت منه، وفارق الرفع هنا الرفع بالتلبية بأن الإصغاء إليها غير مطلوب ويؤخذ مما تقدم في الفرق بين غنائها وأذانها -من قولنا إن الأذان عبادة وليست من أهلها، ومن أن فيه تشبها بالرجال، ومن أنه يستحب النظر إلى المؤذن- عدم حرمة رفع صوتها بالقراءة في الصلاة وخارجها، وإن كان الإصغاء للقراءة مندوبا، وهو ظاهر، وأفتى به الوالد وهو العلامة الشهاب أحمد الرملي - رحمة الله تعالى - اهـ.

وعلى ذلك فإنه يجوز للمرأة أن تجهر بقراءة القرآن في المحافل والمناسبات الدينية أو العائلية، ما دام ذلك بأداء صحيح ملتزم بأحكام التلاوة خال عن الخضوع والتكسر. وأما ما ورد عن بعض السابقين من العلماء بأن صوت المرأة عورة، أو أنها يحرم عليها رفع صوتها حتى لو لم يكن فيه خضوع وتكسر في القول، فهذا نوع من الفقه الذرائعي، وهو أمر أكثر ارتباطا بالزمان والمكان والأحوال والتقاليد والأعراف منه بالأدلة والنصوص. والمحققون من العلماء على أن الإيغال في القول بسد الذرائع غير مرضي، وأن ما يكون سدا للذريعة في زمان أو مكان أو حال أو شخص لا يلزم أن يكون كذلك في كل الأزمنة والأمكنة والأحوال والأشخاص. والمتعين في ذلك هو الرجوع إلى السنة النبوية المطهرة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأذان

بين قدسية النداء وإعجاز البناء

قد يتلقى المرء دعوة تكريم له على إبداع أنشأه أو انجاز حققه. وقد يتلقى آخر دعوة مضادة تهديدا له بالمساءلة والتحقيق لجرم جناه أو إثم أتاه.

وفي كلتا الحالتين هي دعوة «بشرية» إما بالثواب أو العقاب على المستوى العرفي بين الناس، أو الوضعي وفق القانون.

والناس مستغرقون بهمهم كله حول هذين النوعين من (الدعوات البشرية) يتوقون إليها إن كانت خيرا، ويتقونها إن كانت غير ذلك.

وكثيرا ما يغفل الناس أو يتغافلون عن نوع آخر من الدعوات تختلف الاختلاف كله عن هذين الضربين من دعوات البشر. تلك هي «الدعوة الالهية» التي يوجهها البارئ الأعظم - عز وجل - إلى عباده في اليوم خمس مرات مع دورة الفلك طيلة الأربع والعشرين ساعة التي هي مسار الليل والنهار.

وهي دعوة الله الى عباده المفلحين تحملها الملائكة عبر حناجر المؤذنين الذين يعلنون داعي الله الى الصلاة، أو ذلكم هو «الأذان».

ودعوة الأذان كما نرى هي دعوة للجميع فهي ليست موجهة إلى واحد دون غيره، وإنما هي موجهة إلى الكافة تقول لهم.

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾

(الأحقاف: ٣١)

هلموا إلى الملكوت الحق الذى تتطهر فيه الأبدان، وتتزكى فيه الأنفس، وتنعم فيه الأرواح.

إنها دعوة واحدة موحدة من رب واحد فمن شاء أن يحظى بنصيبه من هذه الدعوة القدسية فليسرع مهرولا ملبيا داعي الله.

والأذان في اللغة: مطلق الإعلان، وفي الشرع: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ معلومة مأثورة.

فلقد أوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائما متذكرين عظمة الرب الأعلى فيتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه، وعلى هذا يقوم عمران الكون وتتحقق خلافة الإنسان في الأرض ومن هنا جاء في محكم الكتاب العظيم.

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

ولكى تتم نعمة الحق - سبحانه - في هذا المجال الحيوى الفعال جعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذكر المسلمون بعضهم بعضاً حول شئونهم واحتياجاتهم فتقوى روابط الألفة والاتحاد بينهم، فالصلاة بهذا نظام سماوى حكيم لتنظيم أرضي سوى مستقيم.

ومتى حان وقت الصلاة كان لابد من «آلية» تنبه الغافل وتذكر الساهي حتى يكون الاجتماع عاماً، ومن هنا نشأت شرعية الأذان.

ولكن هذا لم يبدأ بالصورة التى نراها الآن. ولكن الأمر اتخذ مراحل عدة أظهرت كيف يتمتع المسلمون منذ صدر الإسلام بملكة النقد والتمييز بين السلب والإيجاب حتى يستقر الخلق على ما أراد الحق.

ذلكم هو الأذان الذى يدعونا بنفسه إلى تأمله وتدبره والتفكر فيه، بل وتذوق صيغته وتناسق بنائه، والعمل به بتوفيق من أعظم داع، وخير مجيب جل شأنه وعز سلطانه.

وأول ما يدعونا إليه التذوق المتأمل في صيغة الأذان أن نرى كيف أنه يبدأ بلفظ الجلالة (الله) عندما يقول: - الله أكبر - كما أنه ينتهى كذلك بنفس اللفظ المقدس الذى لا نعرف له سميا وذلك عندما يختتم الأذان بعبارة الحق المطلق - لا إله إلا الله -، فالله سبحانه في الأذان هو الأول والآخر، وهكذا نتأمل لفظ الجلالة يحتضن نداء الحق كقوسين جليلين مقدسين لا نهائيين.

ثم ينتقل هذا النداء العلوى إلى شهادة الحق التي هي مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة وهي «أشهد أن لا إله إلا الله»، وتأمل كيف تأتى هذه الشهادة بصيغة «المتكلم المفرد» وهي - أشهد - ولم تأت بصيغة المتكلمين - نشهد - وذلك إشارة إلى أن هذه الشهادة - شخصية - من منطلق

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

(الأنعام: ١٦٤)

يقر بها المؤمن ويُسأل عنها وحده يوم القيامة إذا كان قد عمل بمعناها صدقاً لا رياء، وتعامل بمحواها حقا لا مراء أو رددها مجرد ترديد دون أن تغادر لسانه إلى قلبه ولبه وسلوكه الميداني في الحياة، إذ أنني عندما أشهد - وحدى - بأنه لا إله إلا الله فمعنى هذا أنى أقر (شخصيا) بأنني لا أعبد غيره سبحانه، ولا أوقر سواه - عز وجل - مهما كان هذا (الغير) بشرا أو حجرا أو معنى من المعاني، إذ يقول بعضهم في أوربا مثل الفيلسوف الفرنسي «ريجيس دوبريه» إنهم قد تخلوا عن فكرة - الله - منذ ما يسمونه بالنهضة الأوربية واستبدلوا بها فكرة حقوق الإنسان.

ولا يستشعر لذة الإيمان بالوحدانية إلا صاحبها حين تشيع هذه اللذة في أعماقه فيمتلئ إحساساً بالسيادة والعزة مما يترجم هذا الإحساس إلى معرفة المؤمن قدر نفسه بين الناس، فيتواضع في غير ضعة، ويكبر ويعلو في غير استعلاء، ويتسمح في غير خيلاء موقنا ومعتزا بأنه يعبد إلها واحدا لا شريك له وأن هذا الإله ـ سبحانه

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

(الشورى: ١١)

انظر إلى مثل هذا المؤمن الحق عندما يؤذن المؤذن للصلاة فيهب لرب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة خاشعاً بين يدي إله عظيم يؤمن به ولا يتمثله. إن هذه وحدها دليل على أن هذا المؤمن إنسان عظيم له إله عظيم في إطار دين عظيم.

فالأذان يبدأ بالتكبير لله ـ سبحانه ـ تكبيرا مطلقا، فالله أكبر ليس أكبر من كل كبير - كما يردد العامة - وإنما هو سبحانه كبير على الإطلاق ليس على النسبة مع الغير، وحاشاه تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ثم إن هذا ـ الإله الأكبر ـ لابد أن يكون ـ لا إله إلا هو ـ وهي صيغة تنفي أولاً كل ادعاءات الألوهية حتى تتطهر الساحة من أي بطلان، وحينئذ يأتي بعد هذا النفي إثبات الألوهية لله الواحد القهار التي هي ليست في حاجة إلى برهان لأنها فطرة تستقر في عمق الكيان البشري ولا ينكرها إلا المبطلون.

ثم يذكر الأذان بعد ذلك الحبيب المبعوث برسالة الوحدانية ختاما لكافة الرسالات وتتويجا لها، وهنا تتم كلمة الحق سبحانه في تكريم رسوله ﷺ عندما خاطبه جل وعلا بقوله

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

(الشرح: ٤)

كما قال بعض المفسرين[1]: إن معنى هذه الآية هو أن قرن ذكر محمد ﷺ بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهد. فتكون الصيغة القدسية في هذا المجال هي ـ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

وارتباط شهادة أن محمداً رسول الله بشهادة أن لا إله إلا الله هو في بعض التأملات ارتباط المحسوس الميداني بالمعقول الروحاني الإيماني فالاعتراف بالله ربا يستتبع الاعتراف بمحمد نبيا ورسولا، فالإيمان الإسلامي عملة ليست ذات وجهين مختلفين كبقية العملات وإنما هو عملة يشف وجهاها كل عن الآخر في تدعيم رصين واتساق متين.

حي على الصلاة

ثم ينتقل الإعلان المقدس بعد ذلك إلى أنه ـ حي على الصلاة ـ تذكيرا بهذه الفريضة العظيمة التي فرضها الحق سبحانه على نبيه مباشرة دون واسطة الوحي، وبالطريقة التي ليس لها (كيف) ولا يحيط بها إلا المولى عز


(١) تفسير عبدالله بن احمد النسفي

وجل، وفي المكان الذي ليس له (أين) ولا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه، ألا تأملت في هذا قوله تعالى عند حفاوة الحق جل وعلا (بعبده) المصطفى ﷺ.

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾

(النجم: ١٠، ١١)

وألا أنعمت بصيرتك في ذكر كلمة (عبده) هنا في محفل المعراج كما ذكرت من قبل في رحلة الإسراء:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾

(الإسراء: ١)

تأكيداً لسيادة النبي ﷺ على الخلق اتساقاً مع عبوديته لربه وحده عز وجل؛ كما يبين لنا التأمل في هذا المسار إلى كيف يسوق القرآن الكريم كلمة (ما) بمعنى (الذي) دون تحديد لنستشعر مدى خصوصية الأمر الذي أوحاه الحق عز وجل إلى رسوله ﷺ والذي رآه الفؤاد فما كذبه...... والله سبحانه وتعالى أعلم.

ارتباط الصلاة بالفلاح

وعندما تنتقل عبارات الأذان بعد ذكر الصلاة إلى (حي على الفلاح) نعي مدى ارتباط الصلاة بفلاح الإنسان في أولاه وأخراه ويكفي أن تكون الصلاة هي عماد الدين لكي نفهم أنها أساس الفلاح والنجاح في كل ما يرتبط بالكيان الإيماني الإنساني كله فهناك الفلاح في التفكير، والفلاح في التعبير، والفلاح في المسعى، والفلاح في علاقة العبد بربه وعلاقته بكل ما يحيط به من كائنات بل وعلاقته بنفسه التي بين جنبيه، ألم نقرأ في كتاب الحق عز وجل:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

وهكذا نحاول التعبير عن تذوقنا معاً للأذان. هذا البناء الشامخ إلى السماوات. وكأنه ينادي في ابتهال، والراسخ في أعماق الأرض وكأنه يبث أسرار الخصب والنماء بجذوره المتعانقة التي تبز في قوتها متانة جذور الجبال الراسيات.

ولم لا؟ أليس مؤلفاً من كلمات طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي ثمارها الإيمانية كل حين على مدى الليل والنهار بإذن ربها الكبير المتعال.

ومن جمال الاتساق في صيغة الأذان ما نقل عن «السيوطي» رحمه الله أن الأذان إعلام بورود الوقت. والإقامة للصلاة أمارة بقيام الصلاة، والأذان إعلام للغائبين فيكرر ليكون أبلغ في إعلامهم بينما الإقامة إعلام للحاضرين فلا حاجة إلى تكرارها[2].

ويروى عن النبي ﷺ أنه أوصى بأن «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»[3].

(٢) عن مراد النية

(٣) أحمد في مسنده والبخاري ومسلم عن أبي سعيد بالجامع الصغير

وعندما يأمرنا النبي ﷺ بأمر ما فيسعى أن نتأمله ونتدبره بل ونعايشه أيضاً، فالنبي ﷺ في هذا السياق لا يريدنا قطعاً أن نردد الأذان مجرد ترديد باللسان ودون إعمال الفكر والجنان. إنما يريدنا أن نعي النداء وعياً كاملاً حتى تلمس معانيه شغاف قلوبنا فيسري في الأعماق مسرى النور في الآفاق، وحتى لا يكون الكلام أمراً رتيباً لا معنى له ولا روح فيه.

ظلال الأذان في علم النفس

وقد اهتدى أصحاب علم النفس إلى مثل هذا الهدى النبوي الكريم عندما تحدثوا عن ظاهرة نفسية هي ظاهرة (الشعور) فقالوا إن شعور الفرد بالشيء له مظاهر ثلاثة هي: الإدراك، والوجدان والنزوع.

أما الإدراك فهو معرفة الشيء وتمييزه، وأما الوجدان فهو الأثر الداخلي الناشئ عن هذا الإدراك. وأما النزوع فهو الاستجابة العملية لهذا الأثر الداخلي أو الوجدان، ومن هنا قيل: إن الشعور هو إحساس وتأثر الإنسان بما يحيط به من أشياء.

وإذا أردنا أن نطبق هذا على موضوع (الأذان) نرى أن إدراكنا له هو (معرفة) نداء المؤذن وتمييزه عن غيره من النداءات، وهذه المعرفة تقتضي أن (نتفهم) معاني ما يقوله المؤذن. وعندما يعمل هذا الإدراك عمله الإيماني في قلوبنا وأعماقنا تتم هنا عملية الوجدان حيث:

﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(الزمر ٢٣)

وذلك عندما يحين الموعد واللقاء مع الداعي الأعظم جل وعلا، ولا شك في أن هذه الشحنة الإيمانية (الوجدانية) الصادقة هي بمثابة الدافع المتدفق. والطاقة الهائلة المتولدة في الجوانح مما يقود المؤمن (المدرك) للموقف. والعامر (بالوجدان) الإيماني إلى (نزوع) متلهف إلى لقاء الحق سبحانه فيسرع للحاق بالصفوف السائرة إلى الدعوة. وتلبية النداء.

فكم منا قد مر بهذه التجربة (الشعورية) حين يؤذن المؤذن للصلاة؟ أم أننا قد اكتفينا بترديد فقرات الأذان تلقائياً، وربما لا نحس بما يرفع به المؤذن عقيرته، حتى إذا انتهى النداء ونحن لم نقترب بعد من المسجد تباطأنا لمسامرة صديق في الطريق حول مسألة دنيوية طارئة أو مشكلة حياتية تافهة تحرضنا على التباطؤ مما يفوت علينا الركعة تلو الركعة.

أما الغافلون والمتغافلون فإن الأذان لم يدخل لديهم في صميم الشعور ولكنه توقف عند (هامش الشعور)، ويخشى أن يحق عليهم قول الحق سبحانه في المنافقين:

﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾

(النساء ١٤٢)

(يتبع)





الرافعي.. هذا العقل المسلم!!

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

حين ننسى تاريخنا الأدبي.. كله.. أو بعضه.. يصيبنا من هذا النسيان دوار يغيم الرؤية ويشوه من حقائق الأشياء ويعطي المحدثين من أدبائنا وشعرائنا على السواء انطباعاً عارماً يخيل إليهم أنهم فعلاً جيل بلا أساتذة.. أو حاضر بلا ماض على الإطلاق!!

وقد لا ننسى تاريخنا عمداً.. فالذين يحرقون إمكانية الخصب في تراب أرضهم صغار لا يستحقون حتى مجرد أن يكون لهم انتماء إلى تاريخ معين أو تراث حضاري بالذات.. ولكن النسيان قد يكون شيئاً من غباء التضييع لا من غباء الرفض ومادامت النتيجة في نهاية الشوط طرحاً لا جمعاً: فالذين يقفون في منحنى هذا المنطق يحملون كل وزر القضية وقد يحملون بعد ذلك منطق التجريم!

والمفكر العربي «مصطفى صادق الرافعي» واحد من أولئك الذين فرضوا أنفسهم على تاريخنا الفكري فأصبح بذلك جزءاً من هذا التاريخ، ونسيانه هكذا مدخل إلى حكم قد يكون قاسياً على جيلنا بأكمله وقد لا يكون، ولكنه حكم في غير صالح الجيل على أية حال، إن لم يكن بديونة الرفض فبرعونة التضييع.

إن الرافعي، على مستوى فكري بحت، يجب أن يظل في منطقة الضوء: فالقضايا التي أثارها قلمه منذ عشرات



التي ما تزال حية جائشة في معتركنا الأدبي حتى اليوم، وما تزال آراؤه فيها حية وقابلة للحياة، وقادرة إلى جوار ذلك على الفعل عبر أجيال وأجيال.

ولقد اخترت أن أتحدث عن الرافعي عن موقفه من قضية الشعر عاشقا وناقدا فربما كان هذا الجانب هو أضوأ الجوانب الفكرية جميعا في شخصية هذا الرجل، وربما كان ذلك أدل على مزاجه الفني ومنطلقه في تناول الأشياء: فالرافعي شاعر قبل كل شيء، شاعر حتى وهو يكتب المقال والبحث والنظرية النقدية، حتى وهو يدير بينه وبين مقاتليه بالقلم الحوار.

أنا إذن في هذه السطور سأتناول موقف الرافعي من قضية الشعر وموقفه من قضية النقد، لنرى معاً إلى أي مدى كان تحليقه الفكري حين يتحدث عن أخطر قضايا المعاصرة بفكر كاشف ووعي عميق.

قضية الشعر

ولنبدأ بالتعرف على ملامح موقفه من قضية الشعر، وأرجو أن لا يلفتنا شيء عن حقيقة أنه كان شاعراً أولاً وإذا لم يكن الرجل شاعرا فماذا نسميه حين يقول بحساسية بالغة النفاذ والعمق: «الشاعر هو ذلك الذي يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص، وفيهما عرق على حدة»؟

أي أن الشاعر كما يرى الرافعي متفرد بالبصر الثاقب في أسرار الكون وآفاق الطبيعة مدفوعاً إلى ذلك بنوعية خاصة مؤهلة بالعشق الكوني، والغزل الطبيعي لقشور الوجود ومضامينه على السواء: فإذا وفق الشاعر على نحو صوفي للترقي إلى هذا الأوج من العشق الثنائي للوجود قشرياً وجوهرياً فإنه أي الشاعر مطالب بعد على مستوى شعري بالغوص وراء الجوهري والصميمي من الأشياء.

إن الرافعي ليلتقي مع أكثر النظريات النقدية حداثة ومعاصرة إذا ما تحدث عن الشعر، فإن ما يطلب الآن من الشاعر ليس هو التماس القشري مع سطوح الأشياء في مجال الكون، أو مجال النفس، بقدر ما هو معانقة ما وراء السطوح والأشكال وليس يطلب من الشاعر أن ينقل إلينا الطبيعة بقدر ما يطلب إليه أن ينقل إلينا إحساسه بالطبيعة، ولقد فطن الرافعي إلى هذه الحقيقة فقال في معرض حديثه عن فلسفة الشعر ونقده: «والشعر في أسرار الأشياء.. لا في الأشياء نفسها».

إن الشعر كما يرى الرافعي استقطار لمعنى الحياة الخالد الأبدي وليس مجرد تداعيات هشة وساذجة، تخاطب على الأكثر في إنسانها المتلقي نوازع عرضية وقشرية ومجانية.. وهو من هذا المنطلق يضع الشعر والدين.

يقول: «ولو سئلت أزمان الدنيا كيف فهم أهلها معاني الحياة السامية، وكيف رأوها في آثار الألوهية عليها؟ لقدم كل حين في الجواب على ذلك معاني الدين ومعاني الشعر».

وهكذا يعطي الرافعي إمكانية الكشف الملون بإمكانية الوحي، ويؤكد أن الشعر ليس ترفاً عائماً في حياة الناس بقدر ما هو معنى من معاني الحياة السامية التي نراها دائما في آثار الألوهية عليها.

ويرى الرافعي أن الشاعر إذا كان مطالباً بتجلية غوامض الكون وتفسير قضاياه الوجودية، فهو ليس مطالباً على الإطلاق بالبحث عن حقائق خالية من الجماليات، بقدر ما هو مطالب بالبحث عن جماليات لا تخلو من الحقائق، وفي هذا الصدد يقول الرافعي: «وليست الفكرة شعراً إذا جاءت كما هي في العلم والمعرفة فهي في ذلك علم وفلسفة وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال الكامنة في هذه الفكرة»!

وهنا نتذكر الصيحة المثارة الآن حول قضية «الشعر والفكر» إيجابا وسلبا ونذكر للرافعي تهديه إلى هذا المفهوم الحقيقي والمعاصر للشعر في كلماته القاصمة «وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال في هذه الفكرة».

وليست الفكرة التي يتحدث عنها الرافعي من لون الفكرات العابرة في حياة الناس، وإنما هي الفكرية الشمولية الكونية التي تسيل على قلمه حين يقول: «الشعر فكرة الوجود في الإنسان وفكرة الإنسان في الوجود».. ونحن ننطلق مع الرافعي من حديثه عن الشعر كعاشق وفنان إلى حديثه عنه ناقداً ومفكرا تجبهنا في هذا الصدد حقائق كثيرة. في طليعتها أن الرافعي غيور على الشعر بقدر ما هو غيور على شيء مقدس.

فهو ساخر حتى الأغوار من أولئك النقاد الذين لا يزيدون في تقدمهم على أن يسبحوا معلقين على كلام الشاعر كأنهم شروح على متنه الموجز ويسخر من أولئك الذين «يتناولون الشاعر باعتباره رجلا له موضعه من الناس، ومنزله من الحياة ثم لا يعدو ذلك» ويرى أن الناقد الحقيقي: «يجب أن يجمع إلى الإحاطة بتاريخ الآداب وتقصي مواردها ذوقاً فنياً مهذباً مصقولاً ثم يجمع إلى هذين » أي الإحاطة والذوق» تلك الموهبة الغريبة التي تؤلف بين العلم والفكر والخيلة فتديها من المزيج. الفيلسوف، الشاعر، العالم شخصاً من هؤلاء جميعا هو الذي نسميه «الناقد الأدبي».

وأعتقد أن هذا المستوى الصوابي في ثقافة الناقد هو ما يحوز المرحلة التي نحياها أعماقا وأبعادا، فإن شلل الإبداع الفني الذي يوشك أن يكون سمة المرحلة ليس شيئاً منفصلاً تماما عن شلل الفكر النقدي المعاصر، الذي يرجع بالدرجة الأولى إلى نضوب ثقافة الناقد أو ضمورها على أحسن الفروض!، وإلى

تقحم النقاد ميادين لم تؤهلهم ملكاتهم النقدية أساساً إلى تقحم مجاهلها الكثيفة، ولقد يعزز الرافعي رأيه في هذا الصدد حين يعاود الحديث عن هذه القضية مرة أخرى فيقول: «لا ينبغي لنقد الشاعر والكلام عنه إلا شاعر كبير يكون ذا طبيعة في النقد أو كاتب عظيم يكون ذا طبيعة في الشعر، أي لابد من الأدب والشعر معاً لنقد الشعر وحده، فيأتي الكلام فيه من العلم والذوق والإحساس والإلهام جميعاً».

ولقد يتهم الرافعي بأنه كاتب «جمالي» يعنى بالقضايا الكلية المجردة لأنه لا يستطيع أن ينزل إلى أرض التطبيق وربط الشعر بقضايا الإنسان ومعاناته الحياتية والرافعي لايرفض هذا الاتهام ولا يريد- فيما نظن- لأحد أن يدفعه عنه ولكنه يأخذ هذا الاتهام من يديه جميعاً، ليضعه في موضعه الصحيح من قضية النقد وقضية الفن على السواء، إن دراسته للشاعر الكبير حافظ إبراهيم تبرز هذا الفهم إبرازاً لا يحتمل من أحد أن يزيد عليه بتأويل لأنه يضع الرؤية الشعرية ابتداء في مفترق بين التعبير عن معاناة الشاعر الاجتماعية، والتعبير عن حوائج عالم الإنسان، ثم ينحاز إلى التعبير الإنساني الشامل من أول الطريق، رافضاً أن يكون الشاعر عظيماً لأنه يعبر عن معاناة اجتماعية: «فالشاعر الاجتماعي شاعر في حيز محدود من وجوه الشعر ومذاهبه. وإذا كان الاجتماع كل شعره فلا يسمى شعره فناً إذ كان الفن إنسانياً، وكان شاملاً، عاماً».

وكذلك يستقيم الفهم السوي للرافعي في هذه القضية، قضية أن يكون الشعر بوقاً اجتماعياً أو لا يكون، فليس مجد الشاعر أن يتغنى بدخان المصنع، وفأس الحطاب وهزائم البسطاء بقدر ما هو استقطاب الإنسان الأعلى في كل منازع تفكيره الروحي والحياتي بما في ذلك معاناته الاجتماعية، «فالفلسفة الشعرية كلها أن يحل في الشاعر الملهم ذلك السر الجميل الجاذب والمنجذب معاً المستقر والمشحون جميعاً. الباطن والظاهر في وقت. فيكتب الشاعر ما لا يدركه غيره»، كما يقول الرافعي.

وهنا لابد أن يرد تعريف الرافعي للخيال الشعري، كواحد من التعاريف التي تطلق الخيال في فضائه اللانهائي ولا تكبل أجنحته الطائرة في أفق واحد مكسور يقول الرافعي: «إن الخيال الشعري يزيغ بالحقيقة في منطق الشاعر لا ليقلبها عن وضعها ويجيء بها ممسوخة مشوهة ولكن ليعتدل بها في أفهام الناس ويجعلها تامة في تأثيرها.. وتلك من معجزاته.. إذ كانت فيه قوة فوق القوة. عملها أن تزيد الموجود وجوداً بوضوحه مرة وبغموضه مرة أخرى».

وعلى غير موعد تفجؤنا كلمة الرافعي: «وبغموضه مرة أخرى»، إن ما يتصايح به النقاد من أن اكتشاف الغموض في الشعر الحديث كواحد من الشواهد المميزة إضافة لها قيمتها ولها خطرها في آن، فقد فطن إليه الرافعي وهو ماض في طريقه لا يتشدق بأنه قد صادف كشفاً أو قريباً من الكشف، حين أكد أن من معجزات الخيال تعميق وجود الموجود بالوضوح مرة وبالغموض مرة أخرى، صحيح أننا لا نتعامل اليوم مع القصيدة التي تبذل نفسها من أول لقاء وعند أول قراءة بقدر كاف من التقدير ولكننا نتعامل بأقدار من الإعزاز مع القصيدة الأخرى التي تخفي أكثر مما تبدي وتسر أكثر مما تعلن. أولاً على أن يكون إسرارها وغموضها ليس حائطاً غير قابل للكسر وإلا لاستحالت القصيدة إلى نبع جاف وجامد تماماً، وثانياً: على أن يكون وراء هذا الغموض ثراء في الرؤية الشعرية. ورخم في الخيال الشعري، وغنى في الخلفية الفلسفية التي يصدر عنها الشاعر. وثالثاً: على أن يكون الغموض في القصيدة الشعرية غموضاً نابعاً من عفوية ذات ثراء خاص وليس نابعاً من عمدية فجة، هادفة أساساً إلى الظهور بمظهر الشعراء الفلاسفة أو الفلاسفة الشعراء!

وغير خاف هنا أن الرافعي لم يتعرض لقضية الغموض على هذا النحو التفصيلي ولكن يكفيه فعلاً أن يكون قد اهتدى إلى أساس للقضية وجاوزها إلى ما يريد!

هذه لمحات خاطفة أو قل بعض انطباعات عن رؤية الرافعي مبدعاً وناقداً في مجال الحديث عن الشعر، وهي رؤية إن لم ترتفع إلى مستوى النظرية الأكاديمية المحددة الملامح والسمات فقد ترتفع إلى مستويات الفهم الأولى لعملية الإبداع والخلق في بكارة ميلادها الأول. وإذا كان للنظرية دورها الإيجابي في تعميق الدراسة الأكاديمية المتخصصة فإن كونها نظرية يضعها دائماً في مهاب التغيير كلما أتيح لنظرية أخرى أن تدفع موجها في عباب الخضم النقدي والفكري وفي الوقت الذي تظل فيه الرؤية من نوع ما كتب الرافعي، محتفظة ببقائها وشموليتها لأنها لم تقف عند رصد الظاهر الحسي، وإنما تغلغلت إلى مواطن التعرف على سمات الجمال والجلال في ملامح وجه العمل الفني.. وليست سمات الوجه الحقيقي مما يقبل التغيير.. والتحوير!

على أية حال:

أرجو أن نراجع- كجيل- موقفنا من قممنا الفكرية.. حتى و إن تراحبت بيننا وبينهم آماد الخلافات.. فإن أختلف معك.. وأن تختلف معي.. شيء مغاير حتى الأعماق.. لا أن ألوث قلبي بكراهتيك، وأن تلوث يديك بدماء تاريخي المذبوح!



للدكتور أحمد [illegible]

لم أصدق عينى عندما قرأت شريط الأخبار فى قناة الجزيرة، ورأيت دعوة كبير أساقفة كانتربرى، أمام مجلس العموم البريطانى إلى ضرورة الأخذ بقوانين الشريعة الإسلامية، وإدخالها فى قوانين بريطانيا.

وانتظرت عودة الشريط مرة أخرى وأنا فى شوق شديد لأتأكد من قراءته، ولأقنع نفسى أنى لست واهماً، وقرأت الخبر مرات ومرات وقلت فى نفسى ربما كان انفعالاً وقتياً من رجل منصف فى لحظة صدق مع الذات وسينتهى الخبر بمجرد إذاعته. لكن المفاجأة أن قناة الجزيرة أذاعت الخبر فى اليوم التالى وقد أفردت له مساحة واسعة ونقلت معه مشاهد حية من قاعة مجلس العموم البريطانى، وصورة للأسقف وهو يدافع عن وجهة نظره مدعومة بمؤيديه من رجال الدين النصرانى، ومرفوضة من معارضيه من الاتجاهات الأخرى ولم أصدق أنى أتابع هذه المشاهد من داخل البرلمان البريطانى الذى ينظر إليه على أنه حامى حمى النصرانية فى العالم.

أقربهم مودة!!

لقد أحسست تجاه هذا الموقف بشعور غريب هو مزيج من السعادة والألم والإعجاب والأسف.

كانت سعادتى عظيمة لوجود هذا الصنف من علماء النصارى، بعد أن ظننت أن هذا النموذج الفريد لم يعد موجوداً. وأدركت المعنى الحقيقى لقول الخالق الحكيم سبحانه

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون (82) وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾

(المائدة ٨٢ - ٨٣)

لقد قرأت هذه الآية من قبل مرات ومرات لكنى أشعر اليوم أنى أمام حالة من الإعجاز الإلهى للقرآن العظيم، عندما أرى أن أبطال هذا الموقف العظيم هم من رجال الدين النصارى أى أنهم هم القسيسون وأنهم لم يستكبروا عن الاعتراف بعظمة هذا الدين وأحقيته بأن تطبق أحكامه فى قوانينهم، ولم يجدوا فى أنفسهم ما يمنعهم من الجهر بأحقية الشريعة الإسلامية بأن تدخل فى قوانينهم، وأن تطبق فى حياتهم. وقلت فى نفسى: إن كان هذا هو موقف أعداء الإسلام وخصومه من قساوسة النصارى، اعتراف بالإسلام وإقرار بأحقيته فى أن يسود وأن يقود، ويقينهم بأن أعقد مشكلاتهم وأخطر معضلاتهم لن يحلها إلا مبادئ الشريعة الإسلامية. فكيف غاب عن أبناء الإسلام هذا الفهم؟ وكيف وصل بهم الحال أن ينتسبوا إلى الإسلام وهم يجهلونه؟ وأن يطالب به الأعداء دستوراً ومنهاجاً وهم يمتعونه؟ وأن تطرح أحكام الإسلام تشريعاً وقانوناً فى مجالس التشريع الأوروبى ومجالس المسلمين يعطلونه؟ وأن تقبل الدنيا كلها على الإسلام عقيدة وثقافة بينما كثير من أبناء المسلمين يهملونه؟.

ومما زادنى إعجاباً بموقف هؤلاء الأساقفة وإعلان شهادتهم على أهل الأرض جميعاً، هو أن هذه الشهادة تأتى والمسلمون فى أسوأ أحوالهم، جهلاً وتخلفاً وتبعية، أى أن أحوالهم لا تغرى أحداً بالدخول فى دينهم، وبرغم هذا نرى الإقبال المدهش على الإسلام، وتخرج الإحصائيات لتؤكد دخول الآلاف فى الإسلام كل يوم لنزداد يقيناً بقول ربنا سبحانه:

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾

(الصف: ٩)

شعور وطنى وليس دينى!!

وبرغم ما يقال من أن دوافع هذا الأسقف إلى الاعتراف بعظمة الشريعة الإسلامية وجدارتها بحل المشكلات المستعصية، راجع إلى شعور وطنى لدى الرجل وليس إلى شعور دينى، أى أن الرجل أدرك أن مصلحة وطنه وتحقيق أمنه واستقراره لن يتأتى إلا بالأخذ بمبادئ الشريعة الإسلامية فاعترف بذلك. فإن هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً، وهو أن الإسلام هو دين البشرية الخالد، وأنه دين المستقبل بلا نزاع أو جدال، وأنه وحده القادر على تحقيق سعادة الإنسان فى دينه، ودنياه بشهادة خصوم الإسلام.

ومليحة شهدت لها ضراتها

والفضل ما شهدت به الأعداء

ولعل سائلاً يسأل: لماذا ذكرت هذا الموقف المعترف بعظمة الإسلام وضربت صفحاً عن حرب الإساءة إلى الإسلام

وصول الإسلام التى تتفجر من حين إلى حين؟ لماذا نسبت هذه وذكرت تلك، وكلاهما يصدر من معين واحد؟.

وأقول لك: إن هذه الحرب دليل آخر على عظمة الإسلام وقوته وشاهد صدق على خلود الإسلام وحيويته. فهؤلاء القوم لا يفزعون إلا من شئ ذى سلطان قاهر على نفوسهم، لا يملكون منه مهرباً ولايجدون من ملاقاته مفراً، وكلما تهيأت وسائل النشر، وتيسرت أسباب الاتصال، وسقطت الرقابة على الأفكار والعقول ولم يبق سلطان إلا للحقيقة المجردة، والدليل المقنع والبرهان الصادق، رأى أهل الغرب أن الإسلام وحده يملك كل هذه المقومات، فلا يملكون إزاء ذلك إلا إثارة الغبار، ولغت الأنظار، وشغل عوامهم وصبيانهم، وصرفهم عن تعمق الحقائق وسبر الأغوار. فلا يجدون إلا هذه الوسائل الرخيصة التى جربها من قبل أسلافهم من الكفار فى قريش، عندما لم يجدوا لأنفسهم قدرة على مقاومة سلطان القرآن وإعجازه، فتواصوا بالشغب عليه وعدم تهيئة الفرصة للاستماع له:

﴿ [illegible] ﴾

فصلت ٢٦

ولقد رأينا كيف ذهب تدبيرهم الساذج أدراج الرياح، وكيف انساب هذا الدين فى الأرض، حتى طوى بين جناحيه أقوى دولتين فى الأرض هما الفرس والروم فى أقل من أربعين عاماً. وكيف استمتعت شعوب الدنيا بالفاتح العربى المسلم، الذى أعطى من نفسه ليسعدوا، وتعب ليستريحوا، وبذل من أجلهم ليربحوا. وإذا كنا قد أبرزنا صورة لواقع الغرب بشقيه المصعف والمتحامل وأدركنا أن كلا النموذجين دليل على عظمة الإسلام وحيويته وكماله، فإن الإنصاف يقتضينا أن نتساءل ـ فى دهشة ـ إذا كان الإسلام بهذا الاكتمال منهجاً، وبهذه الحيوية والدقة تشريعاً، وبهذا السمو والكمال أخلاقاً وسلوكاً فما الذى يحول بينه وبين أن يسود فى الأرض وأن يقود كما ساد وقاد أول مرة.

والجواب هو أن الإسلام وجد من أهله يومها صدقاً فى التلقى وعمقاً فى الإيمان، وجدية فى التطبيق، وعدلاً فى التنفيذ، وإحساناً فى العرض، وتضحية وبذلاً فى السعى به بين الناس. فاستحقوا من الله النصر، وكانوا أهلاً للتمكين، وصدق فيهم قول خالقهم سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

العنكبوت ٦٩

أركان الدعوة

وعندما توفرت للدعوة أركانها من منهج ربانى حكيم وداعية مؤمن صادق تفتحت القلوب لنور الله. فاكتملت ملامح الأمة الإسلامية، وقامت فى الأرض خير أمة أخرجت للناس.

وإذا كان المنهج هو القرآن، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. وإذا كان الإنسان هو الإنسان بما فيه من نفحة الروح الإلهية، وبما احتوى عليه من رصيد الفطرة الربانية:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ [illegible] ﴾

الروم ٣٠

وإذا كان المنهج نزل من لدن صانع الفطرة وخالقها للمحافظة عليها ودلالتها على الله، وكلا المنهج والفطرة من مصدر واحد هو الله سبحانه، فلم يبق إلا عنصر واحد، هو الداعية الذى يحسن التقدم بالمنهج لمخاطبة الفطرة. وهذا يتطلب من الداعية أن يعمل بالمنهج، فيجريه فى دمه، ويخلطه بلحمه وعظمه وعقله ووجدانه، ثم ينقله إلى من يدعوه، حاملاً سخونة قلبه ودفء إحساسه، بادئاً بنفسه ثم بمن يعول، ثم بأهله وعشيرته الأقربين، ثم بمن يلقاهم على مسار يومه من رفقة المسجد، وجيران المنزل، وزملاء العمل، وصحبة الطريق. فإذا أضاف إلى ذلك ما وهبه الله من القدرة على الإبانة والإفصاح والتأثير بالكلمة مسموعة ومكتوبة فقد بلغ بذلك درجة المصلحين الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم

﴿ [illegible] إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

الأعراف: ١٧٠

إن الإسلام هو دين الله الذى أنزله إلى أهل الأرض أجمعين

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

آل عمران ١٩

وإن القرآن هو كلمة الله إلى البشرية كلها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، وإن محمداً ﷺ هو رسول الله إلى الناس جميعاً، بتكليف من الخالق سبحانه وتعالى:

﴿ [illegible] وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

الأعراف ١٥٨

❊❊❊

مستقبل الوجود الأمريكي في العراق

للأستاذ صلاح عبد الرحيم محمد

باحث فى الشئون السياسية

إن ثمة حقيقتين لا يمكن لأى مراقب لتطورات الأحداث فى العراق أن يتجاهلهما، الأولى: أن الاحتلال الأمريكي لبلاد الرافدين هو سبب الفوضى والاقتتال الدائر، والحرب الطائفية التى تدور رحاها على الساحة العراقية والثانية: أن العراق كان قبل الغزو الأمريكي له فى مارس ٢٠٠٣ آمنا ومستقرا ويعيش كل من السنة والشيعة والأكراد فى إطار من المواطنة الواحدة والولاء للعراق الموحد الذى يربط الجميع برباط الوحدة الوطنية

ومن المعلوم أن وجود ١٦٠ ألف جندى أمريكي فى العراق بعد احتلال دام خمس سنوات فشلوا تماما فى إعادة الأمن والاستقرار لهذا البلد العريق، برغم ما تزعمه الإدارة الأمريكية بأن «المهمة أنجزت» أى مهمة جاءت من أجلها هذه القوات؟ يبدو أن المهمة التى جاءت من أجلها هذه القوات هو نشر ما تسميه الإدارة الأمريكية، برئاسة جورج بوش «الفوضى الخلاقة» من أجل إخضاع دول المنطقة للهيمنة الأمريكية والهدف واضح تأمين الوجود لإسرائيلى قويا وتأمين تدفق النفط إلى الولايات المتحدة. لقد أشار الاقتصادى «جوزيف ستيجلتز» إلى أن نفقات الحرب ضد النظام السياسى العراقى كلفت الخزينة الأمريكية فى خمس سنوات ما يزيد على

بوش

٨٤٥ مليار دولار وأن النفقات النهائية يمكن أن تصل إلى ما لا يقل عن ثلاثة تريليونات فى حرب خاسرة.

والكل يعلم أن إدارة جورج بوش غزت قواتها أرض الرافدين بذرائع زائفة من دون تفويض دولى، إلا أنها حصلت بعد ذلك على غطاء من مجلس الأمن الدولى غير أن انتداب الأمم المتحدة سينتهى فى العراق بنهاية عام ٢٠٠٨.

واللافت أن المراقبين انقسموا فيما بينهم إلى «متفائلين» بمستقبل الوجود الأمريكى فى العراق و«متشائمين» تجاه هذا الوجود و«محايدين» على غرار قاعدة «دعنا ننتظر ونرى» ومنذ سقوط بغداد فى أيدى القوات الأمريكية يصر رجال السلطة العراقيون على ضرورة بقاء قوات الاحتلال حفاظا على استقرار وأمن العراق إلى أن تكتمل قدراته الذاتية العراقية على إدارة أموره بنفسه، وفى هذا السياق يمكن القول أن الدعوة للانسحاب هو مصلحة أمريكية فى المقام الأول بفعل الخسائر البشرية المتزايدة التى يتكبدها الجيش الأمريكى فى العراق وهى ٤٠٥٠ قتيل أمريكى منذ الغزو الأمريكى للعراق فى مارس ٢٠٠٣ وحتى ٢٥ ابريل ٢٠٠٨ بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الجرحى ولاشك أنه لا توجد دوافع قوية لاستمرار بقاء القوات الأمريكية فى العراق خصوصا بعد إسقاط نظام صدام حسين وتغيير النظام السياسى العراقى وإعادة تركيب أركان الدولة من جديد ولم يبق ـ فى نظر الإدارة الأمريكية ـ من الأهداف التى أعلنت عنها سوى زعمها ما تسميه «النموذج الديمقراطى العراقى» ولا يوجد دليل واضح على أنه هدف حقيقى تسعى الإدارة الأمريكية إلى تحقيقه على أرض الواقع بل نجدها على العكس من ذلك تحرص على البحث عن أفضل السبل للخروج من المأزق العراقى الذى صنعته بيديها. والسؤال المطروح الآن هو متى ستنسحب القوات الأمريكية من العراق؟ الواقع أنه بدأ التساؤل حول إمكانية وموعد خروج القوات الأمريكية المحتلة من العراق يطرح نفسه على الساحة الإقليمية والدولية بصورة جدية خاصة بعد مظاهر الاحتجاج الشعبية والإعلامية والسياسية وصدور تقرير «بيكر ـ هاملتون» الداعى لانسحاب القوات الأمريكية من العراق وفوز الديمقراطيين بأكثرية فى الكونجرس الأمريكى، تطالب هى أيضا بهذا الانسحاب وبصورة فورية حفاظا على سلامة الجندى الأمريكى وتوفيرا لنفقات هذه الحرب الخاسرة.

ومن هذا المنطلق يرى البعض أن شكل الانسحاب الأمريكى سيكون مرتبطا إلى حد كبير بالأوضاع الأمنية فى العراق خلال الفترة القادمة فإذا استقرت الأوضاع سياسيا وتكاملت مؤسسيا وجرى تحسين الخدمات العامة فإن الانسحاب سيكون منظما وعبر اتفاقيات تضمن وجود عسكرى محدود فى قواعد منعزلة أما إذا استمرت المقاومة والاحتراب الطائفى ولم تتعاون دول الجوار العراقى فى حل المأزق العراقى

الذى أوجده هذا الاحتلال فإن ذلك الانسحاب سيكون سريعا وغير منتظم وربما يؤدى إلى زيادة الأوضاع الأمنية المتردية تفاقما.

الانسحاب والخوف من الفوضى!!

ومن هنا يبدو أن الأمن والاستقرار فى العراق باتا مطلبين أمريكيين وليس فقط عراقيين مع الفارق أن واشنطن تريد هدوءا واستقرارا يمهدان الظروف الملائمة لسحب قواتها من العراق ويتخوف الكثيرون خصوصا رجال السلطة العراقيون من مرحلة ما بعد الانسحاب حيث يتوقعون أن تتحول الفوضى السائدة الآن فى ظل الاحتلال الأمريكى إلى فوضى عارمة ومفتوحة بعد الانسحاب.

ومن ناحية أخرى يخشى هؤلاء أيضا من أن هذا الانسحاب قد يشجع كل القوى السياسية والاجتماعية بمختلف توجهاتها على فرض سيطرتها وإرادتها ليس على الأخرى فحسب، لكن على العراق كله ويذهب البعض الآخر إلى أنه لو قررت القوات الأمريكية الانسحاب من العراق فى الوقت الراهن دون ترتيب إقليمى - دولى فإنه من المرجح جدا أن تدب حالة الفوضى بين مختلف الطوائف السياسية واحتمالات تدخل كثير من الدول المجاورة فى الشأن العراقى لدعم هذا التيار أو ذاك. لكن على الرغم من ذلك لا يمكن لأحد أن يبرر استمرار الاحتلال الأمريكى للعراق بحجة عدم استقرار الوضع الأمنى به ناسين أن هذا الاحتلال هو سبب كل الفوضى العارمة فى العراق وجوهر التدهور الأمنى والسياسى والطائفى هناك.

ولقد أوصى قائد القوات الأمريكية فى العراق «ديفيد بترايوس» بضرورة انسحاب القوات الإضافية فى يوليو ٢٠٠٨ يليه فترة ٤٥ يوما يتم خلالها تجميد أى انسحاب للقوات الأمريكية حتى يمكن البدء فى عملية تقويم لفحص الظروف على الأرض وتقرير ما إذا يمكن التوصية بمزيد من الخفض لمستوى القوات وجاءت هذه التوصية خلال إدلاء «بترايوس» والسفير الأمريكى لدى بغداد «ريان كروكر» بشهادتيهما أمام الكونجرس فى شأن التطورات السياسية والأمنية فى العراق، وهو ما يعنى فى نظر «بترايوس» مواصلة عملية خفض عدد القوات الإضافية التى أرسلت إلى العراق بحيث يمكن أخذ فترة ٤٥ يوما للمراجعة والتقييم بعد سحب آخر لواء قتالى من تلك القوات الإضافية فى يوليو ٢٠٠٨ وأكد «بترايوس» أن المكاسب الأمنية التى تحققت فى العراق «هشة» وقد تسمح بعودة الأمور لما كانت عليه. وأضاف أن الوضع فى بعض المناطق مازال غير مرض ومازالت هناك تحديات لا حصر لها.

انسحاب مستبعد!!

ويعتقد بعض الخبراء العسكريين أن توقع أى انسحاب بعد فترة التقويم أمر مستبعد وأن ترجمة التوصية هى إبقاء عدد ثابت من القوات حتى مغادرة بوش البيت الأبيض فى ٢٠ يناير ٢٠٠٩ وتحميل الرئيس المقبل هذا الميراث الثقيل.

وبعد نقاش طويل فى الكونجرس حول الوضع فى العراق، ألقى الرئيس الأمريكى جورج بوش بيانا فى البيت الأبيض أيد فيه توصية قائد القوات الأمريكية فى العراق الجنرال «ديفيد بترايوس» باستكمال سحب عدد محدود للقوات الأمريكية الإضافية بحلول يوليو ٢٠٠٨ ثم فرض تجميد لحجم القوات مدته ٤٥ يوما لتقويم الموقف الأمنى فى العراق. وتأتى كلمة بوش بعد التقرير الذى قدمه بترايوس والسفير الأمريكى فى بغداد «ريان كروكر» إلى الكونجرس حول الوضع العراقى. وفى هذا السياق قال زعيم الأغلبية الديمقراطية «هارى ريد» يوم ٩ أبريل ٢٠٠٨ حين يزداد العنف يقول الرئيس: إنه لا يمكننا إعادة الجنود إلى البلاد وحين يتراجع العنف يقول الرئيس أيضا إنه لا يمكن إعادتهم ويعكس هذا التصريح دهشة زعيم الأغلبية الديمقراطية فى الكونجرس من موقف الرئيس الأمريكى بوش المناهض من سحب القوات الأمريكية من العراق، وهو ما يعنى أنه لا يريد الانسحاب من العراق فى الحقيقة.

وأضاف «هارى ريد» قوله: إن الرئيس «بوش» ليس لديه استراتيجية خروج إلا لرجل واحد «هو الرئيس بوش نفسه» وذلك فى ٢٠ يناير ٢٠٠٩.

ومن جهة أخرى اتهم السيناتور الديمقراطى «ديك دوربين» إدارة بوش بأن خطتها تقتصر على ترك المأزق العراقى للرئيس المقبل.

وحذرت المرشحة للرئاسة الأمريكية «هيلارى كلينتون» من الاتفاق الاستراتيجى الذى يجرى التفاوض بشأنه حاليا بين بغداد وواشنطن حول الوجود الأمريكى فى العراق، وقالت: «يجب ألا يلتزم الرئيس المقبل باتفاق يمدد التزامنا فى العراق إلى ما بعد ولايته» وفى هذا الشأن أكد السفير الأمريكى فى بغداد «ريان كروكر» أن إبرام أى اتفاق مع بغداد على الوجود الطويل الأمد للقوات الأمريكية لن ينص على إقامة «قواعد دائمة» فى العراق. ولن يقيد أيدى الرئيس الأمريكى المقبل»، وأضاف «كروكر» أن الاتفاق لن يحدد عدد القوات. ولن يقيد أيدى الإدارة الأمريكية المقبلة.

وأكد «كروكر» أن هدفنا هو أن نضمن وصول الرئيس المقبل إلى السلطة، ولديه أسس مستقرة، يمكن أن يبنى عليها قراراته فى شأن السياسة، وهذا ما سيحققه بالضبط ذلك الاتفاق».

الحكومة العراقية لا تملك تفويضا شعبيا!!

ومن جانب آخر يرى كثير من المراقبين أن الحكومة العراقية لا تملك تفويضا شعبيا يسمح لها بعقد «اتفاق أمنى عسكرى» مع قوات الاحتلال الأمريكى، يعطى هذه القوات غطاء قانونيا لبقائها فى العراق.

ويذهب هؤلاء المراقبون إلى أن الاتفاق الذى تسعى إليه إدارة بوش مع حكومة المالكى. لا ينص على وجود دائم للقوات، أو تحديد حجم هذه القوات، وهو ما يعنى عدم النص على تاريخ معين لخروج قوات الاحتلال الأمريكية من العراق كما يعنى أن هذه القوات قد تكون ١٦٠ ألف جندى أمريكى، كما هى الآن أو ما يزيد أو ينقص عن ذلك. ويبدو أن إدارة بوش تقوم بسحب القوات، وتريد اتفاقا يسهل بقاءها فى العراق لذلك يتردد على مسامع المراقبين أن

الاتفاق ينص على أن القوات الأمريكية لن تستخدم الأراضي العراقية للهجوم على بلد آخر «ويقصد بالطبع إيران وسوريا» لإزالة القلق لدى حكومة نوري المالكي. ودول الخليج العربية التي تخشى المواجهة العسكرية الأمريكية - الإيرانية.

وفي هذا السياق قالت مرشحة الرئاسة الأمريكية السيناتور «هيلاري كلينتون» إن إدارة بوش تحاول تكبيل يدي أي رئيس قادم، بإلزامه بحرب مستمرة»، كما قال السيناتور: «إدوارد كيندي»: إن ما يجري التفاوض عليه، ليس اتفاقا وإنما «معاهدة عسكرية» وبالتالي يتعين عرضها على الكونجرس للتصويت عليها في حال الموافقة عليها».

اتفاق السابع من مارس

وكشف تقرير صحفي بريطاني في ٨ إبريل ٢٠٠٨ أن مسودة اتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية، والعراق، لاستبدال التفويض الممنوح من مجلس الأمن للقوات المتعددة الجنسية تنص على «التزام عسكري أمريكي غير محدود زمنيا في العراق، وأفادت صحيفة «ذي جارديان» البريطانية أن هذه المسودة السرية التي تحمل تاريخ السابع من مارس ٢٠٠٨»، تسمح للولايات المتحدة الأمريكية «بشن عمليات عسكرية في العراق، وتوقيف أشخاص بضرورات أمنية، من دون تحديد سقف زمني لذلك»، كما أفادت الصحيفة البريطانية أيضا أن مسودة الاتفاق بين واشنطن وبغداد الموقعة في ٧ مارس ٢٠٠٨ وقد أوضحت الصحيفة أن مشروع الاتفاق بين واشنطن وبغداد لا يحدد حجم القوات الأمريكية في العراق، ولا الأسلحة التي يمكن استخدامها، ولا الوضع القانوني لهذه القوات، ولا السلطات التي تتمتع بها حيال المواطنين العراقيين، وتؤكد المسودة «أن المصلحة المتبادلة للولايات المتحدة والعراق تقضي بالمحافظة على سيادة العراق، ووحدة وسلامة أرضيه. واستقلاله السياسي. وردع التهديدات الخارجية التي تهدف به» وتشير مسودة الاتفاق إلى عدم رغبة واشنطن وإقامة «قواعد دائمة» أو وجود عسكري دائم في العراق. وتنص أيضا على «أن الولايات المتحدة والعراق، اتفقا على التشاور الفوري في حالة تعرض وحدة وسلامة أراضي العراق، واستقلاله السياسي إلى تهديد» واللافت أن مثل هذا الاتفاق- في رأي البعض - يصحب تمريره في العراق والولايات المتحدة، خصوصا في إطار المواجهات المستمرة بين القوات العراقية والأمريكية من جهة، وميليشيا «جيش المهدي» الموالي للزعيم الشعبي «مقتدى الصدر» من جهة ثانية، ووسط حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية، إذ سبقت أن انتقدت مرشحة الرئاسة الأمريكية «هيلاري كلينتون» المحادثات بين بغداد وواشنطن لإبرام هذا الاتفاق بسبب إلزام الرئيس الأمريكي المقبل سلفا، المحافظة على أمن العراق، وهو يحول بالتالي دون آية محاولة لسحب القوات الأمريكية من دول الرافدين.

الانسحاب كارثة.. والبقاء كارثة!!

وفي ضوء ذلك قالت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة «مادلين أولبرايت» في مذكرة إلى الرئيس المنتخب»: علينا إيجاد أفضل طريقة للخروج. وإنني لست ممن قدموا الحجة لصالحة الانسحاب المبكر لكل القوات الأمريكية من العراق. وأعتقد أن الرئيس بوش كان مصيبا عندما زعم أن الانسحاب المتهور يمكن أن يؤدي إلى «كارثة». ومخطئ في افتراض أن وجود قواتنا سيحول دون الكارثة»، وهكذا فإن «مادلين أولبرايت» تعترف بأن الوجود العسكري الأمريكي في العراق لن يحول دون حدوث كارثة في العراق، وهي بذلك تحث الرئيس الأمريكي بوش على سرعة انسحاب القوات الأمريكية من العراق، وتتهمه بأنه «مخطئ» في الموافقة على بقاء قواته به بفعل الخسائر في صفوف هذه القوات.

وفي مذكرتها إلى الرئيس المنتخب حملت «مادلين أولبرايت» الوجود الأمريكي مسئولية النتائج الوخيمة التي مرت بالعراق ولا تزال حينما قالت بصراحة: لقد أدى العنف الطائفي إلى سقوط عدد هائل من المدنيين. وإلى واحدة من أكبر عمليات النزوح السكاني في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، إذ هجر أكثر من مليوني عراقي منازلهم بحثا عن أحياء أكثر أمنا، وفروا عبر الحدود إلى سوريا والأردن وإيران. ولاشك أن نزوح السكان يدفع إلى إطالة القتال، بدلا من تبريد النزاع أليس بعد ذلك من اعتراف صريح بسوء أحوال العراق المحتل؟

العراق.. ثلاثة أقاليم!!

وتكشف وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق «مادلين أولبرايت» هدف الوجود الأمريكي في العراق فتقول موجهة حديثها إلى الرئيس الأمريكي المنتخب الجديد «إن السبيل الوحيد للحفاظ على العراق هو السماح بانقسامه لا في شكل رسمي أو كامل لإتاحة العيش للشيعة في الجنوب، وللأكراد في الشمال وللسنة بين الشيعة والأكراد» وهكذا يتجسد هدف بقاء قوات الاحتلال في العراق بتنفيذ مخطط مرسوم لتقسيمه؛ إلى ثلاثة أقاليم للشيعة والأكراد والسنة لأن في تقسيم العراق؛ ضمانة لأمن الكيان الصهيوني ولتدفق النفط إلى الولايات المتحدة بأقل الأسعار.

وهل يعقل أن يكون الحفاظ على العراق عبر تقسيمه إلى أقاليم طائفية كما تقول أولبرايت؟ وفي الختام يمكن القول بصراحة أن مستقبل الوجود العسكري الأمريكي في العراق، رهين بتحقيق كل هذه الأهداف، وفوق ذلك فإن المتابع للتطورات على الساحة الإقليمية، يعتقد أن احتمال نشوب حرب إقليمية تلوح نذرها في الأفق، وبالتالي فإن الوجود العسكري الأمريكي في العراق بوجه خاص، سيظل على حاله من التكريس والحشد حيث ثمة دلالات على احتمال حدوث ضربة عسكرية ضد إيران من جانب إدارة بوش، وإدارة أولمرت، لكبح جماح الجمهورية الإسلامية الإيرانية في حصولها على برنامج نووي سلمي، بينما إسرائيل الإبن المدلل لأمريكا يمتلك أكبر ترسانة نووية عسكرية في المنطقة، لذلك فإنه من المستبعد في المستقبل القريب أن تسحب الولايات المتحدة قواتها من العراق إلا إذا تخلت الإدارة الأمريكية عن طموحاتها الامبراطورية، ولكن الانسحاب الأمريكي، هو أمر حتمي، مهما طال الزمن أو قصر، لأن ذلك استحقاق تاريخي، كما يدل على ذلك تاريخ الأمم والشعوب.



الحضارة الإسلامية المسيحية ماذا حدث؟!

تأليف

ريتشارد دبليو. بوليت

ترجمة:

الدكتورة فاطمة نصر





﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات ١٣]

بهذا المنطق الواضح المحدد والحاسم ـ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ـ فصل البيان القرآنى فى أخطر قضايا البشرية؛ مقررا: أن علاقة الإنسان بالإنسان الآخر قائمة على الأخوة المنبثقة من أصل واحد. ومؤكداً أن ما قد ينشأ من افتراق، وتباين بين الإنسان وأخيه الإنسان.. إنما هو وسيلة للتعارف والتراف المحقق للتعاون المثمر البناء مهما ترتب على الافتراق المكانى والزمانى من اختلاف فى اللون أو فى الهيئة والشكل.

فليس بين الأخوين مايميز أحدهما عن الآخر بسبب الجنس أو الأصل؛ فهما من أصل واحد، وليس بينهما تمايز بسبب اللون أو الهيئة.. إلى غير ذلك من عوارض البيئة، ولكن العمل هو الذى يمتاز به واحد عن الآخر.

وقد أوضح البيان القرآنى هذا التقرير والتأكيد بالتنبيه إلى أن تعدد الرسالات والرسل لايتعارض مع تلك الوحدة الأخوية؛ لأن مصدر كل تلك الرسالات، وباعث كل هؤلاء الرسل واحد؛ وهو الله الواحد الخالق، ولأن محتوى تلك الرسالات جميعها، ومقاصد هؤلاء المرسلين جميعهم واحد، وهو تبيان الحقيقة للإنسان على الأرض، والأخذ بيده إلى العمل الصالح.

فنوح عليه السلام جاء قومه بقوله

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

[الأعراف ٥٩]

وهود عليه السلام كرر النداء نفسه. فقال لقومه.

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

[الأعراف ٦٥]

وثمود كذلك. قال:

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

[الأعراف ٧٣]

وشعيب أيضا. قال

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

[الأعراف ٨٥]

ولذلك.. سمى دين كل رسول باسم (الإسلام)؛ فوصى أبو الأنبياء وابنه يعقوب أبناءهما بأن يدينوا بالإسلام، وألا يموتوا إلا وهم مسلمون.

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[البقرة ١٣٢]

ودعا إبراهيم أبناءه وذريته إلى الإيمان بالإسلام. وإعلان توحدهم جميعا وتدينهم. فقال:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

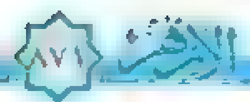
[البقرة:١٣٦]

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التى تؤكد إسلامية جميع المرسلين.

ولذلك.. عاش أهل الكتاب فى ظل الدولة الإسلامية أحرارا آمنين، محترمين، مكرمين. يتآزرون مع إخوانهم المسلمين لخدمة البشرية فى شتى مجالات الحياة، دون تردد أو ترفع. حيث تلاقحت الأفكار وتنامت، فكانت تلك الحضارة الإسلامية بما يلابسها من حضارات الأمم السابقة.

ولكن المسلمين فى شتى بقاع العالم الحديث فوجئوا بتلك الأصوات الناشزة ـ خصوصا فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ تتعالى بصرخات التحذير من المسلمين والإسلام، والتنبيه إلى أن الإسلام هو العدو الجديد للحضارة الغربية الحديثة بعد سقوط (الاتحاد السوفيتى) الذى كان يمثل العدو الأول لحضارات الغرب؛ متوهمين أن العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان لابد أن تقوم على العداوة والنزاع؛ فإذا تخلصوا من عدو بحثوا عن آخر يعادونه ويصارعونه؛ لإنطلاقهم فى التفكير من حتمية صبغ البشرية بصبغة واحدة فى العادات والتقاليد والميول. دون اكتراث بدور البيئة فى إحداث الاختلاف الفطرى فى مثل هذه الأمور.

ولم يكن العقلاء والمفكرون الموضوعيون ليتركوا هذه الصيحات المجنونة لتورث العداوة بين الإسلام والمسلمين من جهة وبين الغربيين بحضارتهم الحديثة من جهة أخرى؛ فنهض كثير منهم فى محاولة لإحقاق الحق. وتصحيح المسار.



وكان (ريتشارد دبليو ـ بوليت) واحداً من هؤلاء العقلاء الذين تعمقوا البحث وراء أصول الديانات السماوية الثلاثة (الإسلام ـ والمسيحية ـ واليهودية) بحثاً عن جذور الإلتقاء، ثم تصفحاً لما فرضه اختلاف البيئات، من فروع الخلاف. واستعراضا لدور كل من تلك الديانات في الحضارة الإنسانية؛ للتعرف على مانشأ من اختلافات في الشكل الحضاري، فقدم هذا الباحث كتابه الذي يبدأ هذا التشهير بتقديمه (الحضارة الإسلامية المسيحية، ماذا حدث؟)

أما (ريتشارد دبليو ـ بوليت) فهو أستاذ التاريخ بجامعة (كولومبيا)، وكان مديراً لمعهد دراسات الشرق الأوسط. واهتم بالدراسات الإسلامية، فكان من مؤلفاته (الإسلام: نظرة من الأطراف).

وأما كتاب (الحضارة الإسلامية المسيحية. ماذا حدث؟) فيشغل ـ بطبعته العربية ـ سبعاً وعشرين ومائتي صفحة من القطع المتوسط، ويضم أربعة فصول، وقد نهضت بترجمته الدكتورة فاطمة نصر، ليكون من بين إصدارات (سطور) في طبعته الأولى سنة ٢٠٠٥م.

عداء منشؤه الجهل والحقد

ففي الفصل الأول (نحو حضارة إسلامية مسيحية) يأخذنا المؤلف ـ في رحلة استقرائية عبر الزمان ـ لنرى من خلالها مدى التوافق بين ما أطلقه حديثاً (صامويل هنتجتون) في مقاله (صدام الحضارات) من آراء تقرر حتمية تصادم الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية، وبين ماأطلقه (باسيل ماثيوس) سنة ١٩٢٦ في كتابه (الإسلام الشاب يشق طريقه. دراسة في صراع الحضارات) من مفاهيم خاطئة ومغلوطة عن الإسلام. تظهر الإسلام في هيئة سفرة محيمة يقود معتنقيه ـ بعقيدته وعباداته ـ إلى الإغراق في الحروب. والإنعزال داخل نظام حديدي يجعل التوافق بين القرآن والعلم أمراً غير ممكن.

وبناء على هذه الأخطاء والمغالطات التبشيرية.. يوجب (ماثيوس). و(هنتجتون) على المسلمين أن يكونوا (ليبراليين) مثل الغربيين، وذلك بطرحهم جوهر الإسلام خلف ظهورهم، وتخلصهم من النظام الحديدي الذي أوجده محمد. وبذلك يستطيعون أن يوفروا لأنفسهم فرصة ليقيموا نظام حياة جديداً في أراضيهم، قريباً من مملكة الرب التي لايعلو فيها صوت المؤذن على صفارة المصنع، ولاترتفع فيها المئذنة على المدخنة.

فالمؤلف يرى: أن توافق (هنتجتون) مع (ماثيوس) يوضح أن القلق الذي سيطر على مراقبين أمريكيين كثيرين للعالم الإسلامي ليس جديداً؛ فقد أضمر المبشرون البروتستانت احتقاراً للإسلام، لم يستطيعوا إخفاءه.

ويرى: أن توافقهما على هذا الموقف من الإسلام.. الذي قادهما إلى حتمية التصادم إنما نشأ من نزوعهما البروتستانتي، الذي تقرر اتفاقهما المسبق على أن الإسلام غير قابل للخلاص، مثلما قرره البروتستانت الأمريكيون ذات مرة في شأن المسيحيين الكاثوليك، واليهود، حيث رفضوا ـ ضراوة ـ تصور مستقبل أمريكي يتوافق فيه البروتستانت والكاثوليك، وحيث وضع البروتستانت قيوداً حادة على الخيارات المكتبية، والتعليمية، والمهنية لليهود الأمريكيين.

ولكن التناغم الحضاري واقع

ومع هذا العرض يرى المؤلف أن التأمل التاريخي يقرر: واقعية هذا المصطلح (الحضارة الإسلامية المسيحية).

فإذا كانت جذور الكتاب المقدس تبرز الاشتراك بين المسيحية واليهودية، وإذا كانت الاهتمامات الكهنوتية المتبادلة تؤكد هذا الاشتراك.. فإن روابط الكتاب المقدس والروابط العقائدية بين اليهودية والمسيحية ليست بأوثق من مثيلتيها بين اليهودية والإسلام، ولابين المسيحية والإسلام.

هذا.. إلى أن المؤرخ يدرك جيداً إسهام المفكرين المسلمين الضخم في المستودع الفلسفي، والفكر العلمي الذي نهل منه المسيحيون في العصور الوسطى المتأخرة، فقدموا الغرب الحديث

كما أن الإتصال بين الإسلام والغرب لم يتوقف عبر التواصل التجاري مع المسلمين، وعبر افتتان الخيال الأوروبي بقصص العرب والمغاربة.. رغم فترات الحروب المتلاحقة يضاف إلى هذا وذاك.. ما أحدثه الوجود الإسلامي في أربعة عشر بلداً من بلاد أوروبا الثلاثين الحالية تحت مظلة الحكم الإسلامي لمدة قرن أو مايزيد، من اعتياد الأوروبيين على مصاحب هذا من إفراز ثقافي إسلامي، وتولد حياة يومية آمنة وسالمة.

هنتجتون

ولكن الخوف المرضي من المسلمين وكراهيتهم (الإسلاموفوبيا) يدفع إلى ذكرة الغربيين ثلاثة أحداث بارزة. فيعملون عن هذه الملاقات الطيبة الأصيلة، ويساعد على هذا تدابير من يعادون الإسلام والمسلمين، حيث يذكرون الغربيين بأن صلاح الدين استرد القدس من أيدى أسلافهم الصليبيين سنة ١١٧٨م، وأن العثمانيين استولوا على القسطنطينية البيزنطية سنة ١٤٥٣م، بل إن حصار العثمانيين لفيينا سنة ١٥١٩م كاد ينجح.

ومن هذا الإرث من الخوف المرضي من الإسلام والمسلمين تنطلق اليوم الأصوات والسلوكيات الغربية التي تخيف الأوروبيين من الإسلام والمسلمين؛ مستغلة كارثة الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م لإغراق الغربيين في شعور الخوف المرضي من المسلمين وكراهيتهم (الإسلاموفوبيا) الذي يتجسد في شعارات مثل (صدام الحضارات)، دون التفات للحقيقة المغيبة.

ومن الخوف تتولد الشكوك

وانطلاقا من التأثر بمثل هذا الشعار، يثير بعض الغربيين تساؤلات تشكك في قدرة المسلمين على الارتقاء إلى مستوى الحضارة الغربية، وذلك بتساؤلهم الإنكارى عن قدرة الإسلام على الوفاء بالمعايير الغربية للمساواة بين النوعين، أو استعداده لذلك. وتساؤلهم ـ كذلك ـ عن استطاعة الإسلام إدراك الحقوق الإنسانية بأسلوب يماثل أسلوب الغربيين في ذلك، ومدركاتهم بما يصل به لاعتباره ندا حضاريا. وتساؤلهم ـ أيضا ـ عن الفهم الإسلامي للتسامح الديني والعلمانية، يقترب به من المثل الغربية بدرجة تكفى لتضمينه في نادى الحضارة.

وينبه المؤلف إلى أن هذه التساؤلات لا معنى لها، لأنها تساؤلات غير جادة، فمثيروها يستخدمونها آليات خطابية، للبرهنة على إخفاق الإسلام على الرغم من إخفاقهم إخفاق معظم المجتمعات الغربية في تحقيق العيش وفقاً لهذه المعايير ذاتها، كما إن كثيراً من المتدينين الممارسين اليهود، والمسيحيين يعتنقون آراء غير (ليبرالية) بدءا من فرض القيود على سلوك النساء وحياتهن الخاصة، ومرورا بالدعوة إلى دعم الحكومات للمنظمات الدينية المتطرفة. ووصولا إلى اعتناق الآمال في قرب قيام حكم ديني يحقق قيام مملكة الرب مع عودة المسيح، إلى غير ذلك من الأمور التى تحيد جوهريا عن معايير المساواة والعلمانية التى يتشدق بها مثيرو (صدام الحضارات).

فممارسات بعض المجموعات المسيحية واليهودية، والعلمانيين الغربيين، ومبادئهم ومواقفهم تتوافق تماما مع ممارسات غير المتسامحة من بعض المجموعات الإسلامية. غير إن هذه المجموعات المسيحية واليهودية والعلمانية قد اكتسبت أسماء معتمدة في النادى الحضارى أسهمت في إخفاء ممارساتها تلك،على الرغم من أنهما يفرضان أحكاما على زى النساء، وحظرا على المشروبات الكحولية، ومطالبة بإقامة الصلوات في المدارس الحكومية، وصبا للعنات على أتباع الديانات الأخرى.

حتمية ربط التاريخ الإسلامي بالتاريخ المسيحي

وينطلق المؤلف من اقتناعه بارتباط التاريخ الإسلامى بالتاريخ المسيحى، فيذكر: أن هناك فيضاً من الاعتراضات التافهة على هذا القصور تولدت من مجموعة من العوائق تجذرت على مدى أربعة عشر قرنا من الخوف، والجدل العنيف، من أبرزها

١- أن مجىء محمد بعد سبعمائة سنة من مقدم المسيح يحول دون الاقتناع بوجود علاقة بين الإسلام والمسيحية.

٢- تكرار هجوم المسلمين على العالم المسيحى، مظهرين عداء لاهوادة فيه ضد المسيحية. حتى أصبح المسيحيون لايرون في الإسلام سوى عدو لهم. وقوة غريبة عنهم.

٣- أن القصص العديدة التى يشترك فيها القرآن مع الإنجيل، جاءت مشوهة في صيغتها القرآنية، فمع اعتراف الإسلام بإبراهيم وموسى والمسيح كرسل، يقصر عن توكيد ألوهية المسيح..

٤- العائق الرابع: عدم اعتراف الإسلام بما يدينه اليهود والمسيحيون عقائديا، وعدم تقبلهما، مما جعله لايعترف بسمو اليهودية والمسيحية..

ويعلق المؤلف على هذه العوائق بقوله: إنها عوائق هشة، لاتصمد أمام التمحيص والتأمل؛ لأنها منبثقة عن مخاوف وهمية، نشأت عن أخطاء في الفهم والتصور.

فمع التأمل يتضح أن الفارق الزمنى بين الإسلام والمسيحية أقل بكثير من الفارق الزمنى بين اليهودية. والمسيحية ليس أقصر من الفارق الزمنى بين المسيحية والإسلام، كما إن الفارق الزمنى بين المسيحية الكاثوليكية والمسيحية البروتستانتية، ومع هذا لم يستطع أحد أن يقطع المسيحية عن اليهودية، ولا أن يقطع البروتستانتية عن الكاثوليكية؛ مما يعنى: أن الفارق الزمنى يجب أن لايكون عاملا حاسما في تأصيل كراهية المسيحيين للمسلمين، ولاكراهية المسلمين للمسيحيين، ولا أن يكون عاملاً حاسما في قطع العلاقة بين الإسلام والمسيحية.

وما حدث من حروب بين المسلمين والمسيحيين حدث أعنف منها بين المسيحيين واليهود، حتى إن المسيحيين رفضوا الاعتراف برسولهم. ورفضوا التعاليم القانونية والأخلاقية التلمودية بسبب مقدم القانون الجديد في شخص المسيح. وتبادل اليهود والمسيحيون الاحتقار والكراهية، بل وحدث أعنف منه بين البروتستانت والكاثوليك. ومع ذلك نجد التقارب بين حضارة اليهود والمسيحيين، وبين حضارة البروتستانت والكاثوليك أمرا مسلما، بل إنه محصن ضد تلك الذكريات، بينما الأمر مع حضارة الإسلام على خلاف ذلك، حتى أصبح الغربيون اليوم يرفضون تضمين الإسلام في ناديهم الحضارى، لأنهم ورثة هذا البناء المسيحى القصرى المتعمد للتاريخ، بل إن العالم المسيحى الغربى ظل ينظر للإسلام بصفته (الآخر) الشرير، واستمر على اختراع الأسباب الداعية للتمسك بهذا التوجه شراسة وتضليلا خصوصاً منذ حدث الحادى عشر من سبتمبر، حيث وجدنا كاهنا بروتستانتيا يعلن أن محمداً كان عاشق أطفال شيطانى.. إلى غير ذلك من الهذيان المعادى للإسلام، ومن الافتراءات التى لا أساس لها، ولايصح أن يرى فيها عاقل إلا أنها صادرة عن مرض الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) الذى توارثه الغربيون منذ الحرب الصليبية

يتبع

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبدالمعز محمد عبدالحليم

بطل البرية كلها

قالوا: نحب العرب؟ قلت: نحبهم

يقضي الجوار بذاك والأرحام

فمحمد بطل البرية كلها

هو للأعارب أجمعين إمام

محجوب الخوري الشرتوني

حكم

● قال حكيم: إن نخوة الشرف تناسب بطر الغنى، والصبر على عقوق الثروة أشد من الصبر على ألم الحاجة. وذل الفقر يعفى على عز الصبر، وجور الولاية مانع من عدل الإنصاف إلا من كان بعيد الهمة.

● وقال بعض بني تميم: حضرت مجلس الأحنف وعنده قوم مجتمعون في أمر لهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الكرم منع الحرم، ما أقرب النقمة من أهل البغي، لا خير في لذة تعقب ندما. لم يهلك من اقتصد، ولم يفتقر من زهد. رب هزل قد عاد جدا، من أمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أهانه، دعوا المزاح فإنه يورث الضغائن، وخير القول ما صدقه الفعل، احتملوا لمن أدل عليكم، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم، أطع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك، واعلم أن كفر النعم لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، ومن الكرم الوفاء بالذمم، ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد اللطف، والعداوة بعد الود. لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل. واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت في مثواك، فأنفق في حق، ولا تكن خازنا لغيرك، وإذا كان الغدر موجودا في الناس فالثقة بكل أحد عجز. اعرف الحق لمن عرفه لك، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

قال: فما سمعت كلاما أبلغ منه، فقمت وقد حفظته.

التغاضي

من أبلغ ضروب التغاضي أن ترى وجه دائنك.

● ولذلك قال المهلب بن أبي صفرة، وهو من كبار قواد الدولة الأموية: يا بني إذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما، فكفى بذلك تقاضيا.

● وقال الشاعر:

أروح بتسليمي عليك وأغتدي

وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

● وقال آخر:

كفاك مخبرا وجهي بشأني

وحسبك أن أراك وأن تراني

وما ظني بأن يعميه أمري

ويعلم حاجتي ويرى مكاني

الكفاف

● قال علي بن أبي طالب أمير المؤمنين: الرزق رزقان: فرزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك.

● وجاء في كتاب الهند: لا ينبغي للملتمس أن يلتمس من العيش إلا الكفاف الذي به يدفع الحاجة عن نفسه، وما سوى ذلك إنما هو زيادة في تعبه وغمه.

● وقال حكيم: أقل الدنيا يكفي، وأكثرها لا يكفي.

● وقال محمود الوراق:

يا عائب الفقر ألا تزدجر

عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله

على الغنى إن صح منك النظر

إنك تعصي كي تنال الغنى

وليس تعصي الله كي تفتقر

خفي حنين

كان يزيد بن حاتم الأزدي والي مصر مدحه ربيعة بن الرقي، واستبطأ عطاءه فقال:

أراني ولا كفران لله راجعا

بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم، فأمر بإحضاره إليه، فلما دخل على الأمير سأله هل قال غير هذا البيت؟ فأقسم له بأنه لم يزد عليه شيئا. فقال له الأمير: لترجعن بخفي حنين ملئتا مالا، وعمل بما وعد. فقال فيه ربيعة الرقي:

بكى أهل مصر بالدموع السواجم

غداة غدا منها الأغر بن حاتم

ومنها

وشتان ما بين اليزيدين في الندى

يزيد سليم والأغر بن حاتم

فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله

وهمُّ الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام أني هجوته

ولكنني فضلت أهل المكارم

سحر البيان يقضي الحاجات

● قال العتبي: قدم عبدالله بن زرارة الكلابي على معاوية وهو أمير المؤمنين فقال: إني لم أزل أهز ذوائب الرحال إليك، فلم أجد معولا إلا عليك، أمتطي الليل بعد النهار، وأسم المجاهل بالآثار، يقودني إليك أمل، وتسوقني بلوى، والمجتهد يعذر، وإذ بلغتك فقطني «أي حسبي».

فقال له معاوية: احطط عن راحلتك.

● ودخل كريز بن زفر بن الحرث على يزيد بن المهلب فقال: أصلح الله الأمير! أنت أعظم من أن يستعان بك ويستعان عليك، ولست تفعل من الخير شيئا إلا ويصغر عنك وأنت أكبر منه، ولا العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل.

قال له يزيد بن المهلب: سل حاجتك.

قال كريز: حملت عن عشيرتي عشر ديات.

قال يزيد: قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها.

● وأتى رجل إلى حاتم الطائي فقال: إنها وقعت بيني وبين قومي ديات فاحتملتها في مالي وأملي. فقدمت مالي وكنت أنت أملي. فإن تحملها عني فرب هم قد فرجته. وغم كفيته. ودين قضيته. وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك، ولم أيأس من غدك.

فحملها حاتم عنه.

أخو السوء

قال أيوب بن سليمان عن ابن القاسم قال: بينما سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ تحمله الريح إذ مر بنسر واقع على قصر، فقال له كم لك منذ وقعت ههنا؟ قال سبعمائة سنة. قال فمن بنى هذا القصر؟ قال النسر لا أدرى هكذا وجدته. ثم نظر سليمان فإذا فيه كتاب منقور بأبيات من الشعر وهي:

خرجنا من قرى اصطخر
إلى القصر فقلناه
فمن يسأل عن القصر
فمبنيا وجدناه
فلا تصحب أخا السوء
وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى
حكيما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء
إذا ما المرء ماشاه
وفي الناس من الناس
مقاييس وأشباه
وفي العين غنى للعين
أن تنطق أفواه

الصديق الصدوق

● قال علي بن أبي طالب أمير المؤمنين: خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك.

● وكان أبوهريرة - رضي الله عنه - يقول: اللهم إني أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي إلا بموافقة شهوتي، وممن ساعدني على سرور ساعتي، ولا يفكر في حوادث غدي.

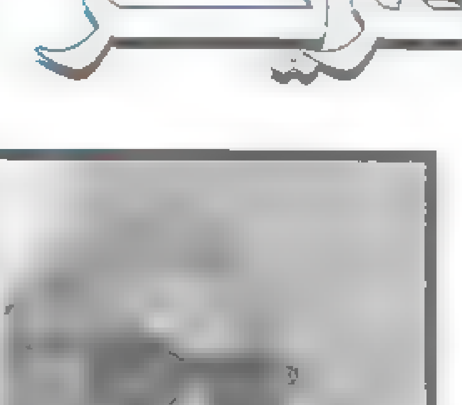
● وقال الشاعر:

وكل أخ عند الهوينا ملاطف
ولكنما الإخوان عند الشدائد

دعاء

اللهم أدم بفضلك نعمتك علينا، والطف بنا فيما قدرته علينا، وأعطنا من واسع رزقك الحلال ما تصون به وجوهنا عن التعرض لذل السؤال، أنت المعطي الوهاب الرزاق بغير حساب. ●

فقيد عزيز



انتقل إلى رحمة الله -تعالى- الأستاذ الجليل الدكتور عبدالودود شلبي وهو من خيرة أبناء الأزهر الذين لهم جهاد مرموق في الدعوة الإسلامية، وكان مبعوث الأزهر إلى الهند فوثق صلته بكبار العلماء هناك من أعضاء الندوة، ونال درجة الدكتوراه من أرقى جامعة في الهند وعاد بذخيرة طيبة عن البلد الإسلامي العريق فتحدث عن مسلمي الهند والباكستان حديثا شافيا يدل على تعمق. ووقف بالمرصاد لكل من يحاولون الانتقاص من أي بلد إسلامي، وله في ذلك مواقف مشهودة.

وقد تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر في عهد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود.

ومن طرائفه التي تروى في هذا المجال أن فضيلة الإمام الأكبر أرسل له كلمة لتنشر في الافتتاحية ولكن الدكتور عبدالودود حال دون نشرها، وحين سأله الإمام عبدالحليم محمود في ذلك قال له: يامولانا إن كلمتك يجب أن تكون أرقى كلمة في المجلة. ولكن لاحظت أن بعض المقالات يفوقها، وهذا مالا أقبله. فقام الشيخ عبدالحليم من مكانه وقبل رأس الأستاذ عبدالودود وقال له: سترك الله كما سترت تخلفي في هذا المقال.

ونحن لا ندري أنعجب من غيرة الدكتور عبدالودود، أم من تواضع الإمام الأكبر وتقبله النقد بصدر رحب؟!

وللدكتور عبدالودود مؤلفات كثيرة، نأمل أن تكون موضع دراسة لبعض الباحثين تخليدا لذكره رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الثواب.

أسرة التحرير



مؤتمر دولى يناقش أهمية التنمية فى العالم الإسلامى فى مواجهة تحديات العولمة

• دول العالم الاسلامى مساحتها ٣٠٠ مليون كيلو متر مربع تعادل ٢٢,٥٪ من مساحة العالم [illegible]

• [illegible] ٢٠١٨.

• [illegible] و٤٨٪ للإناث والإنفاق على التعليم ٣,٩٪ من الناتج المحلى

• لدينا ١٦ دولة من ضمن ٥٨ دولة اسلامية مصنفة [illegible]

• [illegible] الكثير منها غير مستقل

ولابد من:

١- تثبيت المفاهيم الاسلامية فى التنمية.

٢- [illegible] من خلال انشاء المشروعات المشتركة

٣- ضرورة تفعيل انظمة الزكاة والوقف [illegible]

فى رحاب جامعة الأزهر وبالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، ومركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى، والبنك الإسلامى للتنمية عقد مؤتمر دولى -تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - ورئيس شرف المؤتمر الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر- بعنوان التنمية المستدامة فى العالم الإسلامى فى مواجهة تحديات العولمة.

وقال الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية إن هذا المؤتمر مهم للغاية، ويجيء فى توقيت أهم، فى وقت يعانى فيه العالم الإسلامى مشكلات الفقر، وبالتالى تجيء هذه المؤتمرات فى محاولة لإيجاد حلول لهذه المشكلات الحيوية والتى - بلاشك - تؤثر على جموع المسلمين الذين يعيشون فى ٥٨ دولة إسلامية.

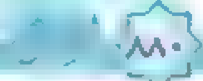
وقد أكد فى كلمته فى بداية المؤتمر على أهمية إنشاء مشروع للتنمية الاقتصادية فى العالم الإسلامى، من أجل مواجهة تحديات العولمة، التى جعلت العالم كله قرية صغيرة، يرى ويسمع ما يدور فى جميع الجوانب فى وقت واحد.

وقال إن التنمية تعد من أهم المشكلات التى تواجه الأمة، والتنمية هى الكفاح ضد التخلف، والكفاح ضد التخلف يجب أن تتوافر عليه كل هيئات المجتمع الإسلامى فى الوقت الحاضر على أساس أن هناك تخلفا، وهذا التخلف يعنى التردى فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والبشرية بشكل عام. ولذلك فقد عقدنا هذا المؤتمر، والهدف الأساسى منه هو تشخيص المشكلة، مشكلة التخلف وأبعادها والتى ترتبط بالثالوث التقليدى.. الجهل والمرض والفقر، ونرى كيف يمكن أن تتوافر الجهود على رفع هذه المعاناة التى نعيشها الآن أكثر فى ظل العولمة.

إن ٨٠٪ من سكان العالم يعيشون على ٢٠٪ فقط من جملة موارده، بينما يعيش ٢٠٪ على ٨٠٪ من دخل العالم، وأصبحت الأغلبية تعانى بشدة من نقص الغذاء بشكل ازداد حدة فى السنوات الأخيرة. كما تعانى من أمراض خطيرة ومنتشرة فى بلادنا بشكل حاد، وإلى جانب ذلك هناك مأساة دموية فى العالم الثالث، ومأساة زيادة الهيمنة والتسلط عليه- وإنهاك موارده الطبيعية التى ازدادت بشكل واضح لشراء موارده واستغلال ثرواته.

ومن هنا كان عقد هذا المؤتمر الدولى الذى يشارك فيه علماء مسلمون وخبراء فى الاقتصاد الإسلامى بهدف تشخيص الداء ووصفه وصفا دقيقا، وأعنى به التخلف وأسبابه ومظاهره والآثار التى تنجم عنه.

والذى يناقش على مدار خمس حلقات وخمس جلسات كل الأبعاد المختلفة، ابتداء





ـ كما ذكرت ـ من تشخيص الداء. ودور الاقتصاد الإسلامي في التغلب على التخلف الذي يصيب المسلمين الآن، ودور العمل الإسلامي بشكل عام في مواجهة التخلف، فضلا عن عقد حلقة مهمة عن القيم الإسلامية ودورها في التغلب على التنمية.

وشدد الدكتور جعفر عبدالسلام على أن الشعوب الإسلامية تعتنق دينا حضاريا، يستطيع بلاشك أن يقدم حلولا لكثير من مشكلاتنا، ومن هنا يأتي دور القيم الإسلامية الدافعة للتنمية، والتي لو اقتصر المؤتمر على مناقشتها وبين وسائل تفعيلها لكفاه.

وأول هذه القيم هي قيمة الاستخلاف، وهي قيمة يتميز بها الإسلام في تصوره لحقيقة الخلق، والهدف من وجودنا على الأرض. هذا الهدف هو رسالة خلق الله الإنسان من أجل تحقيقها يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾

(البقرة ٣٠)

وكما يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

(هود ٦١)

فوظيفة الإنسان في الكون هو تعميره واستثمار طاقاته بما ينفع الناس.


جعفر عبدالسلام   محمد عبدالحليم عمر

وخير شاهد على أهمية التنمية المستدامة. وعلى ضرورة أن يؤدي الإنسان وظيفته من المهد إلى اللحد، دون أن يوقفه عن ذلك شيء، حتى لو كان قيام الساعة نفسها

قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد في مسنده).

المعادلة الصعبة

وتحدث الدكتور محمد عبدالحليم عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي حيث طرح المعادلة الصعبة التي لا يمكن فهمها إلا في ضوء التفتت والتشرذم والتشتت الحادث في الأمة الإسلامية. حيث قال: لقد أثبت الواقع أن الدول والناس في سعيها لأخذ المزيد من أجل التنمية؛ استخدمت الموارد استخداما جائرا أدى إلى تقليل فرصة الأجيال القادمة من الحصول على احتياجاتها، وهنا ظهر مفهوم التنمية المستدامة عام ١٩٨٧ الذي يتضمن الأبعاد الثلاثة للتنمية وهي:

التنمية الاقتصادية وتوزيع ثمارها بعدالة على الجميع والتنمية البشرية بالمحافظة على كرامة الإنسان، والتنمية البيئية، وحق الأجيال القادمة في الموارد. وبالتالي تظهر أهمية موضوع المؤتمر في كون التنمية المستدامة هي السبيل لتحقيق الحياة الطبيعية للبشرية

وقال د.محمد عبدالحليم عمر: أما أهمية نطاق المؤتمر وهو العالم الإسلامي، فيظهر من الاستعراض السريع للوضع الاقتصادي والإنساني فيه. حيث إنه يملك إمكانيات غير مستغلة، ومعدل الأداء الاقتصادي فيه ضعيف وغير كاف، مما ترتب عليه تدني أغلب دوله في التصنيف والترتيب العالمي بين الدول.

تدني نصيب العالم الإسلامي في التكنولوجيا

فمن حيث الإمكانيات في العالم الإسلامي، توجد قوة بشرية كبيرة قوامها حوالي ١.٤ مليار نسمة. حسب تعداد عام ٢٠٠٦، يمثلون ٢١.٥٪ من سكان العالم البالغين ٦.٦ مليار نسمة، ويبلغ عدد القوة العاملة في العالم الإسلامي ٧١٢ مليون يعمل منها ٥١٥ مليون نسمة فقط، ونسبة البطالة حوالي ٢٧٪.

وعلى الوضع السياسي والجغرافي يبلغ عدد دول العالم الإسلامي ٥٨ دولة تنتشر في قارات العالم، منها: ٢٧ دولة في أفريقيا، ٢٧ دولة في آسيا، ودولتان في أوروبا ودولتان في أمريكا الجنوبية.

وتشغل دول العالم الإسلامي مساحة ٣٠ مليون كيلو متر مربع، تعادل ٢٢.٥٪ من مساحة العالم، يستغل منها في الزراعة ١٤.٥ فقط.

ويتميز العالم الإسلامي بغنى في بعض الموارد المعدنية مثل البترول الذي يملك منه ٣٥ والتصدير ٣٥ والاحتياطات ٢٩٪ من المخزون العالمي، هذا بجانب الطاقة التي يبلغ إنتاجه منها ٣٧.٥ من الإنتاج العالمي، يستخدم منها ١٠.٥٪ فقط.

أما من حيث البحوث والتطوير للحصول على التكنولوجيا التي أصبحت من أهم عوامل الإنتاج، فيظهر تدني نصيب العالم الإسلامي منها، إذ يبلغ متوسط نسبة الإنفاق على البحث العلمي ٠.٢ من الناتج المحلي. بينما متوسط هذه النسبة على مستوى العالم ٢.١٨٪ وهذا ما تؤكده طلبات براءات الاختراع التي تبلغ في العالم الإسلامي ٣٥٥٠٠ براءة. تعادل ٨٪ فقط من البراءات في العالم.

وأشار د.محمد عبدالحليم عمر في كلمته إلى الأداء الاقتصادي في العالم الإسلامي وما وصل إليه مبينا أن:

- الناتج المحلي يبلغ إجماليه -بالأسعار الجارية عام ٢٠٠٩- ٣٤٩٢ مليار دولار، تعادل نسبة ٦.٣ فقط من الإنتاج العالمي البالغ ٥٤٦٧٨ مليار دولار ويبلغ المتوسط لمعدل نمو الناتج سنويا ٥.٨٪.
- كما يبلغ متوسط نصيب الفرد من

هذا الناتج ٢٣٩٦ دولارا فى السنة، بينما نصيب الفرد على مستوى العالم ٧٢٨٧ دولارا وعلى مستوى الدول المتقدمة ٣٩٨١٤ دولاراً.

- يتشكل هيكل الإنتاج فى الدول الإسلامية كالآتى: ١٥٪ للزراعة، ٣٤٪ للصناعة، ٥١٪ للخدمات.
- تبلغ الصادرات من السلع التجارية ٩٥٢ مليار دولار تعادل ٩٪ من صادرات العالم البالغة ١٠٣٣٤ مليار دولار، وتبلغ الواردات من السلع ٨٣١ مليار دولار بنسبة ٧,٧٪ من واردات العالم البالغة ١٠٧١٨ مليار دولار.
- يتم استخدام الناتج بين الاستهلاك بنسبة ٨٥٪ والصادرات ٩٪ والتكوين الرأسمالى ٦٪ ويبلغ الادخار اغلى ١٠٪ من الناتج والاستثمار ٢١,٥٪ لتصبح الفجوة ١١,٥٪ كما يبلغ نصيب العالم الإسلامى من تدفقات الاستثمار الأجنبى المباشر فى العالم ٤٦ مليار دولار.

تأخر الأداء الاقتصادى
فى العالم الإسلامى

وفى إحصائية عن نتائج الأداء الاقتصادى فى العالم الإسلامى يقول د.محمد عبدالحليم عمر، إنه يجيء متأخراً عن الكثير من دول العالم كما يتضح من هذه القراءة السريعة:

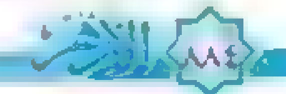
- تبلغ نسبة الفقر فى العالم الإسلامى حوالى ٣٥٪ من السكان.
- يتم تصنيف دول العالم الإسلامى من حيث مستوى الدخل كالآتى:

- ٢٥ دولة ذات دخل منخفض بمتوسط دخل سنوى للفرد يصل إلى ٧٧٥ دولاراً.
- ٢٠ دولة ذات دخل متوسط أعلى بمتوسط دخل سنوى للفرد بين ٧٧٦و٣٤٥٦ دولاراً.
- ٦ دول ذات دخل متوسط أعلى بمتوسط دخل سنوى للفرد بين ٣٤٥٧ و١٠٧٢٥ دولاراً.
- ٦ دول ذات دخل مرتفع بمتوسط دخل سنوى للفرد أكبر من ١٠٧٢٦ دولاراً.

- يتم تصنيف وترتيب دول العالم الإسلامى على مستوى التنمية البشرية كالآتى:

- ١٠ دول فى مجموعة الدول ذات التنمية البشرية المرتفعة، وتقع بين المرتبة ٣٣ و٦٨ على مستوى دول العالم.
- ٣١ دولة فى مجموعة الدول ذات التنمية البشرية المتوسطة وبترتيب يقع بين ٧٤ و١٥٥ دولة.
- ١٦ دولة مصنفة ضمن الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة وتحتل الترتيب الأخير فى دول العالم البالغة فى هذا التصنيف ١٧٧ دولة.

- تبلغ نسبة الأمية فى العالم الإسلامى ٢٩٪ بالنسبة للذكور و٤٨٪ بالنسبة للإناث، وذلك ناتج عن انخفاض الإنفاق على التعليم الذى يبلغ ٣,٩٪ من الناتج المحلى.



التنمية فى دولنا الإسلامية

وهكذا يتضح أن العالم الإسلامى يملك إمكانيات كبيرة، ولكن الكثير منها غير مستغل، كما أن الأداء فيه، سواء على مستوى التنمية الاقتصادية أو البشرية متواضع، مما يلزم معه البحث عن السبل الكفيلة بتحقيق التنمية الفاعلة فى دوله، والتى يجب أن تنطلق من القيم والتوجيهات الإسلامية.

واستجابة لأمر الله تعالى، الذى أمر بإعمار الأرض، يعنى تحقيق التنمية الشاملة والمستديمة فى قوله تعالى:

﴿ ... رْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

(هود: ٦١)

إن لدينا فى العالم الإسلامى مشكلة تعانى منها أغلب الدول الإسلامية الآن، وهى مشكلة نقص الغذاء، مع أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهب الأمة كل الخيرات كما جاء فى كلمات الدكتور عمر، حيث حباها بالمواد الخام اللازمة لحركة الحياة اليومية (البترول والطاقة) والتى أصبح العالم فى أمس الحاجة إليها فى جميع مجالات حياته، ونرى هذا الارتفاع الجنونى فى أسعار البترول عالمياً!

كما منح الله دولنا الإسلامية الأرض الصالحة للزراعة والإنتاج الغذائى والذى لو استثمر جزء منها فقط على أساس علمى «السودان نموذجا» لما وجدنا دولة إسلامية تعانى من نقص فى الغذاء واستيراده من دول أوروبا وغيرها.

إن الأمة الإسلامية فى حاجة ماسة إلى الوحدة والتكامل فيما بينها، والاستفادة المثلى للموارد والمواد الأولية التى أنعم الله بها عليها، واستخدامها الاستخدام الأمثل فى التنمية، خاصة وأن العالم الذى نحيا فيه الآن، أصبح لا يعترف بالانعزاليين، ولا مكان فيه لدولة منغلقة على نفسها. والعولمة قد فرضت نفسها على العالم.

ولابد أن نتعلم من أوروبا ودولها والتى حققت وحدتها الاقتصادية على الرغم من الاختلافات الجوهرية بين دولها فى اللغات والثقافات والاتجاهات العقائدية.

ولذا على أمتنا الإسلامية بفضل عوامل كثيرة.. لغوية وثقافية أن تتجه إلى هذه الوحدة التى تحقق لنا الاكتفاء الذاتى، ونواجه الفقر الذى يحيط بأمتنا من كل جانب، ونحقق انطلاقتنا من جديد نحو أمة إسلامية قوية لها أهدافها المشتركة من أجل حياة كريمة للمسلمين بين شعوب الأرض.

من بين المشاركين فى الجلسة الافتتاحية تحدث الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الأسبق، حيث بين أهمية العمل فى الإسلام، وتمجيد ديننا الحنيف للعمل بكل

أنواعه سواء أكان عقليا أم يدويا، وأكد على ضرورة تبنى مبادىء الاقتصاد الإسلامي وتطبيقه للخروج من الأزمات التي سببتها التطبيقات الوضعية في مجال التنمية الاقتصادية

كما أشار إلى ضرورة الاسترشاد بفلسفة الإسلام في المال والاقتصاد وفي العمل وفي الإنتاج وفي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية. حتى تخرج خبرة التنمية قوية مسلحة بالقيم والأخلاق الإسلامية، فضلا عن أهمية التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية، لتحقيق القوة والعزة والمنعة في مواجهة الاقتصاد العالمي القوى سواء في الغرب أو في الشرق، ومواجهة العولمة التي أصبحت واقعا لا يمكن أن نتجاهله.

خمس جلسات عقدها المشاركون في المؤتمر ومن بينهم الدكتور محمد بن على العقلا مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والدكتور حسن عباس زكى المفكر الاقتصادى ووزير الاقتصاد المصرى الأسبق، والدكتور محمد البشارى رئيس الفيدرالية الإسلامية بفرنسا والدكتور حاتم القرنشاوى عميد كلية الدراسات الإسلامية بقطر، والدكتور حسن محمد الرفاعي بجامعة الإمام الأوزاعي بلبنان. والدكتور محمد سعدو الجرف أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية الشريعة جامعة أم القرى، والدكتور مصطفى إدون أستاذ الاقتصاد بجامعة الأمريكية وغيرهم العشرات من الخبراء والأساتذة في جامعات مصر المختلفة وفي مقدمتها جامعة الأزهر الشريف.

محمود عاشور

ناقشوا في الجلسة الأولى: تشخيص مشكلات تخلف اقتصاديات الأمة الإسلامية.

في الجلسة الثانية: ناقشوا متطلبات تحقيق التنمية في العالم الإسلامي

كما تناولوا عددا من بحوث المؤتمر في جلستهم الثالثة بعنوان «الاقتصاد الإسلامي وتحقيق التنمية في العالم الإسلامي».

أما الجلسة الرابعة: في اليوم الثاني للمؤتمر فدرت حول موضوع مهم حرص عليه المؤتمر بالأساس وهو بعنوان «العولمة والتنمية في العالم الإسلامي». ورأس هذه الجلسة المستشار حسن الحفناوى المستشار القضائي لرئيس دولة الإمارات العربية وكان مقررا للجنة الدكتور محمد عبدالرحيم سلطان الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الإمارات العربية المتحدة والمتحدث الرئيسي كان الدكتور إسماعيل شلبي أستاذ الاقتصاد بكلية الحقوق جامعة الزقازيق. أما الجلسة الخامسة والأخيرة فكانت بعنوان «الجانب المؤسسي للتنمية المستدامة» ورأسها الدكتور محمد بن على العقلا

أما الحلقتان الدراسيتان فكانتا بعنوان «دور القيم الإسلامية في التنمية المستدامة» ورأسها الدكتور عبدالعزيز حجازى.

ورأس الجلسة الثانية الدكتور أحمد جويلى الأمين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية.

وبعد مناقشات مستفيضة حول البحوث المقدمة، تناولت أبعاد ومتطلبات التنمية المطلوبة لمجتمعاتنا الإسلامية، وكيفية علاج السلبيات، وعرض بعض التجارب التنموية التي قام بها أفراد وجماعات في مجتمعنا مما يرشد إلى أهمية الدين والعقيدة في التنمية.. جاءت التوصيات والتي من أبرزها:

- دعوة الدول والمنظمات والشعوب الإسلامية إلى ضرورة الاهتمام بالتنمية البشرية، وذلك من خلال إدخال بعض التعديلات الأساسية في مناهج وبرامج التعليم، حتى تؤهل الأمة للتقدم والتنمية ومواكبة تحديات العصر.
- كما أوصى المؤتمر بضرورة التمسك بأصول العقيدة والسنة وأحكام الشريعة في حياة المسلمين
- ودعا إلى ضرورة تثبيت المفاهيم الإسلامية في التنمية، خاصة الإنتاج والعمل وعدم الانسياق وراء المشروعات العربية الداعية لتنمية العالم الإسلامي.

كما نبه المؤتمر إلى ضرورة استعادة الدور البارز للدول الإسلامية في التقدم الزراعي وإنتاج الغذاء من خلال إنشاء مشروعات مشتركة.

- ودعا المؤتمر الدول الإسلامية إلى بذل أقصى الجهد للتعاون في الإنتاج بكافة أنواعه، بإقامة التكتلات الإنتاجية والمنظمات الإقليمية لتنمية هذه الدول.
- زيادة التبادل التجارى وتفعيل التجارة البينية بين الدول الإسلامية.
- أيضا كان من بين أهم توصيات المؤتمر خطورة استمرار تخلف القدرة على إنتاج الغذاء في ظل الظروف الدولية السائدة.

وحرص المجتمعون على ضرورة التركيز على استثمارات تتصل بالطاقة المتجددة من الشمس والطاقة النووية كبديل للنفط.

أيضا التوصية بزيادة نسب الإنفاق على البحوث العلمية.

ودعا المؤتمر في توصياته أيضا إلى تفعيل دور المؤسسات والأنظمة الإسلامية الدافعة للاستثمار خاصة أنظمة الزكاة والوقف والبنوك الإسلامية.

وهي بحق توصيات مهمة.. ولكن نتساءل كيف يمكن أن يتحقق منها ما يخرج أمتنا الإسلامية من أزمتها ومشكلاتها الكثيرة والعديدة!!

الإسلام.. أكمل الرسالات وأبقاها أثرا في حياة البشر

في حياة البشرية حقيقتان ثابتتان: أولاهما: «أن مطلب الألوهية. مطلب توافرت عليه الفلسفات والنبوات. وأن دلائله البرهانية ماثلة في الأنفس وفي الآفاق. وأن بواعثه النفسية مركوزة في العقول والوجدانات»[1].

الحقيقة الثانية: أن الرسالات السماوية. هي طريق الفلاح الحقيقي في العاجلة والآجلة لأنها صادرة من عند الله. عز وجل. الذي لا يحابي.. والذي خلق فسوى.. والذي قدر فهدى.. وهو الذي يعلم ما ستكون فيه المصلحة في الدارين: الدار الدنيا. والدار الآخرة.

والذي لا شك فيه أن بين هاتين الحقيقتين من التلازم والمصاحبة ما يستوجب أن الإيمان بإحداهما لا يقع إلا مصداقا للإيمان بالأخرى. فرسالات السماء صادرة من قبل الله ـ عز وجل ـ عن طريق رجال معصومين، اختارهم لهداية الناس إلى الحق والخير: سواء فيما يتعلق بالعلاقة بين العبد وخالقه؛ وما يجب له سبحانه من التقديس والتوقير والإعظام، والتزام أوامره واجتناب نواهيه.. أو ما يتعلق بتنظيم العلاقة بين الأفراد والجماعات فهو بما بينه لهم عن طريق الرسل: سواء في كتبهم التي أنزلها عليهم، أو ما يوحيه إلى هؤلاء الرسل بطرق الوحي المختلفة.. الحكم العدل، الذي لا يميل مع الهوى، ولا يتخذ من الناس وليا ولا نصيرا يضع القوانين من أجل مصلحتهم الذاتية صارفا النظر عمن عداهم.. وتلك هي أساس الحياة الصالحة، التي ما إن تتخلى عنها البشرية في فترة من فترات التاريخ.. أو في أمة من الأمم إلا أصابها الوهن، ومنيت بالفتن، وعصفت بها الكوارث، حتى تعود إلى رشدها، وتستمسك بهدى نبيها الذي جاء به من عند الرب ـ تبارك وتعالى ـ وإذا سلمنا بهذه الحقيقة ـ وهي لا تقبل الجدل ـ فإن من الواجب على البشرية أن تبحث عن الرسالة

(1) د.محمد عبدالله دراز في كتابه «الدين» ص ١٤٢ سلسلة البحوث الإسلامية التي يصدرها الأزهر الشريف.

السماوية، التي استوعبت كل ما من شأنه أن يصلح أمر الإنسان بعد أن استكمل رشده، وانطلق في طريق التقارب والتعارف، وتبين أمام ناظريه طريق السعادة الأبدية، وطريق الشقاوة الأبدية.

فكل رسالات السماء جاءت وهي تحمل أمرين اثنين: الأول: توحيد الله ـ عز وجل ـ وتلك قضية ثابتة لم يختلف عليها اثنان من أنبياء الله ورسله على امتداد تاريخ الرسالات كله:

(الشورى: ١٣)

الأمر الثاني: الشرائع والقوانين السماوية، التي تتدرج بتدرج البشرية في طريق الكمال الإنساني قال تعالى:

(المائدة: ٤٨)

حتى جاءت رسالة الإسلام بخاتمة الشرائع التي استوعبت كل قضايا البشر الحالية والمستقبلة إلى أن تقوم الساعة «ولا يوجد في الأرض دين عام كامل صحيح ثابت إلا دين الإسلام.. فهو دين السلام والحق والعدل والمساواة، التي تعطي كل شعب وكل فرد حقه. فبه وحده يمكن البرء من الأدواء المالية والسياسية والحربية والاجتماعية كلها: فاليهودية دين مؤقت خاص غير عام، وانتهى زمانها، والمسيحية إصلاح روحي لليهودية ليس فيها تشريع ولا تصلح وصاياها الزهدية التواضعية لحضارة هذا العصر وإنما كانت موقوتة لإصلاح غلو اليهود والروم في الطمع الدنيوي والشهوات.. والبرهمية والبوذية والمجوسية فيهن من وثنية وخصوصية وخرافات وعداوات وتفاوت طبقات.. كلها تدين الله، بجعل بعض من كرمهم من البشر أخساء بالفطرة كالحشرات، أورجسا من عمل الشيطان، فلا يصلح شيء منها لتثقيفهم بالتوحيد والعرفان والإخاء الإنساني العام.. فإذن لا ملجأ ولا وزر ولا ملتحد للبشر إلا دين الإسلام

﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾

(آل عمران: ١٩)

«فلئن اهتدت به أمة قوية منظمة لتصلحن به سائر الأمم ولتكونن لها السيادة العليا في جميع الأرض وليدخلن العالم الإنساني في طور جديد من الترقي والجمع بين منافع القوى المادية والمعارف الروحية وهي منتهى السعادة الإنسانية»[١].

لقد جاء الإسلام بمنهج فريد في طريقة التعامل مع النفس البشرية، «إنه يعرف طريقه إليها منذ اللمسة الأولى، يعرف دروبها ومنحنياتها فيتلمس إليها بلطف ويعرف مداخلها ومخارجها فيسلك إليها على استقامة ويعرف قواها ومقدراتها فلا يتجاوزها أبدا ويعرف حاجاتها وأشواقها فيلبيها تماما ويعرف طاقاتها الأصيلة البانية فيطلقها للعمل والبناء..

«وعلى كل رفعته ونظافته وسموه وسموقه.. هو نظام «للإنسان» لهذا الإنسان الذي يعيش على سطح هذه الأرض، نظام يأخذ في اعتباره فطرة هذا الإنسان بكل مقوماتها وخصائص تكوينه وتركيبه بكل مقتضياتها.

«وحين تستقيم النفس مع فطرتها، وحين تلبى حاجاتها وأشواقها، وحين تطلق طاقاتها للعمل والبناء، فإنها تجرى مع الحياة في يسر وطواعية، وتمضي مع خط الفطرة الصاعد إلى القمة السامقة، وهي تجد الأنس والاستروح والطمأنينة والثقة في خط سيرها الطويل»[٢].

***

إن الدين الإسلامي، في طريقة التعرف على الله - عز وجل - هو الدين الذي جاء ليستوعب كل تعاليم الرسالات السابقة، ويضيف إليها .. كما أنه جاء ليحتوي كل ما أنتجته القرائح البشرية والفلسفات الإنسانية الجادة، التي تبحث عن فكرة الألوهية، فإن شئت التحقق من ذلك، فإليك نماذج قرآنية من تلك النماذج التي استوعبت النتاج البشري في طريقة البحث عن فكرة الألوهية، وما أضافته إليها، ليتبين لك كيف طواها القرآن تحت جناحه، وقررها بطريقته الخاصة، التي تفتح الباب واسعا أمام العقل البشري، ليضعها في مكانها الصحيح:

> يرى فريق من الباحثين أن العامل الأول في إثارة فكرة الإلهية، كان هو النظر في مشاهد الطبيعة، ولاسيما الأفلاك والعناصر، سواء في حالتها الطبيعية الهادئة، أو في حالتها الثائرة المفزعة. وهذا الفريق يسمى فريق الكونيين أو الطبيعيين.

فإذا بالقرآن الكريم، قد سبقهم إلى ذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ۝ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾

(ق: ٦-٧)

وقوله تعالى:

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ۝ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ۝ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾

(القصص: ٧١-٧٣)

ويزيد القرآن في هذا الباب عنصرا جديدا، وهو عنصر الاختلاف بين المتشابهات اختلافا لم يتهيأ للعلم البشري معرفة أسبابه، ولا التحكم في عوامله، ولا التنبؤ به قبل ظهوره، لأنه لا يرتبط بأي نوع من أنواع الملاحظة، ولأنه لا يتبع حالة خاصة من أحوال البيئة الطبيعية أو نحوها، بل يجئ مع كل الحالات الممكنة لهذه البيئة، ومع ذلك كله تراه يسير في نظام غاية في الإحكام.

قال الله - عز وجل - في كتابه الكريم، الذي هو ملاك الإسلام كله: معتقداته.. وشرائعه.. وآدابه وأخلاقه وفضائله.

﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾

(الرعد: ٤)

وقال عز من قائل:

﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾

(الروم: ٢٢)

وقوله تعالى:

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ۝ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾

(فاطر: ٢٧-٢٨)

وهناك فريق من العلماء يرى أن الأصل في العقيدة الإلهية، كان عبادة الأرواح، والمقصود بالأرواح هنا هو مبدأ حياة التفكير والإرادة المنظمة والعاطفة والضمير.. وبالجملة، مبدأ الحياة العاقلة الرفيعة، ويسمى أصحاب هذا المذهب «بالروحيين» أو «الحيويين».. وقد سبقهم القرآن الكريم إلى معالجة هذه القضية، معالجة رفيعة المستوى، متينة الأركان، تبث في القلوب والعقول مبدأ الإيمان بالله - عز وجل - وبوجوده - وبأنه الخالق المدبر لكل شئ، وقد انطلق في معالجتها من عدة مبادئ.

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي» ص ٢٤١ طبعة الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) سيد قطب في كتابه «هذا الدين» ص ٣٠، ٣١ ط دار الشروق.

مبدأ استقلال الروح البشرى وانفصاله عن الجسم وعن الروح فى هذه الحياة.

ومبدأ بقاء الروح الإنسانى بعد الموت فى حالة برزخية بين الدنيا والآخرة.

ومبدأ تعلق أرواح الموتى بشئون أهل الدنيا.

قال تعالى:

﴿ ... يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ﴾

(الأنعام: ٦٠)

[illegible]

(الزمر: ٤٢)

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٦٩، ١٧٠)

«أضف إلى ذلك - كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه «الدين» - ما يقرره القرآن فى غير موضع من وجود أرواح أخرى مستقلة عن العالم الإنسانى، ولكنها تتصل بشئونه، ويسخرها الله فى تدبير أحواله، تارة بالنصر والتأييد، وتارة بغير ذلك، اقرأ قصة الجن فى السورة المسماة بهذا الاسم - يقصد الشيخ قوله تعالى:

[illegible]

(الجن: ١، ٢)

وفى سورة الأنبياء - يقصد الشيخ قوله تعالى:

﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ﴾

(الأنبياء: ٨٢)

وسورة النمل - يقصد الشيخ قوله تعالى:

[illegible]

(النمل: ٣٩)

وسورة سبأ - يقصد الشيخ قوله تعالى:

[illegible]

(سبأ: ١٢)

«واقرأ أخبار الملائكة فى السورة المسماة بهذا الاسم، وهى سورة فاطر، أو فى السور الأخرى، مثل سورة آل عمران، وسورة الأنعام، وسورة الأنفال»(٤).

(٤) د. محمد عبد الله دراز فى كتابه «الدين» ص: ١٦٠، ١٦١.

وهناك فريق ثالث من العلماء والمفكرين، يرى أنه لأجل الوصول إلى العقيدة الإلهية، لم يكن بالناس حاجة إلى التأمل فى الطبيعة وجمالها، ولا فى التقلبات الكونية وأحوالها، ولا إلى التجارب العجيبة فى عالم الأرواح وأسرارها، بل إن تجارب الإنسان النفسية، فى حياته العادية المألوفة له فى كل يوم، كانت كافية لتوجيه نظره بقوة إلى تلك الحقيقة العليا، ويقصد بها حقيقة الألوهية الكبرى..!! وهذا الفريق يسمى بفريق النفسيين.

غير أننا حين نتأمل كتاب الله - عز وجل - نراه قد سبق كل هؤلاء إلى تقرير هذه القضية، وهى قضية أثر النفس البشرية فى الالتفات إلى تلك القوة العليا، التى تهيمن على هذا الكون كله، وتسيطر على عناصره ومفرداته، حيث لا تفلت منه شاردة أو واردة: سواء فى الفعل أو فى الترك، وذلك «حين يشير إلى قصور الإرادات الإنسانية عن بلوغ أهدافها وإلى عجز الإنسان أمام المقادير العليا وضرورة استسلامها لها، فى مثل قوله تعالى:

﴿ أم للإنسان ما تمنى (٢٤) فلله الآخرة والأولى ﴾

(النجم: ٢٤، ٢٥)

وقوله تعالى:

[illegible]

(القلم: ٣٧ - ٤٠)

وقوله تعالى:

[illegible]

(القصص: ٦٨)

ويزيد القرآن فى هذا الباب عنصرا آخر، عظيم الدلالة على الألوهية، وهو تحول الإرادات الإنسانية عن أهدافها، حين تنقلب كراهيتها محبة، وعداوتها ألفة، واستهجانها استحسانا، وثورتها سكونا، من غير أن يكون للأسباب الطبيعية مدخل معقول فى التحول، وفى ذلك يقول الله تعالى:

[illegible]

(آل عمران: ١٠٣)

ويقول سبحانه:

﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾

(الأنفال: ٦٣)

ويقول:

﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها ﴾

(التوبة: ٢٦)

ويجمع ذلك كله قوله تعالى:

[illegible]

(الأنفال: ٢٤)

وإذا كان الطبيعيون، والروحيون،

والنفسيون، والأخلاقيون، والاجتماعيون وغيرهم يرون - من حيث توجهاتهم الفكرية والثقافية - أن الإنسان وصل إلى العقيدة الإلهية بنفسه بمعنى أنه صعد إليها بنفسه. فإن هناك في المقابل من يرى أن الأديان لم يسر إليها الإنسان، وإنما هي سارت إليه. وأنه لم يصعد إليها بل نزلت عليه، وأن الناس لم يعرفوا ربهم بنور العقل، بل بنور الوحي، وهذا المذهب يطلق عليه المذهب التعليمي، أو مذهب الوحي.

وهذه النظرية - كما يقرر الدكتور محمد عبد الله دراز - التي أخذت بها أوروبا طوال القرون الوسطى، وأيدها بعض علماء التاريخ حتى في القرن التاسع عشر. لا تزال هي المذهب السائد عند كبار رجال الدين عندهم، كما أننا نجد في الكتب السماوية مصداق الجانب الإيجابي فيها.

هذا المذهب التعليمي، أو مذهب الوحي، نراه ساريا في القرآن كله. إلى جانب ما فيه من التوجيه المستمر إلى الاعتبار بتلك الآيات الواضحة، والدلائل اللائحة في الأنفس والآفاق فالقرآن يقرر أن الرحمة الإلهية لم تكتف بدلائل العقل، حتى أيدتها بشواهد النقل، وأنها قطعت حجة كل عاقل، وكل متواكل،

﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾

(النساء ١٦٥)

﴿ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

(الأعراف: ١٧٢، ١٧٣)

وهكذا يلتقي في محيط القرآن ما رأيناه قد تشعب عند العلماء، من مسالك الاعتبار، ومذاهب البحث والنظر في هذه القضية الكبرى(*) مع ملاحظة أن هذا القرآن، قد سبق كل هؤلاء وأولئك بقرون طويلة. وقرر ما قرر في هذه القضية وغيرها من القضايا التي تناولها. ليربي في الإنسان ملكة البحث والدرس. حتى يصل البشر إلى الحقيقة الكبرى دون واسطة، سواء من وصل منهم إليها عن طريق النظر والفكر، ومن وصلت إليه عن طريق الوحي الإلهي.

إن رصيد البشرية الذي يطويه القرآن الكريم - وهو ملاك الإسلام كله - تحت جناحه، ليؤكد على أن هذا الدين، هو وحده القادر على إسعاد البشرية، وحل جميع مشكلاتها: سواء في العقيدة والشريعة، وفي المعاملات والأخلاق والآداب والفضائل. وهو وحده القادر على إعطاء البشرية النموذج الأمثل للحياة المستقرة الآمنة، سواء على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة، أو مستوى الأمم.

(*) [illegible]

إحتفالية الأزهر بفضيلة الإمام الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

رحمه الله





احتفالية الأزهر بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

وتستمر مسيرة التكريم. ويستمر الأزهر يزدهي بأبنائه النابهين الذين كرسوا حياتهم لخدمة وطنهم. وأفنوا أعمارهم لخدمة الإسلام. الذين نطقوا بكلمة الحق دفاعا عن المبادئ والمثل: لتبقى كلمة الله هي العليا.

وحق للأزهر أن يفخر بأبناء له نالوا أنواط الشجاعة والكرامة والعزة، حين جهر كل منهم بالحق في مواجهة سلطان يخشى بطشه أو صاحب نفوذ حاد عن الصراط.

حق للأزهر أن يباهي الدنيا بأبنائه الذين جعلوا نبراسهم قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

التوبة ١٢٢

فأسهروا ليلهم، وأعملوا فكرهم، ليكشفوا للناس ما استغلق عليهم وليجددوا لهم أمر دينهم بإقامة الجسور بين الماضي والحاضر بفكر صائب ثاقب، وليعلنوا للدنيا بأسرها أن الإسلام دين صالح لكل زمان ولكل مكان.



وأبناء الأزهر هؤلاء من الكثرة بمكان فهم ليسوا في بلد الأزهر فقط إنما انتشروا في المعمورة كلها بحيث يخرج عن وسع الأزهر أن يحتفي بهم جميعا ومن أجل ذلك فإن الاحتفاء بأئمتهم احتفاء بهم وتكريم شيوخهم تكريم لهم.

ولقد بدأت مسيرة الاحتفاء هذه بالإمام محمد عبده رائد التجديد. تلاه تكريم آخر للإمام المراغي والآن يواصل الأزهر مسيرته بتكريم الإمام محمود شلتوت، ذلك الإمام الذي دعا إلى التجديد الذي يجمع بين سلفية العودة للمنابع والأصول الإسلامية وبين الفهم العصري لتلك النصوص فهو الجمع في فكر الإمام شلتوت ضرورة إسلامية تحملها الشريعة ذاتها لكونها الشريعة العالمية.

وبين أيدينا حديث رسول الله ﷺ يشهد بذلك إذ يقول: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها.

والشيخ شلتوت يعلم مدى احترام الإسلام للعقل، ومن أجل ذلك نجده في مقدمة كتابه من توجيهات الإسلام يقول في أول سطر منها: فطر الإنسان، منذ خلق وكون ومنح العقل والادراك، على أن لهذا الكون - الذي يقلب بصره في ظاهره، وفكره في باطنه ثم يرتد إليه بصره وهو حسير، وينكمش عقله وهو كليل حسير - خالقه وعظمه ...

وهذه السطور الناطقة باحترام الشيخ الجليل للعقل واهتمامه به تنطق أيضا بإيمان مطلق بأن العقل ينكمش أمام قدرة الله، وكأن الشيخ يود أن يعلن للعالم أجمع أننا نؤمن بالله إيمانا قاطعا لا يشوبه شك، ونعمل عقولنا لنسير وفق ما أراد الله لنا

والشيخ شلتوت حصل على الكثير من الأوسمة وكرم من العديد من الدول فمنحته جامعة ميدان بإندونيسيا الدكتوراة الفخرية وكذلك من أكاديمية شيلي ومن معهد الدولة الاسلامي بجاكارتا كما منح لقب الرئيس الفخري للجامعة الإسلامية بالفلبين ومنح قلادة من رئيس الكاميرون كما منح الاستاذية الفخرية من حكومة الكاميرون لدوره في خدمة الاسلام والمسلمين.

وهو أول من ألقى حديثا دينيا في صبيحة افتتاح إذاعة القاهرة.

وهو أول من حمل لقب الامام الاكبر.

وله العديد من المؤلفات منها: فقه القرآن والسنة - مقارنة المذاهب - منهج القرآن في بناء المجتمع - القرآن والقتال - القرآن والمرأة - الإسلام عقيدة وشريعة - من توجيهات الإسلام، وترجمت له العديد من مؤلفاته إلى الانجليزية والفرنسية والالمانية.

من أجل ذلك وغيره كثير كان احتفال الأزهر بالشيخ شلتوت يوم الخميس ١٨ من ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٤ أبريل ٢٠٠٨م. حين حظيت الاحتفالية بتقديم فضيلة الشيخ علي عبدالباقي شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية الذي تكلم في ايجاز عن الشيخ شلتوت المحتفى به ثم افتتح الاستاذ الدكتور أحمد المصراوي الحفل بقراءة مباركة من آي الذكر الحكيم تلا ذلك كلمة أسرة المحتفى به ألقاها حفيده الأستاذ / مهدي شلتوت رئيس الادارة المركزية لمكتبة الأزهر.

ثم جاءت كلمة جامعة الأزهر التي ألقاها فضيلة الاستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس الجامعة الذي أوضح أن الشيخ شلتوت كان رجل المرحلة الصعبة حيث كان الأزهر في مفترق



طريقين طريق الموت وطريق البقاء.. ومن أجل ذلك كانت صعوبة المرحلة فحين كانت جهود الامامين محمد عبده والمراغى من أجل الإصلاح كانت جهود الامام شلتوت من أجل الوجود والبقاء.

ويشير الدكتور الطيب إلى أن الإمام الشيخ شلتوت تقلد منصب شيخ الأزهر فى فترة كانت تجتاح مصر فيها رياح عاتية تود اقتلاع الأزهر وسحب البساط من تحت الأزهر والأزهريين لتضعها تحت منابر تخاطب المسلمين بديلا عن الأزهر.

ثم ألقى الدكتور الطيب الضوء على الملكة الفقهية التى كان يتمتع بها الشيخ شلتوت - يرحمه الله - التى جعلته يرفض الجمود المذهبى وحرصه على هدم قاعدة وجوب التمذهب بأحد المذاهب الأربعة.

ثم بُدىء فى إلقاء الأبحاث، وكان فى مقدمة هذه الابحاث بحث فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ثم بحث الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ثم بحث الأستاذ الدكتور محمد عمارة ثم ألقى فضيلة الدكتور الأحمدى أبو النور بحثه وتلاه بحث الاستاذ الدكتور رأفت عثمان فبحث الدكتور عبدالله مبروك النجار ثم بحث الدكتور مجاهد الجندى واختتمت الابحاث ببحث فضيلة الدكتور نصر فريد واصل.

وتنشر المجلة فى هذا العدد بعض هذه الابحاث وتوالى نشر بقية الابحاث فى العدد القادم بمشيئة الله.

● أما بحث فضيلة الإمام الأكبر فقد ألقى الضوء على مناهج التفسير واختلاف مشارب المفسرين. وموقع الشيخ شلتوت منهم وأنه اهتم ببيان المقاصد الإجمالية للسورة التى يريد تفسيرها ثم يقوم بالترجيح بين الأقوال التى قالها المفسرون، وأن تفسير فضيلته اتسم بابتكار معان دقيقة استقاها من القرآن الكريم إلى آخر ما أوضحه فضيلة الإمام من معالم رآها مميزة لمنهج الشيخ شلتوت فى التفسير.

● أما فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى. فكان بحثه يتمحور حول قضية التجديد. فتناول جهود الشيخ شلتوت فى مكافحة الجمود والتقليد، وأن الدين الإسلامى هو دين العقل ومقارعة الحجة بالحجة وأنه يحارب الجهل ويتأبى على الخرافة وأنه يدعو إلى النظر والتدبر فى الكون مثلما يدعو إلى النظر فى نصوص الوحى.

ويتناول البحث عدداً من الفتاوى التى تصدى لها الإمام من منطلق التجديد وحرص الإمام على التنمية المالية والاقتصادية فى حياة الفرد والأمة.

● أما بحث فضيلة الدكتور الأحمدى أبوالنور فيكاد ينصب على فتوى بعينها أجاب فيها فضيلة الشيخ شلتوت عن موضوع الحرمان من الميراث، فيوضح فضيلة الدكتور الأحمدى من خلال هذه الفتوى ما تمتع به الشيخ شلتوت من موضوعية علمية: فأوضح كيف عالج القضية، وكيف أجاب عن السؤال تحت عنوان جرىء لم يسبق إليه.

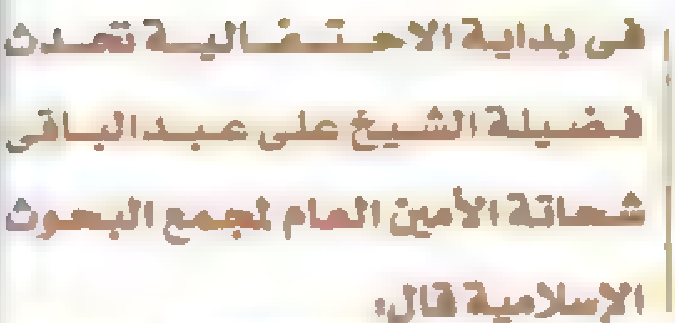
● ونتوقف عند بحث الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان الذى تناول تاريخ الشيخ منذ الميلاد وحتى توليه مشيخة الأزهر وذكر شيئاً من مؤلفاته وألقى الضوء على الشيخ شلتوت فقيهاً، ومجتهد فتوى ومحاربته للخرافات والأوهام، وشجاعته فى إبداء الرأى، وعرض لبعض أفكاره فى التفسير، وأفكاره فى علم الكلام. وعنايته بالفقه المقارن. والتقريب بين المذاهب.

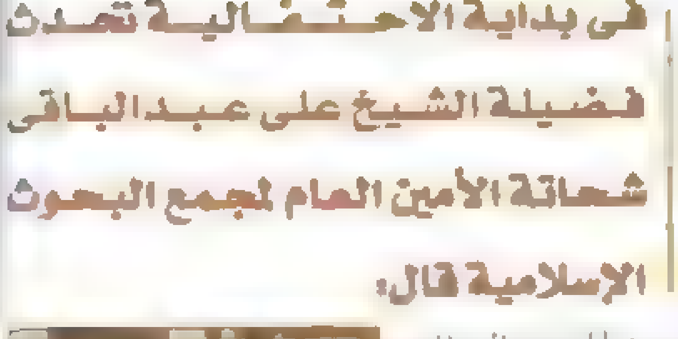
ولنترك القارىء ليستمتع بالنص الكامل للأبحاث فى الصفحات التالية.



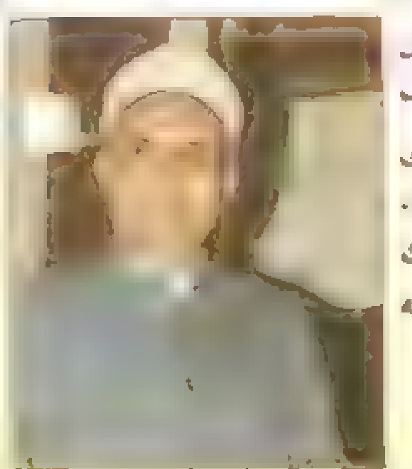


كلمة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية





في بداية الاحتفالية تحدث فضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية قال:



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا هديه وأحيوا سنته أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون.

أما بعد .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر..

السادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

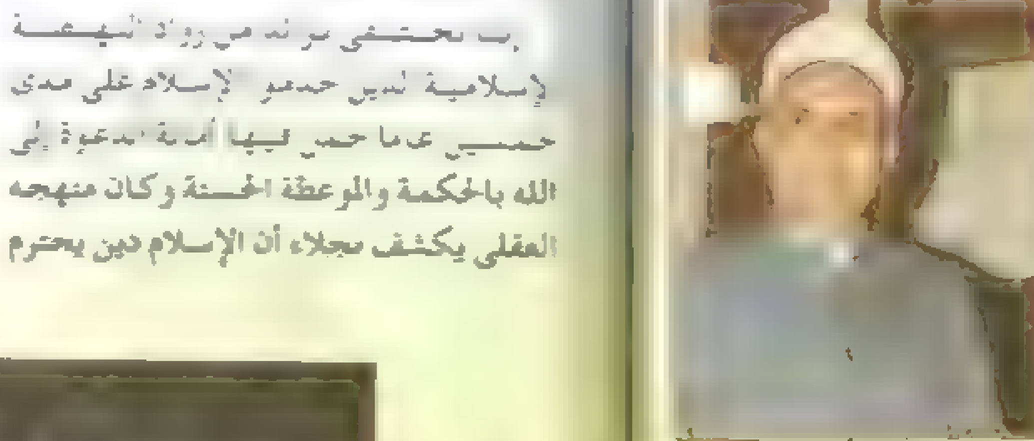
لقد سن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر سنة حسنة ندعو الله أن يجعلها في ميزان حسناته، ألا وهي الاحتفال بعلماء الأزهر ومشايخه الذين تربوا بين جدرانه طلابا متعلمين ومعلمين له. فكانوا هداة مهديين. أناروا الطريق للآخرين بعلمهم واجتهادهم. ولقد أقام الأزهر قبل اليوم احتفاليتين:

الأولى: للإمام محمد عبده

والثانية: للشيخ محمد مصطفى المراغي

واليوم نحتفي برجل أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات التي تعددت وتنوعت وكان من أهمها ما كتبه في التفسير، فقد قدم تفسيرا للعشرة أجزاء الأولى من القرآن الكريم. وله في الفقه: «فقه القرآن والسنة» و«مقارنة المذاهب» بالإضافة إلى العديد من المؤلفات الأخرى منها: «منهج القرآن في بناء المجتمع» و«القرآن والمرأة».

إننا نحتفي برجل من رواد النهضة الإسلامية الذين خدموا الإسلام على مدى خمسين عاما حمل فيها أمانة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكان منهجه العقلي يكشف بجلاء أن الإسلام دين يحترم العقل.



اليوم نحتفل بشيخ الأزهر الأسبق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت -عليه رحمة الله.

السادة الحضور، اليوم نظهر بعض جوانب الشخصية المحتفى بها وبعلمها وبجهودها لنتعلم منها وتكون لنا الأسوة الحسنة، فاختر لنفسك أخي الكريم أي الجوانب من الشخصية يجب أن تكون، وأن الأفضل أن تكون الجوانب كلها لا جانبا واحدا فقط، بل أقول عليك أن تزيد جوانب أخرى إلى الجوانب التي سيلقي عليها الضوء علماؤنا الأجلاء.

أيها الأخوة مع كلمة الأسرة يلقيها فضيلة الشيخ/ مهدي شلتوت.

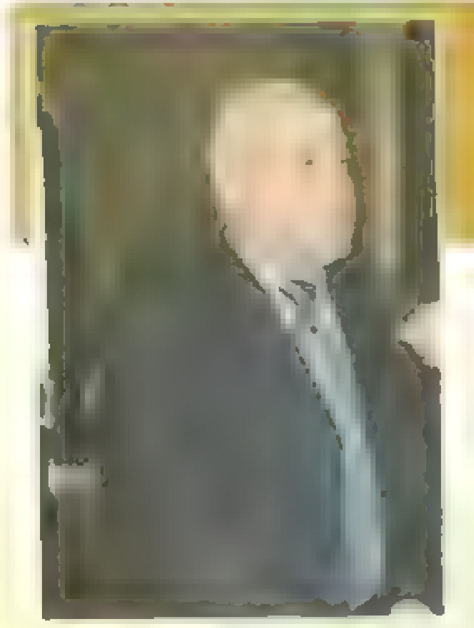


■ جانب من الحضور ويبدو كلا من الأستاذين رجب سعد مدير عام الطلاب الوافدين وعدلي خفاجة مدير عام مجلة الأزهر ■



كلمة أسرة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

في بداية الاحتفالية تحدث فضيلة الاستاذ مهدى شلتوت رئيس الادارة المركزية



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ

أما بعد

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

العلماء الأجلاء

الحضور الكرام

أحييكم بتحية الإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحييكم من رحاب الجامع الأزهر الشريف أعرق الجامعات الإسلامية وكعبة المؤسسات العلمية ورمز الوسطية والاعتدال وقلعة الحفاظ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

السادة أصحاب الفضيلة

السادة الحضور

منذ أكثر من ألف عام أقام الفاطميون الجامع الأزهر الشريف.

ومنذ نشأته توالى عليه رجال عظام يطلبون العلم في رحابه ويعلمونه للناس، ويساهمون في بناء وتطوير هذا الصرح العظيم المبارك.

ويشاركون في صناعة مرجعية تبرز وسطية الدين الإسلامي الحنيف.

لتعم شمس علمهم أرجاء المعمورة ويسطع نور طلابهم في كافة بقاع الأرض، يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي القرون الأخيرة برز علماء أجلاء قادوا مسيرة التطوير والتنوير في مصر والعالم الإسلامي أمثال: الشيخ جمال الدين الأفغاني، الإمام محمد عبده، الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي، الشيخ عبدالمجيد سليم، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت الذى منَّ الله على فضيلته بدراسة العلوم الشرعية في الأزهر الشريف ثم عمل به أستاذا ثم شيخا له.

وقد أدى فضيلته واجبه بصدق وإخلاص.. أسأل الله أن يجزيه عنا وعن تلاميذه خير الجزاء.

السادة أصحاب الفضيلة

السادة الحضور

لست بصدد الحديث عن الراحل الكبير المحتفى به، ولا عن إنتاجه الفكرى والعلمى فأنتم أفضل من يتحدث عنه في هذه الأمور.

ولكن أحب أن أشير إلى أننا نحن أسرة فضيلته نجد رأيناه في عيوننا نحن أولاده وأحفاده نعم الأب ونعم الجد.

ومن دواعي سرورنا وفخرنا اليوم أن نراه في عيون نخبة من خيرة علماء الأمة الإسلامية في احتفالية كبيرة كهذه.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الأزهر الشريف لم ولن ينسى رجاله وعلماءه على مر العصور.

وخير دليل على ذلك أن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ قد سن سنة حسنة غير مسبوقة وهي:

أنه لا يمر عام إلا ويذكر فيه مآثر علماء الأزهر الشريف الأجلاء الذين ساهموا في تطويره وأثروا الفكر الإسلامي.

وهو في ذلك يضرب المثل للأجيال الجديدة في تدعيم خصال الإخلاص والوفاء.

والله أسأل أن يمتع فضيلته بالصحة والعافية.

ويمتعنا بعلمه الغزير ويوفقه في أداء رسالته في خدمة الإسلام والمسلمين شيخا للأزهر الشريف وإماما للمسلمين.

السادة أصحاب الفضيلة

السادة الحضور

نحن أسرة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ يشرفنا ويسعدنا دائما أن نقرأ ونسمع مآثر فضيلته وسيرته في مختلف المحافل المحلية والإقليمية والدولية.

ولكم نسعد سعادة بالغة:

ـ عند إعادة أحاديثه عبر الأثير

ـ أو عندما يقع اختيار أحد الباحثين على موضوع بحث يتعلق بدراسة فكر فضيلة الشيخ الراحل لنيل درجة علمية مرموقة كالماجستير أو الدكتوراه.

ـ أو عندما يذكر اسمه ابتداءً بمجرد أن يدور الحديث في فلك التقريب بين مختلف المذاهب.

ـ أو حينما نقرأ في الصحف والدوريات مقالات ودراسات تبحر في فكر شيخنا الجليل.

كما يسعدنا كثيرا حينما يتصل بنا باحث مهتم بفكره وعلمه من مختلف دول العالم.

ولكن كانت السعادة الكبرى عندما علمت أسرة فضيلته بأن الأزهر الشريف متمثلا في نخبة من خيرة علمائه في العصر الحالي ومجمع البحوث الإسلامية، قد أعد رحلة في علم وفكر محمود شلتوت على متن سفينة أبحاث أزهرية يقودها فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف.

السادة أصحاب الفضيلة

السادة الحضور

نيابة عن أسرة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ نتوجه بالشكر كل الشكر لأزهرنا الشريف ولحضراتكم وللجميع من شارك في ذكر أعمال الشيخ الراحل الجليل باحثا أو دارسا أو ناشرا.

وختاما أسأل الله تعالى أن ينفعنا بعلم شيوخنا الأجلاء العظام جميعا.

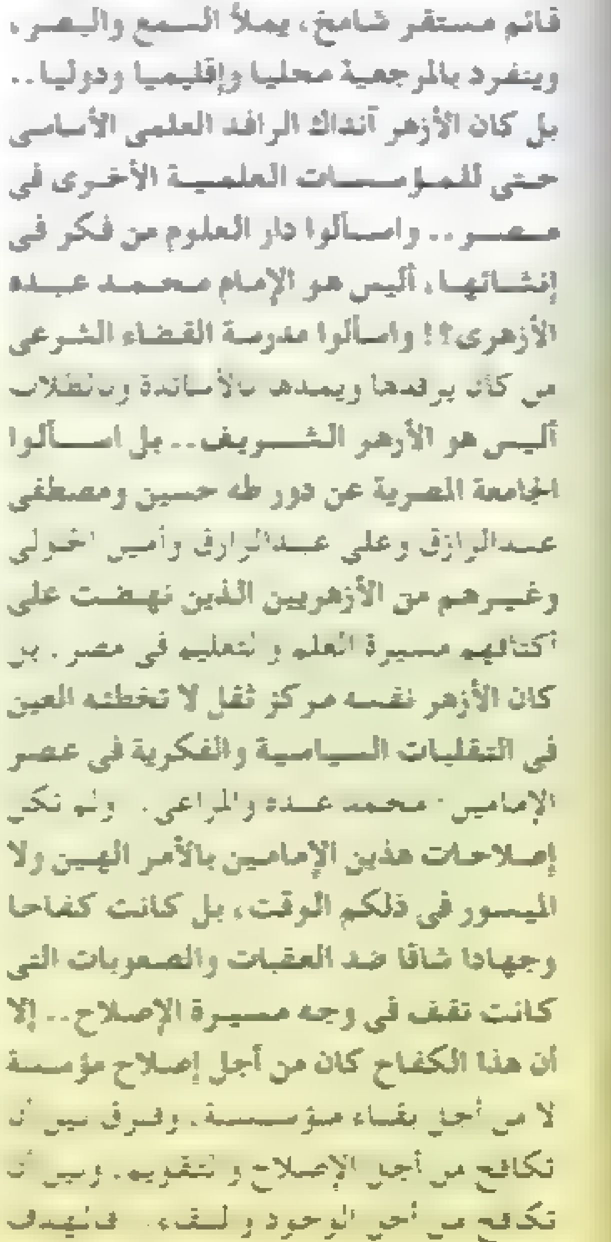
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأستاذ الإمام الشيخ محمود شلتوت إمامة فى العلم وعبقرية فى التجديد



ليس من شك فى أن هذه الكلمة المحدودة ـ زمنا ومساحة ـ لا يمكن أن ترسم معالم شخصية كبرى فى قامة الأستاذ الإمام الشيخ شلتوت، وأن قصارى ما تطمح إليه كلمة كهذه هو: العرفان بالجميل من جامعة الأزهر لإمام من أئمتها نفخر به، ونضعه فى قائمة الشرف العليا، وثالث ثلاثة مع الأستاذ الإمام محمد عبده والأستاذ الإمام المراغى، ورغم اختلاف الأزمان والحوادث والتقلبات السياسية والاجتماعية التى حاقت على حيوات هؤلاء الأئمة الثلاثة، لا يعييك أن تجد خيطا واحدا متصلا تشابهت عليه أقدار هؤلاء الشيوخ واجتهاداتهم، وتلاقت من حوله رسالاتهم فى تجديد الدين وتجديد الأزهر الشريف.. وإذا كان الأستاذ الإمام محمد عبده قد ثبت له فضل الريادة والارتياد، وكان الأستاذ المراغى امتدادا للإمام وتجذيرا لإصلاحاته المتعددة، فإن الأستاذ الشيخ شلتوت كان رجل المرحلة الصعبة الخطرة، التى مر بها الأزهر فى عهده، ووصل فيها إلى ما يشبه مفترق طريقين: طريق الموت والهلاك، وطريق الحياة والبقاء والصمود.. بل إن دور الأستاذ الإمام محمود شلتوت ربما كان أكثر خطرا وأشد حرجا من دور الإمامين: محمد عبده والمراغى، لأن هذين الإمامين كانا يبذلان الجهد والعرق والمشقة فى رعاية الأزهر وإصلاحه، والأزهر ثابت قائم مستقر شامخ، يملأ السمع والبصر، وينفرد بالمرجعية محليا وإقليميا ودوليا.. بل كان الأزهر آنذاك الرافد العلمى الأساسى حتى للمؤسسات العلمية الأخرى فى مصر.. واسألوا دار العلوم من فكر فى إنشائها، أليس هو الإمام محمد عبده الأزهرى؟! واسألوا مدرسة القضاء الشرعى من كان يرفدها ويمدها بالأساتذة والطلاب أليس هو الأزهر الشريف.. بل اسألوا الجامعة المصرية عن دور طه حسين ومصطفى عبدالرازق وعلى عبدالرازق وأمين الخولى وغيرهم من الأزهريين الذين نهضت على أكتافهم مسيرة العلم والتعليم فى مصر. بل كان الأزهر نفسه مركز ثقل لا تخطئه العين فى التقلبات السياسية والفكرية فى عصر الإمامين: محمد عبده والمراغى. ولم تكن إصلاحات هذين الإمامين بالأمر الهين ولا الميسور فى ذلكم الوقت، بل كانت كفاحا وجهادا شاقا ضد العقبات والصعوبات التى كانت تقف فى وجه مسيرة الإصلاح.. إلا أن هذا الكفاح كان من أجل إصلاح مؤسسة لا من أجل بقاء مؤسسة. والفرق بين أن تكافح من أجل الإصلاح والتقويم، وبين أن تكافح من أجل الوجود والبقاء، فالهدف



فى الحالة الأولى ثابت وواضح، بينما هو فى الحالة الثانية مترنح ومضطرب، وقد ترضى وأنت تكافح من أجل الوجود والبقاء بما تأباه وترفضه حين تكافح من أجل الإصلاح والتطور.

وإذا وضعنا فى الحسبان أن فضيلة الإمام الشيخ شلتوت تقلد منصب شيخ الأزهر فى ١٣ أكتوبر ١٩٥٨، وأن التحولات السياسية والأيدولوجية التى أحاطت بمصر بعد ذلك مباشرة، شكلت رياحا عاتية كادت تقتلع الأزهر من الجذور وتلقى به فى زاوية النسيان إلى الأبد، أدركنا كم كان دور هذا الشيخ، الذى جاءت به الأقدار لحماية الأزهر، بالغ الدقة والخطورة فى آن واحد.

والذى يتابع تاريخ الأزهر فى عهد هذا الشيخ العظيم فى بداية الستينيات، يدرك أن الشيخ كان يقاتل فى أكثر من جبهة: جبهة الحفاظ على الأزهر وثقافته فى وجه المد الشيوعى بكل مدارسه وفلسفاته ونظرياته والتى أرادت أو أريد لها أن تنزل إلى الأرض وأن تتوقف لتمارس تطبيقاتها وتغييراتها للناس والمجتمع والتاريخ. وهى فلسفات كانت تعلن فى وضوح عداءها للدين باعتباره أفيون الشعوب. هذا فضلا عن المؤامرة التى أفرزها المد الشيوعى، وأثرت كثيرا فى تحجيم رسالة الأزهر وقصرها على شئون العبادات فقط، أما الجوانب الاجتماعية فقد وكلت بها مؤسسات علمانية مؤقتة، ريثما يتعود الناس على نمط الفصل بين الدين والدنيا وبين العبادة والحياة الاجتماعية



وجبهة ثانية كان على الشيخ شلتوت أن يجاهد فيها هي جبهة الاحتفاظ بالأزهر في وجه محاولات ظنت أنها تستطيع أن تسحب البساط من تحت الأزهر والأزهريين لتضعها تحت منابر مستحدثة تخاطب المسلمين بحسابها المتحدث الرسمي عن الإسلام بديلاً عن الأزهر. وخيل للقائمين على أمر هذه المنابر أنهم قادرون على تحقيق هذه الأحلام الوردية، غير مدركين الفرق الهائل بين معهد علمي عريق يصنعه التاريخ على مدى أكثر من ألف عام، وبين صنعتها الأموال على مدى عقود تعد على أصابع اليد الواحدة.

وثمة مؤامرة استعمارية من نوع آخر واجهها الشيخ، كانت تطمح إلى إبعاد الشعوب الآسيوية والأفريقية الإسلامية عن القدوم إلى القاهرة والاتصال بالأزهر والدراسة في أروقته وجامعته، وصرفهم إلى مراكز أخرى.. ثم مؤامرة ثالثة تبشيرية أرادت طرد الأزهر من القارة الأفريقية ليخلو لها الجو في احتضان هذه القارة الثرية وجرها إلى مؤسسات دينية كبرى في الغرب. وكان الشيخ الإمام رحمه الله يعيش هذا الهم ليل نهار، وكان شعاره الذى يردده: «إن لم يكسب الأزهر أرضا جديدة في أفريقيا وآسيا فليحافظ على ما له في نفوس المسلمين هنا وهناك» وواضح من هذه العبارة التي تعكس من الأسى والشجى أضعاف ما تعكس من الأمل والرجاء كم كان الجو الذى عمل فيه الأستاذ الإمام خانقا ومربكا.

ولد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في ٢٣ من أبريل سنة ١٨٩٣ ببلدة منية بنى منصور – مركز إيتاى البارود، والتحق بمعهد الإسكندرية سنة ١٩٠٦ ثم نال شهادة العالمية النظامية عام ١٩١٨ وكان ترتيبه الأول على زملائه.. وقد عمل مدرسا بمعهد الإسكندرية ثم نقل بعد ذلك لفقهه وعلمه الغزير – إلى التدريس في القسم العالى بالأزهر ثم مدرسا للفقه الإسلامى بأقسام التخصص بالأزهر.. ثم فصل من الأزهر في ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٣١ بسبب آرائه الإصلاحية واشتغل بالمحاماة إلى أن أعيد إلى الأزهر وعُين وكيلا لكلية الشريعة.

وظل في منصبه إلى أن صدر القرار الجمهورى باختياره شيخا للأزهر في ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٥٨. وكانت وفاة هذا الشيخ الجليل والإمام المجدد في ديسمبر من عام ١٩٦٣م في ليلة الإسراء والمعراج من عام ١٣٨٣هـ.

●●●

أيها السادة العلماء!

إن شخصية الشيخ شلتوت شخصية بالغة الخصوبة والثراء. وقد يصعب على باحث واحد ارتياد آفاق هذه الشخصية وتجلية أبعادها، فهو فقيه، وهو مصلح ومجدد، وهو إمام راسخ القدمين في المعقول والمنقول. وهو بصير بمشكلات الأمة والتحديات التي تواجهها. ثم هو يعيش عصره ويقيمه على هدى من تراث شريعة الإسلام، يكافح الجمود كما يكافح الانفلات، ويراهما من أشد الأمراض والعلل التي تفتك بحيوية الإسلام وقدرته على مواكبة التطور وملاحقة التغير.

وقد مكنته ملكة الاجتهاد التي اكتسبها من مدرسة الإمام المراغى والإمام محمد عبده من الدفاع عن الإسلام في الداخل والخارج، وبخاصة في المؤتمرات الدولية الكبرى التي شارك فيها الإمام مثل مؤتمر لاهاى الذى عقد سنة ١٩٣٧ وكان موضوعه: «القانون المقارن»، وقدم فيه بحثا رائعا عن المسئولية المدنية، والمسئولية الجنائية، كشف عن نوع من المسئوليات لا تعرفه القوانين الغربية، بينما هو مسطور بدقة وتفصيل في كتب الفقه، ولقيت الشريعة في مؤتمر لاهاى اعترافا وتقديرا بالغين بسبب هذا البحث.

والمتأمل في اجتهادات الإمام لا يعييه أن يكتشف قوة ملكته الفقهية والأصولية في مختلف المذاهب والمدارس. لا يتوقف عند المذاهب الأربعة المعروفة، بل يتخطاها إلى مذاهب أخرى كالإمامية والزيدية وغيرهما باحثا عن الحق، ومن منطلق الدليل الذى لا يرضى به بديلا، وقد رفض الشيخ شلتوت الجمود المذهبى، وهدم قاعدة وجوب التمذهب بأحد المذاهب الأربعة في كلام طويل دقيق يضيق عنه هذا المقام، وقد طالعنا الإمام بفتاواه المتجددة حول قضايا حية شغلت المجتمع آنذاك، ولاتزل تشغله حتى يومنا هذا، مثل تنظيم النسل الذى قال بجوازه للسيدات اللاتى يسرع إليهن الحمل،





وتدوى الأمراض الوراثية. من ومن تضعف قواهم عن مواجهة المسئوليات.. ومثل موضوع ختان الإناث، الذى قال عنه: إن حكم الشرع فيه لا يخضع لنص منقول، وإنما يخضع فى الذكر والأنثى لقاعدة شرعية عامة، هى أن إيلام الحى لا يجوز شرعا إلا لمصلحة تعود عليه، وتربو على الألم الذى يلحقه، وقد انتهى إلى أن ختان الإناث ليس لدينا ما يدعو إليه وإلى حتمه لا شرعا ولا خلقا ولا طبا.

وثمة أمران يتجلى فيهما اجتهاد الشيخ الإمام، وأرى فيهما أنموذجا رائعا للتجديد الذى يكشف عن ثراء التراث وعقلانيته، كما يكشف عن عبقرية الشيخ فى فن توظيف التراث عبر الاجتهاد فى مواجهة المشكلات العصرية المتغيرة.

● **الأمر الأول:** هو طريق ثبوت العقيدة فى الإسلام، والذى انحاز فيه الإمام بقوة إلى أن الدليل العقلى الذى تسلمت مقدماته، وهو انتهى إلى الحس أو الضرورة هو الأصل الذى تبنى عليه العقائد فى الإسلام، وأن الدليل النقلى الذى يفيد اليقين فى هذا المجال يشترط فيه أن يكون قطعى الورود قطعى الدلالة، بمعنى أن يكون نصا ثبت بالتواتر وأن يكون نصا محكما لا يقبل التأويل ولا يحتمله بحال. [illegible] على ذلك أن كل المسائل العلمية والتى لم ترد بطريق قطعى، أو وردت عن طريق قطعى، ولكن [illegible] لأسباب حتمت فى دلالة. فاختلف فيها العلماء، ليست من العقائد التى يكلفنا بها الدين والتى تعتبر حدا فاصلا بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون [illegible] مدى [illegible] الإمام الأكبر الشيخ شلتوت من التراث استطاع أن يضرب -فى مقتل- كل [illegible] التى تحرص على التفرقة بين المسلمين، وتقسيمهم إلى مسلمين وغير مسلمين. وليس فى أيديهم من دليل على شرعية هذه [illegible] إلا [illegible] من أحاديث الآحاد، وهى بطبيعتها ليست قطعية الورود ولا قطعية الدلالة.

● **الأمر الثانى:** موقف الإسلام من غير المسلمين، ومتى يكون غير المسلم كافرا عند الله يستحق الخلود فى جهنم، وكثيرا ما كنت أفكر فى هذا الأمر حين كنت أنظر إلى جماهير الناس والطلاب فى [illegible] وكنت أسأل نفسى: كيف نحكم على هؤلاء الغافلين بالكفر، وهم لا يعلمون شيئا عن الإسلام؟! وإذا علموا عنه شيئا فهو الصور المشوهة التى لا يعرفون غيرها [illegible] حياتهم لا تترك لهم وقتا للتأمل والتفكير والبحث عن العقائد [illegible] وقد شغلنى هذا التفكير كثيرا إلى أن وجدت الإجابة فى كتاب: الإسلام: عقيدة وشريعة للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، وهو يتحدث عن الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، وجدته يقول[٢]: «إن الحكم بكفر الشخص عند الله فيما يتوقف على أن يكون إنكاره لعقائد الإسلام أو لشىء منها بعد أن بلغته على وجهها الصحيح، واقتنع فيما بينه وبين نفسه، ولكنه أبى أن يعتنقها ويشهد بها عنادا، واستكبارا، أو طمعا فى مال زائل أو جاه زائف، أو خوفا من لوم فاسد ثم [illegible] فى عبارات تستحق أن تكتب [illegible]: «فإذا لم تبلغه تلك العقائد، أو بلغته بصورة منفرة، أو صورة صحيحة ولم يكن من أهل النظر، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق إليها، وظل ينظر ويفكر طلبا للحق حتى أدركه الموت فى أثناء نظره فإنه لا يكون كافرا يستحق الخلود فى النار عند الله». ثم يختم هذه النظرات الثاقبة بقوله: «ومن هنا كانت الشعوب النائية التى لم تصل إليها عقيدة الإسلام، أو وصلت إليها بصورة سيئة منفرة، أو لم يفقهوا حجته مع اجتهادهم فى بحثها – بمنجاة من العقاب الأخروى للكافرين، ولا يطلق عليهم اسم الكفر».

وأغلب الظن أن فضيلة الإمام الأكبر كان يستلهم بعبقريته الفذة روح التراث ومقاصده، فقد وجدنا بعض إشارات فى كتب الكلام والأصول مكنت الشيخ من [illegible] هذا الرأى، والذى يشهد للإسلام بالموضوعية والإنصاف لغير المسلمين..

ولعل هذا ما أشار إليه «الآمدى» بقوله: «وإن شرع المكلف فيما كلف به من النظر فى معرفة الله تعالى، من غير تأخير، لكن اخترمته المنية قبل انقضاء الزمان الذى يتسع للنظر المؤدى إلى المعرفة فحكمه حكم من مات صبيا».

أيها السادة:

هذا مثال من عشرات الأمثلة على عبقرية الإمام محمود شلتوت واجتهاده وحجيته فى المنقول والمعقول، والتى تحتاج إلى دراسات عديدة لتجليها، وبخاصة ما يزخر به كتابه الخالد «الإسلام. عقيدة وشريعة»، والذى طبع تسعا وعشرين مرة، وأتمنى لو أن هذا الكتاب أصبح مقررا إجباريا على كل طلاب جامعة الأزهر، كما أتمنى لو أنه يترجم إلى كل اللغات الحية التى تتحدثها شعوب العالم المعاصر.

وفى ختام كلمة الجامعة أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان بالجميل لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى – شيخ الأزهر الشريف – على لفتاته الكريمة وعلى هذا الوفاء الكبير لإخوانه من شيوخ الأزهر السابقين.. ونسأل الله تعالى أن يمتعه بطول البقاء ومزيد الصحة والعافية.. وشكرا للسادة القائمين على إعداد هذا المؤتمر.

وشكرا لحسن استماعكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) الإمام الأكبر الشيخ شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة ٦٥ الصفحة ٢٩ [illegible]

(٢) [illegible]





فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله مفسرا



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه

١) هناك علماء منحهم الله - عز وجل - الإيمان الصادق، والعلم النافع، والقلب السليم، والعقل المستنير، والدفاع عن شريعة الإسلام بأسلوب حكيم، وبحجة تقنع.

﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾

(ق ٣٧)

وعلى رأس هؤلاء العلماء في العصر الحديث الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله وطيب ثراه.

فقد كان - رحمه الله - إلى جانب رسوخه في العلوم الشرعية واللغوية - حافظا للقرآن الكريم، وفاقها للسنة النبوية المطهرة .

ومن مؤلفاته في تفسير القرآن الكريم كتابان لهما مكانتهما العالية في هذا العلم.

[illegible] الكريم» وعدد صفحاته تقارب سبعمائة صحيفة وقد تم طبعه بمطابع دار القلم سنة ١٩٦٠م.

وقد ختمه بقوله: «وبعد فختم هذه الجولة في كتاب الله، بالدعاء الذى علمنا إياه رسول الله ﷺ «اللهم إني عبدك وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور بصرى، وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، اللهم آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وهذا الكتاب النفيس تناول تفسير لأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم

وثانيهما بعنوان: «من هدي القرآن الكريم» وعدد صفحاته ثلاثمائة وستون صحيفة وطبع بدار الكتاب العربي سنة ١٩٦٨م.

وفي هذا الكتاب تناول فضيلته تفسير خمس وعشرين سورة مجملة. ثم أتبعها بأكثر من ثلاثين موضوعا، جعل عنوانها: «منهج القرآن في بناء المجتمع» تحدث فيها عن:

- مكانة العلم في نظر القرآن
- أساليب القرآن في الدعوة إلى الإنفاق
- القرآن وعلاقة الرجل بالمرأة .... إلخ

٢) وفي هذا الكتاب الثاني وضح فضيلته الطريقة التي يرتاح إليها في تفسير القرآن فقال تحت عنوان «الطريقة المثلى في تفسير القرآن»

لتفسير القرآن الكريم طريقتان:

إحداهما: أن يسير المفسر بتفسيره مع آيات الذكر الحكيم وسوره على الترتيب القرآني المعروف، فيفسر المفردات، ويربط بين الآيات، ويبين المعاني التي تدل عليها.

وهذه هي الطريقة التي عهدها الناس منذ كان التفسير وكان المفسرون، ومن مظاهرها: اختلاف طرق التفسير باختلاف روح المفسرين.

فمن غلبت عليه روح العلوم البلاغية عني في تفسيره بإعراب الكلمات وتصريفها....

ومن غلبت عليه الروح التاريخية، عني بالقصص والأخبار...

ومن غلبت عليه الروح الفلسفية، حبب إليه البحث في الكائنات..

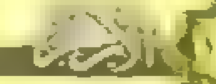
ومن غلبت عليه روح الجدل الكلامي أو الفقهي، تأثر تفسيره بما غلب عليه.......

وبهذه الأساليب المختلفة، المتأثرة بهذه الاتجاهات المتعددة، صعب على الناظر في هذه التفاسير، أن يجد هداية القرآن على الوجه الذي يطمئن إليه قلبه، ويشق له طريق الحياة، ويلهمه الرشد والسداد.

ولقد نجم عن هذه الطريقة، أن عدل ببعض الآيات عن معانيها وأغراضها التي سيقت لها، وكثيرا ما تفسر الآية على مقتضى القواعد الأصولية التي استخلصها أرباب المذاهب من الفروع الفقهية، واتخذوها أصولا تحاكموا إليها في فهم القرآن والسنة واستنباط الأحكام.

ولم يقف ذلك عند التشريع وآيات





الأحكام: بل تعدى إلى العقائد وآراء الفرق، فتراهم يقولون: هذه الآية لا تتفق ومذهب أهل السنة فهي مؤولة بكذا وكذا.

كما يقولون هذه الآية وتلك الآيات لا تتفق ومشروعية القتال فهي منسوخة.

وهكذا صار القرآن فرعا بعد أن كان أصلا، وتابعا بعد أن كان متبوعا، وموزونا بغيره بعد أن كان ميزانا.....

وهذه النكسة التي أصيبت بها علاقة القرآن بالفقه والعقائد، كانت سببا في حدوث فوضى فكرية فيما يتصل بالقرآن ومعاني القرآن....

أما الطريقة الثانية فهي: أن يعمد المفسر أولا إلى جمع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع؛ وبذلك يضع كل شيء موضعه، ولا يُكره آية على معنى لا تريده. كما لا يغفل عن ميزة من مزايا الصوغ الإلهي الحكيم.

وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى، وخصوصا في التفسير الذي يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة، يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مُثل واقعية، فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية، ويتصل بحياتهم من شئون.

وهذه الطريقة تمكن المفسر من علاج موضوعات علمية كثيرة، كل موضوع منها قائم بنفسه، ولا يختلط بغيره، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية.

وهذه الطريقة التي رسمناها، تضع المفسر أمام الموضوع الذي يريد أن يعالجه وجها لوجه، وإن أقوم تفسير للقرآن: هو ما استقاه المفسر من القرآن نفسه.

٣) والذي يقرأ ما كتبه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ في تفسير القرآن الكريم يراه قد سلك منهجا حكيما من أهم معالمه ما يأتي:

أولا:

بيان المقاصد الإجمالية للسورة التي يراد تفسيرها

فمثلا عند تفسيره لسورة البقرة تراه يقول: «وسورة البقرة من أجمع سور القرآن، فقد احتوت على أصول العقيدة وعلى كثير من أدلة التوحيد، ثم وجهت عنايتها إلى أمرين اقتضت الإفاضة فيهما حالة المسلمين التي صاروا إليها بالهجرة من مكة إلى المدينة.

أحدهما: أن المسلمين تركزوا جماعة مستقلة لأول دخولهم المدينة، فبنى لهم النبي ﷺ مسجده ليؤدى فيه مع المسلمين الصلوات المفروضة، ويكون بمثابة ندوة جامعة لهم، فيه يتعلمون وفيها يتشاورون، وفيها يتحاكمون، وآخى النبي ﷺ في الوقت نفسه بين المهاجرين والأنصار......

ثانيهما: أنه قد صار لهم جوار في المدينة غير جوارهم في مكة، جاوروا أهل الكتاب من اليهود، بعد جوارهم للمشركين في مكة....

وبهذين الأمرين نجد السورة تهدف في جملتها إلى غرضين هما:

توجيه الدعوة: إلى بني إسرائيل ومناقشتهم فيما كانوا يثيرون حول الرسالة المحمدية من تشكيك وشبه، وفي سبيل ذلك أخذت تذكرهم بنعم الله على أسلافهم، وبما انتاب هؤلاء الأسلاف حينما التوت عقولهم....

واقرأ في ذلك من أواخر الربع الثاني، من قوله ـ تعالى ـ

﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾

(البقرة: ٤٠)

إلى قوله تعالى

﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾

(البقرة: ١٧٦)

وهذا هو الغرض الأول الذي استدعاه جوار المسلمين لأهل الكتاب.

أما الغرض الثاني: فهو التشريع الذي اقتضاه تكون المسلمين جماعة متميزة عن غيرها في عباداتها ومعاملاتها وعاداتها.

وقد ذكرت سورة البقرة من ذلك القصاص، والصيام، والوصية، والاعتكاف، والأهلة، وأكل أموال الناس بالباطل...

وذكرت الحج والعمرة، والخمر والميسر، والطلاق، والعدة، والرضاع، والإنفاق والإيمان، وطرق الاستيثاق في الديون.....

وبذلك يزكي آخر سورة البقرة أولها، ويؤسس أولها لآخرها، وتصير السورة كتلة واحدة...

ثم يكون الختام الأخير تعليم المؤمنين دعاء من شأنه أن يغرس في نفوسهم، سنة الله في التشريع لهم وبناء أحكامه على اليسر ورفع الحرج....

ومن شأنه ـ متى أخلصوا ـ أن يأخذ بأيديهم إلى حياة سعيدة سهله ميسرة، وييسر لهم وسائل المغفرة والنصرة:

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

ثانيا:

الترجيح بين الأقوال

وهذا الترجيح بين الأقوال التي قالها المفسرون نراه في كثير من الآيات التي قام بتفسيرها الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه الله وطيب ثراه.

فمثلا عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾

(المائدة ٥)

نراه يقول ما ملخصه:

أخذ الجمهور هذه الآية على عمومها، وأباحوا التزوج من أهل الكتاب.... وذهب جماعة من السلف إلى أن أهل الكتاب قد غيروا وبدلوا...... فهم بذلك والمشركون سواء في العقيدة، فيحرم الزواج بالكتابيات كما يحرم بالمشركات...

وتناولوا الآية بوجوه أقربها أنها رخصة في الوقت الذي نزلت فيه....

ثم يقول ـ رحمه الله: والذي نراه في المسألة أنه ليس في الآية ما يدل على أنه رخصة، ولا نعلم في الشريعة ما يدل على أنه رخصة.

والآية دلت على الإباحة المطلقة ولم تقيد بوقت خاص، ولا حالة خاصة، وعلى هذا يكون القول بحرمة التزوج من نسائهم وفقا لحكم الآية أو نسخا لها، قول بغير دليل.

ثم يقول ـ رحمه الله ـ: نعم إن ما نراه اليوم في بعض المسلمين من رغبة التزوج بنساء الإفرنج لا لغاية سوى أنها إفرنجية.. ثم يضع بدين نفسه وأولاده ومعيشته تحت تصرفها ورأيها...... فتذهب بأولاده كما تشاء إلى الكنيسة، وتسميهم بأسماء قومها كما تشاء... وغير ذلك مما لا يعرفه الإسلام ولا يرضاه، ومما يعتبر الرضا به والسكوت عليه كفرا وخروجا عن الملة والدين....

إن ما نراه من كل ذلك عكس للقضية، وقلب للحكمة التي أحل الله لأجلها الزواج من الكتابيات.. ثم يقول ـ رحمه الله: ألا وإن انحلال الكثرة الغالبة ممن يميلون إلى التزوج بالكتابيات، للمعاني التي أشرنا إليها. لما يوجب الوقوف أمام هذه الإباحة التي أصبحت حالتنا لا تتفق والغرض المقصود منها ...

وهذا معنى تشهد به كليات الدين، وقواعده التي يتجلى بها شدة حرصه على حفظ شخصية الأمة الإسلامية، وعدم انحلالها وفنائها في غيرها...

ومثال آخر من ترجيح فضيلته ـ رحمه الله ـ للأقوال: نراه عند تفسير قوله ـ تعالى.

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾

(الأعراف ٤٦)

يقول: وقد تكلم العلماء في هذا المقام كثيرا. تكلموا في الحجاب الذي بين الجنة والنار، وتكلموا في الأعراف ورجاله. وكان لهم آراء في ذلك آراء وصلت فيما كتب المفسرون إلى اثني عشر قولا.

فمن قائل: إن الحجاب الذي بين الجنة والنار، أو بين أهليهما، هو السور المذكور في سورة الحديد

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾

(الحديد ١٣)

ومن قائل: إن رجاله هم: الملائكة، أو الأنبياء... أو أهل الفترة، أو الذين استوت حسناتهم مع سيئاتهم... إلى غير ذلك من الأقوال التي نراها في كتب التفسير.

ثم يقول: رحمه الله ـ: والذي يجب أن نقف عند حدوده، أن هناك حجابا بين الجنة والنار. قد يكون ماديا. وقد يكون معنويا. والله أعلم بحقيقته.....

وليس أصحاب الأعراف ممن تساوت حسناتهم وسيئاتهم كما جاء في بعض الأقوال. لأن ما نسب إليهم من الأقوال لا يتفق مع انحطاط أقوالهم عن أهل الجنة...

انظر قولهم للمستكبرين:

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(الأعراف ٤٨)

فإن هذا الكلام لا يصدر إلا من أرباب المعرفة الذين اطمأنوا إلى مكانتهم...

ولذلك أرجح أن رجال الأعراف، هم عدول الأمم. والشهداء على الناس. وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام. . .

ثالثا:

ابتكار المعاني الدقيقة التي استقاها من هدى القرآن الكريم

ومن أمثلة ذلك أنه ـ رحمه الله ـ عند تفسيره للآيات التي تبدأ بقوله ـ تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾

(الإسراء ٣٣)

وبالآيات التي تبدأ بقوله ـ سبحانه:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الأنعام ١٥٢)

نراه يقول: «وكثيرا ما يتعلق النهي في القرآن بالقربان من الشيء، وضابطه بالاستقراء: أن كل



منهي عنه. ولكن من شأنه أن تميل إليه النفوس. وتندفع إليه الأهواء. جاء النهي فيه عن القربان. ويكون القصد التحذير من أن يأخذ ذلك الميل في النفس مكانة تصل بها إلى اقتراف المحرم......

ومن ذلك قوله ـ تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾

(الأنعام: ١٥١)

وقوله ـ سبحانه.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء: ٣٢)

وقوله ـ عز وجل

﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾

(البقرة: ٢٢٢)

أما المحرمات التي لم يؤلف ميل النفوس إليها. ولا اقتضاء الشهوات لها، فإن الغالب فيها أن يتعلق النهي فيها بنفس الفعل لا بالقربان منه......

ومن أمثلة ذلك قوله ـ عز وجل

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾

(الإسراء: ٣١)

وقوله ـ سبحانه:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (الأنعام: ١٥١)

فهذه المحرمات وإن كان الفعل المنهي عنه فيها أشد قبحا، وأعظم جرما عند الله، من أكل مال اليتيم، ومن فعل الفواحش، إلا أنها ليست ذات دوافع نفسية يميل إليها الإنسان بشهوته، وإنما هي في نظر العقل على المقابل من ذلك، يجد الإنسان في نفسه مرارة من ارتكابها. ولا يقدم عليها إلا وهو كاره لها. أو في حكم الكاره.

ومن هنا يظهر السر البلاغي الحكيم في مجيء النهي عن الشرك وأمثاله، متعلقا بنفس الفعل. ومجيء النهي عن الزنى وعن الفواحش، متعلقا بالقربان منهما..

وعلى أساس من هذه النظرة الفطرية. أو التي تشبه أن تكون فطرية، تستطيع إدراك الحكمة في المغايرة بين أسلوبي النهي في الحالين.

رابعا:

ميله إلى التقليل من القول بالنسخ

يدل على ذلك أنه ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

نراه يقول ما ملخصه: وهذه الآية ترسم للرسول ﷺ طريق معاملته للخلق على وجه يقيه شر حرج وضيق الذي كان يتعرض له من جراء موقفهم منه ومن دعوته، وتأمره بهذا الدستور الخلقي العظيم

وهو توجيه وأمر إلى كل من يخلفه في الدعوة إلى الله، تأمره باللين وترك الغلظة. وتأمره بالعفو وأن يأخذ من الناس السهل اللين، ولا تكلفهم ما لا يطيقون. ولا تحرجهم فيما لا يستطيعون.

وترشده إلى الأمر بالعرف، بما تتعارف عليه العقل والشرع، وتأمره بالإعراض عن الجاهلين فيما يبدر منهم من أنواع السفاهة والإيذاء، وهذا هو شأن الرسول ﷺ

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾

(الفرقان: ٧٢)

ثم قال فضيلته: وهذه الآية على قصرها تشتمل ـ كما قال العلماء ـ على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع أخيه الإنسان، وإنها سبيل لكل ما تقتضيه الإنسانية الفاضلة لأصحابها الأبرار

ولا يعرف معنى المبادئ الخلقية من يرى أن هذه الآية ومثيلاتها مما نسخته آيات القتال



خامسا:

دفعه للشبهات التى أثيرت حول مشروعية القتال فى الإسلام بأسلوب منطقى حكيم

تتبع فضيلته شبهات خصوم الإسلام الذين يزعمون أن الإسلام قد انتشر بالسيف، وكان مما قاله فى الرد على هؤلاء الخصوم...

«إن حقيقة الإيمان ترجع دون منازعة أحد، إلى الإذعان القلبى، والاطمئنان إلى حقيقة من الحقائق بحيث لا يقترب منها شك، فإذا وجد هذا المعنى فى القلب، وجد الإيمان وتحقق، وإذا لم يوجد لم يتحقق الإيمان.

ولا ريب أن الإكراه ليس له سلطان على القلوب، وإنما سلطانه على الجوارح والظواهر والأعمال.

وفضلا عن ذلك فإن القرآن قد صرح فى آيات متعددة بأن الإكراه لا يكون فى الدين، ومن هذه الآيات قوله ـ تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

ومنها قوله ـ سبحانه:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

ثم يقول ـ رحمه الله ـ بقى أن بعض الخصوم تمسك بقوله ـ تعالى ـ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة: ١٢٣)

وزعموا أن الدين الإسلامى يأمر بقتال الكفار عامة، حتى لا اعتداء منهم أو يحصل حتى يؤمنوا ويدينوا بالإسلام

وكما تمسكوا بظاهر هذه الآية، تمسكوا بحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[1] والواقع أن الآية ليست واردة فى بيان سبب القتال، وإنما جاءت إرشادا لخطة حربية عملية يجب أن يترسمها المسلمون عند نشوب القتال المشروع، فهى ترشدهم إلى وجوب البدء عند تعدد الأعداء بقتال الأقرب فالأقرب، عملا على إخلاء الطريق من الأعداء المناوئين، وتسهيلا لسبل الانتصار، وهذا المبدأ الذى قرره القرآن من المبادىء التى تعمل بها الدول المتحاربة فى العصر الحديث...

وأما كلمة «الناس» فى الحديث الشريف، فالمراد بها هؤلاء المشركون أو الكفار الذين

(1) صحيح البخارى، كتاب الإيمان ١٧، صحيح مسلم الإيمان ٢٢

أن تحت شريعة الإسلام قتالهم.

وبذلك اتفقت الآيات بعضها مع بعض، واتفقت مع الحديث الشريف وسقط ذلك الزعم الباطل.

سادسا:

اهتمامه بتحديد المفاهيم وتحرير المعانى، ووضع الكلمات فى مواضعها الصحيحة

ومن الأدلة على ذلك أننا نراه عند تفسيره لكلمة فى سبيل الله يقول: كلمة «فى سبيل الله» وردت كثيرا فى القرآن الكريم، وهى فى الأصل بمعنى الطريق المعبد، وتستعمل فى الخير، وتستعمل فى الشر، ومنه: سبيل المجرمين.

وتضاف إلى الله وإلى المؤمنين. فيقال: سبيل الله، وسبيل المؤمنين، وهى حينئذ تلتقى بمعناها مع كلمة «الصراط المستقيم» وكلاهما بمعنى ما رسم الله ـ تعالى ـ لعباده من الإيمان بالحق والدعوة إليه، وعمل الخير والحث عليه.

فإعلاء كلمة الحق، ونشر دعوة الإسلام، من سبيل الله.

ودفع الأعداء إذا ما هددوا أمتنا، أو أغاروا على حقوقنا.... من سبيل الله.

وإقامة العدل فى الأحكام، ورد الأمانات إلى أهلها... من سبيل الله

والعمل على مصالح الأمة، بإنشاء دور العلم والمستشفيات، ودور الصناعة، التى تتوقف عليها حياة الأمة ورقيها، وتحقق اكتفاءها بنفسها.. من سبيل الله.

وحفظ أموال الأمة، وعدم التهاون فيها، وإنفاقها فى كل ما يصلحها... من سبيل الله.

وعلى العموم، فسبيل الله عبارة عن تأييد الحق، وإحلال الخير والصلاح، محل الشر والفساد، ووضع العدل والرحمة، موضع الظلم والقسوة... من سبيل الله.

وكما حث القرآن الكريم على اتباع سبيل الله، وعلى الدعوة إليه، توعد بالعذاب الشديد من صد عنه فقال:

﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾

(الأعراف: ٤٤، ٤٥)

هذا ولا نعرف لكلمة «سبيل الله» فى القرآن الكريم معنى غير البر العام، والخير الشامل.. ومن الغريب أن أكثر الناس مع وضوح إرادة العموم فيها، حملوها على خصوص منطق الحج، أو منطق الغزاة...

ولا نرى لهذا التخصيص من باعث سوى اعتبارات لا تنهض دليلا على التخصيص.

سابعا:

تفصيله القول فى تفسير الآيات التى تحتاج فى تفسيرها إلى هذا التفصيل

ومن الأدلة على ذلك أن فضيلته بعد أن فصل القول فى مقاصد سورة



«الأنعام» في أربعين صفحة في «وبعد» فهذه هي سورة الأنعام في جملتها وفي أسلوبها، وفي مقارنتها بسواها، وفيما امتازت عن غيرها.

فلنأخذ في تفسير ما أردنا تفسيره من آيات هذه السورة، وهي آيات «الوصايا العشر» التي بها الربع الأخير منها، وهي قوله - تعالى -

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ۝ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ۝ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾

(الأنعام: ١٥١-١٥٣)

ثم أخذ فضيلته بعد ذلك في تفسير هذه الآيات الثلاث في أكثر من خمسين صفحة، تحدث فيها عن هذه الوصايا العشر ومكانتها في الإسلام، وعن محبتها بأسلوب السورة تلتقى «قل» كنتائج بعد المقدمات، وعن هديها الجامع بأسلوب بارع، وعن أن التسرفق في الخطاب أولى في الموعظة، وعن أن توجيه الدعوة باسم الربوبية من بواعث قبولها...

ثم أخذ فضيلته بعد ذلك في تفسير هذه الآيات تفسيرا مفصلا جامعا بين المعاني اللغوية والشرعية والبلاغية والاجتماعية والأصولية والتاريخية، بأسلوب منطقي حكيم، وبحجة دامغة، وبألفاظ مشرقة، وببراهين ساطعة تقنع كل ذى قلب سليم.

ثم يقول فضيلته في الوصية العاشرة: «إن الوصية العاشرة، فهي الوصية العامة التي تتناول جميع أحكام الله وشرعه، وقد أطلق الله فيها على دينه وشرعه: كلمة «الصراط المستقيم» وقال:

﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

وشرع الله ودينه، وحدة قائمة في الوجود، متميزة بذاتها وحكمها وأسرارها..

ثم ختم فضيلته تفسير هذه الآية الكريمة بقوله:

«وبعد، فهذه هي الوصايا العشر، تضع أساس العقيدة في توحيد الله - عز وجل -

وتبنى الأسرة على أساس من الخلق المتصل بالإحسان إلى الوالدين.

وتحفظ الاجتماع بحرمة الأنفس والأعراض والأموال والنظام العام....

ثم تربط التقوى العامة المطلقة التي هي منبع كل خير، وسبيل كل فلاح، باتباع صراط الله المستقيم.

فاللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

وبعد

فهذا جانب من المنهج الذى سلكه الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله وطيب ثراه - في تفسيره للقرآن الكريم، وهو جانب واضح المعالم، مشرق البيان، يدل على أن كاتبه كتبه بروح العالم المتمكن، المخلص في دفاعه عن دينه، القوى في رده على شبهات الضالين، وعلى تأويل الجاهلين.

ندعو الله - تعالى - أن يجعل شيخنا الجليل الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.



فضيلة الأمين العام يتحدث بينما يلقى فضيلة الإمام الأكبر حديثه



مع الإمام محمود شلتوت في إحدى فتاواه



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فمن حق شيوخ الأزهر علينا عبر الزمن أن نذكر فضلهم، ونتحدث عن عملهم، ونبين عن تميزهم وموسوعيتهم فيما حباهم الله به من أسلوب حكيم في الدعوة إلى الله، ونشر للإسلام، وعناية بالمسلمين، وسعي حثيث للتواصل الحضاري، والتبادل الثقافي، والتعاون العلمي بين الأزهر وبين جامعات العالم من جهة، وبين الأزهر وبين مسلمي العالم من جهة ثانية، وبين الأزهر وبين المؤسسات الدينية والخيرية في العالم من جهة ثالثة.

وإذا كنا الآن بين يدي علم من أعلام شيوخ الأزهر السابقين وهو الإمام محمود شلتوت فعمّ نتحدث؟

هل نتحدث عن سمو أسلوبه الأدبي روعة وبلاغة؟

أم عن موسوعيته في الفقه والأصول والتفسير والحديث والدعوة والثقافة والحضارة الإسلامية والتاريخ وفقه اللغة والأخلاق والسياسة والاجتماع؟

أم عما حباه الله من تميز في الصوت حيث كان محببا لسامعيه كما كان محببا لمحدثيه.

لقد كان شيخنا الجليل علما من أعلام الاجتهاد بهذه الموسوعية، وقد آتاه الله من ورع الفقيه، وتبحر العالم، وبصيرة الداعية، وشجاعة المؤمن، وبلاغة الحكيم، وبما حباه من تمكن في لغة الخطاب العلمي، واقتدار في مخاطبة القلب والعقل والعاطفة، وجرأة في تفنيد الفكر على من يجترئ على الفتوى دون علم أو فقه أو ثقافة، مع النعي على من ينخدعون بهم، أو يتأثرون بأباطيلهم.

لقد أرانا فضيلته كيف ينبغي أن يكون العالم والمفتي موسوعياً وذا خبرة وعلى بصيرة مما يعلمه أو يفتي فيه

ومع الأعلام وشيخنا الجليل واحد منهم وتراثه العلمي غزير وجليل لا أستطيع له استيعاباً وحسبي أن أنتقي واحداً من كتبه: هو كتاب الفتاوى «دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة».

بل موضوعاً من موضوعات هذا الكتاب.

هو موضوع أو فتوى موضوع الحرمات من الميراث، بما يتلاءم مع وقت الاحتفالية. فهي قطرة الماء من البحر المحيط !!

لقد كان شيخنا الجليل علما فيما اشتهر به من التفسير والحديث والفقه والأصول والبلاغة والأدب والتاريخ والحضارة والاجتماع والأخلاق.. إلخ.

أجل أريد أنه كان كذلك علما فيما لم يشتهر به. كان علما في تخصص العقيدة والفلسفة:

كنت طالبا في الدراسات العليا بكلية أصول الدين شعبة العقيدة والفلسفة وكان عليّ بعد النجاح في الامتحان التحريري أن أتسلم ورقة التعيين للامتحان الشفهي من مكتب وكيل الأزهر كان آنذاك الشيخ/ محمد نور الحسن، على أن يكون الامتحان في مكتبه بعد أربعة أيام من تسلم التعيين

كانت اللجنة في هذا الوقت تتكون من أستاذين من كلية الطالب وأستاذ من كل كلية أخرى.

كانت اللجنة تتكون من أستاذين من كلية أصول الدين وأستاذ من كلية الشريعة وأستاذ من كلية اللغة العربية.

ورئيس اللجنة وكيل الأزهر

وكان شيخ الأزهر آنذاك (١٩٦٢م) هو صاحب الاحتفالية الإمام محمود شلتوت.

وفوجئت - بعد بدء الامتحان بفترة - بتشريف فضيلة الإمام للجنة وتوليه رئاستها وكان هذا هو التقليد إذا سمح الوقت لفضيلته

وسلمته اللجنة الخماسية مقاليد الحوار والمناقشة، وأحاط علمه بالتعيين وشاركوا جميعا في الحوار والمناقشة لكن القدح المعلى كان للشيخ الجليل الذي أمر بعد أن أخذ النقاش حقه، واجتاز الاختيار شقته، أمر فضيلته بإحضار براد الشاي من الفيشاوي مع كئوس سبعة وتفضلوا فأعطوني واحداً منها وكان هذا يعني نجاحي في الامتحان الذي شرفني الله فيه بهذه اللجنة السداسية وبرئاسة

لمعضلة الأمانة الراحل الجليل لدى شرفني الله بموسوعيته في العام الأول للدراسات العليا في العقيدة والفلسفة كما شرفت بتوسعته في الفقه والأصول.

ومترى جانبا من موسوعيته العلمية وحرفته الفقهية حين نرى

كيف عالج القضية؟

وكيف أجاب عن السؤال؟

وكيف أضاف في الإجابة ما لا بد من إضافته؟

ولله من وراء القصد.

فتوى المحرومين من الميراث

وكما أنه في فتاواه؛ سيما في فتوى المحرومين من الميراث، نفذت بصيرته من خلال سطور المستفتي يستنطقها أن تصوره له كأنما يراه رأي العين، فيسطر به يكتب - لا بالمداد العادي - وإنما بما استهل به فضيلته فتواه بقوله[1]:

بدموع من غيظ شديد كتب يقول:

توفي والدي عني وعن أخ لي وأخوات، وفوجئت في الوجود بأنه كتب لأخي جميع ما يملك، بطريق البيع الصوري، وكان هذا قبل وفاته بأربع سنوات. ثم حدث فضيلته - بإجمال - عن أثر هذه المفاجأة، وكيف أنها كانت مأساة فادحة، عصفت برابطة الأخوة، ولعصفت ما كان يسعى أن يقوى ويتنامى بين أبناء الأسرة الواحدة، من عفة والمحبة، والرحمة والصلة. وقد هز قلب من كثير ممن يشكون من الشكوى من سوء سلوك الآباء الذين يتخضعون في حرمان بنيهم أو بناتهم من الميراث لزوجة مسيطرة، أو أبناء مكرة؛ وأنه كم من الجرائم التي ترتكب كثيرة تعود إلى هذا السلوك المشين الذي ينحرف به بعض الآباء عن مواجب أبوتهم أي يظلم من حرموهم من أبنائهم وبناتهم لحساب بعض آخر، مع أن الكل يتساوون في الانتساب إلى هؤلاء الآباء، والذي ينحرفون به أيضا عن تطبيق أحكام الله في تركاتهم بعد أن فرضها عليهم؛ ووصاهم أشد التوصية بها. وعلمهم حكمة تشريعها وحذرهم من مغبة التغافل عنها، والتعدي لحدود الله فيها، والذي يهربون به من مسئولياتهم كآباء أي في الحفاظ على الرباط الأسري، والقرابة اللاحمة.

ثم قال فضيلته

وها أنا ذا أعرض آثار تلك الجريمة. وأبين حكم الله في الميراث وحكم رسوله في تفضيل بعض الأبناء على بعض، كيما يعرف الآباء مدى ما يقترفون في حق إيمانهم، وأسرهم ومجتمعهم. إذ أن بين الأسرة والمجتمع ترابطا في القوة والضعف. وإن القرآن الكريم عني أيما عناية بالأسرة سواء من جهة حث الأبناء على بر الآباء والإحسان إليهم، أو من جهة تربية الآباء للأبناء ووجوب العدل بينهم والعطف عليهم، وقد أكثر القرآن من وصية الفريقين أحدهما بالآخر.

(1) ص ٢٣٠-٢٤١ من كتابه (الفتوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة) ط دار الشروق، ط ٦

توصية القرآن للآباء في الميراث

ولئن شاع أن القرآن الكريم كان أكثر عناية بحث الأبناء على بر الآباء - على أساس أن الأبناء قد تشغلهم دنياهم المقبلة عن حياة آبائهم المدبرة، لقد نبه فضيلته إلى أن القرآن كان حفيا بتوصية كل من الآباء والأبناء بالآخر، لكن تجلت توصية القرآن للآباء في موضوع الميراث بقدر أكبر؛ لأنه الموضوع الذي تنبعث منه الشرور والمفاسد عند حيف الآباء أو أنانية الأبناء الأمر الذي تسري بسوء التصرف فيه: روح العداء والكراهية في الأسرة ثم تنعكس سلبيا على المجتمع.

ولهذا وذاك توخى فضيلته وعظ الآباء وتحذيرهم ونصحهم في هذا بأصدق الحديث فاستعرض آيات الميراث في سورة النساء مركزا على ما يلي:

١- أن الميراث حق قدره الله في كتابه، وأكد على الالتزام به، إذ جعله فريضة محكمة لا يلحقها تغيير ولا تبديل أي حيث قال:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ ﴾

(النساء: ١١)

وحيث قال

﴿ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ﴾

(النساء: ١١)

وحيث قال

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾

(النساء: ١٣)

ثم توعد من تعداها بقوله:

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

(النساء: ١٤)

أي ولا تهديد ولا تعذيب ولا تخليد في النار إلا على كبيرة. سيما إذا كان صاحبها مستحلا لها

٢- أنه - سبحانه - استثار في المحافظة عليه، والالتزام بتنفيذه عاطفة الإيمان، وعاطفة الأبوة، أي حيث قال:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ ﴾ أي أيها المؤمنون

﴿ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ أي الذين لا تدرون أيهم أقرب إليكم نفعا من غيرهم، حالا أو مآلا أو حالا ومآلا معا، لأنه لا إحاطة لكم في علم ولا قدرة ولا حكمة، ولو وكل الأمر إليكم لما وضعتم الأمور في أحكم مواضعها، أي ولهذا عقب بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

(النساء: ١١)

٣- أنه - تعالى جد ربنا - اختار لذلك مادة الوصية التي توحي بشدة الحرص من الموصي على صالح الموصى والموصى له، وحيث كان الأمر كذلك فما أوصى به سبحانه، وحدده لكل وارث يتحتم تنفيذه بالدقة والأمانة، ودون إهمال أو استهانة

٤- أنه - سبحانه - ضمن آيات الميراث التحذير الشديد من مضارة الورثة بوصية أو دين، حيث أبان - عز شأنه - أن الميراث يكون

﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾

(النساء: ١٢)

أي بشرط أن لايقصد الميت من الوصية أو الدين الإضرار بأي من الورثة.

أشار فضيلته – بعد هذا وذاك – إلى ختام الآيات الكريمة بقوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

(النساء: ١٣، ١٤)

وفسرهما تفسيرا تحليليا إجماليا. ثم زيا ببصره وبصيرته فربط بين آيتي الميراث في أوائل السورة وبين آخر آية فيها، وهي التي تتحدث عن بقية أحكام الميراث، وأشار فضيلته إلى أن ختامها كان مشيرا إلى أنه – سبحانه – هو الذي تولى بنفسه توزيع التركات، وعيّن أنصبة المستحقين فيها حيث قال سبحانه:

﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(النساء: ١٧٦)

أي حتى لاتضل نفس بعد هداها، ولا تزل قدم بعد ثبوتها.

ولئن كان هذا أو ذاك تمهيدا أي تمهيد لإعلام المستفتي حكم ما استفتى فيه، لقد طلع علينا فضيلته بالعنوان التالي:

«الآباء يسبقون الله بتوزيع التركة».

وهو عنوان مبتكر، يضيف إلى ماسبق عنصراً جديداً في جريرة من يبتدع في توزيع التركة.

إن هؤلاء لم يكتفوا بتوزيع أموالهم في مماتهم بالقسطاس بين المستحقين، وإنما سبقوا آجالهم، وأعنقوا لهواهم.

ولهذا ركز فضيلته على مايلي:

١- استنكار أن يسبق الآباء ربهم قبل وفاتهم فيوزعوا التركة بما يزرع الكراهية والبغضاء، ويؤسس للحقد والعداء بين أبناء الأسرة الواحدة؛ حيث يحرمون المستحق، بإعطاء حقه لغير مستحق.

٢- استبشاع التحايل بالوصية الجائرة، أو بالبيع الصوري، أو بالإقرار الكاذب.

٣- بيان أن هؤلاء المجترئين يعكسون حكم الله، ويحرمون أنفسهم من آثار رحمته وحكمته، وأنهم يفسدون في الأرض ولايصلحون، ويخربون بيوتهم بأيديهم وهم يعمهون.

٤- النعي على من يتأثرون بالأباطيل والفتاوى المحرفة من مثل:

(أ) الولد وما ملك لأبيه.

(ب) المالك حر فيما يملك.

(ج) الوارث لاحق له في التركة إلا بموت المورث.

٥- التعجب ممن يقول بهذا، ثم لايقول إن الأب مسئول عن ماله أن ينفق منه فيما لاغنى له عن الإنفاق المشروع فيه، وأنه مؤتمن على مازاد عن حاجته أن يستثمره أو يؤديه كأمانة إلى بناته وبنيه، وأن من واجبه أن يصير أولاده – جميعا – أغنياء، وأن هذا خير من أن يذرهم أو يذر بعضهم أغنياء وبعضهم عالة فقراء يتكففون الناس.

٦- النعي باللائمة على من يقول: إن الوارث لاحق له في التركة إلا بموت المورّث أي في الوقت الذي لامانع فيه عند هذا القائل أن يتحايل أو يتواطأ مع المورث أن يستأثر بالتركة قبل وفاته، كالمسئول عنه في هذه الفتوى، أي كيف يقول هذا المتحايل على أكل حق إخوته بالباطل: إنه لاحق للوارث في التركة إلا بموت المورث، ولايقول: إنه لاحق للمورث أن يقسم أمواله قبل أن يموت سيما إذا قسط في هذا التقسيم، أو آثر البعض بالمال على حساب البعض الآخر، وإذا فهي – من الناحية الشكلية – كلمة حق يريد بها باطل.

في ضوء هذه الفتوى من فضيلة الإمام نستطيع القول: إن من اختصه أبوه بماله دون إخوته أو وصى له بوصية تجحف بحق إخوته لايحل له أن يأخذ من هذه الوصية أكثر من حقه الشرعي وعليه أن يعطي إخوته حقوقهم التي اغتالها أبوهم لحساب أخيهم، حيث كان مضارا بها وكان فيها متجانفا لإثم.

هذا إذا كان الأخ المتواطئ مع الأب يهمه أن يرفع عن أبيه وزره، قبل أن ينقض ظهره، وإذا كان يعنيه الآن أن يطهر ماله مما سبق اغتياله، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله.

إن قضاء القاضي لايحل حراما، ولايحرم حلالا. كذلك ما قضى به هذا الأب من إيثار بعض أبنائه بثروته، كالإضرار بالوصية كذلك لايحل حراما، ولايحرم حلالا، وقد روى البخاري في عدة مواضع من صحيحه سيما في كتاب الحيل (٦٩٦٧) من حديث أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع؛ فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلايأخذ، فإنما أقطع له قطعة من النار».

البديل

هذا ولم يشأ فضيلته أن يغلق باب الفضل على من يتوخى العدل، ولا أن يكتفي بشجب الشر دون أن يومض بالبديل من الخير، فنبه إلى فضيلة الوصية بالتصدق بالثلث شريطة استهداف سد عوز المعوزين بها وأن لايترتب على ذلك حرمان مستحق، أو الإضرار بوارث هو في الحاجة أشد، واستدل بقوله ﷺ: «إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم؛ زيادة في حسناتكم»[٢].

الوصية الجائرة والبيع الصوري

ثم صرح فضيلته – بعد هذا وذاك – بحكم الوصية الجائرة، والبيع الصوري والهبة الاحتيالية لأجنبي غير محتاج وكيف أن ذلك تصرف سيء

---

(٢) حديث حسن لغيره رواه ابن ماجة (٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة، ورواه الطبراني من حديث معاذ وأبي الدرداء، وبنحو رواه الطيالسي (١٢٤١) وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص «الثلث والثلث كثير» الحديث رواه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨)

محظور كالوصية لإحدى الزوجتين وبنيها، وحرمان الأخرى وبنيها، وكالوصية للفروع العقيم وحرمان العصبة وسائر الأقارب، وأن كل أولئك تصرف سيئ محظور يتجاوز به مؤمن حدود ما أنزل الله على رسوله ويعرض به نفسه لمقت الله وعذابه. كما يعرض به أسرته للانحلال، ويقطع به ما أمر الله به أن يوصل، ويورث للحقد والعداء وسفك الدماء، ويوقظ شرعة الجاهلية نعمة.

وهو يومئ ـ بهذا ـ إلى أن حرمان المرأة من الميراث، إيقاظ لشرعة الجاهلية في الوأد للمرأة بصورة معاصرة.

الشيء بالشيء يذكر

ولهذا ـ عقد فضيلته ـ بعد هذا ـ عنوانا لمواجهة ظاهرة تفضيل بعض الأبناء على بعض دون حرمان، فأبان أن هذا لا يقل أثره السيئ أسريا واجتماعيا عن الحرمان ذاته، واستشهد بما اشتهر في هذا من قضية بشير بن سعد حين وهب للنعمان ما لم يهب لكل ولد من بنيه، وكيف ذهب ليشهد النبي ﷺ فسأله: «أكلّ ولدك أعطيته مثل هذا؟ فلما أجاب بالنفي أنكر عليه الرسول ﷺ تخصيصه النعمان بالعطية، وسماها جورا، وقال: ارجع فإني لا أشهد على جور، ورجع بشير إلى أهله وردّ تلك العطية، وتابع فضيلته القصة وذكر أن النبي ﷺ لم يكتف بهذا وذاك وإنما زاده: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»[٣] وأنه هز عاطفته: «إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك عليهم من الحق أن يعدلوا في برك، إلخ

لقد أشار فضيلته بهذا التحليل إلى ما يلي:

الأول: أن العالم إذا استفتي في قضية ذات صلة بقضية أخرى ربما يتبادر إلى الأذهان أنها أقل في الخطورة أو في الأثر بينما هي لا تقل عنها خطرا ـ إن لم تزد ـ وعليه أن ينبه إليها، ويحذر منها.

الثاني: أن فضيلته نبه إلى أن العدل أمر حتم سواء من المفتي أو القاضي أو المتقاضي أو الأب، وسواء أكان ذلك متعلقا بإيثار بعض الأبناء بالتركة أو بالهبة أو العطية فكلا القضيتين سواء في الخطورة والأثر النفسي والاجتماعي والاقتصادي.

الثالث: إنه إذا لم يقتصر على جواب السؤال فلأن القضية خطيرة، وآثارها السيئة مستشرية تقتضي المجيب أن يجند لها ما يستطيع من وسائل التأثير والزجر، ودلائل التوجيه والنصح، وأن يشفع هذا بعلاج ما يتصل بها من قريب أو بعيد حتى يستأصل، وما يؤدي إليه، أو يلتحق به.

الرابع: أن له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ففي قضية النعمان بن بشير استفسر ﷺ عن ملابسات القضية قبل أن يجيب ثم شخص الواقع، وكان هذا أساس امتناعه عن الشهادة على الهبة، وأمره بالرجوع عن الهبة.

بيد أن فضيلة الإمام أشار إلى أن النبي ﷺ لم يكتف بذلك بل زاده: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» ثم يقرن فضيلته: وهز عاطفته: «إن لبنيك عليك من الحق» الحديث. «أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟»... إلخ».

وكأن فضيلته يومئ إلى أن النبي ﷺ هنا زاد بشيرا وعيا وفقها وإدراكا وأناره فكرا وفؤادا وعقلا. حيث جمع له في قضيته وجوب العدل بين الأبناء. جمع له بين خطاب القلب ـ في قوله ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم».

وبين خطاب العاطفة: «إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم».

وبين خطاب العقل حين قال له: «أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟».

قال: أي بعد أن اقتنع بهذا وذاك: نعم، وهنا وصل البيان النبوي الجامع والناجع إلى غايته، فقال ﷺ: «فلا إذا»، ورجع بشير في عطيته.

وكأن فضيلة الإمام حين استفاض مع قضية الميراث والحرمان منه هذه الاستفاضة، وأتبعها ما يتصل بها من قضية بشير بن سعد ونص فيها على أن النبي ﷺ استفسره وشخص له مسلكه ثم زاده: «اتقوا الله... إلخ».

كأنما أراد فضيلته أن يقول: لست في ذلك بدعا؟!

أوليس لي في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؟!

تعدد روايات القضية وصحتها

ولم يك هذا هو كل ما كان في جعبة الشيخ عن الفتوى وما اتصل بها، وإنما طمأن القارئ إلى ورودها في كتب السنة الصحيحة وتلقيها بالقبول وأن لها روايات عديدة تكفي إحداها في بيان حرمتها وخطورتها وقد جمعها على اختلافها ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة وأكد وعظه الحريص على صالح الأسرة وصالح المجتمع.

الظالمون لأبنائهم ووجوب الحجر عليهم

لم يفت الشيخ الجليل في هذه القضية وقضايا كثيرة سواها أن يقوم بواجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فأهاب بالمشرعين وأولي الأمر فيها أن يسنوا من القوانين ما يحقق أهداف الشريعة من ترسيخ العدالة بين أفراد الأسرة، وأنه إذا كان من حكم الشرع والقانون: الحجر على سفيه يبدد ماله أو يضع شيئا منه في غير موضعه والحجر على مدين محافظة على مال دائنه، فالحجر على الآباء الذين يزعزعون أسرهم، أو يهددون كيان مجتمعهم سواء بالحرمان المطلق، أو بالتفضيل بينهم بغير سبب معقول أو مشروع ألزم وأشد وجوبا من الحجر على السفيه.

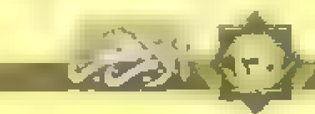
وإلا فأي طريق مشروع يلجأ إليه المظلوم لينتصف لحقه؟

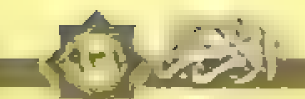
إن القانون في ضوء الشرع هو الوسيلة التي بها تتوثق عرى المحبة بين أفراد الأسرة، وبه يستتب الأمن ويستقر النظام والعدل، وترتفع راية السلام في ربوع المجتمع.

رحم الله شيخنا الجليل وجزاه عن العلم والدين والأزهر ومصر والعالم الإسلامي خير جزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

(٣) صحيح مسلم، كتاب الهبات، جـ٣، رقم ١٨







الإمام محمود شلتوت وقضية التجديد

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى الأمين العام

الإمام الراحل محمود شلتوت هو ثبت مدرسة التجديد والإصلاح التى استمدت فكرها الإصلاحى ورؤيتها الاجتهادية من صحيح تعاليم الإسلام، تلك التى كانت تتردد دوما فى جنبات الأزهر، فى فكر أعلامه الكبار، استمدادا من روح ومقاصد الشرع الإسلامى للعالمين عبر الزمان والمكان، على امتداد القرون والأجيال، وعلى هدى نصوصه القطعية فى القرآن وصحيح السنة حمل لواءها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، تدبروا المعانى، وتبصروا الدلالات الكامنة فى صميم الخطاب الإسلامى، وتأسوا بصاحب الرسالة محمد ﷺ، فى قيادة الدنيا بالدين، وأن الإسلام قوة إصلاحية هائلة للنفس البشرية، وللمجتمع وللحياة فى شتى مناحيها، وتنوع مجالاتها تنتشلها من وهدة العمى والضلالة إلى آفاق الهداية والرشاد على طريق إعمار الكون، وتنظيم مسيرة الإنسان، وضبط حركته فى الكون، وتحقيق صالحه فى الدين والدنيا، فى العاجل والآجل، وفى شئونه الخاصة والعامة فى كل عصر ومكان.

لقد نشأت هذه المدرسة المجددة فى قلب الأزهر هذا المعهد العلمى العريق، الحافظ والقائم على علوم الإسلام، ومن ثم تغلغلت فى أعماقه، وعاشت ازدهاره وانكساره، تلك المدرسة التى نهض بها أعلام مصلحون كانوا علامات مضيئة على طريق العمل المخلص والنافع، للدفاع عن الدين والنهوض بالوطن وتصحيح مسيرة الأمة، والمضى قدما على طريق التجديد، بفهم صحيح الإسلام، وكانت لهم إسهامات على هذا الطريق وسط أمواج عاتية أحاطت بالإسلام والمسلمين والوطن، بسبب ظروف فى الداخل ومن الخارج، فكان لابد من ذلك التيار الإصلاحى الناهض لصنع عقول وأقلام قصرت عن التبصر والتفقه السديد للخطاب الدينى، وحصرت نفسها فى دائرة ضيقة تختنق فيها وجمدت عندها، إلى الحد الذى تصورت فيه أن هذا الجمود، وتلك الرؤية المتشددة هى من صحيح الإسلام، دون معايشة لأحوال الناس، واستشراف مستقبلهم وعلى غير دراية بما جد فى هذه الحياة من وقائع وقضايا ونوازل وأحداث صيرت الناس والوطن نموذجا آخر غير ذلك النموذج الذى نشأ وتربى فى عصر الإسلام الذهبى.

فى ظلال مدرسة التجديد

كان شلتوت من التلاميذ النابهين لهذه المدرسة، اقتفى أثر أساتذته المصلحين، أمثال رفاعة الطهطاوى، ومحمد عبده، ومصطفى المراغى، وعبدالمجيد سليم، ومصطفى عبدالرازق الذين وعوا رسالة الإسلام؛ فقاموا بتنبيه وإيقاظ النفوس، وتحرير الإنسان، والوطن، من ربقة الاحتلال الأجنبى، ومن سلطان الجمود والتقليد، واستعادة نهضة الوطن والأمة ارتكازا على هدى الإسلام ورسالته الخالدة.

لقد كانت مدرسة الإصلاح فى الأزهر الشريف - بتيارها التجديدى والاجتهادى - درة فى جبين هذه المؤسسة العتيدة التى احتضنت فكر الإسلام بمنظومته العقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية فأحيت دعوته الإنسانية، وفقه التعددية الذى اتسعت رؤيته فشملت المذاهب الفقهية الثمانية، الحنفى، والمالكى، والشافعى، والحنبلى، والظاهرى، والزيدى، والإمامى، والإباضى. وانتصرت للرأى المستند إلى دليله السديد من القرآن والسنة واعتمدت على العقل، ولم تقم قطيعة مع العصر أو تخاصم التطور، بل كانت معنية بمستجداته، قائمة على شئونه، مستلهمة النص القرآنى:

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾

(هود: ٨٨)

وقول الرسول ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[1]، وحسب شلتوت أن يكون من المنظرين لفكر هذه المدرسة.

جهود الإمام فى مكافحة الجمود والتقليد

انطلق شلتوت فى نظره للإسلام، وعرض مبادئه ومنهجه فى الدين والحياة من حقيقة

١- مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٨

ناصعة هي أن الدين هو دين العقل والعلم واليقين والحجة، كونه يؤسس الإيمان عن بصر وبصيرة، وعن تفكر وبرهان، فهذا سبيل وطريق المسلم الحق:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

لذلك كان منهج الشيخ وتقريراته في كل أحاديثه أو كتاباته أو بياناته أن الإسلام دين العلم يحارب الجهل، ويتأبى على الخرافة، وأنه حرب على الجمود والتقليد وهاهي عبارته الصريحة في نبذ الجمود بأبلغ تقرير يقول: «الجمود جناية على الفطرة البشرية، وسلب لمزية العقل التي امتاز بها الإنسان، وإهدار لحجة الله على عباده، وتمسك بما لا وزن له عند الله»[٢].

وإنما كان هذا الموقف الحاسم من الجمود بحسبانه يجرد الإسلام من أخص خصائصه في عمومه للناس جميعاً، وقيادة مسيرة الحياة الإنسانية في كل عصر، وصلاحيته وقدرته على مواكبة مستجدات أحوالهم، ودعوته إلى التجديد والتفكر، وأن العقل للمسلم ممسوق بوازع من دينه، وبإعمال النظر والتدبر في نصوص الوحي والكون المنظور إلى بيان الحكم الشرعي في الحوادث والنوازل الطارئة لذلك فإنه اشترط لارتياد طريق الاجتهاد الإسلامي المعاصر تنقية الكتب الدينية من البدع والخرافات، كمنطلق للتجديد الديني، والبرهان الإيماني، تحقيقاً لقوله – تعالى –:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾

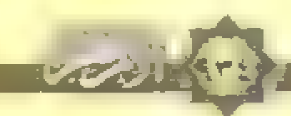
(النساء: ٨٢-٨٣)

ويتطلب هذا الاتجاه التجديدي، طرح الانغلاق في الفكر، والجمود على النص، والانعتاق من التقليد، والتحرر من آفة التبعية التي تذهب قيمة العقل، وتلغي سلطان الحرية الحقة، في مواجهة السير في ركاب العادات الضالة والتقاليد المذمومة، والتوطئة للاستعباد البشري، الذي جاء الإسلام يمحوه ويبطله، فلا عبودية إلا لله خالق الإنسان والكون، الأمر الذي جعل التفكير والمقارعة بالحجة خاصية لأرباب العقول المسلمة.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(آل عمران: ١٩٠-١٩١)

٢- من توجيهات الإسلام ... ص...



واستنادا لذلك ارتأى الإمام أن الجمود عند الموروث، والاكتفاء به مصادم لما تقضي به طبيعة الكون وطبيعة كل حي من النمو والتوليد، فالتناسل الفكري كالتناسل النباتي والحيواني والإنساني كلاهما شأن لابد منه في الحياة، ولو وقف التناسل الفكري لارتطم الإنسان في حياته بكثرة ما تلد الطبيعيات التي هو منها، وعندئذ يعجز عن تدبير الحياة النامية فيتحقق فشله في القيام بمهمة الخلافة الأرضية التي اختير لها ووكلت إليه منذ القدم»[٣].

إن اليقين الذي لا يتطرق إليه شائبة من الشك أو الظن أو الوهم، أن الفرد المسلم والجماعة المسلمة، ودولة الإسلام إنما تحقق لها السبق على هدى من الإيمان الراسخ بالله وبمعتقدات الإسلام، على أساس تحرير الفؤاد والعقل من آفة الإمعية والتبعية بغير حجة أو برهان، لذلك كانت التربية الإيمانية، وغرس القدرة على التفكير والاستقلال حجر الزاوية في بناء الشخصية المسلمة، وهو ما تمثل في التوجيه النبوي بقول الرسول – صلوات الله عليه وسلامه –: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم»[٤].

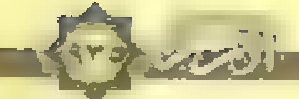
واستمرت المسيرة في عصور الازدهار إبان الريادة الإسلامية، حتى أتى على المسلمين حين من الدهر، جمدوا فيه على الموروث دون استدعاء فريضة التجديد والاجتهاد حتى ران على العقل المسلم التخلف والانحطاط، وعطلوا ملكة التفكير والنظر والبرهان فعم الجهل وساد التخلف، فانتقلوا من موقع الريادة إلى موكب التقهقر والتراجع، وشاعت بينهم البدع والمفاهيم الخاطئة، وراج لديهم الخلط بين الحق والباطل، والصحيح والزائف، والاستسلام لأفكار مغلوطة، قلبت حياتهم، وجعلتهم عالة على غيرهم، وإعلاناً وعنواناً سلبياً وخاطئاً عن حقائق الإسلام.

وبهذه المسالك المعوجة، ألقوا بظلال من الشك على حقيقة: «أن الإسلام دين العقل والعلم واليقين والبرهان، وغيبوا معلماً من معالم الإسلام في الاستدلال بالعقل على أساس من النص، وحسبنا أن رسول الله ﷺ لم يقدم حجة على رسالته إلا كان طريقها العقل والنظر والتفكير، ولم يشأ له ربه أن يحقق للقوم ما كانوا يطلبون من خوارق حسية تخضع لها أعناقهم»[٥] والتقليد مذموم في الإسلام، لما يتمخض عنه من تعطيل إدراك النواميس الإلهية والاستدلال على طلاقة القدرة الإلهية، وعظمة الصنعة الربانية للكون بآياته الباهرات في السماوات والأرض، والشموس والأقمار، والنجوم.

٣- منهج القرآن في بناء المجتمع، ١٩٩٦، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٥٠

٤- شرح السنة للبغوي ١٣/٣٢

٥- منهج القرآن في بناء المجتمع، ص٤٧



والأودية، والجبال، والبحار، والأنهار، وعوالم الحيوان والنبات والطيور، وغيرها من المخلوقات التي أبدعها الله

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(النمل: ٨٨)

وجعل لكل منها مهمة وحكمة قد نجهلها، وأوجدها بحساب دقيق، وتقدير معلوم:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

(القمر: ٤٩)

فإدراك أسرار الخلقة، واكتشاف قوانين الله في هذه المخلوقات، والتعرف على بديع صنع الله، ودقة الخلق، لا يتأتى بالتقليد، وأن يكون الإنسان أسير أفكار بالية، وتابع أعمى للآخرين، انكبابا وإعجابا، أو تقديسا واحتراما، فمثل هذا المسلك يتنافى مع صحيح القرآن، وثوابت السنة الشريفة، ويعد جناية على العقل البشري الذي جعله الله - تعالى - موضع الخطاب الإسلامي، ومناط التكليف الشرعي، وحض في غير موضع على حتمية استخدامه واللجوء إليه، باعتباره مزية من مزايا الإنسان، فضله الله به على الكائنات الأخرى، وفي التقليد استبعاد للعقل وتغييب له، والافتئات على قيمة عليا وخاصية أساسية للمسلم، هي التفكير التي امتدحها الله، وأشاد بها نصوص قطعية في ثبوتها وفي دلالتها، ونعى على من عطلها أو لم يأبه بها، وتقليب وجوه الرأي فيها، بحسبانهما ثمرة من ثمرات العقل البشري، الذي أنعم الله بها على الإنسان، ومظهر من مظاهر تكريمه واستخلافه في الأرض.

وانطلاقا من هذه الحقيقة حمل شلتوت على التقليد، واعتبره مناقضا للإسلام، لا يلتقي مع الدعوة والفكر الإسلامي، ولا يخدم الدين في شيء، فضلا عن اقتران التقليد بالبدع والخرافات، وتقديس آراء وأوهام بعيدة عن جوهر الدين وغايته في الحياة، لذلك فإنه يذهب إلى أن الدين لا سلطان لعرف أو تقليد عليه، ويدلل على ذلك بأنه[6] كثيرا ما تختلف التقاليد مع اتحاد الدين ووحدة أحكامه، ودل ذلك على أن التقاليد شيء والدين شيء آخر ولو وضع الدين موضع التقاليد أو أطلقت على الدين لما كان الدين دينا، ذلك أن الدين وضع إلهي يبين حدود ما يسير عليه الناس ويلتزمونه في عقائدهم وعباداتهم، وما يحل لهم أن يفعلوه وما يحرم عليهم أن يفعلوه، ولا سلطان عليه لعرف أو توارث أو نقل، حتى لو اتحدت أحكام الدين باعتبارها عرفا أو توارثا لما كانت دينا، وإنما تكون دينا إذا أخذت مضافة إلى الله رب العالمين.

٦- الفتاوى ١٩٩١، الطبعة السادسة عشرة، دار الشروق ص٤٠٩

الدين يقر الصالح من التقاليد، ويحارب الفاسد منها

فالدين في قوله - رحمه الله - هو الحاكم على التقاليد، فما كان منها لا يخل بشيء من أحكامه، ولا يترتب عليه ضرر يأباه الدين، فإن الدين يقره ويسمح به، وما كان منها يخل بشيء من أحكامه أو يستتبع ضررا أو فسادا يأباه الدين فإن الدين يكره ويحاربه.

ويشدد الإمام على ضرورة تنقية تقاليدنا بقوله: «وليس من شك في أن جماعتنا - وهي إسلامية قبل كل شيء - نزعت في كثير من عصورها الماضية إلى كثير من التقاليد التي أنشأها العرف، أو التي جرها إليهم تقليد الأمم المختلفة التي حكمتها واستعلت عقليتها وحياتها».

وليس من شك في أن كثيرا من هذه التقاليد لا يتفق وأحكام الإسلام، فتقاليد الأفراح والمآتم والأعياد، وتقاليد طرق التصوف وزيارة الأضرحة تقاليد يأباها الدين، وقد امتدت التقاليد إلى دائرة العقيدة والعبادة والحلال والحرام، وإذن فلابد من تشخيص هذه التقاليد والنظر فيها من جهة موافقتها الدين أو مخالفتها، ومن جهة ما تغرسه في الأمة من خير أو شر، ثم نعمل على أخذ الأمة إلى السبيل الذي يحفظ لها شخصيتها الإسلامية أولا، والذي ينهض بمستواها الاجتماعي نهوضا يحفظ عليها كيانها وأخلاقها، ويمهد لها سبيل السير في الكمال.

ومؤدى ذلك أن طرح التقليد، وتكوين الشخصية المسلمة المتوعة لفكر الإسلام، المحصنة بملكة التفكير، المتدبرة في ملكوت الله - تعالى - والمقلبة وجهها شطر السماء، بغية تأمل الصنعة الإلهية، والتفكر في نعم الله وآلائه على الخلق جميعا، يضحى أمرا واجبا في النظر الشرعي، ويصبح مسألة متعينة لتربية أجيال من المتعلمين قادرة على التفكير الاستقلالي، مؤهلة بملكة الاجتهاد الإسلامي، اللازمة لاستنباط الأحكام، العارفين لقوانين الحلال والحرام، الفاقهين للنص والواقع، المحيطين بظروف العصر وملابسات أحوال الناس، فهذا بعض متطلبات المجتهد المسلم.

ويمضي الشيخ شلتوت في خطته بالدعوة إلى ما دعا إليه الإسلام من النعي على التقليد والمقلدين، وتأكيد ما دعا إليه الإسلام من عدم احتكار أحد لحق فهم نصوص الشرع، وتفسير مراد الله فيها من المسلمين - مهما علا قدره - خلاف رسول الله ﷺ ونلمح ذلك في قوله[7]: «لا اختصاص لأحد بحق التفسير والفهم»، ومن هنا يتضح أن الإسلام لا يخص أحدا بحق الاستئثار بتفسير النصوص، ولا يحق إلزام الناس برأيه، بل يمنح هذا الحق لكل مسلم حائز لأهلية البحث، أما من ليست له أهلية البحث، فإن واجبه أن يسأل أرباب

٧- الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق ١٩٩١ ص٤٤٠

لأهلية عما يحتج إليه، ولا يلزم باتباع شخص معين، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله. ولم يوجب الله ورسوله على أحد من الناس أن يدين بمذهب فقيه معين، فإيجابه تشريع شرع جديد، ولم يزل الناس ـ من الصدر الأول ـ يسألون من يرون من الباحثين المعروفين من غير تقييد برأي معين منهم.

وقد نهت عن جميع الفقهاء التحذير من تقليدهم في اجتهادهم إلا بعد معرفة دليلهم. كما ثبت عنهم جميعا: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط».

وهكذا تتبدى أهمية دعوة الإمام إلى التخلي عن التقليد، والحمل على المقلدين بسبب ما نال الأمة من مصائب ونكبات انتقصت من قوة هذا الدين، وشوشت على تعاليمه، وطمست بعض تعاليمه ومكنت العديد من البدع والخرافات أن تجد لها مناخا مواتيا، وبيئة خصبة لشيوع أمور مخالفة للإسلام، تسيء إليه، بل وتعطي الفرصة لأعداء هذا الدين، والمتربصين به، والحاقدين عليه أن ينعتوه بما هو منه براء، ولا يجدون غضاضة في ازدراء الإسلام وإهانة رموزه، والتشكيك في مقدساته.

والناظر لأحوال المجتمعات المسلمة، يهوله انتشار كثير من البدع والخرافات والعادات المضادة للدين، نذكر من بينها: الفوضى السائدة في نمط الحياة اليومية، في المجتمعات المسلمة، في الشارع وفي الطرقات العامة، خلافاً لما أمر به الإسلام من الانضباط والنظام في كل شيء، لا فرق في ذلك بين صغيرها وكبيرها، ونموذج ذلك العبادات الإسلامية: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وفي معاملات المسلم مع المسلم، ومع غير المسلم التراخي في أداء الوظيفة العامة والعمل العام يتجلى في السلوكيات الخاطئة في الإهمال والتقاعس عن الوفاء بمتطلباتها التي لا يرضى عنها الإسلام، لما للعمل العام والوظيفة العامة من قدسية وحرمة، مرده أنها من الحقوق العامة، أو ـ بالمصطلح الشرعي ـ من حقوق الله ـ تعالى ـ.

إهمال النظافة كأساس من أسس مظهر المسلم في نفسه وفي ملبسه وفي طهوره لأداء صلواته اليومية، وضرورة أن يمتد ذلك إلى الشوارع والحارات والأزقة والمنزل والمحل والمتجر.... إلخ، وهو ما تفتقده حياة المسلم ومجتمعه في المجتمعات والبلدان الإسلامية.

هذا مجرد نموذج لما تحتشد به حياة المسلمين في العصر الحديث، مما يناقض أصول الإسلام ويتعارض مع أحكامه. والمشكل في الأمر أن هذه السلوكيات المزرية للمسلمين، تحسب على الإسلام. هذا من ناحية وهو مكمن الخطر. وعاقبة الظلم الذي يلحق بالإسلام، ثم إن الأبناء يشبون على تقليد الآباء في تلك العادات الذميمة مما يكرس لكونها عرفا وتقليدا. ونمط حياة للمسلمين، بما يحفز الآخرين على وصم الإسلام بتلك النقائص، وأنها من الدين الإسلامي، مع الرفض الصريح والقاطع من جانب الإسلام لها.

إزاء ذلك، فمن الأهمية بمكان أن نواصل الدعوة التي نادى بها شيخنا في نبذ التقليد، والاتباع المذموم، وأن نحيي صحيح القرآن في دعوته إلى التخلص من البدع والخرافات والأوهام التي سيطرت على حياة المسلمين منذ أن نكصوا عن تعاليم الإسلام الغراء. ولعل أخطر ما في استمرار تلك الأوضاع المخالفة اعتقاد بعض المسلمين أنها من القضاء والقدر، الذي لا مناص منه، ولا قبل للمسلمين بدفعه، وهو زعم مرفوض كل الرفض في الشرع الإسلامي.

على طريق التجديد

انتصر الشيخ شلتوت لفكر التجديد الإسلامي، واشتغل به وأشاعه بين تلامذته ومريديه، وكان إيمانه بالتجديد نابعا من دعوة الإسلام أتباعه إلى سلوك طريقه، وتكريس منهجه في العقائد والعبادات والمعاملات، وقد أرسى هذه الدعوة الرسول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[٨] فلابد من قائم به، ممن تعمق فقه الدين، وتحلى بملكة العلم وفقه مراد النص، وحاز ذكاء العقل وتوقد الذهن، وخبر واقع الناس، وأدرك أحوالهم، وأحاط بمطالب الحياة، ومتطلبات العصر، وهو موجود ـ لا محالة ـ بعد كل مائة سنة، وقائم على هذا الأمر.

فإذا بلغ هذا المبلغ، فعليه أن يقف على حقائق الدين، ويتحقق من وجودها في حياة الناس، بنظر اعتبار وتأمل، فإذا وجد انحرافا عنها، وطمسا لمعالمها، وتغييبا لأحد مقومات الدين في العقيدة والشريعة والأخلاق والهوية، اعتصم بالتجديد وسلك طريقه، فيه إحياء ما اندرس، ووصل ما انقطع، وبعث ما انطمر من حقائق الدين ومقاصده العامة، ومعنى هذا أن شيئا من المعالم الدينية الاعتقادية أو العبادية ـ فرضا أو سنة ـ قد أهمل ونسي على مر الزمن، فيعمل المجدد على بعثه وإعادة العناية به، والتزامه بالصورة القديمة الأولى التي كان عليها[٩].

مناحي التجديد

تعددت مناحي التجديد لدى الإمام، ولقد خاض غمار بحاره حتى في أصل الأصول في الإسلام، وهو العقيدة، وتعداها إلى المعاملات، واقتصاد الأمة، وفي مسائل أخر سنورد طرفاً منها.

في مجال العقيدة:

وازن في طريق ثبوت العقيدة، وهي أساس الدين بين دليل النقل والعقل، وأثبت أن للدليل العقلي سلطاناً يرقى إلى الجزم واليقين، فإنه بالنظر والفكر يكون تحصيل الإيمان بالله، أما الدليل النقلي، فإنه لا يبلغ إلى اليقين، ويقول في ذلك: «اتفق العلماء

---

(٨) [illegible]

(٩) [illegible]

على أن الدليل العقلي ـ الذى سلمت مقدمته، وثبتت فى أحكامه إلى الحس أو الضرورة ـ يفيد ذلك اليقين، ويحقق الإيمان المطلوب».

أما الأدلة النقلية، فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين ولا تحصل الإيمان المطلوب ولا تثبت بها وحدها عقيدة، وذلك لأنها محل واسع لاحتمالات كثيرة تحول دون هذا الإثبات[10].

ومفاد هذا النظر الناقد أن تحصيل الإيمان بالعقل، أقوى ضمانا، وأكثر أمانا لغرس العقيدة فى النفوس، وبلوغ درجة اليقين، وتربية الوازع الدينى والضمير الإيمانى لدى المسلم إذا قورن بالدليل النقلى الذى لا يكفى وحده بتحصيل الإيمان الخالص، والانصياع الكامل لله رب العالمين، والاعتقاد فى أصول الدين، وجوهر العقيدة، لذلك فعنده أن النظر العقلى واجب لتحصيل الإيمان، وعمدة فى هذا الباب، منشؤه أن الإيمان هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل، ومن الواضح أن هذا الاعتقاد لا يحصله كل ما يسمى دليلا، وإنما يحصله الدليل القطعى الذى لا تعتريه شبهة.

إن منهج الشيخ فى اعتماد الدليل العقلى فى مسائل العقيدة هو نظر حرى بالحفاوة والتقدير خاصة فى القضايا العقدية التى مصدرها الوحى والنص، ومعتمدها الاتباع والانقياد، عبودية لله، وإيمانا وتسليما بحقائق دينه. لكن تقريره لقيمة الدليل العقلى ـ على هذا النحو ـ إنما هو اجتهاد يحمد له لا يقدم عليه إلا القلة من العلماء الثقات الراسخين فى العلم، الذين يبنون آراءهم لا عن قول مرسل أو ادعاء مجرد عن البرهان، وإنما يدلون بالرأى المدعوم بالحجة، ويقولون ما يقولون عن بينة ودراية لا عن ظن وتخمين وتلبيس.

والمطلع على ما يصدر عن الإمام من فتاوى يجد هذه الحقيقة ساطعة تؤكد ذلك النظر التجديدى فى قضايا العقيدة، حيث يذهب إلى أن مصادر المعرفة فى أمور الدين تثبت بالعلم اليقينى والدليل العقلى. ويقول فى هذا الموضع[11]: إن رجال الدين الذين هم رجال الدين حقا، هم الذين يفهمون مبادئ الدين من مصادره اليقينية غير متأثرين بتقليد غيرهم ولا بأوهامهم وظنونهم، ولا بمقدمات البحث التى لا تعتمد على مصادر العلم الصحيح، وهى الحس السليم، والنظر العقلى الصحيح، والخبر الصادق الذى قامت على صدقه الأدلة التى يخضع لها العقل، ولا يجد مناصا من حكمها فهم ـ بحكم دينهم ـ يرفضون الإيمان بشيء ما عن طريق التقليد والجرى فى معتقدهم على مجرد ما نقل عن الآباء والأجداد، وهم ـ بحكم دينهم ـ يرفضون فى معتقدهم الاعتماد على الظنون والمفروضات التى تؤيد بسند يشهد بصحته العقل أو الخبر الصادق.

10- الإسلام عقيدة وشريعة، ١٩٩٧، دار الشروق، ص٥٣

11- الفتاوى، مرجع سابق، ص[illegible]

ومن هنا جاء القرآن الكريم ينعى التقليد، وجرى الخلف وراء السلف دون نظر واستدلال، وفي هذا يقول:

﴿ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾

(البقرة: ١٧٠)

﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾

(الأنعام: ١٤٨)

ويقول:

﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾

(الحج: ٨)

لقد كان مقصد الإمام من تبنى هذا الاتجاه، فى مجال العقيدة، هو تثبيت العقيدة فى نفس المسلم، وبناء شخصيته على هدى من الدين الصحيح، والإيمان الصادق الذى يتغلغل فى أعماق القلوب، ويتخلل جنبات المسلم ويسرى فى أوصاله، ويطبع جوهره فينأى به عن الشك والحيرة، ويجعله بمعزل عن الرياء والنفاق، وهى من الآفات المهلكة والأمراض الفتاكة التى تعصف بالعقيدة والإيمان، وتجعل المسلم حربا على الإسلام وأهله، كما كان حال المنافقين فى عصر صدر الإسلام، وابتلى به الإسلام والمسلمين.

من أجل ذلك، فإن انقياد المسلم للإسلام، على سبيل التسليم لدى سلطة العقل أروع وأقوى داعية على الالتزام والانصياع للإسلام، وهو أمضى فى الذود عنه، والتضحية فى سبيله وهو أقوى من حالة ما إذا كان الإيمان بالإسلام مستنده الدليل النقلى، واليقين النصى وأساس ذلك أن الله ـ تعالى ـ يريد من عبده المسلم أن يسلم وجهه لله طوعا لا كرها، وعن اقتناع لا قهرا وإجبارا. وهو ما جعل الإسلام سباقا إلى تقرير حرية العقيدة، وحق اختيار الدين بنصوص قاطعة لا يشوبها التباس، أو يحتملها التأويل.

فى هذا المقام الذى قرره الشيخ بشأن اعتماد الدليل العقلى فى الإيمان بالإسلام، يجدر الإشارة إلى أنه نهج منهج شيخه محمد عبده، فى تحرير العقل واعتبار النظر العقلى أساس تحصيل الإيمان، مثل ما جاء فى قوله[12]: «جاء القرآن فنهج بالدين منهجا لم يكن عليه ما سبقه فى الكتب المقدسة، منهجا يمكن لأهل الزمن الذى أنزل فيه ولمن يأتى بعدهم أن يقوموا عليه، فلم يقصر الاستدلال على نبوة النبى ﷺ بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة، بل جعل الدليل فى حال النبى مع نزول الكتاب عليه فى شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو فى مثل أقصر سورة منه، وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا به أو ما أوجب علينا أن نعلم، لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه قدم الدعوى وبرهن، وحكى

12- رسالة التوحيد، ١٩٦٩، ص١٩

مذهب المخالفين وكر عليهم بالحجة، وخاطب العقل واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الأحكام والإتقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها، لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه، حتى إنه في سياق قصص أحوال السابقين كان يقرر أن للخلق سنة لا تتغير وقاعدة لا تتبدل فقال:

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

(الفتح: ٢٣)

وصرح:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾

(الروم: ٣٠)

واعتمد بالدليل حتى في باب الأدب، فقال:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ٣٤)

وتقرر بين المسلمين كافة - إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه - أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل، كالعلم بوجود الله وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحي به إليهم وإرادته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها. كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قد يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل.

وهكذا تعانق العقل مع النقل في فكر الشيخ، سيراً على منهج تلك المدرسة التي قادها محمد عبده، وأعطت للعقل سلطانه في نطاق العقيدة والشرع، وأقامت مصالحة بين العقل والنقل، وأزالت ما بينهما من خصومة موهومة. وذلك هو صحيح الإسلام الذي جاء به القرآن والسنة، وقرره أرباب النظر الصحيح من السلف والخلف على امتداد العصور، وحمل لواءه كبار علماء الأزهر، جيلاً بعد جيل.

إن محافظة هذه المدرسة عن خطتها في تأسيس الاعتقاد على تأييد العقل وسلطان الفكر ومداومة التفكر في ملكوت الله، وأحكام صنعه، أصبحت في الوقت الراهن من قبيل الواجب، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كبرهان دائم لترسيخ الإيمان. وجعل العقل هو المناط في فهم الشرع، وأن من القواعد الأصولية المقررة في الإسلام: أن صحيح المعقول لا يتنافى مع صريح المنقول، على هذا النحو، تعانق الإيمان الراسخ بالعقل المتكامل وتجذرت العقيدة في نفس المسلم وتقررت كأصل من الأصول الإسلامية، وفطرة إلهية فطر الله الناس عليها، وهو ما جعل دين الإسلام، دين الإنسانية بحق يتسق مع ما خصه الله من قوى فكرية وملكات عقلية، وهو أمر كانت الحاجة إليه ملحة في إرساء دعائم الإيمان في عصر المادة الطاغية، وتفشي الإلحاد الهادم للسكينة والاطمئنان الحياتي، المؤولة لقوى الطبيعة العابد لصنم المال والشهوة، فانطلق من ثم عصر المدنية الحديثة على طريق عزل وحصار الدين، والتشكيك في معتقداته وقيمه التي أقامت أمماً، وبنت حضارات إنسانية، وتدثر دعاة هذا العصر بالعلم والمعلوماتية، واتخذوا من العقل الجامح المنفلت من عرى الدين سبيلا ودليلا على صحة مذهبهم. وتقدم مجتمعاتهم. وهو طريق ضياع الإنسان، والسير به نحو الهاوية، ولا عاصم له منه سوى الاعتقاد الراسخ المستند إلى العقل الراشد بالله رب العالمين، وبنبوة محمد ﷺ وبالرسل الكرام عليهم السلام، وبالقرآن العظيم. وكتب الله المنزلة على الأنبياء والمرسلين، وهي خلاصة دعوة مدرسة التجديد في الأزهر الشريف، وشيوخه الأعلام من أمثال الشيخ شلتوت - عليه رحمة الله - ويتصل بهذا السياق تأصيله لمبدأ التعددية، تعددية الفرق الإسلامية، والاختلاف بين السنة والشيعة. فقد تبنى الشيخ شلتوت فكر الاعتراف بالفرق الأخرى غير أهل السنة، وفتواه المعروفة بشأن جواز التعبد على المذهب الفقهي للشيعة الإمامية دليل على ذلك، إذ يقول:

«ينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة. فما كان دين الله، وما كانت شريعته تابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله - تعالى - يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، لا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات».

في مجال المعاملات:

التجديد في منطقة المعاملات عند الإمام، أوسع أثراً، وأوثق مساراً. لذلك كان إسهامه فيها ببحث العقود المستجدة، والتعاملات الحديثة، خاصة في مجال البنوك والمؤسسات المالية والمصرفية، بسبب ما فرضته التطورات المعاصرة من قيام بيوت التمويل ومؤسسات الإقراض، ودورها الفاعل في الوفاء بحاجات الأفراد، وتنمية المجتمع.

أدرك الشيخ مغزى وقيمة التنمية المالية والاقتصادية في حياة الفرد والأمة، وأبعاد التحولات المؤسسية الجديدة، ونشوء أنماط غير تقليدية في التعامل المالي والمصرفي تتطلبها احتياجات الأفراد وتلزم لتقوية المركز المالي والاقتصادي للأمة، وإحداث التنمية فيها. ونعرض في هذا المجال لبعض النماذج هي:

أولاً: نموذج صندوق التوفير:

تصدى الإمام لمعاملة التوفير التي تبغي تنمية الفرد والمجتمع، بخلق عادة الادخار لدى فئات مجتمعية، كل بحسب دخله وإمكانياته المالية، وهو ما يحفز صغار المدخرين على تنمية هذه العادة لديهم، بما يمكن من استخدام هذه

١٣- د محمود حمدي زقزوق، من أعلام الفكر الإسلامي الحديث ٢٠٠٨، ص

المشروع التي تتنامى حصيلته نتيجة مشاركة القاعدة العريضة في أوجه أنشطة اقتصادية واجتماعية تنموية يعم أثرها الفرد والأمة على سواء، ولم يشأ للإمام إلى الاقتصار على رأيه في أرباح صندوق التوفير، إلى عند بيان الرأى في المسألة، وإنما عرض الرأى الآخر، وأقام الرأى المخالف على دليله وحجته، وهو ما جعل بيانه - للرأى القائل بحرمة هذه الأرباح - جليا وقويا على دليل الحرمة.

ونص عبارته في هذا الشأن[14]: رأى بعض علماء الحلال والحرام أن الربح الذى تدفعه مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة في صندوق التوفير حرام، لأنه إما فائدة ربوية للمال المودع أو منفعة جرها قرض، وكلا الأمرين حرام في نظر الشريعة، وعلى هذا يجب رده ويحرم أخذه والانتفاع به.

رأينا أنه حلال:

والذى نراه - تطبيقاً للأحكام الشرعية والقواعد الفقهية السليمة - أنه حلال ولا حرمة فيه.

ذلك أن المال المودع لم يكن ديناً لصاحبه على صندوق التوفير، ولم يقترضه صندوق التوفير منه، وإنما تقدم به صاحبه إلي مصلحة البريد من تلقاء نفسه، طائعاً، مختاراً، ملتمساً قبول المصلحة إياه. وهو يعرف أن المصلحة تستغل الأموال المودعة لديها في مواد تجارية ويندر فيها - إن لم يعدم - الكساد أو الخسران.

وقد قصد بهذا الإيداع:

- أولاً: حفظ ماله من الضياع، وتعويد نفسه على التوفير والاقتصاد. وقصد.
- ثانياً: إمداد المصلحة زيادة رأس مالها، ليتسع نطاق معاملاتها، وتكثر أرباحها فينتفع العمال والموظفون، وتنتفع الحكومة بفاضل الأرباح.

ولا شك أن هذين الأمرين - تعويد النفس على الاقتصاد، ومساعدة المصلحة الحكومية - غرضان شريفان كلاهما خير وبركة. ويستحق صاحبهما التشجيع. فإذا ما عينت المصلحة - لهذا التشجيع - قدرا من أرباحها منسوبا إلى المال المودع - أى نسبة تريد، وتقدمت به لصاحب المال. كانت - دون شك - معاملة ذات نفع تعاوني. يشمل خيرها صاحب المال والعمال والحكومة. وليس فيها - مع هذا النفع العام - أدنى شائبة لظلم أحد، أو استغلال لحاجة أحد، ولا يتوقف حل هذه المعاملة على أن تندمج في نوع من أنواع الشركات التي عرفها الفقهاء وتحدثوا عنها وعن أحكامها.

معاملة جديدة:

وفي الواقع أن هذه المعاملة - بكيفيتها وبظروفها كلها، وبضمان أرباحها - لم تكن معروفة لفقهائنا الأولين وقت أن بحثوا الشركة ونوعوها واشترطوا فيها ما اشترطوا.

وليس من ريب في أن التقدم البشرى أحدث في الاقتصاديات أنواعا من العقود والاتفاقات المركزة

---

(14) الفتاوى، مرجع سابق، ص ٣٥١، ٣٥٢

على أسس صحيحة لم تكن معروفة من قبل، ومادام الميزان الشرعي في حل التعامل وحرمته قائما في كتاب الله:

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٢٧٩)

فما علينا إلا أن نحكمه ونسير على مقتضاه ومن هنا يتبين أن الربح المذكور ليس فائدة لدين حتى يكون ربا. ولا منفعة جرها قرض حتى يكون حراما على فرض صحة النهى عنه، وإنما هو كما قلنا تشجيع على التوفير والتعاون اللذين يستحبهما الشرع.

هذا النظر الناصع من الشيخ هو نظر الفقيه المدقق الذى يتعمق في فهم النصوص ومعرى ما ترمى إليه، ونمط التعامل السائد وقت نزولها، وتقرير الواقع الذى حدا إلى إيراد النصوص، وما يبتغيه الشارع من الحكم في نطاق النص، وتحديد العلة والحكمة التي بنى عليها النص، وتأسس عليها الحكم، مع بيان التكييف السديد للمسألة المعروضة، والنفاذ إلى مضمون فقه النص الحاكم والواقع المتجدد وعدم التعصب في إصدار الأحكام، والجمود على رؤية أحادية، وإسباغ وصف التحريم على كل معاملة تتشابه في بعض جوانبها مع الواقعة التي جاء النص بحظرها، وإن كانت مغايرة في العديد من جوانبها بقصد الاحتياط في أمرها، والتشدد في فهمها حتى وإن صادر ذلك واقعا جديدا، ومصلحة معتبرة للفرد والجماعة، بل وللأمة على سواء.

ثانياً: نموذج إبرام الصفقات

انطلاقا من بحث الجديد في التعامل، وبيان حكم الشرع فيما يستجد من معاملات، تصدى الشيخ لمسألة السمسرة. وأزال عنها الفهم الخاطىء المتعلق بحكمها، إذ المعروف أن بذل الجهد وممارسة العمل البدني هو الذى ينتج أثراً ملموساً ووجوداً واقعياً يطلع عليه القائم به والمستفيد منه.

ولما كانت أعمال السمسرة ليست من قبيل ذلك العمل المادى المتمثل في أثر عيني يدركه المطلع عليه والمتابع له. بجانب أنها تلابسها تصرفات قد تنافى الشفافية أو عدم المشروعية، لكن في ذات الوقت تعمل على اكتشاف أفضل السبل للتقريب بين طرفى المعاملة، وتذليل العقبات التى تحول دون إبرام الصفقة، وتحقيق أيسر الشروط وأحسن الظروف لإتمام التعامل، وبلوغ المصلحة المرادة من التعاقد، وهى أمور تتعلق بطريقة إدارة العملية برمتها، وتحيط بها وتلابس انعقاد الصفقة وتوفير الظروف والمناخ المناسب لإجرائها، وهى لا تتم في العادة في صور وأشكال مادية ولا تفرز ذلك الأثر العيني الملموس على أرض الواقع. فهى حصيلة خبرات شخصية، وقدرات متراكمة لدى من يقوم بها، وملكات مكتسبة تتوفر للسمسار بما لا توجد في غيره تجعله أقدر على تحقيق أفضل الشروط، وأقوى الضمانات لصالح المتعاقد الذى يعمل لحسابه، ابتغاء مصلحته، وسعيا للمنفعة المقصودة، وهى مسائل جوهرية، ومتطلبات ضرورية، يعمل على بلوغها كل متعاقد

ويتوسل بها إلى بلوغ أغراضه من المعاملة.

هذا الدور المهم للسمسار باعتباره الخبير الناصح للمتعاقد والمستشار المؤتمن له، الضامن لسلامة العملية، والمحقق لمصلحة الطرف الذي يمثله، يضحي لازماً لأطراف غير متمرسين بأوضاع السوق وغير عارفين بأحوال التعامل، ممن يفتقرون إلى التجربة بممارسات السوقية بكل ما تنطوي عليه من ألوان الغش وصور الخداع والتدليس بعجز عن إدراكها الشخص العادي، فيتورط في عقد صفقات تكبده بالخسارة، فيكون السبيل المأمون لسلوك إبرام العمليات السوقية لهذا المتعاقد، هو الاستعانة بالسمسار لحماية حقوقه وتحقيق مصلحته.

ومن أجل المحافظة على شتى حقوق الأطراف المتعاملة، وضماناً لاستقرار الأسواق، والتعادل في المصالح عند التعامل، وطلباً للمنافسة العادلة، كان لابد من نظرة فاحصة لدور السمسار، وإزالة اللبس والشكوك حول دوره في الصفقة، وضبط التعامل وحماية الحقوق، وتنشيط حركة الأسواق بإبرام الصفقات، وتلاقي العرض بالطلب مما يجعل لعمله -ولو كان غير مرئي- قيمة معتبرة، جديرة بالاعتراف له بحقه الناشئ عن هذا العمل، وتلك الخبرة السوقية المزود بها والمكتسب لها على مدار سنوات والخبرة المكتسبة من عقد العمليات المدنية والتجارية، في ظل تلك التطورات الكبيرة في الأسواق؛ أصبح وجود السمسار ضروريا للقيام بمراحل فنية اقتضتها حركة أسواق المال التي تجاوزت الصور البسيطة والتقليدية للمعاملات، فابتدعت ألواناً متعددة للحصول على السلع والمال والخدمات، ولم تقتصر في تحقيق الاحتياجات المتنامية للمتعاملين على الأسواق المحلية، وإنما تعدت ذلك إلى الأسواق الإقليمية والدولية، واستخدمت فيه الشاشات الإلكترونية والوسائط التقنية، كما هو الحال في معاملات البورصة، وهي أسواق مالية تتطلب دراية وقدرة متخصصة لعقد الصفقات عبر عمليات معقدة، لذلك اشترط فيها أن تتم من خلال السماسرة أفراداً وشركات.

ووعياً بهذه الجوانب في العمليات السوقية، تصدى الشيخ شلتوت لبيان حكم السمسرة، مبينا ماهيتها بقوله[٩٤]: «السمسرة، كما يعرفها الناس، هي التوسط بين البائع والمشتري لتسهيل البيع. وهي شيء مقصود للناس في حياتهم. وكثيرا ما يحتاجون إليه. فكم من أناس لا يعرفون طرق المساومة في البيع والشراء. ولا يعرفون طرق الوصول إلى شراء أو بيع ما يريدون شراءه أو بيعه، وكم من أناس لا تسمح مراكزهم بالنزول إلى الأسواق، والاتصال بالبائعين والمشترين، ولا يجدون من يقوم لهم بالبيع والشراء حسبة لوجه الله، ومن هنا كانت السمسرة عملا شرعيا نافعاً للبائع وللمشتري وللسمسار، ويحتاج إليه ككل عمل آخر يحتاج إليه الناس وينفعهم، وليس فيه ما يوجب التحريم».

٩٤- الفتاوى، مرجع سابق ص٣٥٦، ٣٥٧

وينتقل الشيخ الجليل إلى تخريج أعمال السمسرة، وتكييف عمل السمسار، ورده إلى منظومة العقود الشرعية، التي عرفها الفقهاء وبحثوها في كتبهم، وعلى هدى ذلك يعتبر الإمام أن السمسرة هي إجارة شرعية تخضع للاتفاق أو العرف، وينبغي أن يتسم عمل السمسار بالأمانة. حيث يقول: «غير أنه يجب على السمسار -ليكون ما يأخذه حلالا- الإخلاص في التوسط، والبعد عن التغرير والتدليس مما يحرم عليه كسبه وأجرته، وبذلك كان الاستئجار عليها إجارة شرعية صحيحة، منفعة معلومة وأجرة معلومة وعمل له قيمته بين الناس، وطرق كسب لا شبهة فيه، فكيف تحرم ولا تحل؟ وعلى هذا فإن تعاقد إنسان مع آخر ليبيع له أو ليشتري، واتفقا على أجر معين أو لم يتفقا على الأجر، ولكن كان ببلد التعامل قانون عام يحدد أجرة السمسرة صح ولزم الأجر المتفق عليه أو المقرر بحكم القانون. أما إذا أعان شخص شخصا على البيع أو الشراء دون تعاقد، ثم طلب منه أجرا، فإن الحكم في ذلك هو العرف.

فإن كان أهل السوق أو البلد -الذي يجري فيه التعامل- يعملون بأجر لزم الأجر، وكما يحكم العرف في أصل الأجرة يحكم في قدرها، وإن كان العرف لا يجري في مثل هذه المنفعة، وإنما يجري بالتبرع والتعاون فإنه لا يجب فيه أجر».

ويقرر الإمام أصالة الفقه الإسلامي، ببيان أن السمسار معروف في كتب الفقهاء بقوله: «هذا وقد جاء ذكر السمسار بعنوانه المعروف به عند الناس في كتب المالكية، ضمن الأمراء الذين لا يضمنون ما تحت أيديهم بالتلف أو الضياع دون تعد أو تقصير، قالوا: ولا يضمن سمسار خير (أي ذو أمانة).

وجاءت كلمة «سمسار» مع كلمة «سمسرة» في المعاجم اللغوية، وفي بعضها ما يدل على أن هذه العملية كانت معروفة في عهد النبي ﷺ بهذا العنوان نفسه «سمسرة وسماسرة».

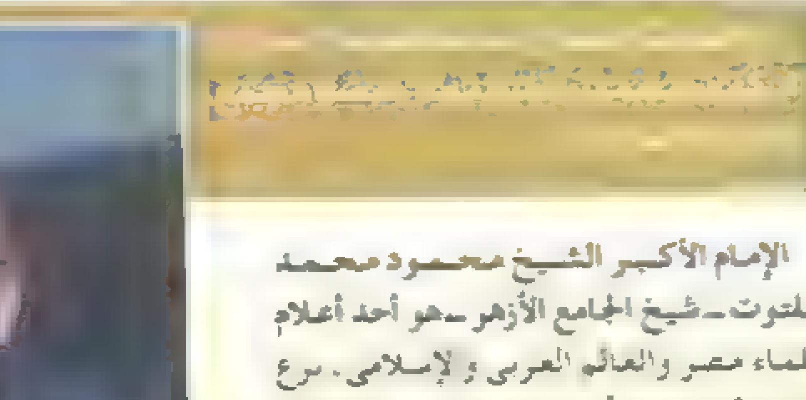
ويمضي الشيخ في وضع ضوابط على عمل السمسرة حتى يتجرد من المحظورات التي قد تشوبه وتتضمنه، فينبه على أن عمل السمسرة لا يجوز أن يكون استئجارا على الحرام، فيقول: «تقرر الشريعة حرمة الاستئجار على كل ما يحرمه الإسلام وتبيحه فيما يبيحه الإسلام، وكان فيه نفع للناس مع تحديد المنفعة والأجر. فالاستئجار على شراء الخمر أو حملها حرام، والاستئجار على رعي الخنزير وشرائه حرام، والاستئجار على الغناء والرقص حرام، والاستئجار على السباحة وضرب الدف لمجرد التلهي الذي يصد الناس عن العمل النافع والواجبات الدينية حرام، فعلى المسلمين التحري في عقودهم ومعاملاتهم، حتى يسلموا من غضب الله وسخطه، ولهم فيما أباحه الله متسع عظيم».

وفق هذا الفهم يتناول الشيخ شلتوت الحقائق العقدية والاقتصادية والاجتماعية، مبينا حكمها عن طريق الاجتهاد الشرعي الذي يتأسس على حقائق الإسلام ومصلحة المسلمين في كل عصر، فحيثما تكون المصلحة فثم شرع الله.

والحمد لله أولا وآخرا



الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت مجتهدا متنورا



الإمام الأكبر الشيخ محمود محمد شلتوت ـ شيخ الجامع الأزهر ـ هو أحد أعلام علماء مصر والعالم العربي والإسلامي. برع نجمه ولمع بوصفه أحد علماء الشريعة الموثوق بعلمهم، فتوجهت إليه الأنظار عارفة بعلمه وفضله وإمامته واجتهاداته.

شغل نفسه بالعلم؛ فألف الكتب. وقام بتدريسه للطلاب المتخصصين بالأزهر الشريف. ورأى أن تعريف الناس بأمور دينهم لا يقتصر على التلقي عنه في دروسه بين طلابه، فاتخذ الإذاعة والصحافة من منابره التي ينشر من خلالها العلم على الناس، يوضح لهم أحكام شريعة الإسلام، بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، والأسلوب السهل، ولم يكن علمه ـ وحده ـ هو مزيته الشخصية بل كان لصوته الجهوري رنة وسمة خاصة يعرف بها، زادته قبولا ومحبة عند الجماهير التي تسمع

أحاديثه الصباحية في الإذاعة المصرية

مولده ونشأته العلمية

ولد ـ رحمه الله ـ في ٢٣ من شهر أبريل سنة ١٨٩٢م، وكان مولده بإحدى القرى التابعة لمحافظة البحيرة بمصر، هي قرية منية بني منصور ـ مركز إيتاي البارود.

ورغبة من أهله في أن يتلقى العلم في الأزهر الشريف، كان لابد أن يهيأ للالتحاق بالأزهر الشريف بحفظ القرآن الكريم كله، لاشتراط الأزهر لقبول الطلاب في معاهده التابعة له أن يكونوا حافظين للكتاب الكريم؛ فانتظم عند شيخ يعلمه حفظ القرآن الكريم حتى أتم حفظ كتاب الله، ثم تقدم إلى معهد الإسكندرية الديني فقبل به سنة ١٩٠٦م.

واستمر في تلقي العلم عن أساتذته في الأزهر الشريف، حتى تخرج منه بحصوله على شهادة العالمية النظامية سنة ١٩١٨م متفوقا، فقد كان أول الناجحين في هذه الشهادة.

قيامه بالتدريس

بعد أن تخرج الشيخ محمود شلتوت في الأزهر الشريف بحصوله على شهادة العالمية النظامية تم تعيينه مدرسا بالمعهد الذي التحق به في أول حياته الدراسية، وهو معهد الإسكندرية الديني، وكان ذلك في عام ١٩١٩م، وظل يقوم بالتدريس بهذا المعهد حتى سنة ١٩٢٧م؛ حيث نقل إلى القاهرة لشغل وظيفة مدرس في القسم العالي لمادتي: «الفقه، وأصول الفقه»، قبل أن يمضي على تخرجه وقت طويل، وكان هذا دليلا على فضله وعلمه؛ لأن القيام بتدريس مادتي: «الفقه، وأصول الفقه»، كان لا يسند إلا للمشايخ الذين بلغوا النهايات من أعمارهم الدراسية، فمع أن الشيخ محمود شلتوت كان في هذه الفترة الزمنية في سن الشباب؛ إذ كانت سنه حينئذ في أوائل الثلاثينيات، فإنه كان جديراً بالوظيفة التي أسندت إليه، فبهر ـ بعلمه الغزير، وفكره القوي ـ تلاميذه، وحببهم في العلم، ورغبهم في تحصيله.

مناداته بإصلاح الأزهر

كان الشيخ محمود شلتوت أحد الأعلام في سلسلة الذين نادوا بإصلاح الأزهر، وتطوير نظامه، فمن المعلوم أن الأزهر الشريف ليس هو الهيكل المادي المكون من الأحجار والأخشاب وغيرها من مواد البناء الأخرى. وإنما هو العلم والثقافة والفكر، والتعرف على رياض الشريعة الغناء، في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، والنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، والتاريخ، والمنطق، والفلسفة، وسائر ما يموج به هذا المعهد العريق من علوم وفنون وآداب.

وإذا كان الأزهر مثابة للناس في بيان الأحكام وتدريس العلوم المختلفة؛ فإنه بهذا الوصف يكون كائنا حيا قابلا للنمو والتطور، والتغير، كما تتطور وتتغير سائر الأحياء؛ لأن طبائع الأشياء تقتضي التطور، وإذا لم يتطور الشيء بذاته احتاج إلى التطوير إلى الأفضل والأكمل. فمبدأ التغير قانون أزلي تخضع له الأشياء، فالصحاري تتطور، والمدن، والقرى، والنجوع، والإنسان ذاته له في حياته أطوار. ولا يوجد موجود لا يجوز عليه التغيير إلا الخالق الأعظم تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيرا.

ولهذا المعنى وجدنا الأزهر الشريف تعتريه

رياح التغيير والتطوير فى أدائه لمهمته العلمية الكبيرة؛ فلم يكن فى عهد الأزهر الأول توجد امتحانات للطلاب.

بل كانت الإجازة العلمية يعطيها الشيخ لتلميذه للدلالة على أنه فهم نصاً معيناً، وتؤهله هذه الإجازة للقيام بالتدريس. وكان أول قانون نظم الدراسة فى الأزهر هو القانون الذى أصدره الخديوى إسماعيل ـ حاكم مصر ـ سنة ١٢٨٨هـ الموافق لسنة ١٨٧٢ من التاريخ الميلادى، وآخر قانون ينظم الأزهر والهيئات التى يشملها هو القانون رقم ١٠٣ الصادر فى سنة ١٩٦١م.

فصل الشيخ شلتوت من الأزهر لمناداته بالإصلاح

كان الذين ينادون بالتغيير والتطوير للأزهر الشريف يلاقون فى بعض الأحيان معارضة شديدة من بعض الشيوخ فى الأزهر الذين يتخوفون من التغيير، ويحرصون على بقاء الموجود على حاله، وينتهى الأمر بحدوث التغيير والتطور إلى الأفضل فى أداء الأزهر الشريف لمهامه العلمية

وممن نادوا بتطوير الأزهر الشيخ محمود شلتوت. ولكن آراءه الإصلاحية للأزهر لقيت معارضة شديدة من المشرفين على سياسة الأزهر. انتهت بصدور قرار بفصله من العمل بالأزهر فى ١٧ من شهر سبتمبر ١٩٣١م هو وبعض من زملائه من شيوخ الأزهر، الذين يؤيدون فكرته الإصلاحية. وكان قرار فصله من الشيخ الظواهرى ـ شيخ الأزهر ـ فى هذا الوقت.

ومع هذا ظل الشيخ يتابع بنقده لسياسة الأزهر، واستمر يعمل على شيوع أفكاره الإصلاحية. ينشرها فى الصحف اليومية والمجلات، وعمل ـ فى فترة فصله بالمحاماة ـ واشتغل بالبحوث العلمية. وفى سنة ١٩٣٥م أعيد للأزهر، وعين مفتشاً بالمعاهد الأزهرية. ثم وكيلاً لكلية الشريعة الإسلامية، ثم عضواً بالمجمع اللغوى.

الشيخ يمثل الأزهر فى مؤتمر لاهاى الدولى سنة ١٩٣٧م

فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٥٦هـ الموافق أغسطس سنة ١٩٣٧م انعقد بمدينة لاهاى ـ بهولندا ـ مؤتمر القانون المقارن فى دورته الثانية، ووجهت الدعوة إلى الأزهر الشريف، ليختار من يمثله فى هذا المؤتمر الدولى. فكان اختيار شيخ الأزهر ـ فى هذا الوقت وهو الشيخ المراغى ـ لشيخين من خيرة علمائه، وهما:

١ ـ الشيخ محمود شلتوت.

٢ ـ الشيخ عبد الرحمن حسن عبد المنعم

وقدم الشيخ محمود شلتوت إلى المؤتمر بحثاً فى بيان المسئولية الجنائية، والمسئولية المدنية فى نظر الإسلام. وقدم الشيخ عبد الرحمن حسن عبد المنعم بحثاً فى علاقة القانون الرومانى بالشريعة الإسلامية، والرد على بعض المستشرقين فى دعواهم أن الشريعة الإسلامية متأثرة بالقانون الرومانى، وقد بذل وفد الأزهر الشريف الجهد العلمى، الذى أدى إلى أن يقرر المؤتمر ـ بالإجماع ـ ما يلى

أولاً: اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام والقانون المقارن.

ثانياً: اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور.

ثالثاً: اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها، ليست مأخوذة من غيرها.

رابعاً: تسجيل البحث الذى تقدم به الشيخ محمود شلتوت، وهو «بيان المسئولية الجنائية والمسئولية المدنية» فى نظر الإسلام فى سجل المؤتمر باللغة العربية، واعتباره بين المجموعة العلمية التى تدخر للرجوع إليها.

خامساً: استعمال اللغة العربية فى المؤتمر، والتوصية بالاستمرار فى ذلك فى الدورات المقبلة [1].

تدرج الشيخ شلتوت فى الوظائف وعضويته فى الهيئات العلمية

فى سنة ١٩٤١م اختير الشيخ محمود شلتوت عضواً بهيئة كبار العلماء ـ وهى التى تحول اسمها فى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م ـ إلى مجمع البحوث الإسلامية، ثم فى سنة ١٩٤٦م اختير عضواً فى المجمع اللغوى بالقاهرة، وفى سنة ١٩٥٠م عين مراقباً عاماً للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر، ثم تولى وكالة الأزهر الشريف فى سنة ١٩٥٧م، وفى ١٣ من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٨م صدر القرار الجمهورى بتعيين الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر، وظل فى هذا المنصب الجليل إلى أن توفاه الله ـ عز وجل ـ فى ليلة الإسراء والمعراج من شهر رجب سنة ١٣٨٣هـ الموافق ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٣م.

وبوفاته ختمت حياة حافلة لعالم من أكبر علماء الأزهر الشريف. ومن أعظمهم شهرة. ومن أكثرهم نشاطاً فى الدعوة إلى الله. ونشر الثقافة الإسلامية. المبرأة من التعصب الممقوت. رحمه الله رحمة واسعة. وجزاه خير الجزاء على ما قدم لأمته الإسلامية من العلم النافع.

مؤلفات الشيخ شلتوت

تنوعت نواحى التأليف عند عالمنا الكبير، وتعددت حتى بلغت ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً، منها ما ألفه فى علم التفسير، وله فى ذلك عدة أجزاء فى مجلد. لكنه لم يتم. وله بحث فى حكم الشريعة فى استبدال النقد بالهدى، ورسالة فى القرآن والمرأة، وبحث فى القرآن والقتال، وبحوث أخرى بعناوين: هذا هو الإسلام، وعنصر

(١) تاريخ الفقه الإسلامى بمراجعة وتصحيح وتهذيب الشيخ محمد على السايس ص١٤٩ مطبعة وادى الملوك بمصر، والمنتقى من تاريخ التشريع الإسلامى للدكتور محمد أنيس عبادة ص١٧٦ مطبعة دار التأليف بمصر، والمدخل للفقه الإسلامى للدكتور حسن على الشاذلى ص٢٤٨ دار الاتحاد العربى بمصر

الخلود في الإسلام، والإسلام والتكافل الاجتماعي، وفقه السنة، ولشعوب شرعية جتماعية. وله محاضرة في حكم الشريعة الإسلامية في تنظيم النسل، ورسالة في الدعوة المحمدية، وفقه القرآن والسنة الجزء الأول، وتوجيهات الإسلام، والإسلام والوجود الدولي، ومقارنة المذاهب في الفقه بالاشتراك مع الشيخ محمد علي السايس، وله كتاب الفتاوى، وكتاب الإسلام عقيدة وشريعة[٢].

الشيخ شلتوت فقيها

على الرغم من أن الشيخ محمود شلتوت تعددت مواهبه العلمية في مجالات مختلفة؛ فتراه مفسراً للقرآن الكريم، ومشتغلاً باللغة العربية حتى اختير عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة، ونراه - كذلك - ناشراً للثقافة الإسلامية عن طريق الصحف والإذاعة، وداعياً إلى الإصلاح، فإننا - مع ذلك - نجد أنه غلبت عليه صفة الفقيه، ولعل ذلك يرجع إلى نشاطه العلمي الذي قام به بعدما نقل من معهد الإسكندرية الديني إلى القسم العالي بالقاهرة، وتمثل هذا النشاط العلمي في قيامه بتدريس الفقه وأصوله، وقيامه - أيضاً - بالتأليف في مجال المسائل الخلافية، ومقارنة المذاهب الفقهية الإسلامية، وتصديه للفتوى في المسائل التي ترد إليه من المستفتين، وهي - في كثير من نواحيها - مسائل فقهية، في أبواب الطهارة، والعبادات، والمعاملات، وفقه الأسرة، وغير هذا من قضايا تحدث للناس في حياتهم اليومية خاصة والعامة. وليست قضايا عقدية إلا في حالات قليلة بالنسبة إلى مسائل الفقه وقضاياه الكثيرة.

الشيخ محمود شلتوت مجتهد فتوى

تحتاج الأمة الإسلامية - في كل عصر - إلى من يبين للناس أحكام الدين في معاملاتهم وصلاتهم بعضهم ببعض، وصلاتهم - جميعا - بالخالق - تبارك وتعالى - ومن المعلوم أن التصرفات تتجدد، والأحداث تختلف من عصر إلى عصر، ويحدث للناس والمجتمعات قضايا مختلفة باختلاف البيئات والأعراف والثقافات؛ فكان من اللازم وجود المجتهدين في كل عصر ليساعدوا الناس على التعرف على أحكام دينهم، ولهذا وجدنا علماءنا القدامى يبينون أن الاجتهاد فرض في كل العصور، ويؤلف جلال الدين السيوطي كتابا بعنوان: «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض»، وكان الشيخ محمود شلتوت أحد العلماء الذين دخلوا من باب الاجتهاد، وثقف نفسه ثقافة علمية دينية، عالية المقدار، مما مكنه من أن يفتي الناس في أمور دينهم.

ولعلي - لا أكون مبالغاً - إذا قلت: إن الشيخ محمود شلتوت وصل بعلمه وفكره إلى درجة علمية كبيرة تؤهله لأن يحوز مرتبة مجتهد الفتوى، واجتهاد الفتوى هو أحد أنواع الاجتهاد الثلاثة، فمن المعلوم أن الاجتهاد هو بذل الفقيه وسعه في استنباط الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

ومعنى بذل الوسع أن يحس الفقيه من نفسه العجز عن المزيد على ما بذله من جهد علمي في فهم ما تفيده الأدلة الشرعية[٣].

والتقليد يضاد الاجتهاد، وقد عرف العلماء التقليد بعبارات مختلفة، فهو عند البعض: قبول رأى الغير بلا دليل ولا حجة، وعرفه الجرجاني: بأنه عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً الأحقية فيه من غير نظر وتأمل في الدليل. وقال الجرجاني: إن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه.

ويرى بعض العلماء أن أخذ القول من الغير مع معرفة دليله يمكن أن يسمى تقييداً، ويكون هذا واسطة بين التقليد والاجتهاد. وعلل هذا الرأى بأنه لا ينطبق عليه تعريف الاجتهاد ولا تعريف التقليد[٤].

والأنواع الثلاثة التي ينقسم إليها الاجتهاد هي:

النوع الأول: الاجتهاد المطلق، أي الاجتهاد المستقل، وهو أن تتوافر في الشخص القدرة على استنباط الحكم في جميع أبواب الشرع بالقواعد التي وضعها لمذهبه لا بقواعد غيره، بأن كان يستطيع أن يفتي في كل أبواب الفقه من طهارة، وعبادات، ومعاملات، ومسائل الأسرة، والعقوبات من قصاص، وحدود، وتعزيرات، وسائر أبواب الفقه، بالقواعد التي وضعها في استنباط الأحكام. والأئمة الإسلامية ثرية بمن حازوا درجة الاجتهاد المطلق، ككثير من علماء الصحابة - رضي الله عنهم - وأئمة المذاهب الفقهية المشهورة.

النوع الثاني: اجتهاد المذاهب، وهو أن يكون له القدرة العلمية على معرفة الأحكام في الوقائع التي لم يرد فيها نص عن الإمام الذي يلتزم مذهبه، بطريقة التخريج على نصوص هذا الإمام، أو القواعد المنقولة عنه، فاجتهاده لا يخرج عن دائرة إيمان مذهبه، ومجتهد المذهب كابن القاسم، وابن وهب، وأشهب من علماء الفقه المالكي، وكمال بن الهمام في الفقه الحنفي، والغزالي والنووي في الفقه الشافعي.

النوع الثالث: اجتهاد الفتوى، وهو أن يكون له القدرة العلمية على ترجيح قول الإمام من أئمة الفقه الإسلامي على قول إمام آخر، أو قول عالم من العلماء على قول عالم آخر.

ومجتهد الفتوى ككبار المؤلفين من أهل

---

(٢) معظم هذه الكتب والبحوث أشارت إليها الموسوعة العربية الميسرة الجزء الثاني ص١٠٩ وضع لجنة برئاسة محمد شفيق غربال دار نهضة لبنان للطبع والنشر - بيروت ١٩٨١م

(٣) حاشية الصدور عن شرح [illegible] ص١٧ ، [illegible] الفقه الإسلامي ص٣٣

(٤) شرح كتاب النيل وشفاء العليل لمحمد بن يوسف أطفيش ج١٣ ص٤٧٤، ٤٧٥





المذاهب الفقهية الإسلامية[١].

والشيخ محمود شلتوت لم يكن له - فيما أعلم - قواعده وأصوله التي استقل بها عما أصله وقعده أئمة الفقه الإسلامي في استنباط الأحكام الفقهية؛ وإنما كان بسعة إطلاعه، وفكره المستنير، ينظر في المسألة ويطلع على آراء الفقهاء فيها، ثم يعتني بالرأي الذي يطمئن إليه، وقد يستعين في ذلك بقواعد وأصول غيره من العلماء أو بتعليلهم برأيهم، غير متعصب لمذهب معين أو لشخصية عالم بذاته، سواء أكان من أصحاب المذاهب الفقهية المشتهرة أم من غيرهم، وفيما أعلم لم يدع الشيخ محمود شلتوت أنه مجتهد اجتهادا مطلقا، ولا أظن أنه وجد في العصر الحديث الذي نعيش فيه، من بلغ هذه المرتبة العلمية العالية، وهي مرتبة الاجتهاد المطلق التي بلغها أئمة المذاهب الفقهية المشهورون.

وأيضاً لم يكن الشيخ مجتهد مذهب؛ لأنه لم يحصر نفسه في بحثه عن الحكم في القضايا التي يتعرض لبيان الحكم الفقهي فيها في اتباع أصول إمام بعينه لا يتعداها - عند إبداء الرأي - كما هو الشأن في مجتهد المذهب، ولا ألزم نفسه بتخريج القضية الجديدة على قضية قديمة قال فيها إمام من أئمة الفقه يلتزم مذهبه برأي.

فالشيخ محمود شلتوت لم يكن - إذا - مجتهد اجتهادا مطلقا، ولا مجتهدا اجتهاد مذهب، ولكنه وصل بعلمه إلى درجة مجتهد الفتوى.

بعض ملامح آرائه في الفقه الإسلامي

الشيخ شلتوت بثقافته الواسعة، واشتغاله بدراسة وتدريس الفقه الإسلامي وأصوله، وتوافر الأسس العلمية فيه التي تؤهل الشخص ليقوم بالتعرف على الأحكام الشرعية من مصادرها المعتبرة - كل ذلك - أهله ليكون صاحب فكر مستقل منطلق من قيد التبعية لمذهب معين، ونرى بعضا من ملامح آرائه في الفقه الإسلامي فيما يلي

أولاً: محاربته للخرافات والأوهام:

كان يحارب الخرافات والأوهام التي شاعت بين الناس، ويبدي رأيه فيها معتمدا على الأدلة الشرعية، حتى لو كان رأيه الذي يبديه مخالفاً لما يقوله الفقهاء القدامى، ولهذا وجدناه - مثلا - في مسألة زواج الإنسي بالجنية أو العكس، يلتزم العذر لبعض فقهائنا القدامى في تصورهم وقوع مثل هذا، بناء على ما شاع بين عوام الناس من حدوث هذا الزواج الغريب، ويبين الشيخ أن الزواج بالجان وهم من الأوهام التي استقرت عند كثير من الناس، وأن بعض الفقهاء جاراهم وبينوا حكم ذلك، جريا على طريقتهم في افتراض الحوادث.

قال الشيخ[٢]: «صدق كثير من الناس ما شاع من ذلك عن الجن - بقصد الزواج بالجن ودخولهم في جسم الإنسان ونحو ذلك -[٣]، وتناقلوا فيه الحكايات التي ربما رفعوها إلى السلف الصالح، واستمروا على ذلك، حتى جاراهم الفقهاء وفرضوا صحته، واتخذوا من هذا الفرض مادة جعلوا منها حقلا للتدريب على تطبيق كثير من الأحكام الشرعية عليهم، وكان منهم من تحدثوا عن صحة الزواج بهم، وعن وجوب الغسل على الإنسية إذا خالطها جني، وعن انعقاد الجماعة بهم في الصلاة، وعن مرورهم بين يدي المصلي، وعن روايتهم عن الإنس، ورواية الإنس عنهم، وعن حكم استنجاء الإنس بزادهم، وهو - العظم -، وعن حكم الأكل من ذبائحهم، إلى غير ذلك مما نراه منثوراً في كتب الفقه، أو نجده في كتب خاصة ذات عناوين خاصة بالجن».

ثم قال الشيخ: «وإني أعتقد أن ذلك - من فقهائنا - لم يكن إلا مجرد تمرين فقهي، جريا على سنتهم في افتراض الحالات والوقائع التي لا يرتقب وقوعها، أو التي لا يمكن أن تقع، وإذن فمروض الفقهاء - التي لم يقصدوا بها إلا مجرد التدريب الفقهي - لا تصلح أن تكون دليلاً، أو شبه دليل على الوقوع والتحقق، فلنتركهم على سنتهم يفترضون ومردنا في ذلك إلى القرآن الكريم».

وبيّن الشيخ أن القرآن الكريم ينفي هذا، واستشهد بالآية الكريمة التي تبين امتنان الله علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، قال تعالى:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾

(الروم ٢١)

ووضح أن الجن لا يعلمون الغيب ولا يقدرون على الإيذاء الاتصالي بالإنس أو التلبس، ثم قال: «ومع هذا كله قد تغلب الوهم على الناس، وخرج المشعوذون في كل العصور على التلبيس، وعلى غرس هذه الأوهام في نفوس الناس، استغلوا بها ضعاف العقول والإيمان، ووضعوا في نفوسهم أن الجن يلبس جسم الإنسان، وأن لهم قدرة على استخراجه، ومن ذلك كانت بدعة الزار، وكانت حفلاته الساخرة المزرية، ووضعوا في نفوسهم أن لهم القدرة على استخدام الجن، في الحب والبغض، والزواج والطلاق، وجلب الخير، ودفع الشر، وبذلك كانت «التحويطة، والمندل، وخاتم سليمان»، استخدموهم في إظهار الغيب، عن مسروق ضائع، أو مستقبل مخبوء، واستخدموهم في العلاج، واستعملوهم في كل شيء، وصارت لديهم مهنة منها يتعيشون، وللمال يجمعون، وبالعقول يعبثون».

ثم يقول: «وقد ساعدهم على ذلك طائفة من المتسمين بالعلم والدين، وأيدوهم بحكايات وقصص موضوعة أفسدوا بها حياة الناس، وصرفوهم عن السنن الطبيعية في

---

(١) [illegible]

(٢) الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٩٥ دار الشروق بمصر

(٣) كل جواب الشيخ عن سؤال بهذا المعنى

العلم والعمل، وعن اخذ النافع المفيد، وجدير بالناس أن يشتغلوا بما يعنيهم، وبما ينفعهم في دينهم ودنياهم، جدير بهم أن لا يجعلوا لدجل المشعوذين سبيلا إلى قلوبهم، فليحاربوهم وليطاردوهم، حتى يطهر المجتمع منهم، وليعرفوا ما أوجب الله عليهم معرفته، مما يفتح لهم أبواب الخير والسعادة».

ثامناً: لا يهاب العسر في إبداء الرأى:

كان الشيخ شلتوت شجاعاً في إبداء ما يراه صواباً وإن خالف الكثيرين، وهذا هو أحد أخلاق العلماء الملتزمين بأوامر الشرع وأحكامه. ويظهر ذلك في رأيه الفقهي الذى أبداه في حكم الأرباح التى تدفعها مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة في صندوق التوفير.

فبين الشيخ محمود شلتوت أن بعض علماء حلال وحرام يرى أن الربح ـ الذى تدفعه مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة في صندوق التوفير ـ حرام، لأنه إما فائدة ربوية للمال المودع، أو منفعة جرها قرض، وكلا الأمرين حرام في نظر الشريعة، ولهذا يجب رده، ويحرم أخذه والانتفاع به.

يبين الشيخ شلتوت هذا الرأى ثم يقول: «والذى نراه ـ تطبيقاً للأحكام الشرعية والقواعد الفقهية السليمة ـ أنه حلال ولا حرمة فيه».

وعلل هذا الرأى ـ وإن خالفه في هذا كثيرون ـ بقوله: «ذلك أن المال المودع لم يكن ديناً لصاحبه على صندوق التوفير، ولم يقترضه صندوق التوفير منه، وإنما تقدم به صاحبه إلى مصلحة البريد من تلقاء نفسه طائعاً مختاراً، ملتمساً قبول المصلحة إياه، وهو يعرف أن المصلحة تستغل الأموال المودعة لديها في مواد تجارية[8]، ويندر فيها ـ إن لم يعدم ـ الكساد أو الخسران».

«وقد قصد بهذا الإيداع أولاً: حفظ ماله من الضياع، وتعويد نفسه على التوفير والاقتصاد، وقصد ثانياً إمداد المصلحة بزيادة رأس ماليها، ليتسع نطاق معاملاتها، وتكثر أرباحها فينتفع العمال والموظفون، وتنتفع الحكومة بفائض الأرباح».

«ولاشك أن هذين الأمرين: تعويد النفس على الاقتصاد، ومساعدة المصلحة الحكومية غرضان شريفان، كلاهما خير وبركة، ويستحق صاحبهما التشجيع، فإذا ما عينت المصلحة لهذا التشجيع قدراً من أرباحها منسوباً إلى المال المودع ـ أى نسبة تريده ـ وتقدمت إلى صاحب المال، كانت ـ دون شك ـ معاملة ذات نفع تعاوني عام، يشمل خيرها صاحب المال، والمال، والحكومة، وليس فيها ـ مع هذا النفع العام ـ أدنى شائبة لظلم أحد، أو استغلال لحاجة أحد، ولا يتوقف حل هذه المعاملة على أن تندمج في نوع من أنواع

(8) المعلوم لرأى الشيخ يعنى أن مصلحة البريد تستثمر المال تجارياً

الشركات التى عرفها الفقهاء وتحدثوا عنها وعن أحكامها».

ثم قال الشيخ: «ومن هنا يتبين أن الربح المذكور ليس فائدة لدين حتى يكون ربا، ولا منفعة جرها قرض حتى يكون حراماً على النهى عنه[9]، وإنما هو كما قلنا تشجيع على التوفير والتعاون اللذين يستحبهما الشرع[10]».

ثالثاً: إعمال فكره فيما يحل إحدى المشكلات وفق قواعد الفقه الإسلامى:

ويظهر هذا في رأيه في تكدس لحوم الذبائح بمنى، فيبين رأيه بقوله: «إن هذه المشكلة ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله، وإنما نشأت عن عدم التنظيم، وعدم الإلمام بأحكام الشرع، فإن الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح، فالذى نوى الحج واستمر على إحرامه حتى أكمل حجه لا يجب عليه ذبح، ولم يوجب أن يكون الذبح ـ فيما طلب فيه الذبح ـ في خصوص منى ولا مجزرتها، ولا في اليوم الأول من أيام النحر، فأيام النحر كلها زمن للذبح، والحرم كله مكان للذبح، والذبح لم يطلب عيناً إلا في حالات مخصوصة، وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره من صدقة أو صيام».

«فلو عرف الحاج أحكام الله على هذا الوجه ـ فيما يختص بالدماء ـ فتصدق من لم يطلب منه الذبح، وذبح من طلب منه الذبح، وفرقوا الذبح على الأماكن والأيام، ثم تخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى، وهيئوها بالسلخ والتقطيع لما كان لهذه الشكوى موضع».

ثم قال الشيخ ـ في نهاية كلامه في هذه المسألة ـ: «إنه على فرض تكدس اللحوم ـ كما يقولون ـ بعد مراعاة الأحكام الشرعية في زمان الذبح ومكانه، وطلبه وعدم طلبه، يجب على المسلمين ـ وفيهم ـ والحمد لله موسرون كثيرون ـ أن يعملوا على استخدام إحدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وادخارها طيبة، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين في جميع الأقطار الإسلامية، أو يتصدق بها على الفقراء والمساكين، أو يبيعها وأثمانها تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين، أو في سبيل الله تعالى».

رابعاً: عدم التعصب في إبداء الرأى لمذهب معين:

وهو منهج عند الشيخ يصرح به في كتابه «الفتاوى» في كلمته التى قدم بها كتابه إلى القراء، وفيها يقول: «وهذه مجموعة من الفتاوى والأحكام أجبت بها على أسئلة السائلين في موضوعات مختلفة بعضها نشرته الصحف والمجلات للقارئين، وبعضها أذاعته الإذاعة على المستمعين، لم ألتزم فيها

(9) يشير الشيخ إلى أن حديث «كل قرض جر نفعاً فهو ربا» لم يسلم به بعض العلماء، ووصفوه بالضعف

(10) [illegible]

(11) الفتاوى للشيخ شلتوت ص ١٧٣، ١٧٤ وقد أخذ أخيراً بهذا الرأى في التصرف في هذه اللحوم

مذهبا خاصا، ولم أتقيد برأى فقيه معين إلا بالكتاب العزيز، والسنة الصحيحة، وقواعد الإسلام العامة الخالدة».

وهذا المنهج الذى بينه الشيخ شلتوت يظهر فى أن ترجيحاته فى القضايا التى أبدى الرأى فيها لم تكن محصورة فى مذهب معين من المذاهب الفقهية، فنراه فى مسألة مسح الرأس فى الوضوء يرجح القول بأن المسح يجزئ بأى جزء من الرأس قل أو كثر ما دام فى دائرة ما يصدق عليه اسم المسح[13]، وهذا الرأى ـ الذى رجحه الشيخ ـ وهو ما يراه الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ[14]، وفى مسألة الدلك عند غسل أعضاء الوضوء يرجح رأى المالكية الذين يرون أنه من فروض الوضوء.

وفى مسألة عقد الزواج بعبارة النساء نجد الشيخ يرجح ما يراه الحنفية من صحة عقد الزواج بعبارة المرأة[16].

وفى مسألة إعسار الزوجة بالنفقة ولم ترض الزوجة بالمقام معه من أجل ذلك، نجده يرجح ما يراه ابن القيم الجوزية ـ أحد كبار فقهاء الحنابلة المشتهرين ـ وهو أنه إذا كانت قد تزوجته وهى عالمة بإعساره، أو كان حال الزوج موسرا ثم أعسر لا تملك طلب الفرقة فى الحالتين، أما إذا كان قد غرها ـ عند الزواج ـ بأنه موسر، ثم تبين لها إعساره فإنه يكون لها حق الفسخ[17].

وهكذا نجده لا يتعصب لمذهب معين من المذاهب الفقهية، ووجدناه ـ كذلك ـ عند حكايته للآراء الفقهية يذكر آراء فقهاء المسلمين، سواء أكانوا من أهل السنة، أم من غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى، ففى مسألة الطلاق فى الحيض، أو فى طهر مسها فيه، يذكر رأى الشيعة الإمامية، والمعتزلة مع رأى غيرهم من فقهاء أهل السنة، فيبين أن الأئمة الأربعة المشتهرين وجمهور الفقهاء يرون وقوع الطلاق إذا حدث فى الحيض، أو فى طهر مسها فيه، وأن هناك رأيا آخر يقول بعدم وقوعه، وذكر أن من القائلين بهذا الرأى الباقر، والصادق ـ من أئمة الشيعة الإمامية ـ وابن علية ـ من فقهاء فرقة المعتزلة ـ. وكذلك عند ذكر آراء العلماء فى إيقاع الطلاق ثلاثا بكلمة واحدة فى وقت واحد، يذكر أن من القائلين بأنه يقع طلقة واحدة رجعية فقهاء الشيعة الزيدية، وأن بعض الإمامية يرى أنه لا يقع به شىء[19].

(12) الفتاوى للشيخ شلتوت ص...

(13) مقارنة المذاهب فى الفقه للشيخين محمود شلتوت ومحمد على السايس ص11 ومعظم الآراء فى هذا الكتاب منسوبة إلى الشيخين لأنه لم يبين فى الكتاب المعدود التى كتبها كل منهما منفرداً

(14) المجموع للنووى ج1 ص426

(15) ...

(16) مقارنة المذاهب فى الفقه ص19

(17) مقارنة المذاهب فى الفقه ص90، 91

(18) المصدر السابق ص76

(19) مقارنة المذاهب فى الفقه ص76

من فكره فى التفسير

أولا: اهتم الشيخ شلتوت ببيان التحريف الذى يحدث من البعض فى فهم القرآن، فنراه يبين أن بعض الناظرين فى القرآن يروج لخصوص التشاؤم، ويحرف معنى بعض الآيات القرآنية، ليدلل على ما يروج له.

يقول الشيخ: «وقد تعلق بعض الناظرين فى القرآن المروجين لسنة التشاؤم الفاسدة، بقوله تعالى فى وصف العذاب الذى نزل بقوم عاد:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾

(القمر: 19)

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾

(فصلت: 16)

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾

(الحاقة: 6، 7)

وقالوا: إن القرآن يرشد بهذه الآيات إلى أن فى الأيام نحسا وسعودا، وأيدوا بهذه الآيات ما نسبت روايته عن النبى ﷺ لابن عباس ـ رضى الله عنه ـ: «آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر»[20].

ثم قال الشيخ محمود شلتوت:

«وقد عرض الألوسى فى تفسيره للروايات التى افتعلت ترويجا للتشاؤم بالأيام والتفاؤل بها، ويعجبنى قوله فى هذا المقام: ويكفى فى هذا الباب أن حادثة عاد استوعبت أيام الأسبوع كلها، فقد قال ـ سبحانه ـ:

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾

(الحاقة: 7)

فإن كانت نحوسة الأيام لذلك فقل لى: أى يوم من الأسبوع خلا منها؟».

قال الشيخ: «والحق ـ كما قال ـ أن كل الأيام سواء، ولا اختصاص ليوم بنحوسة ولا لآخر بسعد، وإنه ما من ساعة من الساعات إلا وهى سعد على شخص، ونحس على آخر، باعتبار ما يقع منها من الخير على هذا، ومن الشر على ذاك، فإن استنحس يوم من الأيام لوقوع حادث فيه فليستنحس كل يوم لما يقع فى الأيام كلها من أحداث، وما أولج الليل فى النهار، والنهار فى الليل إلا لإيلاد الحوادث، ولا تأثير لما يقع فيها من أحداث، ولا شأن للوقت أو المكان أو الأشياء فى نحوسة أو سعود.

«نعم لبعض الوقت شرف ترجع إليه فى نظر الشرع مضاعفة الجزاء لعاملى الخير أو الشر، ولكن شرف الأوقات الذى يضاعف به جزاء العاملين شىء، ونحوستها وسعودها باعتبار ذاتها وعلى وجه يعم الناس جميعا، شىء آخر، لا يعرفه الإسلام، ولا يبيح لأحد

(20) الموضوعات لابن الجوزى ... اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ...

أن ينسبه إليه[٣١].

[illegible]

البحث عن حقيقة الروح:

يبين الشيخ أن الروح لاتزال حقيقتها من الأمور الغيبية التي لم يتوصل الإنسان إلى معرفتها، إلا أن هذا ليس مانعاً من البحث عن حقيقتها، فلم يقم دليل على تحريم البحث بشأنها، يقول الشيخ: «فلاتزال حقيقتها من الغيب الذي لم يكشفه الله للإنسان. وهي في ذلك ككثير مما ينتفع به الإنسان بآثاره، دون أن يعرف كنهه، وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص ديني. ولا حجة للقائلين بحرمة البحث عنها في قوله تعالى

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾

(الإسراء ٨٥)

فقد رجح بعض العلماء أن المراد منها في الآية القرآن نفسه، وقد سماه الله روحا في قوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾

(الشورى ٥٢)

وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحة هذا الرأي.

وإذن فلا يتعين أن يكون المسئول عنه هو روح الحياة، على أنه لو كان هو روح الحياة فليس في الآية أكثر من أنها من أمر الله، وهو لا يمنع البحث عن حقيقتها»[٣٢].

[illegible]

القدر الذي جاء في القرآن ليس معناه كما يفهم كثير من الناس:

فيبين الشيخ محمود شلتوت أن كثيراً من الناس يفهمون كلمة «القدر» التي وردت في القرآن الكريم على معنى أن الإنسان لا اختيار له في أفعاله. والصحيح غير ذلك. يقول الشيخ[٣٣]: «والقدر الذي جاء في القرآن الكريم مضافاً إلى الله مثل قوله:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

(القمر: ٤٩)

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾

(الحجر ٢١)

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾

(الأعلى ٣)

وغير ذلك، يرجع معناه إلى أن الله خلق هذا الكون على سنن مضبوطة، ومقادير معينة، ولم يكن صادراً عن طريق الصدفة التي لا تعتمد على نواميس يجري عليها، ويسير على مقتضاها، ويؤدي بها مهمته، ولا توجد في القرآن كلمة «قدر» بالمعنى الذي يفهمه كثير من الناس، والذي يرجع إلى أن الإنسان مجبور في أفعاله بحيث يكون مقهوراً عليها.

والقدر بالنسبة للإنسان معناه أنه خلقه بإرادة وحرية، واختيار فيما كلفه به من أعمال الخير، والبعد عن أعمال الشر، وكل نصوص القرآن تدل على ذلك دلالة واضحة، واختيار الإنسان أساس لتكليفه ومحاسبته، ومحال أن يكون مجبوراً على فعله ثم يكلف ويثاب أو يعاقب على ما لا يستطيع صرف نفسه عنه وعلم الله بما سيكون من الإنسان باختياره وإرادته يحقق معنى الاختيار وينفي القهر والجبر. وصفة العلم صفة كشف وليست صفة تأثير».

[illegible] من الإسرائيليات

يرى الشيخ وجوب أن ينقى تفسير القرآن من الإسرائيليات، وذكر مثالا للإسرائيليات [illegible] تفسير [illegible]

[illegible]

(النمل ٨٢)

وقال الشيخ [illegible]

«ومن أغرب ما قيل في حقيقتها [illegible] إنسان [illegible] على - رضي الله عنه - وقيل: إنها ولد ناقة صالح فر هاربا حينما عقر القوم أمه، وانفتحت له في طريقه صخرة فدخلها ثم انطبقت عليه، فهو في باطنها إلى أن يخرج قرب يوم القيامة. وقيل [illegible] حلقت في [illegible] الأنبياء المتقدمين [illegible] موسى سأل ربه [illegible] إياها، فأخرجها ثلاثة أيام ولياليها، تذهب في السماء لا يرى واحد من طرفيها. [illegible] عليه السلام منظراً فظيعاً، [illegible] رب ردها، فردها، وقيل: إنها هي



٣١- الفتاوى للشيخ محمود شلتوت

٣٢- الفتاوى ص١١

٣٣- الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ص١٩، ٢٠

الثعبان الذى كان فى جوف الكعبة، واختطفه العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام فمنعهم. فألقته العقاب بأجياد، فالتقمته الأرض وهو فى باطنها حتى يخرج يوم القيامة».

قال الشيخ: «وقد فات المفسرون أن يضعوا حدا لصون التفسير عن هذه الإسرائيليات التى أظلمت الجو على طلاب الهداية القرآنية وشغلتهم عن اللب والجوهر بما ألصقته بالقرآن وقصروا جهودهم على التبين فيما [illegible].

«وليس هذا خاصاً بالدابة، وإنما هو ريح السموم هبت على كتب التفسير من نواح كثيرة فى كل أمر غيبى أخبر به القرآن، ولم يتصل به بيان قاطع عن الرسول ﷺ فقد قيل مثله فى «يأجوج ومأجوج» وفى «الصور» وفى «اللوح المحفوظ» وفى غيرها.

وقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التى ليس لها سند صحيح، وأغدقوا من شرها على الناس وعلى القرآن، وكان جديراً بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سدا يقيهم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذى استأثر الله بعلمه، ولم ير فائدة لعباده فى أن يطلعهم على شىء منه، وإذا كان للناس - بطبيعتهم - ولع بسماع الغرائب وقراءتها، فما أشد أثرها فى إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال».

«والذى أحب أن أقرره هنا - بهذه المناسبة - فيما أخبر الله به من شئون الغيب التى لم يتصل بها بيان قاطع عن الرسول من الدابة، والصور، ونحوهما. هو أننا نؤمن به على القدر الذى أخبر الله به دون صرف اللفظ عن معناه، ودون زيادة عما تضمنه الخبر الصادق، فنؤمن - مثلا - بأنه سيكون فى آخر الدنيا صور ينفخ فيه، فتكون صعقة، ثم ينفخ فيه أخرى، فيكون البعث، أما الخوض فى حقيقته، ومقداره، وكيفية النفخ فيه، أو حمله على أنه تمثيل لسرعة إفناء العالم، وبعثه بسرعة النفخة المعروفة للناس، فإنه رجم بالغيب، وتقول على الله بغير حق»[٢٤].

خامساً: يرى أنه ليس فى القرآن ما يفيد رفع عيسى بجسمه إلى السماء، يقول الشيخ[٢٥]: «ليس فى القرآن الكريم، ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء، وأنه حى إلى الآن فيها، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض، وأن كل ما تفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه ورافعه إليه، وعاصمه من الذين كفروا، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه».

ثم قال الشيخ: «إن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء، وأنه فيها حى إلى الآن، وأنه سينزل منها آخر الزمان، فإنه لا يكون - بذلك - منكراً لما ثبت بدليل قطعى، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه، ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن، إذا مات فهو من المؤمنين، يصلى عليه، كما يصلى على المؤمنين، ويدفن فى مقابر المؤمنين، ولا شبهة فى إيمانه عند الله، والله بعباده خبير بصير».

الفتوى تثير ضجة على الشيخ

بعد أن نشرت هذه الفتوى من الشيخ محمود شلتوت فى مجلة الرسالة، قامت ضجة من بعض العلماء بردودهم على الشيخ فى فتواه، ورد الشيخ عليهم وبين ضعف ما استندوا إليه. ووضح أن فى كتب التفسير رأيين فى هذه القضية، مبينا مصادره فى هذه الكتب، كما ذكر ما يراه جماعة من علماء العصر الحديث لهم مكانة فى العلم كبيرة، فذكر أن الشيخ محمد عبده قال - وهو بصدد تفسير آية آل عمران

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾

(آل عمران: ٥٥)

إن للعلماء هنا رأيين:

الرأى الأول: أنه رفع بجسمه حياً، وأنه سينزل فى آخر الزمان، فيحكم بين الناس بشريعتنا، ثم يتوفاه الله - تعالى - والرأى الثانى: أن الآية على ظاهرها، وأن التوفى على معناه الظاهر المتبادر منه، وهو الإماتة العادية، وأن الرفع يكون بعده، وهو رفع الروح».

ثم قال الشيخ شلتوت: ثم يذكر «يعنى الشيخ محمد عبده»: أن لأهل هذه الطريقة فى أحاديث الرفع والنزول تخريجين: أحدهما أنها أحاديث تتعلق بأمر اعتقادى، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعى، وليس فى الباب حديث متواتر، وثانيهما: تأويل النزول [illegible]

ثم ذكر ما يراه الشيخ محمد رشيد رضا، وهو قوله: «وجملة القول أنه ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بحيث يحتاج - بحسب سنن الله تعالى - إلى غداء.. وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء، وإنما هى عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا فى كل زمان - منذ ظهور الإسلام - بثها فى المسلمين. ثم تكلم الشيخ محمد رشيد رضا عن الأحاديث. وقال: إن هذه المسألة من المسائل الخلافية، حتى بين المنقول رفع المسيح بروحه وجسده إلى السماء»[٢٦].

وبعد هذا ذكر الشيخ شلتوت ما أجاب به الشيخ المراغى - شيخ الأزهر الشريف - عن سؤال رفع إليه، وجاء فى إجابته قوله: «ليس

[illegible]

٢٥- الفتاوى ص٦٥

[illegible]

في القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى - عليه السلام - رفع بجسمه وروحه، وعلى أنه حي الآن بجسمه وروحه، وقول الله - سبحانه وتعالى -

[illegible]

(آل عمران: ٥٥)

الظاهر منه أنه توفاه وأماته ثم رفعه، والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجات عند الله، كما قال في إدريس - عليه السلام -.

﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾

(مريم: ٥٧)

وعلى هذا التقدير ذهب إليه بعض علماء المسلمين. فمعنى عند هؤلاء توفاه الله وفاة عادية، ثم رفع درجاته عنده، فهو حي حياة روحية كحياة الشهداء، وحياة غيره من الأنبياء. لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه فهو حي الآن بجسمه وروحه، وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذي يسوغ تفسير القرآن بها، ثم قال الشيخ المراغي: ولكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن، أو بحديث متواتر. ثم قال: «وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى - عليه السلام - حي بجسمه وبروحه، والذي يخالف في ذلك لا يعد كافراً في نظر الشريعة».

أفكاره في علم الكلام

أولاً: يرى - ككثير من العلماء - أن العقيدة لا تثبت إلا بالمتواتر:

بين الشيخ شلتوت في كتاباته[27]: أن العلماء متفقون على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب.

وأما الأدلة النقلية فالكثيرون - من العلماء - يرون أنها لا تفيد اليقين، ولا تثبت بها وحدها عقيدة، والذين يرون أن الأدلة النقلية تفيد اليقين ويثبت بها العقيدة شرطوا أن يكون الدليل النقلي قطعيا في وروده قطعيا في دلالته، ويبدو من كلام الشيخ شلتوت - عند كلامه في هذه المسألة - أنه مع من يقول بأن طريق ثبوت العقيدة يمكن أن يكون بالدليل النقلي بشرط أن يكون قطعيا في ثبوته ودلالته، قال: «ومعنى كونه قطعيا في وروده ألا يكون هناك أي شبهة في ثبوته عن الرسول [illegible]. وذلك إنما يكون في المتواتر فقط. ومعنى كونه قطعيا في دلالته أن يكون نصا محكما في معناه، وذلك إنما يكون فيما لا يحتمل التأويل، فإذا كان الدليل النقلي بهذه المثابة أفاد اليقين وصلح لأن تثبت به العقيدة».

وبعد أن ذكر الشيخ شلتوت أمثلة فيما ورد في الكتاب الكريم من آيات تحدثت عن توحيد الله - عز وجل -، واليوم الآخر، والملائكة والنبيين، قال: «هذا هو شأن العقائد وطرق إثباتها، ولابد أن يعم العلم بها جميع الناس، ولا يختص بطائفة دون أخرى، ولأنها أساس الدين، وبها يكون المرء مؤمناً، فكيف يتصور في مؤمن أن يجهلها؟ ومن مقتضيات هذا العلم العام بها ألا يقع خلاف بين العلماء في ثبوتها أو نفيها»[28].

ثانياً: يوافق من يرون - من علماء الإسلام - أن الإنسان خلق غير مقهور:

يبين الشيخ شلتوت أن القضاء والقدر اللذين وردا في القرآن ذكرهما وجعلهما الناس مرتبطين بفعل الإنسان ومسلكه في الحياة ليس إلا النظام العام الذي خلق الله عليه الكون، وربط فيه بين الأسباب والمسببات، والنتائج والمقدمات، سنة كونية دائمة لا تتخلف، وكان من بين تلك السنة أن خلق الإنسان حرا في فعله، مختاراً غير مقهور ولا مجبور.

ويوضح الشيخ شلتوت أن الإسلام لا يسمح أن يضل الإنسان، أو ينحرف عن أوامر الله في عقائده ودينه، ثم يعتذر بالقضاء والقدر، قال: «ولو صح ذلك لبطلت التكاليف، وكان بعث الرسل، وإنزال الكتب، ودعوة الإنسان إلى دين الله، وما يجب، ووعده بالثواب لأهل الخير، وبالعقاب لأهل الشر - باطلاً وعبثاً - لا يتفق وحكمة الخالق الحكيم في تصرفه وتكليفه الرحيم بعباده»[29].

عناية الشيخ شلتوت بالفقه المقارن والتقريب بين المذاهب

كان من الطبيعي لشخصية علمية كالشيخ شلتوت، الذي يلم بالآراء المتعددة في مجال الفقه الإسلامي، ويدرك الحجج والأدلة التي يستند إليها الفقهاء في القضايا المختلفة، أن يعنى بالفقه المقارن، ويوليه اهتمامه، خاصة وأنه يحتاج إلى الاطلاع على فقه المذاهب المختلفة عندما يتعرض للفتوى في مسألة من المسائل، ولهذا وجدناه يضع الفقه المقارن في دائرة اهتمامه، وتكون كتابته في كثير من القضايا متعرضة لبيان أكثر من رأي في القضية المعروضة ثم يبدي رأيه المعتمد على الأدلة، وقد أثمر اهتمامه بالفقه المقارن كتاباً اشترك فيه مع شيخ معاصر له هو الشيخ محمد علي

[illegible]

٢٨- الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص٦٧، ٦٨.

٢٩- الإسلام عقيدة وشريعة ص٦٤، ٦٥.

السابق، وسميا هذا الكتاب باسم «مقارنة المذاهب في الفقه» بينا فيه فائدة المقارنة، والأسباب التي أدت إلى اختلاف أئمة الفقه الإسلامي، واشتمل على كثير من المسائل في الطهارة، والصلاة والزكاة، والزواج والطلاق، والنفقة، والقضاء والميراث.

وكان يقوم بتدريس هذا الكتاب لطلاب كلية الشريعة بجامعة الأزهر الشريف، مما كان له أثر في تعرف الطلاب على الآراء المتعددة في القضايا المختلفة، وترسيخ احترام الآراء المتعددة، وتهيئة الطلاب نفسيا لقبول حكم في مذهب فقهي آخر غير المذهب الذي ينتمي إليه هؤلاء الطلاب، ولا يخفى ما لهذا من أثر في تخفيف حدة التعصب لمذهب فقهي معين.

وكان لفتواه بجواز التعبد بأى مذهب فقهي إسلامي معتبر أساسها الذي تعتمد عليه، ذلك أن الفرق الإسلامية التي تؤمن بثوابت الإسلام لا تختلف في آرائها إلا في المسائل الظنية، التي لا يقطع فيها برأى دون رأى آخر، وما عدا المسائل الفرعية الظنية لا يتصور ولا يقع فيها الاختلاف بين علماء سائر المذاهب الإسلامية المعتبرة.

وأصبح الاتجاه إلى ذكر آراء سائر الفرق والمذاهب الإسلامية منهجا يتبع في الكتابات الفقهية المقارنة، وتوجيها يوجه إليه طلاب الدراسات العليا في كليات الشريعة بجامعة الأزهر الشريف.

جزى الله شيخنا أحسن الجزاء على ما قدم من علم نافع، وجهد في خدمة شريعة الإسلام والمسلمين.

■ جانب من الحضور يتوسطهم صاحب الفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر الأسبق والشيخ عبدالحميد الأطرش الأمين المساعد للوعظ ■

في الصحف و المجلات

إعداد

محمود الفشني

علاء عبدالرحمن

رحل الدكتور عبد الودود شلبي

فارس الدعوة الإسلامية النبيل

في جريدة عقيدتي الصادرة في ٢٠/٥/٢٠٠٨ كتب الأستاذ بسيوني الحلواني متحدثا عن فقيد الأزهر الدكتور عبدالودود شلبي قال:

افتقدنا عالما من علماء الأزهر المحترمين.. رحل رمز من رموز الكبرياء والشموخ الأزهرى الذين ملأوا الدنيا علما وسجلوا أروع مواقف المواجهة والتحدى في وجه كل الذين حاولوا النيل من الأزهر وإضعاف رسالته وتقويض مسيرته، وتشويه صورته.

رحل العالم الفذ الدكتور عبد الودود شلبي الأمين العام الأسبق للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر بعد أن ترك بصمات واضحة في تاريخ الأزهر الحديث رغم انه لم يتول المنصب القيادى الذى يستحقه والذى يمكنه من تنفيذ كل أفكاره ومشروعاته الاصلاحية التي كان يستهدف بها اعادة الأزهر إلى عصر الشيوخ والريادة والقيادة.

عندما تشرفت بالانتساب إلى جريدة الجمهورية في أوائل ثمانينات القرن الماضي «أي منذ ما يقرب من ثلاثين عاما» طلب مني أستاذي الشيخ عبد اللطيف فايد «متعه الله بالصحة وأطال لنا في عمره» الاتصال بالدكتور شلبي لسؤاله في موضوع لا أذكره الآن.

وبمجرد أن سمع الرجل سؤالي بادرني قائلا «اسمع يا ابني.. إنت لسه صغير وأنا خايف عليك.. اسأل حد غيرى علشان موضوعك ينشر وسلم لي على الشيخ عبد اللطيف».. وانتهت المكالمة دون أن يتحدث في القضية التي سألته فيها.

عدت للشيخ عبد اللطيف ورويت له ما حدث فضحك وقال لي: «اتصل به مرة أخرى وقل له: لا تخف عليّ أنا باشتغل في جريدة الجمهورية» ففعلت وضحك الدكتور شلبي ايضا وأجابني بشجاعته المعهودة ونشرت الجمهورية كلامه دون أن تحذف منه شيئا مع أن نشر كلام الرجل حرفيا في ذلك الوقت كان يدخل ناشره السجن ولا يفصله من عمله فقط.

كان الدكتور عبد الودود شلبي عالما شجاعا ينطق بكلمة الحق

فى كل المواقف، ولذلك كان يخشاه كل المسئولين فى الأزهر.. كانت قيادات الأزهر فى وقت توليه مسئولية اللجنة العليا للدعوة تخشى من مشاركته لهم فى مناسبة ما أو حفل عام لأنه بشجاعته وجرأته كان يسبب لهم حرجا فهو يقول ما تعجز ألسنتهم عن النطق به.

لذلك كان مكتب الدكتور عبد الودود شلبى بمبنى الأزهر العتيق بالحسين ملتقى لعلماء الأزهر الشجعان الذين انشغلوا بهموم الأزهر، وكانوا دائما يتدارسون أحواله، ولا يملون من التصدى للكل القوى الداخلية والخارجية التى تستهدفه وكم استمعت فى هذا المكتب إلى آراء جريئة من واقع الأزهر ومستقبله.

فى آخر مؤلفات الدكتور شلبى التى صدرت منذ عشر سنوات تقريبا ومنها كتاب «الزحف إلى مكة» حذر الرجل من الدور الحقير الذى تلعبه أمريكا والذى ستلعبه مستقبلا للإضرار بمصالح العالم الإسلامى واستنزاف خيرات المسلمين وخراب وحدتهم وكان بعض الزملاء الصحفيين وبعض علماء الأزهر الذين قرأوا ما كتب الرجل يعتقدون انه يبالغ من تخويف المسلمين وتحذيرهم من هذه الدولة الشيطانية.. ومرت السنون وحدث كل ما توقعه الرجل بحسه الإسلامى الصادق، وتوقعاته المبنية على قراءات دقيقة، وتحليلات واستنتاجات موضوعية.

ما أحوج الأزهر الآن إلى قيادات وعلماء من نوعية الدكتور عبد الودود شلبى.. وما أحوج وسائل الاعلام الإسلامى إلى عالم صادق يقول كلمة الحق من أمثال هذا العالم الفذ.

رحم الله الدكتور عبد الودود شلبى وأسكنه فسيح جناته، وعوض الدعوة الإسلامية عنه خيرا.

الديمقراطية.. على الطريقة العراقية

فى الجمهورية بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٢٥ تقول فى رأيها:

أبرمت حكومة العراق المتصفة بالديمقراطية ـ حسب المنطق الأمريكى ـ اتفاقا استراتيجيا مع الولايات المتحدة الأمريكية يسمح لدولة الاحتلال بالاحتفاظ طيلة عشرة أعوام قادمة بالإشراف على وزارتى الدفاع والداخلية وكذلك على مؤسسة المخابرات العراقية، كما يسمح للقوات الأمريكية المحتلة بشن هجمات انطلاقا من الأراضى العراقية على أى بلد تتهمه الإدارة الأمريكية بدعم مجموعات إرهابية.

تم الاتفاق بين دولة الاحتلال والحكومة «الديمقراطية» دون أن يؤخذ رأى الشعب العراقى الخاضع للاستعباد والاستغلال والذى يتم مصادرة مستقبله لمدة عشرة أعوام غصبا وتحت تهديد قوات الاحتلال التى تمطر مدنه بالقنابل وتدك البيوت بمن فيها من النساء والأطفال تحت شعار «الحرية للشعب العراقى» بينما ترجمتها الحقيقية الموت والإذلال لكل من تنطلى عليه خديعة الدولة الأعظم فى قهر الشعوب.

المقدسات الإسلامية والمسيحية سنوات من الحصار والتدنيس

كتب إسحق فريد فى جريدة الأسبوع بعددها الصادر فى ٢٠٠٨/٥/١٧ قائلا:

فى ظل غفلة عربية دامت لأكثر من ٦٠ عاما يبدو أن الكيان الصهيونى بات قاب قوسين أو أدنى من قطف ثمار مخطط تهويد المقدسات الإسلامية والمسيحية بالقدس بعد أن قطع فيه شوطا كبيرا حيث يجرى الإعداد حاليا لأكبر مشروع لهذا الغرض انتهت سلطات الاحتلال من وضع أدق تفاصيله وأطلقت بشأنه الجبهة الإسلامية المسيحية للدفاع عن القدس والمقدسات، تحذيرات واستغاثات لم تلق اهتماما من الدول العربية بينما لا يزال دور الجامعة العربية ولجنة القدس التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى مقصورا على التنظير وإصدار البيانات والتوصيات دون توفير الحماية الحقيقية للمقدسات الدينية فى فلسطين المحتلة التى تعرضت لانتهاكات واسعة على مدار ٦٠ عاما فى ظل صمت وتخاذل دولى يصل إلى حد التواطؤ.

منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن لم يأل الاحتلال الإسرائيلى جهدا من أجل تزييف التاريخ ومحاولة تبديل الهوية الثقافية والحضارية والدينية لفلسطين المحتلة خاصة مدينة القدس ذات الطابع الدينى المميز.

ورغم أن الأنظار تتجه دائما نحو المسجد الأقصى باعتباره أكثر المقدسات الدينية تعرضا للانتهاكات فى فلسطين المحتلة خلال العقود الستة الماضية إلا أن الرؤية الشاملة للممارسات الإسرائيلية تؤكد أنه لا تمييز بين مقدسات إسلامية أو مسيحية فمخطط التهويد لا يقتصر على الأقصى على التين بدليل الانتهاكات الصارخة التى شهدتها المقدسات المسيحية منذ أن تم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل، عام ١٩٤٨.

هذا المشروع يستهدف رأس القدس وقلبها، ويسعى إلى تحويل الأقصى وكنيسة القيامة ومعالم القدس الدينية الأخرى إلى مكونات صغيرة فى لوحة دينية مزيفة تطغى فيها الصورة اليهودية.

سلسلة اعتداءات طويلة تعرضت لها المقدسات الفلسطينية على أيدى المتطرفين اليهود وهناك أيضا حركة الاستيلاء على الأقصى التى تدعو علانية إلى هدمه وتهويد مدينة الخليل والاستيلاء على المسجد الإبراهيمى.

التشكيك فى ثوابت الدين!

تحت هذا العنوان كتب الدكتور محمد داود فى جريدة اللواء الإسلامى الصادرة فى ٢٠٠٨/٥/١٥ يقول:

الإساءات المقصودة والمتكررة تركز على إثارة التشكيك فى ثوابت الدين، بغرض هدم ودفع أساسه إلى الانهيار، فيشككون فى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم وفى عصمته وفى سنته، بل وفى القرآن الكريم وإذا سألنا أنفسنا: لماذا الهجوم على ثوابت الدين الإسلامى دون غيره من الأديان؟.. سنجد أن هناك دافعين للهجوم:

› الدافع الأول نفسى لأن الإسلام فى تشريعه وآدابه وأخلاقه، هو الدين الحق الذى لم يلحقه زيف ولا باطل، فى مقابل الزيف والتحريف الذى لحق بالأديان الأخرى، وما عندهم من نقائص كتبوها بأيديهم فى حق أنبيائهم، يخجل الإنسان العاقل السوى من سماعها وقراءتها: لذلك من يتلبس بهذه النقائص وتلك العيوب يحاول إسقاطها على من يمتلك المزايا، والمبرأ من هذه العيوب حتى يكونوا سواء!

› الدافع الثانى معرفى: حيث إن القرآن الكريم والإسلام هو المنتصر فكريا فى ساحة العرب، على الرغم من ضعف العرب والمسلمين وهزائمهم المتلاحقة، بالإضافة إلى أن القرآن الكريم يزداد تألقا وقوة كلما زاد الهجوم عليه، وكل الجولات التى تمت ضد القرآن والإسلام، كانت العاقبة فيها والنصر فى نهايتها للقرآن، فلم تفلح أمريكا حين ألفت «الفرقان الحق» ليكون بديلا عن القرآن الكريم، ولم تفلح الإساءات للنبى صلى الله عليه وسلم حيث جاءت النتائج عكس ما أراد الأعداء، فقد ازداد المسلمون تمسكا بقرآنهم وحبا لنبيهم صلى الله عليه وسلم، وفى الغرب أثارت هذه

الحملات انتباه الشعوب الغربية للتعرف على الإسلام ونبى الإسلام.. ونحن لا نتزعج من هذه الإساءات لأن الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر سنة قائمة من سنن الله فى الكون.

ولكن الذى يزعجنا ألا ينصف المسلمون القرآن والسنة النبوية من أنفسهم، وألا يكونوا على مستوى عظمة الإسلام وعظمة القرآن وعظمة هذا النبى الكريم، فيجد الأعداء فى سلوكنا المعوج وواقعنا المر دليلاً على تشكيكهم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد / ١١)

إلا السودان!

تحت هذا العنوان وردت افتتاحية الأهرام العربى الصادرة فى ٢٠٠٨/٥/١٧ جاء فيها:

باتت اللعبة الدولية فى الشرق الأوسط أوسع من قدرة تلك المنطقة المنكوبة بالاحتلال والغزو، ففى أثناء معارك لبنان حركت القوى الدولية الأنظار إلى السودان وأوعزت إلى رجالها فى حركة العدل والمساواة، لتجتاح العاصمة السودانية الخرطوم، وقد استطاعت قوات هذه الحركة الداعية إلى حل أزمة دارفور أن تصل إلى مدينة أم درمان وتصل إلى العاصمة وتوقع قتلى وجرحى بين العسكريين والمدنيين

أما الأغرب فهو إعلان حكومة السودانية عن نية حركة العدل والمساواة الاعتداء على الخرطوم. وفرضت الطوارئ قبل يومين من المعارك فى أم درمان، ومع ذلك جرى ما جرى.

وهنا لابد أن تتبادر إلى الذهن عدة أسئلة: كيف حدث ما حدث؟ وأين قوات الجيش والشرطة؟ وأين أجهزة الأمن ونحن نعرف أن حكومة السودان يقف على رأسها حزب عسكرى هو عمر البشير؟؟

بعض العارفين بالشأن السودانى يقولون: إن الخلايا النائمة كانت فى انتظار الإشارة من القوى الدولية، خصوصا أن زعيم حركة العدل والمساواة من قبيلة الزغاوة السودانية ـ التشادية التى ينتمى لها الرئيس التشادى إدريس ديبى، ونحن نعرف أن ديبى تم إنقاذه بعد معارك ضارية حول القصر الرئاسى فى العاصمة التشادية إنجامينا فى شهر فبراير الماضى، وكان المنقذ فرنسا ومعها قوى غربية ترغب فى العودة إلى أفريقيا من بوابة مأساة دارفور

ولكن ما القاسم المشترك فى أزمات السودان، ولبنان، وفلسطين، والعراق، وجنوب اليمن؟

لا تحتاج إجابة هذا السؤال إلى عناء كبير، فالفاعل معلوم وهو الولايات المتحدة وشركاؤها من الأحزاب والجماعات التى تتحدث من لبنى ستار لتنفيذ أجندة كارثية لصالح أطماع الغرب والصهاينة التى تحتفل بمرور ٦٠ عاما على نكبة فلسطين ١٩٤٨. ومن هنا يجب أن نصرخ فى العالم العربى، وخصوصا فى مصر «إلا السودان».

ستون عاما لا تكفى

فى الذكرى الستين لاحتلال فلسطين كتب الأستاذ/ خالد محمود فى جريدة الأسبوع الصادرة فى ٢٠٠٨/٥/١٧ يقول:

عشية إعلان إسرائيل عام ١٩٤٨، سحب بن جوريون كرسيا وانفرد بعيدا عن الاحتفالات وحين سأله ييجال اليرى، عن حزنه غير المتوقع فى ليلة يفترض أنها بهيجة له، قال بن جوريون عبارته الشهيرة «الآن فقط بدأت شلالات نهر الدماء فى الشرق الأوسط».

تعود ظلال هذه العبارة تعيد نفسها وسط الاحتفالات الإسرائيلية بمرور ستين عاما على الدولة اليهودية ـ والكلام للكاتب ـ وأسأل: هل حقا هناك ما يستحق كل هذه البهجة؟! هل حقا وصل المشروع الصهيونى لبر «الأمان»؟ وهل مرور ستين عاما على ذلك الإطار الذى رتب يعنى رسوخه؟

فى الواقع وبأبسط تفكير منطقى كل المؤشرات تشير إلى عكس ذلك، فالستون عاما التى مضت، سقط فيها آلاف القتلى كل بعضهم يصبح حرب عبثية علاوة على تحليق واقع اشتباك مسلح يومى تقريبا لم يتوقف لحظة من يوم إعلان الدولة اليهودية وحتى ساعة الاحتلال

لم تفلح «إسرائيل» ـ والتعبير هنا لجيمى كارتر ـ رغم تملكها أحدث وأقوى الآليات العسكرية وترسانة نووية من طرف واحد فى حسم معركة واحدة أو قضية واحدة، فى صراعها مع الفلسطينيين والعرب، وخلفت المعارك رغم انتصار «إسرائيل» فى معظمها ملفات مفتوحة حدود إسرائيل مثلا ملف عرق، ملف الانسحاب من الأراضى العربية وهكذا.

ثم يختتم الكاتب مقاله قائلاً: أخيراً.. فرضية أن العالم العربى سيظل أسير التخلف احتمال وارد لسنين، لكنه ليس قدرا، ومجرد متابعة الأحوال وما يحدث يؤكد أن التاريخ كتاب مفتوح يتغير فى ثانية بكلمة واحدة، فإن ستين عاما بوتيرة التاريخ لا تساوى طرفة عين. وعليه ستكتشف «إسرائيل» يوما أنها لم تفعل سوى أنها أضافت فصلا دمويا جديدا لتمهد النكوص.

التفاحة الفاسدة والذكرى الرابعة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمد عيسى الشرقاوى فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٨/٥/٢٤م قال:

«لن أبالى بما سوف تفعلونه به.. نكلوا به تنكيلا.. فقط لا تقتلوه».. تلك كانت الوصية الدموية التى قالها ضابط أمريكى، وهو يسلم عراقيا لا حول له ولا قوة حراس سجن «أبوغريب» وهى واقعة تضمنها كتاب جديد عن جرائم التعذيب الأمريكية التى صدمت الدنيا فى مثل هذا الشهر «مايو» منذ أربع سنوات.. وقد تفجرت شظايا الجريمة عندما بثت قناة تليفزيونية أمريكية ليلة ٢٨ أبريل ٢٠٠٤ صورا وحشية ومشينة لتعذيب الجنود الأمريكيين للعراقيين.. ولم تمض سوى أيام قلائل حتى فضح الأول من مايو ٢٠٠٤ إدعاءات الديمقراطية التى أعطى جورج بوش صهوة جوادها.. فقد نشرت صحيفة «نيويوركر» تقريرا عن التحقيق الذى قام به الجنرال أنطونيو تاجوبا فى السجن سيئ السمعة.. وأشار فيه إلى جانب من وقائع التعذيب للعراقيين. وهكذا تم ضبط حامى حمى الديمقراطية متلبسا بانتهاك جنوده لإنسانية العراقيين الذين زجت بهم قوات الاحتلال الأمريكى فى سجن «أبوغريب» منذ أغسطس ٢٠٠٣. وكان عددهم قد بلغ وقت تفجر الفضيحة نحو ٦ آلاف معتقل

ولم يكن فى وسع إمبراطورروما الجديدة القابض على بترول العراق أن يذكر الجريمة.. واكتفى بالقول: إن من قاموا بها مثل التفاحة الفاسدة فى السلة الأمريكية العامرة بالتفاح الجيد. غير أن نفرا من المؤرخين وعلماء النفس الأمريكيين دحضوا نظرية التفاحة الفاسدة.. وقالوا: إن من ارتكب هذه الجرائم هم نحن الأمريكيون.. ففى ظل ظروف معينة يكون فى مقدور كل فرد تقريبا أن يرتكب هذه الفظائع، على حد تعبير مجلة أمريكية شهيرة فى مايو ٢٠٠٤.

واللافت للانتباه أنه فى الذكرى السوداء الرابعة لفضيحة أمريكا لايزال سجن «أبوغريب» يبوح بأسرار جديدة مذهلة ومؤسفة، وليس أدل على ذلك من احتفاء مجلة بريطانية جادة ورصينة بكتاب جديد عن الفضيحة كتبه «فيليب جورفيتش» رئيس تحرير مجلة «باريس ريفيو» و«إيرول موريس» وهو سينمائى شهير ويؤكد الكتاب أن الحقيقة تكمن فى الصور.



الخطة الصيفية للوعظ

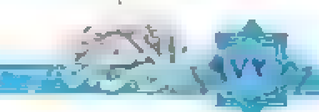
اجتمع فضيلة الشيخ عبدالحميد الأطرش الأمين العام المساعد للوعظ بمجمع البحوث الإسلامية يوم الإثنين ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٨ بالسادة أصحاب الفضيلة مديرى عموم مناطق الوعظ وذلك لمناقشة الخطة الصيفية لأعمال الوعظ والتى تنفذ بالتعاون مع وزارة الأوقاف حيث يتم تشكيل لجان من علماء الأزهر والأوقاف للوعظ والإرشاد الدينى بالمحافظات الساحلية للعمل بها خلال أشهر الصيف وفقاً لضوابط فنية محددة.

الأزهر صخرة راسخة

تناولت بعض الفضائيات هذه الأيام عرض كتاب: «لل حلمت بالمام» للكاتب «عبدالحميد الأزرى» ويحوى هذا الكتاب بعض الأفكار الغربية وإنكار لما شرعه الله وتكذيب صريح لما جاء فى القرآن الكريم على لسان نبيه الكريم وقد اشتمل الكتاب على ضلالات كثيرة يضل بها المجتمع المسلم والإنسان السوى.

وتساءلت هذه الفضائيات عن دور الأزهر الشريف لمحاربة البدع والكفر الصريح الموجود فى هذا الكتاب الأمر الذى دفعنا لأن نذكر هذه الفضائيات بأن الأزهر وعلماءه ليسوا منعزلين عن الحركة الفكرية والأدبية فى مصر والدول العربية والعالم أجمع.

ونود أن نحيط علم الجميع بأن هذا الكتاب قد عرض على الأزهر من قبل فى أغسطس عام ١٩٩٢م على مجموعة من العلماء الأجلاء وتم فحصه أكثر من مرة لتقييمه فوجدوا أن هذا الكتاب يشتمل على كثير من البدع والضلالات وإنكار لشرع الله وتكذيب لما جاء على لسان نبى الأمة الرسول الكريم، ولم يوافق الأزهر على تداوله فى الأسواق، وتم عرضه مرة ثانية على الأزهر فى ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٨ وتمسك الأزهر بقراره السابق وبعد قراءته وفحصه أوصى علماء مجمع البحوث الإسلامية للمرة الثانية بعدم تداوله وتأييد الرأى الأول فى أغسطس عام ١٩٩٢م.



هذا للرد على من يسأل عن دور الأزهر وعلمائه فالأزهر صخرة راسخة على مر العصور ترود عن دين الله ضد من تسول له نفسه أن يشكك فى تعاليم الإسلام الحنيف.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالظاهر أبو غزالة مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف.

الأجنة المخصبة

ورد إلى مجمع البحوث الإسلامية سؤال حول تجميد الأجنة المخصبة وإخضاعها للأبحاث الطبية المساعدة على اختيار نوع الجنين.

وقد رأى المجمع أن استخدام هذه الطريقة: لتحديد جنس الجنين لدواعى طبية مشروعة مثل منع الأمراض المستعصية التى تصاحب جنسا معينا من الأجنة سواء كان الجنين ذكراً أو أنثى - لا مانع منها شرعا وذلك عقب المشاورة الواعية بموافقة الزوجين.

كما أن استخدام هذه الطريقة - لأسباب مشروعة لتعدد جنس الأبناء فى الأسرة الواحدة أو منع ضرر على الزوجة من تكرار الحمل أو حماية الأسرة - يمكن اللجوء إليها بعد موافقة الزوجين بصورة وافية من خلال علماء الدين، وعلماء النفس والأجنة والتكاثر البشرى، علما بأن كل حالة لابد أن تعامل على حدة ولا تعمم لكل من يطلب هذه الطريقة. ولا يمكن استخدام هذه الطريقة - بأى حال من الأحوال - لتفضيل جنس على آخر، او استخدامها فى اختيار المولود الأول، أو قصرها على اختيار جنس واحد.

مع العلم بأنه لا يجوز اتباع هذه الطريقة على مستوى أى مجتمع من المجتمعات الإسلامية، ويجب مراعاة الضوابط الآتية:

١- أن تتم عملية التخصيب بين زوجين، وأن يتم استدخال اللقيحة فى المرأة اثناء قيام الزوجية بينها وبين صاحب الماء ولا يجوز ذلك بعد انفصام عرى الزوجية بوفاة أو طلاق أو غيرهما.

٢- ان تحفظ هذه اللقائح المخصبة بشكل آمن تماما تحت رقابة مشددة بما يمنع ويحول دون اختلاطها عمدا أو سهوا بغيرها من اللقائح المحفوظة.

٣- ألا يتم وضع اللقيحة فى رحم أجنبية غير رحم صاحبة البيضة الملقحة لا تبرعا ولا بمعاوضة.

٤- الا يكون لعملية تجميد الأجنة آثار جانبية سلبية على الجنين نتيجة تأثر اللقائح بالعوامل المختلفة التى قد تتعرض لها فى حال الحفظ كحدوث التشوهات الخلقية، أو التأخر العقلى أو غير ذلك.

والله الموفق للخير والهادى إليه

صرح بذلك فضيلة الشيخ ماهر الحداد المدير العام للإدارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه

الإعـــلام الإســـلامى

صرح فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلى مدير عام إدارة إحياء التراث أنه صدر عن سلسلة مجمع البحوث الاسلامية كتاب «الإعلام الاسلامى فى مواجهة الإعلام المادى» للأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلامية

الكتاب يقع فى ٢٤٠ صفحة من الحجم المتوسط وفيه أكد المؤلف أن الاعلام المادى هو قرين السوء الذى يزين الباطل ويغرى بالمزيد من الانحراف. فتلك هى خطته ومنهجه. وأما الإعلام الإسلامى فخطته منسجمة مع منهجه الراشد فى اعداد الفرد الذى يخاف الآخرة ويرجو رحمة ربه، وقد فرق الكاتب بين الإعلام والاعلان فمن هدف الإعلام أن يقدم تلك الحقائق فيعرضها ولا يرفضها

- تنمية ملكية النقد تكوين الرأى العام اليقظ. أما الاعلان فيفرض الفكرة - ويرفض ملكة النقد

- ويعتمد على التمويه، الاصطناع، التشويش ونشر الشائعات.

ثم ختم المؤلف كتابه بالدروس المستفادة من الإعلام الإسلامى، وبين النظرية والتطبيق تظهر أهميته وأهدافه.

مع الطلاب الوافدين من الصومال

صرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام إدارة الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الاسلامية أن عدد الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف من أبناء دولة الصومال الشقيقة بلغ هذا العام ١١٠٥ طلاب وذلك على النحو التالى:

بالنسبة للدراسات الخاصة بلغ عدد البنين ٩٥، وبنات ٥٨. وفى المرحلة الابتدائية بلغ العدد بنين ١٣٩، وبنات ١٢٦. وفى المرحلة الإعدادية بلغ العدد بنين ١٧٦، بنات ٨٤. وفى المرحلة الثانوية بلغ العدد بنين ١٦، بنات ٤٣. وفى مرحلة الجامعة بلغ عدد الدارسين بنين ١٩٥، بنات ٧٨. وفى الدراسات العليا بلغ عدد الدارسين بنين ٥.

وبذلك تعتبر دولة الصومال من الدول ذات الكثافة العالية لطلابها الدارسين سواء على نفقة الأزهر أو على نفقة هيئات أخرى أو على نفقاتهم الخاصة.





إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

ســـتون عـــاما!!

ستون عاماً مضت على إعلان قيام دولة إسرائيل... ستون عاماً فقط أصبحت خلالها إسرائيل عملاقاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً!!

أحل ستون عاما فقط كانت كافية لكى تصنع إسرائيل لنفسها مكانة هائلة فى هذا الكون الذى نعيش فيه!!

فماذا عنا نحن؟

الدول العربية والإسلامية قاطبة ذات ماض حضارى تليد يفوق عمر دولة إسرائيل بآلاف السنين وهو أمر يعززه التاريخ بقوة.. فى حين قامت إسرائيل على ماض حضارى كاذب نجحت الدعاية الصهيونية بما امتلكت من مقومات سياسية واقتصادية فى تحويله إلى ماض حضارى حقيقى يدرس فى الكثير من الجامعات والمعاهد الدولية!!

ما الذى حدث؟

كيف صارت إسرائيل إلى ما صارت إليه؟!

وكيف صرنا إلى ما نحن عليه؟!

ما نحن عليه لا يحتاج إلى شرح أو توضيح أو تحليل؟!

جميع الدول العربية تقريبا فى حالة صراع سياسى مع بعضها البعض!!

لا توجد دولة عربية واحدة تتمنى الخير لجارتها!!

ووصل الأمر إلى الذروة بقيام دولة عربية باجتياح دولة عربية جارة لها واحتلالها فى واحدة من أسوأ الجرائم التى عرفها التاريخ على الإطلاق.. بل إن هذا الحدث كان بمثابة محاولة اغتيال كل أمل فى إمكانية توحيد الأمة العربية؟!

الدول الأوروبية تحولت إلى كيان موحد تقريبا. مع احتفاظ كل دولة بخصوصيتها.. كل دولة أوروبية لها رئيس، ولها حكومة، ولها علم، ولها تنظيماتها السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، واللغوية.. وبالذات اللغوية، والثقافية، حيث تتعدد اللغات والثقافات بين الإنجليزية، والفرنسية والألمانية، والإسبانية، والإيطالية، وغيرها،

والمفروض أنها أمور جوهرية جداً ولكنها لم تمثل حائلا على الإطلاق دون إعلان قيام الاتحاد الأوروبي بعملته الموحدة «اليورو» وخطوط مواصلاته المنتظمة، التي تربط بين أقصى شرق أوروبا وبين أقصى غربها، وبين أقصى شمال أوروبا وأقصى جنوبها.

في حين أننا نتميز «أي الدول العربية» بوحدة غير مسبوقة لغويا، وثقافيا، ودينيا، ومثل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأمر المنشود في قيام وحدة عربية حقيقية شاملة.. ولكن هيهات!!

أجل هيهات!!

لأننا صرنا نحفظ القرآن والسنة عن ظهر قلب ولا نعمل بهما وهو أمر لا يخفى على أحد ولا يحتاج إلى شرح أو توضيح!!

ومع ذلك فالأمل لايزال باقيا، ومبعث الأمل هو أننا شعبنا لم يزل ما يزال يجمع بيننا ذلك القاسم المشترك الأعظم.. إنه الإسلام.. إنه القرآن والسنة.. واللغة.. اللغة العربية.. لغة القرآن الكريم!!

فهل يأتي اليوم الذى نعود فيه إلى ذلك القاسم المشترك الأعظم لنحكمه في شتى أمورنا ومن خلاله يتحقق الحلم.. حلم الوحدة العربية؟!!

أحمد تقى الدين

مسجد الأمير حسنين الرملى

من الأستاذ فرج مجاهد عبدالوهاب ـ شربين دقهلية ـ كانت هذه الأسطر عن أحد مساجد القاهرة قال:

يقع جامع الشيخ شهاب الدين الرملي الأنصارى المشهور بجامع الرملي بميدان باب الشعرية الذى كان يعرف قديما باسم باب القنطرة. حيث كانت توجد قنطرة على الخليج المصرى وأمامها في سور القاهرة الغربي فتح باب عرف باسم «باب القنطرة».. ويقول على مبارك عن مسجد الرملي:

هذا المسجد بميدان القنطرة بقى متخربا لمدة وبداخله ضريح الشيخ الرملي وضريح ابنه. وسبب أن بعله حسين الرملي الحبار ينتمي إليه ويدعى أنه جده قام بتجديده، فجدده من ماله الخاص سنة ١٢٨٨هـ وجدد تعقيبه وفرشه وشعائره ورتب مرتباً وجراية للفقراء كل يوم سبت ويعمل له مولد كل سنة.

يتكون المسجد من مساحة مربعة الشكل تقريباً إذ يبلغ طوله ١٢ متراً وعرضه ١١ متراً ويتوسطها عمود واحد يقوم عليه سقف خشبي وبحائط القبلة يوجد محراب كبير مجدد ومنبر قديم بجواره مقصورة خشبية بها قبر محمد السطوحي خادم المسجد في عهد الشيخ الرملي.

في الجهة الغربية للمسجد توجد حجرة مربعة تقريبا بها محراب ومكان للصلاة إلى جانب ضريحي للشيخ شهاب الدين الرملي، وابنه محمد.

بقي أن نعرف أن الشيخ شهاب الدين الرملي ولد بمصر في عهد السلطان الملك الظاهر أبي سعيد. وقد عرف شهاب الدين باسم الرملي نسبة إلى قرية الرملة التابعة لمركز قويسنا بمنوفية.

ورحل وهو في السادسة عشرة من عمره إلى الحجاز في عهد السلطان الأشرف قايتباي ضمن البعثة التي ذهبت إلى المدينة المنورة تنفيذاً لأمر السلطان لتجديد بناء المسجد النبوى الشريف.

من وصايا الرسول ﷺ فى إعداد الدعاة

ومن الأستاذ احمد عبد المحسن على محمد مدرسة الاورمان الثانوية النموذجية بالدقي ـ جيزة كانت هذه الرسالة:

من وصايا الرسول ﷺ التي قدمها للدعاة الذين أرسلهم لحمل رسالة الإسلام إلى بقاع مختلفة لتعليم المسلمين وهذه الوصايا تقدم حجة ينبغي أن نستفيد بها في حاضرنا ومستقبلنا. منها ما أوصى بها رسول الله ﷺ معاذ بن جبل: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإن جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن أطاعوك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».

ذلك الطريق الذى ربي الرسول الدعاة عليه وبذلك يعطينا نموذجا ينبغي أن نقتدى به في عصرنا الحاضر والمستقبل. فداعية اليوم ينبغي أن يكون عالما بأحكام الفقه، وأن يحفظ القرآن الكريم ويحفظ معظم أحاديث الرسول التى ثبت صحتها، وأن يكون واسع الاطلاع وخاصة في العلوم الإسلامية والإنسانية التى ترفع شأنه وتطلق لسانه، ويتحتم على داعية اليوم أن يكون عالما بعلوم عصره، وأن يكون ذا عقل راجح يعرف أحداث التاريخ بعمق، وأن يجيد لغة أوروبية عالمية حتى يستطيع أن يحادث المسلمين غير العرب وأن يجيد اللغة العربية وأن تكون عنده القدرة على الأداء بها ومعرفة أساليب البلاغة فيها، وبعيداً عن حدود الوظائف التى تسعى للمال وتعمل للاستفادة منه إذ يجب أن يتسم بخلق العطاء وليس معنى هذا أن يكون الداعية محروما، بل ينبغي عليه أن يسعى لطلب الرزق لينفق على نفسه وعلى من يعول فالداعية قد يكون طبيبا. وقد يكون مدرسا وقد يكون مهندسا.. وهنا يثور لدى البعض تساؤل كيف يكون طبيبا ويكون داعية، أقول يكون داعية بسلوكه مع الناس سلوكه المستمد من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، وأن يكون حسن العشرة سمح النفس، واسع القدرة على الحوار.

وأن يبشر بالخير ليكون الأمل في النجاة منهاجا له، ووسائله للوصول إلى الغاية سهلة يسيرة، وأن يهتم بمشكلات الناس وحدة وأن يحاول أن يعالجها بروح الإسلام فليس الإسلام عبادة فقط بل إنه يهتم بعلاقة الإنسان بربه كما يهتم بعلاقة الإنسان بالإنسان والمجتمع. وإعداد هؤلاء الدعاة يجعلنا نحتاج إلى شباب يتسمون بمواهب عالية وإلى مناهج تنمى هذه المواهب وتسكب في هذه العقول صور الفضائل والفكر، ليحملوا المشعل، وليسيروا بالهداية إلى كل مكان.. أما الشباب ذوو المواهب فيجب البحث عنهم وتشجيعهم بكل الوسائل ليتجهوا هذا الاتجاه. ومن عجب أننا نلاحظ قوى هائلة تبحث عن الأصوات الجديدة للغناء أو التمثيل، ولا نجد من يبذل أى اهتمام أو أى جهد للبحث عن القدرات التى تحمل الهداية للبشرية. وأبرز ما يقوم به القادة الموهوبون أن يربوا الصف الثاني الذى يأخذ عنهم ويحمل العبء معهم وذلك بالقيم التى يحرصون عليها والأهداف التى يسعون لنيلها. فكان للرسول ﷺ قدرة هائلة في اختيار الأشخاص الذين يحملون راية العلم بعده، ويتحملون مسئولية توصيل المعارف إلى الناس.

إن نشاط الدعاة المسلمين الأول سواء الذين رباهم الرسول أو الذين جاءوا على شاكلتهم هو الذى دفع سواهم من أتباع الديانات الأخرى ليسيروا سيرتهم في الدعوة لأديانهم. وهذا النشاط الإسلامي دفع بعض الديانات التى ترنحت إلى إعداد دعاة ومبشرين. وبينما كان هؤلاء يتجهون هذا الاتجاه، كان الدعاة المسلمين يرجعون القهقرى فأصبح أكثر الدعاة المسلمين لا يتمتعون بالكفاءة والقدرة.. وهذا الوضع يصور كارثة كبرى. ولا شك أننا إذا ربينا الداعية المسلم على هذا النمط أملنا منه خيرا كثيرا للإسلام وللمسلمين.



الشيخ شلتوت .. وحادث الهجرة النبوية!

ومن صديقنا الشيخ / مصطفى الأزهري - امام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - كانت هذه الرسالة:

أصاب حادث الهجرة النبوية العظيمة ما أصاب كثيرا من الأحداث الكبيرة التي صنعت أمتنا وشكلت هويتها قدراً من التشويه، قل أو كثر، وللأسف على ألسنة عدد ليس قليل من الوعاظ والخطباء فضلا عن الكتاب والباحثين، ومع ضعف وتراجع القدرة العلمية والنفسية في بلادنا عن التحري والبحث والتنقيب والتدقيق صارت الأحداث العظيمة تفسر تفسيراً قاصرا يتناوله الخطباء ويسطره الكتاب فيصير مع الوقت ديناً وما هو بدين فقال المعاصرون الذين لا يتبينون: (وإنا على آثارهم مقتدون) غير أن الله تبارك وتعالى قيض لهذه الأمة من أهل البصيرة والفكر الاستباقي ما ينافح عن الدين وينقي الفكرة الإسلامية مما شابها من قصور قد يعتر مع الوقت أو يحجب الصحيح من الاجتهاد العلمي الرصين، ومن هؤلاء الذين أعدهم الله لذلك العلامة الكبير الشيخ محمود شلتوت - شيخ الأزهر الأسبق - يرحمه الله. ننقل من أقواله هذه الفقرات لتجلي شيئا قليلا - يناسب تلك المساحة - من عقل الرجل وفكره المضئ المستبر دفاعا عن هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه

يرى الشيخ محمود شلتوت - شيخ الأزهر الأسبق - في دراسته: "الإسلام والوجود الدولي للمسلمين": «إن حادثة الهجرة، كانت نقطة تحول في تاريخ البناء الإسلامي، لتقوم فوق الأرض الجديدة - يثرب - دولة ذات منهج ونظام وهدف، والهجرة من الأحداث العدة التي كانت تمهيدا لتثبيت البناء الإسلامي، وميلاد دولة داخل إطار من القوة، وبذلك أصبحت (الهجرة) من الأحداث الإسلامية الكبرى التي يجب أن تحمل العظمة في نفس كل مسلم.

ويضيف الشيخ: "وقد عني المؤرخون كثيرا - وهم يتكلمون على هذا الحدث - بذكر حوادث الإيذاء التي كانت تتصل بالرسول وأصحابه الذين لبوا دعوته، ومن هنا ألبسه أرباب الهوى الخاص - وهم يكتبون سيرة (النبي العربي) - ثوب الفرار وعدم الصبر والاحتمال في القيام برسالته. ولم يتورعوا - إمعانا فيما يشتهون - أن يلصقوا كلمة (النبي الفار) وقد ظنوا أن هذا الثوب الهلهل الذي خلعوه على هذا الحادث العظيم، يستطيع أن يستر الحقيقة التي يحملها بين جنبيه، والتي لم تلبث - بعد الوصول إلى المدينة - أن سطع نورها، وانتشر أريجها، وبدأت تزيل الغشاوة التي وضعها الجهل على العقل البشري حينا من الدهر، والواقع أن هذه الهجرة (البدنية) لم تكن إلا أثراً من آثار هجرة القلوب، عما كان عليه القوم من عقائد فاسدة، وشرائع باطلة، وعقائد وتقاليد، كان لها في هدم الإنسانية، ما ليس للمعاول القوية في تقويض البناء الشامخ العتيد"

وهكذا .. يشعر القارئ لهذه الفقرات العابرة من كلمات الشيخ - رحمه الله - حدة لا دعة تدل على حرارة وانتباه دعوي وفكري لديه. على ما أصاب بعض الدعاة والوعاظ من تفاسير قاصرة تدل أيضا على عقول مقصرة في تجلية الحقائق العظيمة والمعاني الجليلة من الأحداث التي صنعت أمة الإسلام ... يرحم الله شيخنا الجليل..





عداد الأساتذة / محمد جمعة - أحمد رضوان

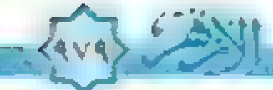
رابطة عالمية لمناصرة الرسول ﷺ

تقرر إنشاء رابطة عالمية لمناصرة الرسول ﷺ برئاسة الدكتور أحمد عمر هاشم عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب. لتعمل الرابطة داخل مصر وخارجها بالتنسيق مع وزارتي الأوقاف والتضامن الاجتماعي وجامعة الدول العربية.

وسيكون للرابطة فروع بالمحافظات وخارج مصر بالدول العربية والأجنبية بالتنسيق مع المراكز الإسلامية، بهدف مواجهة أى تعد على الرسول ﷺ بأى نوع من أنواع الإساءة.

مشروع لتطوير تعليم اللغة العربية فى النمسا

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ومؤسسة عرباطة للنشر والخدمات التربوية، بالتنسيق مع الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية فى النمسا، دورة تدريبية فى فيينا لتحديث طرق تعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين فى الغرب، تستضيفها الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية فى النمسا، وذلك فى إطار سلسلة من الأنشطة التدريبية المشتركة بين المنظمات الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومؤسسة عرباطة للنشر والخدمات التربوية، والهادفة إلى تعزيز الاهتمام بالأطر التربوية المتخصصة فى مجال تعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين فى الغرب، حفاظا على هويتهم الثقافية.



مجمع الخالدين يدعو إلى سياسة لغوية موحدة بالدول العربية

دعا علماء اللغة العربية ـ أعضاء مجمع الخالدين خلال المؤتمر السنوى للمجمع ـ إلى وضع سياسة لغوية موحدة بالدول العربية، للتخطيط لمستقبل اللغة العربية مع الاستفادة من تجارب دول العالم فى ذلك وعلى رأسها فرنسا صاحبة أقدم تجربة فى مجال وضع السياسة اللغوية.

ومن جانبه دعا د. عبدالعزيز التويجرى المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم فى محاضرته بالمؤتمر حول اللغة العربية وتحديات العولمة إلى تحويل اللغة العربية إلى لغة منتجة للعلم والمعرفة، حتى نتمكن من الحفاظ على لغتنا فى مواجهة تحديات العولمة والأمركة.. مشيرا إلى أنه لا سبيل إلى تحقيق النهضة إلا بالإنتاج العلمى والمعرفى فى شتى حقول المعرفة.

بابا الفاتيكان:

تنصير كل البشر حق ثابت للكنيسة الكاثوليكية وواجب إلزامى عليها

عاد بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر للقول بأن تنصير كل البشر حق ثابت للكنيسة الكاثوليكية، بل وواجب إلزامى عليها . وقال البابا خلال لقاء مع المجلس الأعلى للأعمال البابوية الرسولية بأن الطابع المركزى لرسالة الكنيسة الكاثوليكية يكمن فى رسالة التبشير بالإنجيل. ونقل الموقع الإلكترونى لإذاعة الفاتيكان عن البابا قوله «إن الدعوة إلى تلمذة كل الأمم منقولة عن يسوع فى الإنجيل لا تزال تشكل مهمة إلزامية بالنسبة إلى كل الكنيسة وبالنسبة إلى كل مؤمن بالمسيح». وأضاف: «هذا التعهد الرسولى هو واجب وأيضا حق ثابت وتعبير عن الحرية الدينية بأبعادها الأخلاقية والاجتماعية والسياسية»، وجدير بالذكر أن هذه ليست الأولى التى يدعو فيها بابا الفاتيكان صراحة إلى التنصير. فقد سبق ونشرت الفاتيكان وثيقة أطلق عليها «حق الكنيسة الكاثوليكية فى نشر رسالتها التبشيرية بين غير المسيحيين وأصحاب المذاهب المسيحية الأخرى». ودعا لبذل الجهد فى سبيلها حتى الموت. ورغم تصريحات بنديكتوس: إلا أن المراقبين للشأن المسيحى وللأنشطة التنصيرية يؤكدون أن الفاتيكان تعرض لإخفاقات كبيرة فى مجال التنصير خاصة بين المسلمين على الرغم من مليارات الأموال التى خصصت لهذا الأمر.

٦٠ عاما من النكبة المتواصلة

اكتملت فى يوم ١٥ مايو ٢٠٠٨م ستون عاما من النكبة.. نكبة عام ١٩٤٨ وهى النكبة التى مازالت متواصلة حتى الآن. فيها وعلى إثرها ضاعت فلسطين وقامت الدولة الصهيونية وسقط العرب فى حبائل الانقسام والضعف والاقتتال!!

إسرائيل ذلك الكيان اللقيط تمكنت على مدى ستين عاما بعد إنشائها من فرض نفسها فى المجموعة الدولية، لتفرض واقعا جديدا على المنطقة وعلى العالم. وهذا الواقع إلى جانب ست حروب لم تمنع إسرائيل من ترسيخ اقتصادها. وأن تصبح قوة تكنولوجية، وتمتلك جيشا قويا وبنى تحتية متطورة على أرض ليس فيها موارد طبيعية. وهذا الرهان لم يكن محسوما مسبقا فى ١٤ مايو ١٩٤٨ حين أعلن قيام دولة إسرائيل وأنشئت إسرائيل آنذاك على أرض تركتها قوة الانتداب البريطانية وواجهت على الفور حربها الأولى مع الدول العربية. ومع هذا التطور برزت مأساة أخرى هى الترحيل القسرى!

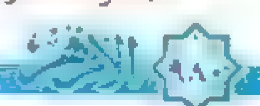
وارتكبت إسرائيل منذ العام ١٩٤٨ جرائم ومجازر لا تعد ولا تحصى.. فمن مجازرها فى حيفا واللد وعسقلان إلى كفر قاسم ودير ياسين إلى إحراق المسجد الأقصى. إلى بحر البقر. إلى صبرا وشاتيلا. إلى قانا إلى مذبحة الحرم الإبراهيمى. إلى جنين وخان يونس. إلى التهجير والتخريب والتدمير للتراث الثقافى العربى والإسلامى. وإذا كانت إسرائيل وقعت اتفاقات سلام مع مصر (١٩٧٨) ومع الأردن (١٩٩٤)، فإنها لاتزال فى حالة عداء مع فلسطين وسوريا ولبنان وكل دول المنطقة. فمتى يمكن أن تنتهى النكبة ونحتفل نحن بانتهائها وتحتفل إسرائيل بسقوطها؟

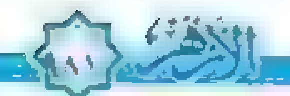
حدوث أول انهيار بساحة المسجد الأقصى بسبب الحفريات الإسرائيلية

دعا الملتقى العالمى للعلماء والمفكرين المسلمين، المنبثق عن رابطة العالم الإسلامى المنظمات الدولية والدول المحبة للسلام، للقيام بعمل جاد لإيقاف أعمال الحفر التى تنفذها السلطات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى المبارك، مما يؤدى إلى حدوث انهيارات متتابعة فيه. حيث حدث الانهيار الأول فى ساحة المسجد، وأدى إلى إحداث حفرة واسعة نتيجة للحفريات التى أدت كذلك حدوث صدوع وتشققات خطيرة فى البيوت التى تقع قرب الجدار الغربى للمسجد. جاء ذلك فى بيان عاجل أصدره الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى، الأمين العام للملتقى العالمى.

سفيرة أمريكية تحمل بوش مسئولية سوء العلاقة مع المسلمين

انتقدت سينثيا شنايدر السفيرة الأمريكية السابقة فى هولندا الرئيس الأمريكى جورج بوش لسوء تعامل إدارته مع المسلمين وثقافتهم، مما أدى إلى توتر العلاقة بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة. وأوضحت أن الحرب الأمريكية أدت إلى تدمير التراث الثقافى للعراق وأفغانستان، ولذا بدأنا مشروعا للحفاظ على الآثار الثقافية فى العالم كله وتدريب الجنود الأمريكان على كيفية التعامل معها . وفى نفس السياق أوضح استطلاع للرأى العام الإسلامى فى الغرب، خاصة الولايات المتحدة أن سبب الانقسام بين المسلمين والولايات المتحدة، هو شعور المسلمين أن الإدارة الأمريكية لا تحترمهم كما ينبغى، بالإضافة إلى عدم وجود فهم متبادل بين الطرفين. ودعت السفيرة الأمريكية ومعهد جالوب بضرورة علاج مواطن القصور والمشكلات التى أدت إلى توتر العلاقة الإسلامية ـ الأمريكية، وأن يتم تقديم المزيد من الاحترام نحو المسلمين ودينهم، لأنهم أصحاب دين وحضارة.





أنباء مكتب شيخ الأزهر



نداء من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

مجمع البحوث بالأزهر الشريف يرقب بقلق ما يدور في لبنان من فتن ومشكلات يشاهدها أبناء دولة لبنان الشقيقة أن يبتعدوا عن كل قول وفعل يؤدي إلى إشاعة الفوضى والاضطراب. لأن ذلك سيؤدي إلى عواقب سيئة لا شك أن لبنان في غنى عنها.

والمجمع يدعو أبناء لبنان جميعا على اختلاف أديانهم وطوائفهم ومذاهبهم أن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وأن يكون رائدهم في ذلك قوله تعالى

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران: ١٠٣)

وقوله تعالى

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [illegible] ﴾ (الأنفال: ٤٦)

وأن يعملوا على حل مشكلاتهم بالحوار الحكيم وبالقول الكريم الطيب وبالعمل الإيجابي الذي يعيد إلى لبنان أمنه ووحدته واستقراره نسأل الله تعالى أن يحفظ دولة لبنان وأهلها وشقيقاتها والعالم أجمع من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه سبحانه على كل شيء قدير.

الأزهر على استعداد لقبول أهل السنة الإيرانيين

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف في لقائه يوم الأربعاء الموافق ١٤ ٥ ٢٠٠٨ بوفد إيراني برئاسة مفتي خراسان لأهل السنة أنه لا فرق بين مسلم سني وآخر شيعي وأن تطبيق العدالة والمساواة بين أبناء الوطن الواحد طبقا لأحكام الدستور الذي يحقق التعايش السلمي وقال خلال استقباله للشيخ إبراهيم وصل الحسيني مفتي أهل السنة بخراسان بإيران أن العقائد لا مصادرة عليها وأن الأزهر يقبل طلابا من أكثر من ١٠٤ دول وأنه على استعداد تام لقبول طلاب أهل السنة الإيرانيين للدراسة بالأزهر في حالة إذا انطبقت عليهم شروط القبول بالأزهر كمعادلة شهاداتهم بالشهادة الأزهرية من جانبه أكد الضيف أن أهل السنة بإيران يمثلون ثلث عدد السكان وهم يقدرون بحوالي ٢٠ مليون نسمة، وأنهم متساوون في الحقوق والواجبات مع إخوانهم الشيعة في إيران وأن الدستور الإيراني ينص على مبدأ المساواة وقال إنهم يشغلون الكثير من الوظائف القضائية ولديهم أكثر من ٢٠ نائبا بمجلس الشورى الإيراني ولديهم مدارسهم الخاصة، كما يوجد لديهم مساجد بأسماء الصحابة.

بروتوكول تعاون بين الأزهر الشريف والهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر عقد الأزهر الشريف والهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد برئاسة مجلس الوزراء مؤتمرا صحفيا بمشيخة الأزهر لتوقيع بروتوكول تعاون بين الطرفين للإعلان عن أولى المعاهد الأزهرية التي سوف تتقدم للحصول على الاعتماد من الهيئة والبالغ عددها ١٣٠ معهدا وذلك بحضور الأستاذ الدكتور/ مجدي قاسم رئيس الهيئة القومية لضمان الجودة والاعتماد وبحضور لفيف من علماء الأزهر الشريف ونواب التعليم بهيئة ضمان جودة التعليم وتضمن البروتوكول التوقيع على بدء إجراءات عمل الدراسات والزيارات الاستطلاعية التي سوف تقوم بها الهيئة للمعاهد الأزهرية المتقدمة للاعتماد لاستيفاء معايير الجودة لتحديد مدى استعداد هذه المؤسسات للاعتماد على أن تتولى الهيئة تقديم كل الدعم والتسهيلات الفنية لمساعدة هذه المؤسسات للتأهل للاعتماد ومساعدتها على إعداد الدراسة والتقييم الذاتي لها والوصول إلى تطبيق المعايير الخاصة بضمان الجودة والاعتماد ويعتبر الأزهر الشريف أولى المؤسسات التي تقدمت للهيئة لاعتماد مؤسساتها التعليمية بناء على معايير الجودة التي أعدتها الهيئة القومية للاعتماد.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية قبرص

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الأربعاء ٧ ٥ ٢٠٠٨ معالي وزير خارجية جمهورية قبرص السيد ماركوس كبريانو والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد الوزير والوفد المرافق لسيادته في مصر وأزهرها الشريف وقدم شرحا موجزا لمراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة التي تقوم الدراسة بها على السماحة والاعتدال وعلى اعتبار أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة وأن العلاقات بين الناس يجب أن تقوم على التعاون وعلى تبادل المنافع التي أحلها الله مبينا أن الله بعث الأنبياء على مر العصور من أجل التعاون ونشر الخير ومساعدة المحتاجين والوقوف إلى جانب المظلوم حتى يأخذ حقه والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة.

ومن جانبه أعرب السيد الوزير عن سعادته بوجوده في مصر لزيارته لمصر ولقائه بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لأن الأزهر هو منارة العلم في العالم، وأنه على علم بما يقوم به الأزهر من خلال قربه من الثقافة الإسلامية بأنه دين سماحة على امتداد التاريخ، كما أشار الضيف إلى أن قبرص ليس بها أي مشكلة دينية بين المسلمين والمسيحيين على الإطلاق فالكل يعيش جنبا إلى جنب وقد وجه السيد الوزير الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر لحضور مؤتمر السلام العالمي الذي سيعقد في جمهورية قبرص في نوفمبر القادم بالاشتراك مع الكنيسة القبرصية وسوف تصل قريبا الدعوة من رئيس الأساقفة القبرصي.

الإمام الأكبر يستقبل الرئيس التنفيذي للمجلس الثقافي البريطاني

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ ٥ ٢٠٠٨ السيد مارتن دافيدسون الرئيس التنفيذي للمجلس الثقافي البريطاني يرافقه المدير الإقليمي لمنطقة شمال أفريقيا والشرق الأدنى ومدير المجلس الثقافي البريطاني بمصر وتأتي هذه الزيارة لتنسيق العمل المشترك بين الأزهر وجامعته وبين المجلس الثقافي البريطاني من أجل تحقيق وتعميق أكثر للغة الإنجليزية والتي من خلال تعلمها يتم فهم الثقافات والحضارات لتفعيل أواصر التعاون. وأبدى رئيس الوفد رغبته في الاستعانة بالأزهر في تعليم اللغة العربية في مدارس إنجلترا.

ومن جانبه رحب فضيلة الإمام الأكبر بالتجربة موضحا بأن طلاب وطالبات المعاهد الأزهرية يدرسون منهج اللغة الإنجليزية في مراحلها الثلاثة





prohibited There are also two periods of time when "Istikhara" prayer is discouraged, after Fajr prayer until it is time for non-essential prayer, and after Asr prayer.

The sunna for "Istikhara" prayer is two rakaa and the person presenting the prayer may add more if he likes, but he has to end the prayer every two rakaa's. It always has to follow two rakaa's.

Ibn Hagar – may Allah forgive him – used to prefer to pray the two rakaas using specific suras. He used to pray the first rakaa with Al-Fatiha then, from surat Al-Qassas:

"And your Lord creates whatever He decides and He chooses. In no way do they have the choice. All Extolment be to Allah, and Supremely exalted be He above whatever they associate. And yourLord knows whatever their heart conceals and whatever they make public. And He is Allah, there is no god except He. To him be praise at the first and at the Hereafter. And He has the judgment, and to Him you will be returned." (Al-Qassas: 68 – 70)

And then follow it with:

" Say "O you disbelievers. I do not worship what you worship. Nor are you worshipping what I worship. Nor am I worshipping what you have worshipped. Nor are you worshipping what Iworship. To you is your religion, and to me is my religion " **(Al-Kafirun (the disbelievers)**

And in the second rakaa, he would read the Fatiha and then.

"And in no way should a male believer or a female believer, when Allah and His Messenger have decreed a Command, have the choice in their Command. Whoever disobeys Allah and HisMessenger, then he has readily erred away into evident error " **(Al-Ahzab: 36)**

And then read surat Al-Ikhlas.

As for the prayer of " Istikhara", which was stated above. It may be said by the person after the two rakaa's or during them during prostration or saying "tashahud" since this is the place for asking during a prayer.

The issue about which the "Istikhara" prayer is being performed, should be an important matter It is usually unclear and its consequences (good or bad) are unknown In this case, there is a precaution that should be taken by the Muslim before performing the prayer for "Istikhara". Muslim Scholars say that the person asking for guidance will not have a true result from the "Istikhara" if he she has already decided on it It was mentioned in Fath Al-Bary – in explanation of SahihAl-Bukhari – that Ibn Hagar said the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) said, "If any of you is about to do something, then he should pray two rakaa's" referring to the first

impression of any matter "so that the blessings of the prayer will reveal what is good" "But if his mind is already made up and he has decided, then he advances to the problem in anticipation and fear that the prayer would prevent him from accomplishing what he already desires " The usual approach is not to go ahead with the matter before performing "Istikhara".

The matter itself should be mentioned in the prayer Imam Al-Bukhari (may Allah be pleased with him) has mentioned a true saying of the Prophet based on narration by Gaber (may Allah be pleased with him) He said that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) said "If any of you is about to do something, then pray two rakaa's and say (after the prayer)

"Oh Allah, I ask your guidance with your knowledge, and I appeal to your power and ask you from your great bestowments, since You have the power and I don't, and you have the knowledge and I don't, and you know all the unknown O Allah, If you know that this matter (and then he mentions the issue under consideration)............to the end of the Hadith.

It is then clear that the place where the issue should be mentioned is after he says: "O Allah, If you know that this matter. . ." For example, he could say, "O Allah if you know that my journey for this business is good for me....." or

"O Allah if you know that my marriage to .... is good for me ....."

The scholars have mentioned that if he does not mention the issue in this particular place in the prayer, then he can say it after finishing the prayer In explaining the saying of the prophet "O Allah if you know that this matter....". Gabr said usually the Muslim should mention the issue aloud but he could also present it silently in his heart.

A Muslim cannot do "Istikhara" for something that must be done or that is imposed by Islam. Also, there is no "Istikhara" about something that is prohibited or discouraged by Islam.

What comes after " Istikhara"? Imam Al-Nawawi said "After " Istikhara" the person goes ahead and does what he feels good about. That means he should do what he feels is right and leave the rest to Allah to bless his decision and its outcome.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

As such, both the previous and the present Pope (Pope Benedict XVI) adopted the path of fierce animosity for Muslims. This was very clear in the recent media frenzy surrounding the insignificant renegade Magdi Allam, along with those he referred to as Muslim Terrorists to join Catholic Christianity.

The book states that conversion to Catholic Christianity must continue to rely on methods that appear to originate in the Muslim world and not been imposed upon it by outsiders. These methods simply appear to be natural results of intellectual and economic globalization. Actually, globalization represents an introduction to Christianity, since its main objective is to strip the Muslim of his basic Islamic beliefs and concepts, leaving him a prey to uncertainty and lack of acceptance of his present existence. This may lead to the humiliation of his personal pride and his faith, causing him to search for an alternative as the popes thinking.

Among the methods of conversion to Catholic Christianity, as mentioned by the book, are attempts at explaining Islamic principles made by people who are not qualified in any way to do that, and who bear no allegiance to Islam or its basic concepts.

Other methods of conversion to Christianity include, in some cases, International Conferences which offer solutions to world problems. These problems are made to appear as if they arise from Islam which is not the case. These topics include equality between men and women, anti-terrorism and female circumcision. It also includes promoting sympathy for AIDS sufferers and for homosexuals and making them appear as innocent victims who were only trying to exercise their right to freedom.

Another method of conversion that should be emphasized is the support of renegades from Islam and providing them with protection, in addition to putting pressure on governments and legal committees who attempt to impose any punishment on them. In contrast, anyone who attempts to enter Islam is met with strong pressure and disapproval. Also, any misguided groups who abandon Islam are encouraged. These include devil worshippers, Bahaaists, Quranists and Qadyans. They are widely supported and they are given a lot of media attention. Governments are even pressured into accepting them and identifying them as separate entities in their passports. Human Rights groups are also required to adopt their causes and support them.

At the same time, there is much effort to concentrate attention on the dangers of Muslims and their conservative beliefs. Muslims are hunted down and treated as criminals. These are all attempts at bad publicity for Islam as a religion to discourage any would-be followers. This also encourages followers of other religions to treat Muslims badly, as is now evident in the inhumane treatment of Muslims who have chosen to live in European or other foreign countries.

To Ask Allah for Guidance (Istikhara): A Heavenly Path to the Unknown, and Rays of Prophetic Illumination...!

By: Dr. Aly Al-Khatib

The guidance that is brought about by "Istikhara" brings an end to uncertainty and suspicion and leads to comfort, peace of mind and an acceptance of God's will. "Istikhara" is a method of putting our trust in God's will and judgement. The Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) used to teach it to Muslims, and they used to memorize it as we memorize the suraht of Al-Fatiha in the Quran.

Every Muslim undergoes "Istikhara" when he or she is faced with a problem or offer and they are not sure if it is better for them to do it or not. At that point, they should perform "Istikhara" since it results in heavenly guidance. If it is good for the Muslim, he is guided towards it, if not, he would tend to avoid it.

In order to perform the "Istikhara", the Muslim performs 'wudhu' then he prays two 'rakaa' and after ending the prayer, he says the "Istikhara", while still facing the Qibla in the same state in which he ended the prayer. Imam Bukhari - may Allah be pleased with him - has narrated, based on a narration by Gaber ibn Abdullah (may Allah be pleased with him): "The Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) used to teach us "Istikhara" in all things, just like a surah in the Quran: and he used to say: "If any one of you decides on an issue, then pray two rakaa (other than the essential prayers) then say:

"Oh Allah, I ask your guidance with your knowledge, and I

appeal to your power and ask you from your great bestowments, since You have the power and I don't, and you have the knowledge and I don't, and you know all the unknown. O Allah, If you know that this matter is good for my faith and my livelihood and my life hereafter (or say: in my present and future) then bestow it upon me and facilitate it for me, and bless me. If you know that this matter is bad for my faith and my livelihood and my life hereafter (or say: in my present and future) then keep it away from me and keep me away from it and bestow upon me all good wherever it is"

And said "then he mentions the problem".

The times when "Istikhara" prayer can be performed are during the day or the night except the three periods of time when prayer is prohibited. Since the "Istikhara" prayer is not an essential prayer, then it cannot be performed 15 minutes after sunrise, nor 15 minutes before sunset, nor a minute before Zuhr (noon) prayer. These are three periods when the non-essential prayers are

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al-Akhira, 1429 A.H.



ENGLISH SECTION
June, 2008

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



An Invitation for Dialogue or a Plot for Conversion to catholic christianity...!

By Dr. Ibrahim Al-Assil

Dr. Zainab Abd-el-Aziz, Professor in University of Monoufia and former Head of Department of French civilization in the university, has translated a book by the former Pope of the Vatican John Paul II. This book and its main points were mentioned in an article by Professor Dr. Abdel Halim Owais, published by the Egyptian magazine Al-Tebian in its issue of Rabi Al-Aakhar 1429, April 2008.

In this book, Pope John Paul II announced that the main aim of the Vatican is to convert the world to Christianity. And, in his own words, its "Catholicity", converting everyone into a catholic Christian. Among the important points mentioned by the Pope is the importance of creating dialogues with Muslims, in particular, with the aim of Christianizing them. This is confirmed by the saying of Allah:

" ***And the Christians and the Jews will never acknowledge you until you follow their religion***". (The Cow 120)

The Pope says in his book: "The catholic church uses dialogue as a method to catholicize all people". The dialogue that is intended by the Vatican has been prepared in advance with specific goals. As a result, we heard - at that time - about invitations to international Muslim communities to induce them to get into a dialogue with the Vatican. This presumed dialogue was, at one time, referred to as dialogue between religions and, in others, as dialogue between civilizations. This latter name was strongly emphasized, at the time, to avoid what some people referred to as conflict between civilizations.

The dialogue that was called upon by the Vatican has clear goals for those who initiated it. These goals do not include, at all, the search for truth. If it were so, its results would, inevitably, have been in the interest of Islam, as expected by Muslims. In the very least, this dialogue would have revealed the common concepts between heavenly religions which would have resulted in a common understanding between all believers in God and forge an unified confrontation against atheism and immorality.

However, it is certain now that these were not the main objectives of the Vatican. Its only aim was to spread catholic Christianity and convert Muslims, more than anyone else, into Catholic Christians. This would then be followed by conversion of others such as cow-worshippers (Hindus, Nepalese), Buddhists and also Christians of other faiths particularly the orthodox Christian. They also wanted to prohibit any mention of Jews. The Pope did not dare to mention them in any way, as he anticipated in advance the strong reaction of the Jewish lobby and their fierce attack which includes the usual accusations of anti-Semitism.



الفهـــرس


AL AZHAR
MAGAZINE



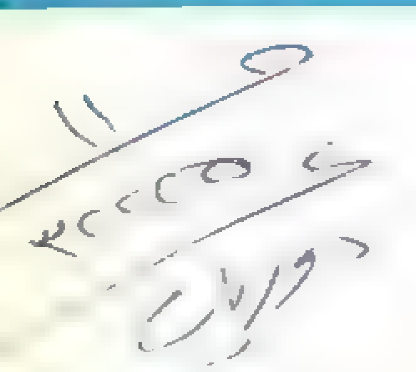
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رجب ١٤٢٩هـ - يوليو ٢٠٠٨م

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار
خادم الحرمين الشريفين يؤكد

قواعد وقيم للتعايش وحوار عاقل

بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

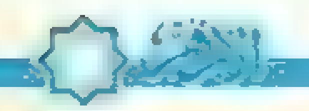
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

رجب ١٤٢٩هـ - يوليه ٢٠٠٨م - الجزء السابع - السنة (٨١)





من صميم الواقع



حين أزور قريتي أجد كل شيء فيها تغير عما كنت أعهد، ولا أراني أحس براحة ما لهذا الانقلاب - فالنور والكهرباء والمنازل العصرية والمدارس المتنوعة، كل ذلك قد طرأ على القرية بعد رحيلي المنقطع، ولكن هل أدى إلى راحة نفسية وإلى إنتاج زراعي وإلى سلام هادئ بين القرويين كما كان الأمر قبل هذا التجديد؟ لقد كادت القرية تقترب من المدينة في مظاهر كثيرة ولكن، هل انتفعت القرية اجتماعيا بهذا الاقتراب؟ سترى!!

لست عالم اجتماع، فأحشر نفسي بين الفضلاء المتخصصين وفيهم من يكره أن يتحدث غيرهم فيما يزاولون من بحوث! ولكنهم مع ذلك يطبعون استمارات «الاستبيان» ولا أدرى من أين جاءت هذه الكلمة الغريبة الصياغة!! يطبعون هذه الاستمارات ويوزعونها على العالم والجاهل ليجيب عما يريدون من الأسئلة فليعدوا مقالتي إجابة متصلة على بعض هذه الاستمارات! وحينئذ لا ينكرون على مثلي أن يجيب بما يراه؛ فهو مشاهد لا باحث.

كان الطابع الديني هو السمة الأصيلة لأهل القرية؛ فالدين هو المسيطر الأول على السلوك من تبع نوره سار في طريق مستقيم وأجمع الرأى العام على تقديره، ومن شذ عنه عد مجرما وتباعد عنه أقرباؤه كما يتباعد الصحيح عن الأجرب. ورجل الدين وإن كان متواضع المعرفة هو صاحب المشورة والرأى يختلف الناس ويتنازعون فلا يحسم الخلاف إلا برأيه ويأتى موسم الانتخاب فيكون من هم المرشح أن يحظى برضاه فيزور

منزله أول ما يزور ويحف إلى المسجد عند الأذان ليصلى خلفه ثم ينتظر ختام الصلاة ليسرع إليه فيحتضنه! وإذا كان المصلون كثيرى العدد أطال معه الوقوف في هيبة! وفيهم من يقبل يده. كان هذا بالأمس؛ فإذا شك قارئ اليوم فيما أقول فليسمع هذه النادرة:

مدير الدقهلية

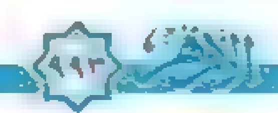
كان مدير الدقهلية «محافظ اليوم» صاحب الكلمة الأولى في إقليمه. وكان الناس لا يتحدثون عنه إلا بقولهم: «الباشا المدير» وفي أوائل الثلاثينيات كان المدير هو «محمد يازى باشا» وفيه شموخ وتكبر؛ فتقدم إليه إنسان نظيف البزة حسن المظهر يرتدى حلة جميلة وطربوشا منسجما تقدم بشكوى في بعض الأمور فقابله عند رؤيته باحتفاء، وحين قرأ التوقيع «مدرس بمدرسة... الإلزامية» هاج هائجه وتملكه الغضب وصاح منفعلا! مدرس إلزامي يظهر في هذه الأبهة! وراتبه ثلاثة جنيهات. ثم أصدر أمرا بأن يلبس جميع مدرسي المرحلة الأولى العمامة والكاكولة وأصر على معاقبة من لا يذعن؛ فالبدلة أرقى من مستواهم في رأيه! وقد ثارت الصحف. وكانت الوزارة وزارة إسماعيل صدقي. وكتب الدكتور طه حسين مقالا ناقدا، ولكن المدير أصر ورأى الرجوع مما يمس كرامته وأخذ يأمر المفتشين بالمؤاخذة الصارمة لمن لا يلبس العمامة!

وفي يوم ما عزم الباشا على زيارة إحدى قرى المديرية في وقت حدده باليوم والساعة والدقيقة وحان الموعد فخف العمدة وشيخ القرية وبعض الخفراء لاستقباله كانوا سبعة لا يزيدون ونزل المدير فرأى على البعد ازدحاما شديدا يموج به أهل القرية فظن القوم قد خرجوا لاستقباله ولكنهم تهيبوه فلم يقربوا منه فقال المدير متسائلا: لماذا يبتعد القوم ولا يقربون؟ وقال أحد أصحابه ممن قدموا معه: ولماذا لا يهتفون مرحبين! وهم يستقبلون الباشا!

فقال العمدة وكان مفطورا على الصدق: ياباشا أهل القرية يودعون فضيلة الواعظ حيث ألقى الدرس بالمسجد عقب صلاة الظهر واتجه إلى الطريق الزراعى مسافرا فخرجوا لوداعه هو صاحب العمامة البيضاء الذى يحتفون به! صاحب العمامة يا باشا!

قال رفيق الباشا في غضب: ولماذا لم يحضروا لاستقبال سعادة الباشا؟ فسكت العمدة ولم يجب؟ ولكن خفيرا لا يفهم أسلوب المجاملة قال في براءة: هم لا يعرفون الباشا ولكنهم يحبون أهل العلم وجميعهم يقبلون يد الشيخ!!

وهنا ركب المدير عربته غاضبا وسارع بالعودة!



رجع الناشئ مبهورا فقد طل العمامة موضع الاستهزاء، فربما موضع التقدير تقدير لم يتهيأ له أن يناله.

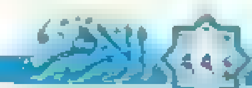
منبعان مختلفان

إذا بحثنا عن التغير الطارئ، إلى حد التناقض في سلوك القرويين بين عهد وعهد فإننا نجده يرجع إلى اختلاف المنبع في العهدين المتعاقبين. ففي العهد الماضي كان المسجد هو المنبع الوحيد لما يشمل القرية من عادات وتقاليد وهو منبع عريق يضرب بجذوره إلى السنوات البعيدة فتتوارث تقاليده الآباء عن الأجداد والأحفاد عن الآباء، فتتابع أجيال تؤمن بتعاليم المسجد وتعدها باب النجاة والأمن. ففي المسجد يقرأ القرآن ويشرح الحديث وتستمع مجالس الوعظ فيكون من كل ذلك سنن متبع يرتفع إلى مصدره الأعلى في السماء فمن حاد عنه خالف الله ومن اهتدى به نعم براحة البال في الحياة وبجنة الخلد بعد الممات. أما في العهد الحاضر فالمنبع لكل جديد طارئ، هو شاشة التليفزيون ومسلسلاتها على الخصوص، لقد أصبحت الشاشة مدرسة تلقي الدروس المتكررة لتنحرف بالتقاليد من وضع إلى وضع. كان المسجد يأمر باستحكام الأسرة وطاعة الوالدين فجاءت الشاشة لتُرى القروية الساذجة كيف ينشز الولد عن طاعة أبيه، وكيف تتهكم الفتاة بأمها وتعدها ميراثا بائدا يجب أن يزول، كان المسجد يدعو إلى القناعة والرضا باليسير ويأخذ في مواعظه بقول الله - عز وجل -.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾

(الإسراء: ٢٩)

فجاءت الشاشة لتعرض مباذل الترف الصارخ في المآكل والمشرب وأثاث المنزل وإعلانات السفه والمجون، وتعد الكماليات ضروريات لا محيد عنها، كان المسجد يدعو إلى حفظ الوقت ويحب السهر الطويل واليقظة عند صلاة الفجر لاستقبال اليوم في أنشط مظاهر القوة، فجاءت الشاشة لتجمع الساهرين والساهرات في الليل الأطول أمامها، وقد تبتعد الشاشة ليأتي مكانها «الفيديو» وقد جاء به من اشتروه من بلاد البترول ليعرض ما نهى الله عنه من فنون الخلاعات، وليحدث مثلا جديدة في العلاقات ويكشف عن أساليب طائشة في الإغراء والخداع! لقد تناقض المنبعان إلى حد التضارب! ولا من مغيث.



الأسرة الواحدة

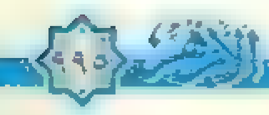
يقال الآن: إن العالم كله قد أصبح قرية صغيرة، لأن وسائل الاتصال قد سهلت كل معرفة وقربت كل بعيد أفلا أقول الآن: إن القرية في عهدها الماضي كانت أسرة واحدة، لأن جميع أبنائها يشعرون برباط قوي متماسك يدفعهم إلى التآزر في الشدائد وإلى اعتبار التكافل الاجتماعي فرضا محتوما لا فكاك منه وإن جهلوا مسماه.

قد تدور الماشية في الساقية فتسقط في بئر، وهي عماد صاحبها في أرضه فإذا فقدها فقد خسر مقومات كسبه الضروري؛ فما يرتفع الصراخ حتى ينهض القرويون من كل صوب ليعملوا على إنقاذ الهاوية المسكينة بما يعرفون من وسائل الإنقاذ؛ فإذا خرجت سليمة معافاة فقد تم المراد، وإذا خرجت جريحة تكاد تلفظ أنفاسها قام الجزار سريعا بذبحها، وحضر من وجوه القرية من يقسم اللحم في لفائف خاصة، ويبعث في كل منزل بلفافة كبيرة ويقدر الثمن زائدا عن حده الطبيعي ليجمع من كل منزل ما يكفي لشراء بقرة مماثلة ويتم ذلك في العاجل السريع؛ فإذا تكملت القيمة ذهب اثنان أو ثلاثة فاشتروا البديل وأخذ المرزوء يحمد الله أن عوضه كل خير، يتم ذلك وكأنه شيء طبيعي لابد أن يكون.

قد يشرع قروي في بناء منزل لحاجته الضرورية فيخف أبناء القرية لمعاونته؛ فإذا احتاج البناء إلى عشرة أيام وجد من العائلات من يقوم ذووها وفق اتفاق متبع بإطعام العمال لكل عائلة يوم يختص بذلك فلا يتحمل صاحب المنزل أعباء تضاف إلى ثمن الطوب والخشب ويكون التسابق في هذا المجال موضع اهتمام الجميع، وقد تجرى القرعة كيلا يفوز رجل بالسبق وهذا ما شهدته عن عيان.

قد يشب حريق وليس في القرية شيء من أدوات الإطفاء فما يرتفع الصراخ حتى تبعث عشرات النساء بالصفائح للملئها من النهر على وجه سريع ويقف الرجال في مهب الحريق يوالون عملية الإطفاء وفيهم من يجازف فيتسلق الجدران ليحاصر اللهب المشتعل وفيهم من يخوض النار ليرمي إلى الأرض بكتلة كبيرة مشتعلة من الخطب المتراكم فوق السطح، وتنظر فتجد الشارع الذي يضم المنزل المصاب زاخرا بالناس صغارا وكبارا لا يكاد يوجد به مكان خال حتى تنفرج الغمة ويخمد اللهب.

ويأتي رمضان، فلا نتحدث عن زينة المسجد وبهائه واحتفاله بالدرس بعد المغرب وبالتراويح بعد العشاء، وخروج الناس عقب الإفطار بالمصابيح الزيتية قبل أن تعم الكهرباء، مساهمة في تألق المسجد وبهائه لا نتحدث عن ذلك بل نتحدث عن الموائد التي توضع أمام المنازل قبل الغروب لتستقبل كل وافد وعن السهرات بعد العشاء



الخافلة بمقرئي الكتاب طيلة الليل حتى إذا قرب ميعاد السحور قدم الطعام لمن ينتظر من ذوى الحاجة وقد يحمل منه إلى أهله استجابة لرغبة صاحب المنزل دون أن يسأل، وهنا يكون رمضان كما سنه الله شهر البر والإحسان! لا شهر الفوازير والمسلسلات!

والمرأة فى القرية حياتها الواقعية تعصف بكل ما يقول المتحدثات فى الصالونات عن سحق المرأة وعبوديتها إن المرأة الشابة زميلة زوجها المناضل فى حقله. تخرج معه إلى عمله صباحا فتشارك فى نظافة الحقل وإطعام الماشية وتعود فى الظهيرة لتعد الطعام. وتحمله إليه. والأم الكبيرة فى المنزل تظل به. لا تنام بل تنظف الأثاث. وتطعم الدواجن وترعى الأطفال الصغار وتنهض الفتاة إلى أبيها فى حقله القريب أو البعيد فتسير هادئة مطمئنة، لا يجرؤ أحد على أن يقرئها السلام! ولو شذ شاب فقاه بادنى كلمة قامت القيامة وأصبح مضغة الأفواه، ولا أسترسل فى بسط ذا المنحى إذ كفانى الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم وصف الواقع الصريح حين تحدث عن ريفية هو أحد المتسرعين من الشباب بالنظر إليها فقط! فزلزلت الأرض زلزالها، قال أحمد محرم رحمه الله:

كم نظرة هوجاء من متوسم
عصفت بأحلام هناك رجاح

دلف الشيوخ إلى الشيوخ حمية
وتدافعت أبطالهم بالراح

ما إن قومك كاد يهلك جمعهم
لولا الهوادة من ذوى الإصلاح

ما أنت من بكر ولا من تغلب
لكنه الشرف المنيع الماح

يا موردا تشب المنية دونه
ماذا صنعت بمهجة الملتاح؟

ما كان خطبك فى ذويك برائع
لو كنت ذات غلالة ووشاح!

الله الله:

والبيت الأخير جدير بالتأمل إذ يوازن بين فتاة الحضر وفتاة القرية موازنة ذات عبرة والتفات. وحقوق الجيران ولا أقول الجار. لأن أهل القرية يعتبرون أنفسهم جميعا جيرانا متشابكين حقوق الجيران على أكملها: فالتزاور قائم لا ينقطع. والعون

فى الشدة، والبهجة فى الفرحة كما نراه مثلا فى المآتم والأفراح، ويتجلى هذا التزاور فى المواسم العامة. وبخاصة فى يومى العيد. فالشارع ـ كل شارع ـ يزدحم بالزائرين ما بين غاد ورائح، ومن ينتظر فى الصباح لاستقبال الزائرين يخرج بعد العصر ليرد التحية بمثلها. فلا ينقضى اليوم حتى تتصافح الأكف. وتتعارف الوجوه وقد يحدث من قبل ما يبعث على الخصام فيكون العيد موسما للصفاء وميعادا للمصالحة وتروى الأحاديث الخاصة بهذا المنحى فتتصافى القلوب. وتتعانق الصدور، وكم من قضايا رفعت إلى المحاكم وجاء موسم العيد فكان باعثا على التراضى. واستراح المحامون والقضاة!

لقد أضيئت القرية بالكهرباء. وتعددت بها المدارس ووجد بها المجلس القروى ومراكز الشباب وجمعيات التعاون. ولكن هل عمت الطمأنينة كعهدها من قبل. هل دام التكافل الاجتماعى كما ذكرنا بعض صوره، هل فتحت المنازل أبوابها للزائرين فى المواسم؟ هل عاد رمضان مجالا للبر والإحسان كما كان؟ إنى لأبحث عن ذلك كله فلا أحد فيثب إلى ذهنى قول أبى تمام:

إن المنازل ساورتها وحشة
أخلت من الآرام كل كُناس

واقعنا الآن

أصبحت القرية تستورد من المدينة ما تريد من الخبز والبيض واللبن والدجاج والسمك! ما هذا؟ لقد كانت القرية مصدر هذا كله وكان ساكن المدينة يزور أقاربه وفى همه أن يعود مثقلا بخيرات القرية كما كان ساكن المدينة ينتظر زيارة أقربائه بفارغ الصبر ليجد معهم ما يحملون من غرائر القمح والأرز وأقفاص الدجاج! حتى الخضروات أصبحت تأتى من المدينة إلى القرية؟ كيف حدث هذا؟

إن كثرة الاستهلاك مقارنة بضعف الإنتاج قد أدت إلى هذا العجز الأليم، وضعف الإنتاج نتيجة للتخلف الزراعى فقد وجدت الآلات الحديثة الخاصة بزراعة الأرض ولكن لم نعرف كيف نستخدمها على الوجه الصحيح! قامت الجمعيات الزراعية وبنوك القرية والوحدة الصحية ولكنها تضم موظفين وليست مجال تنوير لإرشاد الفلاح كيف يستعمل أرضه على وجه يتيح كثافة المحصول؟! تخرجت أفواج من كليات الزراعة. ولم تجد عملا، ونفر الكثيرون من البقاء فى القرية ومن مكث فيها لعدم طاقته على الهروب أصبح عاطلا لا يشارك فى تنمية زراعية أو إنشاء مزرعة حيوانية فيفيد الناس بما حصل فى كليته حين يجدونه قدوة ذات خبرة متميزة ولكنه ترفع عن

العمل في الحقل وعاش عالة على أخيه الكادح في حقله بالطريقة البدائية. وكانت الكارثة أن موظفي هذه الإدارات الجديدة في القرية قد أرهقوا الفلاح بما يخترعون من زيادات في الأسعار أو يختلقون من ضرائب وهمية يزعمون أن المسئولين قد فرضوها ويبقى الفلاح المسكين فيجد ما يأخذ لا يكفي حاصله بعد الكدح الطويل في الزرع والري لسداد ما عليه من التزامات فيرى هذه المنشآت بابا من اللهيب قد أرسل شواظه عليه فيجتنب أن يلم به مهما أرهقه العوز وعضته البأساء!

وقد هاجر إلى البلاد العربية قوم من هؤلاء المساكين وحين رجعوا بعد خمسة أعوام أو ما فوق لم يحملوا غير أدوات الترف. وأخذ الواحد منهم يقلد الآخر في شراء الفيديو والتليفزيون ويعد ذلك مصدر مباهاة! على حين يتلهف الجيران على مشاهدة ما يودون من مناظر الإغراء! وكثيرا ما ترى في الشارع الضيق جموعا تتراص على الأرض في عمق الليل أمام أحد الأجهزة البراقة ليقضوا الوقت حتى مطلع الفجر أمام مغريات سخيفة فإذا طلع النهار لم يذهب الفلاح إلى أرضه بل ظل نائما هامدا لأنه قضى الليل في عبث لا يفيد" وأكاد أتوارى من الخجل حين أذكر أن الفتاة الطاهرة بالأمس. قد وجدت في اجتماع الفيديو ما شجعها على الصداقات المريبة وقد تنقلب هذه الصداقة إلى شر مستطير إذ يكون الزوج غائبا لمدة سنوات في بلاد الهجرة والزوجة فارغة لا تجد غير مناظر الشهوات ورفقاء الآثام" أما المسجد - رحمة الله على المسجد - فلم يعد يؤمه غير الشيوخ ممن فرغت منهم الحياة، كما لم يعد خطيبه شيخا جليلا مهيبا يرسل الخشية بمظهره وسلوكه قبل أن يبعث الموعظة بألفاظه وكلماته بل صار شابا تخرج منذ شهور أو بضعة أعوام لا يلبس العمامة إلا يوم الجمعة حين يؤدي الخطبة ويتركها بعد ذلك في حجرته بالمسجد وكأنه تخلص من عبء ثقيل! ماذا يستطيع مثل هذا الساذج أن يقول في خطبته حتى يجذب الناس؟ وإذا قال فمن الذي يستمع إليه بعد أن تسمم بالمغريات الهابطات!

نحن نعلم أن القرية قد نهضت في اليابان والهند والصين، وأصبحت مصدر تنمية وافية. وثروة جيدة ولكن دول العالم الثالث قد اعتمدت على القروض الاستهلاكية التي لا تفيد القرية في شيء. بل إن مانحي هذه القروض لا يجعلون النفع القروي من أدوات تنفيذها، لتظل القرية فقيرة محتاجة. وليظل الاعتماد على القروض تيارا لا ينقطع له مد. وقد سمعنا عن الصناعات الصغيرة، وضرورة تشجيعها بالريف. وسمعنا عن القروض التي تدل للشباب كي يلجوا باب الرزق عن هذه الصناعات! سمعنا ذلك، ونرجو أن يتحقق ما نرجو من الخير عن طريقه! ولكن الذي نرجوه ألا تكون الجمعيات الحكومية في القرى حلقة اتصال بين الآخذ والمأخوذ منه! فقد كفى ما علمناه من احتيال في القرض والسداد.

أذكر أن الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - قد تعرض في بعض أحاديثه لحفلات السهر الريفي أمام الفيديو والتليفزيون؛ فذكر ما جرته من الانحدار الخلقي والانهيار الزراعي معا وتمنى غاضبا ألا تكون الكهرباء قد دخلت الريف على هذا النحو المستقبح! وهنا ثار الثائرون في الصحف على هذا المتخلف الذي يحارب امتداد النور في أزقة القرى"! والرجل في ذلك مثله كمثل الأب الحزين الذي يرى ابنه فاشلا في مدرسته منحدرا في سلوكه! فيقول في ساعة قهر: ليت الله يأخذه فأستريح! أفكان الأب يكره ولده؟ أفكان يتمنى له الموت؟ إن شجونه قد ارتفعت من هيجان مشاعره إلى لهاة لسانه، فأنطقته بما لا يريد..

وأخيرا ماذا نريد للقرية؟ وماذا نريد منها؟

نريد للقرية أن تأخذ من كل عهد أحسن ما فيه، فتأخذ من عهدها الأول تأصل الروح الديني، وبعث التكافل الاجتماعي وإيقاظ مشاعر الأخوة الصادقة، وأن تأخذ من العهد الثاني توظيف الآلات الحديثة في مسائل الزراعة والصناعة، والاستفادة من مرافق التوجيه الثقافي، وإصلاح الجمعيات الريفية حتى تؤدي الدور المنشود باختيار الأكفاء من العاملين ومحاسبة الوصوليين من المرتزقة ونشر الوعي الزراعي والصناعي بإنشاء المدارس الخاصة بهذين النوعين على نحو ريفي متواضع فقد تكفي خمس حجرات لإقامة مدرسة من هذا النوع تكون للصغير معهد تعليم وللكبير مصدر إشعاع هذا ما نريد لها أما ما نريد منها فأن تكون أكثر حيوية من المدينة نفسها! لأن سكان القرى أوفر عددا من سكان المدن كما ينطق بذلك آخر إحصاء! ونريد منها أن تحارب أدوات الترف البغيضة التي مسخت الكسل وحرمت العمل. ونريد منها أن تجذب أبناءها الراحلين إلى المدينة بما يتهيأ لها من توفر وسائل الرزق. ورواج الصناعات الصغيرة وأن توجد بكل قرية مدرسة ريفية ترعى حاجات الريف، قبل أن تمهد للالتحاق بالمدارس الثانوية وإذا كان العامل الجاهل اليوم يكسب في الأسبوع ما يكسبه الموظف الحكومي في شهر فلماذا لا تثقفه في مهده الأصيل!

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

(الآيات ١٧٦ - ١٧٩)

الخطاب في قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾

للنبي ﷺ والمقصود منه تسليته وإدخال الطمأنينة على قلبه، حتى لا يتأثر بما يراه من كفر الكافرين، ونفاق المنافقين، وفسق الفاسقين.

أي: لا يحزنك ولا يُذهب نفسك حسرات يا محمد، حال أولئك القوم الذين

﴿ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾

أي يتوغلون فيه، ويتعجلون في إظهاره وتأييده والعمل به عند سنوح الفرص. ويقعون فيه سريعا دون تريث أو تدبر أو تفكير والمقصود بالنهي عن الحزن، النهي عن الاسترسال فيه وفي الأسباب التي تؤدي إليه، كأن يظن ﷺ أن كثرة الضالين ستؤدي إلى انتصارهم على المؤمنين.

وقد أشار إلى ذلك صاحب الكشاف فقال:

﴿ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾

يقعون فيه سريعا، ويرغبون فيه أشد رغبة. وهم الذين نافقوا من المتخلفين. وقيل. هم قوم ارتدوا عن الإسلام.

فإن قلت: فما معنى قوله:

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ﴾ ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد؟ قلت: معناه: لا يحزنوك خوف أن يضروك ويعينوا عليك»[1].

ولتضمن المسارعة معنى الوقوع تعدت بحرف «في» دون حرف «إلى» الشائع تعديتها بها كما في قوله ـ تعالى.

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

[آل عمران: ١٣٣]

وقوله:

﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾

تعليل للنهي عن أن يحزنه تسارعهم في الكفر أي: لا يحزنك يا محمد حال هؤلاء المارقين الذين يسارعون في الكفر وينتقلون فيه من دركة إلى دركة أقبح من سابقتها، فإنهم مهما تمادوا في كفرهم وضلالهم ومحاولتهم إضلال غيرهم، فإنهم لن يضروا دين الله أو أولياءه بشيء من الضرر حتى ولو كان ضررا يسيرا.

ففي الكلام حذف مضاف والتقدير إنهم لن يضروا أولياء الله شيئا.

وفي هذا الحذف تشريف للمؤمنين الصادقين، وإشعار بأن مضارتهم بمنزلة مضارته ـ سبحانه ـ وفي الحديث القدسي: «من عادى لي وليا فقد آذنته بحرب»[2].

ولقد كان النبي ﷺ بمقتضى طبيعته البشرية، وغيرته على دين الله ـ تعالى ـ يحزن لإعراض المعرضين عن الحق الذي جاء به، ولقد حكى القرآن ذلك في كثير من آياته، ومنه قوله ـ تعالى:

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

(فاطر: ٨)

وقوله ـ تعالى:

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص ٣٤١

(٢) سنن البيهقي ٣ - ٣٤٦



﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾

(الكهف: ٦)

فأراد ـ سبحانه ـ في هذه الآية الكريمة وأمثالها أن يزيل من نفس رسوله ﷺ هذا الحزن الذى نتج عن كفر الكافرين، وأن يطمئنه إلى أن العاقبة ستكون له ولأتباعه المؤمنين الصادقين.

وقوله:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

استئناف لبيان جزائهم على كفرهم في الآخرة، بعد أن بين ـ سبحانه ـ عدم إضرارهم لأوليائه في الدنيا.

أى: لا ينبغي لك يا محمد أن تحزن لمسارعة هؤلاء الضالين في الكفر، فإنهم لن يضروا أوليائي بشيء من الضرر، ولأن كفرهم ليس مراغمة لله حتى تحزن، وإنما هو بإرادته، لأنه أراد ألا يكون لهم حظ أو نصيب من الخير في الآخرة بسبب استحبابهم العمى على الهدى، ولهم مع هذا الحرمان من الخير في الآخرة ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يعلم مقدار آلامه وشدته إلا الله تعالى.

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: هلا قيل: لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة، وأى فائدة في ذكر الإرادة؟ قلت: فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر، تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه، حتى إن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم» [٢].

ثم أكد سبحانه هذا الحكم وقرره فقال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

والاشتراء في الآية الكريمة بمعنى الاستبدال على سبيل الاستعارة التمثيلية فقد شبه ـ سبحانه ـ الكافر الذى يترك الحق الواضح الذى قامت الأدلة على صحته ويختار بدله الضلال الذى قامت الأدلة على بطلانه، بمن يكون في يده سلعة ثمينة جيدة فيتركها ويأخذ في مقابلها سلعة رديئة فاسدة.

والمعنى أن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان، لن يضروا دين الله ولا رسوله ولا أولياءه بشيء من الضرر، وإنما يضرون بفعلهم هذا أنفسهم ضررا بليغا ولهم في الآخرة عذاب مؤلم شديد الإيلام. بسبب إيثارهم الغى على الرشد، والكفر على الإيمان، والشر على الخير.

ثم بين سبحانه أن ما يتمتع به الأشرار في الدنيا من متع إنما هو استدراج لهم، فقال تعالى:

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٧٢

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾

وقوله ﴿ نُمْلِى لَهُمْ ﴾ من الإملاء وهو الإمهال والتخلية بين العامل والعمل ليبلغ مداه.

يقال: أملى فلان لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء.

ويطلق الإملاء على طول المدة ورغد العيش.

والمعنى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾ بتطويل أعمارهم، وبإعطائهم الكثير من وسائل العيش الرغيد هو ﴿ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾ كلا بل هو سبب للمزيد من عذابهم، لأننا

﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ﴾

بكثرة ارتكابهم للمعاصي ﴿ وَلَهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أى عذاب ينالهم بسببه الذل الذى ليس له بعده ذل والهوان الذى يتصاغر معه كل هوان.

وقوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ إلخ.. عطف على قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ﴾ ويكون للنهى عن الظن متجها للذين كفروا ليعلموا سوء عاقبتهم.

ويكون معمولا يحسب قد سد مسدهما أن المصدرية وما بعدها و«ما» في قوله ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ ﴾ يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون موصولة حذف عائدها. وقد كتبت متصلة بأن مع أن من حقها أن تكتب منفصلة عنها اتباعا للمصحف الإمام أى لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم أو أن الذى نمليه لهم من تأخير حياتهم وانتصارهم في الحروب في بعض الأحيان، هو خير لهم.

وقرأ حمزة «ولا تحسبن الذين كفروا»، فيكون الخطاب بالنهى متجها إلى النبي ﷺ ويكون المفعول الأول لحسب هو «الذين كفروا» وقوله:

﴿ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾

بدل من الذين كفروا سادا مسد المفعول الثاني، أو يكون هو المفعول الثاني.

والمعنى: لا تحسبن يا محمد ولا يحسبن أحد من أمتك أن إملاءنا للذين كفروا هو خير لأنفسهم، بل هو شر لهم، لأننا ما أعطيناهم الكثير من وسائل العيش الرغيد إلا على سبيل الاستدراج، وسنعاقبهم على ما ارتكبوه من آثام عقابا عسيراً.

وقوله:

﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ﴾

استئناف واقع موقع التعليل للنهى عن حسبان الإملاء خيرا للكافرين.

أى إنما نزيدهم من وسائل العيش الرغيد ليزدادوا آثاما بكثرة ارتكابهم للسيئات، فتكون نتيجة ذلك أن نزيدهم من العذاب المهين الذى لا يستطيعون

دفعه أو التهرب منه.

و﴿إِنَّمَا﴾ في قوله ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ أداة حصر مركبة من «إن» التي هي حرف توكيد ومن «ما» الزائدة الكافة.

واللام في قوله ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ هي التي تسمى بلام العاقبة كما في قوله تعالى:

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾

(القصص ٨)

أي: «إنما نملي لهم فيزدادون إثماً، فلما كان ازدياد الإثم ناشئا عن الإملاء كان كالعلة له، وكانت نتيجة هذا الإملاء أن وقعوا في العذاب المهين.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى:

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

(التوبة: ٨٥)

وقوله تعالى:

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

(القلم ٤٤ ٤٥)

ثم بين ـ سبحانه ـ بعض الحكم التي اشتملت عليها غزوة أحد فقال ـ تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

وقوله ﴿لِيَذَرَ﴾ أي ليترك. والمراد بالمؤمنين: المخلصون الذين صدقوا في إيمانهم والمراد بقوله.

﴿عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي اختلاط المؤمنين بالمنافقين واستواؤهم في إجراء الأحكام.

ومعنى يميز يفصل. وقرئ يميز أن يحدد ويبين.

والمراد بالخبيث: المنافق ومن على شاكلته من ضعاف الإيمان.

والمراد بالطيب: الصادق في إيمانه.

والمعنى: ليس من شأن الله ـ تعالى ـ ولا من حكمته وسنته في خلقه أن يترككم أيها المؤمنون على ما أنتم عليه من الالتباس واختلاط المنافقين بكم، بل الذي من شأنه وسنته أن يبتليكم ويمتحنكم بألوان من المصائب والشدائد حتى يتميز المؤمنون من المنافقين، وينفصل الأخيار عن الأشرار.

قال ابن كثير: أي لابد أن يعقد سببا من المحنة، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه. يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله وهتك به ستار المنافقين، فظهرت مخالفتهم، ونكولهم عن الجهاد، وخيانتهم لله ولرسوله. قال مجاهد: ميز بينهم يوم أحد»[1].

وعبر ـ سبحانه ـ عن المؤمن بالطيب، وعن المنافق بالخبيث، ليسجل على كل منهما ما يليق به من الأوصاف. وللإشعار بعلة الحكم.

وقوله:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

معطوف على قوله:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾

والغيب: ضد المشاهد. وهو كل ما غاب عن الحواس ولا تمكن معرفته إلا عن طريق الوحي من الله تعالى على رسوله ﷺ.

واجتبى: من الاجتباء بمعنى الاختيار والاصطفاء.

أي: وما كان الله تعالى ليعطي أحداً منكم ـ معشر المؤمنين ـ علم الغيوب الذي به تعرفون المؤمن من المنافق. إذ علم ذلك له وحده، ولكنه ـ سبحانه ـ يصطفي من رسله من يريد اصطفاءه فيطلعه على بعض الغيوب، وذلك كما حدث لنبيكم ﷺ فقد أطلعه ـ سبحانه ـ على ما دبره له اليهود حين هموا باغتياله، وأطلعه على حال تلك المرأة التي أرسلها حاطب بن أبي بلتعة برسالة إلى قريش لتخبرهم باستعداد الرسول ﷺ لحربهم. وأطلعه على بعض أحوال المنافقين.

قال تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾

(الجن: ٢٦- ٢٧)

وفي قوله تعالى.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ إيذان بأن الوقوف على أمثال تلك الأسرار الغيبية، لا يتأتى إلا لمن رشحه الله ـ تعالى ـ لمنصب جليل، تقاصرت عنه همم الأمم، واصطفاه على الناس لإرشادهم.

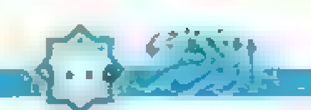
ثم أمر الله تعالى عباده أن يثبتوا على الإيمان، وبشرهم بالأجر العظيم إذ هم استمروا على ذلك فقال:

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

أي: إذا علمتم أيها المؤمنون أن الله لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول، فإنه يجب عليكم أن تؤمنوا بالله وبرسله حق الإيمان، وإن تؤمنوا بالله تعالى وبرسله حق الإيمان، وتتقوا المخالفة في الأمر والنهي، فلكم في مقابلة ذلك من الله تعالى ما لا يقادر قدره من الثواب العظيم، والأجر الجزيل.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٣٢



فضل العلم والعلماء

[illegible] الشيخ / إبراهيم [illegible]

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

الشرح والبيان: في هذا الحديث الشريف يوجه النبي الكريم «صلوات الله وسلامه عليه» الناس جميعاً إلى ما فيه خيرهم ونفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم، في دنياهم وآخرتهم، فيبين لهم أن عمل الإنسان ينقطع بموته؛ لأن الدنيا دار عمل وعطاء، أما الآخرة فدار ثواب وعقاب:

﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾

(النجم: ٣١)

ولكن يستثني رسول الله «ﷺ» من هذه القاعدة أموراً ثلاثة، لكون الميت كان سبباً فيها في أثناء حياته، فالصدقة الجارية هي الوقف الذي أوقفه في حياته، والولد الصالح من كسبه، والعلم الذي خلفه فأفاد به الناس.

ونتخير من هذه الثلاثة العلم النافع: لأن الإسلام دعا أول ما دعا إلى العلم، ويكفي شاهداً على ذلك أن أول آية من كتاب الله نزل بها الوحي على رسول الله «ﷺ» فيها أمر بالقراءة، وتنويه بشأن العلم والتعليم قال تعالى:

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ۞ خلق الإنسان من علق ۞ اقرأ وربك الأكرم ۞ الذي علم بالقلم ۞ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾

(العلق: ١ - ٥)

فبالعلم ميز الله أبانا آدم «عليه السلام» على الملائكة قال تعالى:

﴿ [illegible] ... إنك أنت العليم الحكيم ﴾

(البقرة: ٣١، ٣٢)

ومن ثم كان العلم من أجلّ النعم التي امتن الله بها على الإنسان قال تعالى:

﴿ الرحمن ۞ علم القرآن ۞ خلق الإنسان ۞ علمه البيان ﴾

(الرحمن: ١ - ٤)

فالعلم هو الذي يرفع شأن الإنسان، ويعلي قدره، ومن ثم تتابعت الآيات القرآنية الكريمة تمدح أهل العلم. قال تعالى:

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾

(آل عمران: ١٨)

بدأ - سبحانه - بنفسه، وثنى بالملائكة، وذكر بعدهم أهل العلم، وبين فضلهم على غيرهم، فقال:

﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾

(الزمر: ٩)

وقال:

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾

(المجادلة: ١١)

وفي هذا إشادة كبيرة بهم، روى البخاري عن عثمان بن عفان «رضي الله عنه» أن رسول الله «ﷺ» قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وروى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله «رضي الله عنهما» قال: قال رسول الله - ﷺ -: «سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع».

فالعلم النافع دليل الخيرية، وعلامة من علامات رضوان الله «عز وجل» على صاحبه، روى الشيخان «رحمهما الله» عن معاوية بن أبي سفيان «رضي الله عنهما» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

ويؤكد ذلك ما رواه الترمذي عن أبي الدرداء «رضي الله عنه» قال: إنه قدم عليه رجل من المدينة - وهو بدمشق - فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا.. قال: ما قدمت لتجارة؟ قال: لا.. قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً.. إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر».

وما ذلك إلا لأن العلماء سبب في هداية الأفراد والجماعات إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، وقد روى الشيخان عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم خيبر: «.. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

هذا ولم يقتصر الإسلام على الدعوة إلى طلب العلم، والحث عليه، والترغيب فيه، بل جعل

طلب العلم فريضة من فرائضه، قال تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

وروى ابن ماجة وغيره عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وكان المسجد على عهد رسول الله ﷺ داراً للعبادة، ومجلساً للشورى، ومدرسة للثقافة والتعليم، وغرفة للعمليات الحربية.. ولم يكن عجيباً -والحال هذا- أن يجعل رسول الله ﷺ فداء الأسير الذي يعرف القراءة والكتابة - في غزوة بدر - وعجز أن يدفع الفدية المادية -جعل فديته تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

وقد كان التطبيق العملي في صدر الإسلام يسير جنباً إلى جنب مع التعليم والتحفيظ، بل كان الصحابة «رضوان الله عليهم» يتسابقون إلى العمل بآيات الله قبل أن يحفظوها، ومن هنا سيطرت المبادئ الإسلامية على المجتمع الإسلامي.

هذا ولا يخفى على أحد أن الإسلام بدأ بالدعوة إلى تعلم علوم الدين، والتزود بالخبرة في شئون الحياة كالحرب والسياسة، والاقتصاد والاجتماع، ثم امتدت عناية المسلمين إلى سائر العلوم المدنية، فكان عصر الترجمة، ثم كان عصر التأليف في كل علم وفن، وبالتالي أيقظ الإسلام العقول، وأخرجها من الظلمات إلى النور، وفتح لها أبواب التفكير، وشجعها على البحث والاختراع.

وبذلك كان العلم الإسلامي باعثاً من بواعث النهضة الغربية، وعاملاً مهماً من عوامل تطورها وتقدمها، ثم توقف المسلمون عند ذلك، بل أهملوا ما توصلوا إليه، وتركوه لغيرهم، فنهضت أوروبا به، وأصيبت الأمة الإسلامية بالتخلف، فهل آن الأوان أن تدرك الأمة الإسلامية أن عنايتها بتعليم أبنائها، وتثقيف شبابها له الأولوية والصدارة في قائمة المطلوبات، قال ابن القيم «رحمه الله وطيب ثراه» في حديثه عن العلماء: «هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض من طاعة الآباء والأمهات بنص الكتاب»:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

(النساء: ٥٩)

هذا وقد قال ابن عباس «رضي الله عنهما» في تفسير هذه الآية الكريمة: «أولو الأمر هم العلماء»، ولهذا أنشد الشاعر:

إن الأكابر يحكمون على الورى

وعلى الأكابر تحكم العلماء

وقد قال الزبير بن أبي بكر: كتب إلي أبي بالعراق: «عليك بالعلم، فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً»، وقد أنشد الشاعر:

ليس الجمال بأثواب تزيننا

إن الجمال جمال العلم والأدب

وقد أنشد الآخر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يغني محموده عن النسب

إن الفتى من يقول: ها أنا ذا

ليس الفتى من يقول: كان أبي

وقال لقمان لابنه: «يا بني، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بماء السماء».

فالعلم إذاً حياة ونجاة، والجهل موت وهلاك. قال أبو الدرداء «رضي الله عنه»: «كن عالماً، أو متعلماً أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك». قيل للحسن البصري «رحمه الله»: من الخامسة؟ قال: المبتدع.

فإذا كان للناس أن يفخروا فالعلم مجال الفخر.

لكن بعض الناس يرى مجالاً آخر للفخر، وهو المال. ويقولون: لا غنى لنا عن المال، كما أنه لا غنى لنا عن العلم؛ فبالعلم يكون التخطيط، وبالمال يكون التنفيذ، وقد أنشد بعضهم:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم

لم يبن ملك على جهل وإقلال

ولهذا نقرر -ونحن مطمئنون- أنه لا خير في دنيا لا دين فيها، كما أنه لا خير في مال لا علم فيه. روى الترمذي عن أبي كبشة الأنماري «رضي الله عنه» أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه.. قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر -أو كلمة نحوها- وأحدثكم حديثاً فاحفظوه».. قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقه فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء».

فالمال بدون علم يخرّب ولا يعمر، يهدم ولا يبني، يفسد ولا يصلح، وقد أنشد الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل!

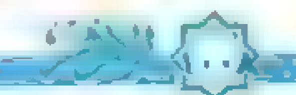
فهذا هو العلم، وذلك شأنه وأثره، فينبغي أن نجد في طلبه.. لننتفع به..

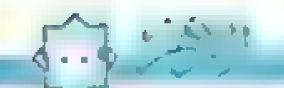
وقد روى البزار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) قالا: قال رسول الله (ﷺ): (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).

وعلى العالم أن يحترم من علمه، وأن يوقره، وأن يعلم الناس ما تعلمه، وأن يتواضع لمن تعلم منه أو علمه. قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه، ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبارة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم).

وقال مسروق (رحمه الله): (بحسب الرجل من العلم أن يخشى الله عز وجل، وبحسب الرجل من الجهل أن يعجب بعلمه).

رزقنا الله (عز وجل) العلم والخشية، وجنبنا الجهل والعجب.

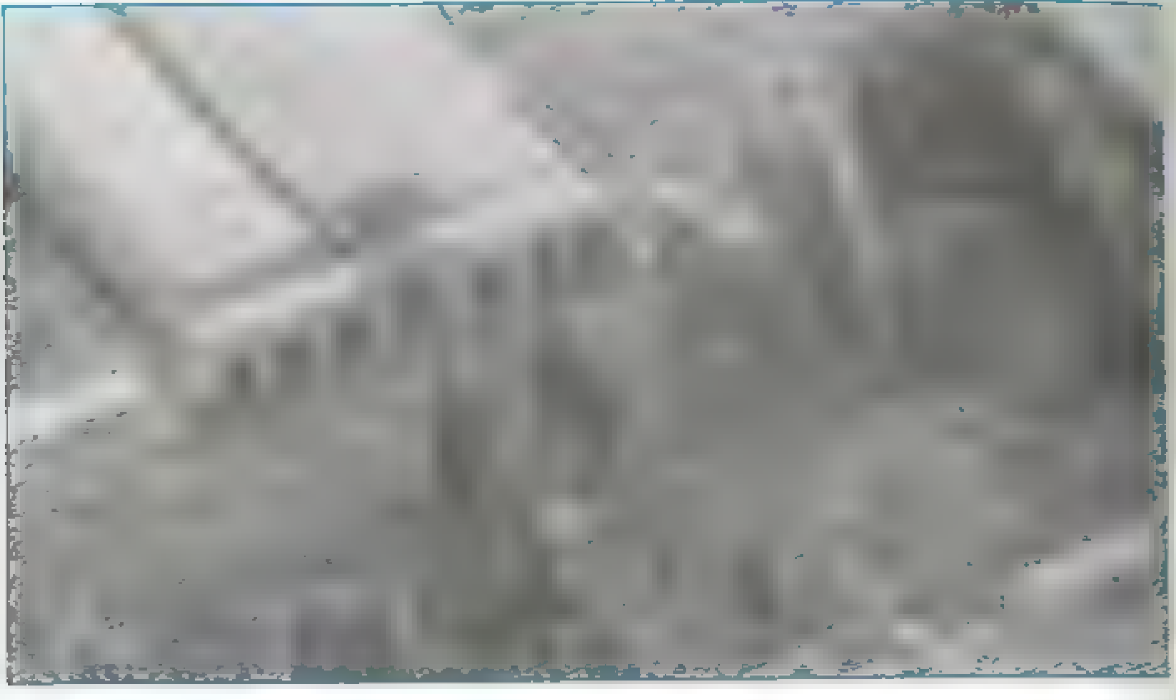




القدس وديعة رسولنا ﷺ عندنا

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن المسجد الأقصى والقدس الشريف هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ولم يجتمع الأنبياء على الأرض في موضع غيره، ومع كل هذا فإن كثيرا من المستشرقين والكتاب اليهود يشكك في مكانة القدس والأقصى في الشرع الإسلامي، وسنحاول في هذا المقام أن نسرد بعض هذه المحاولات التي أصبحت جزءا من سلسلة الإساءات التي توجه للإسلام والمسلمين فلم يكتف هؤلاء بسلب القدس واحتلال فلسطين كلها بالقوة والسلاح بل إنه مازالت محاولاتهم مستمرة بسلب القدس والأقصى من أصحابها الشرعيين تراثا وتاريخاً، فها هو أحد كتابهم ويدعى إسحاق حسون يشكك في أن المسجد الأقصى هو مسجد القدس فيقول إن علماء المسلمين لم يتفقوا جميعاً على أن المسجد الأقصى هو مسجد القدس إذ رأى بعضهم أنه مسجد في السماء لا يقع مباشرة فوق القدس أو مكة، ويقول في موضع آخر إن مكانة القدس في الإسلام كانت موضع خلاف بين المسلمين الأوائل، وأن ما روى من أحاديث عن قداسة القدس كانت موضع شك عند المسلمين، ومن هؤلاء دانيال باسين مؤسس جامعة الدفاع اليهودي الذي يقول إن



اهتمام المسلمين بالقدس جاء ثانويا ولهذا فإن الإسلام يعطيها المرتبة الثالثة بعد مكة والمدينة وأن تخلي النبي محمد ﷺ بوصفها قبلة أولى للمسلمين يعتبر إهمالاً وإقرارا بعدم أهميتها للإسلام ويقول أيضا إن القرآن لم يعرها أي نوع من الأهمية خاصة وأنه لم يذكرها باسمها مرة واحدة -على حد زعمه- وأن القدس لا تذكر على الإطلاق في صلوات المسلمين وهي ليست مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالأحداث التي جرت في حياة النبي ﷺ ولم تتحول في يوم من الأيام إلى مقر ثقافي أو عاصمة إسلامية».

وهذا غيض من فيض مما كتبه هؤلاء عن تشكيكهم في القدس وفي قدسية المسجد الأقصى عند المسلمين ولهؤلاء نقول إن ذكر الأرض المقدسة «أرض بيت المقدس».

جاء في العديد من الآيات في كتاب الله عز وجل ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء ١)

وقوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾

(سبأ ١٨)

وقوله تعالى:

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾

(التين ١-٣)

حيث ذكر بعض المفسرين أن المقصود بالتين بلاد الشام والزيتون بيت المقدس إلى غير ذلك من الآيات والمواضع التي أكدت مكانة المسجد الأقصى ومكانة القدس لدى المسلمين.

مسرى النبي ﷺ

إن المسجد الأقصى المبارك كان مسرى النبي محمد ﷺ من أول مسجد وضع في الأرض (المسجد الحرام) إلى ثاني مسجد وضع فيها (المسجد الأقصى) فجمع فضل البيتين وزوية القبلتين ولقد صلى النبي ﷺ بالأنبياء إماماً في ليلة الإسراء والمعراج، إقراراً لصبغته الإسلامية ولإمامة أمة محمد على المسجد الأقصى فازداد سمت مكانة وتشريفاً.

ولقد بشر النبي محمد ﷺ أمته بفتح المسجد الأقصى قبل أن يفتح فقد روى عوف بن مالك رضي الله عنه قال (أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال: أعدد ستا بين يدي الساعة: ذكر منها ثم فتح بيت المقدس[1] ولقد أثنى -صلوات الله وسلامه عليه- على المسجد الأقصى لفضله وعظيم شأنه وأخبر بتعلق قلوب المسلمين به لدرجة أن يتمنى المسلم أن يكون له موضع صغير يطل منه على المسجد الأقصى أو يراه منه ويكون ذلك أحب إليه من الدنيا وما فيها، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال (تذاكرنا عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل أمسجد رسول الله أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا أو قال: خير من الدنيا وما فيها.)[2]

[illegible]

ولقد تميزت القدس وبيت المقدس عن كل المدائن التي فتحها المسلمون وكانت تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي ركب من مدينة رسول الله ﷺ ليتسلم أمانتها وليعقد بنفسه عهدها وأوقف أرضها المباركة لتكون أمانة في عنق الأمة إلى قيام الساعة فأين هي تلك الأمانة في هذه الساعة؟ إنها بين براثن المحتلين الغاصبين يصدون الناس عن المسجد الأقصى بل إنهم يقسمون ساحة الأقصى فيجعلون فيها جزءا لليهود لإقامة صلواتهم فيه هذا، بجانب الاعتداءات المتكررة على حرمة المسجد ومحاولة إحراقه مرة إلى المحاولات الدائبة لحفر الأنفاق من تحته والحفريات التي تجري من أجل البحث عن هيكل سليمان الذي يزعمون أن المسجد الأقصى قد أقيم فوقه وإننا نهيب بالمنظمات العالمية ومنظمات حقوق الإنسان، أن تساعد المسلمين على استرداد بيت المقدس واسترداد حقهم الثابت تاريخياً في السيطرة على تلك البقعة المباركة قديماً وحديثاً فلقد دخل بيت المقدس من الصحابة - رضي الله عنهم - جمع كثير شدوا الرحال إليه وقصدوه بالسكن والعبادة والوعظ والإرشاد، نذكر منهم أبو عبيدة بن الجراح وكان القائد العام لجيوش الفتح في الشام وبلال بن رباح الذي شهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب ورفع الأذان

(1) صحيح البخاري
(2) مستدرك على الصحيحين للحاكم

على المسجد الأقصى ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد وعبادة بن الصامت وهو أول من ولي قضاء فلسطين حيث سكن بيت المقدس ودفن بها وتميم بن أوس الداري وعبد الله بن سلام وغيرهم من الصحابة الأخيار، وقد كان المسجد الأقصى دوما محط أنظار المسلمين يحفظونه بعيونهم وأفئدتهم وكيف لا؟ وقد أخبر النبي ﷺ أنه ثاني مسجد وضع في الأرض وفيه مقام الطائفة المنصورة ومقر دار المؤمنين وفيه يتحصن المؤمنون من الدجال ولا يدخله وفيه ومن حوله ينطق الحجر والشجر وتقول (يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله).

أرض المحشر

وقد أخبر -صلوات الله وسلامه عليه- أيضا أن بيت المقدس هو الأرض التي يحشر فيها العباد وفيها يكون المنشر فعن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت (يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس؟ فقال أرض المحشر والمنشر)[3] فهل بعد كل هذا وغيره يأتي هؤلاء المستشرقون والكتاب اليهود ليزعموا أن بيت المقدس والمسجد الأقصى ليس مقدساً عند المسلمين وليس لهم أحقية فيه، لقد بذل أتباع رسول الله ﷺ أرواحهم لطرد الروم والصليبيين منه ودفعوا تسع حملات صليبية بقيادة نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين الأيوبي رحمهم الله وغيرهم كثير من الحكام المسلمين الذين قادوا المجاهدين المسلمين حتى تحقق على أيديهم تحرير بيت المقدس بعد ٩١ عاما من اغتصابه وما حوله، فمكانة الأقصى والقدس في القلوب وهي من أرض المسلمين المباركة وهذا من عقيدتنا ولن ينجح الأعداء في انتزاع هذه المحبة من قلوبنا مهما أشاعوا من أكاذيب وسيسترد المسلمون هذه البقعة المباركة إلى حوزتهم وذلك تحقيقاً لوعد الله تعالى الذي لا يخلف وعده، وإن أرض فلسطين كلها سيأتي اليوم الذي يجعلها تحت حكم المسلمين وفي حوزتهم تعيش فيها جميع الأديان وجميع الطوائف تحت راية المسلمين وتحت أحكام القرآن التي ترعى الناس جميعاً وتدعو إلى الأخوة الإنسانية، والتي جعلت الناس جميعا ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة فقد نادى الناس جميعا دون نظر إلى دياناتهم أو أجناسهم يقول تعالى:

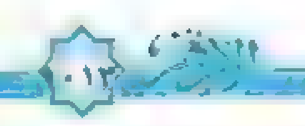
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

بل إن القرآن دعا الناس جميعا إلى التعاون فيما بينهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فقال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)

وبمشيئة الله سوف يعود المسجد الأقصى والأرض المباركة إلى حوزة المسلمين لينعم جميع الناس بالأخوة والمحبة والسلام على أرض السلام.

(3) البداية والنهاية لابن كثير



فلسطين.. الدرة المغتصبة

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد..

فحديثنا عن فلسطين والقدس، وهو حديث ذو شجون.. لأننا سنعود القهقرى إلى تاريخ طويل مضى وغارت جذوره في الأرض.. لكن هناك بد من البحث في هذا التاريخ.. خصوصا أن بني إسرائيل جاءوا إلى الأرض المقدسة وهم يستصحبون ذكريات مضت، ويثبتون التاريخ عن رفات توارى طويلا في الثرى.

وما هناك بد من أن نتذكر هذا التاريخ، لأننا نحن العرب كثيرو النسيان.. ويجب لكي نحسن العمل في حاضرنا ولكي نحسن العمل لمستقبلنا أن نعرف ماضينا جيدا، وماضي الأمة العربية العريق في التاريخ جدير بالدراسة والاعتبار.. لأن هذه الأمة كشفت تجارب الماضي والحاضر، على سوء.. على أنها ما تحب الا بدين.

جاءت النبوة الخاتمة لكي تجعل من العرب جنسا آخر، ومضى تاريخهم.. لكن قبل أن نتحدث عن تاريخ العرب بعد أن شرفهم الله بالإسلام نريد أن نتحدث عن تاريخ غيرهم.. عن تاريخ اليهود.. فإن هذا الشعب - وهو ابن عم العرب - شعب غليظ الرقبة، بادي القسوة، شديد العناد.. وعندما نزلت بهم لعنات الفراعنة، وصرخوا بموسى - عليه السلام- يقولون له:

﴿ أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾

«الأعراف: ١٢٩»

نظر إليهم موسى - عليه السلام - نظرة ريبة وكأنه يقول لهم: تُرى ماذا سيقع منكم يوم تنكسر عنكم القيود، ويوم تملكون حريتكم؟

﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾

«الأعراف: ١٢٩»

حاول موسى بمنطق الإيمان أن يزحف بهم على فلسطين يوم كان العرب الجبابرة يسكنونها فغلبهم الجبن، وقالوا:

﴿ إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾

«المائدة: ٢٢»

ولذلك قال موسى:

﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ۞ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾

«المائدة: ٢٥، ٢٦»

تاهوا في سيناء أربعين عاما حتى هلكت الأجيال الجبانة الخوارة، ونبت جيل آخر قاده نبي الله «يوشع» ودخل فلسطين وقهر الجبابرة وأقاموا دولة لهم..

وما مضت إلا فترة محدودة حتى أخذت قشرة التدين تتقلص، وحتى أخذت الطبيعة الرديئة تبرز، وغرائز السوء تطفح، وإذا اليهود يفسدون في الأرض، ويسفكون الدم، ويملأون أقطار دولتهم مظالم.. فماذا يفعل الله بهم؟ سلط عليهم «بختنصر» فهزم دولتهم، وهدم هيكلهم، وساق عشرات الألوف من الشباب اليهودي أسرى أمامه إلى «بابل»، وفي السجن البابلي أذيقوا أشد العذاب.

ثم عفا الله عنهم، ويسر لهم حاكما ردهم مرة أخرى.. فهل عادوا ليرعووا، ويعدلوا ويصلحوا؟ لا.. سرعان ما عادت إليهم طباعهم السوء.. فما هي إلا جولة وأخرى حتى انقض عليهم الرومان، وأمر القائد الروماني «تيتوس» بتدمير الهيكل، فدمر الهيكل مرة أخرى، وبدا أن الشعب الإسرائيلي بعد عدة مئات من السنين لا يصلح للحكم، وأن أداة الحكم في يده تجعله مفتاح شر، وتجعل أصابعه الطائشة تطلق قذائف من الدمار والفساد على أهل الأرض فما يتجرد أحد من بلائهم.. حاولوا قتل عيسى عليه السلام وفشلوا.. وحاولوا قتل محمد ﷺ وفشلوا.. وإن كانوا قد نجحوا في قتل أنبياء آخرين.

من العبرية إلى العربية

إلا أن الله عز وجل كان قد هيأ للإنسانية مستقبلا آخر، ونقلت قيادة الوحي من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، ونقلت لغة الوحي من العبرية إلى العربية، ونقلت عاصمة الوحي من بيت المقدس إلى مكة والمدينة. وتولى تربية العالم جنس آخر رباهم محمد ﷺ تربية جديدة، وسكب النبي الخالد ﷺ من سموه، ومن سناء روحه، وارتقاء ضميره ورسوخ تقواه.. سكب في أولئك العرب ما حولهم خلقا آخر فإذا هم يخرجون على الدنيا وكأنهم ملائكة!! تحول الجبروت الجاهلي إلى سناء واهتداء والتداء في سبيل الله.. إن عمل النبي الخاتم ﷺ هو المعجزة التي لم يعرف العالم لها نظيرا من بدء الخلق إلى الآن!! كيف أمكن ترويض هذا الجنس وحشد قواه ليتحولوا إلى زلازل تدمر الإمبراطوريات التي شمخت جدرانها على الطغيان قرونا ما استطاع أحد أن يهدها حتى جاء المسلمون فعبروا الدنيا!! كانت هناك إرهاصات روحية، أو بدايات معنوية في ليلة الإسراء والمعراج عندما انتقل النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى بيت المقدس في صلاة روحية بالنبيين الأسبقين، ثم تحقق المعنى الروحي فيما حدث بعد ذلك..

فإن بيت المقدس الذي دمره البابليون مرة، ثم أعيد بناؤه، ودمره الرومانيون مرة أخرى عاد إليه العرب في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

عمر بن الخطاب في بيت المقدس

وذهب عمر رضي الله تعالى عنه بالعرب، وبطر الناس فاستغربوا. كان القائد المحلي «أبو عبيدة بن الجراح» رضي الله تعالى عنه يرى أن يدخل عمر رضي الله تعالى عنه بيت المقدس في موكب الفاتحين، وفي أبهة المنتصرين.. وذلك أنه يرى أن أولئك بقايا الاستعمار الروماني، وأن المناظر الهائلة قد تترك في نفوسهم انطباعات معينة.. لكنه فوجيء بما أذهله.. فإن الخليفة الراشد عمر -رضي الله تعالى عنه- جاء على ناقته من المدينة، وأبى أن يكون في موكب.. ويحكي التاريخ[1] أن بركة اعترضت ناقة عمر رضي الله تعالى عنه فنزل الخليفة، وحمل نعليه إلى عنقه، ومضى بناقته يخوض البركة.. فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه: ما يسرني أن أهل المدينة يستشرفونك على هذا النحو.. فقال له عمر: ويحك يا أبا عبيدة.. لو غيرك قالها جعلته نكالا لأمة محمد.. لقد كنا أذل الناس حتى أعزنا الله بالإسلام.. فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله!!

عمر لا يدخل بيت المقدس عارض أزياء.. عمر لا يدخل بيت المقدس في موكب فاتحين.

دخل عمر بيت المقدس تابعا من أتباع محمد ﷺ.. دخل رجل دين وبر وتقوى.. دخل متواضعا لربه ليتسلم بيت المقدس.. ورأى الناس من الفاتح الذي تسلم بيت المقدس.. رأوا منه العجب. رأوا منه التسامح الديني..

فحينما قال له بطريرك بيت المقدس عندما أدركته الصلاة: «صل حيث أنت»، قال: «لا.. لو صليت هنا لوثب المسلمون على المكان وقالوا: هنا صلى عمر وأخذوا الكنيسة منكم»، وذهب فصلى بعيدا.. لو كان فاتحا ممن يحتقرون وجهات النظر الأخرى، ويدمرون على غيرهم لصلى في المكان واغتصبه.. لكنه لم يفعل شيئا من هذا.. والغريب أن أخس مشاعر الجحود تتداوس الآن بين يهود العالم وصليبيه تريد اتهام المسلمين بالتعصب، وهم الذين علموا هؤلاء وأجدادهم ما هو التسامح.. ولو أراد المسلمون ألا يبقى غيرهم في الشرق الأوسط ما بقي أحد.. ولكنهم أبقوهم لله صدقة للإسلام.. لأن الإسلام لا يعرف الإكراه، ولا يعرف الغصب والجبروت.. لم يجيء الخليفة ليملي شروطه بل جاء الخليفة ليتسلم العاصمة القديمة للوحي، وليجعلها من الناحية العملية حرما ثالثا للحرمين الشريفين.. ومضى العرب في طريقهم يحملون أمانات الوحي، ويبلغون رسالات الله.. ولكن سرعان ما تغير الحال.. دعنا من ميدان العلم.. فإن ميدان العلم بقي نظيفا.. وجلس الإمام البخاري رحمه الله إلى جانب غيره من القرشيين يعلمهم.. وجلس الحسن البصري رحمه الله يعلمهم.. في ميدان العلم كانت تعاليم الإسلام سائدة.. أما في ميدان الحكم فإن تقاليد بعض الأسر العربية المدعية للنبل وللرياسة وللجاه عليت.. وغلبت معها طبائع جنس، وطبائع جاهلية قديمة.. فإذا العرب يتعبون دينهم، وأبناءهم، وتاريخهم، ورسالتهم.. وإذا هم ينشغلون بالشهوات والملذات، والاختلاف على المناصب والرياسات. وكانت النتيجة أن هجم الصليبيون في مطالع القرن الخامس الهجري.. هجموا على بيت المقدس ودخلوه.. والذي ينبغي أن يعرف.. ولا أدري لماذا لا يدرس بإلحاح أن الصليبيين في أول حملاتهم على الإسلام ما كانوا أملا لانتصار، ولا كان الانتصار ميسرا لهم.. لقد أكلوا الجيف من الجوع، وأدركهم الإعياء وهم يلهثون بعد مراحل طويلة قطعوا فيها من «فيينا» و«برلين» إلى «القسطنطينية» إلى «الأناضول» إلى «الشام» إلى «بيت المقدس» قطعوا مراحل استهلكوا فيها.. لو أن أي جيش اشتبك معهم لهزمهم.. ولكن التاريخ قال: سكتت دمشق.. سكتت القاهرة..

---

(1) انظر البداية والنهاية لابن كثير [illegible]

سكتت بغداد.. سكتت مكة.. سكتت المدينة.. سكت العرب وتركوا هؤلاء ينفردون ببيت المقدس ليذبحوا فيه سبعين ألف مسلم، وليؤسسوا فيه إمارة لاتينية ظلت هذه الإمارة اللاتينية تسعين سنة يُعين «باروناتهـا» من «باريس» ويبارك هذا التعيين «بابا الفاتيكان».

سر قوة العرب

ثم جاء رجل مسلم ليس بعربي وهو «صلاح الدين الأيوبي» وشعر بأسباب الهزيمة.. أي دارس للتاريخ العربي يعلم أن العرب ينتصرون حين يؤوبون إلى ربهم، ويثوبون إلى دينهم، ويتمسكون بشرائعهم، ويعتزون بنسبهم السماوي.. لا يحتاج الأمر إلى عبقرية.. إن الحزام الذي يشد العرب بقوة ويمنع تفككهم هو الدين.. فإذا انقطع هذا الحزام تفرقت العصى ولم يبق أحد إلى جانب أحد!! فبدأ صلاح الدين بعمل «لا جديد تحت الشمس» إذا كان الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله قد ألف كتابه «إحياء علوم الدين» كأن علوم الدين ماتت.. فإن صلاح الدين الأيوبي فعلا بدأ بعملية إحياء عملية!! قال المؤرخون: جنّد العلماء لتدريس العقائد بين الجماهير، وجمع العوام على معاقد الأخلاق، ومكارم الشيم.. وهل تنتصر أمة دون عقيدة؟!! وهل يقوم مجتمع بدون أخلاق؟!! إن الرجل بدأ البناء من الداخل.. وفعلا جمع الناس على الإسلام، ثم خرج بهم ليناوش عدوه.. وكانت مناوشة رهيبة.. إننا نقرأ في التاريخ أن بيت المقدس أعيد بسهولة أو أعيد في سطرين نقرأهما على عجل.. لكن الواقع أن المسلمين ضحوا كثيرا، وأن القائد الإسلامي صلاح الدين كان على فرسه وهو يقود المسلمين.. لكن قلبه كان يدق خشوعا لله عز وجل، واستمدادا منه، وخوفا من غضبه، ورجاء في عفوه.. وكلما رأى الصليبيين يهجمون ويتقدمون وتتداعى دوائر المسلمين أمامهم يصرخ «كذب الشيطان» ويعود المسلمون مرة أخرى إلى الهجوم.. فلما طويت أعلامهم وانكشفت خيمة ملكهم هوى صلاح الدين من على ظهر فرسه إلى الأرض ساجدا لله!! رجل ما كان مستكبرا، ولا كذابا ولا مدعيا.. إنما كان كأنه وهو يقود المسلمين في القتال إمام في محرابه، تدمع عينه، وتخشع جوارحه، وينتظر من رب الأرض والسماء أن يعينه!! لذلك جاءت المعونة. وجاء النصر.. وعاد بيت المقدس إلى المسلمين.

الانقسام الإسلامي!!

لقد هجم الأوروبيون هجمتهم.. كيف هجموا؟ كيف تسللوا؟ يقول التاريخ: ما تسللوا إلا في الفراغات الموجودة بين الشعوب الإسلامية.. ظلم الترك العرب، وخان العرب الترك، وانقسمت الشعوب الإسلامية انقسامات مرة.. في هذا الفراغ تسلل الإنجليز والفرنسيون. وعادوا مرة أخرى إلى بيت المقدس.. عادوا ليقول الجنرال الفرنسي «جيرو» وهو يقف إلى جوار قبر صلاح الدين: «يا صلاح الدين.. ها نحن قد عدنا» ويقول الجنرال «اللنبي»: «الآن انتهت الحروب الصليبية!!».

ما انتهت الحروب الصليبية.. وإنما هي الأيام مد وجزر.. عاد هؤلاء ليسلموا الأرض مرة أخرى إلى اليهود.. واليهود شعب ما كذبت السماء عندما وصفته الوصف الجدير به.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ۝ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

«المائدة: ٥٩ ـ ٦٠»

إن الغدر اليهودي طبيعة جنس، وخصائص دم، وميراث أجيال، وحقيقة لا يمكن إنكارها، ولا التغاضي عنها!! واليهود يعلمون من أنفسهم هذا.

ولست ألومهم.. لكني ألوم الصف المختل.. ألوم العين النائمة وسط العيون الخائنة.. ألوم العرب الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

متى يكون النصر؟!

فالعرب بالطريقة التي يعيشون بها لا يستحقون نصرا.. لكي يستحق العرب النصر يجب أن يسألوا أنفسهم.. أو لكي يدخلوا بيت المقدس مرة أخرى يجب أن يسألوا أنفسهم: هل ستكون بأخلاق الجبابرة الذين سكنوا بيت المقدس قديما فبعث الله إليهم «يوشع بن نون» فنصر عليهم، واستوقف الشمس فلم تغرب حتى ألحق بهم الهزيمة؟!! إذا كان العرب بأخلاق الجبابرة الأقدمين فليأخذوا مصير الجبابرة الأقدمين.

أظن العرب يدخلون بيت المقدس مرة أخرى يوم يدرسون أخلاق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، لم يكن الرجل كما قلنا عارض أزياء، ولم يكن داخلا في موكب الخيلاء.. بل كان الرجل يخوض بناقته بركة، ويرى أن يعرض الإسلام مبادئ تواضع.

إن العرب لكي ينتصروا مرة أخرى ويعودوا إلى فلسطين يجب أن يعودوا بدينهم، وليعلم الجيل الحالي والجيل الذي يليه أن راية الإسلام وحدها هي التي تجمع الشمل.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

من دروس الإسراء والمعراج

رحلة الإيمان وجوهر الأديان

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى فرج

وكيل كلية العلوم جامعة المنوفية

من التنبوءات الجريئة التى تحققت للأستاذ العقاد اعتقاده بانهيار الشيوعية. ذلك أنه لم يكن تنبؤا عاطفيا فحسب. من مسلم يؤنسه الإيمان بالله كما يؤرقه الإنكار والتعطيل. وكان يعتقد أيضا أنه كلما تقدم العلم خطوة تقدم الاعتقاد بالدين والغيبيات خطوات وخطوات. ومن ثم فقد كان متفائلا بأن العلم سيكون ولا شك فى خدمة الدين. فكان يضرب المثل بوجود الكائنات الدقيقة. التى تستعصى على الرؤية بالعين المجردة. قبل ابتكار المجاهر التى مكنتنا من رؤيتها وملاحظة سلوكها وأطوار نموها.

وها نحن الآن فى عصر الطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت وتقطع المسافات الطويلة فى أزمان جد قصيرة. والصواريخ والأقمار الصناعية وسفن الفضاء. التى تستطيع أن تفلت من عقال الجاذبية الأرضية بسهولة. بل وتستطيع أن تمكث الشهور فى أجواز الفضاء أو فى نطاق بعض الكواكب لكى تجمع العينات والصخور والمعلومات. عن هذا الكون الفسيح المترامى الأطراف. أقول: بتنا الآن نستوعب - بعقولنا - رحلة الإسراء وكذلك رحلة المعراج. ربما بدرجة أكبر من سلفنا. إذا كان المعول والمرجع هو العقل. صاحب تلك المنجزات فى عالم النقل والمواصلات. التى لم يكن يحلم بها أجدادنا الأقربين. منذ مدة لا تزيد على قرن أو قرنين من الزمان!

من دروس الإسراء والمعراج

هنا، ويستطيع دارس السيرة النبوية أن يستخلص دروسا مفيدة وعبرا عديدة، من رحلة الأمن والإيمان فى صحبة الرحمن. رحلة المؤازرة للنبى ﷺ والتسرية عنه، بعد طول المعاناة من صدود القبائل وعزوفهم عن الدخول فى الإسلام. وبعد حزنه لوفاة زوجه السيدة خديجة، التى آزرته ووقفت بجانبه بمالها ورأيها. كانت هذه الرحلة بمثابة ترويح للنبى ﷺ، ودعما روحيا ونفسيا له، وإشعارا له بقربه من ربه جل وعلا، فكانت بذلك تحديا لهممه، وزادا يتزود به فى رحلة الدعوة إلى الله، تلك التى تحتاج إلى صبر ومثابرة ومجهود دائب متواصل. وهى أيضا رحلة شد الأزر، والأمل فى الغد، والوعد بالنصر، ولذلك فليس من المستغرب أن نحيى ذكراها، ونحتفى بها العام تلو العام.

وقد كشفت هذه المناسبة عن معادن الرجال. فأظهرت العناصر الإيمانية المعينة. كما فضحت أيضا العناصر المنافقة الخسيسة، ويحضرنى هنا مقولة الصديق التى تنبىء عن إيمان صادق عميق حينما قال- ردا على من أخبروه بشأن هذه الرحلة العجيبة فى رأيهم: (إن كان قد قال ذلك فقد صدق، فإنا نصدقه فى أمر السماء، أفلا نصدقه فى أمر كهذا؟)

وبذلك فقد كانت فرصة لتنقية صفوف المؤمنين الطاهرين، من أرجاس المشركين والمنافقين، حتى لا يشوب صفوفهم شائبة من وهن أو ضعف أو تخاذل. فأكسبهم ذلك حصانة ومناعة. فى مواجهة الأخطار المحدقة بهم. لاسيما وقد وقع حادث الإسراء قبل الهجرة بعام واحد، ونتذكر هنا قول الله تعالى:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾

(التوبة ١٢٤ ١٢٥)

جوهر الأديان واحد

وعلى كثرة الدروس التى يمكن استخلاصها من هذه الرحلة الميمونة المباركة، إلا أن ثمة درس قد يغفل البعض عن الإشارة إليه والتنويه به، وهو يعد فى رأينا المتواضع- لاسيما فى هذا العصر الذى يفترى فيه الغرب على الإسلام والمسلمين، ويصفهما ظلما بما ليس فيهما- أقول: يعد هذا الدرس من أعظم الدروس المستخلصة من الإسراء والمعراج.

فاجتماع الأنبياء على صعيد واحد، وصلاتهم خلف أول الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ دليل لا يحتاج إلى برهان على أن جوهر الأديان كلها واحد وهو الإسلام. فقد كانت هذه الرحلة لقاء ربانيا تلاقت فيه قيم إبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى ومحمد- عليهم جميعا الصلاة والسلام- وهنا

نتذكر حديث النبي ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فحسنه وجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون، ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم الأنبياء)[1].

والإسلام، الذي يصنع الغربيون منه الآن عدوا بديلا لعدوهم السابق (المعسكر الشرقي الشيوعي)، لا يكتمل إيمان متبعيه إلا بالإيمان بالرسالات التي سبقته، والرسل الذين أرسلوا بها، والكتب المنزلة عليهم، مصداقاً لما جاء في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) وليس بعد قول الله- تبارك وتعالى- قول، فهو سبحانه أصدق القائلين:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

فجوهر الإيمان بالله تعالى، ورأسه وذروة سنامه، هو الاعتقاد بإله واحد هو الله تعالى، من لدن آدم - عليه السلام - حتى محمد ﷺ واحد لم يتغير، على مدى هذه القرون الطويلة.

أما ما كان يتغير ويتطور، على أساس يتماشى مع درجة الوعي والنضج البشري، فليس سوى الشرائع لا العقائد، وقد بلغت هذه قمتها وتمام كمالها في شريعة الإسلام، الذي جاء به محمد ﷺ، حين بلغ العقل البشري ذروة رشده، وتمام نضجه، ولذلك كانت رسالة الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ آخر الرسالات السماوية الموجهة إلى الناس أجمعين.

ولذلك كان من الطبيعي أن يُطلعنا (القرآن الكريم) أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل، بمن فيهم أصحاب الرسالات السماوية من أولي العزم من الرسل، ولذلك يقول ربنا جل وعلا بشأن سيدنا إبراهيم:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾

(آل عمران: ٦٧)

ويقول الله تعالى على لسان يوسف - عليه السلام-:

﴿ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

(يوسف: ١٠١)

ويقول الله تعالى حكاية عن إبراهيم

[1] صحيح البخاري

وإسماعيل

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾

(البقرة من آية ١٢٨)

وفي موضع آخر من سورة البقرة، يذكر الحق - تبارك وتعالى - إجابة أبناء يعقوب حينما سألهم عن عبادتهم حين شعر باقتراب رحيله

﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٣)

فتعريف الإسلام أو معناه الحقيقي، كما يُفهم من المعنى اللغوي هو: إسلام الوجه لله، وتفويض الأمر إليه، ومن هنا فهو دين جميع العباد، من لدن آدم حتى الآن، وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

ولذلك فقد أوصى أنبياء الله تعالى أبناءهم باتباعه، حتى الموت على شريعته:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٢)

وذلك لسبب بسيط جداً هو أن في الإسلام، الذي جاء به الأنبياء جميعاً، وبعث به سيدنا محمد ﷺ في تمام كماله وقمة جماله، رحمة للعالمين، كما وصف الله تعالى رسوله في قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وقد أرسله الله تعالى بالحق:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(البقرة: ١١٩)

ومن ثم فقد أرسله للناس، كل الناس، ويشهد على ذلك

﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾

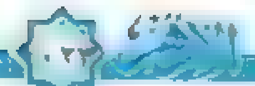
(النساء: ٧٩)

ثم أكد على ذلك في موضع آخر من سورة سبأ، في قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ: ٢٨)

وهناك الكثير والكثير من الدروس والعبر، التي يمكن للمسلم أن يستشفها ويستخلصها من هذه المناسبة الطيبة المباركة، بركة المسجد الأقصى، الذي ندعوا الله- تبارك وتعالى- أن يفك أسره، ويحرره من يد شذاذ الآفاق، وأشر الخلق على الإطلاق، فيكفيه شرفاً أنه مسرى رسولنا الكريم، ومصلى أنبياء الله بإمامة سيد الخلق أجمعين، ولكن حسبنا ما ذكرناه. والله تعالى ولي التوفيق



نهاية إسرائيل محتومة

بنفس جريحة وكبد مقروحة، تابعت الحرقة البشعة، التي أشعلها اليهودي الحاقد وعصابته الملعونة.

وأمام بشاعة المأساة لم أجد لي مفزعاً إلا إلى كتاب الله، أقلب صفحاته، وأبرد لهب قلبي في روضاته، فكان لي- برحمة الله- ما أردت، ووجدتني أسبح في ظلال الآيات الأولى من سورة الإسراء في قوله تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۞ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

«الإسراء: ٤-٨»

وأعدت قراءة الآيات في تدبر ومهل، وتوقفت بعد كل آية ووقفت عند أول كلمة في الآيات وهي قوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا ﴾ فوجدتها في لسان العرب[1] بمعنى: عهدنا وأنهينا وأبلغنا. ومنه قوله تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾

«الحجر: ٦٦»

أي أعلمناه. فعلمت أن هذا الإقضاء والإبلاغ كان إلى بني إسرائيل في كتابهم عن طريق نبيهم موسى - عليه السلام- وهو إعلام لهم بما سيكون من أمرهم في مستقبل أيامهم.

(١) لسان العرب ج٥ ص٣٦٦٥

ورجعت أستأنس بقلم صاحب الظلال- رحمه الله- فوجدته يقول: «وهذا القضاء إخبار من الله تعالى بما سيكون منهم، حسب ما وقع في علمه الإلهي من مآلهم، لا أنه قضاء قهري عليهم، تنشأ عنه أفعالهم، فالله سبحانه لا يقضي بالإفساد على أحد:

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾

«الأعراف: ٢٨»

إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن فما سيكون- بالقياس إلى علم الله- كائن، وإن كان بالقياس إلى علم البشر لم يكن بعد. ولم يكشف عنه الستار. ثم يقول صاحب الظلال: «ولقد قضى الله لبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه لموسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة ويسيطرون وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد، سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم، ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميراً»[2].

ووجدتني أمام هذا الكشف الإلهي لما سيقع من هؤلاء القوم في مستقبل أيامهم، أسترْوح نسمات الأمل في عدل الله الذي قامت عليه السموات والأرض، وأجد طعم الراحة وبرد اليقين، فقد أدركت أن وراء هذا الإفساد والإهلاك والإحراق الذي أوقعه هؤلاء المجرمون بأهلينا في فلسطين، مصيراً مخيفا فقد وصلوا إليه بأيديهم واستوجبوا إيقاعه بهم، ونزوله بساحتهم فكان عزائي عن ألم الثكل ولوعة الحزن والقهر، هو أن هذه المشاهد الرعيبة والأحداث الرهيبة، كانت شرطا ضروريا لكي يتحقق وعيد الله فيهم، وينزل عقابه وعذابه.

لكنني أفقت من تلك اللحظة الجميلة المريحة على خاطر يقول لي: لقد كان ذلك تاريخاً قديماً مضى، وتلك أمور قد تحققت وانقضت على مدى تاريخهم الطويل.

وشعرت لهذا الخاطر بانقباضة في صدري، ورحت استنطق القرآن وأستشهد التاريخ، فوجدت القرآن قد حدد الإفساد بمرتين اثنتين: الأولى والآخرة ولم يقل الأولى والثانية لتشعر أن بعدها ثالثة ورابعة، ومن يدقق النظر في الآيات ويحسن التأمل في التاريخ يجد أن هذا الإفساد لا يقع منهم إلا بعد علو وتمكين بحيث يمكنهم من قهر غيرهم وتدمير حياتهم بصورة يشعر بها أهل الأرض جميعا ويجدون أثرها ألما في نفوسهم ومرارة في حلوقهم. وهذا المفهوم من قوله تعالى:

﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ ﴾

فهي الأرض كلها، وما كان لبني إسرائيل أن يوقعوا ذلك الإفساد وهم طوائف مقطعة في الأرض، إذ سيكون فسادهم عندئذ محصورا بحدود إمكاناتهم

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ج٤، ص٢٢١٢- الطبعة السادسة- دار الشروق



كطائفة تحكمها دولة وهذا يؤكد أن كل مرة من الإفساد لابد أن يسبقها علو وتمكين، وهؤلاء اليهود لم تقم لهم دولة في تاريخهم كله إلا مرتين اثنتين، المرة الأولى بعد خروجهم من التيه ودخولهم الأرض المقدسة وإقامة دولتهم الأولى على يد نبي الله داوود ومن بعده نبي الله سليمان -عليهما السلام- بعد محاولات مستميتة قام بها أهل البلاد الأصليون وهم قبائل: الفلسطينيون واليبوسيون وقبائل أخرى كنعانية في مواجهة «يوشع» غلام موسى عليه السلام، الذي قاد شعب إسرائيل بعد سنوات التيه التي قضوها في سيناء عقوبة لهم على جبنهم الفاضح في مواجهة أهل فلسطين. وفي أثناء تلك العقوبة مات هارون عليه السلام، وتبعه أخوه موسى بعد ثلاثة أعوام ولم يكتب لهما دخول فلسطين وأكمل المهمة بعدهما «يوشع بن نون» الذي تسميه التوراة «يشوع» وقد استطاع «يشوع» بمن معه من بني إسرائيل أن يوقع هزائم ساحقة بقبائل الكنعانيين من الفلسطينيين واليبوسيين والمؤابيين بسبب انقسام تلك القبائل على نفسها وبسبب استماتة بني إسرائيل في القتال واستخدامهم لأبشع الوسائل وأخس الأساليب بصورة من الوحشية لم تعرف البشرية لها مثيلا إلا فيما نراه اليوم من أفعالهم في غزوهم الجديد لمدن فلسطين.

أما كيف غزا اليهود فلسطين أول مرة فالتوراة تكفينا مؤونة إلقاء الضوء على هذه القضية، قضية الشعب اليهودي الفريدة في التاريخ والتي لا مثيل لهمجيتها وشراستها وحقدها إلا فيما يفعلونه في غزوهم الجديد لأرض فلسطين في المرة الثانية في رام الله وجنين والخليل ونابلس وطولكرم وبيت لحم وغزة وأريحا وغيرها من مدن الضفة وغزة.. ومن قبلها مدائن حيفا ويافا وعكا وصور ودير ياسين وكفر قاسم وغيرها من المدن التي شاهدت أبشع المجازر في التاريخ الحديث، وقبل أن أنقل وصف التوراة لعملية غزو مدن فلسطين قديماً، أنقل هذا النص التوراتي الذي يخاطب به الرب شعب إسرائيل، كما زعمت توراتهم التي ألفها كبار مجرميهم فيقول: «وحرموا -أي أهلكوا- كل من في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد أجعلوها في خزانة الرب»[٣].

وقد جاءت عملية الغزو تطبيقاً عملياً لهذه الأوامر المقدسة في زعمهم، وإليك الصورة كما سجلتها التوراة: «وأخذ يشوع «مقيدة» في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم (أهلك) ملكها وكل نفس بها، لم يبق شارداً، وفعل بملك «مقيدة» كما فعل بملك «أريحا» ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى «لبنة»، وحارب لبنة فدفعها الرب هي أيضا بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق شارداً. وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا. ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى «لخيش» ونزل عليها وحاربها وضربها بحد السيف. وكل نفس بها حسب كل ما فعله بلبنة. ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى «عجلون» فنزلوا عليها وحاربوها وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب كل ما فعله بلخيش ثم صعدوا إلى حبرون «الخليل» وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها لم يبق شاردا حسب كل ما فعله بعجلون فحرمها وكل نفس بها وضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شاردا بل قتل كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل فضربهم يشوع من قادش إلى غزة وجميع أرض جوش إلى جبعون»[١].

وقد حلل العلامة المؤرخ جوستاف لوبون العلل الكامنة وراء تلك الوحشية قائلا: «إن عدد بني إسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم في مصر وحرمانهم الهائل في التيه مما جمع بينهم وأقنعهم فعاشوا كقطيع من الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن»[٢].

وبإمكانك أن تضع أسماء المدن الجديدة اليوم في الضفة وغزة مكان أسماء تلك المدن القديمة وترى هل تغيير أسلوبهم، ولك أن تستبدل اسم شارون ورابين وبيريز وبيجين وغيرهم من قادة إسرائيل اليوم، بأسماء شاؤول ويشوع وغيرهم من قادة إسرائيل في المرة الأولى، ليتأكد لك بوضوح وجلاء أننا أمام عقيدة عميقة الجذور، بعيدة الغور، تحرك هؤلاء الوحوش وتدفعهم دفعا ليتركوا بلادهم التي جاءوا منها، رغم ما بها من رغد في العيش وأمان واستقرار، ورغم ما يتمتعون به من مناصب عالية، ومكانة رفيعة، ليستجيبوا لنداء تلك العقيدة الدموية الكافرة.

وبهذا الأسلوب الدموي الوحشي استطاع اليهود أن يقيموا دولتهم الأولى بعد هذا الغزو الوحشي سنة ١٢٢٠ ق.م لكنهم لم ينجحوا في طرد القبائل الوطنية، كما أنهم تركوا بعضها في أوطانها دون تحرش، ولذلك قامت فيها بعد ممالك المؤابيين والعمونيين والأيدوميين، والتي كانت مستقلة بصفة عامة، ...

(٣) سفر يشوع الإصحاح السادس

(١) سفر يشوع الإصحاح العاشر

(٢) جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، [illegible]

ولم يستطع العبريون إقامة دولتهم على أرض فلسطين إلا على يد الملكين الجليلين: داود وسليمان عليهما السلام، سنة ١٠١٦ ق. م. واستمرت هذه الدولة ثمانين عاماً فقط هي المدة التي حكم فيها داود وسليمان. وحيث إن فترة داود وسليمان هي الفترة التي يفتخر بها اليهود، ويدعمون بذكرها دعواهم بأنهم ملكوا كل الأرض «من نهر مصر إلى الفرات» فهي بحاجة إلى إلقاء بعض الضوء، ويكفينا المؤرخ البريطاني «جفري» مؤونة هذه المهمة فيقول: «لقد حكم داود نحو من أربعين عاماً من تاريخ سنة ١٠١٦ ق. م، وخلفه سليمان وحكم ما يماثل هذه المدة.

وبعد هذين انهار كل شيء.. ولابد أنه اقتضى داود أن يصرف جزءاً لا بأس به من النصف الأول من فترة حكمه لكي يبلغ أوج سلطانه.. أما سليمان فقد أخذ يبيع قبل نهاية حكمه أجزاء من ممتلكاته أو يفقدها.. فدعنا نسقط عشر سنوات من هذه الفترة، وهذا هو أقل ما يمكن لنا أن نسقطه عقلاً من مجموع فترتي حكم سليمان وداود. وعندئذ يتبقى سبعون عاماً.. ولم يحدث إلا في بحر هذه السبعين سنة أن سيطر العجاف على شيء يقرب من تلك البلاد»[7].

ولم يكد سليمان يموت حتى انقسمت دولته إلى جزءين. يهوداً في الجنوب، وإسرائيل في الشمال. وعقب انقسام مملكة سليمان، ظلت الدولتان تتخاصمان وتتنازعان في قتال دائم عنيف.. وبعد أن كثر فسادهم وعم شرهم، وتفاقم ضررهم وخطرهم حتى صاروا سبب إزعاج دائم لمن حولهم من الأمم، هجم الآشوريون الدمشقيون عليهم وحاصروا مملكة إسرائيل ثمانية عشر شهراً، حتى سقطت في أيديهم في بداية سنة ٧٢١ ق. م، فأصبحت إسرائيل منقرضة سياسياً.. وبعد تحطيم إسرائيل أرسل الآشوريون سكانها إلى الشرق واستبدلوا بهم سكاناً جدداً، ومن ثم اختفى سكان مملكة إسرائيل من التاريخ، واندمجوا مع الشعوب المجاورة في مناطق النفي.

يقول غوستاف لوبون معللاً لأسباب إهلاك تلك الدولة: «كانت تلك الدولة مسرحاً لأفظع الفجائع، وما كان يقع فيها من اغتصاب ومذابح واستعانة بالأجنبي، كل ذلك أثار ازدراء الأمم المجاورة دوماً، فلم تنفك هذه الأمم تطالب بإبادة بؤرة الفوضى والتمرد تلك»[8].

وأما مملكة يهودا فقد دمرت تماماً على يد الملك البابلي «نبوخذ نصر» «بختنصر» وأخذ معه إلى بابل ملكها «يواقيم» وعشرة آلاف من أهم السكان، وكان منهم النبي «حزقيال» وحطم القدس نهائياً سنة ٥٩٧ ق. م، ويسجل التلمود أن هذا التدمير لم يكن «إلا عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم. وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات أرمياء..»، ولقد وجه النبي أرمياء كلامه إلى بختنصر قائلاً: «لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنوبهم الفاجرة التي ساقتهم إلى هذا العذاب»[9].

ولقد سجل القرآن عليهم بعض جرائمهم التي لو انفردت منها جريمة لكانت كافية لإبادة أمة كاملة، وهل هناك جريمة أعظم من الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله، فبرغم وقوع المعجزات وتواتر الآيات، وظهور البيانات.. من فرق البحر، ومعجزة العصا، وتفجير الحجر اثنتا عشرة عيناً، على عدد أسباطهم، ورفع الجبل فوقهم كأنه ظلة، وإحيائهم بعد موتهم، كل ذلك لم يلن قلوبهم، ويهز أفئدتهم ليعلنوا التوحيد الخالص لربهم، وإنما مالت قلوبهم إلى عبادة العجل:

﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾

«البقرة: ٩٣»

لقد منحهم نعمة فجحدوها، وأخذ عليهم عهوده فغدروها، وأنزل عليهم كتبه فحرفوها وبدلوها، وأرسل إليهم رسله فكذبوهم وقتلوهم؛ فاستحقوا غضب الجبار ولعنته، واستوجبوا عذابه ونقمته.. قال تعالى يعدد بعض جرائمهم:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾

«النساء: ١٥٥، ١٥٦»

ومصائب هؤلاء المجرمين في كتاب الله مشهورة معلومة، ولهذا فقد عاملهم الله بعدله فسلط عليهم من عباده قوماً أشراراً سفكوا دماءهم، وخربوا ديارهم، ونهبوا أموالهم، وسبوا نساءهم ورجالهم وذرياتهم.. وهم البابليون أتباع بختنصر ومن يومها لم تقم لهم قائمة.. ولم تجتمع لهم كلمة، ولم تعلن لهم دولة، إلى أن جاء هذا العصر فرأينا اجتماع كلمتهم وقيام دولتهم، وتداعيهم إلى الأرض المقدسة مرة أخرى وتهيؤ الأسباب لهم باجتماعهم وتفرقنا وقوتهم وضعفنا.. فعلمت أننا أمام قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾

«الإسراء: ٦»

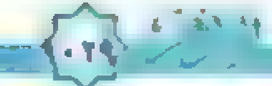
وظهر لي واضحاً جلياً أن الإفساد الأول قد وقع عندما قامت دولتهم الأولى وأن الإهلاك الأول قد حدث عندما أفسدوا في

(٦) غوستاف لوبون ص ٣٠

(٧) جفري ج. م. فلسطين إليكم الحقيقة، ترجمة خليل الحاج، مراجعة د. محمد أنيس، دار الكتاب العربي، القاهرة سنة ١٩٧١ ج١ ص٤٢

(٨) غوستاف لوبون ص٤٠

(٩) انظر: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان - دار النفائس ص٤٩



الأرض وأن الله اختار عبادا له من البابليين والآشوريين فكانوا عصا قدرته وأداة نقمته.

ثم شاء الله تعالى أن يتم وعده لكي يقع وعيده بإيقاع الإفساد الثاني أو المرة الآخرة كما وصفها القرآن الكريم فهيأ لهم أسباب التمكين ورد لهم الكرة على من حولهم وقد حدد الحق سبحانه وتعالى مظاهر القوة في تلك الكرة في عناصر ثلاثة: المال والبنين والسلاح.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾

(الإسراء: ٦)

ومن يتأمل الآية الكريمة يجد مصداق ذلك فيما جرت به الأقدار في عصرنا هذا فقد رد الله لليهود الكرة وسخر لهم من يمدهم بالمال فتدفقت الأموال عليهم من أبناء جلدتهم ومن أهل دينهم، بل إن الأموال لتصل إليهم من أيدي أعدائهم سواء علموا بذلك أم جهلوا أرادوا ذلك أم كرهوا عن طريق بيوت المال العالمية التي أحسن اليهود التسلل إليها والسيطرة عليها، ولو رأيت براعتهم في إدارة المال واستحداث الأنظمة الربوية حتى تحولت أموال العالم إلى جيوبهم لأدركت مصداق قوله تعالى:

﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ﴾

وإذا تأملت سيول المستوطنين اليهود وهي تتدفق إلى أرض فلسطين أفواجا وجماعات وعاليهم من الشباب الذين هم في سن العمل والإنتاج والكثرة الساحقة منهم من الرجال ذوي التخصصات الدقيقة والنادرة كعلوم الذرة والفيزياء والرياضيات وغيرها أدركت مصداق إمدادهم بالبنين، أما تفوق اليهود العسكري وقدرتهم على صنع أعقد الأسلحة وأشدها فتكا وترسانتها النووية التي تباهي بها العالم فهو أكبر دليل على تحقق قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾

والنفير كما تعلم هو آلة الحرب.

لكن الجديد الذي نلحظه في قضية نهاية اليهود: هو أن يأتوا من أنحاء الأرض إلى فلسطين وأن يكون مجيئهم على صورة جماعات وأن يكون مجيئهم ذلك علامة على قرب نهايتهم وتحقق وعيد الله فيهم وهو ما نجده واضحا في قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾

(الإسراء: ١٠٤)

في لسان العرب: جمع ملتف «مجتمع ملتف من كل مكان» ليكونوا هدفا للإهلاك والتدمير على يد عباد الله، يسلطون عليهم فيقهرونهم ويجبهون وجوههم بالمساءة والذل ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار ويدخلون المسجد الأقصى ويحررونه مصداقا لقوله تعالى

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾

(الإسراء: ٧)

وهو ما نراه في أرض المعراج الطاهرة المباركة من ظهور فئة من المجاهدين الصادقين المخلصين باعوا أنفسهم لله واشتروا بها الجنة وأقبلوا على ربهم في عرس ملائكي طاهر. فأصابوا إسرائيل بالذعر وأوقعوا بقلوبهم الرعب وأظهر الله على أيديهم المعجزات وأظهر فيهم الكرامات ورأينا فيهم مصداق حديث رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي: تعالى فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[1].

ولقد كنا نقرأ هذا الحديث ونعجب ونستبعد وقوع مثل تلك الكرامات في أيامنا هذه حتى طلعت علينا صحيفة «آفاق عربية» بما نصه حرفيا بتاريخ ٩-٥-٢٠٠٢م من حديث للشيخ أحمد ياسين عبر الهاتف موجها كلمته لمؤتمر نقابة الأطباء الرابع بمحافظة الغربية وسمعه مئات الحاضرين: «إن بشائر النصر قد رأيناها بأعيننا: حيث أن رجال المقاومة في «رام الله» ظلوا يطاردون أحد المستوطنين حتى اختفى عن أعينهم خلف الأشجار فأنطق الله الشجر - حدث والله - وقال لهؤلاء الأبطال: «هذا اليهودي ورائي» ويذهب الشباب إليه خلف الشجرة ويقتلونه...» ثم يختتم الشيخ كلامه قائلا: «إنه حديث رسول الله ﷺ»[11].

ونحن نقول مع الشيخ «صدقت يا سيدي يا رسول الله وإنا بك لمؤمنون وإنا بحديثك لمصدقون. وإنا بزوال إسرائيل لواثقون».

* * *

(1) [illegible]

(11) [illegible]

جيش أسامة

ضجَّ مَهد الصحراء بالتغريد ... وسرى النور في رمال البيد
هو ذا في غيابة البعد خطٌ ... ينجلي من سرابها المعقود
سال ذوبَ النضار في صحف الأفـ ... ـق فران الدنيا بحلم رغيد
تتهـادى من هداية يتلوى ... في فضاء رحب المطاف مديد
ضم في شاطئيه ضبابة العُر ... ب وبأس المجرب الصنديد
والأمير الفتى يذرع البيـ ... ـد بجيش من الكماة عديد
رفرفت راية النبي عليه ... ورعته بالنصر والتأييد
من هو القائد الفتيّ وما يُنـ ... ـشد في قصده الطَّروح البعيد
ولمن هذه الزحوف توالى ... كوفود تُهيل تلو وفود
يقسم الفيلق الذي أفرغ القفـ ... ـر وهز الحدود إثر الحدود
تتمشى في سُبْله البيد نشوى ... ثملات برملها العربيد
يا صحابي هذا (أسامة) يختا ... ل يَسُرُّد من الشباب نضيد
رأس الأكرمين وهو ابن عشريـ ... ـن بعمر ماض ورأي سديد
وعليه جراءة الأسد الورْ ... د وحذقة العقاب الصيود
يا له قائماً ينمه البطولا ... ت وألقت إليه بالإقليد
والبطولات شعلة الأمل السا ... طع في ظلمة الليالي السود
حدث النفس وهو يحلم جذلا ... ن بنصر داني القطوف عتيد
إيه يا نفس لا تروعك المنايا ... فالمنايا أمنية الصنديد
اطلبي للمطمح القصيّ مداه ... ودعي الضعف للجبان الرقود
واذكري نائماً (بمؤتة) باع النـ ... ـفس زلفى وب البرايا الحميد
وانهضي للجهاد في نصرة الحـ ... ـق ونشر رسالة التوحيد
ودعي اسم النبي تعبق به الدنـ ... ـيا وترتع في عالم من سعود
وتلاقى الجمعان فارتجت الأر ... ض وغابت في العاصف المشهود
هل رأيت الأتيّ يُزبد جيشاً ... ويرمي الجلمود بالجلمود
وتعالت في القفر تكبيرة اللـ ... ـه فدوّى الوجود بالتحميد
ثبت المسلمون في لقية الرو ... م وغاصوا في القسطل المزرود
وقروهم بكل ماضٍ صدوق ... كصباح يفري الدجى بعمود
لا يُرى منهم ضحى اليوم إلا ... آيسٌ من نجاته أو شريد
وأسود الصحراء قد غنموا النصـ ... ـر وفازوا بالمأمل المنشود
من بُرد فرحة النعيم المرجى ... بصدق الله في ظلال البنود
الصحارى يا سحر هذي الصحارى ... آية الله في كتاب الوجود
ثورة الشمس في خضم من النو ... ر سحيق نائي المرام عهيد
الأواقيّ في حماها تنزّى ... قاذفات باللاهب الموقود
يا لها الله من جحيم تلظى ... تخطف الروع من جنان الجليد
هي للائذ المحب أمان ... وهي للغاصبين نار الوعيد
أي زهو تثيره هذه البيـ ... ـد بقلب بحبها معمود
نهض الفجر في حماها بهيا ... حافلا بالسنا النقي الفريد



عـانقـتـهـا الأضـواء في هـــة لعـــ ـــح فـــازرت بـاللـؤلـؤ المنضـــود

سكبت في فضائها المـجـد الصـر ف وحلت أفـيـــاءها بالعــقــــود

أشـرق اليـمـن من مـحـاريبـهـا الزُّهـ ر ومـحـرابهـا مـحط السـجـود

هاهنا يا صـحـابتي مـعـبـد اللـ ـه على غـابر الزمـــان الأبيـــد

هاهنا مـشـرق النبـوة، مـهـوى الـ ـخـيـر مـجلى الحلم التيْ السـعـيـد

هاهنا دارة لـهـبـاءة والـــــــشـ ـر ومـا شـئـت من سـخـاء وجـود

هاهنا البـأس والجـراءة والحـز م ومـسـتـعـصـم الفـخـار الوطيـد

هاهنا مـعـقل الغطارفـة الغـ ـر ومـسـتـوطن العـلاء التليـد

هاهنا الصـيـف صـورة الأمل البكـ ر وتربـيـة الشـجـاع النجيـد

وعلى البـيـد صـورة تبـهـر العـيـ ن جـلالا بـسـحـرها الممـدود

طوّف الدين سـاحـهـا ثم أسـرى يغـمـر الكون بالضـيـاء الجديد

أسـمع الرمل يمـلأ الأرض تسبـ ـحـاً بشـدو مـحـبـب مـودود

هدهدته فـسـيـسـفـارة تسـعـى بلحـون قـدسـيـة التـرديد

جـاره الغـرب في مـواكب للنصـ ـر تنـادى على اللواء المجيـد

أذن الله للصـحـارى فـمـاجـت سـاحـتـاها بقـاحـمـين أسـود

يا جـنـود الحق المـبـين سـلام أنتم للعـلاء خـيـر جـنـود

بكم عـزت الحنيـفـة في الكو ن ونالت شـأو المراد البـعـيـد

فـتـحـوا الأرض فـاسـتـقـادت لفـتح نـاصـع كـالسـمـاء هاد رشـيـد

عـبـرهم يفـتـحـون للدل وانعـا ر وهم للعـلاء والتـشـيـيـد

ثم دال الزمـان من نـامـه الفـ ـر فـقـرت سـيـوفهم في الغـمـود

واسـتـكانت إلى الكرى فـعـليـهـا صـدأ الدهر من طويل الهـمـود

المسئولية الاجتماعية ضرورة إنسانية

للمستشار / حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

للمسئولية الاجتماعية من الأهمية بمكان في حياة الناس، أيا كان وطنهم أو جنسهم أو دينهم أو انتمائهم المذهبي، تلك المسئولية التي تتمثل في تحمل القادرين من أبناء المجتمع، لكثير من الأعباء المادية والمعنوية، التي تنوء الفئات الأخرى عن احتمالها، ولاسيما في أوقات الشدائد، التي تمر بها بعض المجتمعات، أيا كانت أنواع هذه الشدائد، والأساس في ذلك، هو ما يتميز به الإنسان من خاصية، يعبر عنها علماء الاجتماع بقولهم: إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، أي أن الله خلقه ليعيش مع غيره في جماعة. وجعل تعالى النفس الواحدة من أفراده، تعدل كل الأنفس البشرية، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة: ٣٢)

ومن الكلمات التي تجسد هذه المسئولية الاجتماعية، مجردة عن ثمة اعتبارات، غير تقديم يد العون للآخرين، ما جاء على لسان بيل جيتس، وهو من هو في عالم الحاسب الآلي، عندما زار مصر في السنوات الأخيرة، ولدى سؤاله عن ثروته، فقال: إن ثروتي بسبب المجتمع، وسوف تعود للمجتمع، من خلال تمويل مؤسسات بحث علمي طبي، لعلاج الأوبئة والأمراض المستعصية، وتمويل تطوير التعليم، ولا أعتقد أنني سوف أترك ورائي أموالا لورثتي. وهي كلمات تحتاج لمزيد من نظرة التأمل، من أثرياء العالم، وخاصة من أغنياء المسلمين، بمراعاة الظروف القاسية، التي تكاد تعصف بالعديد من المجتمعات، التي ينتمون إليها.

وقد كان الإسلام سباقاً في تحديد عناصر مسئولية المسلم الاجتماعية في هذه الحياة، بما وضع له من منهج قويم ينظم حركته فيها، ومن أسس هذا المنهج أن يكون للفرد الدور الخلاق في المجتمع الذي يعيش فيه.

تحقيق النفع العام لكل الناس

من أوجه العظمة في دين الله الإسلام، أنه جاء بما يزرع النظرة الكريمة للمجتمع في النفوس، فالرسول العظيم ﷺ يقول فيما رواه الترمذي عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، ومن ضيق الأفق أن تقتصر النظرة إلى الأهل، على أصول الإنسان وفروعه وزوجه وحدهم، بل إن حقيقة الواقع تفرض أن تمتد هذه النظرة لتشمل المجتمع كله، باعتبار أن الأسرة هي اللبنة الأولى فيه، وباجتماعها مع غيرها يقوم بنيان هذا المجتمع.

ويؤكد عمومية هذه النظرة، ما رواه القضاعي، في مسند الشهاب عن جابر رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «خير الناس، أنفعهم للناس»، أياً كان دين أو ملة أو مذهب هؤلاء الناس، والمنتفع أو مقدم النفع، لأنهم جميعاً عباد الله، وأحبهم إليه، أكثرهم نفعاً للناس بنعمة يسديها أو نقمة يزويها عنهم ديناً أو دنيا.

ومن مقتضى الخيرية للأهل، أي المجتمع ككل، أن صاحب الثروة لا يضن بها على أبناء مجتمعه، أياً كان نوع هذه الثروة - مادية أو معنوية - طالما في استعمالها ما يعود بالنفع على الجميع، فكما أن صاحب المال ينفقه لتيسير أمور الحياة المادية، فإن صاحب العلم، يبذله لمن يطلبه، بقصد الانتفاع به، فيما يصلح شأنه في الدين والدنيا.

إننا في أيامنا المعاصرة، في حاجة ماسة لتعميق النظرة الاجتماعية، التي تضمنتها كلمات أحد أغنياء العالم سالفة البيان، فقد ضاقت سبل العيش على كثير من عباد الله. لتغير الزمن والحال، وأصبح من الواجب على الأغنياء تفعيل الوظيفة الاجتماعية للمال، واستخدامه في الأغراض العامة التي تعود بالخير على أبناء المجتمع، وكنا نتمنى أن نسمع مثل هذه الكلمات من أثرياء العرب والمسلمين المعاصرين، الذين لا تخفى عليهم أحوال معيشة كثير من إخوتهم في الدين على أية بقعة من أرض الله، ومن فضل الله عليهم أن شريعة الإسلام السمحاء قد جاءت بالعديد من الوسائل التي تعين على تحقيق هذه الوظيفة، وعلى رأسها الزكاة بأنواعها وصدقة التطوع والكفارات والوصايا والأوقاف، وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران، ومساعدة الضعيف وإغاثة اللهفان. وغير ذلك من القربات والطاعات الدينية، وما على المسلم إلا أن يقبل على فعلها. وله الجزاء العاجل في الدنيا من الناس. والجزاء الأوفى من الله تعالى في الآخرة.

الدور الإيجابي في المجتمع

قد يكون الرجل ممن يحافظ على الصلاة في جماعة. ويقرأ القرآن الكريم ولكن على أثر مشاجرة بين جيرانه، إذا طلب منه أهل الخير المشاركة في الصلح بين المتخاصمين، يرفض الحضور معهم، بحجة البعد عن المنازعات التي تقع بين الجيران، وهو يردد قول الحق تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

(المائدة: ١٠٥)

لقد ابتلى الإسلام في عصور الضعف بأتباع أصابهم القصور في الفهم، وحصروا هذا الدين العظيم في ركعات، قد تؤدى في رتابة بلا روح، والحقيقة أنهم لو قرأوا كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ بوعي، لتغيرت أحوالهم الراهنة إلى أحسن الأحوال، فقد روى أبوداوود والترمذي بسندهما عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

فقال: بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل قابض على الجمر، العامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله، قالوا: «يا رسول الله آخر خمسين منهم؟ قال: لا، بل أجر خمسين منكم».

فالرسول الكريم ﷺ طلب من المؤمن أن يكون إيجابيا في مجتمعه، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشارك الناس كل مظاهر حياتهم، ويجب عليه أن يظل كذلك مادام هناك من يستجيب له، ومما يؤكد هذه الإيجابية أن الرسول - ﷺ - قد أشار الى مقام الصبر، الذي يتعين التحلي به عند مباشرة هذا الأمر، والصبر لا يكون في مواطن الاحتكاك بالآخرين، ومعايشة ظروفهم وأحوالهم. فضلاً عن الأجر العظيم الذي يقابل هذه الإيجابية والصبر عليها، ولاسيما إذا كنا نعلم قدر الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم.

وما أخبره عنه ﷺ من أمور توحي بأن من الخير للمؤمن أن يلتزم نفسه، فهذا من إعلامات النبوة، عما يحدث في آخر الزمان، من أشياء تقتضي ذلك، وهي لم تقع بعد بصورة ملموسة، ولكنها مجرد تأويلات تقوم في أذهان من تقصر همتهم عن التفاعل مع المجتمع الذي يعيشون فيه.

والفهم الصحيح لموجبات هذه الآية، يقضي على السلبية والتواكل في حياة المسلم، ويجعله نافعاً لنفسه ولمجتمعه، فيكون أداة بناء لا معول هدم، بما تتحقق معه خلافته لله تعالى في الأرض، التي من أجل عمارتها خلق، ولا يترك ذلك لمن يخالفونه في عقيدة التوحيد الخالص.



إقالة عثرات الكرام

بينما كان رسول الله -ﷺ- جالساً مع أصحابه رضوان الله عليهم، إذ دخل الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وكان سيداً في قومه، فجلس حيث انتهى به المجلس، امتثالا للهدى النبوى في هذا المقام، فما كان من الرسول الكريم ﷺ إلا أن قدم إليه الوسادة التي كان يجلس عليها، تكريما له، لمنزلته الرفيعة فهو كريم بين قومه.

والكريم في الناس، لابد أن يعامل بينهم بما يحفظ له هذه المنزلة، حتى ولو وقعت منه بعض صغائر الأمور، فقد روى النسائي والامام أحمد عن السيدة عائشة -رضي الله عنها-، والمروزي عن جعفر بن محمد، أن رسول الله ﷺ قال: «ادرءوا (ادفعوا) الحدود بالشبهات».

وأقيلوا (أي اتركوا) الكرام عثراتهم (أي زلاتهم)، إلا في حد من حدود الله تعالى». وفي رواية أخرى: «أقيلوا ذوي الهيئات (أهل المروءة والخصال الحميدة) عثراتهم، إلا الحدود». وفي رواية ثالثة «تجاوزوا لذوي المروءة عن عثراتهم، فو الذي نفسي بيده، إن أحدهم ليعثر، وإن يده لفي يد الله تعالى».

ولكن يشترط للتجاوز عن هذه العثرات، ألا تصل إلى درجة الجريمة المعاقب عليها بواحد من حدود الله، تلك الحدود التي لا تقبل فيها الشفاعة، وقد استنكرها الرسول ﷺ من حبه أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عندما ألح عليه القوم في الشفاعة لديه ﷺ في امرأة المخزومية التي سرقت، فقال له «أتشفع في حد من حدود الله، يا أسامة؟، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها»، وقد قال العلماء: هذه العثرات هي الصغائر التي لا يجوز لولي الأمر التعزير عليها إذا رفعت إليه، ولكن يندب لمن جاءه نادما أقر بموجب حد أن يأمره بستر نفسه ويشير إليه بالكتم كما أمر المصطفى ﷺ ماعزاً والغامدية، وكما لم يستفصل من قال: أصبت حداً فأقمه علي، ويشترط أيضا أن يكون الشخص المتجاوز عن عثراته، من غير من عرف بالأذى والفساد بين العباد، فلا يقال له عثار، أي كثير العثرات.

وهذا الوضع معروف في القانون الوضعي، بنظام وقف تنفيذ العقوبة، فقد أعطت المادة ٥٥ من قانون العقوبات المصرى للقاضي سلطة تقديرية، في أن يشمل حكمه الصادر بالحبس في بعض الجرائم البسيطة، التي لا تزيد المدة المحكوم بها على سنة واحدة، بإيقاف تنفيذ هذه العقوبة، لمدة قد تصل إلى ثلاث سنوات، ولو كان هذا الإيقاف، شاملا لكافة الآثار الجنائية، إذا رأى القاضي من أخلاق الجاني وظروف الواقعة، أنه لن يعود إلى ارتكابها مرة أخرى، وهذا من باب إقالة عثرته التي وقعت منه، رغم هذه الظروف.

أداء حق المجتمع سبب لقبول الدعاء

من الملاحظ في أيامنا المعاصرة، كثرة من يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء، وخاصة في المناسبات الدينية المختلفة، ومع ذلك

في الأحوال التي تدعو الله أن يغيرها إلى الأحسن كما هي، بل قد تتغير إلى العكس، وباستقراء آيات الذكر الحكيم، عثرت على ما يزيل الحيرة الناجمة عن هذا الأمر، وهي في قوله الحق تعالى

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعراف: ٥٥، ٥٦)

فقد طلب رب العزة تعالى من عباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء، وهم على حالتي: التضرع والخفية، وأيضا وهم في حالتي: الخوف والطمع، وهذه الأحوال خاصة ومتصلة بشخص الداعي ذاته، وقد يقتصر الدعاء على نفسه، فلا يستفيد منه الغير، ولكن العظيم الذي يشير إليه القول المحكم هو أن الله تعالى، اشترط لقبول هذا الدعاء، أن تتحقق مصلحة لغير الداعي، وهي المحافظة على صلاح الأرض، كما أوجدها الله تعالى نافعة لجميع مخلوقات

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾

ومفهوم مخالفة من هذه الآية، يقتضي القول، بأن من عمد إلى إفساد ما هو صالح في الأرض، سواء كان صالحا بطبيعة خلق الله له، أو كان صالحا بتدخل يد الإنسان فيه، ثم توجه بالدعاء إلى الله، ومنه الصلاة التي هي عماد الدين، فلا ينتظر له قبولاً، مهما كانت حاله، من التضرع أو الخفية، ومن الخوف أو الطمع، لأنه تعالى كما أخبر في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة: ٢٧)

والإفساد في الأرض متعدد الصور والأشكال، بما لا يمكن حصره في أحدها، فهو كما يكون في أعلى شعب الإيمان، وذلك بالشرك بالخالق تعالى، يكون في أدناها بعدم إماطة الأذى عن الطريق، ومن عجائب هذا الزمان: أن تجد الرجل يؤدي العبادات المطلوبة منه، ويترك بيته وما يجاوره غير نظيف، والرسول الكريم ﷺ يقول فيما يرويه الترمذي بسنده عن سعد: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود»، فلو صدق إيمان هذا الرجل، ما ترك بيته على هذه الحال، التي تعد إحدى صور الإفساد في الأرض، التي تمنع من قبول الدعاء.

وليس الدعاء وحده هو الذي لا يقبله الله من المفسد في الأرض، بل يمتد عدم القبول إلى سائر العبادات، لأنه إذا كان الدعاء وهو كما أخبر المعصوم ﷺ مخ العبادة لا يقبل من هذا المفسد، فلا يتصور أن يقبل منه ما دون ذلك من سائر الطاعات.

والله تعالى ولي التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..



قصة العدد

إيمـــان قلـــب

للأستاذ/ كامل محمود [illegible]

﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

«التوبة ١١٧- ١١٨»

اندفع الجيش اللجب يوفض إلى غايته - إلى بلاد الروم - يطوى فجاج البيداء فى صبر، ويقتحم فيافى الصحراء فى جلد، يغذ السير لايهاب الموت ولا يخشى الردى ومن أمامه: الشقة بعيدة، والمسلك وعر، والعدو ذو قوة وذو عدد ومن بين يديه: القيظ تتوقد سمائمه فتدمغ الجلد، والسوافى تهب عاصفة فتسفع الوجه وتقذى العين، والضيق يطحن الصبر ويعبث بالقوة ومن خلفه، فى المدينة ظلال وارفة يهفو إليها القلب وتصبو إليها النفس.. ثم طال بالناس السفر وامتد الطريق، فاجتمعت عليهم فنون ثلاثة من العسرة: عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء، فاشتدت بالمسلمين الحال وغشيتهم المحنة: فكان النفر يأخذون التمرة الواحدة يلوكها الواحد منهم حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه ليشرب عليها جرعة من ماء حتى تأتى على آخرهم فلا يبقى على التمرة إلا النواة. وكان القيظ اللافح يصيبهم فيحسون لذع الحرة فى حلوقهم فيخيل إليهم أن الرقاب توشك أن تنقطع من شدة العطش، فلا يجد الواحد منهم مفزعاً إلا أن ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده ولكن الإيمان كان يفعم القلوب فيدفعها إلى ميدان الجهاد فى حماسة لا تعرف الخور، وفى جرأة لا يتسرب إليها الضعف، وفى بسالة لا تؤمن بالتردد. واندفع الجيش يوفض إلى غايته.

وانطوت الأيام والجيش فى سبيله، يجالد الشدة بالإيمان، ويصارع الغير بالعقيدة، ويكافح الخطب بالصبر وهو لا يحس أن أناسا بهم صعر إلى الثمار والظلال قد أبطأت بهم النية عن الجيش فتخلفوا عن الجهاد فى غير شك ولا ارتياب، وهم نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم ولا يغمزون فى إيمانهم.. نفر صدق من بينهم كعب بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلمة، وهو فتى أيد جلد، فارع القوام وثيق الأركان، تتألق على جبينه سمات القوة والفتوة، ويتوثب من إهابه النشاط والشباب، لم يقعد به عن الجهاد نفاق ولا صرفته شهوة الدعة، ولكنه رأى أصحاب النبى ﷺ يتهاوون للغزو فطفق يغدو لكى يتجهز معهم فيرجع - آخر النهار - ولم يقض شيئا. وإنه على ذلك لقادر ولم يزل يتمادى به الأمل حتى شمر الناس بالجد.

وأفاق كعب من غفوة الأمل فإذا الناس قد أسرعوا وتفرط الغزو، وهو فى مكانه لم يقدر له أن يهم فيرتحل فيدرك الركب لشد ما أحزنه أن يضرب فى أرجاء المدينة فلا يرى له أسوة إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق، مطعونا عليه فى الدين. أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء!

وعاش الرجل زمانا غريبا فى داره يغتل فى غاشية من خواطره السود ويضطرب فى لجة من الندم، لا يجد الراحة ولا الأمان ولا يلمس الهدوء ولا الاستقرار وهو يعجب - أشد العجب - كيف وسوس له الشيطان فتردى فى هاوية مالها من قرار وإنه لذو قوة وإيمان لا تعوزه الراحلة ولا يفتقر إلى الزاد وإنه لمن أصحاب بيعة العقبة الكبرى سبق إلى الإسلام عن عقيدة ثابتة وجاهد الكفار عن إيمان عميق؟!

وتناهى إلى الرجل خبر عودة النبى ﷺ قافلا من غزوة تبوك فتعاورته الأوهام وساورته الهموم واغتمر فى لجة من الحيرة والارتباك وخشى الرجل أن يلقى النبى «ﷺ» وقد جللته الزلة ودنسته الخطيئة وأشفق على نفسه أن يبدو أمام المسلمين وهو يتعثر فى ذنبه فيعجزه أن يلتمس العذر أو أن يجيد الدفاع فحضره بثه وطفق يقلب الرأى يريد أن يزور كلاما يجد فيه الخلاص أو ينمق حديثا يدرأ به غضب الرسول ﷺ غير أنه أيقن - بعد لأى - إنه لن يجير إلا بحديث فيه الصدق والإخلاص والصراحة جميعا.

وصبح رسول الله ﷺ قادما فأسرع إليه المتخلفون يعتذرون بالكذب ويحلفون بالباطل وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم النبى ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله.

وأقبل كعب بن مالك فسلم فتبسم النبى ﷺ تبسم المغضب ثم قال «تعال» فجاء الرجل يمشى على مهل والحياء

يوشك أن يعثر نفسه والخجل يكاد يبدد فؤاده.. جاء يمشي حتى جلس بين يديه فقال له «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» فقال كعب «يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك».

قال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق. فقم حتى يقضي الله فيك»، ورأى رجال من بني سلمة ما كان فثاروا واتبعوا الرجل يؤنبونه على ما كان منه وحاولوا أن يرغموه على أن يرجع إلى النبي ﷺ فيعتذر إليه بما اعتذر به إليه المتخلفون غير أن إيمان الرجل دفعه عن أن يتردى في الهاوية مرة أخرى فمضى

ونهى النبي ﷺ عن كلام كعب بن مالك ـ وعن كلام رجلين آخرين لقيا مثل ما لقي كعب. هما مرارة بن ربيعة وهلال بن أمية ـ فخاصم الناس الرجل وتغيروا له فأحس كأن في نظراتهم سهاما من المقت والكراهية تتناوشه كلما مر بهم وكأن الأرض قد تنكرت حين عافه الأهل واجتنبه الرفيق فما هي بالأرض التي عرف وكان كعب شابا فتيا فما قعد ولا استكان فراح يشهد الصلاة في مكابرة ويطوف بالأسواق في إصرار ولكن واحدا من المسلمين لم يكلمه ثم يأتي مجلس رسول الله ﷺ فيسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فما يظفر منه برد السلام.

وطالت عليه جفوة المسلمين فأحس مس الضيق في قلبه فانطلق إلى دار أبي قتادة وهو ابن عمه وأحب الناس إليه فتسور عليه جداره وسلم عليه فما رد السلام فقال له يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعاد فناشده فسكت فعاد فناشده فقال له «الله ورسوله أعلم»، ففاضت عين الرجل وتولى يضرب في الأرض وقد أمضه الحزن وأرهقه الأسى يتخبط في ظلمات من الضيق والألم فما راعه إلا نبطي من الشام يدفع إليه كتابا في سرقة من حرير من ملك غسان يقول فيه: «أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك»، لقد قرأ كعب كتاب الملك فما وسوست له نفسه بريبة ولا اختلج قلبه بشك ولا خطفه بريق الأمل ولا سيطرت عليه روعة السلطان هذا القلب أفعمه الإيمان الحق فسما بالرجل على النوازع الأرضية وغمرته العقيدة الصادقة فسخر من بهرج الحياة وزيف الدنيا وأشرق فيه نور السماء فترفع على رب التاج والصولجان لقد كان الرجل سماويا يعيش بين دفقات النور الإلهي ينعم بأفراح الجنة وهي تتألق في قلبه ويسعد باللذة الروحانية وهي تتدفق بين جوانحه فأعرض عن حديث الملك الغساني لأنه حديث أرضي فيه التراب والطين معا

يا للقلب الكبير! لقد تساقطت كلمات الكتاب على قلب الرجل شواظا من نار فيه المهانة والاحتقار وفيه الرزء والبلاء. لأن رجلا طوعت له نفسه أن يغمز إيمان كعب بن مالك وأن يعبث بعقيدته. وأحس كعب في كلمات الملك الغساني معاني السخرية الجامحة والامتهان المرير فنشر الكتاب أمامه مرة أخرى فبدت له كلماته تتلوى كأنها حيات توشك أن تنفث فيه سمومها فتعصف به فأصابه الذعر والفزع، فانطلق إلى التنور يسجره بالصحيفة خشية أن يصيبه الأذى، ثم هام على وجهه باكيا يرسل الدمع في حسرة ولوعة لا ترقأ عبرته ولا تجف

ومضى أربعون يوماً منذ أن جلس كعب أمام النبي «ﷺ» يحدثه حديث الصدق والإخلاص والصراحة. ثم أرسل النبي «ﷺ» رسوله خزيمة بن ثابت إلى الرجل يأمره بأن يعتزل امرأته فما تلبث ولا تعوق ولا جادل.

ولكنه أحس العنت والبلاء، هذه ولا ريب قاصمة الظهر، إن الرسول «ﷺ» لا يأمر الرجل بأن يعتزل زوجته إلا أن يكون كافرا وهي مسلمة، وشمل الرجل حزن عميق حين رأى النبي «ﷺ» يوشك أن ينزع عنه حلة الإيمان ليجلله العار والضعة، فاستسلم إلى البكاء عسى أن يكفر عن ذنبه أو ينفس عن أشجانه

وقسا الرجل على نفسه مرة أخرى فابتنى خيمة على ظهر جبل سلع يخلو فيها إلى نفسه وإلى همومه، ويقضي هناك عمره يبتغي التوبة مما فرط منه، وقد ضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه.

وصلى كعب صلاة الفجر صباح خمسين ليلة في خيمته التي ابتنى فما فرغ من الصلاة حتى سمع صوت صارخ أوفى على سلع ينادي بأعلى صوته ياكعب بن مالك: أبشر فخر الرجل ساجداً حين تبين له أن قد جاء فرج من الله فخر ساجدا والعبرات تترجح في محجريه فرحا وسرور وجاء المبشر فكساه كعب ثوبيه ببشارته، وهو إذ ذاك لا يملك غيرهما، ثم استعار ثوبين فلبسهما، وانطلق يتأم رسول الله «ﷺ»، فتلقاه الناس فوجا بعد فوج يهنئونه بالتوبة حتى دخل المسجد فسلم على رسول الله «ﷺ» فرد عليه السلام وهو يبرق وجهه من السرور ويقول «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»، فخر الرجل ساجدا شكرا لله. والعبرات تتزاحم في محجريه فرحا وسرورا.

مواقف إسلامية

قيمة الوفاء

عضو مجمع البحوث الإسلامية

تعنى مادة الوفاء: الكمال والتمام.. ومنه قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾

(الإسراء ٣٥)

والوفىّ هو: الذى يعطى الحق، ويأخذ الحق. ومع الكمال والتمام يدخل فيه: الصبر، قال الجاحظ: «الوفاء هو: الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويرهنه به لسانه، والخروج مما يضمنه بمقتضى العهد الذى قطعه على نفسه وإن كان مجحفاً به..

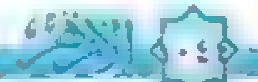
من آثار الوفاء

الإنسان مدنى بطبعه.. ومن ثم فتعاونه مع الآخرين جزء من حياته.. ولتظل حياته هذه باقية لابد من الوفاء وما يثمره من ثقة متبادلة تصون المجتمع من الانهيار..

ولأنه كذلك مكلف. فقد قلّ فى الناس الأوفياء.. وذلك قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾

(الأعراف/ ١٠٢)



ومن أجل ذلك كان تشديد القرآن الكريم على الوفاء بالعهود ملحوظاً: يقول عز وجل:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾

(الإسراء ٣٤ ـ ٣٥)

جزاء الوفاء

الوفى: من يحبه الله ـ عز وجل ـ.

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران/ ٧٦)

بقدر ما ينال الخائن جزاءه على خيانته وتفريطه فى جنب الوفاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾

(آل عمران/ ٧٧)

وتأمل كيف كان الوفى محبوباً من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومن أحبه الله ـ تعالى ـ كان سمعه الذى يسمع به.. وبصره الذى يبصر به.. ويده التى يبطش بها.. فى الوقت الذى يخسر فيه الخائن دنياه وآخرته، ثم هو ساقط من عين الله ـ تعالى ـ كمٌ مُهمل، حطبٌ للنار..

العهود .. والعقود

ولكن ما هو الفرق بين العهود.. والعقود؟!

إن العقد هو: العهد المؤكد.. وهو يعنى: الجمع بين أمرين على نحو يتعذر معه فصلهما.

والأصل هنا هو موقفه ﷺ من المشركين وقت إعلان البراءة منهم.. فقد قال: «من كان له عهد مع الرسول.. فهو إلى مدته»[1]

وذلك قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾

(المائدة ١)

بالعهود التى بينهم وبين الله ـ عز وجل ـ وهى: ما كلفهم ـ تعالى ـ به..

ثم بالعهود التى بينهم وبين الناس..

وفى إطار توكيد الوفاء بالعهد.. ينفّر ـ سبحانه ـ من الخيانة بعد توكيد العهد: وذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾

(النحل ٩٢)

(١) فتح البارى ج٨/ ٣١٩، تفسير القرطبى ٨/ ٩٨

وفى سلسلة من التحريض على الوفاء روى عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»[٣]

وهكذا كان الوفاء بالعهد سبيلا إلى جنات عدن.. والوفاء بالدين محاسبة

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين.. فيسأل: هل ترك لدينه فضلا؟ فإن حُدِّث أنه ترك لدينه وفاء.. صلى.. وإلا.. قال للمسلمين: صلوا على صاحبكم» (البخارى: الفتح: ٢٢٩٨).

الوفاء.. فى مجال التطبيق

لم يكن «الوفاء» فى يوم من الأيام مجرد دعوى ينطق بها اللسان.. فإنه إذا كانت ثماره كثيرة وخطيرة.. فلابد أن يكون عملا تراه العيون.. وهو الأمر الذى أكده آباؤنا الصالحون.. الذين بلغ إيمانهم بالوفاء حدا فرض عليهم أن يضعوا له مقاييس هى كالاختبارات التى يعرف بها الإنسان، إذا كان وفيا.. أم كان دعيا؟.

ومن أجل ذلك قالوا: «إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده.. فانظر إلى: حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه» (المستطرف/ ٢٩١).

من دروس الوفاء

كان الفتى ملء سمع القرية وبصرها بهاء وصفاء.. كان تلك الجنة التى وصفها الله ـ تعالى ـ:

﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾

(البقرة/ ٢٦٦)

ومن أجل ذلك تهافت على أعتابه عشاق الدنيا.. لكن الله ـ تعالى ـ أراد أن تدور به واحدة من دورات الدنيا،

وفجأة.... تغير كل شيء:

﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ﴾

(البقرة/ ٢٦٦)

أصابه المرض.. وقهره الفقر.. وفرضت عليه المعركة.. بل فرضته على زوجته التى علمت أنها لتظل «صالحة» لابد لها من تجاوز هذا الامتحان العسير بنجاح..

وهذا هو الذى حدث:

فصلاح الإنسان لا وزن له ما دامت الحياة رخاء والريح سجسجا[٢] وإنما كما يمتحن الملاح فى المحيط الهادر ـ يتحقق هذا الصلاح بعد هبوب الأعاصير.. إنه إذا كانت همومك كبيرة.. فأعد لها همة كبيرة.

وهذا هو الذى حدث بالفعل.. حين صمدت مع زوجها.. وفى خندق واحد.. أمام هجمة الأعاصير.. فكانت له سلوى وكانت له عزاء

وفجأة.. طلبت الطلاق!!..

وتذكرت قوله ـ عز وجل ـ

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

(النساء/ ٣٥)

ذلك بأنه فى العلاقة الزوجية أسرار لا يدركها إلا الأقلون.

وربما لو انطلق أشياع الزوج وأشياع الزوجة.. لاختلط الحابل بالنابل ولم تدرك ما وراء هذا التغير من أسرار.. قد تجعل من الطلاق أمرا مفروضا.. وتأكد لدى ما أوصى به من ضرورة التراجع من قبيل مجلس الصلح أمام إصرار أحد الطرفين «فلعل له عذرا وأنت تلومه».

وليس من حق مصلح أن يستقصى الحقائق.. التى يحتفظ بها كل طرف لنفسه.. مدركا أن الاحتفاظ بها لون من الوفاء لشريك الحياة.

ورجعت إلى تاريخنا أستفتيه.. فطالعنى ذلك الموقف

عن «محمد بن معن الغفارى» قال:

أتت امرأة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقالت:

يا أمير المؤمنين: إن زوجى يصوم النهار، ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه. وهو يعمل بطاعة الله. فقال لها:

نعم الزوج زوجك!.

فجعلت تكرر عليه القول. وهو يكرر عليها الجواب.. فقال له «كعب الأسدى»: يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه!!.. فقال له عمر.

كما فهمت كلامها.. فاقض بينهما.. فقال كعب:

علىّ بزوجها، فأتى به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك. فقال: أفى طعام أو شراب؟. قال: لا.. فقالت المرأة:

يا أيها القاضى الحكيم أرشده

ألهى خليلى عن فراشى مسجده

زهده فى مضجعى تعبده

نهاره وليله ما يرقده

ولست فى أمر النساء أحمده[٤]

فقال زوجها:

زهدت فى فراشها وفى الحجل

إنى امرؤ أذهلنى ما نزل

---

(٣) رواه أحمد [illegible]

(٢) السجسج: الهواء المعتدل بين الحر والبرد

(٤) الأذكياء: ١٧٤ لابن الجوزى

في سورة النمل وفي السبع الطول

وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال «كعب»:

إن لها حقًا عليك يا رجل

تصيبها في أربع لمن عقل

فأعطها ذاك .. ودع عنك العلل (التعلل)

ثم قال كعب: إن الله ـ عز وجل ـ قد أحل لك مثنى وثلاث ورباع.

فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة.

فقال عمر لكعب:

والله ما أدرى من أى أمريك أعجب؟.

أمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما؟!.. اذهب فقد وليتك قضاء البصرة..

والموقف حافل بالدروس المفيدة.. ومنها:

١- تحيلت نفسي هناك فماذا تقول «الجماهير»؟

إنهم يعلنون عدم رضاهم عن تصرف زوجة تشكو زوجها العابد الزاهد للحاكم.. وهو «عمر» بالذات؟!. ولكن الأمر مضموم على سر خطير لا يدركه إلا المجربون على ما قيل!

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة . إلا من يعانيها!

٢- مجلس الخليفة عامر بالناصحين.. المخلصين.. وليس بالمنافقين المترلفين.. وهي القيمة التي تحدرت إلى حفيده «عمر بن عبدالعزيز» ـ رضي الله عنه ـ حين عين ـ فور تسلمه زمام الخلافة ـ من يدله على أي تجاوز يقع فيه!..

وتحمل هؤلاء المخلصون مع رأس الدولة هموم الأمة.. ولم يتركوه يصارع الموج وحده.

٣- لم تجيء الزوجة شاكية ولا باكية.. ولكن كان همها الأكبر أن تلقي الرجال درسًا في الحياة.. قد يعقلون عنه.. وتأمل من أدبها لما قالت:

(وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله)

تمامًا كهذه المرأة التي جاءت رسول الله ﷺ تشكو أباها الذي زوجها ممن لا تريده. فقد أمضت قرار أبيها. لكنها فقط تريد إعلام الأمة بحقها ومن على شاكلتها.

وقد كان شيخنا المرحوم «محمد الغزالي» يقول:

إن أفضل نداء: يا عباد الله.. فهو أكمل من: يا أيها المواطنون، ذلك بأن نسب السماء أبقى من نسب الأرض..

وكذلك هنا: فقد تجاهلت الزوجة مشاعرها.. لأن زوجها راكع ساجد لله ـ تعالى ـ

وأذكر هنا ذلك الزوج الذي كان يعود من عمله كل يوم ليجد امرأته تصلي!!.. فأنكر عليها أن يتحول البيت إلى «مسجد»!!.. ولم تكن بالرجل كراهة للمسجد ولا للساجدين.. وإنما هو حقه.. بعدما يكون قد رأى في الشارع العام من مشاهد تثير غضب الحليم؟!.

٤- كان سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ على غاية ما يكون الذكاء.. ولكنه في ناحية الأسرة لم يكن مجربًا.. فاحترم التخصص لما أحال «القوس إلى باريها» وهو: كعب ـ رضي الله عنه ـ ولم يقدح ذلك في خلافته.. لأن هموم الإدارة لم تترك له بقية لمثل هذه المشكلات التي يتصدى لها أهلها.

٥- كان من فقه المرأة أن تحفظ سرها مع زوجها.. مهما كان الثمن عاليًا..

إن سرك في دمك.. فإن أفشيته.. نزف من عروقك إلى عروق الآخرين.. وإذا كان الإنسان يحمي ما في يده من هجمة اللصوص.. فأحرى به أن يحمي أسراره.. لماذا؟.

أ- لأن من يفشي سره.. يتحكم فيه غيره.

ب- وأيضًا.. من يفشي سره.. يكثر أعداؤه.

يقول البقاعي هنا:

إن أمر ما بين الزوجين مؤخر حكمه إلى لقاء الله ـ عز وجل ـ حفيظة على ما بين الزوجين، ليبقى سرًا لا يظهر أمره إلا الله ـ تعالى ـ.. وهو:

(إبقاء للمروءة في ألا يحتكم الزوجان عند حاكم في الدنيا، وأن يرجع كل واحد منهما إلى تقوى الله وعلمه بلقاء الله).

وقد أحسنت هذه الزوجة صنعًا عندما ابتلعت آلامها.. ولم تشك إلى واحد من الصائدين في الماء العكر.. ولكنها اتجهت إلى الفاروق ـ رضي الله عنه ـ ومثله من يحفظ السر ويحكم بالعدل.. لا بل يختار من يحكم بالعدل.. وهو «كعب» ـ رضي الله عنه ـ والذي أصدر أمره ليكون محافظًا للبصرة.. لخصوصية فيه.. وليست حاجة من حاجات الدنيا.. وكان اختياره دليل إخلاصه وآية حبه للعدل والعادلين في شخص واحد من رجاله الذين كانت كفاءتهم في الأداء «مقتضيا» ولم تكن «مانعا».

طرائف .. ومواقف

مضار التكلف

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول:

﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (ص ٨٦)

وقال حكيم: من تطبع بغير طبعه، نزعته العادة حتى ترده إلى طبعه، كما أن الماء إذا أسخنته وتركته عاد إلى طبعه من البرودة. والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لا تثمر إلا مرًا.

وقال غيره: ليس الفقه بالتفقه، ولا الفصاحة بالتفصح، لأنه لا يزيد متزيد في كلامه، إلا لنقص يجده في نفسه.

وقال حفص بن النعمان: المرء يضع نفسه، فمتى ما تبله ينزع إلى العرق (أي متى ما تختبره يستحيل إلى أصله)

وقال العرجي

يا أيها المتحلي غير شيمته

ومن شمائله التبديل والملق

ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه

إن التخلق يأتي دونه الخلق

وقال آخر:

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه

يدعه ويغلبه على النفس خيمها

الرضا عن النفس

قال بعض الحكماء: من رضي عن نفسه، أسخط عليه الناس

وقد بين الشاعر ابن كشاجم، سبب هذا الإسخاط فقال

لو أرى عن عيني محاسن سخطها

ورضى الفتى عن نفسه إغضابها

ولو أنني عنها رضيت لقصرت

عما تريد بمثله آدابها

وتبينت آثار ذاك فأكثرت

عذلي عليه فطال فيه عتابها

من كلام ابن عباس رضي الله عنهما

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:-

كتب إلي عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه:-

أما بعد فإن المرء يسره إدراك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها، وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحا، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا، وليكن همك ما بعد الموت

الاستدلال بالضمير

كتب حكيم إلى حكيم: إذا أردت معرفة ما لك عندي، فضع يدك على صدرك فكما تجدني كذلك أجدك.

وقال غيره: إياكم ومن تبغضه قلوبكم، فإن القلوب تجازي القلوب.

وقال ذو الإصبع

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم

ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

وقال محمود الوراق:

لا تسألن المرء عما عنده

واستمل ما في قلبه من قلبكا

أقول: هذا قد يصح إذا كان القلب سليما من غمرات الشياطين، صافيا نقيا تنطبع فيه الأمور المعنوية كما تنطبع الصور في المرآة. وليس مثل هذه القلوب إلا للأنبياء والصديقين والحكماء... أما العامة ومن في حكمهم فقلوبهم معتمة بالأهواء، صدئة بالظنون والأوهام، فلا يجوز أن يوثق بما تصوره لأصحابها، ومن يفعل ضلّله ولا كرامة.

حكمة بالغة

عرضنا أنفسا عزت علينا

عليكم فاستخف بها الهوان

ولو أنا منعناها لعزت

ولكن كل معروض مهان

الأخ الحق

من كلام المثقب العبدي

فإما أن تكون أخي بحق

فأعرف منك غثي من سميني

وإلا فاطرحني، واتخذني

عدوا أتقيك وتتقيني

فإني لو تعاندني شمالي

عنادك ما وصلت بها يميني!

أمثال سائرة

لابن عبدربه مؤلف: العقد الفريد، شعر جيد منه ما جعل في كل بيت منه مثلا أو مثلين مثل قوله:

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم

هل من جديد على كر الجديدين

صل من هويت وإن أبدى معاتبة

فأطيب العيش وصل بين إلفين

واقطع حبائل خل لا تلائمه

فربما ضاقت الدنيا باثنين

فكرت فيك أبحر أنت أم قمر

فقد تحير فكري بين هذين

إن قلت بحرا وجدت البحر منحسرا

وبحر جودك ممتد العبابين

أو قلت بدرا رأيت البدر منتقصا

فقلت شتان ما بين البدرين

«وصايا حربية»

قال أبو بكر لخالد بن الوليد حين أرسله في حرب الردة: «اعلم أن عليك عيونا من الله تراك وترعاك؛ فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة، ولا تغسل الشهداء؛ لأن دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة».

وأوصى هارون الرشيد أحد قواده فقال: «أنت تاجر الله في عباده، فكن كالمضارب الذكي إن وجد ربحا اتجر، وإلا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة قبل أن تتأكد من السلامة وكن أحرص من عدوك، فإنه يحتال عليك كما تحتال أنت».

«من يعتمد في المشورة»

قال حكيم: لا تدخل في مشورتك بخيلا في عطاء فيقصر بك، ولا جبانا في حرب فيخوفك، ولا حريصا في بذل فيصدك؛ فإن البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله.

وروى أن زيادا - وكان من كبار الولاة في القرن الإسلامي الأول - استشار رجلا في أمر، وكان متحفظا فامتنع من إبداء رأيه فقال له: حق للمستشار أن يكون ذا عقل وافر، واختبار متظاهر، ولا أراك كذلك.

وقال حكيم. لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا العطشان حتى يروى، ولا الأسير حتى يطلق، ولا المقل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح.

وقال شاعر:

خصائص من تشاوره ثلاث
فخذ منها جميعا بالوثيقة
وداد خالص ووفور عقل
ومعرفة بحالك في الحقيقة
فمن حصلت له هذي المعاني
فتابع رأيه والزم طريقه

وقال شاعر غيره.

وإذا الأمور عليك يوما أشكلت
فاعمد لرأي أخ نصيح مرشد
واحفظ نصيحة من بدا لك وده
وبرأي أهل الخير جهدك فاهتد

وقال آخر:

فما كل ذي ود بمؤليك نصحه
ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد
فحق له من طاعة بنصيب

«السيادة»

نظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال: إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه؛ فسمعته أمه هند فقالت: ثكلته إذا لم يسد غير قومه.

ودخل ضمرة بن أبي ضمرة على النعمان بن المنذر وكانت به دمامة شديدة، فالتفت النعمان إلى أصحابه وقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

فقال ضمرة: أيها الملك إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإن قال قال ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان.

قال النعمان: صدقت. وبحق سودك قومك.

«دعاء»

(اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، إنك لاتخلف الميعاد. ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

نفقة هي خير صدقة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

هذه الصدقة نوع من أنواع الصدقات التي لاتكلف المسلم شيئا. إنها طعام المؤمن وشرابه. وكسوته وسائر متطلبات أمور حياته المعيشية له ولزوجه وأولاده ومن تلزمه نفقتهم. فهل يصدق أحد أن ما سبق من إنفاق يمكن أن يكتب للمسلم صدقات طيبات مقبولات عند الله تعالى؟! نعم.. إن المؤمن يصدق ذلك ويعلمه فالله الرحمن الرحيم قد فتح للمسلم أبوابا للخير لاتعد ولا تحصى.

من ذلك أن جعل الله إنفاق الزوج على زوجته وعياله ومن تلزمه نفقتهم صدقة عظيمة مقبولة، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة. ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك». [1]

وروى مسلم، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ.

(1) رواه مسلم عن أبي هريرة

«أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله»[٢].

ويقول رسول الله ﷺ:

«إذا كان أحدكم فقيرا فليبدأ بنفسه، فإن كان فيها فضل فعلى عياله، فإن كان فيها فضل فعلى ذي قرابته» أو قال: «على ذي رحمه، فإن كان فضل فها هنا وها هنا»[٣].

«إذا كان أحدكم فقيرا» أي: لا مال له ولا كسب يقع موقعا من كفايته «فليبدأ بنفسه» أي يقدمها بالإنفاق عليها مما آتاه الله «فإن كان فضل» بسكون الضاد، أي: شيء زائد بأن فضل بعد كفايته زيادة «فعلى عياله» أي الذين يعولهم وتلزمه نفقتهم «فإن كان فضل فعلى ذي قرابته» من أصوله وفروعه وذي رحمه يقدم الأقرب فالأقرب، والأحوج فالأحوج «فإن كان فضل فها هنا وها هنا» كناية عن الإنفاق في وجوه الخير المعبر عنه في رواية أخرى باليمين والشمال[٤].

الأفضل في الصدقة تنويعها

قال الإمام النووي: «إن الابتداء في النفقة على هذا الترتيب وأن الحقوق إذا تزاحمت قدم الآكد فالآكد، وأن الأفضل في صدقة التطوع في تنويعها في جهات البر».

وقال أيضاً:

مقصود الباب الحث على النفقة على العيال وبيان عظم الثواب فيه، لأن منهم من تجب نفقته بالقرابة، ومنهم من تكون مندوبة وتكون صدقة وصلة ومنهم من تكون واجبة بملك النكاح أو ملك اليمين، وهذا كله فاضل محثوث عليه. وهو أفضل من صدقة التطوع. ولهذا قال ﷺ في رواية ابن أبي شيبة: «أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» مع أنه ذكر قبله النفقة في سبيل الله وفي العتق والصدقة ورجح النفقة على العيال على هذا كله لما ذكرناه وزاده تأكيدا بما رواه أبو داود في سننه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»[٥].

وعن المقدام بن معدي كرب قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة»[٦].

ثواب النفقة الواجبة

وهذا يعني بكل وضوح أن الله ـ تعالى ـ يثيب المؤمن عن النفقة الواجبة عليه لنفسه وزوجه وأولاده وخادمه كثواب الصدقة بل أعظم، كما ثبت في الأحاديث السابقة.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا» قال رجل: عندي دينار. قال: «تصدق به على نفسك» قال: عندي دينار آخر. قال: «تصدق به على زوجك» قال: عندي دينار آخر. قال: «تصدق به على ولدك» قال: عندي دينار آخر. قال: «تصدق به على خادمك» قال: عندي دينار آخر. قال: «أنت أبصر به»[٧] يعني أنت أدرى بذوي قرباك.

والسؤال المهم الذي نطرحه هنا هو: هل كل مسلم ينفق على نفسه وأولاده وخادمه يكون له ـ في نفقته تلك ـ ثواب الصدقة؟ أم أن لذلك شروطا؟ والإجابة عن ذلك أن ليس لكل مسلم ذلك، بل يشترط في نفقته لتكون صدقة مقبولة أن ينوي بها التقرب إلى الله ـ تعالى ـ وهذا القيد جاء صريحاً في الحديث.

إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة[٨].

ففي هذا الحديث الشريف بيان واضح على أن المراد بالنفقة التي تكون صدقة للمسلم هي التي ينفقها على أهله وهو يحتسبها، أي: يريد بها وجه الله تعالى، بمعنى أن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق على زوجه وأطفاله وخادمه وغيرهم ممن تجب عليه نفقتهم.

الصدقة.. بين اليقين والغفلة

ومما تقدم: فلا يدخل في الصدقة ما أنفقه المسلم على نفسه أو عياله وهو ذاهل أو غائب عن احتسابها، والتقرب بها إلى الله ـ تعالى ـ طاعة وامتثالا لأمره. ومما يوضح ذلك ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك».

وعبارة: في في امرأتك أي في فم امرأتك أي تثاب على ما تنفقه على زوجتك من طعام وغيره.

وعلى هذا فالفرق عظيم بين من ينفق على أهله وفي يقينه الله الحميد الغني وبين من ينفق على أهله وهو غافل عن ربه لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

---

(٢) رواه مسلم عن ثوبان.
(٣) [illegible]
(٤) سنن أبي داود
(٥) [illegible]
(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل

(٧) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي
(٨) رواه البخاري ومسلم

حقيقة الوحي المحمدي

من الحقائق العليا، التي ترتفع فوق مستوى الخلاف، أن الشعور بالتدين جزء من التكوين البشري العام. فإذا كانت النظرة الأولية للكون وللحياة بشكل عام، تؤكد على أن للوجود روحا تسري بين مفرداته. وتربط بينها برباط وحدة المنشأ ووحدة الغاية، وتربط بينها - فيما بين المنشأ والغاية - في تناسق عجيب ينطق بوحدة الصانع - جل وعلا - حتى لا تكاد نشعر بتنافر أو تصادم، أو حتى مجرد شقاق في عمل هذه المفردات.. إذا كانت النظرة الأولية تؤكد على ذلك فيما هو مبثوث في الكائنات التي حولنا.. فإن هذه الروح تشمل الإنسان نفسه، وتربط بينه وبين هذه الكائنات حتى إنه ليشعر أنه يدور في فلكها، لا يتخطاها، ولا تعدوها قدرته، وليس يدور في خلده أن ينشىء لنفسه عالما آخر، أو أن يغير ولو شيئا يسيرا في نواميس هذا الكون المحيط به.

إن غاية ما يستطيع الإنسان أن يثبته لنفسه من قدرة ومن سطوة، هو أن يأخذ من مادة هذا الكون، ليعيد ما أخذه في صورة أخرى، بعد أن يعمل فيها فكره ويطوعها بما أعطاه الله من عقل، لتتكيف مع أهدافه الجديدة، لكنها لا تخرج في نهاية الأمر عن أنها جزء من مادة هذا الكون، الذي يدور في فلكه لا يتخطاه.

يقول الحق سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

(الرحمن: ٣٣)

وأنى له السلطان والغلب الذي يمكنه من ذلك؟ وهو جزء لا يتجزأ مما تحويه أقطار السموات والأرض.

ومن هنا كان هذا القانون العلمي العام «المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم».

إن هذه الرابطة الوثيقة، التي تربط الإنسان بروح الكون المحيط به، هي ما يصطلح عليه باسم «الدين» في إطاره العام، ومفهومه الواسع، «فالدين بهذا الاعتبار، شعور بالارتباط الطبيعي بين الإنسان وروح الكون.

«وإذا كان الدين هو هذه العلاقة الطبيعية بين الإنسان وروح الكون، في مستوى الشعور بالعلاقة الموجودة بين مادته ومادة الكون، فلا يستطيع مهما بذل من المجهود أن يتخلص من الشعور بهذه العلاقة، ولا أن يعفي نفسه من العمل لها. فإذا قلنا: إن الإنسان لا يمكنه أن يعيش بلا دين، فلا نكون مغالين، بل نكون مماشين لطبيعة الأشياء.

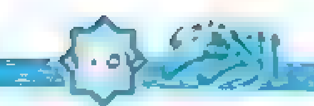
«فإذا كان قد أصاب الدين فتور في بعض الأحيان، فذلك في مظاهره الخارجية، لا في جوهره وحقيقته، ولا في شعور النفس بالحاجة إليه»[1] اقرأ معي قول الحق - تبارك وتعالى - في هذه الآية المباركة التي تؤكد على أن شعور المرء بحاجته إلى الدين فطري، وأن شعوره بأن فوق الكون قوة عليا تهيمن عليه - بخاصة في اللحظات الحرجة، التي تتساقط فيها المظاهر الكاذبة كأوراق الخريف، ولم يعد هناك مفر من الاعتراف بالحقيقة المجردة - جزء أصيل في طبعه يقول تعالى

﴿ [illegible] لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(يونس: ١٢)

وكانت الرسالات السماوية من لدن آدم - عليه السلام - إلى محمد ﷺ لتقيم هذه العلاقة على طريق مستقيم، يقف فيها الإنسان على ما يجب أن يقف عليه من الحدود الواضحة المعالم بين هذا الإنسان، وبين خالق هذا الكون ومدبره ومسيره على سنن من الحركة لا تختل ولا تعتل، وكلما ضل البشر، ونسوا حظا مما ذكروا، بعث إليهم برسول يذكرهم ما نسوا، ويعيدهم إلى الطريق القويم، حتى جاء خاتم المرسلين ﷺ بخاتمة الرسالات، التي تعم البشرية كلها، وتشملهم بتعاليمها السمحة الرشيدة، وجاء بالمعجزات الكبيرة التي تخاطب العقل البشري في أنضج مراحله، لتؤكد على أن هذا الدين هو خاتم الأديان، وأن تعاليمه وقواعده هي

(١) محمد فريد وجدي في كتابه «الإسلام في عصر العلم» ص٣٠.



أصلح ما نزل من السماء، وما جاءت به الرسالات السماوية إلى البشر.

إلا أن البشرية لم تقف كلها من هذه الرسالة موقفاً عدلاً أعني موقف المعترف بها، المؤمن بقداستها، المصدق لمن جاء بها من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ لكنها انقسمت إلى فريقين

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾

(الأعراف: ٣٠)

وظلت الدعوة الإسلامية تصارع الكفر مدة الرسالة كلها. ولكنها في نهاية الأمر كانت هي المنتصرة بالرغم من العوامل الكثيرة التي كانت تؤذن بأن هذا الدين سيموت في مهده، وسيقضى عليه في أولى خطواته على هذه الأرض، ولكن الحق الأعلى هو الذي كان يدير المعركة من فوق سبع سموات:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(التوبة: ٣٢ ـ ٣٣)

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر: ٥١)

حارب الأعداء الإسلام حرباً شديدة، لا هوادة فيها ولا رحمة: حاربوها بالسنان وباللسان، بل كانت حرب اللسان أشد هولا من حرب السنان. حيث أثاروا حولها كثيراً من الشبهات الرخيصة، التي لم يثبت منها شبهة واحدة أمام شمس الحقيقة الساطعة. واستمرت هذه الحرب من أول يوم ظهر فيه الإسلام إلى يومنا هذا. حيث كان مما زعمه هؤلاء الأعداء، أن هذا القرآن من عند محمد ﷺ وأن ما فيه من تعاليم وأسس عقدية وتشريعية وأخلاقية، إنما هو من وحي نفس محمد ﷺ ومن التعليمات التي استوحاها من كتب التوراة ومن الأناجيل. ومن مناقشاته مع رؤساء النصارى وأحبار اليهود الذين قابلهم في أسفاره التجارية قبل البعثة.

ولكن تعالوا بنا نرد على بعض مزاعم هؤلاء الأفاقين، الذين يدعون الحيدة والنزاهة في البحث عن الحقيقة المطلقة في أمر الأديان ومصادرها، وما كان منها صحيحاً وما كان فاسداً، ونترك الرد على باقي هذه المزاعم لمقال تال إن شاء الله.

إن من ينظر إلى تعاليم الإسلام وأسسه في العقائد والعبادات والتشريعات نظرة مستقلة بعيدة عن التعصب البغيض، الذي يميل بصاحبه عن جادة الصواب، وهو يقارن بينه وبين ما سبقه من الأديان. وبخاصة اليهودية والنصرانية وكتابيهما «التوراة والإنجيل».. يرى «أن عقائد الإسلام من توحيد الله وتنزيهه عن كل نقص. ووصفه بصفات الكمال. والاستدلال عليها بالدلائل العقلية والعلمية الكونية، ومن بيان هداية رسله به ومن عباداته وآدابه المزكية للنفس، المربية للعقل، ومن تشريعه العادل وحكمه الشورى المرقي للاجتماع البشري ـ كل ذلك أرقى مما في التوراة والأناجيل وسائر كتب العهدين القديم والجديد، بل هو الإصلاح الذي بلغ به دين الله أعلى الكمال.

ومن نظر في قصص آدم ونوح وإبراهيم ولوط وإسحق ويعقوب ويوسف من سفر التكوين، وسيرة موسى وداود وسليمان وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء في سائر أسفار العهد القديم، ثم قرأ هذا القصص في القرآن، يرى الفرق العظيم في الاهتداء بسيرة هؤلاء الأنبياء العظام. ففي أسفار العهد القديم، يرى وصف الله تعالى بما لا يليق من الجهل والندم على خلق البشر والانتقام منهم»[2]

زعم أعداء هذا الدين، أن القرآن من عند محمد ﷺ وأنه محصلة الوحي النفسي، الذي أنتجته قريحته الوقادة، وصاغته نفسه الزكية، وليس من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ ولكننا نقول نعم. لقد كان محمد ﷺ ذا نفس زاكية، وقلب طاهر، وعقل راجح، ولكن الله ـ عز وجل ـ هو الذي زكى نفسه، وطهر قلبه، ورجح عقله، وبغضه فيما كان عليه قومه من مفاسد الجاهلية وأوضارها. وحال بينه وبين ما سقط فيه أقرانه من خمر ونساء، وعبادة للأوثان، ليعده لهذه المهمة الجليلة، التي تتقطع دونها الأنفاس، وتدق في سبيل تحقيق بعضها الأعناق، ورباه تربية فريدة. لم يثبت التاريخ أثراً واحداً فيها لبشر؛ حتى امتدحه رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه الكريم بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

وقال أيضاً:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وقال هو عن نفسه: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[3]

حتى إذا بلغ سن الأربعين، وهي السن التي اقتضت منة الله أن يرسل أغلب رسله عليها وحان وقت نزول الوحي المبارك، بدأت الآيات تترى على هذا القلب الطاهر الشريف، ليقلب حياة الأمة العربية رأساً على عقب؛ لتكون بعد ذلك هي التي تتحمل هذه الأمانة

---

[2] [illegible]

[3] كشف الخفاء



الكبرى، وتنشر هذا الدين شرقاً وغرباً، وتحقق من المعجزات ماعجزت عن بعضها كل دعوات الإصلاح السابقة واللاحقة في زمن قياسي..!!

«ففي عشر سنين، تم توحيد الأمة العربية التي كانت أعرق أمم الأرض في الشقاق والتفرق والعداء، وإنما كان ذلك بتأثير كتاب الله وتأييده ـ عز وجل ـ لرسوله

﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[الأنفال: ٦٢، ٦٣]

وبما أعده الله تعالى له من إتمام مكارم الأخلاق، وما وفقه وأرشده إليه من حسن السياسة في قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

[آل عمران: ١٥٩]

وذلك أن العرب كانت أعصى خلق الله على الخضوع والطاعة والانقياد، لعراقتهم في الحرية، وشدة بأسهم، وعدم ابتلائهم بالملوك المستبدين القاهرين، والرؤساء الروحيين المسيطرين، الذين يذللون الأمم ويخضعونها لكل ذي سلطان قوي»[٤].

لقد كان نجاح محمد ﷺ في نشر دعوته في هذه المدة الوجيزة، التي لم تتجاوز العقدين من الزمان إلا يسيراً. حتى اقتحم على الفرس وعلى الروم أعتى حصونهما، بما أرسل إليهما وإلى باقي ملوك وحكام الأمم المحيطة بالجزيرة العربية برسائله الخالدة

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

[آل عمران: ٦٤]

«فإن توليتم فعليكم إثم المجوس»..
«فإن توليتم فعليكم إثم الأريسيين»..
لقد كان نجاح محمد ﷺ وأصحابه من بعده في نشر هذا الدين في هذه المدة القليلة، معجزة في ذاته، ما كان هذا النجاح إلا بفضل ما أنزل الله ـ عز وجل ـ على قلبه الطاهر من آيات هذا الكتاب الخالد، ولم يكن محمد ﷺ من أمر إلا أنه

(٤) الشيخ محمد رشيد رضا «الوحي المحمدي» ص٢٣٦

بلغه إلى الناس كما جاءه من عند ربه، بواسطة أمين الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ وكما ستقر في نفسه الطاهرة

فلو أن هؤلاء الطاعنين على الإسلام، وقفوا أنفسهم وأبحاثهم على البحث المحايد في حقيقة الإسلام، وفي تكوين شخصية رسوله ﷺ وكيف أعده الله ـ عز وجل ـ لتحمل هذه الرسالة ـ وهذا شيء ممكن في ظل تقدمهم الكبير في العلوم التحليلية النفسية والاجتماعية من جانب، وتوفر المعلومات الدقيقة حول شخصية هذا النبي الكريم من جانب آخر ـ لو أن هؤلاء الطاعنين على الإسلام، وقفوا أنفسهم في صدق وأمانة على هذه الدراسة، وكيف اختار الله من بين العرب هذه الثلة من الرجال العظماء الذين حملوا راية هذا الدين من بعده ـ عليه السلام ـ ولو أنهم درسوا كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ دراسة مستفيضة يبغون من ورائها الوصول إلى الحقيقة الخالصة، مجردة من كل حكم مسبق، لما كانت هذه الأحكام التي يصدرونها ضد هذا الدين.

«إن سوء فهم الإسلام في الغرب بصفة عامة يرجع أساساً إلى تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة. فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم، ليست وليدة ظروف جديدة طارئة، وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية. بل حتى قبل الحروب الصليبية. حينما فتح المسلمون الأندلس. وحينما فتح العثمانيون فيما بعد القسطنطينية وحاصروا العاصمة النمساوية فيينا.

وقد شهدت العصور الوسطى في أوروبا الكثير من الافتراءات ضد الإسلام والمسلمين وراح اللاهوتيون النصارى في ذلك الوقت المبكر ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ»[٥].

إن عظمة الإسلام ونبيه الكريم ﷺ ليسا في حاجة ـ من أجل الاعتراف بهما والدعوة إليهما ـ إلا إلى فكر مستقل، وعقل لا تعلوه غشاوة التعصب، وقلب لا يرين عليه صدأ الأحكام المسبقة، وأذن تحسن الاستماع إلى كلمة الحق. ولكن صدق الحق فيما قال:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

(الأنفال: ٢٣)

(٥) «الإسلام والغرب» محمود حمدي زقزوق، ص١١٩

قضايا أصولية حول دلالات الألفاظ



يقول الله تعالى:

﴿ ... فاكتبوه ﴾ (البقرة: ٢٨٢)

جلس إلى صاحبي وهو يردد هذه الآية الكريمة في صوت متهدج متأنيا متأملا أمرها ونهيها وشرطها كأنه يستدرجني للحديث أو يستحثني للحوار ثم قال أعجبني قولك في اللقاء السابق: إننا استنبطنا من الآية حكما لم يرد صراحة في النص فذلك إعمال جيد، وفهم مستقيم. قلت على الفور مصوبا: ليس هذا قولي إنما هو قول علماء الأصول فهم الذين روينا عنهم أن الآية بمنطوقها تضمنت لازما لها لم يرد صراحة في النص لأن قوله تعالى: (فاكتبوه) أمر وعليه فمن كان له دين ثابت بالكتابة فالورقة المحررة المكتوب فيها الدين دليل في الإثبات فلست في حاجة مع وجود الورقة المكتوبة إلى شهادة شهود أو إقامة أدلة أخرى.

قال صاحبي مبتهجا مسرورا: ما أجل علم أصول الفقه وأعظم رجاله ثم أردف قائلا: وإنا أرى أنك حفي به كأنما تعشقه فأراك تتحين أي فرصة للحديث عنه وإيراد مسائله وموضوعاته وقد سمعت منك ذات يوم عبارة ترددها في شغف تقول فيها: (ليس الفقيه من يقول هذا حلال وهذا حرام إنما الفقيه من يعطي الرخصة عن ثقة ومن يستخرج الحل من أدلة الحرمة) ثم قال ملاطفا: أرجو أن توضح لي معناها على أن أشاركك غبطتك وشغفك (١).

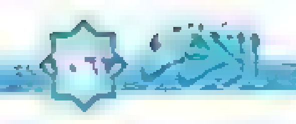
قلت مجيبا صاحبي في ود صادق: حتى يتضح المعنى لابد من التمثيل فالمثال يتضح المقال.

وقبلا أرجو أن نحدد الفرق بين الفقيه وبين من يحفظ حكم بعض المسائل ولكنه لا يستطيع أن يقول رأيا فيما يعرض له وإن كنا نحمد له أمانة النقل وجودة الحفظ إلا أنه ليس الفقيه الذي نريده أو نقصده. إنما الفقيه الحق العارف بعلل الأحكام وتأصيل المسائل وتأسيسها على الأدلة فهذا عنده علم بالأصول وقواعد تخريج الأحكام على المسائل الفرعية واثق من أدلته يعرف ما يقول ويفهم كيف كان الحكم ولم كان هذا ولم يكن ذاك؟ فإذا أفتى في مسألة أو أجاز رخصة فذلك عن ثقة بالأدلة وفرق بين هذا الفقيه العالم بالأدلة والقواعد الذي يقول عن علم ويصدر عن قناعة بقواعده، فرق بين هذا وبين مغرور مخدوع أو حافظ مردد يقول عن ادعاء أو يصدر عن جهل ويفتري لطلب الدنيا وإرضاء لهوى متبع أو مناصب زائلة ومساكين مخدوعين تمدح الناس لأنه صادف حكما أعجب الناس. ثم قلت لصاحبي: أرى أنه حان وقت المثال لتوضيح ما نحن بصدده- وهو كيف تستخرج الحل من أدلة الحرمة؟ ثم قلت لو أن وباء حدث في بلد ما- عافانا الله وإياك- وبذلت جهود لمحاصرة الوباء ثم صدر بيان بتحديد الأماكن الموبوءة وتحريم القرب منها والدخول إليها ألا ترى أن ما أخذ من هذا الحظر وتحديده للأماكن الموبوءة إباحة الأماكن الأخرى وكذلك الأحكام الفقهية وكذلك فهم الفقيه العالم الذي يعمل في ضوء قوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨)

أعتقد أن هذا مثال جيد (لاستخراج الحل من أدلة الحرمة) في مثالنا لا يوجد دليل ولا نص على إباحة أماكن بعينها في هذا البلد المصاب لكن الفقيه العالم البصير استخرج بفهمه وبصيرته دليل الإباحة من صميم أدلة المنع! قال صاحبي- وعيناه تبرقان بومضة ذكاء وقاد: نعم، لقد وضح الأمر واستبان لي أن فقهاءنا يتزعون عن فقه مستقيم وعلم مؤسس على قواعد راسخة ثم قال- وكأنه يريد أن يصاول أحدا بثرائه وتالد عزه: هل من دليل آخر على ما قلت يطبق هذه القاعدة؟ قلت مرحبا: نت ما قلت أمثلة وليس مثالا قال: لا يكفيني مثال واحد ودليل واحد فيه استخراج الحل من أدلة الحرمة قلت: لا، سوف آتي لك بتاليين لأول قوله ﷺ: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) (١) فهنا دليل على تحريم بكاء أهل الميت عليه وأنه يعذب ببكائهم عليه.

نعم، قال الفقهاء: إن هذا مقيد بما إذا أوصى هو بأن يبكوا عليه ليس ذلك الذي يعنيني الآن لكن الذي يعنيني وشاهدي فيما نحن بصدده أن عمل أهل الميت السيئ وهو البكاء عليه يصل وزره إلى الميت ويعذب عليه مع أنه لم يعمله هو أليس كذلك بموجب النص؟



قلت: نأخـذ من هذا حكمين الأول تصويب لفهم خاطئ درج عليه وما وتمسك أو قل: تعنت في قسره وقصره وحصره أناس لأغراض في نفوسهم أو لتسرع أو عدم وعي بالألفاظ والنصوص. وضيق أفق حروا عليه وتصور أن الفقه هو كم معلومات محفوظة يرددونها وكفى بذلك علما. أقول: نحن لا ننكر أن المعلومات والنصوص شيء مهم وضروري لكن يبقى بعد ذلك وفوقه ما يتفاوت فيه الناس هو مقابلة النصوص وإعمال المتعدي منها والتقاصر في حدوده لا يتجاوزه إلى غيره في ضوء يسر الشريعة وقوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج ٧٨)

وقوله ﷺ: (يسروا ولا تعسروا)[٢]

حيث إن كثيرين فهموا قوله ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[٣] فهموا الحديث بل قل: حجروا وضيقوا الفهم حتى جعلوه لا يصل إلى الميت ثواب أي عمل بعد موته إلا هذه الثلاث: مع أن نص الحديث لا يؤيد هذا. ولا يشير إليه وإذا فهمنا الحديث فهما مستقيما دون أفكار ملتوية مسبقة أو جمود متعنت.

نقول: إن الحديث يرشد إلى أن عمل الإنسان ينتهي بموته فما عاد يعمل لأن الدنيا دار عمل لا جزاء والآخرة دار جزاء لا عمل فلا يمكن للإنسان أن يعمل بعد موته فقد انقطع عمله وتوقف رصيده من الحسنات فلا زيادة فيه عن طريقه هو فلا يملك أن يعمل ولا يستطيع فعليه أن يبادر بالعمل في دنياه حال حياته والحديث استثنى هذه الثلاث في رأينا لسببين: السبب الأول ليحث الإنسان على أن يعمل خيرا ويزيد في حسناته في حال دنياه. السبب الثاني أنه يدفع الإنسان لهذه الأعمال الثلاثة فيترك بعده من ماله صدقة جارية تنفع المسلمين بعده وتزيد في حسناته، كما أنه حث للعلماء أن ينشروا العلم في حياتهم فنشر العلم وتعليمه للناس له فضل كبير وثواب عظيم فالعالم الذي يعلم الناس أمور دينهم أو دنياهم له ثواب من عمل بعمله دون أن ينقص من أجر العالم شيء، أعتقد أن هذا الفهم الرحب المستنير هو ما يرمي إليه الحديث وإذا أضفنا إلى هذا الولد الصالح الذي يدعو له وإذا علم الإنسان أن حسن تربيته لولده وأسس التربية كما أنها تكون بالكلمات فإن من أنفعها قدوة صالحة فإن رآك ولدك بارا بأبيك تدعو له وتترحم عليه وتنشر علمه فعل مثلك عندما تلقى الله؛ فالحديث حث على هذه الثلاثة فهو دفع لعمل الخير بالصدقة الجارية وحث على بذل العلم وتدوينه وتعليمه للناس ولم تكن مأساتنا في الليث ابن سعد هينة ولا خافية ولا منكورة فالعالم الجليل الذي قيل: إنه كان أفقه من

مالك إلا أن تلاميذه أضاعوا فقهه لأنهم لم يعلموه للناس ولم يدونوه كما فعل تلاميذ الإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي- رضي الله عنهم وعن تلاميذهم- وهذا هو منهج الإسلام في العلم وبذله للناس وهذا المنهج الإسلامي العظيم دعا إليه وتميز به.

الحكمة الثانية أو السبب الثاني الذي يمكن أن نستخلصه من الحديث في ضوء الفهم الواعي الشامل للرسالة المحمدية نقول في ضوء هذه العبارة- ونحن نستخرج الحل من أدلة الخصومة- ما دام العمل السيئ من الغير وهو بكاء أهله عليه يصل جزاؤه إلى الميت- وهو من غير الأعمال الثلاثة التي أسلفت الكلام عنها وبينا سبب وصول ثوابها للميت بعد موته.

إن المقصود في الحديث هو حث الإنسان ودفعه لإتيانها وعملها والحرص عليها قبل موته وما دام الأمر كذلك فلماذا نمنع ثواب عمل صالح ونرفض أن يصل ثوابه إلى الميت وخصوصا أننا نعتقد أن العمل الصالح تصاحبه نية من الفاعل بأن يهب ثوابه للميت أما العمل السيئ- بكاء أهل الميت- فلم يشترط الحديث معه نية وفي ضوء هذه المعطيات والمسلمات لا نستطيع أن نقول أو نمنع- إن كان بيدنا المنع أو كنا نقدر عليه- وصول ثواب الأعمال الصالحة لكي يزول الإشكال- وبتعبير أكثر دقة وصراحة ووضوح لا إشكال فكل المعطيات والمسلمات توصلنا إلى معنى واضح مستقيم وهو أنه ما دام وزر الأعمال السيئة يصل للميت بعد موته- مع أنه لم تصاحبه نية- فمن باب أولى بل من أوسع الأبواب وهو باب رحمة الله التي وسعت كل شيء وفي ضوء النصوص الواضحة والفهم المستقيم لها نقول: إن ثواب الأعمال الصالحة يصل إلى الميت خصوصا وأنه تصاحبه نية هبة ثواب أعمال الناس إلى موتاهم. قال صاحبي: أين الدليل الآخر على أن الفقيه الحق هو الذي يستخرج الحل من أدلة الخصومة؟

قلت: أرجوك أن تتأمل في أناة وروية قول رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبضه بموت العلماء فإذا لم يبق من عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.) الحديث[٤].

ثم قلت: اسمح لي أن أعود إلى منطوق الحديث ومحل الشاهد الذي يعنينا هو قول النبي ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العباد ولكن يقبضه بموت العلماء) ثم قلت لصاحبي في تؤدة جد واهتمام ألا تفهم وتستشف من كلمات الرسول ﷺ المباركة حرزا للعلماء يأمنون به على ما في صدورهم من علم فلا يخافون محوه في ليل أو نهار بين عشية أو ضحاها أليس في هذا أمن؟!

٢- صحيح البخاري ١: ٣٧١

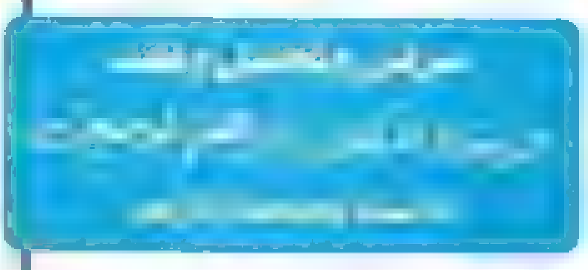
٣- صحيح الترمذي ١٣٧٦، إتحاف السادة المتقين ٦: ١١٤

٤- صحيح البخاري ١: ٣٦، صحيح مسلم كتاب العلم، مسند أحمد ٢/١٦٢، ١٩٠









قال سيدنا رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة. قال رسول الله ﷺ: فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء» (صحيح البخاري، وصحيح مسلم، عن جابر بن عبدالله).

فجاءت تلك المقالة منه ﷺ تبيانًا كاشفًا لما جاء به القرآن الكريم، ونبراسًا موضحًا يضيء للمسلمين طريقهم في مسيرتهم الحيوية داخل الإطار الإسلامي، فلم يجد واحد من المسلمين فيمن يخالفه الرؤية أو الفكر أو المعتقد عدوًا يستحق المحاربة أو المصارعة.. بل وجد فيهم الإخوة الذين تستوجب أخوتهم المعاملة الطيبة، والتعاون في الخير، والاستمتاع بأمور الحياة السوية، محافظين ـ بذلك ـ على وحدة الكيان البشري الذي جاءت به الديانات السماوية في تتابعها لتحافظ عليها، فلا إكراه في الدين، ولا بغضاء بسبب الاختلاف، ولا ضيق بممارسة تصدر من مخالف:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

أما ما شب من حروب فكانت ردًا لعدوان، أو دفعًا لتجاوز طائش، أو وقوفًا في وجه طغيان جامح.

ولذلك أصبح كل فرد مسلم ـ بأخلاقه الإسلامية، وسلوكه المتوازن ـ داعية إلى الإسلام وإن لم يباشر الدعوة الصريحة إلى الإسلام. فأقبل الناس على الإسلام في مشرق الأرض ومغربها؛ إذ وجدوا فيه ما يلبي الفطرة ويتسق معها

فكان من أبرز ثمار هذا التواصل... تلاقح الخبرات والقدرات، أو بالمنطق القرآني كان ذلك التعارف المرجو من وراء تعدد الشعوب وتباينها..

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

وكان هذا المسلك الإسلامي أحد أسرار الاختلاف بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى على الرغم من وحدة أصول جميع الأديان التي يلقي المؤلف «ريتشارد دبليو ـ بوليت» دراسته عليها.

المسيحية والإسلام على طريق التوأمة

فالمؤلف باستعراضه عوامل حتمية التقارب بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ـ يؤكد أن ما بين الحضارتين أشمل وأعمق من أن يكون تقاربًا فحسب؛ فما بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية من تناغم وتوافق يقرر أنهما توأم يرجعان إلى أصل واحد.

وفي جولة تاريخية مركزة... يطلعنا المؤلف على نشأة هذا التناغم، وطرقًا من مظاهره وأطواره

فإذا كان المسلمون قد واجهوا تحديًا في السيطرة على سكان ذوي توجه ثقافي إغريقي روماني، وتحديًا في تضمين هؤلاء السكان داخل الشريحة العليا الاجتماعية... فإن المسيحيين الأوائل قد سبق مواجهتهم بهذه التحديات نفسها.

هذا إلى أن استباق المسيحية للإسلام بستة قرون قد أسهم في تراكم فكر ديني، وتجربة مؤسساتية أصبحت متاحة للمسلمين بواسطة رعاياهم المسيحيين أو من اعتنق الإسلام منهم، حتى لقد كان هذا الإسهام أكثر من الإسهام في اعتناق جماهير كبيرة للمسيحية، حيث كان معظم سكان أوروبا الغربية مازالوا يقدسون آلهة متعددة، ويتبعون ممارسات وثنية في السر إن لم يكن في العلن، بينما كان الوثنيون نادري الوجود نسبيًا في الأراضي الإسلامية؛ ولذلك... كان على المسيحيين اللاتينيين في غرب أوروبا ـ من أجل كسب غير المسيحيين ـ أن يستوعبوا كثيرًا من الممارسات الوثنية، مثل شجرة الكريسماس، وتبني بعض الآلهة كقديسين مسيحيين، بينما كان معظم غير المسيحيين الذين أصبحوا تحت سلطة الخلافة الإسلامية ذوي توجهات توحيدية بالفعل.

أيًا ما كانت الملابسات... فقد بدأت الديانتان التاليتان لليهودية مسيرتهما في وقت واحد تقريبًا، وأخذتا ـ عن طريق التحول العقائدي ـ في إقامة مجتمعات إقليمية نظمت نفسها

أما المسلمون فقد توفرت لهم فرصة التنامي بدخولهم في مناطق كان فيها الكثيرون يعرفون هذا الإرث جيدًا. هذا إلى أنهم أفادوا من ترجمة النصوص الإغريقية إلى السريانية شديدة القرب من العربية، بينما لم يفد العالم المسيحي اللاتيني من الإرث الإغريقي لانحسار اللغة الإغريقية مع اضمحلال الإمبراطورية الرومانية.

فمع صلة المسلمين والمسيحيين بالإغريق... انتقل الإرث الإغريقي بدرجة كبيرة إلى المجتمع الإسلامي الناتج عن طريق الترجمة المباشرة عن الإغريقية أو عن السريانية أو الفارسية المستمدة من الإغريقية

القيادات الدينية المسيحية والمسلمة

ويلاحظ المؤلف: أن القيادات الدينية المسيحية والمسلمة في القرنين السابع والثامن الميلاديين كانت تدور في فلك المسئولين الذين يعينهم الخلفاء المسلمون أو الذين يعينهم البابوات والمجامع الكنسية للمسيحيين.

ويلاحظ: أن هذه القيادات من المتخصصين في الدين قد أثرت بقوة - سواء كانوا متماثلين أو مختلفين - في مسارات التطور الاجتماعي والسياسي اللاحقة في مناطقهم.

وقد ظهر التماثل بينهما في اللغة؛ حيث اعتمد المسيحيون على اللاتينية في أوروبا، واعتمد المسلمون على العربية في شمال إفريقية والشرق الأوسط، حيث تيسر لكليهما التحرك بسهولة نسبية من منطقة لأخرى

وظهر الاختلاف جذريا في نهج العلماء المسلمين والرهبان المسيحيين:

فبينما حصر الرهبان أنفسهم في أديرة مقامة في مواقع غير حضرية، إضافة إلى ما فرضه عليهم نظام الرهبنة من الانكماش وعدم التنامي، فلم يتمكنوا من تأسيس ذريات دينية وراثية.

كان علماء المسلمين ينطلقون من مكان لكان، سعياً لتحقيق أهدافهم. مثل جمع الأحاديث النبوية. هذا إلى أنهم كانوا يمارسون حياتهم الطبيعية بالتزاوج، والإنجاب، وإنشاء الأسر التي أخذت تلعب دورا مهما في الحياة الحضرية الاقتصادية والسياسية

هذا إلى أن مدرسي الأديرة احتفظوا بالنزر اليسير من مهام التعليم أثناء القرون التالية، فلم يكن لهم أثر واضح خارج مجموعاتهم المغلقة...

بينما أضاف فتح العرب لسوريا ومصر إلى الخلافة الإسلامية أراض ثرية نجت نسبيا من الاضمحلال الأوروبي الذي أصاب القراءة والكتابة والتعليم؛ فتوفر للتعليم المدرسي وكتابة الكتب فرصة الانطلاق بخطوات أسرع في المجتمع الإسلامي النامي منه في العالم اللاتيني.

كما أن رفض الإسلام للبنية الدينية الهرمية أتاح لعدد من العلماء أن يعملوا في المساجد بانطلاق، دون تقوقع داخل هرمية ذات مركزية كتلك التي فرضت على النشاط العلمي المسيحي بسبب نمو المسيحية داخل نطاق البنية الإمبراطورية الرومانية الكهنوتية

وبالتخلص الإسلامي من الهرمية الدينية حدث الانتشار الواسع للعلماء الذي رافق التنامي المتصاعد للجماعة الإسلامية في القرن التاسع خارج سلطة حكومة الخلافة؛ فنجح العلماء المسلمون في إخفاء التفاصيل على الشريعة وتفسيرها، بحيث أصبحت الشريعة منهجية بشكل متزايد في تنويعات عدة

في المقابل... فإن إحكام قبضة السلطة العلمانية على الكهنة والرهبان، وإحكامها على الممتلكات المكرسة لأنشطتهم، كل هذا قد أسهم في زيادة التوتر بين الحكام ومسئولي الكنيسة، خصوصا في ظل البابا القوى (جريجورى) السابع ١٠٧٣ / ١٠٨٥م، حيث تعارضت لائحة قوانين الكنيسة الكاثوليكية مباشرة مع مزاعم الملك القانونية. فلم تستطع الكنيسة الكاثوليكية أن تنجح في حماية دور رجالها، كما نجح العلماء المسلمون في حماية دورهم في تفسير الشريعة. وذلك بإصرارهم على خضوع الحاكم النظرى لأحكام الله، بينما تصادم البابوات مع الحكام المسيحيين الأقوياء تصادما انتهى بإجبارهم على الخضوع للقانون الملكى.

وكانت... الحروب الصليبية

ويرصد المؤلف (ريتشارد دبليو - بوليت) موقف المسيحيين من المد الإسلامي، فيذكر: أن المسيحيين - في النظر إلى الإسلام - سلكوا طريقين متباينين تماما:

أما اللاتينيون فقد شغلوا بالداخل، فلم يعرفوا عن الإسلام إلا القليل، بينما عرف الأرثوذكس عنه الكثير؛ فأصابهم الانزعاج من المد الإسلامي وتقلص عدد المصلين المسيحيين، وتزايد اعتناق الإسلام، حتى اضطر البابوات اللاتينيون إلى الضغط على الأباطرة البيزنطيين ليحققوا رغبتهم في شن حملات عسكرية ضد الحكم الإسلامي في الأراضي المقدسة. فكانت تلك الحملات التي وسموها بالصليبية، والتي تواصلت من سنة ١٠٩٥ إلى سنة ١٢٥٠م بمعاونة بيزنطة.

ومع تراوح تلك الحملات بين الهزيمة والانتصار... نشأ عنها اتصالات مباشرة وغير مباشرة بين المسيحيين والمسلمين؛ ففي حين هيمنت المعارك والتحالفات على كل الروايات التاريخية، والقصص غير الرسمية المروية حول تلك الحروب... نشأت نشاطات في أيام السلم كان لها دور فعال في تشكيل الاتصالات الثقافية التي حدثت في هذه المرحلة.

وقد وضحت هذه النشاطات في اغتنام الباحثين فرصة السلم في إسبانيا لترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية، وحملها معهم إلى فرنسا وإيطاليا.

نعم.. السلام قوى

وفي صقلية - حين استظلت بالإسلام - أصبحت المخطوطات العربية والإغريقية متاحة للترجمة.

هذا... إلى ما أتيح من معايشة التجار الإيطاليين والنبلاء الأوروبيين للمجتمع الإسلامي أثناء إقامتهم الممتدة بينهم؛ فتيسر لهم حمل عادات المسلمين

وأفكارهم وكثير من مفردات لغتهم اليومية إلى بلادهم. مما أحدث تغييرا واضحا في شتى مجالات الحياة الأوروبية ـ خصوصا في مناحي الفكر الأوروبي ـ من فلسفة ولاهوت، ورياضيات، وكيمياء، وطب، وموسيقى، وصناعة، إلى غير ذلك.

وقد وضح التأثر الأوروبي بالإسلام في ظهور الجامعات الأوروبية أواخر القرن الثاني عشر بأسلوب شديد التماثل مع تطور المدارس الإسلامية، فنقلت موضع التعليم الديني من الأديرة إلى المدينة، ولكن أساتذة المدارس الإسلامية ظلوا مجرد علماء دين أسعدهم الحظ بالحصول على منصب دائم براتب من الأوقاف. أما الأساتذة في الجامعات الأوروبية فكانوا رهبانا من الإخوة الدومينيكية والفرانسيسكية، أعضاء في نوع من التنظيمات الدينية التي ظهرت لأول مرة في القرن الثالث عشر؛ فكان ذلك دلالة على حاجة ـ بدأت تستشعر من جانب عامة الناس ـ إلى إرضاء احتياجاتهم الدينية.

من ثمار التوجه الديني

ويلتفت المؤلف إلى ما أثمره وحدة مصدر الإسلام والمسيحية من وحدة التوجه الإسلامي والمسيحي للتدين الذي دفع بعض المسلمين والمسيحيين إلى المبالغة في التدين والروحانيات... ليخلص من هذا إلى دور أولي الأمر في إحداث تباين بين التوجهين، تمثل في دور المؤسسة الدينية المسيحية القاهر، ودور المؤسسة الدينية الإسلامية المتسامح.

فاستعرض ـ بشيء من التفصيل ـ أثر هذا التوجه في البيئتين الإسلامية والمسيحية بقوله: وكان للتوجه الديني أثره الفعال بين المسيحيين الذي وضح في الحياة الجماعية «الكوميونالية»، وفي الحركات الوعظية الشعبية، حيث تجمعت النساء اللاتي رغبن في حياة ورعة، والقيام بأعمال خيرية، دون التحول للرهبنة.

كما وضح هذا التوجه بين المسلمين في التجسد الصوفي الذي ارتكز ـ في البداية ـ على الانسحاب من الشئون الدنيوية، ثم إلى أن تأكد عدم تعارض التصوف مع حياة العمل الدنيوية اليومية؛ فتشكلت العشرات من أخويات الطرق، حتى اجتذب بعضها الطبقات العليا من المجتمع.

باركت الكنيسة هذا النشاط في بادئ الأمر، ثم عادت سنة ١٣١٠م فحظرت هذا النشاط. وفرضت على من يريد ذلك أن يخضع لسلطة الكنيسة الصارمة، وتوعدت الخارجين على ذلك بأقصى العقوبات، فتم حرق (مارجوريت پوريورت) على الخازوق بتهمة الهرطقة، حيث قام بتأليف كتاب عن الباطنية بالفرنسية القديمة. وفي سنة ١٣١٧م حظر مجلس «فيينا» الرباطات الدينية «البجينز»، ونص على أن من يردن من النساء عيش الورع أن يخضعن لسلطة الكنيسة الصارمة.

وقد سبق هذا قيام الحركة التي بدأها بيتر والدو «والدو» في مدينة «ليون»، فتبرع بممتلكاته سنة ١١٧٦م وقاد مجموعة من الرجال كرسوا حياة من الفقر المقدس، وتعريف الناس بالعقيدة بلغاتهم المحلية. وبارك البابا أسلوب حياتهم. ولكنه حرمهم من ممارسة الوعظ. ولما تجاهلوا هذا الإنذار حرق منهم أكثر من ثمانين على الخازوق سنة ١٢١١م في «ستراسبورج» ومن بقي منهم كان نواة «بروتستانت» القرن السادس عشر.

وفي إنجلترا قاد (جون ويكليف) مدرس اللاهوت والفلسفة بأكسفورد حركة مماثلة «حركة كهنة فقراء»، ولما نهض القس (جون هاس) في بوهيميا بترجمة كتابات «ويكليف» إلى التشيكية اضطر إلى دخول في حرب مع حكام «بوهيميا» الكاثوليك. فكانت نهايته الحرق سنة ١٤١٥م قبل قرن من بدء حركة (مارتن لوثر) الإصلاحية سنة ١٥١٧م.

وفي العالم الإسلامي ظهرت توجهات مماثلة، مرت بأطوار انتهت إلى توافق تعبير «الصوفية» مع الشخصيات الروحانية الرؤيوية، حتى غدا الوجد والسعي الباطني هو السمة المميزة للمراتب العليا، حيث برهنت الطرق الصوفية على عدم التعارض مع حياة العمل الدنيوية اليومية، فأصبح التصوف يمثل دمج الورع الديني مع تناول أخلاقي متعقل للحياة اليومية، وبذلك أتاحت شكلا بديلا يتمثل في خبرة إسلامية اجتماعية دينية. تلعب فيها الباطنية دورا أقل من التكريس الجماعي لقواعد سلوك أخلاقية، تباركها شخصية ذات قدسية.

وقد أسفرت استجابة المسيحيين للاحتياجات الروحانية الجديدة عن تحطم وحدة المسيحيين في أجيال من الحروب مفرطة الضراوة بين البروتستانت والكاثوليك، نشأت عن التنافس بين القانون الكنسي والقانون الملكي؛ فأصبح تبني قضية الكاثوليكية أو البروتستانتية جزءا لا يتجزأ عن السلطة الملكية. ووصم الوعاظ والكتاب الدينيون من الجانبين أعداءهم، ودعوا المؤمنين لقتلهم، وبعد أن أكلت تلك الحمى بعضها تنامى الاعتقاد أنه لا يجوز وضع سلطة الدولة في خدمة التسامح الديني.

أما بين المسلمين فلم يحدث انفصال بين المؤسسة الدينية والدولة، حيث لم يتجه الحكام لاضطهاد الشخصيات الصوفية أو اتهامهم بالهرطقة. بل تحمسوا لأن يكونوا رعاة لهم. فقد تناغمت صلاة الجماعة بالمسجد، والإجراءات في المحاكم الشرعية، وطقوس العبادات الصوفية معا بسهولة، في حياة معظم المسلمين، وفي نظرتهم إلى العالم.

في حين تراجع القانون الكهنوتي للكنيسة الكاثوليكية في مواجهة القوانين والأوامر للقضائية الملكية. ولم يأت البروتستانت بفلسفة قانونية شاملة خاصة بهم.

يتبع

الحجاب فى الجامعات التركيـــة بين الحظر.. والحرية

بقلم: صلاح عبد الرحيم محمد

بعد مناقشات مستفيضة ومطولة حول ضرورة رفع حظر ارتداء الحجاب فى الجامعات التركية قرر كل من حزب العدالة والتنمية الحاكم، برئاسة رئيس الوزراء، رجب طيب اردوغان، وحزب الحركة القومية اليمينى، بزعامة، دولت باهشلى، بالتعاون مع حزب المجتمع الديمقراطى الكردى، تقديم اقتراح بتعديل دستورى الى البرلمان لكل من المادتين العاشرة، والثانية والاربعين من الدستور التركى، الى جانب تعديل المادة ١٧ من قانون مجلس التعليم العالى بهدف رفع الحظر المفروض على ارتداء الحجاب فى الجامعات.

ولقد ناقش البرلمان التركى مسودة التعديلات المطلوبة، وصدق عليها بجلسته الثانية والأخيرة فى التاسع من فبراير ٢٠٠٨، وأحالها إلى رئيس الجمهورية للاعتماد.. وفى هذا السياق يقول رئيس الوزراء التركى «أردوغان»: «إن الهدف من رفع الحظر عن ارتداء الحجاب فى الجامعات، هو فقط إنهاء الظلم الواقع على بعض الطالبات»، ويذكر أن كل ما قدمه حزب العدالة والتنمية الحاكم من اقتراح بتعديل المادتين العاشرة والثانية والأربعين من الدستور، هدفه رفع الحظر عن الحجاب لمن تريده، وليس فرضه على من ترفضه وفى نطاق الجامعات فقط. باعتبار أن مشكلة الحجاب كحرية شخصية فى اللباس، تُعد «حقا علمانيا» وأن حرمان المرأة منه، إنما يتجاوز التقاليد التاريخية الأصيلة للعلمانية إلى نوع من «الأصولية العلمانية» المتشددة.. ويرى حزب العدالة والتنمية، ومؤيدو التعديلات الدستورية، أن الحجاب من شئون الحريات الفردية، وهى مسائل تدخل فى نطاق حقوق الإنسان. ومن هنا فالحجاب هو حق طبيعى وقانونى لكل مواطنة تركية. واللافت أن حزب العدالة والتنمية الحاكم فى برنامجه الانتخابى أكد اعتبار الدين من أهم المؤسسات الإنسانية، والعلمانية متطلبا رئيسيا للديمقراطية

والجدير بالذكر أن حزب العدالة والتنمية منذ وصوله للسلطة فى نوفمبر ٢٠٠٢ كان قد وعد الجماهير التركية، خاصة المرأة، بأن وجوده فى الحكم يعنى وضع حل نهائى لقضية المرأة المحجبة، الممنوعة من الدراسة والعمل. فقال «رجب طيب أردوغان» فى ١٣ مارس ٢٠٠٤ فى مؤتمر شعبى بمدينة «ملاطيا» إن مشكلة الحجاب ليست مشكلة حزب العدالة والتنمية وحده، وإنما مشكلة تركيا.. بينما قال «عبد الله جول» وزير الخارجية السابق، ورئيس الجمهورية الحالى، عند رفض إدارة الجامعة قيد زوجته المحجبة «إن هذا مخالف لحقوق الإنسان والديمقراطية. وأن من حق المحجبة أن تتلقى التعليم وأن تعمل».. ويذهب «أردوغان» رئيس الوزراء التركى إلى أن مجرد إعطاء الفتيات اللاتى يرتدين «غطاء الرأس» الحق فى التعليم الجامعى، وعدم منعهن من هذا الحق الدستورى، هو فى الأساس أمر سياسى يتعلق بالحريات العامة، بدليل أن الخمار سيظل ممنوعا على طالبات الجامعة، وأيضا لن يستفيد النساء فى الدواوين الحكومية من التعديلات الجديدة، وكذلك الفتيات فى المدارس.

ويستند «رجب طيب أردوغان» رئيس الوزراء التركى فى دعوته لرفع حظر الحجاب فى الجامعات التركية إلى حرية الحجاب فى الجامعات الأوروبية فيقول: «إن ارتداء الحجاب فى دول مختلفة، مسموح به، ولا توجد أى مشكلة. فى حين أنه فى بلدى، حيث ٩٩٪ من الشعب التركى، مسلمون، تشهد هذه المشكلات للأسف.. لكننا سنحل هذه المشكلة من داخل الدستور، بدون توتير الأجواء، وبالتوافق مع الأحزاب فى البرلمان».

أردوغان

ومن جهة أخرى تتعسف بعض الأوساط العلمانية فى تركيا ضد الطالبات المحجبات بسبب «أن قانون القيافة الذى وضع عام ١٩٢٦ فى فترة حكم «مصطفى كمال أتاتورك»، مؤسس تركيا الحديثة، يفرض ارتداء الملابس الغربية على المرأة والرجل على السواء بحجة التوافق مع متطلبات الحياة العصرية الغربية، وهو ما جعله أحد أهم المؤشرات على مظهر زى الطالبة التركية»، كما أن «قانون ارتداء القبعة» يفرض على المرأة العاملة بدواوين الحكومة والمدرسة والجامعة ارتداء التنورة «الجيب» الطويلة والبلوزة أو الجاكيت أو التايير، كما فرض هذا القانون أيضا إلغاء الطربوش

والطائفية بالنسبة للمواطن التركي، وهو نفس القانون الذي استند إليه «مجلس الأمن القومي» في تركيا لإسقاط العضوية البرلمانية عن النائبة المحجبة «مروة قاوقجي» عام ١٩٩٩، ومنعها من دخول البرلمان ـ في ظل حكومة «بولنت أجاويد» ـ لأن هذا القانون يمنع المحجبات من دخول القاعة العامة للبرلمان، كما أسقطت جنسيتها التركية. لا شك أن هذا المثال يكشف عن علمانية تركيا شديدة التطرف، تعادي كل مظاهر التدين لشعب أغلبيته مسلمة.. ومن ثم فقد أكد رئيس الوزراء التركي «أردوغان»، «أن الحجاب لا يعد رمزا سياسيا، بل ينبع، أساساً، من الحرية الشخصية وحرية الاعتقاد، وبالتالي لا يحق لأحد أن يحظر ارتداءه». هنا وقد أخذ على عاتقه مسئولية حل هذه المشكلة. كما أكد «عبدالله جول» رئيس الجمهورية التركية أنه «مع العلمانية المتصالحة مع الدين، والمدافعة عن الحريات».

واللافت للنظر كما يقول «دولت باهشلي» زعيم حزب الحركة القومية المؤيد لرفع حظر الحجاب في الجامعات ومؤسسات الدولة «إن الآراء المخالفة لذلك، إنما تستند في معارضتها على قرار سابق أصدرته المحكمة الدستورية عام ١٩٨٩». يؤكد على اعتبار الحجاب رمزا للإسلام السياسي لا يمكن القبول به في الجامعات أو المدارس أو الدوائر الحكومية.

ولقد قرر قادة حزب العدالة والتنمية «أن معركة الحجاب، لن تكون من أجل الإسلام السياسي، إنما من أجل الحريات الشخصية، وأن النظام العلماني سيبقى هو المرجع للجميع» كل ذلك تطمينا للعلمانيين من جنرالات الجيش، والقضاة، ورؤساء الجامعات التركية معارضي التعديلات المادتين ١٠ و٤٢ لرفع حظر ارتداء الحجاب في التعليم العالي وكذلك تعديل المادة ١٧ من قانون مجلس التعليم العالي، ليصبح الطريق مفتوحا أمام الطالبات المحجبات لتدخل من تشاء منهن إلى الجامعات التركية.

وتجدر الإشارة إلى أن الفقرة الرابعة من المادة العاشرة ـ قبل التعديل كانت تنص على «أن تلتزم جميع المؤسسات الحكومية، وجهات الإدارة العامة بمبدأ المساواة بين المواطنين في كل المعاملات، التي تقوم بها»، أما بعد تعديلها فأصبحت تنص على أن تلتزم جميع المؤسسات الحكومية وجهات الإدارة العامة بمبدأ المساواة بين المواطنين في كل المعاملات والخدمات التي تقوم بها ومن هنا فإن التعديل في الفقرة الرابعة من المادة العاشرة يتمثل في إضافة كلمة «الخدمات» فقط إلى هذه الفقرة الرابعة من المادة العاشرة حتى يمكن أن يتضمن «مبدأ المساواة» «خدمة التعليم» باعتبارها حقا أساسيا من حقوق الإنسان وكما يجدر ذكره أن الفقرة الأولى من المادة الثانية والأربعين، قبل تعديلها، كانت تنص على أنه لا يحرم أحد من حق التعليم والتعلم كما نصت أيضا الفقرة الثانية من هذه المادة «٤٢» على «أن حق التعليم ينظمه القانون»، وقد أصبحت الفقرة الأولى من المادة ٤٢ بعد تعديلها تنص على أنه «لا يحرم أحد من حق التعليم إلا بنص صريح في القانون»، وبالتالي لا يجوز لأي جهة من الجهات المسئولة أن تؤول النص على حسب هواها حيث أن النص صريح لا يقبل التأويل، كما أضيفت فقرة سابعة للمادة ٤٢ تنص على أنه «لا يمنع أي مواطن مهما كانت الأسباب من حق التعليم ويبين القانون حدود التمتع بهذا الحق وهكذا أكدت الفقرة السابعة الجديدة من المادة ٤٢ أحقية أي مواطن أو مواطنة تركية في الدراسة الجامعية حتى ولو كانت محجبة، والمقصود هنا بالحجاب غطاء الرأس، وليس الخمار أو البرقع ومن الملاحظ أن التعديلات الجديدة جرت حول مبدأ للمساواة في الحق في التعليم وليس الحجاب ذاته. أي تمحورت التعديلات الجديدة حول حقوق الإنسان التركي. وأن الحجاب لمن يريده، وليس فرضا على أحد ومن ثم يمكن القول أن العلمانية الأتاتوركية ترتكز على ركيزة مفادها «أن الحجاب يمثل تهديدا للعلمانية التركية ومبادئ أتاتورك» كما تخشى هذه العلمانية المفرطة في التشطط أن رفع حظر ارتداء الحجاب، يمكن أن يجعل من تركيا «دولة دينية» وهي تخوفات ليست في محلها وكيف يمكن أن يكون غطاء الرأس تهديداً للمبادئ العلمانية؟

وفي هذا الصدد يؤكد «عبدالله جول» تأييده لرفع الحظر عن الحجاب في الجامعات التركية بقوله: «إن الجامعات يجب ألا تصبح أماكن للجدل السياسي وأن المعتقدات يجب أن تمارس بحرية في الجامعات» ويذكر أن ثمة جهوداً كبيرة بذلت ولا تزال لإلغاء مشروع التعديل الدستوري الخاص برفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات. يمكن رصد أهمها فيما يلي

– صدور تصريح من رئيس الأركان التركي «يشار بيوك أنيط» يعارض فيه أي قرار أو قانون يقضي بتخفيف الحظر المفروض على ارتداء الحجاب في الجامعات.

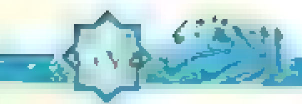
– صدور بيان من جانب المدعي العام الجمهوري «عبد الرحمن يالتشنكايا» حذر فيه من أن استخدام بعض الملابس في نطاق الحريات، سيؤدي إلى فصل بين الفئات، ويجعل من المؤسسات التعليمية، ساحة نشاطات تتعارض مع النظام العلماني الأتاتوركي وحذر البيان من أن الأحزاب السياسية لا يمكنها أن تسعى خلف تغيير الطابع العلماني للشعب التركي».

عبدالله جول

– صدور بيان من مجلس الدولة يحذر من الاتجاه إلى رفع الحظر عن الحجاب في الجامعات فيقول هذا البيان «إن إقرار مسألة رفع حظر الحجاب، لن تقتصر على المؤسسات التعليمية فقط، لكنها ستمتد إلى المؤسسات الأخرى في الدولة، وهو أمر يدعو للقلق، لأنه سيفضي إلى مشاكل عديدة تهدد السلام الاجتماعي في البلاد.

– صدور بيان من أعلى محكمة إدارية يحذر من أن الخطط الداعية إلى رفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات، تشكل خطرا على أسس السلم الاجتماعي، وذكر هذا البيان «أن أحكام القضاء السابقة أوضحت بجلاء أن المبادرات الدينية لا تدخل في نطاق الحريات والديمقراطية لأنها تعارض مبادئ العلمانية».

ومن المعروف لكل من يعنيه الشأن التركي أن حزب العدالة والتنمية الحاكم، يسعى في الأساس، إلى الحد من التطرف العلماني للدولة التركية في خصومتها للدين واستبدالها بعلمانية معتدلة متصالحة مع الدين، وليس خصومة له.



خاصة أن ثلثي نساء تركيا يرتدين غطاء الرأس التقليدي، وهذا معناه أن مئات الآلاف منهن كن يحرمن من مواصلة الدراسة الجامعية.

أما فيما يتعلق بالمادة ١٧ من قانون مجلس التعليم العالي فاتفق كل من حزب العدالة والتنمية الحاكم وحزب الحركة القومية «اليميني» على إجراء التعديل ليكون بالصيغة التالية: لا يمكن حرمان أي طالبة جامعية من حق التعليم في الجامعات بسبب ارتدائها الحجاب، ولا يمكن تقييد هذا الحق بأي شكل من الأشكال»

ولقد قوبل هذا التعديل بهجوم شرس من جانب القوى العلمانية فيقول «دينز بايكال» زعيم حزب الشعب الجمهوري «اليساري العلماني» أن التعديلات تشكل مساسا واضحا بمبادئ الجمهورية العلمانية ومبادئ أتاتورك».

وحذر «فاتح حلمي أوجلو» رئيس «جامعة بيلكنت» من أن هذه التعديلات الدستورية الجديدة من شأنها إثارة الفوضى في الجامعات، فقال: «ما يحدث في تركيا هو تغيير للنظام يجب التصدي له بالوسائل الديمقراطية، منددا بالتخلي عن مبدأ «الفصل بين الدين والدولة» ويرى «أوجلو» أنه «بعد السماح بالحجاب في الجامعات، فإنه لن يلبث أن يمتد إلى الوظيفة العامة ليتحول إلى مصدر ضغط ديني واجتماعي على النساء غير المحجبات.

واللافت في هذا الصدد أن الدستور التركي، منذ عهد مصطفى كامل أتاتورك، مؤسس الدولة التركية الحديثة، إلى اليوم، لم يرد فيه نص يمنع الحجاب صراحة، وإنما أوّلت العلمانية التركية المتطرفة تأويلاً جعلها مصادمة لكل مظاهر التدين.

وفي هذا السياق يقول الدكتور «أورال أركوبوت» رئيس جامعة الشرق الأوسط التقنية في تركيا، وهو من المناهضين لارتداء الحجاب في الجامعات «إن هذه التعديلات الدستورية تعد بمثابة فرض العقائد الدينية على الدستور».

وقد هدد نواب حزب الشعب الجمهوري المعارض باللجوء الى المحكمة الدستورية لإلغاء هذه التعديلات، ووصف البروفيسور «مصطفى أكايدين» رئيس جامعة البحر المتوسط في مدينة «انطاليا» كل المحاولات الحالية للحكومة لرفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات بـ«فترة انقلاب في التاريخ التركي وأكبر هجوم منذ العاشر من نوفمبر ١٩٣٨ «أي منذ وفاة أتاتورك». وأضاف «أكايدين»: «أن رفع الحظر عن الحجاب في الجامعات التركية سيؤدي في النهاية إلى نسف الأسس العلمانية للجمهورية، وتحويل تركيا إلى دولة الشريعة».

والحقيقة أن القوى العلمانية المعارضة للحجاب في الجامعات التركية قامت برفع دعوى إلى المحكمة الدستورية لإلغاء هذه التعديلات، وقد بدأت المحكمة الدستورية في مطالعة التقرير التمهيدي الذي قدمه مقرر المحكمة «عثمان جان» إليها، واعتبر فيه أن المحكمة الدستورية لا تملك صلاحية إلغاء التعديل، وأن البرلمان هو المرجع الوحيد للتشريع وتعديل الدستور، كما أشار التقرير ضمنياً إلى أن السماح بالحجاب في الجامعات لا يهدد العلمانية في تركيا. واعتبرت أوساط سياسية وإعلامية تركية هذا التقرير التمهيدي من جانب مقرر المحكمة «ضربة قوية» لمحاولة حظر نشاط حزب العدالة والتنمية الحاكم. ذلك أن المدعي العام بنى دعوى الحظر أساسا على إقرار الحكومة عودة الحجاب إلى الجامعات، وهو في نظره أكبر دليل على ممارسات الحزب «المعادية للنظام العلماني» وتبقى الكلمة الأخيرة للمحكمة الدستورية التي قد تعيد الموضوع إلى نقطة الصفر في حالة قولها: «إن التعديل مخالف للدستور الذي يقول إن تركيا «دولة علمانية» وعلى الرغم من أن المحكمة الدستورية تنظر في قضيتي الحجاب وحظر نشاط الحزب الحاكم، كلاً على حدة، فإن القضيتين مرتبطتان، لأن نتيجة قضية الحجاب من شأنها أن تقوي حجج المطالبة بحظر نشاط الحزب الحاكم أو تضعفها. والحقيقة أن قضاة المحكمة الدستورية غير ملزمين بالتقرير التمهيدي الذي قدمه مقرر المحكمة «عثمان جان». ولي إمكانهم الحكم بعكس ما توصل إليه، وعموما فإن رئيس المحكمة الدستورية في تركيا «هاشم كلتش» أعلن يوم الجمعة ٢٣ مايو ٢٠٠٨ أن المحكمة ستتخذ الشهر المقبل قرارها بخصوص تعديل دستوري يجيز ارتداء الحجاب في الجامعات التركية. ونقلت أوساط إعلامية عن «كلتش» قوله للصحفيين «سندرس هذه القضية في الأسبوع الأول من يونيو ٢٠٠٨».

وفي الختام يمكن القول إن الكلمة الأخيرة كانت لممثلي الشعب التركي إذا وافق على هذه التعديلات ٤١١ عضواً من أصل ٥٥٠ عضواً هم أعضاء البرلمان. وعارضها فقط ١٠٣ أعضاء، أغلبهم من حزب الشعب الجمهورية «الأتاتوركي» اليساري المعارض. ومن جهة أخرى أن الحكومة التركية عقب موافقة الأغلبية البرلمانية على هذه التعديلات برفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات التركية، لم تمنع الآلاف من المتظاهرين المعارضين لحرية الحجاب من الخروج في شوارع معظم المدن التركية وهم رافعون «صور مصطفى كمال أتاتورك» مؤسس العلمانية في تركيا، ويلوحون بلافتات تندد بهذه التعديلات الدستورية، ولافتات أخرى تحمل شعارات تؤكد على علمانية الدولة التركية. ويكفي ما جاء على لسان «رجب طيب أردوغان» زعيم حزب العدالة والتنمية الحاكم، ذي النشأة الإسلامية المعتدلة، ورئيس الوزراء التركي قوله «إن هذه التعديلات الدستورية جاءت انتصاراً للديمقراطية، والعدالة في تركيا» مؤكداً في الوقت ذاته أن العلمانية لديه ولدى حزب العدالة والتنمية الحاكم، يجب أن تحترم القيم والمبادئ التي يعيش عليها الشعب التركي، وأن توفر له أجواء الحرية. ولاتزال مشكلة الحجاب في الجامعات التركية تثير هاجساً للعلمانيين، ومفجراً للأزمة الراهنة بين حزب العدالة الحاكم وبين النخبة الأتاتوركية العلمانية التي تزعم أن رفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات يعد ذي المبادئ العلمانية. وهي بالطبع حجة واهية خاصة أن ٩٩٪ من الشعب التركي، مسلمون، وترتدي غالبية نسائه غطاء الرأس التقليدي. فلماذا هذا العناد من جانب النخبة العلمانية خصوصا أن حرية الحجاب حق طبيعي من حقوق الإنسان في أكثر الدول علمانية لأنه، في الحقيقة، لا يتصادم مع المبادئ العلمانية؟

الغناء والموسيقى في مذاهب الفقه الإسلامي

[illegible]

عضو مجمع البحوث الإسلامية

في مذاهب الفقه الإسلامي موقف واضح وصريح من قضية الموسيقى والغناء.. فهما من المباح الحلال إذا حققا المقاصد المباحة والحلال. وهما -ككل المباحات- تعرض لهما أحكام الوجوب أو الندب أو الكراهة- أو الحرمة، إذا تغيرت المقاصد المبتغاة من ورائهما.. فليس هناك حلّ بإطلاق، ولا تحريم بإطلاق.

● فالحسن البصري (٢١- ١١٠ هـ ٦٤٢ - ٧٢٨م) على ما يذكر القرطبي (٦٧١هـ ١٢٧٣م) بخصوص اللهو المنهي عنه في الآية الكريمة

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ (لقمان: ٦)

بأنه «هو الكفر والشرك» -وليس الغناء-.

● أما القرطبي -وهو من أكابر المفسرين والفقهاء في مذهب الإمام مالك- فإنه يرى اللهو المحرم خاصا «بالغناء الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون، الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن، فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء، ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات، لا يختلف في تحريمه، لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق. فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح، كالعُرس والعيد، وعند التنشيط على الأعمال الشاقة.. وأما طبل الحرب فلا حرج فيه، لأنه يقيم[1] النفوس، ويرهب العدو.. والدف مباح.. وقيل إن الطبل في النكاح كالدف، وكذلك الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رفث»[2].

فالغناء بالكلام الحسن والدف والطبل والآلات التي تحدث الأنغام، بالمقادير المتوازنة، حلال ومباح. في الأفراح، ولتنشيط ملكات وطاقات الإنسان على الأعمال..

● ومن كبار فلاسفة الإسلام، وعلماء الأصول وفقهاء الشافعية. نختار سطورا مما كتبه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ ١٠٥٨- ١١١١م) في هذا الموضوع -ولقد عقد للسماع بابا في كتابه النفيس (إحياء علوم الدين) -انتهى فيه إلى أن «اللهو مروّح للقلب، ومخفف عنه أعباء الفكر، والقلوب إذا أكرهت عميت، وترويحها إعانة لها على الجد. فالمواظب على التفقه، مثلا، ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة، لأن عطلة يوم تبعث النشاط في سائر الأيام، والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات، ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات. فالعطلة معونة على العمل. واللهو معين على الجد، ولا يصبر على الجد المحض والحق المر إلا نفوس الأنبياء، عليهم السلام. فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال، فينبغي أن يكون مباحا، ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه، كما لا يستكثر من الدواء.

فالسماع من جملة المباحات، من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم، وإنما تحريمه لعارض خارج على حقيقة ذاته.. ومن لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج، ليس له علاج..»[3]

● أما شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ ١٢٦٣- ١٣٢٨م) -وهو من كبار فلاسفة ومجددي ومجتهدي فقهاء السلفية فإنه على عكس ما يحسب الذين يشغبون بتعميم التحريم للغناء، يجعل الغناء من المباحات.. ولا يحرّمه إلا إذا جعله البعض -من الصوفية- عبادة من العبادات.. لأن العبادات توقيفية، تؤخذ من الشارع، ولا تجوز فيها البدع والإبداعات والإضافات.. يقول ابن تيمية في هذه القضية، مميزا بين ثلاثة أنواع من السماع

١- «السماع الذي يُنتفع به في الدين» -أي تزيين القرآن بالصوت الحسن- وهو الخاص بالمتقربين إلى الله بالقرآن الكريم، على النحو الذي كان يفعله رسول الله ﷺ وصحابته ومن اقتدى بهم من التابعين وتابعي التابعين

٢- السماع المباح، الذي رخص فيه رسول الله، ﷺ، للأمة، رفعا للحرج من حياتها «فلقد رخص النبي في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، رفعا للحرج.. ومن هذا الباب -باب الرخصة في اللهو-

(١) القيام حقا- بمعنى الإثارة والتهييج، ومصطلح القيام بمعنى حضن ما يمس- الثورة والنهوض

(٢) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج١٤ ص٥٢- ٥٤- والرفث: الفحش

(٣) [illegible]

حديث عائشة، رضي الله عنها، لما دخل عليها أبوها، رضي الله عنه، في أيام العيد، وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث. فقال أبوبكر، رضي الله عنه:

ـ أبمزمار الشيطان في بيت رسول الله، ﷺ؟!

ـ فقال، ﷺ: «دعهما، يا أبابكر. فإن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا أهل الإسلام».

٣- أما ذلك النوع الثالث من السماع، وهو «السماع- العبادة- المبتدعة» فإن ابن تيمية يقطع بتحريمه، كما قطع القرآن بتحريم نظيره الجاهلي- المكاء والتصدية- اللذين جعلهما المشركون في الجاهلية عبادة يتقربون بها إلى الأصنام..

فالتحريم هنا لأنهم قد جعلوه -كما يقول ابن تيمية- «قُربة ودينا.. وشرعوا مالم يشرع النبي، ﷺ، وليس المقصود منهم بهذا السماع مجرد رفع الحرج، بل مقصودهم بذلك أن يُتخذ طريقا إلى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب.. فتُستنزل به الرحمة، وتُستجلب به النعمة.. حتى يقول بعضهم: إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه، حتى يجعلونه قوتا للقلوب، وغذاء للأرواح، وحاديا للنفوس يحدوهما إلى السير إلى الله، ويحثهما على الإقبال عليه. ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به لا يحن إلى القرآن ولا يفرح به، ولا يجد في سماع القرآن كما يجد في سماع الأبيات، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، وإذا سمعوا سماع المكاء والتصدية خشعت الأصوات وسكنت الحركات، وأصغت القلوب، وتعاطت المشروب»[1]..

فهذا السماع المحرم، وهو محرم لا لذاته، وإنما لما عرض له من جعله عبادة وشعيرة دينية.. أما إذا كان غناء ولهوا للذة النفس ورفع الحرج عنها والتجديد لملكات الإنسان والترويح عن قواه وطاقاته، فهو من المباحات.. وبعبارة ابن تيمية: «فإن السماع الذي يُفعل كما تُفعل سائر الأفعال التي تلتذ بها النفوس، وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب، كسماع الأعراس وغيرها، مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو، لا لقصد العبادة والتقرب إلى الله هو من المباحات».

ولقد ضرب ابن تيمية مثلا ليزيد إيضاح علة التحريم لسماع الصوفية الذي جعلوه عبادة يتقربون بها إلى الله، فقال: لو أن رجلا يعدو بين جبلين، على سبيل التريض أو اللعب، لما كان في ذلك بأسا.. أما إذا جعل ذلك عبادة - كحال شعيرة السعي بين جبلي الصفا والمروة- كان ذلك حراما.. فالحرمة عرضت للعدو والسعي، لا لذات العدو والسعي، وإنما بسبب جعلها من شعائر الدين[2]..

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: جـ١١ ص[illegible] طبعة مملكة العربية السعودية.

(٢) المصدر السابق جـ١١ ص[illegible].

● أما النموذج الأخير -والذي اخترناه من فتاوى الأحناف- فهي فتوى معاصرة، للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت (١٣١٠-١٣٨٣هـ ١٨٩٣-١٩٦٣م) شيخ الجامع الأزهر، وعضو هيئة كبار العلماء، ورئيس مجمع البحوث الإسلامية، وأبرز فقهاء عصره.. وهي الفتوى التي نورد نصها كاملا، لنختم بها نماذج فتاوى المذاهب الفقهية الإسلامية الكبرى..

الشريعة تنظم الغريزة
(الغناء والموسيقى)

جاءتني رسالة من شاب يقول فيها: إنه يهوى الموسيقى منذ نعومة أظفاره، وأنه يدرسها ويجتهد في تعلّمها، وقد فاجأه أحد أصدقائه بأنها حرام، لأنها لهو يصرف عن الصلاة وعبادة الله، وكل لهو حرام. فقال لصديقه: إني أصلي الصلوات الخمس في أوقاتها وأعبد الله تماما، وأذهب إلى النادي في أوقات الفراغ لأسرى عن نفسي عناء العمل نهارا والمذاكرة ليلا، فلم يقتنع صاحبه بذلك، وأصر على أن الموسيقى حرام، وأخيرا لجأ إلى التحكيم، وبعث إليّ الشاب هذه الرسالة ملتمسا بيان الحكم الشرعي في الموضوع.

حيرة بين التحليل والتحريم

أرجو أن يجد إخواننا المسلمون في هذه الفتوى ما ينفعهم في معرفة حكم الله، بالنسبة لكثير من الأشياء التي يجري على بعض الألسنة أن حكمها الشرعي هو التحريم، ويجري على البعض الآخر أن حكمها هو الحل. وبذلك وقع الناس في حيرة نفسية وارتباك ديني، ولم يجدوا ما يرجّح لهم أحد الجانبين، وظلوا في تردد بين الحل والحرمة، وفيه من البلبلة ما لا يتفق وشأن المؤمنين.

ومن أمثلة ذلك هذه الرسالة التي جاءتني في شأن «تعلم الموسيقى وسماعها»، فهي كما سمعتم تصور بين رأيين مختلفين في حكم الموسيقى: يستند أحدهما إلى كلمات تُقرأ في بعض الكتب الشرعية، أو تُسمع من بعض الناس الذين يلبسون ثوب الورع على غير الوجه الذي يُلبس عليه، وينبع الرأي الآخر من العاطفة الإنسانية المحكومة بالعقل الديني السليم: يرى الأول -بالكلمات التي قرأها، أو التي سمعها- أن تعلم الموسيقى وسماعها حرام. ويرى الثاني -بعاطفته الإنسانية البريئة- أن تعلمها وسماعها حلال لا حرمة فيها.

فطرة الإنسان تميل إلى المستلذات

والأصل الذي أرجو أن يتنبه الناس إليه في هذا الشأن وأمثاله، مما يختلفون في حله وحرمته، هو أن الله خلق الإنسان بغريزة يميل بها إلى المستلذات والطيبات التي يجد لها أثرا طيبا في نفسه، به يهدأ، وبه يرتاح، وبه ينشط، وبه تكن جوارحه، فتراه ينشرح

صدره بالمناظر الجميلة، كالخضرة المتسقة والماء الصافي الذي تلعب أمواجه، والوجه الحسن الذي تنبسط أساريره. ينشرح صدره بالروائح الزكية التي تحدث خفة في الجسم والروح، وينشرح صدره بلمس النعومة التي لا خشونة فيها. وينشرح صدره بلذة المعرفة في الكشف عن مجهول مخبوء، وتراه بعد هذا مطبوعا على غريزة الحب لمشتهيات الحياة وزينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث.

الشرائع لا تقضي على الغرائز بل تنظمها

ولعل قيام الإنسان بمهمته في هذه الحياة ما كانت لتتم على الوجه الذي لأجله خلقه الله إلا إذا كان ذا عاطفة غريزية، توجهه نحو المشتهيات، وتلك المتع التي خلقها الله معه في الحياة، فيأخذ منها القدر الذي يحتاجه وينفعه.

ومن هنا قضت الحكمة الإلهية أن يخلق الإنسان بتلك العاطفة، وصار من غير المعقول أن يطلب الله منه -بعد أن خلقه هذا الخلق، وأودع فيه بحكمته السامية هذه العاطفة- نزعها أو إماتتها أو مكافحتها في أصلها. وبذلك لا يمكن أن يكون من أهداف الشرائع السماوية- في أي مرحلة من مراحل الإنسانية- طلب القضاء على هذه الغريزة الطبيعية التي لابد منها في هذه الحياة.

نعم، للشرائع السماوية بإزاء هذه العاطفة مطلب آخر، يتلخص في كبح الجماح، ومعناه: مكافحة الغريزة عن الحد الذي ينسى به الإنسان واجباته، أو يفسد عليه أخلاقه، أو يحول بينه وبين أعمال هي له في الحياة لزوم، وعليه أوجب.

التوسط أصل عظيم في الإسلام

ذلك هو موقف الشرائع السماوية من الغريزة، وهو موقف الاعتدال والقصد، لا موقف الإفراط، ولا موقف التفريط، هو موقف التنظيم، لا موقف الإماتة والانتزاع. هذا أصل يجب أن يُفهم، ويجب أن توزن به أهداف الشريعة السماوية. وقد أشار إليه القرآن في كثير من الجزئيات

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾

(الإسراء: ٢٩)

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

(الأعراف: ٣١)

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾

(لقمان: ١٩)

وإذن، فالشريعة توجه الإنسان في مقتضيات الغريزة إلى الحد الوسط، فهي لم تنزل لانتزاع غريزة حب المال، إنما نزلت بتعديلها على الوجه الذي لا جشع فيه ولا إسراف، وهي لم تنزل لانتزاع الغريزة في حب المناظر الطيبة، ولا المسموعات المستلذة، وإنما نزلت بتهذيبها وتعديلها على ما لا ضرر فيه ولا شر. وهي لم تنزل لانتزاع غريزة الحزن، وإنما نزلت بتعديلها على الوجه الذي لا هلع فيه ولا جزع. وهكذا وقفت الشريعة السماوية بالنسبة لسائر الغرائز.

وقد كلف الله العقل -الذي هو حجته على عباده- بتنظيمها على الوجه الذي جاء به شرعه ودينه. فإذا مال الإنسان إلى سماع الصوت الحسن، أو النغم المستلذ من حيوان أو إنسان، أو آلة كيفما كانت، أو مال إلى تعلم شيء من ذلك. فقد أدى للعاطفة حقها. وإذا ما وقف بها مع هذا عند الحد الذي لا يصرفه عن الواجبات الدينية، أو الأخلاق الكريمة، أو المكانة التي تتفق ومركزه، كان بذلك منظما لغريزته. سائرا بها في الطريق السوي، وكان مرضيا عند الله وعند الناس.

بهذا البيان يتضح أن موقف الشاب في تعلم الموسيقى -مع حرصه الشديد على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها وعلى أعماله المكلف بها -موقف- كما قلنا- نابع من الغريزة التي حكمها العقل بشرع الله وحكمه، فنزلت على إرادته، وهذا هو أسمى ما تطلبه الشرائع السماوية من الناس في هذه الحياة.

رأي الفقهاء في السماع

ولقد كنت أرى أن هذا القدر كاف في معرفة حكم الشرع في الموسيقى. وفي سائر ما يحب الإنسان ويهوى بمقتضى غريزته، لولا أن كثيراً من الناس لا يكتفون، بل ربما لا يؤمنون بهذا النوع من التوجيه في معرفة الحلال والحرام. وإنما يقنعهم عرض ما قيل في الكتب وأُثر عن الفقهاء. وإذا كان ولا بد فليعلموا أن الفقهاء اتفقوا على إباحة السماع في إثارة الشوق إلى الحج، وفي تحريض الغزاة على القتال، وفي مناسبات السرور المألوفة كالعيد، والعرس، وقدوم الغائب وما إليها، ورأيناهم فيما وراء ذلك على رأيين: يقرر أحدهما الحرمة، ويستند إلى أحاديث وآثار، ويقرر الآخر الحل، ويستند كذلك إلى أحاديث وآثار، وكان من قول القائلين بالحل: «إنه ليس في كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا في معقولهما من القياس والاستدلال، ما يقتضي تحريم مجرد سماع الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات». وقد تعقبوا جميع أدلة القائلين بالحرمة وقالوا: إنه لم يصح منها شيء».

رأي الشيخ النابلسي

وقد قرأت في هذا الموضوع لأحد فقهاء القرن الحادي عشر المعروفين بالورع والتقوى رسالة هي «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» للشيخ عبدالغني النابلسي الحنفي، قرر فيها أن الأحاديث التي استدل بها القائلون بالتحريم -على فرض صحتها- مقيدة بذكر الملاهي. وبذكر الخمر والقينات، والفسوق والفجور. ولا يكاد حديث يخلو من ذلك. وعليه كان الحكم عنده في سماع الأصوات والآلات المطربة أنه إذا اقترن بشيء من المحرمات، أو اتخذ وسيلة للمحرمات، أو أوقع في

المحرمات كان حراماً، وأنه إذا سلم من كل ذلك كان مباحاً في حضوره وسماعه وتعلّمه. وقد نقل عن النبي ﷺ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرم. وذهب إلى مثل هذا كثير من الفقهاء. وهو يوافق تماماً في المغزى والنتيجة الأصل الذي قررناه في موقف الشريعة بالنسبة للغرائز الطبيعية.

ولع الشيخ العطار بالسماع

وكان الشيخ حسن العطار -شيخ الجامع الأزهر في القرن الثالث عشر الهجري- ذا ولع شديد بالسماع وعلى معرفة تامة بأصوله، ومن كلماته في بعض مؤلفاته: «من لم يتأثر برقيق الأشعار، تتلى بلسان الأوتار، على شطوط الأنهار، في ظلال الأشجار، فذلك جلف الطبع حمار».

الأصل في السماع الحل، والحرمة عارضة

وإذن فسماع الآلات، ذات النغمات أو الأصوات الجميلة، لا يمكن أن يحرّم باعتباره صوت آلة، أو صوت إنسان، أو صوت حيوان، وإنما يحرّم إذا استعين به على محرّم، أو اتخذ وسيلة إلى محرّم، أو ألهى عن واجب.

وهكذا يجب أن يعلم الناس حكم الله في مثل هذه الشئون. ونرجو بعد ذلك ألا نسمع القول يلقى جزافاً في التحليل والتحريم، فإن تحريم ما لم يحرمه الله أو تحليل ما حرّمه الله كلاهما افتراء وقول على الله بغير علم:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]

ذلك هو حكم الغناء -أو اللهو.. أو السماع- والذي هو: كلمات وألحان وأداء.. حسنه حسن وقبيحه قبيح.. جرت السنة بإباحته منذ أن غنت الجواري وسمع الرجال في بيت النبوة، وفي بيوت الصحابة.. وحتى فتوى الشيخ شلتوت، في عصرنا الراهن.

عرضنا لحكمه الشرعي في هذه الصفحات.. كما عرضنا للأسباب التي أثارت لغط التحريم له بتعميم وإطلاق، سواء منها تلك المأثورات المعلولة سنداً ومتناً، أو تلك الآفة التي خلطت بين ما يعرض للغناء من أمور تخرجه عن الحلّ والإباحة وبين أصل الإباحة له، فاتخذتها -بهذا الخلط- سبيلاً لتحريمه بتعميم وإطلاق[2].. والله، سبحانه وتعالى، أعلم.

---

(1) الأعراف: ٣٣. انظر (الفتاوى) للشيخ محمود شلتوت، ص ٣٥٥-٣٦٤، طبعة دار الشروق، القاهرة سنة ١٩٨٠م.

(2) انظر تفصيل موقف الإسلام من الفنون الجميلة -غناء وموسيقى ورسماً ونحتاً وتصويراً- في كتابنا (الإسلام والفنون الجميلة) طبعة دار الشروق، القاهرة سنة ١٩٩١م.

نشأة العلم الإسلامي ومناهجه



بقلم: أ. د. أحمد فؤاد باشا

أولاً: بدايات الترجمة والتصنيف والشروح

أقبل المسلمون على تحصيل العلم النافع بدافع من تعاليم دينهم الحنيف. ولم يدخروا وسعاً في الانفتاح على ثقافات الأمم والحضارات الأخرى التي شملها الإسلام والتفاعل معها والإفادة من علومها وفنونها ومناهجها، فالحكمة في عرف الإسلام ضالة المؤمن عليه أن يلتقطها أو يقتنصها أنى وجدها. وفي ظل هذا المبدأ الإسلامي لم يجد المسلمون حرجاً في الاستعانة بعلماء وفلاسفة ومثقفين مسيحيين وصابئة ومجوس في ترجمة ونقل علوم الأمم الأخرى إلى اللغة العربية. وهنا نجد أن المسلمين قد فطنوا إلى أهمية الترجمة ليس فقط باعتبارها مطلباً إسلامياً من ضروريات التحصيل المعرفي ولكن أيضاً من حيث هي أساس منهجي لقيام أية نهضة حضارية فليس من حسن التدبير أن توجد معرفة في مكان ما ولا يجد الناس في تحصيلها والاستفادة منها.

وكانت الحضارة الإسلامية -بإقبالها على الترجمة- سباقة إلى تحقيق المعادلة التاريخية التي تحكم العلاقة السوية بين الثقافات العالمية على أساس التفاعل المتبادل من ... بالخصوصيات والتمايز من جهة أخرى، ذلك أن الترجمة تمثل إحدى صور هذا التفاعل المتبادل بين الحضارات الذي يعني من ناحية أن الثقافة الإنسانية ذات موارد متعددة بين شرقية وغربية يغذي بعضها بعضاً دون أن تقام بينها حواجز منيعة تعوق الاتصال والتبادل كما يعني من ناحية أخرى أن تحتفظ كل ثقافة بخصوصياتها المميزة وأن تبقى كل حضارة على طابعها ومقوماتها التي تنفرد بها[1]. وكان طبيعياً إذن أن تبدأ الحركة العلمية في العصر الإسلامي بنقل معارف السابقين؛ حيث تعرف المسلمون على علوم كثير من الشعوب من غير ملتهم؛ فيوم أن استقر العرب في فارس و... استرعت أنظارهم حركات علمية ... وحران والإسكندرية. و... الأموي وت٨٥هـ ... بالكيـ... تعلم من ... غريانوس ... صنعة ... من رجل يدعى اصطفن القديم ... كتب الصنعة، ولذلك كان خالد بن يزيد

---

(١) د. أحمد فؤاد باشا، في ... ٢٠٠٥م، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦م

يلقب «حكيم آل مروان» ويقال أيضاً: إن ماسرجويه وهو طبيب يهودي الدين سرياني اللغة بصري الدار نقل للخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١هـ/ ٧١٧م) كتاباً مجموعاً في الطب[2].

أما أول نقل في الدولة العباسية فقد قام به عبدالله بن المقفع (ت ١٤٢هـ/ ٧٥٩م)، حيث نقل عدداً من كتب السلوك إلى اللغة العربية ووضع كتاب كليلة ودمنة بالاستناد إلى قصص فارسية وهندية، وأصبح النقل في رعاية الدولة منذ أيام أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/ ٧٧٥م)، وعلى ذلك سار هارون الرشيد الذي أنشأ «دار الحكمة» لتكون أول مؤسسة علمية تعنى بترجمة أمهات الكتب اليونانية والفارسية إلى العربية. كما أنشأ المأمون «بيت الحكمة» الذي كان بمثابة حجر الزاوية لمدرسة بغداد التي ظل تأثيرها فعالاً حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ثم اتسعت حركة الترجمة والتعريب عن اللغات اليونانية والسريانية والقبطية والهندية والفارسية وغيرها. وممن اشتهر بالترجمة آل ماسرجويه وكانوا يهوداً، وآل بختيشوع وآل حنين بن إسحق وكانوا نصارى، وآل ثابت بن قرة وكانوا صابئة. ومن أهم الكتب القديمة التي ترجمت إلى اللغة العربية وأثرت تأثيراً كبيراً في علماء الحضارة الإسلامية كتاب «السند هند» للفلكي الهندي «براهما جوبتا» وكتاب «المجسطي» لبطليموس وكتاب «أصول الهندسة» لأوقليدس، بالإضافة إلى بعض الكتب لجالينوس وأبوقراط في الطب والتشريح وبعض المخطوطات لأرسطو وأفلاطون في الفلسفة وعلوم ما وراء الطبيعة «الميتافيزيقا»... وكانت عملية الترجمة تعتمد في أمانتها ودقتها على تمكن المترجمين من اللغة العربية وإتقانهم للغات الأخرى التي ينقلون منها ويعتبر حنين بن إسحق (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) من أشهر المترجمين وأشهرهم وأقدرهم، فقد تلقى شيئاً من الطب على يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣هـ)، ثم تابع درس الطب في بلاد الروم، وزار بعدئذ الإسكندرية وفارس ودرس فيهما شيئاً من الفلسفة والطب، ثم عاد إلى البصرة وتبحر في درس اللغة العربية. وكان منهجه في الترجمة يعتمد على تحصيل معنى الجملة في ذهن المترجم، ثم التعبير عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها في المعنى، سواء استوت الجملتان في عدد الكلمات أم اختلفتا[3].

وكان علماء الحضارة الإسلامية يقومون بدراسة الكتب المترجمة دراسة نقدية فاحصة، ويستوعبون كل ما فيها، قبل أن يبدأوا في تنقيحها وترتيب علومها وشرحها والتعليق عليها. وهنا يأتي دور العمل التصنيفي ليمثل بعد الترجمة اللبنة الثانية في بناء نظرية العلم الإسلامية التي بموجبها مارس العلماء والفلاسفة المسلمون البحث العلمي أو إنتاج المعرفة العلمية، آخذين بعين الاعتبار واقع العلم المتطور والمتغير دائماً[4]. وظهرت مختلف تصنيفات العلوم لعلماء المسلمين بداية من جابر بن حيان والكندي والفارابي وانتهاء بابن خلدون وطاش زاده، لتعكس ممارستهم المبكرة للتفكير العلمي في شموليته بحثاً عن حدود العلوم المختلفة وعلاقتها بعضها البعض وتعبيراً عن الاتجاهات المنهجية التي تسلكها هذه العلوم في واقع متغير ومتجدد، يأخذ بطرف من اليونان ومن مدرسة الإسكندرية، ومن الهند والفرس بطرف آخر، لينصهر كل ذلك في حركة علمية جديدة يظللها الوعي الإسلامي ويعرضها - ولهذا سرعان ما انتقلت الحركة العلمية من طور الترجمة واستيعاب العلوم القديمة إلى مرحلة الابتكار الأصيل وإنتاج معارف جديدة عن طريق البحث وفق منهج علمي سليم يؤدي إلى الأحكام الصادقة والنتائج الواثقة.

وإذا كانت أدبيات الفهرسة وتصنيف العلوم في التراث الإسلامي كثيرة ومتعددة المشارب، منها من دمج علوم الشرع وعلوم العقل في نسق واحد مثل الفارابي وابن سينا ومن ... مثل الخوارزمي الكاتب وابن خلدون ... تشترك في تقديم حلول لا... إبستمولوجية واحدة في نظرية العلم ... التطور المتسارع بصورة مستمرة ... مؤلفة والمترجمة بتطور العلوم ... العلمي معتمداً بدرجة كبيرة ... الفهرسة والتصنيف في كل موضوع ...

من ناحية أخرى تأتي الملخصات ... التراث الإسلامي لتشكل إلى ... والتصنيف لبنة ثالثة في أول ... الإسلامي. فقد جاءت له ... ـبة تستهدف تعميق العلم وتفريعه وتطويره وتحليله وتحليل أصوله، أو لغاية تعليمية تستهدف تبسيطه وتسهيله وشرح غامضه، أو لنقده وتفنيد الآراء الواردة فيه، وهذا ما يثري الشرح ويجعله أحياناً ذا أهمية لا تقل بمكان عن العمل الأصلي أو المشروح، وربما يفوقه شهرة وأهمية واهتماماً، وأحياناً يكون للشرح شرح أو شروح نتيجة لتوالي الأفكار ونموها وتكاثرها وهناك أيضاً مختصرات الشروح وشروح المختصرات وتقاس أهمية العمل الشارح بما يكشف من تطور معرفي ومنهجي كما تحدد بدايات العلم الإسلامي من هذه الشروح والملخصات وتقاس بمدى استقلال الشرح في بنيته عن بنية النص الأصلي. ومن أمثلة الشروح التي حققت هذه الغايات وحظيت بعدئذ بشروح عديدة على فترات متقاربة أو متباعدة نذكر على سبيل المثال شروح كتاب «المجسطي» في الفلك لبطليموس الذي ترجم من اليونانية إلى العربية أربع مرات خلال القرنين الثاني والثالث الهجرية «الثامن والتاسع الميلاديين» وشروح كتاب «الأصول» في الهندسة لأوقليدس[5] كذلك ظهرت كتب «الشكوك» التي تتضمن نقداً جاداً لمعارف السابقين وتستدرك عليهم ومن أمثلتها مقالة وضعها أبو بكر الرازي في القرن الثالث الهجري «التاسع الميلادي» بعنوان «الشكوك على جالينوس» ومقالة «الشكوك على بطليموس» للحسن بن الهيثم (ت ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م)[6].

يتبع

(٢) د. عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

(٣) د. عمر فروخ: المرجع السابق

(٤) ... نظرية العلم العلمية ... بحدود اتجاهات العلوم وما يواجهها من صراعات حية وظاهرة وما تسمح به هذه الاتجاهات من إمكانيات تغيير وما تقف عنده محصورة وعاجزة عن الانطلاق إلى آفاق أرحب

(٥) د. حسين محمد سليمان: التـ... رسالة ترجمة وتقديم ... الشعب، القاهرة ...

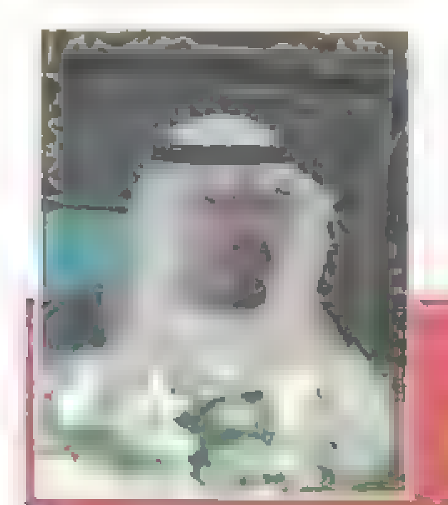
(٦) د. أحمد فؤاد باشا: التطـ... في التراث الإسلامي، مجلة الأزهر، عدد صفر ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

(٧) ... تحقيق د. عبدالحميد صبرة ود. نبيل الشهابي، تصدير د. إبراهيم مدكور، دار الكتب المصرية، القاهرة ...

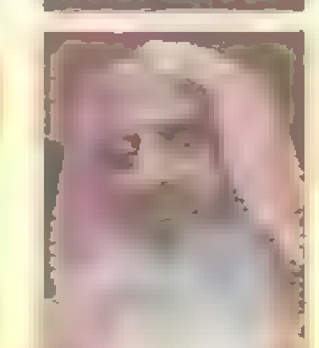




نحن صوت عدل وقيم وتعايش وحوار عاقل



الحوار متى كان قائما على الطيب من القول وعلى النيات الحسنة وعلى المقاصد الشريفة كانت نتائجه كريمة وكان خير وسيلة للوصول إلى الحقيقة



من أهم أهداف الحوار أن نزيل كل الشبه التى ألصقت بالإسلام واتهم بها والإسلام منها براء.





إذا أردنا الحوار مع أتباع الأديان الأخرى فعلينا أن نبدأ الحوار فيما بيننا ونوحد رؤانا ولنعبر عن الرؤية الإسلامية فى حوارنا مع الآخر

إلى جوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وفي رحاب قصر الصفا الذى يطل على الكعبة المشرفة، وبمشاركة من ٥٠٠ شخصية إسلامية، عقد المؤتمر الإسلامى العالمى للحوار، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حيث شارك العلماء والمفكرون ورؤساء المنظمات والمراكز الإسلامية والباحثون والإعلاميون من مختلف الدول الإسلامية، وبلاد الأقليات المسلمة، ممن لهم باع طويل وخبرة في مجال التأصيل للحوار، ولهم إسهامات في مجال الحوار مع الآخر، بحيث يكونوا ومن خلال مؤتمر مكة العالمى بمحاوره الأربعة، مرتكز الإنطلاقة القوية لما يتطلع إليه المسلمون معه هذا الحوار.

ففى الفترة من ٣٠ / ٥ إلى ٢ / ٦ / ١٤٢٩هـ الموافق ٤ - ٦ يونيو ٢٠٠٨ جاءت فعاليات هذا المؤتمر الهام والتى تمثلت في محاور أربعة هى:

المحور الأول: التأصيل الإسلامى للحوار

- الحوار فى القرآن والسنة.. المفهوم والأهداف

- الحوار فى القرآن والسنة.. الأسس والمنطلقات

- تجارب من الحوار الحضارى وضوابطة

المحور الثاني: منهج الحوار وضوابطة:

- آداب الحوار وضوابطه

- إشكاليات الحوار ومحظوراته

- آليات الحوار

المحور الثالث: مع من نتحاور؟

- التنسيق بين المؤسسات الإسلامية المعنية بالحوار

- الحوار مع أتباع الفلسفات والأديان الوضعية

- مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام

وأخيرا المحور الرابع بعنوان مجالات الحوار، ويتناول صراع الحضارات والسلم العالمي - مخاطر العولمة - الأسرة والأخلاق في المشترك الإنساني

ومؤتمر الحوار يأتي تلبية لدعوة كريمة من خادم الحرمين الشريفين يأتي دعما لميثاق الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لحقوق الإنسان التي نصت على تشجيع الحوار والتفاهم والتعاون بين الأديان والثقافات من أجل السلام ومنع حالات التعصب والتمييز والتحريض على كراهية أفراد أي من الطوائف وأتباع الديانات والمعتقدات.

وفي الكلمة الافتتاحية التي ألقاها خادم الحرمين الشريفين بالقاعة الكبرى بقصر الصفا إيذانا بانطلاق أعمال المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار بعد تلاوة آيات من القرآن الكريم.

قال: بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين

أيها الإخوة علماء الإسلام ومفكروه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من مهبط الوحي أرض الرسالة، أرحب بكم، أكرم ترحيب سائلا المولى عز وجل أن يمدنا بعزم لا يلين وقوة لا وهن معها، وأن يجعلنا ممن قال عنهم:

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾

(فصلت: ٣٤)

وقال خادم الحرمين: إنكم تجتمعون اليوم لتقولوا للعالم من حولنا وباعتزاز أكرمنا الله به إننا صوت عدل وقيم إنسانية أخلاقية وإننا صوت تعايش وحوار عاقل وعادل وصوت حكمة وموعظة وجدال بالتي هي أحسن تلبية لقوله تعالى

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾

(النحل: ١٢٥)

وبإذن الله سنفعل ذلك

وأضاف الملك عبدالله: ما أعظم قدر هذه الأمة وما أصعب تحدياتها في زمن تداعى الأعداء من أهل الغلو والتطرف من أبنائها وغيرهم على عدل منهجها، تداعوا بعدوانية سافرة استهدفت سماحة الإسلام وعدله وغاياته

ولهذا جاءت دعوة أخيكم لمواجهة تحديات الانغلاق والجهل وضيق الأفق ليستوعب العالم مفاهيم وآفاق رسالة الإسلام الخيرة دون عداوة واستعداء

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾

(الحجرات: ١٣)

وأكد خادم الحرمين الشريفين في كلمة أمام علماء المسلمين في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الحوار قائلا: ولهذا سيبقى الإسلام منيعا بالله - جل جلاله - ثم بوعي علمائه ومفكريه وأبنائه، لعظمة الإسلام أسست مفاهيم الحوار وحددت معالم الطريق له، يتجلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وقلوبنا - بحمد الله - مليئة بالإيمان والتسامح والمحبة التي أمرنا بها الخالق - جل جلاله

وأضاف: معا أيها الإخوة الكرام سيكون الطريق للآخر من خلال القيم المشتركة التي دعت إليها الرسالات الإلهية والتي أنزلت من الرب عز وجل وتعالى لما فيه خير الإنسان والحفاظ على كرامته وتعزيز قيم الأخلاق والتعاملات التي تستقيم والخداع، تلك القيم التي تنبذ الخيانة، وتنفر من الجريمة، وتحارب الإرهاب، وتحتقر الكذب، وتؤسس لمكارم الأخلاق، والصدق، والأمانة، والعدل، وتعزز مفاهيم وقيم الأسرة وتماسكها وأخلاقياتها التي جار عليها هذا العصر وتفككت روابطها وابتعد الإنسان فيه عن ربه وتعاليم دينه.

واختتم كلمته بقوله: من حوار بيت الله الحرام ندعو معا - بإذن الله - سننطلق في حوارنا مع الآخر بثقة نستمدها من إيماننا بالله ثم بعلم نأخذه من سماحة ديننا ونجادل بالتي هي أحسن فما اتفقنا عليه أرسخنا مكانته الكريمة في نفوسنا وما اختلفنا حوله نحيله إلى قوله سبحانه وتعالى:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

الحوار من ضروريات الحياة

ثم ألقى سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ كلمة أكد فيها على أن الحوار بين البشر من ضروريات الحياة وهو وسيلة للتعارف والتعايش وتبادل المصالح بين الأمة وأن الخلاف بين الناس أمر موجود في طبائعهم واخلاقهم فهم متفاوتون في ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم وعقولهم وأن اختلاف الناس في آرائهم ومعتقداتهم سنة كونية وقضية أقرها القرآن وبين أن الله بعث محمد ﷺ برسالة لجميع الخلق وختم به الرسالات: عقيدته وشريعته الدعوة إلى إخلاص الدين لله، وتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وهي عقيدة جميع المرسلين قبلهم.

وأوضح أن أهمية الحوار في الإسلام تنبع من خلال نشأة الإسلام بهذا الحوار ودعوته إليه للنهوض بالشعوب والأمم ولاسيما في الدعوة إلى الله.

واضاف مفتي المملكة قائلاً: أمة الإسلام نحن في قرن قوي فيه الاتصال مما أدى إلى ضرورة التحاور والتواصل بين البشر فهو الأصل للتلاقي فيجب على عالمنا الإسلامي ان يستغله بحزم وان يتعامل معه بإيجابيات واستغلال في الدعوة إلى الإسلام وبيان فضائله والسعي فيما ينقذ العالم من الانهيار والفساد والانحراف والتفكك الأسري وغيره من جرائم العصر.

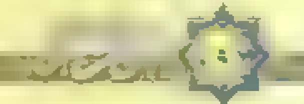
وأكد سماحته أن من أهم أهداف الحوار أن نزيل كل الشبه التي ألصقت بالإسلام واتهم بها والإسلام منها براء. فقد قالوا عن الإسلام إنه دين إرهاب وقالوا عنه إنه دين عنف وينتهك حقوق الإنسان كل ذلك من المغالطات.. فالإسلام دين الرحمة واللين والتسامح وحب الخير واحترام الحقوق للصغير والكبير والغني والفقير واحترام حقوق الإنسان بل احترام حق الحيوان وجاء بما يحمي البيئة ويؤمن مصالح الناس في حاضرهم ومستقبلهم.

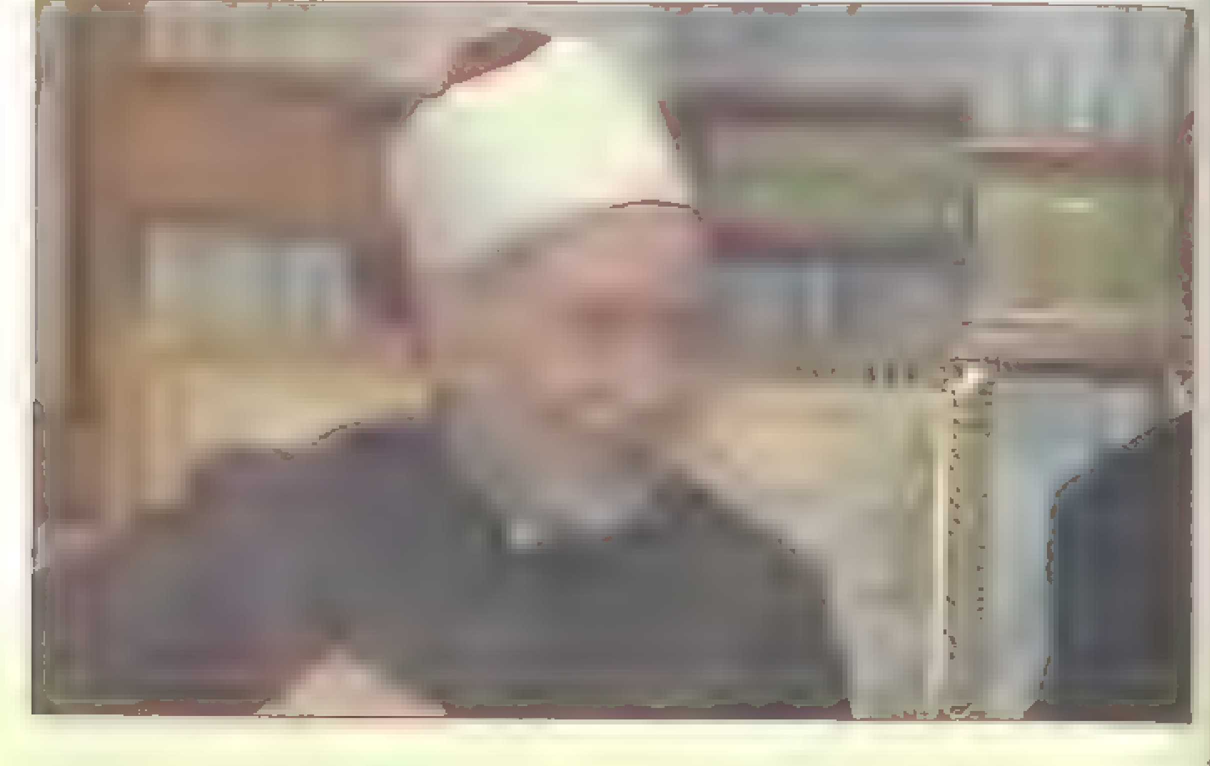
إن كثيرا من الإعلام الجائر صد الناس عن الإسلام وخرج لهم بصورة مشوهة فمن هنا صار الحوار فرصة لنشر مبادئ الإسلام الكريمة.

وبعد ذلك ألقى رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام ورئيس مجلس الخبراء في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الدكتور أكبر هاشمي رفسنجاني كلمة أعرب فيها عن شكره لإقامة هذا المؤتمر الذي يحمل الكثير من المعاني للأمة الإسلامية وذلك في مهبط الوحي.

وقال إن النقطة المثيرة التي تبادرت إلى ذهني هي أننا على بعد أمتار من جبل الصفا حيث المكان الذي قام فيه الرسول ﷺ بعد تكليفه بالرسالة بإعلان دعوته.

وأضاف إننا الآن في المملكة العربية السعودية وبجوار بيت الله الحرام. وعلى بعد أمتار من جبل الصفا أطلقوا نداء جديدا لعالمنا





حيث يقدمون رسالة عظيمة لجميع أبناء البشر في العالم ونحن لا نرجو إلا أن نستطيع أن نوصل نداءنا من جوار بيت الله الحرام ومهبط الوحي، الرسالة التي جاء بها القرآن الكريم إلى جميع أنحاء العالم

ونوه رفسنجاني بما ورد من نقاط جيدة في كلمة خادم الحرمين الشريفين وسماحة مفتي عام المملكة كما طرح بعض المحاور لإبراز الهدف من إقامة هذا المؤتمر حتى يمكن أن تكون رسالة مؤثرة في عالم العصر

وأوضح أن هذا المؤتمر الإسلامي العالمي يمكن أن يكون تمهيدا ومقدمة للحوار بين أتباع الأديان وبين المدارس الرائجة بين البشرية.

قائلاً: إننا إذا أردنا الحوار مع اتباع الأديان الأخرى فعلينا أن نبدأ الحوار فيما بيننا وأن نحدد مسيرة إسلامية محددة نتفق عليها ونتفاهم حولها ونسير في هذا الطريق بتوحيد رؤانا ونعبر عن الرؤية الإسلامية في حوارنا مع الآخرين

وعقب ذلك ألقيت كلمة الوفود وقد ألقاها نيابة عنهم فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر رفع فيها باسمه ونيابة عن العلماء المشاركين في المؤتمر جميعا الشكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود على المؤتمر سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يديم عليه الصحة والسداد في القول والعمل.

وقال فضيلة الإمام الأكبر إن هذا المؤتمر

الإسلامي العالمي للحوار الذي يرعاه خادم الحرمين الشريفين والذي اعدته رابطة العالم الإسلامي هو لون جديد من ألوان العمل الجاد المتقن لتوثيق الأخوة الإسلامية بين البشر ولتيسير روابط التعاون الصادق بين المسلمين وبين أبناء الأمة الإسلامية

وأضاف فضيلته: إن الحوار سنة من سنن الله في خلقه لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش منفردا عن غيره في هذه الحياة لاسيما في هذا العصر الذي أصبح العالم كله كأنه مدينة واحدة.

والحوار متى كان قائماً على الطيب من القول وعلى النيات الحسنة وعلى المقاصد الشريفة كانت نتائجه كريمة وكان خير وسيلة للوصول إلى الحقيقة وإلى تقليل الخلافات بين الناس.

حوار الرسل

واستشهد فضيلة الإمام بالقرآن الكريم والحوار مع الرسل قائلا: والذي يتدبر القرآن الكريم يراه زاخرا بألوان متعددة من الحوارات التي يشتمع بهديها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

لقد ساق لنا القرآن الكريم الكثير والكثير من حوار الرسل مع أقوامهم.. فهذا سيدنا نوح يقول لقومه

﴿ يا قوم إن كان كبر عليكم [illegible] فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ﴾

(يونس ٧١)

وهذا سيدنا هود عليه السلام يقول لقومه

﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾

(هود ٥٢)

فيردون عليه بقولهم كما حكى القرآن الكريم:

﴿ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ﴾

(هود ٥٣)

فيرد عليهم كما قص القرآن:

﴿ قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون ۝ من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ﴾

(هود ٥٤، ٥٥)

وواصل فضيلة شيخ الأزهر قائلاً: وهذا سيدنا إبراهيم تراه يحاور أباه ويحاور قومه في مواطن متعددة من القرآن الكريم ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم ۝ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ۝ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾

(الشعراء ٦٩ - ٧١)



يرد عليهم

﴿ قال هل يسمعونكم [illegible] كذلك يفعلون ﴾

(الشعراء ٧٢، ٧٤)

يرد عليهم

﴿ [illegible] ﴾

(الشعراء ٧٥، ٨٢)

ألوان من الحوار بين الرسل وبين أقوامهم

وقال فضيلة الإمام الأكبر مواصلا كلمته للمؤتمر العالمي للحوار بمكة المكرمة وأمام ما يقرب من ٥٠٠ شخصية عالمية إسلامية إننا نجد حوارات متعددة ولا أقول مبالغاً بأن الذي يقرأ آيات القرآن الكريم يجد أن ثلث هذه الآيات القرآنية ألوان من الحوار بين الرسل وأقوامهم وألوان من المحاورات التي دارت بين أهل الجنة وأهل النار:

﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار [illegible] ﴾

(الأعراف ٤٤، ٤٥)

كذلك هناك ألوان من المحاورات التي دارت بين الأشرار فيما بينهم

﴿ [illegible] في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم [illegible] عذابا ضعفا من النار ﴾

(الأعراف ٣٨)

قال

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ٣٩)

هذا حوار حول اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب وحساب

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء: ٤٩)

ويرد القرآن الكريم عليهم:

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء ٥٠، ٥١)

هذه ألوان من المحاورات أيضاً حول القرآن الكريم

﴿ [illegible] ﴾

(يونس ١٥)

يأتي الجواب.

﴿ قل ما يكون لي [illegible] ﴾

(يونس ١٥)

كما ساق لنا القرآن الكريم ألوانا من المحاورات مع الملائكة ومع الرسل الكرام.. مع المشركين.. مع المنافقين.. مع أهل الكتاب.

بل ساق القرآن الكريم حوارا أيضا لصور شتى حتى مع إبليس اللعين:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف ١١، ١٢)

٧ مرات تكرر في هذه الآيات لفظ قال ونجد مادة الحوار المأخوذة من مادة القول.. نجد هذه المادة مادة: القول، قال، وقالوا، ويقولون، وقل.. نجد أن لفظ قالوا تكرر في القرآن الكريم اكثر من ٥٠٠ مرة ولفظ قال أكثر من ثلاثمائة مرة ولفظ قل تكرر أيضاً أكثر من ثلاثمائة مرة.

إذا فالقرآن الكريم ساق ألوانا ونماذج متعددة من الحوارات التي فيها ما فيها من الهدايات.

وفي ختام كلمته قال فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي.. صاحب الجلالة خادم الحرمين الشريفين أكرمه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعاً مع جلالته لما يحبه ويرضاه [illegible] باسمي وباسم العلماء الأعلاء الأخيار ضيوف هذا المؤتمر نتقدم بخالص الشكر والدعاء والامتنان في القول والعمل لراعي هذا المؤتمر.. كما نتقدم بالتحية والتقدير لرابطة العالم الإسلامي ولأمينها العام سماحة الشيخ الجليل الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي على هذا الجهد العظيم الذي قدمته الرابطة لإعداد هذا المؤتمر الذي سيكون له بإذن الله أفضل النتائج وأشهى الثمار.

واختتم معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي الجلسة الافتتاحية بقصر الصفا بكلمة مهمة حول مؤتمر الحوار قائلا إنها لفرصة تاريخية نادرة يجتمع فيها علماء المسلمين وقادة الرأي فيهم من مختلف أنحاء العالم، حول الكلمة المشرفة أقدس بقعة في المعمورة وتحت رعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين.

فلقد أدرك- حفظه الله- ما تعيشه البشرية اليوم من أزمات وما يكتنف الأسرة من تفكك وفوضى وما يعيشه البشر من بعد عن هدى خالقهم وأهمية الحوار والتفاهم والتعاون فيما يجتمع عليه أتباع الرسالات الإلهية والحضارات والثقافات من قيم ومبادئ



أخلاقية مما يخفف من الصراع العالمي ويعيد للأسرة مكانتها الاجتماعية ويعمق قيم العدل والتسامح والوسطية في حياة الناس.

وأضاف الدكتور التركي: واليوم- وتحت رعايته الكريمة- ينعقد هذا المؤتمر الإسلامي العالمي لتدارس حوار المسلمين مع غيرهم ومن أجل الاتفاق على رؤية شرعية.

إن الإسلام رسالة موجهة للناس كافة اشتملت على أرقى ما عرفه العقل البشري من القيم والمبادىء المثلى المهيأة لعمارة الأرض بمجتمع إنساني متوائم.

وشدد على أنه حيثما تستنير أمة الإسلام بقيم الإسلام وأحكامه تنفتح بثقافتها على الغير وتملك القدرة على الحوار مع أتباع الرسالات الإلهية ومنتحلي الملل والفلسفات المعتبرة وأن الحوار وسيلة تستمد مشروعيتها وأهميتها من مشروعية ما تهدف إليه من خير وصلاح.

وهو منهج قرآني أصيل وممارسة نبوية.. وثقافة راسخة في ذاكرة الأمة اصطبغت بها العلاقة بين المسلمين وغيرهم منذ فجر الإسلام وعبر تاريخه الحضاري الطويل وتراثه المتجدد انطلاقا من سماحة الإسلام وجوهر الشريعة الإسلامية التي يستمد منها المسلمون نهجهم.

وبين الدكتور عبدالله التركي في كلمته الضافية أمام وفود المؤتمر: أن من وسائل الدفاع عن الإسلام في هذا العصر وإبراز قيمه وحضارته في خضم التداخل الثقافي وتقدم تقنية المعلومات أن يمد المسلمون جسور الحوار مع غيرهم لاسيما وأن عالمية الرسالة الخاتمة ومسئولية التعريف بها تقتضي التعرف على الآخرين واستكشاف ما لديهم من ثقافات ومفاهيم فالانغلاق مناف لسنن الاجتماع البشري والحوار من أهم الوسائل في التفاعل مع الوجود كله ضمن سنن التنوع والتدافع لتحقيق التوازن الكوني.

وأضاف يقول: إن قدرا وفيرا من المشكلات التي ترهق المجتمع البشري تعد من المشترك الإنساني الذي يتيح مجالا للمسلمين للتعريف برصيدهم الثقافي في النظم والتشريعات والإسهام بهذا الرصيد في توجيه الفكر الإنساني من خلال الأطر المفتوحة للتداول بين مختلف الرؤى الحضارية في القضايا الإنسانية كما يتيح لهم فرصا للتعرف على القيادات المؤثرة في الحياة المعاصرة والتي تبدي استعدادها للتعاون مع المسلمين.

وليس ذلك مدرجة للتنازل عن شيء من حقائق الدين الثابتة في العقيدة أو الشريعة أو تعريضها للنقد والمراجعة فإن شعار المسلم إذا تعامل مع غيره قوله الله تعالى:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

(الكافرون ٦)

وقفة مراجعة

وأكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي على أنه إذا كان الحوار بين المسلمين وغيرهم أمرا تقتضيه خصيصة الانفتاح التي تتسم بها خاتمة الرسالات الإلهية وضرورة التعامل الإيجابي مع متغيرات العلاقات الحضارية بما يحمي الهوية الإسلامية من الذوبان في أتون العولمة الكاسحة فإن من الأهمية بمكان أن يقف المعنيون بالحوار وقضاياه وقفة مراجعة لرصد التجارب الماضية ينطلقون منها إلى وضع خطة جديدة في المستقبل تتحدد فيها أهداف الحوار وضوابطه ووسائل تنفيذه فيما يعزز الإيمان بالله والإحسان إلى خلقه وتنمية فضائل الأخلاق التي تقوى نوازع الخير وتكبح بواعث الشر وتؤدي إلى تبادل المصالح بين البشر.

وهذا أهم ما استهدفه هذا المؤتمر استجابة لتطلعات المهتمين بقضايا الحوار بين أتباع الرسالات والحضارات وإسهاماً في التخفيف من عوائق الحوار ومشكلاته وتأكيداً على أهمية التجرد للحق والإنصاف مع النفس.

رسالة سامية ومهمة جليلة

وأوضح د. عبدالله التركي في ختام كلمته قائلا: إن السعادة لتغمر الأمة المسلمة إذ ينعقد هذا المؤتمر في مكة المكرمة زادها الله تشريفاً.. بمكانتها السامية في نفوس المسلمين وتحت الرعاية المباشرة من خادم الحرمين الشريفين بما له من حضور واهتمام في العالم كله وما للعلماء والمفكرين المسلمين من مكانة متميزة لديه، ففي مختلف المناسبات يشيد بهم ويوجه بالتعاون معهم.

إن هذا المؤتمر رسالة سامية ومهمة جليلة ونقلة نوعية تعلق عليه الأمة آمالا عريضة في تحقيق مشاريع عمل تستثمر في مسيرة الحوار، وتوظف للخير ونفع المسلمين والإنسانية جمع من خلال عمل مؤسسي طموح، يعزز الحوار ويجلي آفاقه مع المسلمين ومع غيرهم.

التأصيل الإسلامي للحوار

وبعد ذلك عقد المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار جلسة عمله الأولى في المساء وتولى رئاستها معالي رئيس مجلس الشورى السعودي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد. وخصصت لمناقشة المحور الأول للمؤتمر (التأصيل الإسلامي للحوار) حيث تحدث في الجلسة المدير التنفيذي للملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين الدكتور سعد بن علي الشهراني عن الحوار في القرآن والسنة / الأسس والمنطلقات، وأكد فيها أن الحوار للمسلم لا ينطلق في حواراته من فراغ، بل له أهداف سامية معلومة، إذ أن أهداف الحوار هي ثمرته وغايته المطلوبة، وبتحديد هذه الأهداف تتضح موضوعاته وأساليبه. وتحدث الدكتور أسعد السحمراني عن (تجارب من الحوار الحضاري عبر التاريخ) مشيرا إلى أنه حدثت قفزات سريعة في عالم الاتصال، بفعل التقدم التقني، وذلك فرض قدرا من الانفتاح والتواصل بين الأمم والمجتمعات. لم تعهده البشرية من قبل.

وعقد المؤتمر جلسته الثانية برئاسة رئيس البرلمان في أندونيسيا الدكتور نور محمد هدايت وحيد.

وخصصت هذه الجلسة لمناقشة موضوع محددات الحوار ومصطلحات الشرعية، حيث تحدث فيها كل من الأمين العام للمركز العالمي للوسطية في الكويت الدكتور عصام أحمد البشير والمشرف العام على مؤسسة الإسلامية اليوم الدكتور سليمان بن فهد العودة.

وواصل المؤتمر جلساته، وناقش الكثير من البحوث المهمة التي أعدت لهذا المؤتمر، وتلا ذلك توصيات سوف نتناولها في مقال قادم إن شاء الله تعالى.

مستقبل الحوار
فى ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام

بتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وبرعايته، أقامت رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة المؤتمر الاسلامي العالمي للحوار في الفترة من ٣٠ من جمادى الأولى الى ٢ من جمادى الاخرة ١٤٢٩ هـ التى توافقها الفترة من ٤ الى ٦ يونية ٢٠٠٨م.. وقد وجهت الدعوة الى حوالى سبعمائة من كبار العلماء في العالم الاسلامي للمشاركة في المؤتمر.

وافتتح خادم الحرمين الشريفين المؤتمر بكلمة أوضح فيها ان الاسلام هو صوت العدل والقيم الانسانية والتعايش السلمي بين أبناء البشر جميعا. وأن الأمة الاسلامية تواجه تحديات من الداخل والخارج في زمن تداعى فيه أهل الغلو والتطرف من أبنائها ومن غيرهم على عدل منهجها بعدوانية سافرة. وانه يجب على المسلمين جميعا ان يتحدوا ويتعاونوا لمواجهة هذه التحديات. وأن الاسلام دعا الى الحوار وأعطاه أهمية خاصة. كما أن الرسالات السماوية دعت جميعها الى خير الانسان والحفاظ على كرامته والى تعزيز قيم الأخلاق وقيم الأسرة. وان المسلمين ينطلقون الى الحوار مع الآخر بثقة نستمدها من ايماننا بالله. ثم بعلم نأخذه من سماحة ديننا..

كما ألقى فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر كلمة شكر إنابة عن الوفود المشاركة في المؤتمر. أعرب فيها عن تقديره لرعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لهذا المؤتمر. وأكد فضيلته على ان الحوار سنة من سنن الله في خلقه وأن الذى يتدبر القرآن الكريم يراه زاخرا بأنواع متعددة من الحوارات.

وقد انبثق في المؤتمر على مدى ثلاثة أيام أربعة عشر بحثا في أربعة محاور هي: التأصيل الاسلامي للحوار. ومنهج الحوار وضوابطه. ومع من نتحاور؟ ومجالات الحوار. بخلاف عشرات الأبحاث التى قدمت إلى المؤتمر ولم يتسع وقت المؤتمر إلى إلقائها.

وقد طلب منى معالى الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي- قبل عقد المؤتمر- اعداد بحث في المحور الثالث: مع من نتحاور؟ بعنوان: مستقبل الحوار في ظل الاساءة المتكررة الى الاسلام. أعددته بتوفيق من الله تعالى. وتم إلقاؤه في الجلسة الرابعة للمؤتمر يوم الخميس ١ / ٦ / ١٤٢٩هـ الموافق ٥ / ٦ / ٢٠٠٨ ضمن الأبحاث التى ألقيت

[illegible]

عضو مجمع البحوث الاسلامية

لقد سئمت شعوب العالم الحروب، وأيقنت عن قناعة أن الحروب لن تحل المشاكل التى تقع في المجتمع الإنسانى، وأن القتال لن ينهى الخلافات التى تنشأ بين الدول... بل على العكس، وجدت الشعوب أن القتال والحروب تزيدها تعقيدا، وتولد الكراهية والبغضاء بين الشعوب المتحاربة، وأنها تدفع الشعوب المنهزمة المقهورة التى غلبت على أمرها، تدفعها دفعا إلى أن تتولد لديها غريزة الانتقام، وإلى أن تتبنى خطة الانتقام والأخذ بالثأر من الدول المنتصرة عليها...

وهكذا تعيش شعوب العالم فى مآسى القتال والحروب التى تجلب الخراب والدمار، وتترك وراءها ملايين القتلى من العسكريين والأطفال والنساء والشيوخ من المدنيين. إضافة إلى الملايين من مشوهى الحرب من الجانبين..

ولقد عاش كبار السن فى دول العالم- من الجيل الحالى- مآسى الحرب العالمية الثانية، وما خلفته من دمار شامل فى دول الغرب- التى بدأت منه- وفى دول الشرق التى لم تكن طرفا فيها...

ونعيش جميعا ما يحدث- حاليا- فى بعض دول العالم- من قتال وصراعات واعتداءات ظالمة صارخة من بعض الدول القوية التى تستغل تفوقها العسكرى والاقتصادى فى الاعتداء على الدول الضعيفة، وفرض هيمنتها عليها لاستغلال ثرواتها، وبسط نفوذها على المناطق المحيطة بها... وهو ما نشاهده فى فلسطين وأفغانستان والعراق والشيشان.. الخ

لذلك اتجهت شعوب العالم فى النصف الثانى من القرن العشرين إلى منهج الحوار، واتخاذه أسلوبا لعلاج المشاكل التى تنشأ بين الدول، ومنهجا للتعامل فيما بينها لحل القضايا والخلافات، والوصول إلى نتائج سليمة

ترجح الأطراف المتصارعة... وعلا صوت المنادين بالحوار في دول العالم، وأعلنوا أنه لا بديل عن الحوار في حل المشكلات المحلية أو الإقليمية أو الدولية... وتشكلت له مؤسسات وهيئات شملت جميع مجالات الحياة: دينية، وثقافية، وحضارية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية... إلخ، منها مؤسسات ولجان الحوار الديني، وحوار الحضارات...

وتحققت نتائجه الدولية في بعض المجالات، وكان أبرزها تحقيق الوحدة الأوروبية!! فمن كان يفكر أو حتى يظن أثناء الحرب العالمية الثانية، أو بعد انتهائها في عام ١٩٤٥م إلى أن الدول المتحاربة مثل: ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا... إلخ ستصبح -مستقبلا- في وحدة أوربية تجمعها، يتعاونون فيما بينها اقتصاديا وسياسيا وعسكريا... بل وتتخلى كل دولة من دول الوحدة عن عملتها النقدية- التي هي جزء من تاريخها وتراثها- وتتعامل بعملة مالية نقدية جديدة موحدة فيما بينها "اليورو"، ويدخل المارك الألماني والفرنك الفرنسي والليرة الإيطالية... إلخ في ذمة التاريخ!!

إن أي شخص لو كان قد قال هذا في ذلك الوقت لاتهم بالخبل والجنون...

ولكن قد تم ذلك وتحقق عن طريق الحوار.

موقف الإسلام من الحوار

قبل أن نتحدث عن أهمية الحوار الديني والحضاري ومدى الحاجة إليه، أو عن عدم أهميته وعدم الحاجة إليه... يتطلب الأمر أولا أن نبين موقف الإسلام من الحوار بصفة عامة: سواء أكان بين المسلمين وغير المسلمين، أو بين المسلمين فيما بينهم؟ وهل الإسلام يقر الحوار ويدعو إليه أم يرفضه ولا يوافق عليه؟

نقرر ونؤكد على أن: الحوار هو لغة الإسلام، وقد قضى الله -سبحانه- أن تكون علاقته -جل شأنه- بمخلوقاته قائمة على أساس الحوار الإقناعي وليس على أساس القهر والإكراه، وأن القرآن الكريم -وهو دستور المسلمين، ومصدر عقيدتهم وشريعتهم- قد وجهنا إلى أن الحوار هو الأسلوب الذي يجب على المسلمين اتباعه عند بحث القضايا والمشكلات، وعند مناقشة حل الخلافات التي تنشأ بين المسلمين وغيرهم، أو بين المسلمين بعضهم مع بعض...

وأن الحوار هو اللغة التي استعملها الله- جل شأنه- مع مخلوقاته ليرشدنا إلى استعمال الحوار في جميع مجالات حياتنا، من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، واطمئنان وجداني... كي يعيش المجتمع الإنساني في إخاء وتواصل، وأمن وأمان، وحب وسلام..

ولقد أراد -سبحانه- أن يعلمنا عمليا -ومن خلال القدوة- أن النهج السليم في تأسيس وإدارة العلاقات بين البشر، أن يكون قائما على أساس مبدأ الحوار وحسن استخدامه مع الناس كافة: أفرادا كانوا أو جماعات، أو شعوبا وحضارات، مسلمين وغير مسلمين:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

(البقرة ٨٣)

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾

(طه ٤٤)



﴿ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

(الأحزاب ٧٠)

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(العنكبوت ٤٦)

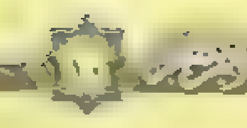
إلخ الآيات القرآنية التي وردت في القرآن الكريم تؤكد على ذلك..

نقرأ القرآن الكريم فنجد: أن مادة "القول" وما اشتق منها: كقال، ويقول، وقل، وقالوا، ويقولون، وقولوا... إلخ. هذه المادة التي تدل على: التحاور والمناقشة والجدال والمعارضة والمراجعة بين الناس فيما يتعلق بأمور حياتهم، قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة[٦].

فمثلا لفظ "قال" قد تكرر في القرآن الكريم أكثر من خمسمائة مرة، ومن ذلك قوله- تعالى-:

(البقرة ٢٥٨)

٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي



ولفظ "قالوا" قد تكرر في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ومن ذلك قوله- سبحانه-:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(البقرة: ٦٧- ٧١)

ولفظ "يقول" قد تكرر في القرآن ثمانٍ وستين مرة، ومن ذلك قوله- تعالى-:

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

(المائدة: ١٠٩)

ولفظ "قل" تكرر في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ومن ذلك قوله- سبحانه-

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

(الأنعام آية: ١٩)

ولفظ "يقولون" قد تكرر في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة، ومن ذلك قوله- جل شأنه-:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾

(الكهف آية: ٢٢)

وأسلوب الحوار والجدال وعرض الآراء والمناقشة في القرآن الكريم يتسم باتساع دائرته، وتعدد قضاياه، وشموله لما لا يحصى من الموضوعات.

فهناك محاورات بين الخالق- عظمت قدرته- وبين مخلوقاته من الرسل الكرام، ومن الملائكة المقربين، بل ومن الشيطان الرجيم.

وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم، أو بين الأخيار والأشرار، أو بين الأخيار فيما بينهم، أو بين الأشرار فيما بينهم.

وهناك حوار مع أهل الكتاب، أو مع المنافقين، أو مع المقلدين لسابقيهم في الباطل والضلال، أو مع السائلين للرسول- عليه الصلاة والسلام-.

وهناك حوار يدور حول إثبات وجود الله- جل شأنه- ووحدانيته، وحول الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب، وهناك حوار حول القرآن الكريم وإعجازه... إلخ ما ورد في القرآن الكريم من حوارات في موضوعات كثيرة...

فهذه الآيات الكثيرة التي تكررت في القرآن الكريم، وردت فيها مادة "القول" وما اشتق منها، والتي تكررت أكثر من ألف وسبعمائة مرة- كما أشرنا سابقا- إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الحوار هو لغة الإسلام، وأنه اللغة التي ارتضاها الخالق- جل شأنه- لعباده للمناقشة والجدال والتفاهم في حل مشاكلهم وقضاء مصالحهم...

البابا بندكت السادس عشر والحوار

من المسلم أنه حدث فتور في الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي منذ أن تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، أو بتعبير أكثر صراحة ووضوحا حدثت انتكاسة للحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي منذ توليه.

وتعود أسباب ذلك إلى الآتي:

(أ)- سبق أن شكل المجمع الفاتيكاني الثاني- في الستينيات- نقطة تحول في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، حيث دعا الكاثوليك لتغيير موقفهم إزاء مؤمني الديانات الأخرى، وأنشئت بعد ذلك بقليل مؤسسات حوار جديدة في الفاتيكان، وفي المقر الرئيسي لمجلس الكنائس العالمي، وأسست في بلدان عدة هيئات مشابهة ومعاهد للتعليم والبحوث.

ثم جرت- بعد ذلك- عشرات اللقاءات بين الجامعيين ورجال الدين والسياسيين فسبروا غور مجالات عدة، وتدارس البعض منهم النواحي العقيدية والصوفية للمسيحية والإسلام، فيما عالج آخرون المسائل الاجتماعية والثقافية...

ومع مرور الزمن تزايد عدد المنخرطين في ضروب الحوار تلك، فيتواجد الآن مسيحيون من كافة المذاهب، ومسلمون من جميع الأمم والأنظمة في صفوف المشتركين والمنظمين لأحداث حوارية من أنواع متعددة.

وقد اتبعت بصورة منظمة لقاءات معينة بين الجانبين: جماعة من الحاضرين بأعداد متساوية تقدّم بالتناوب وجهات النظر المسيحية والإسلامية في موضوعات محددة، أمام حضور موسع، ويصدر عقب كل لقاء- في معظم الأحيان- إعلان مشترك يوصي بالتفاهم والمزيد من تبادل الآراء، والعمل المشترك لمواجهة عدم المساواة بين البشر، واندلاع الحروب، وتفشي المظالم... إلخ (٢).

(ب)- كان البابا بندكت السادس عشر- قبل أن يتولى بابوية الفاتيكان- يمثل القوى المحافظة في الفاتيكان- الكنيسة والدولة- منذ أن شغل موقع رئيس لجنة العقيدة في المؤسسة الكنسية الفاتيكانية.

٢- من بحث بعنوان: تقييم الحوار المسيحي الإسلامي في الآونة الأخيرة للأب الدكتور جان ماري غوديل، ألقاه في ندوة الحوار التي عقدت في طرابلس- ليبيا- في الفترة من ١٣- ١٨ مارس ٢٠٠٢م

وقد لعب الكردينال "راتزينجر" وهذا هو اسمه قبل أن يتولى بابا الفاتيكان ويسمي نفسه البابا بندكت السادس عشر، لعب دورا بارزا في التصدي لكل محاولات الخروج على المقررات الفاتيكانية التي كانت مقررة سابقا قبل المقررات الجديدة التي أقرها المجمع الفاتيكاني الثاني*، ومثالها الأشهر التصدي للاهوت التحرير ومدارسه وحركاته في أمريكا اللاتينية، وآسيا وأفريقيا، واعتبارها حركات اجتماعية ذات طابع يساري نشأت تحت وطأة انتشار الأفكار والأيديولوجيات الماركسية والاشتراكية أثناء بابوية البابا الراحل يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان.

(جـ)- اتباع البابا بندكت السادس عشر في سياسته منهجا مضادا لمنهج سياسة الانفتاح على أصحاب الديانات الأخرى، بما فيها الإسلام والبوذية وغيرها، الذي كان بابا الفاتيكان الراحل يوحنا بولس الثاني قد اتخذه منهجا لسياسته في الانفتاح على أصحاب الديانات الأخرى تمشيا مع مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني (٣).

ولعل تهميشه لدور "المجلس البابوي للحوار بين الأديان" - بعد توليه البابوية - ، ونقل رئيسه الأسقف / فيتزجيرالد وتعيينه سفيرا للفاتيكان في القاهرة يؤيد ذلك.

(د)- اتجاه التأويلات الدينية للبابا بندكت السادس عشر صوب محافظة حينا، وتشدد حينا آخر، ويلاحظ أنه يحاول أن يضع ضوابط وحدودا على النطاق العقيدي واللاهوتي الكاثوليكي، لإعادة تحديد إيمان الكتلة الكاثوليكية عبر ضبط حدودها الإيمانية وتعاليمها، إزاء زحف البروتستانتينية والأرثوذكسية، وتجاه تمدد اليهودية، وتجاه الانتشار السريع للإسلام.

(هـ)- القلق الذي يعانيه البابا بندكت السادس عشر من:

١- بروز توترات تعود إلى نقص في عدد الملتزمين بالكاثوليكية في أمريكا الشمالية لأسباب عديدة لعل أهمها: بعض قضايا التحرش الجنسي بالأطفال من قبل بعض القساوسة الكاثوليك، وتواطؤ بعض كبار الأساقفة معهم، ووصول التعويضات عن هذه الأفعال المشينة إلى مليارى دولار، ويذهب البعض إلى أنها ثلاثة مليارات.

٢- عودة بعض مواطني الاتحاد السوفيتي السابق الملحدين إلى دائرة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية.

٣- ظاهرة انتشار العلمانية، وعدم الاهتمام بالدين في دول أوربا

وقد انعكس ذلك في محاولته نشر المذهب الكاثوليكي في مناطق أخرى من العالم.

(و)- أثار البابا بندكت السادس عشر أزمات عديدة مع الإسلام منذ توليه، أشهرها محاضرته ذائعة الصيت السلبي حول الإسلام والمسيحية والعقل، التي ألقاها في إحدى الجامعات الألمانية ... والمحاضرة في مجموعها



عرض ديني فلسفي عن الذات الإلهية من وجهة نظر المسيحية، وعن التيارات المسيحية في القرون الوسطى...

غير أن البابا في أوائل محاضرته- وبعد أن ذكر جانبا من ذكرياته الخاصة مع هذه الجامعة- قال:

(كل هذا حضرني وأنا أقرأ مؤخرا كتابا للبروفسور "تيودور خوري" الذي أخرج فيه جزءا من نقاش دار بين القيصر البيزنطي- مانويل الثاني- وبين أحد المثقفين الفرس. وكان هذا النقاش في شتاء عام ١٣٩١م. ودار هذا الحوار حول الإسلام والمسيحية وحقيقة كليهما)...

وقد توجه القيصر مباشرة، وبطريقة فظة إلى محاوره الفارسي بالسؤال عن العلاقة بين الدين والعنف فقال له: أرني ما هو الجديد الذي جاء به محمد؟ لن تجد سوى كل ما هو سيئ وغير إنساني، وذلك مثل نشر الاعتقاد الذي كان يُعلّمه بحد السيف!!

وللأسف فقد وقع البابا في خطأ ما كان ينبغي أن يقع فيه. إذ ذكر هذا الكلام السيئ عن الإسلام نقلا عن غيره، ثم لم يعلق ولم يعقب عليه، كما لم يذكر رد المثقف الفارسي على القيصر البيزنطي، فكأنه راض عن هذا الكلام (٤).

---

* وقد [illegible] الأزهر الشريف في فبراير عام ٢٠٠٠م أثناء زيارته لمصر، وتبادل الكلمات الطيبة بينه وبين [illegible]

٤- للمزيد إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في البحث الذي قدمته في مؤتمر مكة المكرمة السابع الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي [illegible]

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـــى جمعـــة
مفتى جمهورية مصر العربية

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»

اطلعنا على الطلب المقدم من / مجلة الأزهر ، المقيد برقم ١٨١ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن: أنه وردت أسئلة إلى الإدارة العامة للمجلة، للإجابة عنها في باب استفتاءات القراء

الزواج والطلاق والميراث

● السؤال الأول: لقد تزوجت وأحسست بالراحة والتوفيق في زواجي، ولكن والدي لم يكن راضيا عن هذا الزواج، وبعد دخولي بزوجتي طلب والدي مني بإلحاح أن أطلق زوجتي، وإلا لن يكون راضيا عني وسيحرمني من الميراث، فماذا أفعل؟

●● الجواب: الذُّرية من آثار ارتباط الرجل بالمرأة، وهو الزواج، وكذلك الذرية سبب لوجود علاقة جديدة هي الأبوة والأمومة، وقد لا يتصور إنسان أنه قد يتعارض أمر الزواج واستمرار الحياة الزوجية وما فيها من خير للبشرية، مع أمر حقوق الوالدين وطاعتهما.

ولكن الواقع شهد من عصر النبوة الأول أنه حدث تعارض بين حقوق الوالدين، وبين استمرار الحياة الزوجية، عندما أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنه عبد الله أن يطلق امرأته التي يحبها، منذ هذا الحين، وفقهاء الشريعة يتناولون الموضوع بالعرض والتحليل، لنعلم ما الذي يجب على المسلم فعله في مثل هذه الأمور؟ وما هو حد البر، وما هو حد العقوق إذا تعلق بإنهاء الحياة الزوجية؟

فرأيهم مصرحين بعدم الطاعة إلا أن يكون الأب الآمر من الصالحين والأتقياء، بغير التعرض لمسألة هل يستحب أم لا؟ فلقد ذكر ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى» (٥ ‍ ٤٩٠) أن «كلام أحمد في وجوب طلاق الزوجة بأمر الأب مقيد بصلاح الأب».

أما ابن تيمية فقد حرم على الابن طاعة أمه في طلاق زوجته، خاصة إن كان له منها أبناء، حيث سئل ابن تيمية في رجل متزوج وله أولاد، ووالدته تكره الزوجة وتشير عليه بطلاقها هل يجوز له طلاقها؟ الجواب: «لا يحل له أن يطلقها لقول أمه، بل عليه أن يبر أمه وليس تطليق امرأته من برها، والله أعلم». أهـ مجموع الفتاوى (٣ ‍ ٥٧٣).

كما ذهب ابن مفلح في «الفروع» (٥ / ٣٦٣) إلى أنه لا تجب طاعة أبويه في الطلاق، فقال ما نصه: «فإن أمرته أمه فنصه (يعني الإمام أحمد) لا يعجبني طلاقه، ومنعه شيخنا منه، ونص في بيع السرية: إن حنت على نفسك فليس لها ذلك. وكذا نص فيما إذا منعاه من التزويج».

وقال في «الآداب الشرعية» (١ ‍ ٥٠٢- ٥٠٣) أيضا «قال الشيخ تقي الدين رحمه الله إنه ليس لأحد الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريد، وأنه إذا امتنع لا يكون عاقا، وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر منه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه، كان النكاح كذلك وأولى، فإن أكل المكروه مرارة ساعة، وعشرة المكروه من الزوجين على طول تؤذي صاحبه ولا يمكنه فراقه. انتهى كلامه».

ثم قال بعد ذلك: «فصل: لا تجب طاعة الوالدين بطلاق امرأته، فإن أمره أبوه بطلاق امرأته لم يجب، ذكره أكثر الأصحاب».

وأيضا ذهب العلامة المحقق الحنبلي البهوتي إلى أنه لا يجب على الابن أن يطيع الوالدين في طلاق زوجته، فقد قال في «دقائق أولي النُّهى» في كتاب الطلاق (٣ / ٧٤) ما نصه: «(ولا يجب) على ابن (طاعة أبويه) ولو كانا (عدلين في طلاق) زوجته، لأنه ليس من البر (أو) أي: ولا يجب على ولد طاعة أبويه في (منع من تزويج) نصاً لما سبق».

وإلى هذا أيضاً ذهب السفاريني في «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب»، حيث قال (١ / ٣٨٣): «(و) كأمرهما له (بتطليق زوجات) له أو بيع أمة له (برأي) أي اعتقاد (مجرد) عن مستند شرعي. قال في القاموس: الرأي: الاعتقاد، جمعه آراء. قال في الآداب الكبرى: فإن أمره أبوه بطلاق امرأته لم يجب. ذكره أكثر الأصحاب. وسأل رجل الإمام رضي الله عنه، فقال: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي، قال لا تطلقها. قال: أليس



عمر أمر ابنه عبد الله أن يطلق امرأته؟ قال: حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه».

من تعرض لسؤال يتبين لك أنه لا يجب على الابن طاعة والده في أمره بطلاق زوجته، وأن عدم طاعة الوالد في هذا ليست من قبيل العقوق.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المراهنات

● السؤال الثاني: هل المراهنات على مباريات كرة القدم حلال أم حرام؟ ولو تحول لفظ المراهنات إلى التوقعات هل يكون حلالا أم حراما؟ وما الحكم إذا كانت هذه التوقعات مبنية على البحوث المتأنية والمجهودات الواقية والدراسات المستفيضة؟

●● الجواب: يجب أن نفرق هنا ما بين صورتين مختلفتين:

١ ـ الصورة المتفق على تحريمها بين أهل العلم، وهي المراهنة والمقامرة المتنوعة، بأن يتراهن شخصان مثلا على شيء يمكن حصوله كما يمكن عدم حصوله، فيقول أحدهما للآخر إن حصل كذا فلك علي كذا، وإن لم يحصل فلي عليك كذا وهذا هو ما يسمى في اللغة «بالمخاطرة» أو «الخطر».

٢ ـ الصورة الجائزة، وهي المسابقات الهادفة المباحة شرعا والتي تكون الجائزة فيها من أموال المنظمين لها أو من أي جهة مستقلة تقدمها للفائزين، ولا يجوز أن يكون مال الجائزة من جميع المتسابقين باتفاق الفقهاء، بأن يدفع كل منهم القليل ويحصل على الكثير الذي يشمل ما قام بدفعه هو وما دفعه غيره من المتسابقين: لأن ذلك قمار محرم شرعا، باستثناء ما إذا كانت هناك رسوم اشتراك لتغطية نفقات تنظيم هذه المسابقة من مصاريف إدارية وأجور حسب التنقيب لأعمال المتسابقين وغير ذلك دون أن يكون لذلك دخل في تجميع جوائز الفائزين.

وهذا الفرق الواضح بين الصورتين هو الميزان الذي يتميز به القمار المحرم من المسابقات المشروعة، وليست العبرة بتغيير الأسماء، لأن الأحكام تناط بالمسميات لا بالأسماء، وقد يشتبه في إلحاق بعض الحالات بأي من الصورتين، فيحكم لها بحكم أقربهما شبها منها.

فإذا كانت جوائز هذه المسابقات ومنحها تقدم على الدراسات المستفيضة والمجهودات الواقية والبحوث المتأنية بحيث تكون هذه الجوائز مقابلة للجهد المبذول من المشترك في هذه الدراسات والبحوث بعد تقييمها لا على صحة التنبؤات أو خطئها، فإنها تكون جائزة شرعا.

أما إذا كانت الجوائز تعطى على أساس صدق التنبؤات وخطئها ـ كما هو حاصل في كثير من الأحيان ـ فهو قمار محرم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

خطأ الخطيب!!

● السؤال الثالث: هل يجوز رد الخطيب على المنبر إذا أخطأ في الآيات القرآنية وما إلى ذلك؟

●● الجواب: الإنصات للخطيب لمن حضر الجمعة مأمور به شرعا، لقول النبي ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الولي أبو زرعة العراقي في «طرح التثريب» (٣/ ١٩٣ ـ ١٩٤): «استدل به على وجوب الإنصات للخطبة وتحريم الكلام فيها، إذ لم تغتفر هذه الكلمة مع خفتها وكونها أمرا بمعروف محتاج إليه في تلك الحالة، فما عداها أولى بالمنع، وهذا أحد قولي الشافعي، نص عليه في القديم والإملاء، وبه قال مالك وأبو حنيفة، وهو المشهور من مذهب أحمد... (والقول الثاني) للشافعي أن الإنصات سنة والكلام ليس بحرام، وهو نصه في الجديد، وهو رواية عن أحمد حكاها ابن قدامة».

وقال الشيخ النفراوي المالكي في «الفواكه الدواني» (١/ ٢٦٣): «ووجه الدلالة منه أنه سمى الأمر بالمعروف فيه لغوا، واللغو: الكلام الذي لا خير فيه، وما نفي عنه الخير على سبيل الاستغراق نصا أو ظهورا يقبح التكلم به بل يحرم في هذا المقام».

ولما كانت الجمعة بدلا عن الظهر وكانت ركعتين فإن خطبتها قائمة مقام الركعتين، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٦) وعبد الرزاق (٣/ ٢٣٧) في مصنفيهما، ولذلك فقد ذهب السادة الحنفية إلى أن كل ما حرم في الصلاة حرم في الخطبة: من أكل وشرب وكلام، ولو تسبيحا أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر، لأنها منزلة منزلة ركعتي الظهر، وذلك من وقت خروج الخطيب من خلوته وحتى انتهائه من خطبته، وأنه لا يعترض عليه حتى لو حصل منه لغو بذكر الظلمة، قال الإمام الحصكفي في «الدر المختار»: «(وكل ما حرم في الصلاة حرم فيها) أي في الخطبة.. خلاصة وغيرها؛ فيحرم كل وشرب وكلام ولو تسبيحا، أو رد سلام أو أمر بمعروف؛ بل يجب عليه أن يستمع ويسكت (بلا فرق بين قريب وبعيد) في الأصح، محيط.. ولا يرد تحذير من خيف هلاكه، لأنه يجب حق آدمي وهو محتاج إليه، والإنصات حق الله تعالى ومبناه على المسامحة».

قال العلامة ابن عابدين في حاشيته «رد المحتار» (١/ ٨٥٨): «قوله (من خيف هلاكه). قلت وهذا حيث تعين الكلام؛ إذ لو أمكن بغمز أو لكز لم يجز الكلام.. تأمل».

وقال الإمام الكمال بن الهمام في «فتح القدير» (٢/ ٦٨): «يحرم في الخطبة الكلام وإن كان أمرا بمعروف أو تسبيحا، والأكل والشرب والكتابة، ويكره تشميت العاطس ورد السلام».

وقال العلامة الطحطاوي في «حاشيته على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح» (٢٨٢): «وفي الخلاصة: كل ما حرم في الصلاة حرم حال الخطبة ولو أمرا بمعروف، وفي السيد: استماع الخطبة من أولها إلى آخرها واجب وإن كان فيها ذكر الولاة، وهو الأصح.. نهر».

والقول بوجوب الإنصات للخطيب حتى لو لغا مروي عن جماعة من السلف أيضا؛ فروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٢ ـ ٣٣) عن إبراهيم النخعي أنه قيل له: إن الكتب تجيء من قبل قتيبة فيها الباطل والكذب، فأكلم صاحبي أو أنصت؟ قال: لا، بل أنصت، يعني في الجمعة.

وعن الحسن البصري أنه كان يكره الكلام والصحف تقرأ، قال الولي العراقي في «طرح التثريب» (٣/ ١٩٣): «فطرد النخعي والحسن منع الكلام في الخطبة وسدا الباب في ذلك».

كما أنه مروي أيضا عن الإمام مالك، قال ابن بطال في «شرح البخاري»: «وروى ابن وهب وابن نافع وعلي بن زياد عن مالك: أن الإمام إذا لغا وشتم الناس فعلى الناس الإنصات».

وإنما ذهب هؤلاء الأئمة إلى ذلك حفاظا على قدسية شعائر صلاة الجمعة، وسدا لباب التشويش والهرج واللغط الذي يمكن حدوثه من جراء الرد على الخطيب، وحفظا لهيبة العلماء في نفوس الناس.

ومع قول الشافعية بأن الإنصات سنة وليس واجبا في المعتمد عندهم إلا أنهم نصوا مع المالكية أن الإمام والخطيب لا يُفتح عليه إلا استفتح «أي طلب الفتح»، وأنه لا يُلقن ما دام مترددا حتى يقف طلبا للفتح، حتى لو خرج من سورة إلى سورة، ما دام لم يخلط آية رحمة بآية عذاب أو يغير تغييراً يقتضي كفراً:

قال الإمام الباجي المالكي في «المنتقى شرحاً للموطأ» (١ / ١٥٢): (مسألة): «والفتح على الإمام إنما يكون إذا أرْتِجَ عليه، وإذا غير قراءته:

فأما من الإرتاج عليه: فهو إذا وقف ينتظر التلقين.. رواه ابن حبيب عن مالك.

وأما إذا غير القراءة: فلا يفتح إذا خرج من سورة إلى سورة أو من آية إلى أخرى ما لم يخلط آية رحمة بآية عذاب أو يغير تغييراً يقتضي كفراً، فإنه ينبه على الصواب».

وقال الإمام النووي الشافعي في «المجموع شرح المهذب» (٤ / ٤٠١ - ٤٠٢): «(الرابعة عشرة) قال الشافعي في المختصر: وإذا حُصر الإمام لُقِّن، قال الشيخ أبو حامد والأصحاب: ونص في مواضع أخر أنه لا يلقن.. قال القاضي أبو الطيب: قال أصحابنا: ليست على قولين، بل على حالين، فقوله «يلقنه» أراد إذا استطعمه التلقين بحيث سكت ولم ينطق بشيء. وقوله «لا يلقنه» أراد ما دام يردد الكلام ويرجو أن ينفتح عليه، فيترك حتى ينفتح عليه. فإن لم ينفتح لقن، واتفق الأصحاب على أن مراد الشافعي هذا التفصيل وأنها ليست على قولين».

وهذا المعنى رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١ / ٥٢١) عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: «إذا استطعمك الإمام فأطعمه».

ونص الشافعية على أنه: إن علم من حال الخطيب أنه يدهش من الرد عليه، فإنه يترك ولا يرد عليه: قال الإمام الزركشي في «المنثور في القواعد» (١ / ٤٠١ - ٤٠٢):

«تلقين الإمام يشرع في موضعين:

(أحدهما) القراءة في الصلاة إذا أرتج عليه. ولا يلقن ما دام يتردد بل حتى يقف، قاله المتولي.

(الثاني) في الخطبة إذا حصر، ولا يلقن حتى يسكت. قاله الدارمي في الاستذكار. قال: ويرد عليه ما يعلم أنه ليس يفتح له، وقال الشاشي في المعتمد: فإن أرتج عليه لقن في الخطبة نص عليه وقال في موضع آخر: لا يلقن. والمسألة على اختلاف حالين؛ فحيث قال «يلقن» إذا وقف بحيث لا يمكنه أن يفتح عليه، وحيث قال «لا يلقن» إذا كان تردد ليفتح عليه. قال في الاستقصاء: إن علم من حاله أنه إن فتح عليه انطلق فتح عليه، وإن علم أنه يدهش تركه على حاله».

وقال الشهاب الرملي في حاشيته على «أسنى المطالب» (١ / ٢٥٨):

«(فرع) وإذا أرتج في الخطبة لا يلقن ما دام يردد. فإذا سكت يلقن».

وهذا كله لما لمقام الخطابة وارتقاء المنابر من الهيبة في مواجهة الناس والخوف من الزلل وحساسية النفس البشرية من النصح على الملأ، حتى قيل لعبدالملك بن مروان: عجل عليك الشيب؟ فقال: شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن، وقال أيضا: وكيف لا يعجل علي وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين! قال الجاحظ: يعني خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور.. العقد الفريد لابن عبدربه (٢ / ٣٠٨)، والبيان والتبيين للجاحظ (١ / ٨٥)، وتاريخ دمشق للإمام الحافظ أبي القاسم بن عساكر (٣٧ / ١٣٨-١٣٩).

ورُوي عن الإمام الشافعي أنه قال:

تعمدني بنصحك في انفرادي
وجنبني النصيحة في الجماعه

فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

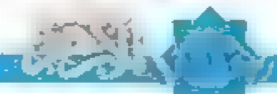
وإن خالفتني وعصيت قولي
فلا تجزع إذا لم تُعط طاعه

ولهيبة الخطبة وجلالها وشدة موقفها على الخطيب نص الحنابلة على أنه يجوز لمن لا يحسن الخطبة أن يقرأها من صحيفة. قال ابن مفلح في «الفروع» (٢ / ١١٧): «ولمن لا يحسن الخطبة قراءتها من صحيفة. ذكره أبو المعالي وابن عقيل، قال: كالقراءة في الصلاة لمن لا يحسن القراءة في المصحف، كذا قال، وسبق أن المذهب لا بأس بالقراءة في المصحف، قال جماعة: كالقراءة من الحفظ، فيتوجه هنا مثله؛ لأن الخطبة شرط كالقراءة، وذكر ابن عبدالبر عن جماعة منهم: عثمان، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وعبدالملك ابن مروان، ومعن بن زائدة، وخالد القسري، أنهم خطبوا فأرتج عليهم، وعن بعضهم قال: هيبة الزلل تورث حصرا، وهيبة العافية تورث جبنا.. وخطب عبدالله بن عامر في يوم أضحى فأرتج عليه، فقال: لا أجمع عليكم لؤماً وعِيّاً، من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها علي. وأرتج على معن بن زائدة فقال وضرب برجله المنبر: فتى حروب لا فتى منابر».

فإذا كان في الرد على الخطيب مصلحة تصحيح خطأ وقع فيه فإنه قد يستتبع مفسدة تلجلجه واضطرابه وتشتت أفكاره بسبب الرد عليه. وقد تؤدي حساسية الموقف إلى أن يفهم الخطيب الأمر على غير وجهه فتأخذه العزة بالإثم، فيضطرب الناس بين الراد والمردود عليه كما هو مشاهد في بعض الأحيان، ومن المقرر شرعاً أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، هذا مع أن في الإمكان الجمع بين جلب المصلحة ودرء المفسدة بإتمام استماع الخطبة ثم تنبيه الخطيب بعد الصلاة على الخطأ في أدب وهدوء نابعين من إرادة الخير وصدق النصيحة والإخلاص في القصد.

وبناء على ذلك فليس لمستمع خطبة الجمعة أن يعجل على الخطيب بالرد أو الفتح عليه، إلا إذا طلب الفتح بلسان حاله أو مقاله، أو وصل خطؤه إلى نحو خلط آية رحمة بآية عذاب أو إدخال أهل الجنة النار وأهل النار الجنة بشرط أن يعلم من حال الخطيب أنه لا يتأثر ولا يتلجلج بالرد عليه، فإن جهل ذلك أو علم خلافه فعلى المستمع السكوت مع الالتزام بتنبيه الخطيب إلى ذلك بعد الصلاة حتى ينبه الحاضرين.

والله سبحانه وتعالى أعلم



الأذان

بين قدسية النداء وإعجاز البناء



للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

إذا كان الواجب على كل مسلم يعنى بأمر دينه أن يلم ببعض ما يحيط بهذا النداء المقدس الذى يدعو الكيان المسلم إلى التأهب للقاء الله، والمسارعة إليه. فقد ذكر أن المسلمين فيما مضى كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها من غير دعوة أو أذان. وقال ابن المنذر: إن النبى ﷺ كان يصلى بغير أذان حين فرضت الصلاة بمكة المكرمة إلى أن هاجر إلى المدينة. وقد جاء أنه لما أراد الله عز وجل أن يعلم رسوله الأذان عرج به إلى أن انتهى إلى الحجب الذى يلى عرش الرحمن حيث خرج ملك فقال: الله أكبر الله أكبر. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدى أنا أكبر. ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدى لا إله إلا أنا. فقال الملك: أشهد أن محمدا رسول الله. فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدى أنا أرسلت محمدا. فقال الملك: حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله. فأخذ الملك يد محمد ﷺ فقدمه يوم أهل السموات.

أما على الأرض فقد وقع التشاور بين المسلمين فى موضوع الأذان وذلك عندما تمر ﷺ هو وأصحابه كيف يجمع الناس للصلاة. فاقترح عليه ﷺ أن انصب راية عند حلول موعد الصلاة حتى إذا رآها الناس أعلم بعضهم بعضا، فلم يعجبه - عليه الصلاة والسلام - ذلك ولا سيما أنها لا تفيد النائم ولا الغافل، فذكر له «بوق يهود» فكرهه ﷺ، ثم ذكر له ناقوس النصارى فقال هو من أمر النصارى، فاقترح البعض أن توقد نار لذلك، فقال ﷺ «ذلك للمجوس».

وهذا حق، فإن الدين الذى استهل لقاءه بالبشر فى «حراء» بالأمر الإلهى ﴿ اقْرَأْ ﴾ (العلق: ١)

والذى أقسم فى قرآنه بالقلم والكتاب، والذى قال متزله سبحانه عن ذاته المقدسة:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

(الشورى: ١١)

دين هذا شأنه لا يغنيه أن تدعو إليه أنفاس مبحوحة فى «بوق» ولا يكفيه أن تعلن عن طقوسه دقات «جرس» أصم، بل لا يليق به أن تكون «النار» هى وسيلة الإعلام به لأن من بديهياته مقت وجعلها مثوى للمكذبين.

كما أن هذه كلها آليات حسية لا تنبه فى الإنسان - إن نبهت - إلا أذنيه وعينيه بينما ترى «الأذان» يتغلغل فى الشعور الإنسانى إدراكا ووجدانا ونزوعا، ويعمره إيمانا بالحق وامتثالا لعبادته وخضوعا لمشيئته جل وعلا.

وقد قيل فى حديث الشيخين عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: «أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة، ففعلوا ذلك، وكان المنادى هو بلال - رضى الله عنه - وكان اللفظ الذى ينادى به بلال فى أول الأمر «الصلاة جامعة».

وقد ظل الأمر كذلك حتى رأى «عبدالله بن زيد»[2] رضى الله عنه «الأذان» فى منامه إذ روى عنه: «بينما أنا بين نائم ويقظان إذ طاف بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت له: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ فقلت ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك؟ فقلت: بلى، قال فأنا أحدثك بخير لك من ذلك - ثم قال: كلمات الأذان - ثم أضاف الرجل فى حالة إقامة الصلاة - قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة - قال عبد الله -: فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال رسول الله ﷺ - «إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى صوتا منك»[3].

ولقد جاءت كلمة النبى ﷺ بأنها «رؤيا حق» اتساقا مع ما رآه ﷺ وسمعه من الملك فى السماء فى رحلة المعراج كما سبق ذكره فى السطور السابقة مما أدى إلى اعتماده ﷺ رؤيا عبدالله بن زيد وأمره له أن يلقى ما رآه على بلال، وكذلك أمره لبلال أن يؤذن به.

وكأن النبى ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى كان ينتظر أن يوحى بهذا الأذان إلى بعض الصالحين من أصحابه.

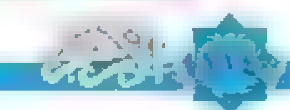
ولقد بدأت مشروعية الأذان - فى هذا السياق - فى أذان الصبح، حيث سمعه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وهو فى بيته فخرج عجلا يجر رداءه، قائلا للنبى ﷺ: «والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فلله

---

(١) السيرة الحلبية على بن برهان الدين الحلبى.

(٢) هو عبدالله بن زيد بن عبدربه بن ثعلبة بن الحرث بن الخزرج الأنصارى.

(٣) عن السيرة الحلبية وسيرة ابن هشام، وكلمة «أندى» أى أرفع وأعلى أو أحسن وأعذب أو أبعد، وقيل «أى أطول».



الحمد»[1] وقال - عليه الصلاة والسلام - لعمر: «قد سبقك بذلك الوحي».

وليس شك في أن الأمر لم يكن مصادفة أن يرى الأذان رجل من الأنصار هو عبدالله بن زيد ورجل من المهاجرين هو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، والمهاجرون والأنصار منذ صدر الإسلام هم عمدة الدعوة الحنيفية السمحاء.

ملامح مضيئة

ولعل المتأمل في هذه المسيرة تضيء أمامه بعض الملامح مثل:

● كان يمكن أن يدعو النبي ﷺ إلى الأذان الذي سمعه في السماء ولكن الله عز وجل أراد أن من يبدأ بذلك هم من الصحابة الذين سيجري الأذان على حناجرهم وحناجر ذرياتهم فيما بعد تأكيداً لمشاركة المؤمنين في تبني هذه الدعوة المقدسة إلى الصلاة جيلاً بعد جيل، والله سبحانه أعلم.

● اشتراك - عمر رضي الله عنه من المهاجرين وعبد الله بن زيد - رضي الله عنه - من الأنصار في رؤيا واحدة فيه دعم رباني للدور الريادي الذي يقوم به الفريقان في دعوة الناس إلى الصلاة التي هي عماد الدين.

● ما رآه النبي ﷺ بشأن الأذان في رحلة المعراج ثم ما رآه عمر بن الخطاب وعبد الله ابن زيد - رضي الله عنهما - بعد ذلك يدل على أن ما قد رآه النبي ﷺ في السماء لابد أن يكون سنة في الأرض، ومن ثمة فإنه ينبغي علينا أن نتعمق دراسة رحلتي الإسراء والمعراج بتفكر وتدبر ليس على أنهما مجرد حادثتين يتيحان الفرصة لهواة الجدل وأصحاب اللجاج في خطين متوازيين لا يلتقيان مهما امتدا وليس كحكايتين ترويان كلما حان موسمهما، ولكن على أنهما تشيران إلى إرادة ربانية عملية وتربوية للمسلمين تستمد قدسيتها من إعجاز هاتين الرحلتين وتشير إلى ضرورة التأسي بما فيهما من مشاهد تتضمن التكاليف الإلهية للمسلمين من الأوامر الجامعة والنواهي المانعة، وحسبنا في هذا السياق أن نتأمل كلمة النبي ﷺ لعبد الله بن زيد رضي الله عنه عندما قص عليه رؤياه «إنها لرؤيا حق إن شاء الله».

● كما نلحظ كيف جعل الإسلام - أرقاء - الجاهلية الذين هداهم الحق إليه في صدارة - السادة - الداعين إلى ندائه المقدس لحشد المؤمنين إلى لقائه في الصلاة. وفي مقدمة هؤلاء سيدنا بلال رضي الله عنه، وذلك رمز إسلامي جهير لنبذ العنصرية، والدفاع عن المساواة أمام الحق سبحانه وتعالى.

وهكذا صار بلال يؤذن بما أمره به النبي ﷺ للصلوات الخمس، كما أنه كان ينادي في الناس بغير الصلوات الخمس لأي أمر يتطلب حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء بقوله - الصلاة جامعة - ثم زاد - رضي الله عنه - في أذان الصبح بعد الحيعلات[5] - قوله - الصلاة خير من النوم - مرتين - ولقد قيل في ذلك: إن بلالاً كان يدعو النبي ﷺ للصلاة فقيل له: إنه - عليه الصلاة والسلام - نائم، فإذا بالمؤذن المؤمن الذي يستشعر في أعماقه المشاركة الجادة في حمل رسالة الحق إلى الخلق يصرخ بأعلى صوته مناديا - الصلاة خير من النوم - مرتين فلما صافح هذا القول الأسماع النبوية الطاهرة أقر النبي ﷺ بلالاً على ذلك فصار ذكر هذه العبارة - البلالية - الصادقة في أذان الصبح سنة شريفة مقررة.

رواد الأذان

ولا شك في أن رواد الأذان في الإسلام هم مؤذنو النبي ﷺ الذين كانوا - رضي الله عنهم - أربعة منهم اثنان بالمدينة المنورة هما بلال بن رباح أول من أذن للنبي ﷺ وابن أم مكتوم القرشي العامري[6] وبقباء سعد القرظ مولى عمار بن ياسر، وبمكة المكرمة أبو محذورة وهو أوس بن معيرة الجمحي، وكان أبو محذورة يرجع الأذان ويثني الإقامة، بينما كان بلال لا يرجع، ويفرد الإقامة، وقد أخذ الشافعي - رضي الله عنه - وأهل مكة بأذان أبي محذورة، وإقامة بلال بينما أخذ الشافعي رضي الله عنه وأهل مكة بأذان أبي محذورة، وإقامة بلال بينما أخذ أبو حنيفة رضي الله عنه وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبي محذورة، كما أخذ الإمام أحمد - رحمه الله - وأهل الحديث وأهل المدينة بأذان بلال وإقامته. في الوقت الذي خالف فيه الإمام مالك - رحمه الله - في الموضعين إعادة التكبير وتثنية لفظ الإقامة فهو لا يكررها.

من آداب الأذان

ولما كانت كلمات الأذان ذكراً لما يُسن للسامع أن يقولها بعد المؤذن، أما كلمة - الحيعلة - فهي دعاء إلى الصلاة، فمن للسامع أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهي «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ولقد جاء في الخبر أن من قال بعد الفراغ من الأذان رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً غفر له ذنبه.

وفي هذا السياق شرع الرسول ﷺ لأمته خمسة أمور عند الأذان وبعده.

● الأول: أن يقول السامع كما يقول المؤذن إلا في لفظ حي على الصلاة حي على الفلاح فإنه صح عنه ﷺ إبدالهما بلا حول ولا قوة إلا بالله، ولم يجيء عنه - عليه السلام - الجمع بين حي على الصلاة وحي على الفلاح، ومن هديه ﷺ أنه صح عنه إبدالهما بالحوقلة[7]، وهذا مقتضى الحكمة المطابقة لحال المؤذن والسامع، فإن كلمات الأذان ذكر

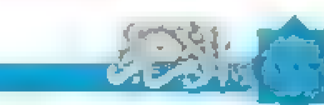
---

(1) زاد ابن هشام كلمة معلم مثله وفي رواية سطه الحمد فذلك أثبته

(5) الحيعلات هي حي على الصلاة، وحي على الفلاح.

(6) ابن أم مكتوم الأعمى الذي نزلت فيه سورة «عبس» يسميه أهل المدينة «عبدالله» ويسميه أهل العراق «عمرو» - أما نسبه فهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم - وأمه أم مكتوم عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة «من سنن أبي عيسى الترمذي»

(7) أي لا حول ولا قوة إلا بالله



ولهذا سن للسامع أن يقولها، أما كلمة الحيعلة ـ فهى دعاء للسامع إلى الصلاة فسن له أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهى «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

● والثانى أن يقول السامع بعد الفراغ من الأذان: «رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً» وقد أخبر أن من قال ذلك غفر له من ذنبه.

● والثالث: أن يصلى السامع على النبى ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن.

● وأما الرابع: فهو أن يقول السامع بعد صلاته على النبى ﷺ: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً «بدون ألف ولام»

● والأمر الخامس أن يدعو السامع لنفسه بعد ذلك، ويسأل الله من فضله. فإنه يستجاب له.

وقد روى عن أم سلمة رضى الله عنها: «علمنى رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب «اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لى»[8].

كما ذكر أن النبى ﷺ كان إذا سمع الأذان قال: «اللهم رب هذه الدعوة التامة المستجابة والمستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى توفنى عليها وأحينى عليها واجعلنى من صالح أهلها عملا يوم القيامة»[9].

كما ذكر عنه ﷺ أنه كان يقول عند كلمة الإقامة: «أقامها الله وأدامها»، وعنه فى المتن أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، قالوا فما نقول يا رسول الله قال: «سلوا الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة».

حتى الديكة مسخرة للأذان

يقول الله عز وجل فى محكم التنزيل:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(الإسراء ٤٤)

ويقول سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾

(النور ٤١)

ويهدينا التأمل الإيمانى فى هذه الآيات الكريمة إلى صورة من صور تسبيح الكائنات وهى الأذان الذى ترفعه الديكة حول مواقيت الصلاة، ولا سيما عندما يلفتنا الهدى المحمدى إلى ذلك فقد روى الشيخ محب الدين الطبرى. أن النبى ﷺ كان له ديك أبيض، وكان الصحابة رضى الله عنهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلوات، كما روى الثعلبى أن النبى ﷺ قال: «ثلاثة أصوات يحبهم الله تعالى: صوت الديك وصوت قارىء القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار»، وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله تعالى عنه «بإسناد جيد» أن النبى ﷺ قال: لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة[10]. ومن هنا كان من كنية الديك «أبو نبهان، وأبو يقظان».

وإن تسخير الديك للقيام بهذه المهمة ليدل على أن فكرة الأذان التى اهتدى إليها المسلمون السابقون هى أمر فطرى يتفق مع فطرة الإسلام المستمدة من فطرة الله التى فطر الناس عليها، ولكن كان لابد فى بداية الأمر أن تدور المناقشات حول الإعلان عن الصلاة وتطرح الآراء وتتعدد المقترحات حتى تكون النتيجة وهى الاتفاق على الأذان نابعة من استنتاج البشر الذين سيقومون هم بتطبيقها وتنفيذها عن اقتناع وتسليم إلى أن تقوم الساعة، وكذلك يعبئ الله سبحانه عباده إلى اصطناع عقولهم وقلوبهم فى بحث المسائل، ودراسة الأمور ليهتدوا إلى ما يشاء الله

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

(الإنسان ٣٠)

وأعظم ما فى الديك من العجائب أنه يعرف الأوقات الليلية فيسقط أصواته عليها تقسيطاً لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أم قصر، كما أنه يوالى صياحه قبل الفجر وبعده، فسبحان من هداه لذلك مما جعل بعض السابقين يفتون بجواز اعتماد الديك المجرب فى أوقات الصلاة

من كرامات الأذان

وللأذان كراماته الفضلى التى زخر بها التراث الإسلامى العريق، والتى لم يزل يذكرها الذاكرون الذين يقدرون الأذان حق قدره باعتباره النداء الجهير الذى يدعو إلى الركن الركين من أركان الإسلام وهو ـ الصلاة ـ وحسبنا فى هذا المجال أن نتأمل كلمة النبى ﷺ إلى بلال رضى الله عنه «أرحنا بها يا بلال»[11] أى أذن يا بلال حتى ندخل فى الصلاة فنستنشق عبير الرضا الإلهى، ونتنسم عطر اللقاء المقدس كما يروى ابن خزيمة فى صحيحه أن الرسول ﷺ أصبح يوماً فدعا بلالا فقال: «يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة، إنى دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامى»،

فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، ولا أصابنى حدث قط إلا توضأت عنده، فقال رسول الله ﷺ «لهذا».

وقد روى عن مصعب بن الزبير قال: «سمع عامر بن عبدالله بن الزبير المؤذن، وهو يجود بنفسه «أى عامر» فقال: خذوا بيدى، فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعى الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده فدخل مع الإمام فى المغرب، فركع ركعة ثم مات»[12].

وبعد، فيا ليتنا بعد هذه التأملات الإيمانية حول الأذان أن يراجع كل منا نفسه متسائلاً: هل سمعت الأذان؟

---

(٨) رواه الترمذى

(٩) ذكره الحاكم فى المستدرك من حديث أبى أمامة وذكره البيهقى من حديث ابن عمر موقوفاً عليه

(١٠) حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى دار الفكر بيروت

(١١) رواه الإمام أحمد فى مسنده بلفظ «يا بلال أرحنا بالصلاة» ـ تفسير ابن كثير

(١٢) سير أعلام النبلاء

بريد



و



إعداد

محمود الفشنى

علاء عبدالرحمن

خطأ الدعوة البابوية لضم جميع البشر

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبداللطيف فايد فى جريدة «الجمهورية» الصادرة فى ٢٠٠٨/٥/٢٩م مقالاً تحدث فيه عن:

الخطاب الذى ألقاه البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان أمام المجلس الأعلى للأعمال البابوية الذى قال فيه إن من حق الكنيسة الكاثوليكية وواجبها السعى لضم جميع البشر إلى المسيحية، وأن التبشير بالمسيحية لايزال بشكل المهمة الرئيسية للكنيسة زاعماً أن هذا من تعاليم السيد المسيح، ثم يعلق الكاتب على كلام البابا قائلاً: إن هذا يدل على أن قراءة بابا الفاتيكان للأديان وتاريخها يحتاج إلى دقة وتثبت كما يحتاج إلى فهم لطبيعة التدين عند البشر، وإذا كان هذا البابا يتحدث عن المسيحية التى يؤمن بها عقيدة ومذهباً، فإنه قد أغفل ماعداها من المذاهب فضلاً عما عداها من الأديان، ولقد كانت هناك جهود لبعض القيادات الدينية بين النصارى لتوحيد مذاهبهم، ولكن هذه الجهود لم تجد القبول عند بعض هذه القيادات ومن هنا لم يكتب لها النجاح.

ثم يبين الكاتب كيفية الإيمان بعقيدة ما وبخاصة إذا كانت عقيدة دينية، فتاريخ الأديان يؤكد أن الدين اللاحق ينسخ الدين السابق وهذا يتمشى مع حاجة البشر فى حركة تطوره حتى يأتى الدين الكامل الذى ينظم حياة الناس ولا يترك منها جانباً إلا ويعطيه ما يستحقه من الاهتمام والتوجيه ولا يمكن أن يترك الله - سبحانه وتعالى - البشر إلى أديان أنزلها متتابعة ليكتمل بها نظام حياة الناس ثم يتركها ليختاروا ما يشاءون منها ديناً لهم وإنما شاء الله أن تتوالى الأديان الكبرى إيماناً بالله الواحد الأحد وبملائكته وكتبه ورسله، ودعا الناس إلى الإيمان بها جميعاً وبالرسل الذين أنزلهم بها، وهذا يؤكد معنى وحدانية الله تعالى وهيمنته الكاملة على خلقه، وعلى الدنيا التى جعلها فى خدمتهم، حيث خلق فيها جميع أسباب الحياة وجعل عقل الإنسان هو الفيصل فى حركته بعد أن بين له طريق الخير وطريق الشر ثم هو يلزمهم بطاعته طبقاً لما أنزله على رسله، وهذه الطاعة فيها الفلاح وفيها النجاح فى تعمير الأرض وسعادة الإنسان.

من هنا فإن ما قاله البابا فى اجتماع المجلس الأعلى للأعمال البابوية بسير مع تاريخ الأديان مسيرة ناقصة! حيث يسقط منها الفترة الإسلامية التى بدأت تالية لنزول المسيح - عليه السلام - وإبلاغه الناس ما كلفه الله إبلاغه إليهم وجاء الإسلام خاتماً لرسالات السماء إلى الأرض وهذه حقيقة لا ينكرها إلا ناقص الثقافة أو ناقص الاستيعاب لرسالة السماء إلى الأرض والكتب السماوية التى نزلت بذلك تؤكد هذه الحقيقة وهى ثابتة بالقرآن الكريم وهو الكتاب الوحيد الباقى كما أنزله الله، بينما لعبت أيدى البشر من الأحبار والرهبان بالكتب السابقة وغيرت فيها وبدلت، فالكتاب منها فى الغرب يختلف عن أخيه فى الشرق ولذلك تعددت الكنائس طبقاً لتعدد هذه الكتب.

والسعى لضم جميع البشر إلى المسيحية الذى يريده بابا الفاتيكان يلغى تطور رسالة السماء بالبشر على الأرض والتى بدأت باليهودية وجاءت بعدها النصرانية وختمها الله بالإسلام، ثم أية نصرانية يريدها البابا ليضم جميع البشر إليها والنصرانية تختلف فى ناحية من الأرض عنها فى ناحية أخرى؟! وهذا الخلاف يأتى فى أصل العقيدة ويأتى فى فروعها ومقارنة ذلك بالإسلام تأتى لصالح الإسلام، الذى لم يتحدث عنه بابا الفاتيكان لضم جميع البشر، فبينما الإسلام يعترف بالأديان والرسل السابقين عليه نرى البابا لايعترف بالإسلام وهو فى هذا منطقى مع موقفه من الأديان، لأنه إذا اعترف بالإسلام كان اعترافه هذا لاغياً لموقفه الدينى وإلا قال بتعدد الآلهة التى أنزلت الأديان وهذا لا يقول به أحد حتى بابا الفاتيكان نفسه، ثم يختم الكاتب مقاله قائلاً:

وما أظن أن بابا الفاتيكان بما قال إلا قد وضع نفسه فى حرج بالغ، لأن هذا النص القرآنى الثابت جاء سابقاً لما قال وجاء من عند الله وليس من مقولات بشر تجوز عليه الحياة والموت فيختفى بالموت عما يقول ولا يضمن أن يأتى بعده من يصدق كلامه، لأن البشرية فيمن يتولون منصب البابوية حاكمة، والبشر يصيبون ويخطئون والله - سبحانه - وحده هو الحق الذى يخضع له جميع خلقه وليس من الحكمة أن يثبت الإنسان على خطأ اقترفه فى القول أو الفعل، بل إن من الصواب أن يعود الإنسان إلى الحق الذى لم يحسن الطريق إليه.

قسيسة ألمانية تدعو إلى احترام الحجاب والمرأة المسلمة

كتبت أسماء زغلول حول هذا العنوان في عدد اللواء الإسلامي الصادر في ٢٠٠٨/٥/١٥ قائلة:

الدكتورة «بياته شتريبتر» قسيسة بروتستانتية ألمانية وهي إحدى منصفات للإسلام والمسلمين في الغرب في خضم طابور لا أول له ولا آخر من الكارهين والحاقدين والمتعصبين للإسلام. صدر لها كتاب بعنوان «الحجاب والصليب» نساء مسلمات من النماذج الرائعة المدافعة عن حقوق المسلمين في المجتمعات العربية وخاصة حق المرأة في ارتداء الحجاب دون ممارسة أية ضغوط عليها وتدافع «شتريبتر» عن المسلمين في هذا الكتاب دفاعا مستميتا ينم عن صدقها ونزاهتها وقبل هذا وذاك محبتها للإسلام والمسلمين لدرجة أنه بعد قراءة أمها للكتاب سألتها عما إذا كانت قد اعتنقت الإسلام أم أنها في الطريق إلى ذلك فردت «شتريبتر» بأنها مسيحية وستبقى كذلك لكنها ترى المسيحية بصورة تختلف عن الكثيرين.

تتساءل «شتريبتر» في مقدمة كتابها عما جرى للكنائس التي أصبحت تزخر بالأحكام المسبقة ضد الإسلام والمسلمين وتعيد إلى أذهان القائمين على الكنائس أن مهمتهم الأصلية هي الالتزام بالسلام والعمل على نشر السلام بين الناس من مختلف الأديان وتتهم الكنائس بأنها تتجه نحو الانعزال عن الآخر ووضع العوائق أمام التواصل معه وتطالب الكنيسة بالدعوة إلى التعقل وعدم تعميم الأحكام حينما يتعرض الإسلام والمسلمين للإساءة وأن تعمل على الحفاظ على كرامة الإنسان أي إنسان بغض النظر عن الدين الذي يؤمن به وتحذر من عواقب القطيعة بين الجانبين المسلم والمسيحي ومن الاكتفاء بالحديث عن الآخر بدلا من الحديث معه والتعرف عليه وتقول «شتريبتر» إن الفتيات المسلمات لا يرتدين الحجاب كرمز للإسلام السياسي بل هو كفاح من أجل الحصول على الاعتراف بهن وبأحقيتهن في ممارسة حريتهن الدينية واتباع نموذج حياة يختلف عن حياة المجتمع الذي يدين بعقيدة مخالفة لهن ولا تستبعد «شتريبتر» أن تكون الضغوط التي يمارسها المجتمع الألماني على المرأة المسلمة هي الدافع لها للكشف عن هويتها وهو الأمر الذي لا تشجع عليه النساء التقدميات والمدافعات عن حقوق المرأة اللاتي ترفضن أن ينال أحد من حريتهن في اتخاذ القرار الشخصي بارتداء الحجاب من عدم ارتدائه وتستنكر «شتريبتر» بشدة هذا النوع المزعوم من تحرير المرأة على يد حفنة من النساء اللاتي يرفضن حق المسلمات في الاختلاف عنهن وهو المبدأ الذي تدعو إليه حركات تحرير المرأة أم أنه إذا تعلق الأمر بالحجاب فإنه من حق هذه الحفنة أن يفرضن تصوراتهن عن هذا التحرر ولا يقبلن بأن تقول المرأة المسلمة بأن حريتها في اختيارها لارتداء حجابها وتتوصل إلى أن ذلك خير دليل على الاضطراب الذي يسود المجتمع الألماني في تعامله مع الدين والذي يبلغ حد اعتبار أن يمارس شعائر دينه إنسان شاذ وغريب بل ومصدر تهديد وغير عقلاني وغير مستنير والأكثر من ذلك أننا عندما ننقل للقارئ الألماني ماورد في القرآن والسنة للتدليل على وجوب ارتداء الحجاب وتبدى «شتريبتر» دهشتها بل واستياءها من قيام غير المسلمين في نقاشاتهم مع المسلمين بالقول بأن الحجاب لم يرد ذكره في القرآن.

وتتساءل عمن أعطى غير المسلمين الحق في شرح الإسلام للمسلمين؟؟

وكيف سيرد المسيحيون إذا جاءهم مسلم يشرح لهم أحكام دينهم؟

وتقترح «شتريبتر» أن يترك غير المسلمين للمسلمات المحجبات الفرصة للتعبير عن أنفسهم بالطريقة التي يخترنها وأن يستمع الآخرون لرأيها في تبرير ارتدائها للحجاب. وتنبه إلى أن عودة الحجاب من جديد للانتشار في جميع أرجاء العالم الإسلامي خاصة بين جيل الشابات المسلمات لا يعتبر عودة إلى الماضي بقدر ما هو اعتزاز بالهوية وتأكيد على رفض الذوبان في نمط الحياة المعاصرة وكذلك إلى سعي المسلمات التابعات للأقليات المسلمة في الغرب إلى التأكيد على هذه الهوية.

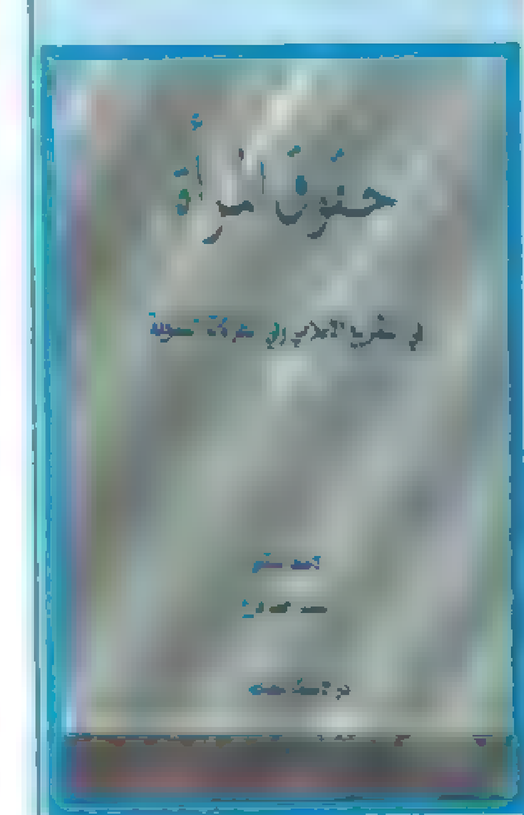
مجرمو الحرب.. خارج السودان

تحت هذا العنوان في جريدة الجمهورية بعددها الصادر في ٢٠٠٨/٦/١٨ قال المحرر:

حركت الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية الحليفة مجلس الأمن الدولي لفتح ملف ما يسمى بالمحكمة الجنائية الدولية المكلفة بمحاكمة من نسبت إليهم من المسئولين السودانيين ارتكاب جرائم حرب في إقليم دارفور السوداني وذلك ضمن المخطط الغربي الذي يستهدف تمزيق السودان إلى أقاليم متضادة على أسس عرقية وعنصرية مما يسهل عملية استغلال ثرواته ومقدراته لصالح القوى الاحتكارية الكبرى.

في هذا الإطار يمكن تفسير استهداف المسئولين السودانيين واتهامهم بارتكاب جرائم حرب في الوقت الذي يشهد العالم مجرمي الحرب الحقيقيين وهم يرتكبون جرائمهم سواء في فلسطين أو العراق أو أفغانستان دون أن يتحرك مجلس الأمن أو محكمته الجنائية الدولية لمحاكمتهم ومعاقبتهم على جرائم تسجلها مختلف وسائل الإعلام بالصوت والصورة ضد مواطنين أبرياء دمرت قوات الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها الأوروبيات وتابعاتها من الدول الأخرى دولهم وسفكت دماء مئات الألوف منهم وسلبتهم حرياتهم واستقلالهم واستغلت ثرواتهم تحت شعار الديمقراطية والحرية وباسم المجتمع الدولي الغائب؟

قراءة فى كتاب





> لا ينكر فضل الاسلام على النساء الا عدو او جاحد. فالاسلام كفل للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة. ولكن من لا يعرف شيئا عن حقوق المرأة فى الإسلام يظن أن المرأة مهضومة الحق باسم الشرع.. وهذا خطأ فادح يروج له الجاهلون بالإسلام والحاقدون عليه.
>
> من أجل ذلك كان هذا الكتاب الذى أراد به مؤلفه ان يجلو الحقيقة لكل من ينشد الحق.

هذا الكتاب يضم مجموعة من المحاضرات فى الدين والقضايا المعاصرة ويقع فى قسمين، يتناول القسم الأول منهما الحركات النسوية منذ الحضارة البابلية والسومرية والفرعونية والرومانية ثم الأوروبية فى العصر الحديث منذ الثورتين الفرنسية والأمريكية حتى الآن.

أما القسم الثانى فقد تناول حقوق المرأة فى التشريع الإسلامى، وقد بيّن المؤلف فيه بالدليل أن الإسلام منح المرأة المسلمة كل حقوقها منذ المهد المبتنى للرسالة الإسلامية، فجعلها مساوية للرجل فى أهلية التكليف الشرعى والمدنى.

تقع الدراسة فى ثلاثمائة وثلاث صفحات من مقاس ٢٣ × ١٧ سم وقد صدر فى طبعته الأولى عام ٢٠٠٨ عن دار الأصدقاء للطباعة.

أما المؤلف فهو الأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج الأستاذ المتفرغ بكلية التربية بالمنصورة، صاحب كتاب "اليهود واليهودية" الذى تم عرضه بمجلة الأزهر فى عددى صفر وربيع الأول من هذا العام.

ولقد أحسن المؤلف حين ذهب بدراسته متعمقاً فى الزمن البعيد حيث أشار إلى أهمية الأنثى فى حضارة سومر قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة.

وذكر شيئاً عن أهمية المرأة فى الحضارة الفرعونية فيقول فى الفصل الأول ص ٢٤.

وفى الحضارة الفرعونية مع أن الحكم كان للرجال باستثناء (حتشبسوت) فقد ظل مركز المرأة راقيا لدرجة أدهشت المؤرخين القدماء من اليونان والرومان.

يقول (ديودورس) الصقلى: «إن طاعة الزوج لزوجته فى وادى النيل كانت من الشروط التى تنص عليها عقود الزواج».

ويضرب المؤلف العديد من الأمثلة الدالة على احترام المجتمع للمرأة ونظرته إليها نظرة تقدير ومساواة مع الرجل فى الحقوق والواجبات فنجده يقول:

«وكانت رابطة الأسرة أهم روابط الاجتماع وقتئذ، وساوت المرأة الرجل فى كل الأمور وكانت تشارك زوجها وكل أفراد الأسرة أعمالهم، وكانت تعامل بكل احترام، سواء كانت المرأة أميرة من الأسرة الملكية، أو امرأة فقيرة من بنات الشعب، وتدل الآثار الحجرية التى تركها الفراعنة على احترام المجتمع المصرى القديم للمرأة. فقد نقش على هذه الآثار ما يدل على علاقات الحب والمودة والمجاملة للنساء».

كما يتناول المؤلف فى هذا الفصل بعض الكتابات المعاصرة التى يجنح أصحابها إلى المجتمع الأمومى. وأنه قد تتفق هذه النزعة مع نزعة التمحور حول الأنثى.

ويعرض المؤلف لفكرة «فوكوياما» الذى يعزو وجود العنف إلى وجود الرجال فى الحكم ويلخص المؤلف فكرة «فوكوياما» على النحو التالى:

أولاً: بعرض أفكار الآخرين حول التربية الحالية، تبين أن النظم التربوية والتثقيفية الحالية حتمت وجود فروق خطيرة بين مجتمعات الذكور، ومجتمعات الإناث، ليس فى مجتمع البشر وحده، ولكنها ظاهرة موجودة لدى كل أنواع الثدييات.

ثانيا: أن الذكورة مبعث العنف. وأن الرجل (الذكر) تجعله ذكورته ميالاً للعنف، وما دام الرجل سيستمر يحكم فسيظل العنف قاسما مشتركا أعظم بكل المجتمعات البشرية، ولن يقضى عليه إلا بأن تحكم النساء العالم.

وفى الفصل الثانى «حركة حقوق المرأة» يشير المؤلف إلى أن بداية حركة المطالبة بحقوق المرأة بدأت مع بداية القرن التاسع عشر بعد أن رفعت الثورة الفرنسية شعار المساواة.

ثم ينتقل إلى الحركة النسوية فى العالم العربى فيتناولها من خلال الصالونات النسائية بدءا من صالون الأميرة نازلى فاضل حيث كان صالونها يؤمه نخبة من المثقفين المصريين أمثال: الشيخ محمد عبده وقاسم أمين ومصطفى فهمى (رئيس الوزراء) وسعد زغلول الذى كان وزيراً للمعارف.

ثم صالون حرم حسين باشا رشدى ثم صالون مى زيادة.

يقول المؤلف ص ٥٣:

«خرجت حركة تحرير المرأة من هذه الصالونات، واعترفت بها الحكومة وعضدها الكتاب والمفكرون».

وصدر كتاب قاسم أمين الأول (تحرير المرأة) بمباركة من الشيخ محمد عبده الذى استرشد قاسم أمين بمقالاته حول المرأة فى جريدة الوقائع المصرية -

ومباركة سعد زغلول وأحمد لطفى السيد، وكانا رجلى دولة. ويتبين من هنا أن حركة تحرير المرأة منذ بدايتها اعتمدت بفكر دينى من (الشيخ محمد عبده) وتعضيد حكومى ورسمى من سعد زغلول وأحمد لطفى السيد.

وكانت فى البداية هادئة تعبر عن رؤية بدت إسلامية تعرف الناس بما أعطاه الإسلام للمرأة، وحمى حقوقها، بما لم تسبق إليه شريعة أخرى أو أية حضارة إنسانية». ثم يرصد المؤلف خروج قاسم أمين عن الصراط فيقول مايغضب المرأة المسلمة ذاتها فى ص ٢٠٩ من كتابه «المرأة الجديدة»، ويعبر المؤلف عن هذا الغلو فيقول

ومع أن الدارسين اعتبروا قاسم أمين هادئ النبرة فى كتاب (تحرير المرأة) يحوم حول النصوص الإسلامية التى استرشدها من شيخه محمد عبده يمتص رحيقها لتعضيد موقفه فى المطالبة بتحسين أوضاع المرأة ونيل حقوقها الشرعية - كما زعم - كان فى كتاب (المرأة الجديدة) يسلط حمم غلوه فى عبارات لاتقرها المرأة ذاتها فيرفض بزعمه «حق ملكية الرجال للنساء» ويرى ترك حرية النساء لهن ولو أدى ذلك إلى «إلغاء نظام الزواج حتى تصبح العلاقات بين الرجل والمرأة حرة لاتخضع لنظام ولا يحدها قانون».

لم يلاحظ قاسم أمين الفروق بين واقع المرأة الفرنسية وبين واقع المرأة المصرية وخطورة أن تكون المرأة المسلمة كالمرأة الفرنسية فى كل شىء. ثم دعا مؤلف الكتاب إلى القول «ولعل جرأة قاسم أمين فى معالجته قضية المرأة على هذا النحو جعلت الناس يختلفون فى الحكم عليه. فبينما عده خصومه مغرضا... عده أنصار التحرير أنه منح المرأة ما كانت افتقدته من حقوق.

محمد عبده

وبذلك أعاد لها حريتها وكرامتها وحقوقها الطبيعية. ووضعها الإيجابى من خلال مشروع وطنى يستند إلى قيم العلمنة الوضعية، ويبتعد عن الولوج فى الأصول الفقهية».

كما تناول المؤلف فى هذا الفصل جهود الشاعرة «عائشة التيمورية» و«ملك حفنى ناصف» و«نبيلة هاشم» و«زينب فواز» و«نبوية موسى».

ثم يعرج على موقف الإخوان المسلمين من الحركة النسائية. فيقول ص ٦٣

«إن جماعة الإخوان المسلمين هم أول من أسس الخطاب النسوى الحركى فى المذهب السنى لاقتناع رموزه بحتمية التجديد، فمنذ أن أسس الشيخ حسن البنا جماعة الإخوان سنة ١٩٢٨ كانت قضية المرأة قد شغلت كل التيارات الفكرية فى العالم العربى ومركزه مصر - وكان الشيخ حسن البنا ذكيا، وكان ذكاؤه يرقى إلى قدر فاعلية واقع الحراك الاجتماعى فلم يعاد المرأة، بل لم يمانع من انخراطها فى الحركة الاجتماعية والثقافية بضوابط شرعية. كذلك كان الشيخ حسن البنا متأثرا بخطة الشيخ محمد رشيد رضا حيال إشراك المرأة فى الحراك الاجتماعى والذى عبر عنه ذلك الأخير فى مقالات نشرها تباعا فى أعداد متفرقة من مجلة المنار ثم جمعها فى كتاب مستقل بعنوان (نداء إلى الجنس اللطيف) فى بداية الثلاثينيات. ودعا فيه إلى اتخاذ موقف معتدل إزاء المرأة لا يحرمها من حقوقها التى منحتها الشريعة الإسلامية لها».

أما الفصل الثالث: الحركة النسائية منذ بداية النصف الثانى من القرن العشرين

فبعد دراسة تاريخية للحركة النسائية منذ ثورة يوليو والتحول من الملكية إلى الجمهورية، ومسارعة الحكومة إلى توجيه المرأة توجيها اشتراكيا.

فكانت المطالبة بحق المشاركة السياسية حيث دخلت امرأتان مجلس الأمة لأول مرة هما: راوية عطية من الجيزة وأمينة شكرى من الإسكندرية. ثم تعيين الدكتورة حكمت أبوزيد وزيرة للشئون الاجتماعية.

ويستمر المؤلف فى سرده التاريخى لنشاطات الحركة النسائية، فيرصد طورا غريبا فى هذه النشاطات حيث كانت المطالبة بالقضاء على النظام الاجتماعى الأبوى، فيقول ص ٧٣: «وكان من بين هذه النشاطات ما يمكن أن يضع حركة المرأة فى طور غريب بالمطالبة بالقضاء على النظام الاجتماعى الأبوى الذى يسيطر فيه الرجل على العائلة. فأخذوا يطالبون بالقضاء على سلطة الرجل الذكورية فى أى شكل كان زوجا أو أبا أو أخا أو رئيسا على المرأة. لأن النظام الأبوى الذكورى بزعم هؤلاء يعطل تحرير المرأة».

واقترح هؤلاء من أجل القضاء على هذه السيطرة، وجوب السيطرة على النظام كله المتمثل فى سيطرة الأب، وسيطرة النظام الطبقى الرأسمالى. واقترحوا أيضا من أجل القضاء على المجتمع المتسلط إعادة النظر فى أهم قضايا سلطة الرجل على المرأة أى سلطة الذكر فى أى شكل من الأشكال على الأنثى هكذا كانت مزاعمهم.

أما الفصل الرابع والأخير من القسم الأول والذى كتبه المؤلف تحت عنوان «حركة النسائية والعولمة والعمل النسوى متعدد القوميات»: فقد

قاسم أمين

تناول شبكات العمل النسوية متعددية القومية مثل

● شبكة بدائل التنمية للمرأة فى عصر جديد، وفرع هذه الشبكة فى منطقة الكاريبى وأمريكا اللاتينية وجنوب آسيا.

● شبكة المرأة فى التنمية لأوروبا ومركزها «بروكسل».

● شبكة المرأة المسلمة ومركزها «مونبلييه» بفرنسا. ولها فروع متعددة فى لاهور بباكستان.

● جمعية نساء البحر الأبيض المتوسط ومركزها «قبرص ومالطة».

وينبه المؤلف فى هذا الفصل إلى موطن الداء فليست المسألة مسألة «رجل وامرأة» أو «ذكر وأنثى» بل سببها الأساسى انعدام العدل الاجتماعى والسياسى إذ يقول ص ٨٨:

«وغاب عن هؤلاء الذين داوموا على عقد المؤتمرات النسائية المتماثلة أن المأساة التى وضعت المرأة فى هذا الموقع المتدنى هى نفسها مأساة الرجل، ذلك لأن الأوضاع المتدنية التى انتهى إليها كل من الرجل والمرأة فى العالم العربى سببها عدم العدل السياسى والاجتماعى الذى يحاصر الشعوب العربية. فكان سبب انعدامه وقوع الشعوب برجالها ونسائها فى درك هوة سحيقة من التخلف الثقافى والتعليمى والسياسى والاجتماعى - بل فقد فيها أفسد التنمية البشرية للرجال والنساء جميعا

(يتبع)

بين المجلة





إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

ليس منا من غشنا

يقول المولى في كتابه الكريم:

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(المطففين: ١ : ٦)

والتهديد الإلهي هنا ليس موجهاً فقط للتجار الذين يغشون في الكيل والميزان.. بل هو موجه لكل من ارتكب جريمة الغش.. تلك الجريمة القذرة التي باتت تضرب المجتمع كله في مجالات عديدة.. آخرها- وليته يكون آخرها- جريمة بيع أسئلة الامتحانات.. وهي جريمة لا تضر فرداً بعينه، بل هي جريمة تضرب استقرار المجتمع كله.. وتقضي على مستقبله..

لماذا؟

لأن من جرب النجاح يوماً واحداً بدون مجهود سيواصل مسيرته في الحصول على النجاح المزعوم عبر الغش وسيحصل على أعلى الدرجات وسيواصل مسيرته ليتبوأ أعلى المناصب لتكون النتيجة جاهل أو حفنة من الجهلاء يتقدمون الصفوف ليقودوا المجتمع إلى السقوط في هاوية الجهل والتخلف.. أما من اجتهد وثابر وحصل على ما يستحق من نجاح فلن يجد له مكاناً أبداً في الصفوف الأولى لأن هناك من تفوق عليه ولكن بالغش والتدليس.

والغريب أن أحد المتورطين في جريمة شراء الامتحانات لأبنائهم دافع عن نفسه بمنتهى التبجح قائلاً: فعلت ما يفعله أي أب يحب أبناءه!!

عن أي حب يتحدث.. ألا يدري هذا المتبجح أنه بفعلته هذه يسرق لابنه أو لابنته مكاناً في الجامعة كان غيره أو غيرها أكثر استحقاقاً له.

ألا يدري أنه بفعلته تلك يكرس الحرام في نسله الى يوم الدين!! أجل.. إلى يوم الدين، لأن ابنه أو ابنته أو حتى أبناءه جميعاً لن يفكروا بعد ذلك في بذل أي جهد للحصول على ما يشتهون، ففي الجامعة لن يبذلوا الجهد في المذاكرة مادام الأب يضمن لهم التفوق بأمواله.. ولن يفكروا في العمل بشرف بعد التخرج من الجامعة.. لأنهم تربوا على الغش وعلى سرقة حقوق غيرهم.. وعلى هذا سيربون أبناءهم.. وسيتربى أحفادهم.. لأنهم سينبتون جميعاً من مال حرام اكتسبه آباؤهم بشهادات علمية لا يستحقونها!!

وهم بالتالي سيرثون عن آبائهم هذا المال الحرام يأكلون منه ويطعمون أبناءهم!!

ترى هل يرتجى الخير من مثل هؤلاء لمجتمعهم.. وما هو المتصور من هؤلاء عند اعتلائهم المناصب الواحد تلو الآخر؟!!

ومنهم من سيكون المدرس والأستاذ الجامعي! فما هي القيم أو المثل التي سيربون عليها أبناءنا؟!!

وكيف سيخرج من بين هؤلاء الأدعياء الصحفي والإذاعي والطبيب والصيدلي؟!

هل سيرتجى منهم خير؟ أم سيقودون الأمة الى هاوية الجهل والفقر والتخلف؟!

كارثة وأي كارثة.. لماذا لأننا في هذه الحالة نكون قد خسرنا الدنيا لأن الغش لا يمكن أبداً أن يصنع مستقبلاً مشرقاً.. وخسرنا الدين لأننا جعلنا الدنيا غاية همنا ونسينا قول نبينا الكريم:

«ليس منا من غشنا» أخرجه أحمد.

أحمد تقي الدين

المطففون الجدد!

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الشيخ مصطفى الازهري - امام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - قال:

في حياتنا الدنيا مظاهر كثيرة وسلوكيات عديدة تشير إلى تراجع ملحوظ لقيم العدل والقسط وتحرك سريع نحو الظلم وأكل حقوق الناس بالباطل وتحريف منطق الحق والعمل في كل شئون الحياة والذي على أساسه - أي العدل - قامت السموات والأرض. قال تعالى:

• ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ •

(الرحمن: ٧)

ولأن مالك الملك سبحانه وتعالى وضع لنا نواميس الوجود وبين وأرشد ونصح وحذرنا من تعيير القسطاس الرباني في قيم الخير والتي بتعييرها تفسد الحياة فقال عز وجل:

• ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ •

(الأعراف: ٥٦)

ثم أرادنا أن نتعلق به تعالى لانضباط سلوكنا فقال في نفس السياق:

• ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ •

(الأعراف: ٥٦)

وذكر سبحانه أن هذا الانضباط يقرب الرحمة ويدخل أصحابه في رحاب المحسنين فقال جل وعلا:

• ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ •

(الأعراف: ٥٦)

وبقدر ما يرى المرء من مفاسد تعج بها الأرض ومهلكات تتراءى بها الأنباء في الشرق والغرب كنا نرى أن الأمل مازال في عروق بلادنا المسلمة ساريا وهي المنوطة بالحفاظ على القيم التي يتبناها الدين الحنيف في مجالات الحياة كلها وأعظم هذه القيم: القسط في الميزان والذي يبدأ من ميزان البيع والشراء إلى وزن الحياة كلها بميزان الإسلام الذي حين انضبطت به حياة المسلمين في أزمنة خاليات رأينا الحضارة الإسلامية في أبهى صورها وتحقق فينا أمامها المراد الإلهي والمعنى الحضاري لقوله تعالى عن الهدى الذي يتمثل في الدين الحق:

• ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ •

(البقرة: ١٢٠)

إن مظاهر (التطفيف) في حياة المسلمين تجاوزت ميزان البيع والشراء - للأسف - لتتعدى إلى مجالات أخرى ومعاملات عديدة ففي الكلمة التي هي أمانة نرى التطفيف واللحن بالقول وشهادة الزور والغيبة والنميمة.. وفي تربية الأبناء نرى الميل في العطاء والهبة والتوريث الخاطئ في حياة الوالدين.. وفي الخصومات نرى التطفيف في أخذ حق الخصم من خصمه بصرف النظر عن صاحب الحق الأصلي.. وفي العمل قد نرى التطفيف في تقريب النمامين وظلم المخلصين.. وفي الأسواق نرى التطفيف في صوره العديدة من الغش والاحتيال والحلف على السلعة كذبا لتباع والبيع على البيع.. إلخ والنتيجة - إخواتي القراء الكرام - مذاقات من الويلات التي تتجرعها بلاد وشعوب المسلمين كل يوم ومع تفشي الخيانة بشكل هائل في التقنيات زاد الأغنياء غنى وتعالت في ذات الوقت موجات الجوع العالمي.

وما جرأتنا إلى ذلك إلا جريمة (التطفيف) التي يرتكبها في كل يوم (المطففون الجدد)، وصدق الله العظيم إذ يقول:

• ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ •

(المطففين: ١ - ٦)

المرأة الطائعة لزوجها

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الاستاذ: على محمدين - سما الوط - قال:

إن المرأة التي أطاعت ربها فيما فرض عليها من أوامر.. وفيما نهاها عنه من معاص فهي حتما ستطيع زوجها.. لذا يجب على المرأة المسلمة أن تطيع زوجها سرا وعلانية حتى تكون قد قامت بما يقتضيه عهد الزواج، لأن الطاعة مجلبة للهناء والرضاء، ومخالفة الزوج تولد الشحناء والبغضاء وتوجب النفور وتفسد عواطف الإخاء وتزرع القسوة في القلوب.

أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ. فسألها: «أذات زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: فأين أنت منه؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه.. قال: فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك» (رواه أحمد والنسائي).. وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (رواه ابن حبان).

ورُوي أن أسماء بنت يزيد الأنصارية - رضي الله عنهما - أتت إلى النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: «يا رسول الله إني وافدة النساء إليك، إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك وإنا - معشر النساء - محصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم. وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات. وعيادة المرضى، وشهادة الجنائز، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى، وأن الرجل إذا خرج حاجا أو مرابطا أو معتمرا حفظنا لكم أموالكم وغزلت لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم. أفما نشارككم في هذا الخير والأجر يا رسول الله؟ فالتفت ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها.. فقالوا: يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا.. فالتفت إليها رسول الله ﷺ ثم قال: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن طاعة الزوج - اعترافا بحقه - يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله» (أخرجه البزار والطبراني).

الصدق في الإسلام

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور محمد محمود العطار ـ كفر الشيخ قال:

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(التوبة: ١١٩)

الصدق معناه أن تقول الحق وألا تغير في حقيقة ما سمعته أو رأيته.

وقد كان سيدنا محمد ﷺ سليم الفطرة، صافي النفس، واشتهر بين الناس بالصدق والأمانة حتى لقب قبل البعثة بالصادق الأمين.

وقد وصفه الله ـ سبحانه وتعالى ـ في القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

وقد امتدح الله سيدنا إسماعيل ـ عليه السلام ـ لأنه كان صادقا قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾

(مريم: ٥٤)

إن الصدق يؤدى إلى عمل الخير وعمل الخير يؤدى إلى الجنة والكذب يؤدى إلى الوقوع في الخطأ وارتكاب الذنوب والمعاصي وكل ذلك يؤدى إلى النار، قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (رواه البخاري ومسلم).

وعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش البذيء» (رواه أحمد).

والصدق يكون في الحديث والوعد والمعاملات، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» ويكون في الشهادة قال ﷺ لأصحابه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً..؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الشرك بالله وعقوق الوالدين». وجلس وكان متكئا فقال: «ألا وقول الزور» فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» (رواه البخاري).

إن الواجب علينا معشر الآباء والمربين أن نعمل على غرس قيمة الصدق في أبنائنا ونتعهدهم في الأقوال والأفعال وذلك من أجل صلاح المجتمع والسير على الطريق المستقيم بعيدا عن طريق الانحراف.

من مساجد الإسلام - مسجد الأمير خاير بك

ويواصل صديقنا الأديب الأستاذ فرج مجاهد عبدالوهاب ـ شربين ـ دقهلية حديثه عن مساجد مصر ويحدثنا هذا الشهر عن مسجد الأمير خير بك. يقول:

يقع مسجد الأمير خاير بك الذى أقيم سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م بشارع باب العثمانية بعد انهيار الدولة المملوكية. يتكون المنظر الخارجي للمسجد من قبة جميلة محلى سطحها بزخارف نباتية والمنارة التى فقدت قمتها فى وقت غير معروف والمدخل المعقود الذى تغطيه طاقية مقرنصة الأركان ثم السبيل الواقع في الطرف الشمالي من الواجهة وكلها تكون مجموعة متناسقة امتازت بعدم بنائها على خط واحد مما زاد في جمال تكوينها، ويؤدى المدخل إلى درجات معقودة على اليسار للداخل إليها ومنها باب يؤدى إلى ممر يتوصل منه إلى ممر به صهاريج ومقابر مبعثرة وتطل عليه الواجهة الخلفية للمسجد وإلى يسار الممر باب السبيل وعلى يمينه باب يؤدى إلى المسجد يوصل إليه بعض درجات.

تخطيط المسجد عبارة عن حيز مربع أمام المحراب على جانبيه إيوانين يفصلهما عنه عقدان وبنهاية الإيوان القبلي بابان الأول يؤدى إلى القبة والثاني يؤدى إلى الغرفة الواقعة أسفل المنارة يسترعي النظر في هذا المسجد طريقة تسقيفه فهو مغطى بقبوات من الحجر ولكي يجمع المهندس الذى وضع تصميم المسجد والقبة بين ضرورة مراعاة اتجاه القبلة وبين اتباع خط تنظيم الطريق أدخل المسافة الناتجة من انحراف الوجهة في سمك حائطها وأنشأ بها صفقتا عقدها بقبوات حجرية وشغل الصفة المقابلة للمحراب بأن وضع بها دكة المبلغ وفي القبة اتنى بالشبابيك لتكون عمودية على كل حوائط المربع من الداخل ووجهاته وتفنن في تغطيتها بقبوات حجرية دقيقة الصنع.



إعداد الأستاذ/ محمد جمعة أحمد حمور

رئيس وزراء ماليزيا يدعو المسلمين للاستفادة من التاريخ

دعا عبدالله بدوى رئيس وزراء ماليزيا العالم الإسلامي للاستفادة من أخطاء التاريخ ودراستها للاستفادة منها.. مشيرا إلى أن الأخطاء التي ارتكبها المسلمون على مدى التاريخ يجب أن تكون مفهومة حتى لا تتكرر الأخطاء ذاتها. وقال بدوى في كلمة ألقاها أمام جلسة انعقدت في متحف الفنون الإسلامية ماليزيا في كوالالمبور: على الرغم من أن حكاما مسلمين يرحلون، تأكيده على ضرورة الإلمام بالأخطاء حتى تكون دروسا وعبرا حتى لا تتكرر، إلا أن مسلمين لم يدركوا أخطاءهم ومن المؤسف أن لا يزال كثير منهم غارقين في الفوضى والجهل والضعف. وهذا الأمر لم يحدث لأنه تعمد بحق، وتقول إن الإسلام دين ضعيف يؤثر له توجيهات وإرشادات. وقال: لا بد أن يكون المسلمون يقظين للدفاع عن هذا الدين الحق ويجب أن نبقى منفتحين ومنضبطين ومن أجل أن نظل كذلك فلا بد من التركيز والاهتمام على التربية والتعليم وإلا فستكون جهودنا في تعزيز الرأسمال البشرى وتنميته مجرد شعار فقط.

سياح أوروبا.. يعتنقون الإسلام

شهدت مدينة أنطاليا السياحية التركية اعتناق ٨٧ سائحا أجنبيا الإسلام مؤخرا. وقال مفتي مدينة أنطاليا: إن من بين السياح ٤٢ ألمانيا و١١ سويسريا و٩ من إنجلترا، مشيرا إلى أن ٨٥ منهم من خريجي الجامعات. وأعلن مفتي المدينة عن زيادة النشاطات الدعوية بإرسال الدعاة إلى المناطق السياحية للدعوة إلى الدين الإسلامي.

تدريس الشريعة الإسلامية في المدارس العربية بسويسرا

اختتمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» ورشة عمل تربوية للموجهين في مجال تحديث طرق تدريس التربية الإسلامية في مدينة جنيف بسويسرا وشارك في هذه الورشة خمسون من العاملين في مجال تدريس التربية الإسلامية من مختلف مناطق سويسرا وتهدف الورشة إلى تحديث طرائق تدريس التربية الإسلامية وتأهيل المعلمين في مجال التربية الإسلامية وإكسابهم الخبرات والمهارات الضرورية المتطورة في المجال التربوي وتوعية المشاركين بدور الثقافة الإسلامية في تربية أبناء المسلمين وتنمية الوعي بأهمية توظيف تكنولوجيا الإعلاميات في تدريس التربية الإسلامية والوقوف على المعوقات التي تحول دون تطوير تدريس التربية الإسلامية بما يواكب العصر ووفق خصوصيات الثقافة الإسلامية.

أوغلو: الإسلام ليس عنصرا غريبا أو مؤقتا في أوروبا

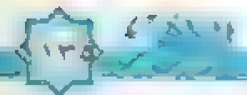
دعا أكمل الدين إحسان أوغلو أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي إلى عدم اعتبار مسلمي أوروبا وثقافتهم عنصرا غريبا ومؤقتا في السياق الأوروبي مطالبا بالتعامل مع الإسلام على أنه أحد مكونات الهوية الأوروبية.

وأشاد أوغلو في محاضرة ألقاها بمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية في المملكة المتحدة ونشر مقر منظمة المؤتمر نصها إلى أن العناصر المسلمة نجحت في تقلد أرفع المناصب في أوروبا مشددا على أهمية المشاركة السياسية للجاليات المسلمة هناك من أجل دعم فرص الحوار الحضاري على مختلف المستويات وفي مقدمته حوار الأديان.

القضاء السويسري يدين التمييز ضد الحجاب

أكدت المحكمة الاتحادية السويسرية أن رفض منح الجنسية للمرأة المسلمة بسبب ارتدائها الحجاب إنما هو شكل من أشكال التمييز، وقضت المحكمة بنقض قرارين اتخذتهما مقاطعة أرجوفي يقضيان برفض منح الجنسية لامرأة تركية تبلغ من العمر ٤٠ عاما.

وكانت هيئة في برلمان المقاطعة قد رفضت بأغلبية ١٩ صوتا ضد ١٥ منح الجنسية لتلك المرأة التي تعيش في سويسرا منذ كان عمرها ١٣ عاما، بسبب ارتدائها الحجاب، بدعوى أن الحجاب يمثل خضوع المرأة للرجل وهذا يتعارض مع الدستور.. وردت المحكمة الاتحادية بأن ارتداء المرأة المسلمة للحجاب لا يمثل خضوعا، بل هو التزام منها بالدين الإسلامي، وهذا لا يتعارض مع الدستور الذي كفل حرية الإيمان والمعتقد.



كيث إليسون: السيناتور الأمريكي المسلم

ضرورة أن يندمج المسلمون في المجتمع ويحصلوا على حقوقهم

اعتبر السيناتور الأمريكي كيث إليسون النائب الديمقراطي المسلم في الكونجرس، أن المشاركة السياسية الفاعلة وتشكيل لوبي (جماعة ضغط) هو طريق مسلمي الولايات المتحدة نحو التقدم وتحسين أوضاعهم من خلال التأثير في المجتمع. جاء ذلك خلال حوار عبر شبكة (الفيديو كونفرنس) عقد بمقر السفارة الأمريكية بالقاهرة مع عدد من الإعلاميين ودار في معظمه حول أوضاع الأقلية المسلمة، التي يتراوح عددها ما بين ٦ و ٧ ملايين مسلم يمثلون ٣٪ من إجمالي السكان في أمريكا، الذي تجاوز ٣٠٠ مليون نسمة وأعرب إليسون عن إيمانه بأنه «يجب على مسلمي أمريكا أن يتجهوا إلى العمل السياسي، ليكون لهم كيان وصوت مسموع».

ورأى إليسون - وهو عضو في حزب العمال والفلاحين الديمقراطي - أن مسلمي أمريكا بوضعهم الحالي غير قادرين على تشكيل لوبي يمكنه إجبار الآخرين على الانصات لمطالبهم المشروعة وأرجع ذلك إلى عدم وجود قيادة وتنظيم يوحد جهود الأقلية المسلمة. وأضاف: «هناك إساءات ترتكب بحق المسلمين، فواجهات المساجد الزجاجية يتم كسرها، لكنها تعتبر انتهاكات عارضة وطارئة..»، كما أعرب إليسون عن سعادته بظهور منظمات إسلامية غير حكومية جديدة كل يوم، منها من يخصص خدماته للنساء فقط.. من خلال هذا الأمر يمكن أن يتواءم المسلمون داخل الولايات المتحدة.

عرقلة بناء المساجد في موسكو

ذكرت وكالة الأنباء الروسية «نوفوستي» أن علماء دين مسلمين أبلغوا رئيس بلدية موسكو بأن مسئولين في أجهزة الإدارة المحلية يعرقلون أو يمنعون «تشييد مساجد جديدة للمسلمين» وتوجد أربعة مساجد في ضواحي موسكو وقد وعد نائب رئيس البلدية الكسي بانتيليف بأن السلطات المحلية ستأخذ في الاعتبار مصالح المسلمين وتشير الوكالة وفقا لمعلوماتها في مجلس المفتين في روسيا إلى أن السلطات المحلية في ١٣ مدينة من المدن القريبة من العاصمة الروسية موسكو لا تستجيب لمطالب المسلمين ويعتقد إمام موسكو أرسلان صدرييف أن المساجد المطلوب تشييدها في المنطقة ستساهم في مكافحة ظاهرة التطرف.

أسقف بريطاني: الإسلام سيملأ الفراغ الأخلاقي في بريطانيا

حذر أسقف مقاطعة روشستر البريطانية مما وصفه بتراجع تأثير المسيحية أمام تقدم الإسلام ليملأ الفراغ الأخلاقي الذي بدأ في بريطانيا منذ عصور.

ويأتي تحذير الأسقف البريطاني بعد أيام قليلة من انتقادات لاذعة وجهها لكنيسة إنجلترا التي اتهمها بأنها لم تؤد واجبها في تحويل كافة أتباع الديانات الأخرى وبشكل خاص المسلمون في بريطانيا إلى المسيحية الإنجيلية وهو ما يهدد بضياع الهوية البريطانية على حد تعبيره.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

قررت مجمع البحوث الإسلامية

في جلسته المنعقدة في ٢٦/٦/٢٠٠٨ قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية:

أولا: الموافقة على مذكرة لجنة البحوث والسنة والسيرة بشأن طبع كتب الرد على الشبهات والافتراءات على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي:

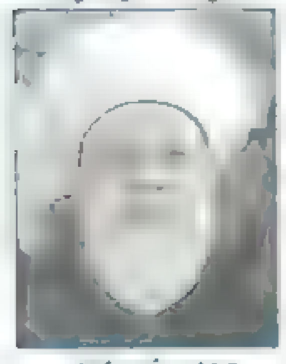
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.
- اختلاف علوم الدين للإمام الشافعي.
- منهج الدفاع عن الحديث النبوي للدكتور أحمد عمر هاشم.
- السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شامة.

وذلك للطبع على نفقة الأزهر.

ثانيا: الموافقة على عقد مؤتمر للمجمع تحت عنوان: «نهضة الأمة.. الإمكانات والتحديات» في النصف الثاني من شعبان سنة ١٤٣٠هـ.



يوسف القرضاوي



محمد رشيد قباني



حمود الهتار

ثالثا: تم ترشيح أربعة أعضاء جدد للمجلس هم:

- فضيلة الشيخ محمد رشيد قباني مفتي لبنان.
- فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لهيئة العلماء المسلمين.
- فضيلة الشيخ حمود الهتار مفتي جمهورية اليمن.
- الدكتور محمد أحمد صالح أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود.

صرح بذلك فضيلة الشيخ ماهر الحداد المدير العام للإدارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه.

مسابقة لاختيار أعضاء جدد بلجنة مراجعة المصحف الشريف

صرح فضيلة الشيخ على عبد الباقى شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر قد وافق على إجراء مسابقة لاختيار بعض الأعضاء الجدد للجنة مراجعة المصحف، على ألا يقل سن المتقدم عن ٣٥ عاما، ولا يزيد على ٥٥ عاما، وأن يكون حاصلا على شهادة تخصص القراءات على الأقل، ويفضل الحاصل على شهادة أعلى وأن يكون مبصرا (دراسة وحقيقة) وكذا خريج اللغة العربية شريطة أن يكون حافظا للقرآن الكريم كاملا، وقارئا للقراءات السبع على الأقل، ودارسا لعلوم الرسم والضبط والفواصل.



على عبد الباقى

فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل وفد ماليزيا

استقبل فضيلة الشيخ على عبد الباقى شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفد دار الإفتاء وقسم الدراسات والبحوث بولاية نجرى سمبيلان بماليزيا يوم ١٩ / ٦ / ٢٠٠٨.

حيث يقوم الوفد بدارسة بحث نحو تقوية وتطوير دار الافتاء والهيئات والمؤسسات التابعة لها لمواجهة تحديات الألفية الثالثة. ضم الوفد عددا من أعضاء مجلس الفتوى بدار الإفتاء ولاية نجرى سمبيلان وهم: السيد الحاج رملى بن ابراهيم، والسيد الحاج شهداء بن محمد، والسيد الحاج خير جوهرى بن عثمان، والسيد الحاج شافعى بن محمد.

الطلاب الوافدين

تم فتح باب التقدم للراغبين فى الالتحاق بالدراسة بالأزهر الشريف من جميع دول العالم وقد بدأ فتح مكتب التنسيق لقبول الطلاب الوافدين اعتبارا من ١ / ٦ / ٢٠٠٨ وينتهى آخر شهر يوليو ٢٠٠٨. وبالنسبة للأسر الأجنبية المسلمة الموجودة داخل جمهورية مصر العربية بحكم عملهم التقدم إلى التنسيق فى الصفوف التمهيدية KG1 - KG2 - الصف الأول الابتدائى، أما التلاميذ دون الأعمار المتقدمة فسوف يخضعون لاختبارات لتحديد المستوى الذى يلحقون به فى شهر أكتوبر من كل عام.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين

البعثات الأزهرية

تلقت الإدارة العامة للبعوث الإسلامية طلبات الراغبين للابتعاث فى شهر رمضان المبارك ١٤٢٩هـ حيث تقدم ٣ ٢٥ مرشح فضلا عن ١٩٧ مرشحا لرياسة البعثات وتم عقد امتحان لهم جميعا فى الفترة من ٤ / ٥ وحتى ٥ / ٦ / ٢٠٠٨ صرح بذلك فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين المساعد للبحوث الإسلامية، الذى أضاف بأنه سيتم قريبا إعلان النتيجة.

معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب (معاملات البنوك وأحكامها الشرعية) لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ويتضمن سبعة مباحث:

المبحث الأول: أوضح المؤلف فيه خصائص الشريعة الإسلامية، ورعايتها لمصالح الناس، ومصادرها، وقيامها على السماحة والعدل.

وفى المبحث الثانى: بين حاجة الناس إلى المعاملات وأسسها فى الإسلام المبنية على السماحة والتراضى والإيجاب والقبول عن طريق البيع والشراء، والإجارة والرهن، والمرابحة إلخ وآداب المعاملات فى الإسلام ومنها التيسير عن المعسر، وتحرى الحلال.



وفى المبحث الثالث: تحدث عن الربا ومنهج الشريعة الإسلامية فى تحريمه مع بيان النماذج للربا المحرم شرعا.

وفى المبحث الرابع: بين معنى القروض والديون وحديث القرآن عنهما وكيف تدفع الديون، ثم معنى الودائع والاستثمار.

وفى المبحثين الخامس والسادس: تحدث عن البنوك، ونشأتها، وتطورها ووظيفتها، وعملها وأنواع الاستثمار وتحديد الربح مقدما ثم الأمثلة والتطبيقات.

وفى المبحث السابع: بين بالأدلة الحكم الشرعى للتعامل فى شهادات الاستثمار، البنوك العقارية، سندات التنمية الدولارية، دفتر توفير صناديق التوفير.

والكتاب فى مجمله يفيد القارئ بأن يضع أمامه منهجا هاما من مبادئ فقه المعاملات المستحدثة ويبين أن الدين الإسلامى صالح لكل زمان ومكان.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلى المدير العام للإدارة العامة لإحياء التراث.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعلان نتيجة الابتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف ـ بمكتبه بمشيخة الأزهر صباح الأحد الموافق ٨/٦/٢٠٠٨ نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٨/١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٧/٢٠٠٨م على مستوى الجمهورية بنوعيها «مبصر ـ كفيف». وكانت النسبة المئوية للنجاح ٦٦٫٧٣ . وكان إجمالى المتقدمين ١٥٥٠٥٤ طالبا وطالبة. نجح منهم ١٠٢٤٠٧ ومن لهم حق دخول الدور الثانى ٥٢٦٤٦ طالبا وطالبة.

والعشرة الأوائل من المبصرين على مستوى الجمهورية هم: ماهر محمد أحمد محمد ـ الجيزة ـ الأول. آمال محمود محمد حسن ـ الشرقية ـ الأول م. أحمد مصباح منير عبدالله ـ الغربية ـ الثالث. فرح محمود خميس سلطان ـ شمال سيناء ـ الرابع. فاطمة الزهراء دسوقى محمد ـ المنوفية ـ الرابع م. ماجر محمد أحمد طه ـ السويس ـ الرابع م. إسراء عرابى معوض عرابى ـ المنوفية ـ السابع. فاطمة مبروك محمد الحيشى ـ المنوفية ـ السابع م. أحمد شعبان الشحات الشعراوى ـ القليوبية ـ التاسع. ناهد جلال حسن عبدالمعبود ـ القليوبية ـ التاسع م. نرفانا عطوة عبدالرحمن عطوة ـ شمال سيناء ـ التاسع. آية جميل هيبة ـ المنوفية ـ التاسع م.

والأوائل للمكفوفين على مستوى الجمهورية هم: عبدالرحمن مدحت سيد أحمد ـ الشرقية ـ الأول. محمد السيد أحمد أحمد ـ شمال سيناء ـ الثانى. عاصم أحمد الخضر عبدالحميد ـ الدقهلية ـ الثانى م. عمر خالد محمد مصطفى بدر ـ الدقهلية ـ الرابع. نهال تشأت السيد على على ـ الدقهلية ـ الخامس. صالح فوزى صلاح محمد ـ الجيزة ـ السادس. سمية عبدالعليم أبوالعباس أحمد ـ أسوان ـ السابع. ياسر عبدالحكيم حسن مصطفى ـ الدقهلية ـ السابع م. حسام هشام عبدالعظيم عبدالنصير ـ الجيزة ـ التاسع. خالد عماد حسن عبدالتواب ـ الدقهلية ـ العاشر.

شهد اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ عبدالفتاح علام ـ وكيل الأزهر الشريف. وفضيلة الشيخ زكريا إسماعيل ـ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية. وفضيلة الشيخ عبدالتواب قطب ـ رئيس الإدارة المركزية للتعليم الابتدائى بقطاع المعاهد، ووكلاء القطاع وفضيلة الشيخ محمد جميل ـ رئيس كنترول الشهادة الابتدائية الأزهرية. والسادة أصحاب الفضيلة القائمين على أعمال الكنترول. وسيتم إعلان النتيجة على موقع قطاع المعاهد الأزهرية على شبكة الإنترنت.

معهد أزهري في أربيل

وقع الأزهر بروتوكول تعاون لإنشاء معهد أزهرى فى أربيل بالعراق ويكون مقره مركز محافظة أربيل وتابعا لقطاع المعاهد الأزهرية وتتولى إدارته والإشراف والإنفاق عليه وزارة الأوقاف والشئون الدينية فى إقليم كردستان بالعراق، تكون الدراسة به ٩ سنوات بمرحلتين وتطبق بالمعهد المناهج الدراسية للمواد الشرعية واللغوية المعتمدة فى المعاهد الأزهرية التى تقوم بتوفير الكتب الدراسية والمناهج معتمدة للعلوم الشرعية واللغة العربية من قبل مشيخة الأزهر، وأن يستعان بثلاثة من الكوادر المتخصصة من علماء الأزهر فى المواد الشرعية. وتأتى هذه الخطوة من منطلق توثيق العلاقات التعليمية للدراسات الإسلامية بين مشيخة الأزهر والمؤسسات التعليمية فى إقليم كردستان ـ العراق وامتدادا للأواصر العلمية العريقة بين الطرفين ولمكانة الأزهر الرفيعة المشهود لها فى العالم الإسلامى ولما يمثله الأزهر من رصانة ووسطية فى المناهج الدراسية. وقد قام بالتوقيع على بروتوكول التعاون من جانب الأزهر فضيلة الشيخ عبدالفتاح علام ـ وكيل الأزهر الشريف. والتوقيع من جانب وفد العراق السيد رئيس الوفد عثمان رشاد محمد المفتى ـ المستشار الأول فى وزارة الأوقاف والشئون الدينية لإقليم كردستان العراقى «ممثل الوزارة».

النشاط الصيفي لطلاب مدن البعوث

وافق فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر، على ما عرضه مستشار شيخ الأزهر لمدن البعوث الإسلامية لإقامة النشاط الصيفى لطلاب مدن البعوث فى الفترة من ١/٦/٢٠٠٨ وحتى ٣٠ ٨ ٢٠٠٨م بهدف شغل أوقات فراغ الطلاب طبقا لميولهم الرياضية والثقافية والأعمال اليدوية وتنمية اللياقة البدنية للطلاب وزيادة الترابط والألفة بين طلاب مدينة البعوث بجنسياتهم المختلفة. كذا تنمية مهارات الطلاب من خلال الصناعات الصغيرة والجوالة ويشمل النشاط تحسين الخطوط العربية والاهتمام بحفظ القرآن الكريم وتجويده، كما يهتم مركز اللغات والترجمة بالمدينة برفع مستوى اللغة الأجنبية للطلاب، كذا رفع مستوى الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية والعكس والذى من خلاله يسهل تبادل الثقافات بين الطلاب. كما وافق فضيلة الإمام الأكبر على إقامة اللقاء الثقافى الخامس عشر للطالبات المقام بمدينتى بورسعيد والإسماعيلية فى الفترة من ١ ٧ ٢٠٠٨ وحتى ٢٤ ٧ ٢٠٠٨ على ٤ أفواج يبدأ الأول منها الثلاثاء الموافق ١/٧/٢٠٠٨ وحتى ٦/٧/٢٠٠٨ بمدينة بورسعيد والثانى من الاثنين ٧/٧/٢٠٠٨ حتى ١٢ ٨ ٢٠٠٨ بمدينة الإسماعيلية والثالث من الأحد ١٣ ٧ ٢٠٠٨ حتى ١٨ ٧ ٢٠٠٨ بمدينة الإسماعيلية والرابع من السبت ١٩/٧/٢٠٠٨ حتى الخميس ٢٤/٧/٢٠٠٨ بمدينة بورسعيد. ويقام اللقاء الثقافى بأصحاب الفضيلة علماء الأزهر بفرع مدينة البعوث الإسلامية بالإسكندرية فى الفترة من ٦ ٧ ٢٠٠٨ حتى ١٦ ٨ ٢٠٠٨.

هارون صلاح رئيسا للتفتيش المالى الإدارى

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر، قرارا بالإسناد للسيد الأستاذ هارون صلاح على محمد مدير عام التفتيش الإدارى للقيام بأعمال رئيس الإدارة المركزية للتفتيش المالى والإدارى.

The Night Journey is a measurement of belief

By: Ustaz A'adel Khfaja

The speech about the Night Journey is regarded as a speech about belief and believers. We see that when Abu Bakr (may Allah be pleased with him) knew about the denial of the Prophet's tale about the Night Journey, he said: "If he said that it happened, then he is truthful".

The right believer does not need signs to believe any speech told by the Prophet, the truthful and the honest person. However, as for those who denied the event, the Prophet put his hand on the head of some of them, the matter that caused them to be amazed at his speech. It is really a measurement of belief and believers since the [illegible] of the inspiration till the Day of Judgment.

Speech about the Night Journey has many branches and includes many advices. There was a saying that the Night Journey happened at one night by the soul and body of the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him). Some people said that one of them occurred while the Prophet was awakening and the other happened while the Prophet was asleep.

The first event is the journey that took place on earth from Mecca to Jerusalem, which Allah mentioned in the following verse:

{All Exaltement be to Him, Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Farther Mosque, around which We have blessed, that We might show him (some) of Our signs. Surely He, Ever He, is The Ever-Hearing, The Ever-Beholding.}

[Al-Israa (The Night Journey): 1]

Abu Said said about the second event, "When I finished the incidents of Jerusalem, I saw something never seen except by the dead and my companion accompanied me till I reached a certain door called Bab Al-Hafazah."

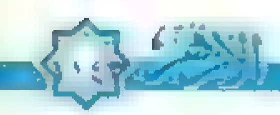
Allah says in the Noble Quran:

{And (by) the Star when it tumbles down. In no way has your companion erred, and in no way is he misguided. And in no way does he pronounce (any word) out of prejudice. Decidedly it is nothing except a revelation revealed. One of valiant powers has taught him, (One) endowed with (towering) splendor; so he evened himself. (When) he was on the most exalted horizon. Thereafter he came near, then hung suspended. So he was at two bows' distance or even closer (still). Then He revealed to His bondman what He revealed. In no way did the heart's sight lie about what it saw. Will you then wrangle with him about what he sees? And indeed he did already see him (during) another descent. At the Lote-Tree of the Utmost Boundary. At it is the Garden of the Abode. As that which envelops did envelop the Lote-Tree. In no way did (his) beholding swerve, and in no way was it inordinate. Indeed he has already seen of the signs of his Lord, the greatest.}

[An-Najm (The Star): 1/18]

Al-Buraq

[1] The explanation of At-Tabary part 8/12, see Musnad Al-Harith Zawa'ed Al-Haithamy part 1/170 in other words





Abdullah Ibn Mas'ud narrated, "Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) came by Al-Buraq, the animal that used to carry the prophets and it puts hoofs at the end of the distance it can see."

This animal is faster than any transport means in the modern time as it puts its hoofs at the end of the distance it can see. We may ask ourselves, "Where is end of the distance it can see?" How many steps does Al-Buraq take per hour? The multiply of these two factors can reveal Al-Buraq speed. These are unseen matters, and we give these examples to realize the whole matter.

If we know about a jet aircraft owned by the US space agency set a new record in flying speed when it approached voice speed, the engineer [illegible] said that the jet aircraft recorded 9.6 times the voice speed during flying. Then the aircraft approached flying in 11000 km/hour (voice speed is 1225 km/hour). We say that the aircraft is made by the human being, then the creator? What is unparalleled.

The Advice

The one who contemplates in the saying of Ibn Mas'ud knows that traveling by this animal was not restricted to Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him), but other prophets traveled by this animal. This can be indicated from his saying: "The animal tied the ring that it used to tie around the Prophets." These words reveal that the other prophets were using this animal by Allah's order.

There is a question: why did the disbelievers deny the earth journey although it happened to other preceding prophets? We quote Allah's verse:

{We already know that surely it indeed grieves you (the things) they say. Yet surely they do not cry lies to you, but the unjust (people) repudiate the signs of Allah.}

[Al-An'am (The Cattle): 33]

All the prophets met and Allah's Messenger was their imam in the prayer. This means that they were collected in one prayer. We can not ask about the way it was performed, but we should pay attention to its goal, which is that all the prophets came with different messages, but there is one principle in all of them. All of them call for believing that Allah is the only god.

Muhammad said, "All the prophets are brothers; although they were sent to different nations, they have one religion."[4]

Allah says:

{And in no way did We sent (any) Messenger even before you except that We revealed to him, (saying), "There is no god Ecept I: so worship Me."}

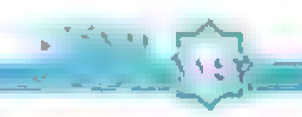
[Al-Anbiaa (The Prophets): 25]

This is what we derive from the prayer of Allah's Messenger by the prophets.

[2] The Prophet's biography by Ibn Hisham part 2/248

[3] The chapters in the Prophet's biography page 1 page 281

[4] Musnad Al-Imam Ahmad Ibn Hanbal page 2



Scenes from the Night Journey...!

By: The honorable Sheikh. `Umar Ad-Deib

The Former Al-Azhar Deputy

&

Member of the Islamic Research Academy

{All Extolment be (to Him), who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further Mosque, around which we have blessed, that we might show him (some) of Our signs. Surely He, Ever He, is The Ever, Hearing, The Ever-Beholding.}(Al-israa(The night Journey) :1]

Allah, Glory be to Him, sent Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) to the people with a message to complete the previous Heavenly messages, and to be the last suitable message for every time and place. It includes what reforms humanity, and achieves safety and peace to mankind.

He made Mohammad the last Prophet to be entitled to this honorable mission to inform the people with this message saying:

{Say, "o you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether}

[Al-A`raf (The Battlements): 158]

Allah, Glory be to Him, supported him with many material and spiritual miracles and signs. The miracle of Night Journey is one of the eternal material miracles to witness the truthfulness of the message, and to announce to the humanity that Muhammad is Allah's Messenger, and that his religion is true.

If we look at the miracle of the Night Journey, we will find in it many scenes, some of which are:

Time scene

Place scene

Belief scene

Spring of da`wah scene

Honor scene

Time scene:

The time in which this miracle occurred is called grief year, as the prophet (peace be upon him) lost his wife Khadija, the mother of believers (may Allah be pleased with her) as well as his uncle Abu Taleb, who was strong support in his life. When his uncle died, Quraysh harmed him. The prophet (peace be upon him) said, "Quraysh has never harmed me except after the death of Abu Taleb"

Also, his wife Khadija, who believed and compensated him by her own self and money, died. The one who supported him and his da`wah died with her sympathy, compensation and support. She supported him in the hardest times, as she used to help him in transmitting his da`wa along with sympathizing with him. Quraysh exploited this opportunity and increased its harm and tyranny against the Prophet (peace be upon him) and the Muslims.

Place scene:

When the harm of the disbelievers to the Prophet (peace be upon him) increased, he moved to Al Taif to ask for help. However, the circumstances were not better than

those in Mecca. He found enmity in Al Taif such as what he found before the Night Journey. The Prophet (peace be upon him) said that the worst day which he passed through was the day of his return from Thaif, when some foolish men and boys threw stones over the Prophet (peace be upon him) till his honorable legs bled.

Belief Scene

When the Prophet (peace be upon him) was harmed extremely in his return from Thaif, he resorted to the shadow of a tree in a hot day and restored the history of his Da`wa. Then, he resorted to Allah and prayed the following supplication

"O Allah to You alone, I make complaint of my helplessness, the paucity of my resources and my insignificance before mankind. You are the most Merciful of the mercifuls. You are the Lord of the helpless and the weak. O Lord of mine! Into those hands would you abandon me. Into hands of an unsympathetic distant relative who would sullenly frown at me, or to the enemy who has been giving control over my affairs?

But if your wrath does not fall one me, there is nothing for me to worry about. I seek protection in the light of your countenance, which illuminates the heavens and dispels darkness, and which controls all affairs in this world as well as in the Hereafter. May it never be that I should incur Your wrath, or that you should be wrathful at me. And there is no power nor resource, but yours alone."

Allah responded to the Prophet (peace be upon him) after this supplication causing the Prophet to move from hard times and difficulties to good omens.

Spring of D`awa Scene

One of the good omens that took place and gave promise of the spring of da`wah to spread in earth is the miracle of the Night Journey. It caused feeling of easiness to the Prophet (peace be upon him) as well as compensation for his feeling and achievement of his hope. It seems that Allah, Glory be to him, wanted to tell his Prophet (peace be upon him) that if your people tighten the land in front of you, we open to you all of the paths of heaven and earth in the night and ascension journey

Da`wah did not relapse after the night journey, on the contrary, it confronted conquest after another by meeting the Arab tribes in pilgrimage season. Also, it paved the way for the great immigration in the meeting between the Prophet (peace be upon him) and the Prophets' advocates (Al-Ansar) in two frequented years. Then, the honorable prophetic immigration occurred, as it divided the history of the Islamic Da`wah into two big divisions, the first of which represents plowing and cultivating, and the second represents harvest. It is the law of Allah in his creation

{Then, you will never find any exchange of the enactment of Allah, and you will never find any transference to the enactment of Allah}

[Fatir (The Originator): 43]

{and it is truly (binding) on Us to (give) victory to the believers}

[Ar-Rom (The Romans): 47]

Honor Scene:

The Prophet's journey to Jerusalem was an indication of the beginning of a new phase of Da`wah, as the Prophet (peace be upon him) was set forth to night journey from the Inviolable Mosque to the Further Mosque. His prayer with the Prophets was the best prayer, and homage for him to declare the spread of Islam in this pure place

their homes and the abolishment of their civilization. They are being referred to as uncivilized, terrorists and savages.

All this is backed by the western power claims that it protects freedom and democracy. Actually it has protected the oppressor and crushed the oppressed. It has encouraged other countries to kill innocent Muslims using false accusations causing Muslims to be killed day and night by the hundreds. In addition, thousands have been made homeless due to destruction of their homes and are forced to move aimlessly from country to country without shelter.

The American President gave a speech in the Israeli Knesset on Thursday 15th May 2008. In this speech he announced that Israel is the most democratic country in the world and that its people have suffered a lot for the sake of peace, forgetting that there is a nation whose land has been occupied and its people made destitute.

The American President forgot that the European countries are the main reason for the sufferings and torture of the Jews. He forgot that Arabs and Muslims, including Palestinians, were the ones who were merciful to the Jews, who then occupied their land and made them homeless in order to turn their land and the land of their forefathers into a Jewish state . Palestinians were killed and their homes destroyed. They suffered at the hands of the Jews all forms of torture, imprisonment and deprivation. As such, The American President is ignoring the facts and overlooking all the basics, reconstructing the facts in a way that has no relation at all to the truth.

It is not clear what kind of democracy it was that he attributed to Israel. It is a democracy of killing, blood, death, destruction and mass punishment. It involves depriving human beings of their most basic human rights. It is a democracy with fangs that attack infants and young children, a democracy with walls, barriers and blockades.

Our Palestinian brothers and sisters are dying of hunger or in prison camps. They are deprived of fuel and electricity, so life support systems for patients in hospitals cannot function. Water treatment centers and sewage systems are no longer effective, turning the lives of Palestinians into a living hell.

What sacrifices did Israel make in Palestine for the sake of peace? A few years ago the Arabs tried to forget all Israel's crimes and proposed a peace treaty that causes them to acknowledge the presence of Israel in their land and are ready/offered to have full relations with Israel. All they asked from Israel was to return the occupied land and give the Palestinians the land that was surrounded by the boundaries of 1967 to make a nation for themselves. How did Israel respond? They avoided peace and continued to kill and destroy in the West Bank and Gaza strip. They prevented the owners of the land, who are now destitute all over the world, from returning to it. They set up new settlements to bring in new Jews from all over the world. They desecrated Holy places. They ignored international resolutions and refused to abide by them or be governed by them.

After all that, does Israel deserve to be regarded as a democratic country and to be protected by the United States? The American Presidents speech in the Knesset certainly shows that he could never be a mediator or even an advocate for the peace process. He praised one side only and was totally biased to it.

The American President had waged a war on Iraq claiming that it had weapons of mass destruction. This claim has proved to be false. Instead of admitting that he was wrong, and collecting his troops and returning home, he has continued to fight this innocent nation for five years, destroying everything in it. He has even destroyed the monuments and relics of the great civilization of this country that had existed for over two thousand years in history. This war has become a sign of shame and disgrace to all Mankind, not just the United States.

The angry reaction of Arabs to this war reflects the lack of trust in The American Presidents policies. All through his eight years in office, he did not give any sign of respect for the feelings of Muslims. His speech in the Knesset and Sharm El-Sheikh was a shock, not only to Muslims, but also to every human being concerned with justice and freedom in the world.

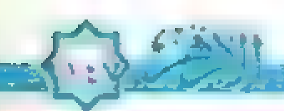
His speech in the Knesset was insulting and annoying, and was a clear indication of his total disregard for the plight of the Palestinians and their lawful rights. It also emphasized his complete and limitless support for expansion and total domination by Israelis. He supports claiming false rights to wage wars, just as he did in Iraq, with the excuse that it prevents possible dangers. This is totally against international law that forbids the use of force - according to the United Nations resolutions – except in the case of self-defense against an invasion or attack that has actually happened, not from a danger that may or may not occur. Bush's speech in the Knesset was certainly an encouragement and support for Israel's constant attack on the Palestinians, allowing it to carry out more unlawful acts and massacres. It actually abolished all rights for Palestinians: political, legal and even human rights.

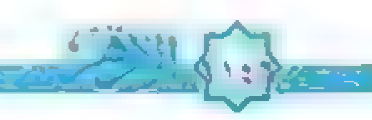
This creates a real feeling, in every Arab and Muslim, that there is no hope of expecting the United States to play an honest role as mediator in the present time. It also raises serious doubts about the possibility of the formation of a Palestinian state by the end of the year, as announced by officials of the American President administration from time to time.

The American Presidents speech about democracy in the meeting in Davos in Sharm El-Sheikh was unconvincing. He mentioned that the two wars in Afghanistan and Iraq indicate that, when given a choice, people choose democracy over any other choice. It sounded as if what Bush did was to carry out a national referendum for both nations and that they chose his form of democracy. He ignored the fact that he waged a heartless, unmerciful war on each nation, destroying everything without any regard for weak children, women, elders and sick people.

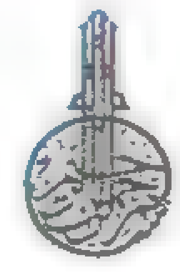
As The American President was talking about these two unfortunate countries, he was insinuating that Iraq has now become a heaven for Iraqis to prosper in and that Afghanistan has now become a land of peace and stability. What The American President failed to mention was that after five years of occupation by United States troops, the result of the democratic process in Iraq is the death of a million Iraqi native and two million and a half becoming destitute and homeless. In addition, prisons are now full of innocent men and women. As for the terrible treatment in the Iraqi prisons, it has been widely publicized and shocked even the American people themselves.

In Afghanistan, the process of democracy, that was set down by The American President since the invasion by his troops in 2001, speaks for itself. News of the daily killings and destruction are heard and broadcast at all times.





AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab, 1429 A. H.



ENGLISH SECTION
July, 2008

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

ON THE OCCASION OF ISRA'A AND MI'ARAJ: THE AGONY OF THE EARTH FROM THE INJUSTICE HAS REACHED ITS MAXIMUM...!

By Dr. IBRAHIM AL-ASSIL

These days, the Islamic world is celebrating the memory of a unique and remarkable event in History that happened About fifteen centuries ago. It is an event that reveals the ability of the Creator and emphasizes the value of Mankind. The relationship between Earth and Heaven was assured and the extent of the wide sovereignty of Allah was illustrated. This event was the Isra'a (night travel) that Allah used to start one of the Suras of the Holy Quran by saying

"Glorified be He Who took his servant on a night journey from the Holy Mosque to the Aqsaa Mosque that We blessed all around it. To show Him our miracles; He is the All-Hearing and All-seeing"

(The Night Journey: 1)

What is really inspiring is that this Holy Honorable event happened to the Most Honorable Prophet and leader of Messengers, after a series of problems and hardships. It was in that year that his wife Khadija and his uncle Abu Taleb died, a year that was rightly named 'the year of sorrow'. In that year, also, the disbelievers and pagan tyrants had done their utmost to harm and hurt the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). This forced him to leave Mecca and go to Al-Taef in search of people who are less heartless and more understanding and reasonable. However, he was faced with more cunningness and more terrible behavior. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) returned, deeply wounded, with so much pain and sorrow that only Allah knows about. He kept repeating from his heart – as mentioned by Bukhari – these words:

"O Allah! To You alone I make complaint of my helplessness, the paucity of my resources and my insignificance before mankind. You are the most Merciful of mercifuls. You are the Lord of the helpless and the weak. O Lord of mine! Into whose hands would you abandon me: into the hands of an unsympathetic distant relative who would sullenly frown at me, or to the enemy who has been given control over my affairs. But if your wrath does not fall on me, there is nothing for me to worry about."

"I seek protection in the light of Your countenance which illuminates the heavens and dispels darkness, and which controls all affairs in this world as well as in the Heareafter. May it never be that I should incur Your wrath, or that You should be wrathful to me. And there is no power nor resource but Yours alone."

From among all these hardships that burdened the merciful and peaceful Prophet, the hands of Allah spread to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to save him and elevate him, and to show him the entire sovereignty of the Heavens and the Earth to illustrate the great miracles of Allah.

The occasion of this heavenly miracle arrives this year at a time when Muslims have been targeted everywhere with conspiracies, plots and various instruments of death and destruction. They are suffering from imprisonment and incarceration, destruction of

الفهـــرس



MAGAZINE

Rajab 1429 A.H. July 2008.
Vol. 81, Part VII.

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

ملحق العدد
الفاروق
عمر بن الخطاب

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا امريكيا

أوربا وامريكا ٥٥ دولارا امريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا امريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر

☎ ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

شعبان ١٤٢٩هـ - اغسطس ٢٠٠٨م - الجزء الثامن - السنة ٨١



الصحافة بين نشر الرذائل وكتمان الفضائل

توجع الشاعر القديم منذ أربعة عشر قرنا حين قال عن أصحابه:

إذا رأوا سيئة طاروا بها فرحا .. عني وما علموا من صالح دفنوا

ويظهر أن المسألة غريزية تلازم البشرية منذ خلقت بالوجود إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. ونحن الآن نشهد من تطبيقها العملي ما يجعلها حقيقة لا شك فيها. وعلماء النفس أن يحللوا لنا من التبريرات ما لا يحجرهم في شيء. أما نحن فنستنطق الواقع الملموس حين نكون في مجلس من المجالس كثر أصحابه أو صغروا ثم يأتي حديث مكرمة من المكارم لإنسان ما. فيمر الحديث عابرا لا تعقيب عليه. بل نرى في بعض الوجوه ما يدل على التبرم الفاضح. وكأن هذا البعض يستشعر أن مدح غيره هو في ذاته منقصة له. إذ لم يأت ما أتى هذا الكريم من فضل. أما إذا ذكرت هنة من الهنات تلتصق بمن نعرف أو بمن نجهل. فالأسماع متيقظة. والأفواه منطلقة والتعقيبات لا تقف عند حد. ثم ينتقل الأمر إلى مجالس شتى حتى يصبح وكأنه حدث الأحداث! ليس شاعرنا القديم قد عبر عن الواقع أصدق تعبير!

وننتقل إلى صحافتنا اليومية فنجد الأمر لا يختلف لديها عن وضعه في المجالس العامة. فقد يقوم محسن كريم بمأثرة نبيلة تدل على عراقة ونبل ودين. فلا نجد خبرا عنها، بل من المؤسف حقا أن نجد الخبر قد امتد إلى من ليس يستحق الإشادة. وإذا أردت الدليل على ذلك، فلتقرأ ما تكتبه الصحف عن افتتاح مسجد أو مدرسة أو معهد ديني أو مستشفى تبرع منفقها بكلفته أرضا وبناء وجعلها موقوفا للعمل الإنساني فحسب فلن تجد في حفلة الافتتاح صورة الوزير والمحافظ. وأعيان البلدة من نواب ورؤساء إدارات. وتجد الوصف المسهب لهؤلاء. ثم تجد في سطر واحد يكاد يتوارى عن استحياء (وقد تبرع بالمركز الحاج فلان) أما من الحاج فلان؟ وماذا تفعل؟ وكيف جاهد وكابد حتى استوى الصرح على سوقه؟ فهذا ما لا تجد له أثرا. بل ربما انطلقت الألسنة الخافتة لتفتري الكذب على الشرفاء، فتتهم المحسن الجواد بأنه تاجر في المحرمات. وأراد أن يستغفر عن ذنبه! هذا ما سمعته بأذني وهو كذب صريح **يدل على خساسة نفس قد انحدرت إلى مستنقع من العفن الوبيء!**

أضرب مثالا آخر!! كلنا نقرأ صفحات المآتم التي لا تنقطع مزودة بالصور وأسماء المشيعين. وتعليقات العظماء من المعزين. حتى يأخذ الحدث المنكر صفحة تامة بأكملها. ثم يعاد النشر إذا جد جديد من العثور على شاهد. أو وجود وثيقة دالة! ولكن مأثرة رائعة لطالبين نبيلين في مدرسة تجارية عثرا على مائة وخمسين ألف دولار لتقدما بها إلى السفارة اليابانية عن طريق ناظر المدرسة الذي وجد المال في يده عن طريق التلميذين الواجدين. ووجد في الأوراق اسم السائحة المنكوبة وموطنها فاتصل بسفارة بلدها. لتحضر كي تتسلم ما يخصها. وكانت في حالة من الانهيار التام فلما جاءها البشير جرى الدم في الجسم الهامد. وفرعت إلى المدرسة لتقدم للتلميذين ما تعورف عليه من المكافأة المالية، فرفضا كل الرفض! رفضا خمسة عشر ألف دولار عن طواعية لأنهما قاما بواجب الإنسانية التي لا يحتاج القيام به إلى مكافأة! وحين علم السيد الوزير كرم التلميذين. وأثنى على أخلاق مصر التي تحلت في سلوكهما! وكل ذلك جاء في عدة سطور نشرتها الصحف! فما كان الأجدر أن تنشر في كل الصحف دون استثناء صفحة كاملة تشيد بطهارة هذين الناشئين الكريمين. كما ينتقل المحرر إلى منزلي الطالبين. ويأخذ حديثا وصورة للوالدين والأسرة تشجيعا لهذا العمل المبرور! إن الصحف تنتقل يوم ظهور نتيجة الثانوية إلى منازل الأوائل وتظهر صور الأب والأم والإخوة مع الطالب الفائز! وهذا محمود في ذاته! ولكن النجاح الخلقي الرائع أهم وأكبر من النجاح العلمي الذي أخذ بالدروس والتلقين الأصم دون جدارة ملموسة! ودع الصحافة واسأل كيف مضت في صمتها الإذاعة مرئية ومسموعة! أليس عقد ندوة مع أساتذة نجباء لتكريم هذين الطالبين أولى من حديث تافه عن ممثل ناشئ، أو ما يشبه دعاية رخيصة يقوم بها مذيع ليسأل ممثلة لم تعرف بعد، ماذا تأكل ومن أين تشتري الملابس؟ وقد نشرت جريدة الوفد انتقادا من مذيعة تسأل ممثلة ناشئة عن صحة كلبها. وأين يعالج!!

لقد ذكرني ما كتبته عن إهمال الحديث عن الكرماء من رجال الخير بقصة كتبها الروائي الروسي الأشهر (أنطون تشيكوف) يقول فيها على لسان البطل وهو مهندس مكافح مغمور (إنني أنشأت قنطرة عظيمة في بلدة كذا. وأقيم افتتاح كبير لها في محفل مشهود. وألقيت الخطب والمقالات. وجعلت أنتظر أن يذكر أحد اسمي. وأتجه الأنظار متطلعة نحوي. ولكن لم أر شيئا مما توهمت! ثم شوهدت حركة غير عادية في الجمهور تبعها كثير من الهرج والمرج. وماج المكان واضطرب. فقلت في نفسي: ربما تنبه القوم إلي، وهموا بالاحتفال بي ولكني علمت أن ممثلة جميلة محدودة الطاقة تبعها حاشية من أسرى الغرام قد شرفت الحفل، فجذبت الأنظار، وانتهى الحفل وخرجت جميع الصحف تتحدث عن المهرجان وحضور صاحب الفخامة محافظ المدينة. وتشريف الممثلة النائرة الصيت في حلة أرجوانية لفتت الأنظار مع صور للمحافظ والأعيان والممثلة! دون ذكر ما لمن أنشأ القنطرة!!)

أليس ما ذكره أنطون تشيكوف شبيها بما يحدث الآن!

لقد كتب القدماء من المفكرين العرب نظرًا، والغرب نظرة، حين جعلوا قصص الفضائل بكتب مستقلة لتكون موضع الاحتذاء الخلقي، لأن كتب الأخلاق النظرية ذات تأثير محدود، إذ لا يتعدى نفعها إلى العامة من القراء، أما كتب القصص الخلقية فقد لاقت رواجا دافعا بين العامة والخاصة، وإذا كانت كتب (المكافأة وحسن العقبى) و(المستجاد من فعلات الأجواد) و(الفرج بعد الشدة) و(المحاسن والأضداد) هذه المؤلفات بطابعها الماضي، وعصرها الناشئ، فتعطينا من الدروس الواقعية ما يرتفع بمستواه إلى ما نرجو من السلوك الحميد. وكم كان جميلا من وزارة التربية والتعليم أن أذاعت صورة الطالبين الأمينين عبد الرحمن فوزي، وحورية رضا اللذين أشرت إلى صنيعهما الحميد من قبل في حلقة مع السيد وزير التربية والتعليم، ثم أرسلت نسخا من هذه الصور إلى المدارس المصرية لتعلق في صحف الحائط بالمدرسة، فيقرأ كل تلميذ ما صنع زميلاه النبيلان، ويلمس من اهتمام الوزارة بإذاعة حديثهما الكريم ما يجعله متشوقا إلى مثل هذا الصنيع، وبذلك يعطي الدرس العملي نتائجه للدعاية المسكية التي لا تسمع ولا ترى إلا فضائح السرقة وشنائع الاغتصاب، وفجور الخونة في الأسرة الواحدة التي يكون أبطالها الابن والزوج والأخ والأم والأب! وهي فظائع لا تكاد تصدق لولا أنها واقع ملموس!

وقد انطوى الحديث العاطر عن نشر الفضائل إلى حديث آسن عن نشر الرذائل، ولست في حاجة إلى أن أبرز بشاعة هذا النشر المستطير بعد أن اتسع الخرق على الراقع فيما اقترفته جريدة ما. وكم تحدثت عن هذا الاتجاه في مقالات سابقة، فلم أجد غير الاستعلاء من قوم يلوكون الكذب حين يقولون: **نحن ننشر الحقائق ولا نخترعها جاهلين قول الله عز وجل:**

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور ١٩)

ومعروف بداهة أن من الحقائق ما لا يذاع، ومن ينكر ذلك لا يجيز لأحد أن يتحدث عن بيته بما لا يليق، ولكنه يرتكب الموبقة وراء النشر المالي هو والسحت الحرام سواء بسواء، وقد كانت الصحافة في النصف الأول من القرن الماضي تترفع عن ذلك، وأبني عرضا لما تحدثت إليه في أحاديث القرن الماضي، وضرب مثل للتنديد بما تحدث به الأستاذ محمود الشرقاوي في مجلة الرسالة يوم رحيل الأستاذ عبد القادر حمزة صاحب جريدة البلاغ، حيث تورط محرر شاب بصفحة النسيم والمسرح في الجريدة فنشر إلى ممثلة ناشئة ما قد يفهم منه بعض الانتقاص عند من يدقق، لأن المسألة لم تخرج عن التلميح إلى التصريح، وقرأ الأستاذ عبد القادر حمزة ما كتبه المحرر الناشئ، فغضب غضبا أرغمه أن يحاسب المحرر، وأمر بفصل المحرر دون إمهال، وتشفع المتشفعون بأن العبارة موهمة فقط وليست صريحة، فأصر على الفصل، وقال الأستاذ: إن البلاغ تصدر لتعطي دروسا في الأخلاق لا لتكون مجالا للوشايات،

هكذا كان صاحب جريدة البلاغ، وكذلك كان محمد توفيق دياب في الجهاد، وأمين الرافعي في الأخبار، ومحمد فريد وجدي في الدستور، ومحمد حسين هيكل في السياسة فخلف من بعدهم خلف لا يكتفون بذكر الشائعات بل يصبغونها بهتانا عظيما تنقبض لسوء الوقع منه النفوس! وقد يكون لدينا اليوم من رؤساء التحرير من يحتذي حذو ذوي الفضل، ولكن الكثرة كانت طاغية حين أخذت صفحات الحوادث في الجرائد اليومية تتسابق في نشر الفضائح، وكأنها مجال للتبرير.

يقول الإمام محمد أبو زهرة في مقال عن هذه الانحرافات: إن الفاحشة المعلنة تتضمن ثلاث فواحش موضوحة: فاحشة الارتكاب، وفاحشة الإعلان، وفاحشة إيذاء الأقربين، وقد صدق الأستاذ في تحديد هذه الفواحش، أما فاحشة الارتكاب فمحل المؤاخذة عليها هو القضاء، إذ لا يمكن أن يمر المجرم بجريمته دون عقاب، وهذا بديهي لا يختلف فيه اثنان، وأما فاحشة الإعلان فأهون ما يقال عنها إنها مثل يبرز لفقد الحياء من المجتمع بالترويج، لأن المجتمع الذي يبيت ويصبح على أنباء الجرائم المنكرة، تهون لديه فداحة الجريمة، ويعتبرها شيئا طبيعيا لا شذوذ فيه، وتزيد الكارثة حين تنسب جرائم الرشوة والنهب والسرقة إلى الكثير من علية القوم وهذا هو الشاهد الملموس عيانا دون التماس، وقد ضاعت قيمة الرأي العام في مصر للأسف، وأقولها صريحة دون جمجمة، إذ نرى المرتشي والسارق والناهب من الكثير يقع في العمل الشنيع، ثم يقابل من العامة والخاصة بالتبجيل والاحترام، فلو كان لدينا رأي عام سديد، لقوبل هؤلاء الفاسدون المرتشون بالازدراء، فلا يجدون الاحترام والتبجيل حيث يذهبون، ولكن المجرم من هؤلاء يظل في الحبس أياما، ثم يخرج فيقابل بالإجلال وكأنه كان بريئا مظلوما! إن ضياع الرأي العام في مصر هو أكبر مشجع على النهب الغاصب، والرشوة المنكرة، بل هو الذي جعل الجريمة تسمى بغير اسمها فهي أحيانا من (السلبيات)! هذه السلبية التي تذكر في مجال التبرير وضعا للفظ في غير موضعه؛ لأن الموقف السلبي هو الذي لا يتيح شيئا، أما إذا اقترف المجرم ما يدعو إلى الردع الصادع فكيف يأتي بالسلبيات؟! على أن الذين يرعون هذه المعاني الخادعة في النفوس يعلمون حقيقة ما يأفكون، ولكنهم يحاولون أن يضللوا الرأي العام، وقد نجحوا في المحاولة، فأصبح الرأي العام عندنا **باطل الأباطيل ورمادا تذروه الرياح!**

وأما الفاحشة الثالثة وهي فاحشة إيذاء الأقربين فالكارثة أفجع وأوجع، إذ قد يكون الإنسان آمنا في سربه ممتعا بالسمعة الطيبة بين زملائه، سعيدا بانتسابه إلى أسرة شريفة طيبة، ثم تخرج الجريدة اليومية بفضيحة لأبيه أو أخيه أو عمه، وقد تكون فضيحة واهية الأساس، نفخها ملفق، وصدقها موتور، فكتبت عنها العناوين الخادعة، وجرت تحتها الأسطر الكاذبة، ثم زودت بالصور المريبة! والقضية لم تعرض على القضاء بعد، ولم يقل فيها العدل كلمته التي تحق الحق وتبطل الباطل، ماذا يصنع هذا الإنسان المسكين في مجتمعه، وقد أحدق الرعد من كل مكان؟ وجاء الشامتون في غرور المتسللين، وفي عيونهم ما يسوء على التشفي، لأن تربيتنا المعاصرة ليست لها صلة بتعاليم الإسلام، فهي لا تدفع بنية صالحة، ولا تمهد السبيل للغفران لإخوة وجوهه، ولا تسمع بالعفو فتعرض عنه مارة به مرور الكرام، هذه التربية الوصولية ساعدت على خلق العداوات، وتنهزت ذوي فرصة لتنتقم

والمكيدة. مرة ثانية ماذا يصنع هذا الإنسان المسكين في بلاء صب عليه صبا دون أن تقترفه يداه؟!

أذكر في مجال الاستشهاد حادثة رأيتها رأي العين، فلم يحدثني بها أحد، وكان خطرها أكبر من أن يوصف، فقد شاءت ظروف قاهرة أن ينتحر موظف كبير لأمر يخصه، ونشرت الجريدة اليومية حادث الانتحار، واسم المنتحر وكيفية الانتحار، وفوجئ الأهل من أولاد مسئولين، وأصهار ذوي مكانة بالحادث، وامتلأ السرادق بالمعزين، ولكن العزاء تحول بلسان الحال إلى اتهام، فكل معز يسأل عن سبب الانتحار، ويقول دون مجاملة لم تركتم هذا البائس؟ وآخر يظهر الشماتة المقنعة في أسئلة تحرج أهل الميت، حتى وجموا أنفسهم وكأنهم فئة سفاحون، وإذا كان هؤلاء المتطفلون قد تجاوزوا الحد في أسئلتهم المنكرة، وتقطعهم الماكر، فإن الجريدة التي نشرت الخبر لم تراع مصلحة ما في نشره، فليس المنتحر مختلسا، وليس مجرما يطالب بحق، حتى تعين الجريدة القضاء على إيضاح التهمة، ولكنه رجل محترم شغل وظيفة كبيرة في الدولة، إذ كان وكيل وزارة، ولم يأت في حياته ما يريبه ثم حلت عليه اللعنة في ساعة ضعف فقد فيها زمام نفسه فأساء إلى ذاته ولم تتعد الإساءة ذوي قرباه الذين أحسوا بتعاطفهم معه، أفلم يكن الأولى أن يستر الاسم، وألا تضاعف مأساة الأقرباء ويكفي أن الصاعقة قد نزلت على رءوسهم حين فوجئوا بما لا يتوقعون؟ أين المشاركة الوجدانية التي تبعث على التراحم؟ **وأين المسئولية التي توجب على الصحيفة أن تكون ربة حنان ومواساة؟!**

وناحية أخرى هي الإسهاب في وصف الجريمة، وكأن المحرر يكتب حلقات سينمائية ذات فصول، هذا الإسهاب مما يتسابق فيه المحررون إلى روايات قد تكون من نسج الخيال، وليست مما حصل فعلا، لأن مراسل الجريدة يسأل من حوله من الناس، ويكتب الإجابة وكأنها حق لا مرية فيه، وقد يكون المسئول لا يدري شيئا وإنما سمع التفصيل عن شاهد رأى الصغير فجعله كبيرا، وسمح له خياله أن ينشط، هذا الإسهاب المنكر في تفصيل جزئيات الجريمة، يفتح باب الشر أمام القارئ المتهيئ للإجرام، فيكون بمثابة أستاذ يلقي الدرس في تخطيط مأثم، واقتراف لشرور، وليس الأمر موقوفا على الصحافة وحدها، بل تعداها إلى مسلسلات الإذاعة، وقد نشر الأستاذ الإمام محمد أبو زهرة بمجلة لواء الإسلام الصادرة في شوال سنة ١٣٧٤هـ خلاصة مقال لقاض فاضل نشره بالأهرام قال فيه: اشتغلت عضوا بمحكمة الاتهام التي نظرت قضية (..... فلان) الذي قتل زوجته، لاحظت من مطالعة أوراق الدعوى أن المتهم قام بارتكاب جريمته وإخفاء معالمها بطريقة هي (طبق الأصل) من التمثيلية التي قامت الإذاعة بإذاعتها تحت عنوان (رايحة مع التيار) ومن المؤسف أن أخذ الإذاعة المصرية دائبة في الفترة الأخيرة على إذاعة تمثيليات إجرامية من شأنها أن تعلم الكافة بطريقة شبه عملية أصول الإجرام، وتعيد الجرائم وإخفاء معالمها، بدلا من أن تسعى من جانبها إلى المحافظة على الأمن العام، ومنع الجرائم، وأن تبعد عن الأذهان فكرة الجريمة، ألا يجدر بالإذاعة أن تكف عن إذاعة مثل هذه التمثيليات بعد أن ظهرت نتائجها الفادحة، فالفكرة التي دارت حولها التمثيلية وهي قتل الزوجة، ثم تقطيع أجزائها قطعا صغيرة، ووضعها في لفائف مختلفة وحمل كل لفافة إلى مكان بعيد عن سابقه، هذه الفكرة التي تناولتها التمثيلية وزينتها الإذاعة بأن تلقى الرواج الشائق، هي التي قام بها المتهم تماما، وقد اعترف

بأن التمثيلية كانت أستاذه الموجه، لقد شن الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين في الثلاثينيات حملة راشدة على القصص البوليسية التي تترجم إلى قراء العربية مفصلة وقائع عصابات شيكاغو، ورأى أن المجتمع المصري بعيد عن هذه الأحداث فلا يجوز أن تترجم وقائعها في قصص مثيرة، فماذا عسى أن يقول لو امتد به الأجل، وعلم أن المجتمع المصري قد وجد مرشده الناصح لا من القصص البوليسية بل من صفحات الحوادث في الجرائد وتمثيليات الإجرام في الإذاعة! لقد طف الكيل، **لقد طف الكيل، كما يقول رسول الله ﷺ!**(1)

ولننظر الآن إلى ما امتلأت به الصحف من حوادث الإجرام في الأسرة الواحدة، إنها لا تزال تروع بمطالع القتل بين الزوج والزوجة، والابن والوالد، والبنت والأم من ذوي الصلات المشتبكة الواشجة بأمتن الأعراق، وتكرار هذه المآسي على صفحات الجرائد جعلها شيئا طبيعيا يقرؤه الإنسان فلا يثير دهشته بعد أن اعتاده الملح؟ وقد كانت الأسرة في الجيل الماضي من التماسك والالتحام بحيث لا تقبل الجريمة خاصة بها شيئا يكاد يذكر، وإذا وقع حادث في هذا المدار كان موضع الاستغراب والدهشة، ولكن الأقلام التي لا بارك الله فيها، قد جعلت تنتقص سلطة الأب، وتعده مثلا لا يجتمع متخلف، والتمثيليات التي تحمل أسماء (العيال كبرت) قد أخذت على إسقاط هيبة الكبير، وغالت بشئون الصغير، وتحول الوالد الراعي صاحب الكسب والإنفاق في نظر هؤلاء الأغرار إلى سجان رهيب، وشبح متخلف، كما تحولت الزوجة المطيعة إلى أمة من الإماء، أهدرت مكانتها، ولم تأخذ حريتها في التبرج والسفور والاختلاط، وأدى ذلك كله إلى ترف الزواج العرفي بين الطالبات، وقيام جماعات الشذوذ الجنسي التي تنتمي إلى أبناء اليسار ومن يقال عنهم (ندوات) ولا زالت أقلام التجديد الزائف **تعصف بكل وضع شريف يقره الخلق ويفرضه الدين.**

إن إذاعة الفضائح أعظم أثرا في هدم الخلق الكريم، ونشر الرذائل أهون فتكا بالأمم من الزلازل والبراكين، وفي إذاعة الفضائح خطر لا يهمل، وبعث للجرائم، وقد ذكر المحسن الكريم الأستاذ سيد جلال رحمه الله أنه أنشأ مستشفى باب الشعرية متأثرا بما قام به أبناء صيدناوي من إقامة مستشفاهم الكبير، فكان التسابق مجال احتذاء للاحق، كما أن السكوت عن الرذائل يمحو خطرها، ويضائل شأنها، وقد كان الأشراف في الجاهلية -وهي الجاهلية- يترفعون في أحاديثهم عن ذكر القبائح، ويرونها قاذورات لا تتلطخ بها مجالس السادات، حتى ليقول قائلهم في رثاء أخيه

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا ... فلم ينطقوا العوراء وهو قريب!

د. / محمد رجب البيومي

---

(1) إتحاف السادة المتقين، جـ... ص٣٦٥ ... [illegible]

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (الآيات ١٨٠ - ١٨١)

بين سبحانه بعد ذلك سوء مصير الذين يبخلون بنعم الله، فلا يؤدون حقها ولا يقومون بشكر فقال تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾

وقوله ﴿ يَبْخَلُونَ ﴾ من البخل وهو ضد الجود والسخاء، ومعناه: أن يقبض الإنسان يده عن إعطاء الشيء لغيره، وأن يحرص حرصا شديدا على ما يملكه من مال أو علم أو غير ذلك.

ويرى جمهور المفسرين أن المراد بالبخل هنا بالبخل بالمال، لأنه هو الذى يتفق مع السياق ويرى بعضهم أن المراد بالبخل هنا البخل بالعلم وكتمانه، وذلك لأن اليهود كتموا صفات النبى ﷺ التى جاءت بها التوراة.

والذى نراه أن ما عليه الجمهور هو الأرجح، لأنه هو المتبادر من معنى الآية. وهو المتفق من سياق الكلام.

ولذا قال الآلوسى: قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾

بيان لحال البخل وسوء عاقبته، وتخطئة لأهله فى دعواهم خيريته عقب بيان حال الإملاء.

وقيل: وجه الارتباط أنه - تعالى - لما بالغ فى التحريض على بذل الأرواح فى الجهاد وغيره، شرع هنا فى التحريض على بذل المال، وبين الوعيد الشديد لمن يبخل به».

والمعنى: لا يظن أولئك الذين يبخلون بما أعطاهم الله من نعم وأموال أن بخلهم فيه خير لهم، كلا بل إن بخلهم هذا فيه شر عظيم لهم.

والنهى عن الحسبان بأن البخل فيه خير فى قوله:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾

يدل على النفى المؤكد.

أى لا يصح لهم أن يظنوا بأية حال من الأحوال أن ذلك البخل فيه خير لهم بل الحقيقة، أن فيه شرا كبيرا لهم.

وفى قوله: ﴿ بِمَا آتَاهُمُ ﴾

إشعار بسوء صنيعهم، وخبث نفوسهم حيث بخلوا بشىء ليس وليد علمهم واجتهادهم، وإنما هذا الشىء منحه الله - تعالى - لهم بفضله وجوده. فكان الأولى لهم أن يشكروه على ما أعطى وأن يبذلوا مما أعطاهم فى سبيله.

والضمير «هو» يعود على البخل المستفاد من قوله ﴿ يَبْخَلُونَ ﴾.

ويرى الزمخشرى أنه ضمير فصل لتأكيد نفى الظن فى الخيرية.

وفى إعادة الضمير وذكر الجملة الاسمية فى قوله ﴿ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾

تأكيد لمعنى الشر فى البخل وأنه لا خير من ورائه قط. ففى الحديث الشريف الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم. حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

ثم بين - سبحانه - المصير المؤلم لأولئك البخلاء، فقال تعالى:

﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

وقوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾ مشتق من الطوق وهو ما يلبس من أسفل الرقبة، أى تجعل أموالهم أطواقا حول رقابهم، وأغلالا حول أجسادهم، فيعذبون عذابا أليما بحملها.



وجمهور المفسرين على أن الكلام على ظاهره وأن عذاب هؤلاء البخلاء بنعم الله، سيكون نوعا من العذاب الأخروى المخصوص، وقد أيد القرطبى هذا الاتجاه فقال: «وهذه الآية نزلت فى البخل بالمال والإنفاق فى سبيل الله وأداء الزكاة المفروضة، ذهب إلى هذا جماعة من المتأولين، منهم: ابن مسعود وابن عباس وأبو وائل.

قالوا: ومعنى:

﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾

هو الذى ورد فى الحديث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ـ أى شدقيه ـ ثم يقول له: أنا مالك أنا كنزك. ثم تلا هذه الآية:

﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾[1]

ويرى بعض العلماء أن هذا الوعيد على سبيل التمثيل، وأن الظاهر غير مراد ومعنى قوله

﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ ﴾

عند هذا البعض: سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة عقوبة لهم فلا يأتون لأنهم ليس فى قدرتهم ذلك.

أو المعنى: سيلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق، ويتحملون وزر ذلك يوم القيامة فالآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى الجود والسخاء من أجل إعلاء كلمة الله، وتتوعد البخلاء بأقسى ألوان الوعيد وأفظعها وتبين أن كل ما فى هذا الكون إنما هو ملك الله ـ تعالى ـ وحده، فهو المعطى وهو المانع، ولذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾

والميراث: مصدر كالميعاد وأصله موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها والمراد به ما يتوارث

والمعنى: أن لله ـ تعالى ـ وحده لا لأحد غيره ما فى السموات والأرض مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما بال هؤلاء القوم يبخلون عليه بما يملكه ولا ينفقونه فى سبيله وعلى هذا يكون الكلام جاريا على حقيقته ولا مجاز فيه.

ويصح أن يكون المعنى: أن الله ـ تعالى ـ يرث من هؤلاء ما فى أيديهم مما بخلوا به من مال وغيره وينتقل منهم إليه حين يميتهم ويفنيهم وتبقى الحسرة والندامة عليهم وعلى هذا يكون الكلام على سبيل المجاز.

قال الزجاج: أى أن الله ـ تعالى ـ يفنى أهلهما فيفنيان بما فيهما، فليس لأحد فيهما ملك فخوطبوا بما يعلمون لأنهم يجعلون ما يرجع إلى الإنسان ميراثا، ملكا له».

وقوله

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾

تذييل قصد به حضهم على الإنفاق ونهيهم عن البخل، أى أن الله ـ تعالى ـ خبير ومطلع على ما يصدر عنكم من سخاء أو بخل أو غيرهما. وسيجازى الذين أساءوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت ألوانا من التسلية للنبى ﷺ ولأتباعه، وبشرتهم بأن العاقبة ستكون لهم وفضحت المنافقين وهتكت ما تستروا به من رياء وخداع وبينت أن من سنن الله فى خلقه أن يبتلى عباده بشتى ألوان البلاء ليتميز الخبيث من الطيب، وأنه ـ سبحانه ـ يملى للكافرين ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر وأن البخلاء بما آتاهم الله من فضله ستكون عاقبتهم شرا، ومصيرهم إلى العذاب الأليم.

ثم أخذت السورة الكريمة ـ بعد أن فضحت المنافقين ـ فى الحديث عن بعض رذائل أهل الكتاب وفى التحذير من شرورهم وفى بيان طبيعة هذه الحياة وما تحمله من بلاء واختبار فقال ـ تعالى ـ:

﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١)

قال ابن كثير: عن ابن عباس قال: لما نزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾

(البقرة: ٢٤٥)

قالت اليهود: يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض، فأنزل الله هذه الآية.

وروى محمد بن إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل أبوبكر الصديق بيت المدارس[2] فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له «فنحاص»، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له «أشيع» فقال له أبوبكر ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه

(1) تفسير القرطبى جـ٤ ص ٢٩١. والشجاع: الثعبان الذكر الذى يقوم على ذنبه ويواثب الراجل والفارس والأقرع هو الذى [illegible]

(٢) أى المكان الذى [illegible]

إلينا لفقير، ما تضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهى كم عن الربا ويعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا.

فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال: والذى نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله.

فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد: أبصر ما صنع بى صاحبك.

فقال رسول الله ﷺ: ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله. إن عدو الله قال قولاً عظيماً، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء. فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه.

فجحد فنحاص ذلك وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله فيما قال فنحاص:

﴿ لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[1]

والمعنى: لقد سمع الله- تعالى- قول أولئك اليهود الذين نطقوا بالزور والفحش فزعموا أن الله- تعالى- فقير وهم أغنياء.

والمقصود من هذا السمع لازمه وهو العلم والإحاطة بما يقولون من قبائح، ثم محاسبتهم على ما تفوهوا به من أقوال، وما ارتكبوه من أعمال، ومعاقبتهم على جرائمهم بالعقوبات المهينة الذين يستحقونه.

وقوله

﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

أى سنسجل عليهم فى صحائف أعمالهم قولهم هذا، كما سنسجل عليهم قتلهم أنبياء الله بغير حق، فالإسناد مجازى والكتابة حقيقية

أو المعنى: سنحفظه فى علمنا ولا نهمله، وسنعاقبهم بما يستحقون من عقوبات. فيكون الإسناد حقيقة والكتابة مجازا

والسين للتأكيد، أى لن يفوتنا أبداً تدوينه وإثباته. بل سنسجله عليهم ونعاقبهم عليه عقابا أليما بسبب أقوالهم القبيحة، وأعمالهم المنكرة.

وقد قرن- سبحانه- قولهم المنكر هذا، بفعل شنيع من أفعال أسلافهم؛ وهو قتلهم الأنبياء بغير حق، وذلك لإثبات أصالتهم فى الشر، واستهانتهم بالحقوق الدينية. وللتنبيه على أن قولهم هذا ليس أول جريمة ارتكبوها، ومعصية استباحوها، فقد سبق لأسلافهم أن قتلوا الأنبياء بغير حق، وللإشعار بأن هاتين الجريمتين من نوع واحد. وهو التجرؤ

على الله- تعالى-. فقتل الأنبياء هو تعد على أمناء الله فى الأرض الذين اختارهم لتبليغ رسالاته. وقولهم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾

وهو تطاول على ذات الله. وتكذيب لغناه، ووصف له بما لا يليق به- سبحانه- وبهذا كله يكونون قد عتوا عتوا كبيراً، وضلوا ضلالاً بعيداً.

وأضاف- سبحانه- القتل إلى المعاصرين للعهد النبوى من اليهود، مع أنه حدث من أسلافهم، لأن هؤلاء المعاصرين كانوا راضين بفعل أسلافهم ولم ينكروه وإن لم يكونوا قد باشروه، ومن رضى بجريمة قد فعلها غيره فكأنما قد فعلها هو.

وفى الحديث الشريف: إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها

ووصف- سبحانه- قتلهم للأنبياء بأنه ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ مع أن الإجرام لا يكون بحق أبداً، للإشارة إلى شناعة أفعالهم، وضخامة شرورهم وأنهم خبث نفوسهم، وقسوة قلوبهم لا يبالون أكان فعلهم فى موضعه أم فى غير موضعه.

ثم صرح- سبحانه- بالعقوبة بعد أن كنى عنها فقال:

﴿ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾

أى: سنجازيهم بما فعلوا، ونلقى بهم فى جهنم، مخاطبين إياهم بقولنا: ذوقوا عذاب تلك النار المحرقة التى كنتم بها تكذبون.

ففى الآية الكريمة إيجاز بالحذف دل عليه سياق الكلام.

والذوق حقيقته إدراك المطعومات، والأصل فيه أن يكون أمر مرغوب فى ذوقه وطلبه، والتعبير به هنا عن ذوق العذاب هو لون من التهكم عليهم، والاستهزاء بهم كما فى قوله- تعالى-

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(آل عمران: 21)

***

السنة

رضا الله في رضا الوالدين

> روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت النبي ﷺ: «أي العمل أحب إلى الله ـ عز وجل ـ؟. قال: «الصلاة على وقتها». قال: ثم أي؟. قال: «بر الوالدين». قال: ثم أي؟. قال: «الجهاد في سبيل الله».

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن الهذلي، من السابقين في الإسلام، وأول من جهر بالقرآن الكريم في مكة، كان يعرف في الصحابة بصاحب سوار النبي ﷺ ـ أي سره ـ وسواكه، فكان يلج عليه، ويلبسه نعليه، ويمشي معه وأمامه، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وهاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.. وروى عنه من الصحابة والتابعين جمع غفير، وكان من أعلم الصحابة بكتاب الله ـ عز وجل ـ توفي ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة سنة ٣٢هـ، ودفن بالبقيع ـ رضي الله عنه ـ.

الشرح والبيان

في هذا الحديث النبوي الشريف يوضح الرسول الكريم (صلوات الله عليه وسلامه عليه)، ويبين للسائل ـ أحب الأعمال وأفضلها عند الله ـ عز وجل ـ. وأكد أن في مقدمتها أداء الصلوات الخمس في مواقيتها، مستكملة الأركان، مستوفاة الشروط، يؤكد ذلك حديث ابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد في الحسنات؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. ما منكم من رجل يخرج من بيته فيصلي مع الإمام، ثم يجلس ينتظر الصلاة الأخرى إلا والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»[1]؛ لأن أثر الصلاة في المصلي واضح، فالصلاة تحمله على طاعة الله ـ عز وجل ـ وتحول بينه وبين المعاصي والمنكرات. ولذلك جاء قول ربنا ـ سبحانه ـ.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

وحين ذكر أحد الصحابة للنبي ﷺ: «إن فلانا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق، قال رسول الله ﷺ: «ستمنعه صلاته».. رواه الطحاوي عن أبي هريرة في «مشكل الآثار».

ثم ثنى ببر الوالدين؛ لأن بر الوالدين من أعظم الطاعات التي يقدمها المرء طاعة لربه، ورضى لخالقه. وقد جعل الحق ـ سبحانه ـ بر الوالدين جزءا لا يتجزأ من عبادته. قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(النساء: ٣٦)

وقال:

﴿ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(الأنعام: ١٥١)

وقال:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(الإسراء: ٢٣)

ثم ذكر بعد ذلك الجهاد؛ لأنه بالجهاد تحيا الأمم، ويقوى شأنها، ويرتفع قدرها، ومن ثم كان رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل».. رواه ابن ماجة عن أبي هريرة.

وكيف لا؟. وبالجهاد نكافح الفساد، ونتحدى الظلم، ونحارب الباطل، ونحطمه، لينتصر الحق، وينتشر العدل، فلا تعنو الوجوه إلا لبارئها، ولا تخضع الرقاب إلا لخالقها، ولا تدين النفوس إلا للديان.

ولا يعني الاكتفاء بالثلاثة أن الرسول ﷺ حصر أعمال الخير فيها، أو قصر أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عليها، بل هي على سبيل المثال لا الحصر، يؤكد ذلك أن راوي الحديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال في نهاية الحديث: «حدثني بهن، ولو استزدته لزادني».

وإن أعطى الحديث الشريف شيئا فإنما يعطي أن الرسول الكريم ﷺ قرن بر الوالدين بشيئين جليلين، وعملين عظيمين، من أفضل الأعمال التي يقدمها الإنسان المسلم طاعة لربه، ورضى لخالقه.

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج٢ ص٩٢

فلا أقل من أن يحسن المرء إلى من أحسن إليه، لأن أهم مظاهر الوفاء والنبل، وأول واجب تفرضه الإنسانية على الإنسان، ويدعو إليه الدين الحنيف ـ أن يعرف المرء الجميل لأهل الجميل، ويقدر الإحسان لذوي الإحسان؛ لأن ذلك يشجع أهل المعروف، ويوجه نفوس أهل الخير إلى القيام به، والاستمرار فيه، والله ـ تبارك وتعالى ـ يقول:

• هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ •

(الرحمن: ٦٠)

يد الأم!!

وإذا كان شكر المعروف، والعرفان بالجميل واجبًا لكلّ من قدّم شيئًا منه فهو للوالدين أحق وأوجب؛ إذ لو أحسن الناس جميعا للإنسان، وقدموا له صنوف البرّ، وألوان الخير، لما ساوى ذلك ذرة من إحسان والديه، ولو أخلصوا له في الحب، وبالغوا في الحنان والود لما بلغ ذلك عُشر من حنان والديه، فالأبوان رحمة من الله ـ عز وجل ـ للمحافظة على الإنسان، وجلب الخير له، وكفّ الأذى عنه، والولد قطعة منهما تمشي على الأرض؛ ليدخل على قلبيهما البهجة والسرور، وقد أنشد الشاعر

إنما أولادنا بيننا

أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم

لامتنعت عيني عن الغمض

وليس في ذلك أدنى مبالغة أو مجاملة، فإن أول يد عطفت على الإنسان بحنان ورحمة، وأحاطته بالعناية والرعاية، ومسته بالرفق واللين هي يد أمه العطوف الحانية، وإن أول قلب دق له بالبهجة والطرب، وتلقاه بالإيناس والبشر.. هو قلب أمه الخافقة الحية، وإن أول ثغر ابتسم بالفرح والسرور عند ميلاده هو ثغر أبيه، ويا لها من فرحة غامرة، فهل بعد هذا صدق في الإحساس، أو مبالغة في الحب والإكرام؟.

أعتقد أنه لا يصل إلى هذا المستوى من الحب حب آخر، فإذا كان في الناس من يحبك فمنهم من يكرهك، وإذا كان فيهم من ينفعك ففيهم من يضرك، وإذا وجد بينهم من ينصحك فيوجد بينهم من يغشك، وإذا كان فيهم من يأتمنك فمنهم من يخونك، بل إن فيهم من يحبك أول النهار ويكرهك آخره، منهم من ينصحك مرة ويغشك مرات، منهم من يأتمنك في شيء ويخونك في أشياء، منهم من يعطيك مرة ويحرمك مرات، لكن هناك محبون لك لا يكرهون، ناصحون ـ على الدوام ـ لا يغشون، يأتمنونك ـ في كل الأحوال ـ لا يخونون، يعطون دائما ولا يمنعون، لا ينتظرون ردا لجميل، أو إحسانا بإحسان.. أولئك هم الوالدون؛ لذلك أمر الله ـ عز وجل ـ بالإحسان إليهما، فقال:

• وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا •

(الإسراء: ٢٣)

وطلب إلى الإنسان منا أن يكرم عشرتهما، وأن يحسن معاملتهما، وألا يظهر ضجرا ولا تأففا مهما ثقلا في نظره، فقد أحسنا إليه إحسانًا لا يمكنه أن يقوم بشكره، ولا أن ينهض بمكافأته.. تدبروا هذا الأدب الرائع الذي أدّب الله به عباده المؤمنين:

• وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا •

(لقمان: ١٥)

وهكذا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولذلك لما سأل رجل أحد الأئمة قائلا له: «إنّ أبي في سفر ودعاني إليه، وطلبت إليّ أمي البقاء معها وعدم مغادرة البيت، فماذا أفعل؟. قال له الإمام: أطعْ أباك ولا تعصي أمك.. وهذا تعبير في قمة البلاغة، فعلى السائل أن يوفق بين طاعته لأبيه، وعدم معصية أمه ما وسعه ذلك، ولكنه في زحمة الأحداث ـ وعمرة المشاكل ـ يتناسى البعض هذه المبادئ التي تكفل سعادة الدنيا، ونعيم الآخرة، فيسيئون إلى الآباء والأمهات مغضبين بذلك ربّ الأرض والسماوات. روى ابن ماجة في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي اجتاح مالي، فقال: «أنت ومالك لأبيك»، وقال رسول الله ﷺ: «إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من أموالهم». فهلا ذكر هذا الابن أنّ والده كان ينفق عليه وهو صبي حتى بلغ شابًا دون أن ينتظر منه شيئًا، هلا ذكر أنه كان يعينه وهو ضعيف حتى صار قويا، فهل بعد ذلك يريد أن يمنعه من التصرّف في أمواله؟. لهذا أعطاه رسول الله ﷺ درسا في الأخلاق؛ ليكون عبرة لغيره من الذين لا يقدرون الأبوين، فقال له: «أنت ومالك لأبيك».

أكبر الكبائر

تلك صورة من الصور الكالحة الغريبة الفاضحة في عقوق الآباء، والتي تدلّ على خلو القلب من روح الإيمان الصادق، وعلى افتقار صاحبها إلى خلق البر والوفاء، فإذا كان بر الوالدين من أحب الأعمال وأفضلها عند الله ـ عز وجل ـ فإن عقوق الآباء والأمهات من أكبر الكبائر التي تغضب رب الأرض والسماء.. روى البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين.. وجلس وكان متكئا، فقال: ألا وقول الزور.. قال: فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»!.

وأسوأ من عقوق الآباء عقوق الأمهات؛ ذلك أن الأمّ أحق بالصلة والبر.. روى الترمذي وأبوداود عن معاوية بن حيدة ـ

رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، من أبر؟ قال: «أمك». قال: قلت: ثم من؟. قال: «أمك». قال: قلت: ثم من؟. قال: «ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب». وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله ـ عز وجل ـ من بر الوالدة»... وقد أجمع العلماء على أن عقوق الوالدين أو أحدهما من الكبائر، وقد ذكرنا في حديث سابق أن العقوق من أكبر الكبائر؛ ذلك أن العاق كافر بنعمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبإحسان والديه، ولأن العقوق يحدث زعزعة في المجتمع، فمن لم يبر والديه لا يبره أبناؤه، ولا يبر جيرانه ومجتمعه، وذلك يبعد عن رضوان الله والجنة، ثم انظر إلى طبيب الإنسانية الأوحد، ومرشدها الأعظم ﷺ وهو يرشد الأبناء إلى ما تكابده الأم، وما تعانيه في سبيل الولد حتى أنها قد تفقد حياتها، وتسلم روحها في سبيل حياته. وكم سمعنا عن أمهات فضلات خيرهن الطبيب في أثناء الوضع بين حياتهن وحياة جنينهن، فآثرن جنينهن على أنفسهن، ومن ثم سوى القرآن الكريم بين الوالدين في الوصاية، ثم خص الوالدة بمزيد من العناية، موضحاً أسباب ذلك. قال ـ تعالى ـ:

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾

(الأحقاف: ١٥)

ولهذا لما جاء رجل إلى النبي ﷺ ليستأذنه في الجهاد ـ كما روى البخاري في صحيحه ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال له: «أحي والداك؟». قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد».

وإليكم صورة من الصور المشرقة التي ينبغي أن نتخذ منها شباب الإسلام الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة؛ مرض ابن لعمر بن ذر، فدخل عليه وهو يجود بنفسه، فقال: لا غضاضة علينا من فراقك، فلما قضى وصلى عليه، وواراه التراب، وقف على قبره، وقال: أي بني، لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، لأنا لا ندري ما قلت وما قيل لك، اللهم إني وهبت له ما قد يكون قصر فيه مما افترضت عليه من حقي فهب له ما قصر فيه من حقك، واجعل ثوابي عليه له، وزده من فضلك، إني إليك من الراغبين. فلما سئل: ما بلغ بره بك؟ قال: والله ما مشى معي نهاراً إلا قدامي ـ يعني احتراماً وإجلالاً ـ وما مشى معي بليل إلا تقدمني ـ يعني: خوفاً عليّ وحذراً عليّ ـ ولا رقى سطحاً أنا تحته ـ أي: مهابة واحتراماً ـ..

الوالد وسط أبواب الجنة

هذا وقد كان ﷺ يقول ـ فيما رواه الترمذي وصححه عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه»، كما كان يقول ـ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ «لا يجزي ولد

والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه».

ولا أكاد أعرف صورة من صور البر والإحسان إلى الوالدة أفضل وأعظم مما قرأت من أنه سأل رجل زين العابدين: لم لا تأكل مع أمك في طبق واحد، وأنت من أبر الناس بوالديه؟ فأجاب: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى شيء تشتهيه نفسها، فأكون لها عاقاً من حيث لا أدري... وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها؛ الأولى قول الله ـ تعالى ـ

﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾

(النور: ٥٤)

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. والثانية قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾

(البقرة: ٤٣)

فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه، والثالثة قوله ـ تعالى ـ

﴿ أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾

(لقمان: ١٤)

رضا الرب في رضا الوالدين

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه». والشكر لله يكون على نعمة الإيمان، والشكر للوالدين على نعمة التربية.. وقال سفيان بن عيينة: من صلّ الصلوات الخمس فقد شكر الله ـ تعالى ـ، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما. وعموماً فمهما قدم الإنسان لوالديه من ألوان البر وصنوف الإحسان فلن يؤدي حقهما على الوجه الأكمل. روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: شهد ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ رجلاً يمانياً يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره، ثم قال: يا ابن عمر: أتراني جزيتها؟. قال: «لا، ولا بزفرة واحدة».

وعموماً فقد قال ﷺ ـ فيما رواه الترمذي، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»، ولذلك كان من دعاء الخليل (إبراهيم) ـ عليه السلام ـ:

﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾

(إبراهيم: ٤٠-٤١)

.. والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

العقيدة والتضامن الاجتماعي

عضو مجمع البحوث الاسلامية

وردت آيات كثيرة فى الانفاق الذى هو ضرورة قصوى لقيام المجتمع الإسلامى فهو من أسمى صور التضامن والتكافل الاجتماعى بين افراد الجماعة المسلمة فهو يزيل الفوارق الاجتماعية بينهم ويجعلهم يشعرون بأنهم جميعا أعضاء فى هذا المجتمع وانهم جزء من هذا الجسد وعضو منه لا يمنعهم دونه شيئا ولا يمنع عنهم منه شيئا وذلك لسد حاجتهم وهذا امر له قيمته الكبرى فى تساوى الجماعة المسلمة شعورياً وسد الحاجة يساعدها على القيام عملياً.

ومع أن الآيات التى حثت على الإنفاق فى سبيل الله متواترة فى القرآن الكريم إلا أننا نجد أن الأسئلة عن الأحكام فى الإسلام تمثل ظاهرة فى عقيدة المسلم وذلك رغبة من المسلمين فى معرفة حكم العقيدة فى كل شأن من شئون حياتهم اليومية وذلك حتى يوازنوا بين تصرفهم وحكم العقيدة وهذه آية المسلم أن يتحرى حكم الإسلام فى الصغيرة والكبيرة من شئون حياته فلا يقدم على عمل حتى يستيقن من حكم الإسلام فيه فما أقره الإسلام كان دستوره وقانونه وما لم يقره كان ممنوعا عليه وحراما وهذا هو عصب هذه العقيدة وقد سألوا عن بعض الأحكام كى يتحروا صفاء عقيدتهم ونقوتها وعن سؤالهم عن الإنفاق يقول تعالى مخاطبا نبيه وحبيبه محمدا ﷺ:

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة ٢١٥)

وهذا السؤال جاء من بعض المسلمين وهو سؤال عن نوع ما ينفقون وجاءهم الجواب يبين لهم صفة الإنفاق ويحدد لهم الأولوية فى مصارفه فيقول تعالى:

﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم ﴾

وهذا التعبير له إيحاءان:

● الأول: أن الذى ينفق خير وهو خير للمعطى وخير للآخذ وخير للجماعة وخير فى ذاته لأنه عمل طيب وتقدمة طيبة وشىء طيب.

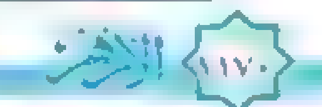
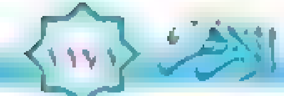
● والإيحاء الثانى: أن يتحرى المنفق أفضل ما عنده فينفق منه وخير ما لديه فيشارك الآخر فيه وذلك أن الإنفاق تطهير للقلب وتزكية للنفس ثم منفعة للآخرين وعون وتحرى الطيب والسرور عنه للآخرين هو الذى يحقق للقلب الطهارة وللنفس التزكية، وللإيثار معناه الكريم وهذا الإيحاء ليس إلزاما بالإلزام كما ورد فى آية أخرى أن ينفق المنفق من الوسط لا أردأ ما عنده ولا أعلى ما عنده ولكن هذا الإيحاء هنا يعالج تطويع النفس لبذل ما هو خير والتحبب فيه على طريقة القرآن الكريم فى تربية النفوس وإعداد القلوب وهذه هى ماهية هذا الإيحاء ثم تبين الآية الكريمة طريق الإنفاق ومصرفه يقول عز من قائل

﴿ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾

ابدأ بنفسك

وهذا الطريق يربط بين طوائف من الناس بعضهم تربطه بالمنفق رابطة العصب وبعضهم رابطة الرحم وبعضهم رابطة الرحمة وبعضهم رابطة الإنسانية الكبرى فى إطار العقيدة وهؤلاء جميعاً -الوالدين والأقربون واليتامى والمساكين وابن السبيل- يتضامنون فى رباط التكافل الاجتماعى الوثيق بين بنى الإنسان فى إطار العقيدة المتين وهذا الترتيب الذى جاء فى الآية والذى تريده بعض الأحاديث النبوية تحديدا ووضوحا كالذى جاء فى صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شىء فلأهلك فإن فضل شىء عن أهلك فلذى قرابتك فإن فضل شىء عن ذى قرابتك فهكذا وهكذا..»[1] وهذا الترتيب يوضح منهج الإسلام الحكيم البسيط فى تربية النفس الإنسانية وقيادتها أنه يأخذ الإنسان كما هو بفطرته وميوله الطبيعية واستعداداته ثم يسير به حيث هو كائن ومن حيث هو واقف يسير به خطوة خطوة صعودا فى المرتقى العالى على تؤدة ويسر فتصعد وهو مستريح لأنه يلبى فطرته وميوله

(1) مسلم كتاب الزكاة.

واستعداداته وهو ينمي الحياة معه ويرقيها فلا يشعر بالجهد والرهق ولا يقيد بالسلاسل والأغلال ولا تكبت طاقاته وميوله الفطرية ليحلق ويرف ولا يضل الطريق ولا يطير به طيرانا من فوق الآكام إنما يصعدها به صعودا هينا لينا وقدماه على الأرض وبصره معلق بالسماء وقلبه يتطلع إلى الأفق الأعلى وروحه موصولة بالله في علاه.

الصدقة بعد الكفاية

ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى علم أن الإنسان يحب ذاته فأمره أولا بكفايتها قبل أن يأمره بالإنفاق على من سواها وأباح له الطيبات من الرزق وحثه على تمتيع ذاته بها في غير ترف ولا مخيلة فالصدقة لا تبدأ إلا بعد الكفاية والرسول ﷺ يقول: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول» رواه أبوهريرة عن مسلم، وعن جابر رضي الله عنه قال: «جاء رجل بمثل بيضة من ذهب فقال يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من خلفه فقال مثل ذلك فأخذها ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته وقال «يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس. خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»[٢].

حكمة وخير!!

ولقد علم الله سبحانه وتعالى أن الإنسان يحب أول ما يحب أفراد أسرته الأقربين عياله.. ووالديه فسار به خطوة في الإنفاق وراء ذاته إلى هؤلاء الذين يحبهم ليعطيهم من ماله وهو راض فيرضى ميله الفطري الذي لا خير منه بل فيه حكمة وخير وفي الوقت ذاته يعول ويكفل ناسا هم أقرباؤه الأدنون - نعم - ولكنهم طائفة من الأمة إن لم يعطوا احتاجوا وأخذهم من القريب أكرم لهم من أخذهم من البعيد، وفي هذا إشاعة للحب والسلام في المقام الأول

اللبنة الأولى

وفيه أيضا توثيق لروابط الأسرة التي شاء الله أن تكون اللبنة الأولى في بناء الإنسانية الكبرى ولقد علم الله أن الإنسان يمد حبه وحميته بعد ذلك إلى أهله كافة حسب درجاتهم منه وصلتهم به ولا ضير في هذا فهم أولا وآخرا أفراد من جسم الأمة وأعضاء في المجتمع فسار به هذا المنهج الرباني خطوة أخرى في الإنفاق وراء أهله الأقربين تساير عواطفه وميوله الفطرية وتسد حاجة هؤلاء وتقوى أواصر الأسرة البعيدة وتضمن وحدة قوية من وحدات الجماعة

٢- أبوداود ١٦٧٣، المستدرك للحاكم ١ / ٤١٣

مسلمة مترابطة العرى وثيقة الصلات، وعندما يكون هناك فائض في يده عن هؤلاء وهؤلاء بعد ذاته فإن الإسلام يوجهه ويأخذ بيده لينفق على طوائف من مجموع البشرى يثيرون بضعفهم أو حرج موقفهم عاطفة النخوة وعاطفة الرحمة وعاطفة المشاركة، وفي أولهم اليتامى الصغار الضعاف، ثم المساكين الذين لا يجدون ما ينفقون ولكنهم يسكتون فلا يسألون الناس كرامة وتجملا، ثم أبناء السبيل الذين قد يكون لهم مال ولكنهم انقطعوا عنه وحالت بينهم وبينه الحوائل وقد كانوا كثيرين من الذين هاجروا من مكة تاركين وراءهم كل شيء وهؤلاء جميعا أعضاء في المجتمع ومثلهم كثير في عالمنا المعاصر والإسلام يوجه القادرين إلى الإنفاق عليهم يقودهم بمشاعرهم الطيبة الطبيعية التي يحثها ويزكيها فيصل إلى أهدافه كلها في سهولة ويسر. فهو يهدف أولا إلى تزكية نفوس القادرين المنفقين، وذلك لأنها أنفقت، بنفس طيبة راضية بما أنفقت راضية بما أعطت وبما بذلت متجه إلى الله في غير ضيق ولا تبرم

ويهدف ثانيا إلى إعطاء هؤلاء المحتاجين وكفالتهم

ويهدف ثالثا إلى جمع النفوس كلها متضامنة متكافلة في غير ما تضرر ولا تبرم قيادة لطيفة كريمة بالغة ما تريد محققة كل الخير بلا اعتساف ولا افتعال شديد ثم يربط هذا كله بالأفق الأعلى فيطبع في القلب صلته بالله فيما يعطي وفيما يفعل وفيما يضمه من نية أو شعور

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

عليم به وعليم بباعثه وعليم بالنية المصاحبة له، وهو إذن لا يضيع فهو في حساب الله الذي لا يضيع عنده شيء وهو إذن لا يبخس الناس شيئا ولا يظلمهم والذي لا يجوز عليه كذلك الرياء والتمويه بهذا يصل بالقلوب إلى الأفق الأعلى وإلى درجة الصفاء والتجرد والإخلاص لله في رفق وهوادة ومن غير تعسف أو اصطناع وهذا هو المنهج التربوي الذي يضعه العليم الخبير ويقيم عليه العقيدة التي يعتنقها المسلم حتى ينتهي إلى آماد وآفاق لا تصل إليها البشرية قط بغير هذه الوسيلة وهذا هو طريق الإيمان وهذه هي ثمرة هذه العقيدة التي تربي معتنقيها على مبادئ الحق والعزة والخلق الكريم فيخرج من كل هذا إنسان نافع لبني الإنسان محب للخلائق جميعا يفرح لأفراحهم ويتألم لأتراحهم والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مطهرو القلوب.. ومطهرو الجوارح

إعداد الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد

فمن حق الله علينا أن نفعل ما يأمر به، وأن نترك ما ينهى عنه، وأن نشكر نعمته إذا أصابتنا سراء، وأن نسلم لحكمته ونصبر على قضائه إذا أصابتنا ضراء، من حق الله علينا أن يرانا حيث يحب، وأن لا يرانا حيث يكره، من حق الله علينا ونحن نعيش فوق أرضه، ونتنفس في جوه، ونستظل بسمائه، ونستمد محيانا دقيقة بعد أخرى من إمداده، من حق الله علينا أن نسبح بحمده، وأن نصلي له، وأن نكون عبيداً لذاته تبارك اسمه، هذا حقه علينا.

المعصية شذوذ في الكون، لأن الكون في مادته التي نسج منها وصنع منها العرش والفرش وما بينهما.. الكون كله يسبح بحمد الله:

﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾

(الإسراء: ٤٤)

فالذي يعصي ربه هو شذوذ في الكون، والشذوذ من حقه أن يمحي، وأن تسود القاعدة، ولذلك يقول جل شأنه:

﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ﴾

(سبأ: ٩)

وقد خلق الله هذه الدنيا واختبرنا بأن أحيانا في هذه الأرض إلى حين، الحكمة من الإيجاد هي كما وضح في سور كثيرة

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ۝ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾

(الملك: ١-٢)

وجاء في الأثر[1] تفسير لهذه الكلمة: أيكم «أورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله، لهذا خلقنا، وما يخلد أحد في هذه الدنيا. رووا أن ملكاً وناسكاً كانا يسيران قريباً من مقبرة. فقال الناسك للملك: هل تدري ما تقول المقبرة؟ قال: لا. قال: إنها تقول:

أيها الركب المخبون[2]
على الأرض المجدونا
كما أنتم كذا كنا
كما نحن تكونونا

فأدرك الملك أن المقابر لا تقول ولكن الرجل ينصحه، وكان الملك وثنياً فعرفه الناسك دين التوحيد وخبره كيف يعبد ربه وكيف يخرج من رواية الحياة وقد نجح في امتحانها.

الإنسانية الصحيحة

نحن إلى حين على ظهر هذه الأرض فيجب أن نؤدي رسالة الأحياء التي خلقوا من أجلها وهي طاعة الله، ولكننا نزل أقدامنا، ونقع في الورطات، ونصيب من الذنوب ما لا ينبغي أن نصيبه، ما السبب؟ السبب في ذلك أمور نحب أن نتدارسها حتى نعرف مواطئ أقدامنا ونسير حيث نسير فلا نتزلق ولا نقترف ما يغضب علينا رب الأرباب.

وقصة الإنسانية الصحيحة ليست قصة بشر معصوم، فإن القول بعصمة بشر - حاشى الأنبياء - مستحيل، كلنا خطاءون، قال ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[3].

قصة الخليقة كما قال آدم وحواء - بعدما ارتكبا ما ارتكبا

﴿ وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾

(الأعراف: ٢٣)

هنا ينبه الإسلام إلى أمور نحب أن نستوعبها:

الأمر الأول: أن المعصية من مسلم يقظ لا تكون ملازمة له، بل تكون سحابة صيف عن قليل تنقشع. وهو معنى قوله تعالى

﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾

(الأعراف: ٢٠١)

١- القرطبي ١٨/... ٢- [illegible]

٣- رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة

قد يحاول الشيطان أن يعمي عليه الطريق وأن ينفث في وجهه الدخان وأن يجعله لا يرى، لكن سرعان ما تخرج -بفضل الله- من روحه ومن قلبه ومن علاقته بربه ريح تبدد هذا الضباب وشعاع يكشف الطريق:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾

هذا البصر لا ينبغي أن يطول أمده ولا أن ينتظر الإنسان كثيراً حتى يبلغه. بل يجب على عجل أن يعرف أنه أخطأ، وأن عليه -على عجل- أن يرضي ربه الذي أغضبه وأن يصطلح معه بعدما أساء إليه، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام ٥٤، ٥٥)

والناس تتفاوت في سرعتها على عجل مما ألم بها أو مما أسفت إليه بقدر قوة الإيمان ويقظة القلب وصحة الضمير، تتفاوت الناس في هذا. ولكن وصية النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[4]. كتبت غلطاً امح بالممحاة الغلط الذي كتبته، يتمحى وينسى الله الخطيئة ما فعلت ويبقى لك صفحة جديدة لا خطأ فيها.

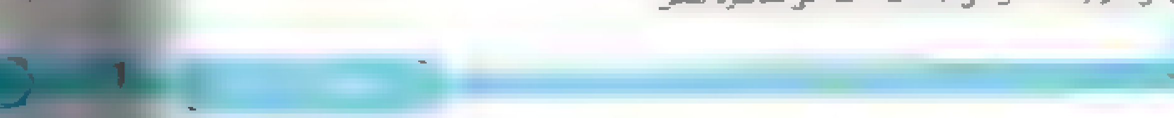
أن الخطأ هو في حب الله. صحيح أنت الذي أخطأت به. وأنت الذي وقعت في عواقبه الوخيمة، والله في الحديث القدسي يقول: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»[5].

حقيقة الاستغفار

لكن الله يحب عبده. ومحبته لعبده تجعله يغار عليه، ويريد أن يكون وضيء الوجه، نظيف الشكل. ولذلك يستعجله ليتوب. لمصلحة الإنسان ذاته. أما أن الله له مصلحة في هذا فلا. إنه غني عن العباد، ولذلك أول ما يجب الاستغفار، استغفار الله جل جلاله، لأنك أخطأت في حقه فيجب أن تستغفره. والاستغفار أمر سهل، ولكنه مرفوض عندما يكون من قلب غافل لاه. ولذلك قال بعض الصالحين: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، لأنه يغلب أن يكون من قلب متبلد، أو من نفس في عمايتها محجوبة. إنما يقبل الاستغفار عندما يكون الإنسان صاحي الفكر، يقظان الضمير. هذا هو الاستغفار الذي يقبله رب العالمين، والله وحده هو الغفار. فما شاع في بعض الديانات من أن إنساناً يغفر أو أن إنساناً يستقبل الاعتراف ويعفو، أو أن إنساناً سفك دمه من أجل العفو عن خطايا الخلق فقد افتداهم بدمه، هذا كله من الناحية الإسلامية غير مقبول.

4- رواه مسلم ١٧/٨، ١٧.

5- رواه الترمذي في البر والصلة عن أبي ذر [illegible] في معاشرة الناس



﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت: ١٢-١٣)

المجاهرة بالمعصية

ولما كان العصيان قذارة والتوبة اغتسالاً من هذه القذارة ومحواً لآثارها فإن تعليمات الإسلام في هذا واضحة: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله وليتب إلى الله»[6]. لا ليكشف لنا عيبه. لعل هذا يكون أعون على التوبة، وأقرب أن يعود إلى ربه. فإنه إذا فضح نفسه وحدّث الناس بما ارتكب فإنه يسجل على نفسه المعاصي. والناس لا تعين على توبة، الناس إذا عرفت إنساناً بمعصية ربما إذا أراد التوبة قالت له: ألم تكن تفعل كذا؟! اجعل ما بينك وبين الله معاملة تستغفره فيها في خطيئتك، فإن الناس إذا دخلوا في هذه المعاملة كانوا ضدك أو كانوا عليك. ولن تجد جانباً أرق ولا أرحم من جانب الله جل جلاله. وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري: «يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه. تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف. يقول: رب أعرف مرتين. فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم»[7]. إنما تحدث المعاصي على أنها قاذورات أو على أنها أمراض فأما أنها قاذورات فقد جاء الحديث الشريف يبين أنها قذارة وأما أنها أمراض فقد جاء في القرآن الكريم إنها أمراض

﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

(الأحزاب ٣٢)

المرض هنا انحراف الغريزة الجنسية. أو رغبة الإنسان في أن ينال أي امرأة تتكلم معه، فأمرت المرأة أن يكون كلامها صارماً ولهجتها جادة حتى تقطع الطريق على أصحاب الغرائز المعوجة أن يفكروا فيها تفكيراً سيئاً، وقد سمى الإسلام ازدواج الشخصية أو النفاق سماه مرضاً فقال في وصف المنافقين:

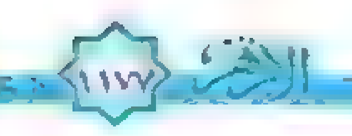
﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾

(البقرة ١٠)

فالمعصية أمراض كما سماها القرآن أو أقذار كما بينت السنة.. والأمراض تتفاوت، والأقذار تتفاوت. يقول الإمام الغزالي في الإحياء. هناك وساخة تصيب الإنسان فقليل من الماء يزيلها.. هناك سيئات يلم بها المرء فالاستغفار العادي يذهب بها، وينقي القلب من آثارها، لكن هناك معاصي غليظة تحتاج إلى استغفار أعمق وتوبة أحر وعودة إلى الله أسرع وأصدق ويتصور هذا في واحد وقع على ثوبه «زفت»، لو وقع تراب أو طين يزول بسهولة، لكن «الزفت» الذي وقع يحتاج إلى

6- [illegible] في التوبة

7- خرجه البخاري في كتاب التفسير: تفسير سورة هود ٩٣/٦



مطهرات أخرى وإلى سوائل أخرى كثيرة حتى يمكن إزالة ما تزفت من ثوبه أو من بدنه، والمزفت باللغة العربية الصحيحة: الإناء الذي كان العرب يزفتونه لينقعوا فيه التمر ويصنعوا فيه الخمر، على كل حال هذا استطراد، المهم أن بعض الناس يرتكبون أمورا تحتاج إلى توبة غير عادية لأن وساختهم غير عادية، وكما قلت ـ قبل ذلك ـ التوبة لا تكون إلا إلى الله، لا دخل لبشر في هذا، أذكر أنه جاءني في مكتبي في وزارة الأوقاف قسيس إنجيلي ـ من ألمانيا ـ وتحدث معي في المسيحية ـ هو بداهة ليس مبشرا معي ـ لكنه حديث استطرادي، وأنا في شيء من المرح، كنت أملأ قلمي الحبر، وكادت الدواة أن تقع، فقلت له وأنا أضحك: ما رأيك لو أن هذه الدواة وقعت عليّ؟ فقال: طبعا الثوب سيتسخ، قلت له: لو أنك غسلت ثوبك ألف مرة فهل ينظف ثوبي أنا؟ فقال الرجل في دهشة: لا. قلت له: أنا الذي أخطئ، أنا الذي أنظف نفسي، ما يصنع الآخرون شيئا لي.. فأدرك في الحال أني أعترض على نظام النصرانية في أن عيسى قتل من أجل خطايا الخلق!! قلت له: عيسى قتل أو لم يقتل من أجل خطايا الخلق.. أنا وسخت نفسي.. أنا الذي أنظف نفسي.. ما علاقة عيسى ومن هو أكبر من عيسى بي؟ ما العلاقة؟ من اتسخ نظف نفسه.. من مرض سعى إلى علاج نفسه وشفى نفسه.

معاصي القلوب.. ومعاصي الأبدان

والأمراض أيضا خطيرة.. هناك أمراض يمكن أن تداوى بحبوب إسبرين. وهناك أمراض تحتاج إلى علاج مطول، وهناك أمراض ربما بلغت أن تكون سرطانا قاتلا. ولذلك قسم العلماء الأمراض إلى أمراض قلوب وأمراض أبدان أو معاصي قلوب ومعاصي أبدان.. وقد تكلمنا في هذا.. لكن الأمر يحتاج إلى إيضاح ـ وقبل أن أدخل في شرح هذا.. أحب أن ألفت النظر إلى أخطاء يقع فيها المتدينون ـ وما أبرئ نفسي، فأنا أول الخطائين.. لكن من تجربتي وأنا أحاول إصلاح نفسي أعرض التجربة وأعرض ما قاله العلماء في الموضوع.. بمعنى.. إذا اتسخت يدك فهل ينقيها أن تغسل رجلك؟ طبعا لا.. اليد هي التي اتسخت فهي التي تنظف.. ولو وقفت في مجرى ماء طول اليوم يغسل قدمك ما نظفت يدك.. لأنك لم تنظف يدك.. كذلك الأمراض التي تصيب الناس أو المعاصي التي تصيب الناس في أخلاقهم وأحوالهم.. هب رجلا مصابا بمرض البخل.. ما الذي يجعله يُشفى من هذه العلة؟ العطاء ـ لا غير ـ العطاء، والعطاء هنا يبدأ تكلفا كما قال ﷺ: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله»[8] «إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه»[9]. والتربية هنا لابد فيها من معاناة وصلة بالواقع.. يعني أن تعلم السباحة يستحيل أن يكون في البر.. لابد من أن يكون في الماء.. لأن السباحة على الأرض

8- رواه البخاري في الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ٢/١٤١

9- قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير وفيه رجل لم يسم، وعتبة بن أبي حكيم وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان وضعفه جماعة ١٢٨/١

لن تعلم أحدا قط.. رجل بخيل.. تريد أن تنجو من رذيلة الشح عود نفسك العطاء.. أخرج الزكاة.. أشعر قلبك العطف على المحتاجين والمساكين.. الرجل الذي أعطى للفقراء قال لأمه: كسرنا نصف الحلقة.. وهو يقصد بالحلقة ما ذكره القرآن في سورة الحاقة وهو يصف صاحب النار فيقول:

﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) ﴾

(الحاقة: ٢٨ - ٣٤)

سبب في التقييد بهذه السلسلة:

﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) ﴾

أعط المسكين تكسر نصف السلسلة!!.

قول الحق هو الدواء

هذا عطاء.. عُلم نفسه العطاء.. يجيء رجل يريد أن يخدع الله.. يريد أن يحتال.. لديه مال كثير.. لكنه بخيل يبخل بحقوق الفقراء ويسمي لك.. ويصوم الاثنين والخميس.. ما قيمة صيام الاثنين والخميس؟ هذا احتيال على الله.. هذا كالذي يغسل قدمه ويده ملوثة.. لا يغسل يده.. غسل القدم هنا لا ينظف يده.. صيام الاثنين والخميس هنا لا يجعله سخيا أو كريما.. دواؤك الذي يشفي به مرضك هو العطاء.. فإذا كان جبانا وقال: أربي أولادي وأبتعد عن هذه الطرق ثم اعتكف في المسجد طول اليوم، ما قيمة الاعتكاف؟ لا قيمة له.. لا خير فيه.. دواؤك الذي يُشفى به مرضك هو قول الحق لا غير..

هنا نجد أن بعض الناس من المتدينين يحبون أو يريدون أن يخدعوا الله:

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾ (البقرة: ٩)

يفر من مرضه لكي يطيع في ميدان آخر.. هنا تصرف ما يجوز أو ما يليق أولا خير فيه.

ندع هذا الآن إلى ما يسمى بأمراض القلوب.. أمراض القلوب أغلبها أو فصيلة كبيرة منها ـ فيما رأينا ـ تعود إلى حب الظهور، حب التصدر، حب العظمة، الرياء، الكبرياء، أمور كثيرة من هذا النوع يمكن أن تكون أمراضا للقلب.

وأحب أن أقول ـ وقانا الله وإياكم أمراض القلوب ـ إن أمراض القلوب تقع كثيرا بين العلماء وتقع كثيرا بين العباد.. وقد ألف ابن الجوزي كتابا أسماه «تلبيس إبليس» ذكر فيه كثيرا من أمراض القلوب التي تقع بين العباد والتي تقع بين العلماء.. ولعله اعتمد في هذا على أحاديث وردت.. فمثلا ورد أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وأن الله تعالى قال:

«من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»[10]

هذا رجل متعبد، لكن قلبه قاس وهذا رجل

10- رواه مسلم في البر، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله ٣٦/٨

متعمد لكنه معتز بنفسه وسيء الظن بصفات الله وبأعذار العباد.. هذا مرض موجود.

الافتراء على الإمام الشافعي

ولاحظت هذا المرض عند بعض الناس الذين يشتغلون بالجدل والقضايا التافهة.. وجدت ولدا يقول: إن الشافعي أفسد مصر!! قلت له: الإمام الشافعي أفسد مصر؟!! أنا فزعت لما سمعت الكلمة!! قلت: سبحان الله!! واحد الولد يتحدث عن المذهبية والتقليد.. قلت له: يا بني إنك ترقى مرقى لا يعرفه أبوك ولا جدك.. وتدخل في ميدان ما لك به صلة.. الإمام الشافعي أولا: تلميذه أحمد بن حنبل الذى قال يوم مات الشافعي: كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن فهل لهذين من عوض؟!!! لكن لا يعرف الفضل من الناس إلا ذووه، لا يعرف فضل الشافعي إلا رجل مثله أما أنت فإنك تقول: الشافعي أفسد مصر!! الشافعي خالف أبا حنيفة في قضايا كثيرة. وما في هذا؟ لكن من باب الإنصاف يقول الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة!! وهو الذى خالفه، لا حرج في هذا، الأنبياء اختلفوا، والصحابة اختلفوا، واحترم بعضهم بعضا لأنهم تفاوتت وجهات نظرهم في مرضاة الله، والكل حسن النية، لكن يجيء ولد يقرأ كتابا، أنا لا آمنه - وأنا الحقير، أن يقرأ ثلاثة سطور من كتاب لي قراءة صحيحة - يجيء فيقرأ كتبا فيجعل نفسه ديانا على العلماء وحكما بين الأئمة وموزعا للطاعة والمعصية على كبار الشيوخ.. ما هذا؟ هذا مريض بقلبه، عنده اغترار بنفسه، هذا الاغترار هو نفسه الاغترار الموجود عند فرعون الذى قال للسحرة لما آمنوا

﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾

(الشعراء: ٤٩)

اليقظة الإسلامية

سبحان الله!! يحتاج الناس لكي يؤمنوا بالله إذا عرفوا الدليل الصحيح إلى أن يطرقوا بابك ويقفوا بساحتك ويطلبوا الإذن منك أن يؤمنوا بالله!! لماذا؟! من أنت؟! هذه أمراض قلوب تنتشر بين بعض الذين يشتغلون بالعلم الديني سواء كانوا علماء أو عيالا.. ونشأ عن هذا أن وجد في البيئات الدينية تفرق مر يخشى منه على مستقبل اليقظة الإسلامية المعاصرة.. هناك يقظة إسلامية فعلا.. وأنا وضعت يدي على هذه اليقظة بين الخيطات وأنا أجوب العالم الإسلامي، ولكن الذين يرصدون حركات الأمة الإسلامية لا حرج عليهم أبدا أن يكون لهم سماسرة وعملاء يروجون في البيئة الدينية من أسباب الفرقة ما يجعل الإنسان يعجب.

كلام غريب يمزق الفكر الإسلامي.. هذه أمراض قلوب كما قلت وليست معاصي جوارح. أمراض القلوب خطرة لأنها متولدة من مرض إبليس الأول الذى قال لله:

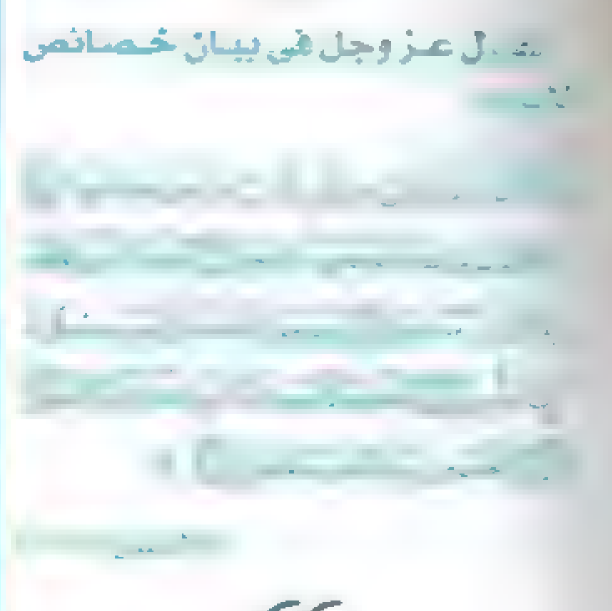
﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾

(ص: ٧٦)

أنا!!! الجاهل الذى يريد أن ينصر رأيه، الإنسان السفيه الذى يريد أن يحقر الآخرين ويهبط بمكانتهم لأنه يريد أن يرفع خسيسته يمثل هذا إنسان مريض. نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العافية في الدين والدنيا.

التنافس المحمود

[illegible]
عضو مجمع البحوث الإسلامية



إن للأبرار أعمالاً عظاماً استحقوا بها ذلك الفوز المبين: فهم يطعمون الطعام.

لا يرسلون بقيمة الأكل إلى المحتاج.. ثم تنتهي مهمتهم بهذا البذل. ومن بعيد.. وإنما يوسعون المجلس في منازلهم ليستقبل اليتيم والمسكين والأسير متحملين مسئولية هذه المشاركة المباشرة.. وما تتطلبه من استعداد وإعداد.

وكان ذلك شأنهم المستمر.. والذى عرفوا به بين المحاويج الذين يشعرون بأنهم صاروا من أهل الدار.. يأكلون - ومع رب الدار - يأكلون أطيب ما فيها.. فلا يلقى إليهم بلقيمات من خلف الباب.. وإنما هو

التكريم الذى لايتعامل مع الضعاف من منطلق القوة.. ولا مع المحتاجين من منطلق السيادة.

ومن الذى يطعمونه؟

إنه: المسكين: الذى لايكفى كسبه لتغطية حاجته..

واليتيم: الذى مات كاسبه.

والأسير: الذى لاحول له ولا طول..

أى: أنهم مخلصون فى أعمالهم.. لأنهم لايريدون بهـا من لهم عندهم مصلحة.. وإنما هم المحاويج الذين تقع صدقتهم عليهم فى يد - الله سبحانه وتعالى - وقبل أن تصل إلى أيديهم.

وعلى كفاية عملهم هذا الصالح.. لكنهم يضيفون إليه إعلانهم أنهم لايطعمونهم لحاجة فى نفس يعقوب.. وإنما لوجه الله تعالى وحده.. فالمنة له عز وجل وحده.

فهو سبحانه الذى رزق.. وهو سبحانه الذى وهبنا نعمة التوفيق إلى توجيه الثروة فى مصارفها الشرعية.

فكلوه هنيئا مريئا.. وإذا كان من جزاء.. فهو من الله وحده لا منكم..

وإذا كان من شكر فهو لله تعالى.. وليس لنا..

﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾

(الإنسان/ ٩)

ومن لم يشكر الإنعام.. فهو من الأنعام!

فليس فى نيتنا ونحن نأكل سويا أن نمن عليكم.. بل الله يمنّ علينا أن هدانا لطرائق الكسب الحلال. ثم وفقنا إلى سبيله القاصد.. مدفوعين بالخوف منه عز وجل.. عسى أن ينجينا من أهوال يوم عبوس قمطرير.

وإذا كانت الأشياء تتمايز بأضدادها.. فإننا نذكر الصورة المقابلة لهذا المستوى العالى..

فماذا يفعل بعض الناس اليوم؟

إنهم يطعمون.. ولكن لغرض أو مرض؟!!

إنهم كما نقول: يقدمون السبت.. ليجدوا الأحد!!

ومن معانى ذلك أنهم لايريدون وجه الله.

فما دام المسئول فى الموقع.. فالإنفاق فى سبيله ميسور..

فإذا زايل موقعه القيادى.. ذهب كل شىء.. على ما قيل: يقول لك الناس: مرحباً.. ما دمت مسئولاً.. فإذا نزلت من فوق الكرسى.. مات مرحب!!

وتقترب من الصحف اليومية لترى عجباً

فى بريد الصحيفة ماذا تقرأ؟

تقرأ مجموعة من الاستغاثات تجأر بالشكوى

أ - من يطلب أطرافا صناعية.

ب - أرملة فى العراء تطلب سكناً.

حـ - مريض يطلب إنقاذه بالدم.

تعنى

أن المسكين. واليتيم. والأسير.. جميعاً.. يطلبون النجدة..

ولأن الأبرار قد رحلوا.. فلا مجيب..

ثم يبلغ بك الأسى مداه.. عندما تقلب صفحات نفس «الجريدة».. فإذا لافتات التعازى.. والتى تتجاوز الأنوف.. تذرف دموع التماسيح على ميت لم يروه!!

وإنما هو عبادة الذات..

وإلا فلو كانوا أبراراً.. لادخروا هذه الأموال لتلبية حاجات هؤلاء الشاكين؟!

وهنا يتراءى لك الفرق الهائل بين الاتجاهين

اتجاه «الأبرار» يقابله اتجاه التجار!!

ولندع التجار يتنافسون فى الدنيا.. لنستمتع بهؤلاء الأبرار.. ثم نتساءل:

هل يستأهلون فعلاً ذلك النعيم المرصود لهم؟

والجواب: إنهم أحق به وأهله.

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾

(الانفطار/ ١٣)

فى صميمه.. لا على ضفافه.. ثم هو نعيم: منكّر: فهو واسع فلا تعلم نفس حدوده.. ولا أعماقه.. ثم إنه نعيم: دائم:

لايرحل عنك.. ولاترحل عنه.. وبلا منغصات..

ثم إن ذلك بما قدمت أيديهم:

أ - عبادة كاملة: تعظيم للخالق. وشفقة على المخلوق.

ب - وهم ملتزمون: فمن وفى بما ألزم به نفسه. فهو أكبر وفاء لغيره..

إنه إسلام الوجه لله تعالى.. للخالق.. لا للمخلوق.

أما بعد:

فقد نزلت الآيات الكريمة فى علىّ وفاطمة - رضى الله عنهما - ثم لم تصرح باسميهما: بينما صرح باسم «زيد ابن حارثة».

فالأهم هو: المبدأ. الإسلام. أولاً وأخيراً:

ذات يوم خاطب «الشاعر» الفاروق - رضى الله عنه - قائلا:

عميرة: ودع إن تجهزت غازيا
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فما كان جواب «عمر» إلا أن قال له:

لو قدمت الإسلام على الشيب.. لأجزتك.

فالمهم هو الإسلام أولاً والإسلام أخيراً..

والذين يتحركون خارج نطاقه يبدلون.. وما أكثر ما يبدلون.. لكنهم محرومون.. وإذا كانوا فى حمّى السباق يطلبون الفوز حقاً.. فإن الفوز الحق هو فى غفران السيئات:

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(غافر ٩)

الفوز العظيم لمن كان عمله لله خالصاً.

مـــــجـــــالات التنافس

في السنة المطهرة

يقول ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) متفق عليه.

يقول الشاعر العربي:

كل من في الوجود يطلب صيداً
غير أن الشباك مختلفات

أجل: كل له غرض يسعى ليدركه.. وحول هذه الرغائب تدور أشرس المعارك.. والتي قد تنتهي بالمتنافسين إلى الدمار: ما عدا المسلم.. فإنه يطلب الأعلى والأعلى.. دائماً، وتأخذ طريقته إلى هدفه نفس هذا المستوى العالي، لأن الغاية الشريفة.. لابد وأن تكون وسيلتها من جنسها.. أيضاً شريفة.

فما هي غاية المسلم في حياته:

أولاً: المال الصالح.

وثانياً: العلم النافع.

وهو ما يشير إليه الحديث الشريف.. والذي نحن بصدد التعليق عليه:

إنه يحدد للتنافس الشريف دائرتين.. فراراً بالمسلم من ذلك الصراع الوبيل المنتهي بالمتصارعين إلى البوار.. إذا كان التنافس حول مباهج الدنيا:

فلو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثاً.. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

ويعني ذلك حماية ملايين الخلايا من الاحتراق في أتون التدافع المحموم حول مطالب الدنيا.. حين يتنافس المتنافسون كالسوائم الهائمة الهائجة.. ولك أن تتصور من يملك «الألف» تعتصره الحسرة إذا رأى مالك الألفين.. الذي تحرقه الحسرة لأن غيره يملك أربعة!!

وهنا ندرك إلى أي حد كان هذا الحديث الشريف نعمة كبرى.. حين يستبعد من حياة المسلم هذا الحسد بهذا المعنى المهلك.. ليبرز معناه على طريقة الإسلام.

وهو الحسد بمعنى: الغبطة.. بمعنى تمني أن يكون لك مال صالح.. تصلح به مرافق الأمة.. وتدعم به الحق.. مشفوعاً بالعلم النافع.. الناجع.

وإذا كان رصيد بعض الأغنياء يتنامى مع الأيام.. فيكفي أن يوظف المسلم ماله في مجالات الإصلاح:

يمنع به امرأة من السقوط.. ويصون به أسرة من التفكك.. ويحمي به يتيماً من الضياع.. ثم تحرص به غنياً على الإنفاق.

ثم كان علمه خالصاً:

فلم يفاخر به.. ولم يتاجر.. ولم يتسلط به على الآخرين.. ولكنه صاغ حياته طبق أصوله.. ثم جعله حكماً في تصابي فتنه.. بعدما نقله إلى الآخرين.

وإذ ينفق الماديون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله.. فإن ثروة المسلم تصبح سنداً يبقى بها الحق عالياً.. وعلت به قيم المروءة والأريحية.

شبهة مردودة

ولكن الماديين قد يلوحون بالأرقام التي تؤكد أن من أنفق من المائة عشراً.. صارت تسعين.. وليست هناك زيادة.. ولكن الحديث الشريف.. يحاول فك الأنامل القابضة على المال بمثل قوله ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال....)[1]

ومعنى ذلك: أن الحديث الشريف يتصدى للتقاليد التي تحاول أن تستعبدنا حين يقول الذين لا يؤمنون بالغيب.. لا.. بل إن المال ينقص بالإنفاق.

وصحيح ـ بلغة الأرقام ذلك ـ وحين ينغمس في غير مصارفه الإنسانية.

أما بمقياس الإيمان: فما نقص مال من صدقة؛ فما يحققه الإنفاق من ثواب أكبر.. ثم يبارك الله تعالى لك فيما بقي.

ثم فراراً من أن تربطك عقدة الذنب.. كلما رأيت محتاجاً أغلقت بابك دونه.

ثم إن الصدقة تقع في يد الله فيربيها لك كما تربي مهرك، لتصير في النهاية: بركة في العمر.. وفي الولد.. وفي الرزق: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وهو ما يشير إليه قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾

(المطففين ٢٢ - ٢٤)

تشير الآيات الكريمة إلى ما يجب أن يكون فيه التنافس وهو:

نعيم الآخرة.. بمعنى التسابق المستهدف هذه الغاية العظمى.. وهو ما يشير إليه قوله عز وجل:

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

(المطففين ٢٦)

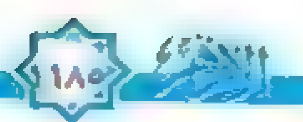
إنه تنافس لا ينشىء في الصدور حقداً.. لأن غاية المؤمنين واحدة ومن حققها فباسم المؤمنين جميعاً يحققها.. فهم فيها شركاء وغير متشاكسين.. قد يختلفون.. لكنهم لا يحقدون.

وإذ تفرق الدنيا بين طلابها.. فإذا كل فريق في طريق.. فإن الإيمان بالآخرة يجمع ولا يفرق:

قوم: على المحتاج سهل وصالهم
ومقامهم وعر على الفرسان

***

(١) مسلم: البر والصلة ١٩ - مسند أحمد ج ٢ ص ٢٣٥



تحويل القبلة والتميز الحضاري

أرسل الحق تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ بدين الإسلام على حين فترة من الرسل بعد أن استبد بأمر الأرض شياطينها من الإنس والجن وانفلت زمام الأخلاق فوقعت الأرض صريعة فوضى من الأفعال والأخلاق والسلوك والعقيدة والسياسة والاجتماع فالناس لا يخضعون لسلطان ولا يقرون بنظام. ولا ينخرطون في سلك ولا يدينون دين الحق.

جاء الإسلام لينشئ أمة متميزة، متفردة، قائدة، تمتلك من أسباب السيادة والريادة ما يجعلها قادرة على القيام بمهمة التقدم لقيادة البشرية في ثقة وطمأنينة واستقرار وأمن وما يجعلها قادرة في الوقت ذاته على إنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة والمناهج الضالة والتصورات الضالة. وهو ما تعاني منه البشرية اليوم، مع اختلاف في الوسائل ومظاهر السلوك وألوان الممارسات.

ولقد احتاجت هذه الأمة في بداية أمرها إلى أنواع من الرياضات النفسية الشديدة والاختبارات الشاقة حتى تتقدم لقيادة الناس قادرة على أداء دورها الحضاري الذي خلقت من أجله، والذي انتدبت للقيام به، وكان أخطر هذه الاختبارات وأشقها على النفس، هو أن تختبر في مصدر فخرها وعنوان كرامتها، ورمز عزتها، وشعار مجدها، وذلك عندما تلقت أمراً إلهياً يأمرها فيه بأن تتحول عن قبلة أبيها إبراهيم وتتجه إلى المسجد الأقصى فكان هذا الأمر بمثابة لغم مفاجئ والمولود لم يتم عامه الثاني على شدة تعلق هذا المولود بمصدر حبه وأمله وقد استمر ذلك ستة عشر شهراً عاني المسلمون خلالها شعوراً بالحرمان من قبلتهم وشعوراً من استكبار اليهود عليهم، واتخاذهم هذا الأمر وسيلة طعن وتشكيك وإرجاف بل إنهم أطلقوا ألسنتهم في المدينة بالقول، بأن اتجاه محمد ومن معه إلى قبلتهم في الصلاة دليل على أن دينهم هو الدين، وقبلتهم هي القبلة، وأنهم الأصل، فأولى بمحمد ومن معه أن يفيئوا إلى دينهم، لا أن يدعوهم إلى الدخول في الإسلام في وسط هذا الجو المشحون بالألم الداخلي، والحرمان الروحي، والتشكيك اليهودي، وشعور المسلمين من قريش بنوع من الانكسار النفسي فكان الرسول ﷺ يقلب وجهه في السماء متجهاً إلى ربه، يتحرق قلبه ولا ينطق لسانه، تأدباً مع الله وانتظاراً لتوجيهه لما يرضاه إلى أن نزل قوله تعالى

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة: ١٤٤)

تحديات صنعت مؤمنين!!

تقول الروايات إن هذا كان في الشهر السادس عشر أو السابع عشر من الهجرة أي قبل غزوة بدر بشهر أو بشهرين، وهذا يجعلنا نتساءل عن الحكمة الإلهية في اختيار هذا الحدث في هذا التوقيت بالذات.

إن التحديات الجديدة التي فرضت على المسلمين، جعلتهم في حالة استهداف مؤكد من المشركين في مكة، ومن اليهود في المدينة، ومن المنافقين أتباع ابن سلول ومن النصارى المتحفزين على أطراف الجزيرة العربية، ممن يستشعرون الخطر من دولة الإسلام الفتية، كل هذه التحديات كانت جديرة بأن تصنع من المؤمنين كياناً ربانياً خالصاً، لا مكان فيه لولاء قومي أو تعصب عنصري أو ميل عاطفي أو تعلق تاريخي فكان جعل القبلة نوعاً من التدريب النفسي والتأهيل الروحي والتحرر من كل ولاء إلا الولاء لله ورسوله وهو ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

يقول ابن القيم: وكان لله في جعل القبلة إلى بيت المقدس، ثم تحويلها إلى الكعبة حكم عظيمة، ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين.

فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا وقالوا:

﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾

(آل عمران: ٧)

وهم الذين هدى الله، ولم تكن كبيرة عليهم.

وأما المشركون، فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وما رجع إليها إلا أنه الحق.

وأما اليهود، فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبياً، لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء.

وأما المنافقون، فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه إن كانت الأولى حقاً فقد تركها وإن كانت الثانية هي الحق، فقد كان على باطل.

ضرورة تربوية

وكثرت أقاويل السفهاء من الناس، وكانت كما قال الله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وكانت محنة من الله امتحن بها عباده، ليرى من يتبع الرسول منهم ممن ينقلب على عقبيه»[1].

لقد كان تحويل القبلة ضرورة تربوية حتى تتأهل الأمة لدورها الجديد في ريادة البشرية وقيادة الأرض، تلك القيادة التي تتطلب نفوساً أكبر من أهوائها، وأعلى من شهواتها، وأقدر على ضبط عواطفها وميولها، وتخليص كيانها الإنساني كله للقيام بأعباء المنهج كما أمرها خالقه، وكما يريد له أن يكون.

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ «كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدونه عنوان مجدهم القومي.. ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله وتجريدها من التعلق بغيره وتخليصها من كل نعرة وكل عصبية لغير المنهج الإسلامي المرتبط بالله مباشرة، المجرد من كل ملابسة تاريخية أو عنصرية أو أرضية على العموم.. فقد نزعهم نزعاً من الاتجاه إلى البيت الحرام، واختار لهم الاتجاه ـ فترة ـ إلى المسجد الأقصى، ليخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية، ومن كل ما كانت تتعلق به في الجاهلية، وليظهر من يتبع الرسول اتباعاً مجرداً من كل إيحاء آخر، اتباع الطاعة الواثقة الراضية المستسلمة، ممن ينقلب على عقبيه اعتزازاً بنعرة جاهلية تتعلق بالجنس والقوم والأرض والتاريخ، أو تتلبس بها في خفايا المشاعر وحنايا الضمير أي تلبس من قريب أو من بعيد»[2].

إن الأمم في مراحل نموها ـ مثل الأفراد ـ لابد لها حتى تصل إلى تمام نضجها من مران نفسي وتكوين عقلي، وصقل روحي وتهذيب أخلاقي، حتى تتجرد من حظ نفسها، ومن سلطان شهواتها، وحتى يكون هواها تبعاً لما جاء به نبيها.

وهذا ما يؤكده سيدنا ﷺ بقوله: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[3].

وإذا كانت الأمم الجادة تستعد لملاقاة أعدائها بحشد إمكاناتها وتجهيز جيوشها.. فإن تحويل القبلة وما أثمره من تمحيص النفوس وتخليصها كان هو المقدمة الأولى للنصر العظيم الذي حققه المسلمون في بدر بعد شهر واحد من تحويل القبلة.

ولم يكن غريباً أو عجيباً أن تكون قوة الرجل الواحد من هذا الصنف، تعدل قوة عشر رجال من الأعداء، وهذا ما يؤكده الحق سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

(الأنفال: ٦٥)

تحويل القبلة ووسطية الأمة

إن تحويل القبلة وإن بدا أمراً شكلياً في نظر بعض القاصرين الذين ينظرون إلى هذه الأشكال مجردة من ملابساتها.. يعقلون حاسماً مهماً من جوانب النفس الإنسانية.. وهو ميلها الفطري إلى رؤية مشاعرها المضمرة في صورة أشكال ظاهرة بما تشعر بحالة من الانسجام والتوازن والرضا.. فيهدأ النفس حين إذ وتستريح بعد أن يتحقق لها التناسق الكامل بين الظاهر والباطن.

وإذا كان الوصول بالأمة إلى مرحلة الاستعلاء الإيماني والصقل الروحي كان هدفاً أصيلاً لكي تتهيأ لدورها الحضاري من خلال هذا الدرس بحكمه فإن الهدف الآخر الذي لا يقل أهمية وخطورة هو الوصول بهذه الأمة إلى حالة من التمايز والتفرد والاختصاص.

وإذا كانت فترة توجهها إلى غير قبلتها قد حققت لديها ميزة الاستعلاء، ورفعتها فوق حظوظ النفس والوطن فإن الأمر بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام كان إيذاناً بالاصطفاء والاختصاص والتمايز الذي استحقت به أن تكون الأمة الوسط وأن ترتفع إلى مقام الشهادة على العالمين وهذا ما نجده في آية تحويل القبلة في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وإذا كانت الأمة قد احتاجت في زمن مرها إلى هذه الدروس فإنها اليوم أشد حاجة إليها لتعود بها إلى خصائص التصور الإسلامي الصحيح الذي يتسم بالربانية والثبات والشمول والتوازن والإيجابية والواقعية ويتفرد بين أمم الأرض جميعاً بعقيدة التوحيد.

تحرير الإنسان

إن المسلمين لا يملكون أن يقدموا للبشرية اليوم أمجاداً علمية.. ولا فتوحات حضارية.. يبلغ من ضخامتها أن تتفوق تفوقاً ساحقاً على كل ما لدى البشرية منها.. ولكنهم يملكون أن يقدموا لها شيئاً آخر شيئاً أعظم من كل الأمجاد العلمية، والفتوحات الحضارية، إنهم يقدمون «تحرير الإنسان» بل «ميلاد الإنسان»

وهم حين يقدمون للبشرية هذه الهدية يقدمون معها منهجاً «كاملاً» للحياة منهجاً يقوم على تكريم الإنسان، وعلى إطلاق يده وعقله وضميره وروحه من كل عبودية، إطلاقه بكل طاقاته لينهض بالخلافة عن الله في الأرض عزيزاً كريماً كما أراد له خالقه وفي نهوضه بالخلافة وهو حر كريم، يملك إذن أن يقدم وأن يقوم الأمجاد العلمية، والفتوحات الحضارية، وهو في أوج حريته، وفي أوج كرامته، فلا يكون عبداً للآلة، ولا عبداً للبشر.. على السواء[4].

(١) زاد المعاد لابن القيم ج٣ – ط٨ – دار الفكر ص٣٥

(٢) في ظلال القرآن – سيد قطب – ط١١ – دار الشروق ص١٢٦

(٣) جزء من حديث «ثلاث من كن فيه ...» متفق عليه

(٤) خصائص التصور الإسلامي – سيد قطب – ص٢٠٠

قصة العدد

المسافر الغريب

جلس مسافر بن عمرو إلى صديقه أبي طالب بن عبدالمطلب وعلى وجهه علائم الضيق والأسف، وكان أبوطالب يعرف في صديقه مروءة كريمة جعلته لا يبخل بشيء مما يملك، وبيته في مكة لا باب له، كي يلجه كلّ ذي حاجة، دون أن يحتاج إلى استئذان. فإذا سافر للرحلة في قوم أبى عليهم أن يحملوا زادا للطريق مهما طال، لذلك اشتهر في مكة بأنه زادُ الركب، وبعض البخلاء من الموسرين كانوا يتعمّدون الرحلة معه كي يأكلوا ما يشاءون دون أن يتكلفوا شيئا، ومسافر مغتبط بما يفعل، وإن أرهقته المروءةُ في طلب الرزق؛ إذ كان لا يستطيع أن يدّخر شيئا مع توالي الإنفاق، وقد لحظ أبوطالب ما يغشى ملامح صديقه من سهوم. فقال له: أنا أدرى بما تكابد يا مسافر؛ لأنك تقوم وحدك بما تقوم به جماعات متحدة، ولا ألومك في الكرم، فالعربي الأصيل جواد كريم. ولكن ألومك حين أجد بعض من يرون أنفسهم سادة في قريش يلجون منزلك ليأكلوا وهم ليسوا في حاجة، كما أجدُ بعض هؤلاء يتعمّد الرحلة معك ذاهبا آيبا. ليأكل كما يأكل الفقير المحتاج، إن للعطاء حدوداً، وله قومه المستحقون، وقد ألحت إليك ببعض هذا من قبل. ولكنك لم تسمع، ولعلّ شيئاً من عواقب صنيعك هو الذي يشغلك الآن، فيغمر وجهك بمسحة من الكآبة أشفق حين أراها تظلّل هذا الوجه الكريم.

قال مسافر لأبي طالب. أنت موضع سرّي، ومهبطُ نجواي منذ عرفتك. ومادمت قد تغلغلت إلى أدق ما أكتم، فقد عرفت بعضا، وتركت بعضا آخر. أما الذي لم تعرفه فهو أنّي أحب أن أقترن بهند بنت عتبة من ربيعة، ووالدها مع ثرائه الجمّ في مكة، وبساتينه الزاهرة في الطائف، لا يرحب إلاّ بمن كان في ثرائه، وأنا لا أقدرُ مع مرهقاتي التي لا أريم عنها. وإن داهمني الحمام أن أقدّم له ما يريد من صداق يُغالي في قيمته كعهد بني ربيعة كما حاولت أن أطفئ رغبتي في هند فما استطعت، إنها في عيني أجمل قرشية في مكة، ولها شباب متوقد، ولديها همة عالية لأنها تتحكم برأيها الحصيف في مشيئة أمها وأبيها، وقد خطبها ابن عمها الوليد بن عتبة، فتأبت عليه لأنه لا يحلّ الصدر في رجال العشيرة! ومثل هذه لابد أن أحرص عليها فماذا أصنع؟!

قال أبوطالب، نحن بني هاشم لا ننظر للمال وحده في تقدير الرجال. ولو طلبت هاشمية في منزلة هند لسارعت إلى منزلك، وسارع أبوها دون أن يفرض عليك صداقا مغاليا، ولكني أعرف أن شئون القلب لا تخضع لمنطق العقل، فإذا أردت هند بنت عتبة، فاترك مكة إلى رحلة طويلة قاصية تتاجر في بعض العروض، مقتصداً في نفقات الذهاب والجيء، فلا تكن زاد الركب هذه المرة، فإذا رجعت بما يفي برغبة عتبة من الصداق، قبل الأمر في بشاشة؛ لأنه يعرف من أنت، وقد سار في ركبك من قبل فأكل وطعم، ولعلهُ في أعماق نفسه كان يتمنى أن يكون مثلك جوادا كريما، ولكن طبيعته تغلبت على أمانيه!

قال مسافر: أما الرحلة فنعم، وأمّا ألا أكون زادَ الركب فالموتُ أهونُ لديّ من أن أترك خُلقاً طبعت عليه، وعادةً عرفها الناس جميعا عني، وقد فكرت في الرحلة إلى اليمن فماذا ترى؟!

قال أبوطالب: على بركة الله يا مسافر، وقدر في نفسك أنك رحلت لأمر تحرص عليه، وقد تعود بالخير الجزيل؛ لأني عرفتك ميمون الطالع، سعيد الحظ، وفي ظني أنك ستبلغ ما تريد.

لم تمض أيام حتى تهيأ مسافر بن أبي عمرو للرحلة إلى اليمن، وجعل يعد من العروض والسلع ما يبلغه القصد وقد تعالم القرشيون رحلة مسافر. فحفوا لمرافقته. والرجل كعهده باش الوجه مونتلق الأسارير، يرى تهافت القوم على ركبه فيستشعر رضا يعرفه الجواد، ويتذوق ثمرته الشهية كأحلى ما تكون الفاكهة الحلوة. وانطلقت القافلة لوجهها المعلوم. فكافح مسافر وجاله ووفقه الله فنال من الكسب ما يريد، وكان صدره يجيش بالأمل الفائر، فلا يهدىء فورانه غير ما يملك من صداق يفي برغبة عتبة. ويتمد به الحلم فيرى أنه قد رزق السعادة، وأن الطريق هو الذي يعوق اقترابها السريع، فإذا ما انتهى به السير إلى مكة فقد تحقق الرجاء!

ولكن الغيب المستتر عن مسافر كان يكنّ شيئا آخر، إذ ما كاد يطأ تراب مكة، حتى استقبله أبوطالب صديقه. وعرّج به إلى بيته، فعلم أنه قد تأهب واستعد، وأن ما يريد عتبة من الصداق أصبح طوع يده، وقد قام بواجب الضيافة كما اعتاد دون أن يقبض زاد الركب يده عما تعود، ولكن أباطالب نظر إليه في حنان عاطف ثم قال له:

يا مسافر. هرعت لاستقبالك حين علمت بقدوم القافلة. لأكون معك في

مواجهة شدة ستزول ؛ فأنا أعرفُ أحلامك وأمانيك وكنت ومازلت أشاركك الأمل والألم معا، وقد انتهى إلىّ أن الفاكه بن المغيرة المخزومى اقترن بهند في غيبتك، وفرح أبوها بنسب الفاكه؛ لأنه ذو مال وفير، وقد تحيرت ماذا أصنع في أمرك، إذ ليس في طوقى أن أمنع قرانا تعاقد عليه الأب والزوج ورضيت به الزوجة! ولكن ثقتى في مروءتك تجعلنى أهوّنُ الخطبَ عليك، ففتيات أخى كثيرات، وفيهن من تفوق هند بنت عتبة، جمالاً وحسبا وشرفا، وما كانَ مسافر الأريحى الجواد ليبخع نفسه أسفاً، أن حُرِم من زواج فتاة لها نظائرها الكثيرات، ولئن شاع بين الناس أنك كنت ترغب في هند وقد سبقكَ بها الفاكه، ليهوّن ذلك من قدرك لدى من لا يعرفون قيمة الرجال، فعليك أن تكتم أمرك في صدرك، وستسلو لا محالة، ولك من شواغلك القاصية والدانية ما يمنعُ الاسترسال في صبابة لا جدوى معها!

فماذا تقول؟

تماسكَ مسافر، فلم يزعزعه النبأ إلى حدّ التأثر والانفعال، بل غامت سحابة رقيقة من الشجن على وجهه بضع لحظات ثم خشى ألا يكون ذا إرادة قوية في عين صاحبه، فأعلن أنّ اليأس إحدى الراحتين، وأنه في منزلته المرموقة أكبر من أن يتحدث عنه شانيء بما لا يليق، وفي اتساع أعماله ما يشغله عن هموم قلبه التى لا تلبث أن تتبدد، وهكذا بدأ مسافر مرحلة السلو جادا معتزماً، وإن لم يسمح لنفسه بالاقتران من فتاة أخرى قد لا تحتل من قلبه مكانة هند، فتمكنْ جرحه، سيظل عزبا تشغله تجارته، ويلهيه كرمُه وعطاؤه، وإقبالُ الناس على منزله سائلين مترددين.

-٢٠-

لم يمض غير عامين، حتى ارتجت مكة ارتجاجا هائلا، بخبر مزعج عاصف، فقد أعلن الفاكه بن المغيرة المخزومى أنه رأى على البعد شبحا لرجل يخرج من منزله مهرولا، وقد ضاع منه حين جرى خلفه، ويشك في أن علاقة ما قامت بين هند بنت عتبة، وهذا المسرعُ المهرول. وافترق الناس فريقين، فقائل: إن الرجل المسرع ربما كان زائرا يظن الفاكه في المنزل، فلما لم يجبه أحد، سارع إلى الخروج، ورأى الفاكه على بُعد فتوهّم أنه سيثير شكّه، لذلك أسلم رجليه للفرار، وقائل: إن سُرعة الرجل في الذهاب ومحاولته الاستخفاء مما يوحى بالاتهام، وقد غضب عتبة بن ربيعة لما لحق كريمته من الإرجاف، وساقها إلى منزله، وتعصّب له ذوو قرابته، على حين أمعن الفاكه في ريبه واستمع إلى أرباب الوقيعة، فاتسعت شقة الخلاف، ومشى الشباب إلى الشباب من الفريقين، يحاولون معركة تسيل بالدم، وهنا توجه مسافر بن أبى عمرو إلى أبى طالب وقال له: أنت شيخ البطحاء، وليس لك انتماء إلى الفريقين، وعليك أن تجمع شيوخ مكة في دار الندوة، وفيهم من العقلاء من يحسمُ الأمر على نحو ترتاح له النفوس.

فقال أبو طالب: كن معى وسأفعل.

وفي مساء من أمسية مكة اجتمع الفريقان في دار الندوة مع شيوخ مكة ممّن يملكون إبرام الأمر ونقضه، فاستمعوا إلى ما يقول كل فريق، وقامَ أبو سفيان بن حرب، ليُعلنَ حلاً ربما وافق عليه الخصمان، فاستعدت النفوس إلى استماع ما في جعبة أبي سفيان، وهو رجل العُقدة المستعصية. فقال في هدوء: لا أظننا ستنتهى إلى حل يُرضى الجميع إلا إذا وافقنا على الاحتكام إلى كاهن اليمن، وله سوابق في مثل هذا المحال!

قال عتبة: لقد رضيت. فحددُوا الميقات لتأهب للرحيل، فقالوا: بعد ثلاثة أيام.

وقد انضمّ بنو عبد مناف إلى جماعة عتبة، كما التفّ بنو مخزوم حول الفاكه، واجتمع من الفريقين من ملئوا بطحاء مكة، فاختار كل فريق عشرين من بنى أبيه وكان مسافر بن عمرو بن أمية من فريق عبد مناف الذين ساروا مع عُتبة إلى البلد البعيد، وقد تحاجز الفريقان تحاجزا قويا، فكانت تفصلهما أثناء المسير قرابة مائتى خطوة.

كان عتبة حائراً مضطربا لا يهدأ له بال، فتقدم إليه الوليد أخوه وسأله عما يشغله، فقال: أنا واثق من براءة هند، ولكنى حين حاطبتها قالت لى وهى باكية: يا أبتاه مازدنا على أن رحلنا إلى رجل يخطىء ويصيب، وما آمن أن يدركه الهوج فيرمينى بفضيحة الأبد.

قال الوليد: قبل أن نُقدم على الكاهن نقدّم له (هند) في خمس فتيات، ونسأله أن يُعيّن صاحبة الأمر من بينهن، فلو اهتدى إلى هند كان عارفا خبيراً، وإن لم يهتد حق لنا أن نكرّ دون احتكام. فأطرق عتبة. وقال: هذا هو الرأى، فلا جدال.

وقام مسافر بن أبى عمرو بإطعام بنى عبد مناف في ركب عتبة، وأقسم ألاّ يغرم أحد شيئا في زاد الرحلة، وجعل يطمئن قومه بما يعرفه من طهارة هند؛ ويؤكد أن الدائرة ستدور على الباغى، فكان بجوده الغامر، ورأيه الحصيف موضع التقدير، ولم يظن أحد شيئاً بعواطفه الدفينة نحو هند، لأنه كان من الحذر البالغ بحيث أخفى كل نبضة تدق في شغاف فؤاده، ثم حانت ساعة الفصل، وتعرّض الكاهن للامتحان فاختار هند من بين الرفيقات، فكان ذلك من دلائل توفيقه، ثم تفرّس فيها، ووضع كفّه على عرقها النابض في الساعد، ثم هتف، قُومى طاهرةً شريفةً، غير آثمة ولا زانية!

فدوّت الزغاريد في رهط بنى عبد مناف، وجاء الفاكه باسماً متهللاً يفتح ذراعيه، ويقول: لقد آمنت بطهارة هند، وهى في مقلتى من الآن، ولكنها صرخت في وجهه شائهة منقبضة. وأقسم عتبة أنه لن يراها بعد الآن، وأن الطلاق إجبارى! فصاح الملأ: ليس غير الطلاق!

تُرى ماذا كان شعور مسافر وقد انقلب إلى مكة مع العائدين، إنه رأى دقات الأمل ترن في أذنه بعد أن ضربت في قلبه، ولكن

الرحلة قد استغرقت ماله! فما عسى أن يقدمه في الصداق المنتظر، وهو من العزة بحيث لا يدلّ بمعروف قدمه للرائحين الغادين في المهمه الفسيح! لقد انتظر حتى يأتي مكة، ويسمر مع صديقه أبي طالب، وقد ينتهيان إلى حل سعيد! وكان عتبة والوليد وشيوخ بني عبد مناف، يستمهلونه كي يقوموا في بعض الأيام بإطعام الركب شفقة على ماله المبعثر، ولكنه يصيح: هذه عادتي! فلماذا أخالفها اليوم، أتريدون أن تلحقوا بي من المعرة ما يعصف بما بنيت من قبل. لا يا قوم، ولو طاحت الرقاب

جاءت الأنباء إلى أبي طالب قبل أن تقدم القافلة بأيام إذ سبق بعض البشراء إلى مكة، يعلنون حكم الكاهن اليمني ببراءة هند. فأدرك أبوطالب أن صاحبه لابد قد فكر في أمر هند بعد خلوصها من الفاكه، وأنه لابد أن يستشيره فيما سيصنع، وهو يعلم أن مسافرا لم يبق لديه ما يقدمه للصداق بعد نهوضه بأعباء الرحلة، فهل يقوم برحلة تجارية ثانية يقضي بها شهورا عدة، ثم يرجع ليجد أحد أشراف قريش قد خطف هند للمرة الثانية؟ ليت أبا طالب كان يملك من المال ما يقرضه إلى صاحبه، وأنَّى، وهو شيخ البطحاء، وذو الأسرة المتخمة بالبنين والبنات فلم يدخر ما يعين؛ لأن تكاليف المروءة وأعباء الأسرة يستنزفان الكثير والقليل! ولكنه إذا عدم المال لم يعدم المشورة الصائبة، وقد أعدّها متدبّرا متمهلا، لتكون موضع التنفيذ!

ولم يكد مسافر بن أبي عمرو يشمّ ريح مكة حتى أسرع إلى لقاء أبي طالب، فاستقبله مسرورا، وقال له مبتسما: فكرت في أمرك يا مسافر، وعندى الحلّ!

فأدرك مسافر أن لدى صديقه ما سيقوله، فصاح به: هيا يا شيخ البطحاء! فقال أبوطالب: لا سبيل إلى رحلة تجارية تقطع الأسابيع والشهور فتفوت الفرصة المواتية، ولكن رحلة قريبة إلى النعمان بن المنذر بالعراق، ترجع منها ذا فضة وذهب وخيل وعبيد!

دُهش مسافر لما يقول أبوطالب، وصاح بصديقه: ومن أنبأك هذا، فقال أبوطالب: أنت الذى أنقذت قافلة النعمان حين تعرّض لها البراض الكناني، فسلمت القافلة، وعادت بالخير من عكاظ إلى الحيرة. وقد قال النعمان حين بلغه الخبر، لو جاءني مسافر بن أبي عمرو لقدمت إليه ما يرضيه، والنعمان جواد سمح، وعطاياه في تميم وأسد وكنانة لا ينكرها أحد. هو سمح متلاف، هيا يا مسافر، فالرجل يعرفك ويحب أن يكافئك!

فتطلع مسافر إلى صديقه وقال: بوركت يا شيخ البطحاء، لقد فتحت عليّ بابا من الأمل، ما كنت أعلم مكانه، ولن أرتاح بعد رحلة اليمن، ولكنّي سأنطلق من الآن، ولن يكون معي غير فرسي ورمحي وعبدان مطيعان! وزاد الطريق..

ترى أكان أبوطالب ينظر إلى الغيب من وراء حجاب! إن النعمان ما كاد يشهد مسافر بن أبي عمرو يتقدم إليه محييا، حتى وقف مرحبا، وقال: أنت صاحب البراض، إن دينك على كبير، ثم أفرد له خيمة بجوار الخورنق ليظل أربعين يوما ضيفا على سيد الحيرة، وتلك عادته مع كبار الأضياف! وكان مسافر يتمنى أن يعقبه النعمان من هذه الضيافة المعروفة، ولكن مراسيم القصر تفرض هذا الواجب، وليس عليه غير الإذعان! ومرت الأيام على مسافر ناعما بما يأكل ويشرب ويتنزه ويصحب، ولكنه في أطواء نفسه ضائق يتململ، ويتمنى لو حملته الريح إلى مكة في لحظات. ثم حان ميعاد الرحيل، فقدم له النعمان أكثر مما كان يتوقع ذهبا وفضة ونعما وعبيدا ورياشا ولباسا، حتى أصبح ذا موكب حافل، وقد حاطه الحراس في طريق العودة كما شاء النعمان! ولا تسل عن آمال مسافر وقد ترعرعت مزدهرة، إذ كان لا يفتأ يتصوّر نفسه وقد قدم على عتبة والد هند بما لم يره من قبل، ثم طرحه جميعه هدية للعروس الحسناء!

وفي الطريق إلى مكة، قابل أبا سفيان بن حرب في تجارة يعتزم القيام بها إلى مشارف العراق، فرأى أبوسفيان من نعيم مسافر وجاهه ما أذهله حتى قال له: ستكون سيد قريش يا مسافر بما تحمل، فردّ عليه مسافر ردّا متواضعا غير مكترث، ثم سأله: ما أنباء عتبة بعد طلاق هند؟ فقال أبوسفيان -ولا يدرى عاقبة ما يقول- لقد تزوجتها منذ عشرين يوما، إذ رضي بي عتبة، وفرحت هند!

لم يكد مسافر يسمع كلمة (رضي بي عتبة وفرحت هند) حتى أحسّ أن الأرض تدور به، وأن السماء تغيم في عينيه، ثم انقلب على الأرض، لا يستطيع أن يتحرك، فقد أصاب الشلل جنبه الأيسر، وعجب أبوسفيان لما شاهد، فحاول أن يطبّ له، ورأى أن الكيّ وسيلة الشفاء، فأوقد نارا حامية، وحمي يعذب مسافر بما يطب، وهو صامت لا ينطق، ثم تيقن أن أجله قريب، فقال لعبديه: سأموت في هذا المكان، إذ قدر لي أن أدفن في (تبالة) فإذا ذهبتما بما أحمل من مال ونعم، فأنتما حرّان، وعليكما أن تسلما كل ما لدى إلى أبي طالب ليفرّقه على البائسين من أهل مكة، فتلك فيه لا تعد؛ قدر لي أن أموت فانتظراني حتى أدفن! ثم دمعت عيناه، متحسرا على الأمل الداوي، والرجاء الفقيد! ومضى يومان حريان كانا خاتمة عهده بالحياة!

جاء الركب إلى أبي طالب، وهو وحده الذى يعرف سر مسافر، فتلقى النبأ جازعا غير هادئ، وتساقطت من عينه عبرات حارة كاوية، ثم أمّ دار الندوة ليفرّق مال مسافر في بيوت المحتاجين، تنفيذاً لمشيئته، حتى إذا فرغ من مهمته، رجع إلى بيته حزينا يردد رثاءه لمسافر، وقد حفظ التاريخ منه قوله:

ليت شعرى مُسافرَ بن أبي عمرو

وليتٌ يقولها المحزونُ

بورك الميت الغريبُ كما بو

رك نضر الريحان والزيتون

بيتُ صدق على (تبالة) قد حا

لت فياف من دونه وحزون

يرجع الركب سالمين جميعا

وصديقي بأرضها مدفون!

نشأة العلم الإسلامي ومناهجه



نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً

ثانياً: طبيعة البحث العلمي ومناهجه

لما كانت العلوم الكونية تعني في الأساس بدراسة الظواهر الجزئية للكون والحياة وفق مناهج علمية مناسبة، بغية الكشف عن القوانين العلمية التي تصف السلوك الفعلي لتلك الظواهر، فإن «الموضوعية العلمية» تعتبر خاصية أساسية من خصائص المعرفة العلمية، ويقصد بها إمكان استعادة النتائج العلمية والتثبت من صحتها لدى أكثر من باحث، إذا أجريت التجارب المؤدية إليها تحت نفس الظروف ووفق نفس المنهج[١].

وعندما ترقى هذه النتائج في سلم الترقي المعرفي إلى مستوى الحقائق العلمية، فإنه يمكن إدراكها لدى أكثر من باحث بنفس الطريقة، أو بطرق مختلفة. وهذا التصور المثالي «للموضوعية العلمية» (Scientific Objectivity) أدى إلى الاعتقاد بضرورة اعتبار الحقائق العلمية مستقلة تماماً عن الذات الباحثة عنها، وغير خاضعة لميول الباحثين ومصالحهم.

والالتزام بالموضوعية العلمية على هذا النحو يعتبر سمة أساسية أيضاً من سمات الباحث العلمي، تتطلب حيدته ونزاهته وصبره ومقدرته على الاستدلالات الصحيحة التي تميز الإدراك الموضوعي لجوانب الظاهرة المعنية، كما تتطلب أن يرى الأشياء على ما هي عليه، وأن يكون أميناً ودقيقاً في عرض النتائج التي يحصل عليه، حتى وإن خالفت اعتقاداً سابقاً له أو للمجتمع الذي يعيش فيه، وأن يكون مستعداً لأن يقبل ما دلّت عليه المشاهدة، وما كان نتيجة للتجربة أو لازماً عقلياً من لوازمها، دون تدخل بالتعديل أو الحذف.

وليس هناك من شك في أن هذا التصور المثالي «للموضوعية العلمية» المطلقة هو ما يجب أن يسعى إليه العلماء والباحثون، ويكون عليه اتجاه بحثهم، إلا أن صدق قضايا العلم وقوانينه يجب ألا يعني اليقين المطلق، الأمر الذي يترتب عليه أن تكون نتائج العلم نهائية مطلقة، وهو ما لا يتفق مع استمرارية مسار التطور العلمي واتصاله عبر العصور. فالموضوعية تعني، بمفهوم أشمل، أن

(١) يُعرف «الموضوع» بوجه عام بأنه مادة البحث ومسائله. ويطلق وصف «موضوعي» على كل موضوع يساوي علاقته بجميع المشاهدين برغم اختلاف الزوايا التي يشاهدون منها «المعجم الفلسفي» - إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

نظرة للكونية ذات طبيعة عقلية، وليس لأصل الإنسان أو نوعه أو ذاتيته أي تدخل في حسم موضوعات العلم.

أما المنهجية العلمية (Scientific Methodology) فهي الطريقة التي يتبعها الباحث معتمداً على خطة واعية بهدف الوصول إلى نتيجة راجحة الصدق واليقين تمثل معرفة علمية جديدة يفاد منها في الحياة. وهذه الخاصية من خصائص التفكير العلمي والبحث في موضوعات العلوم المختلفة هي أساس التقدم العلمي، ولهذا يوصف العلم بأنه «معرفة منهجية»، وبهذا يكون «العلم» مميزاً عن «اللا علم» الذي يفتقر إلى التخطيط والتنظيم.

والقول بالمنهجية العلمية لا يعني أن للعلم منهجاً واحداً ثابتاً لا يتغير، فهذا فهم لا يعبر عن حقيقة العلم وطبيعة البحث العلمي وتطوره عبر العصور. وإن شئنا مثالاً يوضح العلاقة بين تطور العلم ومناهجه، فإننا نشير إلى العلم الإغريقي الذي قام على منهج فلسفي يعتمد على تأملات العقل الخالص، ولا يعوّل على دور الملاحظات والتجارب العلمية. فقد كانت اجتهادات فلاسفة الإغريق مجرد آراء فلسفية ذاتية تختلف من فيلسوف لآخر، ويعتمد ذيوعها وانتشارها على شهرة أصحابها. فهناك مثلاً من كان يعتقد أن الإبصار يتم بخروج الضوء من العين وسقوطه على الجسم المرئي، أو يعتقد بوجود اتصال بين الجسم والعين، وهناك من قال بفكرة انطباع صور الأشياء في العين، دون أن يرد منها شيء للعين، لأن الضوء ليس له وجود في ذاته. لكن كل هذه الآراء لم تخرج عن كونها تأملات فلسفية ذاتية لا يمكن الوثوق في صحتها دون إخضاعها للاختبار التجريبي.

وكان يمكن أن يظل الوضع على هذه الحال ولا يتقدم العلم خطوة واحدة، لولا علماء الحضارة العربية الإسلامية الذين فطنوا إلى أهمية الملاحظة والتجربة في دفع حركة العلم واستنباط القوانين العلمية الجديدة. فهذا جابر بن حيان كان يوصي تلاميذه بالاهتمام بالتجربة وعدم التعويل إلا عليها، مع التدقيق والملاحظة والاحتياط وعدم التسرع في الاستنتاج، وفي هذا يقول: «وأول واجب أن تعمل وتجري التجارب، لأن من لا يعمل ويجري التجارب لا يصل إلى أدنى مراتب الإتقان، فعليك يا بني بالتجربة لتصل إلى المعرفة»... وهذا هو أبو عبدالله القزويني الذي دعا إلى الصبر والمثابرة على البحث العلمي، ونصح المشتغلين بالعلم أن يتثبتوا ولا يتعجلوا، فقال: «إياك أن تفتر أو تمل، إذا لم تُصب في مرة أو مرتين، فإن ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع، فإذا رأيت مغناطيساً لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته، واصرف عنايتك إلى البحث عن أحواله حتى يتضح لك أمره».

ثالثاً: وثيقتان تاريخيتان لابن الهيثم

(أ) منطق الكشف العلمي

أحرز الحسن بن الهيثم قصب السبق في التأكيد على طبيعة العلم بأنه بحثٌ ونقد وتمحيص، ويجب على العالم أو الباحث ألا يسترسل فيه مع سجيته في حسن ظنه بغيره من العلماء، أو في ثقته بنفسه، سواء قبل الشروع في إجراء الخطوات التنفيذية للبحث في ظاهرة ما، أو بعد الوصول إلى النتيجة النهائية الخاصة بالظاهرة

نفسها، يقول ابن الهيثم في مقالته «الشكوك على بطلميوس» ما نصه:

«الحق مطلوب لذاته، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده، ووجود الحق صعب، والطريق إليه وعر. والحقائق منغمسة في الشبهات، وحسن الظن بالعلماء في طباع جميع الناس. فالناظر في كتب العلماء، إذا استرسل مع طبعه، وجعل غرضه فهم ما ذكروه، وغاية ما أوردوه، حصلت الحقائق عنده هي المعاني التي قصدوا لها، والغايات التي أشاروا إليها. وما عصم الله العلماء من الزلل، ولا حمى علمهم من التقصير والخلل. ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء في شيء من العلوم، ولا تفرقت آراؤهم في شيء من حقائق الأمور، والوجود بخلاف ذلك. فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين، المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم، بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم، المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع الحجة والبرهان، لا قول القائل الذي هو إنسان، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان. والواجب على الناظر في كتب العلوم، إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصماً لكل ما ينظر فيه، ويجيل فكره في متنه وفي جميع حواشيه، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتهم أيضاً نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسمح فيه. فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق، وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشبه»[2].

لقد أفصح الحسن بن الهيثم في هذا النص التراثي عن معنى «الشك العلمي» لدى الذات الباحثة، وكأنه بذلك يعبِّر عن إحدى صور التداخل الذاتي المرغوبة في البحث العلمي، والمتصل بما عبر عنه حديث فيلسوف العلم «كارل بوبر» في مبدأ «قابلية التكذيب» ومنطق الكشف العلمي[3]. وتظهر روعة «الموضوعية المنهجية» عند ابن الهيثم في أنه يقدم مبدأ الشك في منهج نقدي تجريبي قادر على بلوغ الحقيقة العلمية الخبرنية بأكبر قدر ممكن من اليقين. أما «كارل بوبر» الذي يعرِّف العبارة العلمية بأنها التي يمكن إخضاعها باستمرار لمعيار «الدحض» والتكذيب، وكان الوضعيون يعرِّفونها بأنها العبارة التي يمكن التثبت منها بالمشاهدات التجريبية. فقد اعتبر أن تفسير المشاهدات يقع في النهاية على عاتق المشاهد، ويخضع لميوله وثقافته العلمية والنظرية التي كان يجري تجاربه في ضوئها، وعلى ذلك فمهما كان عدد المشاهدات، ومهما كان التزامنا بالاستقراء، فلن يكفي ذلك لتأييد الفروض العلمية الصحيحة، ولكننا، على العكس، لو أخضعنا الفروض العلمية للدحض المستمر، يزيد احتمالها ومحتواها التجريبي وما تخبرنا به عن العالم. فإذا ثبت الفرض أمام الدحض المستمر فقد برهن على صحته، ومن ثم يمكن قبوله مؤقتاً. لكننا لن نتوقف عن محاولة فحصه لدحضه وتكذيبه.

لكن بوبر، في منطقه للكشف العلمي، لا يرى في العلم إلا مجموعة من العبارات التي استقر العمل والاعتراف بها، ولا يمكن أن يدّعي أنه قد توصل إلى الحقيقة، أو حتى ما يشابهها، كان يكون حتماً لا. فنحن - فيما يرى بوبر - لا نعلم، بل نخمن فقط. أما الحسن بن الهيثم - بمنطقه الإسلامي - فيرى «أن الحق واحد وأن الاختلاف فيما هو من جهة السلوك إليه». ويرى أنه لا يصل إلى الحق إلا من آراء يكون عنصرها الأمور الحسية وصورتها العقلية. وعلى هذا الأساس وحده رغبته وحرصه إلى إدراك ما به تنكشف غوايات الظنون وتنقشع غيابات المتشكك المظنون. وبعض عزيمته إلى تحصيل الرأي المقرب إلى الله[4].

(ب) المنهج العلمي التجريبي:

نعلم اليوم أن منهج البحث والتفكير في العلوم الكونية يكون بالاستقراء والتدرج من إدراك الأخص إلى معرفة الأعم. أو من الحكم على البعض أو الجزء إلى الحكم على الكل على سبيل التعميم، وذلك بملاحظة الجزئيات وإجراء التجارب عليها كلما أمكن. ثم الارتقاء إلى نتائج عامة في صورة «قوانين» تضيف جديداً إلى العلم، وتسهم في فهم تصور الإنسان للكون وحسن الإفادة من ظواهره. وإذا شئنا مثالاً يوضح معنى المنهج التجريبي الاستقرائي، أو الطريقة الاستقرائية ودورها في استخلاص القوانين والنظريات. فإن من يجرب تأثير الحرارة على عدد من المواد سوف يجد أن كلاً منها يتمدد بالحرارة، فالنحاس والنيكل والألومنيوم والحديد. كلها فلزات تتمدد بالحرارة. ويمكن بالاستقراء الوصول إلى تعميم يقضي بأن «كل الفلزات تتمدد بالحرارة»، فيكون بمثابة «نظرية علمية»[5].

وقد سبق الحسن بن الهيثم إلى صياغة هذا المنهج والعمل به في كتابه الشهير «المناظر»، حيث يقول:

«... ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات، وتصفُّح أحوال المبصرات «المرئيات»، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط بالاستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس. ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب، مع انتقاد المقدمات، والتحفظ من الغلط في النتائج. ونجعل في سائر ما نميزه ونتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء، فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي يثلج به الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين. ونظفر، مع النقد والتحفظ، بالحقيقة التي يزول معها الخلاف، وتنحسم بها مواد الشُّبهات. وما نحن من جميع ذلك براء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية، ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية، ومن الله نستمد العون في جميع الأمور»[6].

بهذه «الوثيقة التاريخية» يسجل الحسن بن الهيثم براءة الإبداع للمنهج العلمي التجريبي قبل أن يتحدث عنه «فرنسيس بيكون» في كتابه «الأورجانون الجديد» بعدة قرون.

---

(٢) الحسن بن الهيثم، الشكوك على بطلميوس، مرجع سبق.

(٣) كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، الترجمة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٦م.

(٤) د. محمد [illegible] في الفكر العلمي [illegible] القاهرة ١٩٩١م.

(٥) د. أحمد فؤاد باشا، مستقبليات العرب في عالم متغير، دار الرشاد، القاهرة ٢٠٠٧م، مكتبة الأسرة ٢٠٠٨م.

(٦) المرجع السابق.

لماذا ظهر التحريم للموسيقى والغناء؟!

دكتور محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

فى موقف الفقهى من الموسيقى والغناء حلال أم حرام؟.. وقف «فقه الجمود والتقليد» - فى عصر تراجعنا الحضارى - عند الفتاوى التى حرمت الغناء المحرم، فعمم هذه الفتاوى على جميع ألوان الموسيقى والغناء!.. ثم ذهب «فقهاء الجمود والتقليد» ليدعموا هذا الخطأ المنهجى فاستندوا إلى مرويات ساقطة، بمنطق «الرواية» و«الدراية» جميعا، تؤكد على هذا التحريم، بإطلاق وتعميم..

تلك هى الأسباب التى أحدثت اللغط، فجعلت الغناء عند البعض حراما بإطلاق، وأخرجته من الحلال المباح فى ذاته، والذى تعرض له الحرمة أو الكراهة أو الندب أو الوجوب بسبب ما يعرض له من المقاصد والملابسات..

الفتاوى

فلقد روى عن كثير من فقهاء الأمة الفتاوى المتعارضة فى حكم الغناء، فى العصر الواحد، والمذهب الواحد، والمدينة الواحدة.. بل وروى عن الفقيه الواحد الفتاوى المتناقضة فى حكم الغناء إباحة وكراهة وتحريما..

- فروى عن الإمام أبى حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ ٦٩٩ - ٧٦٧م) كراهة الغناء.. بينما العنبرى، عبيدالله بن الحسن العنبرى (١٠٥-١٦٨هـ ٧٢٣ - ٧٨٥م) - القاضى والفقيه والمحدث - لا يرى به بأسا.

- ولقد روى عن الإمام مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ ٧١٢- ٧٩٥م) تحريم الغناء.. فى حين كان قاضى المدينة ومحدثها الزهرى، إبراهيم بن سعد (١٨٣هـ ٧٩٩م) لا يرى به بأسا.

- وروى عن الإمام الشافعى، محمد بن إدريس (١٥٠- ٢٠٤هـ ٧٦٧ - ٨٢٠م) أنه مكروه يشبه الباطل.

- وروى عن الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ ٧٨٠ - ٨٥٥م) فى الغناء ثلاث روايات: الحل، والكراهة، والحرمة.

وإذا كان غير معقول ولا وارد تضارب وتناقض الفتاوى عند الإمام الواحد، وفى المذهب الواحد، والعصر الواحد، والمدينة الواحدة، للون واحد من الغناء.. فإن المتبادر إلى العقل الفقهى هو أن تعدد الفتاوى قد نتج عن تعدد ألوان الغناء لدى سائل الفقيه عن حكمه، فالإفتاء بالحل، أو بأنه لا بأس به كان عن الغناء المباح.. والتحريم كان للغناء الحرام.. والكراهة كانت للغناء المكروه.

ويشهد لذلك أن تحريم الإمام مالك إنما كان، تحديدا، للغناء المحرم، إذ المروى عنه أن جوابه إنما كان على سؤال عن الغناء الذى أحدثه الفُسّاق فى المدينة.. فلقد سئل عن هذا اللون تحديدا، فقال: «إنما يفعله عندنا الفُسّاق»..

أما الغناء الذى رآه الإمام الشافعى مكروها يشبه الباطل، فلقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٨هـ ١٢٦٣- ١٣٢٨م) إلى نوعه عندما تحدث عن ملابسات هذه الفتوى، فقال: إن الشافعى، بعد أن غادر بغداد إلى مصر، تحدث عن لون من الغناء، أحدثته الزنادقة ببغداد، اسمه «التغبير»، أحدثوه ليصدوا به الناس عن القرآن الكريم.. ونص عبارة ابن تيمية: «قال الشافعى، رضى الله عنه: خلّفتُ ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة، يسمونه «التغبير» يصدون به الناس عن القرآن».

وهذا التغبير - تحديدا - الذى أحدثته الزنادقة ببغداد، ليصدوا به الناس عن القرآن الكريم، هو الذى كرهه الإمام أحمد بن حنبل.. ومرجعنا فى ذلك - أيضا - ابن تيمية، الذى يقول: إن الإمام أحمد سئل - فى بغداد - عن هذا التغبير، فقال: «أكرهه، هو محدث».. أى أنه ليس الغناء الذى عرفه المسلمون منذ صدر الإسلام[1].

فاختلاف الفتاوى، وتراوحها بين الحل والكراهة والحرمة، راجع إلى اختلاف أصناف الغناء.. فهو حلال فى ذاته، وككل المباحات تعرض له أحكام الكراهة والحرمة بسبب ما يعرض له ويلحق به - فى الكلام واللحن والأداء والمقاصد - فليس كله مباحا بإطلاق وتعميم، ولا حراما بإطلاق وتعميم، إنه كلام ولحن وأداء، حسنه حسن وقبيحه قبيح.. ولقد حدد الراشد

---

(١) الشافعى [illegible] ..

والقرطبى (الجامع لأحكام القرآن) جـ١٤ ص٥٥، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة. وابن تيمية (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) جـ١١ ص٥٦٩، طبعة المملكة العربية السعودية.

الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا المعيار عندما قال للإمام الذي إذا فرغ من صلاته تغنى: «إن كان كلامك حسنًا فله معك، وإن كان قبيحًا فيبعدنه عنه» فلما سمعه، ورآه حسنًا، غنى به عمر، وقال: «على هذا فليغنّ من غنّى».

لكن آفة الاجتزاء، ثم التعميم والإطلاق لهذا المجتزأ، وإهمال السياقات والملابسات، هي التي تشوه فقه الفقهاء(1).

المرويات المحرمة للغناء

أما المرويات والمأثورات التي تحرم الغناء والمعارف، فلقد ثبت بمقاييس الرواية ومعايير الجرح والتعديل للرواة، أن جميعها مطعون فيه، وليس فيها حديث واحد صحيح.. ومع ذلك روجها وأشاعها واستخدمها الذين لا دراية لهم بصناعة الحديث ومقاييس صحته، من الذين وصفهم الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر (٤٤٨ - ٥٠٧هـ ١٠٥٦ - ١١١٣م) ابن القيسراني - صاحب (تذكرة الموضوعات) و(أطراف الكتب الستة) و(الجمع بين كتابي الكلاباذي والأصبهاني في رجال الصحيحين) - عندما تحدث عن هذه المرويات فقال: «هذه الأحاديث وأمثالها احتج بها من أنكر السماع - (الغناء) - جهلًا منهم بصناعة علم الحديث ومعرفته. فترى الواحد منهم إذا رأى حديثًا مكتوبًا في كتاب جعله لنفسه مذهبًا، واحتج به على مخالفه. وهذا غلط عظيم، بل جهل جسيم»(2).

ابن حزم

ولقد عرض ابن حزم الأندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ ٩٩٤-١٠٦٤م) - وهو ظاهري المذهب، بصناعته النصوص، وعمدة في نقد المرويات - عرض لهذه «الأحاديث» في رسالته (رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محظور)؟ وفي كتابه (المحلى)، فانتقد أسانيد جميع هذه المرويات تفصيلًا.. ولقد اتفق معه في نقد أسانيد هذه المرويات علماء الجرح والتعديل، من مثل الحافظ الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ ١٢٧٤-١٣٤٨م) صاحب (ميزان الاعتدال) وابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ ١٣٧٢-١٤٤٩م) صاحب (لسان الميزان).. فقال ابن حزم في نقد هذه المأثورات:

١- حديث السيدة عائشة، رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها»(3).

في رواة هذا الحديث «سعيد بن أبي رزين، عن أخيه.. وكلاهما لا يدرى أحد من هما».

٢- حديث محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء» ومنها: «واتخذت القينات، والمعازف»(4).

«جميع رواة هذا الحديث إلى يحيى بن سعيد لا يدرى من هم ويحيى بن سعيد لم يرو عن محمد بن الحنفية كلمة، ولا أدركه».

(2) النويري (نهاية الأرب) ج4 ص147-160 طبعة دار الكتب المصرية القاهرة

(3) مجمع الزوائد للهيثمي 4/91

(4) تاريخ بغداد للخطيب ج3 ص158

٣- حديث معاوية: «أن رسول الله ﷺ، نهى عن تسع.. منهن الغناء»(5).

في رواة هذا الحديث «كيسان، ولا يدرى من هو، ومحمد بن مهاجر، وهو ضعيف». وفي هذا الحديث النهي عن الشعر، والأمة مجمعة على إباحته.. ولقد كان سلاحا من أسلحة الدعوة الإسلامية منذ عصر النبوة.

٤- حديث سلام بن مسكين، عن شيخ شهد ابن مسعود يقول: «الغناء ينبت النفاق في القلب».

في رواة هذا الحديث شيخ لم يسم، ولا يعرفه أحد.

٥- حديث أبي أمامة: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لا يحل تعليم المغنيات ولا شراؤهن ولا بيعهن ولا اتخاذهن، وثمنهن حرام، وقد أنزل الله ذلك في كتابه:

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾

(لقمان: ٦)

والذي نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته بالغناء إلا ارتدفه(6) شيطانان يضربان بأرجلهما صدره وظهره حتى يسكت»(7).

في رواة هذا الحديث «إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف، والقاسم، وهو مثله: ضعيف». ثم، إذا كان الغناء حرامًا، فلم تضرب الشياطين المغني، بدلًا من أن تفرح بمعصيته؟!..

(أ) أن رسول الله ﷺ، قال: «إن المغني أذنه بيد شيطان يرعشه حتى يسكت».

(ب) وأنه قال: «إن الله حرّم تعليم المغنيات وشراءهن وبيعهن وأكل أثمانهن».

وأحاديث عبد الملك كلها هالكة.

٨- حديث البخاري: «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر(8) والحرير والخمر والمعازف».

لم يورده البخاري مسندًا(9)، وإنما قال فيه: قال هشام بن عمار. ثم هو إلى أبي عامر، أو إلى أبي مالك، ولا يدرى أبو عامر هذا.

وأنا أضيف إلى القدح في إسناد هذا الحديث، أنه يتكلم عن قوم يستحلون الزنا والخمر، ويقرنون مجالس الزنا والخمر هذه بالمعازف، التي أصبحت عونًا على الكبائر والفواحش.. فليست المعازف هنا مفردة، ولا مرادة لذاتها.

حديث لرواة مجهولين!!

٩- حديث أنس، قال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى قينة صب في أذنه الآنك يوم القيامة»(10).

(5) المرجع السابق 8/336

(6) ارتدفه: ركب وراءه وتبعه من ورائه

(7) المعجم الكبير للطبراني 8/242

(8) [illegible]

(9) الحديث المسند: هو ما اتصل إسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(10) [illegible]

أما هذا الحديث «[illegible]» لأنه عن قوم مجهولين.. ومن رواته أبو نعيم- عبيد بن محمد- وهو ضعيف.. وهو يروى عن ابن المبارك. ولم يلقه. وفيه مالك. وهو منكر جدا.. ومالك هنا يرويه عن ابن المنكدر مرسلا.

١٠- حديث ابن شعبان.. عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قول الله عز وجل:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

(قال: الغناء)

وأحاديث ابن شعبان هالكة.

ثم.. إنه مع التسليم بأن المراد باللهو هنا الغناء، فهو ليس مطلق الغناء، ولا كل الغناء، وإنما هو الغناء الذي يتخذه المشركون ليضلوا به عن سبيل الله، وليتخذوا سبيل الله هزوا.. فحرمته ليست لذاته وإنما لتوظيفه في الإضلال عن سبيل الله.. وكل ما يضل عن سبيل الله حرام حتى ولو كان واجبا أو مندوبا في ذاته..

١١- حديث ابن أبي شيبة.. عن أبي مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول: «يشرب ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، تضرب على رؤوسهم المعازف والقينات. يخسف الله بهم الأرض».[11]

في رواة هذا الحديث «معاوية بن صالح، وهو ضعيف، ومالك بن أبي مريم، ولا يدرى من هو».

وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن المعازف والقينات هنا قد وظفت في مجلس الخمر، فأصبحت عونا على مقارفة الكبائر والخبائث، فحرمتها لما عرض لها، وليس لذاتها إنما هي وظفت في الترويح البرىء عن النفس والقلب، وتجديد ملكات وطاقات الإنسان لتزداد كفاءته في النهوض برسالته في عمران الحياة الدنيا

١٢- حديث: «نهى ﷺ عن صوتين ملعونين، صوت نائحة، وصوت مغنية».[12]

وهو حديث لا يُدرى من رواه.

١٣- حديث عقبة بن عامر الجهني: «قال رسول الله، ﷺ: كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا رمي الرجل بقوسه، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته امرأته. فإنهن من الحق».[13]

وفي رواة هذا الحديث عبدالله بن زيد بن الأزرق، وهو مجهول.

وللحديث طريق آخر، في رواته خالد بن زيد، وهو مجهول.

وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن الحديث لا يحصر اللهو الحق في هذه الثلاثة، وإنما يقول: إنها «من الحق»، ولم يقل إنها كل الحق، أو جميعه -وفي الحديث الآتي يجعلها أربعة، لا ثلاثة! -ويغاير فيها.

وحديث مشوش

١٤- حديث: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لعب لا يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة».[14]

وهذا الحديث «مغشوش مدلس دلسة سوء، لأن الزهري المذكور في رواته ليس هو ابن شهاب، لكنه رجل زهري مجهول اسمه عبدالرحمن».

ولهذا الحديث طريق آخر، في رواته: عبدالوهاب بن بخت، وهو غير مشهور بالعدالة.

ثم إن هذا الحديث ليس فيه تحريم.. فاللعب -كما في هذه الرواية- و«السهو واللغو» -كما في روايته الأخرى- غير التحريم.. بل إن استثناء هذا الحديث لأربعة أنواع من اللعب، واستثناء الحديث السابق لثلاثة أنواع من اللهو، دليل على أن الحصر غير مراد..

١٥- حديث عائشة، رضي الله عنها، قال رسول الله، ﷺ: «من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه».[15]

في رواة هذا الحديث: هاشم، وعمر، وهما مجهولان.. ومكحول لم يلق عائشة.

وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن هذا الحديث، يكفر بالمعصية. فيجعل اقتناء المغنية مُخرجا من الملة، يستوجب عدم الصلاة على صاحبها بعد موته -وهو ما ترفضه كل فرق أهل السنة والجماعة..

١٦- حديث عبدالله بن عمر: قال رجل: يا رسول الله، لي إبل فأحدو فيها؟ قال: «نعم»، قال: أفأغني فيها؟ قال: «اعلم أن المغني أذناه بيد شيطان يرغمه حتى يسكت».

في رواة هذا الحديث عبدالملك، وهو هالك، والعمري الصغير، وهو ضعيف.

وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن معنى هذا الحديث، غير مستقيم، وتتنزه عنه بلاغة الرسول، ﷺ، فصحة العبارة كانت تقتضي أن الشيطان يمسك بفم المغني حتى يسكت. لأن الفم هو أداة الغناء، لا الأذن. فليست أداة الغناء [illegible]. ثم لم يغضب الشيطان من المغني حتى يسكت.. بينما العكس هو المنطقي!..

تلفيق يشي بالغفلة

١٧- حديث أبي هريرة: قال رسول الله، ﷺ: «يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير، قالوا: يا رسول الله، يشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟! قال: «نعم، ويصلون ويصومون ويحجون». قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: «اتخذوا المعازف والقينات والدفوف، ويشربون هذه الأشربة، فباتوا على لهوهم وشرابهم فأصبحوا قردة وخنازير».[17]

هذا الحديث مروى عن رجل لم يُسمَّ، ولم يُدرَ من هو.

وعلاوة على نقد ابن حزم للسند.. فهذا

---

(11) مصنف ابن أبي شيبة [illegible]

(12) [illegible] لا تعرف للألباني

(13) المعجم الكبير للطبراني ج١٧ / ٣١٦

(14) العرض.. هو الهدف

(15) مجمع الزوائد للهيثمي- ٥/٦٩

(16) القرطبي، ج١٤/ ٥٤

(17) الدر المنثور، ٢/٣٦٤

«الحديث» لا يتسق مضمونه مع ثوابت عقائد الإسلام، فالذى يحبط الإيمان والعمل الصالح، فى الإسلام، هو الشرك والكفر والردة، وليس اقتراف المعصية.. وفى ألفاظ «الحديث» تلفيق يشى بالعملة، لأنه يضع «الدفوف» بين المحرمات، بينما الإجماع منعقد على حلها، حتى من الذين يحرمون أدوات الموسيقى الأخرى.. وأخيرا، فهذا المأثور يتحدث عن توظيف المعازف والقينات والدفوف فى تهيئة مجالس الخمر التى تدوم حتى الصباح، فتحريمها هنا لما عرض لها من المقاصد والوظائف المحرمة، وليس لذاتها..

١٨- حديث أبى أمامة: قال رسول الله، ﷺ: «تبيت طائفة من أمتى على لهو ولعب، وأكل وشرب، فيصبحوا قردة وخنازير، يكون فيها خسف وقذف، ويبعث على حى من أحيائهم ريح فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم باستحلالهم الحرام، ولبسهم الحرير، وضربهم الدفوف، واتخاذهم القينات».[١٨]

تفسير يعارض الاحاديث النبوية الشريفة

فى رواة هذا الحديث الحارث بن نبهان، وهو لا يكتب حديثه، وفرقد السبخى، وهو ضعيف، وسليم بن سالم، وحسان بن أبى سنان، وعاصم بن عمر، وهم غير معروفين.

وعلاوة على نقد ابن حزم لسند هذا «الحديث» فإن فى متنه تخليطا كبيرا.. فهو يتحدث عن قوم يستحلون المحرمات، وهذا كفر يخرج أصحابه من الملة، بينما هو يتحدث عن طائفة من أمة محمد، ﷺ!.. ثم هو يضع الأكل والشرب والدفوف فى سياق الكبائر المحرمة، وهذا مما لم يقل به عاقل.. ثم هو ينسب إلى رسول الله، ﷺ، التنبؤ بهلاك طائفة من أمته -أى من المؤمنين- بما هلكت به الأمم السابقة، الذين أشركوا وطغوا وبغوا.. وهذا العذاب مما رحم الله منه أمة محمد، ولم يقع فيها على كثرة ما ارتكب فيها من الأعمال التى أشار إليها «الحديث»!..

١٩- حديث أبى أمامة: قال رسول الله، ﷺ: «إن الله بعثنى رحمة للعالمين، وأمرنى بمحو المعازف، والمزامير، والأوثان، والصلب، لا يحل بيعهن ولا شراؤهن ولا تعليمهن ولا التجارة بهن وثمنهن حرام».[١٩]

فى رواة هذا الحديث القاسم، وهو ضعيف.

٢٠- أما التفسير المنسوب إلى عدد من المفسرين للقرآن الكريم، والقائل إن المراد باللهو فى الآية:

﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ﴾

(لقمان ٦)

هو الغناء.. فضلا عن ما فى هذا التفسير من تعارض مع الأحاديث النبوية الصحيحة التى جاء فيها الكلام عن «الغناء» باسم «اللهو» -«ما كان معكم لهو؟.. فإن الأنصار يعجبهم اللهو.. هل من لهو؟.. قد رخص لنا فى اللهو عند العرس» -فإن ابن حزم يراه مجرد تفسير مفسرين، وليس حديثا عن رسول الله، ﷺ، ولا ثبت عن أحد من الصحابة، وإنما هو قول بعض المفسرين، ممن لا يقوم بقوله حجة، وما كان هكذا لا يجوز القول به. ثم لو صح هذا التفسير ما كان فيه متعلق. لأن الله تعالى يقول -فى الآية.. عن مقاصد محاد هذا اللهو

﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾

وكل شىء يقتنى ليضل به عن سبيل الله فهو إثم وحرام، ولو أنه شراء مصحف أو تعليم قرآن».

إنما الأعمال بالنيات

هكذا أورد ابن حزم -وهو الخبير الحجة فى نقد النصوص- كل ما يتعلق به دعاة تحريم الغناء من المرويات، وأبرز عللها، فأسقط حجيتها عندما أثبت افتقارها إلى شروط الثبوت.. ثم عقب على كل ذلك بقوله: «ولا يصح فى هذا الباب شىء أبدا، وكل ما فيه فموضوع. والله لو أسند جميعه أو واحد منه فأكثر من طريق الثقات إلى رسول الله، ﷺ، ما ترددنا فى الأخذ به.. فلا حجة فى هذا كله لوجوه:

- أحدها: أنه لا حجة لأحد دون رسول الله، ﷺ.
- والثانى: أنه قد خالف غيرهم من الصحابة والتابعين- (الذين رووا حل الغناء، فى أحاديث صحيحة.. واستمعوا له واستمتعوا به)-
- والثالث: أن نص الآية-

﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ﴾

يبطل احتجاجهم بها، لأن فيها

﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ﴾

(لقمان ٦)

وهذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف، إذ اتخذ سبيل الله هزوا. ولو أن امرءا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزوا لكان كافرا. فهذا هو الذى ذم الله تعالى، وما ذم قط، عز وجل، من اشترى لهو الحديث ليتلهى به ويروح نفسه، لا ليضل عن سبيل الله تعالى، فبطل تعلقهم بقول كل من ذكرنا.

وكذلك من اشتغل عامدا عن الصلاة بقراءة القرآن، أو بقراءة السنن، أو بحديث يتحدث به، أو ينظر فى ماله، أو بغناء، أو بغير ذلك فهو فاسق عاص لله تعالى، ومن لم يضيع شيئا من الفرائض اشتغالا بما ذكرنا فهو محسن.

إن رسول الله، ﷺ، قال: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى»[٢٠]، فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق، وكذلك كل شىء غير الغناء، ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل، وينشط نفسه بذلك على البر، فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق. ومن لم ينو طاعة ولا معصية، فهو لغو معفو عنه، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها، وقعوده على باب داره

(١٨) [illegible]

(١٩) مسند الإمام أحمد ٢٦٨/٣

(٢٠) رواه البخارى ومسلم وأبوداود والنسائى وابن ماجة

مفرجا، وصباغة ثوبه لا زورديا[21] أو أخضرا أو غير ذلك، ومد ساقه وقبضها، وسائر أفعاله. فبطل كل ما شغبوا به بطلانا متيقنا، ولله تعالى الحمد، وما نعلم لهم شبهة غير ما ذكرنا»[22].

وإذا كان الإمام البخاري قد عقد في صحيحه لهذا الموضوع بابا جعل عنوانه «كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله». فمعنى ذلك أن اللهو -أي الغناء- كلاما ولحنا وأداء الذي لا يشغل عن طاعة الله ليس باطلا، ومن باب أولى ليس مكروها ولا حراما.. وإنما هو من المباحات..

[illegible]

وإذا كان سقوط أدلة التحريم، وتجريح أسانيد مروياتها، كافيا في البرهنة على إباحة الغناء -حتى ولو لم يرد عن الشارع نص في الإباحة، وتطبيقات عملية لهذه السنن، لأن الغناء كغيره من المناشط الدنيوية الداخلة فيما هو متجدد ومتغير من الإبداعات الإنسانية.. أي أنها مناشط دنيوية، لا شعائر دينية -يكفي في حلها وإباحتها ألا تخالف ما جاء به الشارع، ولا يشترط لهذه الإباحة وهذا الحل أن تكون مما جاء به الوحي ونطق به الشارع- كما هو الحال في الشعائر الدينية والمناسك العبادية، التي هي توقيفية، وكل مالم يرد فيها دين وشرع فهو رد- إذا كان هذا كافيا في حل الغناء وإباحته، كما هو كاف في السياسة -مثلا- التي تكتسب حلها بل وشرعيتها- من عدم مخالفتها لما ورد، وليس من ورودها عن الشارع -كما قال الإمام السلفي أبوالوفاء ابن عقيل البغدادى (٤٣١- ٥١٣ هـ ١٠٤٠- ١١١٩م) في مناظرته لأحد فقهاء الشافعية- وهي المناظرة التي نقلها الإمام ابن قيم الجوزية (٦٩١- ٧٥١هـ ١٢٩٢- ١٣٥٠م): «فالسياسة العادلة هي ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحي.. وهي شرعية لأنها لم تخالف ما نطق به الشرع، لا لأن الشرع قد نطق بها»[23].

إذا كان كافيا في حل الغناء، وإباحته في ذاته، عدم مخالفته لما ورد عن الشارع -وهو ما ثبت بسقوط وتجريح أسانيد المرويات التي تحدثت عن التحريم، والتي «شغب» بها دعاة التحريم- كما يقول ابن حزم- .. فما بالنا وقد صحت عن رسول الله، ﷺ، الأحاديث التي أباحت الغناء، واستحسنته، والممارسات التي وضعت تلك النصوص في التطبيقات بمجتمع النبوة وصدر الإسلام؟!

---

(٢١) [illegible]

(٢٢) انظر تفصيل ذلك -لابن حزم الأندلسي- في (رسالة في الغناء الملهي، مباح هو أم محظور؟) ص٤٣٠ - ٤٣٩ تحقيق د. إحسان عباس [illegible]

(٢٣) (إعلام الموقعين) جـ٤ ص٣٧٢، ٣٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م. و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) ص١٧، ١٩، ٢٠ تحقيق د. جميل غازي. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.

كن جميلا تر الوجود جميلا

فلسفة الحياة

[illegible]

أيهذا الشاكي وما بك داءٌ | كيف تغدو إذا غدوت عليلا؟

إن شر الجناة في الأرض نفسٌ | تتوقى، قبل الرحيل، الرحيلا

وترى الشوك في الورود، وتعمى | أن ترى فوقها الندى إكليلا

هو عبءٌ على الحياة ثقيلٌ | من يظن الحياة عبئا ثقيلا

والذي نفسه بغير جمالٍ | لا يرى في الوجود شيئا جميلا

ليس أشقى ممن يرى العيش مراً | ويظن اللذات فيه فضولا

أحكم الناس في الحياة أناسٌ | عللوها فأحسنوا التعليلا

فتمتع بالصبح ما دمت فيه | لا تخف أن يزول حتى يزولا

وإذا ما أظل رأسك همٌّ | قصر البحث فيه كيلا يطولا

أدركت كنهها طيور الروابي | فمن العار أن تظل جهولا

ما تراها - والحقل ملك سواها | تخذت فيه مسرحا ومقيلا

تتغنى، والصقر قد ملك الجو عليها، والصائدون السبيلا

تتغنى، وقد رأت بعضها يؤ خذ حيا والبعض يقضي قتيلا

تتغنى، وعمرها بعض عام أفتبكي وقد تعيش طويلا؟

فهي فوق الغصون في الفجر تتلو سور الوجد والهوى ترتيلا

وهي طورا على الثرى واقعات تلقط الحب أو تجر الذيولا

كلما أمسك الغصون سكون صفقت للغصون حتى تميلا

فإذا ذهب الأصيل الروابي وقفت فوقها تناجي الأصيلا

فاطلب اللهو مثلما تطلب الأط يار عند الهجير ظلا ظليلا

وتعلم حب الطبيعة منها واترك القال للورى والقيلا

فالذي يتقي العواذل يلقى كل حين في كل شخص عذولا

* * *

أنت للأرض أولا وأخيرا كنت ملكا أو كنت عبدا ذليلا

لا خلود تحت السماء لحي فلماذا تراود المستحيلا؟..

كل نجم إلى الأفول ولكن آفة النجم أن يخاف الأفولا

غاية الورد في الرياض ذبول كن حكيما واسبق إليه الذبولا

وإذا ما وجدت في الأرض ظلا فتفيأ به إلى أن يحولا

وتوقع، إذا السماء اكفهرت مطرا في السهول يحيي السهولا

قل لقوم يستنزفون المآقي هل شفيتم مع البكاء غليلا؟

ما أتينا إلى الحياة لنشقى فأريحوا، أهل العقول، العقولا

كل من يجمع الهموم عليه أخذته الهموم أخذا وبيلا

كن هزارا في عشه يتغنى ومع الكبل لا يبالي الكبولا

لا غرابا يطارد الدود في الأر ض وبوما في الليل يبكي الطلولا

* * *

كن غديرا يسير في الأرض رقرا قا فيسقي من جانبيه الحقولا

تستحم النجوم فيه ويلقى كل شخص وكل شيء مثيلا

لا وعاء يقيد الماء حتى تستحيل المياه فيه وحولا

* * *

كن مع الفجر نسمة توسع الأز هار شما وتارة تقبيلا

لا سموما من السوافي اللواتي تملأ الأرض في الظلام عويلا

ومع الليل كوكبا يؤنس الغا بات والنهر والربى والسهولا

لا دجى يكره العوالم والنا س فيلقي على الجميع سدولا

* * *

أيهذا الشاكي وما بك داء كن جميلا تر الوجود جميلا

* * *

وقع خطأ غير مقصود بمقال «مستقبل حوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام» لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف ص ١١٠٣ حيث سقطت الآية القرآنية المشار إليها برقم «٢٥٨» من سورة البقرة لذا لزم التنويه.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتى جمهورية مصر العربية

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٨١ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن: انه وردت أسئلة إلى الإدارة العامة للمجلة، للإجابة عنها في باب استفتاءات القراء.

راتـــب الزوجـــة

● [illegible]

●● الجواب: من المقرر شرعاً أن الزوجة لا يجوز لها العمل إلا بإذن زوجها، فإن خرجت وعملت بدون إذنه الصريح أو الضمني كانت عاصية؛ لأن الحقوق الزوجية متقابلة؛ إذ عليه الإنفاق وعليها الاحتباس في منزل الزوجية. وقد قال الله تعالى:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ «النساء: ٣٤».

ولا يقدح هذا في الحق المقرر للمرأة في العمل المشروع وأن لها شخصيتها وذمتها المالية متى كانت بالغة عاقلة؛ لأن الزوجة بمقتضى عقد النكاح قد التزمت بواجبات شرعية تجاه أسرتها لا يجوز لها التفريط فيها، وقد قدمها الشرع على النوافل حتى جعل من حق الزوج أن يمنع زوجته من صلاة النوافل وصومها مع أنها عبادة مشروعة.

فإذا أذن الزوج في العمل صراحة أو ضمناً جاز لها ذلك، والإذن الصريح يتمثل في أن يعلم الزوج زوجته به، والإذن الضمني أن تعمل دون اعتراض منه أو يتزوجها عالماً بعملها.

وكما أن الزوج هو الذي له حق الإذن في عمل الزوجة خارج البيت، فإن الفقهاء جعلوا له كذلك حق الرجوع عن الإذن ومنع الزوجة من الاستمرار في العمل إلا إذا كان هناك التزام عليها في هذا العمل أبرمت نفسها قبل الزواج فإن الزوج لا يملك حينئذ منعها منه. وصرح الشافعية والحنابلة بأن للمرأة أن تخرج للإرضاع إن كانت آجرت نفسها له قبل عقد النكاح ثم تزوجت لصحة الإجارة، ولا يملك الزوج فسخها ولا منعها من الرضاع حتى تنقضي المدة؛ لأن منافعها ملكت بعقد سابق على نكاح الزوج مع علمه بذلك.

وهذا المعنى هو الذي أخذ به القانون عندما قيد هذا الحق للزوج وجعل من إذن الزوج للزوجة بالعمل خارج المنزل إذناً ملزماً للزوج يدوم بدوام العلاقة الزوجية بينهما حقاً مكفولاً لها، فإذا طلب منها بعد ذلك الامتناع عن العمل فلم تمتثل فإنها لا تعد ناشزاً ولا تسقط نفقتها؛ لأنه رضي بهذه الصورة من الاحتباس وأسقط حقه فيما زاد عليها، إلا إن كان عملها هذا منافياً لمصلحة أسرتها أو مشوباً بإساءة استعمال هذا الحق؛ حيث نصت الفقرة الخامسة من المادة الأولى من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠م، والمعدلة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م، على أنه: «لا يعتبر سبباً لسقوط نفقة الزوجة خروجها من مسكن الزوجية - دون إذن زوجها - في الأحوال التي يباح فيها ذلك بحكم الشرع مما ورد به نص أو جرى به عرف أو قضت به ضرورة، ولا خروجها للعمل المشروع ما لم يظهر أن استعمالها لهذا الحق المشروط مشوب بإساءة استعمال الحق أو منافٍ لمصلحة الأسرة وطلب منها الزوج الامتناع عنه» أ.هـ، وهذا الذي استقرت عليه المحاكم الشرعية.

ومن المعلوم أن حكم الحاكم يرفع الخلاف وأن لولي الأمر تقييد المباح، وله أن يتخير في الأمور الاجتهادية ما يراه محققاً للمصلحة، والعمل بذلك حينئذ واجب والخروج عنه حرام؛ لأنه من قبيل الافتيات على الإمام.

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال: فإن كانت الزوجة قد انتظمت في عمل مباح بإذن زوجها الصريح أو الضمني - على ما سبق بيانه - ولم يكن هذا العمل منافياً لمصلحة أسرتها أو مشوباً بإساءة استعمالها لهذا الحق فلا حق له حينئذ في مرتبها وليس له أن يجبرها على المشاركة في مصاريف البيت بغير رضاها؛ لأن لها شخصيتها وذمتها المالية المستقلة، فإن لم تكن قد عملت ولم يكن قد أذن لها في العمل بعد وأراد أن يجعل إذنه مقابل شيء من دخلها فله ذلك، فإن أبت فله الحق في عدم الإذن لها. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأسوة التربوية في الرسائل المحمدية

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

من البديهيات الفطرية التي تلتحم فيها الذات بالموضوع مباشرة دون حاجة إلى برهان للتأكيد، أو سلطان للتأييد، حقيقة أن كل ما يصدر عن الأسوة المحمدية الحسنة هو بدوره أسوة كذلك ينبغي السير على مثاله والنسج على منواله، وقد صدق الحق عز وجل الذي عرض عبده المصطفى ﷺ على العالمين كنموذج[1] متفرد بين خلقه تتجه إليه آمال المحبين وأعمال الخاشعين للتأسي والاقتداء به في كل صغيرة وكبيرة تعرض لهم في دينهم ودنياهم.

وهذه نفحة من نفحات الرحمة الإلهية التي امتزجت بالكيان المحمدي الشريف حتى لا يتوه البشر في البحث عن مثال يحتذونه في أفعالهم بما يرضي الخالق سبحانه في حركتهم الدنيوية حتى يطمئنوا إلى الثمار المرجوة في حياتهم الأخروية، فجعل عز وجل هذا الكيان المصطفى والمثال المختار ﷺ قرآناً مقروءاً يطهر أرواحهم وملموساً يعيش بين ظهرانيهم يترسمون خطاه ويتأثرون فكره وحركته، وليس لهم من عذر ألا يفعلوا فعله أو يترسموا قوله لأنه من قبل ومن بعد رجل «من أنفسهم»، كما أنه ﷺ من قبل ومن بعد «بشر مثلهم» زوده الله عز وجل بالمثال الحي المتجسد أمامهم حتى يسهل عليهم أن يصدقوه فيما «يوحى إليه»، فيتحول التصديق إلى توثيق وتحقيق.

انبهار العقلاء وانبهار الجهلاء

ومن هنا أراد المولى جل وعلا أن يكون انبهار المؤمنين به ﷺ حافزاً لطاعته، ودافعاً للتمثل به وليس انبهاراً عفوياً ساذجاً كرد الفعل الصبياني الذي رأيناه عند اليهود والنصارى في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾

(التوبة ٣٠)

إن انبهار العقلاء بالإعجاز يؤدي إلى التفكر والتدبر والتأسي، أما انبهار الجهلاء بالإعجاز فيؤدي إلى التسرع والتخبط والانزلاق، فالأول انبهار بناء فعال، أما الآخر فانبهار خداع ختال، ومن هنا فقد أدى انبهار العقلاء بالإعجاز المحمدي إلى الخلق والإبداع والتضحية والفداء فكانت عقولهم تنفتح لها العلوم بمجرد البحث، وكانت أقدامهم تنفتح لها الأمصار بمجرد الخطو، وذلك لأن عدتهم الباهرة كانت تتمثل في عبارة هي مزاج من النظر والتطبيق جميعاً وهي قولهم:

﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ ﴾

(البقرة ٢٨٥)

التأسي يشعر المؤمن بالمعية المحمدية

وهكذا لم يجد سكان الجبال ورعاة الجمال فيما بعد أية صعوبة أو مشقة في تبوء عروش الأكاسرة والقياصرة بل اطمأنت إليهم هذه العروش وسارت بهم وساروا بها إلى بناء عالم جديد دستوره الهدى، وقانونه العدل وديدنه القيم الفضلى التي تنطق بصدق المؤمنين في تأسيهم بنبيهم ﷺ كما جعلهم -بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى- يستشعرون وجوده الحسي والروحي جميعاً بينهم يخاطبهم بسنته فيسمعون. ويهديهم بهديه فيستجيبون.

والآن.. وبعد أن نادى المنادون بما يسمى «صراع الحضارات أو نزاع الثقافات أو حوار الديانات» ترى الكلام قد كثر عن الخطاب الديني، وكيف يمكن أن يشق هذا الخطاب طريقه في زحام الخطابات التي يسمى بعضها «خطاب الشرعية» ويطلق على بعضها «خطاب الديمقراطية» ويدعى بعضها «بخطاب العولمة».

إن الجهد في البحث عن مكان في هذا الزحام للخطاب الديني جهد مشكور، وجزاؤه بإذن الله مأجور، ولكن أليس من الأيسر لنا والأجدى أن نعود في هذا المجال إلى «الخطاب المحمدي» الذي هو بحق أسوة الخطابات كما أن صاحبه ﷺ هو أسوة البشر في الأقوال والأفعال وشتى ما يكلف به البشر من أمانات؟

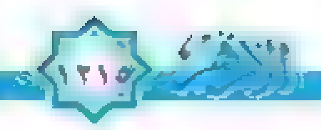
ويهمنا هنا أن نتعرف على الخطاب المحمدي متمثلاً في الرسائل المحمدية الداعية إلى الحنيفية السمحاء سواء تلك التي أملاها ﷺ على كُتّابه الأبرار رضي الله عنهم يخاطب فيها قادة الشعوب آنذاك والتي مهرها بخاتمه المبارك، أو تلك التي لقنها ألسنة بعض أصحابه ليبلغوها إلى هؤلاء القادة سواء في نطاق الجزيرة العربية أو خارجها.

وليس من شك في أن اختياره ﷺ لرسله إلى هذه الأقطار يكفي وصفه بأنه اختيار نبوي ملهم يعرف حقاً كيف يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب حقيقة لا شعاراً ويذكرنا هذا بقول الشاعر العربي القديم:

إذا كنت في حاجة مرسلاً

---

(١) نموذج: كلمة معربة عن كلمة [illegible]



فأرسل حكيما ولا توصه

ذلك أن الحكيم هو خير من يؤدى الرسالة على وجهها بإحكام وحكمة دون تعديل أو تبديل أو انتقاص أو تزيد، ومن هنا كان اختيار النبى ﷺ لأصحابه لتبليغ رسائله اختيارا يحدوه التوفيق والإلهام.

كيف نتأسى بالخطاب المحمدى

ولذلك فقد رأينا ـ بجهد المقل ـ أن نتدارس الخطاب النبوى المحمدى ولاسيما رسائل النبى ﷺ إلى قادة ذلك الزمان البعيد إذ أن هذه الرسائل النبوية الداعية والهادية قد أرسلها القائد الإسلامى الأعظم إلى أصحاب الهيمنة على الشعوب آنذاك مثل هرقل وكسرى والنجاشى وغيرهم، وقد تحرى فيها صاحب جوامع الكلم ﷺ الإيجاز الشارح والتبسيط الواضح والبرهان الراجح والأدب الجم فى أسلوب كريم وخلق عظيم.

وقد قصدنا بالتأسى فى هذا المجال لا أن ننسج على منواله أو نقلده فى أقواله فهذا أمر مستحيل المنال متعذر المثال لأنه ﷺ ملهم الأقوال مسدد الأفعال مؤيد الأعمال

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم ٣ ـ ٤)

ولكننا قصدنا إلى أن نتأمل الخطاب النبوى ونتدبره، وندعو الحق سبحانه أن يلهمنا التعرف على ما يسمى «بالخطوط العريضة» فى فحواه ودعائم مبناه، وعناصر معناه عل المولى عز وجل أن يوفق السائرين على هذا الدرب إلى الانتفاع بنفحاته، والاهتداء بخطواته أصلا فى صدق البلاغ ووضوح البيان:

﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

(ق ٣٧)

من مكاتبات المحمدية

عاد المسلمون من الحديبية[٢] فى أواخر السنة السادسة للهجرة وقد أصبحت الطرق آمنة من هجمات قريش الهمجية فأخذ النبى ﷺ يكاتب ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام حتى يكونوا قدوة لشعوبهم ومحكوميهم من منطلق قوله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[٣] وقد اتخذ ﷺ إذ ذاك خاتما من فضة يختم به خطاباته، وكان نقشه هكذا

الله
رسول
محمد

ويدعونا تأمل هذا الخاتم النبوى الشريف إلى ملاحظة أن لفظ الجلالة هو السطر الأعلى ولفظ «محمد» هو قاعدة السطور بينما نرى لفظ «رسول» يتوسط السطرين لأن الرسالة اتجهت من العلى الأعلى سبحانه إلى عبده ﷺ.

وقد دل عمل رسول الله ﷺ هذا على مشروعية اتخاذ الخاتم، كما دل على مشروعية نقش اسم صاحبه عليه، ومن هنا استدل كثير من العلماء على استحباب وضع خاتم من فضة فى إصبع الخنصر وهى الإصبع التى كان ﷺ يضع خاتمه فيها.

هذا وقد أوردت السيرة من هذه الكتب المحمدية الهادية: كتابه لقيصر وكتابه لأمير بصرى وإلى الحارث بن أبى شمر، وإلى المقوقس والنجاشى وكسرى والمنذر بن ساوى، وملكى عمان، وهوذة بن على.

معالم تربوية فى أداء الرسالة

وكان من الحكمة المحمدية المستنيرة والهادفة أنه ﷺ قد اختار التوقيت الملائم لإرسال كتبه تلك إلى حكام الأرض وملوكها آنذاك وليس إلى قوم بأعيانهم لأن رسالته إنما هى رسالة إنسانية شاملة بريئة من العنصرية أو القومية أو غير ذلك.

وعن اختيار هذا التوقيت أخبرتنا كتب السيرة المعروفة أن المسلمين آنذاك كانوا قد قطعوا من قبل شوطاً كبيراً فى القيام أولاً بمسئولية الدعوة فيما بينهم وفى إصلاح أنفسهم وتطبيق نظام الإسلام عمليا على حياتهم وسلوكهم يعملون بمنهجه ويسيرون على صراطه فأصبح لديهم الإعداد الجيد والاستعداد الحقيقى لنقل ما يؤمنون به إلى الآخرين ذلك أن «فاقد الشىء لا يعطيه» كما يقال بحق قبل أن يتفشى بين الأدعياء عطاء الشىء من فاقديه!!!

حسن الاختيار

كما أن من الملامح القيادية الملهمة أن القائد العظيم ﷺ كان يختار من رجاله من يجيد لغة هؤلاء الملوك والزعماء دون حاجة إلى تراجمة أو وسطاء، وذلك لضمان أمانة التبليغ ودقة النقل باللغة المشتركة لفظاً ومعنى لأن هؤلاء الذين حملوا دعوة محمد ﷺ إنما قاموا يبشرون بدين حق كثر حوله عناد المشركين ولغط المغالطين وكيد المنافقين فلابد أن يكون المؤدى قادراً على العرض الدقيق، حتى يعين المتلقى على الفهم العميق دون لبس فى اللفظ أو غموض فى المعنى أو تردد فى الأداء، وذلك من منطلق أن «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم» ومما يدل على ذلك التخطيط الإعلامى الرشيد والسديد من قبل «الأمى» الملهم ﷺ أنه قد بعث ستة[٤] من أصحابه فى يوم واحد ليتفرقوا فى الجهات ـ دون أن يتفرقوا فى الأهداف والنيات ـ إلى هؤلاء الملوك والحكام كل على لغته يعى بها ما يقال بلا صعوبة أو التباس.

---

(٢) الحديبية بئر قرب مكة سميت القرية باسمها، وقد تم فيها الاتفاق بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو ممثل أهل مكة آنذاك ومن شروطه أن يعود المسلمون بغير عمرة فى ذلك العام ثم يأتوا فى العام المقبل

(٣) أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى عن ابن عمر «الجامع الصغير»

(٤) من هؤلاء عمرو بن أمية الذى أرسل إلى النجاشى، ودحية الكلبى الذى أرسل إلى ملك الروم وحاطب بن أبى بلتعة الذى أرسل إلى المقوقس وعبدالله بن حذافة السهمى الذى أرسل إلى كسرى

إليك الصحف والمجلات

إعداد

محمود الفشني

علا عبد الرحمن

نفاق العدالة الدولية!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمود المبارك في جريدة الحياة الصادرة في ٢٠٠٨/٧/١٤ يقول:

المذكرة التي أصدرها المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية، والتي تتضمن طلب القبض على مسئولين سودانيين رفيعي المستوى، منهم الرئيس السوداني ذاته، تعد زلزالاً سياسياً وقانونياً دولياً بكل المعايير.

فأما على المستوى السياسي: فإن إدراج كبار المسئولين بمن في ذلك رؤساء الدول في قائمة مجرمي الحرب، أمر غير مسبوق. الأمر الذي قد يفتح أبواباً مستقبلية لتغيير الأنظمة السياسية عبر «الغزو القضائي» لمنطقة الشرق الأوسط، وبذلك ربما استطاعت الولايات المتحدة تحقق قضائياً ما عجزت عن تحقيقه سياسياً!.

والمحكمة الدولية بهذا التصرف غير المسبوق تكون قد سمحت لنفسها بأن تكون سلعة رخيصة في يد الولايات المتحدة التي أصبحت تتعامل مع دول العالم بمنطق «الإرهاب القانوني» كما أطلقت عليه.

وأما على المستوى القانوني الدولي: فإن نفاق المحكمة الجنائية الدولية المتجلي في حرصها على ملاحقة صغار المتهمين الدوليين، وترك المجرمين الدوليين الأكثر خطراً على أمن وسلام العالم، نذير شؤم للعدالة الدولية الجديدة المزعومة! وإذا كان من فائدة مرجوة من إصدار مثل هذه المذكرة، فهو أن المحكمة الدولية ربما استطاعت أن تضع حداً للنقاش الدائر حول فكرة الانضمام للمحكمة لدى صانعي القرار في الدول العربية والمسلمة، بل وربما في كثير من دول العالم الثالث! ولعله بات واضحاً اليوم أن المحكمة الجنائية الدولية حين تسمح لنفسها بأن تكون أداة ابتزاز في يد الولايات المتحدة، فإنها بذلك فقدت ما لديها من مصداقية قضائية. يأتي هذا وسط دعوات المدعي العام للمحكمة (لويس مورينو أوكامبو) للدول العربية للانضمام إلى منظمته القضائية!

هذا الانحياز من المنظمة القضائية الدولية ليس مجرد سلوك عابر ضد دولة ما هنا أو هناك، وإنما هو عمل ممنهج من الدول القوية ضد الدول الضعيفة في الجانب القضائي الجديد تماماً كما هي الحال منذ ستين عاماً مع انحياز الشق السياسي في مجلس الأمن.

وإلا فكيف يمكن تفسير عدم اكتراث المحكمة غير الموقرة بالجرائم التي ترتكبها الدول الكبرى، والتي ستكون كفيلة بإشغال المحكمة بقية عمرها المديد، لو قدر لها أن تحاسب مرتكبيها عليها؟

منذ متى صار للقانون الدولي حرمة في الساحة السياسية الدولية أو احترام لدى المحاكم الدولية، حتى تصحو اليوم على صيحات نذر محاكمات الرؤساء المتهمين بجرائم الحرب؟

ألم يصبح القانون الدولي سلعة رخيصة في يد الولايات المتحدة وحلفائها تبيعه متى تشاء وتفقده متى تريد؟ أليست الولايات المتحدة هي من داست على كل القوانين والأعراف الشرعية الدولية بغزوها العراق وأفغانستان، وقبل ذلك بغزوها غرينادا عام ١٩٨٣، وبنما عام ١٩٨٩؟

وإذا كان المحامي الدولي بدفاعه عن السودان وأهله قد عشق السودان لدرجة أنه لم يعد يرى شيئاً سواه، من باب «حبك الشيء يعمي ويصم»، فأين هو عن العدوان الأمريكي الظالم، الذي دمر مصنعاً للأدوية في الخرطوم بغير حق عام ١٩٩٨؟

ثم أليس الأولى بالمدعي العام بدلاً من البحث عن تهم قانونية في صحاري دارفور التي تعد لما أمام بقية الجرائم الأمريكية: التي تتسابق وسائل الإعلام العالمية على نقلها على الهواء مباشرة؟ أليس الأولى به أن يفتح عينيه على هذه الجرائم إذ سيجد هناك كل ما يريد من جميع أنواع وأصناف الجرائم القانونية الدولية التي تبحث عنها يد عدالة منظمته؟

هل يليق بأي قاض في أي مقام، يتحدث أي لغة ويتبع أي ملة أن يغفر للدول العظمى كبائر ذنوبها ويحاسب الدول المستضعفة على اللمم؟ أيهما أشد خطراً وأعظم أثراً: قتل عشرات الآلاف - على رغم ما في ذلك من انتهاك لحرمات أرواح الأبرياء - أم غزو بلاد بأسرها وتدميرها ونهب ثرواتها وقتل أكثر من مليوني شخص من مواطنيها، وتهجير أكثر من خمسة ملايين نسمة من سكانها وإعادتها إلى العصور الحجرية بغير حق؟

ثم إذا كانت الدول العربية - الأعضاء في هذه المنظمة - تزعم أنها منصفة في تعاملها القضائي فما الذي يحول دون أن تطالب بمحاكمة إسرائيل على جرائمها التي شملت جميع أشكال جرائم الحرب، سواء من جرائم العدوان أو الإبادة الجماعية أو

التطهير العرقي أو استهداف المدنيين، أو استخدام الأسلحة المحرمة دولياً، فضلاً عن بناء المستوطنات المخالفة لقوانين الاحتلال، والجدار العازل الذي أفتت محكمة العدل الدولية بمخالفته للقوانين الدولية؟ إن إدراج أسماء مسئولين سودانيين في قائمة المطلوبين الدوليين لارتكاب جرائم حرب هو بالدرجة الأولى قرار سياسي وليس قراراً قضائياً.

ثم أشار الكاتب إلى أن الولايات المتحدة هي التي انفردت بنقل خبر إدراج اسم البشير ضمن المطلوبين من المدعي العام قبل وسائل الإعلام، وهنا يشير إلى التدخلات الأمريكية في اتخاذ القرارات في المحكمة الدولية؟ إذ كيف يأتي تسريب الخبر من وزارة تابعة لدولة ليست عضواً في المحكمة أصلاً؟ بل وتريد من الدول العربية الانضمام إليها؟

ثم يختم الكاتب مقاله بقوله:

ولكن الأمر الذي يجب أن تبادر إليه الدول العربية اليوم هو السعي في تقديم طلبات جادة لمحاكمة المسئولين في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وإسرائيل وغيرهم، من الدول التي ارتكبت ولاتزال ترتكب انتهاكات خطيرة ضد الدول العربية والمسلمة، وبغض النظر عن النتيجة المتوقعة لمثل هذه الطلبات في أنها لن تحقق المأرب المرجو منها اليوم، إلا أن الفائدة من مثل هذه الطالبات هو إقامة الحجة القانونية على الدول الغربية في تلاعبها بالقوانين الدولية، وفضح نفاق منظماتها القضائية الدولية.

في الوقت ذاته، إذا كانت حال الدنيا تنبئنا بأن «دوام الحال من المحال»، فإنه من غير المحتمل أن تبقى الهيمنة الغربية لفترة طويلة، وتبعاً لذلك فإنه ربما كان حرياً بنا أن نأخذ جدياً مسألة البدء في الاستعداد لمحاكمة المجرمين الغربيين إذا ما تغيرت موازين القوى لمصلحة أمتنا ضد المصالح الغربية في المستقبل إن شاء الله.

وإذا ما حدث ذلك، فإن الأمر يجب ألا يخفى على الدول الغربية هو أنه سيكون بإمكاننا أن نزعم أن لدينا «سوابق قضائية» نستطيع أن نبني عليها حين نطالب بالقبض على المجرمين الغربيين من رؤساء ووزراء دفاع ومسئولين!

كتاب أمريكي يتهم إدارة بوش
بارتكاب جرائم حرب

ورد هذا الموضوع في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٨/٧/٢٠ جاء فيه:

صدر في الولايات المتحدة مؤخراً كتاب يتهم إدارة الرئيس جورج بوش بانتهاك اتفاقيات جنيف عبر ممارستها التعذيب في «حربها على الإرهاب» ما قد يعرضها على حد قول مؤلفته، للمحاكمة بتهمة ارتكاب «جرائم حرب».

والكتاب الذي يستند في اتهاماته إلى تقرير للجنة الدولية للصليب الأحمر، لم

يتم نقيه، وضعته الصحفية جاين ماير المتخصصة في الاستقصاء ومكافحة الإرهاب في أسبوعية «ذا نيويوركر» ويقع الكتاب في ٣٩٢ صفحة، وعنوانه «الوجه الخفي» وهو يشرح كيف تحولت الحرب على الإرهاب إلى حرب على المثل العليا للولايات المتحدة.

وبحسب الكتاب فإن اللجنة الدولية للصليب الأحمر أعدت تقريرا بعد لقاء موظفيها ١٤ معتقلا من المتهمين بالإرهاب وسلمته في ٢٠٠٧ إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «سي آي إيه» التي رفعته بدورها إلى الرئيس بوش ووزيرة الخارجية كوندوليزا رايس.

ويذكر الكتاب تحديداً حالة «أبو زبيدة» أبرز قيادي في القاعدة ألقت الولايات المتحدة القبض عليه وتقول الصحيفة: إن الصليب الأحمر «وصف الأساليب التي أخضع لها المتهم ومن دون أدنى شك أساليب التعذيب» وتضيف المؤلفة أن الصليب الأحمر «حذر من أن هذا الانتهاك يشكل جريمة حرب تضع كبار المسئولين في الحكومة الأمريكية في موضع يمكن فيه محاكمته بحسب مصادر مطلعة على التقرير» ويشرح الكتاب كيف أن الإدارة الأمريكية اعتقلت سراً ومن دون توجيه اتهامات إليهم آلاف لأشخاص في معتقل جوانتانامو «كوبا» وسجن أبو غريب في العراق وسجون أخرى في أفغانستان أو سواها من الدول، ومن بينها دول أوروبية، وكيف أن هؤلاء المعتقلين، وبعضهم أبرياء، تعرضوا للتعذيب مما أدى إلى خلق ما يشبه «الجولاج» «معسكرات الاعتقال في الاتحاد السوفيتي سابقا».

> فمن أولى بالمحاكمة القضائية أمام محكمة العدل الدولية البشير أم هؤلاء الذين يقومون بمثل هذه الأعمال الإجرامية والوحشية؟!!

إعدام الفرعون

كتب الأستاذ/ محمد الزرقاني في عموده «مجرد اجتهاد» في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٨/٧/١٧ عن الفيلم الإيراني «إعدام الفرعون» يقول:

أعتبر نفسي من أشد الموالين للتقريب المذهبي بين السنة والشيعة، وبعيدا عن حبي الشديد لآل البيت – بيت رسول الله ﷺ – مثل كل أبناء مصر، ودائما كنت أراها كلمة تعبر عما في نفسي أنا سني المذهب شيعي الهوى، بل كنت أراه وصفا لكل المصريين من المسلمين السنة.. وكنت أتمنى مجيء اليوم الذي تعود فيه العلاقات الطبيعية بين مصر وإيران لمصلحتيهما معاً ولمصلحة الأمة الإسلامية كلها، ولم أكن أسعد بمحاولات الفرقة التي يسعى إليها أعداء الإسلام، وتقع فيها طوائف من الجانبين.

ولذلك كانت فجيعتي كبيرة بسبب ذلك الفيلم الذي قدمته السينما الإيرانية بعنوان «إعدام الفرعون» حول الرئيس الراحل الشهيد محمد أنور السادات.

والذى اعتبره الفيلم – ظلما وعدواناً – خائنا للإسلام، هى نظرة قاصرة وغبية لدور الرئيس السادات فى انتصار أكتوبر المجيد، الذى لم يرفع رأس مصر فقط، وإنما رفع رأس الأمة العربية والإسلامية، ووضع السادات ضمن قائمة عظماء المسلمين على مدى التاريخ الإسلامى.

إن إنتاج مثل هذا الفيلم هو قمة «الغباء» الإنسانى والسياسى فى آن واحد، لأنه يفرق ولا يقرب، ولأنه يسىء لرجل أخلص لأمته، ويسىء لأمة قدمت للإسلام على مدى تاريخه أرواح أبنائها وأموالها.. والرد على مثل هذا العمل «الأهوج» يكون بالطرق والقنوات الدبلوماسية، وليس كما يردد البعض بفيلم مماثل لهذا الفيلم الإيرانى «الغبى» دعونا لا نكون من دعاة الفرقة والتفرق، وعلينا أن نكون من دعاة الوحدة.

أما من أقدموا على هذا الفيلم فيجب أن يدركوا أنهم بإساءتهم للرئيس السادات إنما يسيئون للإسلام ولكل المسلمين، فقد كان رجلاً عظيما مؤمناً حق الإيمان.. ورحم الله أنور السادات.

عبدالوهاب المسيرى شهيد على خط الفكر

كتب الأستاذ/ سليمان قناوى فى جريدة الأخبار الصادرة فى ٢٠٠٨/٧/١١ عن المفكر الراحل عبدالوهاب المسيرى يقول:

أحسبه فى مراتب الشهداء. أحمد عبدالعزيز وعبدالمنعم رياض وأحمد حمدى هم قضوا نحبهم على خط النار.. والمفكر المسيرى استشهد على خط الفكر فالقصف بالأفكار الخلاقة، معركة لاتقل شراسة عن الرماية بالذخيرة الحية يلقى الرجل ربه وفى ميزان حسناته موسوعة: «اليهود واليهودية والصهيونية» و ٦٩ كتابا آخر.

وإذا كان شهداؤنا العسكريون قد فضحوا أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر فقد عرى المسيرى عوار الأساطير الصهيونية حين أشهر سلاح هذه الموسوعة فى وجه الدعاية الإسرائيلية الكاذبة.

أنفق الرجل ربع قرن من عمره وكل ماله ومعظم صحته وضحى برتبته الثابت مستقبلاً من الجامعة حتى ينجز هذا العمل الذى لم يجعله يهنأ حتى بوقت الترفيه «كنت عبر كتابة الموسوعة أعامل نفسى خاصة فى مسألة الوقت بيد من حديد، لا أكف عن التفكير فى الموسوعة ولا أكف عن الكتابة فى أى ورقة تقابلنى».

ماذا فعلت موسوعة «اليهود واليهودية والصهيونية» فينا؟ لقد بددت ركام الأوهام التى عششت طويلا فى العقول. ومنها أن اللوبى اليهودى يسيطر على أمريكا أما المسيرى فقال: إن هذا تخريف فإسرائيل هى مجرد آخر جيوب الاستيطان للرجل الأبيض فى المنطقة. وهى تحقق أهداف أمريكا بنفقات أقل عما إذا جاءت أمريكا بنفسها إلى المنطقة ففى هذه الحالة ستحتاج إلى ٥٠ مليار دولار سنوياً حتى تدين لها السيطرة على المنطقة ولكنها وفرت كل ذلك بتحويل إسرائيل إلى حاملة طائرات ثابتة عليها ٤ ملايين جندى مرتزقة يعملون حساب العم سام ويحصلون على ١٠ مليارات دولار فقط أى أن أمريكا توفر سنوياً ٤٠ مليار دولار ناهيك عن الخسائر البشرية «ما يحدث فى العراق أعظم دليل».

ويمضى د. المسيرى فى تشريح التصورات الخاطئة عن إسرائيل فيقول: إن تضخيم حجمها وتصورها لنا بأنها تحكم العالم أمر مبالغ فيه عن عمد لثلاثة أسباب: الأول: كسر عزيمتنا، فكيف سنجرؤ على مقاومة من يقود أمريكا ومن خلفها العالم لذلك ينكر المسيرى فكرة الذكاء اليهودى الخارق ويكذب وجود شىء اسمه بروتوكولات حكماء صهيون لأن من يضع خطة جهنمية للسيطرة على العالم لابد أن تكون سرية وليست منشورة وفى يد الجميع.

الثانى. كى تتمكن بعض القيادات فى أمتنا من أن تبرر هزيمتها وتخاذلها فلو فرضنا مثلاً أنهم اعترفوا بكذب نظرية التفوق اليهودى فكيف سيبررون التقاعس.

الثالث: كى تظهر أمريكا بمظهر المغلوب على أمره الذى لا يملك قراره بسبب اللوبى اليهودى.

وما كان لهذا البناء السامق أن يتم لولا إحساس العلامة المسيرى بقيمة الوقت منذ أن كان طفلاً.

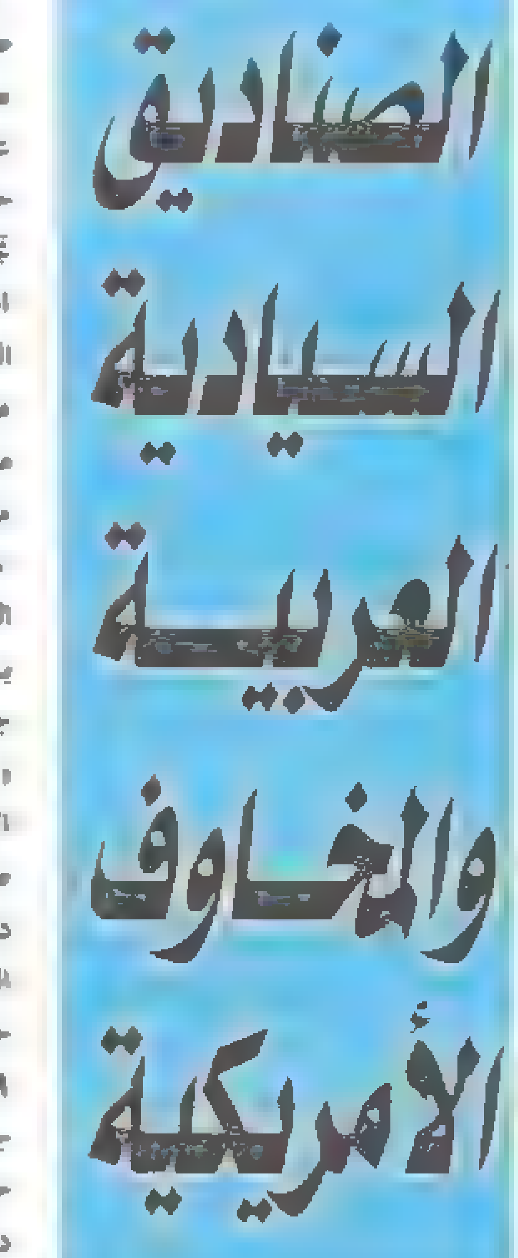
رحم الله الدكتور عبدالوهاب المسيرى.

موقف عربى وإسلامى موحد دفاعا عن السودان

وفى رأى الأهرام بعددها الصادر ٢٠٠٨/٧/٢٠ قالت:

فى حياة الأمم والشعوب خطات فاصلة تستلزم منها اليقظة والاعتصام بالوحدة والحكمة. لتستطيع مواجهة التحديات المفروضة عليها والموقف الحالى فى السودان وخاصة بعد قرار المدعى العام للمحكمة الجنائية الدولية المتعلق بايقاف الرئيس عمر البشير بسبب تداعيات أحداث دارفور هو خطة فاصلة تستلزم موقفا عربيا موحدا دفاعا عن السودان وحتى لا تتحول المحكمة الجنائية الدولية إلى أداة سياسية جديدة لضرب الدول العربية لذا جاء الاجتماع الطارئ لوزراء الخارجية العرب على مستوى المسئولية متخذا موقفا موحدا من قرار المدعى العام كونه يخالف القانون الدولى الذى يرفض التدخل فى الشئون الداخلية للدول ومنها السودان الذى يتمتع بعضوية الأمم المتحدة والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى.

وقالت الأهرام أيضا الاعتبارات السياسية والأمنية والاستقرار فى السودان مهمة للغاية بالاضافة إلى الاعتبارات القانونية التى تتعامل معها الجامعة العربية من المنطلق القانونى والادوار المختلفة سواء لحكومة السودان أو لمجلس الأمن أو الاتحاد الافريقى وكلها عناصر مهمة تتطلب موقفا عربيا موحدا وتنسيقا افريقيا ودوليا دفاعا عن السودان ورفضا لمحاولات التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية.



إن صناديق الثروة السيادية العربية الخليجية، هي صناديق استثمارية حكومية تملكها وتديرها مباشرة دول مجلس التعاون الخليجي، بعد أن تقوم بتمويلها من عائداتها النفطية الهائلة. وهذه الصناديق تستحوذ على حوالي نصف أصول الصناديق السيادية في العالم التي تجاوزت ٣ تريليون دولار. وتشير الاحصاءات إلى أن الحصص التي تملكتها صناديق الثروة السيادية للدول العربية الخليجية في مؤسسات عالية خلال عام ٢٠٠٧م مثل «بيرنز نيويورك» و«كارلايل جروب» و«إم جي إم ميراج» و«بورصة ناسداك» ارتفعت إلى أكثر من ٨٣ مليار دولار. تشكل نصف الصفقات العالمية والمقدرة بـ ١٧٠ مليار دولار وفي هذا السياق بادر الصندوق السيادي الكويتي الذي يمثله «هيئة الاستثمار الكويتية» بشراء أسهم قيمتها ٣ مليار دولار في بنك «سيتي جروب» وحصة أخرى قيمتها مليار دولار في بنك «ميريل لينش» وذلك بناء على طلب المصرفيين الأمريكيين بالاستثمار فيهما، وقد وصل حجم أصول صناديق الثروة السيادية الخليجية إلى نحو ١,٥ تريليون دولار في أواخر عام ٢٠٠٧ ويتوقع أن يصل قيمة هذه الصناديق إلى ٣ تريليون دولار بحلول عام ٢٠١٠ في حال بقاء ارتفاع أسعار النفط إلى معدله الأخير وقدره ١٣٩ دولار للبرميل، ويتوقع المحلل الاقتصادي «ستيفن جن» المسئول الكبير ببنك «مورجان ستانلي» أن يصل حجم صناديق الثروة السيادية في العالم إلى ١٢ تريليون دولار بحلول عام ٢٠١٥م.

بقلم/ صلاح عبد الرحيم محمد
باحث في الشئون السياسية

ربح طويل الأجل

ويرى محللون سياسيون على رأسهم «دريزنر دانييل» الأستاذ المساعد للسياسات العالمية بكلية فليتشر الأمريكية أن دول الخليج العربية تهدف من إنشاء هذه الصناديق السيادية إلى خلق أصول تدر عائداً مربحاً طويل الأجل، للإسهام في التنمية الاقتصادية، بالتركيز على الاستثمار الأجنبي المباشر.

والجدير بالذكر أن معظم الصناديق السيادية في الفترة السابقة لعام ٢٠٠٣- أي قبل ارتفاع أسعار النفط إلى هذه المعدلات غير المسبوقة- كانت تبحث عن استثمارات قصيرة الأجل ومنخفضة المخاطر. بينما تتجه هذه الصناديق العربية الآن إلى الاستثمارات طويلة الأجل، والمحفوفة بالمخاطر. بهدف الحصول على مزيد من عوائد الاستثمار وفي ضوء تقرير الاستقرار المالي العالمي الصادر من صندوق النقد الدولي. يشير هذا التقرير إلى أنه يمكن تقسيم هذه الصناديق السيادية إلى خمسة أنواع.

الأول: صناديق الاستقرار، ويتمثل هدفها في حماية الموازنة العامة والاقتصاد وتحقيق الاستقرار لعملات الدول الوطنية.

والثاني: صناديق احتياطي الأجيال المقبلة وتهدف إلى تحويل الأصول غير المتجددة «النفط» إلى حافظة أصول متنوعة.

والثالث: صناديق التنمية وتهدف إلى تمويل المشروعات الاجتماعية والاقتصادية.

والرابع: صناديق احتياطات طوارئ التقاعد التي تغطي التزامات التقاعد الطارئة غير المحددة في الموازنة العامة للدولة، وهي بخلاف صناديق التقاعد التي تمولها اشتراكات الأفراد في معاشات التقاعد العادية.

والخامس: شركات استثمار الاحتياطيات أي تلك الأصول الاحتياطية التي يحتفظ بها البنك المركزي لهذه الشركات لديه.

الحصص العربية

وفي بحثه الذي أعده «إم آر راجهو» رئيس إدارة البحوث بالمركز المالي الكويتي أشار إلى أن هناك ٣٦ صندوقاً للثروات السيادية، تملك ١٣١ شركة خليجية، تشكل مجتمعة ٢٧٪ من القيمة الرأسمالية للأسواق الخليجية والمقدرة بـ ٣٠٠ مليار دولار، وفيما يتعلق بالاستثمارات المحلية للصناديق السيادية، يذكر محللون اقتصاديون أن صناديق الثروة السيادية الثمانية في المملكة العربية السعودية، تمتلك حصصاً في ٢٧ شركة، تشكل ٣٦٪ من القيمة الرأسمالية الخليجية المقدرة بمبلغ ٣٠٠ مليار دولار.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة تمتلك صناديق الثروة السيادية السبعة حصصاً في ٢٧ شركة إماراتية تبلغ قيمتها ٦١ مليار دولار وفي قطر تمتلك صناديق الثروة السيادية الخمسة حصصاً في ٩ شركات بقيمة استثمارات إجمالية تبلغ ٢٩ مليار دولار، تمثل ٢١٪ من القيمة الرأسمالية الخليجية.

وفي الكويت تمتلك الصناديق السيادية ١٢٪ من سوق الأسهم الكويتية ويمثلها صندوقها السيادي المعروف باسم الهيئة العامة للاستثمار والتي يملك ٥٦٪ من تلك الاستثمارات في ٨ شركات كويتية.

وفي سلطنة عمان تمتلك ٩ صناديق سيادية استثمارات قيمتها ٦ مليارات دولار تمثل ٢٣٪ من القيمة الرأسمالية الإجمالية للسوق الخليجية.

واللافت أن صندوق حكومة عمان يعتبر أكبر صندوق للثروة السيادية في السلطنة

بحصة تبلغ ٤٤٪ تتركز في شركة واحدة هي «شركة عمان تل» وفي البحرين استثمرت الصناديق السيادية التسعة ٥ مليارات دولار تمثل ١٨٪ من إجمالي القيمة الرأسمالية لسوق الأسهم البحريني.

ومن جهة أخرى يذكر أن الصناديق السيادية التي يمتلكها حكومات دول الخليج هي بخلاف صناديق الملكية الخاصة «القطاع الخاص» التي تقدر أصولها بأكثر من ١٣ مليار دولار يديرها أكثر من ٧٠ صندوقاً للملكية الخاصة وفي هذا الصدد أكد كبير الاستشاريين في شركة «إثمار كابيتال» «علي عرفان» إن قطاع الملكية الخاصة يلعب حاليا دورا مهما في إعادة تشكيل الاقتصاديات الإقليمية وصوغها في ضوء التطورات العالمية ذات التأثيرات المباشرة في المنطقة، وتشير تقديرات الخبراء إلى أن نحو ٦٠ من مديرى الملكية الخاصة في الشرق الأوسط، يسعون إلى جمع ٢٦ مليار دولار، معظمها من أموال الصناديق السيادية الخليجية، ويقدر معهد الملكية الخاصة حجم ثروات الصناديق السيادية في العالم بأكثر من ٣ تريليون دولار، في الوقت الذي يشكل فيه المستثمرون الخليجيون، أكبر تجمع إقليمي في هذا القطاع بنسبة تزيد على ٤٠ من أصول الصناديق السيادية في العالم.

الصناديق العربية في العالم

وقد لاحظ خبراء اقتصاديون أن العلاقة بين صناديق الثروة السيادية التابعة للحكومات في منطقة الخليج، توثقت مع قطاع الملكية الخاصة خلال الشهور القليلة الماضية أكثر من أي وقت مضى، في حين توقعوا أن تتجاوز استثمارات الصناديق السيادية في المنطقة ١٠ تريليونات دولار بعد ثلاث سنوات من الآن، ومن جانب آخر أشار تقرير لمعهد المعلومات الملكية الخاصة إلى أن ٦٠٪ من الصناديق السيادية العالمية، تستثمر أموالها في قطاع الملكية الخاصة في العالم وتملك ما بين ١٢٠ و١٥٠ مليار دولار تعادل ١٠٪ من رأس المال العالمي للملكية الخاصة، ويرى الخبير في استراتيجيات الشركات العالمية «عامر عبد الرحمن» مؤلف كتاب «دبي وشريكاتها» أن العلاقة بين الصناديق السيادية، ومؤسسات الملكية الخاصة «متبادلة» فيمكن لصناديق الثروة السيادية الإصرار على عقد شراكة حقيقية مع شركات الملكية الخاصة، تكون أكثر من مجرد مصدر للقروض بل يمكن في ظل هذه العلاقة الوثيقة بين الجانبين أن تستفيد شركات الملكية الخاصة من المهارة الاستثمارية لصناديق الثروة السيادية بحيث تساعد في نموها.

وتملك صناديق الثروة السيادية الكبرى في العالم أصولاً بقيمة ٢,٨٧٦ تريليون دولار، حسب معهد صناديق الثروة السيادية، وذلك على النحو التالي.

في الإمارات العربية المتحدة يملك صندوقها السيادي الذي تمثله «هيئة أبوظبي للاستثمار» أصولاً بقيمة ٨٧٥ مليار دولار استثمر منه ٧,٥ مليار دولار في شراء أوراق مالية قابلة للتحويل من بنك سيتي جروب الأمريكي.

في النرويج يملك صندوقها السيادي ويمثله صندوق المنحة الحكومية أصولا بقيمة ٣٨٠ مليار دولار اشترى منه حصة نسبتها ٣٦٪ في بنك سيتي جروب وحصة ثانية بنسبة ٢٧٪ في ليمان برادز، وحصة ثالثة بنسبة ٣٥ في بنك ميريل ليش وحصة رابعة بنسبة ٣٣٪ في بنك «مورجان ستانلي».

في سنغافورة صندوقان سياديان أحدهما يمثله شركة حكومة سنغافورة للاستثمار بأصول قيمتها ٣٣٠ مليار دولار، استثمر منه حصة بنسبة ٩٪ في بنك «يو بي إس» بقيمة ٩,٧٥ مليار دولار وحصة أخرى من بنك سيتي جروب أما الصندوق الآخر، فيمثله «تيماسك القابضة» وقيمة أصوله ١٥٩ مليار دولار، واشترى حصة أسهم قيمتها ٤.٤٨ مليار دولار من بنك «ميريل ليتش».

– في المملكة العربية صناديق سيادية عديدة تمثلها عدد من الشركات القابضة تملك جميعاً أصولاً قيمتها ٣٠٠ مليار دولار، وله استثمارات كثيرة في الخارج.

– في الكويت يملك صندوقها السيادي، ويمثله «هيئة الاستثمار الكويتية» أصولاً بقيمة ٢٥٠ مليار دولار، وهو أقدم صندوق سيادي في العالم كان يعمل في لندن منذ عام ١٩٥٣، واستثمر هذا الصندوق ما قيمته ٣ مليارات دولار في بنك «سيتي جروب» وملياري دولار أخرى في بنك «ميريل ليتش» الأمريكيين.

– في الصين يملك صندوقها السيادي، ويمثله «شركة الاستثمار الصينية» أصولاً بقيمة ٢٠٠ مليار دولار.

– في الصين – هونغ كونغ يملك صندوقها السيادي ويمثله «في هونغ كونغ» أصولا بقيمة ١٦٣ مليار دولار.

– في إستراليا يملك صندوقها السيادي ويمثله «صندوق المستقبل الإسترالي» أصولاً بقيمة ٦١ مليار دولار.

– في قطر يملك صندوقها السيادي، وتمثله «هيئة الاستثمار القطرية» أصولا بقيمة ٦٠ مليار دولار.

– في ليبيا يملك صندوقها السيادي وتمثله «الشركة الليبية العربية الأجنبية للاستثمار» أصولا بقيمة ٥٠ مليار دولار.

– في الجزائر يملك صندوقها السيادي ويمثله «صندوق تنظيم العوائد» أصولاً بقيمة ٤٣ مليار دولار.

تأثير إيجابي على الاقتصاد العالمي

وفي هذا السياق قدرت مجموعة «انترناشونال فاينانشيال سيرفيس» في لندن حجم أصول الصناديق السيادية في العالم حالياً بنحو ٣,٣ تريليون دولار، في الوقت الذي يمكن توقع وصول هذه الأصول في العالم إلى أكثر من ١٠ تريليون دولار بحلول عام ٢٠١٥، كما أكدت هذه المجموعة المالية أنه منذ بدء أزمة الرهن العقاري الأخيرة في الولايات المتحدة، اتجهت صناديق الثروة السيادية إلى شراء حصص رئيسية في بنوك أمريكية وسويسرية تجاوزت قيمتها ٦٠ مليار دولار.

وقد أشار الخبير في صناديق الثروة السيادية لدى شركة «إيه تي كيرني دبي» «سيرل جاربوس» إلى أن هذه الصناديق تحمل في

طياتها تأثيراً إيجابياً على الاقتصاد العالمى، فى وقت تشهد فيه الاقتصادات فى البلدان المتقدمة تباطؤا، وعلى الجانب الآخر فإنه على الرغم من إيجابيات هذه الصناديق على الدول الغربية وعلى الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة بسبب أزمة الرهن العقارى، فقد أثارت هذه الصناديق، مخاوف كل من الدول الغربية وأمريكا بسبب نفوذها الاقتصادى المؤثر على هذه الدول، وتخشى أن تتخذ هذه الاستثمارات العربية منحى سياسياً ويرى هؤلاء المتخوفون أنه من المحتمل أن تشترى هذه الصناديق حصصاً فى كيانات ومؤسسات مالية كبرى على نحو قد يعرض أمن الولايات المتحدة وغيرها للخطر من هذا الغزو المالى العربى الذى قد يسيطر على مؤسسات الاقتصاد الأمريكى بالإضافة إلى التأثير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة لصالح الأمة العربية بالإضافة إلى التأثير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة لصالح الأمة العربية وهو ما تخشاه الدول الغربية بعامة والولايات المتحدة بخاصة.

زعزعة الأمن الامريكى!!

وقد أعرب عضو الكونجروس «هاورد بيرمان» رئيس لجنة العلاقات الخارجية عن قلق الولايات المتحدة من تدفق أموال الصناديق السيادية العربية حيث اتهم بعض أعضاء الكونجرس هذه الصناديق بزعزعة الأمن القومى الأمريكى على الرغم من إنقاذها للاقتصاد الأمريكى من نقص السيولة من جراء أزمة الرهن العقارى الأخيرة وتأثيرها السلبى على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى المجتمع الأمريكى المعاصر.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من الاتهامات الأمريكية المغرضة بل اتهم «هاورد بيرمان» فى جلسة استماع أمام الكونجرس حكومات دول الخليج العربية بقوله: «قد توجه هذه الحكومات صناديق الثروة السيادية إلى الولايات المتحدة لأهداف سياسية أو استراتيجية وليست اقتصادية بحتة ونظرا لأن كثير من هذه الصناديق تفتقر إلى الشفافية، فقد تجلى القلق من الدوافع الكامنة وراء توجهات استثمارات تلك الدول المالكة لهذه الصناديق».

الرقابة الأمريكية!!

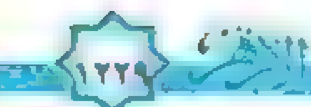
وفى ذات الوقت قامت واشنطن بتكليف صندوق النقد الدولى برسم إطار جديد لهذه الاستثمارات يتم من خلاله إخضاع أموال هذه الصناديق لمزيد من الرقابة الحكومية الأمريكية وينتظر تقديم هذا الإطار الرقابى فى خريف ٢٠٠٩م وفى هذا الصدد توصل المجلس الأوروبى فى بروكسيل فى شهر مارس ٢٠٠٨م إلى استنتاج مفاده «أن الشفافية المحدودة التى تحيط بصناديق الثروة السيادية فيما يتعلق باستراتيجياتها وأهدافها الاستثمارية أثارت قلقاً حيال الممارسات غير التجارية المحتملة» وبالتالى شدد المجلس الأوروبى على الحاجة إلى وضع قواعد سلوك طوعية لتحكم عمل صناديق الثروة السيادية العربية ووصل الجدال أيضا إلى حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية الحالية إذ أعرب المرشح الرئاسى الديمقراطى الأمريكى «باراك حسين أوباما» عن قلقه من أن تأخذ صناديق الثروة السيادية فى الحسبان مسافة أبعد من اعتبارات السوق»، وهو يقصد بذلك أن هذه الصناديق السيادية العربية قد تخفى وراءها أهدافا سياسية من شأنها التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية.

وقالت أيضا «هيلارى كلينتون» - المرشحة السابقة للرئاسة والتى تدعم حاليا المرشح الديمقراطى «أوباما» - «إن صناديق الثروة السيادية العربية يجب أن تتحلى بمزيد من الشفافية، وطالبت برقابة أفضل عليها.

الكيل بمعيارين

وأتساءل ويتساءل معى الكثيرون لماذا هذا الهلع من الأموال العربية؟ وهل يمكن لصناديق الثروة السيادية العربية أن تغزو قلاع الحياة المصرفية فى الولايات المتحدة؟ يبدو أن الخوف فقط هو من الصناديق السيادية العربية لأنها ملك لعرب ومسلمين أنه الكيل بمعيارين معيار لصناديق الثروة السيادية الأوروبية ومعيار آخر للصناديق السيادية العربية التى أنقذت فى الحقيقة الاقتصاد الأمريكى من الانهيار وفى هذا الإطار يقول «بدر السعد» رئيس «هيئة الاستثمار الكويتية» وبعض ومديرى الصناديق السيادية العربية الأخرى - «إن استثماراتهم ذات أغراض تجارية «بحتة» وتهدف إلى تحقيق الربح فقط» ويقول «محمد الجاسر» المسئول بمؤسسة النقد العربى السعودى التى تسعى إلى إنشاء أكبر صندوق سيادى فى العالم بقيمة ٩٠٠ مليار دولار «إن الأمر يبدو كما لو كانت صناديق الثروة السيادية العربية مدنبة حتى تثبت براءتها».

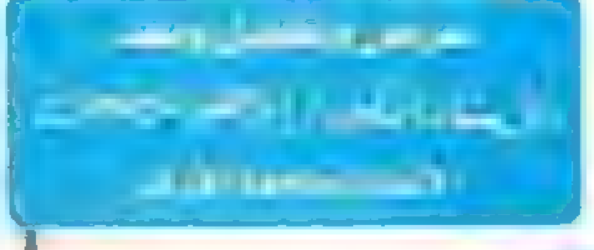
وقد رحب «هنرى بولسون» وزير الخزانة الأمريكى بالاستثمارات العربية الخليجية فى السوق الأمريكية، عندما أدرك أن دول مجلس التعاون الخليجى الست، أعلنت عن غضبها من الموقف الأمريكى الناكر للجميل العربى، فأكد فى اجتماع ٢ يونيو ٢٠٠٨ مع المسئولين فى دولة الإمارات والسعودية وقطر والكويت أثناء جولته الخليجية التى استغرقت يومين «من ٢٣/٩- ٢٤/٩/٢٠٠٨» «أن الصناديق السيادية الخليجية مُرحبٌ بها فى الولايات المتحدة» وفى الختام يمكن القول إن أموال الصناديق السيادية العربية يمكن أن تتضاعف خلال السنوات القليلة المقبلة بسبب ارتفاع أسعار النفط التى قد تصل إلى ٢٠٠ دولار للبرميل الواحد، وهو ما يوفر لها قدرات استثمارية هائلة، تسمح لها بأداء دور رائد وجوهرى فى خريطة الاستثمارات العالمية، كما يجب ألا ننسى أن ننبه المسئولين العرب عن هذه الصناديق السيادية أن يوجهوا مزيدا من الاستثمارات الخليجية لتنمية اقتصادات الدول العربية والإفريقية الأخرى التى تحتاج إلى تمويل عربى صرف للنهوض بها، ورفع مستويات معيشة شعوبها المطحونة التى عانت الكثير ولاتزال.











كما أوضح القرآن الكريم وحدة مصدر الرسالات السماوية جميعها.. أوضح أن قصد تلك الرسالات إنما هو تعدد التكامل والتنامي الملائم للتطور البشري. وأوضح أن الاختلاف في الرأي بين البشر فطرة فطر الخالق العليم الناس عليها؛ لأن بهذا الاختلاف يلتقي الناس ويتعارفون، فيتبادلون المعرفة، ويتعاونون على القيام بدور الخلافة في الأرض لتعميرها والانتقال بالإنسان من البداوة إلى التحضر. في قوله ـ جل شأنه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وأوضح ـ كذلك ـ أن اغترار الإنسان بما أوتيه من العلم قد يطغيه ويخرج به عن الجادة والفطرة، فيجعل من الاختلاف وسيلة قهر، وسبيل بغي وظلم، وعلة حروب وعدوان، في نحو قوله ـ تعالى:

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾

(آل عمران: ١٩)

ويشير إلى أن هذا البغي المؤجج للخلاف إنما نشأ من انحراف الناس في تقديرهم دور العلم، على الرغم من الإنعام عليهم بالطيبات من الرزق، مع إيتائهم الكتاب والحكم والنبوة، فقال ـ عز وجل ـ:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(الجاثية: ١٦ ـ ١٧)

مع هذا الإيضاح المتكرر... نجد من يعميه الغرض، ويضله الهوى، فلا يرى في الاختلاف الفطري إلا بذور الصراع، ولا يرى في المختلفين داخل إطار تلك الفطرة إلا متصارعين، بل ولا يرى فيما يفرزه هذا الاختلاف من حضارات إلا نشاط عدوان وعصيان، على نحو ما اخترعه (صموئيل هنتنجتون) وبشر به هو ومشايعوه ومتابعوه، فراحوا يهيجون الأمريكيين ومسيحيي الغرب لشن حرب قاضية على الإسلام بدعوى (صراع الحضارات). فكانوا امتدادا متراكبا لمسيحية الباباوات (أوربان) لمحاربة الإسلام.

ولكن التعقل والاتزان لا يفقد أنصاره في كل بيئة، فقد أبى نفر من مفكري الغرب المسيحي المتوازنين إلا أن يناهضوا هذا التوجه المؤجج لحروب قد تودي بالأخضر واليابس، وتتجاوز بالإنسان طريق الفطرة المستقيمة. وكان من بين هؤلاء: (ريتشارد دبليو ـ بوليت) في كتابه (الحضارة الإسلامية المسيحية. ماذا حدث؟) الذي تساءل فيه عن الأسباب التي جعلت من التكامل بين الحضارتين صراعا.

الاختلاف بين الدعوة والتبشير

وإذا كان هناك تشابه بين أتباع الإسلام والمسيحية في التعريف بالدين، فإن (المؤلف) يذكر أن من يتتبع نشاط هؤلاء وأولئك فيما بين سنة ١٥٠٠م وسنة ١٩٠٠م لا يملك إلا الإقرار بأن الإسلام اندفع بشكل حاسم في هذه المرحلة، بينما تراجعت المسيحية الغربية.

ومع تنامي الإسلام الواضح، فإن المسيحيين لم يتراجعوا عن زعمهم أن الإسلام دين منغلق متخلف، وأن ما يلاحظ من نجاح للإسلام في انتشاره إنما يرجع إلى ضحالة تعاليمه، وغزله مع الوثنية.

ولا شك في أن هذا الزعم لا يقوم على أساس واقعي؛ فقد ضم عالم المجتمعات الإسلامية خلال تلك القرون عشرات من المجموعات السكانية الجديدة في أفريقيا وآسيا، وتعلموا لغاتها وأعرافها، ووجدوا أراضي مشتركة مع مؤسساتها التقليدية وفنونها وأبدوا نضجا لقابلية للتكيف.

وفي المقابل... نجد الأوروبيين يشتغلون في حماس بجمع النباتات والحيوانات، والأعمال الفنية من البلاد الأخرى، لكنهم لم ينفتحوا ـ مثل المسلمين ـ على تعلم اللغات الغريبة، ولا رغبوا في استيعاب الأعراف الغلبية. واحتواء القيم الاجتماعية والفنية لتلك المجتمعات؛ فقد تقوقعوا حول أفكارهم دون غيرها. ودفعهم الاغترار بالتوسع الإمبراطوري إلى إغلاق عقولهم عن أن يقدم العالم المسيحي أي شيء يماثل الحج السنوي إلى مكة، حيث يلتقي المسلمون من شتى أنحاء الأرض ـ على اختلاف

لعاتهم ـ فيتعلمون من بعضهم فى ظل مساواة عرقية وروحانية.

وكان من أبرز مظاهر التباين بين التوأمين اللذين سارا فى طريق تطورى متشابه. . إعلان حكام الأوروبيين عزمهم على تنصير العالم ـ مع احتبارهم السطوة العسكرية والاقتصادية ـ بينما اتبع الحكام المسلمون مسارات مختلفة سعوا فيها بكل ما أوتوا من جهد لخلق إمبراطوريات غنية قوية، لكنهم لم يفكروا فى تحويل الشعوب الرعايا إلى الإسلام.

وينهى المؤلف جولته الاستطلاعية بتقرير: أن اعتماد الحكام الأوروبيين على القوة فى الترويج للمسيحية جعل منها شكلاً من أشكال الطغيان الأجنبى، بينما ترك الحكام المسلمون مهمة الدعوة للتجار الصوفيين غير الرسميين، وعابرى السبيل الذين كانوا يعملون خارج نطاق سلطة الحكام المسلمين، وبذلك أصبح الإسلام ـ بقانونيته وأخلاقيته العالمية الثابتة ـ حصنًا لمقاومة الطغيان.

ويخلص المؤلف من استعراضه وملاحظاته إلى أن فرصة صدام الحضارات إنما هو إفراز للغرب اليهودى/ المسيحى فى نزاعه مع الإسلام. أما وفقًا لنموذج الحضارة الإسلامية/ المسيحية، فالإسلام والمسيحية توأم لم يتوقف تشابههما بافتراق سبيلهما.

ولكن المعلقين الأمريكيين يعتبرون القتاليين من المسلمين بأنهم الصوت المهيمن فى العالم الإسلامى، وينكرون وجود عقول ليبرالية، وفى الوقت نفسه يصرون على نعت من يماثلون هؤلاء من الأمريكيين بأنهم قوة غير أخلاقية، وأن من يخالفونهم ظاهرة شاذة غير ديمقراطية.

أما المعلقون المسلمون المتشددون منهم والعلمانيون فيرون أمريكا أرضًا علمانية للرذيلة والفنون الاستهلاكية والتافهة، ويرون الليبراليين الإسلاميين الخليين عملاء للنفوذ الأمريكى، أو محرضين على الديكتاتورية.

فى حين يستهجن المسلمون الليبراليون تلك التوجهات القتالية، ويرفضون التشدد الدينى، ويودون لو أنه اختفى.

من كل ما يؤكد أن هناك ما يربط العالم الإسلامى بالعالم المسيحى، وأنه لا يمكن فهم ماضى الغرب ومستقبله على النحو الأكمل بدون تقدير لعلاقته المتوائمة مع الإسلام التى استمرت لأكثر من أربعة عشر قرنًا.

فالحاجة الداعية للتعرف على الحضارة الإسلامية/ المسيحية، والاعتراف بها تعتمد على حاجة جميع الأمريكيين أن يدركوا الأرض المشتركة مع الجموعات الإسلامية فى الشتات.

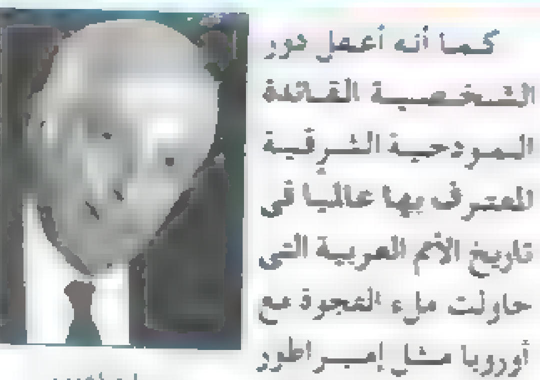
بين الإسلاميين والأوروبيين رؤى متباينة

وفى الفصل الثانى (ماذا حدث؟) قام المؤلف بجولة تأملية بين كتابات ورؤى حديثة صدرت عن أوروبيين وإسلاميين بحثًا عن طبيعة التباين بين الإسلاميين والأوروبيين، ومصادره؛ سعيًا منه لكشف أبعاد هذا التباين بين الحضارتين.

والمؤلف يرى ـ ابتداءً ـ: أن مصدر ذلك هو اختلاف شكل الحياة فى العالم الإسلامى عنه فى العالم الأوروبى (المسيحى)؛ ولكى يوضح ذلك استعرض ما ذكره (برنارد لويس)، و(يوسف بشتالى) من مظاهر هذا الاختلاف وعوامله. حيث يؤكد (لويس) فى كتابه «أين خطأ؟»: أن خطأ قد وقع فى الشرق الأوسط هو الذى تولد عنه هذا الاختلاف.

وبعد مناقشة (لويس)، و(بشتالى) فيما ساقاه... خلص المؤلف إلى أن الخطأ لا يتعلق بالشعوب الإسلامية، ولكن الخطأ يرجع إلى (لويس)، و(بشتالى) لأنهما نظرا إلى العالم الإسلامى بعينين أوروبيتين من جهة، وبعيون ما جاء فى المذكرات الشخصية وبعض التقارير والروايات، وبعض الكتابات السياسية لفريق من أبناء العالم الإسلامى، الذين دارت ملاحظاتهم على بعض الفروق بين المجتمعين سواء بالاستهانة أو بالاحترام، مثل عرى الكعبين لفتاة عارية فى حفل راقص، أو تلك الإنجازات العلمية الأوروبية، أو القوة الصادمة لأسلحة الجيوش الأوروبية الرهيبة؛ فلم يستطع (لويس) أن يقف على ما ظل الحكام يسعون إليه منذ القرن التاسع.

فكان لافتقاده هذه الاستطاعة أثر فعال فى حكمه الخاطئ بأن الاختلاف مع الغرب يعنى: وجود نقائص لدى المسلمين، وأن دراسة عادات شعوب الغرب بدءًا بركوب عربات الخيل، وانتهاء بكيفية تقطيع شرائح الدجاج والأرانب... وأن دراسة هذه العادات فريضة واجبة على كل شرقى يريد الاختلاط بهم، والعيش بينهم ندًا معترفًا به. فكل من يرغب من غير الأوروبيين أن يتقبله الأوروبيون يجب عليه أن يتصرف وفقًا للأسلوب الأوروبى.



برنارد لويس

كما أنه أغفل دور الشخصية القائدة النموذجية الشرقية المعترف بها عالميًا فى تاريخ الأمم العربية التى حاولت ملء الفجوة مع أوروبا مثل إمبراطور الميجى فى اليابان الذى أشرف ـ فيما بين عامى ١٨٦٨، ١٩١٨ ـ على النقلة التى حدثت فى جميع مناحى الحياة اليابانية فحقق لها الاعتراف بأنها قوة عظمى.

بينما أبرز صورة طائفة من حكام العالمين العربى والإسلامى الذين سيطرت عليهم أحلام سطوة لا محدودة، متمثلة فى إحكام قبضتهم على شعوبهم، فسعوا لتحرير أنفسهم من نقد رجال الدين المسلمين، وقصروا دور الندية مع الغرب على استخدام التقنيات العسكرية والاقتصادية الأوروبية... لقمع الشعوب والتجسس عليهم فقط، وتأسيس سلطتهم على انتخابات لا يواجهون فيها معارضين أو منافسين؛ فسادت الديكتاتوريات فى الشرق الأوسط بما تفرضه من تحكم بوليسى شمولى وتقديس للشخصيات الحاكمة.

وكذلك... نبه المؤلف إلى أن ما ذكره (برنارد لويس) وأمثاله قام على تجاهل اختلاف الحضارة الإسلامية عن الحضارة المسيحية فى النظرية السياسية، ففى ظل الإسلام يجب على الحكم الاعتراف بأن تفسير الشريعة فى الإجراءات القضائية هو من اختصاص العلماء المتخصصين فى الدين، الناشئين خارج فلك السلطة الحكومية... بخلاف الأمر خارج الإسلام، فإنه

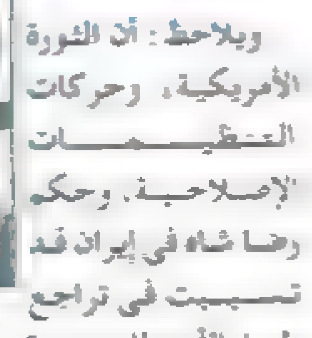
يعتمد على طبيعة الحاكم الأخلاقية.

وكان من نتائج هذا... أن قادة العلماء المسيحيين كثيراً ما مهدوا السبل للهيمنة الملكية. أما علماء الدين الإسلامي فقلما نجد منهم من قام بهذا الدور، وقد وضح هذا الفارق ـ في الدور القضائي ـ حيث كانت العدالة في كنف الإسلام تراعى دائماً، دون تحيز لأى اعتبار، حتى إن اليهود والمسيحيين كانوا يفضلون اللجوء إلى المحاكم الإسلامية، ويرفضون الالتجاء إلى سلطاتهم الدينية.

حتى في ظل الحكم الاستبدادي

ويرى المؤلف: أن هذا الاختلاف بين المسيحيين والمسلمين برز حتى في ظل التسلط الاستبدادي. فبينما كانت الكنائس المسيحية ـ في الغالب ـ تدعم الحكام الأوروبيين الاستبداديين في مواجهة الحركات الشعبية التي تطالب بحكومات دستورية ومؤسسات منتخبة... كان العلماء المسلمون يقودون الحركات الإصلاحية في مواجهة الحكام، كما قادوا مواجهة الهيمنة الأجنبية.

ولم يكن أمام هؤلاء الحكام إلا أن يحتموا بالسلطات الأوروبية والحركات الإصلاحية، ويستعينوا بها في تهديد هؤلاء العلماء، باذلين في سبيل ذلك كثيراً من طاقات الدولة، لاعتقادهم أن التماثل مع أوروبا لا يمكن تحقيقه إلا بأقصى الأساليب الاستبدادية تحت وصف «العلمانية»، على الرغم مما يعنيه هذا من سلب قوة المعارضة المحتملة التي تمثلها الشريعة ورجال الدين، ساعين بذلك إلى الاستحواذ على السلطة المطلقة.



محمد رضا شاه إيران

ويلاحظ: أن الثورة الأمريكية، وحركات التنظيمات الإصلاحية، وحكم رضا شاه في إيران قد تسببت في تراجع طويل الأمد للتسمية الدينية، وأن هذا التراجع انقلب مؤقتاً في إيران في منتصف سبعينيات القرن العشرين قبل الثورة، حينما أصبح الإسلام نقطة حشد لمن يعارضون طغيان محمد رضا شاه، ووصلت تلك العودة الوجيزة للتسمية الإسلامية إلى ذروتها حوالى سنة ١٩٧٧م.

في ضوء هذا يمكن النظر إلى الثورة الإيرانية وتقديرها بداية مرحلة انتقال من الاستبداد إلى الديمقراطية ـ وليس الانتقال من العلمانية إلى الحكومة الدينية ـ التي سوف تقود إلى مستقبل أكثر علمانية.

الثقافة بين المدارس والمطبعة

ويلاحظ المؤلف: إن الطباعة في العصر الحديث أسهمت في توسيع الوسائل الثقافية. فبعد أن كانت قاعات الدراسة هي الوسيلة الثقافية الوحيدة، قامت المطبعة بتوفير الكتب المطبوعة، وبالتالي: تيسير انتقال الثقافة وانتشارها، فقللت بذلك من أهمية المرجعيات الدينية التقليدية. بل إن التكنولوجيا الحديثة مكنت للكتاب والمؤلفين من أن يصبحوا مرجعيات، على الرغم من بعد المسافة بينهم وبين القارئ.

ويلاحظ: أن العالم المسيحي ـ في هذا المضمار ـ سبق العالم الإسلامي بأربعة قرون؛ فلم يحدث هذا التطور في العالم الإسلامي سوى في سنوات القرن التاسع عشر الأخيرة، حيث تيسر للمتدينين في أواخر القرن العشرين أن يغرقوا المكتبات بفيض من الكتب التي تعبر عن وجهات نظرهم الشخصية في الإسلام، وتقدم فتاواهم التي كانت تصدر تقليدياً عن العلماء ذوي المكانة العلمية؛ فبينما دعا بعض الكُتّاب إلى العودة للحياة كما تخيلوها في أيام الرسول ﷺ، عبر آخرون عن آراء أكثر انفتاحاً، ودعوا إلى مزيد من الحريات الشخصية، ومشاركة الأحزاب الإسلامية في الحكم، إلى جانب توجه آخر يؤثر استخدام العنف حلاً لمشكلات الإسلام.

ثم كان للثورة الإليكترونية في الطباعة أثر فعال في نقل التأويل الشخصي للإسلام ـ وإن لم تقلل من أهمية الكلمة المطبوعة ـ فاستمدت الصحوة الإسلامية السياسية قدرتها على التعبئة من ثلاث محاولات لتقليص سلطة العلماء.

وقد نتج عن ذلك نجاح تهميش العلماء إلى درجة كبيرة في تحرير الحكومات المستبدة من تهديد سياسي منافس استمر لزمن طويل، إلى جانب تسلمه المرجعيات الجديدة الصاعدة أداة للوصول إلى قراء دوليين بأعداد هائلة، وجذب القراء بعيداً عن المرجعيات القديمة.

ومع ما أتاحته آلة الطباعة من فرص للمفكرين الإسلاميين... تمكن القوميون، والاشتراكيون، والشيوعيون، والعلمانيون من إصدار آلاف الكتب والصحف، لكن معظمها جف سريعاً لافتقادها إلى جمهور ملتزم بهذا الفكر.

وكان ثمرة هذا أن أفكار اللادينيين المطبوعة لم تثمر شيئاً، لافتقادها إلى جذور لها في الثقافة السياسية المحلية، بخلاف أفكار الدينيين التي ترسخت بعمق، لأن جذورها كانت موجودة بالفعل.

ولذلك... لم تستطع أشكال الديمقراطية العلمانية الحيلولة دون ظهور الحكام المستبدين، وغضت القوى الغربية الملتزمة بالديمقراطية نظرها عن سطوة الملوك والأسر الحاكمة واستبدادها، فلم يكن هناك مفر من ظهور ثقافة المقاومة الإسلامية للتخلص من الطغيان، أو التخفيف من وطأته.

فعلى الرغم من أن حضارة الإسلام والمسيحية تشكل توأم حضارة واحدة، فإن هذا لا يعني: أن تطور علاقة الكنيسة بالدولة في أوروبا المسيحية يمكن نسخه في علاقة الدولة بالمؤسسة الدينية الإسلامية، لأنه لا يمكن تجاهل الإسلام في الحياة العامة والسياسية للمسلمين، ولن يؤدي سحب الإسلام من أجل الديمقراطية إلى اختفائه، فالدين والطغيان حقيقة من حقائق حياة غالبية المسلمين؛ فليس بوسع الإرهاب الدولي تعسفه تتصرف وفق ديناميكية سياسية لحماية المسلمين من الظلم الذي استمر لعدة قرون.

يتبع

أزمة دارفور.. وواجـــب الدعاة فى هذه المرحلة

[illegible]

الأستاذ بمعهد الدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة

ترتب على انتشار الإسلام فى أفريقيا بصفة عامة نشأة العديد من الطرق التى ربطت القارة من المحيط الأطلنطى حتى البحر الاحمر. وعلى الصعيدين الاجتماعى والدينى قام الدعاة والصوفية خاصة بنشر الإسلام على نحو خاص يمتاز بالاهتمام بمهابة شيوخ الطرق وأوليائها، وهى الصفة السائدة حتى الآن فى مجتمعات أفريقية كثيرة، وقد أدى ذلك إلى تدعيم روابط قوية من الإخاء الدينى والوفاق الاجتماعى، كما أدى إلى نوع من التكامل اللغوى والعرقى، الذى تضمن إسباغ الطابع المحلى على الثقافة الإسلامية، ومن ثم التجانس بين المجتمعات الإسلامية بعضها البعض ومع بقية العالم الإسلامى.

وهناك حقيقة معروفة فيما يخص البعد العرقى، وهى أن حاملى لواء نشر الدعوة الإسلامية ـ أيا كانوا ـ أثبتوا على الدوام ميلا متميزا إلى الإقامة بين من يتصلون بهم من الناس، يشاركونهم حياتهم ويتزوجون منهم ونتيجة لهذا الموقف انصهر سكان مناطق كثيرة فى السودان وشمال وشرق أفريقيا ووسطها فى العنصر العربى، وإذا أضفنا إلى ذلك هيبة الإسلام وثراء حضارته وملاءمته لكل الظروف والبيئات، فإننا ندرك حقيقة أن أناسا كثيرين يشعرون بفخر نسبهم العربى «حقيقة كان أو تصورا» إضافة إلى هويتهم الإسلامية على نطاق العالم الإسلامى من غينيا والسنغال إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى.

وإقليم دارفور من بين أقاليم القارة التى يصدق عليها ما سبق قوله.

هذا الاقليم يقع فى أقصى غرب السودان. ويمتد بين خطى عرض ١٠ إلى ١٦ درجة شمالا، ومن خطى طول ٢٢ إلى ٢٧,٣٠ درجة شرقا ومساحته ١٣٨,١٥٠ ميلا مربعا، ويقدر عدد سكانه بنحو مليون نسمة. ويحده من الشمال الصحراء الليبية، ومن الجنوب المديرية الاستوائية، ومن الشرق مديرية كردفان. وعاصمة الاقليم مدينة «الفاشر» وتقع على بعد ٥٠٠ ميل جنوب غرب الخرطوم وينقسم الإقليم إلى خمسة أقاليم. لكل إقليم مركز رئيسى يوضحه الجدول التالى:

الإقليم الفرعى	المساحة	[illegible]	المركز الرئيسى
دار مساليت	٨٨٤٥م	٢٥٠,٠٠٠	جينينا
الفاشر	١٨٢٩٠م	١٥٠,٠٠٠	الفاشر
الشمالى	٥٠٤٦٠م	٢٠٠,٠٠٠	كتم
الجنوبى	٤٨٣٨٥م	٤٠٠,٠٠٠	نيالا
العربى	١٤١٧٠م	١٥٠,٠٠٠	زالنجى

زالنجي

بهذه الأقاليم يعيش أكثر من ٩٠ قبيلة، لكل منها زعيم، ولكل إقليم حكومة محلية لها نظامها القضائى والمالى، ومازال النظام القبلى والعرف هو الأساس، والمهنة الرئيسية لدى أغلب القبائل هى الرعى، وقليل من الزراعة.

نبذة تاريخية

سكان جبل مارا من الداجى DAGU الأفارقة، وكانوا يسودون دارفور فى فترات مبكرة من تاريخها، وفى القرن الرابع عشر وصل عرب التنجور Tungur إلى دارفور عن طريق بورنو ووادى Wadia ومن أوائل ملوكهم أحمد الماكير الذى تزوج ابنة آخر حكام الداجى. وحفيده السلطان دالى DAli أشهر الشخصيات فى تاريخ دارفور. وقد وضع كتابا باسم «دالى» وضع فيه قانونا للعقوبات. ومبادئ أساسية للحكم تختلف بقدر ما عن تعاليم الشريعة الإسلامية، وكان من أهم أهدافه التوحيد بين السكان عربا وأفارقة.

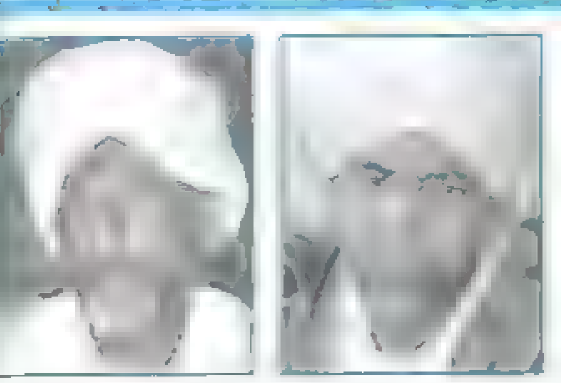
جاء بعد «دالى» حفيده «سليمان» الذى حكم من عام ١٥٩٦ ـ ١٦٣٧م

وكان حاكماً عظيماً عمل على نشر الإسلام بين سكان الإقليم وحوله. وتابع مسيرته حفيده «أحمد بكر» الذي حكم في الفترة من ١٦٨٢ ـ ١٧٢٢م ومد حكمه شرقاً من النيل حتى شاطئ العطبرة، وازدهرت دارفور في عهده، وشجع هجرة السكان من بورنو Bornu وباجيرمي Ba... إلى بلاده.

تورط الحكام بعد أحمد بكر في حروب مع حكام «سنار» و«وادى» مما أدى إلى فقر عام في الإقليم وتولى بعده السلطان عبدالرحمن، وإليه يرجع الفضل في ازدهار مدينة «الفاشر» واتخاذها مدينة ملكية ومقراً للحكم.

ومن أهم المراكز التجارية في دارفور «كوبي» Kobbe التي تقع على بعد ٥٠ ميلاً شمال غرب الفاشر.

خلف السلطان عبدالرحمن ابنه «محمد الفضل» الذي حكم حتى عام ١٨٣٩ وكرس حياته لتوحيد القبائل في دارفور وفي عهده استولى المصريون على إقليم كردفان سنة ١٨٢١م ثم استولت بعض القبائل العربية على منطقة بحر الغزال في عهد «محمد حسين» الذي مات عام ١٨٧٣ وخلفه ابنه «إبراهيم» الذي دخل في صراع مع الزبير رئيس التجار في بحر الغزال. كما اصطدم بالقوات المصرية القادمة من الخرطوم مما أدى إلى دمار مملكته وقتله في معركة في



عمر البشير — الترابي

خريف عام ١٨٧٤م وفي عهد عمه «حسب الله» خضعت دارفور للحكم المصري أيام الخديوي إسماعيل وقامت عدة ثورات ضد الحكم المصري انتهت بالفشل وفي عام ١٨٨٣ اضطر حاكم الإقليم للخضوع للمهدي وضمت دارفور إلى بقية الأقاليم التي استولى عليها المهدية وفي نوفمبر ١٩١٦ أصبحت دارفور مديرية من مديريات السودان تحت الحكم المصري الإنجليزي وضمت إليها «دار مساليت» ومن ثم خضعت دارفور وتعرضت لما تعرض له السودان حتى وقتنا الحاضر.

الأزمـــة

سكان دارفور عرباً وأفارقة جميعاً من المسلمين، وقد تعرضت المنطقة مؤخراً إلى تدخلات خارجية خطيرة تصور الخلافات بين أهل دارفور على أنها خلافات عرقية بين العرب والأفارقة ويكثر الادعاء في الإعلام الغربي بأن العرب يقومون بإبادة القبائل الإفريقية في دارفور.

والواقع أن الخلاف بين أهل دارفور يرجع سببه الأساسي إلى الخلافات السياسية في دوائر الحكومة السودانية في الخرطوم حيث يؤيد بعض أهل دارفور «حركة العدل والمساواة JEM» النظام الإسلامي الذي كان يقوده الترابي. ومن المعروف تاريخياً أن دارفور كانت موطن حركة المهدية وأنها كانت موضع تباهي الترابي بالنجاح السياسي طوال العقد المنصرم ومن هنا يرجع سبب الخلاف حيث تؤيد حركة «العدل والمساواة» النظام الإسلامي في مواجهة تحالف الخرطوم بين ضباط الجيش بقيادة «عمر البشير» وتؤيد الحركة الإسلامية بزعامة الترابي.

خلاصة الأمر أن الصراع في دارفور في أساسه صراع سياسي وليس صراعاً عرقياً بين عرب وأفارقة بأي حال من الأحوال كما أنه ليس صراعاً ثقافياً لأن العروبة في السودان خاصة ثقافة، فالاختلاط البشري بين الجميع غير محدود ولا يمكن الإدعاء بنقاء أي قبيلة، وكما سبق أن ذكرنا فإن جميع سكان دارفور جميعاً من المسلمين وهم جميعاً سودانيون، وخطورة الصراع بينهم سوف تؤدي إلى آثار كارثية على المستوى السوداني والعربي بوجه عام وقد يؤدي إلى تفاقم صراعات إقليمية أخرى في دول الجوار.

ويكمن الخطورة الرئيسي على المستوى العربي يعود إلى محاولة الغرب وإسرائيل استغلال هذا الصراع لاستهداف السودان كدولة موحدة ومحاولته تجزئتها وخلق المشكلات لها حتى لا تتمكن من القيام بدور في التنمية واستخراج ثرواتها البترولية المنتشرة".

يحاول الغرب الوصول إلى النفط السوداني أو على الأقل تمكين الشركات الغربية من استغلاله لصالحها وحرمان السودان من هذه الثروة. وبالتالي حرمانه من التطور والازدهار.

الأخطر من ذلك أن دارفور عند أمريكا الرسمية يمثل فرصة استراتيجية لجذب إفريقيا نحو الحرب العالمية على ما تسميه الإرهاب الإسلامي ومن خلال ذلك تحاول رسم حدود فاصلة بين العرب والأفارقة وهو هدف قديم حديث هذا علاوة على المشروع الغربي الشرق أوسطي لدمج إسرائيل في المنطقة.

وجود القوى الغربية في هذه المنطقة الحساسة من العالم العربي يهدد أمنه من الخلف، وكأن الغرب يريد أن يفتح جبهة جديدة للصراع جنوباً علاوة على جبهة الصراع شمالاً مع إسرائيل التي تحاول أيضاً تهديد الأمن المصري عن طريق التدخل في مياه النيل وبهذا أصبحت قضية دارفور قضية عربية في الأساس.

دور الأزهر

والسؤال الذى يطرح نفسه ماذا ينبغى علينا نحن المسلمين؟ وهل يمكن أن يكون للأزهر الشريف ورجاله دور فى حل هذه الأزمة بين مسلمين ومسلمين؟

● فى رأينا أنه ينبغى أولاً تنظيم كل أشكال الدعم المعنوى لحل المشكلات بين أهل دارفور وبينهم وبين حكومة الخرطوم.

● ثانياً أن تساهم الدول العربية بشكل جماعى ومباشر وعاجل ومنظم لتلافى المشكلات الإنسانية فى دارفور.

● ثالثاً: أن تبدأ الحكومات العربية مجتمعة فى وضع خطط لتنمية الإقليم.

● رابعاً وهو الأهم إنشاء لجنة من رجال الأزهر الشريف خاصة تزود بإمكانات قوية للقيام بمحاولة لنشر ثقافة السلام فى الإقليم ودعوة المسلمين إلى نبذ الحرب والاعتصام بحبل الله والالتزام بشريعة العدل والمساواة بين الناس والتنبيه إلى خطورة استدعاء العدو الأجنبى إلى بلادنا وما كارثة العراق ببعيدة ويمكن لهذه اللجنة الاستعانة بهبات أهل الخير من أغنياء المسلمين وهم كثيرون والحمد لله.

◆◆◆



الحوار فى القرآن والسنة

بقلم الدكتور / أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
عضو مجمع البحوث الإسلامية



الحوار طريق للتعايش السلمى وبناء الثقة بين الناس أفرادا وجماعات وأمما وشعوبا.

ولن يكون الحوار مجديا عالميا إلا إذا نجحنا محليا فيما بيننا فى الداخل.. وإذا لم يكن الحوار مجديا وناجحا محليا. فإنه لا يعدو أن يكون جدلا لا عقيما. لا يستند إلى وحدة فكرية تستطيع مواجهة الآخر. فما دام لم يستطع المتحاورون أن يوثقوا روابطهم ببعضهم فإنهم لن يستطيعوا ذلك مع الآخرين إذ لا يستقيم الظل والعود أعوج.

ومن هنا فإن من الواجب علينا أن نوحد وجهات نظرنا فى الحوار وأن نعمل على توحيد الرأى القائم على الحق والصواب والقائم على دعوة الإسلام إلى الحوار لتحقيق السلام والرخاء، والأمن والاطمئنان. ومن أجل التعارف والتآلف. قال الله تعالى:

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

ويعمل الحوار على فتح آفاق التعاون والتعايش بين الشعوب، وقد أكد الإسلام على أن التعاون والتفاعل الحضارى والدفاع من أهم ما يؤكد الأمن فى الأرض ويدفع الفساد والدمار عنها، حيث قال الله تعالى:

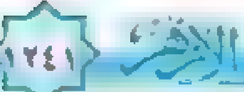
﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾

(البقرة: ٢٥١)

وحتى يتقرر الحوار الجدى لابد من التقارب والتواصل وإتاحة فرص متكافئة بين الجميع بعيدا عن الاستعلاء أو الهيمنة الثقافية، بل لابد أن







يمد الحوار جسوراً بين الثقافة القائمة على الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية وعدم الذوبان في حضارة أخرى أو ثقافة أخرى.

إن الحوار في الإسلام ينطلق من قاعدة «عالمية الإسلام» التي تدعو الناس قاطبة إلى كلمة سواء، فلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً وألا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فيدعو الإسلام في حواره إلى توحيد الله وإلى رفض أي طغيان أو كبرياء أو جبروت حيث قال الله تعالى

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

وينطلق الحوار في الإسلام من قاعدة احترام الشرائع السماوية، والكتب الإلهية وجميع الرسل دون تفريق بينهم كما قال الله تعالى:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

وواضح أن هناك مساحات واسعة للتعاون والعمل المشترك يمكن للحوار أن يتناولها بغية الوصول إلى احترام حقوق الإنسان في كل زمان ومكان ودرء أخطار الظلم والعدوان ودعوة الجميع إلى السلام العالمي والتعايش السلمي.

وواضح أن الله تعالى جعل الناس شعوباً وقبائل للتعارف والتآلف. وأنه سبحانه لو شاء أن يجعل الناس أمة واحدة لفعل، قال سبحانه:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود: ١١٨ - ١١٩)

وهكذا نرى أن الحوار ضرورة للتعايش السلمي وأنه مسئولية مشتركة بين جميع الأطراف وجميع المنظمات العالمية والجامعات ومنابر الدوائر الثقافية والعلمية من أجل نشر ثقافة السلام، وبدل أن تبدد مليارات الأموال في أسلحة الدمار الشامل توجه إلى البناء والاعمار والسلام والرخاء والازدهار.

لغة الحوار والعالمية

لغة الحوار: إن لغة الحوار لغة عريقة في الإسلام من خلال مصدريه الأساسيين القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

لقد بدأت هذه اللغة منذ قال الله تعالى للملائكة

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٣٠)

ولغة الحوار ضرورية لأنها ترسي أصول الحقيقة وتثمر الاقتناع لدى جميع الأطراف ويتعرف كل فريق على جانب الحق بوضوح لا لبس فيه ولذا يرى المتصفح لآيات القرآن الكريم جوانب عديدة للحوار بين رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - وبين أممهم، وجوانب عديدة للحوار بين رسول الله ﷺ وبين المؤمنين وبين الناس بعضهم مع بعض في أمور العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق وفي شئون الدنيا والآخرة

وفي عصرنا الحاضر أصبحت لغة الحوار أهم ما ينبغي أن تعتني به الأمم خاصة بعد ظهور نظريات ودعوات تقول بصراع الحضارات. وهي نظرية مرفوضة فالإسلام يدعو إلى تعاون الحضارات لا صدامها، ولقد عرف الإسلام لغة الحوار وطبق المسلمون مبادئه الراشدة من أقدم العصور ومنذ ظهور الإسلام، وإنما اتخذ الإسلام منهج الحوار، لأن دعوة الإسلام عالمية فلابد أن يسود الحوار حتى يصل الناس إلى الحق، ولننظر إلى عالمية الإسلام في ذلك.

صور من الحوار في القرآن الكريم

منذ الصفحات الأولى في القرآن الكريم الذي يتعبد المسلمون بكل كلمة فيه يأتي الحوار معلماً بارزاً واضحاً كل الوضوح. ومن ثم نجد صوراً مشابهة في القرآن الكريم كله.

وقد وضح منهج القرآن الكريم في الحوار في كثير من الصور لعل أبرزها ما جرى من حوار بين الله - جل جلاله - والملائكة عندما أراد الله تعالى تمكين آدم في الأرض.

وفي القرآن الكريم جاء هذا الحوار على النحو التالي:

يقول الله تعالى للملائكة

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

فترد الملائكة

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

فيقول الله للملائكة:

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

ثم يعلم الله آدم الأسماء كلها ويقول للملائكة

﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

فيعترف الملائكة بعجزهم ويقولون لله:

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

فيقول الله لآدم:

﴿ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾

فينبئهم بأسمائهم فيقول الله للملائكة:

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

وهكذا ينتهي الحوار بين الله سبحانه وتعالى والملائكة.

ثم يقع حوار آخر بين الله وآدم وحواء

تذكره الآيات القرآنية التالية:

﴿ [illegible] ﴾

(أى جعلهما ينحرفان)

﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (أى من الجنة) ﴿ وَقُلْنَا ﴾ (أى الله لآدم وحواء):

﴿ اهْبِطُوا [illegible] ﴾

لكن آدم يعلن ندمه وتوبته فيتوب الله عنه، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

ثم يصدر الأمر الإلهى ببداية تعمير الأرض ورحلة الصراع بين الحق والباطل:

﴿ [illegible] هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة: ٣٨)

ـ وهكذا نرى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر الملائكة أنه جاعل فى الأرض خليفة، وفى هذا امتنان على بنى آدم حيث ذكرهم رب العزة ـ سبحانه ـ فى الملأ الأعلى قبل إيجادهم ومعنى « خليفة » يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، وكان سؤال الملائكة

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

وسؤالهم هو سؤال استعلام واستكشاف يريدون معرفة الحكمة من خلق آدم مع أن من بنى آدم من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء ولعلهم علموا ذلك بما هو معلوم عن الملائكة من أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأن غيرهم من بنى آدم ممن ركبت فيهم الغرائز قد يفسدون أو أنهم علموا ذلك بعلم علمهم الله إياه وعرفهم الله سبحانه وتعالى به.

ـ إنهم تساءلوا إذا كانت الحكمة من خلق آدم العبادة فالملائكة يعبدون الله ويسبحون بحمده ويقدسون له.. فلماذا آدم إذن؟

ـ فأجابهم الله سبحانه بقوله:

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

أى إنه سبحانه أعلم بالمصلحة فى خلق هذا الصنف فيجعل فيهم الأنبياء ويرسل لهم الرسل، ثم يصرح الله بالشرف الذى اختص به آدم فى قوله

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

وهنا تجلى شرف آدم على الملائكة بما اختصه الله بعلم أسماء كل شىء، فبالعلم كان تفضيل آدم عليه السلام.

حوار المشرك الغنى والمؤمن الفقير

وهذا نموذج آخر لحوار قصه القرآن الكريم بين مشرك غنى ومؤمن فقير وهو نموذج لأنماط مكرورة فى الحياة البشرية على مستوى الأفراد والمجتمعات.

قال تعالى:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ [illegible] ﴾

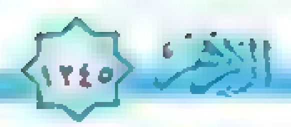
(الكهف: ٣٢ - ٤٤)

وقد ضرب القرآن الكريم هذا المثل بهذا الحوار بعد أن ذكر المشركين الذين استكبروا عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم فضرب الله لهم مثلا بهذين الرجلين كان أحدهما غنيا يفتخر على الآخر وكان مع غناه يتمرد ويتكبر وينكر الآخرة فكان المؤمن الفقير يعظه ويزجره عن الكفر والغرور ويعلن يقينه بما يدخره الله له فى الآخرة خيرا من جنة هذا الغنى الكافر والله قادر على أن يرسل على تلك الحديقة التى يمتلكها الكافر عذابا أو جائحة من السماء فتصبح زلقا (ترابا أملس)، أو يذهب ماؤها وقد وقع للكافر ما كان يحذره مما خوفه المؤمن به فأصبح يضرب كفا على أخرى نادما قائلا:

﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٢)

وهو نموذج للحوار بين الحق والباطل وبين الخير والشر وكيف أنه لا يصح إلا الصحيح وأن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة وأن رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ يمهل ولا يهمل.



مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام



لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

(٥) اكتسبت زيارة البابا بندكت السادس عشر للولايات المتحدة الامريكية اوائل عام ٢٠٠٨م بعضا من الأهمية السياسية والرعوية للأسباب الآتية:

١- لأنها تمت فى لحظة تاريخية تتسم بالتوترات والقلق والخوف الكونى من نزاعات الأديان ومنافساتها على خرائط النزاعات الدولية الاخرى.

٢- الأهمية النسبية لموقع كلتا الدولتين فى النظام الدولى: فالامبراطورية الأمريكية تبدو تجلياتها فى القوة الاستراتيجية الكونية ومصادرها العسكرية والاقتصادية والتقنية والعلمية... والبابا يقود امبراطورية رمزية. ويحمل مصادر للقوة العقائدية والحضور الروحى على المستوى العالمى...

وكلتا القيادتين يتسم تفكيرهما بالنزعة الدينية المحافظة. والحضور المؤثر فى قلب التفاعلات الدولية وصراعاتها.

٣- العلاقات التاريخية بين المؤسسة الأمريكية والفاتيكان فى ظل تقارب وحوار واتفاقات واختلافات... ولاسيما منذ الحرب الباردة والدور البارز للبابا البولندى الأصل الراحل يوحنا بولس الثانى فى دعم عمليات انهيار النظام السوفيتى والكتلة الامبراطورية الماركسية...

٤- تولى البابا - الألمانى الأصل - بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان ليتوج ذروة النزعة المحافظة. وتراجع خطابات لاهوت التحرير. وتقوية هيمنة السلطة البابوية على الكتلة الكاثوليكية العالمية. بما يصفه بعضهم بتراجع مجمع الفاتيكان الثانى..

إن زيارة البابا لأمريكا تبدو رعوية، ولكنها سياسية فى ظل اتفاق الدولتين إزاء بعض القضايا الاجتماعية والطبية كرفض بوش والبابا للإجهاض، والقتل بدافع الرحمة. وأبحاث خلايا المنشأ الجينية، وزواج المثليين.. وذلك كتعبيرات عن عقائد وإدراكات دينية وسياسية محافظة.

وإن كانتا يختلفان فى الرأى حول طبيعة الحرب فى العراق: حيث يراها الأمريكان مشروعة وضرورية للقضاء على تهديدات أسلحة الدمار الشامل، والمساعدة فى نشر الديمقراطية وقيمها فى المنطقة'' ويراها الفاتيكان أنها لا تدخل ضمن مفهوم الحرب العادلة

وقد لوحظ أن الخطاب البابوى أثناء الزيارة

(أ) أنه بدأ يتحرك حول نزعة محافظة تحاول التوافق مع بعض ملامح عصرنا، كالدعوة إلى حقوق الإنسان. وحرية التدين والاعتقاد.

(ب) أنه حاول أن يدعم روحيا ضحايا فضائح التحرش الجنسى بالأطفال القصر على أيدى كهنة كاثوليك بلغوا أكثر من أربعة آلاف كاهن منذ عام ١٩٥٠م، ودفعت الكنائس أكثر من مليارين من الدولارات تعويضا عن تلك الأفعال المشينة.. كما تضمن الخطاب انتقادا لرجال الدين الكاثوليك، ولا سيما بعض الأساقفة الذين تواطئوا مع بعض الكهنة الآثمين. والذين بلغ المدانون فيهم ٤٣٩٢ من أصل ١١ ألف كاهن خدموا فى أمريكا بين أعوام ١٩٥٠ - ٢٠٠٢م. وحاول الخطاب الرعوى السياسى البابوى أن يتجاوز الأزمة التى ألمت بالضمير

الكاثوليكي الأمريكي.

إن زيارة البابا لأمريكا تعد جزءا من الدبلوماسية الدينية الاحتوائية والدفاعية التي استهدفت وقف عملية تراجع الكاثوليكية في أمريكا، حيث فقدت الكاثوليكية خلال السنوات الماضية نحو ٧٪ من مؤمنيها الذين كانوا يشكلون ٣١٪ من الأمريكيين... واستطاع البابا أن يحقق قدرا من التعبئة العقائدية للكاثوليك القادمين من أمريكا الجنوبية والوسطى، وامتدح ما أسماه حيوية معتقداتهم الدينية، وذلك كجزء من دبلوماسية التنافس المذهبي مع البروتستانتينية ومؤسساتها البارزة التي تمثل ٥١٪ من الأمريكيين.

كما سعت سياسة الفاتيكان إلى محاولة وقف التوتر في بعض مناطق الوجود الكاثوليكي خصوصا، والمسيحي عموما، وفي بعض مناطق النزاعات المسلحة والحروب ولاسيما في العراق حيث تعرضت الكنائس والمحال والمسيحيون- الكلدان- إلى عنف تدميري ودموي، وآخرهم رئيس الأساقفة الكلدان في الموصل بولس فرج رحو، وإلى وقف نزيف هجرة المسيحيين من العراق.

ومن أبرز المواقف أثناء زيارة البابا لأمريكا: ما ذهب إليه البابا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة للدعوة لعودة مفهوم الحماية الدولية والمسئولية الدولية من خلال المنظمة الدولية، وهو أمر فشل في أزمة التطهير العرقي في رواندا عام ١٩٩٤م، واستخدم في شمال العراق، واستخدم في حق التدخل الإنساني في الصومال، واستخدم ذريعة للتدخلات الأمريكية في مناطق متعددة حول العالم.

إن نتائج زيارة البابا للولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى تجنب كلا الطرفين القضايا الخلافية، مع إبداء القلق المشترك من الوضع في العراق، وفي بعض مناطق أخرى في المنطقة، وأمل الطرفين بآمال في حل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي مع إقامة دولة فلسطينية مستقلة، مع دعم سيادة لبنان.

وكلها صياغات دبلوماسية عامة وغير محددة، ومائلة، ولا تنطوي على التزامات محددة.

ومن أبرز ما حاول البابا إنجازه- في حدود- هو رفض إلغاء صلاة الجمعة العظيمة التي تدعو إلى اعتراف اليهود بالمسيحية، مع رفضه أي موقف ازدراء أو تمييز إزاء اليهود، أو أي شكل من أشكال معاداة السامية.

والتصدي للنشاط التبشيري البروتستانتي، والانتشار الإسلامي، والبوذية التي تنتشر بنعومة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الغرب.

إن الهدف من الحديث عن زيارة البابا بندكت السادس عشر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعن نشاطه الديني والسياسي خلال هذه الزيارة، هو إلقاء الضوء الكاشف على فكر واتجاهات وسياسة الفاتيكان تحت قيادة البابا بندكت السادس عشر، لتحديد سياستنا وخططنا ومنهجنا عند الحوار مع الفاتيكان.

أهمية الحوار الديني في الوقت الراهن

إذا كان الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي قد أصيب بعثرات من رعونة الكنيسة منذ أن تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، فليس معنى ذلك أن نتوقف عن الحوار الديني مع الآخرين، أو أن نغلق هذا الملف الحيوي المهم.

فالحوار الإسلامي المسيحي مع الكنيسة الكاثوليكية كان يسير بشكل حسن، وتسوده العلاقات الطيبة، والاحترام المتبادل، والتفاهم الإيجابي، والتعاون البناء منذ أن تم توقيع اتفاقية الحوار بينها وبين الأزهر الشريف في يناير ٢٠٠٢م، وهذا يدعونا إلى التفاؤل، وإلى المضي قدما في مسيرة الحوار الديني لتحقيق أهدافه السامية المنشودة، والغاية النبيلة المأمولة.

إن العالم اليوم طغت فيه العلمانية أكثر من أي عصر مضى، وظاهرة البعد عن الله صارت سمة من سمات العصر الحديث. والصراعات بين الدول المختلفة كثرت وتفاقمت، وذلك يعود إلى أسباب عديدة نطرح بعضها تمثيلا لا حصرا فيما يلي:

١- بروز بعض ظواهر التوتر والصراع بين الدول والكتل الدينية الكبرى في عالمنا المعاصر، وبين بعض المذاهب داخل الأديان نفسها، ومثالها:

(أ) الكاثوليكية إزاء البروتستانتينية والأرثوذكسية.

(ب) بعض مظاهر التوتر الإسلامي على مستوى مذهب أهل السنة والشيعة، وخاصة في ظل انعكاسات الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق.

(جـ) ظواهر التوتر الديني بين بعض الجماعات الإسلامية وبين المقاومة الفلسطينية المشروعة إزاء الاحتلال الإسرائيلي، وانعكاسات ذلك على بعض صور اليهودي في بعض التصورات الإسلامية الشعبوية الشعبية.

٢- محاولة بعض الدوائر في عالمنا المعاصر إشعال الصراع أو التوتر بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وإظهار الدين الإسلامي العظيم بقيمه السمحة والعادلة، ومبادئه الراقية التي تدعو إلى التعارف والتعايش والتعاون والحب والإخاء بين الناس جميعا، في صورة العدو للغرب، كما ورد في كتابات "صمويل هانتجتون" في كتابه "صراع الحضارات".

٣- الآثار السلبية لأحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م الدامية، والتي ترسخت في العقل والوعي والإدراك الجماعي الغربي تجاه الإسلام، وما تركته هذه الأحداث من مجموعة من المقالات المسيئة ضد الإسلام، التي ظهرت وكثرت في الآلة الإعلامية الغربية، وفي مناطق أخرى من العالم، والتي أساءت إساءة بالغة للمسلمين، حيث

قدمتهم للعالم في صورة إرهابيين، بل وتجاوزت هذه المرحلة وقدمت الإسلام ذاته على أنه دين عنف وقتال وسفك دماء..

صور نمطية واستشراقية قديمة ومغلوطة حول دين العظيم الذي جاء رحمة وهداية للعالمين، وتنطوي على سلبيات قديمة أشاعتها بعض الدوائر الغربية حول الإسلام العقيدة والشريعة والقيم والمبادئ الأخلاقية والثقافة والتاريخ.

وهذا يدعونا إلى التمسك بالحوار الديني، وإلى أن نبذل كل ما في وسعنا لنشره وتعميمه، فالحوار الديني بين أتباع الديانات السماوية يحقق أهدافا سامية تخدم البشرية، منها على سبيل الاسترشاد لا الحصر:

١- أن الحوار الديني وسيلة فعالة للتفاهم والتقارب والتآلف بين أتباع الديانات.

٢- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى الارتقاء بالقيم الإنسانية والأخلاقية، وإلى توضيح ارتباطها بالقيم الروحية المستمدة من التعاليم الدينية.

٣- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى تجميع القوى الدينية لمواجهة الإلحاد والانحلال والمذاهب اللادينية الهدامة.

٤- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى الحد من انتشار الرذيلة، والقضاء على الفساد الاجتماعي.

٥- أن استخدام الحوار الديني يساهم في حل قضايا الصراع الديني بين الشعوب مختلفة الأديان، وبين أبناء الشعب الواحد المنتمي عقائديا إلى أديان متعددة، وبين أبناء الشعب الواحد المنتمي إلى دين واحد ولكنه يتصارع مذهبيا.

٦- أن استخدام الحوار الديني يساهم في حل بعض المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية سواء على المستوى العالمي الخارجي، أم على المستوى المحلي الداخلي، لاسيما وأن بعض هذه المشاكل ترجع جذورها إلى صراعات دينية.

٧- أن استخدام الحوار الديني يساهم في نشر التسامح، وتحقيق المحبة بين البشر ليسود السلام بين الجميع.

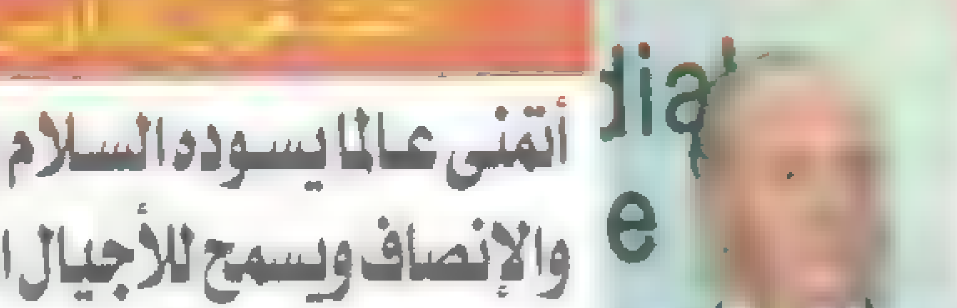
٨- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى القضاء على التعصب والتطرف الديني وما ينتج عنهما من عنف وإرهاب.

٩- أن استخدام الحوار الديني يساهم في التعاون بين أتباع الديانات السماوية على تقديم المساعدات الإنسانية للمناطق التي تصاب بالكوارث.

١٠- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى احترام الشعائر والأماكن والمقدسات الدينية لأتباع الديانات المختلفة، وعدم التعرض لها بسوء.

المؤتمر العالمي للحوار بمدريد

لابد أن نتوجه إلى القواسم المشتركة التي تجمع بيننا وهي الإيمان العميق بالله والمبادئ النبيلة والأخلاق العالية التي تمثل جوهر الديانات.



أتمنى عالما يسوده السلام والعدل والإنصاف ويسمح للأجيال الحاضرة والمستقبلية بأن تنمو في عز وكرامة.

خادم الحرمين الشريفين يؤكد

الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزاع والصراع

في إسبانيا وفي قلب أوروبا كان افتتاح المؤتمر العالمي للحوار والذي عقد في مدريد في الفترة من ١٣ - ١٥ رجب ١٤٢٩ الموافق ١٦ - ١٨ يوليو ٢٠٠٨.. وجاء اختيار إسبانيا مكانا لانعقاد المؤتمر لما تتمتع به من إرث تاريخي بين أتباع الرسالات الإلهية شهد تعايشا وازدهارا أسهم في تطور الحضارة الإنسانية.

قال د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس المؤتمر: إن اختيار مدريد بأسبانيا لعقد المؤتمر العالمي للحوار برغبة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود تم وفق دراسة معينة من قبل رابطة العالم الإسلامي مؤكدا على أن التركيز على المشتركات الإنسانية بين الأديان والحضارات هو محور الحديث في هذا المؤتمر وهو ما أشار إليه خادم الحرمين الشريفين في كلمته التاريخية في الشهر الماضي بحضور أكثر من ٥٠٠ عالم ومفكر وأكد فيها على أن تشترك في مبادىء تدعو إلى حسن الأخلاق، ومواجهة المشكلات وإنقاذ الإنسان منها.

وقد شارك في مؤتمر مدريد أكثر من مائتي شخصية من رجال الفكر والأديان من المسلمين والمسيحيين واليهود والديانات الأخرى لكي يسهموا من خلال الحوار وعلى مدى ثلاثة أيام في بناء جسر تواصل جديد على ضوء نداء مكة والذي جاء ليعبر عن رغبة المسلمين الأكيدة في حوار حضاري مع الديانات الأخرى والفلسفات المسيحية واليهودية وصولا إلى تفاهم مشترك بينها وبين باقي المعتقدات والديانات الأخرى.

قيمة الحوار

جاء حفل الافتتاح معبرا عن الرغبة الأكيدة من قبل خادم الحرمين لمواصلة مبادرته مشددا على القواسم المشتركة بين أتباع الأديان وإعلاء قيمة الحوار فكانت الجلسة المهمة الافتتاحية والتي حضرها الملك خوان كارلوس ملك إسبانيا في واحد من أهم القصور الملكية بمدريد وبحضور كل المدعوين من أنحاء العالم من المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين وعديد من الديانات الأخرى.. لكي تتلاحم مع أخيه الإنسان، دونما النظر إلى دينه أو عقيدته أو وطنه.. بعيدا عن الصراعات والحروب وفي مشهد حضاري لم تشهده البشرية وبهذا الزخم من قبل.

وأطلق خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز فعاليات المؤتمر العالمي للحوار بمدريد بإسبانيا، تلك البلاد التي حفر فيها العرب تاريخا طويلا، وعرفت بـ الأندلس، منذ أن دخلوها فاتحين في عام ٧١١ ميلادي واستمرت لثمانية قرون وحتى عام ١٤٩٢.

جاءت كلمة راعي الحفل ضافية معبرة قوية بدأها بكلمات من محكم الكتاب الكريم حيث قال: بسم الله والحمد لله القائل في محكم كتابه

﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾

(الحجرات: ١٣)

بعد ذلك حيا ملك إسبانيا والذي أضفى حضوره سعادة للمشاركين، وقال: أحييكم وأشكركم تلبية دعوتنا هذه الحوار وأقدر لكم ما تبذلونه من جهد في خدمة الإنسانية، متوجها بالامتنان العميق للملك خوان كارلوس ومملكة إسبانيا وشعبها الصديق على الترحيب بعقد هذا المؤتمر على أرضهم التي حملت ميراثا تاريخيا وحضاريا بين أتباع الديانات، وشهدت تعايشا بين البشر على اختلاف أجناسهم

ودياناتهم وثقافاتهم وشاركت مع بقية الحضارات الأخرى في تطور الحياة الإنسانية».

وبكل الثقة والإيمان بمشروعه حول الحوار قال أيضا خادم الحرمين الشريفين «جئتكم من مهوى قلوب المسلمين، من بلاد الحرمين الشريفين حاملا معي رسالة من الأمة الإسلامية، ممثلة في علمائها ومفكريها الذين اجتمعوا مؤخرا في رحاب بيت الله الحرام، رسالة تعلن أن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية والتسامح، رسالة تدعو إلى الحوار البناء بين أتباع الأديان، رسالة تبشر الإنسانية بفتح صفحة جديدة، يحل فيها الوئام - بإذن الله - محل الصراع. إننا جميعا نؤمن برب واحد، بعث الرسل لخير البشرية في الدنيا والآخرة، واقتضت حكمته سبحانه أن يختلف الناس في أديانهم، ولو شاء لجمع البشر على دين واحد، ونحن نجتمع اليوم لنؤكد أن الأديان التي أرادها الله لإسعاد البشر، يجب أن تكون وسيلة لسعادتهم.

لذلك علينا أن نعلن للعالم أن الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزاع والصراع، ونقول: إن المآسي التي مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان، ولكن بسبب التطرف الذي ابتلي به بعض أتباع كل دين سماوي، وكل عقيدة سياسية وقال خادم الحرمين: إن البشرية اليوم تعاني من ضياع القيم والتباس المفاهيم، وتمر بفترة حرجة تشهد بالرغم من كل التقدم العلمي، تفشي الجرائم، وتنامي الإرهاب، وتفكك الأسرة، وانتهاك المخدرات لعقول الشباب، واستغلال الأقوياء للفقراء، والنزعات العنصرية البغيضة. وهذه كلها نتائج للفراغ الروحي الذي يعاني منه الناس، بعد أن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ولا مخرج لنا إلا بالالتقاء على كلمة سواء، عبر الحوار بين الأديان والحضارات.

القواسم المشتركة

وأضاف جلالته: لقد فشلت معظم الحوارات في الماضي لأنها تحولت إلى تراشق، يركز على الفوارق ويضخمها. وهذا مجهود عقيم يزيد التوترات، ولا يخفف من حدتها، أو لأنها حاولت صهر الأديان والمذاهب، بحجة التقريب بينها. وهذا بدوره مجهود عقيم، فأصحاب كل دين مقتنعون بعقيدتهم لا يقبلون عنها بديلا.

وإذا كنا نريد لهذا اللقاء التاريخي أن ينجح، فلابد أن نتوجه إلى القواسم المشتركة التي تجمع بيننا، وهي الإيمان العميق بالله والمبادئ النبيلة، والأخلاق العالية التي تمثل جوهر الديانات وأشار خادم الحرمين الشريفين إلى أن الإنسان قد يكون سببا في تدمير هذا الكوكب بكل ما فيه، وهو قادر أيضا على جعله واحة سلام واطمئنان، يتعايش فيه أتباع الأديان والمذاهب والفلسفات. ويتعاون الناس فيه مع بعضهم بعضا باحترام، ويواجهون المشاكل بالحوار لا بالعنف.

إن هذا الإنسان قادر - بعون الله - على أن يهزم الكراهية بالمحبة والتعصب بالتسامح، وأن يجعل جميع البشر يتمتعون بالكرامة التي هي تكريم من الرب - جل شأنه لبني آدم أجمعين.



خادم الحرمين الشريفين يرعى وبحضور ملك اسبانيا حفل افتتاح أعمال المؤتمر العالمي للحوار بمدريد

وطالب خادم الحرمين الشريفين وهو يخاطب جميع الحضور بـ«الأصدقاء» بأن يكون الحوار مناصرة للإيمان في وجه الإلحاد، والفضيلة في مواجهة الرذيلة، والعدالة في مواجهة الظلم، والسلام في مواجهة الصراعات والحروب، والأخوة البشرية في مواجهة العنصرية

التسامح والاحترام المتبادل

وفي كلمته الجوابية قال الملك خوان كارلوس ملك إسبانيا: إن بلاده لديها معرفة كبيرة وتربة بهذا المفترق من الطرق والثقافات والديانات، وإنها بلد بني ديمقراطيته على التسامح والتعايش والاحترام المتبادل، مشيرا إلى دعم إسبانيا الدائم والمستمر لمسيرة السلام في الشرق الأوسط ولمسيرة الحوار في البحر الأبيض المتوسط، والتعمق في شئون السلام والحوار والتعاون على الصعيد الدولي.

وتطلع ملك إسبانيا إلى أن يدعم المؤتمر العالمي للحوار احترام الهويات والمعتقدات، والقيم والأخلاق التي تمثل القواسم المشتركة بين الأديان السماوية والثقافات والحضارات المختلفة، ويؤدي إلى التفاهم المتبادل والتعايش السلمي بين البشر، متمنيا عالما يسوده السلام والعدل والإنصاف، ويسمح للأجيال الحاضرة والمستقبلية بأن تنمو في عز وكرامة مؤكدا على ضرورة بذل الجهود من أجل القضاء على الجوع والفقر في شتى أنحاء العالم، وأن يحافظ الإنسان على البيئة.

انتصار لصوت الاعتدال والسلام

وألقى الدكتور/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي كلمة جامعة تناول فيها كل ما يخص هذا المؤتمر العالمي حيث رفع الشكر الجزيل في البداية إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود على رعايته لهذا المؤتمر العالمي، وافتتاحه له، وعلى حرصه الشديد والمتتابع على تعزيز نهج الحوار الهادف، وذلك انطلاقا من رؤيته الثاقبة لما تعانيه البشرية من مشكلات، وقناعته التامة بوجود فرص عظيمة بين البشر على اختلاف أديانهم وثقافاتهم يجب استثمارها فيما يصلح شأن الإنسان في كل زمان ومكان وقال د. التركي إن مجرد عقد هذا اللقاء يعد نجاحا وانتصارا لصوت الاعتدال والسلام في العالم، وخطوة إيجابية على طريق التعاون في خدمة الأسرة الإنسانية.

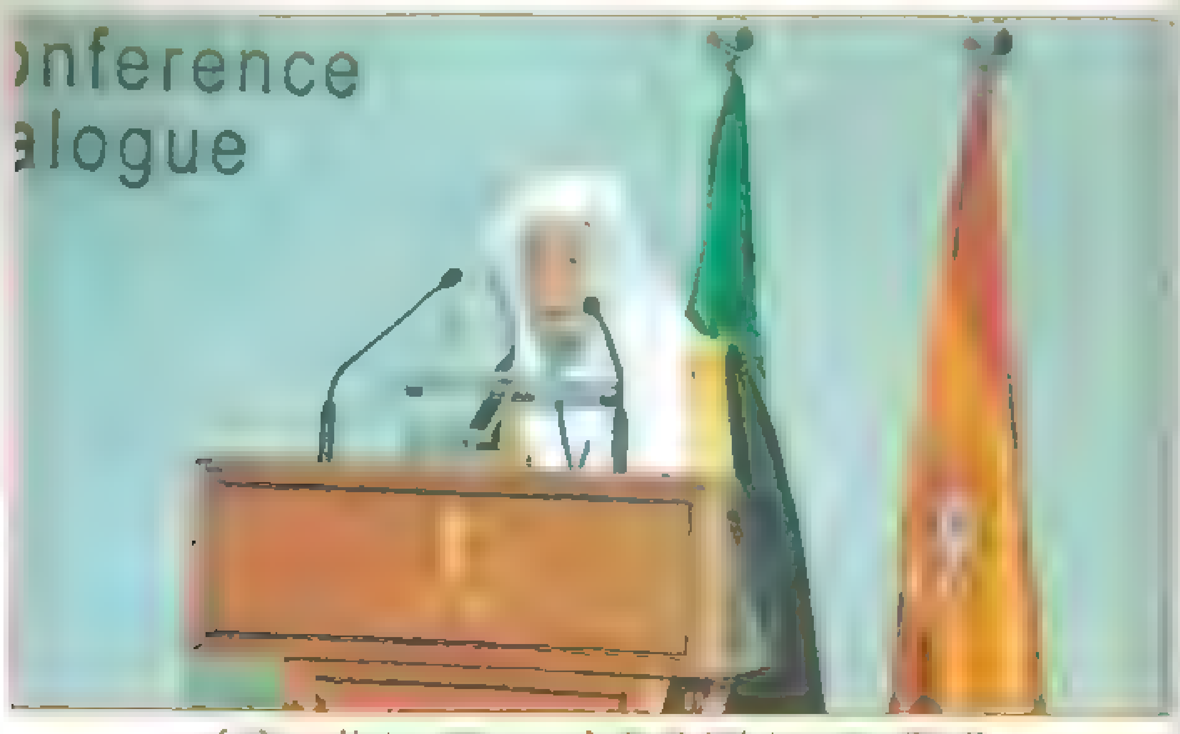
وأشار إلى أن الناس وإن اختلفوا في الدين أو منطلقات الفكرية والحضارية، فإن القيم النبيلة من العدل والخير والفضيلة، التي ترتكز في الجذور الإنسانية الفطرية، وتؤكدها أصول الرسالات الإلهية تبقى على الدوام أصلا مشتركا ثابتا، وإطارا جامعا تنبع منه الأفكار النيرة الوضاءة، والأطروحات الرشيدة البناءة في معالجة القضايا المشتركة للمجتمع البشرى

ويعتبر الحوار من أفضل الوسائل لنقلها وتوسيع نطاق التفاهم عليها لأنه يعتمد على مخاطبة الكيان الفطرى والعقلى، فتستجيب له القلوب والعقول.

وبين د. عبدالله التركي أن هذا المؤتمر يأتي في إطار دعوة خادم الحرمين الشريفين إلى الحوار بين مختلف الفئات الدينية والثقافية والحضارية، وقادة الفكر الإنساني، وتعبير هذه الدعوة عن رغبة صادقة وعميقة في حسن التعايش والتعاون بين أمم العالم وشعوبه وحضاراته تتبناها قيادة المملكة العربية السعودية، وتنتهجها في سياستها الداخلية والخارجية، وهو دليل على أن الخلفية الثقافية والحضارية التي تنطلق منها المملكة تتسم بالانفتاح والمرونة، وحب الخير للبشرية جمعاء وأوضح د. التركي أن المؤتمر العالمي للحوار والذى عقد مؤخرا في مكة المكرمة، يعتبر خطوة إسلامية جامعة في التجاوب مع هذه الدعوة الكريمة، وهو مؤتمر إسلامي عالمي حضره عدد كبير من الشخصيات الإسلامية، اتفقت على أسس وآليات تكفل النجاح للحوار.

وقد تركزت أعمال مؤتمر مكة على الجوانب التأسيسية للحوار بإبراز أصالته، ووضع محددات والشروط التي تهيىء الأجواء لنجاحه وأعلن ذلك في وثيقة صدرت عن المؤتمر، أطلق عليها اسم «نداء مكة المكرمة» تبلورت فيه رؤية إسلامية للحوار

وأوضح د. عبدالله التركي أن رابطة العالم الإسلامي وهي منظمة شعبية عالمية، وعضو مراقب في هيئة الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وضعت في أولويات أعمالها الثقافية والإعلامية الاهتمام بقضايا الحوار وسبل تعزيزه، في مواجهة أطروحة حتمية الصدام بين الحضارات.



كلمة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

نظرة مساواة

وأشار الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أن من أهم أهداف الحوار التباحث في سبل مواجهة الترويج للفوضى، والانحلال في الأخلاق والتفكك الأسرى، إلى حد مناكفة الفطرة وتجاهل الفروق التكوينية بين الجنسين.

فاللقاءات المباشرة بين القيادات الدينية والفكرية والعلمية في العالم مناسبة مهمة لإشاعة أجواء التفاهم وتصحيح المعلومات المغلوطة، والتقليل من أسباب التوتر والتطرف في الأحكام والمواقف والرؤى

وأكد على أن الإسلام ينظر إلى أفراد الجنس البشرى نظرة مساواة باعتبار أن أصلهم واحد، فاختلاف أعراقهم وألوانهم ولغاتهم وأوطانهم، لا يقتضي أي تفاوت بينهم في أصل التكريم والقيمة الإنسانية.

يقول نبينا الكريم محمد ﷺ «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا أعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[1].

إن من مقومات الحضارة الإسلامية الانفتاح على الآخرين، والتكامل معهم، ويشهد لهذه الحقيقة تعدد الأقليات الدينية أو الإثنية في العالم الإسلامي على مر التاريخ، ورعاية حقوقها كافة ومحافظتها على خصائصها.

(١) السلسلة الصحيحة

وعلى تراثها الديني، وعلى ثقافتها الخاصة بها.

وذلك يعود إلى سماحة الإسلام وإلى جوهر الشريعة الإسلامية التي يستمد منها المسلمون نهجهم وثقافتهم وحضارتهم.

وبين الدكتور عبدالله التركي أن الحوار آلية من أهم الآليات في التفاعل مع الوجود بأكمله، أخذا وعطاء، من غير إكراه ولا قهر، ضمن سنتي التنوع والتدافع من أجل تحقيق التوازن الكوني.

وأن الانتقال بالحوار من مجرد كونه لقاءات ومحادثات، إلى أن يكون تواصلا إيجابيا، يفضي إلى نتائج ملموسة تغير من واقع الحياة إلى الأفضل: إحسانا وإتقانا وتجويدا يقتضي التركيز على ثلاث دوائر:

دائرة المبادئ الدينية: فيما يعزز الإيمان بالله تعالى الواحد، الدافع إلى الإحسان إلى الناس، وكف الأذى عنهم.

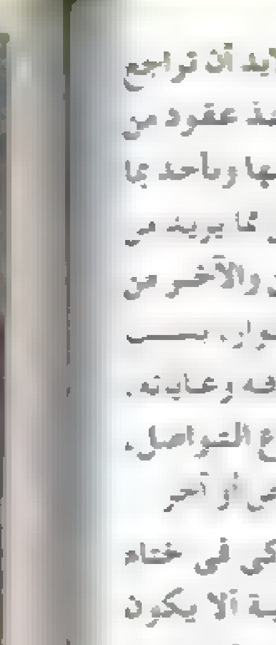
دائرة المصالح المتبادلة التي تهم الناس جميعا وتخفف من ظروف حياتهم على الأرض، وتقيهم ما في المدنية المعاصرة من سوءات وشرور سببها عدم التوازن الذي يسم بعض جوانبها.

إن ما يعوق الحوار قلة التفاهم بين المتحاورين، وسوء الظن المتبادل، ونبش قبور التاريخ المليء بالصراعات الأليمة وشدد د. التركي أنه يجب على الأطراف المتحاورة التجرد لوجه الحق، والإنصاف مع النفس ومع الآخر، وتجاوز التاريخ المسيء، واستحضار النية الصادقة في الوصول إلى أرضية مشتركة تنفع الناس وتمكث في الأرض ولابد أن تراجع جميعا مسار الحوار الذي بدأ منذ عقود من الزمان ونرصد سلبياته، ونصلحها ونأخذ بما هو أرشد وأهدى سبيلا ولعل مما يزيد من أهمية ذلك ما نراه بين الحين والآخر من انتكاسات تصيب مسيرة الحوار بسبب تشنجات وإساءات تناقض أهدافه وغاياته. وما نلمسه أحيانا مثل انقطاع التواصل، وخفوت صوت الحوار بسبب عارض أو آخر

وتمنى الدكتور عبدالله التركي في ختام كلمته في الجلسة الافتتاحية ألا يكون حظنا من هذا المؤتمر العالمي حول الحوار كغيره من المؤتمرات التي تكون حصيلتها مجرد الاستماع لبحوث علمية ودراسات نظرية. بل نطمح إلى تحويل هذا الجهد المشكور والنافع إلى مشاريع عمل تستثمر في مسيرة الحوار العملي. وتوظف للخير ونفع بني البشرية. وتتابعها الجهة المنظمة للمؤتمر وتتابع تنفيذها. وبخاصة أنه يحظى بعناية متميزة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود الحريص على الخير وسعادة الإنسان.

وبعد انتهاء مراسم افتتاح المؤتمر توجه المشاركون لمصافحة الملك عبدالله والملك خوان كارلوس. وبدأت في المساء فعاليات المؤتمر والتي تضمنت خمسة محاور في خمس جلسات.

- المحور الأول: الحوار وأصوله الدينية والحضارية





- المحور الثاني: الحوار وأهميته في المجتمع الإنساني

- المحور الثالث: المشترك الإنساني في مجالات الحوار

- المحور الرابع: تقويم الحوار وتطويره

- المحور الخامس: إشاعة ثقافة الحوار والتعايش

وجاءت الجلسة الختامية في الخامسة عشر من رجب وتضمنت البيان الختامي والتوصيات وألقاه الدكتور عبدالرحمن بن عبدالله الزيد. ثم كلمة عن ضيوف المؤتمر ألقاها الكاردينال جان لويس توران رئيس المجلس البابوي لحوار الأديان والثقافات.

تأكيد على أهمية الدين

وكانت رابطة العالم الإسلامي قد أشارت في بيان لها قبيل انعقاد مؤتمر مدريد للحوار أنها تسعى من خلال هذا الملتقى الكبير إلى تحقيق عدد من الأهداف.. من أهمها:

- التأكيد على أهمية الدين ركيزة وأساسا لا تستقيم حياة المجتمعات البشرية بدونه.

- تقييم التجارب السابقة لتأسيس حوار بين المعتقدات والثقافات والوقوف على إيجابياتها لتعزيزها ورصد سلبياتها، لتلافيها في المستقبل

- دراسة وتحليل معوقات الحوار التي تقف حجر عثرة دون بلوغه النتائج المرجوة منه.

- التنسيق في المواقف على الصعيد العالمي

لمواجهة التحديات الطارئة والسلبيات التى تتنافى مع الفطرة البشرية السليمة والمشترك الإنسانى من منظومة القيم.

- تعزيز وترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة والفضائل السامية، والتصدى لكل دعاوى الإباحية والانحلال الأخلاقى وما ينتج عنها من أمراض اجتماعية فتاكة.

- مقاومة كل التيارات الداعية لتأجيج الصراع والحث على الصدام بين الأمم والثقافات المختلفة.

من داخل المؤتمر

الحوار كان ثريا بين أبناء البشر جميعا.. المسلم والمسيحى واليهودى والبوذى والكونفوشيوسى وغيرها من الديانات والعقائد، يسود الوئام، وقاعة المؤتمر لا يعلو فيها أى صوت سوى الحوار المتزن والملىء بالثقة أملا فى تحقيق هدف مهم للإنسانية، ولا يدهش الإنسان، وعلى مدار الجلسات حينما يرى أن الكل قد حضر، وربما لم يتخلف أحد عن جلسات المؤتمر، حرصا على كل كلمة تقال، أو حتى حوار يتم من خلال المنصة ورئيس الجلسة، فضلا عن الالتزام بالوقت ولغة الحوار، وكان الحرص شديدا على ألا تخرج الجلسات عن الحوار فى إطار الأديان والثقافات، وبعيدا عن السياسة ومشاكلها وأكد على ذلك رئيس المؤتمر الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى

الحوار فى الإسلام

فى الجلسة الأولى.. جاء المحور الأول «الحوار وأصوله الدينية والحضارية»، وقد ترأس الجلسة الدكتور باواجين الأمين العام لقمة السلام الألفية لزعماء الأديان فى الأمم المتحدة.

وكان د. حسين حامد حسان المراقب الشرعى فى بنك دبى الإسلامى ولم المتحدثين، حيث قدم ملحقا لورقته المقدمة بعنوان «الحوار فى الإسلام»، وأكد فيها على أصالة منهج الحوار فى الإسلام، انطلاقا من قوله تعالى

﴿ [illegible] أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الممتحنة ٨)

ورأى فى هذه الآية وغيرها دعوة لحسن التعايش مع الآخرين ومسالمتهم، والحفاظ على حقوقهم، مبينا أن الجهاد مشروع لرد العدوان ولغيره من المقاصد المشروعة مقدما نماذج من تاريخ المسلمين فى التعايش الآمن والإيجابى مع الاخرين

الحوار فى المسيحية

كما تحدث فى هذه الجلسة د. نجيب جبرائيل رئيس منظمة الاتحاد المصرى لحقوق الإنسان، فقدم ملخصا لورقته المقدمة بعنوان «الحوار فى المسيحية»، وأكد فيها على أن جوهر الأديان هو المحبة ومكارم الأخلاق ورفض الظلم، فهذه قواسم مشتركة متفق عليها بين بنى الإنسان، مما يؤكد على فطريتها وأصالتها فى الحياة الإنسانية.

وأشار بأن الاقتتال والصراع ليس نتاجا دينيا، بل هو بفعل البشر وبسبب أنانيتهم.

وأكد الدكتور نجيب على أن الحوار لن يقبل إذا كان مشروطا أو لازمة الاستعلاء والفوقية، وأنه وسيلة لا غناء عنها للوصول إلى الأهداف الإنسانية السامية

وأكد فى خلال بحثه أمام المؤتمر على ضرورة احترام الخصوصية الدينية والثقافية للآخرين.

وحذر من أن يؤدى الاختلاف إلى الخلاف الذى سيدخل البشرية فى دوامة الصراع، ثم قدم آليات لتطوير الحوار، ودعا من خلالها إلى استخدام الموعظة الحسنة فى الدعوة، وبحث نقاط الاختلاف وتكريس حقوق الإنسان والعمل، وطالب بإنشاء جهة تنبثق عن مؤتمر تعالج الخلافات والمشكلات، ودعا إلى إنشاء مرصد بإشراف رابطة العالم الإسلامى، يتولى رصد الانتهاكات للحقوق الدينية، وتمثل فى عضويته كافة الأديان. كما دعا إلى تشجيع ثقافة التسامح وقبول الآخر والسلام، فهنا فقط فيه ضمان مستقبل أبنائنا.

الحوار فى اليهودية

وعن «الحوار فى اليهودية»، وفى نفس الجلسة الأولى فقد تحدث الحاخام آرثر شناير مؤسس ورئيس مؤسسة نداء الضمير فى أمريكا، حيث بين أن اليهودية تدعو فى



نصوصها المقدسة إلى الحوار مع الآخرين، وإلى معاملتهم أطيب معاملة، وأكد رفضه ورفض العقلاء وأهل الأديان لفكرة التصادم بين الحضارات، وأنه يخالف ما أراده الله منا في تعايش وتآلف.

كما عبر آثر شايو عن تفاؤله بقرب نهاية الصراعات، وأن يسود التفاهم علاقاتنا، وأن علينا الشروع في مد الجسور بين الحضارات، ورفض الظلم والعنف والكراهية والعنصرية، وكذلك إدانة ما يتعرض له الإسلام من هجوم في وسائل الإعلام.

إشاعة الحب والسلام

وقال الدكتور د. م. فارما مدير مؤسسة الحوار العالمية في الهند ملخصا ورقته التي جاءت بعنوان (الحوار مع المعتقدات الشرقية) وأكد في حديثه على قناعته بوجود طائفة من القيم الإنسانية المسلمية في كل دين من الأديان، وأن الحوار يهدف إلى إشاعة الحب والسلام، ووقف ثقافة الكراهية التي تلبس أحيانا بلبوس الدين.. وفي هذا حظ كبير برفضه تماما

تتواصل الجلسات، وتثار بعض القضايا حول الحوار. ويتداخل الدكتور مصطفى المقى ليقول لبعض الحاخامات الذين حاولوا أن يخلطوا في الحوار بين الدين والسياسة قال في المؤتمر بالحرف الواحد إننا هنا نتحاور حول الأديان وحول التسامح، وإذا كان ولابد فلدينا ملفات كثيرة يمكن أن نفتحها، ولكن الدكتور عبدالله التركي رئيس المؤتمر احتوى الأمر على الفور، وعادت الجلسة إلى الحوار، كما هو مرسوم ومتبع في المؤتمر.

وقال الدكتور مصطفى المقى حينما سألته عن هذا الأمر: لقد تقدمت باقتراح محدد للمؤتمر وباسمي شخصيا وهو أن يصدر عنه ما يسمى «نداء مدريد» يدعو الدول إلى العمل على استصدار تشريع دولي أممي من الأمم المتحدة، يمنع المساس بالمعتقدات. وقد تعرض نبينا ـ ﷺ ـ لكثير من الإساءات في الأعوام الأخيرة، كما تعرضت الديانة المسيحية أيضا للتجريح، وتعرضت الديانة اليهودية للخلط مع الصهيونية، وحتى البوذية لم تسلم من أذى حركة طالبان عندما حطموا التماثيل في أفغانستان

وقال د. مصطفى: لقد علمت بأنه تمت الاستجابة لهذا الاقتراح وتضمن البيان الختامي للمؤتمر والذي تحدثت فيه عن ضرورة استصدار هذا التشريع الدولي. يسعى إلى تجريم المساس بالمعتقدات الدينية. فلا يمكن أن نتوقف فقط عند مجرد تجريم معاداة السامية، وتترك الإسلام يتعرض لما تعرض له في السنوات الأخيرة

وحمدت الله أنه قد أخذ باقتراحي القادم من مصر.. إلا أن هذا المؤتمر في حد ذاته يعتبر بداية جيدة، خصوصاً وأنه يضم الديانات السماوية وغير السماوية، ونرجو أن يستمر ويتواصل ولا يتوقف عند هذا الحد.

كانت مجلة الأزهر حاضرة في كل المناقشات وفعاليات المؤتمر، والتقت بشخصيات مهمة في مؤتمر الحوار الإسلامي وتابعت التوصيات وهذا ما سوف ننشره ـ إن شاء الله تعالى ـ في عدد قادم.



كان السؤال الذي تردد على كل لسان ممن قابلوني في المؤتمر سواء من اللجنة المنظمة أو من الوفود المشاركة في المؤتمر العالمي للحوار في مدريد عن وصول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي للمشاركة في أعمال المؤتمر كما حدث في مؤتمر مكة المكرمة..

وعلى الرغم من عدم تمكن فضيلته من المشاركة في المؤتمر إلا أنه كان قد أدلى بتصريح خاص لصحيفة العالم الإسلامي والتي أصدرتها إدارة الإعلام برابطة العالم الإسلامي. في عددها الخاص بمناسبة المؤتمر العالمي للحوار بمدريد في أسبانيا.

يقول فيه فضيلة الإمام الأكبر: إنني أعرب عن سعادتي باختيار العاصمة الإسبانية لتكون منطلقا للحوار بين أتباع الديانات المختلفة وأن هذا الاختيار سيضفي صفة العالمية على هذا الحوار وأن المؤتمر سوف يكون فرصة ليسمع العالم كله رؤية المسلمين للتعايش الإسلامي وأن الإسلام ليس دين عنف وإرهاب وليس دين بغي وعدوان وأنه يعترف بالتعدد الثقافي والعرقي وباختلاف الناس في ألسنتهم ودياناتهم.

وقال فضيلة الإمام الأكبر إنني أرحب



بهذا الاختيار وهو في حد ذاته دليل على التسامح الإسلامي، وأن المسلمين يمدون السلام للبشرية انطلاقا من مبادئ دينهم وصلب عقيدتهم وأن الإسلام دين السلام للبشرية كلها مؤكدا على أن انطلاق هذه الدعوة من خادم الحرمين الشريفين ومن أرض الحرمين الشريفين من مكة المكرمة تقدم رسالة واضحة للعالم أن المسلمين في كل أنحاء الأرض يمدون أيديهم بالسلام والعيش الإنساني الكريم تحت قاعدة

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(الكافرون ٦)

فضيلة الشيخ على عبد الباقى ممثل الأزهر فى المؤتمر

الأزهر يؤيد المؤتمر العالمى للحوار ويباركه

التقت «مجلة الأزهر» داخل قاعة المؤتمر بفضيلة الشيخ على عبد الباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والذى حضر مؤتمر مدريد نيابة عن صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف.

● قال لى ردا على سؤال حول مشاركته ورؤيته لهذا المؤتمر الذى ضم العديد من مختلف الديانات فى العالم:

●● إن الأزهر الشريف يؤيد هذا اللقاء، ويدعو أن يبلغ أثره إلى جميع البشر كافة، ذلك لأن هذا اللقاء من مرادات الإسلام المتعددة، وأن الله سبحانه وتعالى حين يذكر الإنسان فى القرآن الكريم يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

فكيف يكون التعارف؟ المطلوب من البشر أو من المسلمين.. إنما يكون التعارف بين سائر الخلق بالحوار والالتقاء وبنشر كل قيم الإسلام للآخر.

والإسلام يؤمن بالاختلاف فى مخلوقات الله جميعاً.. فى الكون كله. حيث يقول:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

إذاً فهذا الاختلاف وهذا التباين هو مراد الله سبحانه وتعالى، فكيف نفعل هذا الاختلاف، وكيف نجعل من هذا الاختلاف قوة؟ هذا مراد الإسلام وهذا مراد الشريعة.

وعن عقد هذا المؤتمر يقول الشيخ على عبد الباقى: والمؤتمر يظهر ما قلته بمبادرة جريئة من المملكة العربية السعودية وبرعاية جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود بنفسه وشخصيا، ليقول للعالم كله، خاصة بعد أن هوجم الإسلام والمسلمون، ووصفوا بنى الإسلام بالتطرف وبالعصبية وبألفاظ لا نهاية لها

وملك السعودية يأتى إلى أوروبا وفى مدريد عاصمة إسبانيا ليقول لهم ها هو الإسلام.. يمد يده ويرفع القيم الأخلاقية للإسلام فوق المصالح الشخصية والمصالح الفانية.. ويوضح القيم للجميع، ليس للإسلام فقط، ولكنه أعطى الفرصة لجميع الأديان الوضعية: البوذية والكونفوشوسية والهندوسية والسيخ، لأن الجميع كلهم أسرة واحدة، كلهم يئول إلى رب العباد سبحانه وتعالى.

ونحن كمسلمين جزء من الأسرة الدولية، ومن الأسرة الإنسانية، ونتأثر لما يحدث لهذه الأسرة فى العالم كله.

إن هذا المؤتمر مؤتمر طيب والأزهر يباركه، وقد شارك فيه منذ إعلانه فى مؤتمر مكة المكرمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى، ومجيئى نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر يعتبر تأييدا كاملا من الأزهر الشريف.

● شاهدنا المسيحى فى الجلسة الافتتاحية التى حضرها خادم الحرمين الشريفين والملك خوان كارلوس وفى خلال الجلسات المسيحى يجلس إلى جوار المسلم وكذلك اليهودى يجلس إلى جوارهما.. والجميع يحدوهم الأمل فى حوار بناء يقوم على أسس حضارية.. وهذه تظاهرة تحدث لأول مرة وبشكل مكثف.. فماذا تقول:

●● كما أشرت من قبل.. إن هذا مراد الإسلام حينما يجمع الإنسانية. لأن الإسلام يدعو إلى الأخوة الإنسانية. كلها بداية ذى بدء وهو ينادى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

فهو يرجع الإنسان كله إلى وحدة الأصل، وهو يخاطب المسلم لم؟ فالناس لا يسمعون لما يقوله القرآن

وإذا كان النداء يختص بالمسلم يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

وإذا كان النداء خاصا بالمسلم مشتركا مع أخيه الإنسان فيقول

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾

لأن المسلم يؤمن بالقرآن، فيؤمن بأنه جزء من الأسرة الإنسانية، إنه أخ للمسيحى وللبهودى وللوثنى والبوذى. لأن الجميع خلق الله.

فطالما كانت الأخوة موجودة، فهناك واجبات تقدم، وهناك قيم تحترم، فله من الحقوق ما للمسلم تماما، وعلى المسلم بالأخص أن يحترم هذه الحقوق، وذلك من رسالة القرآن ومن رسالة الإسلام.

وحينما نتقابل لا نختلف، لكن هذا القرآن

يجمع بين الأديان المختلفة، وبين الأجناس المختلفة، وبين الأعراق المختلفة، يوحد هذا الاختلاف الموجود في العالم، يجعله أسرة واحدة يسود بينها الود والمودة والمحبة.. وهذه روح الإسلام.. ولكننا في غيبة!!

[illegible]

إن للمملكة العربية السعودية ومبادرة خادم الحرمين الشريفين سواء في مكة المكرمة في مؤتمرها.. وفي هذا المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار في مدريد، تأتي لتصحيح الوضع، وتفعيل الحوار والحوار المنقطع يحتاج إلى مؤتمرات عدة.. لكن الجرأة في هذا المؤتمر وفي قلب أوروبا في مدريد عاصمة إسبانيا يأتي ليجمع علماء ومفكرين من العالم كله من أجل التسامح والحوار البناء بين أصحاب الديانات المختلفة، وبالتالي فلابد من تفعيل توصيات المؤتمر واستمراريتها.. ومن الضروري أن تكون هناك سكرتارية دائمة التواصل بين أصحاب الديانات، والذين دعوا في هذا المؤتمر، لعرض مشاكلهم أو ما يرونه في المستقبل، ليناقش في المؤتمر القادم وفي أي مكان يعقد فيه سواء في أوروبا أو في آسيا أو في الأمريكتين.. وهذا هو الجهد المطلوب من المسلمين جميعا.

قد تنوب عنهم المملكة العربية السعودية بما لديها من إمكانيات وآليات.. وهذا جهد مشكور لهم.. وندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم ويوفق المسلمين جميعا لصالح الأعمال.

وأخيرا تقدمت بالشكر لصاحب الفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية على ما تفضل به من حديث





الصدقة في ميزان الإسلام

لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاتة
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الصدقة تنفع المتوفى

من مكارم الصدقة الطيبة، أن الله - وهو الرءوف بعباده - قد جعل منها بابا موصولا بالخير والغفران يستقبل منه العبد فضل الله تعالى عليه ثوابا للصدقة التي أخرجت عنه بعد أن انتقل من الحياة الدنيا وانقطع عمله فيها إلى الحياة الآخرة وهذه الخصوصية للصدقة لا يشترك معها فيها إلا الدعاء وقضاء الدين، ومن النصوص الواردة في الدعاء قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾

(الحشر: ١٠)

وقوله تعالى

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

(محمد: ١٩)

وقال تعالى اخبارا عن إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

(إبراهيم: ٤١)

وعن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل» رواه مسلم، وعنه أن رسول الله ﷺ كان يقول «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة.

عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: «آمين ولك بمثل» رواه مسلم.

وأما قوله ﷺ بظهر الغيب فمعناه في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضا وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها راجع شرح النووي على مسلم.

ومما جاء في قضاء الدين ما روى عن قتادة قال: «كان النبي ﷺ إذا أتى له بجنازة لم يسأل عن شئ من عمل الرجل ويسأل عن دينه، فإن قيل عليه دين، كف عن الصلاة عليه، وإن قيل ليس عليه دين صلى عليه، ومن أمثلة ذلك:- «أتى مرة بجنازة، فلما قام ليكبر قال: هل على صاحبكم من دين؟ فقالوا: ديناران يارسول الله، فعدل النبي ﷺ عنه، وقال: صلوا على صاحبكم، فقال قتادة رضي الله عنه، هما عليّ يا رسول الله، وهو برئ منهما، فتقدم رسول الله ﷺ فصلى عليه ثم قال لقتادة: جزاك الله عنه خيرا، فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك، إنه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه، ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة» القصة رواها البخارى وأحمد والنسائي وغيرهم.

قال البيضاوى لعله ﷺ امتنع عن الصلاة على المديون الذى لم يترك وفاء تحذيرا من الدين وزجرا عن المماطلة أو كراهة أن يوقف دعاؤه عن الإجابة بسبب ما عليه من مظلمة الخلق (شرح السيوطي لسنن النسائي).

وقال النووى قال أصحابنا كان النبي ﷺ لا يصلى على من مات وعليه دين لم يخلف له وفاء لئلا يتساهل الناس في الاستدانة ويهملوا الوفاء فزجرهم عن ذلك بترك الصلاة عليهم فلما فتح الله على المسلمين مبادئ الفتوح قال «من ترك دينا فعليّ قضاؤه» (شرح السيوطى لسنن النووى).

ويصح الحج عن الميت إذا مات وعليه حج الإسلام سواء أوصى بذلك أم لم يوص، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- إن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله إن لله أحق بالوفاء» رواه البخارى.

وكذا إذا أوصى المتوفى بحج التطوع فيجوز أن يحج عنه من الثلث.

ونلاحظ هنا أن النبي شبه لتلك المرأة التى سألته الحج عن أمها بدين الله بما تعرف غيره من دين العباد غير أنه قال فدين الله أحق.

قوله فاقضوا أى فاقضوا أيها المسلمون الحق الذى لله تعالى ودخلت المرأة التى سألته الحج عن أمها في هذا الخطاب دخولا بالقصد الأول وفيه علم في الأصول أن النساء يدخلن في خطاب الرجال لا سيما عند القرينة المدخلة (راجع عمدة القارى).

أما الصوم عن المتوفى الذى مات وعليه صيام لم يتمكن من صيامه قبل مماته فقد اختلف العلماء فيه

فجمهور العلماء منهم أبوحنيفة ومالك والمشهور يقولون بأن وليه لا يصوم عنه ويطعم عنه مدا كل يوم.

والمذهب المختار عند الشافعية أنه يستحب لوليه أن يصوم عنه ويبرأ الميت ولا يحتاج إلى إطعام عنه، واستدلوا بما رواه الشيخان وأحمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه. وزاد البزار لفظ «إن شاء»

وروى أحمد وأصحاب السنن عن ابن عباس أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها قال: لو كان على أمك دين اكنت قاضيه قال: نعم قال: فدين الله أحق أن يقضى.

قال النووى وهذا القول هو الصحيح المختار الذى نعتقده، وهو الذى صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث. ولهذه الأحاديث الصحيحة فمن مات وعليه صيام فإن الله قد جعل له سبيلا لرفع الإثم عنه إما بإطعام عن كل يوم، وإما بأن يصوم عنه وليه، كما اختار ذلك الشافعية وأما قراءة القرآن فالتفصيل فيها في العدد القادم إن شاء الله.

تعقيب على دلالات الألفاظ

الأخ العزيز والأستاذ الفاضل / عادل رفاعي خفاجة

مدير تحرير مجلة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وكل عام وأنتم بخير

أولاً: أشكر لكم جهدكم وأدعو الله تعالى أن يجعل هذا الجهد وهذا العمل الصالح النافع في ميزان حسناتكم إن شاء الله تعالى.

ثانياً: أهدى إلى أحد الإخوة عدداً من مجلتكم الغراء لشهر جمادى الأولى عام ١٤٢٩هـ الجزء ٥ السنة ٨١ وضمن ما قرأت موضوعاً لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى، بعنوان «دلالات الألفاظ بين حد الأصوليين وعبث المجادلين».

وفي حقيقة الأمر الكلام في أصول الفقه أو في الفقه كما تعلمنا من مشايخنا الكرام كانوا دائما يصفونه بأنه يورث جبالاً من التعب من حيث الدقة، لأنه يبحث عن مراد الله وحكمه من خلال فهم النصوص والعبارات. ولن أطيل لأن ما أريده هو تصحيح معلومة وهي وإن كانت دقيقة ربما لا يلتفت إليها غير المتخصصين ولكن على أية حال لابد من البيان لمن يستطيعه.. فأقول وبالله التوفيق أورد فضيلة الشيخ مقدمة فيها بيان مفيد لأهمية المصطلحات الخاصة بكل علم وفن وبين أهمية ضبط علماء الأصول للألفاظ ودلالاتها. وذكر لأبي حامد الغزالي ما يؤيد كلامه وضرب بعض الأمثلة للتأويل، والنص والظاهر والعام والخاص إلى آخره إلى أن قال فضيلته: كما أن درجة الوضوح تختلف وتتفاوت. فبعض الألفاظ أوضح من بعض. لذلك قسم الأصوليون الألفاظ باعتبار درجة الوضوح إلى أربع مراتب. ثم تابع فضيلته الحديث فقال: الأولى شديدة الوضوح أطلقوا عليها اسم الظاهر. والثانية أقل منها وضوحا وسموها «نصا» والثالثة أقل منها سموها «مفسرا» والرابعة أقلهن وسموها «محكما». وقد يتبادر إلى ذهنك سؤال ومعناه: كيف يكون محكما مع أنه أقل درجات الوضوح؟ أقول لك مهلا وإياك والتسرع لقد اتفقنا في أول الحديث على أن لكل علم مصطلحاته وأنه تبعا لذلك «لا مشاحة في الاصطلاح» انتهى كلام فضيلة الشيخ.

التعليق عليه:

سابقاً من حيث انتهى كلام فضيلته:

للقارئ الحق كل الحق في أن يتعجب كيف يكون النص محكما ومع ذلك يصفه فضيلة الشيخ في أدنى مرتبة من الوضوح والظهور والدلالة؟.. وهو هاجس فطرى وصحيح فالحكم كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾

النور ٤

في قاذفي المحصنات، وآيات المواريث.. إلى آخره.

وقول الرسول ﷺ: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» كلها أحكام ونصوص محكمة وقد عرف «المحكم» الأستاذ فضيلة الشيخ عبدالوهاب خلاف، في كتابه علم أصول الفقه، «ص٦٨ دار القلم» بقوله: المحكم في اصطلاح الأصوليين هو ما دل على معناه الذى لا يقبل إبطالا ولا تبديلا بنفسه دلالة واضحة لا يبقى معها احتمال للتأويل أى إرادة معنى آخر غير ما ظهر منه، لأنه مفصل ومفسر تفسيرا لا مجال معه للتأويل انتهى.

كما عرفه فضيلة الإمام محمد أبوزهرة بقوله في كتابه: أصول الفقه، «دار الفكر العربي ص٩٦» ولا تخصيصا إلى آخر ما أورده في نفس الأمثلة من الآية والحديث.

فكيف يدعى أخي فضيلة الشيخ أن المحكم يأتي في آخر سلم من درجات الوضوح؟

ثم يستنكر ما قد يتبادر من أن المظاهر أقوى وأوضح من المحكم، بل إن التسمية للمحكم واضحة في دلالتها على المحكم. ولذلك يقول الإمام أبوزهرة مؤكداً على أن المحكم له الصدارة وليس الأخير.. فيقول: «واللفظ المحكم يدل على الحكم دلالة أقوى من الأنواع السابقة، ولذا إذا تعارض ظاهرها قدم في الأخذ به انتهى. ويقصد الإمام بقوله: «أقوى من أنواع السابقة» أى أقوى من الظاهر والنص والمفسر التى جاءت معكوسة في وضعها. والترتيب الصحيح هو: المحكم ثم المفسر ثم النص ثم الظاهر ولا علاقة لها بالاصطلاحات فالاصطلاح على التسمية صحيحة من فقهاء الأصول.

أخي فضيلة مدير التحرير: العلم أمانة والكلمة أمانة والمجلة جديرة بأن نحفظها من أية شائبة ولو قليلة.. من هذا المنطلق كتبت كلمتي ولكم الحرية في النشر أو عدمه.

وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ودعائي لكم بالتوفيق.

تخصص فقه مقارن. كلية الشريعة

خطأ فى دلالات الألفاظ وجب رده

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى

سبق أن كتبت مقالاً فى مجلة الأزهر الغراء عدد جمادى الأولى سنة ١٤٢٩هـ بعنوان «دلالات الألفاظ بين جد الأصوليين وعبث الهازلين» تكلمت فيه عن أهمية معرفة مصطلحات علماء الأصول لمن يريد أن يفهم عنهم كما أنه لابد من التسليم لهم بمصطلحاتهم فلكل علم مصطلحاته الخاصة به لا يختلف فى ذلك العلماء.

وأيضاً كان قصدى من المقال هو عرض وتقديم بعض علم أصول الفقه وتيسيره للناس بل ودفعهم إليه دفعاً؛ حتى يعرف الناس أن الكلام فى التشريع ليس مجرد التشدق بألفاظ هلامية إنما هو علم منضبط وقواعد حازمة جازمة وأن الاجتهاد ليس مجرد أقوال مرسلة بالخل أو بالحرمة دون فهم أو إدراك للنصوص والقواعد الحاكمة، ولابد من التفرقة بين حكمة المشروعية وبين العلة فكثيرون يخلطون عن عمد مقصود بين الأمرين ويبنون أحكامهم - أو قل جرائمهم - على حكمة المشروعية زاعمين أنها علل الأحكام كما لا يخفى على أحد غثاء الفضائيات المضللة الذى يثير البلبلة تحت المزاعم التى ذكرت - قصراً أكثر - ثم بوضع عيونهم.

هى هجمية شرسة مدبرة مخططة بدهاء ماكر حيث إن آراءها تسير وفق أهدافها المدمرة بدأب لا يمل وترويج هائل مدعوم بإعلام مستأجر مأجور - حتى وصل الأمر إلى أن منهم من يريد أن يغير أحكاماً ثابتة بنصوص محكمة وتنزيل محفوظ بحفظ الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ [illegible] ﴾

(الحجر ٩)

ولقد سمعنا دعوة مجنونة محمولة تريد أن تغير حكماً من أحكام الميراث بحجة زائفة رديئة وأن تغير نصاً من نصوص التنزيل ورد فى شهادة المرأة.

قال صاحبى: كعادتك تركت عنوان مقالك ودخلت فى دروب صعبة طويلة ولم تقل لنا أين الخطأ الذى أشرت إليه؟ هل تريد أن تنسينا الخطأ الذى وقعت فيه وكيف يمكن الإجابة عنه؟



قلت لصاحبى: عفاك الله لماذا سوء الظن هذا؟ أنا لم أكتب هذا المقال إلا لبيان الخطأ الذى وقعت فيه ونبهنى إليه وردنى إلى الصواب أحد أساتذة أصول الفقه بكلية الشريعة جامعة الأزهر - حرسه الله وحرس الأزهر ورجاله وحفظهم سادة للعلم وحماة للشريعة - وقد أرسل الدكتور جابر محمد محمود الشريف - الأستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة - إلى الأستاذ عادل خفاجة - مدير تحرير مجلة الأزهر - ينبه فيها إلى خطأ وقعت فيه فقد أشار الدكتور جابر إلى أننى عندما تكلمت عن مراتب وضوح الألفاظ ذكرت أن المحكم هو أقلها وضوحاً وهذا خطأ وقعت فيه، فالواقع أن المحكم هو أقوى المراتب وضوحاً وما قاله الدكتور حق كله فالمحكم هو أقوى المراتب ثم الظاهر فالنص فالمفسر، والسبب الذى أوقعنى فى هذا الخطأ الواضح أننى اعتمدت فيما كتبت على كتاب الدكتور زكريا البرى فى مراتب اللفظ الواضح وبيان درجات وضوحه[1] وأذكر أننى ذكرت فى مقالى المشار إليه أنه أحد مراجعى وكثير من علماء الأصول يذكرون فى بيان دلالات الألفاظ هذا الترتيب، كما أننى راجعت الكتاب القيم إخراجاً وموضوعاً للدكتور محمد عبدالعاطى محمد على[2] فى مراتب الألفاظ رأيته ذكرها بنفس الترتيب، قال: «قسم علماء الحنفية اللفظ باعتبار الوضوح فى دلالاته على معناه إلى أربعة أقسام: الظاهر - النص - المفسر - والمحكم» وقد رتبوا مراتب الألفاظ هكذا ترتيباً تصاعدياً كتبت ذلك وذكرت موضوعى ثم ذهلت[3] عنه، وما أكثر مشاغل الحياة بالإضافة إلى الهاتف الأرضى والمحمول وانصرفت إلى ما ينصرف إليه الناس من أمور حياتهم ثم عدت إلى الورق والقلم وأكملت مقالى من الذاكرة وكان ما كان من الخطأ الذى وقعت فيه وليس هذا اعتذاراً أقدمه للدكتور وللقارئ أتحلل به من المسئولية أو قل أتنصل به من الخطأ الذى وقعت فيه بل إننى أؤكد أن هذا تفريط وتقصير أدى إلى ما كان ولا أستطيع أن أجادل فيما قاله الدكتور جابر مشكوراً من تصويب وإن كان خطأ جر إليه التفريط فلم يكن وليد خلط فى الفهم أو عدم استيعاب لما هو مسطر مكتوب يعرفه كل مبتدئ فى علم الأصول وعلى كل حال وفى كل حال فنحن جميعاً يجب أن نعترف بأننا لسنا مخترعين أو مؤسسين إنما كلنا ناقلون متبعون.

ليس ما أقدمه اعتذاراً أو عذراً أدافع به

١- راجع أصول الفقه الإسلامى - الدكتور زكريا البرى من ٢٣٠ وما بعده

٢- مباحث أصولية فى تقسيمات الألفاظ الدكتور محمد عبدالعاطى محمد على، ص ٢٢٥ وما بعدها - طباعة دار الحديث بالقاهرة

٣- ذهلت عن الشىء [illegible]



عن نفسي إنما هي ابتلاءات - أسأل الله سبحانه وتعالى - أن يعافيني منها - فأنا لا أكتب محترفاً منتظماً ولا أرفع القلم عن ورق حتى أكمل موضوعي وأنتهي منه إنما هي رغبة في توضيح معنى أو بيان رأي وكتاباتي أقرب للدراسة ليس إلا، والمشاغل التي ذكرت والطريقة التي أكتب بها - كما قلت ليست أعذارا تعفيني من المسئولية - إنما هي ابتلاءات أرجو وأتمنى من السادة القراء أن يسألوا الله أن يعافيني منها فلا أتصور نفسي بعيداً عن الناس مشغولاً عن معاناتهم مهما كلفني ذلك من جهد ووقت هكذا عشت وهكذا أنا لا أزال فأنا لا أتصور أن أمر على جماعة من الناس يقفون في حر الظهيرة يلتمسون الحصول على رغيف من الخبز دون أن يتحرك قلبي أو قلمي أحترق من أجل معاناتهم ومهما يكن من أمر فأرجو أن يسمح لي سيادة الدكتور أن أنتقل من الخاص إلى العام ولست أقصد بالخاص والعام المتعارف عند علماء أصول الفقه إنما أعني الشأن الخاص إلى الشأن العام أي ما يهم الناس جميعاً - وهو حري بأن ينشغل به الدارسون فالمدرسون الدارسون لعلم الأصول والمدرسون له - وهي دعوة أوجهها للدكتور جابر وزملائه جميعاً وهي أن يوثقوا علم أصول الفقه بمعنى أن ييسروا فهمه لكل المثقفين ويقدموا له علماً ميسوراً مرغوباً فيه من خلال عرضه بأسلوب واضح سهل قريب إلى الأذهان وأن يركزوا على بيان أهميته خصوصا في فترة انتشار ظاهرة الفضائيات وأنه خير ضمان لترشيد الجميع وإرشادهم إلى وجه الصواب حتى لا يتجرأ عابث بالأحكام أو يتطاول مدع خبيث.

ونقصد من خلال هذه الدعوة تبسيط علم أصول الفقه لأنني أعلم أنه الحاكم في الفتاوى الشرعية كما أنني أرجو من تبسيطه أن يوسع أفق الناس ويبصرهم بأن اختلاف الفقهاء ليس عن هوى ولا حب أثرة إنما هي أدلة وأقيسة ونصوص واعية وقلوب رشيدة فلا ترى في الاختلاف عوجاً ولا أمتا.

إنه يوجعني إلى حد التأوه أن معركة محتدمة - لا أقول بين أنصاف المتعلمين ولكني أقول بين من لا يعلمون من أمر الأحكام شيئاً - يوجعني أن أراهم يتصايحون في معركة ليس للعقل فيها مكان ولا للحلم فيها محل لكنه صياح أو قل تناطح لا يوصل إلى هدى ولا يرشد إلى صواب والذي يحزنني - وأعتقد أنه يحزنك أيضا ويحزن كل مهتم على ساحة الرأي في محيط الشريعة - أنك تسمع العراك والصياح بسبب شيء غير ذي بال وأمر لا يستوجب كل ذلك.

مثل: هل نرفع اليدين عند تكبيرة الإحرام أو لا؟ وإلى أي مدى يكون الرفع هل إلى الأذنين؟ أم إلى محاذاة الكتف؟ وما حد الأذنين؟ وهل يكون الرفع مع كل ركعة أم عند تكبيرة الإحرام فقط؟ كل هذا والجميع بالقطع لا يحسنون الركوع والسجود بل ولا يحسنون الوضوء ولا يتقنونه ولكنهم بلا شك ذوو دربة ماهرون في العراك والصياح والتكفير وأرجو ألا يقول كما يزعم عجزة الساحة لم تعصرون المتنعمون بمعاناة الكادحين: إنها مؤامرة إسرائيلية لكي أؤكد لسيادتك أننا مشاركون في صنع المأساة ولو بالصمت وإيثار الدعة، إذ الواجب علينا أن نقاوم الجهالة بنشر العلم الصحيح وتوضيح وبيان الوجه المشرق للخلاف بين الفقهاء.

وعلى كل حال وعلى أي حال إنني أرى لزاماً على أساتذة الشريعة أن يقتحموا الميدان ويكتبوا في أصول الفقه يشرحون ويبسطون للناس فذلك بعض الواجب عليهم تجاه دينهم وعقيدتهم وأنا أقول بكل صراحة ووضوح: إن كثيراً ممن كتبوا في أصول الفقه يعمدون إلى التعقيد والإبهام والإيهام، وأعتقد أنكم تشاركونني الرأي حول كثير من كتب القدامى كان يختلط فيها كثير من المنطق الذي أرى أنه لا مبرر له وقد نلتمس لهم العذر فيما كتبوا وسطروا في زمانهم فكما لا يخفى أنه في فترات كثيرة ولأسباب كثيرة كان يعمد بعض الكاتبين للتعقيد ويرون أن ذلك لون من الشموخ العلمي.

وفي العصر الحديث سمعنا أن العقاد كتب كتاباً يتحدى به الخاصة من معاصريه حتى جاء عصياً على القارئ العادي بل وعلى بعض الكتاب ولعلكم راجعتم كتابه «الله». لكن هل توجد مبررات للتعقيد اليوم مع بداية الألفية الثالثة في علم أصول الفقه على وجه الخصوص؟ حيث إن أكثر الدارسين والراغبين في دراسته وتعلمه لا تنقصهم الشكوى من مضمون المادة العلمية والكتب المسطرة في العلم إلا من رحم ربي، وأرجو ألا يرى البعض أن ذلك تجرؤ مني على أساتذة علم أصول الفقه فأنا أعتبر نفسي تلميذاً في ساحتهم ومهما يكن من أمر فلا أحد يرى مبرراً معقولاً ولا عذراً مقبولاً عن سؤال ورد في امتحان نهاية هذا العام ٢٠٠٨ للسنة الخامسة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة ونصه كما يأتي وأنقله بأمانة كما ورد في ورقة الأسئلة:

«س٣: يرى الفلاسفة أن محل العقل الدماغ بينما يرى الأصوليون أن محله القلب - فبم استدل «هكذا» هؤلاء وأولئك مبينا وجه الدلالة وبم رد الأصوليون؟ وما استدل به الفلاسفة وإذا كان هناك مجال للتوفيق بين ما قاله أولئك وما ذهب إليه هؤلاء فكيف يكون؟»

هذا السؤال ليس من عندي ولا من خيالي وأعتقد أن خيالي مهما بلغ من جنوحه لا يصل إلى هذا التعقيد. إنه كما قلت: ورد في ورقة أسئلة السنة الخامسة دور مايو سنة ٢٠٠٨، فهل هذا يدخل في علم أصول الفقه؟ وإذا كان مقبولاً ومستساغاً في القرن الماضي ألم يأن الأوان لكي ننقي أصول الفقه من هذا التعقيد.
وإلى حديث آخر إن شاء الله.

طرائف.. ومواقف



الصديق من صدقك

في الحديث المرفوع: «المرء كثير بأخيه»

كما يجب على الصديق للصديق، النصيحة جهده فلقد قالوا: صديق الرجل مرآته، يريه حسناته وسيآته.

وقالوا: الصديق من صدقك وده، وبذل لك رفده.

وقالوا: خير الإخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك.

وقال الشاعر:

فإن أولى الموالي من تواليه
عند السرور لمن واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأنشد المبرد لعبد الصمد بن المعذل في إبراهيم بن الحسن:

يا من فدت نفسه نفسي ومن جعلت
له وقاء لما يخشى وأخشاه

أبلغ أخاك وإن شط المزار به
أني وإن كنت لا ألقاه ألقاه

وأن طرفي موصول برؤيته
وإن تباعد عن مثواي مثواه

الله يعلم أني لست أذكره
وكيف يذكره من ليس ينساه

عدوا فهل حسن لم يحوه حسن
وهل فتى عدلت جدواه جدواه

فالدهر يفنى ولا تفنى مكارمه
والقطر يحصى ولا تحصى عطاياه

وقيل لبعض الولاة: كم صديق لك؟ قال: لا أدري، الدنيا مقبلة علي، والناس كلهم أصدقائي. وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عني.

«من كلمات خليفة رسول الله أبي بكر الصديق»

- أولى الناس بالله أشدهم توليا لله.
- الصدق أمانة والكذب خيانة.
- إن عليك من الله عيونا تراك.
- اهدم الكفر بعضه ببعض.
- ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر.
- حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا

الأجواد

أجواد الإسلام ثلاثة كانوا في عصر واحد عبيد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وسعيد بن العاص.

فمن جود عبيد الله أنه أول من فطر جيرانه، وأول من وضع الموائد على الطرق، وأول من حيا على طعامه، وفيه يقول شاعر المدينة:

وأنت ربيع لليتامى وعصمة
إذا المحل من جو السماء تطلعا

أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة
وغوثا ونورا للخلائق أجمعا

«رسالة»

قدم جرير على عمر بن عبد العزيز، فقال له: ما لي وللشعر يا جرير، إني لفي شغل عنه.

فأجابه: يا أمير المؤمنين إنها رسالة من أهل الحجاز

قال: فهاتها إذن فقال:

كم من ضرير أمير المؤمنين لدى
أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر

أصابت السنة الشهباء ما ملكت
يمينه فحناه الجهد والكبر

ومن قطيع الحشا عاشت مخبأة
ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر

لما تخطتها صروف الدهر كارهة
قامت تنادي بأعلى الصوت يا عمر

المسلمون في كفاحهم

المسلمون على جهالة بعضهم
عرفوا الحياة نعيمها والبؤسا

أخذوا عن الزمن المتاعب علمها
وتجرعوه من الخطوب دروسا

أفيبلغون مدى العواطف نوما
أم يدركون سنا البروق جلوسا؟

ليس الذي لبس السلاح كعاجز
حمل الهيب والكرب لبوسا

لو ضن معتنق الحتوف بنفسه
ما نال من دنيا الرجال نفيسا

العزم منطلق لعزمك واسع
فاربأ بنفسك أن تكون حبيسا

(صبرحم)

الدنيا

قال أبو نواس:

وما نحن إلا هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

فكان المأمون يقول: «لو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدت هذا البيت»

السؤال عن العلم

مما أثر عن حكماء هذه الأمة في طلب العلم والسؤال عنه الكلمات الآتية

- خير خصال المرء السؤال.
- إذا جلست إلى عالم فسل تفقهاً. ولا تسل تعنتاً.
- قال الحسن البصري: من استتر عن الطلب بالحياء لبس للجهل سربالاً له.
- وقال: إني وجدت العلم ضائعاً بين الحياء والكبر.
- قال الخليل بن أحمد: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة.
- قال علي بن أبي طالب: قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان.

[illegible]

قدم العلاء بن الحضرمي على النبي ﷺ، فقال له: هل تروي من الشعر شيئاً؟

قال: نعم!

قال: فأنشدني، فأنشده:

تحبب ذوي الأضغان تسب نفوسهم
تحببك القربى فقد ترقع النعل
وإن جحدوا بالكفر فاعف تكرماً
وإن غيبوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يؤذيك منه سماعه
وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

[illegible]

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية، فأذن للأحنف ثم أذن لابن الأشعث، فأسرع الثاني في مشيته حتى تقدم الأحنف، ودخل قبله، فلما رآه معاوية غمه ذلك وأحفظه، فالتفت إلى الأحنف وقال له:

«والله إني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله، وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم. ولا يريد متزيد في خطوه إلا النقص يجده في نفسه».

وفي الأمثال: من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له وقال:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ونظر رجل إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان، فقال له: مثلك يرضى بهذا؟

فقال:

أهين لهم نفسي لأكرمهم بها
ومن يكرم النفس التي لا يهينها

دعاء:

اللهم إنا لا نعتمد على أعمالنا، بل نعتمد على فضلك وإحسانك، يا واسع الكون برحمتك، يا شامل الخلق بنعمتك ارحم عبادك فإنهم لا يطيقون عذابك.

قراءة في كتاب

حقوق المرأة

- إذا تركنا المساواة الشكلية التي تبحث عنها عضوات الحركة النسائية والتي [illegible] أيضاً - اللفظة المساوية لها في اللغة [illegible] الحقيقية لوجدناها تتبدى فيما ذكره [illegible] يوم الفتح، فأتت النبي ﷺ فذكرت ذلك فقال: قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت، [illegible] رضي الله عنها - أنها قالت: إن كانت المرأة لتجير على المؤمن فيجوز، فلنتأمل من هذه المواقف المساواة الحقيقية بغض [illegible]

[illegible]

ينقسم هذا القسم إلى: تسعة فصول

ولقد جعل المؤلف من الفصل الأول قاعدة أقامها على ثلاثة أركان: الركن الأول الفطرة والثاني الخلافة والتكريم والثالث الميثاق.

وانطلق يوضح هذه المعاني من خلال تفسير بعض الآيات القرآنية التي تناولت تلك الجوانب وليبني على هذه القاعدة الأساسية القسم الثاني كله.

وينتهي هذا الفصل إلى القول بأن الإيمان يقتضي خضوعاً غير مشروط للأوامر الإلهية مهما بدا ذلك غاية في الشدة لقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ﴾

[illegible] شيئا ﴾ الأحزاب ٣٦

حتى ولو لم يكن الأمر الإلهي صعبا فإنه لا يؤخذ مؤاخذة تحكيمية. بل يتمثل للمؤمنين علما بالخالق، وحكمة مقنعة تبلغ ضميرنا الرضا الكلي والمؤمنون بالخلق على الفطرة والخلافة والميثاق الإلهي هم الذكور والإناث جميعاً من البشر ولا يصح الفهم الصحيح على غير ذلك.

أما الفصل الثاني من هذا القسم فقد جاء تحت عنوان «أليس الذكر كالأنثى؟»

حيث استخلص المؤلف من تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾

أن الله أراد أن يعلم خلقه أن الأنثى كالذكر وأن الذكر كالأنثى. ثم عرض أقوال بعض المفسرين ثم ذكر قول صاحب المنار في هذا الشأن إذ يقول: «إن هذا خبر لا يقصد به الإخبار، بل التحسر والتحزن والاعتذار ولكن الله عز ثناؤه:

﴿ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾

أي أعلم بمكانة الأنثى التي وضعتها وأنها خير من كثير من الذكور».

وتأكيداً على حق المرأة يذكر المؤلف أن القرآن الكريم كرم المرأة واصطفاها كما كرم الأنبياء واصطفاهم.

ومن خلال توضيحه لبعض ما حواه النص القرآني من الهدى الإسلامي، يخلص إلى القول بأن النص يذكر الرجال القائمين على الأمر في البيوت وإدارات الأعمال ويدعوهم إلى عدم التبرم بمن يحب الإناث، لأنهن مثل الذكور تماما، ومنهن من هن خير من الذكور، وأنهن والذكور سواء، فإن رزق الله سبحانه أحدا بالأنثى فلا يتحسر ولا يحزن، بل يرضى بما رزقه الله- ويعمل على أن ينبتها نباتا حسنا لتأخذ مكانها اللائق الكريم بجانب الرجل في المجتمع.

وعن معنى قوله تعالى:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

يذكر قول الإمام الطبري: «وهذا القول من الله تعالى ذكره، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر فمعناه معنى ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل ليكون لهم عليهن فضل درجة».

ثم ينتهي المؤلف إلى القول ص١٣٨:

وهذه الدرجة التي للرجال على النساء، إنما لا تنال إلا بعد تنازل الرجال عن بعض حقوقهم قبل النساء فهي درجة بمقابل. وهذا يؤكد حقيقة المساواة بين الرجل بإطلاق والنساء بإطلاق، حتى لتكاد هذه الدرجة تذوب في الفضل بينهما.

في الفصل الثالث. المساواة في التكاليف الشرعية والحقوق الحياتية بين النسمة والنسمة.

يبدأ المؤلف كلامه قائلا.

يحلو للنساء- المغرورات في الحركات النسائية أن يطلقن كلمة «جندر Gender» على كل من الذكر والأنثى، ويرون أن استخدام هذا اللفظ كمصطلح يطلق على الفرد من الجنسين دليل على المساواة بين الجنسين، ولاتعلم هاته النساء أن اللغة العربية، وهي أقدم من الإنجليزية بأكثر من ألف سنة استخدمت كلمة نسمة للدلالة على كل إنسان ذكرا أو أنثى.

ثم يقول تطبيقاً لذلك ص١٤٩:

«إذاً فكل نسمة حرة بالغة عاقلة أهل للتكليف، وبنفس الأهلية عليها من الواجبات ولها من الحقوق ما لأية نسمة أخرى في المجتمع نفسه، كل النسمات في أهلية الوجوب سواء، لأنه لا تفاوت بين عقل أية نسمة ونسمة من حيث إدراك الحقائق بالبراهين العقلية، والدلائل الموجبة لها، ومن ثم فكل النسمات على استعداد متساو للتكليف الشرعي، والالتزام الأخلاقي».

وإذا تركنا المساواة الشكلية التي تبحث عنها عضوات الحركة النسائية والتي وجدنها في لفظة: «gender»، وإذا تركنا -أيضاً- اللفظة المساوية لها في اللغة العربية وهي: «نسمة» وبحثنا عن المساواة الحقيقية لوجدناها تتبدى فيما ذكره المؤلف من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: حدثتني أم هانىء بنت أبي طالب أنها أجارت رجلاً من المشركين يوم الفتح، فأتت النبي ﷺ فذكرت ذلك فقال: «قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت» وكذلك ما ذكره من حديث، عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «إن كانت المرأة لتجير على المؤمن فيجوز» فلنتأمل من هذه المواقف المساواة الحقيقية بغض النظر عن ثبوت تاء التأنيث أو غيابها.

وعن حق المرأة في طلب العلم يأتي الفصل الرابع يقول المؤلف ص١٦٩ . ١٧٠:

ولما كان العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة- فقد وعت المسلمات الأوائل حقهن في التعلم، فقد روى البخاري في كتاب العلم.

باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم عن شعبة قال: حدثني ابن الأصبهاني قال: سمعت أبا صالح ذكوان يحدث عن أبي سعيد الخدري قال: «قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال. فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوماً يلقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن»[1].

ولا ندري ماذا تعلمت المرأة إلا أن يكون فقه الدين والتشريعات الخاصة بالنساء- لكن ثبت أن النبي ﷺ حرض النساء على التعلم، وكان من أزواجه ﷺ من كانت على علم بالقراءة والكتابة مثل عائشة وحفصة وأم سلمة -رضي الله عنهن- وكان قد بنى بحفصة ولم تكن تقرأ. فقد ثبت من عدة طرق أن الشفاء بنت عبدالله المهاجرة القرشية العدوية «من رهط حفصة» -رضي الله عنهما- علمت حفصة بنت عمر -رضي الله عنها- الكتابة[2].

ويستشهد بآراء العلماء، فيقتطف من كتاب «حديث القرآن عن الرجل والمرأة» لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر قوله:

«إن التنزيل الحكيم يبين للمؤمنين والمؤمنات أن الذين يخدمون أمتهم عن طريق العلم النافع ونشره بين الأفراد والجماعات من الذكور والإناث، لا يقلون في المنزلة عن الذين يخدمون أوطانهم عن طريق الجهاد الذي شرعه الله -تعالى- للدفاع عن الدين والنفس والمال والعرض والأرض ولنصرة المظلوم».

ويسوق الكثير من الأدلة على اهتمام الإسلام

(١) ، (٢) صحيح البخاري.

بتعليم الإناث أعمها تخصيص الرسول ﷺ لهن يوما يعلمهن. ويشير المؤلف إلى الفوائد التي عادت على المسلمين من تعلم النساء الصحابيات فيقول ص١٧٢

«لما تعلمت حفصة -رضي الله عنها- الكتابة وتحسين الخط، كانت أجدر نساء المسلمين بحفظ المصحف الشريف بعد جمعه الجمع الأول في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وكان ذلك من أعظم الأعمال التي أفادت المسلمين.

كما يقول -أيضاً-:

أما عائشة -رضي الله عنها- فقد ملأ علمها الآفاق. فقد كانت أمينة على السنة وكانت من أكثر النساء والرجال رواية عن رسول الله - ﷺ.

ولقد بزت عائشة -رضي الله عنها- بعلمها الرجال، حتى أطلق عليها بعض الفقهاء: الفقيهة الربانية. وروى عنها كبار الصحابة واستفتوها، فقد روى عن مسروق أنه كان يحلف بالله: لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله - ﷺ - يسألون عائشة -رضي الله عنها- عن الفرائض.

فإذا انتقلنا إلى الفصل الخامس نجد المؤلف يؤكد على استقلالية المرأة -هكذا في صيغة مؤنثة -حتى لا يغضب عضوات الحركة النسائية إذا استخدم لفظ «استقلال» المذكر. فيقول ص١٨٣:

من الأمور التي يجب الانتباه إليها أن الآيات القرآنية التي حددت استقلالية المرأة نسمة مستقلة لها كامل استقلاليتها. كانت آيات مدنية. ويفهم من هنا أن في هذه الاستقلالية شيئين:

> أولهما: أن ذلك قد تم بعد أن صار للإسلام دولة مستقلة لها نظمها المستقلة. ولها قانون ينظم حياة الجماعة والأفراد، وعلاقتهم داخل الجماعة وخارجها.

> الثاني: أن حق الاستقلالية الكامل، كان في حماية قانون عام للمواطنة في دولة مستقلة.

وللتأكيد على هذه الاستقلالية للمرأة، يذكر المؤلف أن من حق الأنثى أن ترفض من لا ترغب وتقبل من تحب، وهو ما أثبته من قصة أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بعد أن مات عنها يزيد بن أبي سفيان، فرفضت الكثير من الصحابة وقبلت طلحة، فيقول تعقيباً على ذلك ص١٩٨:

كل الذين تقدموا لهذه المرأة كانوا من العشرة المبشرين بالجنة، وكلهم قرشيون في الحسب والشرف سواء. ومع أنها تركت من يفضل من رغبت لفضلهم في الإسلام، إلا أنها اختارت ما يفضلهم لها. وقد أقر علي -كرم الله وجهه- بذلك فقال: إنه «أجملنا مرآة، وأجودنا كفا، ومن ثم «أكثرنا خيرا على أهله، وما فعلت أم أبان حق كفله لها التشريع.

أما الفصل السادس فجاء عن مبدأ شورى الأسرة وحق المرأة فيه.

يبدأ المؤلف بتعريف الشورى ثم يدلل على أهمية العمل بهذا المبدأ. ثم يذكر عددا من صور حق المرأة في الشورى منها:

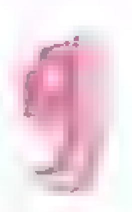
حقها حال خطبة الزواج في التشاور.

حقها في التشاور فيما يعترض الأسرة من مشكلات.

حقها في التشاور في فطام الطفل أو إرضاعه بحسب ما تقتضيه المصلحة.

حقها في التشاور إذا أرادت الاختلاع.

بين المجلة





إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

السادات شهيد الأمة

في الوقت الذي تنادي فيه جميعا، بل وينادي العالم كله بضرورة أن يسود الحوار الإنساني المتحضر العلاقات الدولية من أجل مستقبل أفضل للبشرية، وسعي المنظمات الدولية إلى إزالة أسباب التوتر بين الأمم والشعوب، خرج من بيننا أناس يدعون لأنفسهم زعامة الأمة الإسلامية، ويخرج من بينهم من يسبون رجلا انتقل إلى رحاب الله شهيدا في سبيله.. رجلا كان عندما يخاطب شعبه يستهل خطابه بلفظ «بسم الله» ويختمه بآي من الذكر الحكيم!!

فتحت مقولة حرية التعبير أخرجت السينما الإيرانية فيلما أبعد ما يكون عن خلق المسلم بعنوان «إعدام فرعون» الفيلم يتناول حياة الزعيم المصري الشهيد محمد أنور السادات ويصفه بالفرعون منتقداً ومهاجماً كل سياساته ومباركاً ومؤيداً لقاتليه!!

هكذا يشبهون مسلما رآه القاصي والداني وهو يؤدي فروض الإسلام ومنها الصلاة التي تنحني فيها جباه المسلمين سجودا لله!!

هكذا يشبهون مسلما قال «لن أركع إلا لله» عشية استعداده للقتال ضد إسرائيل!!

هكذا يشبهون رجلاً أعاد للأمة الكرامة والعزة بنصر مبين على جيش حيكت حوله الأساطير ووصف بالجيش الذي لا يقهر لترفع الأمة رأسها من جديد بعد طول انكسار.. هذا النصر المجيد الذي ضخ الأموال في خزائن الدول الإسلامية ومنها إيران ليحصد الجميع -ما عدا مصر بالطبع- أرباحا طائلة تكدس في خزائن تنوء بحمل مفاتيحها الأمم والشعوب وليست العصبة من الرجال.

تحملت مصر وحدها تكاليف الحرب الباهظة بمواردها المحدودة وتحملت وحدها تكاليف بناء ما دمرته الحرب ورغم ذلك كان شعب مصر سعيداً فرحاً بما تحقق من إنجازات فاقت توقعات أكثر المتفائلين.. وكان مشهد عبور الجيش المصري لقناة السويس وحده كفيلا بأن يجعل شعب مصر ينسى كل الآلام والمشاق التي تكبدها في سبيل إعداد هذا الجيش وتأهيله لتحقيق نصر مجيد تحقق بفضل الله.. فهل يسمح الله النصر لفرعون طاغية؟!

ونظر السادات لشعبه الذى بذل كل التضحيات وتحمل من المشاق ما لا يتحمله سواه فى سبيل النصر.. أيترك شعبه نهباً لمزيد من الفقر والعانة، أم يقدم على عمل - وهو الظافر المنتصر - يخفف من وطأة هذه المعانة، فلا يمكن أبداً أن يظل شعب مصر أبد الدهر يحيا فى ظل السلاح وتستنزف كل موارده فى قتال لا يتحمل أعباءه سوى هذا الشعب المكافح.

أجل استثمر السادات انتصاره وذهب إلى إسرائيل يملى شروطه من أجل السلام!! أجل يملى شروطه!! ويعلن فى الكنيست الإسرائيلى أنه لا استغناء عن شبر واحد من الأراضى العربية وفى مقدمتها القدس ويسترد الرجل بالفعل أرض سيناء الحبيبة. فى حين يأبى الآخرون أن تسترد الأمة القدس عن طريق السادات وشعب مصر!!

فالكل كان يحلم بدخولها ممتطياً صهوة جواد صلاح الدين الأيوبى!! أجل أبوا أن يكون استرداد القدس على يد أنور السادات وشنوا حرباً هائلة ضد الرجل وضد شعبه

ثم يأتى الإيرانيون اليوم ليسيئوا هذا الرجل ويشككوا فى عقيدته ويصموه بالفرعون ويشاركوا إعلامه فى مسلك تأباه عقيدة المسلم متناسين قول رسول الله - ﷺ - «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» وعقيدة الشهيد محمد أنور السادات لم ولن تكون بإذن الله محل تشكك فالرجل أدى شعائر الإسلام كلها من شهادة وصلاة وصوم وحج وزكاة. وقاتل فى سبيل الله ومنحه الله شرف النصر على أعداء الأمة الإسلامية.. هذا الشرف الذى يحسدونه عليه لأنهم يعلمون أن الشهيد السادات قاتل أعداء الأمة فى وقت تفرغوا هم فيه لقتال المسلمين وسفك دمائهم وهى خطيئة عصم الله عبده أنور السادات من الوقوع فيها.

رحم الله الشهيد السادات وجازاه خيراً بما قدم لأمته.

أحمد نفى المنس

فى ظلال تحــويل القبــلة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة صديقنا الشيخ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - قال:

يظل تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة حدثاً جللاً يطل على المسلمين كلما وافاهم شهر شعبان ومن ثم يتبارى الدعاة وخطباء المساجد خلال هذا الشهر في استنباط العبر من ذلك الحدث العظيم مذكرين الأمة بمكانتها بين الأمم ذاكرين قدر رسول الله ﷺ ومكانته العظيمة عند ربه تبارك وتعالى القائل

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾

غير أننا في واقعنا المعاصر محتاج بالضرورة أن ننظر إلى الأحداث التي صنعت تاريخنا المجيد نظرة أكثر دقة وموضوعية لتجدد بها تعاملنا مع أحداثه ومتغيراته خصوصاً في زمان تفتت فيه المسلمون إلى كيانات ضعيفة لذا فإن مثل هذا الحدث الصحيح ينبغي أن نجدد النظرة إليه ونحن نقرأه مسطوراً في كتاب الله.. إن أحد أهم الدروس التي ينبغي أن تكون لنا نحن مسلمي هذا الزمان موعظة بليغة لتغيير حياتنا وتجديد إيماننا ومسح الغبار عن عقيدتنا هي (سرعة) الاستجابة لأمر الله تعالى؛ فإن التباطؤ والتلكؤ وفتور الهمم في أعمال الخير دليل على خور في العقيدة وضعف في الاعتصام

بحبل الله المتين. لقد رأينا تلك السرعة في الاستجابة لأمر الله في أمر كبير مثل التحول من قبلة إلى قبلة بلا جدال حين نزل الأمر من الله عز وجل بالتحول من بيت المقدس إلى البيت الحرام، ويحدثنا الصحابي الجليل البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت. وأنه صلى - أول صلاة صلاها - صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، رواه البخاري. أرأيتم.. (فداروا كما هم قبل البيت).. بلا مناقشة وفي ذلك أيضاً حسن ظن المسلم بأخيه المسلم فمادام ناقل الخبر مشهوداً له بالعدالة والصلاح فشهادته لا ترد. كذلك كان ذلك في شهر شعبان وكأنه تهيئة قلبية ونفسية لاستقبال البيت الحرام في شهر رمضان بعد شعبان، كما يشير الحدث العظيم أن وراثة ملة إبراهيم عليه السلام الذي أمر بتطهير البيت إنما آلت بحق لنبي آخر الزمان محمد ﷺ كما آلت خيرية الأمم إلى أمته الكريمة، كذا فإن دفاع الله تعالى عن تحول أمة الحبيب المصطفى إلى القبلة التي رضيها لرسوله كان عظيماً وجليلاً وشفاء لما في الصدور في مقابل حملة التشكيك الشرسة التي شنها اليهود على المؤمنين

فعلينا أن نثق بديننا وأن نحسن الظن بربنا وألا يلتفت المؤمنون للمشككين وأن يفرقوا بوعي وبصيرة بين (التعايش) و(الذوبان).. والله المستعان

[illegible]

[illegible] القاهرة - كانت تلك الرسالة:

● إننا نؤمن بأن الكلمة الطيبة قد تكون ثمرة في التعايش مع الآخر.. فالتزمت ليس من الإسلام.. إلا أن الغرب لا يعترف بذلك.. بل يحاربنا بكل الوسائل.. ولا غرو فقد بدت البغضاء من أفواههم برفض القاتلين الحوار معنا انطلاقاً من اعتقادهم الخاطئ أن دعوتنا إلى الحوار إنما هي ضعف ويتناسون أن أساس دعوة الإسلام تقوم على مبدأ الحوار والمجادلة بالحسنى قال تعالى:

[illegible]

(النحل ١٢٥)

● إنهم يشيعون بيننا الفرقة والانحلال والإفساد بكل قواه ويغرون المؤامرات الإخلاقية والعنصرية خلق قوميات متناحرة متقاتلة متجردة من قوميتها وعروبتها لتلحق بركبهم الغطى بغطاء رقيق من الإنسانية الزائفة عنوان حضارتهم المتردية الشقية التي تلفظ أنفاسها بعد أن قاست ولا زالت.. تقاسي من ويلاتها شعوب الأرض

● إنهم يريدون محو هوية الشرق العربي والإسلامي ووحدته الروحية الأصيلة التي زرعها الآباء والأجداد عبر آلاف السنين للقضاء على إسلامنا الحنيف ومبادئه التي تبشر بإنشاء حضارة أخرى جديدة تحتاجها الإنسانية.. ولأن ذلك يقلقهم ويقض مضاجعهم.. فكل همهم تحويل العالم عن قيادة رسول البشرية ومعلمها الأول محمد ﷺ إلى قيادتهم الشريرة.. ولكنا نقول لهم: كفاكم عبثاً ولهواً بمقدرات الشعوب، فلا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة!! أصحاب الجنة هم الفائزون.. ومهما حاربونا في

ديننا وعقيدتنا وأساءوا بحقدهم وغلهم إلى رسولنا الكريم وقرآننا العظيم.. فإن يجدى ذلك معنا ولن يتأثر بأباطيلهم وإساءاتهم فقد حبانا الله برسوله

● إن مصالحهم ودعواتهم كلها تتكدس في الدعوة إلى تشويه صورة الحضارة الإسلامية.. وبذلك فإن ضعفنا أعطاهم الفرصة في التجرؤ والتطاول علينا ومعهم اليمين المتطرف من كبار الكتاب في الداخل والخارج ليعثوا في عضد الأمة ويقطعوا أوصالها لتكون لقمة سائغة لأطماعهم ومخططاتهم. وأصبح محتما علينا أن نستعيد ثقتنا في ماضينا وحاضرنا بإعادة بناء المجتمعات في بلادنا لتساير الأوضاع العالمية الحديثة.

● وحيث إنه لا غنى عن الدين في الرؤية المستقبلية خصوصاً وأننا جعلنا الله أمة هادية وحملها أمانة تبليغ رسالته فيجب علينا جميعاً أن نعمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة التي يعوقون بها مسيرتنا.. وتصورها كما يلي:

١ـ وضع استراتيجية للتكافل الثقافي والديني بالتعاون الإيجابي بينهما لخدمة الدعوة الإسلامية على أن يكون إعلاماً قوياً ومتفتحاً يتمشى مع متطلبات العصر.. فقد أصبح الإعلام هو معيار وعي الأمة.

٢ـ تقديم صحافة جادة ومتطورة تقوم على التوعية الإسلامية بإفساح المجال للأكفاء من العلماء والمثقفين وأصحاب النقد الخلاق لتربي جيلاً مبدعاً.. بدلاً من هذه الأساليب التي تبكى على الماضي وتهزأ بالحاضر ولا تسمن ولا تغني من جوع، اللهم إلا بعض المبشرات هنا وهناك.

٣ـ إن الضعفاء لا يصنعون أمة ولا يبنون نهضة وعلينا مواجهة التحديات الداخلية والخارجية والعمل على تنمية فعاليات تمسك الأمة بدينها بمخاطبة وسائل الإعلام الحالية التي هي أحد أسباب تدهور لغتنا الجميلة وانحطاطها لانشغال الناس عنها والانصراف عن الدين فالسخرية من الفصحى في الأفلام والمسلسلات كارثة خطيرة، لأن اللغة العربية أكثر يسراً وسهولة وقدرة على التعامل مع مستجدات العصر، لذلك لابد من إعادة النظر في مناهج الإعلام والارتباط بحضورنا لأنه هي الأصلح.

[illegible]

[illegible]

عندما يرزق المرء منا بمولود يتمنى أن يراه في صورة مشرفة يفخر بها واليوم أصبحت الثانوية العامة شبحاً مخيفاً يعصف بالأسر المصرية ويهدد حياة أبنائهم واستقرارهم النفسي.. في الأيام الماضية امتلأت صفحات الصحف اليومية والأسبوعية بأخبار حوادث طلبة الثانوية العامة ما بين طالب أصيب خلال الامتحان بحالة فقدان كامل للبصر، وذلك وفق ما أكده طبيب مختص، وآخر أصيب بصدمة عصبية، وثالث انتحر شنقاً، ورابع أصيب والده بارتفاع مفاجئ في ضغط الدم وتوفي على الفور.. هذه أمثلة لما نشر في بعض الصحف، وبالتأكيد هناك الكثير لم ينشر.. والسؤال لماذا؟ كل هذا الرعب وهذا الهلع من الحصول على مجموع منخفض ناهيك عن الرسوب؟! فهل الحياة تنتهي بالحصول على الثانوية العامة بمجموع مرتفع؟! وهل خلق الله الإنسان لمجرد الحصول على الثانوية العامة، أم أن للإنسان مهمة أسمى من ذلك؟!

الامتحانات المدرسية والجامعية في مصر أصبحت تمثل عبئاً نفسياً هائلاً على المجتمع المصري كله وبشكل أعتقد أنه يفوق مشاكل أخرى عديدة يعاني منها المجتمع مثل التطرف والغلاء وغيرها من المشاكل ونأمل أن تجد هذه المشكلة من يتصدى لمعالجتها من المختصين من رجال الدين والتربية والإعلام حتى تظل صورة الأبناء مشرقة نفخر بها ولا يعكرها شبح الامتحانات المخيف.



[illegible]

[illegible]

بعد الجدل الذي أثاره الأسقف روان ويليامز رئيس الكنيسة الإنجيلية البريطانية بسبب مطالبته بتبني بعض أحكام الشريعة الإسلامية الخاصة بالأحوال الشخصية كالزواج والميراث في القوانين البريطانية، أعلن اللورد نيكولاس فيليبس كبير قضاة بريطانيا أن بلاده لا تمانع في الاستعانة بالشريعة الإسلامية في النظام القضائي البريطاني. وقال فيليبس إنه لا يوجد سبب يمنع أن تشكل مبادئ الشريعة الإسلامية أو أي مبادئ دينية أخرى أساساً للتحكيم، أو لأي شكل آخر من أشكال حل النزاعات، بشرط عدم تعارضها مع القانون البريطاني.

[illegible]

برأت محكمة الأمم المتحدة في «لاهاي» ناصر أوريتش قائد قوات مسلمي البوسنة بمدينة سربرينتسا خلال حرب البوسنة التي دارت رحاها في تسعينيات القرن الماضي من تهمة ارتكاب جرائم حرب بحق الصرب. وكان أوريتش قد أدين قبل عامين بالفشل في منع رجال تحت قيادته من قتل وإساءة معاملة سجناء من صرب البوسنة خلال الفترة التي تولى فيها قيادة قوات مسلمي البوسنة والتي اتهمها البعض بتدمير نحو ٥٠ قرية يقطنها الصرب في البوسنة وطرد آلاف الصرب منها وحكم عليه حينها بالسجن لمدة عامين. ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية «بي. بي. سي» عن المحكمة قولها إن المحكمة السابقة فشلت في إثبات أن أوريتش كانت له سلطة على هؤلاء الرجال المتورطين في قتل

وإساءة معاملة السجناء الصرب فأمرت المحكمة بإطلاق سراح أوريتش ٤١ عاما، على الفور.

ويعتبر العديد من البوسنيين أن أوريتش - الذي كان يوما ما حارسا شخصيا للرئيس الصربي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش - باعتباره بطلا قوميا.. ويعتقدون أنه قدم إلى المحاكمة بهدف التغلب على شكاوى الصرب من أن المحكمة متحيزة ضدهم.. يشار إلى أن قوات صرب البوسنة قامت بمذبحة في مدينة سربرنيتشا عام ١٩٩٥ أسفرت عن مقتل ثمانية آلاف مسلم.

اللوبي الصهيوني في فرنسا يسعى لطمس قضية «الدرة»

كشف رئيس المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية الفرنسية ريشارد براسكييه أنه طلب من الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي إنشاء لجنة تحقيق حول ظروف إعداد تقرير تليفزيوني بشأن مقتل الطفل الفلسطيني محمد الدرة بنيران الجيش الإسرائيلي في غزة يوم ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٠م. وذكر تقرير لقناة «الجزيرة» الفضائية أن مراقبين فرنسيين اعتبروا المبادرة محاولة لطمس حقيقة اغتيال الدرة، مؤكدين أن صور تلك الجريمة التي بثتها آنذاك القناة الثانية في التليفزيون الفرنسي «فرانس ٢»، جعلت من الدرة «أيقونة لانتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال ورمزا لبشاعة القمع الإسرائيلي». وبينما أوضح براسكييه أنه لم يتلق أي رد من الرئاسة الفرنسية. كما عبرت أوساط إعلامية محلية عن عدم رغبتها في تشكيل لجنة تحقيق يمكن للوبي الموالي لإسرائيل التحكم في تشكيلها وبالتالي التأثير في نتائج أعمالها.

إسرائيل تواصل حملتها لمصادرة الممتلكات العربية في القدس

تواصل إسرائيل حملتها للاستيلاء على الأحياء العربية بالقدس المحتلة حيث كشف مسئول فلسطيني أن إسرائيل ستهدم ٤٧ منزلا في حي البستان إضافة إلى هدم ٢٤٠ منزلا في شعفاط وبيت حنينا في المدينة المقدسة.. وفيما يتعلق بالحملة الإسرائيلية للاستيلاء على منازل وممتلكات الفلسطينيين بالقدس شهدت منطقة «الشيخ جراح» حركة نشطة بعد أن توافد ممثلون للمؤسسات الوطنية الفلسطينية من بينهم الشيخ محمد حسين مفتي القدس والديار الفلسطينية، وعدنان الحسيني مستشار الرئيس الفلسطيني لشئون القدس.

باحث صيني يكتب موسوعة عن القرآن الكريم

أعلن البروفسور يحيى صوبرلين سونغ الباحث الصيني والمترجم الشهير عن كتابة موسوعة موضوعية للقرآن الكريم بمشاركة ٤٠ دارسا وباحثا صينيا كما أوضح أن هدفه من وراء كتابة هذه الموسوعة هو كون القرآن دستورا ومصدرا ودليلا لما يقارب مليار وثلاثمائة مليون مسلم ولكونه وثيقة قيمة وحية يرجع إليه علماء الشرق والغرب من أجل الإطلاع على التعاليم الإسلامية كما تطرق إلى بعض ملامح هذه الموسوعة القرآنية التي ستنشر باللغة الصينية مشيرا بأنه حدد قسما من المواضيع بصورة دقيقة وفي حال إنجاز الكتاب ستصبح هناك سهولة للحصول عما يبحث عنه القارئ.

أفضل عشرة مفكرين في العالم مسلمون

أصيبت لجنة بريطانية أمريكية مشتركة بالدهشة عندما تبين في استطلاع للرأي أجرته أن أفضل مفكر في العالم هو مسلم. وجاء في الخبر الذي نشرته جريدة الرياض السعودية في تقرير لها من لندن. أن كلا من المجلة البريطانية «بروسبيكت» والمجلة الأمريكية «فورين بوليسي» قد أشرفتا على الاستطلاع الدولي للبحث عن أفضل مفكر على مستوى العالم، وشارك في الاستطلاع ٥٠٠ ألف شخص، وجاءت النتيجة صدمة للمشرفين، فعلى رأس القائمة المكونة من مائة اسم. جاء في الدرجة الأولى فتح الله جولان الذي وصف بأنه عالم مسلم وداعية معتدل لكن المفاجأة لم تتوقف عند الفائز بالمرتبة الأولى، بل تعدت ذلك عندما اكتشفت اللجنة أن المرتبات العشر الأول احتلتها شخصيات مسلمة أيضا.

كتاب مدرسي عن الإسلام بألمانيا

يصدر أول كتاب مدرسي لمادة الديانة الإسلامية - خلال شهر أغسطس - بألمانيا. يحمل الكتاب عنوان «سفير» وهو مخصص للفصلين الدراسيين الرابع والخامس من مرحلة التعليم الابتدائي. وقالت لمياء قدور مدرسة الدراسات الإسلامية - التي شاركت في إعداد الكتاب المدرسي الجديد، وتنحدر من أصول سورية، وتعمل منذ عام ٢٠٠٤ في مركز الدراسات الدينية التابع لجامعة مونستر الألمانية - إن الكتاب المدرسي الجديد لا يعد فقط أحد المناهج الدراسية، التي سيعتمد عليها في حصص تدريس مادة الديانة الإسلامية فحسب، وإنما يجسد أيضا خطوة إضافية تجاه تعامل إيجابي مع الإسلام. وأضافت قدور أعتقد أن هذا الكتاب الدراسي سيغير الكثير ليس فقط على صعيد المضمون لأن ذلك محدد مسبقا، ولكن فيما يتعلق بطريقة تناول المواضيع. وفي السياق ذاته اعتبرت قدور أن الكتاب الجديد سوف يقدم صورة شفافة للإسلام.

مسابقة لحفظ القرآن الكريم في فرنسا

نظمت الهيئة العامة لتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع اتحاد المنظمات الإسلامية والكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية بفرنسا الحفل الختامي للمسابقة الوطنية السادسة لحفظ القرآن الكريم. وذلك في قصر المعارض بمدينة البورجي شارك في المسابقة ١٤١ حافظا وحافظة من مختلف مناطق فرنسا، وحضر الحفل الدكتور عبد الله بن علي بصفر الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، وشكيب بن مخلوف رئيس اتحاد أوروبا. والتهامي إبريز رئيس الاتحاد بفرنسا، وزين العابدين كوردي المدير الوطني للمسابقة، وعدد من الشخصيات الإسلامية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ومن أوروبا. وعدد من الجاليات الإسلامية في فرنسا وقد اشتملت المسابقة التي استمرت لمدة ٣ أيام على ثمانية مستويات، هي حفظ القرآن كاملا و ٢٠، ١٥ جزءا و ١٠ و ٥ و ٣ أجزاء، وجزءين وجزء واحد.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

تناقلت وسائل الإعلام أن فئة ضالة منحرفة من إيران قد أنتجت فيلماً قبيحاً فيه إساءات بالغة إلى السيد الرئيس الشهيد محمد أنور السادات وفيه تمجيد للذين اغتالوه خيانة وغدراً وفسوقاً وكفراً.

وإن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يؤكد بكل صراحة ووضوح أن هذا السلوك السفيه من تلك الفئة المنحرفة يمثل أبشع صورة للخروج على أحكام الإسلام وعلى آدابه وعلى قيمه الشريفة ومن الأدلة على ذلك:

أولاً: أن القرآن الكريم توعد فى آيات كثيرة أولئك الذين يحكمون على المسلم بالكفر ويؤذون المؤمنين، توعدهم بأشد ألوان العذاب ووصفهم بأنهم ملعونون فى الدنيا والآخرة.

ومن الآيات القرآنية التى قررت هذه الحقائق قوله - تعالى -

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب ٥٧، ٥٨)

أى إن الذين يؤذون الله - عز وجل - بأن يشركوا معه فى العبادة آلهة أخرى ويؤذون رسوله ﷺ بالأقوال الكاذبة وبالأعمال السيئة لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً يذلهم ويهينهم.



وكذلك فإن الذين يرتكبون فى حق المؤمنين والمؤمنات ما يؤذيهم فى أعراضهم أو فى أنفسهم يكونون قد ارتكبوا إثماً شنيعاً، وفعلاً قبيحاً، وذنباً عظيماً، بسبب إيذائهم للمؤمنين والمؤمنات.

ثانياً: لقد تواترت الأحاديث النبوية الصحيحة التى تنهى أشد النهى عن سب المسلم أو قذفه أو وصفه بالكفر لاسيما بالنسبة للأموات الذين صار حسابهم لدى خالقهم - عز وجل - وحده.

ومن هذه الأحاديث الصحيحة قوله - ﷺ -: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

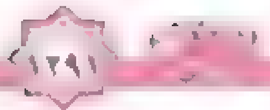
وقوله - ﷺ -: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

وقوله - ﷺ -: «لا يرمى رجل رجلاً بالفسق أو بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

وقوله - ﷺ -: «من لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله».

وقوله - ﷺ -: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا».

ثالثاً: إن هذه الفئة الإيرانية الضالة عندما ترتكب هذا العمل الشنيع تكون قد ارتكبت أبشع ألوان الخيانة والغرور والجهالة، لأن الذى يحاسب كل إنسان على عمله هو الله - تعالى - وحده، لاسيما بعد أن فارق هذا الإنسان الحياة كما قال - سبحانه:



﴿ [illegible] علينا حسابهم ﴾

أى: إن إلى الله وحده مرجع جميع الخلق وأنه ـ عز وجل ـ وحده هو الذى يتولى حسابهم.

رابعاً: إن ما يعيبونه على السيد الرئيس الشهيد محمد أنور السادات ـ رحمه الله ـ هو ليس عيباً وإنما هو من مكارم الأخلاق ومن أسمى ألوان الشجاعة والمروءة والإقدام. إنهم يعيبون عليه استقباله لشاه إيران السابق ورعايته له فى نكبته ومرضه مع أن هذا العمل من مكارم أخلاق السيد الرئيس الشهيد محمد أنور السادات لأن الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة والأخلاق الإنسانية القويمة كلها تدعو إلى مساعدة المنكوب وإلى رعاية المريض. وإنهم يعيبون عليه زيارته لإسرائيل مع أن هذه الزيارة عند كل عاقل شريف تدل على شجاعة السيد الرئيس محمد أنور السادات ـ رحمه الله ـ وعلى ثبات جأشه، وعلى كمال عقله، وعلى حكمة سياسته. وعلى إقدامه على مجابهة المتاعب بقوة وصلابة وعزيمة لا تعرف الضعف أو التردد.

إنه ذهب إلى أعدائه فى عقر دارهم بهامة مرتفعة لينذرهم بأنه قد جاءهم من موطن النصر ليحسم الأمور وقد تم له ما أراده منهم بكل عزة وحكمة ووقف عالم العقلاء مبهورا من شجاعة رئيس مصر ومن حكمته ـ رحمه الله.

خامساً: يجب أن يعلم حكام إيران علم اليقين أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يخاطبهم بمنطق الدين وليس بمنطق السياسة كما يجب أن يعلموا أن صدور هذا الفيلم القبيح هو جريمة منكرة لها أسوأ العواقب لأنه فعل تأباه شريعة الإسلام وتأباه آدابه السامية.

كما يجب أن يعلموا أن هذا الفيلم القبيح سيكون سبباً فى تقويض أى جهود لدعوة التقريب التى ينادى بها العقلاء من فقهاء إيران ولن يتم رءب هذا الصدع إلا بإحراق هذا الفيلم السخيف.

﴿ [illegible] الذين ظلموا [illegible] ﴾

(الشعراء ٢٢٧)

[illegible]

صرح فضيلة الشيخ فوزى زيدان الأمين العام المساعد للبحوث الإسلامية أنه تم عقد المسابقة العامة للوظائف الإشرافية (رؤساء ووكلاء) للبعثات الأزهرية للخارج لعام ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩م. وتم عقد الامتحان بمكتب فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر لاختيار أفضل العناصر التى تكون مؤهلة لحمل رسالة الأزهر فى الخارج ويكون خير سفير للدعوة الإسلامية والدين الحنيف.



فضيلة الأمين العام يستقبل وفد دار الإفتاء اللبنانية

استقبل فضيلة الشيخ على عبد الباقى شحاته الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفد دار الإفتاء اللبنانية والمكون من: سماحة الشيخ محمد على الجوزو مفتى جبل لبنان، والشيخ صلاح الدين فخرى مدير عام أزهر لبنان، والأستاذ الدكتور محمد نقرى أمين سر خاص مفتى لبنان والمدير العام لدار الفتوى. تضمن الاجتماع طلب الوفد خضوع معاهد أزهر لبنان للإشراف الفنى للأزهر الشريف نظراً لموقع الأزهر فى نفوس اللبنانيين.

ومن جانبه أكد فضيلة الشيخ على عبدالباقى بأن الأزهر الشريف لا يألو جهداً فى تلبية احتياجات الدول الحريصة على الاستفادة من خبرة الأزهر دون النظر لحجم الأعباء التى يتكبدها، طالما الأمر يتعلق بنشر ثقافة الاعتدال التى يتبناها الأزهر. وقد اتفق الطرفان على أن يبدأ المشروع بمعهدى بيروت وعكار كمرحلة أولى وخصوصا أن المعهدين سيحتاجان إلى ١٥ مدرساً فوق البعثة الموجودة حالياً. ومن جانبه أشاد مفتى جبل لبنان بالأزهر الشريف ودوره العالمى تجاه تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم. وأنه حينما قصد الأزهر الشريف لتولى الإشراف على معاهد أزهر لبنان فإن ذلك جاء استشعاراً لقيمة ومكانة الأزهر فى نفوس كل اللبنانيين على مختلف طوائفهم. وأعرب الدكتور محمد نقرى مدير عام دار الفتوى عن سعادته الغامرة بموافقة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية على رفع الأمر لفضيلة الإمام الأكبر.

ومن جانبه شكر الشيخ صلاح الدين فخرى مدير عام أزهر لسان فضيلة الأمين العام على ما أبداه من رغبة صادقة فى تحقيق مطلب الوفد مؤكدا أن هذا ليس بمستغرب على الأزهر حضر اللقاء الأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم مدير المركز الصحفى لمكتب الأمين العام

مكتبة الأزهر تستقبل وفدا سعوديا

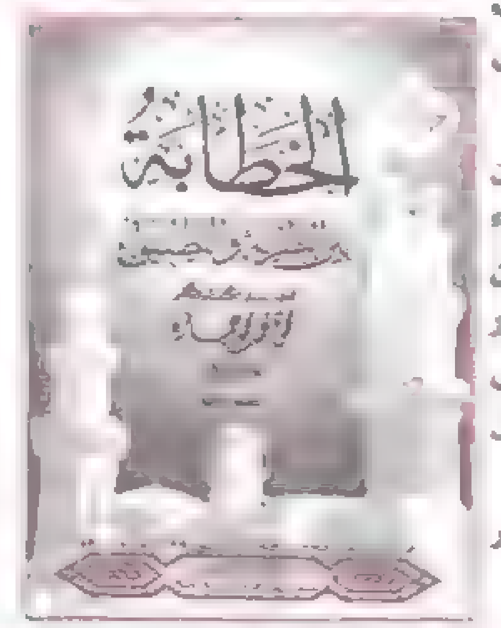
استقبل فضيلة الشيخ مهدى هادى شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر صاحب السمو الملكى الأمير الدكتور عبد العزيز آل سعود والوفد المرافق له. وقام صاحب السمو الملكى بزيارة المكتبة والتعرف على الأنشطة والخدمات التى تقدمها المكتبة للدارسين والباحثين المهتمين بالعلوم العربية والعلوم المختلفة. وقد أبدى صاحب السمو إعجابه بالتقدم الملموس فى المكتبة.

الخطابة بين النظرية والتطبيق

صدرت الطبعة الثانية من كتاب «الخطابة بين النظرية والتطبيق» لفضيلة الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة والذى سبق لسلسلة مجمع البحوث الإسلامية أن أصدرته فى جزءين ويشتمل الكتاب على مبحث علمى عن قواعد الخطابة وأصولها وفروعها لتكون علامات على طريق الراغبين فى توجيه الناس. مقدما بعض النماذج ويتكون البحث من مقدمة وأربعة أبواب

• تناول الباب الأول عرف فيه الخطابة وأهميتها وكيفية الاستعداد لها. والعنصر الإيجابى فى شخصية الخطيب

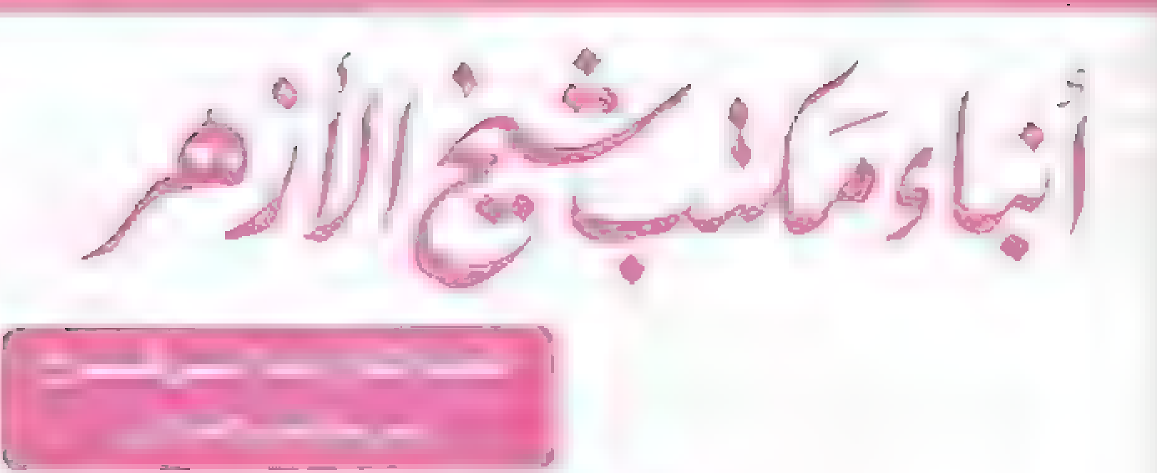
• ويشمل الباب الثانى ثقافة الخطيب ومصادره: القرآن الكريم - السنة النبوية المطهرة العلوم الإنسانية.



والباب الثالث تناول فيه المؤلف كيف يعد الخطيب خطبته وكيف يعرض فكرته إيجازاً أوطولا - جمال الأسلوب - اختيار الموضوع - أنواع الخطابة.

وفى الباب الرابع «التمهيد» وقد ضمنه نماذج من الخطب مقتديا بخطب النبى محمد ﷺ والخلفاء الراشدين ثم بعض كلمات الشيخ محمد عبده والحسن البصرى كوعاظ فى الخالدين مبينا فيه أيضا كيف حرر الإسلام الخطابة من حمية الجاهلية. هذا والكتاب سهل فى أسلوبه، سلس فى كلماته، يستفيد فيه كل من اشتغل بالدعوة إلى الله ولكل من اعتلى منبر الخطابة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلى مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث.



محاضرات لفضيلة الإمام الأكبر

توجه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف ظهر الثلاثاء ١ / ٧ / ٢٠٠٨م إلى مدينة الإسكندرية لإلقاء محاضرة لفوج التميز فى برلمان شباب مصر فى المدينة الشبابية بأبى قير بالإسكندرية فى تمام الساعة الثامنة والنصف مساء ويأتى ذلك فى إطار خطة المجلس القومى للشباب - حيث يتم الحوار أمام الشباب المتميز والسادة المسئولين، كما ينظم المجلس عدة لقاءات وحوارات فكرية داخل المعسكرات الشبابية الصيفية مع عدد من كبار العلماء الأجلاء لتبصير الشباب بتعاليم الإسلام الحنيف والبعد عن التطرف. كما حاضر فضيلة الإمام الأكبر بمعسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية يوم الأربعاء ٢ / ٧ / ٢٠٠٨م فى تمام الساعة الحادية عشر صباحاً مع وفود من شباب الجامعات المصرية والعالم الإسلامى وأبناء الوافدين الدارسين بجامعة الأزهر - ويأتى ذلك من خلال استضافة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفود من شباب الجامعات المصرية والعالم الإسلامى.

بعثات الأزهرية فى رمضان

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر قراراً بسفر الوعاظ الآتى أسماؤهم للوعظ والإرشاد خلال شهر رمضان المعظم سنة ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م وهم. محمد على محمد جعفر وعلى محمدين أحمد أبوزيد (المركز الإسلامى بلندن) والسيد محمد محمد منصور جاب الله (المركز الإسلامى فى كارديف) والسيد محمد عبدالعال سليم ومحمد شفيق محمد شرشر (أمريكا) وعبدالرحمن عبدالقوى عبدالرحمن راشد (النمسا) وعز الرجال محمد حجاب محمد (إستراليا) ومحمد محمد إبراهيم سلامة وحمدى عبدالعزيز السيد العزة وإبراهيم عبدالله إبراهيم الحساني ومحمود عبد ربه عبدالقادر موسى (نيجيريا) وعبدالباسط محمد عبدالله حسن (سيرلانكا) ورشدى السيد أحمد زهرة (فنلندا) وحسن محمد محمد بيومى (ألمانيا) وحسن محمد القطب الرفاعى (إيطاليا) ومحمد الباقيلى عبدالحميد على وأحمد صديق السمان رضوان وسليم أحمد السيد سلامة (المالديف) ومحمد عبدالغنى عبدالغنى محرم وخلف على محمد عمار والسيد محمد السيد القصاص

وعاشور مبروك عبدالمنعم ومحمد محمد محمد حسن فتح الله وعبدالله عاشور على إبراهيم والخضرى الخضرى عبدالوهاب نعمة الله ومحمد إبراهيم محمد إبراهيم سكر ومحمد محمد محمد سليمان بدر وملوم طه محمد محمود وعلى سعيد عبدالبديع عبد ربه وأحمد حلمى فهمى البلاط ونصر الدين كامل دياب عليو وظريف محمد إبراهيم العريب وسلامة على السيد ثابت والسدى عبدالباسط على رضوان وبلال فتحى إسماعيل عبدالصمد والسيد عبدالرحمن عبدالمقصود (فرع أسيا).

الإمام الأكبر يعتمد [illegible]

- اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف صباح الخميس الموافق ٣ / ٧ / ٢٠٠٨م - نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الإعدادية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م على مستوى الجمهورية بنوعيها «مبصر - كفيف».
- العشرة الأوائل من المبصرين على مستوى الجمهورية هم: أسماء محروس أحمد عويس - بنى سويف - الأول. علياء ثروت سالم محمد - الشرقية - الثانى. مشوى أحمد عبدالله عطية - الشرقية - الثانى م. آلاء عبدالعزيز عبدالوهاب - الشرقية - الرابع. أحمد فؤاد سراج الدين عبدالرءوف - دمياط - الرابع م. أحمد محمود هلال محمود - الشرقية - الرابع م. آية رفعت محمد عبدالمنعم - القليوبية - الرابع م. رغدة ممدوح عبدالجواد فهمى - الشرقية - الثامن. محمود على خليل بوار - البحيرة - الثامن م. أحمد عبدالفتاح محمد إبراهيم - الشرقية - العاشر.
- [illegible]: عمرو محمد عبدالحميد عبده - البحيرة - الأول. أحمد محمد رضا عبدالفتاح - القليوبية - الثانى. محمد حامد زكى المرسى مراد - دمياط - الثالث. دولت حسن عبدالغنى حسن محمد - الدقهلية - الرابع. هند محمد عبدالله أحمد - الشرقية - الخامس. رجاء حسين محمود محمود - الشرقية - السادس. دعاء غريب السيد أحمد الموافى - الدقهلية - السابع. محمد عبدالكريم كامل عطية - الشرقية - الثامن. أحمد عبدالشافى عنتر - الغربية - التاسع. سلوى السيد موسى جبر موسى - الشرقية - العاشر.
- كما اعتمد فضيلته نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٨ / ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م على مستوى الجمهورية بنوعيها «مبصر - كفيف» وشهادات القراءات «إجازة التجويد - عالية القراءات - التخصص - شهادات البعوث الإعدادية والثانوية».
- [illegible]: هاجر أسامة محمد عطية - الغربية - الأول. أحمد عبدالعزيز عبدالرءوف - البحيرة - الثانى. أسماء عطية محمد على البساوى - كفر الشيخ - الثانى م. شيماء محمود طه الزنقلى - الشرقية - الثانى م. محمد عبدالخالق حسن البحر - كفر الشيخ - الثانى م. محمود عبدالله إبراهيم راجح - كفر الشيخ - الثانى م. أحمد عبدالفتاح محمد الحسنى - الغربية - السابع. رغدة محمد النبوى عبدالمجيد - الغربية - السابع م. شيماء محمد المهدى التهامى - الدقهلية - السابع م. محمود أبو زيد محمد أبو زيد - الدقهلية - السابع م. محمود أحمد محمود على الأبيض - كفر الشيخ - السابع م. محمود راضى الشرنوبى النجار

- كفر الشيخ - السابع م. مرسم نصر على الشناوى - كفر الشيخ - السابع م.

والعشرة الأول من القسم الأدبى (مبصر): محمد عبدالناصر سعد صقر - الغربية - الأول. محمد قرنى أمين حسن - الفيوم - الثانى. سمر خميس منصور منصور - الشرقية - الثالث. يوسف محمد أحمد على - المنوفية - الثالث م. رحاب محمد محروس حسين - أسيوط - الخامس. عبدالمنعم السيد عبدالمنعم محمد - الشرقية - الخامس م. محمد عبدالرحمن محمد المراكبى - المنوفية - الخامس م. مصطفى محمد أحمد مجاهد - القاهرة - الثامن. محمود رضا أحمد - القليوبية - التاسع. آمال سيد إسماعيل عبدالله - أسيوط - العاشر. إيمان مجاهد مجاهد سالم - الدقهلية - العاشر مكرر. عبدالحليم رشاد أحمد مشرف - القاهرة - العاشر مكرر. مصطفى ممدوح أحمد الطحان - دمياط - العاشر مكرر.

[illegible]: محمد نبيل عبدالعليم أحمد - الدقهلية - الأول. نورهان أشرف أحمد صادق عبدالحميد - سوهاج - الثانى. أحمد مسعد محى عطية - المنوفية - الثالث. آية محمود عبدالمقصود سيد أحمد - الغربية - الرابع. محمد درويش أحمد إسماعيل - الشرقية - الخامس.

الإمام الأكبر يستقبل سفير اليونان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح الأحد الموافق ١٣ / ٧ / ٢٠٠٨م سعادة السفير أيونيس سيبوس سفير اليونان بالقاهرة وتأتى هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل سفيراً لبلاده فى جمهورية مصر العربية متمنياً لسيادته إقامة طيبة فى القاهرة والتوفيق له فى عمله. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير فى الأزهر الشريف كما قدم فضيلته شرحاً موجزاً للتعليم الأزهرى الذى يمتاز بالوسطية والاعتدال وأن الناس جميعاً أخوة وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله كما أننا فى الأزهر نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات وأن لكل بلد حضاراتها تستفيد من بعضها البعض وهذا هو الإخاء الإنسانى.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء الذى يعد الأول له بعد توليه العمل سفيراً لبلاده فى جمهورية مصر العربية وأنه يعتز بتواجده فى الأزهر الشريف وبلقاء الإمام الأكبر شيخ الأزهر متمنياً المزيد من التبادل الثقافى بين الأزهر وجامعته وبين اليونان.

ويستقبل سفير السنغال

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر الخميس الموافق ١٧ / ٧ / ٢٠٠٨ سعادة السفير انديادار سار سفير جمهورية السنغال بالقاهرة وتأتى هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل سفيراً لبلاده فى جمهورية مصر العربية متمنياً لسيادته إقامة طيبة بالقاهرة والتوفيق فى عمله. ومن جانبه شكر السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وأنه يعتز بتواجده فى الأزهر الشريف وبلقاء فضيلة شيخ الأزهر كما شكر فضيلته على الرعاية والتيسيرات التى يوليها الأزهر للطلاب والطالبات السنغاليين الذين يدرسون فى الأزهر ويتمتعون برعاية الأزهر لهم.

Also, he saw the spread of drinking wine, dissoluteness to a great extent as well as practicing usury to an incredible extent. Moreover, he noticed the spread of greed, hunger for money, toughness and tyranny to the extent of killing the children.

Kings were ruling many countries, while many priests regarded themselves as gods. They were robbing the people without any right. He saw the loss of the

human skills and talents without any benefit or right guidance turning to disasters towards their owners.

Furthermore, courage turned to savagery and oppression, generosity to squandering, and intelligence to robbery[3] and deception. Mind became a way of formulating crimes and sins[4]. Because it was a Prophet not a social reformer, military leader or political leader, he was guided to the key of the human nature, which is the heart as he actually knows.

He knows that the guidance of the human being starts with his heart. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said," The body has a small important part, which, if becomes good, the whole body becomes good; and if spoils, the whole body spoils, which is the heart."[5]

The heart mentioned here is the inner part and the spiritual entity of human being. At the beginning, the Surahs sent in Mecca were meant to revive the feelings and consciences of the people, and to shake their entities for the sake of deepening their belief.

The whole matter started in the house of the Prophet (may the blessing and peace of Allhah be upon him), as Allah sent the revelation to order him by reading. This was the beginning of the link between the heavens and earth and carrying Allah's light to the people:

{O you Population of the Book, our Messenger has already come up to you, he makes evident to you many things you have been concealing of the Book, and he is clement about many things. A light has already come up to you from Allah, and an evident Book Whereby Allah guides whomever closely follows His all-blessed Satisfaction in the ways of peace, and He brings them out of the darkness (es) into the light by His permission, and He guides them to a straight Path.} **[Al-Ma'idah (The Table): 15-16)**

---

[3] Robbing the people on their way

[4] What the world lost by the deterioration of the Muslims - Abul Hasan An-Nadawy, page 115, Al-Resalah Institution

[5] Mosnad of Imam Ahmad 4/270

The Day of the conquer of Islam to Pre-Islamic era

The verses followed each other, hearts and souls woke up seeing scenes from the Day of Judgment. There were verses which revealed the destiny of the disbelievers to draw the attention of the negligent people to their destiny and to show the believers their rewards in the Day of Judgment.

Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) feeds the people's souls by Qur'an, educates their souls by belief, and orders them to submit to Allah five times a day in a state of purity and humbleness of heart. The submission of mind and body increases their belief and elevates their souls in the existence of pure heart and cleanness.

He ordered them to liberate from materialism, and to resist the personal appetites for the sake of being sublime. Also, he taught them moral tributes such as mercy, patience and self-compulsion. The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) continued to educate them profoundly, the Noble Qur'an continued to elevate their souls and the Prophet's sessions (may the blessings and peace of Allah be upon him) strengthened their belief and dispatching from personal appetites. These sessions had strong effect as they helped the people to devote their souls for satisfying Allah for the sake of Paradise.

They cared about their religion and did their best to know more about Islam. They were accounting for their souls and obeyed Allah's Messenger, as they fought with him twenty seven times in seventeen years. They were ordered by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to fight Allah's enemies for 100 times without caring about their life.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

The Need of the Humanity for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By: Dr. Hamdy Fatouh Waly

Humanity passed by crises in which the Divine Sharia, morals firm legal facts were missed. Mind became weak and the logic of muscles and canine teeth prevailed. The poor became much poorer and the rich became much richer. Nothing was heard on earth except the logic of the claw and canine tooth in the period prior to the envoy of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Although there was a heavenly religion on earth which is Christianity before Islam, but there was extreme suffering that surpassed every limit. Christianity was handicapped in a way that it could not present a controlling method or a guiding Shari'a.

"In 305 A.D. Christianity ascended the throne of the pagan Rome by Costantinus who ruled Rome. Thus, Christianity conquered paganism gaining what it had never dreamt of wide property and various countries.

Costantinus reached the throne by shedding the blood of many Christians for his sake and victory. Then, he was grateful to thim in the way that he appointed them in high positions in his country. The Christians won with regard to fighting and war, but they were conquered with respect to religion, as they won a great kingdom, but lost a great religion.

The pagan Rome distorted the Christ's religion; Costantinus was the one who distorted most of the religion, although he was supposed to the protector of Christianity.[1] Dol Diwart wrote in his book "Story of a Civilization":

"When Christianity conquered Rome, the core of paganism moved to the new religion. The title "Al-Habr Al-A'tham" and worshipping of the "Great Mother" and uncountable number of gods that satisfied and eased the souls as well as feeling the existence of some creatures every where and the joy of the old processions that the human being does not know its beginning. All of these features transferred to Christianity as the blood transfers to the embryo: and Rome captured the religion that conquered it at the beginning.[2]

The earth was disappointed by Christianity which deserted its message and firmly-established facts as well as satisfied by paganism. The priests became symbols isolated from the real life after the saying, "Give what Ceaser owns to Ceaser and what concerns Allah to Allah." It was clearly known that Ceaser was controlling every thing, and that Allah did not have sovereignty over anything in Paganism's point of view.

Thus, Rome turned to be a tyrannical pagan power, and its danger increased when it controlled the whole earth after conquering the Magi Persia, which had formed a sort of power balance. Persia was not much luckier by worshipping fire, but it was worse as fire does neither send Shari'a nor a messenger. Also, it does not punish the disobedient and criminals. Thus, the whole people were like disbelievers in every place.

The Earth lost its leader

It was clear that the whole earth lost its leader as well as the guiding light and the guide that shows the right path. The whole humanity was seeking a saver till Allah willed to bring happiness to the earth by sending Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him). His envoy represented conquer for the whole earth, rescue for the whole humanity and mercy for the people.

Dr. Barron said in the fifth international conference for historical sciences held in Oslo on August 14th, 1929 A.D:

"The emergence of Islam formed the end of the old ages and the beginning of waking up the humanity at the first of the middle ages, as the Western Europe started a new civilization and modern life. Thus, we should regard this great event as the beginning of a new era."

Abul Hasan An-Nadawy said describing the state of the human society at the time of the envoy of Muhammad, "When Muhammad Ibn Abdul Allah was sent, the whole world was extremely shaken. Everything at that time was not in place. When the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) looked around him, he found the human being humiliated himself by prostrating to the stone and tree, which neither benefits nor harms.

[1] What the world lost by the deterioration of the Muslims – Abul Hasan An-Nadawy page 237 Al-Resalah Institution

[2] The Story of Civilization – Well Durant, the sixth edition page 418, the translation of Mohammad Badran

The fourth: abrogation of some rules such as transferring the Qiblaa from Jerusalem to Kaaba, and transferring the iddat of the widower from a month to four month and ten days. They said that if he was true, he would not change the rules that were emphasized in Torah and the Bible. However, he changed them, and he should not be a prophet.

Allah responded to the first suspicion by saying:

{We sent you as a Messenger and let you marry and have children}

Also, Allah responded to the second suspicion by saying:

{No Messenger can get any sign except by the permission of Allah}

It seems as if they do not know that any one of miracles he brought is enough to emphasize his prophecy, and he brought many miracles. We wonder why they ask for more miracles, although this matter does not refer to him, but to Allah, Glory be to Him.

Also, Allah responded to the third suspicion by saying:

{Ever term has a Book.}

[Ar-Ra`d (The Thunder): 38

It means that there is a certain time for the sending down of torment to the disbelievers and the conquer of the Muslims, which is determined by Allah. If any event delays, this does not mean that he is a liar.

Allah responded to the forth suspicion by saying:

Allah erases whatever He decides and He makes firm (whatever He decides)

[Ar-Ra`d (The Thunder): 39]

It means that Allah erases and makes firm whatever He wants in the way He perceives the benefit of His worshippers. Allah, Glory be to Him, says:

{In no way do We abrogate any ayah whatsoever or cause it to be forgotten (except that) We come up with a more charitable one or the like of it. Do you not know that Allah is Ever-Determiner over everything?}

[Al-Baqarah (The Cow): 106]

One of these ayas is regarding the Kaaba as the Qiblaa of the Muslims instead of Jerusalem. Allah determines that there is no change, amendment, erasure or emphasis in the matter of the iddat of the widower. Abdullah Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) says, "There is two kinds of Books: A Book in which Allah erases whatever He wants and another one that never changes: Allah's Knowledge and the predestined Determination."

Also, he believes that erasure and emphasis relate to something other than happiness, unhappiness and life. The Book is the predetermined facts, and it was said that it is the events written by the angels. Ibn Omar (may Allah be pleased with him) narrated that he heard the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying, "Allah erases and makes firm whatever He wants except happiness, unhappiness and death."

As accusing the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with the above-mentioned accusations is a kind of wronging to Allah, He revealed that

amending the signs and substituting them with others are referred to Allah. Allah legislates the rules suitable to a certain event, and when this event ends up, He changes it.

Changing rules according to the events is regarded as one of the signs of the Wisdom of Allah. The words of this famous invocation were really mentioned. Abdullah Ibn Masud (may Allah be pleased with him) said Ibn Abi Ad-Duny and Ibn Abi Shybah said that everyone who says this invocation will be prosperous and live in happiness.

The invocation is, "O Lord! Who grants many graces to his worshipers and no one grants Him any grace, there is no god but You, Who supports us all in our fear. If You destined me as unhappy, deprived, dismissed or poor, please remove this unhappiness, deprivation, dismissal, and poverty, and destine me as happy, prosperous, as You say in the holy Qur'an that reached us by Your Prophet:

{Allah erases whatever He decides and He makes firm (whatever He decides), and in His Providence is the Essence of the Book.}

[Ar-Ra`d (The Thunder): 39]

However, this invocation is not limited to the night of the middle of Sha`ban or any hour in it. It was said that this invocation was said by Umar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him) when he was circumambulating around the Kabaa.

It is believed that attributing this invocation to two honorable companions is not true, however, the addition to this invocation is said by them, as it is added by Sheik Maa Al- Aynayn Al-Shanqity. To conclude, the night of the middle of Sha`ban is not the night in which every Wise Command is distinctly decreed. Also, it is not the Night of the Determination because all of these matters were ended up and Allah determined them.

Invocation is one of the desirable worships at any time, as Allah, Glory be to Him, says:

{Your Lord said, "invoke me and I will respond to you}

Also, Allah, Glory be to Him, says:

{And when My bondmen ask you concerning me, then, Surely I am near; I answer the invocation of the invoker when he invokes Me, so let them respond (to) Me, and let them believe in Me, so that possibly they would respond right-mindedly.}

[Al-Baqarah (The Cow): 186]

The best invocation, as the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) says, is the simplest and most truthful, and he hated the way of complicating the invocation. The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) says, "When one of you invokes, he should not say, 'O Lord' Please forgive me if you will, but he should be decisive."

Lights on the Invocation The Night of the Middle of Sha`ban...!

By: The Honorable Sheikh. Abd-Al-Munsef Mahmoud *

There is nothing narrated about the Prophet (may the blessinsga nd peace of Allah be upon him) and the honorable companions (may Allah be pleased with them) concerning assigning a certain worship to the night of the middle of Sha`ban.

Abu Shamah Ash-Shafe`y said that the judge Abu Bakr Ibn Al-Arabi mentioned in his book "Al-Aridah" that there is no true narration about the night of the middle of Sha`ban. Also, he mentioned in his book "Al-Ahkam" that there is no reliable narration about the virtue of the night of the middle of Sha`ban or determining the lives in it.

It was narrated that Al-Awza`y, the Imam of the Levant, did not like to meet at the mosques for its sake, and did not hate that one can pray alone for its sake." It was said that the invocation that the Muslims say in this night is heresy. The invocation is, "O Lord! Who grants many graces to his worshipers and no one grants Him any grace, there is no god but You, Who supports us all in our fear. If You destined me as unhappy, deprived, dismissed or poor, please remove this unhappinss, deprivation, dismissal, and poverty, and destine me as happy, prosperous, as You say in the holy Qur'an that reached us by Your Prophet:

{Allah erases whatever He decides and He makes firm (whatever He decides), and in His Providence is the Essence of the Book.}

[Ar-Ra`d (The Thunder): 39]

The invocation is regarded as a heresy because it contains two untrue matters: The first is that the blessed night in which every important matter is the night of the midlle of Sha`ban, but this is untrue and the fact is that it is the Night of Determination as Allah, Glory be to Him, says:

* An article published (in Arabic) at Al-AZhar Magazin

{Ha. Mim. And (by) the evident Book. Surely We have sent it down in a blessed night, surely We have been constantly warning. Therein every Wise Command is distinctly (decreed). (As) a Command from Our Providence, surely We have (ever) been sending (Messengers). As a mercy from your Lord, surely He, Ever He, is The Ever-Hearing, the Ever-Knowing}

[Ad-Dukhan (Smoke): 1-6]

The blessed night is the Night of Determination, as Allah, Glory be to Him, says.

{Surely we sent it down on the Night of Determination. And what makes you realize what the Night of Determination is? The Night of Determination is more charitable than a thousand months.}

[A-Qadr (Determination): 1-3]

The Night of Determination is one of the nights of Ramadan, as Allah, Glory be to Him, says:

{The month of Ramadan (is the month) in which Qur'an was sent down, a guidance to mankind, and supreme evidences of the guidance and all-distinctive Criterion.}

[Al-Baqarah (The Cow): 185]

The second is that the one who says this invocation understands the wroogly saying of Allah, Glory be to Him.

{Allah erases whatever He decides and He makes firm (whatever He decides), and in His Providence is the Essence of the Book.}

[Ar-Ra`d (The Thunder): 39]

They understand that erasure and decision are related to the Essence of Book. This is wrong understanding of the meaning of the verse. The stubborn people criticized the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) for four things:

The first, wives and children, as they said that the Prophet may the blessing and peace of Allah be upon him) was preoccupied by women and he claims to be a Messenger. If so, he would be preoccupied with asceticism, worshipping and leaving the graces of life.

The second: he did not respond to the signs and supernatural matters

And they have said, "We will never believe you till you make a fountain to gush forth from the earth for us. Or (till you have a garden of palms and vine (s), then you make rivers to erupt forth amidst it abundantly. Or you make the heaven to fall down, as you have asserted, on us in lumps, or you come up with Allah, and the Angels and their (dependant) tribes. Or you have a home of wonderful decoration, or you ascend into the heaven, and we will never believe your ascent till you keep sending down on us a book that we (can) read. "Say," "All Extolment be to my Lord! Have I been anything except a mortal, as a Messenger?"

[Al-Israa (The Night Journey): 90-93]

The third. He was frightening them of torture and torment , and that Allah will support him and the Muslims, when this is delayed, they doubted his prophecy.

month as much as in Sha'aban. He used to fast all Sha'aban and used to say: Do as many deeds as you can bear, for Allah doesn't get bored until you do.

The most favored prayer for the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was what he kept doing all the time, and when he prayed a prayer he continued doing it.

From all this, it's clear that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) honored and revered the month of Sha'aban by fasting. The following Hadith also indicates the importance of Sha'aban, especially the night before the 15th of Sha'aban. Lady Aa'isha, Mother of believers (may Allah be pleased with her), said: " The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) entered and removed his clothes and then immediately got up and put them back on. I felt a terrible jealousy and thought that he was going to one of his other wives, so I went out after him. I found him in Baki'i praying for forgiveness for the believers and martyrs, so I said you are out for Allah and I am out for a worldly need. I went back and entered my room and I was breathing heavily. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) came in after me and said: "Why are you breathing heavily, Aa'isha?" So I said: you came in and took off your clothes and then immediately put it back on, so I felt great jealousy and thought that you were going to one of your other wives, until I saw you in Baki'i doing what you were doing." He said: "Oh! Aa'isha, were you afraid that Allah or his Prophet would hurt you? It was Jibril who came to me and told me: this is the night before the 15th of Sha'aban and Allah protects some people from the fire of Hell on this night, as many as the hair on sheep. Allah doesn't look in this night at a disbeliever or at a trouble - maker, or at someone who does not ask about his relatives, or someone who does not take care of his parents or an alcoholic". Then the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) removed his clothes and said to me: "Aa'isha, would you permit me to pray through this night ". I said: "Yes ", so he got up and he prostrated all through the long night until I feared that he had died. I got up and I touched him and placed my hand on his feet. He moved, so I was pleased. I heard him say while prostrating: "I implore your approval to protect me from your anger, and I implore your forgiveness to protect me from your punishment, and I implore you to protect me from you, May your face be honored, I cannot praise you enough. You are as you praised yourself." When he got up, I mentioned this to him and he said: "Aa'isha, learn it and teach it to others, for Jibril (Peace be upon him) taught it to me and ordered me to repeat it while prostrating".

In another narration, that she heard the Prophet (May the blessings and Peace of Allah be upon him) saying while prostrating: "My body and my shadow prostrate to you, and my heart believes in you. This is my hand and what I did to myself. Oh Great One that every great one desires, forgive the great sin. I say as Dawood (Peace be upon him) said: I cover my face with dust for my Master. He deserves that I prostrate to him. My face bows to the one who created it and the One who opened up my ears and eyes. Then he raised his head and said. Oh God! Bestow upon me a pure heart, innocent of all idolatry and make me not a sinner or a looser.

It is known that the five prayers were made obligate on the night of Isra'a and Mi'raj from the seven heavens above. Based on orders from Allah, the Prophet (May the blessings and Peace of Allah be upon Him) prayed facing Al-Aqsa Mosque. Moslems continued to pray in that way for about 16 months until Allah ordered his Prophet to pray facing the Ka'aba (the Sacred Mosque) when he said:

"We have seen you turning your face towards the sky, now We shall turn you towards a Qibla which pleases you. Turn then your face in the direction of the Sacred Mosque and wherever you are turn your faces towards it."

(The Cow: 144)

All this was in the month of Sha'aban in the second year of Hijra.

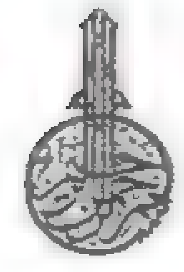
There is no confirmed Hadith about the prayer that people should perform on the night of the 15th of Sha'aban, or about a special Doa'a (supplication) they should say. Scholars have agreed that coming together to pray between Maghrib and Isha'a is an innovation, while it is acceptable to perform individual prayers and supplication to Allah in no fixed form.





AL-AZHAR MAGAZINE

Sha'aban 1429



ENGLISH SECTION

August 2008

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Month of Sha'aban

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The month of Sha'aban is one of the months that Allah prefers. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says in answer to a question by his honored disciple Osama Ibn Zayd (may Allah be pleased with him) when he said: " I haven't seen you fast in any of the months as much as in Sha'aban? " and the Prophet answered: " This is a month that people usually ignore, because it is between Rajab and Ramadan. It is a month in which deeds are presented to Allah, and I would like my deeds to be presented while I'm fasting ".

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) also says: "This is a month that people ignore between Rajab and Ramadan ". This is in reference to the fact that it is between two great months: Rajab, which is a forbidden month and Ramadan, the month of fasting. These two months keep the people from observing the month of Sha'aban.

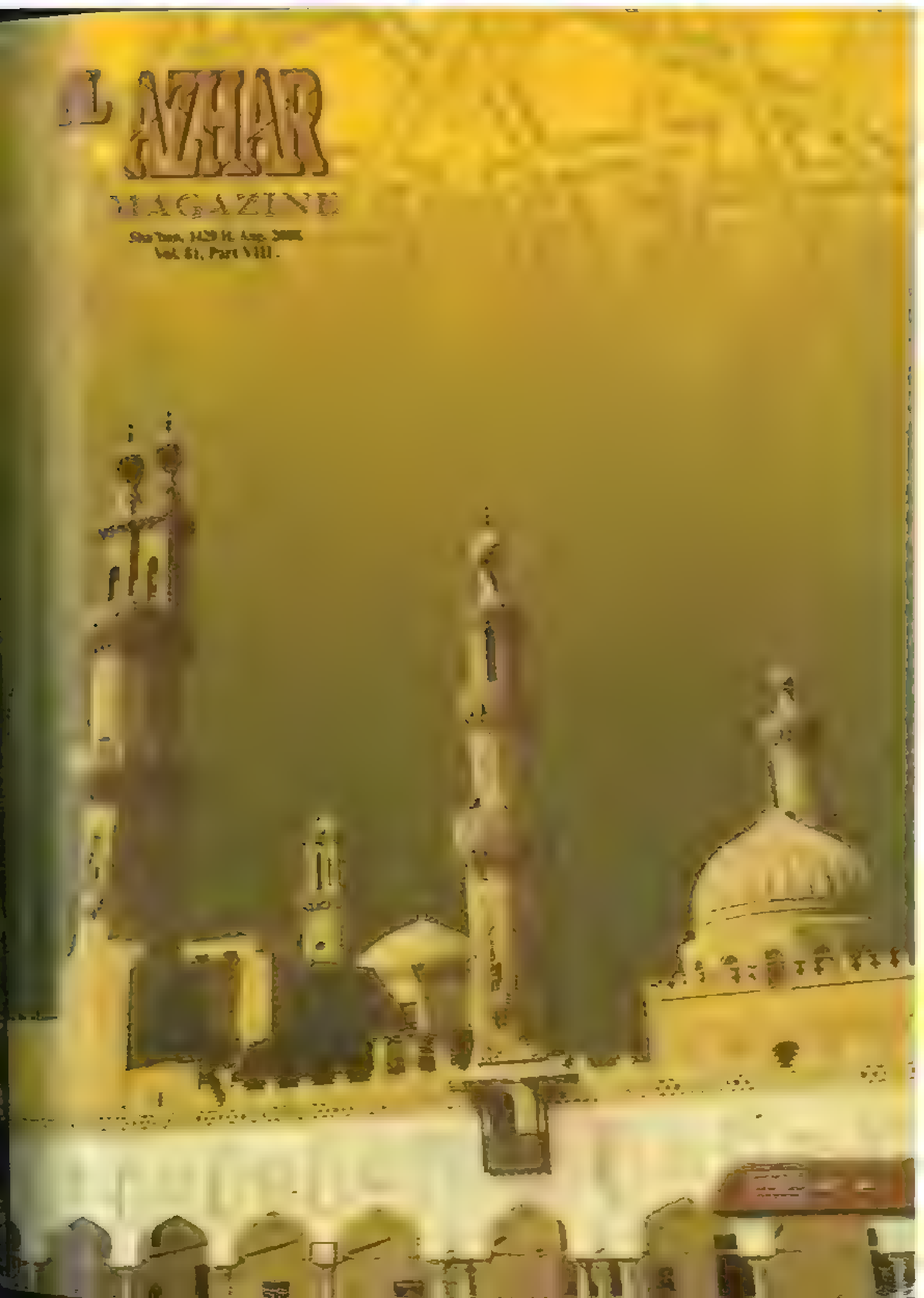
Many people think that fasting in Rajab is better than fasting in Sha'aban because Rajab is one of the forbidden months. The lady Aa'isha, Mother of believers (may Allah be pleased with her), said: " It was mentioned to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) that some people fasted Rajab and he asked: "What about Sha'aban?"

These words by the noble Prophet indicate that many of the famous times or places or people may be less preferred than others.

It was also mentioned in the Sunnah that Sha'aban has another importance and that is the fact that times of death are written in this month. The lady Aa'isha, Mother of believers (may Allah be pleased with her), mentioned that: "most of the fasting of the Prophet (may the blessings and peace be upon him) was in the month of Sha'aban. I said: oh! Messenger of Allah , I see most of your fasting is in Sha'aban and he said (may the blessings and peace of Allah be upon him): " In this month , the angel of death writes down who he is supposed to take, and I don't want my name to be written except when I'm fasting."

It was also mentioned by Bukhari and Moslem that lady Aa'isha, Mother of believers (may Allah be pleased with her), said: "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) didn't fast in any

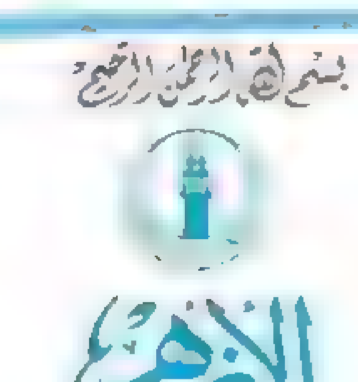
الفهـــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Sha'ban, 1429 H. Aug. 2008
Vol. 81, Part VIII.

الأزهر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا امريكيا

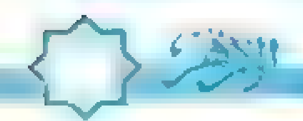
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا امريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا امريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٣٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

رمضان ١٤٢٩هـ - سبتمبر ٢٠٠٨م - الجزء التاسع - السنة (٨١)

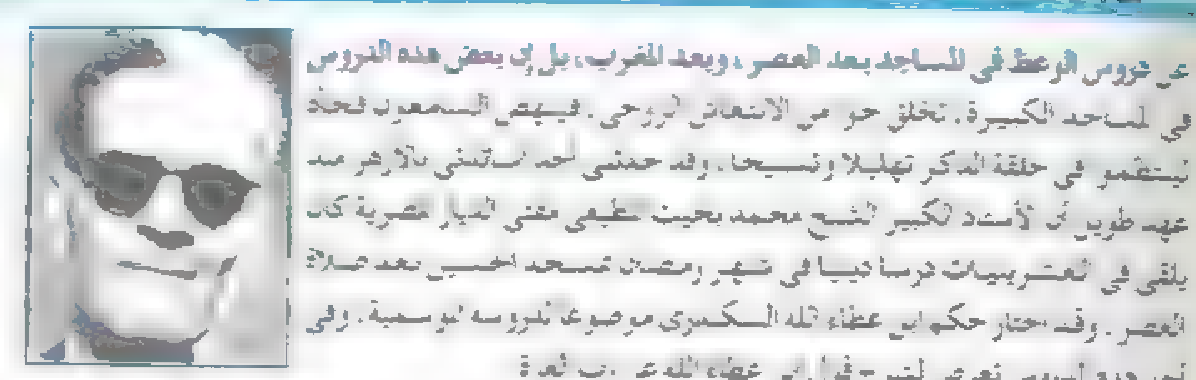


الافتتاحية

من حلقات الذكر في شهر رمضان

تغيرت تقاليد رمضان في هذا القرن عما عهدناه في القرن الماضي أو في نصفه الأول على التحديد، ونريد اليوم أن نتحدث عن بعض حلقات الذكر في هذا الموسم. إذ كانت هذه الحلقات ذات رواج ذائع في المساجد. ولها عشاقها الذين كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر. لأنها تضفي كثيرًا من البهجة الروحية على نفوس صافية تريد أن تؤكد صلتها بالسماء في حفل بهيج كله نشاط وخفة إيقاع. ويزيد من متعته الروحية أن الذين يقومون بالذكر قضوا نهارهم صائمين، وقد أقبل الليل عليهم ليضيفوا إلى ثواب الصوم لدى الله ثوابًا آخر فيما يقومون به من ذكر جماعي يتخلله الإنشاد الديني. ولابد من المنشدين من يقوم بالترجيع الخاشع. ومن يجلس وسط الحلقة ليضرب بيده متحاورًا مع رنات المنشد. وقد يكون الجالسون جماعة. إذا اتسعت الحلقة فامتد عددها إلى العشرين المتقابلين. والمنشد يصدح والذاكرون يهتفون بأسماء ذي الجلالة. الله. الله. حيّ حيّ. هو هو... وفق نظام متعارف لا يحيد عنه إنسان. وأذكر أن الدكتور طه حسين قد وصف في الجزء الأول من (الأيام) بعض حلقات الذكر. فقال عن اجتماع الذاكرين: إنهم يذكرون الله أولاً قاعدين ساكنين. ثم تتحرك رؤوسهم وترتفع أصواتهم قليلاً. ثم تتحرك أكتافهم وترتفع أصواتهم قليلاً. ثم تنبث في أجسامهم رعدة فإذا هم جميعًا وقوف. قد دفعوا في الهواء كأنما حركهم لولب، ويظهر أن حلقات الصعيد التي وصفها الدكتور تختلف بعض الشيء عن حلقات الوجه البحري. حيث أن ما شهدته من الحلقات. لا يبدأ بالذكر الصامت فجأة. بل يبدأ بقراءة أجزاء من القرآن. حيث يأتي صندوق من بيت شيخ الفقهاء يضم ثلاثين جزءًا، هي جميع أجزاء القرآن. ثم توزع الأجزاء على الجالسين. فيقرأ كل إنسان ما بيده من كتاب الله. حتى إذا فرغوا من ذلك كان كتاب الله قد قرئ جميعه. وتجمع الأجزاء لتوضع في الصندوق كعهدها السابق. ثم يأتي قارئ حسن الصوت فيفتتح المجلس بقراءة ما تيسر من آيات الله. وفق اختيار دقيق لآيات الترغيب والترهيب مما ينقل السامعين إلى العالم الروحي. فإذا انتهى من قراءته ابتدأ الذكر الصامت على نحو ما ذكره الدكتور، أي عند الخاتمة. فلابد أن توزع النفحة. وهي قطع صغيرة من الحلوى. يتبرع بإحضارها أحد الذاكرين طيلة شهر رمضان لتوزع على الذاكرين. تذكيرًا بطعام أهل الجنة ومنهم من يحتفظ بها كعلاج روحي للشفاء مما يلم به من داء. لأن جو الذكر والخشوع قد خلع عليها -في اعتقاده- ما يجعلها بعض أسباب الشفاء!

لقد كان يتاح أن نشهد الحلقات في هذا الشهر الكريم كل ليلة. فهي من الأمسيات الدينية التي لا تقل مكانة



طه حسين

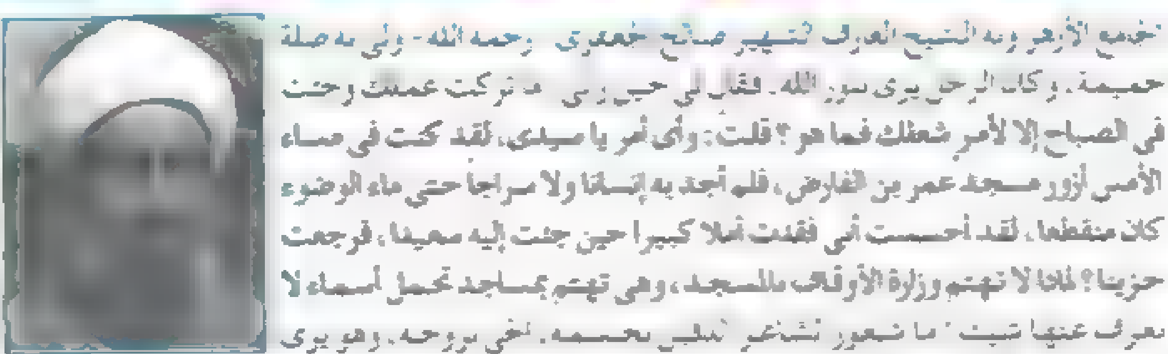
عن دروس الوعظ في المساجد بعد العصر، وبعد المغرب، بل إن بعض هذه الدروس في المساجد الكبيرة، تخلق جوًا من الانتعاش الروحي. فينهض السامعون لحظة لينتظموا في حلقة الذكر تهليلاً وتسبيحًا. وقد حدثني أحد أساتذتي بالأزهر منذ عهد طويل أن الأستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية كان يلقي في العشرينيات درسًا دينيًا في شهر رمضان بمسجد الحسين بعد صلاة العصر. وقد اختار حكم ابن عطاء الله السكندري موضوعًا لدروسه الموسمية. وفي أحد هذه الدروس تعرض لشرح قول ابن عطاء الله عن رب العزة

«كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد ليس معه شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود شيء؟»

وكان السامعون في شبه انجذاب روحي يتفاعل مع هذه المعاني، فنهض أحدهم صائحًا لا إله إلا الله. لا إله إلا الله، فهب الجالسون جميعًا من ورائه. وانتظموا تلقائيًا في حلقة صوفية ذات رنين والتهاب. ودعي الشيخ بخيت -رحمه الله- ليجلس وسط الحلقة إذ كان في سن متقدمة لا تسمح له بالنشاط كتلاميذه الشبان. وظلت الحلقة ممتدة حتى أذن المغرب. فآثر القوم أن يأكلوا (سندويتشات الفول)، ولم يذهبوا إلى منازلهم. ليعتكفوا في المسجد حتى يؤدوا صلاة التراويح بعد العشاء، وهم في جو روحي شغلهم عن الحياة والأحياء.

أخلص من هذه المقدمة إلى وصف ما أريده من الحديث عن ليلة من ليالي الإيمان في أول يوم من رمضان. قدر لي أن أكون سائرًا في إقامة احتفال ديني بها ترد فيه الأذكار، وينتصب فيه هاتف بأحوال السماء. فقد كنت زميلاً للمستشرق الكبير الأستاذ عبد الكريم جرمانوس في إحدى زياراته للقاهرة لحضور دورة مجمع اللغة العربية السنوية. حين ذهبت معه لزيارة مسجد الإمام الشافعي. فقلت له: وهل سمعت عمر بن الفارض سلطان العاشقين، إنه قريب منا. فرحب باقتراحي. ومضى يتحدث عن نوادر طريفة تروى عن العارف بالله شعرًا ونثرًا. وسرنا في الطريق. فقلت له: إن هذا الطريق كان يسمى في العهد الأيوبي (ورشة المستضعفين) فقال: تسمية وافقت معناها، إذ لا يوجد مستضعف أذل من عاشق، فما بالك بسلطان العاشقين.

ولكن سرورنا لم يتم، إذ ما كدنا نصل إلى مسجد الشاعر الكبير حتى رأيناه مهجورًا تعلوه الوحشة وليس به من زائر. والمصابيح مطفأة، ولا أدري هل تنطفئ الكهرباء فجأة في هذا المساء أو كان انقطاعها دائمًا. وقد كان ظلام المسجد، وانصراف الناس عنه، مما خلع على نفسي كآبة قاتمة. فقال الدكتور جرمانوس: لو لم يكن ابن الفارض صوفيًا كبيرًا لكان شاعرًا قديرًا. فكيف يهمل من روعة مثله. إن عبقريات الشعراء المشاهير من أمثال أبي تمام والبحتري والمتنبي متشابهة لأنها تمتح من نبع المدائح الأسيوية، أما عبقرية ابن الفارض فمصدرها النبع الدافق من القلب الرقيق. وقد تكون حيرته بالحياة العامة قليلة. ولكن حيرته بالنفس العاشقة ذات عمق بعيد. وانتهت الزيارة. ولكن صداها كان أليمًا في نفسي. فذهبت في صبيحة الغد إلى



صالح الجعفرى

الجامع الأزهر وبه الشيخ العارف الشهير صالح الجعفري - رحمه الله - ولي به صلة حميمة، وكان الرجل يرى بنور الله. فقال لي حين رآني: ما تركت عملك وجئت في الصباح إلا لأمر شغلك فما هو؟ قلت: وأي أمر يا سيدي، لقد كنت في مساء الأمس أزور مسجد عمر بن الفارض، فلم أجد به إنسانا ولا سراجا حتى ماء الوضوء كان منقطعا، لقد أحسست أني فقدت أملا كبيرا حين جئت إليه سعيدا، فرجعت حزينا؟ لماذا لا تهتم وزارة الأوقاف بالمسجد، وهي تهتم بمساجد تحمل أسماء لا نعرف عنها شيئا؟ ما شعور الشاعر الملتبس بجسمه، الحي بروحه، وهو يرى الوحشة تكتنفه في كل مكان، فقال الشيخ صالح ما نصه: «صه يا مولانا إن روح الشاعر العارف بربه تطرد كل وحشة، وهو في قبره يعيش في روضة من رياض الجنة. فالوحشة لا يحس بها ابن الفارض، ولكن نعانيها نحن» قلت: وماذا نصنع في هذه الحالة؟ فسكت الرجل قليلا، ثم قال: نحن الآن في الأيام الأخيرة من شعبان. وعليك أن تحضر في اليوم الأول من رمضان إلى مسجد ابن الفارض قبل الغروب بساعة لترى احتفالنا به. قلت: وكيف؟ قال: لا تنس الموعد، وتوكل على الله!

كنت أعرف عزيمة الشيخ وعمق حديثه فلم أتردد في تصديق ما قاله. وأخذت أنتظر مرور الأيام حتى حان اليوم المرتقب، فاستأذنت أولادي بالقبول أن أتركهم في أول أيام الموسم السعيد، لأسافر إلى القاهرة في عمل ضروري. هكذا قلت. وما كدت أصل إلى الطريق المتجه للمسجد، حتى رأيته محاطا بأناس كثيرين من مريدي الشيخ، وفيهم من يضع القدور على النار، ويجاورهم أكداس الخبز الطري، ومن خالطت القوم حتى عرفت أن الشيخ صالح سيحيي الليلة بالمسجد، وأن أحبابه جاءوا بمصابيح كهربية ليكونوا في مأمن إن انقطع التيار الكهربائي فجأة. كما عرفت أن هذه القدور تمتلئ باللحوم المطبوخة، إذ رأى الشيخ أن يكون الإفطار منه، ثم من حلو القدور من قطع الفاكهة فهي للسحور. وقد اتجهت إلى المسجد فكدت أضيع في الجمع المحتشد به. ثم علت صيحة، فالتفت لأرى الشيخ صالح الجعفري بقامته الفارعة، ساحبا عباءته الفضفاضة، وبيده مسبحته الشهيرة، وخلفه جمع من مريديه، وما كاد يخطو سجادة المسجد، حتى اتجه إلى الضريح في شوق، ثم علا صوته هاتفا بقول الشاعر:

وأقرب ما يكون الشوق يوما .. إذا دنت الخيام من الخيام

ثم أخذ يحتضن الضريح، فخيل إلي أن الشيخ يعانق صديقا يتقبل أنفاسه، ويسمع صوته، ويتمتع بدفء حنانه، وقد اجتاح الحاضرين هياج الطرب، وعمهم روح من التواجد، فانتصب الجميع تلقائيا، صفوفا خلف صفوف، والشيخ في الوسط يتواجد ويترنح، وقد حضر جميع من كانوا خارج المسجد ليشاركوا في الابتهال، ويستمعوا لما ردده الشيخ من شعر ابن الفارض إذ يقول:

كل من في حماك يهواك لكن .. أنا وحدي بكل من في حماكا

لك في الحيِّ هالك بك حيٌّ .. هام واستعذب العذاب هناكا

وبشيري لو جاء منك بعطف .. ووجودي في قبضتي قلت هاكا!

ولا أدري مذاهب نسيم كله عطر، حتى رحت أتساءل: هل حمل بعض الذاكرين قارورة عطر وأراقها؟ ثم



أن هذا الجو الروحي جعل للهواء رائحة غير التي نعهد؟ ولم ينقطع الحيا حتى ارتفع صوت المؤذن فخشعت الأصوات للرحمن، ثم اتجه الشيخ إلى المحراب، فتهيأنا للصلاة خلفه، ولم يطل، حيث جلس في صفوف لتناول (السندوتش) تحمل ما يحتويها من التوابل والسلطات، وكانت مهلة للراحة، حتى أذن الشيخ لصلاة العشاء!

حان موعد الصلاة فأم الشيخ، وقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة خاتمة سورة (الكهف):

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

قرأ الآيات بصوت شجي كأنه ترجيع الطير، وقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة قول الله -تعالى- في خاتمة سورة (غافر)، وقد بلغ ترتيله غاية الروعة حتى ليخيل لسامعه أنه يبكي، قرأ قول الله:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾

(غافر: ٨٢-٨٥)

وتمت فريضة العشاء وسنتها، فصلاة التراويح والوتر، وجلس الشيخ ليعظ، فأخذ يتحدث عن أنبياء الله ورسله، ويلم بشذرات من أخبار المتصوفة، حتى وصل إلى عمر بن الفارض، فأفاض في سيرته بقصة مدهشة، إذ حدث بما يعلم ويجهل معا، واختار شذرات من خطراته الوجدانية، أذكر منها ما رواه الشاعر العاشق من أنه كان يمشي ذات ليلة في سوق القاهرة، فمر على جماعة من حراس البضائع، إذ لم يكن بالمدينة كذلك نواب حينئذ، ولكن حراسا متطوعين يكتفون بحراستها لقاء أجر شهري، وكي يطردوا النوم جعلوا يترنمون بأبيات شعرية سمع ابن الفارض منها:



مولاى سبيت بمعنى منك وسنان ... مولاى فلم تسمح فنعم بحنان

مولاى فلم يطرق، فبلا شك بان .. ما نحن إذن عندك يا مولاى ببال

فصرخ عمر صرخة مدوية حين سمع (ما نحن إذن عندك يا مولاى ببال) وأقبل الناس على الولى الصارخ. وتحلق حوله الزوار وهم يرددون معه (ما نحن إذن عندك يا مولاى ببال)، وترك الحراس مكتبهم حين سمعوا الصحيح. وجعلوا يكررون الأبيات، والحاضرون يذكرون مستهلين. وترنح القوم. وسقط الكثير على الأرض متوجدين. وسقط معهم عمر بن الفارض. فحملوه على الأكتاف. وساروا به في حفلة ذكر متنقلة، ومنهم من خلع ملابسه، ورمى بها في الطريق، وظل يذكر في شبه غيبوبة. ثم عاد الشيخ لأبيات الشطفة بيقظ شجى لا يسمح به في كثير من الأوقات. وأخذته الصبوة فانتصب واقفا، وانتصب من خلفه سامعوه، وهم يملئون ساحة المسجد، وانتظمت حلقة ذكر تتقالب من شبهات مشبه لا في الغيب. وذكر أن الشيخ قد جلس ليستريح. وجلس معه القوم. ثم دار معه قرني وسائلي. ماذا سمعته مما تحدثه نفسه في الرؤية الثانية من شعر ابن الفارض. فقلت إنى لا أكاد أسمع القصيدة نعيبة. فقال: دارت الله قيت. لقد خطرت على بالى. وأنا أراجع بينى وبين نفسى قصيدته تميزت أن هذه القصيدة ذات نفس حزين. ودارت بعض دقائق، ودارت كئوس القرفة فشرب من شرب. حتى إذا تمت الراحة على نحو مستطاب. نهض الشيخ للذكر مرة ثالثة وما كادت الأرواح تتجاوب حتى صبح الشيخ في جو ابن الفارض، فأنشد قوله:

أبرقٌ بدا من جانب الغور لامعٌ ... أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقعُ

أنارُ الغضى ضاءت وسلمى بذى الغضى ... أم ابتسمت عما حكته المدامعُ

ألا ليت شعرى هل سليمى مقيمة ... بوادى الحمى حيث المتيم والعُ

وهل عذبات الرند يقطف نورها ... وهل سلمات بالحجاز أيانعُ

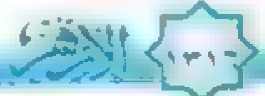
وهل ظبيات بالغوير يريننى ... مرابع نُعم، نعم تلك المرابعُ

وهل ظلّ ذاك الضال شرقىّ ضارجٍ ... ظليل فقد روته منى مدامعُ

وهل عامرٌ من بعدنا شعب عامر ... وهل هو يوماً للمحبين جامعُ!

ولا أذكر أن حلاوة الإنشاد قد تدوقتها من مُنشد - على كثرة ما سمعت - كما استمرأت هذه الحلاوة، والعجب أن الذاكرين من العامة وأكثرهم من أرباب الحرف المتواضعة ممن لا تؤهلهم معارفهم وخبراتهم إلى فهم الدقيق من هذه المعانى، قد بلغ بهم الطرب الروحانى أبلغ ما نتصور، ولله فى ذلك سر لا أدريه. ثم أنا فقد خيل إلى أن الذى ينشد الأبيات هو عمر بن الفارض نفسه، لا الشيخ صالح، وقد حدثته بما تخيلت، فقال إنى لا أشك أنه كان حاضرا معنا وأنه هو الذى خلق هذا الجو الروحانى بين الذاكرين!

وبعد ما يقرب من ساعة ونصف، جلسنا نستريح. وانفرد الشيخ فى أعرب جانب للتسبيح بينه وبين نفسه. وكشفت لعين أكثر الحاضرين. وجاء من مريدى الشيخ من يعرفون الفاكهة والخضروات من برتقال وموز وجزر وطماطم، بمعنى عدة السحور. فأخذ كل مستمرئين. وسقاة الماء من المتطوعين يدورون علينا بالأكواب، فكان لله خاتمة السحور.



وارتفع الابتهال قبل أذان الفجر، فكثرت ركعات التهجد. وترددت التسابيح من المتعبدين ردحا من الوقت، ثم انشق عمود الفجر الصادق. فدوى الأذان. وخشعت النفوس. وتليت آيات من القرآن، نهض الشيخ بعدها للإمامة، ومن خلفه جميع الحاضرين!

وحينت أسلم عليه بعد انتهاء الصلاة. فضغط على يدى. وقال: هل أديا بعض حق سيدنا عمر. ثم قال: ولنا عودة إذا أذن الله. وتفرق الجميع. رحالا وركبانا حتى وصلت إلى محطة الترام بعد ليلة ساحرة من ليالى رمضان!

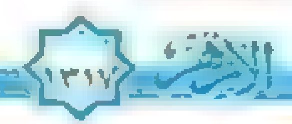
وبعد، فقد ينكر بعض قراء اليوم ما للإنشاد فى حفلات الذكر من تأثير. ولكنه واقع مشهود. بل رويت فيه من الغرائب ما لا يكاد يصدق. ومنها ما ذكره الدكتور زكى مبارك فى كتاب (التصوف الإسلامى) وهو رسالة جامعية ناقشها من كبار المفكرين فى مصر من شهد لهم ببعد النظر وبراعة التصويب، وعنها أنقل ما يأتى جـ١ ص٢٣٤.

«والمغنى (المنشد) كان يسمى «القوال» وللقوالين نوادر كثيرة مع الصوفية من ذلك ما وقع حين زار ذو النون المصرى بغداد، فقد حضر أحد تلاميذه مجلس أحد القوالين. فلما طاب السماع. وتواجد السامعون. صرخ هذا التلميذ ووقع على الأرض فحركوه فوجدوه ميتا. أقول وإلى هنا والأمر طبيعى فقد يكون لدى التلميذ مرض قلبى لم يتحمل هزات الذكر فانكفأ ميتا. ولكن غير الطبيعى أن يقول الدكتور زكى مبارك بعد ذلك «فوصل الخبر إلى ذى النون. فقال لأصحابه: تجهزوا حتى نصل إلى هذا القوال، فلما وصلوا دارت الحلقة وأنشد ذو النون. والقوال يسمع. ثم صرخ ذو النون فوقع القوال ميتا. فقال ذو النون: أحدنا بأحدنا. قتيل بقتيل». هذه النادرة كانت تحتاج إلى توثيق يدفع عنها الشك الصريح. ولكن الدكتور زكى مبارك ذكر لها أشباها وأمثلة مما سجلته كتب التصوف عن منشد يسمى النحاخ جبريل، كان يؤثر فى بعض السامعين فيموت منهم من يموت! وقد اعترف ابن خلكان أنه شهد وقائع هذا القوال بنفسه، ورأى بعينه كيف مات أحد السامعين، وابن خلكان لم يكن متصوفا، ولم يذكر ما يروى من المناقب عن الصوفية، وإنما كان مؤرخا يلتزم بالواقع، فبم نفسر ما كان؟

لقد ضاع الكثير من مباهج رمضان الروحية فى المدن والقرى هذه الأيام. فلم نعد نرى سهرات القرآن فى المنازل. ولا حلقات الذكر فى المجالس. ولا ابتهالات اللقاء وتواحيش الوداع فى أعلى المآذن. ولا امتداد الموائد قبيل المغرب أمام البيوت ليفطر من يشاء كرما يتدفق فى شهر كريم. والذى بقى مسلسلات الخلاعة وبلاهة الفوازير. ورقصات الخود على الشاشة البيضاء (احتفاءً) بالشهر الكريم!

كذا لما جدّ من عكس الأمور بنا .. نمشى على الرأس لا نمشى على القدم!

د./ محمد رجب البيومى



تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

الآيات من (١٨٢ : ١٨٥)

أى: ذلك العذاب الشديد الذى حاق بكم - أيها اليهود - بسبب ما قدمته أيديكم من عمل سيء، وما نطقت به أفواهكم من قول منكر، فقد اقتضت حكمته وعدالته ألا يعذب إلا من يستحق العذاب، وأنه - سبحانه - لا يظلم عباده مثقال ذرة. واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يعود إلى العذاب المحقق المنزل منزلة المحسوس المشاهد. والمراد بالأيدى الأنفس، والتعبير بالأيدى عن الأنفس من قبيل التعبير بالجزء عن الكل.

وخصت الأيدى بالذكر؛ للدلالة على التمكن من الفعل وإرادته؛ ولأن أكثر الأفعال يكون عن طريق البطش بالأيدى؛ ولأن نسبة الفعل إلى اليد تفيد الالتصاق به والاتصال بذاته.





قال الآلوسى ما ملخصه

وقوله:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

عطف على قوله:

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾

فهو داخل تحت حكم باء السببية، وسببيته للعذاب من حيث إن نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى إثابة المحسن ومعاقبة المسيء..

وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى صورة المبالغة فى الظلم.. وقيل: إن صيغة ﴿ بِظَلَّامٍ ﴾ للنسب كعطار أى: لا ينسب إليه الظلم أصلا»[1].

ثم ذكر - سبحانه - رذيلة أخرى من رذائل اليهود فقال:

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾

وقوله

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ﴾

إلخ. فى محل نصب بتقدير: أعنى. أو فى محل رفع بتقدير: هم الذين قالوا. ويجوز أن يكون فى محل جر على البدلية من قوله

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ﴾

والمراد بالموصول جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف، وفنحاص بن عازوراء، وحيى بن أخطب وغيرهم. فقد ذكر جماعة من المفسرين أنهم أتوا النبى ﷺ وقالوا له هذا القول وهو:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾ ... إلخ.

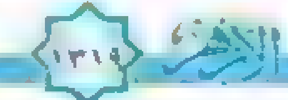
و«القربان» هو ما يتقرب به إلى الله من نعم أو غير ذلك من القربات.

والمعنى: أن عذابنا الأليم سيصيب أولئك اليهود الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، والذين قالوا إن الله أمرنا فى التوراة وأوصانا بأن لا نصدق ونعترف لرسول يدعى الرسالة إلينا من قبل الله - تعالى - حتى يأتينا بقربان يتقرب به إلى الله، فتنزل نار من السماء فتأكل هذا القربان، فإذا فعل ذلك كان صادقا فى رسالته.

ومقصدهم من وراء هذا القول الذى حكاه القرآن عنهم، أن يظهروا أمام الناس بمظهر المحافظين على عهود الله. وأنهم ما تركوا الإيمان بالنبى ﷺ حسدا له، وإنما تركوا الإيمان به؛ لأنه لم يأت بالمعجزات التى أتى بها الأنبياء السابقون، فهم معذورون إذا لم يؤمنوا به لأنه ليس نبيا

---

(١) تفسير الآلوسى



صادقا - في زعمهم -.

ولا شك أن قولهم هذا ظاهر البطلان؛ لأن الإتيان بالقربان إذا كان معجزة لرسول لا يستلزم أن يكون معجزة لكل رسول؛ إذ إن آيات الله في إثبات رسالات رسله متعددة النواحي، مختلفة المناهج، وكون هذا الإتيان بالقربان الذي تأكله النار معجزة لبعض الرسل لا يستدعي أن يكون معجزة لجميعهم؛ ولذا فقد أمر الله - تعالى - رسوله محمدا ﷺ أن يرد عليهم بما يبطل قولهم فقال:

﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

أي: قل لهم يا محمد

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي ﴾

كثير عددهم ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي بالحجج الواضحة، وبالمعجزات الساطعة الدالة على صدقهم ﴿ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ أي وجاءكم هؤلاء الرسل بالقربان الذي تأكله النار ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ﴾ بعد أن جاءوكم بتلك المعجزات الباهرة ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في دعواكم أنكم تتبعون الحق، وتطيعون الرسل متى أتوكم بما يشهد بصدقهم».

فالجملة الكريمة ترد على هؤلاء اليهود بأبلغ الوجوه التي تثبت كذبهم فيما يدعون؛ لأن قتلهم للأنبياء بعد أن جاءوهم بالمعجزات الواضحة الدالة على صدقهم، دليل على أن هؤلاء اليهود قد بلغوا منتهى الجحود والظلم والعدوان؛ وأن دعواهم أن إيمانهم بمحمد ﷺ متوقف على مجيئه بالقربان الذي تأكله النار دعوى كاذبة؛ لأن من جاءهم بالقربان كان جزاؤه القتل منهم..

قال الفخر الرازي: «وقد بين الله بهذه الدلائل أنهم يطلبون هذه المعجزة لا على سبيل الاسترشاد وإنما على سبيل التعنت. وذلك لأن أسلافهم طلبوا هذه المعجزة من الأنبياء المتقدمين مثل: زكريا ويحيى وعيسى - فلما أظهروا لهم هذه المعجزة سعوا في قتلهم بعد أن قابلوهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة. وذلك يدل على أن مطالبهم كانت على سبيل التعنت؛ إذ لو لم يكن الأمر كذلك لما سعوا في قتلهم. ومتأخرو اليهود راضون بفعل متقدميهم. وهذا يقتضي كونهم متعنتين - أيضا - في مطالبهم ولهذا لم يجبهم الله فيها»[٢].

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾

والبينات: جمع بينة وهي الآيات المبينة للحق، والأدلة التي يستشهد بها الرسول على أنه صادق فيما يبلغه عن ربه.

والزبر جمع زبور - كالرسول والرسل - وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته بمعنى حسنته.

وخص الزبور بالكتاب الذي أنزله الله على داود - عليه السلام -: قال - تعالى -:

﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾

(النساء: ١٦٣)

وقيل: الزبر اسم للمواعظ والزواجر من زبرته إذا زجرته.

والمعنى فإن كذبك هؤلاء اليهود يا محمد بعد أن قام الدليل على صدقك وعلى كذبهم وتعنتهم وجحودهم، فلا تبتئس ولا تحزن، فإن الأنبياء من قبلك قد قوبلوا بالتكذيب من أقوامهم بعد أن جاءوهم بالدلائل الواضحة الدالة على صدقهم وبعد أن جاءوهم ﴿ وَالزُّبُرِ ﴾ أي بالكتب الموحى بها من الله - تعالى - لوعظ الناس وزجرهم، وبعد أن جاءوهم بالكتاب المنير أي بالكتاب الواضح المستنير المشتمل على سعادة الناس في دنياهم وآخرتهم.

فالآية الكريمة مسوقة على سبيل التسلية للرسول ﷺ والتخفيف عنه مما يلقاه من الجاحدين والمكذبين.

ثم بين - سبحانه - أن مرد الخلق جميعا إلى الله، وأن كل نفس مهما طال عمرها لابد أن يصيبها الموت، وأن الدار الباقية إنما هي الدار الآخرة التي سيحاسب الناس فيها على أعمالهم فقال - تعالى -:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

قال ابن كثير: «يخبر - تعالى - إخبارا عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله - تعالى -:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾

(الرحمن: ٢٦)

فهو - تعالى - وحده الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخرا كما كان أولا. وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس؛ فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت...».

وقوله: ﴿ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ من الذوق وحقيقته إدراك الطعوم، والمراد به هنا حدوث الموت لكل نفس.

وعبر عن حدوث الموت لكل نفس بذوقه، للإشارة إلى أنه عند ذوق المذاق إما مرا لما يستتبعه من عذاب، وإما حلوا هنيئا بسبب ما يكون بعده من أجر وثواب.

وأسند ذوق الموت إلى النفس ولم يسنده إلى الشخص: لأن النفس روح، والشخص جزءان: جسم ونفس، والنفس

(٢) تفسير الفخر الرازي ج٩ ص١٢٣

هي التي تبقى بعد مفارقتها للجسد؛ فهي التي تذوق الموت كما ذاقت الحياة الدنيا.

وقوله

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

أي: وإنما تعطون جزاء أعمالكم وافيا تاما يوم القيامة. يوم يقوم الناس لرب العالمين ليحاسبهم على أعمالهم. فيجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت كيف اتصل قوله - تعالى -:

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

بما قبله؟ قلت: اتصاله به على معنى أن كلكم تموتون، ولابد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعتكم ومعصيتكم عقيب موتكم، وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور.

فإن قلت: فهذا يوهم نفي ما يروى من أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟ قلت: كلمة التوفية تزيل هذا الوهم؛ لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون في ذلك اليوم، وما يكون قبل ذلك فهو بعض الأجور»[2].

وقال الفخر الرازي: بين - سبحانه - أن تمام الأجر والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة؛ لأن كل منفعة تصل إلى المكلف في الدنيا فهي مكدرة بالغموم والهموم وبخوف الانقطاع والزوال. والأجر التام والثواب الكامل إنما يصل إلى المكلف يوم القيامة؛ لأن هناك يحصل السرور بلا غم، والأمن بلا خوف، واللذة بلا ألم، والسعادة بلا خوف الانقطاع.

وكذا القول في العقاب، فإنه لا يحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة، بل يمتزج به راحات وتخفيفات، وإنما الألم التام الخالص الباقي هو الذي يكون يوم القيامة»[3].

ثم قال - تعالى -:

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾

الزحزحة عن النار: هي التنحية عنها، وعدم الاقتراب منها والفعل زحزح مضاعف، الفعل زحه عن المكان إذا جذبه وأبعده عنه بعجلة وسرعة.

والمعنى أن كل نفس سيدركها الموت لا محالة. وأن الناس سيحاسبون على أعمالهم يوم القيامة، فمن كانت نتيجة حسابه الإبعاد عن النار، والنجاة من سعيرها؛ فقد فاز فوزاً عظيماً، وأدرك البغية التي ليس بعدها بغية.

والفاء في قوله: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ ﴾ للتفريع على قوله ﴿ تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ ﴾.

وجمع - سبحانه - بين ﴿ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ ﴾

مع أن في الثاني غنية عن الأول؛ للإشعار بأن دخول الجنة يشتمل على نعمتين عظيمتين وهما: النجاة من النار، والسعادة بنعيم الجنة.

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها. اقرءوا إن شئتم

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾»[4].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر. وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه»[5].

ثم ختم الآية بقوله:

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

والمتاع: هو ما يتمتع به الإنسان وينتفع به ثم يباع ويشترى.

والغرور - بضم الغين - مصدر غره أي خدعه وأطمعه بالباطل.

أي: ليست هذه الحياة الدنيا التي نعيش فيها. ونستمتع بلذاتها ومنافعها، إلا متاعا يستمتع به المغتر بها، الذي لا يفكر في أي شيء سواها، ثم يحاسب على ذلك حسابا عسيرا يوم القيامة، أما الذي يأخذ من متاعها بالطريقة التي أمر الله - تعالى - بها، فإنه يكون من السعداء في دنياهم وآخرتهم.

قال صاحب الكشاف: شبه - سبحانه - الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه، ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور

وعن سعيد بن جبير: إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ»[6].

فالآية الكريمة ترغيب للمؤمنين في الطاعة. وتحذير للعصاة من المعصية. وتذكير للجميع بأن مرجعهم إلى الله إن عاجلا أو آجلا، وسيلقى كل إنسان جزاءه على عمله، وأن السعادة الحقة لمن نال رضا الله يوم يلقاه.

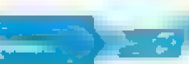
(2) تفسير الكشاف بتصرف يسير

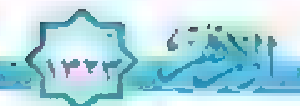
(3) تفسير الفخر الرازي ج٩ ص١٢٧

(4) تفسير ابن كثير ج١ ص٤٣٢

(5) تفسير الكشاف ج١ ص٤٤٨

(6) تفسير ابن كثير ج١ ص٤٣٥





إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

> روى الشيخان البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة بابا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم. يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه. فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه أحد».

الحمد لله رب العالمين، أكمل لنا وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا – ولله الحمد – خير أمة، وبعث فينا رسولا منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، أحمده – سبحانه – على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لمن اعتصم بها خير عصمة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أكرم الأنبياء والمرسلين، وأعظم الدعاة والمرشدين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم العرض واللقاء، وسلم تسليماً كبيراً.. أما بعد:

فلقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وسخر له الكون بأسره وأنعم عليه بنعمه الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

«إبراهيم: ٣٤»

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾

«لقمان: ٢٠»

ورفع شأنه وأعلى قدره، وكرمه تكريما ما بعده تكريم، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

«الإسراء: ٧٠»

ثم وظفه عنده وظيفة هي العبادة والطاعة، قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

«البقرة: ٢١»

وقال:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

«آل عمران: ٣٢»

وتلك هي الحكمة من خلق الإنسان، قال تعالى

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

«الذاريات: ٥٦»

وتلك وظيفة مريحة: لا تعب فيها ولا عنت، ولا حرج فيها ولا مشقة، قال تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

«الحج: ٧٨»

وهذه الوظيفة – إن صح هذا التعبير – لا تأخذ منه إلا اليسير من الوقت، والقليل من العمل، والزهيد من المال، فإن كانت العبادة بدنية – ففي حدود الاستطاعة، قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

«البقرة: ٢٨٦»

وإن كانت مالية – ففي حدود الطاقة؛ فما كلف الله نفساً فوق طاقتها، ولا تجود يد إلا بما تجد، قال تعالى

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾

«الطلاق: ٧»

ومع أنه – سبحانه – لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فهو غني عن العالمين – فإنه يثيب الطائعين، ويضاعف أجر العاملين المخلصين، قال تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

«فاطر: ١٠»

وقال

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

«النساء: ٣٩، ٤٠»

فليتق الله كل إنسان قدر استطاعته، قال تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(التغابن: ١٦)

فإذا أحسنا القيام بهذه الوظيفة أصبحنا عباد الله المخلصين، يحبنا ويدافع عنا. قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

(الحج: ٣٨)

وينصرنا على أعدائنا، قال تعالى:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج: ٤٠)

ويعطينا إذا سألناه ويثيبنا إذا عبدناه، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

وعند الإحالة إلى التقاعد والخروج من الوظيفة، بل الخروج من الدنيا والانتقال إلى الآخرة عند الاحتضار - لا يتركنا نهبا للشياطين، لتضلنا عن الحق، وتصرفنا عن سواء السبيل، بل يرسل إلينا ملائكته المكرمين تطرد الشياطين، وتثبت قلوب المؤمنين، وتبشرهم برضوان الله والجنة، وأنهم سينتقلون من دار الشقاء والفناء إلى دار ضيافته وكرامته، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾

(فصلت: ٣٠، ٣٢)

وتلك ثمرة العبادة والطاعة التي يجنيها العباد والطائعون. ومن ثم خاطب الله - سبحانه - قدوتهم محمدا (ﷺ) فقال:

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

(الحجر: ٩٩)

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الزمر: ١١، ١٢)

هذا ولكنّ الناس - سبحان الله - لهم أحوال في العبادة، فمنهم من يعبد الله كوظيفة من وظائف الدنيا.. يأتيها متثاقلا، ويؤديها مسرعا إن كانت لعبادة بدنية. وإن كانت مالية أنفقها وهو كاره، وأخرجها وهو متردد، وتلك عبادة من شغلته الدنيا وسيطرت عليه، فلا يجد مجالا لسواها، فهي عبادة مظهرية لا روح فيها ولا حياة، والأمل في قبولها ضئيل.. ومنهم من يعبد الله طمعا في صحة أو مال أو مركز أو جاه، أي في دنيا يصيبها أو طمعا في ثواب يدخره في الآخرة ليكون من أهل الجنة التي هي غاية المؤمنين، وأمل الطائعين العابدين المخلصين والله - سبحانه وتعالى - يقبلها تفضلا وتكرما، إذ الثواب فضل، والعقاب عدل، ومنهم من يعبد الله خوفا من الكوارث والمصائب الدنيوية، ورهبة من عذاب النار وخوف الخسار، والله تعالى يقبلها ويثيب عليها، ومنهم من يعبد الله للأمرين معا، أي طمعا في جنته وخوفا من ناره، وهم الذين عناهم الله بقوله

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(السجدة: ١٦، ١٧)

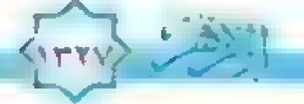
ومنهم من يعبد الله؛ لأنه استشعر نعم الله عليه، فذكر المنعم، فعبده شكرا وحبا، وفي هذا المعنى يقول النبي (ﷺ): «أحبوا الله، لما يغذوكم به من نعمه».

ومنهم من عرف الله حق معرفته، وقدره حق قدره، فأحبه أخلص الحب، وبالتالي عبده أصدق العبادة، تقربا إليه وإرضاء له، وهي عبادة النبيين والصديقين والعلماء العاملين وأولياء الله المخلصين. وقد أنشد أحدهم:

وأنت الذي لو بيع بالروح ودُّه
وما لي سوى الروح - تقدمت أشترى

ولهذا قيل: العبيد يعبدون الله رهبة، والتجار يعبدون الله رغبة، والأحرار يعبدون الله شكرا، والمحبون يعبدون الله حبا، ولهذا قال سليمان «عليه السلام»: «تسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى منك - خير مما أوتي آل داود».

هذا ولما كان الصيام هو العبادة الوحيدة الخالية من الرياء، البعيدة عن التكلف؛ إذ يستطيع الصائم، أن يغلق عليه بابه، وأن يتناول ما يحلو له من الطعام والشراب، وأن يفعل ما يرغب فيه من الشهوات - كان الصيام في قمة العبادات، وذروة الطاعات التي يقدمها المسلم طاعة لربه، وزلفى لخالقه، وبالتالي كان أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، فعن أبي أمامة «رضي الله عنه» قال: قلت: يا رسول الله، مرني بعمل. قال: «عليك بالصوم، فإنه لا عدل له»، أي: لا وزن لثوابه. قلت: يا رسول الله، مرني بعمل. قال: «عليك بالصوم، فإنه لا عدل له».. قلت: يارسول الله، مرني بعمل قال: «عليك



بالصوم، فإنه لا مثل له».[1]

فلا عجب والحال هذا أن يخبر الحق «سبحانه» عباده أنه يتولى بنفسه الأجر والجزاء للصائمين، وإذا أخبر الكريم بأنه يتولى بنفسه الجزاء ـ اقتضى ذلك عظم الجزاء وسعة العطاء. روى الإمام مسلم ـ في صحيحه ـ عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله «ﷺ»: قال الله «عز وجل»: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ـ قال الله تعالى: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

وذلك لأن الصيام يحمل الصائم على أن يستحضر عظمة ربه ورقابة خالقه. وبالتالي لا يجرؤ على مخالفته، ولا يدخر وسعاً في تقديم ما يرضيه، لا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، فينبغي عليك أيها المسلم أن تكون هكذا في حياتك كلها تعبد ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والصيام ـ بهذا المعنى ـ يخلق النفس الكريمة، والروح الشفيفة، والأخلاق الفاضلة، ثم هو ـ بعد هذا وذاك ـ عبادة اجتماعية، تنشر في المجتمع الإسلامي روح السلام والمحبة والتراحم والتعاطف، بل والنظام والمساواة؛ حيث يمسكون عن المفطرات في وقت واحد، ويفطرون على الحلال الطيب في وقت واحد؛ لا فرق بين غني وفقير، ولا بين وزير وحقير، ولا بين رئيس ومرءوس، ولا بين قائد وجندي؛ لأن الناس جميعا أمام الله سواء. فالصوم يجعل من الصائم إنسانا كاملاً نظيف الضمير، طاهر اليد، عفّ اللسان، سليم القلب، لا يخشى إلا ربّه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا ينتظر الناس منه إلا السلامة والأمن، والحبّ والودّ، والرحمة والعطف، يعيش على هذه الأرض ملاكا طيبا، قبلته الخير، ووجهته المعروف، وعمله البرّ والإحسان، ولما كان الصوم بهذه المكانة ـ قال العلامة ابن القيم «رحمه الله» فيه

«هو لجام المتقين، وجُنّة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال؛ فإنّ الصائم لا يفعل شيئا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها؛ إيثارا لمحبة الله ومرضاته، وهو سرّ بين العبد وربه، لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ـ فهو أمر لا يطلع عليه

---

(1) صحيح الترغيب والترهيب.

بشر، وتلك حقيقة الصوم».

كذلك فإن الصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته أيدي الشهوات، فهو من أكبر أسباب العون على التقوى التي هي ثمرة الصيام. قال الله «عز وجل»:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

«البقرة: ١٨٣»

فلا تعجب ـ أخي المسلم ـ من عظم الجزاء، فقد أكده الحق «سبحانه» في قوله:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

«الأحزاب: ٣٥»

فما أعظم الصوم عندما يدفع عن أصحابه حرّ جهنم ـ والناس في هول السؤال والحساب ـ! ثم ما أعظم الصائمين حين ينطلقون إلى الجنة في نشوة وبهجة يزيدهم الصوم مهابة وجلالاً، ويفتح لهم في الجنة بابا خاصا بهم، لا يفتح لغيرهم، روى الشيخان البخاري ومسلم عن سهل بن سعد «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله «ﷺ»: «إن في الجنة باباً يُقال له: «الريان»، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه أحد».

وقد دار العام دورته، وهلّ هلال رمضان، فينبغي أن نستعد لصيامه وقيامه إيماناً واحتساباً لوجه الله الكريم، فقد روى النسائي ـ بسند صحيح ـ عن أبي هريرة «رضي الله عنه» عن رسول الله «ﷺ» قال: «إن الله «تبارك وتعالى» فرض صيام رمضان عليكم، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه احتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن ـ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: «الصيام جنة وحصن حصين من النار».

أسأل الله سبحانه أن يملأ قلوبنا بالنور والهداية، وأن يمنحنا التوبة والإنابة، وألا يحرمنا من مواسم الخير والبركة، وأن يجعلنا من السابقين إلى الخير الداعين إليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

***

ثمرة الصيام

عضو مجمع البحوث الإسلامية

ان الصوم هو تقرير الارادة العازمة الجازمة وهو مجال اتصال العبد بربه اتصال طاعة وانقياد والصوم هو مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها ايثارا لما عند الله من الرضى والمتاع وكل هذا الغرض منه اعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك والذى تتناثر على جوانبه الرغائب والشهوات والذى تهتف بسالكيه الاف المغريات ولهذا كانت فريضة الصيام على عباده المؤمنين حيث نزلت آيات الصيام متوالية وفى اول اية منها بينت ان الغرض من هذه الفريضة والثمرة المرجوة منها انما تكمن فى تقوى الله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

ومن ثم يبدأ التكليف بهذا النداء الحبب إلى المؤمنين المذكر لهم بحقيقتهم الأصيلة ثم يقرر لهم بعد ندائهم ذلك النداء أن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين فى كل دين ولذلك فهم ليسوا بدعا بين الأمم وأن الغاية الأولى هى إعداد قلوبهم للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم.. إنها التقوى . فالتقوى هى التى تستيقظ فى القلوب وهى تؤدى هذه الفريضة طاعة لله وإيثارا لرضاه، والتقوى هى التى تحرس القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ولو تلك التى تهجس بالبال والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها فى ميزانه فهى غاية تتطلع إليها أرواحهم وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفا وضيئا يتجهون إليها عن طريق الصيام..

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

ثم تبين آيات الصيام بعد ذلك أن الصوم أيام معدودات فليس مفروضا العمر كله أو تكليفا بصيام الدهر ولأن الإسلام هو الدين الوسط الذى يلبى حاجات الإنسان ويراعى حاجاته فقد عفى من أدائه المرضى حتى يصحوا والمسافرون حتى يقيموا لما يعلم من مشقة السفر أيا كان وأيا كانت الوسيلة التى يكون بها السفر بل إن هذا الدين راعى حاجة الجنين فى بطن أمه فأباح الفطر للحامل وكذلك حاجته للتغذية فأباح الفطر أيضا للمرضع وكذلك راعى حاجة الشيخ الكبير ورخص له فى الفطر إذا كان غير قادر على الصيام أو يقدر ولكن بمشقة بالغة ولذلك يقول تعالى فى شأن ما سبق.

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

(البقرة: ١٨٤)

ومع أن الله تعالى أباح وشرع هذه الرخصة وهى رخصة الفطر لذوى الأعذار والحاجات إلا أن بعض المتشددين فى عصرنا هذا بل وفى كل العصور يضعون لذلك قيودا تخرج الرخصة عن مرادها وبالرغم من أن النص أطلق الرخص إلا أن هؤلاء وأولئك نجدهم يقيدون ما أطلقه النص ولهؤلاء نقول إن الدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات إنما يقودهم بالتقوى وغاية هذه العبادة خاصة هى التقوى

الإصلاح لا يتأتى من التشدد

والذى يفلت من أداء الفريضة تحت ستار الرخصة لا خير فيه منذ البدء لأن الغاية الأولى من أداء الفريضة لا تتحقق وهذا الدين دين الله لا دين الناس والله أعلم بتكامل هذا الدين بين مواضع الترخص ومواضع التشدد، وقد يكون وراء الرخصة فى موضع من المصلحة ما لا يتحقق بدونها بل لابد أن يكون الأمر كذلك ومن ثم أمر رسول الله ﷺ أن يأخذ المسلمون برخص الله التى رخصها لهم وإذا حدث أن فسد الناس فى جيل من الأجيال فإن إصلاحهم لا يتأتى من طريق التشدد فى الأحكام ولكن يتأتى عن طريق إصلاح تربيتهم وقلوبهم وإحياء شعور التقوى فى أرواحهم وإذا صح التشديد فى أحكام المعاملات عند فساد الناس كعلاج رادع وسد للذرائع فإن الأمر فى الشعائر التعبدية يختلف إذ

هي حساب بين العبد وربه لا تتعلق به مصالح العباد تعلقا مباشرا كأحكام المعاملات التي يراعى فيها الظاهر والظاهر في العبادات لا يجدى إلا إذا قام على تقوى القلوب وإذا وجدت التقوى لم يتفلت متفلت ولم يستخدم الرخصة إلا حيث يرتضيها قلبه ويراها هي الأولى ويحس أن طاعة الله في أن يأخذ بها في الحالة التي يواجهها أما تشديد الأحكام مجملة في العبادات أو الميل إلى التضييق من إطلاق الرخص التي أطلقها النصوص فقد ينشيء حرج لبعض المتحرجين في الوقت الذي لا يجدى كثيرا في تقويم المتفلتين والأولى على كل حال أن نأخذ الأمور بالصورة التي أرادها الله في هذا الدين فهو أحكم منا وأعلم بما وراء رخصه وعزائمه من مصالح قريبة وبعيدة وقد كان السلف الصالح يدرك أمر هذا التيسير فإن الله - سبحانه وتعالى - لم يعط تلك الرخص لذوى الأعذار والحاجات إلا تيسيرا عليهم وقد وردت في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة تدعو إلى استخدام الرخصة في موضعها ففي صحيح مسلم والترمذي عن جابر - رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ «كراع الغميم» فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب فقيل له إن بعض الناس قد صام فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة».

ليس من البر الصيام في السفر!!

وعن جابر أيضا - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ في سفر فرأى رجلا قد اجتمع عليه الناس وقد ظلل عليه فقال: ما له؟ فقالوا رجل صائم، فقال رسول الله ﷺ «ليس من البر الصيام في السفر»[1].

ومثل هذه الأحاديث كثير لا يتسع المقام لذكرها ولكن ما نود الإشارة إليه أن جميع هذه الأحاديث تشير إلى تقبل رخصة الإفطار في السفر وفي غيره في سماحة ويسر فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى وضع شطر الصلاة عن المسافر وأرخص له في الإفطار وأرخص فيه للمرضع والحبلى إذا خافتا على ولديهما» أخرجه أصحاب السنن.

وإذا كان الرسول ﷺ يحدثنا وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فيقول: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه..»[2] بل إن القرآن الكريم بعد أن ذكر أن ذوى الأعذار مثل المريض والمسافر رخص الله تعالى لهم الفطر وعليهم قضاء الأيام التي أفطروها بعد أن يزول العذر عنهم.

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم باب ٣٦



(٢) صحيح البخاري ج١ ص١٦

التقوى

يقول تعالى معقبا ومبينا الحكمة من ذلك

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة ١٨٥)

فهل بعد ذلك - بعد كلام الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ - يأتي أحد ويقول إن هذه الرخصة مقيدة ولا تتأتى إلا بقيود معينة كلا وألف كلا إن ما تستريح له النفس في هذا المقام أن الصوم في السفر مخالف للرخصة والرخصة استحباب الفطر طالما بلغ السفر مسافة القصر سواء حدث من ذلك مشقة أو لا سواء كان السفر بدابة أو طائرة أو غير ذلك من مخترعات الحديثة وكذلك المريض مهما كانت حدة المرض أو شدته فإن الإسلام يبيح له الفطر فلا تحديد في نوع المرض أو قوته أو خوف شدته وما ذلك إلا لأن الصيام كما ذكرنا الغاية المرجوة والثمرة والفائدة التي تعود على الصائم منه هي التقوى فالتقوى وحدها هي التي تحكم سلوك الصائم وتحكم سلوك المتعبد وعليها الاعتماد الأول في تربية ضميره وحسن أدائه للعبادة وحسن سلوكه في الحياة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن نأخذ هذا الدين - كما أراده الله - بتكاليفه كلها طاعة وتقوى وأن نأخذه جملة بعزائمه ورخصه متكاملا ومتناسقا في طمأنينة إلى الله ويقين بحكمته وشعور بتقواه ولهذا فإن هذه النعمة.. نعمة الصيام تستحق الشكر وتستحق التكبير ولذلك كان آخر آيات الصيام

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(البقرة ١٨٥)

كما قال لهم في مطلع آيات الصيام

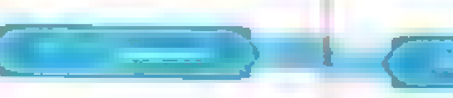
﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

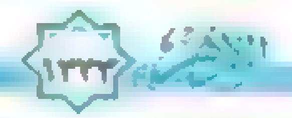
نسأل الله - تعالى - أن يوفقنا لأداء هذه الفريضة وتلك الشعيرة التي هي سر بين العبد وربه حتى نفوز بالجزاء الذي أعده الله للصائمين وحتى تدخل الجنة من باب الريان الذي أعده الله للصائمين ولذلك جاء في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»[3] قال الحسن: إن كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فجزاؤه لقائي ينظر إلي وأنظر إليه يكلمني وأكلمه دون واسطة أو ترجمان

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

(القيامة: ٢٢، ٢٣)

(٣) صحيح مسلم رقم ١١٥١





مواقف إسلامية

الصيام

من ترف العادة.. إلى شرف العبادة

للأستاذ الدكتور / محمود [illegible]

عضو مجمع البحوث الاسلامية

يقول الله - عز وجل - في سورة «محمد»:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾

(محمد: ١٢)

وفي مستهل الآية الكريمة نلاحظ من أساليب الدعوة ما من شأنه التحريض على الالتزام: فالحق - سبحانه وتعالى - لا يقول هنا: سيدخل.. أو سوف يدخل.. وإنما يدخل فعلا الآن.

وهو واحد من أساليب التأثير حين يشعر المدعو أنه في الجنة فعلا.. مما يدفعه إلى مزيد من العمل الصالح سبيلا إلى القرار في جنات تجري من تحتها الأنهار!!.

ثم تلاحظ ثانيا: كيف وقع الكافرون عبيدا في يد العادة التي استبدت بهم.. فأكلوا.. وتمتعوا.. بل استمروا على ذلك.. إلى حين.. ثم تكون النار مثواهم والسؤال الآن:

من من الفريق عاش حرا.. ومن منهما كان عبدا؟!!

إن الآية الكريمة تحكي من طبائع الكافرين أنهم: يتمتعون: يعني أنهم يبحثون عن المتعة - وإن كانت حراما - إرادة التلذذ بنعيم الدنيا تلذذا لا يبغون عنه حولا.. ويعني ذلك أنهم في قبضته أسارى!!

ومثلهم هنا كمثل الأنعام:

الأنعام التي تمرح في مسرحها الخصيب ترعى لمجرد الأكل.. غير شاعرة بغيرها من المحتاجين.. وإنما هي عادة «الالتهام كالأنعام»: لا تفرق بين حلال وحرام.. تهمتهم أن تملأ البطن.. وكأنها تأكل في سبعة أمعاء.

لقد أصبح الترف الذي صار لهم عادة لا يملكون التخلص منها.. وليس في دنياهم آخرون جائعون.. عطشى.. في حاجة إلى بعض هذا الترف.. والذي يشكل في حياتهم ضرورة ملحة!! مؤكدة بذلك أن ذلك هو سبيل العبيد.. في قبضة «عادة الترف» الذي صاروا به أنعاما؟!!.

أما المؤمنون: إنهم يعملون الصالحات.. ومن الصالحات أنهم:

يأكلون الطعام صالحا: لا على وجه أنه متعة ولذة.. وإنما يأكلون تحريا لتحقيق ما يلي:

١ - أن الأكل الحلال طريق إلى الجنة.

٢- ثم هو الوسيلة التي يقوى بها البدن لتحقيق مراد الله تعالى.

ويعني ذلك أنهم يجعلون من الأكل عبادة لله تعالى.. تجعلهم يملكون الطعام.

ولا يملكهم الطعام.. ومن أجل ذلك كانت السنة في الطعام ما تبقى به الحياة.. وما زاد على ذلك فهو إسراف وتبذير.. وهنا نذكر قوله ﷺ:

«لا آكل متكئا»

لأن الاتكاء إنما هو جلسة المترفين الذين يضرون به أنفسهم:

وبهذه الحرية التي أتيحت للمؤمن يكون جزاؤه من جنس عمله:

﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

(البقرة: ٢٥)

وفي الجريان.. جمال.. وفيه كذلك تجدد واستمرار وحرية.. فلا يتغير أبدا.. موارها

«تجري من تحتها الأنهار».

(فهي: دائمة النمو، والبهجة، والنضارة، والثمرة): ولقد أساغهم دخولها ما عانوه في دنياهم من شدائد، لا يحصل لهم كدر أبدا.. وهي مأواهم لا يبغون عنها حولا.

قال صاحبي: دعك من هذا الذي تقوله لنا كل عام.. وبين يدي رمضان.. فإن الحق سبحانه يقول

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

(الأعراف: ٣٢)

وهو - تعالى - يقول

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

(البقرة: ٦٠)

وقلت له:

أولا: أنا لا أملك سلطة التحريم ولا التحليل.. لأنها ملك لله - عز وجل - وهو خالق الرزق.. ولكني فقط أقول لك ما قاله الله - عز وجل

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

(القصص: ٧٧)

---

(١) حلية الأولياء، ج٣، ص٢٥٦

فلا بأس في منطق الإسلام أن تتمتع بما خلقه الله لك من متاع.. شريطة أن تظل مدركا للآخرة.. التي تذكرك بآخرين جائعين إلى ما تتمتع به من حلال.. هو بالنسبة لهم أمر ضروري.. ثم إن حريتك في هذا الاستمتاع محروسة بإرادة العمرة.. فكل واشرب كما شئت من أطعمات حصلت من غير سرف ومخيلة.. لأن فعلت فأنت لست من [illegible] الحيوان يرعى في أرض الله الواسعة غير مدرك الفرق [illegible] بين ما هو حرام وما هو حلال وكذلك الكفار.

إن الإنسان [illegible] بينما الحيوان يرعى..

وإذن فلست ممن يحرمون طيبات خلقها الله تعالى.. وإنما أنا فقط مذكر.. مذكر بما جاء من أجله رمضان وهو تحرير الإنسان من قبضة العادة ليكون حرا [illegible] العادة..

ومن العادة: إطعام المسكين.

ولن يكون ذلك الإطعام إلا بتذوق معنى الحرمان.. وهو ما جاء من أجله «رمضان»، ورمضان: الذي ما جاء ليحرم المسلم من متاع أحله الله - تعالى - له.. ولكن القضية هي: منعه من الأكل والشرب ساعات معدودة يحلو بها أحاسيسه ليدرك أن ناسا مثله في الإنسانية [illegible] وعليه أن يذكرهم بعدما ذاق الجوع والعطش مثلهم!!.

وذلك هو معنى «التقوى» الذي جعله الحق تعالى غاية الصيام

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

ولقد وصى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فكان كما وصى به:

١ - التصدق بالميسار.. ثم بالأعصاب عن طريق الحلم وطرح الغضب.

٢ - ثم.. بالاستغفار.. وعن طريق هذه التقوى يكون أمة واحدة.. تتلاقى على المبادئ لا على الأنساب.

ومن أجل ذلك يحق لنا أن نقول: إن رمضان هو شهر الحرية والتي تساوي قولنا:

إنه شهر القوة وليس شهر الضعف!!.

ومن مظاهر هذه القوة.. تلك الأحداث العظام التي تمت في رمضان بالذات.. والتي تؤكد كيف كان رمضان فعلا كما قيل بحق: شهر الانتصارات العظيمة بما كان يملك المسلم من حرية واعتزاز.. كانا وقود هذه الانتصارات الحاسمة.

وإذا كان بعض الناس اليوم يؤجلون أعمال رمضان - تكاسلا - إلى ما بعده.. فليعلموا أنهم لا يتحدثون باسم الإسلام.. وإنما يعبرون عن عبوديتهم لعادة التنعم الذي ألفوه.. والذي جاء رمضان لتحريرهم من هذه العبودية.. لتكون فقط لله عز وجل.

ومن مظاهر هذه الحرية.. تدبر آياته - سبحانه وتعالى - وفي شهر القرآن - لنخرج منها بما يمكن أن يكون وسيلة من وسائل تدعيم الدعوة الإسلامية.. في زمان تتعرض فيه الدعوة بالذات لهجوم أعدائها.. الذين يجب علينا منازلتهم حين نجعل من شعائر الله تعالى وسيلة للدعوة إلى دين الله.

يقول أحد الباحثين:

(والحق أن الإنسان يحب أن يقف متأملا مشدوها من هذا التنوع [illegible] الطعام وصوره المختلفة، من صيد البر والبحر، ومن اللبن والعسل وما يستخرجه الإنسان من الشجر من سكر.. ومن رزق حسن.. وليس هذا كله إلا تفصيلا للآيتين الواردتين في جزء الأول من كتاب الله واللتان تبدآن بقوله تعالى

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾

(عبس: ٢٤)

فهذا النظر.. تعليم وتلقين.. تزداد به معرفة الإنسان لنعمه.. ولعله مطلوب عند المسلم.. ثم هو تأمل في قدرة الله.. وهذا التأمل تسبيح للخالق عز وعلا.. وتقرب منه.. وركون إليه.. وهو أمر يسعى إليه المسلم.. وهو بعد ذلك النعمات إلى جانب من حياة الإنسان.. قد يظن أنها لا تستحق منه الرعاية.. ولا العناية.. وهو أبعد الأمور عن الإسلام.. وعن أسس أحكامه وقواعده.. وعن حكمته وفلسفته).

إن رمضان ما هو إلا رفض للفكر المادي الذي يريد فرض هيمنته على الحياة والأحياء، وعلينا أن نستثمره بإيقاظ البصيرة التي أمامها الاستسلام للتنعم والتمتع المطلق بملذات الدنيا.. هذه البصيرة التي تتحرر اليوم من ربقة الملحدين بمثل هذه الآية الكريمة.

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

(لقمان: ٢٨)

فمن كانت هذه قدرته.. فكيف لا يتقى؟!!!.

إن الفكر المادي الذي يقاوم «رمضان» استسلاما لمتعة الترف.. هذا الفكر المادي يعيش خطته الخاطرة مستغرقا في الترف.. ثم لا يكون منه استشراف للمستقبل.

فهو لا يؤمن بالآخرة..

ولأنه لا يؤمن بالآخرة فهو..

أ- نهم، شره، مناع للخير.

ب- ثم هو يضرب بقوة من لا يرحم.. لأنه لا يخشى جزاء.

جـ- وهو فوق هذا مغرور.. يحمله الغرور على السخرية من الذين آمنوا الذين يؤمنون بالبعث.

وهكذا يجر الكفر على أهله الخراب.. لما أنكر البعث.

ومن ثم كان هذا الرد العنيف القوي على منكري البعث من أهل الترف.. ما خلقكم ولا بعثكم إلا كخلق نفس واحدة.. وبعثها يستوي في قدرته.. القليل والكثير.. والواحد والجمع.. لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن..

فهو سميع: يسمع كل صوت..

بصير: يرى كل مرئي.. وفي وقت واحد.

ودليل هذه القدرة ما ترون:

فهو سبحانه.. يولج الليل في النهار.. وسخر الشمس لآخر السنة.. وسخر القمر.. لآخر الشهر.

إن قدوم رمضان يعني أن نستعد له..

فهو شهر كريم: ومن كرمه أنه يتيح لنا فرصة التحرر من العادة إلى حرية العبادة التي هي شرفنا.. ثم إنه يتيح لنا فرصة تأمل الآيات تأملا نرد به موجات الإلحاد التي تتخذ من شعائر الله - سبحانه - مسلاة أو ملهاة.. وإنما هي هدى من الله لكل من أراد الاستمتاع بهداه.

الصيام والقرآن
حصانة دينية ومناعة جسمانية

وكيل كلية العلوم - جامعة المنوفية

رغم أن الصوم شأنه شأن العبادات الأخرى كالصلاة والزكاة والحج وغيرها، وسيلة للتقرب إلى الله، وعلى الوجه الذي أمر به، بما يؤدي إلى ثمرة غالية هي التقوى التي تتسق وتنسجم بها ومعها حياة الإنسان، بالإقبال على كل ما يرضي الله، والابتعاد عن كل ما نهى عنه سبحانه مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

إلا أن للصوم - على وجه الخصوص - في حياة المسلم، مكانة فريدة، وموقعاً غالياً، قد لا نلحظه بالدرجة ذاتها مع العبادات الأخرى.. وهذا الأمر - من هذه الناحية - جدير بالملاحظة، وجدير أيضاً بالتأمل والتفكر والاعتبار.

فالمسلم خلال شهر رمضان، وبشكل تلقائي، يعيد تنظيم حياته بالشكل الذي يقربه من الله تعالى. يبدو هذا في المحافظة على الصلوات في أوقاتها، وفي المكان المفضل لأدائها وهو المسجد، أفضل بقاع الأرض. هذا من ناحية ومن جهة أخرى، فإن طبيعة نشاطه وحركته، في مخرجه ومدخله، تجعله يقترب أكثر من أهله، ويتواصل بشكل منتظم معهم، في أثناء تناولهم لوجباتهم الغذائية ساعتي الإفطار والسحور، وفي أوقاتها المحددة ومن ناحية ثالثة يقترب أكثر من الناس، سواء بمشاركتهم في أداء بعض العبادات، كالصلاة في المسجد، أو الاعتكاف لبعض الوقت فيه، ومشاركتهم في قراءة القرآن، وتذاكر الحديث النبوي، وتلقي بعض الدروس الدينية في الفقه أو السيرة أو التاريخ الإسلامي، أو حينما يؤدي الزكاة أو صدقة الفطر للمحتاجين منهم، وبهذا يقترب من الناس أكثر وأكثر

الصيام والقرآن

وهذه التغييرات بهذه الاتجاهات، يواكبها تغيرات أخرى على مستوى النشاط الجسمي من حيث اليقظة والنوم، وتناول الطعام بشكل منتظم، في وقتين محددين. كل هذا التغيير الإيجابي الحادث في جو روحاني، وفي زمن خاص من العام، هو شهر رمضان، الذي فضله الله تعالى على غيره من شهور العام، وذلك لنزول القرآن الكريم فيه. ذلك الدستور الإلهي الذي يحكم حياة المسلم، ويرشد مسيرته في هذه الحياة، إلى جانب فريضة الصوم، التي تسمو بروحه، وتجعله في معية خالقه - عز وجل -.

ومن ثم فالصيام والقرآن يتآزران في إعادة ضبط إيقاع حياة الإنسان، على الوجه الذي يقربه من الرحمن، فتكون النتيجة شفافية روحية وراحة نفسية وجسمانية، وتناغم مع مفردات الكون، الذي خلقه الله تعالى من أجله، وتصالح مع الأهل والإخوان والأصحاب والجيران، وكل من يتعامل معهم من الناس جميعاً.

فالنبي ﷺ حينما ترجم القرآن إلى سلوك يحكم حركة حياته في جميع مناشطها، في مدخله ومخرجه، في حركته وسكنته، في مسلكه تجاه زوجه وأهله وجيرانه والناس أجمعين، كان كما وصفته زوجه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها - خلقه القرآن، أو كان قرآناً يمشي بين الناس.

وعلى الجانب الآخر فإن من يتنكب الطريق السوي، ويعرض عن هذا الدستور الإلهي وهو القرآن الكريم، فإنه لن يجتني من ذلك سوى الضنك والعنت والعذاب، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

(طه: ١٢٣-١٢٦)

رمضان فرصة عظيمة

فحياة المسلم تتغير تماماً خلال هذا الشهر المبارك من نواح كثيرة، لتصبح مضبوطة الإيقاع باتجاه عبادة الله تعالى، قرباً من الخير المطلق، وبعداً عن الشر ومصادره المختلفة. كل أولئك يسهم في وضع الإنسان، في دنياه الفانية وفي أخراه الباقية، فالله تعالى أعلم بنا من أنفسنا، فهو القائل سبحانه:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

ومن جهة أخرى، فثواب الأعمال

الصالحة بتضاعف أضعافا مضاعفة في رمضان. ولذلك فمن الحصافة والكياسة أن ينتهز المسلم الكيس الفطن هذا الشهر الكريم لينال جزيل الثواب من الله الكريم. ولذلك فقد قرب رسول الله ﷺ هذه الصورة من نفوس رموز هذا المجتمع التجاري، الذي يعرف جيداً قيمة المكسب والخسارة، بقوله ﷺ: «بعدا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له»[1] وقد ورد عنه ﷺ أيضاً أن: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد»[2]، فهل يغتنم المسلم هذه الفرص العظيمة والمغريات القيمة؟

رمضان أيضاً فرصة طيبة للمدخنين الذين يضعفون في غير رمضان أمام السيجارة. ويجدون من نهار رمضان حصنا يلوذون به من مخاطر التدخين ومضاره ومجهد يسير وعزيمة صادقة وباللجوء إلى الله تعالى بصدق وإخلاص، في هذا الشهر الكريم، يمكنه أن يتخلص من ويلاتها ومضارها، وهو أيضاً فرصة عظيمة للابتعاد عن أكل لحوم البشر والنيل من أعراض الناس، وتطهير النفس من أدران الخوض في وهاد الرذيلة وأرجاس الزور، لأن كل ذلك يأكل صيامه كما تأكل النار الحطب الجاف، ولذلك فقد حذرنا النبي ﷺ من ذلك في قوله: «من لم يدع قول الزور أو العمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[3]

وهو أيضاً فرصة للتسامح والتصالح مع من كان بينك وبينه بعض المناوشات الخارجة أو المناقشات الصاخبة. ولنأخذ مبادرة التصالح والتسامح من نصيحة نبينا ﷺ، حينما استحثنا عليهما بقوله: «وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»[4]

ورمضان أيضاً فرصة عظيمة لصلة الأرحام، التي أخذ رب العزة على نفسه العهد بشأنها، مطمئنا إياها بأن من وصلها وصله ومن قطعها قطعه، وقد ورد في الأثر أيضاً أن صلة الأرحام تطيل العمر وتوسع في الرزق، ورمضان مناسبة للتزاور والتواد والتراحم، خاصة بين ذوي الأرحام، لتعم الرحمة وتنتشر البركة، ويخيم السلام على أمة الإسلام.

الصيام أيضاً يقوي المناعة

الواقع أن العلاقة بين الجسم والعقل والنفس والروح قد أدركها كثير من المفكرين والكتاب والمتخصصين في هذه المسائل.. ومن أفضل الوسائل التي توصل إليها بعض الزهاد والمتصوفين والعُبّاد كمناهج للوصول إلى سكينة النفس وصفاء الروح وراحة الفؤاد. التقرب إلى الله تعالى بالجهاد تارة «وإن من أعظم الجهاد جهاد النفس، الذي اعتبره الرسول ﷺ الجهاد الأكبر»[5] أو عن طريق الصيام والتجويع تارة أخرى، والتعود على الخشونة وشظف العيش تارة ثالثة، وبالبذل والإنفاق ومساعدة الآخرين.. وهكذا. والواقع أن امتلاء المعدة بالطعام يسحب الدم من أعضاء الجسم المختلفة ـ ومنها المخ ـ إلى الجهاز الهضمي، لكي يباشر مهمته في هضم هذا الطعام، ومن ثم يشعر المرء بالكسل والخمول وقد يغلبه النوم عن أداء الصلوات والنوافل والتهجد وقراءة القرآن، فيفوته خير كثير!

سكينة وطمأنينة

وقد أثبتت الدراسات والبحوث العلمية أن ممارسة الإنسان لهذه الفرائض والنوافل وإثراء الجانب الروحي لدى الإنسان، يسهم كثيراً في الوصول إلى حالة من السكينة النفسية والطمأنينة الروحية، اللتين من شأنهما التأثير الإيجابي على كل من الجهاز العصبي والغدد الصماء، تلك التي تنتج الهرمونات المختلفة بالجسم، ومن ثم يؤثر كل ذلك على النواحي الصحية والمناعة الجسمانية، وإكساب المرء قوة وصلابة تجاه معوقات الحياة ومشاكلها التي لا تنتهي، بل إنها تساعد في إكسابه قدراً كبيراً من المناعة الجسمانية، التي يستطيع الجسم من خلالها أن يقاوم مختلف العلل والأمراض، ومنها مرض السرطان.

وتحضرني في هذا السياق الآية الكريمة، التي يقول فيها رب العزة ـ جل شأنه

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

(الحج: ٣٨)

فمن أوجه دفاع الله تعالى عنهم ـ والله أعلم بمراده ـ أن يدفع عنهم غائلة الميكروبات والجراثيم ومسببات الأمراض المختلفة فهي أعدى أعداء الإنسان. فضلا عن عدوهم الظاهر. وعدوهم الخفي المتمثل في الهوى والشيطان، وعلى النقيض من ذلك، فإن من تنكبوا الطريق المستقيم، ولم يمتثلوا لأوامر الله تعالى وابتعدوا عن عبادته من خلال أداء الفرائض المكتوبة، قد أصابهم الهم والقلق والاكتئاب، وهي من أشد العوامل التي تعمل على ارتباك أجهزة المناعة لدى هؤلاء الأشخاص، ومن ثم يصبحون عرضة وهدفاً سهلاً للإصابة بالأمراض المختلفة، بسيطها وخطيرها على حد سواء.

۞ ۞ ۞

---

(١) المستدرك على الصحيحين

(٢) مسند الإمام أحمد ٢ /١٧٤، الترغيب والترهيب ٢ /٨٤

(٣) صحيح البخاري ٣ /[illegible]

(٤) البخاري

(٥) تحفة الأحوذي [illegible]

خطبة الجمعة

شهر التهذيب

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، هو خير من ربى العباد وأصلح القلوب، وأعظم من هذب النفوس وقوم العيوب:

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٨).

أشهد أن لا إله إلا الله، هو الذي يعطي ويمنع، ويرفع ويضع:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

(القصص: ٦٨).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، كان خير العابدين وأخلص القانتين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه السابقين وأتباعه الموقنين:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

يونس: ٦٢

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام...

إن الله الحكيم العليم يصطفي من الأيام ما يشاء، ويجعل في بعض المواسم نفحات من تعرض لها واقتبس منها سعد وفاز، فإذا حل موسم من هذه المواسم شد الخيرون عزائمهم، وبسطوا هممهم، فجدوا واجتهدوا، وتعبوا وتقربوا، حتى يبلغوا في الزمن القليل أضعاف ما ينال في الزمن الطويل، وبذلك تظهر الميزة لأزمنة النفحة على غيره من الأحيان، ومن أعظم ما نفح الله به عباده فريضة الصوم التي سجلها الحق تبارك وتعالى فرضاً ثابتاً باقياً في قرآنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣).

وجعل الله تعالى أداء هذه الفريضة في أكرم الأوقات، وهو:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥).

نفس صافية وعزيمة قوية

ولعل أصدق وصف يطلق على رمضان أنه «شهر التهذيب»، لأن الله يمتعنا فيه من الطعام والشراب، واللغو والسباب، وشهوة الفرج وبغي الجوارح، إذ يريد لنا أن نكون أئمة تهدي إلى الخير وإلى سواء السبيل، ومن كانت رسالته في الحياة كذلك، فلا بد له من نفس صافية وروح عالية، وأخلاق ثابتة وعزيمة قوية، ولذلك تنهض الصوم على أساس التأديب والتهذيب، فهو تأديب بمنع الطعام ليتحمل الإنسان ألم الجوع، ويتعود الصبر والانتظار، وتأديب بمنع الماء ليعتاد المرء معالجة الظمأ وجفاف الحلق والعروق، وتأديب بمنع الفرج من شهوته ليستعلي الإنسان حيناً من الزمان على هذه الغريزة القوية فلا يكون على الدوام لها عبداً، وتأديب بمنع الجوارح من السعي نحو الحرام، ليتعلم المرء كيف يترك، ولو كان قادراً على أن يدرك، وليرتفع بإنسانيته نحو مسابح الملائكة الأطهار.

ولذلك رأينا البصراء من علماء هذه الأمة، يحرصون على أن يذكروا الناس بأن الصوم ليس مجرد العطش والجوع، فسيد الخلق يقول: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»، فالواجب على المسلم إذا أراد أن يصوم حقاً، وأن ينتفع بثمرات هذا التأديب الإلهي الحكيم أن يترقى صاعداً في درجات الصائمين المخلصين، وأن يتذكر أنه كلما ازداد إيماناً وإخلاصاً زاده الله هداية وتوفيقاً:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت: ٦٩).

وأن يتذكر أن رمضان إذا كان شهراً

(يتبع)

للتهذيب، والتهذيب متعب شديد، وشهرا للتأديب، والتأديب مر ثقيل، فإن الرحمن الرحيم قد حبب فيه حين حاطه بأطواق من التكريم والتعظيم، فجعل فيه نزول القرآن، وجعل فيه يوم الفرقان، وجعل فيه يوم الفتح، وجعل فيه ليلة القدر، وجعله سيد الشهور، وقال سيد الأنبياء عن فريضته: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته طعامه وشرابه من أجلى»[٢]. وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قلت يارسول الله، مرنى بأمر ينفعنى الله به، قال: عليك بالصوم، فإنه لا مثل له[٣]. ويقول الرسول: «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: «وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين»[٤].

ويقول: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن: «منعته النوم بالليل فشفعنى فيه. قال: فيشفعان»[٥].

جزاء معجل وجزاء مؤجل!!

ولو تبصر المرء هنا لرأى الجزاء الكريم على الصوم معجلا ومؤجلا، أما المعجل فهو ما يستفيده الصائم المستقيم فى جسمه من صحته، وفى عزيمته من قوة، وفى قلبه من طهارة، وفى جوارحه من صيانة وبراءة، وأما المؤجل فهو ما ينتظر الصائم يوم القيامة من تكريم ومثوبة. يقول الرسول: «إن فى الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون، فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»[٦]. ولقد قال كثير من المفسرين إن المراد بقوله تبارك وتعالى:

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾

«الحاقة: ٢٤»

هو أيام الصيام التى ترك فيها الصائمون الطعام والشراب والمتاع طاعة لربهم واستجابة لديهم. فأسلفوا ذلك عند من لايضيع عنده أجر من أحسن عملا، وعند من يقول وهو أصدق القائلين:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾

«الزلزلة: ٧»

---

(٢) صحيح مسلم (٣) سنن النسائي (٤) سنن الترمذي

(٥) مسند أحمد (٦) صحيح البخاري

فإن الله تعالى يجمع يوم القيامة بين يديه كل [illegible] ويدعوهم إلى أن يأكلوا ويتمتعوا بما أسلفوا فى الأيام الخالية [illegible] محمد عليه الصلاة والسلام

فرصة!!

لكن شهر رمضان فرصة لتأديب النفس حتى يستقيم، وصيانة للروح حتى يعف، وحفظ الجوارح حتى تسلم، وإحياء القلب حتى يسمو، وبذلك تستحقون أن تكونوا ضمن العباد الذين إذا دعوا استجاب الله لهم، والذين يتحدث عنهم ربهم ليقول عنهم عقب آيات الصيام:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

«البقرة: ١٨٦»

عطر الله باليمن أيامكم، وعمر بالصالحات أوقاتكم، وجعلكم خير الأخلاف لخير الأسلاف، وأعز بكم دينه ودنياكم، وأعاد عليكم مواسم الخير وأنتم فى شأنكم، وثبات من يقينكم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

«الصف: ١٠، ١١»

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

«النحل: ١٢٨»

[illegible]

قررت مجلة الأزهر أن تفسح المجال للشباب للكتابة فى بعض الموضوعات الاجتماعية فى ضوء الإسلام على أن يبدأ النشر فى مطلع العام الهجرى القادم. مع ضرورة إرفاق صورة البطاقة الشخصية ورقم التليفون حتي نتمكن من الاتصال بصاحب المقال الفائز بالنشر.

كيف نستقبل شهر رمضان؟

للدكتور/ [illegible]

شرع الله -تبارك وتعالى- الصيام في السنة الثانية من الهجرة، بعد اختبار للأمة دام سبعة عشر شهراً فطمت فيه النفوس عن مألوفها، وحيل بينها وبين مرادها، وكان أشق ما في هذا الاختبار أنه استهدف أمراً له مساس بعقيدتها، وارتباط بعروبتها وأصالتها، وذلك عندما أمرت الأمة أن تتوجه في صلاتها إلى بيت المقدس، وتترك قبلة الآباء، وفخر الأجداد. وظل هذا الاختبار القاسي هذه المدة التي زادت على العام ونصف العام، وأخبرنا المولى سبحانه بأن هذا الاختبار النفسي كان مقصوداً لتربية النفوس على التجرد لأمر الله وحده، وتعويدها الاستقلال التام عن سلطان الإلف والعادة، وتحريرها من الولاءات الأرضية.. ولاء الأرض، والقوم والوطن وألا تكون أسيرة لنزعة عنصرية أو قومية أو دينية إلا أن تكون لله وحده، وهذا ما أعلمنا الله -سبحانه وتعالى- به في قوله:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وبين المولى -سبحانه وتعالى- مدى مشقة هذا الأمر وصعوبته على النفس بقوله:

﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وبعد خمسة عشر يوما يتفضل المولى تبارك وتعالى- على عباده بهدية جديدة، وهي فرض الصيام. ليستمر الأثر النفسي لتحويل القبلة ويزيد عليه أمراً آخر وهو فطم النفس عن مألوفها ومحبوبها من الطعام والشراب والشهوة. وهي غرائز أساسية لا تقوم الحياة إلا بها، ولايستقيم أمر العيش إلا عليها، ولهذا كان فطم النفس عنها رغم شدة حاجتها إليها من أعمق ألوان التربية وأجداها، فإن من يقدر على فطم نفسه عن حلالها المشتهى غريزة وطبعاً لا يحمله على ذلك إلا طاعته لربه وتسعيه لمولاه يكون قد بلغ غاية القرب ومنتهى الحب. واستشعرت نفسه [illegible] النعمة، وبلغت درجة الإحسان وتلك هي العبودية التي أعلمنا الله -تبارك وتعالى- بها في الحكمة من فريضة الصوم بقوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

إن الصيام للنفس تربية وتأديب وتهذيب، وتعويد لها على ممارسة الإخلاص دون حسيب أو رقيب. إلا ما يرجوه من رضا المولى -سبحانه وتعالى-، وهو المقام الذي أطمع الله -تبارك وتعالى- عباده فيه. وجعلهم بالوصول إلى تلك الحال من أهل القرب الذين إذا سألوا المولى -سبحانه وتعالى- أعطاهم وإذا طلبوه أجابهم، وخاطب نبيه ومصطفاه، بقوله

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

الصيام.. فطام للنفس

ولك أن تتصور دورة تدريبية تستمر مع الإنسان مدة شهر كامل يطلب منه فيها أن يمتنع عن الاستجابة لنداء بطنه إذا اشتد به الجوع، وحيل بينه وبين الطعام الذي عليه قوام حياته، وإذا قلنا: إن الإنسان ربما ملك القدرة والصبر عن الطعام لأيام، لأن الماء يقوم عنه بالتعويض، فكيف إذا كان الشراب ممنوعا عن النفس أيضا مع الحر الشديد والحاجة الملحة إليه إلى أن يأذن الله بغروب الشمس فيقبل على طعامه وشرابه مستشعراً تلك النعمة مقدراً أثرها في نفسه بعد أن حرم منها وطال شوقه إليها، شاكراً نعمة الله عليه أن أعانه على تحقيق مراده منه؟ ولهذا كان من دعاء المصطفى ﷺ عند إفطاره أن يقول: «الحمدلله الذي أعانني فصمت، ورزقني فأفطرت»[1] و يقول: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم»[2]. وكان يقول إذا أفطر: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[3]. وفي هذا الدعاء ما فيه من التجرد والعبودية ورد الفضل كله إلى الله. فيكون الصيام ممارسة عملية لفطم النفس عن شهواتها ومنعها من تحقيق

(١) كنز العمال ٨٨-١٨ ، الأذكار النووية ١٧٤

(٢) سنن أبي داود ٢٣٥٨ ، كنز العمال ٥٦-١٨

(٣) سنن البيهقي ٤/٢٣٩ ، المستدرك للحاكم ١/٤٢٢

منه تهب، وتقوية لعنصر الإرادة والعصر لديها، ثم شكر لله أن وفق إلى ذلك وأعان.

يقول الإمام ابن القيم: «الصوم لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئا وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو قد ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارا لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه بشر وذلك حقيقة الصوم»[4] وهذه الحالة من الاستغراق في المعية وطلب القرب هي ما نفهمه من معنى الإيمان والاحتساب في قول المصطفى ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[5]

والصوم لا يحقق المراد منه وهو التقوى إلا إذا أدى على الوجه الذي يريده الله - تبارك وتعالى - وهو استشعار معيته وقصد وجهه وملازمة الصوم مع استحضار الطاعة الكاملة والنية الخالصة والانكسار الخاشع، وإرادة القرب من المحبوب - سبحانه وتعالى - وهذه المعية الخالصة والقرب الصادق لا تتأتى بمجرد الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة مع الانصراف القلبي والانشغال الروحي عن المحبوب - سبحانه وتعالى - أو فعل ذلك وهو كاره للجوع مستثقل للصوم يتمنى انتهاء الشهر لينطلق بشهوته وملذاته كما يريد. فمثل هذا لم يتعامل مع الله ولم يستشعر معنى القرب والحب لمولاه، ولهذا غاب عن الفريضة سرها، وماتت فيها روحها، وحرم الصائم أثرها وأجرها؛ لأن ذلك كله لا يأتي إلا مع الإيمان والاحتساب الخالص لله - سبحانه وتعالى - وهذا الإيمان والاحتساب هو ما يجعل الإنسان في حالة خشية وأدب تحجزه عن فعل القبيح الذي لا يليق أن يراه الله عليه، لأنه يجل مولاه، فلا يجعله أهون الناظرين إليه.

وإذا كانت التقوى هي الثمرة التي رتبها المولى - سبحانه وتعالى - على أداء فريضة الصيام إذا أديت إيمانا واحتسابا، فإن هذه الثمرة هي الغاية التي من أجلها شرعت جميع العبادات، فالصلاة التي هي معراج دائم إلى الله - تبارك وتعالى - شرعت من أجل ذكر الله وإدامة تقواه:

﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

(طه: ١٤)

والزكاة شرعت تطهيرا لصاحبها من آفة الشح والبخل والأنانية وحب الذات. فنفعها عائد إلى المزكي قبل أن يعود إلى الآخذ لقوله سبحانه:



(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد جـ١ لابن القيم- دار الفكر ص١٤٤

(٥) صحيح البخاري ١/١٦، ٣/٣٣

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

(التوبة: ١٠٣)

وفي الحج يقول المولى - تبارك وتعالى -:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

ويأتي على رأس تلك العبادات في ضمان تحقيق التقوى فريضة الصيام، وخاصة عندما يحسن المؤمن استثمار أيامه ولياليه فهو بجانب ما يفعله في النفس من فطم عن ملذات ومألوفاتها طاعة للمولى - سبحانه - ومراقبة لوجهه الكريم، فإنه قد هيأ لتلك النفس فرصة الانقياد بالطاعة عندما سدَّ عنها أبواب الشر وأضعف سلطان الشيطان، وقوى فيها سلطان الإيمان، وهذا ما نجده في قول نبينا ﷺ، فيما يرويه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم»[6] وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[7].

سلطان البدن.. وسلطان الروح

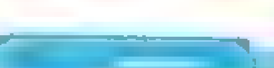
ولما كان رمضان يأتي مرة في العام وقد هيأ الله فيه فرص الخير للمؤمنين بأن فتح لهم أبواب الخير وسد عنهم أبواب الشر، وأضعف فيهم سلطان البدن وقوى فيهم سلطان الروح. وحال بين الشياطين وبين أداء دورها في احتلال المؤمنين، فإنه من علامات الحرمان والخسران وسوء التوفيق أن ترى من تمر عليه أيام رمضان دون أن يزداد من الله قربا، ودون أن يمتلئ قلبه حبا. فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال يوما وقد حضر رمضان: «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقي من حُرم فيه رحمة الله عز وجل»[8]

وحتى لا تفوت على المؤمن فرص الخير في هذا الشهر فيظل يروض نفسه وقتا طويلا من أيام الشهر حتى تلين وتشعر بلذة الصيام، كان واجبا على كل مسلم أن

(٦) رواه النسائي والبيهقي كلاهما عن أبي قلابة عن أبي هريرة

(٧) رواه البخاري ومسلم

(٨) رواه الطبراني في الأوسط ورواته ثقات



يبادر بمعالجة نفسه وتهيئتها بألوان من صنوف الطاعة التى يعمر بها الشهر الكريم، فيصوم من شعبان حتى يعوّد نفسه لذة الصوم فى رمضان.

كما ينبغى على المؤمن أن يكثر الصدقة والذكر وتلاوة القرآن وأن يستحضر نية صادقة. وتخففا من أعباء الدنيا والغرق فى شهواتها؛ حتى يدخل إلى رمضان وقد تهيأت نفسه للتلذذ بالطاعة والشعور بتجليات الله عليه.

إصلاح النفس

ولقد رأينا هذا الإعداد والتدريب فى مواقف كثيرة عند رسول الله ﷺ، فعندما سبقت إرادة الله باختياره نبيا، رأيناه ﷺ يتهيأ لذلك بما ألهمه الله به، فكان يذهب إلى غار حراء يقضى فيه الليالى ذوات العدد، خاليا مع ربه -سبحانه وتعالى-.

روى الإمام أحمد عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتى غار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالى ذوات العدد. ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده مثلها حتى فجأه الوحى وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ...(١).

وعندما أراد الحق -تبارك وتعالى- أن يتم عليه النعمة باختياره رسولا، خاطبه بقوله:

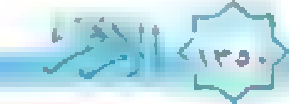
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾

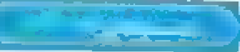
(المزمل ١ - ٥)

فكان -صلوات الله وسلامه عليه- يقوم من الليل مصليا حتى تتفطر قدماه، وكان يطيل السجود ويكثر الدعاء، ويستغرق فى دعائه لربه حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل على النار، كل ذلك تهيئة للأمر العظيم والمقام الكريم. وهكذا الشأن فى جميع أمور الحياة، وليس الصوم بأقل من أمور الدنيا، وهو الذى رتب الله عليه سعادة الدنيا والآخرة. إن الصيام جدير بأن يصلح النفس من أعماقها ويغسلها من أدرانها، ويقيمها على منهج الله -سبحانه وتعالى- فإن تأتى لها ذلك، صدر عنها الإصلاح فى جميع ميادين الحياة، وهذا ما ننشده لمجتمعنا المسلم فى ظل هذا الشهر الكريم.

* * *

(١) سيرة ابن هشام جـ١







الخطاب الرمضانى

كيف يفتح الشهية للصيام؟!

الأستاذ/ محمد مصطفى البيومى

● هل يمكن أن نقول: إنى «أطيق» حمل هذه المسبحة؟ طبعا لا: لأنها خفيفة الوزن.

● وهل يمكن أن أقول: إنى «أطيق» حمل هذا الحجر الرابض على باب المسجد؟ نعم. إنى «أطيق» حمل هذا الحجر: لأنه ثقيل الوزن ويحتاج إلى مضاعفة «الطاقة» لحمله.

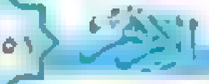
إذن فكلمة «أطيق» ذات نسب وثيق مع كلمة «الطاقة»، ولذلك كان كل ما يحتاج إلى مضاعفة الطاقة يقال عنه: إننا «نطيقه»، ولذلك جاء فى القرآن الكريم دعاء على لسان المؤمنين:

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ «البقرة ٢٨٦»

ومن هنا يسهل علينا فهم قوله تعالى فى آيات الصيام(١):

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ «البقرة ١٨٤»

١- ورد حول كلمة «يطيقونه» عدة أفكار عدة فى التفاسير، لعلها أنها تعنى «يطيقون» الصيام الذى لا عذر لهم إن أفطروا، كما جاء فى [illegible]



تلك سطور تسجل بعض المعانى التى لم تزل تحتفظ بها الذاكرة، كالنقش على الحجر، منذ أكثر من أربعين عاماً عندما استرسل فضيلة خطيب الجمعة ـ يرحمه الله ـ فى محاولة مقتدرة على تبسيط معانى آيات الصوم بمناسبة استقبال شهر الصوم المبارك يوم ذاك، ويدعونى داعى الوفاء إلى أن أذكر اسمه بالخير و[illegible] [illegible] لا ينسى «الشيخ عبدالحميد أبو حامد» الذى علمت فيما بعد عندما أردت أن أترجم له فى مقال «للأخبار» أنه من رصفاء الإمام المجتهد الجليل الشيخ محمود شلتوت منذ طلب العلم بالأزهر الشريف.

وكان [illegible] فى حضوره على طريقهم أولى خطواتنا الإيمانية المدركة ـ يكاد من شدة إخلاصه لدعوته يلتحم بمنبر المسجد التحاماً عضوياً، وكأنهما فى عناق إيمانى مشهود لا [illegible] لعظمة القول، وعبقرية القائل وروعة الموقف.

هذا الأسلوب التعليمى

وقد يكون هذا الكلام معروفا لدى «البعض» ولكنه ـ دون شك ـ مجهول بالنسبة «للكثيرين»، أما أنا فقد أضاف إلى هذا الأسلوب «التعليمى» الشارح المزيد من المعرفة، والرغبة فى البحث والاستكشاف، والمزيد من الإعجاب بطريقة التشويق والجذب والتبسيط والعرض التى اصطنعها فضيلة شيخنا الراحل، والتى هى محور رسالتنا ـ وليست مهمتنا ـ معشر المعلمين، أصحاب الرسالة التربوية. وتأمل كيف استخدم الداعية الفاضل إمكانياته [illegible] كوسائل تعليمية ناطقة من فوق المنبر مثل «المسبحة» التى بيده، ومثل «الحجر الرابض على باب المسجد»، وأحسست عندها أن أساليب الأداء التربوى ليست حكراً على المعلمين ـ وإن كانوا أربابها ـ ولكنها آلية يصطنعها كل ذى رسالة معطاءة طالما وجد مجال يضم قطبى إرسال واستقبال، [illegible] فكرا [illegible] تام الوعى بأهداف رسالته، واستعدادا جادا كل الجد لطرق أدائها، وشخصية تتمتع بتواضع العلماء الذى ينأى بصاحبه عن الغرور كلما قال له العامة: «أحسنت»، ورحم الله أستاذنا «السيد حسن القاياتى»[2] عندما قال فيمن ابتلى بآفة الغرور: «ظنه الناس على شىء فظن».

وتتحرك أمامنا الآن ـ فى مجال تواضع العلماء ـ سيرة الفقيه الراشد والعالم الزاهد «سفيان الثورى» يرحمه الله الذى كان [illegible] فى خدمة العلم والمعرفة من خلال إلمامه الواسع باثنى عشر حديث نبوى شريف [illegible] [illegible]، ويستوعب مفهومها معنى. ويتقن روايتها إتقانا مما كان يثير إعجاب طلابه الشديد به حتى [illegible] تحلقوا حوله للدرس واسترسل فى العرض والشرح، وانبهروا به وبعلمه [illegible] وأسلوبه الأخاذ، خط هو ذلك فى [illegible] المعبرة فخشى على نفسه الغرور فجمع أوراقه وقال: أخذنا ونحن لا ندرى[3].

من الخطاب الشعراوى فى رمضان

[illegible] عالمنا الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ يرحمه الله ـ وهو دائماً فى بؤرة الذاكرة من خطاب الإسلامى ـ فله فى الخطاب الرمضانى نهج المشكور، والمعنى المتجدد «غير مكرور».

ففى عرضه لبعض الأحاديث النبوية المطهرة الخاصة بشهر رمضان المعظم تحدث عن قوله ﷺ «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»[4] وهنا أراد فضيلته أن يبرز بذكاء مستنير دور الإرادة الإنسانية فى الطاعة؛ فقال: إن هذا الحديث الشريف يبين لنا أن العصيان كثيرا ما يرجع إلى إرادة الإنسان وليس فقط وسوسة الشيطان، وإلا ألغينا دور مسئولية الإنسان التى ترتبت على حمله للأمانة، حيث أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وقد سجل القرآن الكريم على الإنسان هذه المسئولية الجسيمة فى قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

«الأحزاب ٧٢»

ولما كانت المسئولية وليدة الحرية كان لابد أن يترتب عليها جزاء؛ إذن فهناك الأمانة التى ترتبط بالمسئولية ثم النتيجة الحتمية المترتبة على ذلك وهى الجزاء.

فمثلا ـ والقول لشيخنا الشعراوى ـ لو كانت المسألة قاصرة على دور الشيطان فبماذا نفسر العصيان الفاجر والمتبجح فى شهر رمضان بينما الشياطين ـ كما أخبرنا النبى الصادق المصدوق ﷺ ـ فى السلاسل؟ ألا ترى فى نهار رمضان وفى الشوارع والطرقات بعض المسلمين «بالوراثة» الذين يحركون أشداقهم بالطعام ثم يتلمظون فى تحد واستهتار وعلانية أو يمتصون بشفاههم لفافات التبغ فإذا لم يكن هذا بمحض إرادة المرء من شياطين الإنس «الطليقة»، فماذا يكون؟

ولعمرك إن هذا الربط بين الإرادة والحديث النبوى الشريف لهو نمط تعليمى باهر ونهج تربوى بناء يضيف إلينا مثالاً حياً لتفسير الحديث النبوى الشريف «إنما الأعمال بالنيات» [illegible] الحديث.



[2] السيد حسن القاياتى شاعر قدير ولغوى كبير وصوفى شهير ـ سليل أسرة لها تاريخها فى السياسة والتصوف. كان زميل الدراسة [illegible] ... توفى عام ١٩٥٨م

[3] من معانى محاضرة للإمام الدكتور عبدالحليم محمود بالمعهد العالى للدراسات الإسلامية فى الستينيات

[4] الأحمد فى مسنده والبخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ الجامع الصغير للسيوطى

[5] [illegible]

طعام واحد وطهاة عديدون

هذا ولما كنا نتحدث عن شهر الصيام فما أليق أن نطعم حديثنا بأمثلة شارحة مشتقة من الطعام!!

فنحن في حياتنا العامة نرى مثلاً نوعاً من الطعام قد قام بإعداده عدد من الطهاة، فيختلف تذوقك لهذا الطعام باختلاف هؤلاء الطهاة؛ ذلك لأن هناك الطاهي الممتاز الماهر، وهناك زميله الدعي المتظاهر، وهذا ما كان يسميه أسلافنا من «حكماء العامة» في مجال الطهي «بالنفس»، فهذا الطاهي نفسه طيب بينما «نفس» غيره دون ذلك.

وكنت - ولا أزال - أقدم هذا المثال «المغذي» لأبنائي من ناشئة المعلمين أن إعداد الدرس أشبه ما يكون بإعداد الطعام؛ فقد يكون موضوع الدرس واحداً ولكن المعلمين يختلفون في إعداده وعرضه بين جذاب، ومنفر، فهذا معلم يعرض أمامك الموضوع فلا تستشعر منه الملل بقدر ما تطلب منه المزيد، وآخر تستمع إليه وهو يعرض نفس الموضوع فسرعان ما يسري في ضميرك قول النبي ﷺ: «رحم الله امرأ تكلم فغنم أو سكت فسلم»[١].

ونحن نرى أن أي خطاب بين مرسل ومستقبل يصدق عليه هذا الكلام، إذ ما الذي يهدف إليه «المرسل» من موضوعه إلا أن يصل إلى «المستقبل» هنيئاً مريئاً، «هنيئاً» أي شيقاً محبباً يثير استطلاعه، ويجذب انتباهه، «ومريئاً» أي يسري مسرى الطعام الشهي الناضج من «المريء» إلى سائر أجهزة البدن بالصحة والعافية والنماء؛ وإذا كان هذا في مجال الطعام والغذاء في الجسم فكذلك يفعل الخطاب المفيد الموجه إلى المتلقي فإنه يعين على تنمية شخصيته لتكون شخصية فاعلة وإيجابية بين الناس تعي ما تقول، وتنفذ ما تعمل.

وكثير منا عندما يقرأ هذه السطور فإنه - دون شك - ستقفز إلى ذاكرته الصور الإدراكية التي صافحت حواسه ووجدانه عن أصحاب الخطابات الرمضانية الذين مر بهم أو مروا به في أعوام مضت، فمنا من احتفظ وعيه بما سمع من قول مؤثر لا ينسى، ومنا من نسي ما سمع بمجرد انتهاء الخطاب، وانقضاء السامر، وزوال المناسبة!!

توظيف الخطاب الرمضاني

إن الخطاب الرمضاني خطاب غني بالمعاني المعبرة، والمواقف المؤثرة التي يمكن توظيفها في الحياة السلوكية العملية كما أرادها الله وليس اتخاذها كمجرد قصص تحكي أقوال الرواة، أو مواعظ تروى لمصمصة الشفاه. ولنا في كتاب الله العزيز خير أسوة لمن يسهم في هذا المجال، حيث نرى القرآن الكريم كثيراً ما يقرن الإيمان بالعمل في مثل قوله الحكيم في مواقع عدة: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات... الآيات».

فإذا كان الإيمان مطلباً أساسياً لتزويد الإنسان بالشحنة المطلقة والدافعة؛ فإن العمل الصالح الناشئ عن هذه الشحنة الإيمانية والذي تسمو به بالسلوك القويم والصراط المستقيم هو مناط العبادة الحقيقية التي تعبر عن خلافة الإنسان في الأرض لتعميرها بالهمم العالية وتنويرها بالقيم السامية كما أرادها الله رب العزة عز وجل.

وإنا لنعتقد أن الدرس التعليمي الذي لا يؤكد تحقيق أهدافه وغرسها «عملياً» في أنفس الطلاب لا يمكنه مطلقاً أن يؤتي ثماره التربوية المنشودة.

وبنفس المقدار فإننا لا نظن أن الخطاب الديني الذي لا يحقق تعميق المعاني الإيمانية «عملياً» في أنفس المتلقين، لا نظنه قد أدى دوره الذي أمر به - سبحانه وتعالى - ودعا إليه رائد الدعاة ومعلم البشرية الحبيب محمد ﷺ.

هل هو خطاب موسمي

ولا ينبغي أن تقتصر أهداف الخطاب الرمضاني على «موسم» معين، وإنما هي أهداف ممتدة طوال عمر الإنسان فرداً كان أو أمة؛ لأنها تقوم على كبح الشهوات الجامحة والنزوات الجانحة وتعميق معنى عبودية العبد لربه التي تقوم على الطاعة المطلقة لله «افعل» و«لا تفعل» دون أن تتسلل كلمة «لماذا» إلى خواطرنا المزمنة المؤقتة، وحسبنا أن نؤمن في أعماقنا بأن الذي خلقنا هو وحده الذي يعلم ما ينفعنا فيأمرنا به، ويعلم ما يضرنا فينهانا عنه - جل شأنه وعز سلطانه -.

كن فيكون.. لا تحتاج إلى مبررات

ومن هنا فإنه - في هذا السياق - لا نظن أنه من المفيد أن نضمن خطابنا الرمضاني بالمبررات التي تقول مثلاً: «إن التكليف بالصوم يحافظ على الصحة»، أو «إنه يشعر الغني بمعاناة الفقير»، أو «إنه يدرب النفس على الصبر»، وغير ذلك من المبررات التي قد تكون علامات استنبطها البشر على طريق الصوم، ولكنها ليست من جوهر هذا الطريق التكليفي الحاسم الذي يقول:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾

«البقرة: ١٨٣»

أو:

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[٢]

«البقرة: ١٨٥»

وهكذا نراه أمراً حتمياً أوضح من التفسير، وأعمق من التبرير؛ لأن الذي أمر به هو صاحب «كن فيكون»، وهو وحده الذي قرن هذا الأمر الإلهي بقوله سبحانه:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

«البقرة: ١٨٣»

فينبغي إذن أن يكون خطابنا الرمضاني في إطار «التقوى» ومعانيها المتعددة، ومراميها المتجددة، بتجدد الحركة البشرية عبر العصور.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾

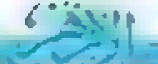
«المؤمنون: ٥٢»

---

(١) [illegible]

(٢) أي فالزموا فرض صومه. تفسير الطبري.





﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

القـــرآن والمعجزات الكونية

القرآن كتاب الله -عز وجل- الذى أنزله على عبده ومصطفاه محمد ﷺ ليكون آخر كلمات السماء إلى أهل الأرض، ولتظل شكتا إلى قيام الساعة، ولذا استوعب كل قضايا الخلائق، التشريعية، والفكرية، والعملية: إجمالا وتفصيلا، وحدد لمتصر بكل أطراف الوجود الإنسانى والكونى مادياً ومعنوياً. قال الله -عز وجل

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾

(الأنعام ٣٨)

ومن هنا كان متجددا فى دلالاته.. وفى تفسيراته.. وفى إعجازاته.. التى تكشف عن كل ما يتضمنه من قضايا تشريعية أو أدبية أو معرفية، ترقى بالفكر الإنسانى العام وعلى كافة المستويات ليؤكد بذلك أنه من عند الله -عز وجل- .

فإذا لم تستطع البشرية استيعاب ما فيه من دلالات، ومن مفاتيح للعلوم فى عصر واحد، أو حتى فى عصور متعددة. فذلك لحكمة بالغة يعلمها مُنْزِله جل وعلا، ولتجد البشرية فيه طلبتها فى كل عصر وإلى أن تقوم الساعة. ولذا لم يستطع بشر مهما أوتى من العلم، ومن سعة الفكر، ومن قوة الاستنباط، أن يدعى لنفسه أنه أتى بالتفسير النهائى لكتاب الله -تبارك وتعالى- ولكن هناك حالة واحدة افتراضية، يمكن أن يقال فيها ذلك.. وهى لا تكون إلا فى اللحظات الأخيرة من عمر الحياة الدنيا، ولو جُمع كل ما قيل منذ أن نزلت أولى آياته فى تفسيره وفى بيان إعجازاته المادية والمعنوية والكونية حتى آخر الزمان؛ لصح أن نقول إن هذا هو تفسير القرآن، فهو لا يزال وسيظل يحفظ كل جيل بما يناسبه، ويصلح من شأنه ما سمع من سمع، أو غرض عنه من أعرض.

قرآن يمشى بين الناس

ولقد كان رسول الله ﷺ يفسر من نصوصه المباركة حال نزوله ما يضىء الطريق أمام صحابته الأبرار وتابعيهم، ويعينهم على فهم أركان الإسلام، وآدابه، وأخلاقه، ويعينهم أيضا على تصحيح العبادات والعقائد والمعاملات. وذلك بقوله وفعله وتقريراته ﷺ وكان يقف فى كل ذلك عند ما تطيقه أفهامهم، وما يلبّى حاجاتهم، ويترك الباقى للزمن، وما يستجد من قضايا علمية، أو كونية، أو فكرية؛ لأنه كتاب الزمن قال ﷺ: «ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه»[1] وحينما سُئلت السيدة عائشة -رضى الله عنها- عن حياته ﷺ قالت: «كان قرآنا يمشى بين الناس».

التفسير بالمأثور

وهذه المرحلة المبكرة من قصة التفسير القرآنى، هى ما اصطلح عليه باسم «التفسير بالمأثور»، وبعد ذلك جاءت التفاسير بالمأثور، أو بالرأى، أو بكليهما معا؛ حيث كانت تدور كلها حول أبحاث لفظية: نحوية، أو بلاغية. وحول روايات تحتشد فيها خرافات بنى إسرائيل، وأحاديث لا أصل لها. وجاء تفسير الفخر الرازى فغلبت عليه العلوم العقلية والفلسفية والفلكية. ثم جاء تفسير الألوسى جامعا للتفاسير السابقة حتى ظهر الشيخ محمد عبده بمنهجه العقلى، وانتقد جميع التفاسير.. وتعهد السيد رشيد رضا مدرسة الإمام محمد عبده، وظهرت تفاسير جديدة للشيخ طنطاوى جوهرى، وسيد قطب، والمنتخب من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. وخواطر الشيخ الشعراوى، التى تستعين بالكرامات. لاقترانه بالتفسير العلمى، الذى بدأ فى عصرنا الحديث للدكتور محمد الغمراوى، والأستاذ حنفى أحمد، وغيرهم»[2].

التفسير العلمى للقرآن

ومما لاشك فيه، أن التفسير العلمى والكونى للقرآن فتح جديد، يلفت النظر إلى كثير من معجزات هذا الكتاب الخالد؛ فالكون كتاب الله المفتوح للبشر جميعا يرى فيه كل جيل من العلماء والباحثين ما يدل دلالة قاطعة على قدرة مبدعه -جل وعلا- والقرآن كتاب الله

---

(٢) إعجاز القرآن فى آفاق الزمان والمكان

المقروء، الذى أنزله على عبده ومصطفاه محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بهذه الكلمات التى لا نزال نقرؤها. وسوف تظل البشرية تقرؤه هكذا إلى قيام الساعة دون زيادة حرف واحد، أو نقص حرف واحد، أو تبديل حرف بآخر، حيث تكفل سبحانه بحفظه ورعايته، قال عز من قائل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

والذى لاشك فيه أيضا أن عصرنا الذى نعيشه، قد تحقق فيه من الإنجازات العلمية والاكتشافات الكونية مالم يتحقق مثله فى أى عصر سابق، وستزداد هذه الاكتشافات العلمية والكونية فى الأنفس والآفاق يوما بعد يوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسيظل القرآن يلاحق كل هذا ليثبت أنه السابق فى الحديث عن كل ذلك صراحة أو ضمنا أو إشارة، حسبما أراد الله -عز وجل- الذى أنزله داعيا العقل البشرى إلى المزيد من النظر والبحث والدرس والاكتشاف لآلاء الله المبثوثة فى هذا الكون الكبير، وفى أطرافه القريبة والبعيدة؛ حيث تركت كل هذه الآثار أدلة مادية وعلمية على أنها من صنع الله عز وجل.

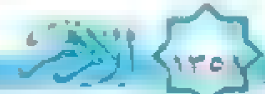
وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

الدين الطبيعى للإنسانية

فالعلم الحديث بكل تفاصيله ومكتشفاته، وإلى أن تقوم الساعة، ما هو إلا دليل واضح على صدق القرآن فى كل ما أخبر به، وتفسير لمعانيه، وبيان لأوجه إعجازه. وإن فيه لدربة لمن يتعاطى هذه العلوم ويحكم بها من الصواب ناحية، ويحرز من الرأى جانبا، وهى تحقق له الذهن، وتواتيه بالمعرفة الصحيحة على ما يأخذ فيه، وتخرج له البرهان، وإن كان فى طبقات الأرض، وتنزل عليه الحجة وإن كانت فى طباق السماء.

ولا جرم أن هذه العلوم ستدفع بعد تمحيصها، واتصال آثارها الصحيحة بالنفوس الإنسانية إلى غاية واحدة وهى تحقيق الإسلام[3]، وأنه الحق الذى لا مرية فيه، وأنه فطرة الله التى فطر الناس عليها، وأنه لذلك هو الدين الطبيعى للإنسانية، وسيكون العقل الإنسانى آخر نبى فى الأرض؛ لأن الذى جاء بالقرآن كان آخر الأنبياء من الناس؛ إذ جاءهم بهذا الدين الكامل، ولا حاجة بالكمال الإنسانى لغير العقول ينبه إليه بعضها بعضا، ومن لا يجب داعى الله فليس

(٣) أى إقامة الدليل على أنه حق من عند الله



بمعجز فى الأرض.

القرآن والظواهر الكونية

والآن، جاء دور الحديث عن بعض الظواهر الكونية، التى أشار إليها القرآن الكريم، وكانت من الإعجاز العلمى لهذا الكتاب الخالد، فقال الحق تبارك وتعالى

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: ٥٣)

فماذا قال عن آية خلق هذا الكون الكبير؟ وكيف أكدت الأبحاث العلمية صدق ما قاله من قديم الزمان؟

يقول الله -عز وجل-:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الأنبياء: ٣٠)

ويقول أيضا:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

(فصلت: ١١-١٢)

نحن الآن، أمام عدة قضايا أثارتها الآيات المباركات، وبطبيعة الحال لا يتسع المجال هنا للحديث عنها جميعها ومناقشتها، ولكننا سنكتفى بالحديث عن قضايا: الرتق، والفتق اللذين حدثا بين السموات والأرض، والرؤية التى حث الله عليها الكافرين، بأسلوبه المعجز، والدخان الذى كان نتيجة الانفجار العظيم والذى تحدث عنه العلماء الكونيون، وأيده القرآن قبل اكتشافه بقرون ولفت الأنظار إليه بإشاراته العلمية الرائعة.

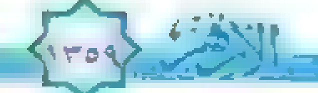
قضيــة الرؤيــة

إن قضية الرؤية هنا تحتمل -والله أعلم- الرؤية العلمية، والرؤية البصرية معا، وقد أدت الآية المباركة عملها على الخاص فى عملية الإعجاز، فهى بالنسبة لمشركى العرب زمن نزول القرآن رؤية علمية؛ إذ لم تكن وسائل الرؤية البصرية قد تحققت والأسلوب القرآنى هنا فى قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

(الأنبياء: ٣٠)

(٤) د. أحمد الشرباصى فى كتابه (قصة التفسير) ص٦٠، ٦١ ملحق مجلة الأزهر، الجزء الثانى



يحثهم في تبكيت وتوبيخ أن يروا بعين البصيرة، وأن يتدبروا آيات الله القادر في الكون المحيط بهم وهم أهل نظر وتعقل، ورؤيتهم هذه لظاهر قدرة الله الخالق شيء ممكن بالنسبة لهم، بل كان منهم من رأى بعض هذه الظواهر الكونية قبل الرسالة المحمدية مثل جماعة الحنفاء حتى قال قائلهم: أرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وشمس تشرق وتغرب.. أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير..؟!!

أما الرؤية البصرية، فقد أخبر عنها الحق -تبارك وتعالى- قديمًا وبأسلوبه الواثق المتيقن مما سوف يحدث في المستقبل حين قال:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(فصلت: ٥٣)

وها، قد كان.. ورأينا ورأى العالم كله شرقه وغربه، مؤمنه وكافره، آيات الله في الأنفس وفي الآفاق تترى واحدة تلو الأخرى ولله الحمد.. رأوا أنه الحق.. فماذا شهد هؤلاء العلماء والباحثون؟ -والعجيب أن غالبيتهم الساحقة من غير المسلمين- وهو أيضًا من آفاق الإعجاز العلمي الباهر..

«لقد توصل العلم حديثًا وبالبرهان العلمي القاطع إلى أن الكون حاليًا يسبح في خلفية إشعاعية، ناتجة من الانفجار العظيم، الذي حدث منذ حوالي ١٣ بليون سنة.. وذلك عندما كان الكون كرة ملتهبة درجة حرارتها بلايين الدرجات، ثم انخفضت الآن.. مما يعطيها طاقة ضعيفة ماسة. ولقد كان الإشعاع خطيرًا على الطاقة في بداية نشأة الكون. ومازال صداه يصل إلينا حاليًا بضعف شديد على هيئة إشعاع الخلفية الكونية والذي تم اكتشافه عام ١٩٧٨ تأييدًا لنظرية الانفجار العظيم، وبذلك نفهم الآن معنى الآية الكريمة في قوله تعالى(*):

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾

(الأنبياء: ٣٠)

الاكتشافات الحديثة

ومما يؤكد وجود هذا الدخان الكوني الذي تحدث عنه القرآن في قول رب العزة:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾

(فصلت: ١١)

اكتشافه وتصويره الذي تم حديثًا؛ حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية، قد أطلقت في الثامن من نوفمبر عام ١٩٨٩ سفينة فضاء اسمها «كوب» وهو اختصار لاسمها الذي ترجمته (مكتشف الخلفية الكونية) في مدار على ارتفاع ٦٠٠ كيلومتر حول الأرض، بعيدًا عن الغلاف الجوي لتجنب عوائق الرصد، وتطبيقًا لأحدث تكنولوجيا قياس الإشعاع الحراري وتكنولوجيا المادية والصوتية والميكروويف، وقام القمر الصناعي «كوب» بإرسال ملايين الصور والمعلومات عن آثار المادة الدخانية الأولى التي نتجت بعد مرور ٣٠٠ ألف سنة من مولد الكون الذي عمره الآن حوالي ١٣ مليار سنة، أي أنها صور تذكارية للدخان الأول وصلتنا لتعبر عن الماضي السحيق وليس الحاضر.

القرآن والكشوف العلمية

لقد أشار القرآن الكريم إلى كل هذه الظواهر الكونية وغيرها منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولم يكن وجد من البشر من عرف شيئًا من ذلك.

ولقد صدقت الكشوف العلمية الكونية كل ذلك بكل دقة..!! فهل يجوز بعد ذلك أن يقال إن هذا القرآن من عند محمد؟!! وأيضًا لم يرد شيء صحيح من ذلك في كتب التوراة أو الأناجيل وما ورد في التوراة مما يشبه ذلك معلومات مشوشة غير مطابقة لما ثبت علميًا، وهو ما يؤكد أنها بنصها الحالي ليست هي ما نزل من عند الله -عز وجل- على كليمه موسى عليه السلام. أفهل يصح بعد ذلك أيضًا أن يقال: إن محمدًا قد استوحى هذا القرآن من كتب التوراة؟!!

هذا هو كتاب الله.. القرآن.. يعلن عن نفسه، وتعلن عنه الكشوف العلمية والكونية التي تتم على أيدي أعدائه الذين يحاربونه، ويطلقون حوله الأكاذيب ويشيعون الأراجيف.. هذا هو القرآن الذي قال الله فيه:

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت: ٤١، ٤٢)

(*) اقرأ كتاب «إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان» ص٣٢ وما بعدها، مع ملاحظة أننا تعمدنا ذكر الأرقام والمصطلحات العلمية التي لا يدرك مغزاها غير المتخصصين، حرصًا على وضوح الفكرة لدى القارئ غير المتخصص

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

فاطر ٢٨

قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

بقلم: [illegible]

نائب رئيس جامعة القاهرة سابقا

ثمرة العلم والإيمان

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة الحج: ٥٤)

والإخبات في اللغة تعني: خشع وتواضع، ففي هذه الآية الكريمة ينبه القرآن إلى دور العلم في تأسيس الإيمان بأن ما يقوله الأنبياء والرسل إنما هو الحق المنزل من عند الله - سبحانه وتعالى - وأن الله يتولى المؤمنين دائماً بعنايته فيهديهم إلى معرفة الطريق السليم، فيتبعونه، ويدلنا هذا التعبير القرآني المعجز على جوهر العلاقة بين العلم والإيمان، فالعلم يتبعه الإيمان تبعية ترتب بلا تعقيب، والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله تعالى، وهكذا يثمر العلم الإيمان، ويثمر الإيمان الإخبات، والتواضع لله رب العالمين.

ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(سورة هود: ٢٣)

أي أن الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعت قلوبهم واطمأنت إلى قضاء ربها، هؤلاء هم مستحقون لدخول الجنة والخلد فيها، هؤلاء هم المخبتون، الخاضعون لله من عباده، فأسلموا له وحده أمرهم، وأخلصوا له عملهم، واستحقوا البشرى بالجنة والثواب الجزيل، مصداقاً لقوله سبحانه

﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾

(سورة الحج: ٣٤)

ونقرأ في القرآن الكريم آيات كثيرة تكررت فيها العبارات الموقظة للفكر من غفلته، والمحررة للإنسان من ربقة تقليده وجموده، والمؤسسة لعقيدة التوحيد الخالص من خلال استعراض مشاهد الكون وحقائقه، بعيداً عن أوهام الفلسفات الوضعية الإلحادية التي تحجب عن أنصارها نور العلم والإيمان وثمارهما، فالباحث في العلوم بعامة، يظل مجرد متبع لمنهج البحث العلمي، ولا يرقى إلى مرتبة «العلماء» إلا إذا تحقق فيه قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(سورة فاطر: ٢٨)

عندئذ فقط تكون لغته الإيمانية موافقة لمقولاته العلمية التي يستقرؤها من لغة الكون وإشاراته، باعتباره كتاب معرفة لأصحاب العقول التامة، والقلوب الخاضعة الخاشعة، والأنفس النقية المطمئنة الموصولة بالله رب العالمين.

ويبني الإسلام الحنيف [illegible] العقيدة، ويؤسس الإيمان الذي يثمر الإخبات والخشوع لله رب العالمين، على أساس العلم الصحيح، وليس على أساس التقليد أو الظن أو التسليم الأعمى، ولذا رد القرآن الكريم مزاعم المشركين في آلهتهم بقوله:

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾

(سورة النجم: ٢٨)

كما عاب على الذين يقولون:

﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾

ورد عليهم بقوله:

﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

(سورة البقرة: ١٧٠)

وصاح في أصحاب العقائد الباطلة:

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(سورة البقرة: ١١١)

وفرض على أتباعه أن يتفكروا ويسعوا إلى طلب العلم، مثلما فرض عليهم أن يتعبدوا ويتوجهوا إلى بارئهم طلبا لمرضاته وغفرانه. حتى تطمئن قلوبهم إلى معرفة الحق الذى تثلج به الصدور، قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(سورة فصلت: ٥٣)

وعقيدة الإسلام - باستنادها إلى العلم الصحيح - تؤكد قوتها وحجيتها، ولا تخشى أن يأتى العلم بنتائج تناقض حقائق الدين ومسلماته وأصوله الثابتة، فالحق لا ينقض الحق ولا يعارضه، وإذا بدا لنا فى بعض الأحيان تناقض ظاهرى، فإن مرده أن يحسب ما ليس من العلم علما وما ليس من الدين دينا.

وتأسيسا على هذه المعانى يكون العلم فى الإسلام طريقا إلى الإيمان الخالص الذى يثمر الخشية والخضوع. ويكون البحث العلمى السليم فى ظواهر الكون والحياة دليلا للاهتداء بحقائقه إلى قدرة الله ووحدانيته ويكون الثبات على العلم بأنه لا معبود بحق إلا الله نعمة عظمى تستوجب الحمد والشكر الدائمين لله رب العالمين، فنحن نرى آياته فى أنفسنا، وفى كل ذرة من ذرات هذا الوجود. وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وملاحظة آثار قدرته وعظمته. قال تعالى

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾

(سورة محمد: ١٩)

إن البحث العلمى، إذا ما تجرد عن الهوى والتعصب، فإنه لابد وأن يصل بالباحث إلى نتائج من الواقع الكونى توافق إحساس الفطرة السليمة. وتوصل إلى الإيمان بالله - تعالى - وبصفاته الجليلة. وبكل ما قرره الدين الإسلامى الحنيف.

حياة العناكب

قال تعالى

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ﴾

(سورة العنكبوت: ٤١)

وجاء فى كتب التفسير أن الله - سبحانه وتعالى - شبه الكافرين فى عبادتهم للأصنام بالعنكبوت فى اتخاذها بيتا ضعيفا واهيا لا يجير آويا ولا يريح ثاويا، بل إن شأن الموالين لغير الله فى الضعف والوهن والاعتماد على غير معتمد كشأن العنكبوت فى اتخاذها بيتا تحتمى به، وبيتها أوهن البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتماء. ولو كان هؤلاء يعلمون أهل علم وفطنة لما فعلوا ذلك.

ويذكر التاريخ الإسلامى قصة نسيج العنكبوت على الغار إبان هجرة سيدنا محمد ﷺ مما أبعد عنه الكفار، وكان أن حفظه الله - تعالى - منهم، وقضى ربنا بأن يحد الدين الإسلامى الحنيف طريقه لهداية العالم، فقدم العنكبوت بذلك أعظم هدية وفائدة للإنسانية، وهو من بين أضعف مخلوقات الله.

ومن لطائف التعبير القرآنى أن المقصود بالوهن المذكور فى الآية القرآنية الكريمة ربما يكون مرجعه إلى ما كشف عنه العلماء من ضعف البنية الاجتماعية فى بيوت العنكبوت، حيث يفتقد هناك الترابط الأسرى ورعاية الأجيال اللذان هما من سمات الحياة للحيوانات الراقية فلا تجد فى عالم العناكب سوى أنثى تطيح برأس زوجها، أو صغارا تهجر مواطن أهلها. إلى غير ذلك من مظاهر التفكك وعدم الترابط.

ولقد اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة العناكب، ووصفوا أنواعها وطبائعها، ودونوا نتائج دراساتهم فى عدد من الكتب التراثية، مثل كتاب «الحيوان» للجاحظ، وكتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميرى، وكتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزوينى، وغير ذلك.

وتوصل العلم الحديث إلى وصف أكثر من خمسة وثلاثين ألف نوع من العناكب Spiders المختلفة الأحجام والأشكال والألوان والطبائع والغرائز، ويعتبر عنكبوت المنزل المعروف أقل هذه الأنواع ابتكارا وتفننا فى صنع نسيجه، ولاتزال الدراسة الميدانية والبحوث العلمية المتقدمة تكشف عن المزيد من أنواع العناكب.

وقد لاحظ العلماء، من دراسة حياة العناكب، أن بيت العنكبوت له شكل هندسى خاص دقيق الصنع، ومقام فى مكان مختار له فى الزوايا، أو بين غصون الأشجار، وأن كل خيط من الخيوط المبنى منها البيت مكون من أربعة خيوط أدق منه، ويخرج كل خيط من الخيوط الأربعة من قناة خاصة فى جسم العنكبوت، ووجد الباحثون أن العناكب لها قدرات فائقة فى العمليات الإنشائية حين تشيد بيوتها وتنسج غزلها، وكشف العلماء عن ثلاثة أزواج من المغازل توجد فى مؤخر بطن العنكبوت، تأتيها المادة الخام عن طريق غدد خاصة.

وإذا كانت خيوط العنكبوت الحريرية رفيعة جدا، وتبدو ضعيفة واهية تمزقها هبة ريح، إلا أن أبحاث العلماء أوضحت أنها على درجة عالية من المتانة والشدة والمرونة. حيث يمكن شد أحد هذه الخيوط بقوة تزيد طوله بأكثر من نصف مقداره الأصلى. ومن عجائب حياة العناكب أنها تتخذ خيوطها لغة للتحدث والتخاطب. فعندما يقف الذكر على طرف الشبكة ويجذبها تخرج الأنثى

لاستقباله، أو قد ترد عليه بأن تجذب هي الخيوط بطريقة مخالفة، فكأنهما يتبادلان حديثا سلكيا خاصا.

ولا يقتصر بيت العنكبوت على أنه مأوى يسكن فيه، بل هو في الوقت نفسه مصيدة تقع في بعض حبائلها اللزجة الحشرات الطائرة مثل الذباب وغيره.. لتكون فريسة يتغذى عليها.

ومن رحمة الله بعباده أن جعل العناكب، وهي المخلوقات التي يتقزز منها الإنسان، لا تخلو من فوائد عديدة؛ فهي تلتهم الملايين من الحشرات الضارة بالنباتات أو الصحة، أي أنها تعمل كمبيدات حشرية حية لدرجة أن أحد علماء الأحياء يؤكد أن نهاية الإنسان تصبح محققة على ظهر الأرض إذا ما تم القضاء على العناكب، ويكفي أن نعلم من بعض الإحصائيات أن الفدان الواحد من الأرض الزراعية تحتوى تربته على قرابة مليون عنكبوت تعمل على التهام الحشرات واليرقات الموجودة، بالإضافة إلى أن أجسام العناكب المتحللة بعد موتها تضيف الكثير إلى خصوبة التربة، مما يزيد من صلاحيتها للزراعة.

من ناحية أخرى، تستخدم العناكب في مجالات البحث العلمي لتجريب تأثير بعض المواد المخدرة عليها. كما أن العناكب من أوائل الكائنات التي وضعت في سفن الفضاء لملاحظة سلوكها وهي تبني شباكها تحت تأثير انعدام الجاذبية في الفضاء الخارجي. ويواصل العلماء بحوثهم المكثفة للإفادة من حرير العنكبوت على النطاق التجاري، على غرار ما حدث بالنسبة لاستخدام الحرير المنتج بواسطة دودة القز.

وتتجلى روعة الإعجاز العلمي في التعبير القرآني عن الفعل بصيغة المؤنث في كلمة «اتخذت»، وهي إشارة في غاية الدقة للدلالة على أن الأنثى - وليس الذكر - هي التي تقوم بصنع نسيج البيت، وهو ما كشف عنه العلم الحديث بالنسبة لغالبية أنواع العناكب.

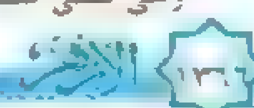
هذا بعض ما عرفه العلم عن العنكبوت التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتين، وسميت باسمها إحدى سور القرآن الكريم، وهي سورة «العنكبوت». وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾

(سورة لقمان: ١١)

سر الضحك والبكاء

لما كان الإنسان كثير النسيان، فقد أمده الله - سبحانه وتعالى - بالعديد من الآيات البينات التي يحاول فهمها والوقوف على بعض أسرارها، ومن آيات الله في الإنسان معجزة الضحك والبكاء اللتان أشار إليهما القرآن الكريم في قوله تعالى:



﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾

(سورة النجم: ٤٣)

فهو سبحانه الذي يعلم سرهما، ويهيمن على الأسباب التي تدفع إليهما، فالإنسان ربما يعرف الأسباب التي تدفعه إلى الضحك أو البكاء، ولكنه لا يدري شيئا عن السر في ذلك لأنه مرتبط بتعلق مشيئته الإلهية.

ويتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بأنه المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يضحك أو يبكي. فهو يضحك إذا سمع أو رأى ما يبعثه على الضحك، قال تعالى:

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾

(سورة النمل: ١٩)

أو إذا أحس بسعادة غامرة:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾

(سورة عبس: ٣٨ - ٣٩)

أو إذا رأى موقف التشفي من المواقف المتقابلة.

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾

(سورة المطففين: ٣٤)

وأحيانا يكون الضحك من قبيل السخرية والاستهزاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾

(سورة المطففين: ٢٩)

وأما عن البكاء، فالإنسان يمكن أن يكون بكاؤه خوف وخشية وخشوع، قال تعالى:

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾

(مريم: ٥٨)

وقال تعالى:

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾

(سورة الإسراء: ١٠٩)

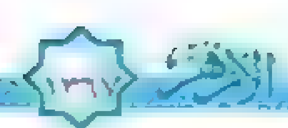
وقد يكون البكاء من الألم والندم:

﴿ وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

(سورة التوبة: ٨٢)

إننا نضحك ونبكي آلاف المرات في حياتنا، وإذا رصدنا هذه الظاهرة، يمكننا أن نعرف السبب الذي يضحكنا أو يبكينا. وقد نحلل هذه الأسباب، ولكننا لا نعرف كنه السر الداخلي فالله - سبحانه وتعالى - هو الذي أضحك وأبكى، وهو العليم بسر الضحك وسر البكاء.

***



دور الوقف في خدمة المجتمع

اقتضت حكمة الله تعالى من بعث الرسل، تحقيق سعادة البشر في حياتهم الدنيا والآخرة. ومن ثم كانت أهم خصائص رسالة الإسلام الخاتمة، أنها كما هي عقيدة، تنظم علاقة الإنسان بربه، فهي شريعة، تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بما يحقق لهم جميعا هذه السعادة. وقد كفلت هذه الشريعة العديد من الوسائل، التي توصل إلى هذه الغاية، ومنها نظام الوقف، الذي قالت عنه المذكرة الإيضاحية للقانون الصادر في شأنه رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦: إنه نظام مشروع، عاش أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، كان خلالها مصدرا للخير، ومنبعا غزيرا، يفيض على جهات البر المختلفة، وقد وقى كثيرا من البيوت العظيمة والأسر الكريمة، من شر نكبات الدهر، وحفظ عليها كيانها.

[illegible]
نائب رئيس محكمة النقض

والوقف بالصور الواسعة على جهات البر، غير دور العبادة، لم يعرف إلا في الإسلام، وكان أول وقف في الإسلام، هو وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي أشار به النبي ﷺ، وكثرت من بعده أوقاف الصحابة، حتى أنه لم يكن أحدهم يملك عقاراً، إلا وقد أوقف بعضه.

وكما يقول أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة: لقد أدى الوقف دوراً كبيراً في باب التكافل الاجتماعي، في عصور طويلة بمصر والشام والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية، فكانت الأوقاف على الفقراء، والخانات لإيواء ابن السبيل وعلى القرض الحسن، بل إن الإحسان في الوقف، تجاوز الإنسان إلى الحيوان، فكان الوقف على بعض الحيوان وتجاوز جلائل الأعمال الظاهرة، إلى الأمور التي لا يلتفت إليها، حتى أنه وجد في بعض الأوقاف، تعويض الأسر عما يتلفه الخدم فيها، رحمة بالضعفاء من هؤلاء الخدم، حتى لا يؤذوا.

وإذا كان الوقف من الصدقات غير اللازمة، إلا أنه اختص بميزة فريدة من بين الصدقات، ألا وهي ما له من صفة الدوام، وذلك لأن موضوع الوقف هو المنفعة المستمرة، فإن له دور متجدد في التنمية الاقتصادية في المجتمع، بل التنمية المستدامة، التي تشمل حاضر المجتمع، كما تشمل مستقبله، بما يحقق الرخاء لأجياله.

وإذ كان التطرق لكل أحكام الوقف، سواء من الناحية الشرعية أو القانونية، من السعة والتفصيل، بما يعجز المجال عن استيعابها، ويضيق المقام عن سردها، فإننا نقتصر في هذا المقام، على بيان دور الوقف في تنمية المجتمع، وما يقتضي استعراض المسائل المرتبطة بذلك، وخاصة من وجهة النظر الشرعية والقانونية والاقتصادية.

تعريف الوقف

أ ـ في اللغة: الوقف له العديد من المعاني، منها: الحبس والمنع، كوقف السيارة أي منعها من السير، ومنها الاطلاع، فيقال أوقفه على الأمر، أي أطلعه عليه ومنها وقف الأرض، أي حبسها ومنع التصرف فيها للغير.

ب ـ في الاصطلاح: اختلفت كلمة الفقهاء حول تعريف الوقف، ونختار ما قاله الأحناف فيه، باعتبار أن الراجح في مذهبهم، هو الواجب التطبيق على الوقف، في حالة عدم وجود نص في القوانين المتعلقة به، فعند أبي حنيفة الوقف هو: حبس العين على ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة. وعند محمد الوقف هو: حبس العين على حكم ملك الله تعالى.

دليل مشروعية الوقف

إذا كانت كلمة الفقهاء اختلفت حول تعريف الوقف، إلا أنه اتفقت على الوصف الشرعي للوقف، وهو أنه من الأمور المندوب إلى فعلها شرعا، وأن دليل مشروعيته وردت في المصادر الأصلية للشريعة الغراء، وهي الكتاب والسنة والإجماع كالآتي:ـ

أ ـ الدليل من الكتاب العزيز:ـ

لما كان الوقف في حقيقته من أوجه الإنفاق في سبيل الله، فقد وردت آيات متعددة في القرآن الكريم تحث عليه، ومنها على سبيل المثال، قول الحق تعالى:

[illegible]

(آل عمران: ٩٢)

ب ـ الدليل من السنة النبوية المطهرة:ـ

وذلك في الأحاديث الآتية:ـ

١ ـ روى البخاري والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «من احتبس فرسا في سبيل الله، إيمانا بالله، وتصديقا بوعده، كان شبعه وريه وروثه وبوله، حسنات في ميزانه يوم القيامة».

٢ ـ روى البخاري والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن عمر أصاب من أرض خيبر، فقال يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر، لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها»، فتصدق بها عمر، على ألا تباع ولا توهب ولا تورث وتكون في الفقراء وذوي القربى وفي الرقاب والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول. وفي بعض الروايات: «وأوصى به إلى حفصة أم المؤمنين

رضي الله عنهما، تولى النظار من آل عمر. وفي بعض طرق البخاري، أن الرسول ﷺ قال: «تصدق بأصله، لا تباع ولا توهب ولا تورث، ولكن ينفق ثمره».

٣- روى مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، وقد قال العلماء: إن فائدة عمل الإنسان وتجديد ثوابه، لا تصل إليه فائدة شيء من عمله كصلاة وحج، إلا من ثلاثة أشياء، فإن ثوابها لا ينقطع، لكونه فعلاً دائم الخير متصل النفع. وفائدة التكرير مزيد تقرير واعتناء بشأنها، والاستثناء متصل تقديره ينقطع ثواب أعماله من كل شيء كصلاة وزكاة وحج، ولا ينقطع ثواب عمله من هذه الثلاثة، ومنها الصدقة الجارية أي الدائمة المتصلة، كالوقوف المرصودة، فيدوم ثوابها مدة دوامها.

ج- الدليل من الإجماع:-

لقد أجمعت الأمة من لدن رسول الله ﷺ، حتى يومنا هذا على مشروعية الوقف، وقد وقع الاتفاق عليه من جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فقد روى ابن قدامة في المغني: جاء اتفاق الصحابة العملي في أوقافهم، لما كتب عمر رضي الله عنه كتاب وقفه في خلافته، وأشهد عليه نفراً من الصحابة، فإنهم تابعوه، ووقفوا أموالهم على طريقته، حتى قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ما أعلم أحداً كان له مال من المهاجرين والأنصار، إلا حبس من ماله صدقة مؤبدة، لا تشترى أبداً ولا توهب ولا تورث.

أركان الوقف

هناك أربعة أركان للوقف، تتمثل في: الواقف: وهو صاحب المال، الموقوف: وهو المال محل الوقف، الموقوف عليه: وهو جهة الخير أو الذرية، بحسب نوع الوقف، خيري أو أهلي، الصيغة الدالة على إنشاء الوقف.

وقد اتفق الفقهاء على أن الوقف من التصرفات التي توجد بإرادة واحدة، وهي صدور الإيجاب من الواقف، دون حاجة إلى قبول من الغير، إلا أن القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بشأن الوقف، تطلب في المادة التاسعة منه، إذا كان الموقوف عليه جهة خيرية لها من يمثلها قانوناً، كالجمعيات الخيرية أو معاهد العلم كالجامعات، وغيرها، أن يصدر قبول صريح من ممثل هذه الجهات، دون غيره، لهذا الوقف، باستغلال ثماره وغلته. وبدون هذا القبول يبطل الاستحقاق في الوقف، وينتقل للجهة التالية لها إن وجدت، فإن لم توجد اعتبر الوقف منتهياً.

ولكل من هذه الأركان شروط متعددة، وأحكام مختلفة، وهي من الكثرة والاتساع مما يجعل ذكرها، أو حتى مجرد التعرض لها، يضيق المقام عن الإشارة إليها، ويمكن الرجوع إليها في الكتب المتخصصة.

تقنين أحكام الوقف

ما قبل صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بشأن الوقف، كان القانون الواجب التطبيق على مسائل الوقف، هو الرأي الراجح في المذهب الحنفي، إعمالاً لنص المادة ٢٨٠ من المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلائحة ترتيب المحاكم الشرعية. ولكن نظراً لأهمية الوقف في حياة المجتمع المصري، بعد صدور قوانين المواريث والوصية، والمجالس الحسبية وغيرها، فقد تدخل المشرع وأصدر القانون سابق الذكر، ثم بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، تتابع صدور العديد من القوانين المتعلقة بالوقف، وهي من الكثرة بما يصعب حصرها بدقة، ولكن يمكن الإشارة إلى المهم والرئيسي منها، وذلك كالتالي:-

١- القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٥٢ في شأن إلغاء الوقف على غير الخيرات، وتعديلاته.

٢- القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣، بشأن النظر على الأوقاف الخيرية، وتعديل مصارفها على جهات البر وتعديلاته.

٣- القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٥٧، بتعديل المادة ٩٧٠ من القانون المدني، بإضافة حكم جديد، بعدم جواز تملك الأموال الخاصة بالدولة أو الأشخاص الاعتبارية العامة وكذلك أموال الأوقاف الخيرية، أو كسب حق عيني عليها بالتقادم.

٤- القانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٥٨، بشأن تخويل وزارة الأوقاف إدارة الأعيان التي انتهى الوقف فيها، متى كان الاستحقاق فيها لأشخاص مقيمين خارج مصر.

٥- القانون رقم ٢٧٢ لسنة ١٩٥٩، الخاص بتنظيم وزارة الأوقاف، ولائحة إجراءاتها.

٦- القانون رقم ٢٦٤ لسنة ١٩٦٠، بشأن استبدال الأراضي الزراعية الموقوفة على جهات البر العامة، للأقباط الأرثوذكس.

٧- القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٧١، بإنشاء هيئة الأوقاف المصرية.

٨- القرار الجمهوري رقم ١١٤١ لسنة ١٩٧٢، بتنظيم هيئة الأوقاف المصرية.

وهذه القوانين ليست وحدها التي تحكم نظام الوقف في مصر، بل هناك العديد من القرارات الجمهورية واللوائح التنظيمية، التي يصعب الوصول إليها وحصرها، وما أوردناه آنفاً ومن باب التدليل على وجود غابة متشابكة من التشريعات الصادرة في خصوص الوقف، بما ينبئ عن صعوبة الإلمام المحيط بكل جوانب هذا النظام.

ومما يزيد من صعوبة الأمر، تلاحق التعديلات التشريعية على قوانين الوقف، إلى الدرجة أن يصدر في العام الواحد أكثر من خمسة قوانين، فعلى سبيل المثال التعديلات القانونية الصادرة عام ١٩٥٣، بالقانون رقم ٣٤٢ لسنة ١٩٥٢، بتعديل بعض أحكام القانون السابق، والقانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣، بشأن النظر على الأوقاف الخيرية، وتعديل مصارفها على جهات البر، والقانون رقم ٣٩٩ لسنة ١٩٥٣، بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢، والقانون رقم ٥٤٧ لسنة ١٩٥٣، بتعديل بعض أحكام القانون ٢٤٧ لسنة ١٩٥٢، والقانون رقم ٦٥٧ لسنة ١٩٥٣، بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧، بشأن إيجارات الأماكن، وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين.

الأهمية الاقتصادية للوقف

من المعلوم أن الوقف، لا تقتصر أهميته على جوانب نشر الدعوة الإسلامية، والتعليم والتدريب وحفظ القرآن الكريم، والرعاية والمساعدات الإنسانية والاجتماعية، بل أصبح الوقف في العصر الحديث، يقوم بوظيفة على درجة كبيرة من الأهمية، ولا سيما في الجوانب الاقتصادية والتنموية في المجتمع.

بنظرة سريعة إلى حالة الوقف في مصر، في بداية خمسينيات القرن العشرين، تتضح هذه الأهمية الاقتصادية للوقف، حيث تشير الإحصاءات الرسمية في هذا الوقت، أن مساحة الأرض الزراعية الموقوفة بلغت ٩٠٠ ألف فدان، بما يمثل نسبة ١٠٪ من إجمالي الأرض الزراعية المصرية، وهي حوالي ٦ مليون فدان، وكان يضاف كل عام، وقف أرض زراعية بمساحة ١٢٠ ألف فدان، وتظهر هذه الأهمية أكثر وضوحا، بالنظر إلى أن إجمالي الأرض الزراعية التي خضعت لنظام الإصلاح الزراعي، بعد ثورة يوليو، بلغ ٦٠٠ ألف فدان.

وفي إحدى الإحصائيات الصادرة عن وزارة الأوقاف، خلال عام ٢٠٠٠، ذكرت الوزارة، أن هيئة الأوقاف المصرية، تقوم بتمويل العديد من المشروعات القومية الكبرى، التي تدفع عملية التنمية، وتدعم النشاط الاقتصادي، كما يؤكد هذه الأهمية، بما أشارت إليه كالآتي:ـ

١ـ المساهمة في شركات: الحديد والصلب، وأدفينا للأغذية والمحفوظات، المصرية للأغذية «بسكو مصر»، وصناعة الورق «راكتا»، والصناعات الكيماوية «كيما»، ومصر للألبان، والعربية المتحدة للغزل والنسيج، والسويس للأسمنت، ومصر للتعمير والإسكان، وغير ذلك من الشركات الإنتاجية.

٢ـ ودائع هيئة الأوقاف في عدد من البنوك المحلية، وبنك القاهرة بالسعودية، والبنك العربي باليونان، وشهادات الاستثمار البنك الأهلي وبنك التنمية، وغيرها.

٣ـ إنشاء المئات من العمارات السكنية، وقامت الهيئة ببيع بعض وحداتها، وتأجير البعض الآخر للأفراد والأشخاص الاعتبارية.

٤ـ استغلال حوالي مائة ألف فدان أرض زراعية، وتأجيرها للمواطنين طبقاً للقانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٢.

٥ـ شراء ٢٢٠٠ فدان من حدائق أنشاص بالشرقية، مزروعة بالفواكه المعدة للتصدير.

٦ـ شراء حوالي خمسة آلاف فدان من أراضي شركة ومبيس الزراعية.

٧ـ تخصيص ٤٨ ألف فدان من مشروع شرق العوينات، وتخصيص ٢٠ ألف فدان في مشروع توشكي، وجاري استصلاحها على نفقة الهيئة.

٨ـ استغلال أعيان وقف محمد علي في فولة باليونان، في مشروعات سياحية.

ومراعاة لهذه الأهمية الاجتماعية والاقتصادية للوقف، فإنه يجب إعادة النظر في كثير من الجوانب العملية في مسيرة تطبيق أحكام الوقف، خاصة من النواحي التنموية والتشريعية، على نحو ما سنحاول بيانه في مقال قادم بإذن من الله تعالى، وهو ولي التوفيق.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاتة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الصدقة تنفع المتوفى (ب)

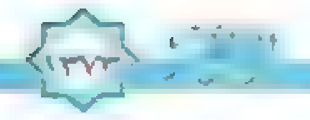
أما قراءة القرآن على المتوفى ففيها خلاف بين العلماء نلخصه فيما يلي:

قال الإمام النووي: المشهور من مذهب الشافعي أن ثواب قراءة القرآن على المتوفى لا تصل إليه، وقال جماعة من العلماء أنه يصل ثوابها، وبهذا قال الإمام أحمد بن حنبل، وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا يصل ثوابها عندنا ولا عند الجمهور، وقال أحمد – رحمه الله – يصله ثواب الجميع كالحج.

قال ابن القيم: والعبادات قسمان: مالية، وبدنية. وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية، ونبه بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات المالية، وأخبر الشارع بوصول ثواب الحج المركب من العبادة المالية والبدنية، فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار. وفي هذا أورد بن الهمت نظر الفروع في صلاة الجنازة ماذا تقرأ في التكبيرة الأولى؟ هذ ومن المعلوم أنه لابد من نية الفعل عن المتوفى.

وإليك بعض الأحاديث الشريفة التي تتعلق بوصول ثواب الصدقة إلى المتوفى في الحديث المتفق عليه عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال نعم.

افتلتت نفسها، نفسَها ونفسُها بنصب السين ورفعها فالرفع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله والنصب على أنه مفعول ثان قال القاضي أكثر روايتنا فيه النصب. وقوله افتلتت نفسها، هذا هو الصواب الذي رواه أهل الحديث وغيرهم قالوا ومعناه ماتت فجأة وكل شيء فعل بلا تمكث فقد افتلت ويقال افتلت الكلام واقترحه واقتضبه



إذا رغبه، وأظنها لو تكلمت، أي لو قدرت على الكلام.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي والترمذي، وغيرهم أن رجلا قال: «يا رسول الله! إن أمي توفيت أفينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: نعم. قال: فإن لي مخرفا فأشهدك أني قد تصدقت به عنها».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. وبه يقول أهل العلم، يقولون ليس شيء يصل إلى الميت إلا الصدقة والدعاء وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلا قال: ومعنى قوله «إني لي مخرفا» يعني بستانا.

وقد سبق أن ذكرت ما يتعلق بالحج والصيام وقراءة القرآن.

فالأحاديث الشريفة السابقة وغيرها أحاديث مباركة فيها الخير والرحمة والبشرى. فيها فتح أبواب قبول الصدقة ووصول ثوابها من الأحياء إلى الأموات، خاصة أولي الأرحام منهم، حيث يقول الله عز وجل:

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾

(الأحزاب: ٦)

وجاء في صحيح ابن خزيمة - رحمه الله - باب الصدقة عن الميت: «خرج سعد بن عبادة مع النبي ﷺ في بعض مغازيه فحضرت أم سعد الوفاة فقيل لها: أوصي. قالت: فيما أوصي إنما المال مال سعد؟! فتوفيت قبل أن يقدم سعد فلما قدم سعد ذكر له ذلك فقال: يا رسول الله هل ينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: نعم. قال سعد: حائط كذا وكذا صدقة عنها».

وعلى ما تقدم فقد رأينا رحمة الله - تعالى - التي أجراها على لسان رسول الرحمة محمد - ﷺ - لتفتح باب القبول للصدقة عن المتوفى سواء أوصى أو لم يوص وسبحان الله إن الصدقة على المتوفى لنيل الثواب وتكفير السيئات، ورفع الدرجات، هي باب عظيم من أبواب بر الوالدين بعد الممات، ومن المعلوم والثابت أن بر الآباء والأمهات من أعظم القربات إلى الله - تعالى - وقد أمر الله - تعالى - عبادة بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك.

فقال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء ٢٣، ٢٤)

كما قرن - جل شأنه - شكر الوالدين بشكره فقال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(لقمان ١٤)

وبعد جعل القرآن العظيم البر بالوالدين وصفا للأنبياء والمرسلين فقال عن يحيى - عليه السلام:

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾

(مريم ١٤)

وقال عن عيسى - عليه السلام:

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾

(سورة مريم آية ٣٢)

وقال عن يوسف - عليه السلام:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

(يوسف آية ١٠٠)

هذا وكم في القرآن الكريم من آيات بينات تحث على البر بالوالدين وترفع منزلة البر بهما إلى الدرجات العلا.

وكذلك في السنة المطهرة الصحيحة من ذلك جعله ﷺ أن بر الوالدين من أفضل الأعمال عند الله - تعالى - بعد الصلاة التي هي عماد الدين.

فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين». قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني».

قال: إن منا من وفقه الله وأعانه على البر بوالديه في حياتهما، ومنا من لم يوفق إلى ذلك الفضل العظيم والخير العميم والرحمة الواسعة، ومنا من لم يسعد بوالديه أو أحدهما وهو شاب يستطيع القيام ببرهما. فأما من وفقه الله - تعالى - إلى أن يكون بارا بوالديه في حياتهما فهنيئا له بذلك وعليه ألا يحرم نفسه من مواصلة برهما بعد وفاتهما، امتدادا للخير له ولهما على السواء، وأما من لم يوفق إلى البر بوالديه في حياتهما أو لم يتمتع بهما وهو قوي وانده يمكنه برهما. فإن الصدقة عليهما فرصة طيبة للبر بهما بعد وفاتهما، ولقد بلغ من فضل الصدقة أنها مع غيرها من أعمال البر التي يصل ثوابها إلى المتوفى، تمحوا العقوق الذي صدر من أولادهما تجاه والديهما. فكم من الناس من أساء إلى والديه وهو يقول: كيف أصلح ما مضى؟ وكيف أعوض الوالدين عن برهما وأكفر عن عقوقي لهما؟

والجواب على ذلك ما رواه البيهقي في شعب الإيمان «عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وإنه لهما لعاق فلايزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله بارا».

وأخرج أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى هذا؟ فيقال باستغفار ولدك لك».

وروى أبو داود وابن ماجة «عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما».



قصيدة العدد

رثاء الأمير شكيب أرسلان للرافعي

نشر أمير البيان أرسلان هذه المرثية الحارة، بعد أن طبع ديوانه الشعرى، فلم تنشر به. لذلك رأيت أن أعيد نشرها، لما تضمنت من تعداد آثار الرافعى، فهى وحدها سجل لتاريخه الكريم رحمهما الله!

إن الذى قد ضم جسمك للثرى … قد ضم فيه العبقرى الأكبرا

كان ابن بحر واحداً فقتلته … بأوائل كانوا جميعاً أبحرا

«الرافعيين» الأُلى فرعوا العلى … وتدبروا فى كل فن عبقرا

هى عزة أبقى «أبو حفص» لها … مجداً يتيه على السماك ومفخرا

جمعت إلى أنسابها أحسابها … وغدت تجر من الأئمة عسكرا

من مثل نادرة الزمان «المصطفى» … سلطان من وشى الطروس وحبّرا؟

إلا تكن قد أنجبت إلا أبا … سام؛ كفاها أن تسود وتظهرا

قد كان فى جيش البيان مكانه … ما كان يوماً تُبّع فى حميرا

ما إن رأى العصر الحديث نظيره … فعلا يبارى الأولين، ولن يرى

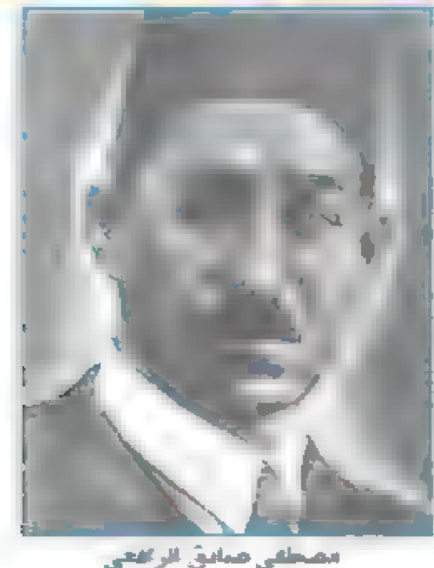
قل للمحاول أن يرى أنداده … أقصر فكل الصيد فى جوف الفرا

ملأ الزمان بدائعاً وروائعاً … بقريحة تحكى الغمام الممطرا

تلك القريحة تمترى أخلافها … أبداً، وليس يغيضها ما يمترى



الأمير شكيب أرسلان



مصطفى صادق الرافعى

بدع خيال لدى العيون مجسما … مهما توارى شخصه وتنكرا

وترى المعانى كالشباه منقادة … مهما تكون من الجآذر أنفرا

ما أن يشق على الجميع لحاقه … من ذا يشق له لعمرى عثيرا؟!

هيهات يطمع طامع فى «المصطفى» … إن صال فى يوم العراك وهدرا

تتصاغر الأقران دون مراره … مثل السباع تكعُّ عن أسد الشرى

كشر التعيهق فى الجديد وبحثه … كم من تكلم بالجديد وما درى

وغدا رجال يحلمون بأن يروا … شمل العروبة فى البيان مبعثرا

حرجت صدورهم بأن يجدوا من الـ … ـقرآن مورد أمة والمصدرا

لتقصدوا أن يطفئوا ذاك الضيا … وتعمدوا أن يفصموا تلك العُرى

وتعللوا قوماً أبت أحلامهم … أن تستبين الرشد أو تتدبرا

فمحا نور الحق آية ليلهم … وأراهم عنه النهار المبصرا

ورماهمُ بكتائب من كتبه … فتطايروا كالحُمر لاقت قسورا

وأتاهم ببلاغة مُطرية … ما كان معجزها حديثاً يفترى

فقدت مقاصدهم لدى آياته ... [illegible] نار الفكرى

من ذا يضارع في البيان عصابة ... قد أوضحوا نهج البلاغة نيرا

[illegible] لسانهم ... تحفظ عنه جميع أئمة الورى

من ذا يطاول في البلاغة أحمدا ... وصحابه، و[illegible] حيدرا

المغربين إذا أجالوا خاطرا ... عنه بأعذب ما يكون وأقصرا

[illegible] المنكرات [illegible] ... ما دار في الألباب إلا أنكرا

تلك العصابة من يحد عن سُبلها ... حقا يقال لقد [illegible] كبرا

زعم الألى نحروا الجديد بأنه ... عصر [illegible] أعصرا

[illegible] التدني في البيان تقدما ... ورأوا الركاكة بالثقافة أجدرا

عمدوا إلى التغيير حتى يُحدثوا ... حدثاً يبلغهم مراداً مُضمَرا

واستظهروا بمقالة تلخيصها ... أن القديم مضى، وولى مدبرا

قد فاتهم أن الحلاوة سرمد ... ومذاق طعم الشهد لن يتغيرا

كم من قديم لا يزال رواؤه ... متألقا يحكي الصباح المسفرا

مهما تقادم جوهرٌ في عتقه ... [illegible] وليس يبرح جوهرا

من حاد عن حب الجمال تعنتا ... يتجنب الأدنى، ويسعى الأحقرا

لغة قلوا أسلوبها، وتخيروا ... عنها كلاما مثل أحلام الكرى

[illegible] الورى ... ويعود قارئه اللبيب وما قرا

[illegible] على عواتقهم ... وأذاقهم مرَّ الكفاح المسفرا

وذرا دعاويهم كما تذر الهبا ... وأعاد حسرتهم هشيما أعفرا

زحفت بلاغته تجر جيوشها ... فانقاد طوعاً من أبى واستكبرا

[illegible] يحرقون عليه من حسد، ومن ... بغض، ولكن يحرقون العنبرا

[illegible] في الأدب النزيه مبرّزا ... حتى إذا شهد السفاهة قصّرا

[illegible] أبا السامي، عليَّ بأن أرى ... ذاك اليراع الجاحظي مكسّرا

من أسرة [illegible] وفعله ... في الخطب يهزأ بالحديد مُعصفرا

[illegible] ... أيدية، ليست تباع وتشترى

[illegible] إن دعوتك جاحظا إلا وقد ... رُزت الرجال مقدما ومؤخرا

ما قلت فيك سوى الذي أيقنته ... ما كنت من كال الرجال فأخسرا

[illegible] ولم يزل ... فيها مؤلفك السراج الأزهرا

ورفعت للقرآن أرفع «راية» ... فلذا غدوت «الرافعي» الأشهرا

[illegible] أمثال النسيم رقائقاً ... كانت على الحساد ريحاً صرصرا

[illegible] طول الحياة لآلئاً ... واليوم نبكيك العقيق الأحمرا

[illegible] ... فيه لبست الطيلسان مجرّرا

[illegible] ... أذكى الأنام فمي، وأبكى محجرا

[illegible] في حلقه ... ذكراً كما أججت مسكاً أذفرا

[illegible] ... لجوار ربك ضاحكا مستبشراً

[illegible] ... من أجله نبكي عليه تحسرا

[illegible] ربك جنة ... [illegible]

أنت الدخيل عليه في ملكوته ... حاشا كريم ذمامه أن يُخفرا

[illegible] ... لا تظمأن وقد وردت الكوثرا

***

قراءة في كتاب

حقوق المرأة

في التشريع الإسلامي والحركة النسوية

٢

[illegible]

كم ينطبق هذا المثل على الفرنسيين الذين يرمون المسلمين بسوء معاملة المرأة وتقارير الغرب تشهد لهم فاضحة بسوء معاملتهم هم لنسائهم وخيانتهم الزوجية التي يتشدقون ويفخرون بكثرتها.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد لنلتمس لهم عذرا، فنقول لعل أبحاثهم تناولت مجموعة من الذين ينتمون للإسلام ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، وإنما وصل الأمر إلى حد نقدهم نظام الشريعة الإسلامية للمرأة: فيتناولون قوامة الرجل وشهادة المرأة وميراثها.

وهو ما يذكرنا بقول الشاعر:

إذا محاسني اللاتي أدل بها
كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

وبرغم ما ظهر من الغرب من كراهية للمسلمين وللإسلام ونبيه.. إلا أن أهل العلم لم يفقدوا صبرهم ولم يزالوا يجلون الحقائق لمن أرادها فلعل الله يهدي بهم صالحا إلى طلب الحق.

من هؤلاء العلماء الأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج الذي نتصفح مع القراء الصفحات الأخيرة من كتابه «حقوق المرأة»..

الخلع مقابل الطلاق

أما الفصل السابع فقد خصصه المؤلف للحديث عن حق المرأة في الخلع فتكلم عن الطلاق بالتصريح والكناية وساق العديد من النصوص للدلالة على كراهة الطلاق وعبر ضرورة تبيحه ثم تناول الخلع ص٢٤٢ فبين أن الله -تعالى- لم يعط للرجل حقا إلا أعطى للمرأة حقا مثله. أما في حالة إعطاء الرجل حق التطليق. فقد أعطى للمرأة مقابله حقين هما العدة والخلع. ولقد سبق وتحدثنا عن حقها في العدة عند بسط القول في قوله تعالى عز شأنه:

﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾

(البقرة ٢٢٨)

وهذا حقها في أن تحسم ما في الرحم من الحمل أو الولد، أو خلوه منهما. وحقها أيضا في حساب عدتها لتبرأ من رجل إلى رجل آخر. لما جاء في الأثر عن عثمان -رضي الله عنه- (الطلاق بالرجال والعدة بالنساء) أما الحق الثاني الذي أخذته مقابل الطلاق -فهو الخلع لقوله تعالى:

﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾

(البقرة-٢٢٩)

وأوضح أن الخلع في الشرع مفارقة المرأة بعوض في مقابل نفسها. كما أوضح أن الخلع والفدية والصلح والمبارأة كلها تؤول إلى معنى واحد، وهو بذل المرأة العوض على طلاقها. إلا أن اسم الخلع يختص ببذلها له جميع ما أعطاها. والصلح ببعضه، والفدية بأكثره. والمبارأة بإسقاطها عنه حقا لها عليه.

ويعرض المؤلف شيئا من أقوال الفقهاء فيقول ص٢٤٤:

ولكن لما كان الطلاق بيد الرجال -ملكا لهم- دون النساء. ولما كانت المرأة تبغض الرجل ولا تقدر على معاشرته، وقد فشل الأهل في الإصلاح بينهما، وقد يأبى الرجل فراقها ميلا إليها ورغبة فيها وحبا، أو حرصا على ما أنفقه عليها في الصداق، وأثناء العشرة، فقد جعل الله -تعالى- لها مخرجا بأن تفتدي نفسها منه، بأن تعطيه ما كانت أخذته منه من صداق وهبات -قال ابن رشد-: والفقه أن الفداء إنما جعل للمرأة في مقابلة ما بيد الرجل من الطلاق. فإنه تعالى لما جعل الطلاق بيد الرجل إذا فرك المرأة جعل الخلع بيد المرأة إذا فركت الرجل.

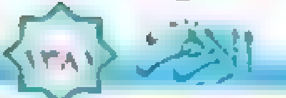
وتناول المؤلف في هذا الفصل عددا من النقاط المرتبطة بالخلع مثل: أصل الخلع. وهل من حق الزوج أن يأخذ من المختلعة زيادة على ما أعطاها؟ وماذا تصنع المرأة إذا لم تملك ما تفتدي به؟ وهل الخلع طلاق أم فسخ؟ وشروط الخلع، وعدة المختلعة.. إلخ.

حقوق الإنسان

والمرأة والرجل فيها سواء

تحت هذا العنوان جاء الفصل الثامن، ولقد أحسن المؤلف أيما إحسان، حين ذكر المقاصد الخمسة إذ من هذه المقاصد الخمسة تتفرع مئات المقاصد التي جاء بها الإسلام للحفاظ عليها، والتي تعرف الغرب عليها بعد عشرات القرون من البعثة النبوية وسماها: «حقوق الإنسان» وادعاها لنفسه. يقول المؤلف ص٢٥٥

وإلى هؤلاء الذين يزعمون بأن العالم الإسلامي قد عيب فلم يدرك حقوق الإنسان نقول لهم: إن الشريعة الإسلامية منذ جاء بها محمد ﷺ: كان لها مقاصد خمسة، يتفرع من كل مقصد منها مئات المقاصد، وهذه المقاصد الخمسة التي تكون



ثم المقاصد التي تتفرع منها هي:

١- الحفاظ على الدين.

٢- الحفاظ على النفس.

٣- الحفاظ على العقل.

٤- الحفاظ على النسل.

٥- الحفاظ على المال.

ولم يكتف المؤلف بهذا حيث وضع نص صحيفة المدينة (أول وثيقة لحقوق الإنسان في التاريخ) ثم عقب عليها ص٢٦٣ بقوله: «ولا تكتفي هذه الصحيفة بذكر الحقوق فقط - كما في وثائق حقوق الإنسان الغربية التي يتباهون بها، التي أعطت للفرد حقوقا مع حرية غير مسئولة - ذلك لأن الصحيفة تتحدث عن واجبات كل جماعة نالت حقوقا من الجماعات المتعددة التي تحدثت عنهم الصحيفة جماعة جماعة، وخصصت لكل جماعة حقوقا، وواجبات تلتزم بها داخل الالتزام العام لنظام الدولة الناشئة، التي أسسها ﷺ عقب هجرته للمدينة».

ثم يقول ص٢٦٨:

«وأعطت الصحيفة لكل من شملتهم في دولة الإسلام الحرية الكاملة في التملك والتصرف، والحركة والاعتقاد، إلا (من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته) فالحرية هنا حرية مسئولة، لأن الحر لا يملك أن يؤذي غيره، أو يقضي عليه بقتل أو ظلم أو إثم أيا كان جنسه ولونه ونوعه، ولا تعطي الإنسان حقا في أن يستعبد غيره».

ويختتم هذا الفصل بقوله ص٢٧٣:

«في عدل ورحمة - كما هو الحال في الإسلام من كفالة الحرية والحياة والحقوق، بل كفالة كل حقوق الإنسان، وواجباته وليس حقوق الإنسان دون واجباته، كما هو الحال فيما أطلقوا عليه: «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» في الغرب».

ثلاث شبهات حول المرأة

أما الفصل الأخير فقد خصصه المؤلف لمناقشة ثلاث شبهات حول المرأة هي:

ميراثها، والقول بأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل، وقوامة الرجل على المرأة، وهي الشبهات التي كثيرا ما لاكها الغرب.

ففي الأولى: وبعد أن استعرض الوضع قبل الإسلام، أوضح أن ما فرضه الله إنما هو فريضة محكمة ملزمة، لأنه - تعالى - حكيم يعلم ما يصلح خلقه. وأوضح أن الإسلام جعل العبء المالي على الذكور دون النساء، وضرب المثل على ذلك ثم أوضح أن الأنثى ترث نصف ميراث الذكر في أربع حالات فقط، وأن هناك حالات ترث فيها الأنثى قدر ميراث الذكر، وأن هناك حالات ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.

أما الشبهة الثانية - وهي أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل - والرد على هذه الشبهة قال ص٢٩٠:

«وعلة الأمر أن المرأة لم تتمرس في الأعمال المالية والتجارية، كما هو حال الرجال، وكما أن مشاعرها العاطفية والعصبية تؤثر فيها، فلا تميل بطبعها إلى الولوج في الأعمال المالية والمضاربات.

وقد يحتج محتج بأن هناك من النساء من تتفوق في الأعمال المالية والتجارة.

ولكن تبين بفحص الأمر والتدقيق فيه، أن النساء اللاتي يعملن في المال والتجارة يستعن بالرجال على هذه الأعمال كمحركين لهن أو مستشارين فيه ونحو ذلك. هذا فضلا عن وجوب التمسك بنص الآية الكريمة، التي تثبت أن النساء أقرب إلى النسيان في هذه الشئون من الرجال. فهو حكم الله - تعالى - الذي فرض وجوب أدائه. لقوله تعالى:

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾

(الأحزاب: ٣٦)

ولقد أصاب المؤلف كبد الحقيقة حين عضد كلامه برأي فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي الذي يقول: «لا عبرة بقول أنصار جمعيات النسوية الذين يزعمون أن خبرة النساء زادت في عصرنا، بعد مشاركتهن في الأعمال المالية وفي مشاركتهن في مجالات السياسة والثقافة والاجتماع، وبعد أن أتيحت وسائل العلم والمعرفة للناس جميعا رجالا ونساء، لأن ذلك يرد عليه بأن المركب في طبيعة المرأة العاطفية والعصبية لا يغيره زيادة علم ولا خبرة، ولا ثقافة».

ولم يفت المؤلف أن يذكر من المذاهب الفقهية بعض المواضع التي تقبل فيها شهادة النساء منفردات.

ثم الشبهة الأخيرة - وهي قوامة الرجل على المرأة - فبعد أن أوضح أن القوامة تعني من يقوم ويسهر على مصالح أهله، فهو قوام عليهم وأن القوامة لا تعني الرياسة، بل هي حماية ورعاية يقول ص٢٥٩:

«فالإسلام عندما فرض النفقة على الرجال، أعفى المرأة من أعباء معينة وبذل النفس، وعصم لها الحصانة والصيانة، فكأن القوامة التي منحت للرجل، عادت بالفضل والكرامة إلى المرأة، ويفهم هذا من التنزيل الحكيم:

﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

لأنه تعالى لم يقل بما فضل الرجال على النساء، أو بما فضلهم عليهن. وإنما جعل الضمير في (بعضهم) عائدا على كل من الرجال والنساء. وإن كان الخطاب بلفظ المذكر. فأكد التنزيل بذلك أن التفضيل في هذه القوامة يشمل الأزواج جميعا: رجالا ونساء. ومن خير ما قيل في ذلك ما قاله الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - يرحمه الله - فقد قال: «وقيام الرجال على النساء، هو قيام الحفظ والدفاع. وقيام الاكتساب، والإنتاج المالي

﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾

فالتفضيل هو المزايا الجبلية التي تقتضيها المرأة إلى الرجل في الذب عنها، وحراستها لبقاء ذاتها، كما قال الشاعر (عمرو بن كلثوم):

يقتن جيادنا ويقلن لستم

بعولتنا إذا لم تمنعونا

وبعد.. فالكتاب إضافة حقيقية للمكتبة الإسلامية ويعد مرجعا شاملا لمن أراد أن يتناول حقوق المرأة بالبحث وهو كتاب يشي بما فيه من علم الباحث، فنسأل الله لكاتبه حسن المثوبة في الدنيا والآخرة.

حاسد حقود يكشف عن نفسه

[illegible]

جلس الوليد بن المغيرة في منزله ذات صباح، وفي وجهه علائم الكدر، وكأن همًا لادعا يملك عليه أقطار نفسه وكان إذا حزبه أمر من أمور الحياة أرسل إلى ابن أخيه (عمرو بن هشام) المعروف بأبي جهل يدعوه، فيكشف له عن ذات نفسه، ويسمع منه ما يراه في أمره؛ إذ كانا متفقين تمام الاتفاق في سياستهما نحو الدين الجديد، ورغبتهما في سيادة بني مخزوم، تلك السيادة التي يربان بني هاشم قد استأثرت بها منذ سيادة عبدالمطلب، وها هو ذا محمد نجل عبدالله بن عبدالمطلب يأتي بالرسالة، لا ليرأس مكة وحدها، بل ليجعل بني هاشم سادة الأرض! هكذا كان يفكر الرجل الكبير وابن أخيه، ومن ثم قد استدعاه ليشاركه الرأي فيما جد من الأحداث، وقد سارع أبوجهل بتلبية الدعوة، وهرع إلى عمه فسلم عليه، وأخذ ينصت إلى ما يقول:

ابتسم الوليد بن المغيرة في مرارة ثم سأل أبا جهل: أعلمت ما كان من أمر النجاشي ملك الحبشة حين رد رسلنا مهزومين مدحورين، مع أنهم حملوا من الأموال وصحائف الذهب والفضة ما فرقوه على الرهبان والبطارقة وأعيان الدولة ليكونوا معهم في أمر المهاجرين!

فقال أبوجهل: كنت أزعم أن مثل عمرو بن العاص في دهائه وحنكته سيستطيع أن يقنع النجاشي بمطلبه؛ فهو خرّاج ولّاج يأتي الأمور من أبوابها، ولكن الموقف كان أكبر منه!

فنظر الوليد إلى صاحبه متعجبا، وقال: أيكون جعفر بن أبي طالب، أقوى حيلة، وأعظم تأثيرا من عمرو بن العاص حتى يفحمه فلا يستطيع أن يرد عليه؟

قال أبوجهل: إن عمرا قد أرضى الرهبان بعد أن قدم إليهم الرشى أن يحملوا الملك على إبرام الأمر دون أن يستمع إلى قول المهاجرين؛ لأنه يعرف أن الملك نصراني يكره الوثنية، وأن المسلمين موحدون؛ فإذا استمع إليهم فقد يتأثر بما يقولون! وقد قام الرهبان برسالتهم، ولكن النجاشي قد رفض اقتراحهم، وأعلن أنه لا يتخذ قرارا حتى يسمع هؤلاء! فاضطر عمرو إلى أن يبدأ الحديث في المهاجرين، فقال: إنهم من سفهاء القوم، فارقوا دين آبائهم، ولم يدخلوا في النصرانية وهي دين الملك، بل جاءوا بدين جديد لا يعرفه أحد من قبل، فلما انتهى عمرو من كلمته، تطلع الملك إلى جعفر بن أبي طالب، وكان هو المتحدث بلسان القوم! فقال على البديهة:

«أيها الملك كنا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولا نعرف صدقه وعدله، فدعانا إلى توحيد الله، وألا نشرك به شيئا ونخلع ما نعبده من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والكف عن المحارم والدماء، وأمرنا بالصلاة والصيام فآمنا به وصدقناه، وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحله، فتعدى علينا قومنا، وفتنونا لنرجع إلى عبادة الأصنام، فخرجنا من ديارنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجونا ألا نظلم لديك!»

قال الوليد: تقول: إن جعفر بن أبي طالب لا يغلب عمرا، إنه هاشمي وهو ابن عبدالمطلب وابن عم محمد، وقد دحر منطقه عمرا بأقوى سلاح! فماذا كان رد الملك عليه؟

قال أبوجهل: قال النجاشي يسأل جعفرا: هل معك شيء مما جاء في كتابكم، فقال جعفر: معي كل ما جاء به، وسأتلو منه قول الله عن السيدة مريم أم المسيح:

[illegible]

(مريم ٢٧-٣١)

فابتهج النجاشي بما سمع، وقال بعد أن أجهش بالبكاء: هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، فوالله لا أسلمكم إليهم أبدا!

انقطع الحديث بين الاثنين وقتا غير طويل، ثم بدأه الوليد قائلا: يا عمرو! إن تأثير القرآن في النفوس لا يغلب وهو إذا يتلى على الأسماع فمثله كمثل البرق يضيء الظلمات، وها هو ذا النجاشي بهت مأخوذا بتأثيره النفاذ.

فرد أبوجهل مستنكرا: أنت تقول ذلك ياعم، فماذا يقول سواك؟! أخشى أن ينتقل قولك إلى بعض الناس فيفتن قلوبهم، وتكون أنت داعية القرآن!

فعض الوليد على شفته، وقال: لم أقل ذلك فرحا به، ومشيدا بتصديقه، ولكني أنقل عن نفسي صادقا حين أسمعني محمد بعض آياته، فقد جذبني جذبا لا حيلة لي فيه!

قال أبوجهل دهشا: ومتى كان ذلك يا عم؟!

فقال الوليد: لقد تحدثت عن ذلك مرارا، ولكنك تنسى أو تتعمد النسيان! لقد ذهبت مع عتبة بن ربيعة، ونفر من سادة قريش نسأله في رفق أن يرجع إلى صوابه، ويترك مهاجمة الأصنام، وعرضنا عليه أن نجمع له من المال ما يرضيه، وإن شاء ملكا ملكناه علينا، فاستمع إلينا في انتباه، وكان رده أن قرأ علينا مما نزل عليه

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۞ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾

(فصلت: ٨ - ١٤)

عند هذا المقطع، وضعت يدي على فم محمد، وسألته أن يكف عن التلاوة فما عدت أستطيع أن أتحمل مثل هذا القول النافذ، وأنا من يومها أحاول أن أتجنب قرآن محمد، لما له من شدة التأثير، وإني لأعذر المتحاشي في مسلكه، فهو إنسان، وقد كان شعور عتبة بن ربيعة مثل شعوري تماما؛ فإنه أفحم ولم ينطق بحرف وخرجنا حائرين!

ثم طرق الباب طارق، فسأل الوليد من القادم؟ فقيل: إنه عثمان بن مظعون، وقد أسلم مبكراً وهاجر إلى الحبشة ثم رجع بعد حين، وقابله الوليد فاحتمى بظله، وأعلن أنه في جواره، فلا يتعرض له أحد، فما الذي أتى به الآن؟ سؤال دار في نفس الوليد، وأيقن أنه سيجد إجابته الساعة حين يحضر عثمان إليه، وأدرك أبوجهل ما في نفس عمه فقال:

أظن يا عماه أنه جاء إليك شاكرا صنيعك به إذ أجرته، ولولاك للاقى من الإيذاء ما يلقاه هؤلاء الصابئون، وما كنت أود أن تجيره ليجد عقبى ما اقترف!! ثم حضر عثمان، فتطلع في وجه أبي جهل قبل أن يسلم على الوليد، فرحب به الوليد قائلا: ها أنت الآن في مأمن يا عثمان.

ففوجئ الوليد بقوله: جئت يا سيد بني مخزوم لأرد عليك جوارك، فلم يطمئن لي بال، وأنا أشعر أني في حماية أحد غير الله!

فصاح أبوجهل: وهذا ما كنت أريده، وستجد حقك من العقاب!

وابتسم عثمان ابتسامة الساخر، وقال: أنت تفتخر بتعذيب الضعاف الأيامى، والأرقاء الذين نالتهم بعقابك، ولكنك تستخذي أمام الرجال، وتصبح فأرا مذعورا؟! ولن يفتخر بتعذيب الأرقاء، والأيامى إلا شخص ضعيف.

فبهت أبوجهل بما سمع، واستطرد عثمان يقول في شجاعة:

أنسيت أسد الله حمزة بن عبدالمطلب، وقد ضربك بالرمح، وشج رأسك، وخشيت عاقبة الهوان، فتقهقرت وقلت للملأ من بني مخزوم دعوه، فقد آذيت ابن أخيه! والحق أن سطوة حمزة قد أفزعتك، ولئن دار قتال بين بني مخزوم وبني هاشم، فستكون أنت أول صريع بيد حمزة، وقد حسبت لذلك ألف حساب. فابتسم الوليد متكلفا ثم قال لعثمان: ثم ماذا؟

قال: لقد خاف أبوجهل بأس عمر، حين أعلن إسلامه، وذهب ليصلي لله في المسجد على رءوس الأشهاد وكان ابن أخيك قد حذر كل مسلم أن يصلي في بيت الله وتوعد من أعوانه من يقوم بالزجر والتأديب، فلما رأى صولة عمر ارتعد، وقال: دعوه، دعوه، فما يطاق!

فقال أبوجهل مستغنيا: أهذا ما لديك؟! هل عندك مثال ثالث غير حمزة وعمر بن الخطاب؟!

فقال عثمان: عندي مثال الأراشي الذي أكلت ماله، ومنعته حقه، وأقبل على الملأ يبحث عمن يشفع لديك، فقال أحد المتهكمين: هو محمد بن عبدالله! قالها ساخرا، ولكن الأراشي قد صدق القول، وبحث عن رسول الله وطلب منه أن يسترد الحق منك، فأسرع إلى منزلك، وقال لك بلهجة الآمر الناهي، رد لهذا الرجل حقه، فأسرعت بالرد، ولم تنتظر دقيقة واحدة!

فتبسم الوليد، وقال لابن أخيه: ما الذي جعلك تتخاذل يا عمرو؟!

فأطرق إلى الأرض، وقال: تخيلت حين رأيت محمدا أن فحلا هائجا من الإبل، يمد عنقه إلي، ولو تأخرت قليلا لابتلعني! أنا والله معذور معذور!

وأراد الوليد أن ينتقل بالحديث من موضوع إلى آخر، بعد أن رأى الاكفهرار الشاحب في وجه ابن أخيه فسأل عثمان مطلقا:

ولكن ما دافعك إلى التبرؤ من حمايتي، وقد ارتضيتها من قبل؟!

فقال عثمان: لماذا لا آخذ نصيبي من العذاب في سبيل الله؟ أيأخذ بلال وعمار وخباب وسمية وصهيب وأبوفكيهة والنهدية وأم عنيس من المسلمين نصيبهم من العذاب، فينالوا رضوان الله، ولا

عمر ما يتحملون؟!

فقال الوليد: ولماذا لم تذكر أبابكر وبيس من مستضعفين؟

فرد عثمان قائلا: لقد ذكرتني! إن أبا بكر كرمه الله وجزاه عن دينه وعن نبيه خير الجزاء هو الذى دفعني إلى أن أقتدى به فى على خلاصي من جوارك حين فعل ذلك مع ابن الدُّغُنة سيِّد الأحابيش، وقد أجاره حين اشتد به الإيذاء، فشكر ثم فكر، وشكر ابن الدّغنة على مسعاه، ثم استعفاه! وهى حالة أولى سبقت حالتي! ولو كان لأبى بكر الرقيق الشفيق بأس حمزة أو عمر ما تجرأ على سبِّه وإيذائه أحد الذين يحرصهم ابن أخيك. وسيكون له يوم!

فزع أبوجهل فزعًا مخيفا حين سمع قول عثمان، سيكون له يوم، ثم تساءل فى انكسار من أحرك بيومى؟

فردّ فى ثقة: أخبرنا الصادق الأمين!

رانَ على المجلس سكونٌ، وأحسَّ عثمان أنه أدّى رسالته حين استعفى من جوار الوليد، فعجّل بالانصراف وبقى الوليد مع ابن أخيه صامتين، وكأنّ قُفلاً قد سدّ فمويهما أمداً غير قصير!

ثم قال الوليد متكلفا الابتسام: أراك جزعت قليلا من حديث ابن مظعون.

فتأوه عمرو تأويهة حارق، وقال أجل يا عم قد جزعت، لأني مع عدائي الشديد لمحمد، وبغضي إياه أعنف ما يكون البغض، أعرفُ من أعماقي أنه صادق، وتلك هي بلواى؛ لأن اعترافي بصدقه هو الذى يجعلني أكن له من الحسد وأقول لك وحدك، ما لا طاقة لي به! وقد حاولت أن أبرأ منه فلم أستطع ولن أستطيع!

حسدتُ محمدا حين رأيت قريشا تدعوه فى شبابه الباكر بالأمين ولا تصف بذلك الوصف أحدا سواه، وحسدتُ محمدا حين تزوج من خديجة بنت خويلد بعد أن ألحت هى فى طلبه، وقدّمت إليه مالها عن رضا وسماح، ففاز بما لم يفز به سواه.

وحسدت محمدا حين جعل ورقة بن نوفل يذيع فى الناس أنه النبى المنتظر، وأن الوحي سينزل عليه من السماء. وهذا ما كان.

وحسدتُ محمدا، حين أجمعت قريش يوم بناء الكعبة على تقديمه لحمل الحجر الأسود بيده، ووضعه فى مكانه فكان له فخر الدنيا وسعادة الحياة!

وحسدتُ محمدا؛ لأني أعرف عن يقين أنّ جهادى ضده ضائع فى الريح، وأنه مؤيد بنصر من السماء. ولكني مع ذلك أسعى فى الكيد له لأقصى ما أطيق! وسأستمر ولن أحيد!

ثم سقطت عبرةٌ من عينيه لم يدرِ الوليد كيف يفسرها، أهى عبرةُ الندم، أم عبرة الحسد المبيد!

وطرق الباب آخرون. فاستأذن عمرو فى الخروج، إلى حيث لا يعلم أين يسير!

دلالات الألفاظ الخاص والعام والمشترك





تتنوع الألفاظ الى خاص، وعام، ومشترك

ولا يخفى ان اللفظ الخاص هو: ما دل على معنى واحد فقط على سبيل الانفراد. كما لا يخفى أيضا ان اللفظ العام هو: ما وضع لمعنى واحد على سبيل الشمول والاستغراق، اى انه يشمل جميع افراد المعنى الذى وضع له.

واما ان يوضع اللفظ لمعان متعددة بأوضاع متعددة. فيشملها جميعا، ويصدق عليها كلها. ويصلح لكل واحد منها. فيسمى هذا اللفظ فى هذه الحالة: مشتركا. لانه يشترك فى معناه أشياء كثيرة يطلق على كل واحد منها.

وعلى هذا يمكننا - علماء الأصول - أن نقول: إن اللفظ الخاص هو الذى وضع لمعنى واحد اختص به لا يدخل معه غيره، سواء كانت هذه الوحدة حقيقية - مثل أن تطلق على شخص واحد فرد، مثل محمد وعلى وثابت - أم كانت هذه الوحدة ذهنية - مثل رجل وإنسان، فإن كلمة رجل وإنسان وإن كانت تشمل كل الرجال، وكذلك كلمة إنسان جامعة. يدخل تحتها كل حيوان ناطق، إلا أنها رغم ذلك - عند الأصوليين - تسمى لفظا خاصا، وأيضا كذلك يسمى لفظا خاصا وإن لم يكن له وجود مشخص فى الخارج، بمعنى أنه كان معنى ذهنيا فقط،

ومثل رأى وعلم وعدل ورحمة، وأيضًا يدخل في اللفظ الخاص ما كانت وحدته اعتبارية، مثل: قوم ورهط وطفر، وأسماء الأعداد مثل اثنين: وثلاثة وعشرة ورجلين وشهرين.

ولك أن تسأل كيف يكون معدد كهذا (خاصًا)؟

وما هو العام إذن؟

أقول لك أولاً: إن لكل علم اصطلاحاته، فيجب عليك أن تسلم لأهل الأعراف اصطلاحاتهم.

ثانيًا: إن الخصوص هنا جاء من أن معنى اللفظ محدد. ولا يعم غير ما أطلق عليه، وهذا بخلاف العام الذى سوف يأتي تعريفه، حيث إن لفظ الخاص مثل (اثنين)، ومثل (ستين)، لا يحتمل معنى آخر، فهو قاصر على ما دل عليه، لا يدخل غيره فيه بخلاف العام.

وحكم اللفظ الخاص: أنه يدل على معناه على سبيل القطع ولا يتطرق إليه احتمال، فهو يفيد معناه ويدل على ما وضع له، ولا يكون معه احتمال آخر.

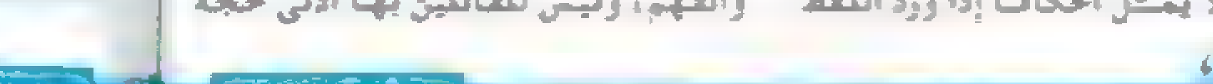
على أن اللفظ الخاص قد يرد مقيدًا تارة، وقد يرد مطلقًا من غير قيد، وبناء على ذلك فيكون هناك لفظ خاص مقيد، كما يكون هناك لفظ خاص مطلق.

وإطلاق الخاص وتقييده. لا يشكل خلافًا ولا يمثل أحكامًا إذا ورد اللفظ خاصًا في موضع، ثم ورد لفظ آخر مقيد في موضع آخر، فإنه لا خلاف بين العلماء - ولا ينبغي أن يكون - فيبقى المطلق على إطلاقه والمقيد بقيده.

أما الحالة التي تمثل خلافًا ويترتب عليها أحكام، فهي ما إذا ورد اللفظ الخاص مطلقًا في نص، وورد نفس اللفظ مقيدًا في نص آخر، فهنا يثور سؤال، وتترتب أحكام، فهل يعمل بالمطلق فيبقى على إطلاقه في نصه الذى ورد فيه؟ ويعمل باللفظ المقيد في نصه الذى ورد فيه؟ أو يجب أن يحمل المطلق على المقيد؟

وقبل أن نجيب عن هذا التساؤل، علينا أن نبين معنى حمل المطلق على المقيد فنقول: إن معنى حمل المطلق على المقيد أن يعمل باللفظ الخاص المقيد بالقيد الذى ورد في النص ولا يعمل باللفظ الخاص الذى لم يرد فيه قيد، فما معنى هذا الكلام؟ وهل يجوز لنا أن نلغى نصًا ورد عن الشارع الحكيم في كتاب أو سنة ولا نعمل به؟

إن هذا السؤال مبنى على تسرع غير حميد، لأنه مبنى على ظن أو اعتقاد بأن أحدًا من الناس يمكن أن يلغى نصًا من كتاب أو سنة!!! فتلك دعوى فيها من النزق والتسرع والجراءة أكثر من التريث والفهم، وليس للقائلين بها أدنى حجة



إلا فعله سيدنا عمر - رضى الله عنه - في عام الرمادة، فسيدنا عمر - رضى الله عنه - لم يلغ نصًا في حد من حدود الله تعالى، فعند تطبيق الحد - أى حد - تكون ثمة شروط واجبة التحقيق، فإذا لم تتحقق الشروط كاملة، لا يجوز تطبيق الحد. وهذا الفهم لتطبيق الطب الرحيم، هو الذى أدركه أهل الفقه والحديث، فقد بدأوا كلامهم والأبواب التي تناولوا فيها شرح الحدود في الفقه والحديث - بقوله ﷺ: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»[1] والذين يمارون في هذا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لكن حاجة في نفوسهم يحرفون الكلم عن مواضعه.

ولعله قد تبين مما سبق أن الخاص إذا ورد مرة مطلقًا وورد مرة مقيدًا، وجب إعمال القيد. ولا يعنى ذلك إلغاء المطلق، إنما هو في الواقع السديد الرشيد إعمال للنصين معًا. وليس فيه إلغاء لأحدهما. فإذا طلبت من ولدك - مثلاً - وقلت له: سافر إلى الإسكندرية غدًا، ثم قلت له: سافر إلى الإسكندرية واصطحب أخاك معك، فعلى الأمر الثاني قيدت السفر باصطحاب الأخ. وفى الأمر الأول لم تقيد السفر باصطحاب الأخ.

أفلا ترى أن تطبيق النص المقيد ليس فيه إلغاء للنص المطلق؟ بل فيه إعمال له وزيادة القيد الذى ورد في النص الآخر.

وقد اتفق علماء الفقه على أن المطلق يحمل على المقيد في هذه الحالة.

لكن تباينت آراؤهم فيما لو ورد اللفظ الخاص، مرة مطلقًا في نص، وهو هو ورد في نص آخر مقيدًا، فهل يحمل المطلق على المقيد في كل حال؟

تعددت آراء الفقهاء في ذلك، وبيان ذلك يتلخص في أربع حالات:

١ - الحالة الأولى: أن يتحد النصان في السبب وفى الحكم.

٢ - الحالة الثانية: أن يتحد النصان في السبب ويختلفا في الحكم.

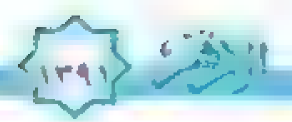
٣ - الحالة الثالثة: أن يختلف النصان في السبب ويتحدا في الحكم.

٤ - الحالة الرابعة: أن يختلف النصان في السبب ويختلفا في الحكم.

وسنبين كل حالة من هذه الحالات الأربع بإذن الله تعالى في حلقات تالية، مع التمثيل لكل حالة من الكتاب والسنة. والله الموفق للصواب.

---

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي.



مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام

العداء للإسلام في أغلب مجتمعات دول الغرب لم ينقطع يوما ما. فالكتب التي ألفت وتؤلف ضد الإسلام. والمقالات التي نشرت وتنشر في وسائل الإعلام المضلل -الذي أساء للمسلمين إساءة بالغة. حيث قدمهم للعالم في صورة إرهابيين معتدين قتلة. بل وقدموا الإسلام ذاته على انه دين عنف - لم تتوقف. والاتهامات الباطلة ضد الإسلام -والتي تحذر منه لانه دين يكره الناس على اعتناقه. وعلى استباحة اموال وأعراض وأرواح غير المسلمين- لم تهدأ ولم تفتر.

غير ان أعداء الاسلام تجاوزوا الحدود والخطوط في عدائهم للإسلام إلى التطاول على شخصية الرسول ﷺ. فتناولوه بالرسوم الكاريكاتورية السيئة التي نشرت في وسائل الإعلام المختلفة. والتي تنطق بعداء سافر للإسلام والمسلمين. وتكشف عن حقدهم البغيض على الإسلام. وعلى الجرأة في السخرية برسل الله وأنبيائه. وانعدام احترام الرموز الدينية للأديان. كما حدث في الدنمارك وفرنسا وايطاليا... كما تتمثل في الاحاديث المتدنية الساقطة التي يدلي بها -للأسف الشديد- بعض من ينتسبون إلى رجال الدين غير الاسلامي عبر الفضائيات. وعبر الانترنت.

والفيلم الذي انتجه شيطان هولندي متعصب حاقد على الاسلام. مستخدما بعض كلمات ايات قرانية لم يكملها. توحي لمن يسمعها - وهي مبتورة عن بقية كلمات الايات التي تكمل وتوضح المعنى الصحيح لها- توحي له ان القرآن الكريم يدعو إلى الاعتداء على الاخرين وقتالهم. وإلى استباحة ارواحهم وأموالهم. في محاولة منه دنيئة غير اخلاقية لتشويه صورة الاسلام والمسلمين.



عضو مجمع البحوث الاسلامية

إذا كنا نعاني من تلك الإساءات المتكررة للإسلام من أعدائه. وإذا كنا نتألم من اتهام الإسلام زورا وبهتانا بالإرهاب والقتل وسفك الدماء. وإذا كان أعداء الإسلام قد تجاوزوا الخطوط والحدود في عدائهم للإسلام إلى التطاول على شخصية الرسول ﷺ.

إذا كنا نقاسي من كل هذا. فما علاج ذلك؟

ليس علاج ذلك أن نتردى في إسفافهم بإسفاف مثله فنرد عليهم بمثل سفاهتهم. لأننا نؤمن بجميع الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله- سبحانه ونحترمهم ونجلهم. وقد أمرنا الله بذلك:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(الأنعام: ١٠٨)

وليس العلاج أيضا أن نصاب بالإحباط فنتقوقع وننكمش على أنفسنا ونغلق أبواب الاتصال بغيرنا. ونعلن مقاطعة الحديث والتفاهم معهم.. لأننا إذا فعلنا ذلك فقد حققنا لأعداء الإسلام

ما يصبون إليه، ووقعنا في الشرك الذي ينصبوه لنا، وأكلنا الطعم الذي رموه لنا، لذا كان المتربصون بالإسلام يستغلون عزلتنا عن العالم ويجعلوننا محاصرين في دائرة مغلقة ليكيلوا لنا الاتهامات بأن الإسلام دين يرفض التعامل والتعايش مع غيره من الأديان، وأن المسلمين منغلقون على أنفسهم يحاربون من عاداهم، ويقاتلون من لا يدين بدينهم.

إن العلاج الآن هو أن نكرس جهودنا، ونبذل كل ما في وسعنا لإيضاح حقيقة الإسلام [illegible]، الذي جاء خاتمًا لكل الرسالات السماوية، وفيه ما تحتاجه البشرية في جميع مجالات حياتها إلى أن تقوم الساعة، وأن نبي الإسلام محمدًا ﷺ أرسله الله- تعالى- رحمة للعالمين وهدى للمتقين وإمامًا للمرسلين... وأن سيرته العطرة من يوم مولده إلى أن لقي ربه حافلة بالعطاء للبشرية، يدعو إلى الخير ويرفض الشر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يحاور ويناقش ويجادل كل الناس بالحسنى؛ يحترم النفس البشرية ويحرم الاعتداء عليها وعلى عرضها وماله.

وتحقيق ذلك يتطلب منا أن نعمل في مجالات كثيرة متنوعة، والمقام هنا لا يسمح ببسطه أو الحديث عنه.

وإنما أقصر حديثي هنا عن الحوار الديني.

دور الحوار الديني

تعود أهمية الحوار الديني في علاج تلك الاتهامات المكرورة للإسلام إلى الآتي:

١- حاجة الإنسانية الملحة للحوار بوصفه أحد سمات عصرنا الثقافية، وعدم إلغاء الآخر، والديانات والنزاعات الدينية، ولا يمكن لنا أن نعيش بمعزل عن الظواهر الكونية التي فرضت نفسها على شعوب العالم... بل يجب علينا أن نشجع الإيجابي منها الذي يتفق وتعاليم ديننا الحنيف، ونرفض السلبي منها الذي يتعارض وأحكام دينه.

٢- التصدي لظاهرة تحويل النزاعات السياسية في بعض مناطق العالم إلى نزاعات دينية ومذهبية، لكن ما يمتد ذلك التحول من تأجيج للنزاعات على نحو بالغ الخطورة، يستهدف عقائد ومشاعر وروحانيات الناس في جميع

(١) مجالات العلاج كثيرة جدا ومتنوعة ويصعب أن نشملها جميعا مثل [illegible]

بقاع العالم الكوني.

٣- الحاجة الملحة إلى ضرورة تصحيح الصورة المغلوطة للإسلام عقيدة والشريعة والقيم والمبادئ الأخلاقية والثقافة والتاريخ التي تقوم بترويجها وبثها وتوزيعها دوائر إعلامية غربية، في مناطق عديدة في العالم، والحوار وسيلة فعالة وناجحة لتحقيق ذلك.

٤- ضرورة إبراز الحقائق والتمايزات بين الإسلام وتعاليمه ومبادئه السمحة، وبين تصرفات بعض الغلاة والمتشددين ممن تربوا على [illegible] الآخرين وفق تفسيرات فقهية تتسم بالغلو والتشدد على نحو ما تم في أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، وأحداث الأقصر ووسط القاهرة وطابا وشرم الشيخ، وأحداث شرق [illegible]، وأحداث [illegible]، وأحداث جزيرة بالي، وأحداث قطار مدريد، وأحداث أنفاق لندن وغيرها.

المنهج المطلوب لتفعيل الحوار الديني

ما دام الحوار هو لغة الإسلام، وما دام الإسلام هو اللغة التي ارتضاها الحق عز وعلا لتكون لغة للتفاهم بين البشر، وهو اللغة التي علمها الله لنا في القرآن الكريم، وما دام الحوار قد فرض نفسه على العلاقات الدولية في العالم، وأصبح ضرورة تحتمها طبيعة [illegible] في عصرنا الحالي [illegible]، وضرورات [illegible]

فإن الدين والواقع يحتمان علينا أن نلج الحوار ولا نغلقه، وأن نتمسك به ولا نرفضه، وأن نشجعه ولا نخذله...

لا سيما وأننا نواجه أعداء متربصين بنا، يتمنون أن نرفض الحوار الديني ونقاطعه، كي يهللون ويصيحون مستخدمين ذلك ذريعة لتأكيد تهمهم الباطلة للإسلام بأنه دين انعزالي لا يقبل الآخر ولا يتعامل معه...، والصهيونية العالمية عندها من وسائل الإعلام المتنوعة ما يمكنها من نشر أباطيلها، وتعميم [illegible].

وعلى ذلك فإن المصلحة العامة تقتضي الاستمرار في الحوار الديني، وأن نشجعه ولا نتخلى عنه...

غير أن الحوار الديني الذي بدأنا نمارسه في أواخر القرن الماضي وحتى الآن، يحتاج منا إلى تقييمه، وإلى أن نضع له ضوابط تراعى فيها مبادئ أساسية هامة عند ممارسته، لضمان تنفيذه في إطار من المنطق السليم، والفكر المستنير، والجدال والمناقشة بالتي هي أحسن، وإخلاص النيّة في الوصول إلى الحق والصواب، وإلى الخير والرشاد... من هذه الضوابط:

(أ) اتفاق الطرفين المتحاورين على تحديد الهدف من الحوار: وهو الوصول إلى الحقيقة والصواب في موضوع محل الحوار، وقبول الحق والتسليم به متى ثبت بالدليل الواضح والبرهان

الساطع، والحجة القوية السليمة... حتى ولو كان إظهار الحق على يد الطرف المخالف.

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي - رحمه الله- عند الحديث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المتناظران والمتحاوران في مسألة معينة، يقول [٢]

" أن يكون المتحاوران في طلب الحق كناشد الضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينا لا خصما، ويشكره إذا عرفه خطأ، وأظهر له الحق".

ويقول الإمام الشافعي- رضي الله عنه-: "ما نظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ، وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يظهر الله الحق على لساني أو على لسانه، وما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرني أحد على الحق إلا سقط من عيني ورفضته، ووددت لو انتفع الناس بعلمي دون أن ينسب إلي منه شئ".

(ب)- الالتزام بموضوع الحوار، وعدم الخروج عنه عند المناقشة وتبادل الآراء فيه بين المتحاورين، فكثيرا ما نرى عند مناقشة موضوع معين محدد تعمد بعض الأطراف المتحاورة الخروج عن الموضوع والدخول في موضوعات فرعية جانبية لا علاقة لها بالموضوع الأصلي، فتتوه الحقيقة ويتشتت الفكر، وتتشعب المسائل، وبدلا من أن يكون القصد هو الوصول إلى حل مشكلة معينة محددة هي موضوع الحوار، إذ بنا نغوص في مستنقع من المشكلات ظهرت فجأة ولم تكن في الحسبان، بعد أن اختلطت الأوراق وتداخلت الموضوعات...

(ج) نبذ التعصب للرأي، وضرورة الالتزام باحترام الرأي الآخر، فكثير من الخلافات التي تحدث بين الناس ترجع إلى التعصب الذميم للرأي أو الفكر، أو إلى التقليد الأعمى العقيم، أو إلى الانقياد إلى الهوى والرغبة في تحقيق مآرب شخصية، أو إلى الطموح أو إلى الشهرة... إلى غير ذلك من الأسباب التي تجعل الحوار لا فائدة منه، بل على العكس تكون النتيجة أن يزداد الخلاف، وتتسع الفجوة بين المتحاورين، وتتباعد المسافات، وتنشأ الصراعات، وتحدث المصادمات...

ولكن لو تجرد أطراف الحوار من التعصب للرأي، واحترم كل طرف رأي الآخر، وتم إفساح المجال أمام كل طرف كي يعبر عن وجهة نظره دون مصادرة لقوله أو توجيه إساءة إليه، والتزم الجميع بالحكمة التي تقول "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه" لنجح الحوار وتحققت غايته...

(د)- التزام كل عضو من أعضاء طرفي الحوار باحترام بقية الأعضاء، وعدم التعالي عليهم، والحرص على استعمال الأسلوب الراقي المهذب الذي لا يعرض بالآخرين، ولا ينقص من قدرهم، ولا يحط من شأنهم... وأن يتجنب الكبر والغرور، والتباهي بالأقوال والآراء عند النقاش والحوار، وليحذر أي إنسان عند مشاركته في أي حوار أن يظن أنه وحده هو الذي يملك الحق المطلق والرأي الصحيح، وأن ما عداه أقل منه علما ومنزلة...

(هـ) تحقيق المساواة بين أعضاء طرفي الحوار في المستوى العلمي والثقافي، والإلمام الكامل بالمعلومات عن موضوع الحوار، حتى يتسنى لكل طرف استعمال علمه ومعرفته وثقافته والتعبير عن ذلك بالمنطق السليم، والأسلوب الراقي المهذب، وأن يقدم كل طرف الدليل القوي، والبرهان الناصع الذي يؤيد رأيه... حتى إذا ما اتضحت الحقيقة واستبان الصواب كان ذلك مبنيا على علم مدعم بالأدلة والبراهين الساطعة من غير أن يقلل من شأن أي طرف.

إذ قد لوحظ في بعض لقاءات الحوار أن يتعمد طرف فيها دعوة بعض أعضاء ليسوا على المستوى المؤهل للحوار علميا وثقافيا ومعرفة ونقاشا في موضوع الحوار المحدد "وقد يكونون على مستوى عال من العلم والمعرفة والثقافة في موضوعات أخرى" وذلك بهدف إظهار ضعف الرأي المخالف، وإعلان قوة وصحة الرأي الأول.

وهذا يدخل في باب الغش والخداع والكذب، والبعد عن الصدق والأمانة، ولا يدخل في مسمى الحوار السليم البناء الذي يقصد به الوصول إلى الحق.

(و)- ضمان حرية الرأي في التعبير لأعضاء طرفي الحوار، بشرط عدم تجريح الآخرين، أو الطعن في العقيدة، أو الخروج على الآداب العامة، وضمان الأمن والأمان لهم عند التعرض للآراء المخالفة التي تتبناها بعض السلطات التي في يدها الترهيب والتخويف، فالخوف من الصراحة في الكلام لا يوصل إلى نتائج سليمة...

(ز) أهمية توفير المعلومات الكاملة الصحيحة عن موضوع الحوار لدى المتحاورين، لاسيما إذا كان الحوار يتعلق بموضوعات اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو دينية... حتى يتسنى للمتحاورين مناقشة القضية - موضوع الحوار- بموضوعية، واتخاذ القرار المناسب لها عند الوصول إلى الحقيقة

إذ كيف يتسنى للمتحاورين مناقشة موضوع ما، والمعلومات الصحيحة عنه مجهولة؟؟

---

(٢) كتاب إحياء علوم الدين جـ١- ص٧٦- ط دار الغد العربي.

خاتمة

أختم حديثي بالإجابة عن سؤال يتردد على ألسنة بعض المشاركين، ويجول في خاطر أذهان كثير من المسلمين، وهو:

هل ثمة إمكانية لنجاح الحوار الديني مع الفاتيكان في ظل بابوية البابا بندكت السادس عشر، مع تحفظه وتصديه للاهوت التحرير ومدارسه وحركاته، ومقررات المجمع الفاتيكي الثاني ؟؟

مما لا جدال فيه أن العلاقات بين الفاتيكان والعالم الإسلامي قد تدهورت بعدما تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، خاصة بعدما جاء في محاضرته التي ألقاها في جامعة ريجينسبورج بولاية بافاريا الألمانية يوم الثلاثاء ١٢ / ٩ / ٢٠٠٦م تحت عنوان: "الإيمان والعقل والجامعة ذكريات وانعكاسات"، وربط فيها بين الإسلام والعنف.

وما أثارته هذه المحاضرة من موجة احتجاجات وغضب لدى المسلمين في جميع أنحاء العالم، وقيام مظاهرات احتجاج ضدها، وتصدى قادة المسلمين والسياسيين في العالم للرد عليها.

كما أن السياسة التي اتبعها البابا بالنسبة للحوار الديني بعد توليه البابوية، كانت تدعو إلى الإحباط من الاستمرار في الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي، لاسيما بعد أن قرر في شهر مارس ٢٠٠٦م تقليص دور المجلس البابوي للحوار بين الأديان، وإدماجه في المجلس البابوي للثقافة، ونقل رئيس المجلس الأسقف فتزجيرالد- الذي يجيد اللغة العربية، وله خبرة واسعة في العالم، ويحظى بالتقدير كممثل حاضرة الفاتيكان في المفاوضات مع العالم الإسلامي- نقله وتعيينه سفيرا للفاتيكان لدى القاهرة والجامعة العربية...

إلا أن هناك بوادر تشير إلى تراجع بابا الكنيسة الكاثوليكية عن قراره، فقد قال وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال تارسيسيو بيرتوني، لصحيفة "لاستمبا" الإيطالية: إن مجلس الحوار بين الأديان سيعود إلى سابق عهده كما كان ديوانا مستقلا، وأضاف بيرتوني: أن القرار الجديد يشير إلى الأهمية التي يوليها الفاتيكان لموضوع الحوار بين الأديان...

واعتبر مراسل بي بي سي في روما ديفيد ويلي أن التراجع عن قرار الدمج يعد إقرارا ضمنيا بأنه كان قرارا خاطئا.. إضافة إلى ذلك، سبق أن أعلن البابا بندكت السادس عشر- خلال صلاة التبشير التي أقامها في كاستل غاندولفو- أنه "حزين جدا" لموجة الاحتجاجات التي أثارها كلامه عن الإسلام الذي "لا يعبر إطلاقا عن أفكاره الشخصية".

لكن البابا الذي تحدث علنا للمرة الأولى في هذه القضية الشائكة، والأكثر خطورة منذ تعيينه لم يذهب إلى حد تقديم اعتذارات رسمية طالبه بها العالم الإسلامي.

وفي محاولة منه لتهدئة غضب

المسلمين، قال البابا- أمام حشد في مقره الصيفي في كاستلجندولفو بإيطاليا يوم الأحد ١٧ / ٩ / ٢٠٠٦م- أشعر بأسف بالغ عن ردود الفعل في بعض الدول تجاه فقرات محدودة وردت في خطابي بجامعة ريجينسبرج، والتي اعتبرت مهينة لمشاعر المسلمين، كانت تلك في واقع الأمر اقتباسات من نص من العصور الوسطى، والتي لا تعبر بأي حال عن رأيي الشخصي.

ويصر البابا على أن تصريحاته انتزعت من سياقها، وأنه لم يكن القصد منها الإساءة إلى الدين الإسلامي.

إذا أخذنا في الاعتبار تصريحات البابا التي يؤكد فيها على أنه لم يقصد الإساءة إلى الإسلام، وأن الكلام الذي ورد في محاضرته لا يعبر عن رأيه الشخصي. وأخذنا تصريحات وزير خارجية الفاتيكان بأن مجلس الحوار بين الأديان سيعود إلى سابق عهده كما كان ديوانا مستقلا..

وأضفنا إلى ذلك تربص أعداء الإسلام بنا، وأنهم يتحينون الفرصة- لو أعلنا رفضنا للحوار الديني- لتأليب العالم ضدنا، وفتح ملف أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م من جديد. وربط رفض الحوار الديني بالإرهاب، واتهام المسلمين والإسلام بالانعزالية وعدم التعايش السلمي مع غير المسلمين، وسياسة العداء للإسلام التي يتبناها العديد من الحاخامات اليهود...

إذا راعينا كل ذلك فإننا نقول: بضرورة الحوار الديني مع الفاتيكان، وأنه من المؤكد أن هناك إمكانية لنجاح الحوار الديني مع الفاتيكان في ظل بابوية البابا بندكت السادس عشر...

غير أنه لابد أن تكون لنا استراتيجية إسلامية للحوار الديني مع الآخرين عموما، وأن يدور الحوار الديني بعقلانية وتبصر حول القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان، وحول مشكلات عالمنا المعولم، ولا ينبغي أن نتراجع عن الحوار الديني وآلياته تحت ضغوط بعض الدوائر المعادية للإسلام، أو الإحباط الذي ينتاب البعض إزاء تصريحات يقولها بعض كبار رجال الدين الكاثوليك أو غيرهم التي تنطوي على رؤى سلبية، أو آراء تتسم بالتشدد أو التعصب. فهؤلاء يرد عليهم بعقلانية، ويتم التصدي لهم بالحجة والمعلومة والمنهج العلمي والتاريخي.

وإذا كانت السياسة تعتمد على المعطيات والمعلومات والتحليل والخيال السياسي الخلاق، لأنها لا تعرف- كما يذهب بعض الباحثين- التطير السياسي، أو التفاؤل والتشاؤم. فإنه يجب ألا نأخذ بالتطير أو الإحباط في مجال الحوار الديني- الديني، والحوار الديني- المذهبي، لأن الوصول إلى حالة تهدئة بين أتباع الأديان في عالم اليوم من الأهمية بمكان.

والله ولي التوفيق

إعلان مدريد يوصى بضرورة:

الاتفاق على قواعد للحوار بين أتباع الأديان والثقافات

يحرص المسلمون على الحوار لما له من اهمية بالغة فى حياة الشعوب كل الشعوب. فضلا عن أن الدين الإسلامى السمح قد أكد وخصوصا فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على الحوار مع الاخرة وحدد اسس هذا الحوار ومعاييره ومنطلقاته واهدافه.

وحرصنا على متابعة كل ما دار فى مؤتمر الحوار الاسلامى العالمى بمكة المكرمة وكذلك مؤتمر الحوار فى مدريد فى شهرى يونيو ويوليو الماضيين وكانا برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود واقامتهما واعدت لهما اعدادا متميزا رابطة العالم الاسلامى وبجهود امينها العام الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى وكان للأزهر الشريف دوره فى مشاركة فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الازهر فى مؤتمر مكة المكرمة كما شارك نيابة عنه فى مؤتمر مدريد فضيلة الشيخ على عبدالباقى الامين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

ومؤتمر مدريد الذى نتناول فعالياته وتوصياته كان بالفعل ملتقى لكل الديانات والثقافات تفاعلت فيه الآراء ودارت المناقشات بكل ما يحمله ديننا الإسلامى من سماحة وتقبل الرأى الآخر وصولا إلى الهدف الأسمى من هذه المؤتمرات التى ينبغى أن تستفيد منها البشرية كلها حتى أننا نتوقف عند كلمة قالها الأمين العام للأمم المتحدة وبعث بها لمؤتمر مدريد وهى تمثل بعض الآمال التى تعلقها المنظمة العالمية على الحوار يقول: إن التاريخ لم يشهد فترات اشتدت فيها أكثر من الآن الحاجة إلى الحوار بين الأديان فى العالم فى وقت تزداد فيه الانقسامات حسب الاتجاهات الثقافية والدينية. يكون للطوائف الدينية دور حاسم تؤديه لتعزيز التفاهم ولتشجيع توافق الآراء على القيم والمطامح المشتركة ويرى الأمين العام للأمم المتحدة أهمية مد الجسور بينها وبين الشباب لاسيما والذين يشعرون بالاغتراب والعجز غالبا ما يكونون فى حالة ضعف تسلمهم بعد أن فقدوا الإيمان بالمستقبل للأيديولوجيات المتطرفة.

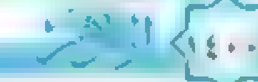
تقويم الحوار وتطويره

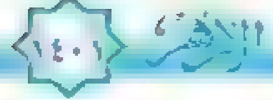
المحور الرابع من محاور المؤتمر العلمى للحوار تناول من خلال بحوثه تقويم الحوار وتطويره ورأس هذه الجلسة الحاخام كلاوديو إيلمان الأمين العام للمؤتمر اليهودى فى أمريكا اللاتينية والكاريبى بالأرجنتين، وقدمت فيها أربعة بحوث وكان أول المتحدثين د.عز الدين إبراهيم مصطفى مستشار رئيس دولة الإمارات العربية للشئون الثقافية وتحدث عن الحوار الإسلامى المسيحى واليهودى ومستقبله وآفاقه وقال إنه لا يبدد شبح التشاؤم بمستقبل الحوار إلا الأمل الجديد الذى حمل لواءه خادم الحرمين الشريفين فى مؤتمر مكة المكرمة ثم مؤتمر مدريد ثم تحدث عن أنواع الحوار (الأكاديمى - التبشيرى - المسيحى - الشبابى - المناظرة) مبينا سلبيات كل نوع منها ورأى أن الدعوة الملكية تشتمل على أربعة مجالات للحوار:

- التراث الإنسانى المشترك وحماية الأسرة والبيئة.
- الحوار بالعيش المشترك.
- الحوار بالانفتاح على الآخرين.
- تأكيد التعاون لتحقيق السلام العالمى

وكان المتحدث الثانى فى هذه الجلسة الراهب شيوجيع رئيس الجمعية البوذية الصينية والذى تحدث عن أهمية الدين كمقوم أساسى للحضارات الإنسانية، وعن المثل الإسلامية التى لفتت نظره مبرزا قوله تعالى:

رسالة مدريد يكتبها:





دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة لتأييد النتائج التي توصل إليها مؤتمر مدريد وعقد دورة خاصة للحوار

• ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(الحجرات: ١٣)

كما تحدث عن المسيحية والبوذية ليصل إلى أن هناك قيما مشتركة في جميع هذه الأديان وذكر ببعض ما تعانيه البشرية من أزمات أخلاقية وبيئية واقتصادية تستدعي الإفادة من المشترك الإنساني في معالجتها، لأن خطرها يتهدد الجميع.

ثم تحدث الراهب شيوجنغ عن بعض الجوانب الخاصة بالعولمة التي تظهر في التقارب بين الشعوب الإنسانية، والذي وصل إلى حد الاندماج والانصهار، وأكد على دور الأديان في تحقيق السلام والسعادة للإنسانية، وأن الصراع باسم الأديان داخل الدين الواحد، أو مع الأديان المختلفة ليس منسجما مع حقيقة الأديان، والواجب الاتجاه إلى تحقيق الانسجام والتفاهم بين أتباع هذه الأديان.

بعد ذلك عرض تجربة التعايش بين الأديان في الصين، وتحدث عن المؤتمرات والجمعيات التي عقدها الصينيون خلال السنوات الأخيرة سعيا لتحقيق السلام والتعايش بين الشعوب.

وقدم المتحدث الثالث الأب نبيل حداد المدير التنفيذي للمركز الأردني لبحوث التعايش الديني خلاصة لدراسة أعدها للمؤتمر أكد فيها على أهمية الحوار وأنه ضرورة حتمية، وليس ترفا فكريا، فقد عد قيمة كونية لا غنى عنها، كما أكد أن الأديان جميعها تؤسس للحوار في أصولها ونصوصها، ورأى أن الواجب إشاعة ثقافة الحوار منددا بفكرة الصراع وأكد على مبدأ التداول والتبادل الحضاري وأنه ينبغي أن يعرف كل منا الآخر، مع ضرورة احترام الخصوصيات الثقافية والدينية والثقافية، ضمن ثقافة التبادل الحضاري.

وفي هذا البحث بين نبيل حداد أن معاناة المجتمعات الإنسانية كانت بسبب ضعف الحوار خلال المرحلة السابقة، وأن الواجب أن تتعاون الدول والمنظمات والمرجعيات الدينية لوضع آليات عملية صحيحة لاستثمار الحوار، ورأى ضرورة خروج الحوار من النخبوية ليصل إلى الجمهور، وأكد أن من أهم معوقات الحوار انتشار الحرب وغياب العدالة.

لماذا الحوار الآن؟

هذا السؤال طرحته في المؤتمر على د. محمد السماك المفكر الإسلامي اللبناني والذي قال: إن هناك ظاهرة عمرها أكثر من عقدين من الزمان وخلال هذه الفترة الطويلة فقد عقدت مؤتمرات حوارية عديدة، لكنها كانت تتميز دائما بأن الداعي إليها كانت جهة



مسيحية، إما الفاتيكان أو مجلس الكنائس العالمي، أو مجلس الكنائس الوطني الأمريكي، أو حتى مجلس كنائس الشرق الأوسط.

وكان المسلمون يدعون إلى هذه المؤتمرات، ويشاركون فيها، ولكن المشاركة الإسلامية، كانت تتم على أساس جدول أعمال، يعده الداعي ولم يكن للمسلمين دور أساسي في وضع جدول الأعمال أو اختيار الأولويات التي يجري الحوار حولها.

وكان ذلك - بلا شك - يشكل عيبا في الحوار ونقصا فيه.

أما الآن.. فهذه أول مبادرة وكان بالطبع هناك لقاءات حوارية بين الأزهر وكانتربري وغيره، لكن على المستوى العالمي الدولي أول مبادرة تأتي من جهة إسلامية وتأتي من المملكة العربية السعودية تحديدا، بما تمثله من خدمة للحرمين الشريفين.

ولذلك فإن لهذه الدعوة نكهة خاصة، لأنها نقلت المبادرة إلى جهة إسلامية، والجهة الداعية هنا أيضا تضع جدول أعمال على أساس الأولويات التي تختارها هي، وهذا ما حدث، وتختار المدعوين إلى المؤتمر الحواري.

حملة عن جهل

هذا المؤتمر يستمد أهميته من متطلبات المهمة الجديدة.

أما لماذا أخذت السعودية هذه المبادرة؟

يشير د. محمد السماك في حواره معي.. في اعتقادي بأنها شعرت بأن حملة الإسلاموفوبيا بمعنى كراهية الإسلام عن جهل

به، وصلت إلى مستويات خطيرة، وأن هذه المستويات أصبحت تسيء حتى إلى السعودية كدولة، وليس فقط كرمز ديني، ولذلك كان لابد من مبادرة ما لتنفيس الاحتقان الدولي، الذي يزداد يوماً بعد يوم في هجومه على الإسلام.

فكانت مبادرة على أساس تقديم الإسلام على أنه دين يقبل الآخر، وينفتح على الآخر، ويؤمن بالرسالات السماوية كلها، وهو أمر مجهول لدى أصحاب العقائد المختلفة الأخرى

بعيداً عن التسييس

● ما بين مؤتمر مكة ومؤتمر مدريد نجد أن الأمر اختلف في مدريد، وخصوصاً ما شاهدناه من بعض الحاخامات الذين حاولوا أن يسيسوا المؤتمر، أو في محاولة للحصول على بعض الخرق.

في رده يقول د. محمد السماك.. في الواقع أنه جرت محاولات من جهات دولية متعددة، وحتى من بعض الجهات العربية لتحويل الحوار الإسلامي المسيحي إلى حوار متعدد الأديان، أي يشمل تحديداً اليهودية.. وكنا نرفض دائماً هذه المحاولات ونتصدى لها، باعتبار أن اليهود حينما يدخلون في حوار تحت مظلة دينية، يوظفون الحوار لحسابات سياسية

ولأننا ضد تحويل الحوار الديني إلى قضية سياسية، ولأننا ضد السياسة الإسرائيلية والوجود الإسرائيلي تحديداً، فلذلك كنا نرفض أن نمنح أو نوفر فرصة لليهود، ليستغلوا حواراً دينياً وليوفروا موقفاً سياسياً لمصلحة إسرائيل.

ما بين مؤتمر مكة ومدريد

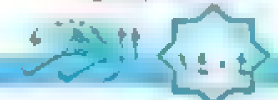
والذي حدث في مؤتمر مكة أنه كان مؤتمراً إسلامياً إسلامياً، بمعنى أن يضع المسلمون تصوراً لكيف يحاورون الآخر، تصوراً مشتركاً، وأن يضعوا آلية للحوار مع الآخر، وأن يدخلوا الحوار متفقين على صيغ أساسية وعلى مبادئ وأولويات أساسية... ما حدث في مؤتمر مكة المكرمة كان يدعو إلى حوار الأديان كلها والعقائد المختلفة، لكنه كان منتبهاً في مكة المكرمة إلى أن ذلك يجب ألا يمنح اليهود فرصة لتوظيفه سياسياً.

وما حدث الآن في مدريد.. أنه بالفعل جرت محاولة لهذا التوظيف وكان هناك وعي بهذه المحاولة وتصدٍ لها.

جاء التصدي من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي أكثر من مرة، حتى في المؤتمر الصحفي

وبعض الأخوة الذين تحدثوا في الجلسة العامة، رداً على ما تحدث به بعض الحاخامات من إسرائيل ومن الولايات المتحدة الأمريكية.. كانت هناك ردود مباشرة بأن هذا المؤتمر عقد من أجل التفاهم على أساس احترام العقائد، واحترام الآخر، وليس لتسييس هذا الاحترام، وتوظيفه في حسابات سياسية

وقد تكرس هذا التصدي في البيان الختامي، الذي صدر عن المؤتمر، حيث لم يعط أي مكسب سياسي، أو أية محاولة



● العمل على إصدار وثيقة تتضمن احترام الأديان واحترام رموزها وعدم المساس بها وتجريم المسيئين لها

تكرس التوظيف السياسي للمؤتمر.

وكل ما حاول أن يقوم به بعض الحاخامات الذين دعوا لمؤتمر مدريد قد أجهضت تماماً، وكان التصدي لها موفقاً بحق.

إعلان مدريد

بعد مناقشات البحوث والتفاعل مع كل ما جاء فيها.. جاء إعلان مدريد ونصه.

إن المشاركين في المؤتمر العالمي للحوار من أتباع الديانات والثقافات العالمية والمفكرين والباحثين، والذي دعا إليه خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، ونظمته رابطة العالم الإسلامي في مدينة مدريد بإسبانيا في الفترة من ١٣-١٥ من رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١٦ ـ ١٨ يوليو ٢٠٠٨م

يستذكرون مقاصد ميثاق الأمم المتحدة التي تدعو إلى بذل الجهود المشتركة لتعزيز العلاقات الدولية، وإيجاد المجتمع الإنساني الأمثل، وتعميق الحوار، والتأكيد عليه أسلوباً حضارياً للتعاون

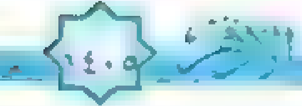
وإذ يشيدون بنداء مكة المكرمة الصادر عن المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي دعا إليه خادم الحرمين الشريفين ونظمته رابطة العالم الإسلامي عام ٢٠٠٨م وإذ ينطلقون من اتفاق أتباع الديانات والثقافات المعتبرة على قيمة الحوار، وأنه السبيل الأمثل للتفاهم والتعاون المتبادل في العلاقات الإنسانية والتعايش السلمي بين الأمم فإنهم يؤكدون على المبادئ التالية:

* وحدة البشرية، وأن أصلها واحد، والمساواة بين الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وثقافتهم.

* سلامة الفطرة الإنسانية في أصلها، فالإنسان خلق محباً للخير، مبغضاً للشر، يركن إلى العدل، وينفر من الظلم، تقوده الفطرة النقية إلى الرحمة، وتدفع به إلى البحث عن اليقين والإيمان.

* التنوع الثقافي والحضاري بين الناس من آيات الله، وسبب لتقدم الإنسانية وازدهارها.

* الديانات الإلهية تهدف إلى تحقيق طاعة الناس خالقهم، وتحقيق السعادة والعدل والأمن والسلام للبشر جميعاً، وتسعى إلى تقوية سبل التفاهم والتعايش بين الشعوب، على الرغم من اختلاف أصولها وألوانها ولغاتها، وتدعو إلى نشر الفضيلة بالحكمة والرفق، ونبذ التطرف والغلو والإرهاب.



* احترام المقدسات الدينية، وحفظ مكانتها، وشجب الإساءة لرموزها، ومكافحة استخدام الدين لإثارة التمييز العنصري.

* الإسلام والوفاق والمصداقية، واحترام خصوصيات الشعوب، وحقها في الأمن والحرية وتقرير المصير، هي الأصل في العلاقة بين الناس، وتحقيقها غاية كبرى في الديانات، وفي أي ثقافة إنسانية.

* أهمية الدين والقيم الفاضلة، ورجوع البشر إلى خالقهم في مكافحة الجرائم والفساد والمخدرات والإرهاب، وتماسك الأسرة وحماية المجتمعات من الانحرافات.

* الأسرة هي أساس المجتمع، وهي لبنته الأولى، والحفاظ عليها وصيانتها من التفكك أساس لأي مجتمع آمن مستقر.

* الحوار من ضروريات الحياة، ومن أهم وسائل التعارف والتعاون وتبادل المصالح، والوصول إلى الحق الذي يسهم في سعادة الإنسان.

* الحفاظ على البيئة وعلى طبيعة الأرض وحمايتها من التلوث والأخطار البيئية التي تحيط بها، هدف أساسي تشترك فيه الأديان والثقافات.

الإرهاب من أبرز عوائق الحوار

ومن أجل التعاون على تحقيق المبادئ السابقة من خلال الحوار، فإن المؤتمر استعرض مسيرة الحوار ومعوقاته، مستحضرا النكبات التي حلت بالإنسانية في القرن العشرين، مدركا أن الإرهاب من أبرز عوائق الحوار والتعايش، وأنه ظاهرة عالمية تستوجب جهودا دولية للتصدي لها بروح جديدة والمسئولية والإنصاف، من خلال اتفاق يحدد معنى الإرهاب، ويعالج أسبابه، ويحقق العدل والاستقرار في العالم.

وبناء عليه يوصي المؤتمر بما يلي:

١ - رفض نظريات حتمية الصراع بين الحضارات والثقافات، والتحذير من خطورة الحملات التي تسعى إلى تعميق الخلاف، وتقويض السلم والتعايش.

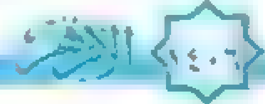
٢ - تعزيز القيم الإنسانية المشتركة، والتعاون على نشرها في المجتمعات، ومعالجة المشكلات التي تحول دون ذلك.

٣ - نشر ثقافة التسامح والتفاهم عبر الحوار لتكون إطارا عاما للعلاقات الدولية، من خلال عقد المؤتمرات والندوات، وتطوير البرامج الثقافية والتربوية والإعلامية المؤدية إلى ذلك.

٤ - الاتفاق على قواعد للحوار بين أتباع الديانات والثقافات، تكرس من خلاله القيم العليا والمبادئ الأخلاقية التي تمثل قاسما مشتركا بين أتباع الأديان والثقافات الإنسانية لتعزيز الاستقرار وتحقيق الازدهار لبني الإنسان.

٥ - العمل على إصدار وثيقة من قبل المنظمات الدولية الرسمية والشعبية، تتضمن احترام الأديان، واحترام رموزها وعدم المساس بها، وتجريم المسيئين لها.

ولتحقيق المقاصد التي يشرف المؤتمر من الحوار، اتفق المشاركون في مؤتمر مدريد على الأخذ بالوسائل الآتية:



في القرآن الكريم الذي أكد على ظاهرة الاختلاف بين بني البشر دعانا إلى التفاهم ولا يتحقق التفاهم إلا من خلال الحوار

١- تكوين فريق عمل لدراسة الإشكالات التي تعيق الحوار، وتحول دون بلوغه النتائج المرجوة منه، وإعداد دراسة بين مؤسسات الحوار العالمية.

٢ - التعاون بين المؤسسات الدينية والثقافية والتربوية والإعلامية على ترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة، وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية، والتصدي للإباحية والانحلال وتفكك الأسرة.

٣- إدراج قضايا الحوار بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات في الأنشطة الشبابية والثقافية والإعلامية والتربوية.

٤ - دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تأييد النتائج التي توصل إليها مؤتمر مدريد والاستفادة منها في دفع الحوار بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات، من خلال عقد دورة خاصة للحوار.

وماذا بعد؟!

ارتفع صوت المسلمين عاليا أمام العالم كله وعلى مدى شهرين متتاليين في شهر يونيو ويوليو من عام ٢٠٠٨. وليشهد أكثر من ٨٠٠ مشارك في مؤتمري مكة المكرمة ومدريد عاصمة إسبانيا، فضلا عن مئات من الصحفيين والإعلاميين ووكالات الأنباء العالمية مدى حرص المسلمين على الحوار..

وبالتالي لابد من أن يستمر الحوار، ولا بديل للعلاقات بين المجتمعات المختلفة إلا بالحوار، والحوار الهادف البناء.

إن إرادة الله أن خلقنا مختلفين.. وهذا الاختلاف صفة لازمة للمجتمعات البشرية..

وسيبقى الاختلاف إلى يوم الدين كما يقول النص القرآني الكريم ونحن نتعامل مع هذا الاختلاف، على قاعدة احترام الاختلاف: «والحكم يومئذ لله هو الذي يحكم بيننا فيما كنا فيه مختلفين»(*)

ولكن القرآن الكريم -نفسه- الذي أكد على ظاهرة الاختلاف بين بني البشر، دعانا إلى التفاهم، ولا يمكن أن يتحقق التفاهم إلا من خلال الحوار، ولذلك لابد من أن نخطو قدما في مسيرة الحوار، على أساس أن نصحح - على الأقل - الصور النمطية السلبية عن الإسلام في الثقافة الغربية في أذهان الكثير في العالم

(*) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (البقرة ١١٣).



الحوار في القرآن والسنة



رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

عالمية الإسلام توجب الحوار على المستوى الإنساني

بما أن الدعوة الإسلامية جاءت دعوة عالمية موجهة إلى جميع الناس ولم تختص كالدعوات السابقة بقوم دون قوم. بل جاءت عامة في الزمان وفي المكان فهي خالدة باقية إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

والقوم الذين بعث فيهم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - والزمان الذي أشرقت فيه الدعوة الإسلامية. والمكان الذي هبط عليه الوحي بها. واللغة التي نزل القرآن الكريم بها. كلها خصائص ومنطلقات لهذه العالمية. المتخذة من الحوار منهجا للإقناع.

● وما نركز عليه هنا هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى وهو القرآن الكريم. الذي يمثل كلمة الله الأخيرة إلى أهل الأرض جميعا ودستوره السماوي للبشرية جمعاء، وإلى يوم القيامة.

فقد أنزل الله تعالى القرآن بالحق مصدقاً للكتب السماوية التي أنزلت من قبله، ومهيمنا عليها. أي إنه مؤتمن على الكتب وحاكم على ما قبله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله. جمع الله فيه محاسن الكتب السابقة، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره كما يقول الإمام ابن كثير.

وتتضح هذه الحقيقة من قول الله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة ٣)

ومن قوله تعالى

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

(المائدة: ٤٨)

وقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بأنه أحسن ما أنزل إلى الناس من ربهم فقال جل شأنه:

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾

(الزمر: ٥٥)

الحوار في دعوة الأنبياء لقومهم

ويبين لنا القرآن الكريم أن كل رسول من الرسل السابقين كان يبعث إلى قوم معينين، وكان عليه أن يدعوهم - بالحوار - إلى نبذ الباطل والسير على منهاج الحق، والالتزام بالعدل فيما بينهم، وعبادة الله وحده لا شريك له...

وقد قص علينا القرآن من أنباء الرسل ما يؤكد أصالة منهج الحوار...

● ففي شأن نوح - عليه السلام - قال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

(هود ٢٥)

● وفي شأن هود - عليه السلام - قال تعالى

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾

(هود ٥٠)

● وفي شأن صالح - عليه السلام - قال سبحانه

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾

(هود ٦١)

● وفي شأن شعيب - عليه السلام - قال تعالى

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾

(هود ٨٤)

● وفي شأن عيسى - عليه السلام - قال تعالى

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

(الصف ٦)

ولقد ابتدأ الحوار بين نبي الله نوح وبين قومه حين رفضوا أن يكونوا مع الضعفاء الذين آمنوا، ويبين الله لنا ذلك في القرآن:

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾

(هود ٢٧)

ولقد رد عليهم مفنداً هذه الدعوة:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾

(هود: ٢٨)

ثم تمضي الآيات ليفند نبي الله دعواهم بكل الحجج التي يقبلها من له عقل سليم...

ومن العجيب أن الكافرين هم الذين سئموا الحوار؛ لأنه لا حجة لهم فقالوا:

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(هود: ٣٢)

ثم بعث الله نبيه هوداً عليه السلام ودعا إلى الإيمان بالله وحده، وأنه إنما يدعوهم لأن الله أمره بذلك، لا يبتغي أجراً منهم ولا محمدة، قال تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(الأعراف: ٦٥)

ولم يقبل قوم هود دعوة نبيهم وقالوا:

﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(هود: ٥٣)

وتمضي الآيات تبين ما قالوه لنبيهم من الأسباب التي تدعوهم لرفض الحق، وظل نبي الله يدعوهم، ولكنه لم يجد منهم آذاناً تصغي ولا قلوباً تعي حتى قالوا أخيراً:

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾

(الشعراء: ١٣٦)

وهكذا أنهوا هم الحوار، وحقت عليهم لعنة الله، ولو استمروا في الحوار باحثين عن الحق لكان مصيرهم غير ذلك.

ومن بعد هود أتى صالح - عليه السلام - الذي صدع بأمر الله، وأخذ يحاور قومه ويرد على ما يوردونه من شبهات أثناء حوارهم له، وكان من قوم صالح أنهم جنحوا جنوحاً جزئياً من خلال الحوار، ويسجل الله لنا ذلك فيقول تعالى:

﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(الشعراء: ١٥٤)

وهم لم يستجيبوا كما فعل قوم هود حين رفضوا دعوة نبيهم جملة وتفصيلاً؛ بل طلبوا آية تدل على صدق الرجل الذي أرسل فيهم، ولذلك فقد قال الله فيهم:

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾

(فصلت: ١٧)

وهكذا حينما تمسكوا بالحوار، وتحكيم العقل هدوا، ثم حينما رفضوا العقل والحوار، ولجأوا إلى القوة، وقتلوا الناقة التي جعلها الله معجزة لنبيهم - عليه السلام - نزل بهم غضب الله الذي لا يرد عن القوم الكافرين، وأهلكهم هلاكاً مبيناً.

ثم أرسل الله نبيه شعيباً، فأخذ يعظهم ويحاورهم، ويحاول أن يستميلهم وأن يوقظ فيهم الفطرة التي فطرهم عليها. قال تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾

(هود: ٨٤)

وأخذ نبي الله شعيب يبين لهم فضل الله عليهم، ويخوفهم من عقابه، ويبين لهم البركات التي تترتب على طاعته؛ وبالمثل أخذ قومه يحاورونه، ويحاولون أن يصرفوه عن دعوته مستهزئين بصلاته حينما قالوا له:

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾

(هود: ٨٧)

وظل الحوار متواصلاً حتى ضاق المكذبون بشعيب - عليه السلام - وقرروا أن يمنعوه عن دعوته بالقوة، وأنهوا الحوار من جانبهم، وقال الله موضحاً ذلك:

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾

(هود: ٩١)

وهكذا انتقلوا من لغة الحوار إلى التهديد بالقتل..!!

أما أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - فقد كانت له مواقف مشهودة في المحاورة، ومحاولة الإقناع بالحسنى؛ فها هو يواجه أباه؛ يحاول أن يبين له فساد اعتقاده وعبادته، ويخاطبه بما يرقق فؤاده عليه علّه يتوب؛ ويبين الله لنا ذلك فيقول:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾

(مريم: ٤١-٤٢)

ويستمر إبراهيم - عليه السلام - ناصحاً لأبيه، مشفقاً عليه؛ حتى ينفد صبر الأب، ويهدده به:

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾

(مريم: ٤٦)

ويستمر إبراهيم في محاورته لقومه، يبين لهم ما هم فيه، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويبين الله لنا ذلك فيقول:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾

(الشعراء: ٦٩-٧٣)

وظل هذا دأبه - عليه السلام - حتى قرروا هم إنهاء الحوار، واعتماد لغة القوة والقهر:

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾

(الأنبياء ٦٨)

● ولم يتحول خليل الرحمن عن الحوار، وعن محاولة إقناع مخالفيه بالحسنى؛ حتى وهو يواجه النمرود الطاغية

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ... ﴾

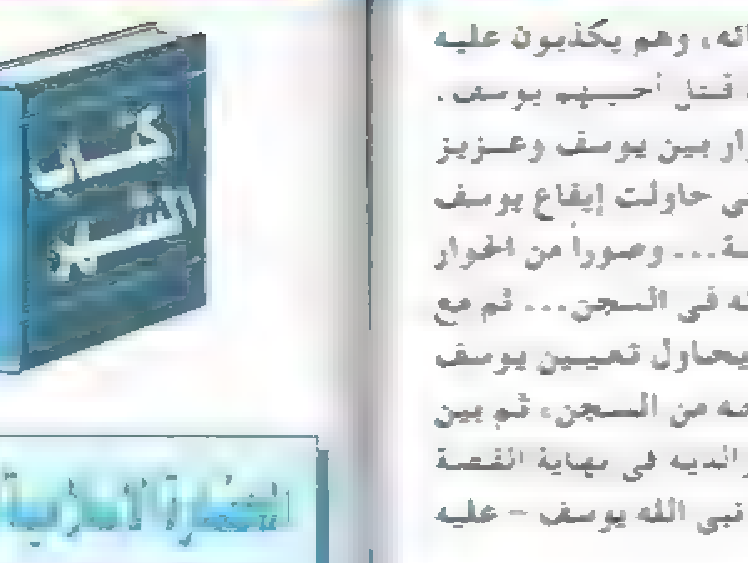
(البقرة ٢٥٨)

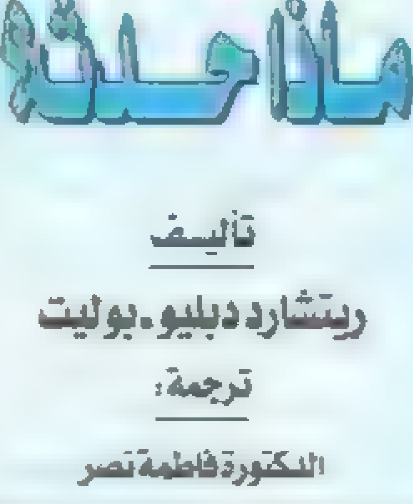
وفى النهاية نصر الله نبيه، وأذل الكافرين بوسائل الحوار والإقناع بالتى هي أحسن.

● وفى قصة يوسف - عليه السلام - نجد فى القرآن الكريم صوراً من الحوار بين يعقوب وأبنائه، وهم يكذبون عليه ليدبروا مؤامرة قتل أخيهم يوسف. وصورا من الحوار بين يوسف وعزيز مصر، وزوجته التى حاولت إيقاع يوسف فى شباك الفاحشة... وصورا من الحوار بين يوسف وزملائه فى السجن... ثم مع ملك مصر وهو يحاول تعيين يوسف وزيراً بعد إخراجه من السجن، ثم بين يوسف وإخوته ووالديه فى نهاية القصة العجيبة... قصة نبى الله يوسف - عليه السلام -.

● وفى قصة موسى صور من الحوار الفكرى والعقدى العجيب بين موسى وهارون من جانب وفرعون وبطانة السوء من جانب آخر... ثم بين موسى والرجل الصالح الذى زوجه ابنته، ثم بينه وبين بنى إسرائيل

● وهكذا تمتد مساحات الحوار عبر كل الأنبياء - عليهم السلام - وأتباعهم... مما يؤكد أصالة الحوار بالنسبة للأديان الصحيحة كلها، وأن الحروب واستعمال القوة طريق الباطل والكفر والضلال





ماذا حدث؟

تأليف

ريتشارد دبليو. بوليت

ترجمة:

الدكتورة فاطمة نصر





إن توأمة الديانات السماوية ووحدة مصدرها التى تعرف عليها (ريتشارد دبليو -بوليت) فى جولته التاريخية، والتى تتوافق مع ما جاء به القرآن الكريم إلا فى بعض الشروح التى افترضها طوائف من ذوى الأغراض الشخصية المنتمين إلى تلك الديانات الذين استغلوا ما نشأ من اختلافات فى رؤى الناس ليؤججوا نيران الحرب والصراع بين تلك الديانات..

هذه التوأمة الدينية، مع الخلافات الناشبة بين أتباعها، والتى أوضح القرآن الكريم فى أكثر من موطن أنها وسيلة تعارف وتعاون وتكامل بين الناس، وليست تدبير صراع وحرب إلا عند من يطغيه العلم، ويخرج به عن الجادة والفطرة..

هذه التوأمة تفرض أن يكون القرآن الكريم مرجع كل الدارسين، ومصدر تفكيرهم فى طبيعة تلك التوأمة، ودعائمها، لأنه الكتاب الوحيد الذى سلم من تدخل الشارحين والمؤولين، وغيرهم من ذوى الأغراض الشخصية

ومن أبرز وأهم ما يقيم القرآن الكريم هذه التوأمة عليه.. قيام العلاقة على احترام الآخر، وتقدير آرائه، ما دام الجميع ينطلق من قاعدة التوحيد، كما يقرره قوله عز شأنه:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران ٦٤)

فلا يحق لأحد أيا كان أن يهيمن بأفكاره

وآرائه على الآخرين، ولا أن يسعى إلى ذلك بسبب عرقه، أو ثروته، أو سلطته؛ فالصواب والهدى يجب أن يسعى إليه المسلم، كما يجب أن يسعى إليه الآخرون، وكما يمكن أن يصل هذا إلى الصواب يمكن أن يصل ذاك إليه، دون تفاضل أو تميز، على نحو ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى

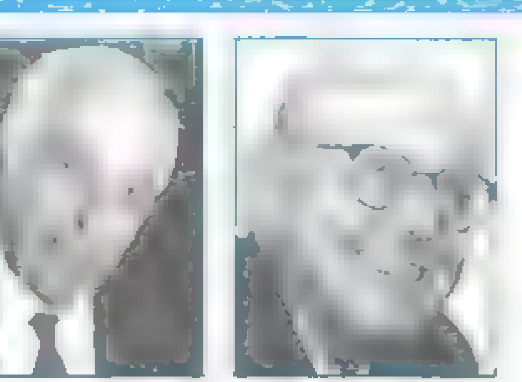
﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

(سبأ: ٢٤)

ولكن القائمين على أمر الغرب المسيحي يغفلون هذه الثوابت القرآنية، ويطلقون لشهوات الاستبداد والهيمنة العنان. فيرددون صيحات الحرب ضد الإسلام، ويتعمدون في ذلك سبيل بكل الوسائل بما فيها التزيي بثياب الحب والوداد.

أمريكا تبحث عمن تحبهم في الشرق

وبعد الاستعراض المفصل لوحدة الأصول الإسلامية والمسيحية التي رأى ثقافة الدينيين -في الأصل- ثقافة توأم طرأ عليها من العوارض -خصوصا مع اعتماد الغرب المسيحي الاستعماري في احتواء العالم الإسلامي، ومع نشاط المبشرين المسيحي المؤازر للمستعمرين- ما أجج الخلاف بينهما، صوره بعض كتاب الغرب المسيحي بأنه (صراع بين الحضارتين)، وبأنه ناشيء عن حقد المسلمين المتخلفين والفقراء على الغربيين المسيحيين المتقدمين والأثرياء،



هنتجتون — برنارد لويس

بعد هذا الاستعراض التفت المؤلف في الفصل الثالث (البحث عن الحب في الأماكن الخطأ) إلى ما أفرزته رؤية (هنتجتون)، و(برنارد لويس)، وغيرهما ممن يرون في الإسلام عدوا يستوجب التهيؤ الدائم للصراع معه، فقد أفرزت هذه الرؤية جماعة من المبشرين الأمريكيين وجماعة أخرى من العلمانيين يسعون إلى استقطاب المسلمين.

أما المبشرون الأمريكيون فقد اعتمدوا على بذل خدمات اجتماعية تلبي حاجات بعض المسلمين في بيئاتهم، متوهمين أن المسلمين -بذلك- سوف تلقي بهم في أحضان أمريكا، ولكنهم قوبلوا ببرود صاعق إزاء تجاوزهم دائرة الخدمة المباشرة. وكشفهم عن أهدافهم الحقيقية من تلك الخدمات

وأما العلمانيون الذين كرسوا جهودهم الدعائية لتحويل عالم إسلامي يكن لهم عميق التقدير، ويمنحهم الحب -هؤلاء العلمانيون أعموا أنفسهم عن حقائق معينة لحياة المسلمين وفكرهم، وأغفلوا ما في نفوس المسلمين من شك حول نزوع الأمريكيين إلى الخير في ظل ما يقومون به من اعتداء استعماري لايختلف عما قام به الأوربيون ومازالوا يقومون به.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية حاول بعض الأمريكيين أن يفيدوا من الطموحات الأمريكية الجديدة للاشتباك مع العالم عن طريق اختراع (شرق) جديد يتركز حول عدد صغير سريع التكاثر من العلمانيين المتحمسين للغرب

فكما خطط المثقفون الفرنسيون لجعل العذراوات المثيرات محور هذا الشرق الجديد.. خطط المحللون الأمريكيون لشرق أوسط تحصل فيه النساء السافرات على الدرجات الجامعية والمراكز الحكومية المهمة في المستقبل القريب. ولم يكن صعبا العثور على أفراد من المسلمين يتوافقون مع هذه النمطات الجديدة

ولكن الرئيس (أيزنهاور) أنشأ سنة ١٩٥٣م مجلس تنسيق للعمل على (كسب العقول والقلوب)، فأصدر مجموعة عمل بشأن التنظيمات الإسلامية لوضوح أهمية الإسلام بالنسبة للسياسة الأمريكية لأسباب منها:-

١- توافق بعض قيم الإسلام مع القيم الأمريكية. فللإسلام والمسيحية قاعدة روحية مشتركة، هي الاعتقاد في قوة إلهية تحكم حياة الإنسان، بخلاف الشيوعية بإلحادها المادي.

٢- وإدراك الأمريكيين أن الشيوعيين بأحزابهم مخططة منظمين قد استطاعوا استغلال الإسلام مع عدم الاتساق بينهما.

٣- وإدراك الأمريكيين أن للإسلام تأثيرا كبيرا في ميزان القوى، خصوصا مع سرعة تناميه وانتشاره في العالم، على ما هو واضح في أفريقية، وشرق آسيا

٤- وتوقع الأمريكيين تسارع المسلمين للتوجه نحو المادية، بعد انحسار القيم الإسلامية؛ سعيا وراء جاذبية التفوق التكنولوجي في الغرب المسيحي

ومن الحب ما قتل

ومن هنا.. كان على الأمريكيين أن يسعوا لتحقيق هذا الحب الذي يضمن لهم الهيمنة على المسلمين، فانطلقوا بحثا عن المشتركات بين الإسلام والمسيحية وعملوا على إبرازها لإغراء المسلمين بها، مثل الإيمان بالله، ومعارضة الإلحاد، إلى غير ذلك مما يولد الشعور بالود تجاه الغرب.

ومن جهة أخرى.. بحثوا عما يعيق توليد هذا الشعور ليعملوا على قهره وتشويهه في نفوس المسلمين، مثل الفروق الثقافية بين المسلمين والمسيحيين، واستياء المسلمين من هيمنة الثقافة الغربية، وعدم ترحيبهم للتطبيقات الديمقراطية، وشعورهم بالسمو الديني.

وبحثوا عن الوسيلة التي تحقق لهم تلك الهيمنة تحت عنوان (الحب)، فقرروا أنه لابد من بدء دراسات الهيمنة تنطلق من الشرق الأوسط، فأفريقيا، ثم جنوب شرق

آسيا. وقد قام بهذه الدراسات المرجعية جامعات (هارفارد)، و(بريتستون)، و(ميتشجان)، و(كولومبيا، ويوس -إل- إيه) وجامعة (جون هوبكنز).

وبدلا من اهتمام هذه الدراسات بالتحذير من رد الفعل السلبى لأثر الغرب على البلدان الإسلامية، وبدلا من اهتمامها بالتحذير من ضرورة التوفيق بين المبادئ الإسلامية والتوجهات الاجتماعية الراهنة.. بدلا من هذا وذاك اتسمت رؤى الدراسات الإسلامية بنظريات (التنمية)، و(التحديث) التى استخدمت لتحليل بشكل طبيعى التقاليد التشريعية. وليعرض فى دراسات الشرق الأوسط توجها انتهازيا أمريكيا، مما حول تلك الدراسات من المجال الأكاديمى إلى حملة رسمية وعملية تهتم بالبحث عن عرب ومسلمين يستطيع الأمريكيون أن يحبوهم!

ويصنعون لهم الحب مجانا

ويرى المؤلف: أن هؤلاء الباحثين بعد أن قرروا ضرورة إغراء المسلمين بحب الأمريكيين المسيحيين لتمكين الأمريكيين من الهيمنة على المسلمين.. سعوا للبحث عن وسائل تحقيق ذلك عن طريق المسح الاستطلاعى لتوجهات المسلمين، جانبهم فيها الصواب -على الرغم من ضخامتها- فقد تجاهلوا طبيعة الإسلام.

وافترضوا أن التحديث الغربى هو النموذج المستقبلى الأوحد المرغوب فيه؟ ولذلك طبخوا أسئلة متوافقة مع النموذج الغربى للحداثة المتمثل فى (الثروة- الثراء المهارة- العقلانية)، داعمين هذه الطبخة باطمئنانهم إلى حكام المسلمين فى تلك المرحلة، المعنيين بالوصول إلى السلطة أو الحفاظ عليها.

وقد أعمتهم هذه الاستطلاعات المطبوخة عن الوقوف على علاقة الإسلام بالتحديث وموعينه، متوهمين أن لا علاقة له بذلك، فأعماهم هذا عن رؤية مناضليه أفراد ذوى مستوى تعليمى عال، وإمكانات دعوية قوية مثل سيد قطب، وأبو الأعلى المودودى، فلم يروا توجهات إسلامية أخرى للتحديث عميقة معادلة للتحديث الغربى، على الرغم من أن تأثير هذا التوجه كان أقوى من تكهنات التحديثيين العربيين، وعلى الرغم من أن النقد الثقافى والسياسى الموجه للغرب أصبح أكثر تناميا منذ سنة ١٩٥٠ م.

ويلاحظ المؤلف: أن أبرز القائمين بهذه الطبخة -مثل هلبرن، وتورنر- يتجرمون بمحور الإسلام عن الإصلاح أو التحديث. وبحتمية انتصار القيادات العلمانية. بسبب هذه العمامات التى وضعت على أعينهم ليطبخوا المجال الذى يمكن الغربيين من الهيمنة على المسلمين تحت ستار (الحب) لذلك.. لم ير هؤلاء أولئك الأناس المتزاوجين بعمق مع موروثاتهم الإسلامية ممن أخرجوا الثورة الإسلامية فى إيران، وشكلوا عددا كبيرا من الحركات والأحزاب السياسية الإسلامية. مما أوقعهم فى حيرة تبعث على القلق.. مازالوا واقعين تحت تأثيرها.

ويخلص المؤلف من هنا إلى تقرير: أن أهم ما نتج عن تأثير العالم الحديث على الإسلام هو: عدم قدرة المبادئ التقليدية أن تسيطر على ولاء قادة الفكر والجيل الجديد الساعى إلى الخروج من حالة التخلف، إلى جانب الاشمئزاز من الغرب اشمئزازا خلق حسا بقبول أى نظرية سياسية معادية للغرب كما يخلص إلى: أن أهم ما نتج عن مسار هؤلاء الباحثين الأمريكيين، ودراساتهم الضافية.. هو تشوه فهم الأمريكيين للإسلام وللعالم الإسلامى.

وكان الفشل مركب

وقد تولد عن تشوه فهم الأمريكيين للإسلام.. الفشل المتوالى فى التعرف على الطريق إلى قلوب المسلمين، فلم يستطع واحد من هؤلاء الباحثين أن يعالج فشل تلك التوقعات التى لم يتحقق منها شىء، وذلك لبنائهم تلك التوقعات على قاعدة (صراع الحضارات)، غير ملتفتين إلى أن ما بين حضارة الإسلام وحضارة المسيحية إنما هو التواصل والتكامل. وليس الصراع الذى فرض على الدارسين البحث عن رجال دائمى التحرك باستطاعتهم إعادة صنع العالم الإسلامى فى الصورة الأمريكية، متجاهلين مئات الملايين من المسلمين الذين يريدون من حكوماتهم ومؤسساتها أن تقوم على نظام أخلاقى وسياسى إسلامى.. ومتجاهلين أن هؤلاء الملايين لايمكن -بأى حال- أن يتقبلوا السياسة الأمريكية الساعية إلى الهيمنة على العالم الإسلامى، والتى ترى فى السياسات الإسلامية عدوا خبيثا متأصلا، والتى تعمل جاهدة على وضع المسلمين فى مأزق يضطرون معه للدفاع عن أنفسهم، مع تباكيهم الدائم وهم يتساءلون: لماذا يكرهنا المسلمون؟

إن السبيل الذى يمكن أن يمهد للحب.. هو تقديم كل ما يمكن لتحقيق تنمية تكنولوجية، ولايمكن بأى حال أن يحب المسلمون الأمريكيين من أجل قيمهم، كما إن الأمريكيين يرفضون أن يحبوا المسلمين من أجل قيمهم.

أن الصراع الناشب بين العالم الإسلامى والعالم الغربى ليس صراعا بين حضارتين، ولكنه صراع تؤجج نيرانه الأطماع الاستعمارية المتمثلة فى الربط بين التعاون التكنولوجى، والتدخل الاجتماعى والحكومى الغربى، ربطا لايقبل التجزئة، توهمت أمريكا أنه سيحقق تسويق أمريكا فى العالم الإسلامى، ووجد الأمريكيون فى أحمد الجلبى صديقا يمكن الاعتماد عليه فى غزو العراق، ولكنهم فوجئوا بأن للملالى الشيعة فى النجف لهم دورهم لقد أفرزت هذه الأوهام الأمريكية وعيا أعمق بمقاومة المسلمين للمحاولات الأمريكية، لاعتقاد المسلمين جميعهم أنهم هدف الحنق الأمريكى الناشىء عن تشويه التاريخ فيما يصدر عن القادة الأمريكيين من تصريحات تؤذى مشاعر جماهير الشرق أوسطيين والمسلمين، خصوصا تلك التصريحات التى تبارك الاستعمار الأوربى القديم. والتى

تسعى لتحديث الشرق حتى يصبح غربا.

وقد أكد هذا الاعتقاد ظن المبشرين الأمريكيين: أن بمقدورهم تنصير المسلمين في الشرق الأوسط، مع سعيهم الدائب إلى الحصول على حب الناس.

كما أكده: تركيز التوصيات بالاعتماد على الشرق أوسطيين الذين يحاولون سلوك مسالك الغربيين، توهما منهم بأن هؤلاء ومن يعتنقون المسيحية سيكونون -على قلتهم- روادا في إدخال الحداثة الغربية إلى المنطقة لتصبح مجتمعاتهم مثل المجتمعات الغربية.

وجاءت الثورة الإسلامية في إيران لتبرهن على خطأ افتراض الأمريكيين ضرورة كون المحدثين أناسا يماثلون الأمريكيين، فالشاه الذي أحبه الأمريكيون، وأحب الأمريكيين أصبح طاغية. بينما أراد الإيرانيون أن يكون لهم صوت في نظام الحكم، والتقليل من قدرة الملالي المعممين على قيادتهم، وتشكيل حكومة ديمقراطية. ثم ظهر بن لادن ليؤكد معتقد المحللين الأمريكيين: أن بن لادن ومن تابعوه يكرهون العالم الحديث، في حين برز بعض الناشطين الإسلاميين يريدون الاستحداث مع شيء من الاندماج في العالم الحديث. مما أحدث تشويشا في الرؤى، فأصبح كل المفكرين الأمريكيين تقريبا يرتعدون من فكرة تشكيل الإسلاميين الحكومات، فالليبراليون يرتعدون بسبب عدم الليبرالية ومعاداتها التي يرونها جوهر الحركات الإسلامية، والمحافظون يرتعدون بسبب تقديرهم أن الإسلاميين يكرهون الأمريكيين، فسعى هؤلاء وأولئك إلى فصل الدين عن الدولة، حرصا منهم على فكرة وجود حزب سياسي إسلامي، على الرغم من وجود أحزاب مسيحية ويهودية شكلت الحكومات في عديد من الدول.

أسامة بن لادن

استشراف المستقبل الإسلامي

ويختم المؤلف دراسته بجولة أخرى يسبح فيها مع رؤاه ورؤى بعض الباحثين الغربيين للتعرف على مستقبل التحرك الإسلامي بإزاء الطرق التي تراكمت في المجتمعات الإسلامية، وعرقلت انطلاقته الحضارية.

وقد ابتدأ تلك الجولة بإعلانه عدم التوافق مع زملائه من المؤرخين الذين يتحاشون تصور المستقبل، لاقتناعه بأن الحرفية التاريخية تمكن المؤرخ من تركيب أجزاء من الماضي تمنحه القدرة على تخيل صورة مقبولة للأشياء القادمة.

ثم خلص من سبحاته التأملية إلى رفض ما يعتمد عليه الأكاديميون في بحثهم عمن يجدد أمور الإسلام، حيث يقيمون بحثهم على تصنيف الحركات الإسلامية والمفكرين الإسلاميين بين حداثيين، وأصوليين جهاديين، وأصوليين معتدلين، وناشطين مسالمين، وعقلانيين، وظلاميين، وليبراليين ديمقراطيين وشموليين، إلى ما لانهاية من التصنيف.

يرفض اعتمادهم على هذا التصنيف، لإدراكه أن المسلمين الذين يصنفونهم لايستخدمون تلك المسميات في الحديث عن أنفسهم إلا نادرا، لذلك لا يفيد مثل هذا التصنيف إلا في مجال التحليلات.

وبعد استعراض مستفيض للتعريف بالأطراف الإسلامية التي يحتمل أن تقوم بتطوير مبادرات مؤسساتية للتغيير -سواء مجموعات الشتات، والأحزاب السياسية الإسلامية، ومؤسسات التعليم الديني بالجامعات، وغير ذلك- بعد التعريف بأنشطة هؤلاء وأولئك.. يعلن عن يقينه بأن هؤلاء جميعا سوف يأتون بحلول لجميع مشكلاتهم، ويقينه التام بأن الأعوام العشرين أو الثلاثين القادمة ستشهد قادة دينيين إسلاميين يدعون للتسامح والسلام، يبرزون من يدعون اليوم للجهاد، وعدم التسامح، والاستبداد الديني، ويتعرفون عليهم في الاحترام والشعبية والأنصار.

فالكتاب يقدم جهدا لباحث أخلص نفسه للبحث الجاد الساعي إلى كشف الحقيقة، والرافض للاسترخاء الذي يلقي بكثير من الباحثين تحت هيمنة التسليم بما فترضه وتنادي المستشرقون أو المعاصرون، ذوو الأصوات الجهيرة، على ضآلة وضحالة ما يقدمونه في مجال الدراسات الإسلامية، حيث يقعون في خطأ فرض المعايير الغربية، وجعلها المقياس الوحيد الذي يختبرون به قيم الإسلاميين وأفكارهم، من كل ما أملى عليهم مثل الهراء الذي يعنيه مصطلح (صراع الحضارات).

والمؤلف -في هذا الجهد- يسعى لتقديم خدمة للقائمين على أمر أمته، كي يفيقوا من تأثير التصلب الذي قادهم إليه فرية (صراع الحضارات)، حتى ينقذهم من الفشل الذريع الذي أصاب سياستهم في التعامل مع الإسلام، فرؤية أن المسلمين لايستطيعون الارتقاء إلى مستوى الحضارة الغربية أو أية حضارة، لأن الإسلام لايوفي بالمعايير الغربية للمساواة وحقوق الإنسان.

بيد أن الكتاب - بما يضمه من استطرادات واستقصاءات مستفيضة - يجهد القارئ، ويشتت ذهنه، فلا يقف على مقاصده إلا بعد معاناة، وكد فكر، وإعادة نظر.

يضاف إلى ذلك- وأظنه راجعا إلى الترجمة- افتقاد الكتاب إلى الربط بين أفكاره وفقراته، فجاء ركاما يحوج إلى كثير جهد في الوقوف عليها.

وهذا - إن ساغ في الكتابة الغربية - غير سائغ في الكتابة العربية التي تقوم بلاغتها على باب كبير وخطير في الفصل والوصل ومع هذا وذاك.. لا أملك إلا أن أتوجه بالشكر للمؤلف على ما بذله من جهد لتجلية الحقيقة، وللمترجمة على ما هيأته لنا من الوقوف على مثل هذا الجهد المشكور في لغتنا العربية.

البرنامج النووى الإيرانى بين الحرب والسلام

باحث فى الشئون السياسية

لا أحد يستطيع أن يجزم بأن أزمة البرنامج النووى الإيرانى، سوف يحسم أمرها فى غضون الشهور القليلة المتبقية من ولاية إدارة جورج بوش، حرباً أو سلماً، خاصة بعدما أعلن الرئيس الأمريكى فى زيارته الأخيرة لأوروبا «أن من حق إيران امتلاك برنامج نووى سلمى».

وقد كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن احتمال هجوم إسرائيلى وشيك على إيران لمنعها من تصنيع القنبلة النووية. وقد يصح أن الحرب بدأت - فى رأى البعض - وأننا اليوم فى المرحلة التى تسبقها. فيقول الكاتب الإسرائيلى «تسفى مزال»: «يتوقع أن تمتلك إيران من اليورانيوم المخصب ما يكفى لصنع قنبلة نووية ويحتمل أن تنجز إيران إنتاج اليورانيوم هذا العام (٢٠٠٨) أو مطلع العام المقبل (٢٠٠٩)، وعليه فالهجوم يجب أن يسبق هذا الموعد».

وفى هذا السياق تعتقد إسرائيل أن قنبلة نووية واحدة قد تشكل خطراً وجودياً عليها، حتى لو كانت تل أبيب تملك ترسانة نووية قوامها ٢٠٠ قنبلة نووية، لأن إيران النووية، ربما تكون منافساً خطيراً لإسرائيل والولايات المتحدة، فتحد من حرية تحركهما، وتتحدى سيطرتهما الإقليمية.

ثمة تقارير فى واشنطن أفادت أن المسئولين الإسرائيليين قدموا لنظرائهم الأمريكيين، معلومات استخباراتية جديدة حول البرنامج النووى الإيرانى، فى محاولة لتسويق «خيار الضربة» قبل حيازة طهران التكنولوجيا المطلوبة لتطوير قنبلة نووية. ويقول «إيهود باراك» وزير الدفاع الإسرائيلى: «إن إسرائيل أقوى دولة فى المنطقة، وأثبتت فى الماضى أنها لا تخشى القيام بتحرك، عندما تتعرض مصالحها الأمنية الحيوية للخطر»، وأكد «محلى وهبة» نائب وزيرة الخارجية الإسرائيلية، قدرة إسرائيل على مواجهة أى تهديد إيرانى محتمل، فقال: «إن إسرائيل لا تخشى التهديدات التى تطلقها إيران من حين لآخر».

ويجزم كثير من المحللين أن إسرائيل لن تتخلى عن إصرارها على منع إيران من تحقيق قدرة نووية عسكرية، كما أن إيران لن توقف تخصيب اليورانيوم، بغض النظر عن أى مفاوضات لها فى جنيف.

والحقيقة أن إسرائيل لن تستطيع بمفردها توجيه ضربة عسكرية ناجحة وآمنة للمنشآت النووية الإيرانية، فى وقت لا يبدو الأمريكيون مستعدين للتورط عسكريا فى إيران، بأى صورة من الصور من خلال مشاركة إسرائيل مثل هذا الهجوم العسكرى، أو حتى دعم أى تحرك إسرائيلى منفرد فى هذا الشأن، على الأقل فى الأمد المنظور. وقد حذر المدير السابق للمخابرات الإسرائيلية «الموساد» «أفرايم هاليفى» من أن ضربة إسرائيلية للمنشآت النووية الإيرانية، قد تؤثر على إسرائيل على مدى المائة عام المقبلة، فقال فى مقابلة مع مجلة «تايم» الأمريكية: «إن أى هجوم يهدف إلى تدمير البرنامج النووى الإيرانى، سيكون له تأثير سلبى على الرأى العام العربى، وأنه يتعين على إسرائيل مهاجمة إيران فقط، حينما يكون ذلك هو الخيار الوحيد». واستبعد «هاليفى» فى الوقت ذاته، أن تهاجم إسرائيل إيران قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية فى نوفمبر ٢٠٠٨، خشية التأثير على فرص المرشح الجمهورى «جون ماكين».

غير أن إسرائيل ليست مقتنعة بجدوى «رزمة الحوافز السخية» التى حملها «خافيير سولانا»، الممثل الأعلى للسياسة الخارجية فى الاتحاد الأوروبى إلى طهران مقابل تعليق أنشطة تخصيب اليورانيوم عند مستواه الحالى؛ لذلك فإن تل أبيب تحاول بكل جهد ممكن إقناع الإدارة الأمريكية بشن الحرب على إيران كخيار ليس له بديل الآن فى التعاطى مع البرنامج النووى الإيرانى.

وفى هذا الصدد تشير مصادر استخباراتية أمريكية أن واشنطن تسلك طريقا موازية تخطط من خلالها نحو توجيه ضربة عسكرية للمنشآت النووية الإيرانية، بما لا يتعارض مع التعثر الأمريكى فى العراق، خاصة أنها ستكون «ضربة جوية فقط، وليست عملية غزو». وقد أكد «فنسنت كانيسترارو» - الذى كان يعمل مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية - أن التخطيط يجرى برغم الإنكار المعلن لوزير الدفاع الأمريكى، وتم تحديد المواقع النووية الإيرانية المستهدفة، ويجرى حاليا تجهيز المعدات المطلوبة لهذا الغرض؛ حيث أمر الرئيس

الأمريكي «جورج بوش» بتحريك مجموعة عسكرية ثانية تقودها حاملة الطائرات «يو إس. إس. جون ستينيس» إلى الخليج لدعم حاملة الطائرات «يو إس. إس أيزنهاور» كما أرسلت صواريخ باتريوت إضافية إلى المنطقة، وكاسحات ألغام.

واللافت للنظر أنه إذا كان بمقدور إسرائيل الإقدام بمفردها أو بمعاونة الولايات المتحدة على عمل عسكري ضد إيران، فسوف تظل أمامها مشكلة حقيقية تتمثل في مدى رد الفعل الإيراني المتوقع. لذلك تنوي الولايات المتحدة نشر «نظام إيجيس» قبالة السواحل الإسرائيلية من أجل تأمين خطوط دفاعية ثابتة ضد الصواريخ الباليستية الإيرانية. وهو نظام دفاعي جوي متكامل ذو مدى متوسط، ومجهز برادار يصل مداه إلى ٤٥٠ كم، ويمكن أن يستهدف أكثر من ٢٥٠ هدفا مختلفا. ويذكر في هذا الصدد أن امتلاك إيران وتشغيلها بطاريات الصواريخ «إس ـ ٣٠٠» التي ستتسلمها طهران من روسيا في سبتمبر المقبل (٢٠٠٨)، سيجعل أي ضربة توجهها إسرائيل أو الولايات المتحدة للمنشآت النووية الإيرانية أكثر صعوبة. والجدير بالذكر أن نظام الصواريخ «إس ـ ٣٠٠» يعتبر من أفضل الأنظمة المضادة للطائرات على مستوى العالم حاليا، حيث يقول الخبراء إنه أثبت قدرته على تعقب ١٠٠ هدف في وقت واحد، والاشتباك مع ١٢ هدفا في ذات الوقت.

المناورات الحربية الإسرائيلية

ومن جهة أخرى نقلت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية عن مسئولين أمريكيين أن عشرات الطائرات الحربية الإسرائيلية شاركت خلال شهر يونيو ٢٠٠٨ في مناورة عسكرية جوية في البحر المتوسط، وتدربت على تنفيذ هجوم جوي على إيران، ويبدو أن إسرائيل تريد بذلك تبليغ رسالة إلى واشنطن مفادها أن إسرائيل قادرة على مهاجمة طهران من دون مساعدتها.

وإذا سلمنا جدلاً بأن إسرائيل ستقوم بتوجيه ضربة جوية خاطفة لإيران؛ فإن ذلك يلزمه استخدام أجواء تركيا، والحقيقة أن تركيا لن تسمح بمنح إسرائيل الإذن باستخدام أجوائها ضد الجارة المسلمة إيران، وعليه يتعين على إسرائيل أن تحصل من العراق على هذا الإذن بعبور مجالها الجوي. وبالطبع لن تسمح حكومة نوري المالكي بذلك نظراً للعلاقة الحميمة بين العراق وإيران برغم الوجود الأمريكي في العراق. وفي هذه الحالة يبدو أن أمريكا لن تعطي إسرائيل الضوء الأخضر لمهاجمة إيران. خاصة أن واشنطن لم تنس الهزيمة التي أنزلها حزب الله بالجيش الإسرائيلي في حرب الـ٣٣ يوما ضد لبنان. كما أن البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) تشك في قدرات إسرائيل العسكرية في حرب تشن ضد طهران، خاصة أن إيران تملك نظاما صاروخيا متكاملا، يأتي على رأسه «صاروخ شهاب ـ ٣» الذي يبلغ مداه ٢٠٠٠ كم، ويمكنه أن يصل إلى العمق الإسرائيلي بسهولة.

ومن ناحية أخرى عبر رئيس الأركان الأمريكية المشتركة الأدميرال «مايكل مولن» عن قلقه من أن أي ضربة أمريكية أو إسرائيلية لإيران ستنطوي على مخاطرة كبيرة، بحدوث مزيد من الفوضى في الشرق الأوسط، وقال: «أنا قلق في شأن حال عدم الاستقرار في ذلك الجزء من العالم. ومن العواقب المحتملة غير المقصودة لتوجيه ضربة من هذا النوع».

التجميد مقابل التجميد!!

ومن هنا يمكن القول: إن القدرة الأمريكية ليست وحدها في ميدان قرار الحرب إذ إن قرار الحرب هو حالة تعتمد ـ كما يقول الخبراء ـ على عوامل متعددة لا يحددها الطرف صاحب قرار الحرب وحده (وهو هنا الولايات المتحدة أو إسرائيل، أو هما معا) بل يحددها الطرف الآخر أيضا. خاصة أنه لا تزال إيران على خطتها السابقة التي تستهدف عدم دفع الأوضاع إلى حالة الحرب، والعمل وفق استراتيجية «استهلاك أو إضاعة الوقت» وتقليل الاندفاع الأمريكي نحو الحرب. وفي إطار الحل الدبلوماسي، قد تقبل طهران الاتفاق المؤقت الذي اقترحه «خافيير سولانا» الممثل الأعلى للسياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، المتمثل في صيغة «التجميد مقابل التجميد»، أي تجميد عملية تخصيب اليورانيوم لمدة ستة أسابيع مقابل تجميد قصير الأجل للعقوبات المفروضة على إيران لإتاحة مزيد من المحادثات للتوصل إلى اتفاق يرضي الطرفين، وتجنب أية مواجهة بين الجانبين.

واللافت أن الرد الإيراني على «عرض الحوافز» الذي حمله «سولانا» إلى إيران، اكتفى بطرح فكرة التفاوض حول هذا العرض، بتأسيس «كونسورتيوم عالمي» يتولى مهمة تخصيب اليورانيوم في إيران، بمشاركة إيرانية.

ولقد اجتمع كبير المفاوضين الإيرانيين «سعيد جليلي» مع مجموعة ٥ + ١ (أي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين بالإضافة إلى ألمانيا) في جنيف يوم السبت ١٩/٧/٢٠٠٨ بحضور «وليام بيرنز» مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية. للتباحث حول اقتراحات الجانبين استنادا إلى عدة عناصر أهمها

● أولا: منع انتشار الأسلحة النووية في المنطقة. للحيلولة دون سباق نووي بين دول المنطقة.

● وثانيا: إعادة الاستقرار إلى المنطقة.

إن أهم شيء لافت في هذا الاجتماع هو حضور «وليام بيرنز» عن الجانب الأمريكي لأول مرة، وهو ما يمثل خطوة إيجابية من جانب الإدارة الأمريكية. وانتهى هذا اللقاء بمنح طهران أسبوعين للرد على رزمة الحوافز المقدمة من مجموعة ٥ + ١، ولقد رفضت إيران مؤخرا هذه المهلة.

وفي إشارة إلى العرض الغربي «التجميد مقابل التجميد» قال الرئيس الإيراني «محمود أحمدي نجاد»: «كان الأمريكيون يقولون سابقا: إن على إيران قبول تعليق اليورانيوم كشرط لحضور أمريكي المفاوضات. لكنهم شاركوا في المفاوضات (يوم ١٩/٧/٢٠٠٨) من دون أن تعلق إيران برنامجها، ونحن ننظر إلى ذلك إيجابا». ومن جانب آخر سعت طهران إلى تحسين شروط التفاوض قبل بدء الجولة الجديدة من المحادثات حول البرنامج النووي الإيراني. فأعلنت في ٢٦/٧/٢٠٠٨ امتلاكها حوالي ستة آلاف

جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم. وأنها وضعت برنامجها النووي برغم الضغوط الدولية.

وفي هذا السياق قال الرئيس الإيراني «محمود أحمدي نجاد» في خطاب في مدينة مشهد: «وافقوا على أن لا تتم زيادة أجهزة الطرد المركزي عن الخمسة إلى ستة آلاف الموجودة، وعلى أن لا مشكلة في تشغيل أجهزة الطرد المركزي هذه» واعتبر الرئيس الإيراني هذا تراجعا من جانب واشنطن فقال: «إن صمود إيران أجبر الولايات المتحدة على تغيير موقفها، والمشاركة في المحادثات الأخيرة في جنيف». ولقد ناقش البرلمان الإيراني في جلسة مغلقة نتائج مفاوضات جنيف التي جمعت كبير المفاوضين الإيرانيين «سعيد جليلي» ومندوبي الدول الست بحضور «وليام بيرنز» مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية، وهو ما يمثل سابقة يعتبرها بعض المحللين تحولا في سياسة واشنطن تجاه إيران.

ومن المعلوم أن «سعيد جليلي» قدم تقريرا عن سير محادثات جنيف يوم ١٩/٧/٢٠٠٨ والنتائج التي ترتبت عليها، والخطط المستقبلية الإيرانية لمواجهة الضغوط الغربية، من جانب الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين.

الحضور الأمريكي المفاجئ

واعترفت وزيرة الخارجية الأمريكية «كونداليزا رايس» أن «حضور «وليام بيرنز» محادثات جنيف الأخيرة (في ١٩-٧-٢٠٠٨) كان مفاجئا نوعا ما للإيرانيين، الذين غالبا ما يرددون أن الغياب الأمريكي عن المحادثات، يؤكد عدم اهتمام واشنطن للتوصل إلى حل دبلوماسي»

والحقيقة أن الولايات المتحدة من صالحها حضور هذه المحادثات المباشرة. ويبدو أن المنطقة دخلت بالفعل في سلسلة من التسويات التفاوضية؛ كما يقلل من احتمالات إشعال حرب جديدة في هذه المنطقة الساخنة، فهناك التفاوض السوري-الإسرائيلي بوساطة وضيافة تركية. وهناك أيضا اتفاق تهدئة بين حماس في غزة وإسرائيل. وهناك اتفاق بين حزب الله وإسرائيل لتبادل الأسرى فيما بينهما من جهة أخرى. ويرى بعض المحللين أن هذه التسويات التفاوضية التي جرت بين هذه الأطراف ربما هدفها هو محاولة عزل سوريا وحماس وحزب الله عن إيران، تمهيدا لضرب الأخيرة من جانب كل من أمريكا وإسرائيل في الوقت المناسب. ويرى خبراء أن هذه الضربة ستقتصر على مواقع الحرس الثوري الإيراني بدلا من المنشآت النووية الإيرانية. فيذهب المحلل الأمريكي «سيمور هيرش» في مقال له بجريدة «نيويوركر» إلى القول: «إن توجيه ضربة جوية أمريكية لمواقع الحرس الثوري الإيراني يعني بداية أن الولايات المتحدة قد قررت الانسحاب من العراق، وإنه لتبرير ذلك الانسحاب، فإنها سوف تضرب إيران كنوع من إثبات القوة، وحفظ ماء الوجه». ومن هنا يمكن القول: إن هذه الضربة ستكون محدودة لإرضاء إسرائيل وحلفاء وأصدقاء أمريكا في المنطقة، وحفظ ماء الوجه، وتبرير الانسحاب من العراق. وتشير تقديرات غربية إلى أن الضربة العسكرية، ستؤجل حصول إيران على القنبلة النووية من عام ٢٠١٣ إلى عام ٢٠١٥. ومن جانبه أكد «مصطفى محمد نجار» وزير الدفاع الإيراني أن التقارير التي توردها وسائل الإعلام عن إمكانية وقوع هجوم وشيك

على إيران، جزء من «الحرب النفسية» التي يشنها الغرب على بلاده من أجل تحويل الأنظار عما وصفه بـ«المشاكل الداخلية» التي تعاني منها إسرائيل والولايات المتحدة.

رفع العقوبات دون تنازلات

والجدير بالذكر أن «خافيير سولانا» الممثل الأعلى للسياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي عندما قام بزيارة طهران لعرض «رزمة الحوافز» على المسئولين الإيرانيين. حمل خلال هذه الزيارة ثلاث رسائل:

- الأولى: رزمة الحوافز.
- والثانية: رسالة موقعة من وزراء خارجية الدول الست «مجموعة ٥ + ١».
- والثالثة: رسالة غير رسمية تتضمن ثلاث مراحل لبدء المفاوضات.

في المرحلة الثانية حديث عن تعليق تخصيب اليورانيوم لمدة ستة أسابيع قبل بدء المفاوضات. وهو ما رفضته طهران. وأعرب نائب الرئيس الإيراني «رضا أغازاده» الذي يشغل رئيس هيئة الطاقة الذرية الإيرانية، عن أمله ببدء المفاوضات في نهاية المهلة وقدرها أسبوعان، استنادا إلى الاقتراحات التي طرحتها إيران والدول الست الكبرى خلال محادثات جنيف التي جرت في ١٩ يوليو ٢٠٠٨. في الوقت الذي أشارت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية فيه إلى اقتراحات إيرانية سلمت إلى مجموعة ٥ - ١ (وهي الولايات المتحدة، روسيا، الصين، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا) خلال اجتماع جنيف، تدعو إلى العديد من جولات المفاوضات، ورفع العقوبات دون تقديم أي تنازلات جوهرية. وفي هذا الصدد قال نائب الرئيس الإيراني «أغازاده»: «إن الجانب الآخر في حاجة إلى وقت لدراسة اقتراحاتنا، وقد أعرب عن أمله بأن تسفر عملية التفاوض الجارية إلى صوغ «وثيقة واحدة» يتفق عليها الجانبان. كما صرح بأن «بدء المفاوضات النووية مع المجتمع الدولي، يمكن أن يؤدي إلى حل كثير من المشاكل في العراق وأفغانستان ولبنان، بالإضافة إلى انخفاض أسعار النفط».

ومن ناحية أخرى قال الرئيس الإيراني «محمود أحمدي نجاد» حول أهمية المحادثات بين إيران والغرب: «إن إحراز تقدم للتوصل إلى اتفاق مع الغرب، يعتمد على مدى مصداقية التحول الذي طرأ على التوجه الأمريكي إزاء طهران»، كما أضاف قوله: «في الخطوات الأولى سنتفاوض على النقاط المشتركة في المجموعتين، وإذا نجح الطرفان في الاتفاق على الأرض المشتركة، سيساعدنا في حل خلافاتنا».

وفي الختام يمكن القول: إن كفة الحرب تكاد أن تتعادل مع كفة السلام إزاء هذا البرنامج النووي الإيراني المثير للجدل. ولكن إذا توصل الجانبان إلى نقاط مشتركة، يمكن الاتفاق عليها في غضون جولات التفاوض المقبلة؛ فإن آمال المجتمع الدولي تتعلق بهذه الخطوة الإيجابية، التي قد تؤدي إلى انفراجة تهدئ الأزمة المستحكمة

أمانة عمر.. في انتظار صلاح الدين



[illegible]
عضو مجمع البحوث الإسلامية

في الألف الرابعة قبل الميلاد، بنى الكنعانيون ـ أهل فلسطين ـ مدينة «يورو سالم» أو «يورو شالم».. ومن اسمها هذا جاءت تسميتها الغربية Jerusalem في اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها.. ومن هذا الاسم، أيضا، جاءت تسميتها في «العهد القديم» بـ «أورشليم».

ولقد بدأ تاريخ العبرانيين الاتصال بهذه المدينة الكنعانية، عندما استولى عليها داود -عليه السلام- في القرن العاشر قبل الميلاد، أي بعد نحو ثلاثة آلاف عام من تأسيسها على يد الكنعانيين!.. ولم تدم هذه السيطرة العبرية على هذه المدينة لأكثر من أربعة قرون ـ (٤١٥ عاما) ـ.. أي إلى التاريخ الذي هدمها فيه البابليون، الذين أزالوا «مملكة يهوذا» من الوجود سنة ٥٨٥ ق.م. وبدءوا حقبة «السبي البابلي» للعبرانيين.

وحتى بعد سماح الفرس لبعض العبرانيين بالعودة إلى أرض كنعان، كانت عودة الذين عادوا منهم إليها، عودة استيطان، بلا دولة، وبلا سيادة على مدينة «أورشليم».

لكن هذا «الوجود اليهودي» قد عاد وأثار حفيظة الدولة الرومانية، فدمروا هذه المدينة مرتين، الأولى على يد الإمبراطور «تيطوس» Titus (٣٩ - ٨١م) في سنة ٧٠م.. والثانية على يد الإمبراطور «هدريانوس» سنة ١٣٥م، وذلك عندما محاها محوا تاما، بل وغير اسمها إلى «إيليا كابيتولينا» ـ أي إيليا العظمى ـ وهو الاسم الذي ظل علما عليها حتى الفتح الإسلامي لها (١٥هـ ـ ٦٣٦م) في خلافة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ/ ٢٣هـ ـ ٥٨٤ / ٦٤٤م)

وفي السنوات الأربعمائة، التي سيطر فيها العبرانيون على هذه المدينة، احتكروا قداستها لمقدساتهم وحدهم، دون غيرهم من الشعوب التي كانت تقطن أرض كنعان في ذلك التاريخ، وهي الشعوب بنت هذه المدينة قبل ثلاثة آلاف عام من دخول داود، عليه السلام، إليها.. وظلوا يمارسون هذا الاحتكار، بل والاضطهاد، مع النصرانية والنصارى، منذ بعثة المسيح عيسى بن مريم، عليه السلام.

وبعد تدين الدولة الرومانية بالنصرانية ـ (في القرن الرابع الميلادي) ـ كانت قدسية هذه المدينة ـ «إيليا» ـ وقفا على النصارى، الذين تشفوا من اليهود، وجعلوا أماكن «هيكلهم» ـ بعد هدمه ـ مجمعا للقمامة والقاذورات، تحتقره الكافة من داخل المدينة وخارجها!.. حتى لقد طلبوا من عمر بن الخطاب، عند تسلمه المدينة، بعد فتحها، أن يضمن لهم «ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود»!..

ذلك هو تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام.

عصر جديد

لكن فتح الإسلام والمسلمين لهذه المدينة ـ «يورو سالم ـ أورشليم ـ إيليا» كان بداية عصر جديد. فالإسلام والمسلمون هم الذين أعطوا لهذه المدينة القداسة والقدسية، حتى في اسمها الجديد. فسميت بـ«بيت المقدس» و«القدس» منذ ذلك التاريخ.. ولأول مرة في تاريخها الديني، تصبح قداستها عامة لجميع أمم الرسالات السماوية ـ اليهودية والنصرانية والإسلام ـ وليست حكرا لأبناء دين دون غيرهم من أبناء الديانات الأخرى.

فأماكن المقدسات اليهودية المهدومة منذ قرون، والتي جعلها النصارى ـ في العصر الروماني ـ «مجمعا للقمامة والقاذورات»

دخل إليها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بعد أن تسلم المدينة، وعقد مع أهلها «العهد العمري» الشهير، «فوجد على الصخرة زبلا كثيرا، مما طرحه الروم غيظا لبني إسرائيل، فبسط رداءه، وجعل يكنس ذلك الزبل، وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل، وتتبع المسلمون أماكن عبادة الأنبياء، تنقيبا واحدا واحدا، ابتداء من إبراهيم إلى آخر من دفن منهم في فلسطين وبيت المقدس، فأقاموا فيها المساجد، وحافظوا على قدسيتها، وطهروها تطهيرا» (د. إسحاق موسى الحسيني «مكانة بيت المقدس في الإسلام» كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية - ص٥٧، ٥٨ - سنة ١٩٦٨م)

أمانة الفاروق عمر

لقد أحل المسلمون هذه المدينة مكانا فريدا تميزت به عن كل المدن التي فتحوها، وذلك عندما لم يتسلمها القائد الفاتح - وهو «أمين الأمة» أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ ٥٨٤ - ٦٣٩م) - وكان تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب، الذي ركب من المدينة المنورة إليها، ليتسلم مفاتيحها، وليعقد بنفسه «العهد العمري» مع بطريركها «صفرونيوس» (١٧هـ ٦٣٨م). ولتكون لها، بهذه الخصوصية، مكانة أمانة الفاروق عمر، لدى أمة الإسلام، وهو شرف لم تحظ به مدينة من المدن التي فتحها المسلمون، عبر تاريخ الفتوحات.

وبتغيير اسم هذه المدينة، إلى «القدس» و«بيت المقدس»، رفع المسلمون عليها رايات القدسية والتقديس.. وبتحرج عمر ابن الخطاب - عندما كان يجلس مع «صفرونيوس» في كنيسة القيامة - من أن يصلي في الكنيسة، رغم دعوة البطريرك، كي لا تكون لمسلم شبهة حق في أرض الكنيسة يقيم فيها مسجدا.. بهذا الموقف العمري أضفى عمر بن الخطاب تقديس الإسلام لمقدسات النصارى.. ولم يكن عمر في ذلك «مبتدعا»، بل ولا حتى «مجتهدا»، لأنه هو المؤمن بالعقيدة الإسلامية، التي لا تكتمل أركانها إلا بالإيمان بسائر الرسل وجميع الرسالات وكل الكتب التي سبقت رسالة محمد ﷺ، على درب علاقة السماء بالإنسان.

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾

(البقرة: ٢ - ٥)

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

وهو - عمر - الذي يتعبد بالقرآن الكريم، الذي عرض لمقدسات أمم الرسالات السماوية جميعا، فبدأ بالصوامع وانتهى بالمساجد

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج: ٤٠)

بهذا الموقف العمري، بدأت الحقبة الإسلامية في تاريخ المدينة، فغدت قداستها عامة لعامة أبناء رسالات السماء.. فكنيسة القيامة قدس خاص بالنصارى.. ومواطن المقدسات اليهودية، أعاد إليها عمر والمسلمون الطهارة عندما رفعوا عنها القمامة والقاذورات.. وارتفعت في المدينة عمائر المساجد الإسلامية.

صنع المسلمون ذلك، لأنهم أمة الرسالة الخاتمة، التي ورثت كل مواريث الأنبياء والمرسلين، فكانت رسالة رسولهم اللبنة التي تممت بناء دين الله الواحد، وحملت أمانة الحفاظ على سائر لبنات هذا البناء، فأمة الشريعة التي أكملت الدين الإلهي الواحد، هي الحاملة لأمانة الحفاظ على مقدسات سائر شرائع هذا الدين، لأنها وحدها التي تعترف بشرعية سائر شرائع هذه الأديان..

•••

القدس والحرم المكي

والمسلمون صنعوا ذلك مع «القدس» تحديدا، لأن قرآنهم الكريم قد جعل الرباط بين «القدس» وبين «الحرم المكي» - الذي هو قبلة الأمة الخاتمة - آية من آيات الله، وليس مجرد رباط سياسي أو إداري، يقيمه الحكام ويقطعه الغزاة!.

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

فكان الإسراء - إسراء الله بعبده ورسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وعروجه من الصخرة إلى سدرة المنتهى، الإعلان الإلهي عن ختم هذه الرحلة القدسية لخطوات الأنبياء والرسل على طريق الله، وعن حمل أمة الرسالة الخاتمة أمانة الجهاد في سبيل الحفاظ على مقدسات كل الرسالات، تلك التي تجسدها مدينة القدس قبل غيرها، وأكثر من غيرها من المدن والبقاع.

ولقد شهد التاريخ الإسلامي للقدس، بأحرف من نور، على وفاء الأمة الإسلامية بهذه الأمانة، التي أرادها الله، والتي رمزت إليها رحلة الإسراء، والتي سلمها إياها عمر بن الخطاب.. فغدت القدس، منذ ذلك التاريخ، مشاعة القداسة،

مفتوحة الأبواب لكل أبناء رسالات السماء.. ازدهرت فيها، إلى جانب المساجد الإسلامية، كنائس النصارى.. وأخذ اليهود يعودون إلى سكناها، بعد أن حرموا من ذلك في العهد الروماني، الوثني والنصراني على حد سواء!.. بل لقد تولت الأسر المسلمة المقدسية نظارة الأوقاف، التي أوقفها النصارى على كنائسهم، اختارهم النصارى لذلك، فرعوا هذه المقدسات النصرانية على امتداد التاريخ الإسلامي.

وشاء الله أن تظل هذه «الأمانة» من خصائص الأمة الإسلامية، والدول الإسلامية دائما وأبدا..

فطالما كانت السيادة على القدس لأمة الرسالة التي لا تحتكر التدين بدين الله.. ولا تحتكر النبوات والرسالات.. ولا تدفعها العصرية إلى احتكار القدسية لأماكن عباداتها.. طالما ساد هذا الحال، كانت الأبواب مفتوحة في القدس لكل أمم الرسالات.

أما في فترات تراجع هذا التوجه، وهزيمة الدولة الإسلامية، وانحسار سيادة المسلمين عن القدس - في الحقبة الصليبية القديمة، والحقبة اليهودية المعاصرة - فإن الاحتكار لقداسة القدس يعود ليطل بوجهه الكئيب!..

حدث ذلك، في تاريخ القدس.. حتى لكأنه القانون، الذي لا تبديل له ولا تحويل[1].

في الحقبة الصليبية

كان الضعف قد أصاب القوى الثلاث التي تقاسمت حكم الشرق الإسلامي العباسيين.. والفاطميين.. والسلاجقة فانتهز الغرب الفرصة ليعيد سيطرته على الشرق. تلك التي أقامها «الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ق.م) قبل الميلاد، والتي أزاحتها فتوحات الإسلام»

وفي مدينة «كليرمونت»، بجنوب فرنسا، تكرس الحلف الغربي، الذي قاده البابا الذهبي «أربان الثاني» (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) والذي مولته المدن التجارية الإيطالية، الطامعة في السيطرة على طرق التجارة الدولية العابرة للشرق الإسلامي، وكانت القوة الضاربة لهذه الموجة الغازية هم فرسان الإقطاع الأوروبيون.. الذين حدد لهم البابا مهمة الغزوة الصليبية، عندما خاطبهم - في «كليرمونت» - سنة ١٠٩٥م فقال: «أنتم فرسان أقوياء، ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم.. ولكن، تعالوا وحاربوا الكفار (المسلمين).. يا من تنابذتم اتحدوا.. يا من كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا.. تقدموا إلى البيت المقدس.. انتزعوا تلك الأرض الطاهرة، واحتفظوا بها لأنفسكم، فهي تدر سمنا وعسلا؟!.. إنكم إذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق»[2]!

وهكذا.. رغم «البابوية»، وأعلام الصليب، والتهييج الديني.. والحديث عن مهد المسيح.. فإن كلمات البابا أفصحت عن مقاصد «الغزوة - الصفقة»: وراثة ممالك الشرق، التي تدر سمنا وعسلا!.. وحل تناقضات أمراء الإقطاع، بتوجيه قواهم لتدمير «المسلمين - الكفار»! فبدأت في العام ٤٨٩هـ - ١٠٩٦م أولى حملات الغزوة الصليبية، التي دامت قرنين من الزمان.. والتي أصبح قتل المسلمين فيها، ونهب بلادهم، واحتلال أوطانهم، وإقامة الإمارات والممالك اللاتينية في فلسطين وما حولها.. أصبح كل ذلك «مهنة».. و«وظيفة» لأمراء الإقطاع الأوروبيين.. وبعبارة المؤرخ المسيحي «مكسيموس مونروند» - صاحب (حرب الصليب) - فإن الكثير من الأشراف والعظماء صاروا يعتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعية لاحتشاد - (جمع) - الأموال العينية. بل إن التعطش نحو أحد الغنائم وحده كان يجذب الجيش إلى المحاربة»؟!..

ومع مطلع القرن الحادي عشر الميلادي كانت الإمارات الصليبية التي أقامها الغزاة في المشرق العربي قد قطعت الوحدة الأرضية لعالم الإسلام. ففي شمال العراق وسوريا قامت إمارتا «الرها» و«أنطاكية».. وبعد اقتحام القدس قامت «مملكة أورشليم» التي وصلت حدودها إلى خليج العقبة؟! عازلة مصر والمغرب والأندلس عن مشرق وطن العروبة وعالم الإسلام!

ولقد كان احتلال القدس نموذجا لممارسات «اللصوص الذين صاروا جنودا».. فلقد حاصرها ستون ألفا - وكانت الحامية المدافعة عنها ألف جندي مصري.. فسقطت بيد الصليبيين بعد صمود دام ثمانية وثلاثين يوما.

ويحكي المؤرخ المسيحي «مكسيموس مونروند» كيف انعقد ديوان المشورة العسكرية الصليبي - في ذات المكان الذي فيه مخلصنا غفر لصالبيه - فقرر أن يمات - (يقتل) - كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة»!!.. واستمرت المجزرة أسبوعا كاملا.. ومن هرب في البيوت والأقبية، قبضوا عليه وقذفوا به من أعالي البيوت والسروج في النار[3]!.. أما الذين احتموا بجامع عمر بن الخطاب، فلقد غدت دماؤهم سيلا «علا إلى حد الركب، بل إلى حد لجم الخيل» - كما يقول «مكسيموس» - !.. وفي الرسالة التي بعثوا بها إلى البابا، يبشرونه بما صنعوا، قالوا، مفاخرين: «إذا أردت أن تعرف ما يجرى لأعدائنا، فثق أنه في معبد سليمان (جامع عمر) كانت خيولنا تعوص إلى ركبها في بحر دماء الشرقيين»[4]!

حامية صليبية على أبواب القاهرة!!

وبعد مرحلة تثبيت الكيانات الصليبية المزروعة في الأرض المغتصبة.. بدأت مرحلة الهيمنة الاقتصادية على المنطقة بأسرها، بالسيطرة على التجارة وطرقها، وبفرض الإتاوات - بل والجزية - على الإمارات والدول الإسلامية[5].

وبعد عزل مصر عن المشرق، بدأت محاولات غزوها والسيطرة عليها - ولقد استعانوا على ذلك بضعف النظام الفاطمي الحاكم، والذي عزلته مذهبيته «الإسماعيلية

ـ الباطنية، عن جمهور الأمة «السُّني».. وبصراعات جنودها ـ ذوى الأصول المتعددة والعربية ـ.. وبصراعات وزرائها ـ «شاور» (٥٦٤ هـ ـ ١١٦٩م) و«ضرغام» (٥٥٩ هـ ـ ١١٦٤م)'. حتى لقد أقامت حامية صليبية على أبواب القاهرة، ومعها مفاتيح أبواب أسوارها؟!.. وصالح الوزير «شاور» الصليبيين على جزية مقدارها مليون دينار؟!.. وكتب «غليوم الصورى»، مصوراً سيطرة الصليبيين على اقتصاديات الشرق يومئذ، فقال: كانت خزائن مصر تحت تصرفنا، وسلطنة أورشليم كانت آمنة من جهة البر المصرى، ومسلك البحر كان حراً.. كما أن موانىء أقاليم مصر كلها كانت مفتوحة لقبول مراكبنا، وتجارها كانوا ينقلون إلى موانىء بلادنا غلات أراضيها، وهذه المتاجر كانت كلية العوائد لنا. وكانت الجزية والخراجات تُوفَّى لنا بانتظام»[١٠].

روح المقاومة والفروسية الإسلامية

لكن التحدى الذى اقتطع الأرض.. ومزق وحدة الوطن.. ونهب الثروة.. وسيطر على الاقتصاد.. قد استفز روح المقاومة فى الأمة. فبدأت «دول الفروسية الإسلامية» تواجه إمارات فرسان «الإقطاع الصليبيين ـ «الدولة الزنكية» التى قادها عماد الدين زنكى (٥٦٥ هـ ـ ١١٧٠م) ـ فى «الموصل» ـ والتى حررت شمال العراق وسوريا. وأزالت «كونتية الرها» (٥٣٩هـ ـ ١١٤٥م) ـ أى بعد نحو نصف قرن من بداية الحملة الصليبية ـ ثم انتقلت بعاصمتها ـ فى عهد نور الدين الشهيد (٥١١ ـ ٥٦٩هـ ـ ١١١٨ ـ ١١٧٤م) ـ إلى مدينة «حلب» لتشديد الضغط على الكيانات الصليبية.. ولتبدأ صفحة من الصراع «الحربى ـ والسياسى» بين الفريقين على مصر؟!.. فنور الدين يريد الالتحام بها، ليُحكِم ـ وإياها ـ من الجنوب ـ طوق الحصار حول الكيان الصليبى، لزيادة الضغط عليه من الشمال والشرق والغرب والجنوب، تاركاً أمامه موانىء الشاطىء الشامى للبحر المتوسط، ليرحل عنها كما جاء منها؟!.. والصليبيون يريدون مصر، لمنع طاقاتها عن أن تصب فى الصراع ضدهم. ولتظل عازلاً عن مدد المغرب والأندلس، وللحيلولة دون نجاح استراتيجية نور الدين!

وعبر سنوات (٥٥٩ ـ ٥٦٤هـ ١١٦٣ ـ ١١٦٨م) تكررت المواجهات بين جيوش الفريقين على أرض مصر.. لكنها حسمت فى المرة الثالثة لصالح جيش نور الدين، الذى قاده أسد الدين شيركوه، الذى تولى وزارة مصر للخليفة الفاطمى العاضد (٥٤٤ - ٥٦٧ هـ ١١٤٩ ـ ١١٧١م).. وعندما توفى أسد الدين خلفه فى القيادة والوزارة الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م) فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٥٦٤هـ.. ليفتتح بذلك صفحة جديدة ومجيدة فى تاريخ هذا الصراع.. بل وفى سفر التاريخ بإطلاق!.

(يتبع)

شهر الخيرات

[illegible]

رمضان أشع سناه فى الوجدان ... وأتى لنا بعطائه الرحمن

رمضان يا شهر العبادة والتقى ... الكل يسعى فيك للغفران

زانتك من بين الشهور فضائل ... هى كاللآلىء فى دجى الحيران

هو منحة الرحمن جل جلاله ... لعباده ليمدّ أسر العانى

ويُصفَّدُ الشيطان فى أيامه ... فاحذر أخىَّ وساوس الإنسان

هو مرسل النفحات فى يوم اللظى ... للمؤمنين ومنقذ الظمآن

يوم الصيام به تقر نفوسنا ... حيث الصفاء يشيع فى الوجدان

شهر يتيه على الزمان بفضله ... لا فضل يعدل ليلة القرآن

شهر كأن به النفوس ملائكٌ ... متحلقات فى سماء جنان

شهر به تقوى العزائم حيث لا ... أحدٌ يراقب مسلك الإنسان

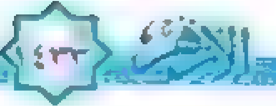
إلا الذى برأ الوجود وقد درى ... ما كان من سر ومن إعلان

من لم يرود نفسه من فيضه ... فلقد هوى للكبر والخسران

رمضان شهر النصر قد دكت بد الإ ... سلام فيه معاقل الطغيان

يا أيها الإنسان فى هذا الدجى ... النور حولك فاخط فى اطمئنان

ندعو الإله بأن يدبر أمرنا ... ويريدنا خيرا بلا نقصان



﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين) اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر بتاريخ ١٠/٨/٢٠٠٨م المقيد برقم ١٣٥٣ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن ورود الأسئلة التالية إلى الإدارة العامة لمجلة الأزهر، للإجابة عليها في باب «استفتاءات القراء»:

استعمال البخاخة في نهار رمضان

السؤال الأول: ورد من السيد / م.أ.م يقول فيه: ما حكم الشرع في استعمال «البخاخة» في نهار رمضان؟

الجواب: البخاخة آلة يستخدمها مريض الربو بها دواء سائل مصحوب بهواء مضغوط بغاز خامل يدفع الدواء من خلال جرعات هوائية يحدثها المريض عن طريق الفم، فيعمل كموسع قصبي تعود معه عملية التنفس حالها الطبيعي. واستعمال هذه البخاخة يفسد الصوم، لأن فيها إيصالا لهذا السائل على هيئة رذاذ له جرم مؤثر إلى الجوف عن طريق منفذ منفتح وهو الفم. وليس صحيحاً ما يقال من أنه مجرد غاز، بل هو غاز مصحوب برذاذ الدواء.

وعلى ذلك فللمريض الذي لا يستغني عن هذه البخاخة في شفائه أن يفطر، بل إذا كان يخشى على نفسه الهلاك إن لم يستخدمها طوال النهار فإن الفطر واجب عليه شرعا حتى لو طال ذلك أو استدام معه، فإذا علم من أهل الخبرة في الطب أن مرضه هذا لا يرجى برؤه وجب عليه إخراج الفدية، وهي أن يطعم عن كل يوم مسكينا، فإذا برئ من مرضه وقدر على الصيام لم يجب عليه القضاء وكفته الفدية التي أخرجها قبل ذلك، لسقوط الصوم عنه حينئذ وعدم مخاطبته به، حيث إن الفدية على الأصح واجبة في حقه ابتداء لا بدلاً عن الصيام.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

من عليه صوم ولم يصمه

السؤال الثاني: ورد من السيدة / هـ.ع.م تقول فيه: لم أتم قضاء الأيام التي أفطرت فيها في رمضان الماضي، وجاء رمضان التالي، فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب: قضاء رمضان واجب على التراخي، ولكن ذلك مقيد عند الجمهور بألا يدخل رمضان آخر، واحتجوا في ذلك بما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان يكون عليَّ الصوم في رمضان، فما أستطيعُ أن أقضيَه إلا في شعبان الشُّغْلُ من رسول الله ﷺ، أو برسول الله ﷺ».

فإن أخره من غير عذر حتى دخل رمضان التالي فإنه يأثم، وعليه مع القضاء الفديةُ: إطعام مسكين عن كل يوم، لما روي عن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة -رضي الله عنهم- قالوا فيمن عليه صوم فلم يصمه حتى أدركه رمضان آخر: عليه القضاء وإطعام مسكين لكل يوم.

وعند الحنفية ورواية عند الحنابلة أن القضاء على التراخي بلا قيد؛ فلو جاء رمضان آخر ولم يقض الفائت قدم صوم الأداء على القضاء، حتى لو نوى الصوم عن القضاء لم يقع إلا عن الأداء، ولا فدية عليه بالتأخير إليه، لإطلاق النص، ولظاهر قوله تعالى:

﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

[البقرة: ١٨٤]

والله سبحانه وتعالى أعلم

القراءة من المصحف أثناء الصلاة

السؤال الثالث: ورد من السيد أ.م.أ يقول فيه: هل يجوز القراءة من المصحف أثناء الصلاة؟

الجواب: من أفضل القربات والسُّنن الحسنات أن يجمع الإنسان بين الحُسْنيين: الصلاة، وقراءة القرآن، فيحرص على ختم القرآن الكريم في صلاته، ولما كان من غير الميسر لكل واحد أن يقوم بذلك من حفظه

تكلم الفقهاء عن إمكانية الاستعانة بالقراءة من المصحف في الصلاة، وذلك عن طريق حمله في اليد، أو وضعه على حامل يمكّن المصلي من القراءة.

ومذهب الشافعية، والمفتى به في مذهب الحنابلة: جواز القراءة من المصحف في الصلاة للإمام والمنفرد لا فرق في ذلك بين فرض ونفل وبين حافظ وغيره، وهذا هو المعتمد. ونقله الإمام ابن قُدامة في «المغني» (١ / ٣٣٦) عن عطاء ويحيى الأنصاري من فقهاء السلف.

وفي صحيح البخاري معلقاً بصيغة الجزم ـ ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢ / ٢٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢ / ٢٥٣) ـ عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنها كان يؤمها عبدها ذكوان ويقرأ من المصحف.

وسئل الإمام الزهري عن رجل يقرأ في رمضان في المصحف، فقال: «كان خيارنا يقرءون في المصاحف». المدونة الكبرى (١ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، والمغني لابن قدامة (١ / ٣٣٥).

وكما أن قراءة القرآن عبادة فإن النظر في المصحف عبادة أيضاً، وانضمام العبادة إلى العبادة لا يوجب المنع، بل يوجب زيادة الأجر؛ إذ فيه زيادة في العمل من النظر في المصحف.

قال حجة الإسلام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١ / ٢٢٩): «وقد قيل الختمة في المصحف بسبع؛ لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة».

والقاعدة الشرعية أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد، والمقصود هو حصول القراءة، فإذا حصل هذا المقصود عن طريق النظر في مكتوب كالمصحف كان جائزاً.

قال الإمام النووي في «المجموع» (٤ / ٢٧): «لو قرأ القرآن من المصحف لم تبطل صلاته، سواء كان يحفظه أو لا، بل يجب عليه ذلك إذا لم يحفظ الفاتحة، ولو قلب أوراقه أحياناً في صلاته لم تبطل».

وقال العلامة منصور البهوتي الحنبلي في «كشاف القناع» (١ / ٣٨٤): «وله ـ أي المصلي ـ القراءة في المصحف ولو حافظاً.. والفرض والنفل سواء. قاله ابن حامد».

بينما يرى الحنفية أن القراءة من المصحف في الصلاة تفسدها، وهو مذهب ابن حزم من الظاهرية واستدل على ذلك بأدلة منها:

ما أخرجه ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (٦٥٥) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «نهانا أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ أن يؤم الناس في المصحف، ونهانا أن يؤمنا إلا المحتلم».

وهذا أثر لا يثبت؛ ففي إسناده نَهْشَل بن سعيد النيسابوري، وهو كذاب متروك، قال عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨ / ١١٥): في أحاديثه مناكير، وقال النسائي كما في «تهذيب التهذيب» (١٠ / ٤٢٧): ليس بثقة. ولا يُكتب حديثه.

ومنها: أن حمل المصحف والنظر فيه وتقليب الأوراق عملٌ كثير.

والجواب المنع من أن يكون حمل المصحف وتقليب أوراقه عملاً كثيراً مبطلاً للصلاة؛ أما الحمل فقد صلى رسول الله ﷺ حاملاً أمامة بنت أبي العاص على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها، وأما تقليب أوراق المصحف فقد جاءت بعض الأحاديث الدالة على إباحة العمل اليسير في الصلاة والتقليب هو من جنس هذا العمل اليسير المغتفر.

والقراءة من المصحف لا يلزم أن تصل لحد العمل الكثير، فتقليب أوراق المصحف يكون في أضيق نطاق لبعد الزمان بين طي الصفحة والتي بعدها، ولكون التقليب في ذاته عملاً يسيراً، وقد يُستعان على هذا بوضع المصحف ذي الخط الكبير على شيء مرتفع أمام المصلي ليقرأ منه الصفحة والصفحتين، ولا يحتاج إلى تقليب الأوراق كثيراً.

وذهب الصاحبان من الحنفية أبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني إلى أن القراءة من المصحف في الصلاة مكروهة مطلقاً سواء في ذلك الفرض والنفل، ولكنها لا تفسد الصلاة؛ لأنها عبادة انضافت إلى عبادة، ووجه الكراهة أنها تشبه بصنيع أهل الكتاب.

والتحقيق أن حصول ما يشبه صنيع أهل الكتاب إنما يكون ممنوعاً إذا كان الفاعل قاصداً لحصول الشبه؛ لأن التشبه تفعّل، وهذه المادة تدل على انعقاد النية والتوجه إلى قصد الفعل ومعاناته، ومن الأصول الشرعية اعتبار قصد المكلف، ويدل على ذلك على ذلك أيضاً ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا فقعدنا فلما سلَّم قال: «إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم: يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم: إن صلى قائماً فصلوا قياماً، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً». و«كاد» تدلّ في الإثبات على انتفاء خبرها مع مقاربة وقوعه، ولذلك لما لم يقصد الصحابة التشبه انتفى ذلك الوصف عنهم شرعاً والمصلي الذي يقرأ من المصحف لا يخطر بباله التشبه بهم، فضلاً عن قصده.

ولذلك قال العلامة ابن نُجيم الحنفي في «البحر الرائق» (٢ / ١١): [اعلم أن التشبه بأهل الكتاب لا يُكره في كل شيء، وإنا نأكل ونشرب كما يفعلون، إنما الحرام هو التشبه فيما كان مذموماً وفيما يقصد به التشبيه. فعلى هذا لو لم يقصد التشبه لا يكره عندهما] أهـ.

وذهب المالكية إلى التفرقة بين الفرض والنفل؛ فرأوا قراءة كراهة المصلي في المصحف في صلاة الفرض مطلقاً سواء كانت القراءة في الأول أو في الأثناء؛ وكذلك يكره في النافلة إذا بدأ في أثنائها؛ لاشتغاله غالباً، ويجوز ذلك في النافلة إذا ابتدأ القراءة في المصحف من غير كراهة؛ لأنه يغتفر فيها ما لا يغتفر في الفرض. منح

الجليل شرح مختصر خليل (١ / ٣٤٥).

ويمكن أن يُجاب عن ذلك بأن هذه الكراهة إنما تتأتى إذا كان العمل في حد العبث، الذي هو اللعب وعمل ما لا فائدة فيه، فيكره للمصلي حينئذ أن يشتغل به؛ لما فيه من منافاة الخشوع. أما القراءة من المصحف في الصلاة فليست من هذا الباب، بل هي عمل يسير يفعله المصلي لحاجة مقصودة. وكل ما كان من هذا الباب فلا بأس أن يأتي به؛ وأصل ذلك ما ورد أن النبي ﷺ خلع نعليه في الصلاة لما أُوحي إليه أن فيهما قذراً، كما رواه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ٩٢)، وأبو داود في سننه (٦٥٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وبناء على ما سبق يثبت ما قررنا من أن القراءة من المصحف في صلاة الفرض والنفل صحيحة وجائزة شرعا ولا كراهة فيها فضلا عن أن تكون مفسدة للصلاة.

على أنه ينبغي التنبيه على أنه مادامت المسألة خلافية فالأمر فيها واسع؛ لما تقرر من أنه لا إنكار في مسائل الخلاف، ولا يجوز أن تكون مثار فتنة ونزاع بين المسلمين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

لاعبو الكرة والصيام

السؤال الرابع: ورد من السيد/ و.م.ن يقول فيه: سمعنا عن بعض اللاعبين أنهم لا يصومون رمضان بحجة مشاركتهم في المباريات أو التدريبات في رمضان لعدم استطاعتهم الصيام مع المجهود المبذول فيها. فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب: اللاعب المرتبط بناديه بعقد عمل يجعله بمنزلة الأجير الملتزم بأداء هذا العمل، فإذا كان هذا العمل الذي ارتبط به في العقد هو مصدر رزقه ولم يكن له بُدٌّ من المشاركة في المباريات في شهر رمضان وكان يغلب على الظن كون الصوم مؤثراً على أدائه فإن له الرخصة في الفطر في هذه الحالة؛ فقد نص العلماء على أنه يجوز الفطر للأجير أو صاحب المهنة الشاقة الذي يعوقه الصوم أو يُضعفه عن عمله، كما نُص في فقه الحنفية على أن من آجر نفسه مدة معلومة ـ وهو متحقق هنا في عقود اللعب والاحتراف ـ ثم جاء رمضان وكان يتضرر بالصوم في عمله فإن له أن يفطر وإن كان عنده ما يكفيه:

قال العلامة ابن عابدين الحنفي في حاشيته «رد المحتار على الدر المختار» (٢ / ٤٢٠): [والذي ينبغي في مسألة المحترف.. أن يقال: إذا كان عنده ما يكفيه وعياله لا يحل له الفطر لأنه يحرم عليه السؤال من الناس فالفطر أولى وإلا فله العمل بقدر ما يكفيه، ولو أداه إلى الفطر يحل له إذا لم يمكنه العمل في غير ذلك مما لا يؤديه إلى الفطر، وكذا لو خاف هلاك زرعه أو سرقته ولم يجد من يعمل له بأجرة المثل وهو يقدر عليها؛ لأن له قطع الصلاة لأقل من ذلك. لكن لو كان آجر نفسه في العمل مدة معلومة فجاء رمضان فالظاهر أن له الفطر وإن كان عنده ما يكفيه إذا لم يرض المستأجر بفسخ الإجارة كما في الظئر، فإنه يجب عليها الإرضاع بالعقد، ويحل لها الإفطار إذا خافت على الولد، فيكون خوفه على نفسه أولى تأمل. هذا ما ظهر لي، والله تعالى أعلم] اهـ.

وقال العلامة الحطاب المالكي في «مواهب الجليل شرح مختصر خليل» (٢ / ٤٤١): [وقال البرزلي: مسألة: الحكم في غبار الكتان وغبار الفحم وغبار خزن الشعير والقمح كالحكم في غبار الجباسين. قال: وعلى هذا يقع السؤال في زماننا إذا وقع الصيام في زمان الصيف فهل يجوز للأجير خروج للحصاد مع الضرورة للفطر أم لا؟ كانت الفتيا عندنا إن كان محتاجا لصنعته لمعاشه ما له منها بد فله ذلك وإلا كره، وأما مالك الزرع فلا خلاف في جواز جمعه زرعه وإن أدى إلى فطره وإلا وقع في النهي عن إضاعة المال. وكذا غزل النساء الكتان وترقيق الخيط بأفواههن: فإن كان الكتان مصريا فجائز مطلقا، وإن كان دمنيا له طعم يتحلل فهي كذوي الصناعات: إن كانت ضعيفة سائغ لها ذلك، وإن كانت غير محتاجة كره لها ذلك في نهار رمضان] اهـ.

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي الشافعي في «تحفة المحتاج» (٣ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠): [ويباح تركه أي رمضان. ومثله بالأولى كل صوم واجب (للمريض) أي: يجب عليه.. (و) يباح تركه لنحو حصاد أو بناء لنفسه أو لغيره تبرعا أو بأجرة ـ وإن لم ينحصر الأمر فيه؛ أخذاً مما يأتي في المرضعة ـ خاف على المال إن صام وتعذر العمل ليلا أو لم يغنه فيؤدي لتلفه أو نقصه نقصا لا يتغابن به، هذا هو الظاهر من كلامهم، وسيأتي في إنقاذ محترم ما يؤيده] اهـ.

قال الشيخ عبدالحميد الشرواني في حاشيته عليه: [قوله ويباح تركه لنحو حصاد إلخ) أفتى الأذرعي بأنه يجب على الحصادين تبييت النية في رمضان كل ليلة ثم من لحقه منهم مشقة شديدة أفطر وإلا فلا. نهاية. زاد الإيعاب: وظاهر أنه يلحق بالحصادين في ذلك سائر أرباب الصنائع المشقة، وقضية إطلاقه أنه لا فرق بين المالك والأجير الغني وغيره والمتبرع، ويشهد له إطلاقهم الآتي في المرضعة الأجيرة أو المتبرعة وإن لم تتعين، نعم يتجه أخذاً مما يأتي فيها تقييد ذلك بما إذا احتيج لفعل تلك الصنعة بأن خيف من تركها نهارا فوات مال له وقع عُرفاً] اهـ.

هذا عن المباريات التي لا مناص للاعب من أدائها، أما التدريبات فما دام أنه يمكن التحكم في وقتها فيجب أن تكون أثناء الليل؛ حتى لا تتعارض مع قدرة اللاعب على الصيام، وإذا خالف المسئولون ذلك مع قدرتهم على جعلها ليلا فهم آثمون؛ لأنه لا يخفى أن ما جاز للضرورة أو الحاجة القائمة مقامها لا يجوز أن يتعداها، والضرورة تقدر بقدرها، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]

فأناط رفع الإثم بعدم البغي والاعتداء.

والله سبحانه وتعالى أعلم

طرائف .. ومواقف

شبيه الشيء منجذب إليه

قال ﷺ: «الصاحب رقعة في الثوب، فلينظر الإنسان بم يرقع ثوبه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «امتحنوا الناس بإخوانهم»

وقال الشاعر

فاعتبروا الأرض بسكانها
واعتبروا الصاحب بالصاحب

وقالوا: كل إلف إلى إلفه ينزع. وقد نظمه شاعر فقال:

والإلف ينزع نحو الآلفين كما
طير السماء على آلافها تقع

وقال آخر:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال آخر:

اصحب ذوي الفضل وأهل الدين
فالمرء منسوب إلى القرين

وقال شاعر:

إن النفوس لأجناد مجندة
بالإذن من ربنا تجري وتحتلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف
وما تناكر منها فهو مختلف

وقال امرؤ القيس:

أجارتنا إنا غريبان هاهنا
وكل غريب للغريب نسيب

العشرة

من شعر مسكين الدارمي.

اصحب الأخيار وارغب فيهم
رب من صحبته مثل الجرب

واصدق الناس إذا حدثتهم
ودع الكذب لمن شاء كذب

رب مهزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهزول الحسب

والد

عندي من العيد الحسان عرائس مثل اللآلي
يلجأن لي فيما يردن وإنني لله لاجئ

«أبو حسام»

من خيار آل البيت

حج هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي فلما أراد أن يستلم الحجر لم يستطع، فبينا هو ينتظر، إذ أقبل علي بن الحسين فتنحى له الناس هيبة وإجلالا، فقال رجل ممن كانوا مع هشام: من هذا؟ فأجابه هشام: لا أعرف. وكان الفرزدق الشاعر المشهور حاضرا فقال قصيدة طويلة منها قوله

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ومنها يمدحه.

يغضي حياء ويغضى من مهابته
فما يكلم إلا حين يبتسم

ومنها:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا

وختمها بقوله:

وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم

لا تزهد في معروف

قال ابن عباس - رضي الله عنهما: «لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره. فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه».

وقال الشاعر:

يد المعروف غنم حيث كانت
تحملها شكور أو كفور

ففي شكر الشكور لها جزاء
وعند الله ما جحد الكفور

وقال وهو من أحسن ما يقال في الإيثار:

أبيت خميص البطن غرثان طاويا
وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي

وأمنحه فرشي وأفترش الثرى
وأجعل قر الليل من دونه لبسي

حذار مخازاة الأحاديث في غد
إذا ضمني وحدي إلى عظمه رمسي

وقال آخر في إكرام الضيف:

يستر سل الضيف أنسا في منازلنا
فليس يعلم خلق أينا الضيف

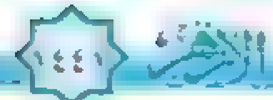
والضيف إن قسته يوما بنا شبها
لم تدر من عزمنا من ذا هو الضيف

تهنئة بالعيد

رأى العيد وجهك عيدا له
وإن كنت زدت عليه جمالا

وكبر حين رآك الهلال
كفعلك حين رأيت الهلالا

رأى منك ما منه أبصرته
هلالا أضاء ووجها تلالا



ما قيل في مسايرة الأيام

قال حكيم: «اصحب الأيام بموادعة، ولا تسابق الدهر فتنكب».

وقال الشاعر:

من سابق الدهر كبا كبوة

لم يستقلها من خطا الدهر

فاخط مع الدهر إذا ما خطا

واجر مع الدهر كما يجرى

لا شك أن الشاعر يقصد من مسايرة الدهر ومجاراته أن يندفع في التيار الذي يشاء أهل الفساد فيه، فإن ذلك فضلا عن منافاته للكرامة الشخصية، فهو شديد الخطر على المجموع، فإن المدنية الفاضلة تقتضى أن تسود الفضائل، وأن يعلو شأن الحامد، فإذا وطن كل إنسان نفسه على أن ينقاد لشهوات أهل الشهوات، تغلبت الرذائل على المجتمع، وباد كما باد غيره ولا كرامة.

وقال بشار العقيلى:

أعاذل إن الدهر سوف يفيق

وإن يسارا من غد لخليق

وما كنت إلا كالزمان إذا صحا

صحوت وإن ماق الزمان أموق

هذا يجب أن يعتبر زجرا للذين على هذه الشاكلة، فإن من يحمق إذا حمق الزمان كان شاهدا على نفسه شأنه من الذين يعيشون ليتنعموا وإن اقتضت النعمة أن يبذلوا في سبيلها كرامتهم ومروءتهم.. ولا يخيل لي أن إنسانا يذم نفسه بأشنع من هذا.

نعل في منديل

دخل رجل على الخليفة المعتصم بالله وهو جالس بين الأمراء والوزراء وفي يده نعل في منديل وقدمها إلى الخليفة قائلا: هذه نعل رسول الله! فأخذها الخليفة ووضعها على عينيه وقبلها من باطنها وظاهرها وأعطاه عشرة آلاف درهم. فلما انصرف الرجل تعجب من كان يجلس مع الخليفة فابتسم وقال لهم:

- إني أعلم أنها ليست نعل رسول الله ﷺ فضلا عن أنه صلوات الله عليه لم يلبسها ولم يرها.

ولكني خشيت إن رددته أن يخرج بين الناس ويقول: «أتيت بنعل رسول الله لخليفة رسول الله فنهرني!».. فيكون الناس أميل إلى تصديقه منهم إلى تكذيبه، لأن من شأن العامة نصرة الضعيف وإن كان ظالما! فأردت أن أشترى لسانه وأصون عرضي، وأن هذا الذي فعلته لأصوب وأحمد.

دعـــاء

اللهم إني أسألك بالمكنون من أسمائك، وما وراء الحجب من آلائك، أن تجعلني ممن فوض أمره إليك، وتوكل في كل الأمور عليك، وجعل حوائجه كلها بين يديك.

إليك



الصحف



المجلات

إعداد

محمود الفشنى

علا عبدالرحمن

ورحل فارس الكلمة الرشيقة والغيرة الإسلامية النادرة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ بسيوني الحلواني في جريدة عقيدتي الصادرة في ٢٠٠٨/٨/٥

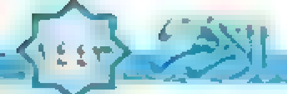
عبدالعظيم المطعني

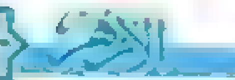
يقول: كل عدة أسابيع يرحل عالم من علماء الأمة، ورغم يقيني بأن أمة الإسلام ولادة وأن عطاء وجهاد علمائها لا ينقطع إلا أنني لا أرى على أرض الواقع من يعوضنا عن هؤلاء العلماء الذين ملأوا الدنيا علما وبحثا وجهادا وإصرارا على كلمة الحق ومواجهة كل المنحرفين والخربين والمضللين الذين حاولوا تشويه صورة ديننا سواء أكانوا من غير المسلمين أم من المسلمين الذين مسخت هويتهم وفسدت عقولهم وماتت ضمائرهم.

ومن هؤلاء العلماء الأفاضل الذين رحلوا عن عالمنا هو الدكتور/ عبدالعظيم المطعني فقد كان عالما فذا ومصدرا مهما للمعلومة والموقف فثقافته الإسلامية الواسعة رغم تخصصه في البلاغة مكنته من أن يتحدث في كل فروع الثقافة الإسلامية وقراءاته الدقيقة وتحليلاته الموضوعية جعلته يرصد بأمانة وإخلاص كل محاولات خصوم الإسلام ويرد على كل الشبهات والمغالطات التي يرددونها لخداع البسطاء من المسلمين وصرف غير المسلمين عن دين الله الخاتم.

ولم تكن الثقافة الإسلامية الواسعة هي وحدها ما يميز الدكتور المطعني فهناك العديد من العلماء والباحثين الذين حصلوا العلوم والمعارف وتفوقوا في تخصصاتهم لكنه تميز عن كل هؤلاء بأنه الرجل صاحب موقف ورأي شجاع يتصدى بجرأة لكل من يتطاول على دين الله يقرأ الصحف جيدا ويتابع معظم ما تنتجه المطابع من كتب وروايات وقصص ويرصد ما فيها من خروج على الآداب العامة وعقيدة الإسلام وأخلاقياته وينبه المسئولين في الأزهر إلى هذه التجاوزات ثم يقوم بواجب آخر وهو الكتابة في الصحف والمجلات وإطلاق الصيحات من خلال المساجد والمتاح له من برامج إذاعة القرآن الكريم.

كل هذه الجهود والمعارك الفكرية التي خاضها الدكتور





عند الشيخ المطعني وضعته في مكانة عالية وسط علماء الأزهر المجاهدين لإعلاء كلمة الحق رغم أنه لم يتقلد منصبا رفيعا ولم يجلس على كرسي من كراسي السلطة والمكاسب الزائفة.

ثم يشير الكاتب إلى كرم المطعني مع تلاميذه وكل من حوله فكان هادئ الطباع لا يبخل على أحد برأي أو معلومة.. تطلبه في أي وقت فيرد عليك حتى وهو في أصعب الظروف بترحيب على تساؤلاتك ويبسر لك الطريق ويخلص لك النصيحة ويحرك فيك مشاعر الغيرة على دينك دون أن يدفعك إلى سلوك طائش أو تصرف يرفضه الإسلام.

وبالفعل كل الذين تعرفوا على الدكتور المطعني كانوا يشعرون أنه صحفي واع في كل وقت وفي أي مكان ولذلك حفر مكانا له في قلوب الجميع لن ينسى الدكتور المطعني وسيظل دائما نسير على نهجه في الصراحة والوضوح والدفاع عن الحق والتمسك بالقيم والمبادئ والأخلاق التي ربانا عليها ديننا.

استطلاعات الرأي في المؤسسات الأمريكية تطبيق الإسلام والعمل به في بعض الدول الإسلامية

تحت هذا العنوان كتب الدكتور عبدالله النجار في عموده قرآن وسنة في جريدة الجمهورية الصادرة ٢٠٠٨/٨/١٨

يقول: لم أشعر بالطمأنينة تجاه ذلك الاستطلاع الذي قامت به إحدى المؤسسات الأمريكية المتخصصة وانتهت فيه إلى أن الإسلام يحظى برغبة أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الشعب المصري والشعبين الإيراني والتركي لتطبيقه والعمل به كقانون بل إن هذا الاستطلاع قد زادني شكا وريبة تجاه القائمين به ولم يغب عن ذهني خطة ذلك الشر الذي يضمرونه للإسلام وأهله ولهذا فإن استطلاعات الرأي التي يقومون بها لن تكون في صالح الإسلام ولن تستهدف مصلحة المسلمين ولكنها تريد أن تشعل فتيل الفتنة الطائفية من خلال شحن الانفعالات المتعصبة لغير المسلمين حتى يحدث مزيد من التوتر بينهم وبين أشقائهم المسلمين بعد أن عجزت أكثر المؤامرات تدبيرا وخبثا في الوقيعة بينهم وأثبت النسيج الوطني المتلاحم والمتداخل بين المسلمين وغير المسلمين على أرض مصر أنه أقوى من كل مؤامرة وأمتن من كل تدبير ولعل ذلك الاستطلاع يمثل لونا جديدا من الحيل الماكرة التي تدبر بليل وفي الخفاء للنيل من تلك الوحدة الوطنية الراسخة في مصر على وجه الخصوص وفي البلدين الإسلاميين وغيرهما من ديار الإسلام على وجه العموم.

إن استطلاعات الرأي التي تعد في البلاد الأمريكية بأي شأن إسلامي ليست صادقة كما أنها ليست صحيحة أو على الأقل هي محل شك كبير وريبة أكبر ولست أدري من هم أولئك الذين تم استطلاع رأيهم؟ ما هي هويتهم وما هو توجههم وما هي حقيقة انتماءاتهم ومقاصدهم؟ وهل كانوا صادقين فيما قالوا أم مستأجرين ليقولوا رأيا موجها تحقيقا لحاجة في نفس يعقوب؟ هذه التساؤلات وغيرها لا توجد إجابات عنها ولن توجد وحتى تلقى إجابة عنها فإنها سوف تظل مرمى للتهمة والشك والريبة.

كما أن الإسلام ليس بحاجة لأن تقوم مؤسسة أمريكية في اصطناع استطلاع للرأي يقول: إنه مقبول ومطلوب تطبيقه وفقا لرغبة أكثر من ٩٠٪ من أبناء البلاد الإسلامية الثلاثة لأنه رحمة الله للعالمين وللناس جميعا وما فيه من الخير موجود لمن يريد أن يطبقه دون استفتاء أو استطلاع للرأي ودون ضغط أو إكراه من أحد لأن الخير لا يكره عليه إنسان والهداية لا يحمل عليها أحد وقد بسط الله لعباده في كتابه الكريم حرية المعتقد فقال سبحانه

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

وهذا البيان القرآني واضح لا يحتاج إلى استطلاع يشوه صورته أو استبيان يلتف حوله وإن حدث لا يكون ذلك الاستطلاع منزها عن الشك والغرض ولهذا يجب أن يكون محل حذر شديد.

اضطهاد المسلمين في الصين

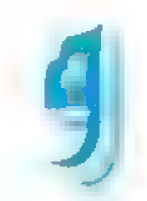
كتب الأستاذ محمد الزرقاني في عموده مجرد اجتهاد في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٨/٨/١٤ يقول:

منذ عدة شهور ثار مواطنو إقليم التبت ضد احتلال الصين لبلادهم المترامية الأطراف، وهي ثورة تجدد كل فترة وباستمرار وواجه الأمن الصيني الموقف كعادته بالعنف المعهود عنه وهنا ثارت دول الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وشهدت مدنها العديد من المظاهرات وأصدرت عواصمها بيانات الشجب والتنديد والتهديد، باعتبار أنها حامية حقوق الإنسان، في العالم كله!

●● وفي نفس توقيت هذه الأحداث ومن قبلها كانت هناك أحداث أخرى تجري في الصين ولكن في إقليم آخر وهو إقليم (تركستان الشرقية) الذي يدين سكانه بالإسلام ولأنهم ليسوا مسلمين اسما فقط وإنما يتمسكون بإسلامهم ويحاولون بقوة الحفاظ على هويتهم الإسلامية والقومية ويتمسكون أيضا بحريتهم في إقامة شعائرهم الدينية، فإن الحكومة الصينية تواجه ذلك بالرفض التام وتسعى لمسخ هويتهم تماما، ولأنها بالطبع لابد أن تواجه بالرفض من قبل هؤلاء المسلمين، فإنها لم تتورع عن استخدام القوة الغاشمة ضدهم، فقتلت منهم الكثيرين، وأعدمت وسجنت الكثيرين بعد محاكمات صورية سريعة لم تتوفر فيها أبسط قواعد العدالة ولم يتمكن خلالها المتهمون- ظلما وعدوانا من الدفاع عن أنفسهم''

●● وما كان من الضروري، وراء كل ما يواجهه المسلمون في تركستان الشرقية- وهم بالمناسبة يتكلمون اللغة التركية، وتسعى السلطات الصينية جعلهم يتحدثون غيرها ويتكلمون الصينية بدلا من أن يتحدثوا - أن يحاولوا الدفاع عن أنفسهم لأنه ليس من المنطقي أن يستسلموا للقتل والترويع والتعذيب والإبادة العرقية دون مقاومة.. وهنا جاءت السلطات الصينية إلى استخدام الأكذوبة والدعاية الغربية التي تتهم المسلمين بالإرهاب وتحصر هذا الاتهام فيهم وحدهم، مع أنهم هم الذين يتعرضون للإرهاب المسلح وغير المسلح ويتعرضون لإرهاب الدولة وإرهاب المنظمات والأفراد.. وجاءت فرصة تنظيمها لدورة الألعاب الأولمبية حيث الأضواء وتحييد العالم ضد مسلمي تركستان الشرقية فاتهمتهم بمحاولة السعي لإفشال الدورة من خلال القيام بأعمال إرهابية، وشنت ضدهم حملات قتل واعتقال وترويع وهي مطمئنة كل الاطمئنان لأن أحدا لن يرفض ما تقوم به، فالعالم الحر الحريص على حقوق الإنسان، لا يعتبر المسلم إنسانا له حقوق، والعالم العربي والإسلامي ليس له وجود على الخريطة''

بين المجلة





إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

عن حقوق الطفل

دخل أعرابي مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة فشاهد النبي ـ ﷺ ـ يداعب حفيديه الحسن والحسين ويقبلهم فتعجب الأعرابي وقال لرسول الله ـ ﷺ ـ تقبلون الصبيان! فما نقبلهم؟! فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة» «صحيح البخاري».

وعنه ﷺ أنه قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» «سنن الترمذي».

كنوز من السنة النبوية المطهرة يقدم فيها النبي ﷺ الدرس العملي لما ينبغي أن تكون عليه علاقة الأب بأبنائه

جمعتني الظروف بطفل صغير في العاشرة من عمره جلس على مقربة مني يلهو وبجواره والدته التي انتهرته وعنفته على لهوة البرئ فتغير وجه الصغير وجلس يستعطف أمه ألا تخبر والده على مافعل من لهو فسكتت الأم وهي تكاد تبكي!!

نظرت إلى الأم أستوضح حقيقة ما يقول الصغير فأومأت برأسها مؤكدة على مأساة يعيشها صغيرها مضيفة بأنها اضطرت لمغادرة منزل الزوجية والإقامة لدى أهلها لا تفقد صغيرها من جبروت أب لا يعرف قلبه معنى للرحمة. ولجأت للقضاء طلبا للطلاق من هذا الزوج القاسي.. وإجراءات التقاضي في هذا النوع من القضايا تطول وتطول لأسباب كثيرة ومتعددة، والعام الدراسي بات وشيكا ومدرسة الصغير بعيدة عن منزل الجدة التي تحتضن الطفل وأمه التي حاولت نقل الطفل من المدرسة توفيرا للجهد والنفقات ولكنها اصطدمت بعقبة جديدة وهي أن الأب لابد أن يوافق على نقل الابن من المدرسة باعتباره ولي الأمر. ولكن الأب رفض بإصرار وعناد.

> سألتها: ألا من سبيل للتصالح مع زوجك من أجل مصلحة طفلك؟!

>> أجابتني: لقد كاد أن يقتله مراراً وأنا لا آمن على حياتي، ولا على حياة طفلي معه!

تذكرت حينها مؤتمرات حقوق الإنسان، وحقوق المرأة وحقوق الطفل والتي تحدثت عن مواقف مشابهة تحدث ليس في مصر وحدها وإنما في العديد من دول العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه.. وتذكرت الضجة التي أثارها البعض تجاه مطالبة مؤسسات حقوق الإنسان بأن يكون للطفل الحق في أن يشكو من سوء معاملة أسرته له، وحقه في الاستنجاد بالمجتمع لتوفير الحماية له من خلال أسرة بديلة ترعاه!!

العديد من الفقهاء والعلماء هاجموا هذا الرأي متعللين بأنه يهدم كيان الأسرة، لأن الأسرة البديلة لن تكون شفيقة ولا رحيمة بهذا الطفل من أسرته الأصلية التي تقسو عليه حرصها على مصلحته!!

وهؤلاء يقولون أيضا كيف يكون الأمر إذا تعلق الأمر بطفلة أنثى وليس بطفل ذكر كيف ستودع لدى أسرة غريبة عنها مع ما في ذلك من اختلاط محرم يرفضه الشرع؟!

فرب أذى أو ضرر سيحدث في هذه الحالة هو أخف وطأة من إزهاق نفس حرم الله قتلها إلا بالحق، ثم إن الطفل قد يستنجد بجده أو عمه أو خاله أو خالته أو أي من أقاربه، فإن لم يتيسر فإن المجتمع بأسره يكون مطالباً بالتدخل لردع مثل هذا الأب وإنقاذ طفل بائس من مصير تعس ونظرة سريعة على صفحات جرائدنا اليومية تجعلنا نرتعد إذ امتلأت صفحات الحوادث بأخبار مروعة عن أب قتل ابنه وعن زوجة أب عذبت ابنة زوجها حتى الموت!!

ولكن الشيء فعلا هو سلوك أولئك الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام وهو منهم براء إذ يرفضون فكرة الأسرة البديلة مع أنه من الممكن وضع العديد من الشروط التي تتضمنها في إطار الإشراف الكامل عليها من قبل الأجهزة المعنية بالمدونة وهو موضوع يحتاج إلى بحث ودراسة مستفيضة من علمائنا الأجلاء بما يقدم الصورة الحقيقية للإسلام الحنيف الذي صار متهماً بالسلبية وعدم تقديم معالجات واقعية فعالة لقضايا اجتماعية مثل الطفولة والأمومة، فهل نحن فاعلون؟!!

أحمد تقي الدين

هذا الشهر الفضيل

من الأستاذ أحمد عبد المحسن علي محمد - مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بنين - الدقي - الجيزة - كانت هذه الأسطر عن الشهر الفضيل:

لقد أظلنا شهر حبيب إلى نفوس المؤمنين فهو من مواسم الطاعة والرحمة والعتق من النيران، إنه شهر الذكر والطاعات، شهر الإيثار والمواساة.

● ولكن هناك بعض الأخطاء والمخالفات التي تقع من كثير من الناس، وأحببت أن أنبه الناس إليها حتى يحذروا منها ويتقربوا إلى الله عز وجل بتركها.

ومن هذه المخالفات:

(١) هناك صنف من الناس يضيق صدره إذا علم بقدوم هذا الشهر الفضيل ومعظم هؤلاء من المدخنين الذين وقعوا في أسر التدخين، ولو كانوا من أهل الحزم لجعلوا من هذا الشهر الفضيل فرصة للتخلص من هذا الوباء الخطير والسموم الفتاكة.

(٢) الكسل وكثرة النوم ولاسيما في نهار شهر رمضان، فمنهم من لا يستيقظ من نومه إلا قبيل المغرب لتناول الإفطار. فيضيع الصلوات المكتوبة.

(٣) كثرة السهر إلى ساعات متأخرة من الليل لغير حاجة فيسهر بعض هؤلاء على ما يغضب الله - عز وجل - من لعب الورق والنرد أو في متابعة القنوات الفضائية.

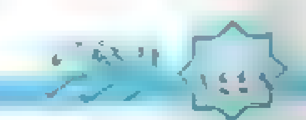
(٤) ومن الأخطاء كثرة الأكل في رمضان حتى أصبح رمضان عند كثير من الناس شهر الطعام والشراب.. يقول النبي - ﷺ -: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن غلبته نفسه فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث للنفس» «السنن الكبرى للنسائي».

(●) ومن أخطاء بعض الناس في رمضان: الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور والخوض في أعراض المسلمين، يقطعون في ذلك ساعات صومهم كما يزعمون وهذا يضعف ثواب الصيام، قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» «صحيح البخاري».

● ومن الأخطاء: إهمال بعض الصلوات، كصلاة الظهر فلا يصليها لكونه نائما. وكذلك المغرب التي يتخلف عنها بعض الناس لانشغاله بالطعام والشراب وكذلك صلاة الفجر التي ينام عنها كثير من الناس، وكذلك صلاة التراويح والانشغال عنها بمشاهدة المسلسلات والفوازير وغيرها من البرامج، قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» «صحيح البخاري».

● وعلى العاقل أن يجعل من هذا الشهر بداية حقيقية لميلاد جديد في ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والله أسأل أن يغفر لنا ذنوبنا وأخطاءنا في هذا الشهر الفضيل.





الصوم عبادة قديمة في الأديان والشرائع

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأديب الأستاذ: فرج مجاهد عبد الوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية:

الصوم عبادة قديمة جدا في التاريخ وهي جزء عقيدة التوحيد لدى جميع الأمم التي أرسل إليها رسول، ونزل عليها كتاب، فهي العبادة المتكررة الوحيدة في جميع الشرائع السماوية. كما تقول الآية الكريمة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ [illegible] ﴾

«البقرة ١٨٣».

وقد قال المفسرون إن هذه الآية تدل على أن جميع الديانات فرض فيها الصوم. وقالوا في معنى الآية: إن الصوم عبادة أصيلة قديمة، لم تفرض عليكم وحدكم، بل شارككم فيها كل الأمم.

المصريون القدماء مثلاً عرفوا الصوم منذ أزمان سحيقة، فكانوا يصومون أيام الأعياد، وكان الكهان يصومون ستة أسابيع في العام وكان صومهم من طلوع الشمس إلى مغربها. وأن الهنود عرفوه قبل الميلاد بعدة قرون وأنه جزء من عاداتهم الشاقة القائمة على الرياضة، وتطهير النفوس بالتعذيب.

ومهما يكن فالصوم شريعة عامة، تنزع إليها النفوس بحافز من السريرة الباطنية، كعلاج قويم لصحة الأبدان، وصحة الأرواح اللذين يستدعيهما بقاء الحياة. وإرضاء الخالق الأعلى على اختلاف صور التدين، ومجالي التعبد:

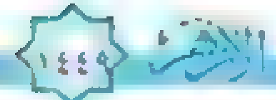
أما الأديان السماوية فالأمر فيها واضح، فالصوم مفروض في التوراة على اليهود، وقد روى أن موسى - عليه السلام - لما قربه الله نجيا، كان قد ترك الأكل أربعين يوماً: ثلاثين ثم عشراً على ما ورد به القرآن الكريم.

وتابع قومه من بعده الصيام كل اثنين وخميس؛ يوم صعد الجبل، ويوم نزل منه. وأهم صيام عندهم صيام «كيبور» وصيام «الغفران» وفيه يحرم على اليهودي القيام بأي عمل من الأعمال. فلا يخرج من منزله إلا إلى المعبد. وهم في صيامهم يمتنعون عن إدخال أي شيء في المعدة لمدة تمتد من غروب الشمس إلى ظهور أول نجمة تظهر في سماء اليوم التالي. ويقع في أيام عديدة من السنة.

كذلك فرض في شريعة عيسى - عليه السلام - وروي عنه: أنه مكث يناجي ربه ستين صباحا لم يأكل. وللمسيحيين صيام كثير، أشهره صوم الميلاد، وعدته: ثلاثة وأربعون يوماً، ويرخص فيه بأكل السمك، وصوم يونس، وصوم العذراء والرسل، وصوم نينوى، ومدته ثلاثة أيام، وصوم النذر والكفارة والتوبة.. إلى غير ذلك.

والصوم الكبير هو الذي صامه المسيح - عليه السلام - ومدته خمسة وخمسون يوما. يمسكون فيه عن كل المواد الغذائية والحيوانية، ومنهم من ينقطعون عن الطعام من منتصف الليل حتى الساعة الثالثة تقريبا من بعد ظهر اليوم التالي.





أثر الصلاة على العلاقات الإنسانية

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ محمد عباس محمد عرابي:

فالصلاة يستقبل المسلم بها يومه ويستقبل الليل بالوقوف بين يدي الله يستهديه في عمله ويستلهمه الرشد فيما يأتي وفيما يدع، خمس مرات كل يوم يناجي فيها خالقه ويربط به أسبابه وحري بهذه الوقفات أن تحول بين المسلم وما يغضب الله، فلا انحصار في ربقة الذاتية، ولا انفلات على إغراء شهوة أو إشباع نزوة بل يستعلي المسلم على كل تلك النقائص، يفيض الخير من ينبوع ضميره، ويستخذي الهوى والشيطان أمام قوة يقينه وصدق الله العظيم:

﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

العنكبوت / آية ٤٥

فالصلاة اتصال متكرر بالله يعصم المسلم من التردي في مهاوي الفحشاء، ويمنعه من استجلاب سخط الله باقتراف المنكر.

ولما كانت طبيعة النفس الإنسانية تجمع غالباً إلى الشرور وعدم الرضا بالواقع وإلى الأنانية، وحب الذات، فإن الصلاة تهذب هذه النفوس وتصقلها بالأخلاق الفاضلة

﴿ [illegible] ﴾

المعارج / آية ١٩-٢٣

والصلاة في مظهرها وحقيقتها نمط كامل من الوحدة والترابط، فكل المصلين يتجهون إلى قبلة واحدة على اختلاف أماكنهم وأوطانهم يتجه الجميع من شتى بقاع الأرض إلى أول بيت بمكة وضعه الله (سبحانه وتعالى) قبلة للمسلمين:

﴿ ... فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

البقرة / آية ١٤٤

والصلاة في المسجد أفضل من صلاة الإنسان في بيته، لأن المسجد مكان اجتماع عدد كبير من الناس

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ [illegible] ﴾

النور / آية ٣٦-٣٨

والصلاة في جماعة خير من صلاة الفرد، لأنها مثال للترابط بين المسلمين فالمصلون مقتدون بإمام واحد وقد وقفوا صفوفاً متراصة ذابت بينهم الفوارق الطبقية وتسمى كل مركز مادي، لأنهم جميعاً في حضرة قدسية عظيمة. والعيد الأسبوعي للمسلمين هو يوم الجمعة حيث يجتمع عدد كبير من المسلمين في بيوت الله يستمعون إلى الخطبة ويتعلمون منها ما يذكرهم بأمر دينهم ومعاشهم ومن مظاهر الوحدة الاجتماع القوي بين المسلمين في عيدي الفطر والأضحى وما يتصل بذلك من عوامل الألفة والمحبة في هذين اليومين.



إعداد الأستاذ / محمد جمعة [illegible]

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يدعو لحماية مسلمي الصين

دعا الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين برئاسة د. يوسف القرضاوي إلى توفير الحماية لمسلمي الصين، معرباً عن قلقه البالغ إزاء الأنباء المتداولة عن الاعتداءات التي يتعرض لها مسلمو إقليم تركستان الشرقية (سينكيانج) على يد السلطات الصينية بدعوى تأمين دورة الألعاب الأولمبية

وقال الاتحاد في بيان له: إنه مهما تكن الأسباب التي تتذرع بها السلطات الصينية لتسويغ هذه الإجراءات، فإنه يجب أن تقرأ في سياق الاضطهاد المستمر لمسلمي تركستان الشرقية الذي بلغ مداه هذا العام بإلقاء القبض على اثنين وخمسين شخصاً بدعوى تخطيطهم لمهاجمة الألعاب الأولمبية.. ومن مظاهر هذا الاضطهاد بحسب البيان ما زعمته السلطات الصينية من إحباطها مؤامرة لبعض أهالي تركستان الشرقية تستهدف اختطاف صحفيين أجانب ورياضيين ومشجعين بمناسبة الألعاب الأولمبية.

وقال الاتحاد إنه يتابع بقلق بالغ الأنباء المتداولة عن هدم السلطات مبنى أحد المساجد في منطقة كالين قرب مدينة إكسو في تركستان الشرقية، ومصادرة نسخ من المصحف الشريف كانت موجودة بالمسجد.

وأضاف: إن السلطات قامت خلال المداهمة بالقبض على عدد كبير من المسلمين وحاكمت

١٥ منهم خلال جلسة سرية يوم ٩ يوليو، حيث قضت بالإعدام على خمسة، بينهم ثلاثة مع وقف التنفيذ وبالسجن مدى الحياة على عشرة وأكد الاتحاد أن نحو ٨ ملايين مسلم في تركستان الشرقية يحتاجون إلى حماية عاجلة ومستمرة من الدول والشعوب الإسلامية.

مفتي فلسطين يحذر من بناء كنيس يهودي في ساحة البراق

حذر الشيخ محمد حسين مفتي العام للقدس والديار الفلسطينية وخطيب المسجد الأقصى المبارك سلطات الاحتلال من مخطط القديم الجديد لبناء كنيس يهودي في ساحة البراق.

وقال المفتي العام في بيان صحفي إن سلطات الاحتلال ماضية بهدم طريق تلة باب المغاربة وإقامة جسر مكانها بهدف تسهيل عمليات اقتحام المسجد الأقصى المبارك من قبل هذه السلطات ومستوطنيها. وأضاف أن سلطات الاحتلال تهدف من بناء كنيس في ساحة البراق ليكون نواة للهيكل المزعوم الذي يسعى المستوطنون والمتطرفون اليهود لإقامته على أنقاض الأقصى وناشد المفتي العام الدول العربية ومنظمة مؤتمر الإسلامي التدخل لوقف هذا العمل العدواني الذي يستهدف عقيدة وحضارة الأمة الإسلامية والشعب الفلسطيني.

الجدير بالذكر أنه في شهر أغسطس الماضي يكون قد مر ٣٩ عامًا على حريق المسجد الأقصى على يد الصهيونية، ورغم مرور تلك السنوات مازالت المعاناة مستمرة ومازال الأقصى يستصرخ المسلمين لحمايته وإنقاذه من يد الصهاينة.

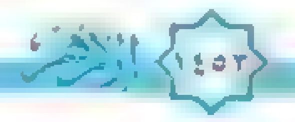
وزارة المرأة الفلسطينية تحذر من اغتصاب الأسيرات بالسجون الإسرائيلية!

حذر تقرير صادر عن وزارة المرأة الفلسطينية من إقدام سلطات الاحتلال الإسرائيلي على اغتصاب الأسيرات الفلسطينيات لإجبارهن على تقديم اعترافات ومعلومات عن المقاومين.

وذكر التقرير الذي تسلمته جامعة الدول العربية أن المحققين الإسرائيليين يهددون بالاعتداء الجنسي والاغتصاب لإجبار المرأة على الاستسلام وتقديم الاعترافات. وأشار التقرير إلى أن هذه الممارسات تتعارض مع قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥ للمادة رقم ١٠ التي تدعو جميع الأطراف في الصراعات المسلحة إلى أن تتخذ تدابير خاصة تحمي الفتيات والنساء من العنف القائم على أساس الجنس في حالات الصراع المسلح.

٢٣٠٠ طالب من غزة يحفظون القرآن الكريم في أقل من ٦٠ يومًا

تمكن أكثر من ألفي طالب فلسطيني حفظ كتاب الله خلال المخيمات الصيفية الخاصة التي أقيمت في قطاع غزة وأعلنت دار القرآن الكريم والسنة، أن عدد الطلاب الحافظين لكتاب الله المنتمين إلى المخيمات القرآنية الصيفية وصل إلى ٢٣٠٠ حافظ وحافظة من أصل ٣٠٠٠ طالب انتسبوا للمخيمات هذا الصيف في كل محافظات قطاع غزة.



إسرائيل تمنع استيراد كتب الأطفال من سوريا ولبنان

أفادت إذاعة الجيش الإسرائيلي بأن إسرائيل منعت استيراد كتب الأطفال باللغة العربية من سوريا ولبنان، بذريعة أن إسرائيل لاتزال في حال حرب مع هذين البلدين.

في أحدث تقرير للكونجرس الأمريكي:

٦٤٨ مليار دولار تكلفة الحرب على العراق

أظهر تقرير للكونجرس الأمريكي أن إجمالي تكلفة حرب العراق تقارب تكلفة حرب فيتنام. وكشف التقرير الجديد لخدمات الأبحاث بالكونجرس أن واشنطن أنفقت ٦٤٨ مليار دولار على عمليات العراق العسكرية في ذات مستوى تكلفة حرب فيتنام وقدرها ٦٨٦ مليار دولار واضعًا في الاعتبار القيمة السوقية للدولار.

ورغم التكلفة الباهظة إلا أن استهلاك حرب العراق من إجمالي الناتج المحلي الأمريكي هو الأقل بين الصراعات العسكرية التي خاضتها واشنطن. فقد بلغت تكلفة الحرب العالمية الثانية ٤.١ تريليون دولار بالقيمة الحالية للدولار والتي مثلت ٣٦ في المائة من إجمالي الناتج المحلي الأمريكي فيما استنفدت حرب فيتنام ٢.٣ في المائة منه.

فرنسا ترفض منح جنسيتها لمغربية منتقبة

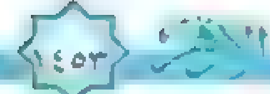
رفضت فرنسا، في حكم قضائي منح جنسيتها لامرأة مغربية منتقبة، على أساس أن ممارستها «الأصولية» للإسلام لا تتوافق مع القيم الأساسية الفرنسية مثل المساواة بين الجنسين.

وذكرت صحيفة لوموند الفرنسية أنها المرة الأولى التي يرفض فيها منح الجنسية لمسلم لأسباب تتعلق بممارساته الدينية الشخصية وجاء في نص حكم مجلس الدولة الفرنسي تأكيدًا لتقرير صحيفة لوموند «إن المرأة تبنت ممارسة أصولية لدينها لا تتوافق مع القيم الأساسية للمجتمع الفرنسي خاصة مبدأ المساواة بين الجنسين».

ويذكر أنه تعيش في فرنسا أكبر جالية مسلمة في أوروبا حيث يبلغ قوامها نحو ٥ ملايين شخص.

افتتاح ثلاثة مساجد جديدة في جمهورية قيرغيزيا

افتتحت الندوة العالمية للشباب الإسلامي ثلاثة مساجد جديدة في جمهورية قيرغيزيا بآسيا الوسطى وذلك في إطار الجهود المبذولة لإعمار بيوت الله وتوفير دور العبادة للمسلمين في أنحاء العالم ومساعدتهم على التمسك بهويتهم.



وأقيمت هذه المساجد الثلاثة في مناطق نائية بولاية جلال أباد الملاصقة لحدود جمهورية أوزبكستان. وقال د. محمد بن عمر مدحج الأمين العام المساعد للندوة بمنطقة مكة المكرمة: إن سكانها معزولون لا يعرفون عن الإسلام شيئا. كما لم تصل إليها مؤسسة إسلامية من قبل رغم النشاط الواسع للمؤسسات غير الإسلامية فيها.

مصنع أمريكي يخصص إجازة في عيد الفطر لعماله المسلمين

أعلن مسئولون في اتحاد نقابات العمال الأمريكيين وعمال في مصنع أمريكي بالاعتبار أنهم اتفقوا على إعادة تقييم أجازة عيد العمال واعتبارها أجازة مدفوعة الأجر. كما اتفقوا على اعتبار فترة عيد الفطر أجازة إضافية مدفوعة الأجر في العقود التي يوقعها المصنع مع المسلمين خلال العام الحالي فقط.

مشروع اسرائيلي لبناء ٦ آلاف مسكن بالقدس

حذرت صحيفة القدس الفلسطينية من أن الحكومة الإسرائيلية تستعد لطرح مشروع بناء في مستوطنة «كيدار» جنوب شرقي القدس المحتلة الواقعة ضمن تجمع مستوطنات «معاليه أدوميم».

علماء فلسطين يؤسسون منظمة «علماء بلا حدود»

أعلن الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية عن اعتزام مجموعة من علماء فلسطين وعدد كبير من العلماء من مختلف دول العالم الإسلامي تأسيس منظمة تحت مسمى «علماء بلا حدود» تمارس أنشطتها بمختلف أرجاء العالم للمساهمة في مكافحة الأمية والفقر ودعم العدالة والسلام الدوليين وقال مفتي القدس: «إن العلماء يسعون من خلال هذه المنظمة إلى محاربة الفقر والأمية في العالم الإسلامي. وتقديم نظرة علمانية موضوعية ومحايدة للتطورات التي تحدث في العالم الإسلامي».

وأوضح أن المنظمة الجديدة ستكون لها مكاتب فرعية عديدة في العالم مثل آسيا والدول المطلة على المحيط الهادي والشرق الأوسط وإفريقيا، والولايات المتحدة وأوروبا.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر يطالب بتجريم أخطاء طباعة المصحف ووضع جزاء رادع بحق مرتكبها

علق فضيلة الشيخ عبد الطاهر أبو عرايه مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة والنشر على ما أثارته قناة المحور في برنامج (٩٠ دقيقة) على لسان أحد أعضاء مجلس الشعب عن وجود أكثر من ٤٠ ألف نسخة من كتاب الله العزيز في الأسواق المصرية بها أخطاء.

حيث أكد فضيلته بأن الرقم المذكور لا يستند إلى دليل ملموس أو إحصاء رسمي، وذكر أنه بالنسبة للأخطاء التي تقع في تجميع ملازم المصحف والتي ينتج عنها تداخل الصفحات وظهور سور من القرآن الكريم في غير موضعها هو هنا خطأ ناجم عن إهمال الناشر في عمله في حين أن النص نفسه سليم

وقد جرى العمل على أن الناشر يقوم بتسليم نسخ من المصحف لمراجعتها بواسطة لجنة مراجعة المصحف بالأزهر الشريف للتأكد من سلامتها وخلوها من أي أخطاء ومن ثم يحصل الناشر على تصريح بالطبع في حالة خلو النسخ المسلمة من الأخطاء

ولكن بعد منح التصريح للناشر يبدأ في الطبع بكميات كبيرة ويفترض في الناشر أنه يرعى الدقة في عمله ولكن قد يحدث خطأ في تجميع الملازم وفي هذه الحالة يقوم الأزهر بإخطار الجهات الأمنية لاتخاذ ما يلزم ويتم رفع دعوى قضائية ضد الدار المتسببة في مثل هذا الخطأ وتحرم من شرف طباعة المصحف الشريف لاحقا

وقد قامت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بتقديم مشروع قرار إلى اللجنة الدينية بمجلس الشعب لإضافة مادة إلى القانون رقم ١٠٢ / ٨٥ بشأن تجريم هذا العمل ووضع جزاء رادع لمثل هذه المخالفات التي تحدث في طبع المصحف الشريف.

خطة للارتقاء بمستوى الدعوة

صرح فضيلة الشيخ عبد الحميد الأطرش الأمين المساعد للدعوة والوعظ بمجمع البحوث الإسلامية بأنه تمت مناقشة خطة للارتقاء بمستوى الدعوة عملياً وذلك بالتعاون مع وزارة الأوقاف.

وتهدف الخطة لتغطية مراكز ومعسكرات الشباب والأندية وتكليف مديري عموم الوعظ بإسناد العمل إلى الوعاظ المتميزين مع جواز الاستعانة ببعض مدرسي الأزهر الشريف من ذوي الخبرة.

تنسيق الطلاب الوافدين

صرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين بأن تنسيق الطلاب الوافدين للدراسة بالأزهر الشريف سينتهي يوم ٣٠ / ٩ / ٢٠٠٨، وستقوم إدارة الوافدين بمعادلة شهادات أبناء المصريين القادمين من الخارج وذلك بعد تقديم الشهادة الدراسية وصورة منها مع باقي المستندات الدالة على صحة البيانات.

وبالنسبة للوافدين الأجانب تتلقى إدارة الوافدين خطاباً من السفارة التابع لها الطالب يفيد صحة شهادته وبياناته. بعدها يتم قبول الطالب للدراسة بالأزهر الشريف بجميع مراحله. كما تم -أيضاً- فتح باب قبول طلبات الالتحاق بالدراسات العليا بجامعة الأزهر.

قرارات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية



انطلاقاً من رسالة الأزهر الشريف أصدرت سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاباً يتضمن قرارات وتوصيات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية التي هي نتاج للأبحاث والموضوعات التي تقدم بها علماء المسلمين عند عقد كل مؤتمر من مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية الأربعة عشر التي عقدت بالقاهرة في المدة من عام ١٩٦٤م وحتى عام ٢٠٠٢م والتي تعرضت لمشاكل الأمة الإسلامية وإيجاد الحلول الأمثل لها على ضوء من هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة وقواعد الشريعة الإسلامية والدفاع عن الإسلام وعن نبيه ﷺ وأبناء المسلمين بالكلمة الطيبة وبأدب الحوار وكذلك استنباط الأحكام التي تتطلبها مقتضيات العصر حتى لا يتهم الإسلام بالجمود وعدم مسايرته للتقدم العلمي ومستحدثات الأمور.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس الدولة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر بمكتبه السيد المستشار/ نبيل مرهم رئيس مجلس الدولة يرافقه المستشار معتز كامل مرسي - نائب رئيس مجلس الدولة والأمين العام لمجلس الدولة.

ورحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد المستشار في الأزهر الشريف، وهي الزيارة الأولى لسيادته منذ أن تولى منصبه رئيساً لمجلس الدولة.

وتأتي هذه الزيارة في إطار التعارف والتعاون المثمر وتوطيد العلاقة بين الأزهر ومجلس الدولة وهي خطوة على طريق تبادل الزيارات.

ومن جانبه أبدى المستشار سعادته بزيارة مشيخة الأزهر [illegible] التعاون بين الأزهر ومجلس الدولة.

الأزهر يستضيف وفداً من جامعة سراييفو

استقبل الأستاذ/ عبد النبي فراج - رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر الشريف - نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف - في مشيخة الأزهر [illegible] بجامعة سراييفو من جمهورية البوسنة وعددهم (١٨) طالباً وطالبة وذلك في إطار التعاون مع الصندوق المصري للتعاون الفني مع دول الكومنولث بوزارة الخارجية المصرية.

ورحب سيادته بالسادة الحضور في الأزهر الشريف، مشيداً بالصلة القوية بين الأزهر والبوسنة، [illegible] الأزهر، يتلقون العلم إلى جانب أبناء دول العالم، وأن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة، كما أن الأزهر الشريف يقوم بالتأكيد على حفظ القرآن الكريم في مراحل التعليم المختلفة إلى جانب تدريس المواد الشرعية والعربية والمواد الثقافية واللغات، ويساير

متطلبات العصر. ثم قام فضيلته بتقديم شرح مبسط عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف.

وأكد سيادته على ضرورة وفضل تعلم اللغة العربية وبخاصة لدى المسلمين الناطقين بغير العربية لما يعينهم على فهم شريعة الإسلام فهما سليما. مؤكدا بأن الأزهر الشريف هو مؤسسة دينية تعليمية كبرى لا تعرف تعصبا لمذهب بعينه وإنما تدرس جميع المذاهب الإسلامية في معاهدها وفي جامعاتها. فالإسلام رسالة عالمية صالحة لكل زمان ومكان. فلا تفرق بين قوم وقوم أو لون ولون أو جنس وجنس وإنما جعل التفاضل بين الأقوام في التقوى، ونحن نؤمن بهذه المبادئ السامية ونسعى لتطبيقها ونجعلها المنهاج والمرجع

والأزهر يستقبل أئمة ووعاظ العالم الإسلامي من شتى بقاع الأرض لحضور الدورات التدريبية التي يعقدها كل ثلاثة أشهر لتبصيرهم بأمور الدين الإسلامي ليكونوا رسلا له حينما يعودون إلى بلادهم. وبذلك يكونوا على صلة دائمة بالأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء. كما يوفد الأزهر العلماء في شهر رمضان لأكثر من خمسين دولة لتعريف المبادئ الصحيحة للدين الإسلامي كما يستقبل الطلاب الوافدين من أكثر من مائة دولة يتعلمون صحيح الإسلام في الأزهر الشريف.

اعتماد نتيجة الدور الثاني للشهادة الابتدائية

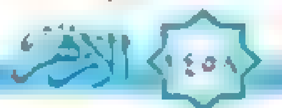
اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر صباح الثلاثاء الموافق ١٢ / ٨ / ٢٠٠٨م نتيجة امتحان الدور الثاني للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م على مستوى الجمهورية.

حيث تقدم لأداء الامتحان للدور الثاني ٥٢٦٤٨ تلميذا وتلميذة نجح منهم ٤٣٦٢٢؛ وبذلك تكون النسبة المئوية العامة للنجاح في الدورين الأول والثاني معا للعام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م (٩٥٠٢).

شهد اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ / عبد الفتاح علام ـ وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ / زكريا إسماعيل ـ رئيس قطاع المعاهد وفضيلة الشيخ ـ محمد الخزرجي ـ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر

ختام الملتقى الثقافي الخامس عشر لمدن البعوث الإسلامية

في ختام الملتقى الثقافي الخامس عشر لمدن البعوث الإسلامية المقام بمدينة البعوث الإسلامية بالإسكندرية والذى بدأ في الفترة من ٦ / ٧ / ٢٠٠٨ وحتى ١٦ / ٨ / ٢٠٠٨ والذى اشتمل على لقاءات ثقافية ومحاضرات للسادة أصحاب الفضيلة قيادات وعلماء الأزهر وأساتذة جامعة الأزهر.



اختتم فضيلة الإمام الأكبر اللقاء الثقافي بمحاضرة ألقاها يوم الأربعاء الموافق ١٢ / ٨ / ٢٠٠٨ عقب صلاة المغرب بمدينة البعوث الإسلامية بالعصافرة بالإسكندرية.

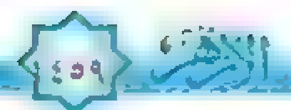
ترقيات

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ـ شيخ الأزهر القرار الآتي:

يعين بطريق النقل السادة الآتية أسماؤهم بعد من شاغلي درجة كبير بالوظائف القيادية الموضحة قرين اسم كل منهم بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف:

الشيخ يوسف محمد حسان رمضان ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بني سويف والشيخ عبدالموجود عطية سليمان معوض ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية القليوبية والشيخ عبدالسلام حسين خلف عبدالباقي ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية الفيوم والشيخ أحمد السيد حسانين الديب ـ مدير عام منطقة أزهرية (ب) السويس والشيخ صلاح صديق همام سليمان ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية الجيزة والشيخ محمد أحمد حسن يوسف السديوى ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية الإسكندرية والشيخ سالم محمد سالم مسلم ـ مدير عام الإدارة العامة للدعوة والشيخ عبدالله عبدالمجيد سليمان حسن ـ مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني أسيوط والشيخ شوقي عبدالله عطية عبدالرحمن ـ مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني شمال سيناء والشيخ جلال عبدالغني على الخطيبي شيخ معهد المنصورة الثانوى بنين والشيخ يسرى محمد حسن سليم ـ شيخ معهد قنا الثانوى بنين والشيخ محمود عبدالفتاح محمد شت ـ مدير عام المعاهد التجريبية والنموذجية.

مهندس/ نبيل محمود محمد إبراهيم ـ مدير عام الإدارة العامة للأبنية التعليمية والإدارية والسيد/ عادل عبدالبديع محمد الدهتورى ـ مدير عام المعامل والوسائل التعليمية والسيد/ محمود سعيد مصطفى محمد ـ مدير عام الكمبيوتر التعليمي والسيد/ محمود أحمد حسين أحمد ـ مدير عام الإدارة العامة للأملاك والشيخ إبراهيم لطفي السيد إبراهيم ـ مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني دمياط.



The life of Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) is very diverse and has so many aspects that it cannot be dealt with briefly or swiftly. Almost 1500 years have passed since the death of the Holy Prophet. During these years, so many incidents and happenings have occurred that prove the truthfulness of the Holy Quran. It also confirms what the Prophet said about himself: *"I was given five attributes that were given to no-one before me: frightening was used to give me victory, the earth was made a prayer place for me and its soil pure; I was allowed to mediate on behalf of my followers, and* ***Allah made me the final Prophet and Messenger."***

Islam is the final religion and Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) is the last Prophet and Messenger. This is actual proof of the truthfulness of the Message of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) that we present to those that refuse to believe in his Message and insist on closing their minds and hearts to the obvious truth. They are deceived by their strength, power and scientific knowledge and ignore the religion of Islam that encourages the meditation and examination of all forms of God's creations in the world.

"Do not the unbelievers see that the heavens and the earth were one mass, then We rent them apart, and We made every living thing out of water? Will they not then believe? And We have placed in the ground mountains standing firm so that it does not shake with them, and We have made it in ravines so they may find their way. And We have made the heavens a well-guarded roof, yet they still turn away from its signs. God is the one who created the night, the day, the sun and the moon, each one is traveling in an orbit with its own motion"

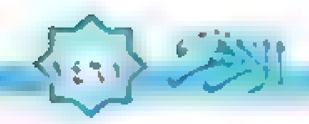
(Al-Anbiyaa (The Prophets): 30 – 33)

"Have you not seen how your Lord has spread the shade? If He willed, He could have made it stationary. Then We made the sun its guide"

(Al Furqan (The criterion): 45)

Those who are deceived with their limited knowledge, if only they looked around them, would realize that what they refer to as Modern Science was actually founded by Muslim Scientists and was based on the Muslim civilization and its scientific achievements.

One of the Western researchers mentioned that: "Knowledge is one of the most important benefits of the Muslim civilization to Mankind and the modern world, based on the teachings of the Quran and the instructions of the Prophet. The intellect that was created in the West by the Arab culture appeared after a long period of ignorance. Islamic knowledge was not the only factor that revived Europe. Other Islamic factors were also effective in pumping new life into the Western world and affecting all aspects of its advancement."



Another Western researcher states: "Islamic scholars have ascertained that a purely secular view of life does not lead to advancement of a nation. The only hope of revealing the truth lies in looking at the events themselves. Thus, their policy was to adopt a scientific method that involves feelings."

There are other means of evidence to prove that Muhammad is a true prophet. In the Quran, there are verses that put blame on the Prophet for certain actions. If the Quran was not a Holy Book and was fabricated by Muhammad, as some claim, it would not direct any blame or admonish him for any actions. We would not have found words in the Quran such as those saying:

"He frowned and turned away; when there came to him a blind man."

(Abasa (He frowned): 1, 2)

To the end of that Surah that admonishes the Holy Prophet for not receiving a blind man properly.

The history of the life of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon Him) is full of evidence of his truthfulness and proof that he is a Holy Prophet. We do not need to prove that he is a prophet, since his honor is an extension of the power of God who needs no evidence to prove His existence. An honest believer can feel the presence of God in his heart and mind and in everything around him.

The Quran also provides decisive, convincing answers for those who insist on going into endless arguments in an attempt to embarrass the Prophet and prove him wrong. The Quran Says:

"And he has set for us a similitude and forgotten how he was created. He says: "Who will revive the bones when they are rotten?" Say: "He shall revive them, the One who originated them the first time. He is all-knowing of all creation"

(Yassin: 78, 79)

God also Says:

"And they will say: " who will bring us back?" Say: the One who created you the first time."

(Al-Israa (The night journey): 51)

There are many other illuminating verses in the Quran, which was Prophet Muhammad's first miracle, that light up the path of Muslims with the grace of God.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil





vegetables, fruit juices and hot drinks. Nutritionists also recommend this nutritional diet for seven days twice a year in spring and in autumn. This allows the body to avoid many health problems, especially in old-age.

Fasting in Islam has an advantage that it allows its followers to eat whatever they like at the end of the day (except the kinds of food prohibited by Islam). This allows the body to replace the energy it has lost and protects the Muslim from diseases that arise from mal-nutrition or deficiency in vitamins or mineral salts. This is contrary to other kinds of fasting which extend for long periods of time, such as for vegetarians that rely solely on vegetables for nutrition.

As such, we find that the method of fasting in Islam takes into account the benefit to the human body in addition to the well-being and purity of the soul. This keeps the body energetic and active. Some ignorant people believe that fasting leads to weakness and anemia. This is totally wrong, since fasting has only good effects on the Muslim. Allah says: ***"If you fast, it is better for you, if only you knew."*** (Al-Baqarra (The Cow): 184)

The month of Ramadan is also a special month because, in it, the Holy Quran was revealed to guide people to the right path. We should study the words of Allah in which He Says:

"Why do they not meditate on the Quran, or are there locks on the hearts" (Muhammad: 24)

And His Saying:

"Do they not reflect upon the Quran, had it been from other than God, they would surely have found in it many inconsistencies"
(An Nisa'a (The Women): 82)

It is natural that the ability of Muslims to understand the words of the Quran is different, due to different levels of knowledge in different periods of time and differences in intellect.

The Need for Prophet Muhammad...!

(May the blessings and peace of Allah be upon Him)

By: Ustaz Muhammad Mustapha Al-Basiony

Allah almighty says in the Holy Quran, addressing his Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him), emphasizing his role in delivering the final Message of all times: ***"O Prophet, indeed We have sent you to be witness, and a bearer of glad tidings and to warn; And call to the Way of Allah, by His permission, and as an illuminating light."*** (Al-Ahzab (The Allied parries): 45, 46)

Any believer who meditates on these words of Allah would realize that Allah describes the Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) as an illuminating light. God has explained this in other parts of the Quran and clarified the meaning of illuminating light. This is part of the miracles of the Holy Quran, that it explains itself. It should be explained as a whole, not individually, as mentioned by the great Islamic scholar Mahmoud Shaltout. Allah Says about the light:

"And made the moon a light therein, and made the sun a lamp"
(Nooh: 16)

And in another verse: ***"And placed a blazing lamp"***

(Al-Nabaa (The tiding): 13)

Let us examine carefully these Holy words. We can deduce from them that Allah describes his Prophet as a sun and moon that bring light to the world. The Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him), with his Holy message, is the light that illuminates our days, just like the sun, and our nights, like the moon. Prophet Muhammad leads us at all times to the right path with its wisdom and certainty, away from any misdeeds and ignorance.

The beginning of the light of Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) and his message was a new birth for the world and a new spring in life. The birth of this Prophet, which was prophesized by previous Holy Books, brought light to the entire human race. With his coming, the Muslims formed a nation that was neither tyrannical nor submissive. They became an intermediate nation, not like the previous state in which people were either heartless or had no power to be merciful.

Muslims, at the present time, are in great need for adopting the path of the Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him), since they are now in a decisive period of time. They need to attempt to strengthen their faith, in order to be true followers of this great Prophet.

Fasting in Ramadan Purifies the Soul and Body...!

By: Dr. Ahmad Fouad Pacha

Fasting is the best way to purify the soul and body. Allah ordered Muslims and those before them to fast. He Says:

"O you who believe! Fasting is ordained for you as it was ordained for those before you, that you may be pious."

(Al-Baqarra (The Cow): 183)

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) has indicated clearly how Muslims should fast and the aim and advantages of fasting. As for scientific research, it has uncovered several important facts about fasting that proves the Holy Wisdom in enforcing fasting. It is not only a means of worship but also an important method to maintain the life and health of humans.

God has chosen the great month of Ramadan, in which the Holy Quran was revealed, to be the month of fasting. With the coming of Ramadan, Muslims feel happy and optimistic. They receive this month with the saying of the Prophet (whenever He used to see the moon of Ramadan): "*Allah is Great. O Allah, Begin this month with goodness, faith, safety and Islam and guide us to that which pleases You. My God and yours is Allah, O crescent of prosperity and wisdom*".

In the month of Ramadan, spiritual peacefulness and faith increases due to constant prayer by night, reading of the Quran and praising Allah and asking for His forgiveness. Muslims also avoid talking about others, arguments and any bad deeds. All this removes any bad feelings the Muslim may have that may affect his psychological well-being and could even affect his physical health. The sincere faith in Allah during this Holy month actually has a miraculous effect in curing such medical conditions before they increase.

Fasting is a real indication of the faith of the Muslim. When this great month begins, every Muslim has prepared himself spiritually for its coming. These holy days pass by until the twentieth day of Ramadan. At this time, Muslims dedicate all their time to worship in the mosque following in the path of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him). The lady Aishaa (May Allah be pleased with her) said: "The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) used to pray all night during the last ten days of Ramadan, and he used to wake his household to pray". This complete dedication to the worship of Allah increases the purity of the soul and its ability to accept the bestowments of Allah on his worshippers. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "*Whoever fasts Ramadan with faith and belief will have his sins forgiven*".

On the other hand, fasting is regarded as a medical way to purify the body from any excess or toxic substances or unwanted remains of food. As a result, many medical journals treat fasting as a method of nutritional treatment. A Muslim fasts about 12 to 16 hours daily, depending on the season: winter or summer, spring or autumn. During these few hours, the level of sugar in the blood decreases. The body then attempts to find another source of energy, and uses the stored carbohydrates in the liver. This store of food is enough to provide the body with energy for about 6 hours. After it is used up, the body then breaks down the store of fat under the skin and around the organs to obtain the required energy. The body also breaks down any unnecessary cells, such as those that are not healthy, and, thus, gets rid of the toxic substances present in it. This is followed by building new cells to replace those that were broken down. All this renews the biological constituents of the body and makes it more efficient and energetic.

It is well known in most modern medical institutions that there are basic rules to improve bodily functions. This relies on simple nutrition and abstaining from all usual means of nutrition for specific periods of time. They recommend relying on only simple food that is easy to digest, such as

Ramadan is a Holy month. It is a method to purify the soul and the society. In it, all Muslims have a collective feeling that the days of Ramadan are not like other days. They are days for obedience to Allah. Its daytime is spent in fasting, worshipping Allah and reading the Quran. Its nights are spent in prayer. In this way, human cravings are suppressed and people rush to do good, give alms to the poor and obey Allah.

Allah chose this month to reveal the Quran in it. He Says:

"The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed as a guidance for people, in it are clear signs of guidance and the criterion" (Al-Baqarra (The Cow): 185)

It is, therefore, not strange that people try to read and listen to the Quran as much as possible all through the month of Ramadan. Voices are heard in all places reading the Quran. In this great month, Al-Azhar sends many Islamic preachers and reciters of the Quran to all Muslim countries and countries that have large Muslim communities. They help to celebrate Ramadan by spending its nights in preaching and reading the Quran.

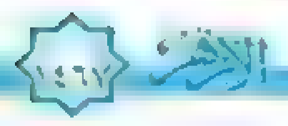
In Ramadan, there is a general feeling of compassion in Muslim communities. It is, indeed, a month for providing for the poor and needy and weak. Islamic Law encourages this feeling of compassion and brotherhood. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: *"Whoever breaks the fast of someone who is fasting will have the same reward as him, without decreasing the reward of the person who was fasting"*.

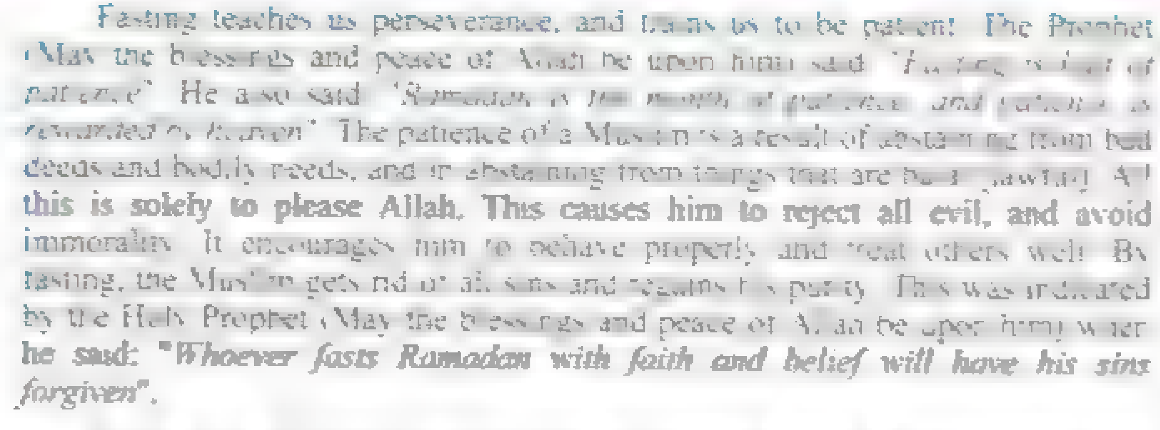
Fasting is a means of reminding us of all the gifts and blessings bestowed upon us by Allah. Continuing to benefit from these blessings may cause us to forget or disregard them. When it is stopped, as in Ramadan, the person remembers these bestowments and the generosity of Allah. Hunger reminds the fasting Muslim of the gift of food, while thirst reminds him of the gift of water. This causes him to remember Allah, the provider of these blessings.

Fasting also keeps us away from misdeeds by lowering our gaze and preventing our tongues from mentioning any bad words or lies or talking about people behind their backs. It prevents disputes and arguments. It is mentioned in the sayings of the Holy Prophet: *"He who does not abstain from being a false witness, then Allah does not need him to abstain from food and drink"*.

Piousness is the main aim from fasting, as mentioned in the Holy Quran: *"Fasting is ordained for you as it was ordained for those before you, that you may be pious."* (Al-Baqarra (The Cow): 183)

In being pious, a Muslim is rewarded by Allah's approval. Allah says: *"Allah does not get its meat or its blood, but he gets your piousness"*
(Al-Haj (The Pilgrimage): 37)





Fasting teaches us perseverance, and trains us to be patient. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: *"Fasting is half of patience"*. He also said: *"Ramadan is the month of patience, and patience is rewarded by heaven"*. The patience of a Muslim is a result of abstaining from bad deeds and bodily needs, and in abstaining from things that are basically lawful. All this is solely to please Allah. This causes him to reject all evil, and avoid immorality. It encourages him to behave properly and treat others well. By fasting, the Muslim gets rid of all sins and regains his purity. This was indicated by the Holy Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) when he said: *"Whoever fasts Ramadan with faith and belief will have his sins forgiven"*.

In this way, the fasting Muslim abides by Islamic laws, and he is revived by obedience to Allah. He tries to get close to Allah by doing good deeds and this makes him more serene and peaceful. He also feels joy in his nearness to Allah and feels that his deeds are accepted favorably. His soul seeks Allah by praying with conviction that his prayers will be answered. Allah says while mentioning fasting:

"And if My bond men ask you about Me, surely I am near, I answer the prayer of he who calls Me, so let them respond to My call and believe in Me, that they may be rightly guided".

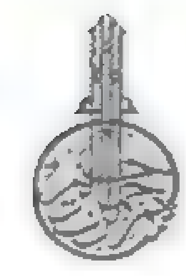
(Al-Baqarra (The Cow): 186)

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: *"The person who fasts has an invocation that is answered"*. It is, therefore, preferred for the fasting Muslim to invocate while breaking his fast, and this invocation may be: "O Allah, for You I have fasted, and in You I believe, and with Your bestowments I break my fast, thirst is ended and blood vessels are wetted and the reward is taken with the grace of Allah. O Allah, help us to fast by day and pray through the night, and to lower our gaze, and to hold our tongues".

It is also preferred, during the night of Al-Qadr, to say this prayer: "O Allah, you are all forgiving and love forgiveness, so forgive me". This is because the spiritual side of the person who fasts reaches its peak on the last ten days of Ramadan, especially in the greatest and most honored night, the night of Al-Qadr



AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan, 1429



ENGLISH SECTION
September, 2008

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

> ***"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."***
>
> **(Al A'raf 43)**

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

RAMADAN: THE MONTH OF THE QURAN...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Ramadan is the month of mercy and forgiveness, and the month of the Quran. It has a [illegible] should receive this month in the best possible way.

The Prophet [illegible] *worshippers know the value of Ramadan, my people would wish that the whole* [illegible] *and the devils are tied down in it. There is a night in it for Allah, better than a* [illegible] *person."*

This honorable month is now near, so we must look forward to it. We should start working hard and put [illegible] ensure that we pray Taraweeh (Ramadan prayer) at night, and fast all day.

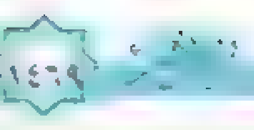
Fasting has many benefits. [illegible] orders of Allah. [illegible] the spiritual side in preference to [illegible] *with his breakfast, and if he dies he is pleased with his fasting"*. Fasting is the only means of worship that has [illegible] faith. As a result, when a person performs it, [illegible] This makes him more aware of [illegible] of Allah.

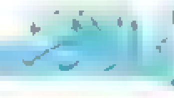
Allah says:

"O you who believe! Fasting is ordained for you as it was ordained for those before you, that you may be pious."

(Al-Baqarra (The Cow): 183)

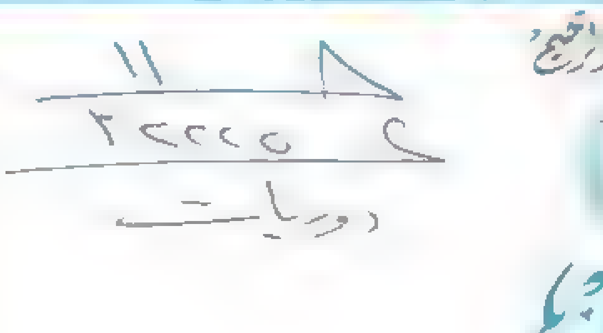
To indicate the great honor in fasting, Allah has claimed it for Himself alone in his Greatness, as stated [illegible] is for him except fasting, it is for Me and I reward it".





الفهـــرس


الأزهر
رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا




بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا   الدول العربية ٥٠ دولارا امريكيا

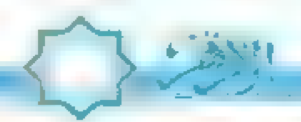
اوربا وامريكا ٨٥ دولارا امريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا امريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

شوال ١٤٢٩هـ - اكتوبر ٢٠٠٨م - الجزء العاشر - السنة (٨١)






من الأمانة العلمية

تأليفا - تدريسا - تقديما

(مقدمة)

جاءني أستاذ كبير بإحدى الكليات الجامعية ساخطا كل السخط على ما نشرته من قبل عن الخيانات العلمية التي تقع من أدعياء التأليف، مؤكدا أن السمعة العلمية لمصر في العالم العربي تهتز بمثل هذه المقالات!! وإخواننا العرب يعرفون أن الأساتذة ليسوا من طراز واحد؛ فمنهم الأمين المتحرر، وما أكثر هؤلاء من قبل لا الآن، ومنهم الدعي المتسرع. كما أن طلاب العرب في جامعات مصر، يعرفون عنها ما يعرفه المصريون جميعا، ويقدّرون الفاضل لفضله، ويهزءون بالدعيّ لانحداره! ففيم الخوف من كتابة مقال صادق ليس فيه كلمة واحدة تلفقها الخيال؟!

قلتُ هذا لمحدثي، فقال: ولماذا وقد اعترفت بوجود هؤلاء النابهين من الأصلاء، لا تكتب عن محاسنهم كما كتبت عن مساوئ الآخرين؟

قلت: يا سيدي إن الأصل في أهل العلم أن يكونوا أمناء، فإذا سار هذا الأصل على سننه، فهو المتوقع الذي لا يثير دهشة، ولا يدعو إلى استغراب، إنه أمر طبيعي كما تشرق الشمس صباحا من المشرق، وتعود إلى ستارها في المغرب، أما الذي يوجب الدهشة حقا فهو الشذوذ الطارئ في هذه الخيانات المنكرة، وواجب الكتّاب أن يشيروا إليها دون استحياء، وقد بدأتْ على نحو متقطع، فلم يكد يلتفت إليها أحد. ثم اتسع الخرق على الراقع. فصارت ظاهرة مشهودة. تحدث عنها الناس لمسا وسماعا.

أفنقول من بعد: إننا نسيء إلى مصر حين نشخص الداء ونلتمس الدواء!

وقد دعاني حديث صاحبي إلى أن أفكر في كتابة مقال، يتحدث عن الأمانة العلمية؛ ليكون

مثلا مرجوا للشبيبة العلمية المتطلعة، وليصبح بحقائقه السافرة، داعيا إلى الاحتذاء، منفراً من السطو والادعاء. وقد سبق لي أن أشرت إلى بعض ما سأتناوله في صحف شتى - فإذا احتويتُ مما ذكرت بعض ما يُسعد القارئ، ويدعو إلى الأسوة فقد بلغت ما أريد.

تأليفا

من أمثلة الأمانة العلمية التي أذكرها في مجال التأليف الجامعي. ما أقرؤه عن كتاب (الجغرافية التاريخية الإسلامية) للأستاذ محمد أحمد حسونة بك - أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - وهو أول كتاب عربي في موضوعه، ومؤلفه مؤرخ فاضل له نشاطه في الإدارة التربوية، وفي التأليف، وكتبه المدرسية وغير المدرسية شاهدة بفضله. وقد جاوز الستين قبل أن يخط كتابه سنة ١٩٥٠م. وقد أسندت إليه الكلية تدريس مادة الجغرافية الإسلامية. وهي مادة جديدة لم يكتب عنها شيء من قبل. فماذا صنع الأستاذ الأصيل؟ لقد كتب كتابه مشكورا فوفق إلى خير كثير. فعطه حقّه حين قال في مقدمة الكتاب

«ولما كنت عديم الخبرة بهذا الموضوع. فقد رجوت بعض علمائنا الفطاحل في الجغرافيا. أن يكتبوا فيه، ولو كانت كتاباتهم عن العناصر المهمّة، ولكنهم اعتذروا بضيق الوقت، وهو عذر حقيقي بسبب ما ينوءون به من مهام الدولة، ومن ثم عكفت على تتبع آثارهم، وجعلتُ أساس عملي رسالة قدمها الأستاذ / حسن بك جوهر لنيل درجة الماجستير فاحتذيتها احتذاء يكاد يكون كليا، واستعنت بما كتبه سعادة الأستاذ / مصطفى عامر بك وكيل وزارة المعارف، وحضرة الأستاذ الدكتور عباس بك عمار، ولم أتورّع عن الأخذ من كتابات هؤلاء الأعلام، وكثيرا ما نقلت أفكارهم بأسلوبهم خشية أن أضل إذا أنا حاولت تغيير الصيغة التي حاروها، ورحم الله امرءا عرف حدود جهله ووقف عندها، فما ورد في هذه الوريقات من الصواب فمرده إلى هؤلاء العلماء وأمثالهم، وما ورد من الخطأ فمرجعه إلى تقصيري، ورجائي أن يكون هذا الخطأ من الجسامة بحيث يحفز أحد هؤلاء المتخصصين على التأليف في موضوع حان الوقت لتدريسه».

هذا ما جاء في مقدمة الكتاب! أما الكتاب نفسه فذو جهد مشكور واضح؛ إذ تعرض المؤلف بإفاضة إلى الحديث عن جغرافية بلاد العرب، وعن طرق القوافل بالجزيرة ثم عن الظروف الجغرافية التي هيأت فتح العراق وفارس فأتى بما لم يسبق إليه، وانتقل إلى فتوح الشام ومصر وبلاد السودان والمغرب. فتحدث عن العوامل الجغرافية بما لم يشغل بال المؤرخين من قبل! وبعد ذلك كله يصارح الأستاذ طلابه في الدراسات العليا وفي سنوات الكلية بأنه عديم الخبرة في الموضوع. وقد رجا المختصين أن يؤلفوا فاعتذروا. وقد اعتمد على مؤلفاتهم وكان أحيانا ينقل العبارة بحروفها خشية أن يضل إذا لجأ إلى الاختصار أو البسط، وأن أخطاءه من الجسامة بحيث يجب أن تدفع هؤلاء إلى الكتابة الصحيحة تلافيا لعثراته!! هذا القول

الباهر الرائع لم ينقص من قدر الأستاذ، بل زاده تقديرا وسموا، ولولا أنه يعرف أمانة البحث، وضرورة التنبيه إلى بعض ما قد يعتوره من نقص، ما أسهب في تسجيل ما ينم عن قصوره، وهو قصور متوهم.

لقد كان في استطاعة الرجل أن يكتفي بمثل قوله: إن الموضوع جديد، وقد انتفع بمؤلفات فلان وفلان. ثم يسكت. فلا يتحدث عن جهله بالموضوع بدءا وأنه ينقل النص بحروفه كيلا يضل، كان في استطاعته أن يقول ذلك دون اعتراف بما تردد في داخله من معان يظنها المغرور أنها تسيء إلى فضله، ولكنّ حرمة العلم، وجلال الأستاذية، وخطورة التبعة الخلقية لا الإدارية، كل ذلك قد فرض عليه أن يتحدث عما عاني وكابد! وقد أعطى بذلك -رحمه الله- درسا خلقيا واجب الاحتذاء، وهو درس عملي يفوق كثيرا من الدروس المسجلة في الكتب والمجلدات!

مقدمة ثانية

في سنة ١٩٤٧م زار أديب الشام الكبير الأستاذ علي الطنطاوي -رحمه الله- القاهرة مندوبا من وزارة العدل السورية لدراسة بعض القوانين المصرية، وكان يزور إدارة مجلة الرسالة كثيرا كثيرا، ولما كنت أعلم أنه ألف كتابا عن (بشار بن برد) ولم تكن كتب المازني والنويهي وغيرهما ظهرت بعد عن الشاعر العباسي، أردت أن يعطيني فكرة عن مستوى الشاعر؛ إذ كنت مكلفا بإعداد بحث عنه في الكلية، وانتظرت أن أسمع منه شيئا عن كتابه (بشار بن برد) ففاجأني بقوله:

إياك أن تعتمد على هذا الكتاب في شيء، فكله أخطاء، لأني نقلت روايات ثبت بطلانها، ومدحت أبياتا لا تستحق المديح، وقد أوصيتُ من لديه نسخة منه في دمشق أن يحرقها حرقا، أو تريد أنت أن ترجع إليه في مصر؟!!

تعجبت كثيرا مما سمعتُ؛ لأن لهجة الأستاذ خيّلت إليّ أنه يتحدث عن كتاب ألفه أكبر أعدائه! وقلت: إنه حديث بين اثنين فقط، وسينقضي أثره!

ثم وقعت في يدي الطبعة الأخيرة من كتابه عن عمر بن الخطاب، وأخذت أقرأ مقدمتها فوجدته يقول عن الطبعة الأولى من كتابه:

«ولما رجعت إليه الآن وجدتُ فيه عيوبا لا يجوز معها أن يُعاد طبعه، منها أن فيه أخبارا باطلة لا أصل لها، كقصة البطريق في الصفحة الثالثة والعشرين، وفيه أخبارا ضعيفة السند، وأخبار مكررة معادة، والتعليق يسمو على أذواق القراء وأفهامهم من غريب اللفظ، أو معقد الأسلوب، ووجدت فيه تطويلا لا داعي له، واستطرادا يدعو إلى الإملال، ووجدت تعليقاتي عليه، تعليقات الشباب فلم أرتض أكثرها، فحذفت الباطل منها والموضوع، ثم جئت إلى


جاد الحق على جاد الحق

الأخبار فهذبتها، وطرحت من الكتاب ما هو تطويل وليس من صميم الموضوع.. ومن آثر أن ينظر فيه على ما فيه من العيوب التي تجد من الأمانة الإشارة إليها، والتحذير منها استطاع أن يعود إليه».

فرأيت ذلك فقلت: يا لله! ما هذه القسوة الدقيقة القاطعة! كان في مقدرة الأستاذ أن يقول: إن هذه الطبعة خلصت من أخطاء وقعت في الطبعة السابقة، وهذا يكفي كل الكفاية للإفصاح عما يريد، ولكنه فارس عادل، وقد رأى من الأمانة أن يعلن كل ما في نفسه في وضوح سافر. وقد زاده هذا رفعة في نظر القارئ.

وحين ذهبت إلى جدة سنة ١٩٩٠ تشرفت بلقاء الأستاذ في مجلس علمي مشهود، وتطارحنا حديث الأدب والأدباء على نحو واسع ممتد، والأستاذ الطنطاوي كالسيل المتدفق إذ تحدث عن أعلام العصر الحديث، وقد قلت له فيما قلت: أتذكر يا سيدي ما حدثتني به في القاهرة عن كتابك (بشار بن برد) إنك أعدت تماما في مقدمة كتابك عن عمر في طبعته الثانية ما قلته لي عن كتاب بشار: فضحك كثيرا، وقال: من يدري، لعلي إذا طبعت كتابي طبعة ثالثة أقول في الطبعة الثانية ما قلت في الطبعة الأولى! لأني لا أرضى عن نفسي! فيالها من عبرة لمن اعتبر!

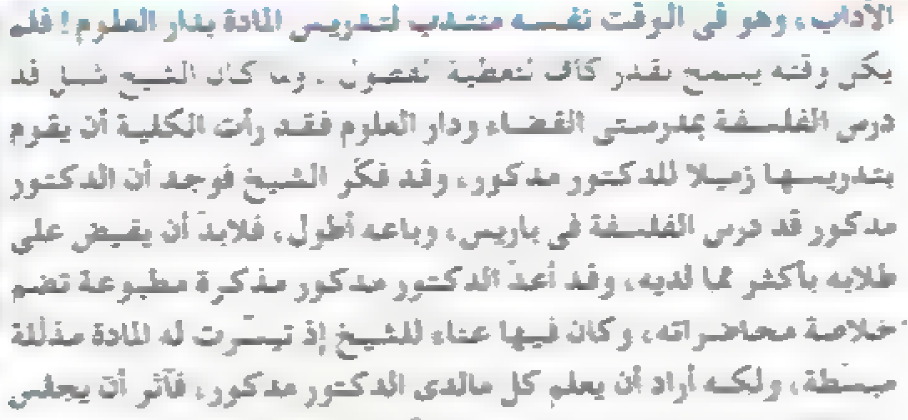
«تدريسا»

يقول الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق متحدثا عن ذكرياته عن دروس الفلسفة بكلية الشريعة حين كان طالبا بها– وذلك في كتاب «رحلة إلى السمعال» ص٨٢.

لقد قرأت الفلسفة، ودرستها كمبادئ، في السنة الأولى بكلية الشريعة، وأذكر أن أستاذ الفلسفة كان يدعى الشيخ (شبل يحيى) وهو من خريجي الأزهر، ومدرسة القضاء، ودار العلوم جميعا، لقد حاز ثلاث شهادات من ثلاثة معاهد».

يقول الإمام (وكان الدكتور إبراهيم مدكور– رئيس مجمع اللغة العربية الحالي– فتيًا تجاوز العشرين بسنوات قليلة، وكان يقوم بتدريس الفلسفة في الفصول الأخرى، ومن الأشياء التي تحضرني بامتنان عن الأستاذ شبل يحيى أنه كان يحضر دروس الدكتور إبراهيم مدكور جنبا إلى جنب مع الطلاب، لكي يتعرف إلى المنهج الذي يدرسه الدكتور مدكور لطلابه، والطريقة التي يتبعها في توصيل الفكرة إلى أذهان الطلاب ثم يسعى الشيخ شبل بعد ذلك إلى أن يكون أكثر عطاء مع الطلاب في الفصل الذي يدرس فيه).

ولهذا الكلام الذي قرره الأستاذ الأكبر تفصيل يوضح مغزاه؛ فقد كانت الفلسفة أحد الدروس المقررة على طلاب كلية الشريعة، وقد استعانت بانتداب الدكتور مدكور من كلية



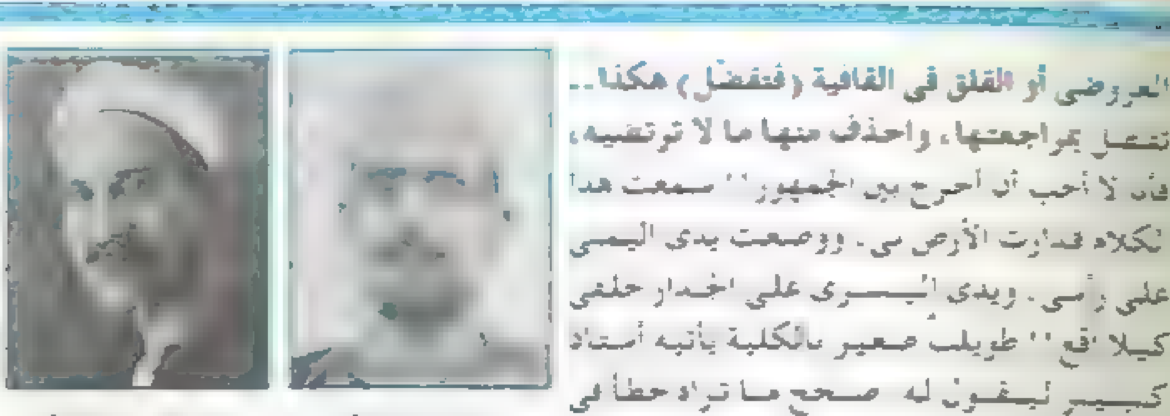
الآداب، وهو في الوقت نفسه منتدب لتدريس المادة بدار العلوم! فلم يكن وقته يسمح بقدر كاف لتغطية الفصول. وما كان الشيخ شبل قد درس الفلسفة بمدرستي القضاء ودار العلوم فقد رأت الكلية أن يقوم بتدريسها زميلا للدكتور مدكور، وقد فكَّر الشيخ فوجد أن الدكتور مدكور قد درس الفلسفة في باريس، وباعه أطول، فلابدَّ أن يفيض على طلابه بأكثر مما لديه، وقد أعدَّ الدكتور مدكور مذكرة مطبوعة تضم خلاصة محاضراته، وكان فيها غناء للشيخ إذ تيسَّرت له المادة مذللة مبسَّطة، ولكنه أراد أن يعلم كل مالدى الدكتور مدكور، فآثر أن يجلس مع الطلاب ليسمع كل ما يقول، وليدوِّنه في كراسة معه!! وقد عجب الدكتور لسلوك زميله، واعترف له أن الامتحان لا يخرج عن المذكرة، وعليه أن يقتصر عليها في درسه فلا يكلف نفسه مشقة الجلوس مع الطلاب، لاسيما أن طلابه في الفصل المقابل سينظرون إليه نظرة لا ترفع من قدره أمامهم. ولكن الشيخ شبل قرر في اطمئنان أنه طالب عالم. ويسره أن يعلم طلابه أن الدكتور مدكور وإن كان يصغره في السن فهو أكبر منه علما، ولا غضاضة في ذلك، وجعل من دأبه الحضور جالسا مع الطلاب. وقد أراد الدكتور مدكور أن يكرمه، فأحضر له كرسيا يجلس عليه في جواره، فأبى الشيخ وقال: إنَّ النتيجة واحدة، وأن مجيء الكرسي لا يقدِّم ولا يؤخر! فأنا مستمع مستفيد.



مأمون الشناوي

وأذكر أن أحد الأساتذة عرض على شيخ الكلية الأستاذ مأمون الشناوي -وقد صار شيخاً للأزهر فيما بعد- أن يضم الفصلين معا في محاضرة واحدة. مادام وقت الدكتور لا يسمح بأكثر مما اتفق عليه. وهو حل طبيعي مريح. ولكن الشيخ مأمون رفض في إصرار أن يكون عدد الطلاب في المحاضرة ستين طالبا. وأن الواجب أن يعرف المدرس طلابه واحدا واحدا. وأن ينظر إليهم في اطمئنان ليعرف من أسارير وجوههم مَن فهم الدرس، ومن تعثَّر، ليُعيد ما قال! فيكفي أن يكون أمامه ثلاثون على أكثر تقدير! فهل يعلم الشيخ في مرقده المطمئن بضريحه الهادئ، أن مدرجات الجامعة الآن تجمع ألفين من الطلاب في محاضرة واحدة! وأن الأستاذ لا يهمه أن ينظر في وجوه الطلاب ليعرف الفاهم والغافل! بل لا يهمه أن يلقي الدرس بتمامه اكتفاء بعناصر يسردها سردا، ثم يحيل إلى المذكرة! أين كنا؟ وكيف أصبحنا!

ولي مع الشيخ شبل يحيى موقف مماثل كدت أنساه لولا ما ذكره الإمام جاد الحق عنه، إذ أعاد لي ما كان، وكأنه الآن! لقد كان الأستاذ يتولى تدريس المنطق لنا بكلية اللغة العربية سنة ١٩٤٧، وقد صار لي ذكرٌ بين الزملاء بأني أنظم الشعر، وأنشر ما أكتب في الصحف والمجلات. وفي ظهيرة يوم من الأيام. رأيت الشيخ يتقدم إلي باسم الثغر. ويقول في صوت هادئ: معي يا بني قصيدة شعرية نظمتها استجابة لإلحاح جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة كي ألقيها في احتفال الهجرة في الأسبوع القادم! وأخشى أن يكون بها بعض الكسر



علي عبد الرازق

مصطفى عبد الرازق

العروضي أو القلق في القافية (فتفضَّل) هكذا.. تفضل بمراجعتها، واحذف منها ما لا ترتضيه، فإني لا أحب أن أخرج بين الجمهور!! سمعت هذا الكلام فدارت الأرض بي. ووضعت يدي اليمنى على رأسي. ويدي اليسرى على الجدار خلفي كيلا أقع!! طويلبٌ صغير بالكلية يأتيه أستاذ كبير ليقول له: صحح ما تراه خطأً في قصيدتي!! لقد شاهد الرجل اندهاشي فصحبني إلى مقهى الكلية. وطلب لي فنجان قهوة! وقال في مودة: يا بني، الشعر موهبة. وليس كسبا. وقد يملأ العالم طباق الأرض ثم لا يقدر أن يقول بيتا. والقوم قد ألحوا علي أن أنشد قصيدة في حفل الهجرة. لأني نظمت أشياء مهمة من قبل لا أرضى عنها! فهيه بدهائك؟ خذ القصيدة واقرأها. وأحضرها إلي من الغد! فلم أجد بدا من الإذعان. وقد قرأتُ القصيدة فوجدت مستواها مترفا! وليس بها من الكسر العروضي، أو القافية القلقة ما توهم. فأخفتها بأبيات من الوزن والقافية أشيد فيها بمقدرة الشاعر، ونبوغه، وأذكر تواضعه المثالي. وحان اللقاء فأسمعته ما قلت. فجعل يقبل الورقة التي كتبت فيها أبياتي. وقال: شكرا. لقد أعدت إلي ثقتي! ولم أكن من قبل أعرف قصة درس الفلسفة التي أشار إليها الإمام الأكبر، ولكني حين طالعت ما قال، عرفت أن معدنه الخلقي الرائع نفيس نفيس، وأنه طُبع على هذا النموذج الفريد. إننا نشهد الآن زملاء المادة الواحدة يلمز بعضهم بعضا في المحاضرات أمام الطلاب. وبعضهم يحاول إيهام سامعيه بأنه وحده العالم المتخصص. وأن الأقدار قد ساعدت هؤلاء فصاروا زملاءه! ترى ذلك رأي العيان! فهل نجد في هذا العصر من يحمل نفس الشيخ المتواضعة فيجلس طالباً في محاضرة زميله ويدوِّن ما قال، ليُعيده على الطلاب؟!

تقديما

أما تقديم الكتب، فقد يكون موضع الحرج في أكثر أموره؛ لأن من يطلب المقدمة من المؤلفين -في أكثر أموره- لا يطلب نقدا، وإنما يطلب تقريظا، وقد لا يقنع بصفحة تكتب، بل يريد عدة صفحات، فماذا يفعل إنسان متحرز يقدر أمانة الكلمة، إذا جاءه مؤلف يرجو مقدمة لكتاب قد لا يكون في المرتبة اللائقة من الجدة والابتكار! قد يعتذر هذا الإنسان بدعوى الانشغال بأمور لا تسمح التأجيل أو بتوعك في الصحة، مثلا، فينصرف الراجي وقد أسرَّ من الألم ما لا يبديه! ولكن ما القول في إنسان يمنعه حياؤه من الاعتذار، ثم هو لا يرى فيما بين يديه من الصفحات جديدا يستأهل التقديم، هنا تقع المعادلة الصعبة كما يقولون!

لقد كان الحياء المفرط أظهر سمات الإمام العظيم حقا بخلقه وعلمه معا، الإمام مصطفى

عبدالرازق شيخ الأزهر الأسبق، وقد قال عنه شقيقه الأستاذ الكبير علي عبدالرازق في مقدمة كتاب (من آثار مصطفى عبدالرازق):

«كان أخي مطبوعا منذ الطفولة على فطرة رقيقة، فهو لا يحب الأذى ولا العنف، وكان خلقه الحياء، والحياء خير كله، والرفق والحياء إذا استمكنا من نفس كما استمكنا من نفسه تولد عنهما من الفضائل ومكارم الأخلاق ما يرفع إلى أسمى الدرجات».

لقد كان الإمام الأكبر في مكتبه بالأزهر ذات صباح، فاستأذن عليه الأستاذ مصطفى الصاوي المدرس بالمعهد الديني، فقام له الشيخ واقفا كعادته مع كل زائر، عظم أو صغر، ثم قدم إليه الزائر كتابا صغيرا في «علم العروض» يشمل مقرر السنة الأولى بالمعهد الثانوي! كتاب مدرسي لا جديد فيه، وطلب أن يكتب الشيخ مقدمة للكتاب!!

لا أدري ما الذي اعتمل في نفس الإمام الأكبر حين تصفح الأوراق فوجد كتابا مدرسيا يجمع قواعد مشتهرة يعرفها الدارسون جميعا! لو كان الإمام غير مصطفى، لقال للمؤلف: ماذا صنعت يا رجل؟ وماذا أضفت؟ إنه عمل ساذج! ولكن حياء الشيخ الذي تحدث عنه شقيقه قد وقف حائلا دون أن يرفض الطلب غير المستساغ، وكأنه أدرك أن المدرس أزهري، ويحب أن ينال مجاملة بتقديمه، فأخذ الكتاب، ووعده أن يكتب المقدمة، وودعه في تلطف، ثم خلا بنفسه ليقرأ ما بين يديه، وليرعى أمانة البحث دون أن يكسر خاطر المؤلف، فكتب مقدمة وجيزة تتجمع في هذه السطور:

«طلب إليّ فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الصاوي المدرس بمعهد القاهرة أن أكتب مقدمة لكتابه في العروض، ومع أني درست العروض، وحفظت في عهد الطلب بعض متونه المشهورة، وأديت فيه امتحان العالمية منذ عهد، ومع أني كنت أقول منذ شبابي شعرا، ولا أزال أميّز بين المنظوم والمنثور، لكني أعترف أني لست عروضيا بالمعنى الدقيق، ولا أعتبر نفسي فنيا في العروض، وإذن فإني أرى من الجرأة أن أضع مقدمة لكتاب رجل فني يشتغل منذ سنوات كثيرة بتدريس العروض.

ولكن لا يسعني إلا أن أثني على أستاذ يضع مجهوده في صورة كتاب يقدمه للناس، ليستفيدوا من ثمرة مجهوده من ناحية، وليستفيد هو مما قد يصل إليه من ملاحظات، وأعتقد أن هذه هي السبيل إلى بلوغ الكمال، لأن المؤلف يستطيع على هذا الوجه، أن يعيد طبع كتابه، فيوضح ويستكمل. وعلى هذا الاعتبار أشكر للأستاذ الفاضل مجهوده وإخلاصه فيه، وأسأل الله أن يوفقه إلى الكمال والنجاح».

هذه هي المقدمة التي ترعى أمانة حقيقية، فلا تعرف التقريظ الزائف، أو تميل إلى تجريح غير قاصد، مع ما أبانت عنه من تواضع إمام جليل يقول عن نفسه: «إنه لا يزال يميز بين المنظوم والمنثور»!! ويرى من الجرأة أن يتقدم بكلمة عن كتاب ألفه مدرس متمرس!، وإذا دلت هذه



تكشف عن الأمانة العلمية فقد بانت عن حياء وأدب وذوق.



الأفغاني — محمد عبده

ولقد ذكرت عن الإمام الأكبر في هذا الصدد أن الطالب (محمد سلام مدكور) الطالب بكلية الشريعة، وقد صار فيما بعد (الأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة) كان قد ألف وهو في السنة الثالثة بالكلية كتابا تحت عنوان (جمال الدين الأفغاني) وتقدم به إلى أحد أساتذته في الكلية ليضع مقدمته فاعتذر عنه معتذرا، وتألم موقف الشاب، فوقع في خاطره أن يذهب إلى وزير الأوقاف الأستاذ الشيخ مصطفى عبدالرازق، لعله من سماحته ما قد ييسر له أن يكتب مقدمة للكتاب. وقد حدثني المؤلف رحمه الله أنه ذهب بالكتاب قبل تجليده إلى الأستاذ وقلبه يضطرب هيبة من لقائه، ولكنه قوبل بابتسام منفتح. فتقدم الطالب بالملازم إلى الشيخ عارضا طلبه في استحياء! وما كاد الرجل الكبير يرى اسم (جمال الدين الأفغاني) حتى استبشر وجهه بابتسامة حانية، وقال في حب وود، وكأنه يخاطب ولده الممدوح: لقد أثلجت صدري يا بني حين تحدثت عن جمال الدين، وأنا أطمع في كتاب آخر عن (محمد عبده) تعال غدا لتأخذ المقدمة.

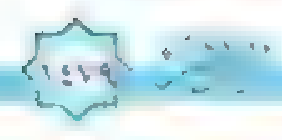
ثم جاءت مقدمته قوية التفاؤل، مبشرة بمستقبل للطالب في عالم البحث العلمي. ولم ينس الشيخ عند عودته لتسلم المقدمة أن يلاطفه بحديث مشجع ثم يشير إلى بعض ملاحظات لم يشأ أن يدونها في كتابه، قال الدكتور سلام: وقد نشرت إعلانا كبيرا عن الكتاب في الصحف اليومية، قلت به: إن مقدمة الكتاب (بقلم مصطفى عبدالرازق) لأغيظ من تندروا من قبل إذ صمت سمعهم لتقديمه، فأبوا إلا الاستخفاف.

أما بعد

فهذه قصص موجزة عن أمانات علمية لنفر ممن أنعم الله عليهم بسمو الخُلق مع وثاقة العلم تصرفوا مثلى في أمانة القول تأليفا وتدريسا وتقديما، وهم بفضل الله كثيرون، ولعل لدى غيري من الأمثلة أكثر مما لدي، وهي جديرة بالتنويه بهؤلاء الأكابر، لأنها في واقعها ملموسة، ومشاهدها مرموقة بعثت الحياة في من يحملون مصابيح الهداية من قادة العلم، وأولي المروءة. كما أنها تفضح جحود الأدعياء الذين يحسبون أنفسهم على شيء، وهم صغار، ما كان أعظم المتنبي حين قال:

ومن جهلت نفسه قدره ... رأى غيره منه ما لا يرى

د. / محمد رجب البيومي



تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآيات من (١٨٦ : ١٨٨)

ثم بين - سبحانه - للمؤمنين أنهم سيتعرضون في المستقبل للمحن والآلام كما تعرضوا لمثلها في أيامهم الماضية، وأن من الواجب عليهم أن يتقبلوا ذلك بعزيمة صادقة، وصبر جميل فقال - تعالى -:

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾

وقوله ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ جواب قسم محذوف أي: والله لتبلون أي لتختبرن، والمراد لتعاملن معاملة المختبر والممتحن ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق، ومن التمسك بمكارم الأخلاق، فإن المصائب محك الرجال.

وإنما أخبرهم - سبحانه - بما سيقع لهم من بلاء، ليروضوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه، وليستعدوا لتلقيه من غير فزع أو جزع، فإن الشدة المتوقعة يسهل احتمالها، أما الشدة التي تقع من غير توقع فإنه يصعب احتمالها.

والمعنى: لتبلون - أيها المؤمنون - ولتختبرن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بما يصيبها من الآفات، وبما تبذلونه من الحقوق في سبيل إعلاء كلمة الله. ولتختبرن أيضا في ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ بسبب ما يصيبكم من جراح وآلام من قبل أعدائكم، وبسبب ما تتعرضون له من حروب ومتاعب وشدائد، وفضلا عن ذلك فإنكم

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وهم كفار العرب، لتسمعن من هؤلاء جميعا ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ كالطعن في دينكم، والاستهزاء بعقيدتكم، والسخرية من شريعتكم، والاستخفاف بالتعاليم التي أتاكم بها نبيكم، والتنقص فيما يسركم.

وقد رتب - سبحانه - ما يصيب المؤمنين ترتيبا تدريجيا، فابتدأ بأدنى ألوان البلاء وهو الإصابة في المال، فإنها مع شدتها وقسوتها على الإنسان إلا أنها تهون من الإصابة في النفس لأنها أغلى من المال، ثم ختم ألوان الابتلاء ببيان الدرجة العليا منه وهي التي تختص بالإصابة في الدين، وقد عبر عنها بقوله

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾

وإنما كانت الإصابة في الدين أعلى أنواع البلاء، لأن المؤمن الصادق يهون عليه ماله، وتهون عليه نفسه، ولكنه لا يهون عليه دينه، ويسهل عليه أن يتحمل الأذى في ماله ونفسه ولكن ليس من السهل عليه أن يؤذى في دينه.

ولقد كان أبو بكر الصديق مشهورا بلينه ورفقه، ولكنه مع ذلك - لقوة إيمانه - لم يحتمل من فنحاص اليهودي أن يصف الخالق - عز وجل - بأنه فقير، فما كان من الصديق إلا أن شج وجه فنحاص عندما قال ذلك القول الباطل.

وقد جمع - سبحانه - بين أهل الكتاب وبين المشركين في عداوتهم وإيذائهم للمؤمنين، للإشعار بأن الكفر ملة واحدة، وأن العالم بالكتاب والجاهل به يستويان في محاداتهم للحق، لأن العناد إذا استولى على القلوب زاد الجاهلين جهلا وحمقا، وزاد العالمين حقدا وحسدا.

ثم أرشد - سبحانه - المؤمنين إلى العلاج الذي يعين على التغلب على هذا البلاء فقال:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

أي: وإن تصبروا على تلك الشدائد، وتقابلوها بضبط النفس، وقوة الاحتمال ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في كل ما أمركم به ونهاكم عنه، تنالوا رضاه - سبحانه - وتنجوا من كيد أعدائكم.

والإشارة في قوله:

﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

تعود إلى المذكور ضمنا من الصبر والتقوى، أي: فإن صبركم وتقواكم من الأمور التي يجب أن يسير عليها كل عاقل، لأنها تؤدى إلى النجاح والظفر.

وقوله

﴿ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ دليل على جواب الشرط، والتقدير: وإن تصبروا وتتقوا تنالوا ثواب أهل العزم فإن ذلك من عزم الأمور.

فالآية الكريمة مستأنفة مسوقة لإيقاظ المؤمنين، وتنبيههم إلى سنة من سنن الحياة، وهي أن أهل الحق لابد من أن يتعرضوا للابتلاء والامتحان، فعليهم أن يوطنوا أنفسهم على تحمل كل ذلك، لأن ضعفاء العزيمة ليسوا أهلا لبلوغ النصر.

ولقد بين النبي ﷺ أن قوة الإيمان وشدة البلاء متلازمان. فقد روى الترمذي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. فيبتلى الرجل على حسب دينه. فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة».

ثم حكى - سبحانه - رذيلة أخرى من رذائل أهل الكتاب فقال:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾

الميثاق: هو العهد الموثق المؤكد. وقد أخذ - سبحانه - العهد على الذين أوتوا الكتاب بأمرين:

أولهما: بيان ما في الكتاب من أحكام وأخبار.

وثانيهما: عدم كتمان كل شيء مما في هذا الكتاب.

والمعنى: واذكر أيها العاقل وقت أن أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يبينوا جميع ما في الكتاب من أحكام وأخبار وبشارات بالنبي ﷺ ولا يكتموا شيئا من ذلك، لأن كتمانهم للحق سيؤدي إلى سوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة.

والضمير في قوله ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾ يعود إلى الكتاب المشتمل على الأخبار والشرائع والأحكام والبشارات الخاصة ببعثة النبي ﷺ.

أي لتبينن ما في هذا الكتاب الذي بين أيديكم من أحكام وشرائع وأخبار وبشارات، وقيل الضمير يعود إلى الميثاق، ويكون المراد من العهد الذي وثقه الله عليهم هو تعاليمه وشرعه ونوره.

وقوله: ﴿ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ عطف على ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾ وإنما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا، وجمع - سبحانه - بين أمرهم المؤكد بالبيان وبين نهيهم عن الكتمان مبالغة في إيجاب ما أمروا به حتى لا يقصروا في إظهار ما في الكتاب من حقائق وحتى لا يلجأوا إلى كتمان هذه الحقائق أو تحريفها.

ولكن أهل الكتاب - ولاسيما العلماء منهم - نقضوا عهودهم مع الله - تعالى -. وقد حكى - سبحانه - ذلك في قوله:

﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾

النبذ: الطرح والترك والإهمال.

أي أن أهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهود الموثقة بأن يبينوا ما في الكتاب ولا يكتموا شيئا منه، لم يكونوا أوفياء بعهودهم، بل إنهم نبذوا ما عاهدهم الله عليه، وطرحوه وراء ظهورهم باستهانة وعدم اعتداد، وأخذوا في مقابل هذا النبذ والطرح والإهمال شيئا حقيرا من متاع الدنيا وحطامها. فبئس الفعل فعلهم.

والتعبير عنهم بقوله ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ كناية عن استهانتهم بالنبوة، وإعراضهم عنه بالكلية، وإهمالهم له إهمالا تاما، لأن من شأن الشيء المنبوذ أن يهمل ويترك، كما أن من شأن الشيء الذي هو محل الاهتمام أن يحرص ويجعل نصب العين.

والضمير في قوله ﴿ فَنَبَذُوهُ ﴾ يعود على الميثاق باعتبار أنه موضع الحديث ابتداء.

ويصح أن يعود إلى الكتاب، لأن الميثاق هو التشريع والأحكام، والكتاب وعاؤها، فهو الكتاب ذو العهد.

والمراد بالثمن القليل: ما أخذوه من أموال ومتاع دنيوي من غيرهم في مقابل عدم بيانهم لما في الكتاب من حقائق، وكتمانهم لذلك إرضاء للشهوات والأهواء الباطلة.

وليس وصف الثمن بالقلة من الأوصاف المخصصة للنكرات، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل في مقابل نبذهم لكتاب الله وعهوده، إذ لا يكون هذا الثمن المحصل إلا قليلا وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا بجانب رضا الله - تعالى -.

وقوله ﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ أي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن.

فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس. وجملة يشترونه صفته. والمخصوص بالذم محذوف.

وقيل ما مصدرية فاعل بئس. والمخصوص بالذم محذوف، أي بئس شراؤهم هذا الشراء لاستحقاقهم به العذاب الأليم.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة: وجوب إظهار الحق، وتحريم كتمانه.

ورحم الله صاحب الكشاف فقد قال عند تفسيره لهذه الآية: وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس، ولا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة، وتطييب لنفوسهم، واستجلاب لمبارهم، أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتقية، أو لبخل بالعلم وغيرة من أن ينسب إلى غيرهم. وعن النبي ﷺ أنه قال: «من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار»[1] وعن علي رضي الله عنه، قال: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا»[1].

وقال ابن كثير عند تفسيره للآية الكريمة: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وفي هذا تحذير للعلماء من أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، ولا يكتموا منه شيئا[2].

ثم حكى - سبحانه - رذيلة أخرى من رذائل

(١) [illegible]

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص [illegible]

[illegible]

أهل الكتاب المتعددة. وهي أنهم يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، ويفرحون بما أتوا، وبين سوء عاقبتهم بسبب تلك الأخلاق القبيحة فقال:

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

والخطاب في قوله ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ﴾ موجه إلى النبي ﷺ أو لكل من يصلح له الخطاب.

والنهي موجه إلى حسبان أن يكون في هؤلاء الأشرار خير.

أي أن الله تعالى، ينهى نبيه ﷺ نهيا مؤكداً عن أن يظن خيرا في هؤلاء الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

والمفازة: مصدر ميمي بمعنى الفوز. وقيل هي اسم مكان أي محل فوز ونجاة.

والمعنى: لا تظن يا محمد ﷺ أن هؤلاء الأشرار.

﴿ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا ﴾

أي يفرحون بما فعلوا من بيعهم الدين بالدنيا واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير.

والذين

﴿ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾

أي يحبون أن يمدحهم الناس على ما لم يفعلوه من الوفاء بالعهود. ومن إظهار الحق وعدم كتمانه، فإنهم فعلوا الشرور والآثام، ثم لم يحاولوا أن يستروا ما اقترفوه من آثام، بل يطلبون من الناس أن يمدحوهم على ما ارتكبوه من منكرات، فهم ممن قال الله فيهم:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾

لا تحسبن هؤلاء الأشرار ﴿ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ أي بمنجاة منه. بل لهم عذاب مؤلم أشد الإيلام بسبب ما اجترحوه من سيئات.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾

هو المفعول الأول لتحسب، والمفعول الثاني محذوف والتقدير: لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا موفقين، أو مهتدين، أو صالحين.

وحذف هذا المفعول الثاني لدلالة ما بعده عليه وهو قوله:

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ ﴾

ولتذهب النفس كل مذهب فيما يتناسب مع الوصف الذي وصفهم به - سبحانه - وهو أنهم يفعلون القبيح ويحبون أن يحمدهم الناس عليه.

وقوله

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾

بيان لسوء عاقبتهم بسبب أفعالهم السيئة وهو تأكيد لقوله:

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ﴾

قال الزجاج: جرت عادة العرب أنهم إذا طالت القصة أو الكلام أعادوا لفظ حسب وما أشبهه، للإعلام بأن الذي جرى متصل بالكلام الأول والأول متصل به، فتقول، لا تظن زيدا إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا فلا تظنه صادقاً، فيفيد «لا تظن» توكيدا وتوضيحاً.[٣]

والتعبير عن النجاة من العذاب الأليم بقوله - تعالى - ﴿ بِمَفَازَةٍ ﴾ للإشعار بأن أقصى ما يكون لهم من فوز أن ينجوا من العذاب الأليم. ولكنهم لن ينجوا منه أبدا، ولذا أكد - سبحانه - عدم نجاتهم بقوله:

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

فذكر - سبحانه - عذابهم الأليم بالسلب والإيجاب. فنفى أولا أنهم بمنجاة منه. وأخبر ثانيا: أنهم واقعون فيه.

هذا، وقد ذكر كثير من العلماء أن هذه الآية الكريمة نزلت في شأن أحبار اليهود فقد روى الشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم عن حميد ابن عبدالرحمن بن عوف أن مروان قال لبوابه رافع: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل لنعذبن جميعا.

فقال ابن عباس: مالكم وهذه، وإنما نزلت هذه في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾

إلى قوله:

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

وقال ابن عباس: «سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره. ثم خرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه. واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه».

وذكر بعض العلماء أن هذه الآية نزلت في شأن المنافقين، فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت:

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾

قال العلماء: ولا منافاة بين الروايتين، لأن الآية عامة في جميع ما ذكر. وبذلك نرى أن الآيات الكريمة قد حدثتنا عن جملة من رذائل أهل الكتاب، فقد حكت قولهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾

[آل عمران ١٨١]

وحكت قولهم

﴿ ... حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾

[آل عمران ١٨٣]

ووصفتهم بكتمان الحق ونبذه وراء ظهورهم، كما وصفتهم بأنهم يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وردت على أكاذيبهم بما يدحضها وأنذرتهم بسوء مصيرهم. وساقت للمؤمنين من ألوان التسلية ما يخفف عنهم مصابهم. ويجعلهم يسيرون في هذه الحياة بعزة ثابتة. وهمة عالية. ونفس مطمئنة

---

(٣) تفسير الآلوسي جـ ٤ ص ...

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير جـ ٦ ص ٥١ باب «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا».

الصدق فضيلة والكذب رذيلة

[illegible]

روى البخاري - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا..

ما أجل الصدق! وما أعظم الصادقين! حين يتولاهم الله برعايته، ويشملهم بعنايته، ويمنحهم حبه وحب الناس في الدنيا، ويعطيهم الأجر العظيم، والثواب العميم في الآخرة، ومن ثم ذكر الله - عز وجل - الصدق في مناقب النبوة، قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾

(مريم: ٥٤)

وحقًا لقد كان إسماعيل - عليه السلام - أصدق الناس وعدًا حين قال لأبيه:

﴿ [illegible] ﴾

(الصافات: ١٠٢)

وقال في نبوة إبراهيم - عليه السلام -:

﴿ [illegible] فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾

(الصافات: ١٠٢)

ورسول الله ﷺ وهو القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة كان صادقًا في جميع أقواله وأفعاله، وسائر تصرفاته، شهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه، فها هو ذا أبو جهل أشد الناس عداوة له، وأبغضهم لما جاء به، يقول له رجل: يا أبا الحكم، ليس هنا غيري وغيرك فأخبرني عن محمد، صادق هو أم كاذب؟ فيقول: إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط. وها هو أبو سفيان بن حرب ألد أعدائه، وأقواهم خصومة له يسأله هرقل عظيم الروم في حديث البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قائلاً: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: لا. فقال هرقل: قد كنت أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله.

ومن ثم أخبر الحق - سبحانه وتعالى - الدنيا كلها عن صدق نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - فقال - جل شأنه -:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣، ٤)

وأكد ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾

(الحاقة: ٤٤ - ٤٦)

وكأنه - تعالى - يقول: ولكنا لم نأخذ منه اليمين، ولم نقطع منه الوتين، فكان ذلك شاهد صدق على ما جاء به عن الله - عز وجل - وكان اعتراف أعدائه بصدقه خير شاهد على صدقه مع الناس.

فإذا كان الصدق من الصفات التي يحبها رب العالمين، وهو من صفات الأنبياء والمرسلين، فيجب علينا أن نتمسك بالصدق في كل الأحوال، لأن الصدق قرين الإيمان، فالمؤمن صادق مصدق، كما أن الكذب قرين الكفر، فإذا انعدم الصدق انعدم الإيمان، ولهذا لما سئل النبي ﷺ أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: (نعم)، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: (نعم)، قيل له: أيكون المؤمن كذابًا؟ قال: (لا)[1].

وبهذا يتبين أن الإسلام جعل الكذب قرين الكفر. قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

(النحل: ١٠٥)

وأسوأ أنواع الكذب الكذب على الله - عز وجل - وقد توعد الله من يكذب عليه بأشد أنواع العذاب. قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

(الزمر: ٦٠)

(١) موطأ مالك ج٢ ص ٧٧٦

كما يجب علينا [illegible] [illegible] [illegible] في الحق على أي حال. فقد قال ﷺ فيما رواه الترمذي (وقال: حديث حسن صحيح) عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة).

فلا تكذب أيها المسلم، لأن الكذب خيانة كبرى لأخيك المسلم، وقد قال إبراهيم الخواص – رحمه الله: الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه، وقال الجنيد – رحمه الله –: حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب.. فالكذب – أعاذنا الله منه، ووقانا شره – داء وبيل، ومرض خبيث يمسخ النفس البشرية، فيقطعها عن الخير، ويدفعها إلى الآثام والمعاصي دون مبالاة، ومن ثم جرم الإسلام الكذابين، وشدد عليهم النكير، روى أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والبزار – واللفظ له – عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله – ﷺ – من الكذب، ما اطلع على أحد من ذلك بشيء، فيخرج من قلبه، حتى يعلم أنه قد أحدث توبة).. ولذلك عرف الصحابة – رضي الله عليهم – بصدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط الكلام، والواجب علينا أن نقتدي بهم، وأن نمتنع عن جميع صور الكذب، وأن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم، فإنه لما أراد معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – أن يتصفى البيعة لابنه يزيد جمع الناس، فقال: (هذا أميركم)، وأشار إلى نفسه، (فإن مات فهذا)، وأشار إلى ابنه، (فمن لم يشأ فهذا) وأشار إلى سيفه، ثم التفت إلى الأحنف بن قيس متحدياً، وقال: (ما رأيك يا أحنف؟) قال: يا أمير المؤمنين، نخاف الله إن كذبنا، ونخافك إن صدقنا، وتوقف عن الكلام.. تأملوا هذا الموقف وتدبروه، ففيه رجولة وحسن تصرف، وامتناع عن الكذب والنفاق في أصعب المواقف وأخطرها، ولهذا كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول: (لأن يخفضني الصدق وقلما يفعل أحب إلي من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل).

وتحدثنا كتب التاريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي أمير الكوفة اتهم رجلين بمؤامرة عليه، فقبض عليهما وأودعهما السجن، ثم أحضرا بين يديه، لينالا جزاءهما من العقاب، فقال أحدهما: إن لي حقاً عليك أيها الأمير. قال: وما هو ذاك؟ قال: دافعت عنك في مجلس كذا وكذا. فقال الحجاج: إن هذه دعوى تحتاج إلى بينة، فأين هي؟ قال: صاحبي هذا كان حاضراً في المجلس، فسأله الحجاج: أحقاً ما يقول صاحبك؟ قال: نعم، فقال: وهل دافعت أنت عني كذلك؟ قال: لا. قال: ولم ذلك؟ قال له: لكراهتي إياك.. فعند ذلك قال الحجاج: قد عفوت عن الرجلين. أما الأول فلحقه علينا، وأما الثاني فلصدقه.

كما تحدثنا الكتب أيضاً أن الحجاج خطب يوماً فأطال، فقام رجل فقال: الصلاة، فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك. فأمر بحبسه، فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون، وسألوه أن يخلي سبيله، فقال الحجاج: إن أقر بالجنون أخليت سبيله، فقيل للرجل ذلك. فقال: معاذ الله. لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني، فبلغ ذلك الحجاج، فعفا عن الرجل لصدقه.

فهل ننتفع بهذه العبر، وتلك العظات، ونأخذ منها دروساً في حياتنا وسلوكنا؟ فكثيراً ما نرى على الساحة عادات سيئة، وأخلاقيات ذميمة ينبغي أن تختفي من المجتمعات الإسلامية، مثل اليمين الفاجرة، وهي الحلف على البيع والشراء، وذلك مذموم ومنهي عنه، لأن الحالف – في هذه الحالة – يكون كاذباً، لتزيين السلعة في عين المشتري وترويجها، وهذا تصرف قبيح بغيض منهي عنه، روى الشيخان – رحمهما الله – من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة). والمراد بالحلف هنا اليمين الكاذبة.. والمسلم منهي عن الحلف حتى لو كان صادقاً، فلا يكون الحلف إلا للضرورة. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٢٤)

ولم يرخص الإسلام في شيء من الكذب إلا في أضيق الحدود، وعندما تقتضيه الضرورة. واستدل العلماء بما رواه البخاري في صحيحه عن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً).. وروى الطبراني في (المعجم الكبير) عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: (ما رأيت رسول الله ﷺ يرخص في الكذب في شيء إلا في ثلاث. كان رسول الله ﷺ لا يعده كذباً: الرجل يصلح بين الناس، يزيد في القول يريد به الإصلاح. والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها).

هذا وقد توعد الرسول ﷺ الذي يكذب ليضحك الناس بالعذاب الشديد، والعقاب الأليم، فلقد روى أبو داود والترمذي (وحسنه) والنسائي والبيهقي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده – رضي الله عنهم – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم، فيكذب، ويل له، ويل له).

في حين أنه وعد الممتنع عن الكذب، الملتزم بالصدق، حتى وإن كان مازحاً – بالأجر العظيم، والثواب الجزيل. روى أبو داود في سننه عن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: (أنا زعيم (أي: ضامن) ببيت في ربض الجنة (أي حولها) لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه).

ولذلك أثر عن النبي ﷺ أنه كان فعالاً قبل أن يكون قوالاً، فقد كان يمزح، ولا يقول إلا صدقاً وحقاً. لقد خرج أبو داود والترمذي (وصححه) على حديث أنس - رضي الله عنه - قال: أتت النبي ﷺ امرأة، فقالت: يارسول الله ﷺ أحملني على بعير، فقال: بل نحملك على ابن البعير. فقالت: ما أصنع به، إنه لا يحملني؟! فقال رسول الله ﷺ: (ما من بعير إلا وهو ابن بعير).

وقد أوصى الإسلام أن نغرس في نفوس أطفالنا - فضيلة الصدق، حتى يشبوا وقد ألفوا الصدق في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم، فقد روى أبوداود والبيهقي من حديث عبدالله بن عامر - رضي الله عنه - أنه قال: «دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: هي تعال أعطيك! فقال لها رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله ﷺ: (أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة).

فأين ذلك مما عليه البعض الآن؟! إذا دق جرس الباب قال الوالد لولده: قل لهذا القادم (أبي غير موجود). وكذلك إذا رن جرس الهاتف، ومن العجيب أنهم يطالبون أبناءهم بعد ذلك الالتزام بالصدق، كيف وقد تدربوا على الكذب واعتادوه؟! فليتق الله هؤلاء في أبنائهم وبناتهم، وليعطوا من أنفسهم القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة في تحري الصدق، والالتزام به، فوالله لا ينفع الناس في الدنيا إلا الصدق، ولا ينفعهم في الآخرة إلا صدقهم مع الله ومع أنفسهم، ومع الناس.

هذا وقد قال الله - عز وجل -:

﴿ ... يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾

(المائدة: ١١٩)

فالصدق نجاة، والكذب هلاك، فلا ينبغي لإنسان يقرأ هذه الآيات، ويسمع تلك الأحاديث، وتلك الآثار، ويرضى لنفسه أن ينساق وراء نفسه الأمارة بالسوء، أو شيطانه الذي يحرضه على الكذب والفجور، ويزين له أن الكذب وسيلة من وسائل النجاة. روى الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال: (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم).

وعموما فقد ضمن رسول الله ﷺ الجنة لمن صان لسانه عن الكذب، وفرجه عن الحرام، ففي الحديث المتفق عليه من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة).

وفقنا الله لعمل الخير، وخير العمل.

الصدقة في ميزان الإسلام



لفضيلة الشيخ علي عبدالباقي شحاتة
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

«والكلمة الطيبة صدقة»

فتح الإسلام بنوره وهديه ومنهجه القويم أبوابا مفتحة بالخيرات والحسنات والرحمات وتذكرة الدخول من هذه الأبواب لا تكلف المسلم إلا اليسير من القول الطيب أو القليل من الفعل الحسن، ومن ذلك اختيار الكلمة الطيبة فهي صدقة.

فالكلمة الطيبة صدقة غير مالية يتعدى أثرها إلى الغير. فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

فكلمة طيبة من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله ﷺ تنقذ النفس من ضلالها وتخرجها بإذن ربها من الظلمات إلى النور فتهتدي بعد ضلال وتحيا بعد موات وتسعد بعد شقاء ثم تنال حظها الأكبر مغفرة من الله ورضوانا، وعلى العكس من ذلك فكلمة خبيثة من سجل شياطين الإنس أو الجن تغلق أمام النفس أبواب النور وتدفعها إلى مهاوي الضلال والغواية فتشقى في الدنيا ويوم القيامة تصلى عذاب النار ونجد ذلك واضحا في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم

بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن يبلغ ما بلغت، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة».

ـ هذا وكثيرا ما نجد القرآن الكريم يحث على القول الطيب من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾

(الآية ٨٣ البقرة)

وفي سورة الإسراء

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

(الآية ٥٣ الإسراء)

وفي سورة الحج

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

(الآية ٢٤ الحج)

فالنطق بالكلمة الطيبة لون كريم من ألوان الهداية والتوفيق يحقق الاستقامة على أقوم طريق وفي سورة (فاطر) يقول الله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾

(الآية ١٠ فاطر)

فالذي يتكلم بالكلمة الطيبة قد أذن الله له بالصعود إلى عليين في كتاب مرقوم يشهده المقربون، وقد بين القرآن الكريم الفرق بين الكلمة الطيبة والخبيثة وضرب لكل منهما مثلا بليغا فقال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾

(الآيات ٢٤، ٢٥، ٢٦ - إبراهيم)

وفي هذا يحدثنا ابن عطية الأندلسي عن الكلمة الطيبة فيقول: قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: هي لا إله إلا الله مثلها الله تعالى بالشجرة الطيبة وهي النخلة في قول أكثر المتأولين فكانت هذه الكلمة أصلها ثابت في قلوب المؤمنين، وفضلها، وما يصدر عنها من الأمثال الزكية والحسنة، وما يتحصل من عفو الله تعالى ورحمته هو فرعها يصعد إلى السماء من قبل العبد ويتنزل بها من قبل الله رحمته. ثم يقول ابن عطية الأندلسي: والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وما قاربها من كلام السوء في الظلم والجحود وهي - كما قال أكثر المفسرين - شجرة الحنظل.

قال ابن بطال: ووجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب من يُعطاه ويذهب ما في قلبه - أي من الحزن ومرارة الحاجة - وكذلك الكلام الطيب فاشبهها من هذه الحيثية.

وقال القاضي عياض: يحتمل تسميتها صدقة أن لها أجرا كما أن للصدقة أجرا وأن هذه الطاعات بمعنى التي يطلق عليها صدقة وليست بمال - تماثل الصدقات في الأجور وأقول: وهو الأظهر لأن الغاية من الصدقة هو حصول الأجر والثواب من الله تعالى للمتصدق وهذا عام يشمل المالية وغير المالية والله أعلم.

والأستاذ الدكتور محمد عمارة في شرحه لكتاب رياض الصالحين يقول عن الكلمة الطيبة بأنها تشمل الذكر والدعاء والسلام والثناء بحق ومكارم أخلاق ومحاسن آداب وأفعال.

فالكلمة الطيبة المباحة في الأمور العادية والمتبادلة بين المسلم وأخيه المسلم في إطار من الخلق الإسلامي الكريم هي صدقة في ميزان الإسلام، أما إذا كانت الكلمة الطيبة تحمل معنى كريما يحبه الإسلام ويرغب فيه فثوابها وأجرها على قدر ما تحمل من خير وبر فتحية المسلم لأخيه كلمة طيبة ومع كونها صدقة في ذاتها إلا أنها تزيد عليها عشر حسنات أو عشرين أو ثلاثين فقد روى أبو داود في سننه عن عمران بن حصين قال:

«جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ «عشر» ثم جاء رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال «ثلاثون».

ـ يتبع ـ

* * *



إعداد الشيخ: على حامد عبدالرحيم

الحمد لله - عز وجل - هو الذى يداول بين الناس الأوقات والأيام، وإليه وحده نرجع فى أمر الحلال والحرام.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

(الأنعام: ٩٥)

نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى القضاء والتدبير، وبيده مقاليد الأمور

﴿ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

(الرعد: ٣٩)

ونشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، جاهد فى سبيل دعوته خير الجهاد، حتى أسعد به العباد والبلاد، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وجنوده وحزبه.

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(الحج: ٥٠)

العيد هو يوم من أيام الله بين عباده، وهو يوم فرحة عامة، ليست فرحة لفرد ولا لبيت ولا لبلد ولا لقطر فقط، بل هى فرحة لأبناء القبلة جميعاً، وأهل الإسلام كلهم، وديار المسلمين فى شتى بقاع الأرض. وقد عبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن فرحة العيد بقوله: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»[1]، والفرح لذة فى القلب بسبب حصول على أمر محبوب، وانشراح فى الصدر عند بلوغ مقصد مطلوب، ومن المقاصد شريف وغير شريف. والإسلام يحرص أبناءه على أن يفرحوا بما يحمد ويشكر من الأمور والأعمال، ويبعدهم عن أن يفرحوا بمتاع خيلاء الدنيا، أو يفرحوا للسطوة فى الأرض بغير الحق، أو يفرحوا فرح الاغترار أو الافتخار الكاذب بما فى أيديهم من مال أو جاه، ودعاهم إلى أن يفرحوا بفضل الله ورضوانه

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(يونس: ٥٨)

وإلى أن يفرحوا بنعمة الكفاح والشهادة فى سبيل الله حتى يكونوا:

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(آل عمران: ١٧٠)

وإلى أن يفرحوا بالتوفيق لطاعة من الطاعات أو قربة من القربات. فإن التقى الصالح المصلح هو السعيد المجيد.

وفرحة يوم العيد هى فرحة الطائع الذى أخلص فى عمله، وأقبل على بارئه ومولاه يقدم إليه نتيجة هذا العمل وثمرته، وهى فرحة المجاهد الذى قهر شهواته وقاوم رغباته، وحرم نفسه الطعام والشراب، وزان أيامه بالصيام والقيام، وعمر ليله ونهاره بالتلاوة والذكر، والتدبر والفكر، وأقبل على رحمن الدنيا والآخرة وديان العالمين، وقيوم السموات والأرض يستنجزه وعده، ويسأله عطاءه ورفده

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾

(التوبة: ١١١)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(الزمر: ١٠)

وما دام المرء قد أخلص الإقبال على ربه والتعبد له فمن حقه أن ينال ثمرة جهاده وعاقبة إخلاصه: رضا نفسياً ووصولاً إلهياً وفرحاً حسياً ومعنوياً.

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(الروم: ٤، ٥)

فرح الأقوياء!!

وكل فرحة لها مظهرها ومنظرها، وفرحة عيدنا تتجلى فى الخشوع لله والجموع المرفقة التى تسعى عند مطلع الشمس وتبلج ضوء النهار إلى ربها خالق الشمس والنهار تذكره وتشكره، وتحمده، وتتجلى فى الهتاف الإسلامى الرائع، المدوى فى الآفاق، المنبعث من أفواه الملايين من الموحدين: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر»!.

[1] متفق عليه

وتتجلى في هذه الزكوات والصدقات التي تعيض بها أيدي القادرين الخيرين على الفقراء والمساكين. وفي هذه التهنئات والتوفيقة التي يتبادلها أبناء الإسلام في هذا اليوم المبارك السعيد، وللمسلمين الحق كل الحق في أن يفرحوا إذا نالوا نعمة، أو حققوا أمنية، أو صادفوا توفيقاً أو نالوا خيراً في دينهم أو دنياهم. ولكنهم يفرحون فرح الأقوياء الأتقياء، الذين قد ينعمون ويتمتعون ويبتهجون. ولكنهم في الوقت نفسه لا يبغون ولا يطغون، ولا ينحرفون ولا يعتسفون. وهم يغمرون فرحتهم بذكر ربهم الذي تم عليهم نعمته، ورزقهم من الطيبات، وهيأ لهم في كونه كثيراً من أسباب البهجة، فخلق الأنهار والأشجار والأطيار والأزهار والثمار وخلق الحدائق ذات بهجة، وأنبت في الأرض من كل زوج بهيج، وإذا كان سبحانه قد قال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾

(القصص: ٧٦)

فالمقصود من الفرح هنا ـ والله أعلم ـ هو الشخص الذي يكثر فرحه حتى تخرج خيلاؤه وجوارحها. وليس من شأن المسلم أن يكون مفراحاً يكثر الفرح ويسرف فيه، ولذلك قال الأول:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني

ولا جازع من صرفه المتقلب !

وما من شيء من أمور الدنيا إلا والإسراف يشينه والاعتدال يزينه، اللهم إلا عمل الخير، ولذلك قالوا:

«لا خير في الإسراف، ولا إسراف في الخير».

القرآن ينفرنا من الحزن

ومن الناس قوم ينتهزون فرصة هذه الأعياد ليجددوا فيها الأحزان ويبعثوا الأشجان، ولذلك تراهم لا ينتفعون بالأعياد، ثم لا تجديهم أحزانهم فتيلا، وما جعل الله الأعياد لنجعلها مآتم ومناحات، أو نملأها بالصراخ والعويل، بل لنتحدث فيها بنعمة الله، ونظهر فيها بمظهر الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، والقرآن الكريم ينفرنا من الحزن والغم فيقول:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران: ١٣٩)

ويجعل من صفات الأبرار من عباد الله عدم الخوف والحزن

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(يونس: ٦٢)

ويذكر أن من أعظم النعم على عباده في جنات عدن أنه أذهب عنهم الحزن:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

(فاطر: ٣٤)

فليذكر هؤلاء أن الله تبارك وتعالى قد أراد يوم العيد يوم فرحة وبهجة، لا يوم حزن وشجن، ثم ليذكروا أن الله قد علم الأخيار من عباده كيف يقاومون الجزع، ويعلون على الفزع، ويتحصنون من نكبات الاستسلام للحزن والضيق، ويتحملون ما يأتيهم من ابتلاء أو اختبار في رضا وتسليم واسترجاع:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

(البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧)

والناس في كل زمان ومكان يتحدثون عن السعادة، ليبلغوا بها قمة الفرح والبهجة، في هذه الحياة، وتهم في تحديدها وتصويرها أفانين من القول وألوان من الكلام، والأخيار من عباد الله يرون أن السعادة كل السعادة والفرحة حق الفرحة هي أن يعرف الإنسان واجبه اللائق به المطلوب منه ثم يوفقه ربه في أداء هذا الواجب أداء مضبوطاً كاملاً، فإذا نهض المرء بما وجب عليه نحو نفسه ونحو بلاده ونحو الناس ونحو خالق الكون جل جلاله، وبلغ في ذلك الغاية القصوى أحس كأنه أسعد مخلوق وأبهج إنسان، وللتوفيق في أداء الواجبات من اللذة النفسية والنشوة الروحية ما يحس معه أهل المبادئ السامية وأصحاب الدعوات العالية كأنهم في جنات النعيم يتقلبون.

لا تتبدد بهجة الفرح بعض ولو تجددت

ومن هنا جعل الإسلام أعياد العباد في أعقاب القيام بالفرائض والواجبات فعيد الفطر في أعقاب فريضة الصوم، وعيد الأضحية في أعقاب فريضة الحج، وهكذا..! فمن حق الإنسان أن يفرح ويبتهج إذا كان قد دفع ثمن ذلك من عمل أداه أو واجب نهض به أو مكرمة زان بها حياته

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

(النجم: ٣٩ ـ ٤٠)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

إن رسولكم قد قال: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه» وها نحن أولاء نتهيأ للقاء فرحة الإفطار وتبقى بعدها فرحة اللقاء.. بقيت الفرحة الكبرى يوم الجزاء.. بقي أن نطمئن إلى ما سيكون من شأننا يوم نقف بين يدي ربنا:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩)

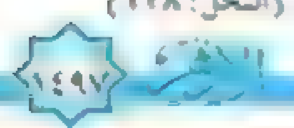
يوم يتردد النداء في جنبات الكون: لمن الملك اليوم؟ فيكون الجواب لله الواحد القهار.. فلنحسن الاستعداد ليوم اللقاء، بالهدى والتقى والعمل الصالح، حتى نفرح يوم تشهد نور الخالق الوهاب..

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة: ٨٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(النحل: ١٢٨)



الحياء .. يساوى الحياة!!

[illegible]

عضو مجمع البحوث الإسلامية

> إن الحياء لا يأتى إلا بخير..
>
> وهو تلك الحساسية التى أنشأها الإسلام فى صدور بنيه.. والتى توشك أن تكون وسواسا. ولا بأس من تدعيم خلق الحياء.. واستثماره.. ليكون التزاما بما شرع الله. ليكون فارقا بين المتشرع.. والمبتدع.

أ) ونذكر هنا قوله ﷺ: «نعم العبد صهيب: لو لم يخف الله.. لم يعصه»(1).

يعنى: يمنعه «الحياء» من العصيان..

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان» (متفق عليه).

يراد بالعدد هنا: التكثير والمبالغة، ولا يراد التحديد كقوله - تعالى -

﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾

(التوبة: 80)

والسؤال المتبادر هنا هو: ما فائدة قوله ﷺ: «والحياء شعبة..» لماذا الحياء بالذات؟!.

(1) كشف الخفا ج2 - ص 446



وأجاب العلماء: إن الحياء له مكانته عظمى فى المنظومة الأخلاقية الإسلامية ومع ذلك فهو شعبة واحدة من شعب الإيمان الكثيرة.. مما يدل على أن الإيمان شيء عظيم حقا.. ونعمة ينبغى أن نذكر فنشكر.

معنى الحياء

وقد عرّفه العلماء بتعريفات شتّى.. نختار منها: الحياء هو: خلق يبعث على ترك القبيح.. ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق. والتعريف قريب مما جاء فى المصادر ذوى التعبير [illegible] «هو النقص [illegible] عن القبائح.. وعن التفريط فى حق صاحب الحق».

ويتوسع ذو النون(3) فى معناه فيقول:

■ «الحياء وجود الهيبة فى القلب مع وحشة مما سبق منك إلى ربك.. والحب ينطق.. والحياء يسكت.. والخوف يقلق».

جذور الحياء

والحياء فى جملته نوعان:

حياء غرزىّ.. وحياء مكتسب:

ونحن مكلفون بالثانى دون الأول.. لأنه هو الداخل فى إمكاننا..

■ أما الغرزى: فإنه لكى يكون شرعيا.. فلابد فيه من مران ونية وعلم.

ومن الحياء الغرزى ما روى من أنه ﷺ: «كان أشد حياء من العذراء فى خدرها»(4).

■ أما فى المكتسب: فقد كان منه فى القمة الأعلى.. وقد أوشك من فرط حيائه أن يلامس «الخجل» ولكن الله - عز وجل - حماه وبيّن له وجه الحق: وذلك قوله - عز وجل -:

﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾

(الأحزاب: 53)

والقصة هى هى:

أن بعض الناس كان ينتظر استواء طعامه ﷺ ثم يظل منتظرا.. وقد يطول انتظاره إلى الحد الذى يصير شاقا على الرسول ﷺ.. فمنعوا من ذلك.. إلا فى حالة الإذن بالدخول.. على أن يتم الانصراف فور الانتهاء من تناول الطعام.. لأن الانتظار بعد الأكل وتجاذب أطراف الحديث.. كان مما يؤذى النبى ﷺ.. ومن صور الإيذاء هنا التشويش على فكره؛ مما يترتب عليه تعثر الدعوة فى شخص رجلها الأول.

وإذن.. فلا ية تعبير لهؤلاء من ذلك.. هؤلاء الذين كانوا يستغلون حياءه ﷺ.. ولكن الله - تعالى - والذى له كل الأمر - لا يفعل فعل المستحى فيترك ما أمر به: إنه - تعالى -:

﴿ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾

(الأحزاب: 53)

(3) [illegible] (الرسالة القشيرية ص 121)

(4) صحيح البخارى ج1 - ص 230، صحيح مسلم ج4 - ص 1809

لقد كنتم جائعين.. فأكلتم.. ثم شبعتم فلم يبق إلا الانصراف، وأهم منه استبقاء «الخجل» ولا تقول «الحياء» لأن الحياء خير كله.. لأنه في ناحيته الإيجابية دافع إلى الفضيلة.. وفي ناحيته السلبية مانع من الرذيلة.. وصدق الرسول ﷺ حين قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه.

أقسام الحياء

قسم العلماء «الحياء» إلى عشرة أوجه:

١- حياء جناية ومثاله:

حياء آدم.. لما فر هارباً في الجنة.. قال الله -تعالى-: «أفراراً مني يا آدم؟ قال: لا يا رب.. بل حياء منك».

٢- وحياء التقصير: كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

٣- وحياء الإجلال: وهو: حياء العبد من ربه «وهو بحسب هذه المعرفة».

٤- وحياء الكرم: كحياء النبي ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة فطولوا عنده.. فقام حياء من طلبه منهم الانصراف.

٥- حياء الحشمة: كحياء علي -كرم الله وجهه- أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي، لمكان ابنته.

٦- وحياء الاستحقار واستصغار الإنسان نفسه حين يسأل ربه شيئاً مع إحساسه بهوان نفسه.

٧- حياء المحبة فهو: حياء المحب من محبوبه، فإنه إذا خطر على قلبه غائباً، أو رآه ظهر أثر ذلك على وجهه.

٨- حياء العبودية وهو: حياء العبد من معبوده -تعالى-.. وأن قدر الإنسان أهون قطعاً.

٩- حياء الشرف: فهو حياء كبار النفوس إذا صدر منه ما لا يليق بمركزه.. ومنه حياء بعضهم من خجلة من يأخذ منه شيئاً.

١٠- حياء المرء من نفسه.. امتهاناً لها.. وهو من غيره أشد حياء.

إنهم يستحيون من الله مطيعين.. فكيف إذ أذنبوا؟! إنهم في حساب دائم لأنفسهم التي يتهمونها دائماً بالتقصير.. بل إن أحدهم يلحقه الحياء إذا تورط زميله منطلقين من الواقع المشاهد باستحياء الإنسان من حبيبه أن يطلع عليه وهو يخون، فكيف بحيائه من ربه -تعالى-؟!

حياء الله -تعالى- من العبد

وذلك أنه -تعالى- يستحي من عبده:

(أ) إذا رفع يديه أن يردهما صفراً..

(ب) ويستحي أن يعذب شيبة شابت في الإسلام.. وكان يحيى بن معاذ يقول: «سبحان من يذنب عبده ويستحي هو» ولكنه -تعالى- يعلمنا ألا نستحيي من الحق:

ونقرأ هنا قوله -عز وجل-:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾

(البقرة ٢٦)

﴿ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾

(الأحزاب: ٥٣)

الحياء بمعنى الشرف

ماتت زوجة الشاعر جرير.. فحزن على رحيلها حزناً عميقاً

وصور فراقها ملكته الشعرية فقال:

لولا الحياء.. لهاجني استعبار

ولزرت قبرك.. والحبيب يزار

فالرجل هنا حزين لفراق صاحبته.. ولكنه يحبس دموعه التي قد تجري أسفاً عليها.. ثم يحرم نفسه من تحقيق حاجته إلى زيارة قبرها.

ولكنه هنا يرجع بموقفه هذا القاسي إلى «الحياء».. ولكنا نقول:

إن الحياء «ملكة تبعث من القبيح وتحض على الجميل» وهو ما لم يرده «جرير» ولكنه لما كان رمزاً من رموز العرب، وشاعراً مرموقاً.. وجد من موجبات مركزه الاجتماعي والأدبي ألا يقف بنفسه موقفاً ضعيفاً.. ومن أجل ذلك قرر ألا يبكي على حبيبته.. وألا يزور قبر زوجته.. مدفوعاً بالإحساس «بالشرف» الذي استعار له «الحياء» زوراً.

والمقصود أن «جرير» لا يتحدث هنا عن «الحياء» كملكة دافعة إلى الخير مانعة من الشر.. وإنما يتحدث عن «الوجاهة» وعن «الشرف» عند الناس..

أهمية الحياء

يقول صالح بن عبدالقدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه

ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياءك فاحفظ عليك فإنما

يدل على فضل الكريم حياؤه

وذلك يعني: أن وجود الإنسان هو الحياء، فإذا لم يكن حياء، فرط العقد، وضاع وجود الإنسان الأدبي.

ومما يدل على أهمية الحياء قوله ﷺ:

«الحياء والإيمان قُرنا جميعاً: فإذا رُفع أحدهما، رُفع الآخر» (رواه الحاكم ج١/ ٢٢) وليهما وعى به النبي ﷺ.

عن سعيد بن يزيد الأزدي -رضي الله عنه- قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني. قال: أوصيك أن تستحيي من الله -عز وجل- كما تستحيي رجلاً من صالحي قومك» (رواه البيهقي في الشعب/ ٢/ ٤٦٢).

تصحيح مفهوم الحياء

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء» قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله. قال: ليس ذلك.. ولكن الاستحياء من الله حق الحياء:

أن تحفظ الرأس وما وعى. والبطن وما حوى. ولتذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك.. فقد استحيا من الله حق الحياء» (الترمذي/ ٢٤٥٨) وقال: غريب.

ويلاحظ في الحديث أن الرسول ﷺ يأمرهم بحق الحياء.. لا بمجرد الإحساس العابر.. فلما أخبروه بأنهم كذلك.. أرشدهم

ﷺ إلى أن قيمة الحياء أعمق من هذا.. فالحياء في منطق الإسلام ليس هو فقط احمرارا في الوجه يكسر من حدة الإنسان.. ولكنه مضموم على معان خطيرة:

■ أولها: حراسة الفكر حتى لا يشتط به المزار بعيدا عن الصواب.

■ وثانيها: تحري [illegible] الحلال.

■ وثالثها: دوام ذكر الموت ردعا لمشاعر التعلق بزهرة الدنيا.

■ ورابعها: إرادة الآخرة والسعي لها.

وإذن.. فالشُقة بعيدة.. ولابد لها من زاد تتقوى به على تجاوز عقبات الطريق.. وهذا مما يحمل الصحابة -رضوان الله عليهم- والمسلمون من بعدهم مسئولية الحياء بمفهومه الإسلامي الواسع العميق.

الحياء أساس البناء

قال ﷺ فيما رواه ابن ماجه:

«إذا أراد الله أن يهلك عبداً نزع منه الحياء.. فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً.. فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة. فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً.. فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً نزعت منه الرحمة.. فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام».

ويحكي الحديث قصة انهيار بناء الإنسان:

هذه القصة التي تبدأ بنزع الحياء منه:

هذا الحياء الذي يشكل خيطا يجمع حبات الأخلاق.. فإذا قطع الخيط انفرطت حبات المسبحة أو هو العقدة تجمع كل الخيوط!.

الحياء يساوي الحياة

يقول ابن القيم -رحمه الله-:

«الحياء:- الذي هو الاستحياء، مشتق من الحياة، ومن ذلك أيضاً: الحيا: للمطر، لكنه مقصور.

وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء:

وقلة الحياء من موت القلب والروح:

فكلما كان القلب أحيا.. كان الحياء أتم» مدارج السالكين / ٢ / ٢٧٠.

وقد جاء «الحياء» في بيان سلفنا الصالح بما يؤكد هذا المعنى الذي يجعل الحياء هو الحياة! ففي الحياء كفاية المسلم.

قال مجاهد: لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حياء أخيه يمنعه هو من المعاصي.. لكفى!. وهو علامة من علامات الحياة وظاهرة من مظاهرها.

وروى عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال:

«مرّ النبي ﷺ على رجل، وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي.. حتى كأنه يقول: قد أضر بك. فقال رسول الله ﷺ: دعه: فإن الحياء من الإيمان»(٤).

(٤) صحيح البخاري ج١ - ص١٢ - سنن أبي داود ج٤ - ص ١٤٢

ما هي القضية هنا؟!

القضية هنا: أن أخاً يعظ أخاه معاتباً له على حيائه من الناس.. كأنه يقول له: قد صرت بحيائك الذي صار عادة لك بل خلقاً لك تمنعه من استيفاء حقوقه لدى الناس.. فيقول له ذلك وهو عندئذ لم يكن يعرف قيمة الحياء.. حتى أمره الرسول ﷺ أن يتركه في حيائه.. لأن الحياء كله خير.. ولا يأتي إلا بخير.

وصدق القائل:

هب البعث لم يأتنا نذره
وجاحمة النار لم تضرم
أليس بكاف لذي فكرة
حياء العباد من المنعم؟

حكم الحياء

تعقيب

يقول العلماء: حقيقة الحياء خوف الذم بنسبة الشر إليه. وهو مركب من: جُبْن وعفة، فلذلك لا يكون المستحيي فاسقاً وقلما يكون الشجاع مستحيا.

أما عن حكمه فقالوا: إن كان في مُحرّم.. فهو واجب. وإن كان في مكروه.. فهو مندوب. وإن كان في مباح.. فهو العرفي وهو المراد بقوله ﷺ: (الحياء لا يأتي إلا بخير) ويجمع ذلك كله: أن المباح إنما هو ما يقع على وفق الشرع إثباتاً ونفياً. ويحكى عن بعض السلف

يقول المرحوم الشيخ محمد الغزالي: إن الإنسان في حضرة الرجال الذين يحبهم ويحرص على استرضائهم يضبط سلوكه ضبطاً محكماً.. فيتكلم بقدر، ويتصرف بحذر، والمسلم الذي يعرف من تعاليم دينه أنه لا يغيب عن الله لحظة.. لأنه ماثل في حضرته ليلاً ونهاراً.. يسعى أن يكون نهجه حلال الله، وتأدبه بشرائعه أحكم.. وذلك معنى الأثر: «استحي من الله كما تستحيي من أولي الهيبة في قومك». إن حمرة الإنسان وغمر وجهه في بعض المواقف دليل سمو كامن، وطبع كريم، والحياء خير كله، فإذا سقطت صبغة الحياء عن الوجه.. كما يسقط القشرة الخضراء عن العود الغض، فقد آذنت الحياة الفاضلة بالضمور، وتهيأ الحطام الباقي أن يكون حطباً للنار... وذلك الذي يقال له: إذا لم تستحي فافعل ما شئت

وأخيراً..

فذكر الحياء مع الإيمان دليل على أهمية الإيمان الذي كان من بعض مفرداته الحياء. على خطره..

وذلك دليل على أن الإيمان بحر واسع عميق لا يعرف.. كما قيل بحق.

ولا يقطعه سابح مهما خاض فيه وضرب بذراعيه

هو البحر من أي النواحي أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله!

(٥) صحيح مسلم - [illegible]

نعمة العقل ونقمة الإدمان

عضو مجمع البحوث الإسلامية

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وشرفه وكرمه على سائر المخلوقات فذكر في سورة الإسراء:

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾

(الإسراء: ٧٠)

ولقد استخلف الله الإنسان في الأرض من أجل عمارتها وتزداد به نماء ومن هنا كانت له خاصية تميزه عن باقي المخلوقات تلك الخاصية هي العقل والتفكير، وجعل هذه الخاصية للإنسان هي مناط التكليف بالأحكام وتحمل المسئولية في كل شئون الحياة، كما اعتبر الإسلام المؤثرات العارضة لا تؤثر على عقل الإنسان وتكون طارئة عليه اعتبرها عذرا يرفع عنه المسئولية ويرفع المؤاخذة على ما يصدر منه من آثام في مثل هذه الحالة كمثل حالة الجنون ولقد وردت في القرآن الكريم آيات بينات تستدعي العقل وتدفع الإنسان إلى العمل والتفكير وإلى التمييز بين الخبيث والطيب يقول تعالى في الجاثية:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الجاثية: ١٣)

وفي سورة الرعد يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(الرعد: ٤)

وفي سورة البقرة قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(الآية: ٢٦٩)

وقد نعى القرآن الكريم على هؤلاء الذين لم ينتفعوا بآيات الله الذي أتقن كل شيء نعى عليهم عدم التعقل والتفكر يقول تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة: ٤٤)

كما بين القرآن الكريم حال هؤلاء وحسرة على هؤلاء الذين عطلوا العقول وهو أعظم نعم الله على الإنسان يقول تعالى:

﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ﴾

(الملك: ١٠-١١)

كما أن الله تعالى أوضح أن هؤلاء الذين أهملوا إعمال العقل قد أصيبوا بالبلادة في الحس والشعور ووصفهم بأقبح الصفات قال تعالى:

﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾

(الأنفال: ٢٢)

وقيل لابن عباس رضي الله عنه بم نلت العلم؟ قال: بلسان سئول وقلب عقول ولقد بين الإسلام الوسائل التي تنمي وتسمو بالعقل وترشده فحث على طلب العلم والاستزادة منه قال تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

ويقول جل شأنه

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الأنبياء: ٧)

ولقد حذر القرآن الكريم هؤلاء الذين يحاولون تزييف الفكر وتلبيس الباطل بالحق ويعتمدون على الكذب في الأمور تلبيسا على عقول الناس قصد إضلالهم وإفساد حياتهم قال تعالى:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٤٤)

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى المحافظة على العقل وجعل هذا من الضرورات الخمس من أجل حمايته من المؤثرات الفكرية والنفسية فهو دون شك يدعو إلى المحافظة على العقل من المؤثرات المادية التي تتمثل في الاعتداء على الجسم بما يذهب منافعه وفي ذروتها العقل وقد جاء في نيل الأوطار للشوكاني عن عم أبي قلابة رضي الله تعالى عنه قال: «إن رجلا رمى آخر بحجر في رأسه في زمن عمر رضي الله عنه فذهب سمعه وبصره وعقله ولم يستطع قربان النساء فقضى عمر فيه بأربع ديات وهو حي. وقد جاء في حديث معاذ بن جبل (.. إن في العقل الدية) وقد جاء في الأثر أن من أذهب عقل إنسان فكأنما أفقده الحياة ومعنى ذلك أنه لما لا يجوز الاعتداء على نفس الإنسان أو على عضو من أعضائه فكذلك لا يحل له الاعتداء على عقل إنسان آخر وبالأولى يحرم على كل إنسان أن يعتدي على

عقله غاية صورة من الصور. هذا ومن صور العدوان على العقل التي انتشرت واستشرت في هذا الزمان حتى إنها صارت حربا ضروسا هدفها الإنسان وحصادها الشباب -الذين هم عدة الأوطان- تعاطي المسكرات والمخدرات التي لا شأن لها إلا ذهاب العقل أو إصابته بالخمول أو الفتور أو الخمود والركود ونحو ذلك والعقل ليس عضوا جسديا في جسم الإنسان وإنما هو قوة مدركة يميز بها الإنسان بين النافع والضار. تنمو بالعلوم والمعارف وتضمحل وتفسد بما يتعاطاه الإنسان من المسكرات والمخدرات والسموم التي ظهرت وتعددت أنواعها وتسمياتها في هذا العصر الذي يعيش فيه هذا فضلا عن إتلاف عقله واختلال ذاته عن كونه إنسانا سويا حالة تعاطي هذه السموم ومن هنا كان تحريم الصلاة على السكارى لذهاب عقولهم وخلطهم في الكلام قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

(النساء: ٤٣)

ومن هذا يتبين أن السكر اعتداء على العقل وإذا كان الإسلام قد كرم العقل وأحاطه بالعناية والرعاية فإنه جعل بين الإنسان وبين المسكرات والمخدرات والإدمان عليها بابا موصدا لا يجرؤ على اقتحامه إلا من ضعف إيمانه بالله وتبلد شعوره نحو خشية الله وخوفه ففي الحديث الشريف الذي رواه الشيخان «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.. ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» ويتبين من هذا الحديث وغيره أن من يقدم على شرب الخمر يكون قد فقد الإيمان أو نزعه الله من قلبه لأنه لو كان إيمانه مستقرا قويا لما أقدم على هذه الكبيرة من الآثام وإذا كان الله تعالى قد حرم على المسلمين قتل النفس مطلقا بما فيها قتل الإنسان لنفسه قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء: ٢٩)

فإن إتلاف العقل بالمسكرات أو المخدرات يكون كبيرة وخطيئة لأن فقدان العقل بهذه المؤثرات بمثابة الانتحار أو قتل النفس الذي حرمه الإسلام وإن الدول لتبذل أقصى ما في وسعها من التنبيه إلى خطورة الإدمان وتعاطي المسكرات والمخدرات بجميع أنواعها بما فيها المسمومات سواء كانت مصنعة أو طبيعية ذلك أن الإدمان هو نقمة على المجتمعات تهدف إلى إضعاف المجتمعات التي تنتشر فيها تلك الآفة ولذلك فإن مسئولية محاربة الإدمان ليست قاصرة على الدول والحكومات فحسب بل على الجميع أن يتحمل المسئولية تجاه هذه الآفة كل في موقعه الأسرة - المدرسة - الجامعة - المصنع - رجال الأمن - رجال الاجتماع - علماء الدين يقول تعالى موضحا هذه المسئولية

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(التحريم: ٦)

ولهذا فإن الحروب في عصرنا هذا ليست قاصرة على القوة العسكرية أو كثرة العدد والعتاد بل إنها أصبحت تشمل أيضا حروبا خفية مؤثرة على المجتمعات والدول من نشر الإدمان وإضعاف الشباب الذين هم العدة الحقيقية لأي مجتمع من المجتمعات ولهذا فإننا نسمع الحديث عن الإصلاح ومقاومة الفساد وهذا الإصلاح لابد وأن يواجه تلك النقمة التي تستشري بين أفراد المجتمع وتهدف إلى إفساد الشباب وإضعافه وبالتالي فساد المجتمع ككل كما أنه من الواجب علينا ألا نضعف أمام الأحداث بل علينا أن نكون كما أمرنا ربنا متواصين بالحق والصبر والحق هو مقاومة هذه المخربات التي تنزع منا ما فضلنا الله به عن سائر مخلوقاته وهو العقل وعلينا أن نقوم بالمسئولية وأن نزن مواقفنا من هذه المهلكات وليس الإصلاح ومقاومة الفساد قاصرة على السرقة والرشوة وغيرها بل إنها تشمل أيضا سرقة عقول شبابنا الذين هم أمل أمتنا ودرعها الذي يحميها ويصد عنها كيد الأعداء وليس الإصلاح كلمات تقال وندوات تعقد وإنما الواجب الوقوف بحزم ضد هذه الآفة قبل أن تصبح ظاهرة وعلى أولياء الأمور أن يدعوا أبناءهم لأنهم مسئولون عنهم يوم القيامة كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته»[1] فلابد من تشخيص الداء حتى يكون الدواء مفيدا ويكون منه الشفاء بإذن الله قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

(الأنفال: ٢٤)

---

(١) صحيح البخاري

خلق السموات والأرض .. بين القـــــرآن والكشوف العلمية الحديثة

للأستاذ الشيخ / مصطفى بكر [illegible]

يقول الدكتور «موريس بوكاى» فى كتابه «القرآن والعلم الحديث»: ينبغى أن نؤكد أولا أن القرآن الكريم - قبل كل شىء - كتاب هداية، لم ينزله الله مصدرا للمعارف العلمية، وإنما هو رسالة تستثير العقل للتأمل فى خلق الله، ونواميس الطبيعة، ليتعرف من خلالها على جلالة القدرة الإلهية».

وفى خلال تدبر آيات الكتاب، يجد أولو العلم والبصيرة فيه من «الإشارات العلمية» المشرقة نفحات من الله - تعالى - تشد أزرهم فى مواجهة دعاوى الإلحاد المادى المتهافتة، وإن [illegible].

«والقرآن أيضا هو البرهان الخالد، والمعجزة الشاهدة إلى آخر الزمان على صدق تنزيله من خالق الكون، سواء فى إعجاز بيانه، أو صدق معارفه، بما يقطع باستحالة صدوره من بشر»[1].

وفى المقال السابق، كنا قد تحدثنا عن الانفجار العظيم، الذى كان بداية خلق الكون الكبير الذى نعيش فيه، وكنا قد قلنا إنه نجم عن هذا الانفجار تمدد بين شظايا هذا الانفجار، كما نجم أيضا عنه مادة دخانية بعد مرور ٣٠٠ ألف سنة من مولد الكون، وقد تم تصوير هذه المادة الدخانية بواسطة سفينة الفضاء الأمريكية «كوب» التى أطلقت عام ١٩٨٩م.

وبناء على هذا، فإن العلماء يقدرون كتلة هذا الدخان المعتم المرصود بحوالى ٩٠٪ من كتلة الكون، وبهذا زادت كتلة الكون عن القيمة المرصودة من قبل، كما تبين أن اكتشاف الدخان والثقوب السوداء والمادة المظلمة المنتشرة فى أرجاء الكون وكتلة (النيوترينو) حديثا سوف يعمل على زيادة كثافة الكون عن القيمة الحرجة، التى حددها أينشتين، مما سيؤدى فى المستقبل إلى انكماش الكون عقب توقف التمدد الحالى، وهذا ما يتنبأ به القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ١٠٤)

وهذا ما يقوله العلماء اليوم من أن الكون سوف ينطوى، أى ينكمش فى المستقبل، تماما كما توقع أينشتين، لأن سرعة التمدد سوف تتناقص مع مرور الزمن، وتؤدى الكثافة المرتفعة للكون إلى تغلب الجاذبية المتبادلة بين المجرات، فينعكس اتجاه فى كون منكمش حيث تعود المجرات فى الاتجاه المعاكس لتلتقى جميعها فى المستقبل مع بعضها البعض فى «رتق» جديد، يجمع السموات والأرض وما بينها فيما نسميه «الانسحاق العظيم» فى بيضة كونية جديدة فى المستقبل مشابهة مثيلتها فى الماضى، وبهذا يعود الكون لنفس ظروف النشأة كما فى الوعد الإلهى «كما بدأنا أول خلق نعيده».

والعلماء التجريبيون يقولون: إن عملية اتساع الكون هذه إلى الخارج لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية؟ لأنها محصلة الانفجار الأول، ولما كان معدل اتساع الكون اليوم أبطأ من المعدل الذى بدأ به، فسوف يأتى على هذا الكون زمان تتساوى فيه القوتان: القوة الدافعة إلى الخارج بالانفجار، والقوة اللازمة إلى الداخل بالجاذبية، ثم مع ضعف القوة الدافعة إلى الخارج تبدأ قوى الجاذبية فى تجميع الكون مرة أخرى فى جرم واحد مشابه تماما للجرم الابتدائى الأول الذى بدأ منه الخلق، ويسمى العلماء المعاصرون هذه النظرية باسم «الانسحاق الشديد».

١- القرآن والعلم الحديث ص١٨، ١٩ - مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع - المنصورة، والدكتور موريس بوكاى هو صاحب كتاب «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» والكتاب الذى نقلنا منه النص تسجيل لمحاضرة ألقاها الرجل أمام معهد الكومنولث البريطانى فى لندن حول القرآن الكريم والعلم الحديث يلخص فيها رحلته مع كتاب الله وكيف هداه الله إلى الإسلام.

والقرآن يسبق العلم بألف وأربعمائة سنة.

في الإشارة إلى تلك الصورة العجيبة وذلك بقوله تبارك وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

ويجمع المفسرون على أن هذا اليوم - المذكور في الآية - هو يوم القيامة كما يقول ابن كثير عن ابن عباس: يطوى الله السموات السبع والأرضين السبع بما فيها من الخلائق لتكون كحبة في يده في حجم الخردلة كما يطوى الكاتب السجل، وما يقول تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

ولكن نود أن نتعرف هنا على: كيف تقوم السموات والأرض الآن وحتى الساعة التي لا يعلم إلا الله متى تنتهي، ونحن نعيش فيهما من الانفجار العظيم والانكماش العظيم (أو ما يسمى علميا بالانسحاق العظيم)، لقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد على أن هذه السموات مرفوعة «بغير عمد ترونها» من هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾
(لقمان: ١٠)

وقوله عز من قائل:

﴿ [illegible] ﴾
(الرعد: ٢)

ويلاحظ أن هذا القرآن العظيم، وهو يتحدث عن (العمد) كان في غاية الإعجاز العلمي والكوني لدقته في اختيار اللفظة وفي تركيب العبارة بما يؤكد أن الله - عزت كلمته وتعالت حكمته - لم يكن يخاطب البشر زمن نزوله فحسب، وإنما كان يخاطب البشر كافة وإلى أن تقوم الساعة، فكانت صادقت الآيات المباركات، كل ما يتوصل إليه الكشف العلمي في طول الحياة وعرضها، فالآية المباركة لم تقل:

﴿ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ ﴾ وفقط، وإنما قالت «ترونها» وهذه الكلمة هي سر الإعجاز العلمي هنا، حيث إن من العلماء من جعلها عائدة إلى السموات، وعلى ذلك يكون المعنى أنكم أيها الناس ترون السماء مرفوعة بغير عمد، وهو ما يؤدي - حسب هذا التوجيه - إلى الاعتراف بقدرة الخالق عز وجل في رفع السموات بغير عمد، وهو ما اختاره بعض المفسرين.

وهناك من أعاد «ترونها» إلى العمد وعلى هذا يكون المعنى أن هذه السماء مرفوعة بعمد ولكنكم لا ترونها، وهو ما ارتضاه العلماء المحدثون، لأنه يتمشى مع النظريات الكونية الحديثة، ويتطابق مع منهج البحث العلمي الدقيق. فما هي العمد التي أثبتها العلم الحديث، والتي لا نراها بأعيننا وتحدث عنها القرآن منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا مضت؟ إنها قوة الجاذبية، التي تشد الكون بعضه إلى بعض - كما يقول علماء الكونيات - وتجعله كالبناء المتماسك الذي لا تجد فيه ثغرة، وهو ما يتوافق مع قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾
(فاطر: ٤١)

كما أشارت إلى ذلك الآية التي تقول:

﴿ [illegible] ﴾
(الروم: ٢٥)

فقوة الجاذبية على هذا التوجيه بمثابة المادة الأسمنتية التي تشد المجموعة إلى أختها حتى لا يتهاوى البناء، فإذا ما أذن الله بالكون بالفناء، زالت هذه المادة الأسمنتية، أي فقدت القوة الجاذبة فاختل نظام الكون واضطرب البناء الكوني كله، وكان الدمار الشامل، إيذانا بوقوع القيامة، وهو ما أشار إليه الحق في قوله تعالى:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾
(الانشقاق: ١)

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾
(الانفطار: ١)

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾
(التكوير: ١، ٢)

وقد فسر الإمام الشيخ محمد عبده وقوع هذه الأحداث (انشقاق السماء، وانفطارها، وتكوير الشمس.. وانكدار النجوم).. فسرها الإمام جميعها باختلال نظام الكون، وتخلي هذه العناصر كلها عن أداء وظائفها التي جعلت من أجلها، واعتبار ذلك مقدمة لفساد الكون العظيم، وقيام الساعة، وهذا التفسير الذي قال به الإمام، اعتبره الدكتور منصور حسب النبي - وبحق - في كتابه، فتحا هائلا في التفسير، بل فتوى علمية تبيح تفسير الآيات الكونية في القرآن طبقا لما ثبت أو يثبت على أيدي علماء الفطرة من الحقائق الخاصة بالسنن الكونية العامة التي ثبتت صحتها نظريا وعلميا.. وهو اتجاه يمكن من محاصرة العالم كله بإعجاز القرآن لإثبات صدق النبوة وعالمية الرسالة[1].

هذا عن قيام السماء والأرض بأمره، وعن العمد التي لا نراها، فماذا عن الأيام الستة، التي أخبر الحق - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما على مدارها؟ وكيف نفهم هذه الأيام علميا؟ وهل ورد شيء من ذلك في كتب اليهود أو النصارى؟ وما مدى مطابقتها للواقع الذي ثبت علميا؟ هذا ما سندور حوله الفقرة التالية من هذا المقال:

يقول الحق - تبارك وتعالى - في كتابه

٢- اقرأ من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - د. زغلول النجار جـ١ ص٤١

٣- الزمر: ٦٧ واقرأ كتاب «إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان» ص٢٨ وما بعدها للدكتور منصور حسب النبي، وكتاب «من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» للدكتور زغلول النجار جـ١ ص٤١ مكتبة الشروق الدولية

١- د. منصور حسب النبي «إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان» ص٢٩

الخالد:

(الأعراف: ٥٤)

ويقول أيضا

(الفرقان: ٥٩)

إذا لقد تم الخلق على مدار ستة أيام حسبما نص عليه صريح الآيتين الكريمتين. ولكن وفق العلماء بين ذلك وبين ما ذكر في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ [illegible]﴾

(فصلت: ٩-١٢)

بداية، لابد من إزالة ما قد يبدو من تعارض بين ستة الأيام، التي نصت عليها آيتا الأعراف والفرقان، وبين آيات سورة فصلت، التي تجعل الأيام وكأنها ثمانية، حيث بدأت الأيام بخلق الأرض في يومين، وثنت بتقدير الأقوات، وإنزال البركة فيها، وخلق الجبال الرواسي.. كل ذلك في أربعة أيام بعد يومي خلق الأرض، وانتهت بقضاء الله على السموات السبع في يومين ليصير المجموع ثمانية أيام.. فكيف تم التوفيق إذن بين هذين المفهومين لعدد الأيام؟.. تستمد الإجابة عن هذا التساؤل للدكتور منصور حسب النبي - رحمه الله - الذي يقول: «إن هذا التعارض ظاهري فقط، وليس حقيقيا، ولقد اعتبره بعض المستشرقين خطأ - لا سمح الله - في القرآن.. وللرد على هذا الافتراء، فإن الأيام الأربعة المذكورة في سورة فصلت «وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام» بعد يومي خلق الأرض في آية «قل أئنكم...» تشمل هذين اليومين المذكورين في البداية، لأن الحديث عن الأرض لم يتوقف في الآيتين، ولقد أجمع المفسرون على أن لفظ (خلق) في الآية الأولى بمعنى التقدير (دون الإيجاد) الذي استغرق يومين. بينما استغرق تشكيل الأرض جيولوجيا يومين آخرين، ليصبح مجموع خلق وتدبير كوكب الأرض أربعة أيام متساوية كما في الآية الثانية».. ثم ينهي الدكتور منصور حديثه في هذه النقطة بتعقيب، ملخصه الآتي:

«وبهذا يمكننا تفسير المراحل الثلاث المتساوية الواردة في سورة فصلت كما يلي، بترتيب يتمشى مع العلم والقرآن..

(أ) يومان لخلق جميع عناصر الأرض في السحاب الكوني.

(ب) يومان لتسوية السموات السبع وترتيبها.

(ج) يومان أخيران لتشكيل الأرض جيولوجيا ابتداء من تصلب قشرتها.

وبذلك يصبح المجموع ستة أيام (للمراحل الثلاث المتساوية) وليس ثمانية أيام كما يعتقد البعض الذين يستوعبوا معنى هذه الآية.. ولا تعارض في القرآن مطلقا، ولكن القرآن يفسر بعضه بعضا»[4]

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن - كما يقول الدكتور زغلول النجار - من الذي علم سيدنا رسول الله ﷺ هذه الحقيقة قبل ألف وأربعمائة سنة؟!

من الذي كان يخطره قبل ألف وأربعمائة سنة، أن يخوض في هذا الغيب، لولا أن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سيكتشف هذه الحقيقة في يوم من الأيام فتكون هذه الومضة القرآنية المبهرة شهادة صدق بأن القرآن الكريم كلام الله، وأن هذا النبي الخاتم ﷺ كان موصولا بالوحي معلما من قبل الخالق - عز وجل -[5]

والآن. ما حقيقة هذه الأيام. هل هي أيام كأيامنا هذه، أم أنها شيء آخر؟

الواقع أن كتب التوراة، التي بأيدي اليهود، تحدثت في هذه القصة بما يفيد أن اليوم من أيام خلق السموات والأرض، يعني اليوم الذي نعهده في حياتنا. أي أنه محصور بين غروبين متواليين للشمس، أو بين شروقين، أي أن الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض عبارة عن (١٤٤) ساعة.. وذلك يعني أن أيام الأسبوع يتبقى منها يوم بلا عمل، فكان يوم السبت، الذي استراح الله فيه بعد عناء ستة أيام في العمل المتواصل - وحاش لله - وهذا هو سر اختيار اليوم ليوم السبت باعتباره يوم الراحة الأسبوعية، جاء في سفر التكوين: «... ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا، وكان مساء وكان صباح يوما سادسا»

«فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله»[6].

دع عنك ما تعنيه آيات التوراة هذه من عدم تقدير قدسية الرب - تبارك وتعالى - في المفهوم اليهودي، بما يؤكد أن هذه التوراة، وبهذا النص لم يكتبها موسى - عليه السلام - ولم توح إليه، وإنما هي ملفقة كما ثبت علميا وبعد دراسات مستفيضة، ربما نتعرض لها مستقبلا. كما لا يفوتنا أن ننبه على أن الله - تبارك وتعالى - رد على فريتهم المنكرة في نسبة التعب إليه - عز شأنه - بقوله:

٤- د. منصور حسب النبي «إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان» ص٥١، ٥٢ بتصرف يسير جدا

٥- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، جـ١ ص٤٩

٦- سفر التكوين، الإصحاح الأول، الآية ٣١، الإصحاح الثاني، الآية ١، ٢



﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾

(ق ٣٨)

ولكن الذى يعنينا الآن هو اعتبار أيام خلق السموات والأرض - فى المفهوم التوراتى اليهودى - [illegible] وهو ما لا يقبله منطق صحيح، ولا يستسيغه عقل ناضج.

ففى مناقشته لهذه القضية يقول الدكتور «موريس بوكاى» [illegible] كلمة «يوم» كما يفهم من التوراة، تعرف بالمسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس، أو غروبين متواليين، وذلك بالنسبة لسكان الأرض إن اليوم، وقد تحدد بهذا المعنى، يرتبط وظيفياً بدوران الأرض حول نفسها. [illegible] من المستحيل منطقيا أن نتحدث عن «الأيام» بهذا المعنى الذى تحدد، على حين أن العملية المركبة التى ستؤدى إلى ظهورها، أى وجود الأرض ودورانها حول الشمس لم تكن قد أنشئت بعد عند أول مراحل الخلق وذلك بحسب رواية التوراة»[8].

أما آيات القرآن الكريم فقد تحدثت عن أيام خلق السموات والأرض - وهو من الإعجاز العلمى للقرآن - فى مثل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾

(الأعراف ٥٤)

وقوله تعالى

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

(الفرقان ٥٩)

وهى إنما تعنى المراحل، وليس الأيام بمعنى المعروف. بدليل قوله تعالى

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

(الحج ٤٧)

وقوله تعالى

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

(السجدة ٥)

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(المعارج ٤)

وهو ما يؤكد على أن اليوم فى هذه القضية - قضية خلق السموات والأرض - لا يعنى فى منطق القرآن، المدة المحصورة بين شروقين متواليين أو بين غروبين، [illegible] ستة مراحل مر ذكرها آنفا.. وإلى اللقاء فى مقال آخر نتابع فيه آيات الإعجاز الكونى فى القرآن الكريم.

﴿ [illegible] ﴾

(فصلت ٤١ - ٤٢)

8- «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» فصل: مراحل الخلق الستة

مصرع النضيرة

بقلم: [illegible] حسام

جلس سابور فى إيوانه الكسروى معيطاً بعض على شفتيه من الغيظ، حين جاءته الأنباء بأن «الضيزن» ملك الحضر قد هاجم مدينة «شهرزور» وأمعن فيها قتلاً وتخريباً، فسفك دماء الرجال، [illegible] صرخات يقشعر لها الوجود، ويستقى الحيوان مع ما وقع فى يده من ذخائر الذهب والفضة والحلى، ومن آلاف الماشية الراتعة من بقر وغنم وخيل، ثم أشعل الحريق فيما بقى من المنازل، ورجع إلى بلاده، ووراء كل جندى من جنوده أسيرة فارسية تصيح وا ذلاه!.

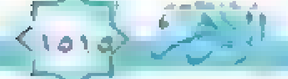
ثم نظر كسرى إلى جلسائه وقال: هل بقى بعد هذه الفظائع ما يمكن أن يقال؟.

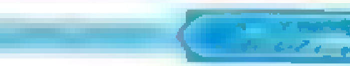
فوقف كبير [illegible] في حسرة مولاى، قد كتمنا عنك ما هو أفجع وأنكى! فصرخ سابور وقد قام من فوق سريره الذهبى، وخطا خطوات مضطربة فى الإيوان، وهو يقول: هل بقى شيء بعد أن أسرت الفارسيات، وجعلت تصيح وا ذلاه؟. أين كرامة فارس؟ وأين كرامة سابور كسرى فارس، ماذا بقى فيها [illegible]

قال المرزبان فى أسف بالغ، وهو يطأطئ رأسه إلى الأرض: بقى أن أقول إن مولاتى الأميرة شاهناز شقيقة مولاى قد اختطفت أسيرة، وسيقت كما تساق الإماء!.

وهنا صرخ سابور: تباً لكم، وتسكتون، فلا تتحدثون عن مصاب «شاهناز» بل مصابى أنا فى أعز من أحب وأخلص من رأيت؟. لابد أن نعجل الساعة بغزو الحضر، ولن أهدأ حتى تسيل دماء الضيزن أمام ناظرى، وحتى تحرق مدينة «الحضر» كما أحرقت شهرزور! لتزحف جميع الكتائب منذ الساعة، ولنا قائدها الأول إذ لا [illegible] أجلس هنا فى الإيوان وتأتى الأخبار بعد أيام، إلى الميدان، ماذا تنتظرون؟!.

وما مضت ساعات، حتى امتلأ الفضاء بجيوش كسرى، وتقدم سابور أمام موج يملأ طباق الأرض، ويرتفع غباره فيسد آفاق





السماء!. وكانت الصحراء المترامية بين فارس وعاصمة الضيزن لا تجد مكانا يخلو من فارس أو من مركبة تحمل السلاح!. وقد جعل كسرى يستبطئ الوقت. ويتمنى لو طويت الأرض، لتحتل «الحضر» عاصمة الضيزن في غمضة عين، وقد انقطع الحديث فلم يتكلم مع فرد من أفراد حاشيته المقربين، وكأنه آلى على نفسه ألا ينطق غير السيف، وألا تتكلم غير الرماح!

لم يكن الضيزن، ملك الحضر يجهل ما سيحدث، فهو يتأكد تمام التأكيد أن «سابور» لن يصبر عن الانتقام، وأنه سيباغته بالزحف الكاسح بعد وقت يقصر أو يطول. فجمع رجال عاصمته داخل حصنه المنيع، الذي أعده لمثل هذا الموقف. وقد ملأه بالسلاح المدمر ومؤونة الطعام والشراب. وساق إليه ما لا حصر له حتى لا يعرفه غير حاشيته الأقربين. وهيأ جنوده لأهبة الصراع، إذ يعلون الأسوار في غسق الليل ليرموا المحاصرين بالسهام، وهم مدرعون بالخوذات والزرد الحديدي، ولهم قدرة على التصويب بحيث لا تخطئ الرمية فارسا يقترب من الأسوار. وحتى حين يحتمي الناس جميعا داخل السور الحصين، ويجدون ما يمدهم من مأكل ومشرب ومتجر قد انتقل إلى الحصن، ليصبح مؤونة لأكبر مدى قد يطول! وماذا يخشى الضيزن بعد هذا الاحتماء، وجنوده محصنون، وطعام الدولة موفور، والعدو في الخارج تنفد ذخيرته الحربية كما تنفد مؤونته الغذائية يوما بعد يوم!. ولابد أن يدركه الملل فيؤثر الانسحاب!.

لم يكن سابور يتوقع أن تكون أسوار الحضر بهذه المناعة، إذ أنها اتخذت من الحجارة الصلبة، وامتدت لتدور حول مسطح رحب من الأرض يكثر. وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار، وفي داخل الأسوار قناة مائية يمتد تيارها من نهر الثرثار، إذ يصل الماء من نفق أرضي لا يعرف موضعه غير الخواص من أبناء الضيزن، حتى أن أقرباءه الأدنين يجهلون من أين جاء؟. وقد قامت أسواق التجارة داخل السور. وعلى الفارسيين أن يسمعوا أصوات الغناء والحلا والطرب من الداخل دون أن يقدروا على شيء!! وفي كل ليلة يعلو المقاتلون إلى الأبراج العليا فيقذفون الفارسيين بالمهلك المبيد، حتى قرروا الابتعاد عن الحصن إلى ما تمتد به الصحراء، وحكم الوضع أن يسكنوا العراء وضاق بهم الحال حتى ليتساءل سابور: أنحن المحاصرون؟. أم هم جنود الضيزن؟.

وفوجئ سابور ذات مساء بمن يأتيه بشابة رائعة الحسن باهرة الجمال. لم ير مثيلها في سحرها الخلاب على كثرة ما شاهد من بنات فارس والروم والعرب والهند والصين والترك. فتملكته الدهشة قليلا. ثم راجعه صوابه. فأمر بجلوس الفتاة، وأراد أن يسألها عن أمرها، فتكلمت في لهجة الواثقة المطمئنة. وأشارت بأن يخرج الحاضرون. لتنفرد به. وتطلع سابور إلى من حوله فوجدهم يتلكئون. وفيهم من قرب منه ليسر إليه أنهم لم يفتشوا الفتاة، ويخشون أن تكون غادرة سفاكة أرسلها من أراد أن يوقع الشر بكسرى!. وفهمت الفتاة ما يسره القوم، فصاحت بهم: كنت أعرف أن في فارس أحلاما! ولكني أرى ما يريبني. أأحضر وحيدة لاغتيال كسرى؟! وإلى أين أذهب إذا فعلت ما تتوقعون؟ ألا أخاف على نفسي؟!. إنني جئت سفيرة محبة لم يبعثني أحد!

فأمر كسرى بانصراف القوم، وقد سعد بأن يلمس عقلا صائبا مع ما يرى من الجمال الآسر ودنا من الزائرة لتجلس على سريره مكرمة، فنظرت إليه طويلا كأنها تقرأ مشاعره المستترة من ملامحه الثائرة. ثم قالت: قد تدهش حين تعرف أني الأميرة النضيرة بنت ملك الحضر الضيزن، وقد جئت من وراء علمه، فمعي ما تهتدي به إلى حل موفق يحفظ الدماء، ويريحون السلاح!

صاح سابور متعجبا: بنت «الضيزن»؟ دون أن يستفهم ما أصاب شهريار، وقد حدثت همة جنود العادية، أشرى الصحراء والتجئة عادية، وكأنه يشهد سرحة في بعض الأعياد!.

قالت النضيرة: أيها الملك العظيم، عشقتك منذ بصرت دفعني إلى لقائك. لقد كنت منذ ثلاث ليال أقف في منتصف الليل بالبرج الأعلى من الحصن، وتحتك على فرسك الأشهب، وفوق رأسك التاج، وعز علي أن أراك تلطم وجهك بيمينك، فخيل إلي أنك تكابد هما ثقيلا!. وأدركت أنك نظرت إلى الأسوار المنيعة ورأيت أنها ستصمد طويلا دون أن تنهار، وأن حصار الأسوار سيضيع سدى. فرفعت يدك إلى جبهتك ولطمت!

فنظر سابور كالمأخوذ وقال: قد حدث هذا بالفعل. وما كنت أظن أن عينا ساهرة تنظر إلي!. بل ما كنت أظن أنك تلجين إلى أعماقي فتعرفين لماذا رفعت يدي إلى وجهي ولطمت! لا أدري ماذا أقول لك بعدما سمعت؟.

قالت الأميرة: منذ هذه اللحظة وأنا أفكر في لقائك، وقد كنت أعلم أن المخاطرة خطيرة، ولكن الحظ مهد لي أن تركت هكذا تماما.

خفض كسرى رأسه إلى الأرض: وقال: لم أسمع منذ سنين طويلة أحلى مما سمعت الآن!. وأنا في حاجة شديدة إليك؟

قالت النضيرة: تتواضع معي أيها الملك العظيم. ولكني أحس عن صدق أن قلبي معك!. وليس لي أن أكتم عاطفتي بعد أن قلت إنك في حاجة إلي!.

قال كسرى: لولا أني أهابك، لعانقتك وقبلتك، لأعبر عن سعادتي بك. فصاحت النضيرة تقول: ألا تحسب أيها الملك العظيم أن حديثنا أكبر من العناق والقبلات. قد يكون العناق والقبلات سبيلا من سبل التمويه والخداع، ولكن الصدق لا يخفى على ملك عظيم... ولندع ذلك لنتم الحديث فيما جئت إليه قبل أن يذهب الليل، ويفضحني الصباح، إلى أن يتضح أني من أجلي!

فقال الملك في دهشة: وددت لو استطعت ذلك، ولكن ماذا أقول للمرازبة والأساورة والوزراء والحجاب، وقد شاهدوا حصنك الصارخ، ووقفوا ينتظرون نتيجة ما نتحدث فيه؟. أأقول لهم سنرجع دون أن ندرك الثأر، ليقولوا قد وقع كسرى في حبال غادة حسناء؟! فكري معي يا غادتي!. فكري معي في حل مريح!.

قالت سأرحل الآن وأزورك بعد ثلاثة أيام في مثل هذا الموعد، ورجائي أن أرجع وحيدة فلا يتعقبني أحد من جنودك فيعرف كيف أبدأ السير أو إلى أين ينتهي بي الطريق!. ولعلك

توافقني على ما أشير به.

قال كسرى: ما دمت أنصح برأيك حبيبة فأنا مذعن لما تشائين، وأنا الذي سأودعك إلى منتصف الطريق، ولن يجرؤ أحد على أن يسير معنا دون أن آمره، فإذا شئت فهيا، فأنا من ورائك.

قالت: على أن تموّه على القوم إذا طلبوا معرفة ما دار بيننا، فلا تنقل عزمنا لئلا يعتبر معدنها الأصيل، فأومأ الملك برأسه موافقا، ومضى مع الأميرة إلى حيث تسير.

ولت الأميرة سريرتها الحزينة ورجعت من حيث جاءت ليجتمع الملك بمستشاريه، ويقول لهم:

لقد رأت الأميرة أن أباها مصمم على العداء، ولا تفاهم معه على غير ما يريد، وسيطول بنا الوقت أمام الحصن المنيع، وبعد نقاش كبير معها، حاولت أن أعرف بابا للحصن يسهل علينا معضلة الاقتحام، فتحدثت عنه، ورأيت إزاء ذلك أن أقبل اقتراحها في أن أذهب معها للقاء أبيها، فقد أتفاهم معه على أن نتسلم الأسرى، ويمكن بعد التظاهر بالقبول أن نكر راجعين!.

تطلع كسرى فوجد الوجوم يكسو الوجوه، وبعض الغضب تشارك تكتمه هيبة الصمت، فرأى أن يخاطب قائده «مهران» ليبدي رأيه فيما سمع، فأحجم القائد بدءا، وبعد إصرار الملك على استماع رأيه تطلع في وجوه أصحابه ثم قال:

إن كارثة كبرى أيها الملك العظيم أن يرحل كسرى مع الأسرى دون أن يؤدب هذا الفاجر اللعين، وإن الفضيحة تملأ البلاد حين يتردد نبأ هذا الرحيل دون جدوى، والحرب خدعة يا مولاي، وقد بدا لي أن تعمل رأيك في إحكام خطة ماهرة كي تحقق النصر السريع!.

قال الملك في حيرة: أي خطة تقترحها يا مهران؟ فأسرع القائد يقول: إذ كانت الأميرة قد عرضت أن تذهب معها للقاء الضيزن، فمعنى ذلك أن باب الحصن سيفتح أمامك فتدخل دون صعوبة، وسيكون وراءك من يعرف مكان الباب، فيرجع سريعا ليدل عليه، ونكون نحن قد أخذنا العدة لمباغتة العدو بما نملك من القوة القاهرة، وتدور المعركة قبل أن يستعد من بالداخل من جنود، فتوقع بهم الهزيمة النكراء، والحرب خدعة يا مولاي!

قال كسرى: ولكني اتفقت مع الأميرة أن أمضي للسلام لا للحرب، فكيف أخون عهدها معي، وأنا ملك أحترم ما أقول؟!.

هنا قال القائد: أيأذن لي الملك أن أعلن أنه لا عهد مع الضيزن ولا مع ابنته، إذا كنا نريد الانتقام؟!.

سكت الملك لحظة، وتطلع في وجوه القوم فوجد ما يدل على تأييد القائد في اتجاهه فقال في هدوء متطلع: أعرف أنه لا عهد مع الضيزن، ولكني عاهدت الأميرة فكيف أغدر بها؟!.

فبادر مهران يقول: أي خطر ينال الأميرة، سنحرص على سلامتها حين نحقق أملها محققا، وحين يحترق الحصن بمن فيه، وللملك العظيم أن يرجع بها أميرة إلى بلاطه، ولن يتعرض لها أحد بسوء!.

ظهر الانقباض في وجه الملك، فسارع كبير وزرائه يقول: إن الأميرة قد قدمت إليك من معونة حقيقية جديرة بالتقدير، فلا تعتبرها أسيرة، ولكن نجعلها ضيفة كريمة، ونستبقي عاصيها في الخضر حين ترى بلاط فارس ونعيم ملطف كسرى العظيم!

قال كسرى: لن أقدم على هذا الخطر الهائل إلا إذا اخترتها زوجا، فلعلها إذا مرّ الزمن تودع ماضيها متناسية وترى في رعايتي ما يهون عليها الكارثة! وإنها لكارثة بالنسبة لها دون ريب!.

قال مهران: إذا شاء الملك اختيارها زوجا يحقق لها ما تود، فهذه من عطفه الكريم، ولا شأن لنا به، إنما الشأن كل الشأن أن يتأمل كسرى العظيم فيما ندبه، وأن يحدد ساعة التنفيذ.

وهكذا استطاع القائد مهران أن يقترح ما يعجل بالمواجهة دون تريث، وظل كسرى يتردد بين الرفض والقبول حتى غلبه جانب القبول، فاتفق مع القائد على أن يأخذ الأهبة لاقتحام الحصن، حين يلحقه كسرى، وأن يأخذ القوم على غرة، مع المحافظة على الأميرة، لتكون موضع الرعاية والاهتمام.

وكأن القدر قد استجاب إلى كل ما اقترحه القائد، ووافق عليه سابور، إذ أخذ القوم على غرة، وتدفقت الجيوش الفارسية كالسيل لتكتسح كل مرتقب، وتبقر البطون، وكان الضيزن أول من تصدى للنزال فلاقى مصرعه السريع، إذ لم يحتط للمعركة من قبل، وذعرت الأميرة حين أيقنت بالخديعة، وجعلت تصرخ كالمجنونة، ولكن بعد أن قطع الرجاء، ولاحت نذر الفناء!.

تقدم سابور إلى الأميرة الصارخة، فوجدها على حالة من الهياج لا تسمح بالحوار، فأشار إلى من حملها برفق إلى العربة الملكية بالخارج لترحل مع القوم إلى فارس، وقد ظن أنها ستفقد الأمل في البقاء بالحضر، وسترضى بالواقع، لاسيما وقد أعلن اقترانه بها مكافأة على صنيعها، ولكنها قابلت مشيئته بالازدراء، وظلت تهذي بالسباب دامعة باكية، إذ كان الجرح النازف في فؤادها أقوى من أن يخف بأي علاج، وقد اعتقدت في صميمها أنها أس الكارثة، وأنها عجلت بمصرع أبيها، وانتهاء ملكه، ولو لم تحرف برسالة سابور لكان الأمر على غير ما انتهى إليه من الذلة والهوان..

وقد اجتمع أمناء كسرى ورؤوس استشارته يتحدثون في أمر الملكة الجديدة التي رفضت عرش فارس، واستمع سابور لما يقولون، وكان مهران أعلاهم صوتا حين قال: إن حياة مولاي أعظم ما نحرص عليه، ولا نأمن أن يعيش مع حاقدة تناصبه العداء، فقد تضع له السم القاتل، مرحبة بعقابها الرادع من بعده، إذ لا هناء مرتقب في حياتها، فالأحرى بمولاي أن يذيقها النكال!.

قال كسرى: لا أقدر أن أكون قاتلها؟ وإن قتلتني فقال مهران: نقتلها نحن فداء للملك، وكلنا له الفداء.... فتراجع سابور يقول: هذا إذا دأبت على العصيان!.

وبعد أيام عرف الناس أن الأميرة الغربية قد سقطت تحت أقدام خيل فلقيت حتفها نفسه....

الأسوة التربوية في الرسائل المحمدية

(٢)

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

تدرج التبليغ

كما أن من المعالم التربوية في أداء الرسالة أن أوصى النبي ﷺ رسله إلى هذه الأقطار بالتدرج في تبليغ رسالته، فيروى أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- وهو يعده لتبليغ الدعوة إلى أهل اليمن «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(١).

وتأمل هنا كيف يتسق أدب الدعوة مع آداب الداعية الذي ينبغي أن يتحلى بالتواضع وعدم التباهي والتعالي على الناس بعلمه، وكيف يراعي عدم الخلط بين الأمور حتى لا يقع في محظور الظلم في القول والفعل جميعاً.

كما أن علينا أن نتأمل كذلك في هذا السياق كيف أن هذا التدرج هو من سمات التربية القرآنية الحكيمة، ومثال ذلك كما هو معروف التدرج في تحريم الخمر في القرآن الكريم وذلك في مثل قوله تعالى بالأسلوب التربوي الرباني

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾

(البقرة ٢١٩)

ثم:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾

(النساء ٤٣)

(١) متفق عليه

ثم:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾

(المائدة ٩٠)

وغير ذلك من الأمثلة المحكمة التي يدركها الذين يتدبرون القرآن. ومن الواضح لدينا هنا أن تأسي النبي ﷺ بالمنهج القرآني في مسألة التدرج التربوي هو من الدلائل الناطقة بأنه «كان خلقه القرآن» كما روى عن أم المؤمنين الحميراء عائشة رضي الله عنها.

التيسير لا التعسير

ومن أبرز الملامح التربوية المحمدية الرائدة أن يتحلى الداعية بخلق التيسير على من يتحملون مسئولية دعوتهم أمام الحق سبحانه وتعالى، ومن الجلي البين في العملية التربوية أن التيسير في عرض الموضوع أدعى إلى انتباه الإدراك لدى المتلقين واجتذاب وجدانهم وحثهم على الإقبال والعمل بما يتلقون بينما يعلم علماء التربية والمشتغلون بها أن التعسير مدعاة لنفور المتلقين وبغضهم وانصرافهم وانغلاق عقولهم وصدود قلوبهم إزاء الأمر المطروح، ألم يخاطب الحق سبحانه رسوله الكريم بقوله:

﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾

(آل عمران:١٥٩)

وفي هذا حدثتنا كتب السيرة أن النبي ﷺ عندما أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذا بن جبل -رضي الله عنهما- إلى اليمن ليدعو كل منهما طرفاً من أطرافها زودهما بوصيته الهادية والهادفة: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا»(٢) بل إن النبي ﷺ وجه هذا الأمر إلى الأمة جميعا في حديث آخر يقول «يسروا ولا تعسروا»(٣)

تربية الداعية عمليا

وهنا نذكر ملمحاً تربوياً فعالاً في معاملة الأستاذ لتلميذه الذي يعده لمهمة الرسالة وناهيك بالرسالة المقدسة، فقد ذكر الإمام أحمد في مسنده أن المربي الأسوة ﷺ خرج مع معاذ -رضي الله عنه- إلى ظاهر المدينة وهو يوجهه إلى اليمن، ومعاذ إذ ذاك راكب بينما رسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ثم قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري»، فبكى الصحابي الجليل والتلميذ النبيل لفراق المعلم والحبيب ﷺ(٤) وقد كان، إذ لبث معاذ في اليمن إلى ما بعد وفاة رسول الله ﷺ. فكان الأمر كما أخبره به المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

ومن أساليب التيسير: التبسيط في العرض دون خلل، وبسط الموضوع دون ملل، ومراعاة حال المتلقين اللغوية والفكرية والاجتماعية والعقائدية والمعيشية وغيرها. ألا نذكر أن النبي ﷺ نبه معاذا -رضي الله عنه- كما أسلفنا- إلى أن أهل اليمن الذين

(٢) متفق عليه

(٣) البخاري ومسلم مكنز الحقيقة للإمام الغزالي

(٤) مسند الإمام أحمد

يقصدهم هو أهل كتاب؟ ومعنى هذا أنه ينبغي على معاذ أن يراعي ذلك في حديثه إليهم عن الدين الجديد. ولقد قالت العرب منذ القدم: «إن البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال».

أما التقعر في العرض، وتعمد التظاهر بالإلمام والاقتدار، والبعد عن الواقع، وتحرى هامش الموضوع دون لبابه، ومراديه دون بابه فذلك هو التعسير بعينه.

ويذكرنا هذا بطرفة جادة عن الشاعر أبي تمام الطائي، وكان يتحرى في شعره صعوبة التعبير وغموض التصوير فقال له أحد مستمعيه: يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم؟ فأجاب أبو تمام بسؤال دون جواب: ولم لا تفهم ما يقال؟

ومن هنا اقتضت حكمة الحق -سبحانه- أن يختار الأنبياء -عليهم السلام- من بين أقوامهم الذين يرسلون إليهم، وذلك حتى تتيسر لهم أسباب الدعوة وليسهل على أقوامهم الاستيعاب والاستجابة، ومن هنا أيضا أنزل القرآن الكريم على محمد ﷺ:

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

(الشعراء: ١٩٥)

وذلك مصداقا للقانون الإلهي الحكيم:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾

(إبراهيم: ٤)

عود على بدء

ونحن إذا تأملنا النهج النبوي الكريم في مكاتبة حكام عصره نرى أن كتبه ﷺ تمتاز بالوضوح الجامع السديد والتركيز النافع الرشيد الذي يأخذ طريقه الواعي إلى العقل من بابه، لأنه طريق غير ذي عوج يتسم بالاستقامة التي قال عنها الرياضيون: إنها أقصر الطرق بين نقطة الابتداء ونقطة الانتهاء.

كما أننا نتعلم من نهجه ﷺ في هذه المكاتبات الحكيمة كيف يخاطب كلا من هؤلاء الحكام بما يتفق مع ما يعتقد حتى يشعر كل منهم أن هذا الداعية الكريم ليس دأبه الهجوم والعدوان ولكن دأبه الحق والإحسان.

وقد لمسنا هذا في كتابه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة[*] الذي قيل: إنه كان يدين بالنصرانية حيث يؤكد له ﷺ أنه «يشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده».

وكذلك إعلامه ﷺ لكل من هرقل (عظيم الروم) والمقوقس (عظيم القبط) بأن القرآن الكريم يدعو أهل الكتاب من كتابيهم إلى كلمة الحق في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

وهكذا يوقن المدعو بأن الداعية لا يدفعه إلى الدعوة إلا الحق والإخلاص لله حسبة، ولا يحفزه إليها إلا الصدق في أدائها وأن هذا لا يتعارض مع علمه وإيمانه بالأديان «الصحيحة» السابقة، لأن هذه الرسالة الخاتمة قد أرادها البارئ عز وجل كمالا للدين وتماما للنعمة ورضي بالإسلام نهجا للحياة وطريقا للنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة تصديقا لقوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

ويؤكد هذا قوله جل وعلا:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

من خصوصيات محمد ﷺ

ولعله من نافلة القول هنا أن نعي أن النبي الخاتم ﷺ هو وحده من بين الرسل والأنبياء الذي أرسل كتبه إلى مختلف بقاع الأرض، لأنه هو وحده من بين الرسل الذي أرسله رب العالمين كافة للناس استجابة لقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ: ٢٨)

فهي خصوصية من خصوصيات المختار «رحمة للعالمين» ﷺ، وقيامه ﷺ على ذلك كان تلبية لأمر ربه الذي خاطبه في آية أخرى من القرآن الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾

(المائدة: ٦٧)

حيث لم يحدد المولى العليم الخبير مساحة هذا البلاغ، ولم يقصره على قريش فقط أو الجزيرة العربية فحسب. ومن هنا فهم محمد ﷺ بأنه تبليغ إلهي ووحي رباني أنه لا حدود لهذا البلاغ سواء في المكان أو الزمان، وبعد هذا نعى ما ينبهم من آية:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

حيث إنها أمة مكلفة باستمرار تبليغ رسالة محمد ﷺ بلا حدود جغرافية في المكان أو تاريخية في الزمان وهي الرسالة التي تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

الأسلوب المؤثر الذي يلين القلوب

وإن المتأمل للمكاتبات المحمدية إلى حكام الأقطار آنذاك يلمس قدر الأدب النبوي الرفيع في مخاطبتهم عندما يقول: من محمد رسول الله إلى (عظيم الروم) أو (عظيم الحبشة) أو (عظيم القبط) بأسلوب معجز في استمالة هؤلاء أملا في أن تلين قلوبهم وتخشع جوارحهم وجوانحهم في ضياء الدين الإلهي الخاتم الذي قد عرفوه عن

(*) ذكر الواقدي وغيره أن هذا النجاشي أسلم وشهد شهادة الحق بينما يقول ابن القيم إنه لم يسلم، وذكر الذي أسلم ومات مسلماً وصلى عليه رسول الله ﷺ هو نجاشي آخر اسمه «أصحمة». والمعروف أن كلمة «نجاشي» لقب ملوك الحبشة بينما «كسرى» هو لقب ملوك الفرس، و«قيصر» لقب ملوك الروم مثلما أن «فرعون» لقب ملوك مصر في عهد يوسف -عليه السلام- حيث قال القرآن عن حاكم مصر آنذاك «الملك».

ـمـحيهم في كتبهم السماوية المقدسة في التوراة والإنجيل.

ويذكرنا هنا بالموقف الملهم الرشيد للنبي ﷺ عند فتح مكة حين اصطحب العباس -رضي الله عنه- أبا سفيان بن حرب للقاء التاريخي مع الفاتح الأكبر ﷺ وجوله حجافل الحق العتيدة بنصر الله حيث يخاطب العباس ابن أخيه تحت ثوبة النصر. «يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا». وإذا الحكمة المحمدية تهتف في اقتدار ونبل بعيدا عن غرور الفتح واستعلاء النصر متناسية كل ما ارتكبه أبو سفيان إبان جاهليته الجهلاء من حماقة وسفه وغرور في حق النبي الأكرم ﷺ وصحبه الأكرمين من أجناد الحق. إذ يعقب ﷺ على قول عمه العباس -رضي الله عنه- «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[1] «قياسا على من دخل المسجد الحرام ومن خلا في بيته معترفا بأن العزة لله جميعا وأن النصر كله بيد الله، وأن الأمر كله لله الكبير المتعال».

وهكذا يعطينا المصطفى ﷺ الأسوة التربوية في مخاطبة غير المسلمين حين ندعوهم بالقول اللين والسلوك الراشد النبيل وذلك استجابة للتوجيه الرباني التربوي الحكيم:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل: ١٢٥)

كما يذكرنا هنا بقول الحق -سبحانه وتعالى- لموسى وأخيه هارون -عليهما السلام- حين أمرهما بالذهاب إلى فرعون (إنه طغى) فعلى علم الله عز وجل بطغيان فرعون وجبروته وعتبه وعناده، لأن هذا شيء وأسلوب الداعية في المخاطبة شيء آخر إذ عندما أوجس موسى وأخوه خيفة من فرعون

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾

(طه ٤٥)

كانت الطمأنينة الإلهية الحكيمة:

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

(طه: ٤٤)

مسابقة قبل الإحساس بهذا الخوف البشري حتى يشيع جو الأمن الإلهي الخلاق في القلب والوجدان.

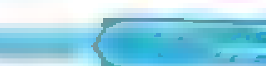
وقد ذكرت بعض المأثورات عن التلميذ النبوي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه جرب اللين وجرب السيف فوجد أن اللين أحد من السيف».

ذلك شأن الوعي القيادي والقيادة الواعية فما بالك إذا توجت هذا الشأن لعناية الإلهية والرعاية الربانية والإلهام المقدس الخلاق.

ولئن قال النبي ﷺ: «المؤمن كيس فطن»[2] فإن من قبيل الفطنة والكياسة أن نأخذ بهذه المنهج ونعمل من خلال هذه الأطر التي ذكرها القرآن الحكيم وتأسى بهما النبي الكريم وانتهجها الرواد من المؤمنين الصادقين، فنصوغ خطابنا الديني على أساس تربوي متين وفي إطار سوي مكين.

(١) صحيح مسلم ج٣ ص ١٤٠٥.

(٢) كنز العمال



رمضان ولى!

رمضانُ ولى! جلَّ وجهُ الباقي! ... يا رب هل من عودة وتلاق؟!
هل يقسم المولى لنا أمثاله ... في طاعة مُثْلى وعيش راق؟!

***

يا زائرًا ما كاد يقدم ركبُه ... حتى تهيأ مُؤْذِنًا بفراق!
لو كانت الأيام تسأل بيننا ... كالصبح أبرقت في الأحداق!
... لألأت في الأزمان أيمن قادم ... يرجى وأكرمها على الإطلاق!
زد من الأخلاق راق ذوي النهى ... ولذي النهامة رائق الأطباق!

***

رمضان يا شهر المسرة والرضا ... ومحاسن الأعمال والأخلاق
الناس يختلفون فيما بينهم ... إلا عليك فهم مثال وفاق!
كل يحبك راغبا أو راهبا ... والحب من وله ومن إشفاق[1]
قد جئت هذا العام وفق مذابح ... ودم جرى في المشرقين مراق!

***

رمضان كيف وجدت أمة «أحمد» ... غاوي النجوم على جناح براق
أيام كانت هذه الدنيا لنا ... ولنا من الأخرى أعز خلاق[2]
إلى الأمان والأسى يدعو الأسى ... والبهم يطغى ممسكا بخناقي
مالي أرى عينيك غارقتين في ... بحر من الإرهاق والإخفاق؟!
لن نستعلي أبدا بمثل ثلاثة ... الجهل والأمراض والإملاق!

(١) الوله - شدة الوجد - الإشفاق هنا بمعنى الحذر، والمعنى: إن الحب فيه شيء من الرغبة وشيء من الرهبة

(٢) خلاق: [illegible]

الحـــوار في القـــرآن والســـنة



رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

نماذج من الحوار في السنة النبوية

وقد ذخرت سنة نبينا محمد ﷺ بنماذج رائعة في الحوار نذكر منها على سبيل المثال:

عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال:

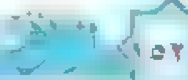
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من الخير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وهكذا نرى نتيجة هذا الحوار، وهي تأكيد الدعوة إلى وحدة الأمة وعدم التفرق إلى جماعات، بل حتى عندما لا توجد جماعة ولا إمام فلا يصح أن يميل الناس إلى فرقة من الفرق بل عليهم أن يعتزلوا الفرق كلها حتى لا تكون فتنة بين الناس.

(١) رواه البخاري





من نماذج الحوار في السنة

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله أرأيت لو جاء رجل يريد أخذ مالي؟

قال ﷺ: «لا تعطه مالك». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال ﷺ: «قاتله». قال: أرأيت إن قتلني؟ قال ﷺ: «فأنت شهيد». قال: أرأيت إن قتلته؟ قال ﷺ: «هو في النار»[٢].

وهكذا نرى أن هذا الحوار الموجز أعطى الرجل المحاور مساحة من الحديث ليتعرف على الحكم بالنسبة لمن أراد أخذ مال الغير ظلمًا وعدوانًا، وأن صاحبه أن يدافع عن ماله، وأن المعتدى إذا قاتل المعتدى عليه فعلى صاحب الحق أن يدافع عن حقه وأنه إذا قتل دون ماله فهو شهيد. أما المعتدى فإذا قتل فهو ظالم مستبيح لما حرم الله فهو في النار.

فأرسى هذا الحوار الحق لصاحبه ووضع الواجب على المظلوم تجاه ظالمه، وأنه لا يسكت ولا يرضى بالظلم، بل عليه أن يقاوم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولو كان في هذا بذل حياته فهو شهيد في الجنة.

ومن الاجتهاد الدال على أصالة الحوار في عهده ﷺ: ما روى عن أبي سعيد الخدري «رضي الله عنه» قال: خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيدا طيبا، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال للذي لم يعد: «أصبت السنة وأجزأتك صلاتك»، وقال للذي توضأ وأعاد: «لك الأجر مرتين»[٣]. فأقر كلا منهما على اجتهاده ولم يرد على أحد منهما اجتهاده الذي اجتهده.

والمراد بقوله «أصبت السنة» أي الشريعة الواجبة، ومعنى «وأجزأتك صلاتك» أي كفتك عن القضاء، والإجزاء معناه: أن يكون الفعل مسقطا للإعادة.

ـ كما أن من اجتهادات الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أسوة برسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ اجتهاد سيدنا أبي بكر الصديق «رضي الله عنه» في موضوع المرتدين الذين منعوا الزكاة مع إقرارهم بالإسلام، وبإقامتهم للصلاة. واجتهد أبو بكر «رضي الله عنه» في أن يقاتلهم، حتى يؤدوا الزكاة التي كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، قائلاً:

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال (أي حق الفقراء والمساكين وغيرهم). والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر «رضي الله عنه»: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر «رضي الله عنه» فعرفت أنه الحق[٤].

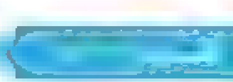
ومن اجتهادات سيدنا عمر «رضي الله عنه» (واجتهاداته كثيرة جدا):

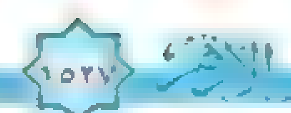
ما روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة كان يعد واحدة على عهد رسول الله ﷺ، وعهد أبي بكر «رضي الله عنه»، وسنتين من خلافة عمر «رضي الله

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه النسائي وأبو داود، وهذا الحديث لفظ أبي داود

(٤) رواه البخاري





عنه»... ثم وجد عمر أن الناس قد أكثروا منه مع مخالفته لما شرع الله فقال: «إن الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم تأديباً للمطلقين، وزجراً لغيرهم».

ومن ذلك أيضاً اجتهاده في عام المجاعة في عهده حيث كثرت السرقات فأوقف العقوبة على السرقة وهي الحد نظراً لحاجة الناس وشدة جوعهم.

الاجتهاد والتطور من بواعث الحوار

ويعد من أبواب الحوار في الإسلام حثه للمسلمين على الاجتهاد وعلى التطور على أساس أنهما من بواعث الحوار، وأنهما أيضاً من مظاهر إثرائه.

ومعروف أن القرآن هو أول مصادر التشريع الإسلامي، فهو المصدر الأول الذي تؤخذ منه الأحكام الشرعية. ثم تليه السنة النبوية الصحيحة التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي. لقوله تعالى

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

(الحشر: ٧)

ولقوله تعالى في كلام الرسول «ﷺ»:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣، ٤)

واعتماداً على هذين المصدرين، ومع الانفتاح على الحضارات، واتساع الأرض الإسلامية واختلاف البيئات.. كان الاجتهاد لمراعاة التطور ضرورة فتح بها الإسلام الأبواب مشرعة على التطور، والتجديد، والحوار من أجل الأفضل، والأكثر ملاءمة للمصلحة والحق.. وذلك في الانطلاق من الحكم الشرعي. وقياس ما يستجد في حياة الناس من أمور في ضوء الثوابت الشرعية.

وقد اجتهد العلماء من خلال المصادر المتعددة للاجتهاد في فقه النص وإنزاله على الواقع.

ويعرف العلماء الاجتهاد بأنه: بذل العالم المجتهد أقصى طاقته العلمية في استنباط حكم شرعي من الدليل بحيث يرى أنه لا زيادة على ذلك، ويتسع مجال الاجتهاد، فيشمل ما لم يرد بشأنه نص في القرآن أو السنة الشريفة.

ومما يدل على أهمية الاجتهاد والدعوة إليه ـ كأسلوب حواري علمي ـ قول الله تعالى.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

(النساء: ٥٩)

فأمر الله تعالى في الآية الكريمة بطاعته سبحانه، وطاعة رسوله «ﷺ»، وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة، وأمر بطاعة أولي الأمر في غير معصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (وأولو الأمر هم الأمراء والعلماء)

وفي قوله تعالى

﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

ما يفيد أن أولي الأمر الذين تجب طاعتهم يجب أن يكونوا منا، والمخاطبون في الآية الكريمة هم المؤمنون

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

فشرط طاعتهم أن يكونوا مؤمنين:

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

أي إذا حدث اختلاف فارجعوا فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله «ﷺ».

وواضح أن قوله تعالى:

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

يفيد أنهم عندما يختلفون في حكم من الأحكام لا يلجأون إلى الهوى. بل يجتهدون ـ بالحوار الهادف ـ في استنباط الحكم من روح الآية، ومن الحديث الصحيح. وذلك بالبحث عما قد يكون غير واضح أو يكون غائباً عن العقول أو بتطبيق القواعد العامة بإلحاق الشبيه بشبيهه.

ومن الأدلة على جواز هذا الاجتهاد والقياس القائم على الحكم الشرعي من السنة النبوية: ما روى عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أن رسول الله «ﷺ» لما أراد أن يبعثه إلى اليمن قال له: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله «ﷺ». قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: اجتهد رأيي ولا آلو. قال معاذ: فضرب رسول الله «ﷺ» صدري وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله»[1].

التعارف الإنساني من بواعث الحوار

وكذلك يعد من أبواب الحوار في القرآن والسنة دعوتهما الناس إلى التعارف والتآلف وإلى التعايش السلمي بين الناس بغض النظر عن أشكالهم وأجناسهم ومعتقداتهم فخاطبهم بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾

فلم يقل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

ولا «يا أيها المسلمون»

بل قال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

وقد خص الله تعالى الإنسانية كلها بالتكريم. فقال تعالى في القرآن الكريم

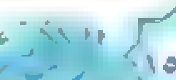
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

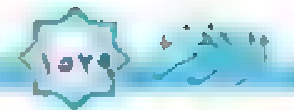
(الإسراء: ٧٠)

وهكذا دعا الإسلام الناس جميعاً ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا على البر والحق والخير، ونشر السلام في الأرض. حتى تعيش البشرية في أمن واستقرار، لا في حروب ودمار.

---

[1] رواه أبو داود والترمذي والدارمي





كما وضع القرآن الكريم علاقة المسلمين بغير المسلمين وهي علاقة البر والعدل حيث قال سبحانه:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

(الممتحنة ٨-٩)

وهذه الآية تدعو ضمناً للحوار بين المسلمين وغيرهم إذا كانوا غير محاربين أو متربصين بالمسلمين.

وكان من ثمرة الدعوة القرآنية إلى الحوار الإنساني العام من خلال تكريم الإنسان - كل إنسان - أن الإسلام منذ ظهرت دعوته سنة (٦١٠م) دخل قلوب الناس وعقولهم برضا وطمأنينة واقتناع.

وقد انجذب إلى دعوة الإسلام غير العرب وغير المسلمين ممن بهرهم الأسلوب الهادئ للدعوة الإسلامية من خلال مصادرها الأصلية وبواسطة الدعاة، والتجار الصادقين في معاملتهم وتجاراتهم، أو من خلال القراءة والاطلاع، والجدال بالتي هي أحسن مباشرة أو بطريق غير مباشر.

وقد دفعت أساليب الدعوة والعبادة والمعاملة الصادقة والحوار الكريم القائم على الإقناع كثيراً من غير العرب وغير المسلمين إلى أن يقتربوا من هذا الدين، وأن يؤمن به الكثيرون منهم.

وكانت الرحلة في طلب العلم مبكرة، منذ عهد الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - وعرفت الرحلة لديهم لجمع الأحاديث والأحكام من قطر إلى آخر ومن بلد إلى غيره حتى عرفت الرحلة لديهم من أجل حديث واحد، ومن أجل الاستيثاق من حديث واحد، كرحلة جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس بالشام.. وهذه الرحلات هي التي عرفت بعد ذلك وفي عصرنا «بالبعثات التعليمية»، كما عرفت رحلات أخرى لنشر تعاليم الإسلام والدعوة إليه من خلال الحوار.

ومن هؤلاء الدعاة: من كان يرسلهم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ليعلموا أهل البلاد القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية وتعبير الناس بحقائق الإسلام الصحيحة وليس كما يشوهها أعداؤها.

ومنهم من كان يحمل رسائل من رسول الله ﷺ إلى بعض الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

ومما لا شك فيه أن هذه الرحلات كانت سبيلاً قوياً للحوار مع المسلمين وغيرهم. فخلال هذه القرون لم تكن نسبة المسلمين تشكل الأغلبية في بعض البلاد، وإنما أخذت النسبة تزداد وينتشر الإسلام بالحوار، والتعرف الموضوعي على حقائق الإسلام.

.. ويبقى هنا سؤال أساسي هو:

إذا كان القرآن والسنة يحثان على الحوار والاجتهاد وطلب العلم ودعوة الناس للإسلام، فلماذا بقي كثيرون في العالم غير مسلمين، مع أن الحضارة الإسلامية كانت الحضارة العظمى ذات الصبغة العلمية الرائدة لمدة عشرة قرون كما يقول كبار المؤرخين المنصفين من غير المسلمين؟

والإجابة على هذا السؤال نقول:

إن التشويه الإسلامي - من جانب - والإصرار المكثف على تشويه الإسلام وعلى الحوار بهدف مسبق هو التبشير - من جانب ثان - وتمسك الناس بموروثاتهم مهما كانت رديئة على غرار من يعبدون البقر والحيوانات ولا يسمحون بحوار عقلي - من جانب ثالث - إلى غير ذلك من الأسباب - هي العوامل التي كانت وراء هذا الوضع - فليس الذنب ذنب الإسلام، وإنما هو ذنب هذه العادات الرديئة المرذولة. كما أنه ذنب بعض الدول الإسلامية التي لم تهتم بالدعوة كما ينبغي واهتمت بالمظاهر المادية. هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى ظهرت وقويت ومنها:

١ - التعصب الديني والعنصري.

٢ - الآراء اللاهوتية ذات الصور العقيمة عن الإسلام.

٣ - كراهية الإسلام خوفاً من حضارته وترشيحه للعمل من العمر في كثير من الظروف.

٤ - الممارسات الخاطئة لبعض أتباع هذا الدين من متصارعين داخل الوطن الإسلامي أو داخل المؤسسات نفسها.

٥ - الممارسات المتطرفة والإرهابية لبعض التيارات داخل الوطن الإسلامي.

٦ - الفهم الخاطئ عن الإسلام وعدم الوقوف على قيمه ودعوته السمحة.

٧ - التزييف والتشويه المقصود لبعض حقائق الإسلام وإثارة الشبهات حوله من المستشرقين وعملاء الغرب وغيرهم.

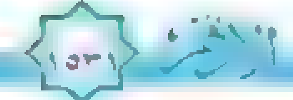
٨ - النظر إلى الإسلام نظرة عدائية بسبب ما شملت دعوته عليه من تصويب لأتباع الأديان السابقة عليه فيما انحرفوا فيه.

٩ - ما اشتمل عليه الإسلام من قيم ومبادئ وتعاليم سمحة جذبت إليه قلوب أتباع الأديان الأخرى مما دفعهم إلى اعتناقه عن اقتناع.. فنظر أتباع الأديان الأخرى إليه على أنه منافس وخطر عليهم فلم يتجردوا عن الهوى والغرض في التعامل مع الإسلام.

١٠ - عالمية الإسلام وسرعة انتشاره وعدم إيقاف دعوته مع ما بذله أعداؤه من صنوف المقاومة السياسية والعسكرية والحروب الصليبية وغير ذلك. بل كان يزداد انتشاراً، مما دفعهم إلى اتباع طريق آخر هو التشويه لدعوته ومحاولة النيل من حقائقه وتعداد المحاسن في فلسفات تشريعاته على أنها مثالب... بتخطيط دقيق خبيث.

١١ - اعتماد المستشرقين على أعمال وكتابات استشراقية، وعدم رجوعهم إلى المصادر الأصلية للإسلام وافتقارهم في النظر إلى المصادر الإسلامية المعتمدة، واعتمادهم أحياناً على كتب بعض الفرق الشاذة المخالفة لأهل السنة والجماعة.

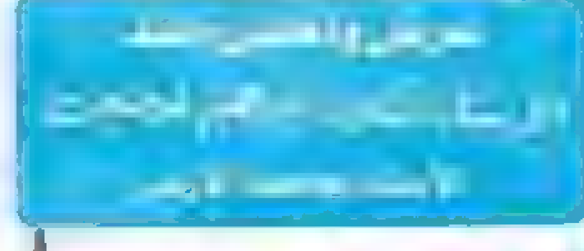
وهكذا - وعبر هذه الجوانب وغيرها مما لا يتسع المقام لذكره - قدم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة منهج الحوار بالضوابط العلمية وبالجدال الحسن الباحث عن الحق والملتزم بأخلاق الحوار... داعياً البشرية إلى كلمة سواء تلتزم بالوسائل الكريمة، وتصل إلى الغايات الكريمة!!











المتأمل في مسار الحياة الإنسانية على الأرض يجد أن هذا الإنسان ـ في شتى أطواره ـ وقع أسير أصنام يصنعها بيديه، ويتفنن في إتقان صنعها وتجميلها حتى يتيه بين إخوته زهوا بما صنع، وإعجابا بما أبدع.

ثم إذا به ـ في غمرة هذا الزهو ـ يتحول إلى عابد لها، يدور في فلكها، ويعلق الآمال برعايتها، ويبذل الغالي والرخيص في الذود عنها، والدعوة لها، والتبشير بها، والسعي لتسويدها، واجتذاب الآخرين لعبادتها، والخضوع لها، غير مكترث بما يكلفه ذلك من عناء وتضحيات، غير ملق بالاً لمنشئها ولا لطبيعتها التي تعلن دائماً: أنها لا تضر ولا تنفع، وأنها من صنع مخلوق ضعيف، محدود البصر والبصيرة. ولا تستطيع أن تقوم بنفسها.

ولكثرة ما سمى هذه الأصنام عددا، كثرت أعدادها، وتباينت أنواعها، واختلفت خاماتها وبيئاتها.

لهذا... يجد المتأمل: أن هذا الإنسان بدأ رحلته في ذلك الأمر مع ما واجهه من ظواهر كونية تفزعه، وتقض مضجعه، وهو لا يدرى من أمرها شيئاً؛ فصورها الوهم له قوة قاهرة، يجب أن يسترضيها حتى يأمن شرها، وينال خيرها؛ فكان عابدُ الشمس، وعابدُ الرعد والبرق، وعابدُ الأعاصير.

وفي مرحلة أخرى... كانت رحلته مع ما أدرك من وجود كائنات خفية لا يرى إلا بعض آثارها؛ من جان وشياطين، صورها له الوهم قوة مسيطرة، لا أمان له إلا مع طاعتها، والتقرب منها، فاختلق كل جماعة اسما ونعتا وسمُّوا به واحداً أو طائفة منهم يدور في فلكه، ويخصُّوه بالعبادة.

وفي مرحلة ثالثة... أحس هذا الإنسان بالحاجة إلى تجسيم مألَه؛ ليزداد منه قُرباً، وبه ثقة واطمئناناً؛ فصنع كُلٌ ما أملاه عليه خياله جسما من حجر، أو معدن، أو مطموم؛ فكان: مناة، وعُزى، ولات، وهبل، وبعل، وغير ذلك من الأسماء.

ولما بلغ هذا الإنسان درجة من التطور والرقي... استطاع معها أن يرصد من العادات والتقاليد ما صوره له الوهم لازمة من لوازم الوجود والاستقرار، كبل حياته بأغلالها، وأبى إلا الخنوع لها، والخضوع لما يتوافق معها، دون اكتراث بتلاؤمها مع حياته ومتطلباتها المتنوعة.

ولما أدرك قيمة عقله وما حققه به من كشوف علمية، وانتهاك لكثير مما خفي على آبائه، وتعرف على كثير من أسرار حياته... ظن أن ذلك هو الإله الذي لا يقهر؛ فصنع ـ في داخله ـ للعقل محاريب، واعتقد أن ما يثمره هذا العقل من علم ومعرفة هو الإله الذي يجب الاستسلام لقدراته

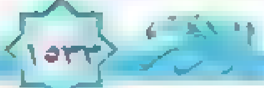
وكان مما أفرزه العقل من آثار علمية آلهةٌ أخرى، زاحم بعضها بعضاً في تسنم عرش الألوهية، فكان من بين تلك الآلهة ما وسم بالشيوعية، والاشتراكية، والليبرالية، والديمقراطية، والعلمانية، والحداثية، والعولمة.. إلى غير ذلك من الأصنام ـ أو الآلهة ـ التي فرضها العقل على إنسان الغرب المسيحي، حتى خيل إليه أنه وصل بها إلى قمة الحضارة والترقي، وهو يودع آخر أيام الألفية الميلادية الثانية.

وفي مقابل هذا يجد المتأمل: أن من بني الإنسان من شذ عن هذه المسارات ـ بجافاتها الفطرة الكامنة فيه ـ وشعر أن هناك قوة أعلى من تلك القوى وأحكم، هي التي يجب أن يلوذ بها ليحقق لنفسه الأمن والطمأنينة الحقة. مثلما حدثنا القرآن الكريم عن رحلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع استغراق قومه في موروثهم العقيدي؛ فكانت نظراته الفاحصة التي انتهت به إلى أن صاح قائلاً:

﴿ [illegible]
إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض
حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾

(الأنعام ٧٨ ـ ٧٩)

ويجد أن من بني الإنسان من اصطفاه الله الخالق لينتشل قومه من ضلالات أوهامهم، ويأخذ بأيديهم إلى نور الحقيقة المستورة عنهم، فكانوا أعلام هداية وتبصير، توالت في كل منعرجات الحياة، فظل صوتهم يهتف في السائرين



محذرًا من الاستبداد بالأهواء، والأوهام الضالة، على نحو ما جاء على ألسنة الرسل:

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

(الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣)

وكانت هذه الملاحظات التأملية دافع حوف كثير من المفكرين في العصر الحديث، إذ رأوا الصراع بين الإيمان بإله واحد، وبين الخضوع لآلهة الهوى يحتدم بعنف، ويملك على الإنسان شتى أقطاره، ورأوا أن حضارة العصر باستخدام مستحدثات التكنولوجيا هي الثوب الزاهي الذى يرتديه مخاصمو الإيمان بالله الواحد الخالق، على نحو ما عبر عنه المفكر الألماني «فريدريش ديرنمات» سنة ١٩٩٠ في قوله: «إنني لا أستطيع إلا أن أقرر ـ بصفتي طبيبا ـ أن الإنسانية غارقة في أزمة رهيبة».

ولا ريب في أن الذى دفع هذا المفكر الطبيب إلى تقرير ما قرر إنما هو إدراكه: أن جميع هذه الآلهة الحديثة لم يشد واحد منها بتحقيق شيء من الطمأنينة للإنسان، ولا بالإسهام في تخليص هذا الإنسان من بعض مشكلاته وأزماته.

فشل يقود للتطلع إلى الإسلام

وكان من بين هؤلاء المفكرين الجادين الدكتور «مراد فيلفريد هوفمان» المولود سنة ١٩٣١ في ألمانيا بما قدمه من دراسات ـ من بينها


مراد هوفمان

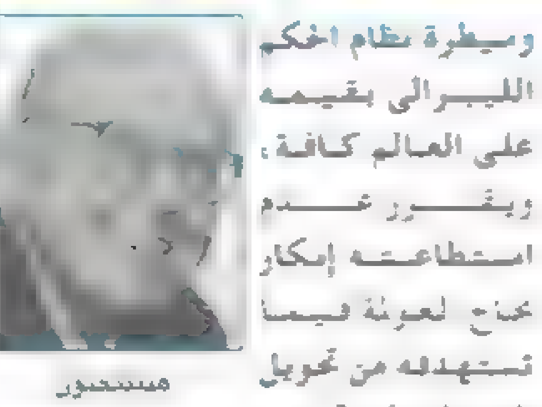
كتابه «الإسلام في الألفية الثالثة ـ ديانة في صعود» ـ كانت ثمرة دراسات علمية جادة أتيحت له في حياته المشبعة، وكانت إفراز خبرات عملية متنوعة، كفلت له معايشة المجتمعات المختلفة بتوجهاتها الحضارية المتنوعة، وكانت نتيجة موازنة بصيرة بين الديانات المنبثة في أرجاء العالم الحديث، خصوصا المسيحية الكاثوليكية التى عاش في كنفها خمسين عامًا، والإسلام الذى عاش في كنفه عشرين عامًا كذلك؛ فخبر الدينين عن قرب، بحيث تمكنت رؤاه وأحكامه من القيام على ركائز يقينية واضحة.

والكتاب يشغل أربعا وسبعين ومائتي صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة، وخمسة عشر فصلا، قام بتعريبه الأستاذان عادل المعلم، ويس إبراهيم، وقدم طبعته الأولى مكتبة الشروق بمصر سنة ١٤٢١هـ ـ سنة ٢٠٠١م.

في المقدمة كانت ثمرة دراسات علمية جادة، أتيحت له، والتى كانت إفراز خبرات عملية متنوعة كفلت له معايشة مجتمعات مختلفة بتوجهاتها الحضارية المتنوعة، والتى كانت نتيجة موازنة بصيرة بين الديانات المنبثة في أرجاء العالم الحديث ـ خصوصا المسيحية الكاثوليكية والإسلام ـ بحيث تمكنت رؤاه وأحكامه من القيام على ركائز يقينية واضحة... في هذه المقدمة التفت الدكتور «مراد هوفمان» إلى الرعب الجماهيري، والذعر غير المعقول من نهاية العالم المرتقبة الذى انتاب العالم الغربي مع مقدم الألفية الثالثة، على الرغم من حالة اللامبالاة التى أصابت المجتمعات الغربية في ذلك سنوات طويلة، نتيجة لشعور بالإحباط واللاجدوى.

وحين نظر إلى العالم الإسلامي، لاحظ أنه لم يستقبل الألفية الجديدة بما استقبلها به الغربيون، من شرب الخمور بغزارة، بل لقد اتسم بالهدوء أكثر مما حدث في الغرب، لقلة من يهتم بأسرار الأرقام من المسلمين، كما أن إيمانهم بأن الساعة يمكن أن تقوم في أى وقت... كان وراء عدم إصابتهم بما أصيب به الغربيون من مخاوف.

وأيا كانت مساحة الخوف الذى انتاب هؤلاء وأولئك، فإن الدكتور يقرر: عدم استطاعته تأكيد تلاشي مخاوف الخاسين بعد انقضاء احتفالية رأس السنة. ويقرر عدم استطاعته الاتفاق مع نبوءة الفرنسيس فوكوياما، بأن نهاية التاريخ تلوح من خلال سيادة الحضارة الغربية، وسيطرة نظام الحكم الليبرالي بقيمه على العالم كافة؛ ويقرر عدم استطاعته إنكار نجاح العولمة فيما تستهدفه من تحويل العالم إلى قرية صغيرة.


هنتنجتون

لكنه يدرك أن هذا النجاح يحمل في طيته شكوك الغرب في قيمة ما شعر به من زهو الانتصار بعد انهيار الشيوعية؛ فإلى جانب هذا الانتصار لا يمكن أن يغيب عنه ما شهده القرن العشرون ـ في ظل تلك الحضارة ـ من حروب عالمية مدمرة، وانتشار الأسلحة القادرة على إبادة الملايين من البشر، وانتشار معسكرات الإبادة وعمليات التطهير العرقي، وغير ذلك من مآسي البشرية على الرغم من مرور مائتي وخمسين عاما على بداية عصر التنوير والحداثة، وعلى الرغم من أن هذه الأعمال الوحشية المهينة للبشرية تتركز في أوروبا المتحضرة، شديدة الزهو بعقلانيتها وإنسانيتها.

ويخلص الدكتور من هذه الالتفاتة إلى طرح ما يدور بعقل أى باحث جاد من تساؤلات حول ما إذا كانت هذه المتناقضات المروعة أثرا لمرض خطير

تعانى منه المجتمعات العربية، أو إنها تدارك ما يتهددها من خطر السقوط الأخلاقي الذى أصاب «البولشفية» من قبل.

أيًا ما يكن حال الغرب.. فقد تكوّن لدى الغربيين شعور بضرورة وجود قطبين فى العالم، جسمته نظريات «صموئيل هنتنجتون» بشأن صدام الحضارات، كما جسمه إعلان «أرنست رينان» سنة ١٨٦٢م بأن الإسلام هو النفى التام النقيض لأوروبا.

وبهذا أصبح كل دارس معاصر للثقافات والسياسات مسلمًا بأن تطور عالمه ـ فى القرن الحادى والعشرين ـ سيتأثر بدرجة كبيرة بما سيشهده الإسلام، وبما سيؤثر فيه.

بيد أن تردد هؤلاء الدارسين إنما هو فيما إذا كان العالم الإسلامى سيقوم بتحديث نفسه مع استمراره فى رفض أسلوب الحياة الأمريكى، أم مع امتثاله لهذا الأسلوب، وفيما إذا كان الغرب سيصبح قادرًا على الاعتراف بالإسلام الذى سيتقده من نفسه، والذى يجد فيه الدواء والشفاء من أزمته، أم أنه سيعجز عن ذلك؟!.

مع السذاجة تفتن المظاهر

وفى الفصل الأول «معنون» «الغرب الخير» قام الدكتور بتجربة علمية متحررة، لتخيل وجود شابين مسلمين ذهبا إلى الغرب طلبًا للعلم، يمثل كل منهما وجهة تقابل وجهة الآخر؛ فأحدهما مسلم بالميلاد، والثانى مسلم بالممارسة، وانطلق مع كل منهما وفق أهوائه وتصوراته عن الغرب.

أما الأول فالغرب فى تصوره كيان يسير فيه كل ما يتعلق بالتكنولوجيا على أكمل وجه فى شتى المجالات، حيث يلتزم غالبية المواطنين بالقوانين، ويطبق الدستور بشكل روتينى، والحديث عن الرشا قليل جدًا، والقوات المسلحة تدين بالولاء التام للحكومة المنتخبة، ولا يتعرض أتباع الأديان والمعتقدات المختلفة للسجن أو التعذيب. والفرد ـ الذى يقف فى موقع المركز ـ يتمتع بأقصى حماية من قبل الشرطة والقضاء. ومن يتعطل عن العمل لا يضطر إلى التسول، إلى غير ذلك من المظاهر الحضارية.

فهذا الطالب المسلم ميلاديًا يرى فى العالم الغربى أقصى ما بلغته الحضارة الإنسانية وأزهاها، بما يستوجب أن تسود العالم هذه الحضارة وصانعوها.

ومع التعصب تختفى بعض الحقائق

وأما الطالب الثانى ـ وهو ممن يمارسون شعائر الإسلام ـ وينظرون إلى الغرب بعين المسلم المحافظ على قيم الإسلام وتقاليده ـ فيرى أن الغرب منذ

عصر التنوير ما كان إلا سلسلة متتالية من الفظائع، ولا عجب عبر الأسباب بدءًا من عمالة الأطفال، وتحويل قطاعات ضخمة من المزارعين إلى عمال فى مصانع الصناعة، ومرورًا بتحويل [illegible] المعرفة العنصرية، وإشعال حربين عالميتين مدمرتين، والمذابح [illegible] تحت شعارات أيديولوجية مثل «المدنية»، ونزعات فاشية «شوفينية»، و[illegible] تعميمات التعبير العرقى فى وسط أوروبا، كما هو الحال فى كرواتيا، والبوسنة، وصربيا، وما جرى فيها من فظائع وأهوال ضد المسلمين.

وهذا الطالب يرى: أن آباء التنوير فى الغرب قاموا بتبريرهم على [illegible] السماوى- وإن كان منهم من يؤمن بوجود إله- انبهارًا منهم بما كشف لهم من أسرار الطبيعة ومكنوناتها، فركزوا جهودهم فى القضاء على سلطات الكنيسة ونفوذها الكهنوتى ويرى: أن هذا التنوير قام على اعتقاد أن الله مجرد إسقاط لرغبات البشر، حتى أصبح المجال مهيأ لتأليه الإنسان، جماعة كان كالدولة عند الماركسيين والفاشيين، أو فردًا كالليبراليين والرأسماليين.

وأن هذا التنوير تولد عنه مثل ما أعلنه «فردريك نيتشه» سنة ١٨٨٢م من موت الله ممهدًا بذلك للقرن العشرين، ظنًا منه ومن أمثاله: إمكانه الاستغناء عن الإله وعن الغيبيات، على الرغم من تحول هذا الإلحاد فى المعسكر الاشتراكى إلى البديل الدينى القهرى، كما أكد ما حدث فى ألمانيا، حيث أثبتت الإحصاءات التى أجريت بعد عشر سنوات من زوال حكم الشيوعى عنها أن النجاح لم يحالف النظام إلا من خلال محاربته لرجال العقيدة [illegible]، وتعليم الإلحاد فى المناهج الدراسية، كما [illegible] مذهب دينى.

وأن العامل الأساسى فى الوصول إلى هذا... هو ما ينشر من نظريات علمية بأساليب سوقية فجة حول نشأة الخليقة، [illegible] اختلفت شعاراتها فى القرن الحادى والعشرين عنها فيما قبل ذلك ـ أعراض تتمثل فى عملية الاستبعاد لكل ما هو دينى من المجال العام، من كل ما يدل على تسلل نزعة مادية فظة إلى فكر الكثيرين من الناس فى الغرب ووجدانهم... هذه النزعة تقود الناس إلى عدم المبالاة بأمور الآخرة [illegible] وخيمة العاقبة. لا يزخرها إلا بقايا من [illegible]

وتزداد صورة الغرب قتامة وسوءًا كلما [illegible]

هناك، حيث ينهمك الأفراد في البحث عن اللذة، ويهملون الأسرة حتى فقد الأطفال شعورهم بالانتماء، بعد أن فقدوا دفء الأسرة المفككة، وتمكنت وسائل الإعلام وألعاب الفيديو من عقول المراهقين فنشأ عنف حرب نفسية وزاد عشيهم. ومعدلات الانتحار بينهم حتى حرب مع حسن وخدمات في سعته في مسئوليهم. وحتى صار الشذوذ الجنسي أسلوبًا للحياة، وانتفت عنه صفة الفساد، وصفة المرض النفسي، على الرغم من إصابته بفيروس فقدان المناعة «الإيدز»، وارتباطه بعوامل الاكتئاب؛ فبدلاً من مقاومته، جنحوا إلى إخفاء آثاره المترتبة عليه حرصًا من الغرب على نزع عوامل الكبت البشرى.

ويضاعف درجة القتامة في الغرب، وقوة انحدار الغربيين غياب دور الكنيسة بعد أن فقدت الكثير من أهميتها حين تغير حلدها، وتحولت إلى مؤسسة اجتماعية تنافس غيرها من المؤسسات العلمية والتدريبية، وقد قام بعض أساتذة اللاهوت بتحويل «يسوع» إلى مصلح اجتماعي فقط.

ويؤكد الدكتور «هوفمان» صدق هذين الطالبين في تقديم صورة الغرب ـ على تناقض الصورتين ـ لأن كلاً منهما نقل ما رأى، مما يعني: اشتمال الغرب على ما يغرى بالمتابعة، واشتماله كذلك على ما يجب الفرار منه، والسعي لمحاربته. ومما يعني كذلك حتمية سلوك سبيل الانتقاء، فالشكل والقشرة السطحية اللذان هيمنا على رؤية الطالب الأول لا يغنيان عما غمضت وراءه رؤية الطالب الثاني. كما أن العكر والدعائم لا يغنيان عن الشكل والمظاهر السطحية.

وبضدها تتميز الأشياء

وحرصًا من الدكتور على نقاء منهجه العلمى من التأثر الشكلي أو العاطفي أو الانتقائي.. قدم في الفصل الثاني «الشرق المثير للتساؤل» صورة للشرق الإسلامي ـ على غرار الصورة السابقة للغرب المسيحي ـ استقاها من طالبين ممائلين اعتنق الإسلام، تحيلهما كذلك وفد من الغرب إلى الشرق لدراسة علوم الإسلام، ومعايشة الإسلام في مهده، وبين رواده.

أما أولهما فإنسان غربي وقف على ما في الغرب المسيحي من نقائص وتناقض أفقدته كل أسباب الأمن والأمان، فاندفع هذا الإنسان إلى الشرق الإسلامي بما عرف عنه بالإسلام من تقاليد وسلوكيات توفر الحياة الآمنة المستقرة الحرة لكل من يعيش في كنفه.

فقد رصد في المجتمع الإسلامي ما يربو على عشرين عاملاً من العوامل الحضارية الإسلامية التي تجعله مجتمعا حدائيا يغري بالرغبة في الهجرة إليه، والحياة فيه؛ مثل: الترابط العائلي الوثيق الشامل الذي

يشيع الدفء العاطفي بين الأفراد، والذى لم يتأثر بمحاولات التغريب الوافدة مع السياحة والأفلام المتحررة التى تزيد الانغلاق وتنشر الفساد والتحلل.

ويتضح هذا الترابط في أمور حيوية كثيرة، منها: سيادة الاحترام بين الجميع، وخصوصا لمن هم أكبر سنا، والاحترام للخصوصية التي تظهر في النظام الهندسي للبيوت الإسلامية. ومنها: إيجاب الإسلام على المسلم دعوة الآخرين كما تقيمه كلمة «اقرأ»، حيث أثمرت هذا التراث العلمى الفريد الذى شمل كل نشاط إنساني بدون استثناء؛ فلم تستطع أية قوة قاهرة أن توقف مده، ولا أن تضعف من قدرته. فلم يعق مسيرته اعتقال علماء الإسلام، ولا حرق المكتبات، ولا مصادرة الكتب. لأن تلون الوسائل الدعوية يحميه من آثار كل ذلك... إلى غير ذلك من العوامل الكثيرة.

ولكن الواقع يخيب

وأما ثانيهما فإنسان غربي اعتنق الإسلام، ولما خالط المسلمين فوجئ بما هم عليه من بعد عن الحضارة العربية وجهل بها، وبما هم عليه من بعد عن الإسلام الذى عرفه وأقبل عليه. فلم يلتفت إلا إلى مساوئ المسلمين في واقعهم، إذ رأى ما يتسم مفهوم العائلة عندهم بازدواجية شديدة تجعله عاملا أساسيا للفساد، ورأى المناصب المهمة ـ عمومًا ـ توزع بناء على علاقة القرابة والمحسوبية، فحرمت الدولة من عوامل نموها. ورأى في دول فقيرة مظاهر رفاهية لا مثيل لها في دول غنية، حتى أصبح الحيوان لدى هؤلاء البدو المرفهين أهم من الإنسان؛ ورأى آلافا من الأمراء في شبه الجزيرة العربية يحتفظون لأنفسهم بمميزات دون غيرهم من البشر؛ استنادا إلى جاهه أو ثروته على الرغم من نزوع الإسلام للمساواة وإقرارها بين البشر.

ورأى: أن الاحترام الذى يحكم حياة المسلمين ويثير الإعجاب... دفع إلى الاعتقاد المطلق في السلطة، فلا مساءلة ولا نقد، مما أدى إلى فقدان المجتمع أهلية الممارسة السياسية الحرة، وإلى عجزه عن تحقيق حركات علمية حقيقية، كشفاء متقلبه المستقبل.

ورأى أن المسلمين لا يلتزمون بتحريم جميع ما حرم الإسلام، ورأى انهماك طائفة من المسلمين في إثارة مسائل غير جوهرية في الإسلام، مثل أثر طلاء الأظافر على الوضوء، وحكم غطاء الشعر المستعار، واستخدام العطور المحتوى على مواد كحولية إلى آخر مثل تلك الأمور، مما يكاد يحول الإسلام في عقليتهم لتمردية متشددة، لا تتناسب مع الإسلام الذى يهدف إلى تيسير حياة الناس، والتخفيف عنهم.

يتبع

كارثة البصرة

من التراث الأدبي العريق للشاعر العباسي الكبير ابن الرومي. ننشرها اليوم تذكارا لما حل بالأمس مما نشاهده اليوم من كوارث الاحتلال في العراق. وهكذا يعيد التاريخ نفسه في هذا البلد الشقيق. والقصيدة طويلة نجتزئ منها بهذه الأبيات، إذ تحدث ابن الرومي عن البصرة فقال:

بينما أهلها بأحسن حال … إذ رماهم عبيدهم باصطلام

دخلوها كأنهم قطع الليـ … ـل إذا راح مدلهمّ الظلام

أي هول رأوا بهم، أي هول … حُقَّ منه بشيب رأس الغلام

إذ رموهم بنارهم من يمين … وشمال وخلفهم وأمام

كم أغصوا من شارب بشراب … كم أغصوا من طاعم بطعام

كم ضنين بنفسه رام منجى … فتلقوا جبينه بالحسام

كم أخ قد رأى أخاه صريعاً … ترب الخد بين صرعى كرام

كم أب قد رأى عزيز بنيه … وهو يعلى بصارم صمصام

كم مفدى في أهله أسلموه … حين لم يحمه هناك حامي

كم رضيع هناك قد فطموه … بشبا السيف قبل حين الفطام

كم فتاة - بخاتم الله بكر - … فضحوها جهراً بغير اكتتام

كم فتاة مصونة قد سبوها … بارزا وجهها بغير لثام

صبحوهم فكابد القوم منهم … طول يوم كأنه ألف عام

من رآهن في المساق سبايا … داميات الوجوه للأقدام

من رآهن في المقاسم وسط الز … ط يقسمن بينهم بالسهام

من رآهن يتخذن إماء … بعد ملك الإماء والخدّام

***

ما تذكرت ما أتى الزنج إلا … أضرم القلب أيما إضرام

ما تذكرت ما أتى الزنج إلا … أوجعتني مرارة الإرغام

***

رب بيع هناك قد أرخصوه … طال ما قد غلا على السوام

رب بيت هناك قد أخربوه … كان مأوى الضعاف والأيتام

رب قصر هناك قد دخلوه … كان من قبل ذاك صعب المرام

رب ذي نعمة هناك ومال … تركوه مخالف الإعدام

رب قوم باتوا بأجمع شمل … تركوا شملهم بغير نظام

***

عرجا صاحبي بالبصرة الزهـ … ـراء، تعريج مدنف ذي سقام

فاسألاها - ولا جواب لديها - … لسؤال - ومن لها بالكلام؟

أين ضوضاء ذلك الخلق فيها … أين أسواقها ذوات الزحام؟

أين فلك فيها، وفلك إليها … منشآت في البحر كالأعلام؟

أين تلك القصور والدور فيها … أين ذاك البنيان ذو الإحكام؟

بدلت تلكم القصور تلالاً … من رماد ومن تراب ركام

سلط البثق والحريق عليها … فتداعت أركانها بانهدام

وخلت من حلولها، فهي قفر … لا ترى العين بين تلك الأكام

غير أيد وأرجل بائنات … نبذت بينهن أفلاق هام

وجوه قد رملتها دماء ... بأبي تلكم الوجوه الدوامي

وطئت بالهوان والذل قسرا ... ممعطون للسحب والإعدام

فتراها، تسفي الرياح عليها ... حربت بهبوة وقتام

خاشعات، كأنها باكيات ... باديات الثغور، لا لابتسام

***

بل أبا ساحة ... حيا ... مع ... [illegible]

فسألناه - ولا جواب لديه - ... أين عباده الطوال القيام،

أين عماره الألى عمروه ... دهرهم، في تلاوة وصيام،

أين فتيانه الحسان وجوها؟ ... أين شبانه أولو الأحلام؟

***

أي خطب، وأي رزء جليل ... نالنا في أولئك الأعلام

كم خذلنا من ناسك ذي اجتهاد ... وفقيه في دينه علام

واندامي على التخلف عنهم! ... وقليل عليهم عظم ندامي

واحيائي - منهم - إذا ما التقينا ... وهم، عند ربكم [illegible]

أي عذر لنا، وأي جواب ... حين ندعى على رؤوس الأنام

رب عبدي أما عصيتم لوحيي ... ذي الجلال العظيم والإكرام،

أخذلتم إخوانكم، وقعدتم ... عنهم - ويحكم - قعود اللئام،

كيف لم تعطفوا على أخوات ... لي حسان العبيد من آل حام،

لم تغاروا لغيرتي، فتركتم ... حرماتي، لمن أحل حرامي

إن من لم يغر على حرماتي ... غير كفء لعاصرات الخيام[2]

(٢) يعني عند الله يوم القيامة

كيف ترضى الحور ... بعلا ... وهو من دون حرمة لا يحامي،

***

وحبيبتي من النبي إذ ما ... لامني في ذنبهم أشد ملام

ويشفعني إذا هو ... ... وتولى النبي عنهم خصامي!

***

... قولة لكم أيها الـ ... ... [illegible] مع المسلمين

... تي! أين كنتم - إذ دعتني ... حرة من كرائم الأقوام؟

صرخت رب محمداه، ... ... [illegible] حتى [illegible]

لم حسبها إذ كنت ... لولا ... [illegible] حتى أحسها عن عظامي،

***

بأبي تلكم الفتاة ... ... وسقتها ... صوب ...

وعليها ... صلاة ... وسلام ... سلام

***

[illegible] ... ونضالا إلى [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] لأبد

[illegible] ... [illegible] الأرواح في الأجسام

لم تقروا العيون منهم [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الأرحام

***




أمانة عُمر في انتظار صلاح الدين

الدكتور / محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الاسلامية

٢

كان «الشعر» في ذلك التاريخ هو أداة الأمة للتعبير عن «ثقافتها» و«إعلامها»!.. وعندما تحققت وحدة مصر والمشرق، عبر الشعر عن دور هذا الإنجاز في تحقيق استراتيجية تحرير فلسطين ـ والتي كانت القدس رمزها المقدس ـ.. فـ«العماد الكاتب» ـ وهو يهنيء أسد الدين شيركوه بانتصاره في مصر، يذكره أن هذا الفتح هو في سبيل تحرير القدس:

فتحت مصر، وأرجو أن تصير بها
ميسرا فتح بيت القدس عن كثب

وعندما يهنيء نور الدين، يذكره بأن شروط تحرير القدس ـ وهي وحدة مصر والشام ـ قد تحققت

عن الفرنج فهذا وقت غزوهم
وحطم جمعهم بالشام [illegible]
ملك مصر وملك الشام قد نظما
في عقد عز من الإسلام منتظم

أما الشاعر ابن عساكر علي بن الحسن هبة الله، فإنه يعلن أن لا عذر عن تأخير المعركة بعد توحيد الطوق وإحكامه حول كيانات الصليبيين، فيقول لنور الدين:

ولست تعذر في ترك الجهاد وقد
أصبحت تملك من مصر إلى حلب
وصاحب الموصل الفيحاء ممتثل
لما تريد [illegible] فبادر فرصة [illegible]

لكن الأجل لم يمهل نور الدين ليحقق هذه الاستراتيجية التي تحدث عنها الشعراء.. وبعد وفاته، وجد صلاح الدين الأيوبي نفسه أمام «المهام العملية» اللازمة لتحقيق هذه الاستراتيجية في «أرض الواقع».. وليس فقط في شعر الشعراء!

● كانت طاقات مصر وإمكاناتها ـ وهي هائلة ـ قد جمدت وعزلت وذبلت في حقبة الضعف الفاطمي، التي امتدت نحو قرن من الزمان.. وكان على صلاح الدين إحياء وتوظيف هذه الإمكانات للانتصار في الصراع ضد الصليبيين

فبعد أن طوى صفحة الخلافة الفاطمية، وأعاد مصر إلى الولاء للخلافة العباسية، خاض معركة كبرى وطويلة على الجبهة الفكرية والثقافية، ليحل الفكر السني محل المذهب «الإسماعيلي ـ الباطني»، فبدأ إقامة «المدارس السنية» «الناصرية»، و«القمحية»... و«الفاضلية»، و«السيوفية».. إلخ.. إلخ.. والتي بنى منها في عهده ست مدارس. كانت كل منها مؤسسة ضخمة وجامعة.. حتى ليصف الرحالة ابن جبير (٥٤٠ ـ ٦١٤ هـ ١١٤٥ ـ ١٢١٧م) بناء إحداها ـ «الناصرية» ـ فيقول: «إنها مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة، ولا أحفل بناء، يخيل لمن يتطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته، [illegible] الحمام، إلى غير ذلك من مرافقها..»!.. ويحكي عن سخاء صلاح الدين في الإنفاق عليها وقوله للقائم على عمارتها: «زد احتفالا وتأنقا، وعلينا القيام بمؤنة ذلك كله»؟!.. ولقد ملأ الفكر السني لهذه المدارس ـ التي كانت تدرس مذاهب السنة الأربعة ـ الفراغ الفكري الذي كان يملؤه المذهب «الإسماعيلي ـ الباطني» فحل «الانتماء» الفكري بين «الأمة» و«الدولة» محل «القطيعة والانفصام»، الأمر الذي مثل إحياء وازدهارا للطاقات المصرية في هذا الميدان.. ولقد بلغ من التزام صلاح الدين وتشدده في هذا الأمر، الحد الذي أغلق فيه الأزهر ـ ذي المناهج الشيعية ـ خمس سنوات، حتى تغيرت مناهجه إلى

الفكرية نسبية.. ومع «الدولة» والعلم والفكر والثقافة تحول الفقهاء إلى مذاهب نسبية أيضا.

● وعلى الجبهة الاقتصادية، حل «الإقطاع الحربي» في استثمار الأرض الزراعية، محل نظام «الالتزام».. وهو الذي يمكن أن نسميه، بلغة عصرنا: «اقتصاد الحرب والمعركة».. وبلغة الفقه الإسلامي: النظام الشبيه «بوقف الأرض على الجهاد في سبيل الله»!.. فقسمت أرض مصر إلى ثلاث وعشرين منطقة ووحدة اقتصادية. أصبحت إقطاعات مخصصة للإنفاق على فرق وأمراء الأجناد، فتم الاستنفار للطاقات الاقتصادية كما تم الإحياء على الجبهة الفكرية. وتحقيق الولاء والانتماء بين العسكريين والحكام.

● وفي التمهيد للمعارك الفاصلة. بحكم الطوق حول الكيانات الصليبية المزروعة قسرا في وطن الأمة.. بدأ صلاح الدين أولى غزواته ضد الحاميات الصليبية في «حصن الكرك»، «جنوبي فلسطين»، لتوسيع وتأمين الطريق الذي يربط مصر بالمشرق، إحكاما لطوق الحصار حول الكيانات الصليبية. وفي سبيل تحقيق ذلك قاد صلاح الدين أربع غزوات في الأعوام ٥٦٨ و٥٧٩ و٥٨٠ و٥٨٣هـ.

● ولإعادة الوحدة إلى الجبهة الشرقية، التي أصابها التفكك بموت نور الدين الشهيد. عقد صلاح الدين تحالفا بين أمراء «الموصل» و«حلب» و«الجزيرة» و«أربيل» و«كيفا» و«ماردين» و«قونية» و«أرمينيا»، وشارك معهم في هذا التحالف الذي نص على أن لا يحارب بعضهم بعضا.. ولم يتردد في استخدام القوة ضد من خرج على هذا الاتفاق ـ كما صنع مع أمير «حلب» ٥٧٩هـ ١١٨٣م.

● وتحصينا للجبهة العامة، المكرسة كل طاقتها وإمكاناتها وجميع ثرواتها لتحقيق استراتيجية التحرير بلغ صلاح الدين حد التشدد ضد كل الفكريات والفلسفات والأيديولوجيات المخالفة للسنة ـ عقيدة الأغلبية وأيديولوجيتها ـ فقضى على دعاة «الإسماعيلية ـ الباطنية».. وأمر ابنه ـ حاكم حلب ـ بإعدام فيلسوف «الغنوصية ـ الإشراقية» السهروردي ـ المقتول ـ (٥٤٩ - ٥٨٧هـ ١١٥٤ - ١١٩١م) لما أثاره، في مناظراته مع الفقهاء، من بلبلة فكرية كانت تخلط الأوراق بين الحضارات والثقافات، فتضع «زرادشت» و«أفلاطون» مع نبي الإسلام ﷺ وتخلط «محاورات أفلاطون» مع «الوحي الكلداني» «بالقرآن الكريم»، الأمر الذي يميع الجبهة الفكرية باعتماد منهاج «الأشباه والنظائر» في وقت يحتاج فيه الصراع مع «الآخر» إلى اعتماد منهاج «الفروق» للتمييز عن الآخر، وبناء الوحدات بالكراهية له، كشرط من شروط «التعبئة» و«الانتصار»!!

حطين صلاح الدين

وعبر هذه الإنجازات. السياسية. والفكرية. والاقتصادية. والعسكرية، قاد صلاح الدين الأيوبي جيشه، ذلك الذي أقام مع قادته وجنوده علاقة أبوية حميمة، إلى المعركة الكبرى، التي غيرت اتجاه الخط البياني للصراع مع الصليبيين ـ معركة «حطين» في ٢٢ ربيع الثاني سنة ٥٨٣هـ أول يوليو سنة ١١٨٧م ـ أي بعد تسعين عاما من بدء اجتياح الصليبيين لديار الإسلام!..

وعلى أرض «حطين» ـ في فلسطين ـ حشد الصليبيون ثلاثة وستين ألفا من الفرسان والمشاة.. وأدرك الفريقان أنها معركة المصير» ـ بلغة عصرنا ـ. وبلغة «ابن شداد» (٦١٣ ـ ٦٨٤هـ ١٢١٧ ـ ١٢٨٥م) ـ مؤرخ ذلك العصر ـ: فلقد «علمت كل طائفة أن المكسورة منهما مدحورة الجنس معدومة النفس»[١]. فحطين هي بوابة القدس، التي هي رمز كل الصراع!!

وانضمت إلى حرارة صيف يوليو: حرارة النيران التي أشعلها جيش صلاح الدين في الحشائش القريبة من الحشد الصليبي.. وأيضا الحرارة المتولدة من حدة الصراع وتلاحم المتقاتلين.. حتى ليتحدث «مكسيموس مونروند» عن «النبال المتطايرة في الهواء، تطير مثل طيران العصافير، محرقة بحرارتها»[٢] وماء السيوف ـ (أي الدماء) ـ جامدة في وسط المعركة، يغطي الأرض كمياه المطر»!!

وعندما سقطت خيمة الملك الصليبي «جاي لوزنجان» مؤذنة بهزيمة جيشه، ترجل صلاح الدين من على ظهر جواده، وسجد، وقبل الأرض شكرا لله على هذا الانتصار، الذي فتح له الطريق إلى القدس الشريف!

وفي وصف هذا الذي حدث يوم حطين، يقول المؤرخ «أبوشامة» (٥٩٩ ـ ٦٦٥هـ ١٢٠٢ ـ ١٢٦٧م): «إذا من شاهد القتلى ـ الفرنج ـ قال: ما هناك أسير!.. ومن عاين الأسرى قال: ما هناك قتيل؟! ومنذ استولى الفرنج على ساحل الشام ما شفي للمسلمين كيوم حطين»[٣].

● وبعد جولات حرر فيها صلاح الدين العشرات من القرى والمدن والقلاع والحصون.. تقدم جيشه فحاصر القدس الشريف. فهي رمز كل الصراع. وبها يذكر الشعر ـ إعلام العصر ـ عند كل انتصار، وعقب كل معركة.. حتى ليقول «العماد الكاتب» لصلاح الدين، عقب انتصاره في «عكا»:

عزوا فقر دار المشركين «بعكا»
جهارا، وطرف الشرك خزيان مطرق
وجهت للبيت المقدس لوعة
يطول بها منه إليك التشوق
هو البيت إن تفتحه، والله فاعل
فما بعده باب من الشام مغلق!

نعم.. كانت القدس هي «الرمز».. و«المقصد» و«المفتاح»!

وفي يوم الأحد ٢٠ سبتمبر سنة ١١٨٧م بدأ حصار صلاح الدين لأسوار المدينة المقدسة.. وعسكر في ذات المكان الذي اقتحمها منه الصليبيون سنة ١٠٩٩م.. وأخذ يضيق عليها الخناق حتى يجبر حاميتها الصليبية ـ البالغة ستين ألفا ـ على التسليم صلحا، كي لا تتعرض مقدسات المدينة للدمار ـ وكان الصليبيون، في المفاوضات إبان هذا الحصار، يهددون بمعركة يائسة يدمرون فيها هذه المقدسات ـ فقالوا لصلاح الدين:

«إننا إذا يئسنا من النجاة من سيوف جندك فإننا

ـ سنهدم المعبد، والقصر الملوكي، وننقض حجارتهما حتى الأساسات!

ـ وسنحرق الأمتعة والنفائس والكنوز والأموال الموجودة في خزائن المدينة!

ـ وسنهدم جامع عمر، والصخرة المقدسة، اللذين هما موضوع ديانتك!

ـ وسنقتل ما لدينا من أسرى المسلمين المحبوسين في سجون المدينة منذ سنوات، وعددهم خمسة آلاف أسير!

ـ وسنذبح نساءنا وأولادنا بأيدينا حتى لا يقعوا في أسر المسلمين!

ـ وبعد أن تصير المدينة المقدسة «كيمانا من الرديم»، وصدقنا واسعا، سنخرج للقتال قتال اليائس من الحياة، الذي لا أمل لديه في النجاة.. فامنحنا الأمان، نسلمك المدينة دون أن يمسس أحد من الطرفين بسوء!..

فاستجاب صلاح الدين.. ومنحهم الأمان.. فخرج الغزاة اللاتين من المدينة بما يملكون.. وبقي فيها أبناؤها ـ من المسلمين ومن النصارى الشرقيين ـ.. وتحررت القدس في ذكرى إسراء الرسول، ﷺ، من مكة إليها ـ في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ، أكتوبر سنة ١١٨٧م ـ دون إراقة قطرة دم واحدة.. وهي التي سبحت فيها خيول الصليبيين بدماء المسلمين، بمسجد عمر، قبل تسعين عاما؟!

● وبعد فتح القدس.. لم يبق ـ كما قال الشاعر ـ «باب من الشام مغلق»!

لكن أوروبا لم تتراجع عن تجييش الجيوش لحرب صلاح الدين.. حتى لقد فرضت حكوماتها على شعوبها ضريبة فتال سميت «عشر صلاح الدين»!!

فجاءت جيوش وأساطيل إنجلترا، وفرنسا، بل وجاء ملوكها.. واستمر الصراع سنوات.. حتى انتهى، مرحليا، بالهدنة.. بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد (١١٥٧ ـ ١١٩٩م) ملك إنجلترا.. لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ـ في شعبان سنة ٥٨٨ هـ سبتمبر سنة ١١٩٢م.

● وأنفق صلاح الدين أوقات السلم في تعمير ما خربته الحرب، وبناء ما هدمه الصليبيون.. فأقام في ميادين العمران العلمي والفكري والتعليمي والاقتصادي ركائز الإحياء التي تنمي روح الانتماء، وتزكي عوامل التقدم على درب استكمال التحرير لما بقي في الأسر من حصون وقلاع.. وفي إعمار القدس كان صلاح الدين يحمل بنفسه الأحجار مع العاملين!

ثم سار إلى دمشق.. وفيها مرض «بالحمى الصفراوية».. وتوفي في ٢٦ صفر سنة ٥٨٩هـ مارس سنة ١١٩٣م.. ليدخل، لا في «تاريخ» الأمة وحده، بل وفي «ضميرها»، كواحد من أعظم عظماء الإسلام وأبرز أبطال فتوحاته منذ عصر صدر الإسلام وحتى هذا التاريخ.

الأسر المعاصر للقدس

لكن القوى الغربية، التي حركت وقمت وتولت الغزوة الصليبية.. قد عادت، في مرحلة لاحقة، وفي طور جديد، لتحقيق ذات المقصد القديم «انتزاع الأرض التي تدر سمنا وعسلا»، واحتكار قداسة القدس لها وحدها، وإهدار قداستها لدى الآخرين.

فبدأت هذه القوى الاستعمارية، بعد اقتلاع الإسلام من الأندلس، وإسقاط «غرناطة» (٨٩٧هـ ١٤٩٢م)، مرحلة «التطويق للعالم الإسلامي».

● ففي ذات العام الذي سقطت فيه غرناطة خرجت حملة «كريستوف كولومبس» لاكتشاف طريق تطويق عالم الإسلام.

● وعندما ضل «كولومبس» الطريق، فذهب إلى القارة الأمريكية.. خرجت الحملة البرتغالية، لتحقيق الهدف الذي لم يحققه «كولومبس».. فكان اكتشاف البرتغاليين لطريق الالتفاف حول العالم الإسلامي، عبر ميناء «رأس الرجاء الصالح» (٩٠٣هـ ١٤٩٧م) بعد خمس سنوات من سقوط غرناطة!..

● وعلى شواطئ الهند المسلمة حدثت المواجهة بين البرتغاليين وبين الجيش المصري، بقيادة المماليك (٩١٠هـ ١٥٠٤م).. وهي المواجهة التي انتصر فيها البرتغاليون على المماليك.

● ومع تزايد نشاط حملات «التطويق».. حول شواطئ الهند، وفي بحر العرب، والخليج العربي، والبحر الأحمر.. وفي ظل ضعف الدولة المملوكية، كان الاتجاه العثماني إلى الشرق والجنوب، وإدخال العالم العربي في كنف العسكرية العثمانية (٩٢٣هـ ١٥١٧م) لمواجهة مخاطر هذا التطويق، الذي نجح في تثبيت أقدام الغزاة الأوروبيين في أندونيسيا.. والهند.. والفلبين ـ (في القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي).

وبعد نجاح «مرحلة التطويق» للعالم الإسلامي.. بدأت مرحلة ضرب «القلب» في هذا العالم..

● فعبر إذكاء الصراع بين «الصفويين

متصف في إيران – وبين الدولة العثمانية كقوة تعبوية وسياج عسكري للعالم الإسلامي وجو الصراع الذى اصطنعته أوروبا وزرعت حروبه الدموية – ثم شغل واستنزاف العسكرية العثمانية فى صراع «إسلامى – إسلامى»!.. الأمر الذى فتح الباب لضرب «قلب العالم الإسلامي»، بعد أن تمت «مرحلة التطويق».

● فكانت حملة بونابرت على مصر (١٢١٣ هـ ١٧٩٨م)

● وبعد فشل الحملة الفرنسية على مصر، جاءتها حملة فريزر – الإنجليزية – (١٢٢٢هـ ١٨٠٧م)

● ثم كان احتلال الجزائر، من قبل فرنسا (١٢٤٦ هـ ١٨٣٠م)

● واحتلال عدن، من قبل إنجلترا (١٢٥٤هـ ١٨٣٨م)

● وضرب مصر – بقيادة محمد على باشا – من خدمة شباب الدولة العثمانية – بمعاهدة لندن (١٢٥٦هـ ١٨٤٠م).

● واحتلال فرنسا لتونس (١٢٩٨هـ ١٨٨١م)

● وجاء الإنجليز فى احتلال مصر (١٢٩٩هـ ١٨٨٢م)

● واحتلال إيطاليا لليبيا (١٣٢٩هـ ١٩١١م)

● واحتلال فرنسا للمغرب (١٣٣٠هـ ١٩١١م)

● وتقسيم حصيلة قلب الخلافة الإسلامية بين القوى الاستعمارية، وفق معاهدة «سايكس بيكو» (١٣٣٤هـ ١٩١٦م) وكانت القدس – رمز الصراع – من مقاصد هذا التقسيم حتى إن «سايكس» الإنجليزى قد أقيم له فى قريته «سيلدمير» بمقاطعة «يوركشاير» نصب تذكارى، يقف فيه «مرتديا» النحاس، متحصنا بالدروع، متقلدا سيفا، وتحت قدميه يرقد مسلم، فوقه لافتة كتب عليها: «تنتهى بى القدس»[١]

● واحتلال إنجلترا للعراق (١٣٣٥هـ ١٩١٧م)

● وإصدار وعد بلفور الذى قنن الشراكة «الصهيونية – الغربية» فى هذه الحملة الاستعمارية (١٣٣٦هـ ١٩١٧م) تلك الشراكة التى سبق ودعا إلى إقامتها نابليون، أثناء حصاره مدينة عكا، (١٢١٣هـ ١٧٩٩م)

● واحتلال الإنجليز للقدس (١٣٣٦هـ ١٩١٧م)، وموقف قائد الجنرال الإنجليزى «اللنبى»: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»!.. ونشرت مجلة «بنش» البريطانية رسما كاريكاتوريا تحت عنوان «آخر حملة صليبية»، وفى الرسم يظهر «ريتشارد قلب الأسد» (١١٨٩هـ ١١٩٩م)، وهو يحدق فى القدس، قائلا: «أخيرا تحقق حلمى»[٢]

● واحتلال فرنسا لدمشق (١٣٣٨هـ ١٩٢٠م) عندما ذهب الجنرال الفرنسى جورو إلى قبر صلاح الدين الأيوبى، وركله بقدمه، وقال: «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين»[٣]

● ومعاهدة لوزان (١٣٤١ هـ ١٩٢٣م) بين الحلفاء الغربيين وبين تركيا، تلك التى قننت لطى صفحة الدولة العثمانية وإسقاط الخلافة (١٣٤٢هـ ١٩٢٤م)

● وإقامة إسرائيل – تجسيداً للشراكة اليهودية – الغربية، فى استعمار وطن العروبة وعالم الإسلام (١٣٦٧هـ ١٩٤٨م)

● واحتلال كل القدس، وبدء تهويدها (١٣٨٧هـ ١٩٦٧م)

● ليصل الغرب إلى الاحتفال بذكرى خمسمائة عام على بدء هذه الحقبة من حقب هذا الصراع التاريخى – حضارى – بإقامة الدورة الأوليمبية فى «برشلونة» على أرض الأندلس، فى ذكرى اقتلاع الإسلام، وإسقاط غرناطة.. لقد كانت البداية (٨٩٧هـ ١٤٩٢م).. وكان الاحتفال (١٤١٢هـ ١٩٩٢م)

● ومع الاحتفال بذكرى مرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من الطرف الغربى لأوروبا بدأت فى نفس العام (١٩٩٢م) حروب البوسنة، لاقتلاع الإسلام من قلب أوروبا؟!.. وهى الحرب التى حدد وزير الإعلام الصربى موقعها فى صفحات كتاب هذا الصراع التاريخى، عندما قال: «نحن طلائع الحروب الصليبية الجديدة»[٤]

جلوب

مقولة جلوب

وبرزت القدس فى هذه الحقبة من حقب هذا الصراع، كما كانت فى الحقبة الصليبية، باعتبارها الرمز والمقصد والمفتاح!..

فتهويدها واحتكار قداستها، قائمان على قدم وساق

وقد كانت ذاكرة الأمة، بواسطة ثقافتها، قد ظلت واعية بمكانة القدس فى هذا الصراع التاريخى، المتعدد المراحل والحلقات.. فإن المهمة المعاصرة لثقافتنا الوطنية والقومية والإسلامية، هى إبقاء ذاكرة الأمة على وعيها الكامل بمكانة هذا القدس الشريف، وذلك حتى يطلع الفجر الجديد، بالناصر صلاح الدين الجديد!

لقد درج الناس – عامة الناس – على تسمية قضية القدس وفلسطين: «أزمة الشرق الأوسط»، والمطلوب هو الوعى «بتاريخ أزمة الشرق الأوسط» هذه.

ولقد أراحنا الكاتب والقائد الإنجليزى «جلوب باشا»، عندما قال: «إن مشكلة الشرق الأوسط.. قد بدأت منذ القرن السابع للميلاد»[٥].. أى منذ ظهور الإسلام»[٦]

كيف تستعيد الأمة دورها الحضاري!

[illegible]
نائب رئيس جامعة القاهرة (سابقاً)

عمّ يتساءل الناس؟

يتساءل الناس كثيرا عن سبب، أو أسباب، تخلف العالم الإسلامي في القرون الأخيرة بعد أن كان العالم الأول طوال فترة زمنية امتدت لأكثر من ثمانية قرون دفع خلالها مسيرة الحضارة الإنسانية قدما بتحفيز العلم والإيمان المحروسين بقيم العدل والحرية والسلام، وأثمرت علوما وفنونا ومدنية، ووضعت نماذج إرشادية وقياسية paradigms، قامت عليها نهضة أوروبا الحديثة وحضارة التكنولوجيا المعاصرة التي تجني البشرية ثمارها اليوم. لماذا تبدل الحال بالأمة الإسلامية إلى ما نشاهده الآن من تراجع وتخلف وانحسار عن ركب المتقدمين، فضلا عن التمزق الذي أصاب وحدتها، والعطب الذي لحق بمنظومتها الفكرية، وانعكس بدوره على مسيرتها العملية، فكبل حركتها، وقيد حريتها؟

أين تكمن الأزمة إذن التي ينبغي حلها؟ وما هي أهم المشكلات التي يجب التصدي لها من أجل استنهاض هذه الأمة المريضة واستعادة عافيتها، وتمكينها من حمل رسالتها الإصلاحية، وأداء دورها الحضاري، واستئناف مسيرتها التاريخية الرائعة في ترشيد الحضارة الإنسانية بعامة، وإشاعة القيم الهادية إلى حب الحق والخير والجمال، خاصة وأن الإسلام الذي تنتسب إليه هذه الأمة يعد أغنى الديانات والثقافات والرؤى بالقيم والمبادئ والتعاليم والأهداف السامية المنسجمة مع الفطرة الإنسانية من جهة، والملائمة لحركة الواقع المتغيرة من جهة أخرى.

فيم يتوزع الفكر؟!

نعم.. تشخيص الأزمة وتوصيف المشكلة على هذا النحو ينبئ بأن القضية المطروحة بالغة التعقيد والصعوبة، وأن الإجابة على التساؤل عن كيفية استعادة الأمة لدورها الحضاري ليست بالأمر الهين، وتحتاج إلى عمل وجهد وصبر دءوب، أخذا في الاعتبار كل حصائل التراكمات التي خلفتها قرون التراجع والتكاسل والتخاذل، وسببتها حالة الجمود والدوران في فلك التبعية المقيتة، والأيديولوجيات الوافدة، والمذاهب الفلسفية المتهافتة، والتيارات السياسية المتصارعة، هذا بالإضافة إلى مستجدات الواقع المعيش بكل ما فيه من تناقضات وصراعات وعداءات، سواء على مستوى الأمة الإسلامية ذاتها ومن داخلها، أو على مستوى العالم بأسره، في وجود مراكز قوى عملاقة تستأثر بامتلاك أسرار العلوم الحاكمة والتقنيات الدقيقة المتقدمة التي تمكنها من فرض هيمنتها وبسط نفوذها على شعوب الأرض المستضعفة.

أيضا، الإجابة عن التساؤل المطروح عن سبب أو أسباب الأزمة المستحكمة التي تعاني منها أمتنا الإسلامية، والسبيل إلى الخروج منها ليست بالأمر البسيط أو الهين بسبب أطماع الأقوياء في السيطرة على ثرواتها واستغلال مواردها الطبيعية، في وقت تفاقمت فيه مشكلات البيئة والطاقة والمياه والغذاء، وتزايدت فيه معدلات الجهل (الأمية) والفقر والمرض. ذلك أن مساحة الدول المكونة للعالم الإسلامي تمثل أكثر من ربع مساحة اليابسة، ويزيد في قيمة تلك المساحة الشاسعة من الأرض اتصالها مع بعضها، وتوسطها دول العالم، وتكاملها من ناحية الموارد والمناخ والتضاريس وطبيعة الأرض، وتعدد الثروات، وتنوع مصادر الموارد فيها. كما يطل العالم الإسلامي على مسطحات مائية عديدة تخترقها أهم خطوط المواصلات البحرية في العالم، وله موانئ مهمة على كل من المحيط الأطلسي والهندي والهادي، وكل من البحر المتوسط، والبحر الأحمر، والبحر الأسود، وبحر قزوين، كما يتحكم في مداخل كل من المحيط الهندي، والبحر الأحمر، والبحرين الأبيض والأسود، هذا بالإضافة إلى عدد من المسطحات والقنوات المائية المهمة، مثل البحر الأحمر، والخليج العربي، وبحر عمان، والبحر العربي، وبحر مرمرة، وقناة السويس.

أما من ناحية الثروات الزراعية والحيوانية والتعدينية، فيكفي أن نشير إلى المساحات الهائلة من الأراضي الصالحة للزراعة، بينما شبح المجاعات يتهدد العالم بأسره الآن، كما نشير إلى ما يمكن تربيته وإنتاجه من حيوانات صالحة للغذاء، وصناعات مختلفة قائمة عليها، وإلى ما يوجد من خامات العديد من المعادن بنسب متفاوتة يصل بعضها إلى ٢٥٪ (القصدير)، بل إلى ٤٥٪ (الفوسفات واليورانيوم) من احتياطي العالم. وبالنسبة للنفط فإن العالم الإسلامي يملك ما يزيد على ٧٥٪ من احتياط النفط العالمي، و٢٥٪ من احتياط الغاز الطبيعي. هذا بالإضافة إلى ثراء

العالم الإسلامي بمختلف مصادر الطاقة النظيفة والمتجددة، مثل الطاقة الشمسية والطاقة الهيدروجينية وطاقة المياه والرياح.

هكذا بين تراكمات الماضي، وصراعات الحاضر، وأطماع الآخر، بتوزع الفكر وتتباين الرؤى والآراء. فهل من بداية جادة لمعالجة علمية رشيدة تفضي إلى انفراج الأزمة التي عصفت واستحكمت حلقاتها، وتدفع المسلمين إلى استعادة دورهم الحضاري في خدمة الإنسانية؟

الافادة من مشاريع الإصلاح والتجديد

ربما يكون أول مايتبادر إلى الذهن على طريق الإجابة هو حسن الإفادة من محاولات التجديد والإصلاح التي قام بها أو دعا إليها علماء الأمة المجددون. فقدر هذه الأمة، أمتنا الإسلامية العريقة، أن تحمل أمانة الاستخلاف التي اختارها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لها، وتبلغ رسالة السماء الأخيرة إلى الناس كافة حتى قيام الساعة. قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(سورة الحجر: ٩)

وقال سبحانه:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(سورة آل عمران: ١١٠)

ولقد واجهت الأمة، ولا تزال تواجه، تحديات كثيرة منذ بدأت حمل هذه الأمانة مع سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وحتى يومنا هذا. واستطاعت، رغم هذه التحديات أن تقدم للإنسانية في ظل الإسلام نموذجاً حضارياً راقياً ورائداً ارتفع بالإنسان سلوكاً وفكراً، فعمر حياته على الأرض بالعلم والإيمان، وأثرى مسيرة الحضارة الإنسانية بتجربة متميزة وثرية.

وعندما زادت خطورة هذه التحديات، فاتسع مكانها وتنوعت جبهاتها وطال زمانها، لم تستسلم هذه الأمة، ولم يجر عليها قانون الزوال الذي فعل فعله في أمم أخرى، وبقيت لأنها تحمل أمانة تبليغ الرسالة التي وعد الله ـ تعالى ـ بحفظها، وحاولت التغلب على هذه التحديات بحركات إصلاحية كثيرة فكرية وعملية. هذه المحاولات هي التي أبقت نبض الحياة في الأمة لتظل حاملة شعلة الأمانة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لهذا ينبغي الإفادة من كل محاولات الإصلاح والتغيير والتجديد التي مرت بها الأمة في مواجهة الأزمات والتحديات، بهدف العودة إلى الصراط المستقيم واتباع الهدى الإلهي بعزم وإصرار على مواصلة السير حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً. وقد يكون من أقرب هذه المحاولات إلى أيامنا، وأكثرها ملاءمة لظروف عصرنا، ماقدمه الإمام محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) من خلال مشروعه الفكري ورسالته التربوية ومنهجه الإصلاحي لتفنيد دعوى الفصل بين الإسلام والعلم، وردّ في حيدة وموضوعية عن وحدة الفكر الإسلامي عن طريق التوفيق بين الحقائق الإيمانية والعلمية لتلبية متطلبات الحياة الحديثة، وسعى إلى التقريب بين ماينبغي للمجتمع الإسلامي أن يكون عليه، وبين ماهو عليه في الواقع، متخذاً من ثنائية الإيمان والعلم أساساً لتفعيل الإصلاح وطرائق النقد والتمحيص. وفي يقينه أن العقائد إذا ماسلمت من البدع تعقبها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب، واستقامت أحوال الأفراد، واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية، دينية ودنيوية، وتهذبت أخلاقهم بالملكات السليمة، وسرى الإصلاح منهم إلى بقية أبناء الأمة.

وقد أقام الإمام محمد عبده منهجه في الإصلاح على الوسطية الإسلامية الجامعة، محدداً في الدعوة إليه رؤى تعتني بالعظميين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب علوم العصر ومن هو في ناحيتهم. وكان يؤمن إيمان الذين التقوا بالتقدم العصري بأن علوم لنا أهملناها وهجرناها، وعلوم لغيرنا سبقونا إليها ولم نلحقهم في غير القليل منها، وهي من لوازم حياتنا في هذه الأزمان، لابد لنا من اكتسابها، وبذل الجهود في طلبها، لأنها كافة عنا أيدي العدوان والهوان، وأساس لسعادتنا ومعيار لثروتنا وقوتنا، وأن تفوق الأمم على بعضها إنما يقاس بعلية أفكارها والمهارة في معارفها[1].

إن منهج الإصلاح والتنوير الذي خلفه لنا الإمام محمد عبده يؤكد لنا اليوم أن مبدأ الاستخلاف الذي يطرحه الإسلام بحاجة ماسة إلى ترسيخ مفهومه الصحيح في بؤرة اهتمام المسلمين، باعتباره واحداً من المبادئ الإسلامية الحاكمة التي يرفدها العلم والعمل معاً ليمكنا لهم في الأرض، ويتحقق بهم وعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بحفظ رسالته الخاتمة وتبليغها إلى الناس أجمعين.

---

(١) راجع أعمال الإمام محمد عبده، ودراستنا حول رؤية الإمام محمد عبده لعلاقة العلم بالدين، مجلة المسلم المعاصر، العدد [illegible]

التفكير الإبداعي ودوره في التقدم الإنساني مجالاته وضوابطه

عندما نشرت وسائل الإعلام المصرية فى أواخر شهر يوليو الماضى: أن مجلس الدولة أكد على أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر له حرية إصدار قرارات بعدم الموافقة على طبع ونشر وتداول أى مؤلف إسلامى إذا كان ما جاء به مغلوطا يثير البلبلة ويشكك فى العقيدة إلى حد يصل معه هذا المؤلف إلى مجموعة من الطلاسم والألغاز ولا تؤخذ منه فكرة علمية صائبة...

وهذا التأكيد جاء تطبيقا وإعمالا لنصوص مواد القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها. وللائحة التنفيذية له الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥.

عندما نشرت وسائل الإعلام ذلك، قوبل هذا الخبر بارتياح كبير من المسلمين، لحمايتهم مما يطبع وينشر ويتداول من مطبوعات فيها إساءة للإسلام والمسلمين. ومعلومات خاطئة عن الإسلام وشرائعه ومبادئه وأحكامه. وافتراءات وأكاذيب عن الرسول عليه الصلاة والسلام. وعن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وفيها دعوة إلى الإلحاد والزندقة.

غير أن فئة قليلة ممن ينتسبون إلى الكتاب لم يرضها ذلك، وبكت وتباكت على حرية القول والتعبير، والإبداع الفني والتصوير!!

فرأيت من واجبي - كمسلم أولا - وبصفتي من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أن أكتب موضحا: أن الإسلام يدعو إلى التفكير الإبداعي. وإلى إعمال النظر والعقل في خلق الله، وإلى حرية التعبير وإلى الأخذ بالأسباب التى تساعد على التقدم الإنساني..

غير أن هذا التفكير الإبداعي له مجالاته وضوابطه...

[illegible]
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الواقع المؤلم!!

وقبل أن نتحدث عن قضية التفكير التقدمي والإبداعي. ودورهما في المجتمع. أرى أن الواقع المؤلم الذى نعيشه الآن ونعانيه من حيث اختلاط المفاهيم، وتداخل الاصطلاحات، وعدم تحديد المعاني، ودعوة التحرر المطلق فى الكتابة والتأليف دون قيد أو شرط يتطلب وقفة نظر.

إن الذى يتأمل فيما تخوض فيه كثير من الأقلام حاليا: من أحاديث عن حرية الكاتب المطلقة فيما يكتب وضرورة أن توفر هذه الحرية له كي يتمكن إبداعه من الانطلاق فينتج ما يعبر به عن مشاعره الذاتيه، وأفكاره الشخصية بالأسلوب الذى يختاره، والكلمات التى تروق له..

من يتأمل ذلك يتصور أن هناك من يمنع الكاتب عن ممارسة الحرية الإيجابية الهادفة التى تبني ولا تهدم. وتعمر ولا تخرب. أو من يقف حائلا دون تصوير المشاعر الإنسانية تصويرا راقيا، بل يزيد الأمر خطورة حين يعتقد هؤلاء أن رجال الدين يقفون أمام الحرية الأدبية للكاتب. وأنهم يعيدون عهود الحجر الأدبي القديمة. ولقد سمعت بعضهم يقول: إن رجال الدين يريدون أن يعيدونا إلى القرون الوسطى!!

ولا أعرف أى قرون وسطى هذه التى يشيرون إليها، وأى عودة يقصدونها؟

إن الواقع غير ذلك تماما فالإبداع الأدبي الهادف هو ما يحرص عليه ذوو الرسالات السامية من المفكرين والأدباء، وأصحاب الدعوة إلى الرقي الأخلاقي والأسلوب العالي من الكتاب، وهو ما يجدونه في صحف الأدب الرفيع.

وكتاب الله عز وجل هو الصورة الأدبية الرائعة للبيان العربي فى التعبير عن قصة خلق الكون، وعن الدعوة إلى عمارة الأرض، وعن التفكير الهادف. وعن التوحيد وعبادة الله. وعن قصص الأنبياء والأمم السابقة، وعن العادات والتشريعات والأخلاق. وعن الحياة والموت، وعن البعث والثواب والعقاب... إلخ ما تضمنه القرآن الكريم من

معانى ومقاصد، وعبادات ومعاملات، وأحكام وتشريعات...

الإبداع الربانى

ولا ينكر أحد أنه نمط فريد من الأسلوب الأدبى الراقى، والبلاغى المعجز يحاول أدباء العربية الأصلاء احتذاءه والاقتباس من سموه، هذا الإبداع الربانى يضرب المثل الحقيقى لكل من يحاول الإبداع البشرى فيسمو بالقارئ إلى معارج الكمال.

[illegible]

[illegible]

ولكى أكون صريحا غاية الصراحة، فإننى أرى أن الذين يدعون أن الإبداع الفكرى محارب من بعض الأفراد والمؤسسات والهيئات، لا يقصدون بالإبداع الفكرى ما يصور خوالج النفس الشريفة، وما يدعو إلى الارتقاء بالقارئ إلى عالم من الإحساس الشريف الذى يريح أعصابه، ويسمو به إلى مثل من الشعور الإنسانى تحده إلى الكمال، وتدعوه إلى الفضائل... بل يقصدون ناحيتين هامتين هما موضوع الاحتجاج على ما يكتبون:

● **أما الناحية الأولى:** فاتجاههم بتعمد وإصرار، وبأسلوب مباشر صريح وغير صريح إلى تحقير المثل الرفيعة، وإلى الانحطاط الأخلاقى، وإلى الحياة البهيمية الحيوانية، وإباحة مظاهر الشذوذ الإنسانى فى تصوير النوازع الهابطة، والإسفاف الخلقى، وجعل الأدب صورة من أحط صور السقطات والسقطين فى مخادع الريبة بدعوى أن الفن للفن؛ وأن كل من يصور لحظات السقوط أديب فنان...

وهذا فى الواقع انحراف عن مثل الأمة وأهدافها، ودعوة إلى إشاعة الإباحية الهابطة على نحو يمهد المجتمع للسقوط والتردى فى مدارك الرذيلة، وظلم لمفهوم التفكير الإبداعى، ومعناه، وغايته...

[illegible]

وقد عرفت من كبار الأدباء والكتاب فى الجيل الماضى من كتبوا: القصة، والقصيدة، والمسرحية، والمقالة... وعالجوا مشاكل العاطفة، ومعضلات الحياة الوجدانية دون أن ينحدروا إلى الإسفاف المتدنى، متأدبين بآداب الفضائل الدينية، وقيم المجتمع الأخلاقية، ولم تظهر عند أدباء الجيل الماضى كتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وعلى أحمد باكثير، والمنفلوطى، والرافعى، وغيرهم كثير... ما يدل على انحدار فى تصوير العواطف، أو إسفاف فى أسلوب التعبير على نحو ما نراه الآن.. مما سبب فى اعتراض الشرفاء الغيورين على قيمهم الدينية، وأخلاقهم الاجتماعية، ومثلهم العليا، اعتراضهم على ما يطبع وينشر من قصص وكتب مليئة بالانحدار والإسفاف والإلحاد الذى يدافع عنه من يظنون أن حديث الجنس الساقط أدب، وأن الإباحية تقدم، وأن الإلحاد فكر، وأنه يجب أن يذاع وأن ينتشر دون اعتراض...

● **أما الناحية الثانية:** فهى التجرؤ على مثل العليا فيما يتحدثون به عن أنبياء الله ورسله. فقد تركوا كل احترام وتقدير لهيبة مثل، وبدفعهم يسوقون على ألسنة أبطالهم فى كتبهم ما يعبر عنه واقع حقيقى لهؤلاء الكرام، بل يريدون فى غيهم وتحرقهم وسقوطهم ليتحدثون عن الذات الإلهية حديث الساخر العابث، ويحتمون هذه الأحاديث تحت "حرية الفكر"! كأن حرية الفكر لا تكمن عندهم إلا فى التجرؤ على المقدسات الدينية، والسخرية من المثل العليا من الرسالات السماوية.

وقد يكون كاتب هذه القصص نكرة مغمورة لا تاريخ له فى دنيا الأدب، ويريد الاشتهار بالإلحاد فيتجرأ آثما على الحديث عن الله عز وجل، وعن الرسل الكرام، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، بما تندى له الوجوه خزيا، وحق للقارئ المتدين أن يثور على هذا الإمعة الهابط ويتساءل: كيف جاز لهرائه أن يطبع؟ وأن توزعه الدولة فى مجموعة ما تنشر من الكتب والقصص؟

فإذا قامت هذه الثورة الغاضبة، وجدنا من أرباب الأقلام من يدعى ويعلن فى صوت عال بلا حياء ولا خجل أن فى ذلك محاربة لحرية الفكر والإبداع، وأن الأديب لا تقيده بأفكار يحترمها المجتمع... وربما خجل أحد هؤلاء المدافعين فحاول أن يبرر هذا السقوط بقوله: إن هذا الإلحاد قد جاء على لسان بطل لا يصور عواطف الكاتب. والذى يقول هذا التبرير لا يستطيع أن يجهر به أو ينطقه إذا كان الحديث عن رئيس دولة أو صاحب سلطة وسطوة، بل نجده يعيب مستنكرا له أبشع استنكار.. أما أن يكون الحديث الساقط عن إله السموات والأرض، أو عن نبى من أنبياء الله، فهنا تبرز قضية وقصة: الفن للفن، وهنا يعلو الشاكى على حرية الفكر والإبداع...، وربما يتشنج البعض ليكتبون العرائض، ويجمعون التوقيعات دفاعا عما يسمونه حرية الفكر والإبداع...

وهذا ما نشاهده [illegible]. ولو كان لدينا رأى أدبى محترم لقبع هؤلاء فى جحورهم وانزووا فى مخابئهم، وعلموا أن أحاديث الزندقة والإلحاد من ناحية، وأحاديث الجنس الهابطة من ناحية أخرى ليست جديرة بتأييد أو دفاع، وأن كرامة المجتمع ومصلحته تأبى هذا الانحدار.

[illegible]

من الإبداع الفكرى

نعود إلى قضية الإبداع الفكرى فنتساءل: هل رسالة صاحب القلم أن يرقى بمستوى قارئه أم يهبط به؟؟ وأيهما أجدى على المجتمع وأنفع للناس.

أن يقرأ الإنسان قصة تصور الهبوط الحسى فى مراحله المتدنية... وقد يكون شابا حديث الخبرة فيذهب بأوهامه وتخيلاته مذاهب شتى تهيئ له جوا من السقوط، ويستشعر الحرمان إذا لم يجد فى حياته صورة لهذا الذى قرأه – أم أن يقرأ صورة مهذبة تحببه فى الفضيلة والعفة. وتدفعه إلى تصور عالم فاضل تكون فيه

الأسرة الإنسانية سعيدة بالتعاون المخلص، والتحاب الشريف، واحترام الحقوق والحدود، فيشرئب ويسعى إلى تحقيق ما يقرأ. ويرتفع بنفسه إلى مستوى ينأى به عن تخيل المقاصد المنحدرة؟؟

إن رسالة الأديب الحق هي رسالة الأنبياء والمرسلين .. فإن كانت مادة القراءة منحدرة مسفة فإنها شيطان أخرس يوسوس للقارئ بما يؤذيه ويكدر حياته، ثم إن الحياة ليست جنسا فقط حتى ينكب كتاب القصة على تصوير الجانب الحيواني من هذا الاتجاه!!

إننا لا ننكر قوة الغريزة ودافعها الذي يتطلب الإشباع، ولا ننكر على الأديب أن يصور هذه الدوافع تصويرا نبيلا. ويستطيع كل كاتب أن يعبر عن أحرج المواقف وأشدها حساسية بما لا يؤذي الشعور الإنساني، وبما يجعله محترما أمام قارئه.

والقرآن الكريم قد عبر عن أدق العلاقات الجنسية تعبيرا نبيلا يضرب به المثل الراقي لمن يريد أن يتحدث عن العواطف الإنسانية في اتجاهها الجنسي.

يقول الله - عز وجل - في محكم كتابه:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

(الأعراف ١٨٩)

فماذا يرى القارئ في هذا النص القرآني الشريف؟؟ لقد تحدث عن أدق العلاقات الجنسية في قوله تعالى: «فلما تغشاها حملت حملا خفيفا»، كما تحدث عن متاعب الحمل والأم الحامل في قوله:

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَت ﴾، ولم يترك الأمر دون الاتجاه إلى السماء فقال - جل شأنه -:

﴿ دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

وهذا مثل يحتذى بين الكتاب النابهين، فقد كنا في عهد الدراسة الثانوية نقرأ آثار المنفلوطي - رحمه الله - وقصصه العاطفية من مثل «ماجدولين»، و«الشاعر» و«الفضيلة»، وغيرها فنرى العفاف في أجمل مظاهره، ويشعر قارئ الفضيلة «مثلا» أنه قرأ كتاب أخلاق وقصة أدب معا...

والقصة مترجمة عن الفرنسية، أي أنها لكاتب أوربي كبير لم يشأ أن ينحدر في تفكيره انحدار من نترسم خطاهم من الإباحيين، فإذا كنا نحرص على تقليد أدباء الغرب فلماذا لا نقلد الموهوبين منهم ذوي الالتزام الخلقي، كما في روايات الفضيلة، وما ترجمه الأساتذة: أحمد حسن الزيات، ومحمد عوض محمد، وخليل مطران، وغيرهم وغيرهم من روائع القصص الأوربي النبيل.

يتبع

هل يعرف الغرب قدر الإسلام؟!

ما أحوج أمتنا إلى قيادة روحية وفكرية وثقافية تعيد لها رسم عقلها وصياغة فكرها وترتيب أولوياتها وتحديد ملامح أصدقائها وأعدائها. حتى تحسن ممارسة الحب والبغض، وحتى تدرك من جديد كيف تعبد الله - سبحانه وتعالى - بإحسان الولاء والبراء وكيف تحسن الدعوة إليه على بصيرة.

لقد نجح أعداؤنا في تهميش دور العقيدة في حياتنا واستطاعوا أن يقنعوا قادة الفكر في أمتنا بأن الانطلاق في التعامل الدولي من منطلق العقيدة واليقين تعصب شائن وانغلاق أحمق. وتطرف مقيت.

ولم يقفوا عند حدود القول في ذلك. وإنما انطلقوا ليشعوا في نظر الأمة كل رمز يمت إلى الفكرة الإسلامية بصلة.

ولما كان أمر الأمة كله قائما على الإسلام ومصبوغا به، فقد وجد الأعداء أنفسهم أمام معضلة عويصة؛ إذ كيف يقنعون أمة تحكم بالإسلام سياسة وتتحاكم إليه شريعة، وتتعامل به سلوكا، وتهتدي به أخلاقا، وتستند إليه تاريخا، وترجع إليه عقيدة ودستورا بما هو مخالف لذلك كله، بل بما هو ضده؟!

وبرغم صعوبة تلك المعضلة وخطورتها، فإن الإصرار اليهودي الصليبي لم ييأس، وإنما أحسن دراسة الحالة. ودقق في التشخيص، ثم ذهب ليضع منظومة العمل التي وزعت أدوارها بكل براعة، وهيئت لها الأسباب لتؤدي هذه الأدوار بكل إتقان.

لقد بدأ القوم بدراسة عناصر القوة التي تضمن قيام هذا الكيان؛ فعمدوا إلى استهدافها، وأصروا على ضرورة إضعافها ثم إسقاطها.

وحتى لا يكون الكلام مجرد اجتهاد مني أو استنباط واستنتاج سأترك كبار مفكري الغرب ممن قادوا حملته الصليبية الأخيرة وحققوا لأنفسهم المراد، وبلغوا بتخطيطهم وقيادتهم لجحافل تلك الجيوش إلى أخطر النتائج، سأترك لهم المجال لنتعرف منهم على أخطر عناصر القوة في ديننا، ثم ننظر كيف تعاملوا مع هذه العناصر؟ وكيف كانت نتيجة تخطيطهم؟

يقول أحد المسئولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م:

«إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً، هو الخطر الإسلامي.. «ويتابع»:

فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولنقو في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحطيط هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم»[1].

ويقول المستشرق الأمريكي و. ك. سميث:

«إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام سينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها».

وينصح رئيس مجلة تايم في كتابه «سفر آسيا» الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون سيطرة دعوة الإسلام على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره.

إن الغرب كان واقعياً وعاقلاً عندما فكر لنفسه ورصد الخطر بموضوعية ووضوح، وأدرك عن طريق عقلائه وحكمائه طبيعة هذا الخطر وكيفية يستفحل. فكانت مدرسة المستشرقين الذين فرغوا جهودهم لدراسة الإسلام والولوج إلى أسراره تقابل بكل جد واهتمام.

مواضع القوة.. ومواطن الضعف!!

وتبعاً لهم يكن غريباً أن ينشط هؤلاء لدراسة ديننا وعقيدتنا دراسة جعلت علماء المسلمين تلامذة على أيدي هؤلاء العلوج الذين حصروا عقيدتنا، غطوا جهدهم عندما أهدوا إلى حكامهم وقادتهم نتائج أبحاثهم وخلاصة مرئياتهم، فكانت تلك النتائج والأبحاث بمثابة المفاتيح التي أداروها في نفوس أبناء المسلمين فغيروها.

لقد أدركوا مواضع القوة في الإسلام فحاصروا قادتهم منها، وأعدوا الخطة المحكمة الدقيقة لكيفية إضعاف تلك العناصر وإسقاطها.

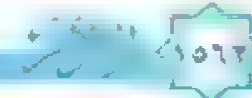
كما درسوا نقاط الضعف واستطاعوا ببراعة أن يستثمروا وينفذوا منها إلى ما يشاءون.

ولقد وضح جيداً أن نظام الخلافة الإسلامية الذي يضم أمة الإسلام جميعاً في كيان واحد، هو أخطر ما يخشى منه الغرب على كيانه ومستقبله.

فهؤلاء الحاقدون لم ينسوا أبداً ما أصيب به آباؤهم من هزائم منكرة وضربات مريرة إبان حروبهم الصليبية المتكررة مع المسلمين.

---

(١) جند الله ـ سعيد حوى ص ٣٢



ولم ينسوا أبداً أن جيشاً لا يتحرك إلا بكلمة رجل واحد هو خليفة المسلمين أمر خطير، فكان هدفهم الأول هو إسقاط ذلك الرمز الذي يستطيع أن يهز عروشهم ويهدد كبرياءهم بإشارة من يده أو بكلمة من فمه.

وقد صرح أحد الكتاب المصري بقوله «إن أوروبا كانت تفزع من الرجل المريض، لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بإشارة من إصبعه»[2].

تغريب الشرق

ومن منطلق إدراك الغرب لخطر الإسلام وحرصهم ومعرفتهم لحقيقته التغييرية، وربما الخوف الشديد فيما صدر عن كبار مفكريهم الذين تخصصوا في تحصين أقوامهم ضد الإسلام، واجتهدوا في تشويه صورته لديهم حتى يضمنوا إلى عمق الهوة بين أتباعهم الغربيين وبين الإسلام.

يقول المستشرق «هاملتون جب»:

«إن تغريب الشرق إنما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع في كل ناحية من النواحي، وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضي والحاضر أمكن صبغ ماضي الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله فتفقد بذلك أعظم جانب من حيويتها، وتبقى عالة على الغرب تتطلع إليه تطلع إعجاب وتقديس وعبادة، وترى في خضوعها له شرفاً كبيراً»[3].

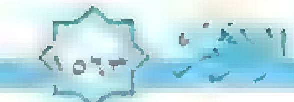
تلك هي الغاية الشيطانية التي يحلم بها، ويخطط لها المستشرقون. قطع صلة المسلم عن ماضيه، وتفريغه من الإحساس بعظمة هذا الماضي وقداسته، بل يريدون له أن يتحول كارهاً لدينه زاهداً فيه، وعند ذلك لا يجد أمامه إلا ما يقدمه له أسياده المستعمرون فيتبعهم ويلهث وراءهم، وهو في هذه التبعية لن يكون شريكاً وإنما هو تابع ذليل، ولن يرقى فيهم إلى درجة المواطنة أو الشعور بالانتماء، وإنما سيظل منبوذاً محتقراً من هذا الكافر الذي أغراه وأضله، لأن هذا النوع من الناس الذي سهل عليه خيانة أهله وازدراءهم لا يكثر عليه خلع أسياده الجدد.

إن المؤامرة على المسلم لكي ينقطع عن أصوله ويكره ماضيه لا يقصد منها أن يدخل النصرانية فذلك شرف في نظرهم لا يستحقه هؤلاء المتخلفون، وإنما المقصود أن يفرغ من عوامل القوة التي تجعله يستعصي على التبعية والرضا بالكفر الصليبي أو اليهودي بعد أن يفرغ من عقيدته ومبادئه، وهذا وحده مكسب كبير.

---

(٢) [illegible]

(٣) هاملتون جب من كتابه وجهة الإسلام.



حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾

(النساء: ٨٩)

إن أبالسة الغرب يدركون عن يقين أن قوة المسلم في عقيدته، ولهذا كان استهدافها هو الهدف الأهم والأعظم في أولويات حياتهم.

رحمة الإسلام

يقول جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»:

«الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب. إن الإسلام هو الذي أعطى المسلمين هذه الرحمة، وهذا التسامح، ونحن رأينا صورا مختلفة: مثل حرب الأفيون. وأقسى منها حروب الاستعمار الحديث، وأشد منها ظلم الصهيونية وقسوتها وحبها للدماء والعدوان والإبادة».

وتلك شهادة من رجل رضع لبان النصرانية، وتغذى على الكيد للإسلام، جاء إلى بلاد المسلمين باحثا عن نقاط الضعف ليمد منها ويقدمها هدية لقادة الحروب من الصليبيين، ولكنه لم يجد مهربا أمام وضوح هذه الحقيقة من أن يعترف بها خاصة، وأنها حقيقة تحظى بإجماع إخوانه من المستشرقين. لكن منهم من ملك القدرة الشجاعة فعلنها، وكثير لم يستطيعوا إعلان ذلك

ومن الصنف الأول الذي لم يجد بدا من إعلان إعجابه برغم شدة تعصبه لدينه: المؤرخ الإنجليزي المعروف «أرنولد توينبي» الذي يقول:

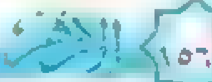
«إنني أغبط أتباع المجتمع العربي لما تضفيه عليهم الأمة العربية - إذ هي دائرة دام في بلاد عربية إسلامية».

الإسلام قوة الغد العالمية

وهذه شهادة لرجل من أعظم كتاب الغرب في القرن العشرين، هو المستشرق الألماني «باول شميتز» يقول في كتابه «الإسلام قوة الغد العالمية» الذي كتبه في الثلاثينيات من القرن العشرين: «سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق عودا على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية في الصدر الأول للإسلام. وستظهر هذه القوة في تماسك الإسلام، ووحدته العسكرية. وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها».

فهل يعي المسلمون دورهم، وهل يتنبهون إلى قوتهم، ويدركون طبيعة المهمة التي وكلها الله إليهم فيتقدموا للعالم اليوم بطوق النجاة؟

إن الغرب يعترف بقوة الإسلام وعظمته، ويدرك حقيقة الإسلام ومدى خطورته، لكن ذلك كله لا ينبع من نفوس منصفة أو مشاعر متعاطفة، وإنما مرد ذلك كله الخوف الشديد من أن يعود العملاق إلى القيادة، ويستيقظ المسلم من جديد، إنهم يجتهدون في رصد الحقائق والاعتراف بالواقع حتى لا يخدعوا أنفسهم وقادتهم فيعلنوا عن الحقيقة فيضاربوا في تخطيطهم بالنكاسة، أو يفاجئوا بما لا يحتسبون؛



ولهذا فهم يقولون ما يقولون من باب التحذير والتهويل.

وإليك هذا النموذج من التحليلات السياسية الدقيقة التي يرفعها المستشرق الإنجليزي «هاملتون. جب» المستشار الثقافي لوزير المستعمرات البريطانية في عصر شدته، يقول في كتابه «وجهة الإسلام»: «هل يمكن أن نقع يوما ما تحت وطأة الخطر الإسلامي؟!»، وبعد أن يذكر الأجوبة المختلفة التي تستبعد هذا الخطر أو مجرد توقعه يقول: «الحق إنهم اليوم صفوف متفرقون، لا نرى عزما أكيدا لدى شبابهم يحملهم على التضحية، ولا نرى عند ذوي الرأي والوجاهة فيهم أنهم يستطيعون الجلوس معا جلسة جدية يتحدثون فيها عن مشاكلهم، فضلا من أن يتمكنوا من حلها».

وبعد استعراض دقيق لأصول العالم الإسلامي واتجاهه نحو عقد المؤتمرات منذ بداية القرن العشرين وتشكيكه في جدوى هذه المؤتمرات، وأنها لن تبلغ غايتها حتى بعد مدة طويلة من الزمن يعود فيقول:

«ولكن ينبغي ألا نسارع في تقدير هذه المدة؛ لأن هناك ظاهرة كثيرا ما يهملها الباحثون في حركات المجتمع الإسلامي مهما كان نوعها، وهي أنها تنضج بسرعة مدهشة؛ حتى إن وجودها يندر أن يخطر على بال أحد قبل أن يندلع لهيبها ويروع العالم». ويختم الرجل كلامه بقوله: «إن المسألة الكبرى هي مسألة الزعامة؛ فحينما يجد الإسلام صلاح الدين الجديد رجلا يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة وبين شعور برسالته الدينية يبلغ أعماق نفسه؛ فإن ما عدا ذلك يتحلل من تلقاء نفسه»[4].

نبوءة غربية

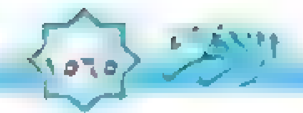
وأختم هذه الشهادة التي يقدمها كتاب الغرب اعترافا بقدر الإسلام بما كتبه الدكتور أحمد شوكت عن المستشرق العربي «ألبير شارود» الذي تناول الحديث عن المسلمين فقال:

«إن هذا المسلم الذكي الشجاع قد ترك لنا حيث حل آثار علمه وفنه، آثار مجده وفخاره، إن هذا المسلم الذي نام نوما عميقا مئات السنين قد استيقظ وأخذ ينادي ها أنا ذا لم أمت، إني أعود إلى الحياة، لا لأكون أداة طيعة أو كتلا من البشر تسيرها العواصم الكبرى»، إلى أن يقول: «ومن يدري؟ قد يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالمسلمين، فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية في الوقت المناسب أو الزمن الموقوت.. لست أدعي النبوءة ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها»[5].

---

(٤) الأستاذ جودت سعيد «لم هذا الرعب كله من الإسلام؟» ص١٦

(٥) [illegible] نفسه ص ١٠



مشروع الاتحاد من أجل المتوسط

باحث فى الشئون السياسية

أطلق الرئيس الفرنسى «نيكولا ساركوزى» مشروعه لتعزيز التعاون بين دول ضفتى البحر الأبيض المتوسط، الشمالية والجنوبية تحت اسم «الاتحاد من أجل المتوسط» فى قمة باريس يوم الأحد ١٣ يوليو ٢٠٠٨ التى رأسها عن الضفة الشمالية «نيكولا ساركوزى»، وعن الضفة الجنوبية الرئيس المصرى «محمد حسنى مبارك». فقد جاء على لسان الرئيس الفرنسى فى حوار لجريدة «لوفيجارو» الفرنسية فى ٨ مارس ٢٠٠٨ «أن الرئاسة ستكون ثنائية: أى رئيس من دول شمال المتوسط، ورئيس من جنوبه، وستتم اجتماعات رؤساء الدول والحكومات كل سنتين»، وحضر قمة هذا الاتحاد المتوسطى ٣٤ دولة أوروبية، و٧ دول عربية تمثل الضفة الجنوبية للمتوسط هى مصر ولبنان وسوريا والمغرب والجزائر وتونس وفلسطين برئاسة «محمود عباس»، بالإضافة إلى قطر بينما غابت ليبيا عن هذه القمة لأسباب سنوردها فيما بعد، ويرى محللون أن الاتحاد من أجل المتوسط، وهو المشروع الذى تبنته فرنسا ونال تأييداً من دول الاتحاد الأوروبى، باستثناء ألمانيا التى تحفظت عليه. يمثل فكرة جديدة تتمثل فى طرح مشروعات محددة، يتم تنفيذها من أجل دفع جهود التنمية المستدامة فى دول جنوب البحر الأبيض المتوسط، وتعزيز علاقات التعاون بين ضفتى المتوسط فى جميع المجالات مع البحث عن موارد مالية ملائمة لتنفيذ عدد من المشروعات من جانب الاتحاد الجديد، أهمها مكافحة التلوث فى البحر الأبيض المتوسط، وإنشاء خطوط نقل بحرى تربط بين موانى المتوسط، سواء بين دول الجنوب، أو بين دول الشمال والجنوب، وإقامة مركز متوسطى للحماية المدنية لمواجهة الكوارث الطبيعية، وتوليد الطاقة الشمسية، ودعم بناء جامعة أوروبية متوسطية، وتأسيس وكالة متوسطية لتنمية الأعمال، وتشجيع الشركات والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

التفاهم والاحترام

ولقد أوضح الرئيس الفرنسى «ساركوزى» الهدف من مشروع الاتحاد من أجل المتوسط حينما قال فى كلمة أمام قمة الاتحاد فى ١٣ يوليو ٢٠٠٨ فى باريس «إن الهدف من القمة ليس الاكتفاء بإقامة علاقات على الورق، بل أن ننفتح على بعضنا البعض فى جو من التفاهم والاحترام، فلم نعد نريد أن نكون جيراناً فقط، وإنما أن نكون شركاء».

ومن المعروف أن إقامة الاتحاد من أجل المتوسط جاء نتيجة لاقتراح الرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى، كخطوة لتطوير «عملية برشلونة» أو عملية الشراكة الأوروبية المتوسطية التى أطلقت فى عام ١٩٩٥ بين الاتحاد الأوروبى، وعدة دول فى جنوب المتوسط وشرقه.

وتضم عملية برشلونة الاتحاد الأوروبى، و١٠ دول من جنوب وشرق المتوسط هى المغرب والجزائر وتونس ومصر والسلطة الفلسطينية وإسرائيل والأردن ولبنان وسوريا وتركيا. وحسب المشروع الفرنسى للاتحاد من أجل المتوسط، يسعى أن تنفتح عملية برشلونة حالياً أمام دول أوروبية غير أعضاء فى الاتحاد الأوروبى مثل جمهوريات يوغوسلافيا السابقة وألبانيا، بل يشمل كذلك كافة دول الجنوب المتوسطى ومشرقه.

ويذهب البعض إلى أن مشروع الاتحاد من أجل المتوسط هو الفضاء الجغرافى الذى يريد «ساركوزى» من خلاله، معالجة ملف «الهجرة غير الشرعية» خاصة أن العدد الأكبر من المهاجرين الذين يتوافدون على أوروبا يأتون من بلدان المغرب العربى، وأفريقيا عامة، وهو ملف يرتبط بملفات أخرى يسعى هذا المشروع الفرنسى لمعالجتها مثل ملف الأمن الغذائى، والإرهاب، وهو الملف الذى قام من أجله «ساركوزى» بجولات مكوكية بين بلدان المغرب العربى طوال النصف الأول من عام ٢٠٠٨.



مبارك — ساركوزى

وفى هذا السياق يرى كثير من المحللين أنه إذا كان مشروع الاتحاد الأوروبى هو مشروع المصير والوجود بالنسبة لفرنسا وأوروبا، فإن مشروع الاتحاد من أجل المتوسط هو مشروع وقاية من الأخطار، بمعنى أنه درع يقى أوروبا من أخطار الإرهاب، والهجرة غير الشرعية، وخطر تجدد الحروب فى الشرق الأوسط، وفوق ذلك إيجاد «فضاء بديل» لتركيا عن الفضاء الأوروبى الطامحة إليه، فى سعيها الجاد للانضمام للاتحاد الأوروبى.

الموقف التركى!!

ويعتبر «ساركوزى» صاحب مشروع الاتحاد من أجل المتوسط بموقفه الرافض لالتحاق الأتراك بالاتحاد الأوروبى، أنه أوجد بالمشروع الجديد فضاء آخر للطموح التركى، وهو ما أثار حفيظة التركية

«تلاعبا سياسيا»، مما دفع رئيس الوزراء التركى «رجب طيب أردوغان» إلى التردد كثيراً قبل إعلان حضوره. قمة باريس فى ١٣ يوليه ٢٠٠٨ لولا تعهدات الفرنسية على الإقرار فى بيان إعلان الاتحاد بأن تركيا «تبقى بلدا مرشحا للاتحاد الأوروبى» وفى هذا الصدد قال «أردوغان» إن «الاتحاد من أجل المتوسط ليس بديلا للمفاوضات على الانضمام للاتحاد الأوروبى».

الصراع العربى الإسرائيلى

ويرى بعض المحللين أنه إذا كان من الأهداف الرسمية المعلنة للاتحاد من أجل المتوسط، تعزيز التعاون الاقتصادى والأمنى والمتمثل فى إنجاز مشروعات اقتصادية لدول جنوب المتوسط ومكافحة الإرهاب وإنقاذ البحر المتوسط من التلوث، بالإضافة إلى مكافحة الهجرة غير الشرعية من جنوب البحر المتوسط إلى شماله فى أوروبا. فإن ثمة أهدافا غير معلنة مثل جذب سوريا بإغراءات اقتصادية، من دائرة الممانعة إلى دائرة الدول الرافضة لمشاريع المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلى وترسيخ النفوذ الفرنسى فى المنطقة. فى مقابل تمدد النفوذ الأمريكى، إضافة إلى صهر الدول العربية وإسرائيل فى بوتقة مصالح اقتصادية وسياسية مشتركة. قد تؤدى إلى تنازلات فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية لكننى أرى أن سوريا مازالت متمسكة بتحرير الجولان ومصرة على مقاومة الاحتلال مهما كانت الإغراءات والوعود المعسولة ومن ناحية أخرى أن لدى «ساركوزى» رغبة فى استخدام الاتحاد من أجل المتوسط لإحداث اختراق فى الصراع العربى -الإسرائيلى، وهو ما يؤكده العديد من خبراء الفرنسيين. ومن جانب آخر يقول «باسكال بونيفاس» مدير معهد العلاقات الدولية الاستراتيجية بباريس إن ساركوزى جاء بهذا المشروع للدوران حول مسار برشلونة الذى فشل منذ عام ١٩٩٥ فى معالجة الصراع العربى - الإسرائيلى».

ويتساءل «بونيفاس» متشككا ما حدود قدرة ساركوزى ومشروعه المتوسطى على إنهاء الصراع العربى - الإسرائيلى الذى عجزت عن حله حتى الآن كل المنتديات والمنظمات والقمم الدولية. أم أن الأمر يتعلق بكسر حالة الممانعة العربية، والإيهام بالتطبيع عن طريق مصافحة بين الزعماء العرب وقادة إسرائيل؟

والحقيقة أن الدولة العبرية تأمل فى أن يشكل إطلاق الاتحاد من أجل المتوسط خطوة على طريق تطبيع علاقاتها مع الدول العربية لقد قدمت إسرائيل التى مثلت فى قمة باريس للاتحاد المتوسطى برئيس وزرائها «إيهود أولمرت» ووزيرة الخارجية «تسيبى ليفنى» دعما من دون تحفظ للمشروع الفرنسى الجديد الذى أطلقته باريس على أمل الاستفادة من هذه القمة فى التقريب بين العرب وإسرائيل، دون تحريك لعملية السلام التى لازالت جامدة

وفى هذا السياق قال الناطق باسم الحكومة الإسرائيلية «مارك ريجيف»: «لقد اعتبرت إسرائيل على الدوام أنه فى مصلحة كل شعوب المتوسط تعزيز تعاونها لذلك نحن نرحب بالمشاركة فى الاتحاد من أجل المتوسط، لكن «عمرو موسى» الأمين العام للجامعة العربية أكد فى بيان صحفى له «أن الاتحاد من أجل المتوسط لن يكون للتطبيع مع إسرائيل، ما لم تقلع عن سياسة المستوطنات. وتتجاوب مع السلطة الفلسطينية لإقرار السلام العادل والشامل».

ودعا «عمرو موسى» إلى ضم الدول العربية غير المتوسطية فى إطار هذا الاتحاد مثلما أن الدول الأوروبية غير المتوسطية من الاتحاد الأوروبى ممثلة فيه. واقترح الأمين العام للجامعة العربية أن يكون التمثيل العربى غير المتوسطى فى شكل منتدى يعقد على هامش كل اجتماع يعقده الاتحاد من أجل المتوسط.

الرفض الليبى

ومن اللافت أن ليبيا لم تحضر قمة الاتحاد من أجل المتوسط فى ١٣ يوليه ٢٠٠٨ إذ أعلن الزعيم الليبى «معمر القذافى» رفضه القاطع لمشروع الاتحاد من أجل المتوسط الذى وصفه بـ «حقل الألغام والخيف» وقال «يجب ألا نجازف بأى حال من الأحوال بتمزيق الوحدة العربية أو الأفريقية، وعلى شركائنا الأوروبيين أن يفهموا هذا جيدا، وأضاف قوله «أنا قبلت فكرة صديقى ساركوزى، عندما كان المشروع تعاونا وشراكة تجمع ٦-٦ أى الدول الأفريقية والأوروبية الست المطلة على البحر المتوسط من الجانبين ولكن ألمانيا رفضت ذلك وقالت «نحن لن نسمح بتقسيم أوروبا»



القذافى   أردوغان

فى المقابل نحن أيضا لن نقبل بتجزئتنا عربيا أو أفريقيا».

وأضاف الزعيم الليبى «أن الاتحاد المزعوم سيمزق العرب إلى ثلاثة أجزاء: الأول العراق والجزيرة العربية، والثانى السودان والصومال فى قلب أفريقيا، والثالث ثمانى دول متوسطية عربية مقابل الطرف الآخر وهو عبارة عن كتلة واحدة ممثلة فى الاتحاد الأوروبى لذلك سيكون العرب هم الطرف الخاسر» ويتساءل الزعيم الليبى ما الندية بين ٣٤ دولة أوروبية و٨ دول عربية؟.. لا يوجد توازن» ويرى أن هذا المشروع سينظر إليه على أنه «سيجعل الدول العربية تابعة لأوروبا. لأنه لا توجد ندية فى العلاقات».

الشراكة الأوروبية

ومن جهة أخرى أعربت ألمانيا عن قلقها من أن يؤدى هذا المشروع الفرنسى إلى إضعاف الشراكة الأوروبية المتوسطية المعروفة باسم «عملية برشلونة» ولذلك طالبت «أنجيلا ميركل» مستشارة ألمانيا بأن تنضم جميع دول الاتحاد الأوروبى إلى مشروع الاتحاد من أجل المتوسط، وأن يكون هدفه هو

إحياء عملية برشلونة، على أن تكون أوروبا جزءاً من المشروع، وعلى أن يتم مناقشة كل عمليات التمويل من خلال المجلس الأوروبى وبهذا يمكن أن يندرج الاتحاد من أجل المتوسط داخل سياسة متوسطية للاتحاد الأوروبى بدلا من أن يكون مشروعا منفصلاً.

وقال كبير المفاوضين الفلسطينيين «صائب عريقات»: إن الاتحاد من أجل المتوسط يشكل خطوة فى الاتجاه الصحيح، لكن أى مشروع تعاون إقليمى لا يمكن أن يعمل بشكل كامل إذا استمر الاحتلال الإسرائيلى.

وقال رئيس منظمة رجال الأعمال المغاربة مولاى «حفيظ العلمى»: «على أوروبا أن تنظر إلى شركائها فى ضفة المتوسط الجنوبية، ليس كدول فقيرة، يجب أن تتصدق عليها بل كشريك كامل المصداقية»، وأعلن وزير الخارجية الجزائرى «مراد مدلسى»: «أن دول الضفة الجنوبية للمتوسط، تخشى أن تحتكر المفوضية الأوروبية القرار لأن علاقاتنا بالاتحاد الأوروبى غير متوازنة، والقرار يعود حاليا لمن يملك الأموال والكفاءة» بينما قالت «آمنة شيتوى» الوزيرة التونسية المنتدبة للشئون الخارجية والمكلفة بمشروع الاتحاد من أجل المتوسط «إنها مبادرة واعدة من شأنها أن تضمن لدول جنوب المتوسط وسائل تحقيق طموحاتها من تكامل واندماج مع الاتحاد الأوروبى».

ووصف «عمرو موسى» الأمين العام للجامعة العربية، اجتماع قمة باريس بشأن الاتحاد من أجل المتوسط بأنه «فكرة جيدة، ولكن يجب التأكيد أن المؤسسة الجديدة هى تطوير لعملية برشلونة وفى إطارها».

وترى الدكتورة «ماريا انجيلاروكى» مديرة دراسات معهد كتلانيا للتوسطى ببرشلونة «أن فرص نجاح الاتحاد من أجل المتوسط رهينة بوجود إرادة من دول الضفة الجنوبية للمتوسط والاتحاد الأوروبى لتفعيل القرارات والمشاريع التى أقرت». وفى ردها على سؤال ماذا يحمله الاتحاد من أجل المتوسط من جديد مقارنة مع مسار برشلونة، قالت الدكتورة «ماريا انجيلا»: إن مسار برشلونة كان طموحاً جداً، وكان ذلك ضرورياً. وقد كانت أهميته فى انطلاقه ثلاثة أبعاد: اندماج اقتصادى وفضاء إقليمى للأمن والاستقرار بالإضافة إلى دور المجتمع المدنى».

وتعتقد الخبيرة الأسبانية «ماريا» أن من عوامل عرقلة مبادرات الشراكة بين ضفتى المتوسط، وجود نزاعات مزمنة مثل نزاع الشرق الأوسط بين إسرائيل وجيرانها العرب وقالت «إنه مشكل خطير جداً حيث نجد نزاعات كثيرة فى بلدان الجنوب، مثل النزاع الجزائرى - المغاربى حول الصحراء الغربية، وهو ما يجعل من الصعب أن يتقدم مسار الشراكة على مستوى أفقى بين بلدان الجنوب».

ويذهب الاتحاد الأوروبى إلى أن الاتحاد من أجل المتوسط سيعطى دفعة قوية للعلاقات بين دول الشمال والجنوب المتوسطية من خلال ثلاثة طرق: الأول تحسين مستوى الحوار السياسى بين الاتحاد وشركائه المتوسطيين. والثانى إعادة توزيع المسئولية عن علاقتنا جماعية بشكل متوازن. والثالث إطلاق برامج ومشاريع إقليمية مفيدة للمواطن على نحو يجعل العلاقات بين الشمال والجنوب واضحة أكثر بالنسبة له.

الديمقراطية وحقوق الإنسان

والجدير بالذكر أن القمة الأولى للاتحاد من أجل المتوسط التى بدأت أعمالها يوم الأحد ١٣ من يوليو ٢٠٠٨ فى باريس، أثارت موجة من الاعتراضات من جانب عدة منظمات حقوقية فى ضفتى البحر الأبيض المتوسط، الشمالية والجنوبية. أهمها الشبكة الأورومتوسطية لحقوق الإنسان، والفيدرالية الدولية لروابط حقوق الإنسان، ومركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، إذ اعتبرت هذه المنظمات أن ملف الديمقراطية وحقوق الإنسان وهو الجانب المهم الغائب من مشروع الاتحاد من أجل المتوسط، وانتقدت فيه «التركيز فقط على المشروعات الاقتصادية، والتغاضى عن تطلع شعوب جنوب المتوسط إلى التمتع بالحريات الأساسية، التى هم محرومون منها بالفعل. واقترحت هذه المنظمات الحقوقية الثلاث على الاتحاد من أجل المتوسط بعث ركائز لرسم سياسة جديدة تدعم العلاقات بين دول الشمال والجنوب المتوسطى، الأولى: وضع احترام حقوق الإنسان والديمقراطية فى مرتبة الصدارة فى السياسة الخارجية للاتحاد من أجل المتوسط، والثانية الإسهام بشكل نشط فى تحقيق السلام فى المنطقة المتوسطية، خاصة فى الشرق الأوسط، عبر تنفيذ قرارات المجتمع الدولى ذات الصلة الرامية إلى إنجاز سلام عادل ودائم، والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى، والثالثة: كفالة حقوق المهاجرين من جنوب المتوسط إلى شماله الأوروبى، الذين هم ضحايا لسياسة عقابية وأمنية صارمة، والرابعة: الاعتراف بنشطاء المجتمع المدنى، خاصة للمنظمات غير الحكومية المعنية بالدفاع عن حقوق الإنسان.

ومن ناحية أخرى حذرت هذه المنظمات الحقوقية من غض البصر عن مقاييس احترام الحريات الأساسية، وحقوق الإنسان لدى البلد الذى سيشارك فى رئاسة الاتحاد خلال الدورات المقبلة، وكذلك لدى البلد الذى سيستضيف أمانته التنفيذية، وهو ما يعنى ضرورة احترام دول جنوب المتوسط بخاصة، للديمقراطية وحقوق الإنسان، والحكم الصالح كشرط لرئاسة الاتحاد، أو استضافة أمانته التنفيذية.

وفى الختام يمكن القول: إنه يجب على الاتحاد من أجل المتوسط إذا أراد بالفعل مساندة دول جنوب المتوسط، أن يحقق التوازن بين جانب المشروعات الاقتصادية والأمنية والبيئية، وتعزيز الديمقراطية، ودعم عملية السلام فى الشرق الأوسط، وإقامة منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، وإحلال الاستقرار والأمن، وتحقيق الازدهار الاقتصادى، وتحسين التفاهم بين الثقافات، وضمان احترام كل الديانات والمعتقدات، وكلها أهداف تقتضى تعاون وتنسيق كامل بين دول الشمال المتوسطى الغنى، ودول جنوبه الفقير المتعطشة لمزيد من التنمية واحترام حقوق الإنسان، سواء بسواء.

بين الصحف





إعداد

محمود الفشني

علاء عبد الرحمن

ليست كارثة مصر وحدها

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ طارق الحميد في جريدة الشرق الأوسط الصادرة في ٢٠٠٨/٩/٩ يقول:

كم هي مؤلمة مشاهدة صور ضحايا الانهيار الصخري في منطقة الدويقة الشعبية في شرق القاهرة، ومحاولة إنقاذ من هم تحت الأنقاض يستغيثون طلباً للنجدة، ورؤية ذويهم والألم يمزقهم.

لكن المؤسف هو أن الأحزان تمر بنا وتعودناها بكاء ساعة، وصراخ يوم، ومناكفة لمدة أسبوع وبعد ذلك ينفض المولد حتى تحل بنا كارثة جديدة على غفلة، لأننا لا نكترث بالكوارث، قدر ما أننا نجيد الصراخ. المناطق العشوائية ليست كارثة مصرية فقط، وإن كان نصيب مصر منها كبيراً نظراً لارتفاع عدد السكان، فالقاهرة وحدها بها قرابة ٨١ منطقة عشوائية، وحوالي ٨ملايين نسمة يعيشون في تلك العشوائيات التي تحتل ٤٥٪ من مسطح القاهرة.

ومع ضرورة التوضيح بأن أزمة المناطق العشوائية دولية، إلا أن خطرها يتهدد جل دولنا العربية، والقلق أن حجم خطورتها يتفاوت بين دولة وأخرى. المناطق العشوائية خطر على ساكنيها، وعلى أمن أوطاننا، فالقضية أكبر من معاناة فقراء، إنها مشكلة انعدام شروط السلامة والصحة والأمن. وهي مرتع للجريمة بأنواعها.

فالمناطق العشوائية تآكل مستمر للمدينة، وبنيتها التحتية، حيث إنها خارج نطاق الإحصائيات، وخارج مساحة المؤسسات التعليمية والصحية وتحت خط الفقر، مكان العشوائيات هم بشر داخل الدولة، لكن خارج نظامها الأمني أو الصحي، غير موجودين على خارطة الخدمات بكل أنواعها.

فالمناطق العشوائية تشكل بؤراً للجريمة المنظمة من قتل وسرقة ومخدرات. حيث الحياة السائبة. التي تتشكل بمنأى عن المجتمع وخارجها سياق تطوره الطبيعي. إذ تتحول كثير من المناطق العشوائية إلى مناطق يصعب على رجال الأمن أحيانا دخولها ناهيك من دخول فرق الإنقاذ لإسعاف المحتاجين والمتضررين.

في عشوائيات أحياء تشكلت بشكل عشوائي من دون تخطيط مدني لشبكة طرق وخلافه. ومالم تشرع الدول العربية في الاهتمام بمناطق العشوائية، وتقوم بعمل شجاع تجاه المقيمين غير القانونيين، بحيث تنصف من يستحقون الإنصاف وتنظم إقامة من يستحقون الإقامة، مع الشروع في مشاريع تحد من الهجرة المتسارعة أبناء القرى إلى المدن، فسوف تواجه دولنا العربية كوارث قادمة، فالمناطق العشوائية قنابل موقوتة.

إصلاح الأمم المتحدة

تحت هذا العنوان في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠٠٨/٩/٣ كتب المحرر يقول:

>> بعد تجربة من التعامل تجاوزت نصف قرن اتفقت دول وشعوب العالم على ضرورة إصلاح الأمم المتحدة.. إلا أن حق الفيتو في جهازها الرئيسي مجلس الأمن الدولي- عرقل من تحقيق أهدافها المرجوة والمذكورة في الميثاق وضرورة تواجد المنظمة وتطورها لتكون مكاناً محميا لمناقشة المشكلات والنزاعات الإقليمية والوصول إلى حلول عادلة لها.. بسبب تمتع الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن بحق الفيتو.. ولدى فقد التوازن والموضوعية في استخدامه بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي.. حيث تشهد العالم ظاهرة تكبيل تكبيل من جانب الولايات المتحدة وعدم المصداقية وحماية طرف العدوان ضد أصحاب الحق.. مثل منع الفيتو للإدانات المتكررة للعدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني والأمة العربية.

>> ومن هنا ويهدف الحفاظ على بيت العالم ليقوم بالأهداف المرجوة، ولمنع اندلاع حرب نووية لا تبقى ولا تذر فقد بدرت الأمم المتحدة بالسعي الجدي لإصلاح المنظمة الدولية والمؤسسات العاملة تحت مظلتها، وأسفرت هذه الجهود عن اقتراحات موضوعية تتبناها العديد من الدول والتكتلات الإقليمية مثل عدم الانحياز، ومن المنتظر أن تكون أحد البنود الأساسية في مؤتمر قمة عدم الانحياز بشرم الشيخ خلال العام القادم.

محاربة الاحتكار

تحت هذا العنوان كتب الدكتور/ محمد المسير في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٨/٩/٤ يقول:

مجتمع المسلمين مجتمع متكافل، يأخذ بعضه بيد بعض تحقيقاً لمعنى الأخوة في قوله تعالى

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

والتجارة أمانة وشعارها الصدق في المعاملة، والتاجر الأمين له منزلة رفيعة في الدين قال رسول الله ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» والتجارة في الإسلام تتنافى مع الاحتكار، وواجب ولي الأمر هو مقاومة الانحراف بكل أشكاله. والاحتكار هو احتباس السلعة انتظاراً لغلاء سعرها، ويكثر وقت الندرة، ويترتب على الاحتكار ضرر بالناس وربح غير مشروع، ويدل الاحتكار على خلق ذميم وشح قاتل فإن المحتكر يفرح عند حزن الناس، ويحزن عند فرحهم. وليس هذا من أخلاق المؤمنين. ثم إن الاحتكار يثير الحقد بين الناس ويدفعهم إلى صراع

للأمة وهذا ما يأباه الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «من احتكر يريد أن يغالي للمسلمين فهو خاطئ وقد برئ من ذمة الله».

انشطار قضايا الأمة

في جريدة الأخبار بعددها الصادر في ٢٠٠٨/٩/٧م قال بدر الدين أدهم:

كان العرب على عهد الدكتور عصمت عبد المجيد أمين عام الجامعة العربية قد اتجهوا فوراً لتقليص بنود أعمال اجتماع وزراء الخارجية العرب والتخلص من الحشو غير المفيد في جدول الأعمال تحت مسمى «البند الدائم» يومها اقترح أحد الوزراء العرب تحديد موضوعات البحث في ٤ موضوعات كان يومها العرب يواجهون قضية رئيسية هي احتلال إسرائيل لفلسطين وقضايا متعددة كاحتلال إيران جزر الإمارات وتفرد إسرائيل بامتلاك السلاح النووي لكن الوزراء أمامهم ٣٣ ملفاً شائكاً فقد انشطرت قضايا الأمة؛ ففلسطين لم تعد قضية احتلال إسرائيلي وضياع القدس بل أصبحت مائة قضية أخطرها صراع الفصائل على السلطة واحتلال حماس لغزة وحوار لا حياة لمن تنادي.

وجزر الإمارات انشطرت هي الأخرى حتى رفعت إيران علمها على أبوموسى العربية، ولبنان وسوريا كالنار فوق الهشيم ورؤية بوش ومبادرة السلام العربية تاهت في حطام الانتخابات الأمريكية حتى كوندا ليزا لم تحقق شيئاً والعراق تتكالب عليه الأمم حتى مياه نهر الفرات سيطرت عليها تركيا وأصبح شط العرب يسيطر عليه طهران ومصدر النهرين دجلة والفرات تحت ولاية أنقرة. وناهيك عن السودان الذي أصبح شماله يصارع شرقه وغربه وأصبحت دارفور على لسان كل من هب ودب حتى رئيسه أصبح مطلوباً للمحاكمة وسقطت الصومال في أيدي الجماعات المسلحة ونسي العرب القدس والمسجد الأقصى الأسير وآلاف اللاجئين الفلسطينيين أسرى لصراع الأخوة الفلسطينيين. ماذا سيفعل وزراء الخارجية العرب بعد أن اجتمعوا على مائدة رمضان؟!

نشر حقيقة الإسلام واجب شرعي

في دراسة نشرتها جريدة الأحرار في عددها الصادر في ٢٠٠٨/٩/١٦ كانت لنا وقفة مع هذه الدراسة التي تقول:

تعيش الأمة الإسلامية أخطر مراحلها في ظل سيطرة الأنظمة العلمانية الحاسمة بالإضافة إلى محاربة الغرب للإسلام باسم مكافحة الإرهاب وتجفيف منابع الدين وتصادم الحضارات وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه المرحلة التي تعيشها أمته بقوله صلى الله عليه وسلم تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. وتوضح الدراسة التي أعدها الباحث الإسلامي طه أحمد حميد أن أمتنا تعيش الآن صراعاً تزيحت فرعنته قوى الغرب والشرق وأدى إلى حرب شمولية وعقائدية وفكرية واقتصادية واجتماعية وعلمية وكان من أبرز أدوات هذا الصراع الحرب الإعلامية التي سبقت ومهدت بل وجنت أول الثمار لبداية الحرب العسكرية التي مازلنا نعاني منها حتى الآن الآثار المباشرة لهذا الصراع الذي بلغ ذروته باحتلال العراق.

ويؤكد الباحث أن الإعلام الإسلامي يعاني ضعف أمام قوة الإعلام المضاد المضلل حيث إن علامات لا يزال يعاني قصوراً في تكوين رؤى عمل إسلامي صحيح تحدد قضاياه الرئيسية وما يواجهه من تحديات وأخطار. ويشير الباحث إلى أن أهمية الإعلام الإسلامي تتجلى في إدراكنا حاجة الإنسانية إلى الإسلام وإلى فيه حقيقة رسالته وضرورة تبليغها إليهم وهذا من أهم واجبات المسلمين لذلك كان الإعلام الإسلامي ضرورة حتمية حتى يكون الكافر بعد ذلك قد كفر عن بينة. للتأكيد على أن الإسلام يهتم بأمور كل مسلم تأكيداً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، وهذه إحدى وظائف الإعلام الإسلامي الذي ينظر إلى جميع الأحداث من أخبار ومعلومات وأحكام بمنظور إسلامي أصيل وهو يتبنى قضايا المسلمين وإبرازها وتحليلها ويعرض أنجح الحلول لها. ويشير الباحث إلى أهمية الإعلام الإسلامي في ضرورة القيام بدوره في تزويد الجماهير والرأي العام بحقيقة الإسلام ورد الشبهات والأباطيل عنه وكشف الدعاوى والأفكار المضادة والمضللة خاصة بعد الفتح الإعلامي السلبي الغربي والعربي الموالي للغرب والتواصل على الهجوم على الإسلام ورسوله والمسلمين. ويضيف الباحث أن بعض الباحثين الإسلاميين يرون أن الإعلام فرض عين على كل مسلم بقدر طاقته ويرى البعض بأنه فرض كفاية وآخر يرى أن خصائص الإعلام الإسلامي لابد أن يتميز بأن يكون إعلاماً عقائدياً ملتزماً وله رسالة واضحة.

مصر وترتيب البيت الفلسطيني

في جريدة الأهرام المسائي بعددها الصادر في ٢٠٠٨/٨/٣١ كدراسة تحرير في جهود مصرية متواصلة لتهدئة الأوضاع في الأراضي المحتلة وعودة وحدة الصف الفلسطيني لتؤكد أهمية تفعيل الحوار بين الفصائل الفلسطينية وهو الحوار الذي أسفر عن نتائج إيجابية لصالح الشعب الفلسطيني وانعكس بالنفع على تهدئة الأوضاع في غزة والضفة بعد الأحداث المؤسفة بين حركتي فتح وحماس. ودائماً ما تهدف السياسة المصرية إلى تحقيق المصالح الفلسطينية بالدرجة الأولى حيث تقوم مصر وبصفة مستمرة بإرسال المعونات والمساعدات الغذائية والطبية لأبناء غزة وكذلك فتح. وفي السياق نفسه فإن حوار الفصائل الفلسطينية الذي استضافته القاهرة يسعى لإيجاد تقارب بين الفصائل في وجهات النظر. ونعتقد أن إعادة وحدة الصف الفلسطيني من جديد وترتيب البيت من الداخل يتطلب جهوداً كبيرة من جميع الأطراف الفلسطينية لدعم الجهود المصرية المستمرة التي تبذل في هذا الشأن ولتفويت الفرصة على إسرائيل التي تسعى من خلال الممارسات غير الشرعية لها ضد الفلسطينيين إلى تقويض جهود السلام وتدمير أي مبادرة لصالح القضية الفلسطينية. وإذا كان الدور الدولي تجاه القضية الفلسطينية قد تراجع في ظل غياب أي دور حقيقي للرباعي الدولي ونتيجة الأوضاع في جورجيا والانتخابات في أمريكا. فإن ذلك يجب أن يشكل حافزاً حقيقياً للشعب الفلسطيني على الوحدة ونبذ الخلافات لصالح القضية المصيرية والسعي لتحقيق حلم إقامة الدولة الفلسطينية

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

تعقيب على مقال خطأ في دلالات الألفاظ وجب رده

[illegible]
أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة

الحمد لله رب العالمين. أستفتح به وأستهديه. وأعتمد عليه وأرتجيه والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأشرف المرسلين. سيدنا محمد الصادق الأمين. الذي جاء بالملة السمحة والعقيدة المنزهة. والرسالة المحكمة. وعلى آله وأصحابه وتابعيه. الذين أفنوا حياتهم في طاعة ربهم. وخدمة دينهم. وبينوا للناس القواعد والأحكام وفصلوا شريعة الله أتم تفصيل وأحكم تبيان. ووثقوا ذلك كله أتم توثيق. حتى لا يكون عرضة للضياع والإهمال

أو يعتري الناس فتورٌ ونسيان. فجزاهم الله خيراً. ونفعنا بهم في دنيانا وأخرانا.

«وبعد»،

فقد شاءت الأقدار أن أطلع على مقال منشور بمجلة الأزهر / عدد شعبان سنة ١٤٢٩هـ تحت عنوان «خطأ في دلالات الألفاظ وجب رده» لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي جاء في نهايته تساؤل مؤداه. هل توجد مبررات للتعقيد اليوم مع بداية الألفية الثالثة في علم أصول الفقه على وجه الخصوص؟ ثم استرسل في كلامه قائلاً: «ومهما يكن من أمر فلا أجد مبرراً معقولاً ولا عذراً مقبولاً عن سؤال ورد في امتحان نهاية هذا العام ٢٠٠٨م للسنة الخامسة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة ونصه كما يأتي وأنقله بأمانة كما ورد في ورقة الأسئلة:

س٣: «يرى الفلاسفة أن محل العقل الدماغ. بينما يرى الأصوليون أن محله القلب» فيم استدلا «هكذا» هؤلاء وأولئك مبيناً وجه الدلالة. وبم رد الأصوليون؟ وما استدل به الفلاسفة وإذا كان هناك مجال للتوفيق بين ما قاله أولئك وما ذهب إليه هؤلاء فكيف يكون؟

هكذا أورد نص السؤال. ومع أنه قد قال «وأنقله بأمانة كما ورد في ورقة الأسئلة» إلا أنه لم يكن أميناً في النقل إذ ترك علامات استفهام. ووضع بعضها في غير محلها.

ومن ثم جاء السؤال مبتوراً الأمر الذي أدى إلى ركاكة في الصياغة وصحة السؤال كما ورد بورقة الأسئلة المرفقة هكذا:

س٣: «يرى الفلاسفة أن محل العقل الدماغ. بينما يرى الأصوليون أن محله القلب» فيم استدلا هؤلاء وأولئك؟ مبيناً وجه الدلالة. وبم رد الأصوليون ما استدل به الفلاسفة؟ وإذا كان هناك مجال للتوفيق بين ما قاله أولئك وما ذهب إليه هؤلاء فكيف يكون؟

هكذا ورد السؤال في ورقة الأسئلة مع خطأ من المطبعة في كلمة «استدلا» حيث إن صحتها «استدل» بدون ألف وقد خاطبت المسئولين بالمطبعة بهذا الخصوص. وبالتالي فلا ينسب الخطأ إلى واضع السؤال.

وأقول للشيخ الكريم أين التعقيد في هذا السؤال؟ اللهم لا تعقيد فالكلام سهل ميسور. فكيف تقول: إن خيالك مهما بلغ من جنوحه لا يصل إلى هذا التعقيد؟؟؟ ثم تتساءل قائلاً قبل هذا يدخل في علم أصول الفقه؟ وأبادرك الإجابة فأقول: نعم. إنه لا يدخل في علم أصول الفقه فقط بل هو من أهم موضوعات أصول الفقه. ولا غرو فإن العقل مناط التكليف. به يثيب الله وبه يعاقب. وبه يأخذ وبه يعطي ولا أدل على علو مكانته وسمو منزلته من أن دعوة الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته تعتمد أول ما تعتمد على العقل والنظر في الكون اقرأ معي قول الحق جل في علاه.

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٣٠)

والعقل هو النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان عموماً وميزه بها على غيره من مخلوقات هذا العالم وهي نعمة متفاوتة بالنسبة لسائر البشر إذ وصول النعمة لهم شيء وتفاوتهم في هذه النعمة شيء آخر. فكما أن الناس يتفاوتون في نعمة الإبصار ونعمة السمع قوة وضعفاً. ويتفاوتون في نعمة المال على درجات مختلفة من الغنى فكذلك الأمر بالنسبة للعقل. وقد بين الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن الناس يتفاوتون في الفقه والفهم والتذكر والتدبر والاعتبار وأن بعض الناس قد أوتي من الفطنة والحكمة ما لم يتوفر لآخرين

﴿ ... الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٦٩)

من هنا كان العقل ساحة حوار ونقاش. وميدان أخذ وعطاء بين الفلاسفة والفقهاء.. وكان لابد من تناول هذا في دراستنا من حيث تعريفه وتفاوته ومحله من الإنسان. خاصة وأن مقرر السنة الخامسة بكليات الشريعة والقانون بجامعة الأزهر يتمثل في موضوعين مهمين هما: «المحكوم به أو فيه والمحكوم عليه» ولا شك أن المراد بالمحكوم عليه هو الإنسان محل التكليف وموضع توجيه

الخطاب «إن أمراً وإن نهياً» إليه.

لولا العقول لكان أدنى ضيغم

أدنى إلى شرف من الإنسان(*)

هذا ما يتعلق بموضوع تعليق شيخنا على ما ورد بسؤالنا لطلاب السنة الخامسة بكليات الشريعة والقانون بالقاهرة دور مايو ٢٠٠٨م إلا أنني عندما اطلعت على مقاله كانت لي وقفات مع بعض ما ورد به أجد لزاماً عليّ إيرادها. وقبل إيراد هذه الوقفات أقول لفضيلة الشيخ إنه في ص١٢٧٤ من مقالته في المجلة قد اعترفت اعترافاً صريحاً وواضحاً بأن للعقل مجالاً في بعض الأمور حيث قلت: «إنه يوجعك إلى حد التأوه أن ترى من لا يعلمون أو أنصاف المتعلمين يتصايحون في معركة ليس للعقل فيها مكان».

بعد هذا أعود إلى وقفتي مع بعض ما ورد بالمقال:

أولاً: يقول فضيلة الشيخ: إن الدكتور جابر محمد محمود الشريف أستاذ بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة. وهذا الاسم لا وجود له بين جميع أعضاء هيئة التدريس بالكلية إما زملاء وإما تلامذة لنا ولا أعرف من يبتهم هذا الاسم.

ثانياً: يقول فضيلة الشيخ في ص١٢٧٣ (وما قاله الدكتور حق كله فالمحكم هو أقوى المراتب ثم الظاهر فالنص فالمفسر) وهذا خطأ علمي فادح. والصحيح ما ورد بنفس الصفحة نقلاً من كتاب «مباحث أصولية في تقسيمات الألفاظ» لابننا العزيز وزميلنا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبدالعاطي محمد علي حيث جاء فيه: «قسم العلماء الحنفية اللفظ باعتبار وضوحه في دلالته على معناه إلى أربعة أقسام الظاهر / النص / المفسر / المحكم. ثم عقب بقوله: «وقد رتبوها ترتيباً تصاعدياً».

ثالثاً: في ص١٢٧٥ يقول فضيلة الشيخ «إن كثيراً ممن كتبوا في أصول الفقه يعمدون إلى التعقيد والإبهام والإيهام» مستدلاً على ذلك بعرضهم لمسائل منطقية يرى أنه لا مبرر لها. متهماً إياهم بأنهم كانوا يرون ذلك لوناً من ألوان الشموخ العلمي. وفات شيخنا أن للمنطق منزلة تعلو على سائر العلوم إذ هو معيار العلوم أو ميزان العلوم أو مدخل لها. كما أنه العاصم للذهن عن الخطأ في الفكر. وكم كان الإمام السيوطي «رحمه الله» محقاً عندما قرر في كتابه «صون المنطق» أنه لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل. والصدق من الكذب. والخير من الشر. والحجة من الشبهة. والشك من اليقين إلا بما حويناه من المنطق.

ولا أدل على حاجتنا الملحة إلى علم المنطق من أن قانوني (العلية والاطراد) مطبقان في القياس الأصولي الذي هو أحد الأدلة الأربعة المتفق عليها. فقانون العلية يتلخص في أن لكل معلول علة أو أن كل شيء يحدث في الطبيعة إنما يحدث لسبب وأن نفس السبب يؤدي دائماً إلى نفس النتيجة. أما قانون الاطراد فمعناه أن العلة الواحدة إذا وجدت تحت ظروف متشابهة أنتجت معلولاً متشابهاً. وذلك يعني أن الأشياء إنما تحدث وفق نظام عام وطبيعي.

وأنت لو نظرت إلى القياس الأصولي وجدته منصباً على هذين القانونين. فحكم التحريم في الخمر مثلاً معلول بالإسكار. ومتى وجدت هذه العلة وجد لها نفس الحكم. ومن ثم فقد وجدنا الإسكار في الخمر ووجدنا التحريم ثم وجدنا الإسكار في أي شراب آخر جزمنا بوجود التحريم فيه.

ثم ما لنا نذهب بعيداً ألم تعلم يا فضيلة الشيخ أن عنوان مقالتك (خطأ في دلالات الألفاظ وجب رده) خير شاهد وأكبر دليل وأوضح برهان على مدى احتياج الأصوليين لعلم المنطق. فإن من أهم مباحث هذا العلم «مبحث الدلالة» التي هي بمعناها العام فهم أمر من أمر آخر. أو هي كون الشيء «الدال» بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر هو «المدلول» ثم يقسمها علماء المنطق إلى دلالة لفظية وأخرى غير لفظية ثم يقسمون اللفظية إلى وضعية وطبيعية وعقلية. وهكذا يقسمون الوضعية إلى: مطابقة / تضمن / التزام. وجميع هذه الأقسام نحن كأصوليين في حاجة ملحة إلى معرفتها والإلمام بها.

فلم تقلل من شأن هذا العلم؟ ولم تضع من قيمته؟! ولم تتهم من تعرضوا له بأنهم يرونه مظهراً من مظاهر الشموخ العلمي ولوناً من ألوانه؟! ولم تصفهم بأنهم كانوا يعمدون إلى التعقيد والإبهام والإيهام؟!!!!

رابعاً: الدعوة التي وجهتها لنا بتيسير علم أصول الفقه وتبسيطه حتى يصبح علماً ميسوراً مرغوباً فيه من خلال عرضه بأسلوب واضح قريب إلى الأذهان. دعوة كريمة لابد من أن نذكرك فنشكر. ونحن «والحمد لله» نعمل جاهدين على تحقيقها من خلال ما يوفقنا الله إلى كتابته في هذا المجال.

خامساً: في بداية مقال فضيلة الشيخ ص١٢٧٥ يقول فضيلته «ألم يأن الأوان لكي ننقي أصول الفقه من هذا التعقيد» ولا أدري كيف تقرأ الكلمة التي فوق الخط والتالية لكلمة «ألم»؟!!! إنها تقرأ والحالة هذه كما تقرأ كلمة «يأن» الواردة في قول الحق تبارك وتعالى في الآية السادسة عشرة من سورة الحديد

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾

إن هذا خطأ إملائي وقع فيه صاحب الفضيلة وجدنا أن الأمانة العلمية تقتضي الإشارة إليه

وأخيراً أهيب بصاحب الفضيلة كاتب هذا المقال ذي المشاعر الفياضة وصاحب الشعور المرهف الرقيق الذي تحرك قلبه أو احترق «على حد تعبيره» عندما رأى إخوانه المواطنين يقفون في حر الظهيرة يلتمسون الحصول على رغيف من الخبز الأمر الذي جعله يشغل عن الكتابة أو ينصرف عنها. أن يتقي الله فينا. وأن يتضرع إلى الله بقلب مخلص صادق بأن يوفقنا فيما نحن بصدده من مهمة التعليم والتثقيف. وأن يجعل كل ما بذلنا ونبذل في ميزان حسناتنا يوم يساق أهل الشر إلى سقر. ويساق أهل الخير إلى جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

* مستشار أسبق

طرائف .. ومواقف

الكبر يؤدي إلى الوضاعة

● قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[1].

● وكان يقال: من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل، ومن أنف من عمل نفسه اضطر إلى عمل غيره.

● وقال الشاعر:

رأيت الفتى يزداد نقصًا وذلة
إذا كان مسمورا إلى العجب والكبر

ومن ظن أن العجب من كبر همة
فإني رأيت العجب من صغر القدر

● وقال معاوية بن أبي سفيان: إن التواضع مع البخل والجهل، أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل. فيالها حسنة عفت على سيئتين كبيرتين، ويالها من سيئة عفت على حسنتين عظيمتين.

● وقال حكيم: من أصاب حظاً من جاه فأصاره إلى كبر وترفع، أعلم الناس أنه دون تلك المنزلة، ومن أقام على حاله أعلمهم أن تلك المنزلة دونه، وأنها دون ما يستحق.

وقال بعض المتهوسين بالكبر، وإنما نورده تفكهة

أتيه على جن البلاد وإنسها
ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسي

أتيه فما أدري من التيه من أنا
سوى ما يقول الناس في وفي جنسي

فإن زعموا أني من الإنس مثلهم
فمالي عيب غير أني من الإنس

في الظن والفراسة

● قال النبي ﷺ: «إن في كل أمة محدثين، أو مروعين، فإن يكن في هذه الأمة أحد فإن عمر منهم».

المحدث: المصيب في رأيه كأنما حدث بالأمر، والمروع: الذي يلقى الأمر في روعه أي قلبه أو عقله

● وقال علي رضي الله عنه: ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

● وقيل: اعتبر بما في قلب أخيك بعينه، فالعين عنوان القلب، وقد نظم شاعر هذا المعنى فقال:

ألا إن عين المرء عنوان قلبه
تخبر عن أسراره شاء أم أبى

هذا ولا يجوز أن ينسى أحد قوله تعالى:

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(الحجرات: ١٢)

فلا يسترسل في التظني، متوهما أنه من محدثين أو المروعين. فيتهم الناس بما لم يفعلوا اعتدادا بأوهامه.

عن الحسن البصري

رأى الحسن البصري أناسا يضحكون ويستهزئون بالناس في رمضان. فوقف أمامهم يقول: إن الله تعالى قد جعل رمضان مضمارا لخلقه يستبقون إليه بالطاعة فيه. فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب لمن يضحك في يوم يتسابق فيه المحسنون، ويخسر المبطلون.

ورأى قوما بعد صلاة العيد يتضاحكون في سخرية. فقال: إن هؤلاء إذا تقرر عندهم أن صومهم قد قبل، فليس هذا فعل الشاكرين، وإن علموا أنه لم يقبل فليس هذا فعل الخائفين.

العلم في الجنة

حضر الشريف التلمساني وهو صبي درس الأستاذ أبي زيد بن الإمام، فذكر الأستاذ في حديثه نعيم الجنة. فقال الشريف: هل يدرس العلم في الجنة يا أستاذ؟ فقال الأستاذ: نعم، قال ما دليلك؟ قال قول الله:

«فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين»،

والعلم يشتهى فهو موجود. قال الشريف: لو قلت لي لا، لحزنت فالحمد لله.

مثل لكرم

خرج عبدالله بن جعفر إلى ضيعة له، فنزل على بستان قوم. فرأى عبدا أسود يأكل. وقد جاء إليه كلب، فقدم له رغيفا مما معه، فأكله الكلب، ونظر إليه، فقدم له الرغيف الثاني، فأكله الكلب ونظر إليه فقدم له الرغيف الثالث، ولم يبق مع العبد شيء من الطعام، فدهش عبدالله وتقدم إلى العبد يسأله: كم قوت يومك؟ قال: ثلاثة أرغفة، قال ولماذا دفعتها كلها للكلب؟ قال العبد: إن أرضنا ليست بأرض كلاب، فلابد أن هذا الكلب كان جائعا وأتى من مكان بعيد! قال فماذا تفعل في يومك الطويل: قال أذكر ما صنعت فأشبع، فتعجب ابن جعفر وسأل عن سيد العبد، فاشتراه وأعتقه ووهب له مالاً وغنماً يرعاه!

نعمة البيان

● قال الله تعالى:

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(الرحمن ٣، ٤)

---

(١) صحيح مسلم

● وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسحرا»(٢).

● وقال الجاحظ: «البيان اسم جامع لكل كلام كشف لك عن قناع المعنى، وهتك الحجاب عن الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقة اللفظ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان».

● وقال أديب: «البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقنه، وموجزا ليخف على اللسان تعاهده».

● وقال ابن المعتز: «البيان ترجمان القلوب، وصيقل العقول».

● وقال سهل بن هارون: «البيان ترجمان العقول، وروض القلوب».

● وقد يعبر عن البيان بالفصاحة، فقال هشام بن عروة: «ما أحدث الناس مروءة أعجب إليّ من الفصاحة».

اجشع القوم

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

بين رؤبة وأبي مسلم

قال الأصمعي: حدثني رؤبة قال: دخلت على أبي موسى صاحب الدعوة للعباسيين، فلما بصر بي نادى يا رؤبة، فأجبته:

لبيك إذ دعوتني لبيكا
أحمد ربا ساقني إليكا
الحمد والنعمة في يديكا

قال: مل في يدي الله تعالى، ثم قلت: يأذن لي أمير المؤمنين في الإنشاد؟

قال: نعم، فأنشدته:

مروان ... صلت في قعطره
وعن بهيمه وعن سحره
مستعمرا لا يصطلي بناره
حتى أقر الملك في قراره

فقال: يا رؤبة نحن أتيناك وقد شف المال، واستنفده الإنفاق، وقد أمرنا لك بجائزة، وهي تافهة يسيرة، ومنك العود وعلينا المعول.

بين أديب ومتصدق

مر أديب كبير بشيخ يتكفف الناس على قارعة الطريق، فوقف يعطيه شيئا، ثم أخذ يبحث في جيوبه عن حافظة نقوده فلم يجدها، لقد نسيها في المنزل، وكان السائل المسكين لا يزال باسطا يده إليه ليتلقى ما يجود به، فما كان من الأديب إلا أن وضع يده في يد السائل وصافحه بشدة فتهلل وجه السائل وقال له:

أشكرك! هذه أيضا صدقة.

دعاء

اللهم يا عظيم الجناب، يا واسع الرحاب، يا قابل المتاب، افتح الأبواب، ويمن الكتاب، ويسر الحساب، وأجزل الثواب.

(٢) صحيح البخاري.

أيام من رمضان بين مكة المكرمة والمدينة المنورة

لفضيلة الشيخ/ طاهر الحامدي

لا أظن أن مسلما لا يعرف حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه «عمرة في رمضان كحجة معي...»(١).. ولا أحسب أن مسلما لم تطمح نفسه أو تتمنى أن يكحل عينيه ويمتع قلبه برؤية الكعبة المشرفة ـ شرفها الله وحرسها وحرسنا حولها ـ تهدهد أرواحنا كلما طفنا أو رملنا ـ نقبل الحجر أو نستلم الركن اليماني آناء داعين مبتهلين:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(البقرة: ٢٠١)

ثم يغسل روحه بماء زمزم يزيل عنها كل درن أو خطيئة.

كما أني لا أتخيل أن مسلما لا يهوى أو يتمنى المثول بين يدي رسول الله ﷺ عند زيارته في المدينة ويكلمه بكاف الخطاب ـ أعني ضمير المخاطب أمامه وبين يديه ـ قائلا له: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.. وأشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة.. فجزاك الله خير ما جزى نبيا عن قومه.

مشهد مهيب مفعم بالإيمان يبعث اليقين والرضا في قلب المسلم وهو يشاهد ويرى جموع المسلمين حوله يحيطون به.. يردد معهم ويرددون معه ابتهالات ودعوات كلها من أفئدة تهوى إلى هذه الأماكن المقدسة استجابة لدعوة أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ والتي وردت على لسانه في قوله تعالى:

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾

(إبراهيم: ٣٧)

قال صاحبي ـ كأنه ظهر فجأة وسط هذه

(١) متفق عليه.

الجمرع وقد بدا مُسلِّماً مُهنئاً داعياً بالقبول والرضا قال: لابد أن عندك مواقف وملاحظات خاصة ! .. حدثني عنها فقد اشتقت إلى ملاحظاتك وتأملاتك قلت متهللاً فرحا: مرحبا بك بعد غياب . ثم أردفت قائلاً : أراك على غير عادتك تركت حوارات العناد والمحادثة أو اللدد في خصومات فكرية، ثم أردفت معلقا، لعل ذلك من وحي الأماكن المقدسة فأهلا بك في كل حال ومرحبا.

أجاب صاحبي بلا تردد: نعم .. نعم لابد لهذا المشهد من فعل في حنايا الإنسان .. إنها مشاهد تعمل في الوجدان عملاً وتصب فيه السكينة والوقار . ثم واصل حديثه قائلا : ألا ترى إلى الحديث القدسي الذي رواه رسول الله ﷺ، عن رب العزة جل شأنه : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم[1] . أحسب أن كلمة إني صائم قد يتصور كثير من الناس أنهما بلا معنى لكني أراها ذات معان متعددة. فهي لتذكير الإنسان بأنه مع الله بصومه، وأنه داخل حرز وأنه ما دام قد أمسك نفسه عن الغير لوجه الله ولم يتراشق بالكلمات وأبى أن ينساق خلف من يسبه أو يجره للسباب. فهو يذكر نفسه بأنه صائم يأبى أن ينحدر إلى هذا المستنقع الآسن.

وفي نفس الوقت هذه الكلمة (إني صائم) ترد إلى ما ورد في الحديث وهو قوله تعالى : الصيام جنة، قال علماء اللغة والحديث .. يعني وقاية فـ (إني صائم) تذكير للمسلم بأنه في جنة وحرز ووقاية. وصدق الله العظيم حيث يقول وله المثل الأعلى:

﴿ وَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾

(القصص ٣٥)

وما دمت أنت في جنة الله وحرزه ووقايته فلن يصل إليك أحد ولابد أنك لا تنساق وراء متاعب أو مشاكس

ثم قلت لصاحبي منشرحا : إن نفحات الكعبة المشرفة نفحات من الرضا واليقين هبت على قلبك. فالحمد لله رب العالمين . ثم أردفت قائلا : إذن يطيب الحديث معك في ساحة الرحب إلا أنني لا أحب أن أنصرف عن هذا الرحيق المصفى إلى أنواع من الجدل .. وذلك ما دفعني للإعراض عن شاب كأنه أراد أن يستدرجني إلى أنواع من الجدل أعلم سلفا أنه لا طائل من ورائه .. فلا فائدة ترجى مع مثل هذه العقول (المبرمجة) ! ثم قلت لصاحبي : وهاك أولى الملاحظات في مكة المكرمة.

جلس إلى جواري قريب لي في سن الشباب كان رفيق الرحلة المباركة الميمونة وكنت أحب أن أجلس في ساحة الحرم المكي في مواجهة الكعبة فأنا دائما أحب أن أمتع نظري ووجداني وقلبي فأنا في مواجهة الكعبة أنظر إليها لا يحجبني عنها جدار أو بعاد حتى في صلاتي، خصوصا

[1] صحيح البخاري



وأنا مالكي المذهب، حيث إن الإمام مالك -رضي الله عنه- يرى أن على الإنسان أن ينظر أمامه ولا ينظر تحت قدميه أو إلى موضع سجوده، واستدل على ذلك بقوله تعالى:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

(البقرة ١٤٤)

وهو فهم استرحت إليه واستمتعت به في رؤية الكعبة حتى أثناء صلاتي طالما أن الله سبحانه وتعالى وفقني للدخول في الحرم فكنت أفعل ذلك في الجلوس أو الصلاة.

جلس إلى جواري قريبي يذكر اسما من أسماء الله تعالى يردده في همس وما هي إلا لحظات حتى هب (المبرمج) في انفعال متفلسفا متعالما يوجه قريبي بعدم ترديد (المبرمج المشفر) في داخله يتطاول في موجة غضب على الصوفية والتصوف والمتصوفة لكني كنت والحمد لله في عالم آخر وقريبي من الدهشة والخجل والجلال يأبى علي أن أنصرف عن هذه البهجة إلى كلمات جافة مردودة ممجوجة

وما أحس (المبرمج) بالصدود إلى لا غرو [illegible] علا صوته وبدا غضبه سيفجر في كلمات يريد أن يستفز بها لكني والحمد لله كنت أعيش فيما أنا فيه لأني أعلم سلفا أن الحوار لا طائل من ورائه وما دام الأمر كذلك فلا معنى للحوار حيث لا فائدة ترجى [illegible] (المبرمج) يوزع غضبه على كل من حوله يشبه المعتمرين الحرمين في غضب وضيق يردد دائما توجيهاته [illegible]

[2] صحيح مسلم



فسمعته يقول معتمر [illegible] حرمت [illegible] يحسب [illegible] من [illegible] حرمت من [illegible] [illegible] في غضب لابد أن تحرم من ذي الحليفة، أو ما يعرف الآن بأبيار علي وهي ميقات [illegible] المدينة [illegible] بكر وعمر رضي [illegible] ولست أدري لماذا لم يقل هكذا فعل رسول الله ﷺ ثم تناول معتمرا آخر أراد [illegible] عليه تعليمات الإحرام وأعمال العمرة، لكن الرجل كأنه أراد أن يتخلص منه فقال في سرعة كأنه يفلت من عقال: أنا والحمد لله أديت العمرة وتحللت .. ووجدها المبرمج الهائج فرصة !! فقال بعد أن نظر إلى شعر رأسه فلم يجده حليقا .. فقال له: كيف [illegible]

[illegible]

الهيبة والأبهة طوى الإمام -رضي الله عنه- رجله رغم ما به من ألم احتراما لهذا العالم المهيب!! وكان الناس يتكلمون عن متى يفطر الصائم، وماذا لو أكل أو شرب قبل المغرب؟ فقال الرجل ذو الهيبة: ماذا لو وجب المغرب قبل غروب الشمس؟!! فتفهم الإمام أن الرجل ظاهره مهيب عالم وباطنه لا يحكم من العلم شيئا!! فتنهد الإمام وقال: آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه ومد رجله. وصارت مثلا.

لكنني لم أقل مثل قول الإمام ولم يخطر ببالي أن أمدد رجلي داخل الحرم المكي الشريف في مواجهة الكعبة. لكني رأيت من واجبي أن أصحح أحكاما فقهية وردت، لقد سكت وتحملت الهجوم على التصوف والصوفية لأني أعلم أنه لا فائدة من الحوار، لكني والحق يقال لم أتمكن من الشاب، حيث إن الشرطة جاءت وفرقت مصلين بعد الصلاة ليتسع المكان للطائفين. وتألمت لأني أحسست بأني قصرت في دوري نحو تصحيح وتصويب أحكام فقهية.

ثم قضينا مناسكنا. أدينا عمرتنا بمكة المكرمة وحان وقت الرحيل إلى المدينة المنورة لملاقاة النور المحمدي. ولا أكتمكم سرا.. فلقد أحسسنا بالشوق والحب والهدوء النفسي والسكينة والهدوء وكأن عاشقا أو محبا يهدهده الحبيب في حب فيتسمون في غبطة وسرور وحبور.

ثم تشرفنا بلقاء سيدي رسول الله. ولا أقول أننا شفينا غلتنا برحيق اللقاء، لكننا نطمع في صدق أن تكتمل سعادتنا بأن نشرب من حوضك يوم القيامة بيدك الشريفة وأن نحظى بالشفاعة في الجنة وقد رضينا وبقي شوق إليك وقلته لثوبان -رضي الله عنه-: «المرء مع من أحب»[1] ويشهد الله أننا نحبك ونسأل الله أن يقبضنا على حبك.

قال صاحبي في جفوة أكرهها منه، لكنني أعهدها فيه: قال أحس أنكم تفرطون في حب المدينة والحديث عنها. ثم صمت بعد ذلك وأدرك أنه لو زاد في حديثه لم يجد مني غير التأنيب الذي يصل إلى حد القاتلة.. أليس من يقتل فيقتل دون ماله فهو شهيد ودون عرضه فهو شهيد!! وأي عرض بعد رسول الله ﷺ وأي كنوز تذهب تعمى عن محبته والولاء له ﷺ. ثم قلت: أنت يا صديقي لا تستطيع أن تفرق بين معنى تجده في مكة وآخر تجده في المدينة.. فأنت تخلط الأمور وتحسب أننا نريد إفراطا بحبنا للمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

ثم واصلت حديثي قائلا: مشكلتكم أنكم تفهمون ما تسمعون حسب أهوائكم، ثم تردون في عنف وجمود لكن الأمر يسير ومقبول لو أنك أحسنت أن تسمع وتفهم.. فدعني أقول لك بحرية وصدق: إن ما يسيطر علينا في مكة هو ما يمكن أن نسميه تجليا جلاليا. فتهيمن الرهبة والقهر والوجل بما لا تطيقه أفئدة كثيرة بل إنها تئن من وطأته وتكاد القلوب أن تنط لها وحق لها أن تنط.

أما ما ندركه في المدينة المنورة - زادها الله نورا - هو ما يمكن أن نسميه تجليا جماليا.. فيه الحب والدعة والحنان والبسط.. ودعني أذكر لك موقف حلو في المدينة أفرحني وأنعشني بهذا الجمال الفياض.

كنا نسير متجهين إلى الحرم النبوي قبل صلاة الفجر.. وعلا صوت رفيقي بالحديث عن جمود بلده وما تعانيه من ويلات نعانيه منها وغيرها. واقترب منه رجل مهيب وقور ذو شيبة وكأنه يقبض حبوبة وودا.. وأخذ يلتفت نظرنا في أدب ووقار.. إلى أنه لا ينبغي أن تشغل أنفسنا ونحن سائرون إلى حرم الله وحرم رسوله ﷺ بغير صلاة الصبح بغير ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله.. فذنا منا حتى سمعناه، وصمتنا عن الحديث فيما نحن فيه هيبة لوقاره وشيبته وسمعناه يردد ويرفع صوته بالصلاة والتسليم على رسول الله، فأدركنا أن الرجل ينبهنا ويوجهنا في أدب نبوي كريم إلى الأدب النبوي الكريم بأن علينا أن نشغل أنفسنا بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ ونحن قادمون عليه.

قال صاحبي كأنه يتهكم أو هكذا خيل إلي: وما هو ثاني الموقفين؟!.. قلت إنها مواقف متعددة لكني أذكر لك الذي حدثني بموقف علمنا الأدب والتواضع وأن نتطامن لله عز وجل وتذكرت قول ابن عطاء الله السكندري: «رب معصية أكسبت ذلا وانكسارا خير من طاعة أكسبت عزا واستكبارا». لكني أدرك قول ابن عطاء الله أننا لم يخطر ببالنا العز والاستكبار.

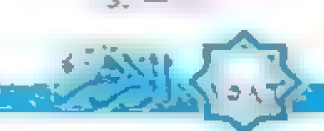
لكننا رغم هذا فما حدث وسوف أحكيه لك جعلنا نتعلم من شاب أحسب أن واحدا منا هو أكثر منا فضلا وخلقا، ونحن نعترف بهذا له، ونسأل الله أن يزيده منه وأن يكثر من أمثاله وأن يجعل المسلمين يتعلمون ويعرفون أن القدوة الصالحة خير من كثير كلام مهما علت بلاغته وسمت لغته.

فلقد جلسنا داخل الحرم النبوي وكانت ثمة فرجة في الصف.. جلست متأخرا عنها قليلا وجلس أصحابي حولي قليلا.. وكان يجلس قبل الفرجة شاب وضيء يبدو أنه سوداني.. لم يشعرنا أن هذا مكانه بين رفاقه لكنه نظر في حب إلى الفرجة ولم يلتفت إلينا، لكنه قد في سمت رفيع وتواضع جم قصد إلى رداء له وجد مكانه في المسجد فحمله ونفض عليه بسطه وكان حريصا على سجادة بعد تكييف الهواء.. وبسط عليه الرداء فتكاتفنا الناس عليه واجتمعوا فوق الرداء، فلم يشأ صاحب الخلق الرفيع أن ينهى الناس أو يزاحمهم لكنه ترك مكانه وذهب إلى مكان آخر يصلي فيه.

فلت الصحب ورفقتي هل رأيتم هذه القدوة الصالحة وهذا المثل النبيل وهذا الإيمان العميق وهذا التواضع السخي وهذا الإيثار الوفير، علنا نتعلم منه ونحن في حضرة سيد الخلق أجمعين ﷺ القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].



(١) السنن الكبرى للبيهقي



٦٠٠ عالم ومثقف يبحثون في جاكرتا بإندونيسيا تعزيز دور الإسلام كرحمة للعالمين

• محاور المؤتمر تركز على:

• بناء السلم ودرء الصراعات في العالم الإسلامي

• الالتزام بالقضاء على الفقر والأمية وحل الصراعات البينية.

• ضرورة تحصين المجتمعات الإسلامية من العناصر المحرضة على الكراهية والعنف والإرهاب

يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

من هذه الآية الكريمة، وما تحمله من معان سامية تحرص على الإنسان وتحقق إنسانيته ونؤكد على ضرورة المحبة والتعارف المستمر، انطلق المسلمون في شهري يونيو ويوليو الماضيين ومن خلال ثلاثة مؤتمرات، يحملون لواء السلام، وخطاب التفاهم بيننا وبين الآخر، بأن نؤمن بالله خالقنا، ونعبده وحده، ونتلمس هديه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وأن نواجه متحدين مظاهر الظلم والطغيان والاستعلاء، ونتعاضد في إنهاء الحروب والصراعات، والمشكلات الدولية، ونعمل سويا على إشاعة ثقافة التسامح والحوار، ودعم مؤسساته وتطوير آفاقه، واعتماده وسيلة للتفاهم والتعاون، وتوطيد ركائز السلم العالمي، والكشف عن إهدار موارد الإنسانية ومواهبها في إنتاج أسلحة الدمار الشامل التي تهدد مستقبل الأرض ومن عليها، والتعاون على إشاعة القيم الفاضلة وبناء منظومة عالمية للأخلاق، تتصدى لهجمة الانحلال الأخلاقي، وتواجه العلاقات غير الشرعية، خارج إطار الزواج، وتعالج الأخطار المحدقة بالأسرة، بما يصون حق الجميع في العيش ضمن أسرة سعيدة.

• المؤتمر الأول عقد في يونيو ٢٠٠٨ بمكة المكرمة وحمل عنوان المؤتمر الإسلامي العالمي وحضره أكثر من ٥٠٠ عالم من علماء المسلمين من كل أنحاء العالم وافتتحه ورعاه خادم الحرمين الشريفين.

• المؤتمر الثاني في الفترة من ١٣-١٥ / ٧ / ١٤٢٩هـ الموافق ١٦ - ١٨ يوليو ٢٠٠٨م بعنوان: المؤتمر العالمي للحوار بمدريد عاصمة إسبانيا وفي وسط أوروبا وافتتحه الملك عبدالله بن عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية، والملك خوان كارلوس ملك إسبانيا، وحضره علماء ومفكرون من المسلمين ومن كل الأديان السماوية وصل عددهم إلى ٤٠٠ شخصية من أبرز الشخصيات العالمية.

تعزيز دور الإسلام كرحمة للعالمين

أما المؤتمر الثالث وهو الموضوع الذي نتناوله، فكان في جاكرتا عاصمة إندونيسيا وعقد في الفترة من ٢٩ يوليو إلى ١ أغسطس ٢٠٠٨م بعنوان «المؤتمر الدولي عن تعزيز دور الإسلام كرحمة للعالمين.. نحو بناء السلام ودرء الصراعات في العالم الإسلامي» وافتتحه رئيس جمهورية إندونيسيا سوسيلو بامبانج يودويونو وشارك فيه ما يقرب من ٦٠٠ شخصية بينهم علماء مسلمون كثيرون ومن بلاد عربية عديدة.

نظمت المؤتمر وأشرفت على فعالياته جمعية نهضة العلماء، وهي إحدى كبرى منظمتين إسلاميتين بإندونيسيا، ولها مؤسسة اجتماعية تربوية تعليمية، تضم مئات المدارس المنتشرة في إندونيسيا وقد ألقى هاشم مزادي رئيس المؤتمر والرئيس العام التنفيذي لجمعية نهضة العلماء كلمة تدور حول تأكيد الالتزام لتحقيق السلام في

العالم الإسلامي، حيث أشار إلى ما يواجهه العالم الآن من مشكلات إنسانية بالغة التعقيد. وأصبحت الحالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية هي بؤرة الاهتمام، التي تولد القضايا الحادة في إطار عالمي، وأدى الصراع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي إلى ظهور الصراع بين الشعوب بشكل لا يمكن تفاديه، حتى أن آمال السلام التي نادت بها شعوب العالم باستمرار، أصبحت حلما بعيد المنال بسبب السلوكيات الفردية الطامعة!.

وقال هاشم مزادي: إن الصراع الدموي، سواء ما يحدث بين الأديان أو القبائل والشعوب أو الجماعات، أصبح حقيقة لا تنكر في كثير من بلدان العالم. ويواجه الإنسان في تلك البقعة ألوانا من العنف وتبعاته، ولكن- ومما يدعو للأسف- أن أعمال العنف التي حدثت في العالم، حدثت معظمها في الدول المسلمة، فلننظر إلى ذلك الصراع المزمن في فلسطين والعراق والسودان وباكستان وبنجلاديش وكشمير وجنوب تايلاند وجنوب الفلبين، وغيرها من البلاد الإسلامية، فقد شهدت هذه البلاد تلك الصراعات الدامية، التي خلفت عددا من المشكلات المجتمعية، مما يهدر كرامة الإنسان والتضامن وحقوق الإنسان.

ما هو الحل؟!

ويؤكد رئيس المؤتمر هاشم مزادي أن حل هذه الصراعات في البلاد الإسلامية، لا يمكن تحقيقها دون فهم جذورها الحقيقية.

فعلينا أن نبحث عن تلك الجذور في كل هذه البلاد التي تحدثنا عنها، وفي الحقيقة أن الدين ليس هو سبب تلك الصراعات، وإنما العوامل الاقتصادية والسياسية، كالفقر والظلم الاجتماعي والاعتداء على البيئة، هي السبب المباشر لحدوث الصراع، كما أن الظلم العالمي تجاه البلاد المسلمة يزيد من حدة هذا الصراع المزمن، والظلم العالمي أيضا يشجع كثيرا من الجماعات لاستخدام القوة والعنف كحل بديل لمشكلة الضعف، وعدم القدرة لمواجهة الظلم. وقد دلت عدد من الشواهد أن الظلم العالمي في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، أدى إلى تهميش أدوار كثير من الجماعات، مما أدى إلى ظهور أعمال العنف في صورة الصراع القبلي والديني والحزبي.

الصراع في فلسطين

وذكر على سبيل المثال الصراع في فلسطين وكيف يمكن حله، فقال: توجد خمس مشكلات أساسية تدعو إلى الاهتمام بها:

● الأولى: المجتمع العالمي الذي يمثله الأمم المتحدة، والتي تميل إلى الطرف الإسرائيلي وتظلم الطرف الفلسطيني، ولم تتخذ موقفا عادلا تجاه هذا الصراع الدائر، فإذا كان هناك حل في صالح فلسطين، وعلى حساب إسرائيل، فهو مجرد حبر على ورق ولا يتم تنفيذه! والعكس صحيح فإذا كان الحل لصالح إسرائيل وعلى حساب فلسطين، فيتم تنفيذه فورا، ذلك لأن أمريكا دائما تدافع عن إسرائيل.

● والثانية: أن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ليس قضية المنطقة، وإنما صراع المصالح الأمريكية الأوروبية.

● والثالثة وكما يقول: عدم الاهتمام الكبير من بعض الدول العربية الشرق أوسطية تجاه هذه القضية، فهم متفرقون في تحديد مواقفهم، والقضية الفلسطينية ليست قضية دينية فقط، وإنما قضية اقتصادية وثقافية وهيمنة سياسية.

● والرابعة: أن الشعب الفلسطيني نفسه، لم يجد حتى الآن موقفا موحدا ضد العدو الصهيوني، بل إنهم متفرقون ومختلفون في مواقفهم الجهادية، حسب سيطرة المذهب الحاكم، أو هيمنة الجماعات الحاكمة، فهناك جماعات منهم تنتهج أسلوبا راديكاليا والآخر يسلك تيارا سلميا هادئا في مواجهة العدو.

● والخامسة: عدم اتفاق الرؤية من بعض الدول العربية تجاه ما يحدث الآن في فلسطين وحلول مطروحة لحل المشكلة.

دور مهم لعلماء المسلمين

وشدد رئيس المؤتمر على دور العلماء قائلا: إن العلماء مطالبون بالمشاركة في حل هذه القضايا في تلك الدول المسلمة.

والعلماء لهم أدوار مهمة استراتيجية، باعتبارهم القوة الثقافية المؤثرة عبر الحدود والتي لا تتمتع بها جماعات أخرى.

وبمصادر القوة الثقافية التي يتمتع بها العلماء، فإن لديهم قوة دافعة كبيرة للمشاركة في حل تلك القضايا بحرية مطلقة وهم قادرون على نشر ثقافة السلام في المجتمع مباشرة والعلماء أيضا لديهم القدرة لتوضيح أن الدين ليس سببا للصراع، وإنما السبب هو المشكلات الاقتصادية والسياسية المتفاقمة.

وعلى الرغم من أن جهود السلام تم بذلها على المستوى المحلي والقومي والعالمي في الأمم المتحدة، أو منظمة المؤتمر الإسلامي، لكن أدوار العلماء في حل هذه القضايا، مازالت مهمة ويمكن الاعتماد عليها، وبخاصة على المستوى الشعبي، حيث يستطيع العلماء تقديم أدوارهم في منع وقوع الصراع الدائر، ومنع وقوع الصراع هو الوظيفة الأساسية للعلماء تجاه الشعوب، حيث يبينون كل الحقائق حول اختلاف الديانات، والسلام الذي ينبغي أن يسود بين بني البشر.

إسهامات لتحقيق السلام

وقال هاشم مزادي: في هذا الإطار تقدم «جمعية نهضة العلماء» باعتبارها منظمة تؤمن بقيم الوسطية والتسامح إسهاماتها في بناء السلام والحد من الصراع، وفي تطبيق هذه القيم تؤكد الجمعية على مرحلتين:

● الأول: فقه الأحكام، وهو الجهود لبحث الحل الإسلامي من خلال أحكام الفقه الإسلامي للأمة المتعددة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وفي إطار هذه الجهود تم

عقد حلقة علمية حوارية بعنوان «بحث المسائل المذهبية بين العلماء»، وحلقة أخرى بعنوان «فقه الدعوة»، وكلها جهود لنشر الدعوة الإسلامية، وسط المجتمع الواسع المتنوع واختلاف الثقافات والعادات وغيرها. وفي هذه الحالة لا يستخدم المدخل المذهبي، ولكن يستخدم مدخل الإرشاد والتوجيه. وهذا دليل على أن «جمعية نهضة العلماء» ملتزمة بمقولة شعار «رحمة للعالمين».. وتطبيقاتها العملية.. ومن هذا المنطلق فإن آمال السلام لا يمكن تحقيقها إذا لم يتم تأسيسه من منظور ديني تحت شعار «رحمة للعالمين» وهذا لا يمكن أن نجده إلا في الإسلام «السلام والتسامح»، وعلى هذا الأساس سيظهر الإسلام في الصورة التي نتمناها.

تواجد قوي لرابطة الجامعات الإسلامية

وقد شارك في المؤتمر الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية. وقدم بحثا مهما بعنوان «الدور المأمول لمنظمة المؤتمر الإسلامي في تحقيق السلام ومنع المنازعات بين الدول الإسلامية»، وكذلك شارك في صياغة البيان الختامي للمؤتمر حيث اختار له عنوان «رسالة جاكرتا».

وعن أهم المداولات وما دار في المؤتمر قال الدكتور جعفر عبدالسلام: المؤتمر استمر لثلاثة أيام، وكان البرنامج خلالها مزدحما، حيث عقدت جلسات عدة خصصت للأوراق المهمة، كانت المناقشات جادة، وذلك أعطى لي انطباعا بأن هذا المؤتمر يستمد أهميته من رسالته، وحضور عدد كبير من علماء المسلمين، والتأكيد على ما قرر في مؤتمرات عديدة سابقة عن روح السلام والتسامح التي تميز بها الإسلام. وركز المؤتمر على الظلم وعدم العدالة كأسباب رئيسة للمشكلات في العالم الإسلامي وطالب العلماء للتصدي لهذه المشكلات كما دارت المناقشات من خلال البحوث المقدمة حول أربعة اتجاهات:

● الاتجاه الأول: يتصل بحسم المنازعات وتسويتها سلميا، وضرورة الاهتمام بالقيام بدراسات علمية معمقة تنتج تصورا واضحا عن خارطة الصراعات في العالم الإسلامي، سعيا لاكتشاف العوامل الرئيسة المسببة لها والأطراف المعنية بها، كما جرى الحديث عن إقامة نظام مبكر ضد الصراعات، لعمل إجراءات استباقية لتلافيها والقيام بدراسات وبحوث معمقة في هذا الاتجاه من قبل «علماء عبر الحدود».

● الاتجاه الثاني: الاهتمام بتجميع علماء العالم الإسلامي للنظر في مشكلات الأمة، وكيفية الارتقاء بها.

● الاتجاه الثالث: التركيز على اعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية هي محركات الصراعات وأسباب النزاعات وإبعاد الدين عن أن يكون سببا للنزاعات.

وعلق د. جعفر على هذا الاتجاه بقوله: مع تقديري لهذا البعد إلا أنني لا أتفق معهم فيه، فالدين كدين لا يثير نزاعا، ولكن المؤمنين

بالأديان اختلفوا وتصارعوا بسبب تفسيرات وتأويلات مختلفة، لذا تفرقوا واقتتلوا بسبب الاختلاف في الاعتقاد.

● الاتجاه الرابع: الاهتمام بخطورة العناصر الخارجة والمهمشة من حقوق الإنسان الاقتصادية على وجه الخصوص. وكان من أهم الأعمال التي دارت حولها بحوث المؤتمر تأسيس مفوضية للمؤتمر من كل الأقاليم جغرافية الدنيا: شرق آسيا، والمحيط الهادي، وجنوب ووسط آسيا، الشرق الأوسط، أفريقيا، الأمريكتين، أوروبا.

توصيات في حاجة لتفعيلها

وجاء البيان الختامي للمؤتمر بعنوان «رسالة جاكرتا» وتضمن الآتي: استنادا إلى يقيننا الجازم بأن التعاليم الإسلامية السمحة تلزم الأمة جميعها بتبني قيم السلام والعدالة والحرية والوسطية والتسامح والتوازن والشورى والإنصاف، باعتبارها أساسا جوهريا للكرامة الإنسانية، واسترجاعا لمقررات المؤتمرين الأول والثاني، والتي تبلور من خلالها تصورا مشتركا جامعا، بكون الإسلام رحمة للعالمين في مواجهة تحديات عالم اليوم، وأن ثمة حاجة ملحة لتحويل ملتقى العلماء والمثقفين المسلمين، من مناسبة موسمية إلى منتدى وحركة عالميين دائمين، وذلك في سبيل تفعيل دور العلماء المسلمين كونهم الأساس في قيادة مختلف مكونات الأمة الإسلامية. وإذ نؤكد على موقفنا المبدئي بأن من واجب علماء المسلمين اليوم أن يسموا على كافة الحواجز، من أجل بناء السلام، ودرء وقوع الصراعات وغيرها من المشكلات، غير تهيئة الأجواء المناسبة لأطراف النزاعات والوساطة والتحكيم وغيرها.

وأعلن المجتمعون من خلال توصياتهم:

● حتمية تجسيد أنموذج «الإسلام رحمة للعالمين» في شكل نظام سلوكي إنساني يسعى دوما نحو تحقيقها التناغم بين قيم الخير العقلية (الخير) والخلقية (المعروف) كما توحي بذلك الآية:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(آل عمران: ١٠٥)

● استمرار الجهود الإصلاحية من أجل تحويل العوائق النفسية، المتمثلة أساسا في الشك المتبادل، التي ينبغي تبديدها من خلال إجراءات لبناء الثقة، جوهرها العمل الصالح كما تلهمنا بذلك الآية الكريمة:

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

(سورة الحجر: ٩٩)

وكذلك الآية:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة البقرة: ١٤٨)

● إن حدوث الصراعات لا يمكن رده إلى عوامل دينية محضة، بل هي محصلة عوامل أخرى شتى، منها ما ينتج من داخل المجتمع المعين، ومنها من يأتي من خارجه، تلك العوامل التي تشمل سوء استخدام القوة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

● إن العولمة قد أنتجت وضعا تتسع فيه الهوة باستمرار بين القوى الموجودة في مركزها، وتلك الواقعة على أطرافها، وإن مثل هذا الوضع يحتم على الدول والأمم العمل بشكل دءوب على مراجعة الهياكل السياسية التي تتسبب في العواقب الوخيمة على الإنسانية مثل الصراعات والتوترات والعنف.

● واشتملت التوصيات أيضاً على ضرورة صرف الاهتمام اللازم نحو التعارض القائم بين الصورة المثلى للإسلام كدين للسلام والوحدة، وبين واقع المسلمين اليوم الذي تشوهه الصراعات والعنف والفقر المدقع والمعاناة.

● تشجيع وسائل الاتصال الجماهيري على تقديم تغطية موضوعية ومتوازنة لمختلف القضايا التي تهم المجتمعات الإسلامية عبر العالم، وتجنب صناعة أجواء الخوف المرضي من الإسلام وتشويه صورته، إضافة إلى تمكين الرأي العام من لعب دور فعال من خلالها.

● التأكيد على التزامنا القاطع نحو القضاء على الفقر والعوز والأمية، وكل أشكال عدم العدالة، وذلك في عزم وحكمة وإيمان بأن الله سوف يفتح لنا من الخير أبواب. إن نحن بدأنا بتغيير ما بأنفسنا كما جاء في هذه الآية الكريمة

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾

(سورة الرعد آية ١١)

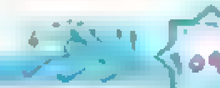
● التشديد على تعهدنا بتشجيع مختلف مكونات الأمة على حل الصراعات العقائدية البينية، والذي سيشكل إسهاما ذا دلالة نحو السلم والأمن الإنساني العام.

● لعب دور أكثر فعالية في إطلاق حملات التراحم والسلام بصرف النظر عن اختلافاتنا المذهبية أو الفقطرية.

● تمكين الشباب المسلم من المشاركة المدنية الفعالة، بما فيها درء الصراعات وبناء السلام.

● تحصين مجتمعاتنا من العناصر المحرضة على الكراهية والعنف والإرهاب.

● تدشين تجمعات علمية تقوم بالدراسات والبحث العلمي اللازم حول قضايا درء الصراع وحله، إضافة إلى إجراءات إرساء السلام في مراحل ما بعد حل الصراعات وبناء الثقة على أن يتم هذا كله بالتعاون مع الجامعات المرموقة ومؤسسات البحث والمثقفين المعترف بهم على نطاق واسع.





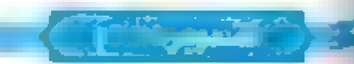


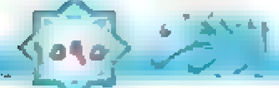


لم يختلف اثنان من زملاء أحمد شاه مسعود أو رفقه والذين كتبوا عنه أنه كان جنديا ممتازا ومحاربا فذا، وصاحب حنكة وخبرة أعطتها له سنوات الجهاد التي بدأها في أوليات شبابه المبكر، وكان قائدا مغوارا وسياسيا يحسن سياسة من يقودهم وكان قوي الإيمان راسخ العقيدة واثقا بالله تعالى وكان زاهدا متقشفا.

وكان محبا للحرية شديد الحرص عليها حتى قال محبوه: كان الحرية شبيهة بغزال بري احتضنه مسعود بصعوبة. وأي إهمال لهروب هذا الكائن الطاهر في صحراء مترامية كان يسبب لمسعود مشكلة حقيقية..

يقع كتاب (صفحات من تاريخ أفغانستان.. أسد الإسلام الظافر.. أحمد شاه مسعود) في ثلاثمائة وستين وثماني صفحات من القطع (١٦ × ٢٣,٥ سم) وهذا الكتاب في واقع الأمر كتابان: أحدهما تحت عنوان (أفغانستان.. الأرض والتاريخ) وهو عبارة عن مقدمة المترجم ينتهي عند ص ٩٨ كتبته الأستاذة الدكتورة عفاف السيد زيدان أما الآخر فهو من تأليف صالح محمد ريكستاني وتنتهي ترجمته العربية عند





صفحة ٣٢٧ أما بقية صفحات الكتاب فقد خصصت لعدد من الصور الضوئية لأحمد شاه مسعود وأسرته وبعض رفاقه. وكذلك للتعريف بكل من المؤلف المترجم وثبت المصادر والمراجع التي استخدمت في مقدمة المترجم والتي تقارب الخمسين وهو ما يعكس لنا درجة الدقة والتوثيق التي تتمتع بها الدكتورة عفاف زيدان.

وتعريفا بالدكتورة عفاف السيد زيدان نقول: هي أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر، وهي أول سيدة عربية سافرت إلى أفغانستان لدراسة الدكتوراه في الأدب الفارسي في جامعة كابل.

● تولت العديد من المناصب في جامعة الأزهر:

● رئيسة قسم اللغة الفارسية وآدابها بكلية الدراسات الإسلامية والعربية.

● رئيسة قسم اللغة الفارسية وآدابها بكلية الدراسات الإنسانية.

● وكيلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

● وكيلة كلية الدراسات الإنسانية.

● عميدة كلية الدراسات الإنسانية.

مقررة اللجنة العلمية الدائمة لترقية أساتذة اللغات الشرقية بجامعة الأزهر.

● لها في مجال الترجمة العديد من الترجمات أهمها:

● زين الأخبار للكرديزي المتوفي عام ٤٤٣هـ.

● العلاقات الأفغانية الروسية من عهد الأمير محمد خان حتى ترك من ١٨٢٦م ـ ١٩٨٦م تأليف الدكتور حق شناس.

ولها في مجال التأليف العديد من المؤلفات في الأدب الفارسي منها:

١ـ شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي وقد طبع ونشر في القاهرة.

٢ـ حب في الشعر الفارسي وقد طبع ونشر في القاهرة أيضا.

رأست العديد من المؤتمرات الدولية التي أقيمت بجامعة الأزهر.

● سافرت إلى إيران وأفغانستان بدعوة من حكومتيهما لتمثيل مصر في عدد من المؤتمرات الدولية التي عقدت في الدولتين الشقيقتين.

وفي هذه الدراسة التي جعلتها مقدمة للكتاب تناولت الدكتورة عوامل نجاح المجاهدين الأفغان وأسباب هزيمة الروس كما تكلمت عن رحلتها إلى أفغانستان والأسباب الداعية لترجمة هذا الكتاب ولماذا غيرت اسم الكتاب من «أحمد شاه مسعود والحرية» إلى «أسد الإسلام الظافر أحمد شاه مسعود»، وفي حديثها عن أفغانستان.. الأرض والتاريخ ذكرت مجموعات الأنهار الرئيسية الثلاثة ثم الأقسام الإدارية في أفغانستان ثم ذكرت تعريف بأشهر المدن فتكلمت عن كابل وقندهار ومدينة غزنة وباميان وهرات وبلخ وجلال آباد وبغلان وكرديز ومزار شريف وقندز.

ثم ذكرت أن أهم الثروات الطبيعية في أفغانستان الغاز الطبيعي ـ البترول ـ الفحم الحجري ـ النفط ـ الحديد ـ النحاس ـ حجر اللازورد ـ الياقوت ـ والزمرد ـ والمرمر ـ والرخام والذهب والفضة ـ القصدير والبوز ... .

وعن الدين في أفغانستان تقول الدكتورة: قبل الإسلام وجدت في أفغانستان الديانة البوذية والديانة الزردشتية وحينما فتح الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أفغانستان عام ٢٣ هـ اعتنق أهل أفغانستان الإسلام وجميعهم سنة على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ويمثل الشيعة حوالي ٥٪ من مجموع السكان.

وعن طبيعة أفغانستان تقول: أفغانستان قطر داخلي ليس له شواطيء على البحار والمحيطات وهي بلاد جبلية تمتد جبال الهندوكش فيها من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي فتقسمها من النواحي الجغرافية إلى قسمين شمالاً وجنوبا ويصل ارتفاع بعض قممها ٧٤٨٥ مترا فوق سطح البحر.

موقع أفغانستان.

تبلغ مساحة أفغانستان ٦٥٢٢٢٥كم٢ وتحتل أفغانستان موقعا استراتيجيا بالغ الخطورة فمن الشمال تحدها الجمهوريات الإسلامية تاجيكستان وتركمنستان وأوزبكستان وحدودها مع تاجيكستان ١٢٠٦كم ومع تركمنستان ١٠٢١كم ومع أوزبكستان ١٣٧كم ويحدها من الجنوب والشرق الباكستان وتبلغ حدودها معها ٢٢٤٠كم ويحدها من الغرب إيران بحدود تصل إلى ٩٠٠كم ويحدها من الجهة الشمالية الشرقية جمهورية الصين وحدودها معها ٩٣كم ولأفغانستان حدود مشتركة مع جامو وكشمير تبلغ ١٠٢كم.

أحمد شاه مسعود

ثم تناولت تاريخ الأسر والأشخاص الذين حكموا أفغانستان، وكان لأفغانستان في العصور الإسلامية الجزء الأكبر من هذا القسم.

وفي معرض حديثها عن الشخصية الأفغانية تقول: «اتهمت الشخصية الأفغانية في الآونة الأخيرة اتهامات كثيرة وألحقت بها صفات متنوعة مثل: الرجعية، والجمود، والبداوة بل إن البعض غالى في هذه الصفات فجعل الأفغان نموذجا للعصور الوسطى ومما يدعو إلى الغرابة أن هذه الصفات طفت على السطح بعد زوال الاتحاد السوفيتي في ٢٢ ديسمبر ١٩٩١م، وبعد أن تمكن الأفغان أن يلحقوا بجيوشه ـ التي قيل أنها لا تهزم ـ هزيمة ثقيلة».

ثم تذكر أن التركيبة السكانية للشعب الأفغاني تركيبة متنوعة وأن أهم الأجناس، والعرقيات في أفغانستان هم الأفغان والطاجيك والهزارة والأوزبك والتركمان والعرب وهذه التركيبة تذوب وتنصهر لتخرج منها الشخصية الأفغانية بفضل توحيد الإسلام لهذه الأجناس. فالكل مسلم يؤمن بالله تعالى وبكتابه وبرسوله ﷺ.

ثم تكلمت عن الهوية الثقافية للأفغان وعن أهم اللغات التي كان لها الفضل في بلورة هذه الهوية الثقافية واكتسب منها وخصوصيتها التي تتفرد بها عن غيرها من الأمم والشعوب فأفسحت عدة صفحات للحديث عن اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة البشتو واللغة التركية.

فإذا ما انتهت الدكتورة من حديثها عن «أفغانستان الموقع والتاريخ» انتقلت إلى الحديث عن «عوامل التميز والعبقرية في شخصية أحمد شاه مسعود» وعن العوامل التي ميزت شخصيته فذكرت عدة عوامل أهمها:

- عنصر المفاجأة في المعارك.
- الشعور بالمسئولية تجاه الجنود في الجبهة وتأمينهم وبث الثقة في نفوسهم.
- اعتماده على قوة مخابرات يقظة.
- كونه إدارياً ناجحاً وقائداً مرموقاً.
- كما كان يتمتع بالتقوى والورع والزهد.

ثم اختتمت هذا البحث بالكلام عن استشهاد أحمد شاه وأنه استشهد من أجل أربعة أشياء هي: الإسلام وأفغانستان والأفغان والحرية

وأنه من أجل ذلك استحق أن يفوز بلقب بطل أفغانستان.

بعد هذا العرض المستفيض الذي سطرته الدكتورة عفاف زيدان عن «أسد الأسود الخمسة» كما يلقبه الأفغان أو عن «أسد الإسلام الظافر» كما لقبته هي وعن موطنه أفغانستان أوردت الترجمة لكتاب «أحمد شاه مسعود وآزادي» أي: أحمد شاه مسعود والحرية وتعريفاً بالمؤلف تقول:

هو الأستاذ صالح محمد ريكستاني أحد المجاهدين الذين لازموا أحمد شاه مسعود في جبهة القتال وظل يعمل إلى جواره حتى استشهاده عام ٢٠٠١م وكانت تجمعه به أواصر القربى، وكلاهما من مدينة بنجشير معقل القتال العنيد ضد الاتحاد السوفيتي السابق.

درس المرحلة الابتدائية في مدرسة الاستقلال بكابل ثم درس المرحلة الثانوية في المدرسة الصناعية في كابل أيضاً، والتحق بالجامعة العسكرية حيث تخرج ضابطاً، ولكنه تعلم فنون العسكرية والجندية من أحمد شاه مسعود، وتدرج في المناصب العسكرية من مجاهد عادي حتى وصل إلى درجة مساعد وقائد، ثم أسند إليه قطاع العمليات في جيش المجاهدين بقيادة أحمد شاه مسعود.

وفي عام ١٩٩٤م انتظم للدراسة في كلية الحقوق والعلوم السياسية في كابل. ولكنه لم ينه الدراسة فيها نظراً لسيطرة حكومة طالبان في ذلك الوقت.

ومن عام ١٩٩٧م إلى عام ٢٠٠٠م كان ممثلاً لأحمد شاه مسعود في طاجيكستان، وعمل مستشاراً عسكرياً في سفارة أفغانستان في روسيا.

له العديد من المؤلفات عن فترة الاحتلال السوفيتي في أفغانستان ومقاومة المجاهدين وشعب أفغانستان لهذا الاحتلال البغيض.

تقع ترجمة الكتاب بدءاً من ص٩٩ وتنتهي في صفحة ٣٣٧ وقد قدم المؤلف كتابه للقارئ العربي بقوله: يعتبر أحمد شاه مسعود أشهر قائد أفغاني في الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي في الأعوام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٩م.

ففي سن التاسعة عشر من عمره التحق بسلك المجاهدين وجاهد أكثر من ربع قرن من أجل الإسلام والحرية، ولقد امتزجت شهرته في داخل أفغانستان بالأساطير، لدرجة أن وجهه من حيث الشكل انحصرت فيه أشكال جميع السلالات والأقوام التي استوطنت أفغانستان. وفي الواقع كانت حياته بسيطة للغاية ولكنها كانت مؤلمة، فلقد أوقف ما يقرب من ثلاثين عاماً من عمره للجهاد من أجل الإسلام والمسلمين، ثم لقي وجه ربه شهيداً. وقصة استشهاده مفجعة ومؤلمة

كان مولده في وادي بنجشير وهو المكان الذي حدثت فيه أكثر الخسائر لجنود الاتحاد السوفيتي في أفغانستان

وفي عام ١٩٧٨م تولت الحكومة الشيوعية مقاليد الحكم ثم دخل السوفييت ثم جاءت طالبان، وحتى عام ٢٠٠١م تعرضت بنجشير مرات ومرات لهجوم قوات الحكومة الشيوعية ثم الاتحاد السوفيتي وبعدها طالبان ولكنها لم تحتل ولم تهزم. وكل هذه المقاومة وهذا الصمود كان نتيجة للقيادة الحكيمة لأحمد شاه مسعود، ولهذا السبب لقبه أعداؤه بالفارس المغوار، أما أحباؤه ورفاقه فقد لقبوه بأسد بنجشير

وذات مرة سأله أحد الصحفيين يقولون عنك أسد بنجشير فما هي وجهة نظرك في هذا الأمر؟ فأجاب: «إن الأسد حيوان أما أنا فإنسان».

ويقصد من ذلك أنه إنسان بالمعنى الحقيقي والواقعي.

يتبع

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

مانشستر سيتى

قام مؤخرا أحد الأثرياء العرب بشراء النادى الإنجليزى الشهير مانشستر سيتى بمقابل لم يكشف عنه. ولكن الثرى العربى قام بإبرام صفقات هائلة فى مجال شراء اللاعبين لتدعيم صفوف ناديه وأنفق فى سبيل ذلك مبالغ مالية ضخمة غير مسبوقة فى تاريخ القارة الأوروبية، فعلى سبيل المثال فقد قام بشراء الحارس الدولى (جانلويجى بوفون) حارس مرمى يوفنتوس الإيطالى بمقابل مبلغ سبعين مليون يورو (حوالى ٤٩٠ مليون جنيه مصرى) وكان قبل ذلك قد قام بتقديم شيك على بياض لنادى ريال مدريد لشراء لاعبه الدولى الهولندى (نيستلروى) فضلا عن قيامه بشراء اللاعب الدولى الشهير (روبنيو) بمبلغ خمسين مليون يورو (حوالى ٣٥٠ مليون جنيه مصرى) أى أن الرجل قام بإنفاق نحو مليار جنيه مصرى لشراء ثلاثة لاعبين فقط، وصرح فى أكثر من مناسبة أنه سيسعى لتدعيم مانشيستر سيتى بأفضل اللاعبين فى العالم دون أكتراث بالمقابل المادى الذى سيتكبده جراء ذلك!!

قد يقول قائل: وما شأنك.. الرجل ينفق ماله بالشكل الذى يتوافق مع مزاجه وهواه، وهو ماله هو لامال غيره. هنا أقول: أتذكرون يوم قام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.. رضى الله عنه -بمصادرة نصف أموال خالد بن الوليد بمجرد أن علم أن خالدا أجزل العطاء لشعراء مدحوه''

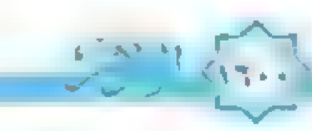
وقد يقول قائل آخر: إن كرة القدم اليوم مجال من مجالات الاستثمار الاقتصادى التى تدر أرباحا طائلة وأن الملايين التى دفعها هذا الثرى لشراء النادى الإنجليزى وتدعيمه باللاعبين ستعود عليه بأرباح مضاعفة عندها أقول: إن مجالات الاستثمار فى العالم العربى عديدة ومتنوعة ومربحة أيضا، فهل يتصور عقل أن المساحة الممتدة من الخليج العربى شرقا إلى المحيط الأطلنطى غربا لاتوجد بها مجالات استثمار مربحة. ناهيك عن دول العالم الإسلامى باكستان والهند واندونيسيا وماليزيا وغيرها. هل هذه الدول لاتوجد بها مجالات استثمار مربحة؟!

ثم أين الاستثمار مع الله.. البشر فى أفريقيا من المسلمين وغير المسلمين يتضورون جوعا ولايجدون ما يسد رمقهم.. ألا تذكرون ما فعله عثمان بن عفان -رضى الله عنه- يوم اشترى بئر رومة من صاحبها اليهودى الذى كان يبيع الماء للمسلمين بثمن باهظ فاشتراها عثمان وجعل ماءها للمسلمين بغير ثمن.

أرض المسلمين أولى بأموال المسلمين من أى مكان آخر ومجالات الاستثمار فيها عديدة ومتنوعة وواضحة لمن أراد. ولكن المشكلة أن القوم يبحثون عن الشهرة والأضواء، فالاستثمار فى أرض القارة الأفريقية وهى تكاد تكون مستودعا للمواد الخام الحيوية والاستراتيجية فى العالم كله- يتطلب عملا وجهدا هائلا لن تتوقف عنده كاميرات الفضائيات، على العكس من الاستثمار فى ناد كروى شهير بحجم مانشستر سيتى حيث يكون المستثمر ضيفا دائما على شاشات الفضائيات''

وهذا هو سر تأخر عالمنا الإسلامى عن غيره وسنبقى كذلك ما لم يظهر فينا من يرعى الله من مال المسلمين.

أحمد تقى الدين



من نفحات.. رمضان الكريم.. عيد الفطر المبارك

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ إبراهيم مسلم إبراهيم النجار ـ مدير عام تنظيم وإدارة سابق ـ سندنهور ـ قليوبية:

من نفحات شهر رمضان المعظم عيد الفطر المبارك، وهو عيد الجائزة، لأنه يأتي بعد أن ربحنا في سوق حسناته وطاعاته [illegible] الخير والبركات. ونكون سعداء باستعادة القدس الشريف وتطهير أرض المسلمين وتحريرها من المعتدين.

والعيد شعيرة من شعائر الإسلام ومظاهره الهامة. وهي [illegible] فرصة ومناسبة طيبة نروح بها عن أنفسنا بالمتعة الحلال اقتداء بقول رسول الله ﷺ: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت». (كشف خفا)

وقد قرره الرسول ﷺ وأصر عليه وواظب عليه كما أمر بالخروج فيه للصلاة مع اصطحاب النساء والأطفال.. كما أمر في مناسبته بالغسل والتطيب ولبس الجميل من الثياب.. ويقول أنس ـ رضي الله عنه ـ وهو خادم النبي ﷺ: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نلبس أجود ما نجد وأن نتطيب بأطيب ما نجد وأن نضحي بأثمن ما نجد».

وقد كان الصحابة يتزاورون ويتبادلون التهاني والمعايدات فإذا التقى أحدهم مع الآخر يوم العيد يقول: تقبل الله منا ومنكم، كما يقول أنس ـ رضي الله عنه ـ أيضا: كان النبي ﷺ قدم المدينة وكان لأهلها يومان يلعبون فيهما منذ أيام الجاهلية فقال ﷺ لأصحابه: «قد أبدلكم الله ـ تعالى ـ بهما خيرا منهما.. يوم الفطر ويوم الأضحى» (سنن النسائي) وكان سيدنا أبوبكر رضي الله عنه قد نهر جاريتين في بيت عائشة ينشدان الشعر في يوم العيد فقال له ﷺ: «يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وإن اليوم عيدنا». (مسند أحمد)

وفي بيان رائع يوضح المصطفى ﷺ في حديثه إلينا في هذه المناسبة «إذا كان يوم عيد الفطر بعث الله ملائكته فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق: اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم فإذا برزوا إلى المصلى يقول الله تعالى: يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره. فيقول الله تعالى: يا ملائكتي أشهدكم أني جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضاي ومغفرتي يا عبادي سلوني: فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم في جمعكم هذا شيئا لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولا شيئا لدنياكم إلا نظرت إليكم، وعزتي وجلالي لأسترن عيوبكم ولا أفضحكم ولا أخزيكم، انصرفوا مغفورا لكم لقد أرضيتموني ورضيت عنكم» (كنز العمال)

فما أعظم ديننا.. وما أروع نبينا الكريم حين ينبه على الترويح عن المسلمين باللهو البريء في أيام عيدهم وفي أيام تكبيرهم ذكرا وتسبيحا وإجلالا لله تعالى وعظمته وقدرته:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

ولكن نلاحظ أن كثيرا من المتمسكين بظواهر النصوص يذهبون إلى الاكتفاء بالاحتفال بعيدي الأضحى والفطر.. ونحن نرى أن الرسول ﷺ لم يمنع أن يكون هناك مناسبات التقاء بين أفراد المسلمين تحثهم على التواصل وصلة الأرحام، بشرط أن تكون بعيدة عن المجون والرقص.. فلا حرج شرعا أن نحتفل بذكرى ميلاد أو زواج أو أي نعمة من نعم الله تعميما للخير بين الناس.

أما عن علاقة المسلمين بغيرهم من أهل الديانات الأخرى، فإن القرآن الكريم يحث على تبادل التحية بينهم ومشاركتهم في مناسباتهم وهذا من سماحة ديننا الحنيف. حيث يقول تعالى:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾

وقد كان الرسول ﷺ يزور جاره [illegible] اليهودي [illegible] على [illegible] في [illegible] الأخرى [illegible] كل [illegible] والمواحدة بين أفراد المجتمع.

ونعود فنقول إن الأعياد هي مواسم الفرح والسرور وخصوصا للأطفال المسلمين حين يذهبون ويرافقون آباءهم إلى مصلى العيد فتنغرس في نفوسهم العادات الحسنة الطيبة فيحترم الطفل دينه ويحرص على سلامة مجتمعه.. قال تعالى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

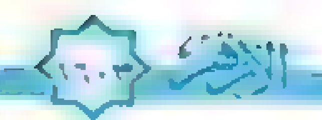
يقول ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها..» (كشف الخفا)

وفرحة العيد تتجلى فيها كل معاني الخير التي تتمثل في أعمال البر والصدقات والعطف على الفقراء والمساكين والاهتمام باليتامى والمعوزين ـ فيستحب من المسلم أن يتقرب إلى الله بهذه القربات في هذه الأيام ووسع على أبنائه وأبناء المسلمين حتى ينعم الجميع بالألفة والمحبة والتراحم وحسن الوصال.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا حفظ ديننا وسلامة وطننا وأن يبارك وحدة ونهضة أمتنا.

وكل عام وأنتم بخير





عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

من الأستاذ عبدالله رجب ـ مدرس بالمعاش ـ شبرا مصر ـ جاءت هذه الأسطر عن الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

عمر بن عبد العزيز بن مروان، الخليفة الصالح، أبو حفص، خامس الخلفاء الراشدين.

قال سفيان الثوري: «الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز» أخرجه أبو داود في سننه.

ولد عمر بحلوان، قرية بمصر، وأبوه أمير عليها سنة إحدى وستين، وقيل: ثلاث وستين وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب، وكان بوجه عمر شجة، ضربته دابة في جبهته - وهو غلام - فجعل أبوه يمسح الدم عنه، ويقول: «إن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد» أخرجه ابن عساكر.

وكان عمر بن الخطاب يقول: من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلاً. أخرجه الترمذي في تاريخه، فصدق ظن أبيه به.

وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال: «ليت شعري! من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

وأخرج عن ابن عمر قال: كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر، يعمل بمثل عمل عمر، فكان بلال بن عبدالله بن عمر بوجهه شامة، وكانوا يرون أنه هو، حتى جاء الله بعمر بن عبدالعزيز.

روى عمر بن عبدالعزيز عن أبيه، وأنس، وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وابن قارظ، ويوسف بن عبد الله بن سلام، وعامر بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبي بكر بن عبدالرحمن، والربيع بن سمرة، وطائفة.

روى عنه: الزهري، ومحمد بن المنكدر، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومسلمة بن عبدالملك، ورجاء بن حيوة، وخلائق كثيرون.

حفظ القرآن وهو صغير، وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبدالله يسمع منه العلم، فلما توفي أبوه طلبه عبدالملك إلى دمشق وزوجه ابنته فاطمة.

وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضاً، إلا أنه كان يبالغ في التنعم، فكان الذين يعيبونه من حساده لا يعيبونه إلا بالإفراط في التنعم والاختيال في المشية، فلما ولي الوليد الخلافة أمر عمر على المدينة، فوليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، وعزل، فقدم الشام.

ثم إن الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد، وأن يعهد إلى ولده، فأطاعه كثير من الأشراف طوعا وكرها، فامتنع عمر بن عبدالعزيز، وقال لسليمان في أعناقنا بيعة، وصمم على موقفه، فغضب عليه الوليد، فلما تولى سليمان حفظها له فعهد إليه بالخلافة.

قال زيد بن أسلم عن أنس رضي الله عنه: «ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعني عمر بن عبدالعزيز - وهو أمير على المدينة، قال زيد بن أسلم: فكان يتم الركوع والسجود، ويخفف القيام والقعود، له طرق عن أنس» أخرجه البيهقي في سننه وغيره.

وسئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبدالعزيز، فقال: هو نجيب بني أمية، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

وقال ميمون بن مهران: كانت العلماء مع عمر بن عبدالعزيز تلامذة.

بويع بالخلافة بعهد من سليمان، في صفر سنة تسع وتسعين فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر، نحو خلافة الصديق رضي الله عنه، ملأ فيها الأرض عدلاً، ورد المظالم، وسن السنن الحسنة. ولما قرئ كتاب العهد باسمه اضطرب وقال: والله إن هذا الأمر ما سألته الله قط، وقدم إليه صاحب المراكب مركب الخليفة فأبى وقال: ائتوني ببغلتي: قال الحكم بن عمر: شهدت عمر بن عبدالعزيز حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمتها، قال: ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يريد، واجعل أثمانها في مال الله، تكفيني بغلتي هذه الشهباء.

وقال عمر بن ذر: لما رجع عمر من جنازة سليمان قال له مولاه: مالي أراك مغتما؟ قال لمثل ما أنا فيه فليغتم، ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إليّ فيه ولا طالبه مني.

وعن عمرو بن مهاجر وغيره أن عمراً لما استخلف قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ألا وإني لست بقارض ولكني منفذ، ولست بمبتدع، ولكني متبع، ولست بخير من أحدكم، ولكني أثقلكم حملا، وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وعن الزهري قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى سالم بن عبدالله يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب في الصدقات، فكتب إليه بالذي سأل، كتب إليه إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك كنت عند الله خيرا من عمر.

وعن حماد أن عمر لما استخلف بكى فقال: يا أبا فلان، أتخشى عليّ؟ قال: كيف حبك للدرهم؟ قال: لا أحبه، قال: لا تخف فإن الله سيعينك.

وقال فرات بن السائب: قال عمر بن عبدالعزيز لامرأته فاطمة بنت عبدالملك - وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله: اختاري إما أن تردي حليك إلى بيت

المال وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد. قالت: لا بل أحتمل عليه وعلى أضعافه. فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين، فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة: إن شئت رددته إليك. قالت: لا والله، لا أطيب به نفسا في حياته وأرجع فيه بعد موته.

من أعلام المشرق

سيبويه

ومن الأديب فرج مجاهد عبد الوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية كانت هذه الكلمات:

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، من أئمة فقهاء النحو. يقول بعض فقهاء اللغة: إن سيبويه معناها «رائحة التفاح» ويقول البعض الآخر إنها كانت عبارة تحمل معنى التدليل وتدل على «التفاحة الصغيرة» ويحيط بتاريخي مولد سيبويه ووفاته ومكانيهما كثير من المشكلة والاضطراب، والظاهر من أوثق الروايات أنه ولد في البيضاء بناحية شيراز في فارس ثم ذهب إلى البصرة ودرس على أيدي شيوخ فقهائها.

أما أقدم تاريخ ذكر لوفاته فهو سنة ١٧٧هـ، أما مكان وفاته فغير معروف.

ويعتبر سيبويه من شيوخ الأئمة في العلوم العربية وقد أودع ثمرة دراساته كتابا كبيرا في النحو العربي (قدر بألف ورقة) ولا يعتبر هذا الكتاب أكبر مؤلف في تخصص وصل إلينا عن علم البصريين فحسب ولكنه أصبح أيضا منذ تأليفه عمدة جميع الدراسات العربية في النحو ومن المرجح أن سيبويه لم تتح له فرصة تدريس كتابه أو قراءته على تلاميذه بل وقعت هذه المهمة على عاتق تلميذه الأخفش الذي اضطلع بعد وفاته بمراجعة كتاب سيبويه مراجعة دقيقة.

وإذا كان سيبويه ينطق العربية بلسان تشوبه عجمة واضحة، فإن كتابه كان يعد دائما من الكتب المعتمدة في العربية الفصيحة، ويتسم أسلوبه شأن المؤلفات العربية الأولى بالإطناب الكثير والحجج المملة المجهدة، على أنه حافل بعدد لا يحصى من الشواهد المستقاة من القرآن ويشتمل أكثر من ألف بيت من الشعر القديم.

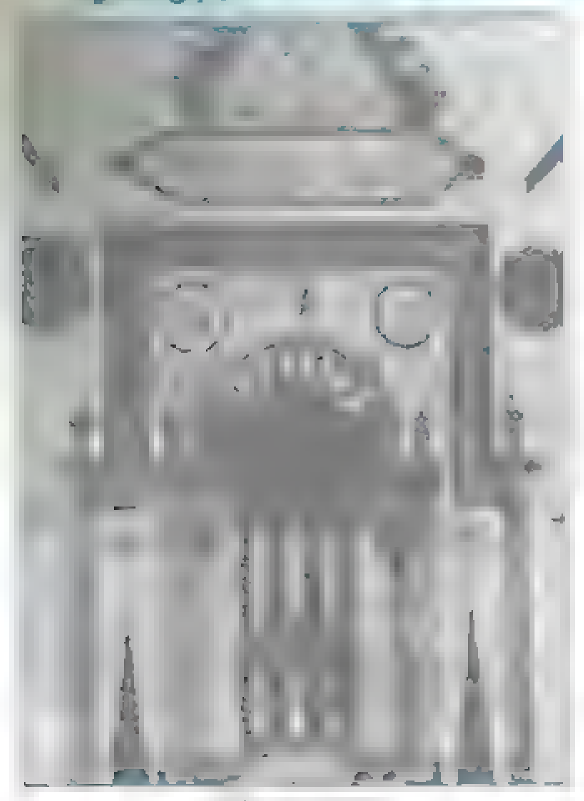
وقد كثر شراح كتاب سيبويه، وظل يدرس بشغف وقتا طويلا، كما قام بشرحه علماء أوروبيون وترجم إلى الألمانية.

الصلاة فيه تعدل أجر عمرة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ محمد عباس محمد عرابي - فاقوس

يعد مسجد قباء أول مسجد أسسه الرسول ﷺ بالمدينة المنورة فقد خطه الرسول ﷺ بيده عندما وصل إليها مهاجرا من مكة المكرمة، وشارك ﷺ في وضع أحجاره الأولى، ثم أكمله الصحابة - رضوان الله عليهم - وكان رسول الله ﷺ يقصده بين الحين والآخر ليصلي فيه ويختار يوم السبت غالبا، ويحض على زيارته.

جاء في الحديث الشريف: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة» (سنن ابن ماجة) وفي حديث آخر: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد - يعني مسجد قباء - فيصلي فيه كان كعدل عمرة». (مسند أحمد)



مدينة نظرا لفضل الصلاة فيه

واهتم المسلمون في مختلف العصور منذ عصر الخلفاء الراشدين حتى العصر الحالي بمسجد قباء وتجديده، وهو يحظى اليوم برعاية واهتمام كبيرين حيث يعتبر من أكبر مساجد المدينة المنورة بعد المسجد النبوي الشريف، وتقام فيه الصلوات العادية وصلاة الجمعة والعيدين ويعتبر مقصدا لزوار وسكان

ويقع مسجد قباء اليوم على طريق الهجرة الرابط بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة ويمكن ملاحظته من أماكن عدة بالمدينة المنورة نظرا لموقعه المميز والمرتفع بعض الشيء

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

الإسلام ينبذ العنف وهدفه الرئيسى السلام

استقبل فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه بمدينة نصر السيد/ إدوارد أ. هوايت سكرتير أول السفارة الأمريكية بالقاهرة، وقد تناول الحديث العديد من القضايا أهمها: دور مجمع البحوث الإسلامية فى نشر الدعوة الإسلامية وموقفه من حوار الأديان. وكذا موقفه من فتاوى الفضائيات. وأى الفتاوى أولى بالاتباع: فتاوى المجمع أم تلك التى تصدرها دار الإفتاء؟

● وعن سؤاله عن دور المجمع فى نشر الثقافة الإسلامية أجاب فضيلة الشيخ على عبدالباقى شحاته الأمين العام للمجمع قائلا: إن الأزهر يرسل مبعوثيه إلى كل أنحاء العالم لنشر صحيح الدين الإسلامى وتبصير المسلمين فى هذه البقاع بضرورة التعايش مع هذه المجتمعات فى سلام. لأن الإسلام ينبذ العنف. وينادى بالسلام. وهدفه الرئيسى أن يسود السلام كل بقاع العالم.

● وعن موقف المجمع من حوار الأديان، قال فضيلته: إننا فى مصر مسلمين ومسيحيين نمثل جسدا واحدا منذ الأزل، ولايتصور أن يطعن الإنسان المصرى نفسه، فهذا النسيج المتضافر المتعاون لايمكن أن نفرق فيه بين مسلم ومسيحى. فمسألة اختلاف الأديان لا تظهر أبدا أى تباعد فى تعاملهم اليومى معا.

أما مسألة الحوار فهدفها ترسيخ مبدأ المواطنة وإرساء أسس السلام. والأمثلة فى التاريخ الإسلامى كثيرة وشاهدة على أن المسلمين يحترمون الآخر ويقبلونه ويحترمون إنسانيته، ويضمنون له كل حقوقه، وهكذا يأمرهم دينهم.

وأكد فضيلته على صلابة الوحدة الوطنية. واستطرد قائلا: إن المروجين لغير هذا. إنما هم أصحاب الهوى والمصالح الشخصية الضيقة. وأن ما يحدث من اعتناق أحد أفراد المجتمع



لغير دينه، إنما أساسه تعرضه لبعض المشاكل الاجتماعية المعقدة، ويظن أنه بتركه دينه يتخلص من هذه المشاكل. وأوضح فضيلته أن الإسلام يؤكد على الأخوة الإنسانية. وأن الاختلاف صورة مثبوتة فى الكون، وهو من إرادة الله.

● وأما سؤال سيادته عن الفتاوى، أجاب فضيلة الأمين العام قائلا: إن مسألة تضارب الفتاوى فى الفضائيات أمر فرضته كثرة القنوات الفضائية وعدم التدقيق والتثبت قبل الإجابة، بل فى بعض الأحيان عدم أهلية المتحدث للرد الإسلامى الصحيح.

أما عن فتاوى دار الإفتاء فهى تلبى وترد على حاجات الناس وتساؤلاتهم المتعددة الكثيرة اليومية أما الفتاوى التى تأخذ طابع الفردية وغير المسبوقة بحالات مماثلة وليس هناك آراء للفقهاء حولها. وهى الفتاوى المستحدثة التى تستجد للأمة الإسلامية. فإنها تطرح على مجلس مجمع البحوث الإسلامية، ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن فضيلة المفتى أحد أعضاء هذا المجلس الموقر ومن هنا فلا يوجد خلاف بين فتاوى المجمع ودار الإفتاء بل هو تكامل واتفاق تام.

وفى نهاية اللقاء عبر فضيلة الأمين العام عن سروره بهذا اللقاء ورغبته فى تكرار مثل هذه الزيارة لتأكيد التعاون بين الجانبين.

كما دعا السيد / إدوارد أ. هوايت فضيلته لتكرار الزيارة للولايات المتحدة، وعبر فضيلته عن سعادته بهذه الدعوة والاستجابة إليها عندما تتاح الفرصة.

تشغيل الوحدة الثانية لترميم المخطوطات بمكتبة الأزهر

أصدر السيد الأستاذ/ مهدى هادى محمود شلتوت - رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الأمر التنفيذى لتشغيل الوحدة الثانية للترميم الآلى لتعمل الترميم بمبنى مكتبة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة والتى تعد إضافة جديدة للبنية التحتية للحفاظ على مقتنيات مكتبة الأزهر سواء المخطوط منها أو المطبوع حيث تعتبر هذه المقتنيات من أندر وأنفس المجموعات التراثية على مستوى جمهورية مصر العربية.

وتعتبر أهمية تركيب وتشغيل الوحدة الثانية للترميم الآلى من العوامل الأساسية فى زيادة معدلات ترميم المخطوطات النادرة التى لا يجود الزمان بمثلها.

مسابقة للعمل بالوعظ

صرح فضيلة الشيخ أحمد قنديل تركية مدير عام شئون مناطق الوعظ بأن الأمانة العامة المساعدة قد قامت بنشاط كبير خلال شهر رمضان المبارك وذلك بإيفاد مندوبيها من كبار رجال الدعوة الأفاضل إلى مختلف مؤسسات الدولة مثل الجيش والشرطة وكذلك كبرى الشركات الحكومية العاملة فى مصر، كما أرسلت مجموعة من كبار رجال الدعوة إلى المحافظات المختلفة خلال الشهر الكريم لإلقاء المحاضرات الدينية وإحياء ليالى الشهر الكريم.

كما صرح فضيلته أنه خلال الشهر القادم سوف يعلن عن مسابقة للعمل بالوعظ عن طريق التعاقد للعناصر التى تجيد الخطابة الدينية وحفظ القرآن الكريم وسوف يعقد اختبار لهؤلاء الوعاظ الجدد بالأمانة العامة للدعوة والإعلام الدينى فى مجمع البحوث الإسلامية وذلك بعد موافقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

ترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغة الإشارة

تلقى مجلس مجمع البحوث الإسلامية كتاب وزارة التضامن من مكتب الوزير بشأن مشروع ترجمة القرآن الكريم بالإشارة وقرر المجلس أنه من المتفق عليه عدم جواز ترجمة النص القرآنى لأن ذلك يخرجه من إعجازه بلغته العربية، أما ترجمة معانى القرآن إلى لغة الإشارة أو أى لغة أخرى، فذلك هو الجائز فقط

٣١٨ طالباً بريطانيا فى مراحل التعليم الأزهرى

فى الإحصاء السنوى للطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف أكد فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية أن عدد الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف من المملكة المتحدة البريطانية قد بلغ ٣١٨ دارسا ودارسة فى مختلف مراحل الدراسة. منهم فى الدراسات الخاصة عدد ٦ بنين وفتاة واحدة. وفى المرحلة الابتدائية ١٤٧ طالبا و٩٦ طالبة، وفى المرحلة الإعدادية ١٥ طالبا و١٣ طالبة، وفى المرحلة الثانوية ١٣ طالبا وفى الجامعة ٢٨ طالبا.

العقيدة والأخلاق



صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب جديد بعنوان العقيدة والأخلاق لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ويقع الكتاب فى ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير وقد تضمن عدة مباحث عن العقيدة الإسلامية ففى مبحث الإلهيات تناول معرفة الله ووجوده ـ وحدانيته ـ أسماء الله الحسنى وصفاته ـ القضاء والقدر ـ أفعال العباد وفى مبحث النبوات اشتمل على حاجة الإنسانية إلى الرسل ـ وحدة رسالتهم عليهم السلام ـ عددهم ـ صفاتهم ـ معجزاتهم وفى مبحث السمعيات شرح المقصود بالسمعيات منها الملائكة ـ الجن ـ الروح ـ أحوال القبر ـ الساعة ـ اليوم الآخر ـ العرش ـ اللوح ـ الكرسى ـ اليد، وفى مبحث الأخلاق ألقى الضوء على الموضوعات التالية ـ العفاف ـ الحلم ـ الصدق ـ الصبر ـ العلم ـ الرحمة ـ التعاون على البر والتقوى ـ نعمة الأمان.

والكتاب واضح المعنى فى جميع المعلومات، يسترشد بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام. يبتعد عن الجدل والخلافات التى لا طائل منها يخاطب العامة والخاصة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلى مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث.



[illegible]

مستشرقون ألمان يشككون في وجود الرسول ﷺ

ذكرت صحيفة ألمانية أن عدداً كبيراً من المستشرقين الألمان والباحثين في العلوم الإسلامية رفضوا الآراء التي طرحها أستاذ العلوم الإسلامية سفين كاليش المشككة في وجود دليل تاريخي على وجود النبي محمد ﷺ وأضافت الصحيفة أن القائمين على مشروع الدراسات القرآنية في أكاديمية برلين -وهو مشروع موسوعي ضخم يهدف إلى دراسة كل ما له علاقة بالقرآن والسيرة النبوية- قالوا في بيان لهم إنه لا يجوز الشك في المعطيات التاريخية المتعلقة بوجود النبي محمد ودلائل نبوته.

وأضاف الباحثون في مشروعهم (يمثل آراء الغالبية العظمى من الباحثين التي تعتبر النبي محمد حقيقة تاريخية). يذكر أن الإذاعة الألمانية وجهت انتقاداً إلى سفين كاليش مدير مركز الدراسات الدينية بجامعة مونستر كانت الألمانية بسبب إنكاره وجود الرسول محمد ﷺ، وقالت إن ذلك يمثل استفزازاً واضحاً للمسلمين.

البحرين تحاكم مدرسة أمريكية أساءت إلى الرسول ﷺ

أعلن رئيس النيابة في البحرين أن النيابة العامة قررت إحالة مدرسة أمريكية بإحدى الجامعات الخاصة إلى المحكمة بسبب إساءتها إلى الرسول محمد ﷺ.



عرض [illegible] فتنة [illegible] للإسلام في [illegible]

عرض نائب إسرائيلي يميني لقطات من فيلم (فتنة) الهولندي الذي يربط بين الإسلام والإرهاب. وقال النائب اليميني إن عرض الفيلم لا علاقة له بالصراع العربي الإسرائيلي ولكن إسرائيل هي الحصن الوحيد للحضارة الغربية في الشرق الأوسط على حد وصفه.

ويعتزم النائب استضافة مؤتمر بعنوان (مواجهة الجهاد) في الكنيست الإسرائيلي في ديسمبر يحضره ما بين ٢٠ و٣٠ نائبا أوروبيا.

[illegible]

استنكرت رابطة (علماء فلسطين) بشدة قيام يهود متطرفين بطباعة صور مسيئة لشخص الرسول الكريم محمد ﷺ على ملابس يتم إنتاجها لتوزيعها في الأسواق.

واعتبرت الرابطة -في بيان لها- هذا الأمر بمثابة استخفاف واضح بمشاعر مليار ونصف المليار مسلم وتجاوزاً سافراً لكل القيم والأعراف والمبادئ السماوية والإنسانية.

وقالت: نشعر بخطورة بالغة لمثل هذه التصرفات وندعو شعوبنا العربية والإسلامية للخروج من دائرة الصمت وكسر حاجز التردد والانتصار لرسول الله ﷺ بمختلف الوسائل.

وأكدت الرابطة أن الإساءة الجديدة لشخص النبي الكريم من قبل يهود متطرفين تمثل حلقة في سلسلة طويلة من الإساءات والاعتداءات على حرمة المساجد داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة فضلاً عن دور العبادة في بقية الأراضي الفلسطينية

[illegible] القرآن [illegible]

قالت اللجنة المستقلة للانتخابات المعنية بالإشراف على انتخابات إقليم آتشيه الأندونيسي عام ٢٠٠٩، إن إجادة قراءة القرآن الكريم ستعد شرطاً أساسياً للترشيح لتلك الانتخابات وأوضح رئيس اللجنة باروني آديبارم إن اللجنة ستجري اختباراً في قراءة القرآن الكريم لكافة الأشخاص الراغبين في ترشيح أنفسهم في هذه الانتخابات.

[illegible] يعتبرون الشرق الأوسط منطقة مجانين

أظهر استطلاع للرأي أن غالبية اليهود في إسرائيل يعتبرون أن منطقة الشرق الأوسط (منطقة مجانين) كما جاء في الاستطلاع أن ٦٣٪ يفضلون أن يكونوا جزءاً من الغرب وكشف الاستطلاع أن أجوبة المشاركين صاحبتها عبارات من نوع: (منطقة مجانين)، و(منطقة ملعونة)، و(مستنقع)، و(لم أعد أحتمل)، و(ماذا نفعل هنا؟!).

الأمم المتحدة: ٣ ملايين صومالي يحتاجون لمساعدات

حذر تقرير صادر عن الأمم المتحدة من أن نحو ثلاثة ملايين صومالي في حاجة للمساعدة قبل نهاية العام الجاري، جراء الارتفاع المستمر في أسعار المواد الغذائية، وعزت ذلك إلى الجفاف والاضطرابات الأمنية التي تشهدها البلاد.

تقارير ودراسات فرنسية: ٢٠ مليون مسلم في عام ٢٠٢٠

أشار آخر تقرير للمخابرات الفرنسية أن نسبة المسلمين الجدد في الجيش الفرنسي تصل إلى ٥٪ وهو ما دفع جهاز المخابرات الفرنسية إلى إعداد تقرير مفصل وإرساله إلى جهات معنية حكومية فرنسية لأمر دراسة واقية. ويقول التقرير الفرنسي أن تزايد نسبة المسلمين الجدد في فرنسا يحدث بشكل عام في القرى والمدن الفرنسية التي يوجد بها جاليات إسلامية قوية وأن ٣٧٪ من حالات الدخول في الإسلام حدثت بشكل كبير للأصدقاء والأقارب في الأوساط الاجتماعية والثقافية. ورصد التقرير ما تقوم به المساجد الفرنسية في مجال الدعوة إلى الإسلام ووصف المساجد بأنه أحد أهم أسباب انتشار الإسلام.

يذكر أن عدد مسلمي فرنسا يزيد عن ستة ملايين مسلم يشكلون ١٠٪ من عدد الفرنسيين، وتشير دراسات وتوقعات إلى أن عدد هؤلاء المسلمين سيتضاعف عددهم ثلاث مرات حتى ٢٠٢٠ ليزيد عددهم عن ٢٠ مليون نسمة بسبب نسبة المواليد العالية بينهم.

اكبر مسجد في أوروبا يقام في كولونيا

وافقت السلطات الألمانية في كولونيا على بناء مسجد سيكون هو الأضخم في أوروبا بعد أن قامت الهيئة الإسلامية الرئيسية في البلاد بتعديل ارتفاع مئذنتي المسجد.

كان الاتحاد التركي الإسلامي للشئون الدينية خطط لبناء مئذنتين بارتفاع ٥٥ مترا إلا أن السلطات رفضت ذلك مما دفع الاتحاد إلى تغيير خططه بخفض ارتفاع المئذنتين.

يذكر أن خطة بناء المسجد في كولونيا التي يشكل فيها المسلمون ١٢٪ من إجمالي عدد السكان قد تم طرحها قبل أكثر من عام، ويوجد ١٥٩ مسجد في ألمانيا فيما يبلغ عدد المسلمين نحو ٣.٥ مليون مسلم معظمهم من الأتراك ومن أصول تركية.

مجزر أمريكي يطرد ١٠٠ عامل مسلم بسبب صلاة رمضان

طرد مجزر لتعليب اللحوم في ولاية ... ١٠٠ عامل مسلم في مدينة جريلي الأمريكية بعد أن احتجوا على قرار إدارة الشركة حددت توجيه موعد ثابت لصلاة المغرب خلال شهر رمضان المبارك.

وأوضحت صحيفة جريلي تريبيون أن ٢٢٠ عاملا شاركوا في الاحتجاج إلا أن ١٢٠ عادوا إلى عملهم ولم يتعرضوا للطرد.

وأضافت الشركة التي تسع ٤٠٠ بقرة في الساعة الواحدة أن هذا التصرف يعد انتهاكا مباشرا لاتفاق جماعي.

وكانت الشركة قد سمحت لعمالها باستراحة مدتها ٣٠ دقيقة يوميا عند الساعة الثامنة مساء طيلة شهر رمضان الذي بدأ في أول سبتمبر. لكن العاملين لم يناسبهم تحديد الوقت لأن موعد الغروب يتغير من يوم لآخر.

مذبحة المسلمين، لعبة الكترونية .. بريطانية

أبدت مؤسسة رمضان الإسلامية البريطانية غضبها الشديد بسبب إطلاق لعبة إلكترونية بعنوان (مذبحة المسلمين) في ذكرى هجمات الحادي عشر من سبتمبر ودعت إلى فتح تحقيق حكومي بشأن هذه اللعبة. وتشير خطوات اللعبة إلى أن أمريكا أعلنت الحرب على الإسلام. ومن ثم فعلى المستخدم أن يتحكم في البطل الأمريكي، في اللعبة ويتخلص من المسلمين جميعا باستخدام ترسانة من أكثر أسلحة العالم فتكا وشراسة.

منظمة حقوقية إسرائيلية: مستوطنون يهود استولوا على مزيد من الأراضي في الضفة الغربية

كشفت منظمة (بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسان) أن سلطات بلادها ومستوطنين يهودا استولوا على مساحات كبيرة من الأراضي في الضفة الغربية المحتلة وضموها إلى المناطق الأمنية حول المستوطنات اليهودية إلى الشرق من الجدار العازل الذي تقيمه إسرائيل وفي تقرير جديد لها قالت إنه جرى إقامة سور حول نحو ١٢ مستوطنة شرقي الجدار العازل بموجب خطة رسمية (للمنطقة الأمنية الخاصة) مما يمنع الفلسطينيين من الوصول إلى حقولهم.

وأوضحت (بتسيلم) التي تراقب النشاط الاستيطاني الإسرائيلي في الأراضي التي احتلتها الدولة اليهودية في حرب عام ١٩٦٧م أن تقديراتها الإجمالي مساحة بعض المستوطنات في الخطة زادت بأكثر من الثلثين. وأضافت أنها تمكنها أن تقدم تقديرا تقريبا لإجمالي مساحة الأراضي التي أغلقت في وجه الفلسطينيين لكن ١١٢٦ فدانا على الأقل حول ١٢ مستوطنة تم ضمها بطريقة غير رسمية. مشيرة إلى أن نصف هذه الأراضي ممتلكات خاصة لفلسطينيين وقال التقرير إن السيطرة على الأراضي تم تحقيقها من خلال إقامة سور حولها أو من خلال هجمات مستوطنين وبعض الجنود على فلسطينيين غامروا بالاقتراب منها.

في تحد سافر لمشاعر مسلمي العالم إعادة طرح كتاب يسيء للسيدة عائشة رضي الله عنها

قرر ناشر صربي إعادة طرح كتاب مسيء ومثير للجدل حول السيدة عائشة رضي الله عنها زوجة النبي (عليه الصلاة والسلام) للبيع بعدما سحب من المكتبات في أغسطس إثر احتجاج مجموعة المسلمين في صربيا وقد وصفه المفتي معمر زوكورليتش بأنه (مسيء لجميع مسلمي العالم).

أنباء مكتب شيخ الأزهر

اعتماد نتيجة الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر صباح الاثنين ٨ / ٩ / ٢٠٠٨ نتيجة امتحان الدور الثانى لشهادات معاهد البعوث الإسلامية - الإعدادية والثانوية للعام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م وكانت نسبة النجاح للدور الثانى للشهادة الإعدادية ٣ ، ٧٢٪ حيث تقدم للامتحان ٢٩٥ طالبا حضر منهم ٢٤٩ طالبا ولما كانت نسبة النجاح فى الدور الأول ٩٤٪ فبذلك تصبح النسبة النهائية للنجاح فى الدورين الأول والثانى معا ٩٨٪.

وكانت نسبة النجاح للدور الثانى للشهادة الثانوية ٨٧٪ حيث تقدم للامتحان ٣٢٩ طالبا حضر منهم ٢٧٠ طالبا ولما كانت نسبة النجاح فى الدور الأول ٦١٪ فبذلك تصبح النسبة النهائية للنجاح فى الدورين الأول والثانى معاً ٩٦,٣٪.

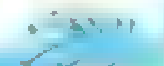
حضر اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ / عبدالفتاح علام وكيل الأزهر والسادة القائمين على أعمال الامتحانات والبحوث.

الإمام الأكبر يستقبل وفد نقابة الصحفيين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر صباح الثلاثاء ١٦ / ٩ / ٢٠٠٨م وفد أعضاء مجلس نقابة الصحفيين وهم (١٣) عضوا برئاسة السيد الأستاذ / مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين.

وجاء اللقاء للاعتذار عما كتبه السيد / محمد الباز - بجريدة الفجر والتى يرأسها الأستاذ / عادل حمودة بشأن الإساءة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

وأكد فضيلة الإمام بأنه لايتنازل عن حقه مع احترامه للصحفيين ونقيب الصحفيين مؤكدا بأنه من يصدر منه مثل تلك الإساءة ليس بصحفى ولايعتبره من الصحافة، وأنه يطالب بحقه ممن لايستحق العفو وقال : لقد رفعت الأمر للقضاء ليقول كلمته وأنا واثق فى نزاهة وعدالة القضاء المصرى.



ترتيبات العام الدراسى الجديد بالأزهر

عقد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف اجتماعا موسعا برؤساء الإدارات المركزية ومديرى عموم مناطق الأزهرية ومعنيين بمسيرة التعليم بالمعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية وذلك صباح الخميس الموافق ١١ / ٩ / ٢٠٠٨م بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف.

وقد تم مناقشة الترتيبات الخاصة باستقبال العام الدراسى ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩م وكذلك الوقوف على ما أعدته المناطق من ترتيبات تتعلق بتجهيز مواقع تعليمية مرافقها لاستقبال الطلاب فى العام الدراسى الجديد.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أنه لايحب أن يلقى ربه وهناك تلميذ واحد يجلس على الأرض داعيا رؤساء ومديرى المناطق الانضباط وتحرى المواقع فى كل معهد للتأكد من الاحتياجات الفعلية حتى يجد كل تلميذ مقعده. مشيرا أنه قد تم توزيع مليونين وسبعمائة وثمانين ألف جنيه لشراء مقاعد للمعاهد التى بها عجز بالمناطق. كما أنه يتم توزيع خمسمائة مقعد كل شهر من إنتاج ورش الأزهر على المعاهد التى بها عجز كما تم التأكيد والاطمئنان على وصول الكتب والخطة الدراسية فى جميع المناطق والوقوف على أى معوقات تحول دون ذلك. وبحث الإجراءات التى تتعلق بتيسير الكتب الدراسية سواء كانت شرعية أو عربية أو ثقافية تمهيدا لتسليمها للطلاب مع بداية العام الدراسى الجديد وسرعة تذليل العقبات التى تحول دون ذلك. كذلك وضع المناطق أمام مسئوليتها حيال متابعة سير الدراسة والعناية بكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم ودعم كافة وسائله المتاحة تأكيدا لكلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر (ليس بأزهرى من لايحفظ القرآن الكريم). والتأكيد على طلاب مرحلة الصف الأول الابتدائى بحفظ القرآن الكريم بالاعتماد على التلقين السليم من خلال الأجهزة الحديثة (شرائط الكاسيت) التى تم توزيعها على جميع المعاهد من قبل ليكون ترديد الطالب خلف القارئ بالصورة الصحيحة.

وأكد فضيلة الإمام على ضرورة تحقيق التوازن فى توزيع العمالة بعيدا عن تكدسها فى مواقع وانحسارها فى أخرى دون مبررات مراعاة لصالح العمل. كما أكد فضيلته على ضرورة كشف الاحتياجات والتعويض الصادر لها فى نقل المتعاقدين داخل المراكز التى يعملون بها فقط لتحقيق التوازن. وأكد على التزام هيئة التدريس بالخطة والمنهج دون تقصير أو تجاوز وحث المناطق على القيام بمسئولياتها حيال انتظام الطلاب فى الدراسة وتعريفهم بتعليمات معاهدهم الأزهرية بكل الطرق المتاحة واتخاذ الإجراءات اللازمة نحو الطلاب غير الملتزمين وقد أمر فضيلة الإمام الأكبر بوضع إعلان يصدر بجريدة صوت الأزهر والتعميم للشروط اللازمة للدخول بكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم حتى يتسنى من تنطبق عليه الشروط أن يتقدم لها وذلك من خلال النموذج المعد. حضر الاجتماع فضيلة الشيخ / عبدالفتاح علام - وكيل الأزهر، وفضيلة الشيخ / عبدالفتاح دويدار - رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ / محمد عبدالمجيد الخزرجى - الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.



higher standing. His duty was to deliver the message sent to him by Allah truthfully, honestly and accurately. Allah says:

' say : ' I do not say to you that I possess the treasuries of Allah , nor that I know the unseen , nor do I say to you that I am an angel , I only follow what is revealed to me .' (Al – Anam: 50)

This indicates that he has forsaken all personal sentiments, and likings and preferences. He has abandoned the beauties of life and its riches. As such he has elevated himself as a human beings, and has acquired a great status in it. However, he is still human.

The caller to Islam is unique in that he has the qualities that allow him to succeed in his mission such as patience, faith, sacrifice and stability. On the other hand, he is not expected to be superhuman. He is a human being with soul and body. If he attributes to himself any extra appreciation or respect or holiness, or that he controls destiny and can predict the future, or that he can forgive sins or provide absolution, in this case he fails and his mission fails with him.

A human being is always human. He may rise or descend in levels, but he does not acquire a different nature.

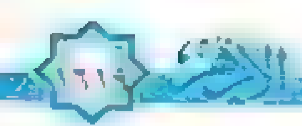
2 – The caller to Islam adheres to his mission:

The caller to the truth must have self-control, and exemplary behavior and principles. He should be a good example to others with high principles and values in his manners, character and in dealing with others.

The Quran has analyzed the dealings of the prophet (May the peace and blessings of Allah be upon him) and his inner feelings and required him to announce any actions that are not accepted. The Quran blames the prophet and the believers in their tendency to favor the opponents of Islam who are not likely to believe in Islam:

' It is not fitting for the prophet and the believers to ask for forgiveness for the unbelievers , even though they be near of kin , after it has become clear to them that those are the inhabitants of Hell'

(At – Tawba : 113)



The Quran also objects to the reliance of Islam on opponents of Islam to give them power or because of their [illegible]. In this case, the call to Islam is no longer the aim, and people may start to lose faith which means the failure of the mission.

The Holy Quran states:

'You shall not find a people who believe in Allah and the last day who are loving to anyone who opposes Allah and His Messenger , even if they are their parents , or their brethren ,or their kin '.

(Al Mujadalah: 22)

The caller to Islam instruct others to do the right things, so they themselves should adhere to that. There is no place for personal preferences or emotions. The caller to Islam must train himself to stick to the right path. He should point out to believers the mistakes they are likely to make, so that they may be avoided in future. He should try to create trust between him and the believers, so that no suspicions or rumors occur. This ensures peace in the society and the call to the truth is fulfilled.



People need means of subsistence from Allah to sustain their bodies, and need guidance from Allah to sustain their souls. However much they may have of knowledge, cleverness or genius, they still need guidance from Allah.

'Could he not know He who created? And He is the gentle, the Aware'

(AL – MULK: 14)

They need religion as much as they need food and other bodily requirements. Religion has balanced between the needs of the body and the needs of the soul. non is more important than the other. For the past century, the world has ignored religion. this has resulted in un certainty, war and destruction and emptiness of the soul. Humans have brought [illegible] to themselves and to others.

Modern civilization, with its tyranny and lack of vision, has harmed the world and has broken all ties and connections. It has lived only half of the truth, and the devil has completed the other half. Freedom in the west has spread and increased .In the east, the basic needs of life have been fulfilled .In Islamic countries, people have sustained the soul but are backward with respect to civilization. Islam, on the other hand, combines between all these. but Moslems have ignored their religion and have stopped applying it to their daily lives.

Now, we need to understand the call of Islam as an invitation to the truth. As a result we need to know the obligations and responsibilities of a person who calls to Islam, and who he is described by the Quran.

' Indeed, in this is a reminder, for whoever has a heart, or who listens mindfully ' (Qaf: 37)

The characteristics of a caller to Islam as mentioned in the Quran :

1- The caller to Islam is human:

The prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), who is calling to the truth, announced that he was human, and does not have any



3- The Prophet of Islam as seen by Moslems:

Muhammad Ibn Abdullah is the last of the Prophets and Messengers. He is human, but Allah revealed to him with the Quran through the angel Jibril (Peace be upon him).

"Say: I am only a mortal like you, it is revealed to me"

(Al-Kahf(The cave: 110)

"Say: Oh people! I am the Messenger of Allah to all of you"

(Al-Aa'raf: 158)

He was sent by Allah to all people.

"We have sent you to be witness, and a bearer of glad tidings and to warn, and call to the way of God with His permission, and so an illuminating light". (Al-Ahzab: 45- 46)

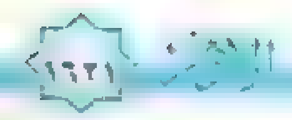
He is a human being with all the greatness of Prophets and all their efforts to bless humans and lead them to the right path using what Allah has sent to him and ordered him to deliverAllah says:

"And thus We have revealed to you an inspiration by Our Command. You did not know what was the Book, and what was Faith, but We made it a light, by which We guide whoever We please of Our servants, and You are surely guiding to the straight way. The way of God, to Whom belongs all that is in the heavens and the earth. Indeed to God do all things return" (Ashura: 52- 53)

4- Moslems bear a great message and should deliver it:

Allah has blessed Moslems by completing their religion and bestowed upon them the blessing of having Islam as a religion. He ordered them to spread the truth, as He will not do that for them.

"But a party of every section of them should march forth to become learned in religion and to warn their people when they return back to them, that they should guard themselves against evil" (ATwbah: 122)





- Muhammad is a messenger of Allah and the last of the Holy Prophets
- The message of Muhammad is to all people till the Day of Judgment.

In order to clarify, we will briefly mention the meaning of religion or message and we will talk about the Holy book of Islam and its Holy Prophet. This will avoid any sensitivity in the mention of Islam and its Prophet, so that we know more about nature of the call to Islam and the nature and characteristics of a Da'awa (caller to Islam). We will also mention how the Quran pictured the Prophet since he is an example in his behavior, manners, deeds and message. This will act as a light to guide callers to Islam in their lives and in the message, making it fruitful and beneficial to all mankind.

The call to Islam is civilized in its methods and humane in its values. Those who perform the call are people with high values and have complete faith in what they are calling to. Their only aim is Allah's reward and the good of Mankind.

1- The meaning of religion as understood by Moslems:

Religion to Moslems is Islam. It is the religion of all Prophets (Peace be upon them) as mentioned in the Quran. Moslems believe in all messages and all Prophets of Allah, as indicated in the Quran:

"The Messenger believes in what has been revealed to him from his Lord, and so do the believers, they all believe in Allah and His angels and his books and his Messengers, We make no distinction between any of His Messengers" (TheCow(Al-Baqrah): 285)

All heavenly religions have the same origin. In the Quran, it is mentioned that:

"Say: We believe in Allah and in what is revealed to us, and in that which was revealed to Abraham and Ismail and Isaac and Jacob and the tribes, and in that which was given to Moses and Jesus, and in that which was given to the Prophets from their Lord, we do not make any distinction between any of them and to His will we submit"

(The Cow(Al-Baqrah): 136)



Religion is necessity to humans. Anyone who says that the mind does not need a religion is either insane or stupid or too proud.

2- The Holy Quran as seen by Moslems:

The Holy Quran is the book of Allah, His revelation to his Prophet Muhammad (May the blessings and Peace of Allah be upon Him), the last of the Prophets. It guides people to the right path. It promises those who follow it with all good things, and it threatens those who disobey it with lack of happiness and peace of mind in this life and in the hereafter. Allah has promised to protect the Holy Quran:

"Indeed! We revealed the Quran, and We will most surely preserve it"
(Al-Hijr(Expounded): 9)

It has been protected by both those who believe in it and those who do not. Allah protects it from any additions or deletions or any changes or mixing up.

The Holy Quran is not very different from previous books sent by Allah to previous messengers. However, it is the Holy Scripture that collects all original messages to previous Prophets and Messengers.

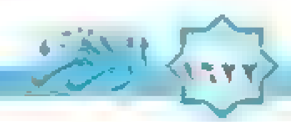
The Holy Quran describes itself saying:

"It is a Mighty Book. No falsehood can come to it from before it or from behind it, it is a revelation from the All-Wise, the One Worthy of All Praise. Nothing is said to you that was not said to the Messengers before you." (Fussilat:41- 43)

It includes details of life now and in the hereafter that are not included anywhere else. It ensures a good life and the good of the living.

"And We reveal of the Quran that which is healing and a mercy to the believers" (Al-Isra'a(The night Joorney : 82)

No one refuses mercy except the obstinate, and no one refuses to be healed except a crazy person. The Holy Quran is the Prophet's greatest miracle that will remain till the day of Judgment.



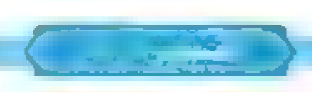
busy with our wives and children and forget a lot. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, I swear by Allah, if you continue to worship Allah in the way you do when you are with me, the angels would greet you in your beds and while you are walking, but, Hanzalah, you have to live an hour in worship and an hour for your life, and he repeated this three times."

This is the genius of Islam and its mercy. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) applied this in his life. He (May the blessings and peace of Allah be upon him) used to worship Allah and pray to Him until his feet swell, and at other times, he used to joke with his friends and smile. He used to like happiness and hated sadness, and used to ask Allah to protect him from it. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Oh Allah! I implore you to protect me from misery and sadness". Al-Bukhari and Muslim have narrated that the Lady Aisha, Mother of Believers, (May Allah be pleased with her) said: That Abu Bakr (May Allah be pleased with him) came to her while she was with two women servants in the Eid of Al-Adha, and they were singing and beating on drums, and the Prophet was covered with his clothes. Abu Bakr scolded them, but the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) removed the clothes from his face and said: Leave them, Abu Bakr, these are days of Eid and rejoicing". As such, People are allowed to rejoice and feel happy with the coming of the Eid, and to express their joy and happiness within the limits set by Allah. They can visit their relatives, go out to the gardens and amusement parks, have parties and invitations to dinner, and any other innocent gatherings.

However, does the Eid make us forget the present state of the Muslim Nation? Al-Rafee says, "The Eid is a method to teach the Muslim Nation how to face the changes around them. The religion has laid down the basics. It has set an economic feast for the Nation in the Eid. It is a feast for industry, for education, and for Art of making things beautiful. Every day of Eid is a day to victory.

Is the Eid in the Islamic Nation actually like that? The Eid is a method to make this Nation feel that it is strong enough to change and to show that it can be an economic power with the unity of its members.





[1]The call to Islam and the Caller to Islam as mentioned in the Holy Quran...!

By: Dr. Tawfik Muhammad Shaheen

The nature of the call to Islam in the Holy Quran:

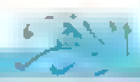
The Prophet Muhammad Ibn Abdullah (May the blessings and Peace of Allah be upon Him) called people to Islam, the religion of Allah, all his life. In doing this, he used the method of clear proof and reasoning in order to convince people. He did not attempt to harm any of his opponents and did not indulge in their false talk. It was enough that that truth was on his side. He used human reasoning that respects the mind and is not swayed by human craving. It is not affected by prejudice or pride of leadership or family honor or class. He did not aim at any personal gain.

The Prophet (May the blessings and Peace of Allah be upon Him) lived solely to spread the truth, forsaking any worldly ambitions. This required patience in facing hardship and dislikes, in order to succeed in spreading his message. He avoided using force, intimidation or fear. Whoever accepted the religion did so of his own free will and with complete conviction.

The Prophet allowed the believer freedom in following the principles of Islam. It is the believer who monitors himself and behavior in his life and in the lives of those around him; following his own conscience without outside interference. This allows him to become a member of the Moslem nation that respects human beings and their honor and freedom in addition to all other periods or specific places or to a race or family. Rather, it aims to unite the Moslem world. It relates to all humans wherever they may be. All what was mentioned in the Holy Quran about calling to Islam emphasizes the following:

- Islam is the religion of Allah.
- The Quran is the book of Allah.

[1] An Article published (in Arabic) at Al - Azhar Magazine .




"When the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) came to Medina, there were two days for playing and enjoyment. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) asked: What are these days?" They answered that these were days in which they played and rejoiced during the time of Jahilia (before Islam), so the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: Allah has substituted them with better days: the day of Al-Adha and the day of El-Fitr. They are days for prayer and giving thanks. They are for joy and happiness for having fulfilled the orders of Allah, instead of just playing and loud noise"

These two days are rewards from Allah to Muslims who obey Him and perform the worship required from them, according to the laws of Allah. It is a day in which Muslims have finishing a worshipping act. It is a day of joy and good expectations after finishing the fasting of the month of Ramadan which the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) describes as: "It is a month that Allah has ordered you to fast in, and the Prophet prayed through its nights. Anyone who fasts during the day and prays at night during this month for the sake of Allah has been forgiven for all his sins and returns back as the day his mother gave birth to him"

The day of Eid is a day Muslims rest in, after a month of fasting. In this day, also, giving money to the poor and needy is a way of purifying the soul of all bad deeds. It is a day of piety and generosity. The rich gives money to his needy brothers, solely for the sake of Allah, and to ask for His forgiveness. In this day, relatives get to meet each other and Muslims meet together with pure hearts and clean souls.

A true Muslim should judge himself before he is judged. Were our deeds in Ramadan, as individuals and as a nation, good enough to deserve this reward? Fasting purifies the soul and makes our hearts more merciful. It directs us to face Allah, since one of the fruits of Islam is to have our hearts bound to Allah. Nowadays, we all need to improve our relationship with Allah.

Ramadan is the month in which the Holy Quran was first revealed. Allah Says:

"And we reveal from the Quran what is healing and merciful to the believers, and to the oppressors, it only increases their loss" (Al-Israa: 82)

In the Islamic world now, there are so many problems. The solution to most of these problems is in the Holy Quran. The Quran came with the true faith and the laws of Allah. If Muslims abide by these laws, most of their



problems will be solved. The society, as a whole, will set to work and improve the standards of all Muslims. This is true mercy, since work results in increased production and this leads to the spread of wealth. If the society abides by the laws of Allah, Muslims will live in wealth and prosperity. We were in the month of Ramadan, and yet we saw a lot of problems in our Muslim society- financial and otherwise. We need to ask ourselves, have we applied Allah's laws in our life?

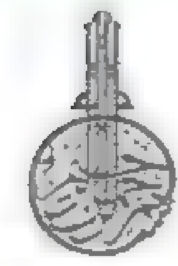
Ramadan is the month of friendliness, cooperation and brotherhood. It is the month of strong convictions, honest faith, and sincere actions. However, we see many Muslims around us who think that Ramadan is the month for rest and relaxation. These Muslims have forgotten that their ancestors fasted in the heat of the desert, where there is very little food and water. They had no means of comfort at all. Allah has tested the companions of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) in this month with several wars like Badr, and the Opening of Mecca. They proved themselves to be true believers and fulfilled their oath to Allah. He, in turn, gave them victory and kept them steadfast and gave them the upper hand over their enemies.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) allowed Muslims to relax and enjoy themselves within the limits set by Allah. Our religion is intermediate. Some Companions of the Prophet believed that a person cannot obtain Allah's favor and forgiveness unless if he continues to pray day and night without any chance to enjoy himself and feel happy. They thought that any form of joy is against the religion. This is indicated in the dialogue by Hanzallah Al-Usaidy (an honored companion of the Prophet and one of the Muslims who recorded the Quran). He spoke about Abu Bakr Al-Siddiq (may Allah be pleased with him) and said:

"Abu Bakr met me and said: How are you, Hanzallah? And I said: Hanzallah is not a true believer! Abu Bakr said: What are you saying? And I said: When we are with the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), he reminds us of paradise and Hell until we can almost see them with our eyes, then when we leave we become busy with our wives and children and forget a lot. Abu Bakr said: This is true. Then Hanzallah said: Abu Bakr and I went to the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and I told him: Oh! Prophet, I am not a true believer! And the Prophet said: Why is that, Hanzallah? And I said: Oh! Prophet, when we are with you, you remind us of paradise and Hell until we can almost see them with our eyes, then when we leave we become



AL-AZHAR MAGAZINE
Shawwal, 1429



ENGLISH SECTION
October, 2008

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



The Day of Eid: A Day of Rewards...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The feast of Eid El-Fitr and Eid El-Adha come after two holy occasions that connect between Muslims from all parts of the earth fasting the month of Ramadan and performing the Holy pilgrimage to Mecca. Muslims are now on celebrating Eid El-Fitr. It is a holiday for all Muslims who wait for this heavenly reward after performing their act of worship by fasting the month of Ramadan. They deserve this reward since one of the basics of Islam is to reward all good deeds.

"Anyone who does an atom weight of good is rewarded, and anyone who does an atom weight of evil will receive his due" (El-Zalzala. 7, 8)

Even though acts of worship by a worshipper are mainly aimed at announcing his submission to Allah the Almighty, for He alone should be worshipped. Allah requires his worshippers to thank Him for guiding them to the true faith and honoring them by being Muslims. He has given them the strength to fulfill one of the five pillars of Islam.

"And to complete the days and to glorify Allah for what he has bestowed on you so that you may thank him." (A-Baqara. 185)

Allah the Almighty has bestowed upon his fasting worshippers a huge reward as a prize for their obedience to Allah in fasting the month of Ramadan. They have deprived themselves of the pleasures of life. This elevates the Muslim and makes him a complete human being. Allah wants the Islamic Nation to practice through the month how to unite in all aspects, starting from giving up food and drink (which are essential to sustain life) to improving personal relationships between people with their children, their wives, their family and even outside the family circle. If each Muslim succeeds in improving his behavior and abide by the rules of fasting, the Nation will unite intellectually and socially. This is the main aim of Islam and this is why Eid El-Fitr comes as a reward.

The day of Eid is a holy day honored in Islam. It is prohibited for a Muslim to fast on this day because it is a day of joy and happiness for all Muslims. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said a Hadith narrated by Abu-Dawood and Al-Nesaaee that Anas said

الفهــــرس

AL AZHAR

MAGAZINE




الأزهر
وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق

بسم الله الرحمن الرحيم






مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابا وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

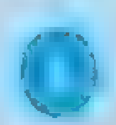
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩





من آلام المجتمع

الاكتئاب مرض حقيقي



ارتفع المستوى المادي أكثر من ذي قبل، فأصبح كثير من الناس يعيشون في رغد يحسدهم به أحد دونهم. ولكن بعض هؤلاء الذين تحسنت جوانبهم المعيشية لم تتحسن أمورهم النفسية تبعا لراحة البال من ناحية السعي وراء لقمة العيش. ولكن نشاهد النفوس في طرائق كثيرة ممن نراهم من الذين آتاهم الله من رزقه وقوة الرزق يعانون أمراضا نفسية هي أشد وقعا من الحرمان المادي. فقد نجد الإنسان ينعم بالعيش المريح، والبيت الهادئ، والثراء الموفور، والصحة الجسمية التي تبلغ حد الفتوة الخارقة. ولكنك تجده منكسر الخاطر، مشتت البال، منزعج النفس، لا يطمئن إلى غيره، فهو في حيرة تتجاذبه الأوهام. وقد تتحول هذه الحيرة إلى ما يعوقه حظرا من عزلة الناس، ووجوم وإطراق وقلق. وتلك ظاهرة تعرف لدى النفسيين اليوم بالاكتئاب. وقد أخذت هذه الكلمة تتردد في العيادات النفسية كما تتردد أسماء الصداع والضغط والسكر في العيادات الجسمية. وإذا كان تعيين المرض الجسمي أسهل بكثير من تشخيص المرض النفسي فإن الاكتئاب بالتأكيد في حاجة إلى وقفة متأنية.

وأول أسباب هذا الاكتئاب هو الطموح الكاذب في مسائل الثراء والجاه، إذ أحد حقول الصراع التي يسيطر على الناس سيطرة أفقدتهم فضائل النفس الإنسانية التي تتجلى في القناعة والعفة والوثوق بالله والتعاون. فقد يكون الإنسان منعما بما يملك، ولكنه ينظر إلى ما عند سواه. ولابد أن يوجد من هو أحسن حالا منه. كما لابد أن يوجد من هو أسوأ وضعا منه، وبدلا من أن يحمد الله على أن أمده بما يهون عليه أعباء العيش، فإن الزفرات تتصاعد من صدره، لأنه لا يحوز أكثر مما في يده، وهكذا تعمى العين عن نعم الله الخزينة متطلعة إلى ما لا يفيدها شيئا لو تحقق. إذ ليس لك من مالك في الواقع إلا ما أكلت أو لبست. وما كفاك حاجة

الجسم، وكل ما سوى ذلك عبء أي عبء، بل ربما أدى الإفراط في التلذذ إلى علل جسيمة تنغص العيش، وتدني من الحمام.

وقد صدق البحتري حين قال:

تبتغي الأكثر في الدنيا وقد

يبلغ الحاجة فيها بالأقل

وهو قول صادر عن تجربة إنسان عاش أكثر من ثمانين عاما فوجد الناس يتقاتلون ويتخاصمون، ويعيشون في أسوأ حالات الصراع، وأشق مآزق النزاع ليكسبوا ما لا يفيدهم في شيء، لأن الحاجة المادية مكفولة لديهم. وهم يبغون أكثر مما يحتاجون، فيعيشون في قلق لا يهدأ ويستشعرون مرارة لا تريم.

لقد كان المعهود من قبل أن تمتلئ السجون بمن يسرقون اضطرارا لقضاء الضروريات من أمور الحياة، فأصبحنا اليوم نجد السجون تمتلئ بالأغنياء، فهذا ترى كبيرا يختلس أو يرتشي أو يسرق أو يعتدي على عقار غيره، فإذا سألته عن جرائمه التي ساقته إلى السجن، قال: إنه يريد أن يكون في وضع أحسن!! ولو كان لدينا رأي عام يقبح الجرائم، وينزلها المنزلة الوضيعة من الهوان، لما تجرأ غير المحتاج على الغصب والسلب والاحتيال. ولكن كثيرا من المفسدين تعظم أموالهم ويكثر عقارهم، ويقابلون من الرأي العام - ولو ظاهرا - بالاحترام والاحتفاء، فينسون ما اقترفوا من الجرائم ويضربون أسوأ الأمثلة لأبنائهم وعارفيهم. بل لابد أن يجدوا من يحاول تقليدهم، ولذا لا يجدون المنتقد، وذو الجريمة محترم مقدر، لا يجد من يحوبه بجرائره وكأنه في حرز حريز"

كما كان من قبل نجد المستشفيات تمتلئ بصرعى الفاقة والجوع والحرمان، فأصبحنا اليوم نجدها تمتلئ بصرعى التخمة والاكتظاظ والإسراف في المآكل الدسمة، والمشروبات السامة، والمدخنات المدنية، وهكذا أصبح المال أداة بلاء بدل أن يكون عامل هناء! هذا هو الشاهد الملموس فيما نرى من السجون والمستشفيات! فماذا تقول في هذه الحالات المتعددة، وكيف يجوز أن نسكت عن هذا الخطر المحدق؟!

دع عنك السجون والمستشفيات، وتعال إلى من يعانون الاكتئاب في منازلهم ومتاجرهم وأماكن وظائفهم الحكومية وغير الحكومية، إنك تسأل المكتئب من هؤلاء؟ هل فقدت عزيزا؟ هل خسرت مالا؟ هل عققك قريب؟ هل خانك حبيب؟ هل أصبت بمرض شاغل؟ فتجد الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها بالنفي القاطع! فتعجب لماذا صار كذلك، وهو محظوظ بالصحة، مكفول أداة الطعام والشراب، مالك للملبس والمسكن.

تمتع بالأولاد والزوجة والأصحاب! - لم يكون مصدر الهناء أداة الشقاء؟ ولماذا ينقلب الصباح المشرق ليلا متكاثف الظلمات؟

إن المكتئب غير سعيد قطعا، بل هو في أعماق نفسه ينشد السعادة، ويبحث عنها جاهدا، ويراها بعيدة عنه، وليست في طوقه. وهو في حاجة إلى من يرشده إلى واقعه النفسي ناصحا مشفقا، فيزيح الغطاء عن عينيه ليرى أن السعادة في متناول يده، وهو المعرض المبتعد عن مكانها القريب!

لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصول السعادة النفسية في عبارة موجزة حين قال: (من بات آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها)[1].

والكثرة الكاثرة من مكتئبي هذا العصر يملكون كل ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأنت تسألهم هل يأمنون على أنفسهم، فلا تجد في حياتهم ما يهددها بخوف، أو يزعزعها باضطراب، فكل منهم آمن في سربه، وبذلك تحقق الشرط الأول؟! ثم تسألهم هل في أبدانهم علة جسمية، فتعرف أن البدن سليم، والجسم صحيح، وأن أحدهما يحمل الأوزان الثقيلة دون كلل، ويمشي المسافات البعيدة دون إعياء، فكل منهم معافى في بدنه، وبذلك تحقق الشرط الثاني؟! وأنت تسألهم أيجدون ما ينفقون؟ فتعجب حين ترى المال يجري بين أيديهم بحيث يضمن حاجة اليوم والغد، وقد يمتد إلى حاجات أبنائهم في المستقبل، دون يأس من فضل الله، فكل منهم ليس عنده قوت يومه فحسب، ولكنه جاوز اليوم إلى الأعوام الطوال، وبذلك تحقق الشرط الثالث؟ فما علة هذا الاكتئاب، ولم تصاعد الزفرات وعبوس الوجه وانقباض الجبين؟!

على أن خطر المكتئب لايقف عند نفسه، بل يتعداه إلى أحب أحبائه وأخلص خلصائه، تصور والدا مكتئبا في منزل يضم الزوجة والأولاد، وكلهم يرى فيه القدوة المثلى، ويعده عماد البيت وحصنه الواقي، وظله الوارف فماذا عسى يصنعون، وهم يجدون الوالد شاكيا صاخبا؟! إن المنزل يتحول إلى جحيم، وإذا هرب الأولاد من ضيقه الدائم، واكتئابه الملازم، فإلى أين يذهبون؟ إلى أقاربهم، إنهم يتحملونهم المرة والمرتين، ثم لايجدون غير الصدود، بل إنهم يسمعون ما يضايقهم حين يتردد الحديث عن مسلك الوالد، وانقباضه العابس دون مبرر، وفي المتحدثين من يظهر روح السخرية والاستخفاف، فيزيد ألمهم ويضاعف البلاء، والزوجة ماذا تصنع؟ وأمامها زوج لاتعرف سببا لشكواه، وقد تعده منصرفا عنها، لأن رغبته قد امتدت إلى سواها، فيحدث الشجار وتتتابع الصعاب!

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد

إن العلاج سهل ميسور، ولن يكون في غير النظرة الواقعية، وفي وأد الطموح البعيد، والتطلع الكاذب، فليست الملذات ملذات جسم ومنصب، ولكنها ملذات إيمان ويقين، لماذا نستعجل الشقاء قبل البلاء؟ وإذا كان المرض الجسمي حادثا متوقعا، نعمل على تلافيه جاهدين، فلماذا نضيف إليه مرضا نفسيا، وأسباب السعادة موفورة تامة، لو استمعنا إلى منطق العقل، ووقفنا متأملين أمام حديث رسول الله السالف، وقد أوضح السبيل، وأنار الطريق؟!

هذا ما نراه من وسائل العلاج، وليست بالأمر الخافي الذي تبذل الجهود خلاله ولكنها واضحة مشتهرة، يعرفها المريض بعقله وينأى عنها بسلوكه، إذ إن إرادة الشفاء ليست في المحل الأول من اعتباره، أقول ذلك عن تأكيد، وقد يستغربه من يسمعه للوهلة الأولى، إذ إن كل مريض يريد الشفاء عن رغبة كالأمنية فقط، أما الواقع فبعيد كل البعد عن تحقيق هذه الإرادة، وإذا طلبت أمثلة تكشف هذا الخطر العجيب فإليك:

نرى الرجل العاقل مصابا في بعض جهازه الهضمي، وقد منعه الطبيب أن يأكل ما يثقل هضمه، ويصحح سمعه، ثم هو يشتري من الأدوية والعقاقير ما يساعد على الهضم ولكنه مع ذلك لايريد الشفاء لنفسه، حين يأكل مما يجب أن يمتنع عنه، وحين يعاود أكل الممنوع مرة بعد مرة، وكأنه مما لاخطر فيه، فتسأل متعجبا: أيريد مثل هذا المريض لنفسه الشفاء؟ ونجد الرجل العاقل، وقد كثرت أعباؤه الصحية بتقدم السن، وارتفع الضغط لديه ارتفاعا ينذر بالخوف، وقد أمره الطبيب أن يأخذ قسطا من الراحة، فلا يواصل العمل كما قد كان في عصر الشباب، ولايديم السهر في متجره دائبا كادحا، ثم هو بعد ذلك لايستجيب لنداء الطبيب، ويواصل أخذ الدواء دون أن يعمل على تهدئة أعصابه، فتسأل متعجبا: أيريد مثل هذا المريض لنفسه الشفاء؟!

والمشروبات الضارة من مسكرات ودخان يتحتم على بعض المرضى في أحيان كثيرة مجافاتها، والابتعاد عن تناولها؛ لأن الضرر محقق، والعاقبة الوخيمة منتظرة، ومع ذلك تجد المريض الممنوع من التدخين يخالس نفسه ليشرب السيجارة بعد السيجارة، كما يفعل مدمن المسكرات، وكأنهما يتآمران على شخص أجنبي لا يهمهما أن تنتهي حياته في العاجل القريب فتسأل متعجبا: أيريد هذان لنفسيهما الشفاء؟!

أمثلة كثيرة من هذا الطراز نراها رأي العين، فنقف إزاءها حائرين، كما نرى في الجهة المقابلة نوعا من المرضى، قد رزقوا الإرادة القوية، فالتزموا النصائح الطبية التزاما حميدا، ومضت حياتهم الصحية على نهج مريح، ولكن وجود هذا الفريق، لايجعلنا نغفل أمر الذين يتورطون فيما يسوء، وهم - للأسف - كثيرون.

لقد قرأتُ قصة لكاتب إنجليزي، موجزها أن شابا مريضا سقط من الدور الرابع، فتكسرت عظامه على نحو يؤذن باليأس، وذهب إلى المستشفى، فواصل الأطباء علاجه في غير تفاؤل، ولكنه كان مستبشرا باسما، يتقبل التعليمات القاسية في طمأنينة، وقد ينام على جنب واحد أسبوعا دون أن يتحرك، وهو مع ذلك يحرص على استماع المسليات في الإذاعة، ويحادث عائديه في رغبة، وقد يحاولون الإقلال من مجالسته كيلا يرهق بالحديث، ولكنه يؤكد أن المرض مسألة عابرة، وأن الصحة قادمة عن قريب، ويراه الأطباء في هدوئه المتفائل، فيمدونه بجهد في رضا وتشجيع، ثم تكون النتيجة أن يبرأ في مدى غير متوقع، وأن ينتصر الرجاء على اليأس؛ لأن صاحبنا أراد الشفاء عن حزم حازم، واستبعد كل وسواس ينذر بسوء المصير.

قد تكون هذه القصة واقعية رآها الكاتب فسجلها عن عيان، وقد تكون خيالية شاء المؤلف أن يحشد وقائعها لتنتهي إلى مدلولها النفسي الصادق، وهو أن إرادة الشفاء إذا تأكدت في نفس المريض، ووجدت من التصميم الحازم ما يؤكد وجودها اتخذت طريقها لتصل بصاحبها إلى بر النجاة، وهذا ما نحب أن نقرره في هذا المجال لنصيح في هؤلاء الذين يفرطون في أعز ما يملكون أن هبوا من النوم، فإن الحذر الحريص له دواعيه المحتومة في سلامة الجسم، وتوقّي الأخطار!

لقد ضربت بعض الأمثلة للأمراض الجسمية، والأمر في الأمراض النفسية أخطر وأدهى؛ لأن المرض الجسمي غالبا ما يكون محسوسا مرئيا يشاهد دون إنكار، أما المرض النفسي فلا يكون لدى صاحبه من الوضوح الجاد بمنزلة المرض الجسمي، بل كثيرا ما يمترى فيه مع وضوح الدلائل، وهو من الخطورة بمنزلة لاتقل عن غيره، وإرادة الشفاء في المرض النفسي هي العامل الأول في الشفاء، لأن العقاقير الطبية تجيء لديه في المرتبة الثانية غالبا؛ إذ تكون من قبيل التهدئة لا من بواعث الاستئصال، فإذا كان المريض النفسي لايعترف بمرضه تارة، أو يعترف ولايأخذ بأسباب الشفاء تارة أخرى، فأي عاقبة تكون؟

نجد بعض الناس يخافون من المستقبل دون مبرر؛ إذ يتوهمون أن الغد سيفاجئهم بما يؤلم ويسيء، ويأتي الغد المنتظر فلايحدث لهم ما يتوقعون، وكان من المنطق أن يكفوا عن الخوف، ولكنهم يتوقعون الخطر فيما بعد الغد، وتتكرر الأيام والأعصاب مشدودة، والقلق مسيطر، والمريض الخائف مرتبك في عمله، ضائق بنفسه وأهله، متحفز للشجار في أتفه الملابسات، فإذا أردت أو أراد الطبيب النفسي أن يشير عليه بما يبدد أوهامه، أنكر أنه مريض، ورمى من حوله بسوء التدبير، وقلة الاحتيال، وإذا لم يعرف المريض مكمن دائه فلا أمل في الشفاء!

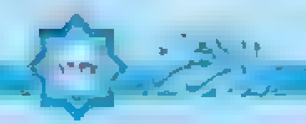
وقد نجد مريضا آخر يسيء الظن برئيسه أو زميله أو مرءوسيه دون موجب، وهو تحت هذا الظن الواهم، يؤول كل حركة، ويفسر كل عمل، ويحمل كل موقف على ما ينتمي إلى سوء الظن، ويعتقد أنه قد رزق من بعد النظر، وقوة الاستنتاج، وصدق الفراسة ما لم يرزق سواه، وطبيعي أنه في مثل موقفه سيجد المعارض المهاجم، وستنشأ معارك حادة تعكر الصفو، وتجلب الشقاء، فإذا حاول إنسان محايد أن يقدم النصيحة لهذا الشكاك المتوهم، ثار وصخب، وأضاف إلى أعدائه عدوا جديدا هو الناصح الأمين، وإذا انتهى الأمر إلى ذلك فهل يصل صاحبنا إلى الشفاء، وهو لايريد.

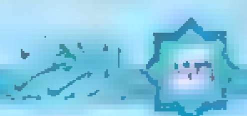
ومن هؤلاء من يتخوفون من ركوب الطائرة، أو النوم في الظلام، أو الاجتماع مع الناس في محفل لتبادل الآراء، وتركبهم الوساوس حين يضطرون إلى مزاولة ما يخافون، وقد يقدمون على عمل مثمر، لديهم الكفاءة في تنفيذه لو سلموا من الخوف، ولكنهم يبددون طاقتهم في السيطرة على أوهامهم، وقد لايستطيعون، فيمنون بالإخفاق، فإذا تقدم ناصح محايد أو معالج دارس، فأوقفهم على مقدار الخطر في حياتهم، ودعاهم إلى طرد هذه الوساوس، وضرب الأمثلة الواقعية من الحياة، مستشهدا بآلاف الآلاف ممن يركبون الطائرة، وينامون في الظلام، ويتشجعون على النقاش في الندوات العامة دون حذر ما، إذا تقدم إليهم ناصح بذلك، ضجروا منه وباعدوه، وأنكروا أنهم في حاجة إلى نصيح يشير بالرأي الصحيح، أفيحق بعد هذا أن يكون لهؤلاء إرادة في الشفاء؟!

إن المريض في حاجة إلى صديق يأنس له، ويمنحه ثقته الأكيدة، وهو وحده الذي يستطيع أن يأخذ بصاحب المرض النفسي إلى إرادة الشفاء متى كان ذا مستوى فكرى قائد، أو أن يدله على الطبيب النفسي مشجعا محبذا؛ إذ إن بعض الناس لايزالون يتحرجون من العلاج النفسي، كيلا يشك أحد في قدراتهم العقلية، وهم يجب أن يروا، لأن الجسم إذا تطلب العلاج دون معابة، فالنفس صنو الجسم، بل هي التي تدير دفته، وتعمل على إسعاده، وبدونها لاتتم هداية، فإذا احتاجت إلى علاج فلابد أن يتاح، وإرادة الشفاء تتقدم في الطريق، وقد أخذنا الأهبة للنجاح، ونحن نريد بالإرادة التصميم العملي، لا التمني الطموح، لأن التمني وحده لايفيد شيئا، إلا إذا وضع المتمنى موضع التنفيذ، ليقطف الثمر عن قريب.

وبعد فهل نريد الشفاء حقا، كما نريد أن نتخلص سريعا من الاكتئاب؟!

د./ محمد رجب البيومي





تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ ﴾

الآيات (١٨٩: ١٩٢)

قوله - تعالى - :

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾

أي له وحده - سبحانه - ملك السموات والأرض بما فيهما. فهو وحده صاحب السلطان القاهر في هذا العالم يتصرف فيه كيفما يشاء ويختار: إيجادا وإعداما، وإحياء وإماتة، وتعذيبا وإثابة، وهو - سبحانه - على كل شيء قدير، لا يعجزه أمر، ولا يدفع عقابه دافع، ولا يمنع عقابه مانع، فعليكم أيها الناس أن تطيعوه وأن تحذروا غضبه ونقمته.

وبعد أن بين - سبحانه - أن ملك السموات والأرض بقبضته أشار - سبحانه - إلى ما فيهما من عبر وعظات فقال:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

أي: إن في إيجاد السموات والأرض على هذا النحو البديع، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وبحار وزروع وأشجار.. وفي إيجاد الليل والنهار على تلك الحالة المتعاقبة، وفي اختلافهما طولا وقصرا.. في كل ذلك لأمارات واضحة، وأدلة ساطعة، لأصحاب العقول السليمة على وحدانية الله - تعالى - وعظيم قدرته، وباهر حكمته.

وصدرت الجملة الكريمة بحرف «إن» للاهتمام بالخبر، وللاعتناء بتحقيق مضمون الجملة. أي إن في إيجاد السموات والأرض وإنشائهما على ما هما عليه من العجائب، وما اشتملتا عليه من البدائع، وفي اختلاف الليل والنهار.. إن في كل ذلك من العبر والعظات ما يحمل كل عاقل على الاعتراف بوحدانية الله، وكمال قدرته وحكمته.

والمراد بأولي الألباب: أصحاب العقول السليمة، والأفكار المستقيمة، لأن لب الشيء هو خلاصته وصفوته.

ولقد قال الزمخشري في صفة أولي الألباب: (هم الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطرة. وفي حكمة: املأ عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها، متدبرا في حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر»[1]

هذا، وقد أورد المفسرون كثيرا من الآثار في فضل الآيات العشر التي اختتمت بها سورة آل عمران، ومن ذلك قول ابن كثير - رحمه الله - :

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده فقد روى البخاري - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد. فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

ثم قام فتوضأ واستن، ثم صلى إحدى عشر ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح.

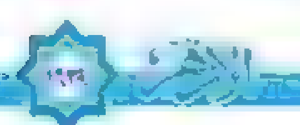
وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعد ما مضى شطر من الليل فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

ثم قال: (اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، ومن بين يدي نورا، ومن خلفي نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وأعظم لي نورا يوم القيامة).

وروى ابن مردويه عن عطاء قال: انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة - رضي الله عنها - فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب فقال لها ابن عمر: أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ ؟ فبكت وقالت: كل أمره كان عجبا!! أتاني في ليلتي حتى مس

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص ٣٤٨



جلده جلدي ثم قال: يا عائشة: ذريني أتعبد لربي عز وجل. قلت: فقمت والله إني لأحب قربك وإني أحب أن تعبد ربك.

فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح قالت: فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال!! وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي هذه الليلة.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها[2].

ثم وصف - سبحانه - أولي الألباب بصفات كريمة فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

فقوله ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ إلخ في موضع جر على أنه نعت لأولي الألباب. ويجوز أن يكون في موضع رفع أو نصب على المدح.

أي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾ ... لآيات واضحات على وحدانية الله وقدرته، لأصحاب العقول السليمة، الذين من صفاتهم أنهم ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ أي يستحضرون عظمته في قلوبهم ويكثرون من تسبيحه وتمجيده بألسنتهم، ويداومون على ذلك في جميع أحوالهم فهم يذكرونه قائمين، ويذكرونه قاعدين، ويذكرونه وهم على جنوبهم فالمراد بقوله ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أن ذكرهم الله - تعالى - بقلوبهم وألسنتهم يستغرق عامة أحوالهم.

وقوله ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ منصوبان على الحالية من ضمير الفاعل في قوله: ﴿يَذْكُرُونَ﴾.

وقوله ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ متعلق بمحذوف معطوف على الحال أي: وكائنين على جنوبهم أي مضطجعين.

ثم وصفهم سبحانه وتعالى بوصف آخر فقال:

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

أي أن من صفات هؤلاء العقلاء العقول السليمة أنهم يكثرون من ذكر الله - تعالى - ولا يكتفون بذلك، بل يضيفون إلى هذا الذكر التدبر والتفكر في هذا الكون وما فيه من جمال الصنعة، وبديع المخلوقات، ليصلوا من وراء ذلك إلى الإيمان العميق، والإذعان التام والاعتراف الكامل بوحدانية الله وعظيم قدرته...

فإن من شأن الأخيار من الناس أنهم يتفكرون في مخلوقات الله وما فيها من عجائب المصنوعات وغرائب المبتدعات ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع - سبحانه - فيعلموا أن لهذا الكون قادرا مدبرا حكيما لأن عظم آثاره وأفعاله، تدل على عظم خالقها.

ولقد ذكر العلماء كثيرا من الأقوال التي تحض على التفكر السليم، وعلى التدبر في عجائب صنع الله، ومن ذلك قول سليمان الداراني: (إني أخرج من بيتي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة، ولي فيه عبرة) وقال الحسن البصري: (تفكر ساعة خير من قيام ليلة).

وقال الفخر الرازي: دلائل التوحيد محصورة في قسمين: دلائل الآفاق، ودلائل الأنفس. ولا شك أن دلائل الآفاق أجل وأعظم. كما قال - تعالى -: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: ٥٧)

ولما كان الأمر كذلك لا جرم أنه أمر في هذه الآية بالفكر في خلق السموات والأرض، لأن دلائلها أعجب، وشواهدها أعظم[3].

وقد وبخ - سبحانه - الذين يرون العبر فلا يعتبرون، وتمر أمامهم العظات فلا يتعظون ولا يتفكرون فقال - تعالى -: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۝﴾ (يوسف: ١٠٥، ١٠٦)

ثم حكى - سبحانه - ثمرات ذكرهم لله وتفكرهم في خلقه فقال:

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

أي أنهم بعد أن امتلأت قلوبهم بالحق، ونطقت ألسنتهم بالقول الحسن، وتفكرت عقولهم في بدائع صنع الله تفكرا سليما، استشعروا عظمة الله استشعارا ملك عليهم جوارحهم، فرفعوا أكف الضراعة إلى الله بقولهم: يا ربنا إنك ما خلقت هذا الخلق البديع العظيم الشأن عبثا، أو عاريا عن الحكمة، أو خاليا من المصلحة ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي ننزهك تنزيها تاما عن كل ما لا يليق بك ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي فوفقنا للعمل بما يرضيك، وأبعدنا عن عذاب النار.

وقوله ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ إلخ جملة واقعة موقع الحال على تقدير قول أي يتفكرون قائلين ربنا، لأن هذا الكلام أريد به حكاية قولهم بدليل ما بعده من الدعاء.

وقوله: باطلا صفة لمصدر محذوف أي خلقا باطلا، أو حال من المفعول والمعنى يا ربنا ما خلقت هذا المخلوق العظيم الشأن عاريا عن الحكمة، خاليا من المصلحة، بل خلقته مشتملا على حكم جليلة، متضمنا لمصالح عظيمة.

وكان نداؤهم خالقهم - عز وجل - بلفظ ﴿رَبَّنَا﴾ اعترافا منهم بأنه هو مربيهم وخالقهم فمن حقه عليهم أن يفردوه بالعبادة والخضوع.

وسبحان اسم مصدر بمعنى التسبيح أي التنزيه، وهو منصوب بفعل مضمر لا يكاد يستعمل معه، أي تنزهت ذاتك وتقدست عن كل ما لا يليق. وجيء بهذا تعقيب في حكاية قولهم ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ لأنه ترتب على اعتقادهم بأنه سبحانه - لم يخلق هذا عبثا - أن هناك ثوابا وعقابا، فسألوا الله - تعالى - أن يجعلهم من أهل الجنة لا من أهل النار.

وقوله تعالى حكاية عنهم:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ في مقام التعليل لضراعتهم بأن يعيذهم من النار.

أي: أبعدنا يا ربنا عن عذاب النار، فإنك من تدخله النار تكون قد أخزيته أي أهنته وفضحته على رءوس الأشهاد.

والخزي: مصدر خزي يخزى بمعنى ذل وهان بمرأى من الناس وفي هذا التعليل مبالغة في تعظيم أمر العقاب بالنار والحاح في طلب النجاة منها، لأن من سأل ربه حاجة، إذا شرح عظمها وقوتها، كان رجاؤه في القبول أشد، وإخلاصه أتم، وشعوره بالعطاء أقوى.

وقوله ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي ليس لهم ناصر ينصرهم من عقاب الله - تعالى - أو يخلصهم مما وقعوا فيه من بلاء.

و«من» للدلالة على استغراق النفي، أي لا ناصر لهم أيا كان هذا الناصر، وفي ذلك إشارة إلى انفراد الله تعالى بالسلطان ونفاذ الإرادة.

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٣٩

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ٩ ص ١١٠

ثم حكى - سبحانه - لونا آخر من ألوان ضراعتهم يدل على قوة إيمانهم فقال - تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

أى أنهم يقولون على سبيل الضراعة والخضوع لله رب العالمين: يا ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى أى داعيا يدعو إلى الإيمان وهو محمد ﷺ، فاستجبنا لدعوته، وآمنا بما دعانا إليه بدون تردد أو تسويف.

وفى وصفه ﷺ بالمنادى، دلالة على كمال اعتنائه بشأن دعوته التى يدعو إليها، وأنه حريص على تبليغها للناس تبليغا تاما

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: فأى فائدة فى الجمع بين «المنادى» و﴿يُنَادِي﴾؟ قلت: ذكر النداء مطلقا، ثم مقيدا بالإيمان، تفخيما لشأن المنادى، لأنه لا منادى أعظم من مناد ينادى للإيمان، ونحوه قولك: مررت بهاد يهدى للإسلام، وذلك أن المنادى إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب، أو لإغاثة المكروب، أو لكفاية بعض النوازل، أو لبعض المنافع، وكذلك الهادى قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى لسداد الرأى وغير ذلك.

فإذا قلت: ينادى للإيمان ويهدى للإسلام، فقد رفعت من شأن المنادى والهادى وفخمته[4].

و«أن» فى قوله ﴿ [illegible] ﴾ تفسيرية لما فى فعل ﴿يُنَادِي﴾ من معنى القول دون حروفه، وجيء بفاء التعقيب فى قوله - تعالى - حكاية عنهم ﴿فَآمَنَّا﴾ للدلالة على المبادرة والسبق إلى الإيمان وأنهم قد أقبلوا على الداعى إلى الله بسرعة وامتثال، وفى ذلك دلالة على سلامة فطرتهم، وبعدهم عن المكابرة والعناد.

ثم حكى - سبحانه - مطلبهم فقال:

﴿ [illegible] ﴾

أى نسألك يا ربنا بعد أن آمنا بنبيك، واستجبنا للحق الذى جاء به، أن تغفر لنا ذنوبنا بأن تسترها وتعفو عنها، وأن تكفر عنا سيئاتنا بأن تزيلها وتمحوها وتحولها إلى حسنات أو بأن تحشرنا مع الأبرار أى مع عبادك الصالحين المستقيمين الأخيار إذ الأبرار جمع بار وهو الشخص الكثير الطاعة لخالقه - تعالى - فأنت تراهم قد طلبوا من خالقهم ثلاثة أمور، غفران الذنوب، وتكفير السيئات، والوفاة مع الأبرار الأخيار، وهى مطالب تدل على قوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم، وزهدهم فى متع الحياة الدنيا. وقد جمعوا فى طلبهم بين غفران الذنوب وتكفير السيئات لأن السيئة عصيان فيه إساءة، والذنب عصيان فيه تقصير وتباطؤ عن فعل الخير، والغفران والتكفير كلاهما فيه معنى الستر والتغطية، إلا أن الغفران يتضمن معنى عدم العقاب، والتكفير يتضمن ذهاب أثر السيئة. ومعنى وفاتهم مع الأبرار: أن يموتوا على حالة البر والطاعة وأن تلازمهم تلك الحالة إلى الممات، وألا يحصل منهم ارتداد على أدبارهم، بل يستمروا على الطاعة استمرارا تاما وبذلك يكونون فى صحبة الأبرار وفى جملتهم.

(4) تفسير الكشاف جـ1 ص 350

السنة: مسئولية المرأة فى بيت الزوجية



روى ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أى أبواب الجنة شاءت».

الشرح والبيان: يقول الله تعالى فى كتابه الكريم:

﴿ [illegible] ﴾

(الروم ٢١)

فأساس الأسرة السكن والمودة والرحمة، وإذا توافرت هذه العناصر للأسرة فتلك نعمة من أجل النعم، ومنة من أعظم المنن، ولذلك امتن الله «عز وجل» بها على عباده فينبغى أن يشيع الحب فى الأسرة، وأن تنتشر فيها المودة والرحمة.

قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٨٧)

ولم يهمل الإسلام هذا الجانب، فمتى اكتمل للأسرة وجودها من زوج وزوجة وأولاد، فإن لكل عضو من الأعضاء مركزه فى التشريع الإسلامى، فلكل حقوقه وسلطانه، وعليه بالتالى تبعات ومسئوليات، وأود أن أتحدث عن مسئوليات ربة البيت، وأعنى بها الزوجة والأم، وهى مسئوليات لها أثرها الفعال فى حياة الأسرة واتجاهاتها، وما يصيبها من خير وشر، أو ترابط وتفكك، فالزوجة شريكة لزوجها فى كل ضرب من ضروب الحياة.

حلوها ومرها، وهي الخفيفة على بيته بكل ما يحويه، وهي القوامة على إدارة شئونه، وتسيير دفته.

وهي - في استقامتها وصلاحها وصون شرفها - موطن الأمان، ومنبع السعادة، ومبعث الرضا والاطمئنان، وفي اعوجاج طرقها، والتواء سبلها، وتنكبها للصراط السوي، والنهج القويم، عنوان التعاسة، ومصدر الشقاء.

والأم هي مهد الطفولة الناشئة، والرائدة الأولى لأطفالها، والحارسة على تهذيبهم وتوجيههم وتأديبهم وتعليمهم، فإذا أهملت في واجبها، أو قصرت في أداء رسالتها ضاعت جهود الأب، وجهود دور التعليم على اختلاف مراحلها، وجهود الدولة عموما، أدراج الرياح.

ولما كانت الأم بهذه الدرجة من الأهمية أنشد الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعبا طيب الأعراق.

والمرأة بطبيعتها إذا أرخى لها العنان، ومد لها في الحبل، وأطلقت أمامها الحريات طغت وبغت، وجمحت وأسرفت، فلا يستطيع أحد أن يردها عن وجهتها، ولا أن يمسك لها بزمام، وفي طغيانها تهاون في العرض، وتفريط في السمعة والكرامة، ومن ثم يتولد الإسراف في المال، والشره في الحصول على المتع والزينات، والجشع في إرضاء المآرب والرغبات، وبالتالي تغضب ربها، وتهمل واجب بيتها، وحقوق زوجها وأبنائها، وبالتالي تعطي أسوأ مثل لأبنائها وبناتها وجاراتها، وتكون عنوان الخراب والدمار في مجتمعها، لهذا ينبغي على الزوج أن يعوّد زوجه على القناعة، وأن يلزمها الطاعة، فالمرأة كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع، وإن تفطمه ينفطم.

كما يجب أن يطالبها بما افترض عليها الإسلام من فرائض، وأن يدعوها إلى ما دعا إليه الإسلام من خلق حميد، وأدب عظيم، وسلوك قويم، وقد امتدح القرآن الكريم من يأمر أهله بذلك، قال تعالى في شأن سيدنا إسماعيل «عليه السلام»:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝﴾

(مريم. ٥٤-٥٥)

وقد قال الله لنبيه ورسوله العظيم:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾

(طه ١٣٢)

هذا ولما قرأ رسول الله ﷺ «يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا، وقودها الناس والحجارة»، والأهل في لغة العرب: الزوج والأولاد، قال عمر «رضي الله عنه»: نقي أنفسنا - يا رسول الله - فكيف لنا بأهلينا؟ قال: «تأمرونهم بما أمر الله، وتنهونهم عما نهى الله، فيكون ذلك وقاية لهم من النار».

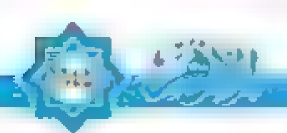
وقد بشر رسول الله ﷺ المرأة بالجنة إن هي فعلت ذلك، واستقبلته برضا نفس ورحابة صدر، كما ورد في حديث ابن حبان «رحمه الله» عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت».

هذا وإن أول حق من حقوق الزوج أن تطيعه زوجه، روى الحاكم في مستدركه ورفعه من حديث معاذ بن جبل «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب» أي: رحل صغير يوضع على ظهر بعير.

وقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، إني وافدة النساء إليك، وأعلم - نفسي لك الفداء - أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أولم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا - معشر النساء - محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم - معاشر الرجال - فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابا، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يارسول الله؟ قال: فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط، أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟» فقالوا: يارسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها، ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعّل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله». قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا.

فالبعل هنا: القيام بشئون الزوجية على خير وجه، وإن أعطى هذا الحدث شيئا فإنما يعطى أن مكان المرأة الطبيعي هو البيت، بخلاف الرجل، وكل ميسر لما خلق له، والأجر في ذلك سواء، فالمرأة التي تعمل في بيتها تأخذ على ذلك أجرا كأجر الرجل الذي يعمل في المتاجر والمصانع والمعامل والمحاجر والمناجم، فإذا اضطرت المرأة إلى العمل خارج المنزل فإن الإسلام لا يمنعها ذلك الحق مادامت تخرج إلى العمل في حشمة ووقار، كذلك إذا احتاج المجتمع إليها ولا يحسن العمل المطلوب غيرها، والله «تبارك وتعالى» يقول:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ (النحل ٩٧)



والحق الثاني من حقوق الزوج على امرأته أن تلزم بيته، وأن تصون سره، وأن تحفظ زوجها إذا غاب، في نفسها وبيته وماله، قال تعالى:

﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤)

وروى الإمام مسلم «رحمه الله» في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال - في حجة الوداع -: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف». والحق الثالث من حقوق الزوج على زوجه أن تتقي الله في ماله بأن تنفق منه دون إسراف أو تبذير، لأن الله نهى عنهما. قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)

وعليها ألا تكلفه ما لا يستطيع، ولا تتصرف في غيبته في شيء من ماله إلا بإذنه، أو فيما جرت به العادة كإكرام زائر، أو إطعام جائع، فإذا كان الزوج ذا مال، لكنه شحيح بخيل، لا يعطيها ما يكفيها وأولادها فقد أجاز لها الشرع أن تأخذ من ماله بغير إذنه ما يسد حاجتها وحاجة أبنائها.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة «رضي الله عنها» أن هند بنت عتبة قالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

والحق الرابع من حقوق الزوج على أهله أن تربي أولاده، وتحسن رعايتهم، وعلى المرأة أن تؤديه على الوجه الأكمل، ومسئوليتها في هذا الجانب لا تقتصر على مسئوليتها أمام زوجها، فهي مسئولة - بالدرجة الأولى - أمام ربها ودينها، بل ومسئولة أمام المجتمع عن تقديم الذرية الصالحة التي تسهم في إسعاد المجتمع وإنهاضه، ولذلك حرص الإسلام على صلاح الزوجين ضمانا لصلاح الذرية. قال تعالى:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٨)

ومن هنا ألزم الإسلام الراغب في الزواج - باختيار الزوجة ذات الدين والخلق. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي ﷺ: (تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)، فرسول الله ﷺ - في هذا الحديث - ذكر بعض المرغبات في النكاح، وهي المال والحسب والجمال والدين، ولكنه ركز على ذات الدين ويا حبذا لو جمعت مع الدين المال والحسب والجمال، ومن ثم يادِ أنشد الشاعر لبنيه:

وأول إحساني إليكم تخيري
لماجدة الأعراق بادٍ عفافها.

وقد قال حكيم العرب المشهور أكثم بن صيفي: (لا يفتنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف)

فإذا حملت الزوجة حافظ الإسلام على جنينها، وتعهده بالرعاية والعناية، ولا أدل على ذلك من إباحة الفطر لأمه في نهار رمضان إذا خافت عليه، فإذا ولدت وخرج الجنين إلى النور، وعاش حياته ألزم الشرع الحنيف أمه بحضانته وإرضاعه. قال تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣)

وإنه لمن الخطأ الجسيم أن نترك أولادنا، وفلذات أكبادنا للحاضنة غير الأم، أو للخادمة، فإذا تركناه لهن تركناه للضياع، وعرضناه للفساد، فالطفل المسكين إن لم يصبه مرض جسمي أصابه مرض نفسي خلقي، وقد قيل: أعط ولدك خادمك يكن لك بدل الخادم اثنان، ومعنى ذلك: أنه ينشأ على صفات الخادم إذا وُكل إليه، فينشأ كأنه خادم مثله.

فإذا عقل الرضيع ربته أمه على الأخلاق والفضيلة، وغرست فيه بذور الخير والصلاح، وحببت إليه مكارم الأخلاق، وأعطت أولادها من نفسها القدوة الحسنة، فلا يرى أولادها من أمهم إلا عظيم الفعال، وجميل الخلال، وطيب الأقوال، فإن فعلت تكون قد أدت واجب زوجها، وحقوق أبنائها، وأسهمت في إسعاد مجتمعها، فإن فارقت الدنيا، ولقيت ربها لقيته وهو راض عنها، وأمنت العذاب، وسوء الحساب.

وهكذا يسعد المجتمع الإسلامي بالأمن والأمان، والسعادة والاستقرار إذا قام كل فرد من أفراده بالواجب الذي رسمه الإسلام، وحدده له الشرع الحنيف، لأن سعادة المجتمع من صنع أفراده، وسعادة الفرد مرتبطة بسعادة المجتمع، وشقاؤه مرهون بشقائه، والكل مسئول أمام الله «عز وجل» عما استرعاه، حفظ أم ضيع.

روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر «رضي الله عنهما» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، ومسئول عن رعيته». قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته».

وفق الله نساءنا وأمهاتنا وبناتنا إلى ما يرضي ربنا، ويسعد مجتمعنا.



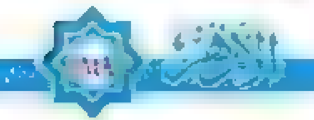
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الدعوة إلى الإسلام

محاورة هرقل لأبي سفيان ومساءلته له عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم

روى البخاري - رحمه الله - قال: حدثنا أبو اليمان، حدثنا الحكم بن نافع، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ابن مسعود: أن عبدالله بن عباس أخبره: أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش. وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهو بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم. ثم دعاهم ودعا ترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً، قال: ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، قال: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عليه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها؟ قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والعدل والعفاف. فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون»[1]، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات، وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِرَ أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر. فمازلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام، وكان ابن الناطور

(١) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (الحديث ٨/ ٢٣٩).



وصاحب إيلياء وهرقل أسقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل

اللغة

«أبو سفيان»: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، «هرقل»: هو ملك الروم، وهرقل: اسمه، وأما لقبه: فهو قيصر كما أن ملك الفرس يلقب بكسرى.

«في ركب من قريش»: الركب: جمع راكب، والجملة في محل نصب حال، أي: أرسل إلى أبي سفيان حال كونه في جملة الركب، وكان عدد الركب ثلاثين رجلاً، وقيل: نحو من عشرين.

(... في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان..): هي مدة الصلح بالحديبية، وكانت في سنة ست وكانت مدتها عشر سنين، وهذا أشهر الآراء، وقيل: كانت أربع سنين. «فأتوه..» الفاء عاطفة على محذوف وتقدير الكلام: أرسل في طلب إتيان الركب، فجاء موصول بطلب إتيانهم فأتوه.

«إيلياء»: قيل: معناه بيت الله والمراد به: بيت المقدس «الترجمان»: بفتح التاء وضم الجيم ويجوز ضم التاء اتباعاً لضم الجيم من فتح التاء، والمعنى: أرسل إليه رسولاً أحضره والترجمان: هو الذي يعبر عن لغة بلغة أخرى وهو معرب وقيل: عربي «أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل»؟ ضمن أقرب معنى أوصل فعداه بالباء، وفي رواية مسلم: «.. من هذا الرجل» وهو على الأصل «أن يأثروا» أي: ينقلوا «ثم كان أول ما سألني عنه أن قال..» أول: بالنصب على أنه خبر مقدم لكان، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسمها مؤخر والتقدير: «قوله..» ويجوز أن يرفع على أنه اسمها.

«فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟»: في هذه العبارة إسقاط همزة الاستفهام، وفي التفسير: «أيتبعه أشراف الناس» والمراد بهم: أهل النخوة والتكبر منهم لا كل شريف «سخطة» بضم أوله وفتحه، وأخرج بهذا من ارتد مكرهاً أولاً لسخط لدين الإسلام، بل لرغبة في غيره كحظ نفساني «الحرب بيننا وبينه سجال»: وسجال بكسر السين، أي: نوب، والسجل: هو الدلو، والحرب اسم جنس، وقد جعل خبره اسم جمع، ومعنى «ينال»: يصيب، فشبه المحاربين بالمستقيين يستقي هذا دلواً وهذا دلواً، وأشار أبو سفيان بذلك إلى ما وقع بينهم في غزوة بدر وغزوة أحد

«وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشته القلوب»: ومعنى البشاشة: انشراح الصدر والفرح والتلطف بالشيء عند قدومه والفرح به، يقال: بش به وتبشبش، وقد روي بنصب بشاشته على أنها مفعول به، وروي بشاشته القلوب على أن بشاشته فاعل والقلوب مفعول به. «أخلص» أي: أصل. «لتجشمت» أي: تكلفت الوصول إليه.

«أما بعد»: في «أما» معنى الشرط وتستعمل لتفصيل الكلام الذي يذكر غالباً، وترد مستأنفة لا للتفصيل كما هنا، ولفظ «بعد» مبني على الضم، لأنه مقطوع عن الإضافة ولو أضيف لفتح. «دعاية الإسلام» أي: الكلمة الداعية إلى الإسلام وهي الشهادتان. «أسلم تسلم يؤتك» تسلم: مجزوم في جواب الأمر، ويؤتك جواب ثان للأمر، وفي قوله تسلم نوع من البديع وهو الجناس الاشتقاقي. «فإن توليت» في هذه الجملة استعارة تبعية، لأن معنى «توليت»: أعرضت، وحقيقة التولي يكون بالوجه ثم استعمل مجازاً في الأعراض عن الشيء على سبيل الاستعارة، «الأريسيين» هم الفلاحون أو اليهود والنصارى أو الملوك.

«لقد أمِرَ أمر ابن أبي كبشة»: أمر: بفتح الهمزة وكسر الميم، أي: عظم، وأراد بابن أبي كبشة النبي ﷺ، لأن أبا كبشة أحد أجداده وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض قيل: هو جده لأمه وقيل: من قبل أبيه. وقيل: أبوه من الرضاعة واسمه: الحرث بن عبد العزى. «ملك بني الأصفر»: هم الروم يقال: إن جدهم روم بن عيص تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد، فقيل له: الأصفر. وقيل: لأن جدته سارة زوج إبراهيم حلته بالذهب. «ابن الناطور»: حارس البستان «صاحب إيلياء» بنصب صاحب

على الاختصاص أو الحال أو يرفعه عن الصفة، أي: أميرها و«الأسقف والسقف» لفظ أعجمي، أي: رئيس دين النصارى، وقيل: عربي وهو الطويل في انحناء. «خبيث النفس» أي: ردىء النفس وغير طيبها. «حزاء» بتشديد الزاي، أي: كاهن. «رومية» بالتخفيف: مدينة معروفة للروم. (فلم يرم) بفتح الياء وكسر الراء، أي: لم يبرح. «والدسكرة» القصر الذي حوله بيوت. «فحاصوا» أي: نفروا.

المعنى

هذا الحديث يمثل جانباً من منهج الدعوة إلى الإسلام، وهو إرسال الكتب إلى الملوك ودعوتهم إلى الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ، كما يمثل أيضاً جانباً آخر من علامات النبوة، وكيف يصل المفكر المستنير إلى الحق، ويعرف عن طريق الاستنتاج الصحيح أن صاحب هذه الدعوة مرسل من ربه.

فإن هرقل حين جاءه كتاب الرسول ﷺ قرأه، وأراد أن يصل إلى الحقيقة من أقوم طريق، فقال هرقل -كما في رواية مسلم- هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال أبو سفيان: فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبني فكذبوه.. وإنما أراد هرقل أن يسأل أقربهم نسباً بالرسول ﷺ لأنه هو الذي يكون أكثر معرفة بأحواله والاطلاع على شئونه ظاهراً وباطناً أكثر من غيره، ولأن الأبعد لا يؤمن أن يقدح في نسبه بخلاف الأقرب، ثم أكد الأمر لأصحابه فقال لهم إن كذبني فكذبوه، أي: لا تستحيوا منه، كما أنه جعل أصحابه خلفه، ليكون تكذيبهم له- إن كذب- أهون وأيسر ولئلا يستحيوا أن يواجهوه فإن مقابلة بالكذب وجهاً لوجه من الأمور الصعبة.

وقال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عليه، وفي هذا القول دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب، أخذاً على الشرع السابق أو بالعرف.

وأول سؤال هو: كيف نسبه فيكم؟ أي: ما حال نسبه أهو شريف أم لا؟ فكان الجواب: «هو فينا ذو نسب» والتنوين فيه للتعظيم وفي رواية مسلم: كيف حسبه فيكم؟ فقال: هو فينا ذو حسب، والمعنى واحد.

والسؤال الثاني: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ أي: من قريش أو العرب، والمراد: من قومكم، فأجابه بقوله: لا.

والسؤال الثالث: فهل كان من آبائه من ملك؟ وفي رواية مسلم: فهل كان من آبائه ملك؟ وقد روى هذا اللفظ على وجهين: أحدهما: «من» بكسر الميم «وملك» بفتح الميم وكسر اللام. والثاني: «مَنْ» بفتح الميم و«ملك» بفتحها على أنه فعل ماض وكلاهما صحيح.

والسؤال الرابع: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فأجاب بقوله: ضعفاؤهم وفي رواية بإثبات همزة الاستفهام أيتبعه أشراف الناس؟ والمراد بهم: أهل النخوة والتكبر منهم لا كل شريف حتى لا يرد مثل أبي بكر وعمر.

والسؤال الخامس: أيزيدون أم ينقصون؟ فأجاب بقوله: بل يزيدون.

والسؤال السادس: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فأجاب بقوله: لا، والمراد بالسخط: كراهة الشيء وعدم الرضا به.

والسؤال السابع: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فأجاب بقوله: لا، والمراد بالكذب: هو الكذب على الناس وإنما عدل عن السؤال عن نفس الكذب إلى السؤال عن التهمة، تقريراً لهم على صدقه، كما قال الحافظ ابن حجر؛ لأن التهمة إذا انتفت انتفى سببها ولهذا عقبه بالسؤال عن الغدر. اهـ.

والسؤال الثامن: فهل يغدر؟ فأجاب بقوله: لا.. والغدر: هو ترك الوفاء بالعهد، ثم قال: ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. والمراد بالمدة التي أشار إليها أبو سفيان هي مدة الهدنة والصلح الذي حصل في الحديبية، ومعنى قوله: ولم يمكني كلمة إلخ.. أي: أنه لم يستطع أن ينتقص من قدر النبي ﷺ والتنقيص نسبي، فقد كان رسول الله ﷺ معروفاً بأنه لا يغدر، ولكن لما كان الأمر مغيباً، لأنه مستقبل أمن أبو سفيان أن ينسب إليه الكذب، وفي رواية أبو الأسود عن عروة مرسلاً خرج أبو سفيان إلى الشام فذكر الحديث إلى أن قال: فقال أبو سفيان: هو ساحر كذاب، فقال هرقل: إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه؟ إلى أن قال: فهل يغدر إذا عاهد قال: لا، إلا أن يغدر في هدنته هذه، فقال: وما يخاف من هذه، فقال: إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه، قال: إن كنتم بدأتم فأنتم أغدر.

والسؤال التاسع: فهل قاتلتموه؟ فأجاب بقوله: نعم.

والسؤال العاشر: ماذا يأمركم؟ فأجاب بقوله: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. (يتبع)



بقلم الشيخ: علي الباقي شحاته
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

وحين تكون الكلمة أمرا بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فإن الأجر العظيم عليها كبير وعظيم قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

(النساء: ١١٤)

فالكلمات في الآية الكريمة اشتملت على الأمر بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس جاء في مختصر تفسير ابن كثير قوله يقول تعالى:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾

يعني كلام الناس إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس أي: إلا نجوى من قال ذلك.

من الحديث المتفق عليه عن أم كلثوم بنت عقبة - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا»

وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، قال: وفساد ذات البين هي الحالقة» وقال تعالى:

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾

أي مخلصا محتسبا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي ثوابا جزيلا واسعا

وإذا كانت الكلمة الطيبة دعوة إلى الخير - أي: الإسلام - أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر فإن ثمرتها الفوز بسعادة الدنيا والآخرة قال تعالى: -

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

أي: الفائزون بالنجاة من العار والنار وبدخول الجنة مع الأبرار، وإذا كانت الكلمة الطيبة وعظا أو إرشادا أو هداية إلى الله تعالى فإن لقائلها مثل أجور من تبعه -- ممن استمع إليها أو بلغه -- ما قال عن طريق كتاب ونحوه فاستجاب. وقد روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا».

وإذا كانت الكلمة الطيبة دعوة بظهر الغيب كان للداعي مثل ما دعا به لأخيه المسلم.

فقد روى مسلم عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك الموكل ولك بمثل ذلك وإذا كانت الكلمة الطيبة دلالة على خير من صدقة أو معروف أو إحسان فإن لصاحبها من الأجر مثل أجر فاعل الخير هذا.

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم

وإذا كانت الكلمة الطيبة تعلم الناس الخير بما ينفعهم في دينهم ودنياهم فإن كثيرا من مخلوقات الله تصلي على صاحبها وتدعو له بالخير.

فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم».

ثم قال رسول الله ﷺ إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير، وإذا كانت الكلمة الطيبة قرآنا يتلى أو يعلم ففيه من الخير ما لا يحصى. فعن ابن مسعود رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول «ألم» حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» رواه الترمذي في سننه.

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري وأبو داود وغيرهما.

وإذا كانت الكلمة الطيبة حديثا لرسول الله ﷺ يسمع أو يتلى ليعلم للناس. ففي تلك الكلمة الطيبة البشارة والحسن والثواب من الله تعالى.

فقد روى الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»

وإذا كانت الكلمة الطيبة صلاة وسلاما على رسول الله ﷺ فإن الله تعالى يصلي بها على العبد عشرا، فقد روى مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «من صلى عليّ صلاة صلى الله بها عليه عشرا».

وإذا كانت الكلمة الطيبة نصيحة فإن أجرها يعظم بعظم آثارها الحميدة من إرادة الخير

للمنصوح له، ومعلوم أن النصيحة عماد الدين وقوامه، فقد جاء النصح في القرآن الكريم:

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الأعراف: ٦٢)

وفي القرآن الكريم - أيضا - على لسان هود عليه السلام يقول لقومه:

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾

(الأعراف: ٦٨)

وعلى لسان صالح - عليه السلام -:

﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾

(الأعراف: ٧٩)

وشعيب عليه السلام يقول لقومه:

﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾

(الأعراف: ٩٣)

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم وغيره «الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وإذا كانت الكلمة الطيبة دعوة إلى الله تعالى وطريقه المستقيم وشرعه العظيم وسنة نبيه العظيم على يد علماء عاملين وفقهاء محدثين ودعاة موفقين، دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة خاصة بين غير المسلمين، فإن ثواب أجرها يعلو ويعظم، لأنها أحسن القول، كما قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(فصلت: ٣٣)

ويروي البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

وإذا كانت الكلمة الطيبة ذكرا لله تعالى، فهي نهر عظيم جار بالبركات والخيرات والحسنات والمكرمات، وكم في القرآن الكريم والسنة المطهرة من آيات وأحاديث ترفع فضل الذكر والذاكرين إلى أعلى عليين. فمما جاء في كتاب الله الكريم عن الذكر وفضله وجزائه قوله تعالى:

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٣٥)

ومما جاء في السنة النبوية قوله ﷺ يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، أنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» رواه البخاري ومسلم.

فما أكرم الكلمة الطيبة، وما أعلاها شأنا، وأرفعها مقاما عند الله تعالى!

(يتبع)



خطبة الجمعة

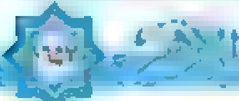
عائد من الحرم

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ: علي حامد عبدالرحيم







يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام!..

إن من حسنات دين الله تعالى أنه إذا أمر بشيء طوى الأمر على حكمة وثمرة، وإذا نهى عن شيء جعل للنهي سببا وعلة.

﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

الأعراف ١٥٧

وهو لا يقول للإنسان «اعتقد وآمن ثم فكر وابحث»، بل يقول له: ابحث وفكر، ثم آمن واعتقد، وحتى الأمور التعبدية التي لا تبدو لنا حكمتها تنطوي حقيقتها على حكمة وهدف، وإذا كنا لا نعرف هذه الحكمة أو هذا الهدف فلعل السبب راجع إلى قصور في الفهم وضيق في الإدراك، وليس عدم العلم بوجود الشيء دليلا على أنه غير موجود، فما أكثر الأشياء التي لا نعلمها ومع ذلك هي موجودة وقائمة

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

البقرة ٢١٦

هذا هو الحج مثلا، كلما أنعم الإنسان فيه النظر تكاثرت أمامه الحكم والعبر، ففي أوائل شهر ذي القعدة من كل عام يؤذن مؤذن الإيمان في المسلمين بالدعوة إلى حج بيت الله الحرام، فيسمع السامع ويستجيب القادر.

ويسعى الحجيج إلى ربهم مواكب في إثر مواكب، وجموعا وراء جموع، منهم فريق يتجه إلى المدينة فيبدأ بزيارة الرسول قبل الشروع في أداء الفريضة والقيام بمناسك الحج، ومنهم من يتجه إلى مكة إذا جاء متأخرا فيقوم بالفريضة، ثم يذهب عقب الموسم إلى مدينة الرسول - ﷺ - ويعود إلى تجمع الجموع في رحاب مكة ورحاب المدينة قبيل موسم الحج، ولكن هذه الجموع، مع كثرتها وضخامتها تعد محدودة قليلة بالنسبة إلى الجمع الأعظم الذي يتكتل في الحج الأكبر، فإذا أشرق يوم عرفة رأيت الجبل الواسع الفسيح - جبل عرفات - كأنه يطامن أو يخشع من ضخامة هذه الجموع الهائلة التي تلاقت على موعد محدد لتمثل بضخامتها قوة الإسلام وعزة المسلمين، لتمثل وبحسن استجابتها صدق الطاعة لله رب العالمين، لتمثل وبملابس إحرامها، إخلاص الخضوع والتواضع لله في المظهر والمخبر، وفي الحس والنفس. ولتمثل بتجنبها ما لا يليق من القول والعمل الاعتصام بحبل الله القوي المتين. والتأبي على وسوسة الشيطان الخبيث اللعين:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

«البقرة: ١٩٧».

هناك تجمع هذه الآلاف المؤلفة من الحجيج الذين كتب لهم ربهم النعمة، وحفهم خالقهم بالرحمة، يتلاقون فوق الجبل الكريم المبارك عرفات، ويقفون في ساحته طاعة لأمر ربهم، واستجابة لنداء رسولهم، بعد أن زاروا مكة منزل الوحي، وطافوا بالكعبة بيت الله الحرام الذي يقول فيه القرآن:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾

آل عمران ٩٦، ٩٧

وبعد أن سعوا بين الصفا والمروة

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

البقرة ١٥٨

وهناك يقرعون أبواب السماء بالدعاء، ويجأرون إلى ربهم بالتكبير والتهليل والرجاء، يسألونه أن يغفر ذنوبهم، ويتقبل متابهم، ويتم حجهم، ويوفقهم لجمع كلمتهم، ودراسة مشكلاتهم، وإخلاص نياتهم، واستكمال حرياتهم، وتوطيد عزتهم، وتحقيق العدالة والتكافل بين قويهم وضعيفهم، وغنيهم وفقيرهم، حتى يكونوا كما قال رسولهم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1] ويتذكرون وهم فوق الجبل، وفي أثناء هذه اليقظة الروحية القوية أن رسولهم محمدا صلوات الله وسلامه عليه وقف موقفهم هذا منذ مئات ومئات من السنين، وخطب في أتباعه خطبة الوداع التي وعاها الزمن ورددتها الأيام. وأبطل فيها الوثنية والشرك، والربا والظلم، وأنصف فيها المرأة والضعيف، ورد فيها الحق إلى نصابه، كما يذكرون في هذا اليوم أيضا أنه قد نزل على رسولهم قول ربهم جل جلاله:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة ٣)

وفي هذا اليوم الذي يعد عند الله تبارك وتعالى أفضل الأيام، وفي هذه اللحظات التاريخية الخالدة في حياة من حج وسعى من بني الإنسان، يلزم المؤمن أن يضع فاصلا قويا متينا بين حاضره وماضيه. فهو قد أحرم ولبى وطاف وسعى. بعد أن تاب إلى الله، وتآلف مع عباد الله، ثم ازداد إشراقا وضياء بتطهير الله، فلابد له إذن من أن يعد نفسه في هذا اليوم المجيد كأنه يولد من جديد، وأن سجله مع الله ومع الناس يجب أن يعاد فتحه منذ

(١) صحيح مسلم

البداية بلا أوزار ولا أثقال، فهو إذن يأخذ على نفسه العهد الوثيق والوعد الأكيد بأن يقلع عما كان يأتيه حينا أو أحيانا من انحراف أو اعتساف، وأن يحرص على الطاعات والباقيات الصالحات، يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه. وأصبح في الخير بعد أن نزل ضيفا على مولاه، فأكرم وفادته ومسعاه، وأكمل له أمنه وهداه، مما يستوجب إخلاص العمل لوجهه ورضاه:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ○ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ○ ﴾

(قريش: ٣ - ٤)

ثم يعود إلى وطنه مع غيره من الحجاج بعد أن طهرهم ربهم جل جلاله ذلك التطهير المنقى الممحص الذى يجعلهم - إذ صدقوا وأخلصوا - وكأنهم مولودون لساعتهم ليس في جبلتهم إلا الطهارة والصفاء.

ولكن السؤال الذى يجب أن نسأله هنا ويلزم أن نجيب عنه بوضوح هو: أيحقق المسلمون فعلا هذه الأغراض والأهداف المأمولة فى موسم الحج وبعد موسم الحج؟

الجواب: لا.

وإذا كنا نقول إن المسلمين لا يحققون الأهداف المأمولة من موسم الحج فإنه يلزم منا الاستثناء هنا.. وإن كان يلزم الاستثناء هنا، إذ توجد قلة مخلصة تحاول جهدها أن تبلغ بأداء الحج غايته وهدفه، ولكن هذه القلة تضيع بين طوفان آخر هو طوفان الغفلة عن الحكم الجليلة العظيمة لموسم الحج، وطوفان الكسل والتخلف عن تحقق هذه الحكم بالقول والعمل، وبمختلف الوسائل فهذا فريق يحج لأنه يريد أن يزيل عن كاهله ما أثقله به من ذنوب وسيئات، ولامانع عند هذا البعض من أن يحج اليوم ليزيل ذنوبه، ثم يعاود الذنوب والمنكرات غدا وأمامه - كما يتوهم خطأ - فرص كثيرة لكى يعود فيحج ليزيل الآثام مرات ومرات. وكأنهم:

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢)

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٣٠)

وفريق يحج للسمعة والشهرة والتمتع بلقب «الحاج»، وله فى هذا اللقب مآرب أخرى يطول حديثها كما يطول ليل الشتاء الثقيل، وفريق يذهب إلى الحج وهو جاهل به وبأحكامه ونظامه، غافل كل الغفلة عن حكمه وأهدافه وثمراته، فهو يقلد بلا وعى أو بصيرة، وهو يقلد بغير علم أو فهم، وهو يردد ما يقال له من عبارات أو دعوات، فيحكيها كما تحكى الببغاء كلمات تسمعها دون أن تفقه لها معنى أو مغزى، ولو أنصف المسلمون دينهم وأنصفوا أنفسهم أيضا، لكان الحج فى حياتهم فاصلا رائعا يفصل بين ماض لا يرضى ولا يشرف، وبين مستقبل يجب أن يكون عامرا بجلائل الأعمال وصوالح الأفعال، ولو أنصف المسلمون دينهم وحجهم وأنفسهم لكان مؤتمر الحج فى دنياهم مغنيا لهم عن كثير من المؤتمرات والاجتماعات ولحلوا مشكلاتهم فى حمى ربهم حل العقلاء البصراء المخلصين «ولاختطوا لأولاهم وأخراهم خطة تصلهم بأسباب ربهم، وتمكن لهم فى أرضهم، وتبعدهم عن أسباب فرقتهم وضعفهم وذلتهم وهوانهم:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

(ق: ٣٧)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام!..

إذا كان النبى الصادق الأمين قد قال: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٢]. فليس معنى ذلك أن الحاج قد تحقق من ذنوبه وتخلص من آثامه فحسب، بل معنى ذلك أيضا أن الله قد هيأ له فرصة العمر الذهبية الفريدة، فإذا كان قد قصر أو تخلف فى الماضى، فهاهو ذا ربه تبارك وتعالى، كأنه يخلقه من جديد ويسويه بقدرته الربانية مرة أخرى فى صفاء ونقاء، فواجبه المحتوم هو أن يحسن استغلال النعمة، وأن يواصل المسير بعد ذلك على الصراط المستقيم، يؤدى واجبه نحو ربه ونحو دينه ونحو الناس جميعا فى استقامة وإخلاص، وسبحان من لو شاء لهدانا جميعا سواء السبيل. واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

---

(٢) صحيح البخارى



الحج
أشهر معلومات

لفضيلة الشيخ عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الحج قبل الإسلام

الحج عبادة عرفت قبل الإسلام، وكان المقصود بها زيارة أمكنة مخصوصة ابتغاء التقرب للإله المعبود اتخذتها الشعوب والقبائل رمزا لإجلال معبوداتهم وتقديسها، ولقد قام بهذه العبادة المصريون القدماء واليونانيون واليابانيون وغيرهم من الأمم القديمة إلى الهياكل المقدسة عندهم، وكانت كل أمة من هؤلاء تتخذ في حجها ما يناسبها ويتناسب لتخيلها لعظمة معبودها، واستمر الحال على هذا حتى هيأ الله - تعالى - الأمر لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - وأمره ببناء البيت الحرام بمكة كي يطوف الناس به، ويذكروا اسم الله فيه:

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾

(البقرة ١٢٧)

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ۝ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾

(الحج ٢٦، ٢٧)

وقد لبى إبراهيم أمر ربه في بيته وطهره ودعا الناس إلى حجه وأسكن عنده من ذريته، ومنذ ذلك الوقت اتجه العرب إلى البيت الذي بناه جدهم إبراهيم يحجون إليه ويعبدون الله فيه بما رسم الله وظلوا كذلك يحجون بيت الله ويعظمونه حتى بعث الله خاتم الأنبياء والمرسلين. لكن العرب مع تطاول الزمن غيروا في الحج وبدلوا كثيرا مما كان عليه في زمن إبراهيم، فأشركوا بالله الأصنام والأوثان ورفعوها على ظهر البيت، وجعلوا منها سياجا حول الكعبة، واتجهوا إليها واستعانوا بها واتخذوا منها شفعاء عند الله وذبحوا لها وذكروا اسمها على ما يذبحون وكذلك أحدثوا في كيفية الحج تقاليد معينة تبعا لأهوائهم فطافوا بالبيت عرايا وحرموا على أنفسهم الدسم وأكثروا بما يقيم أودهم من ألوان الطعام، وترفع فريق منهم عن الوقوف مع الناس بعرفة اعتقادا منهم أنهم أفضل من الناس جميعا؛ لأن بيدهم ولاية البيت، فلا يصح وهم كذلك أن ينزلوا بمستوى العامة، ويأخذوا أنفسهم بقوانين الناس ويقفوا معهم في صعيد واحد - ولو كان في موقف العبادة لله الواحد القهار - هكذا غيروا وبدلوا في نسك الحج.

سيدنا محمد ﷺ يجدد دعوة أبيه إبراهيم

وجاء الإسلام ببعثة سيدنا محمد ﷺ يجدد دين إبراهيم ويحيي دعوته دعوة الحق والعبادة الصحيحة جاء بالحنيفية السمحاء.

﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾

(الأنعام ١٦١)

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾

(الحج ٧٨)

﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾

(البقرة ١٣٠)

فقد جاء الإسلام هكذا مجددا لدين إبراهيم - عليه السلام - وهو الدين عند الله فوجد القوم يحجون إلى الكعبة، ولكنهم بدلوا وغيروا؛ فتركهم أول الأمر يحجون كما اعتادوا وقصر الرسول ﷺ جهوده على الدعوة إلى إقرار التوحيد في القلوب وإفراد الله - تعالى - بالعبادة حتى أخرج هو وصحبه من مكة موقع بيت الله الحرام وحيل بينهم وبين القيام بفريضة الحج وظلوا يكافحون في سبيل الله بعد تركهم هذا المكان حتى عرف منهم الشوق العظيم لزيارة بيت الله الذي حرموا النظر إليه والطواف به فجاءتهم البشرى بأنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين.

وفي حرارة هذا الشوق، وعلى ضوء هذه التضحية أعاد الله عليهم ذكر الحج وأنزل آيات كثيرة شرح بها حكمه وبين أوقاته وآدابه وأصلح ما أفسد القوم فيه ورده إلى عهده الأول عهد إبراهيم وإسماعيل. ومن ذلك الحين قام المسلمون بتنفيذ فريضة الحج الذي فرضه الله على الناس من عهد إبراهيم - عليه السلام - وقد تم على أيديهم تطهير البيت من الأصنام التي كان يعبدها قومهم

وأمر أرباب العظمة الزائفة أن يقفوا مع الناس في عرفات وأن يفيضوا من حيث أفاض الناس تقريرا لمبدأ المساواة الذى جعله الله بين عباده.

زمن الحج والحكمة من اختياره

لقد عين الإسلام لأداء فريضة الحج أشهرا معلومة من السنة العربية وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة. فشوال هو الشهر الذى يلى رمضان قد كان له فى الوضع الإسلامى اعتباران قويان جديران بالتقدير حتى يستديم التقويم الخلقى الذى حصل عليه المسلم بالصيام والقيام فى شهر رمضان.

الاعتبار الأول أن شوال أول شهر من أشهر الحج.

والاعتبار الثانى أنه بشير بالأشهر الحرم «ذى القعدة وذى الحجة والمحرم».

ولقد اعتنى القرآن الكريم بأشهر الحج عنايته بالحج كما اعتنى بالأشهر الحرم عنايته بتطهير النفس من المظالم ودفع العدوان والبغى، كما لفت أنظار المؤمنين إلى ما لهذا الشهر من بواعث البر والتقوى، بواعث الترفع بالنفس عن مواطن الإثم والطغيان وانتقاص الحقوق والواجبات، ففى أشهر الحج يقول تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(١٩٧ البقرة)

الحج رحلة أعقبت رحلة

إذا كان المؤمنون بانتهاء رمضان عادوا إلى دنياهم من رحلة روحية تعلقت فيها قلوبهم بمولاهم وعظمت بها مراقبته فى نفوسهم حتى امتنعوا فى أيامه - لله وفى سبيل الله - عما أبيح لهم من مقومات الحياة. فبهم بدخول شهر شوال يملأ قلوبهم الشعور باستئناف رحلة أخرى يشارك الروح فيها البدن ويهرع إليها القادر عليها تاركا وراءه أهله وماله ووطنه متحملا عناء السفر ووعثاء الطريق لا لشىء من حظوظ النفس إلا أن يقف لله عبدا خاشعا مليا أمام بيته معترفا بالتقصير ملتمسا منه المعونة والرضوان حتى إذا ما فرغ من ذلك واطمأن إلى حسن وقفته عاد إلى وطنه آمنا مطمئنا قويا فى الأخذ بنفسه وبأمته إلى سبيل الهدى والرشاد، ولقد أرشد القرآن الكريم إلى ما يضمن للمؤمنين هذا الهدف السامى من تلك الرحلة:

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

(١٩٧ البقرة)

وهذا جانب التطهير من أدران النفس إلى جانب التحلى بالفضائل المزكية للنفوس، المؤلفة للقلوب، المقربة إلى الله، فإن ذلك نراه فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾

(١٩٧ البقرة)

الأشهر الحرم

فإذا كان شوال أول شهور الحج يثير فى نفوس المسلمين ذكريات الحج ويمثلون به وبأخويه ذى القعدة وذى الحجة الطواف ببيت الله الحرام والوقوف بمكان الضراعة الخالصة بعرفات والمشعر الحرام فتهفو القلوب إلى تلك المشاهد منابع الوحى والنور وتتجرد من دنياها وترحل إلى مولاها متقلبة فى هذه الحركة المكانية، فإنه باعتباره الثانى وهو أنه بشير بالأشهر الحرم يثير فى نفوسهم مرة أخرى حرمة يستقبلونها بشهر ذى القعدة وهى حرمة زمنية قصد بها من قديم تأمين الطريق لأداء الحج وزيارة الله فى بيته الحرام، وهى فى نفس الوقت تغرس فى القلوب عوامل الأمن والطمأنينة تلكم الحرمة الزمنية هى حرمة الأشهر الحرم ذات القدسية التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾

(التوبة ٣٦)

وقد تعرض القرآن الكريم كثيرا إلى قدسية الأشهر الحرم وبين أن المحافظة عليها تقتضى البعد عن القتال وسفك الدماء وسائر المظالم والخيانات، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾

(المائدة: الآية ٢)

ولقد كان لله تعالى فى تربيته لعباده وتدريبهم على الخير حرمتان:

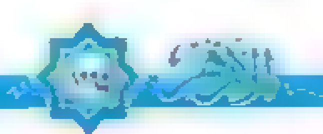
١- الحرمة المكانية دائرتها البيت الحرام والبلد الحرام، وقد اتسع نطاق هذه الحرمة حتى شملت الحيوانات:

﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾

(المائدة: ٩٥)

٢- الحرمة الزمنية: وميقاتها الأشهر الحرم تجتمع حرمة ثلاثة منها، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم مع الحرمة المكانية وتنفرد حرمة رابعها وهو شهر رجب كمذكر فى أثناء السنة بحرمات الله التى لا ينبغى أن يغفل عنها المؤمنون.

ومنهج التربية بتحريم الزمان والمكان شرع إلهى قديم أقره الإسلام وربط به بين المؤمنين



الأولين والآخرين، وهو في واقعه لأهل العصر الواحد فرصة تهيئ لهم - لو آمنوا به ونزلوا على مقتضاه واتبعوا شرع الله فيه - حسن التفاهم والعمل على قطع الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف والتخاصم، بل تؤدي إلى إقرار الأمن والسلام هو بمثابة هداية إلهية يتدبر الناس فيها شئونهم فيعرفون مهمتهم في الحياة من حسن التعمير وإسعاد البشرية على أسس من المحبة والتعاون، وبذلك يكفون عن العدوان وعن الجشع المثير للحروب القاضي على الهناءة والاطمئنان، المفسد لخلافة الإنسان في الأرض.

الحكمة من تحريم الكعبة والأشهر الحرم

الله - سبحانه وتعالى - خلق الناس على سليقة واحدة وركب فيهم غرائز قوية مثل الغضب والشهوة، تلك الغرائز التي تدفعهم إلى التحاسد والتقاطع، بل إلى القتل والتخريب وإلى السلب والاستعلاء، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون لهم رادع ينبع احترامه من ضمائرهم، ومن هنا عظم البيت الحرام في قلوبهم وملأ بهيبته نفوسهم وضاعف في حرمته جزاء المنحرفين. ولما كان البيت الحرام في مكان مخصوص، لا يدركه كل مظلوم ولا جميع الناس. ولا يبلغ الأمن فيه إلا من ارتحل إليه وحجه، ولم يكن من الممكن أن يرتحل إليه جميع سكان المعمورة في وقت واحد، جعل الأشهر الحرم ملجأ آمن عاما تنشر على الناس وهم في أوطانهم وبلادهم ألوية الأمن والاطمئنان ويدخلون بها في حمى الرحمن الرحيم، فقرر كذلك في القلوب حرمتها فيها تسكن أسلحة الدماء والقتل في أغمادها وتتجه القلوب إلى ربها وفيها يضاعف الجزاء لمن أحسن أو أساء وفي ذلك يقول الله تعالى:

جعل الله الكعبة البيت الحرام [illegible]

(المائدة: الآية ٩٧)

فإذا آمن الإنسان واعتقد في هذه الهدنة الإلهية وانفعلت نفسه بشرائع ربه وعالج نفسه في ظلها وهي أربعة أشهر من اثني عشر شهرا صار ولاشك إلى فسحة وراحة. واتسع أمامه مجال العمل والسياحة، واستطاع الاتصال بإخوانه بني الإنسان، وكان معهم في أمن واطمئنان متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.. ■■

الرأى العام الرشيد فى الإسلام



إذا كان الإنسان - كما يقرر علماء الاجتماع - كائنا اجتماعيا، فإن من ثمار ذلك أن رأيه محل اعتبار في الأمور المتعلقة به وبغيره من بني جنسه، ومن مجموع آراء كل فرد من أفراده، يتكون الرأي العام في المجتمع، ويعتبر هذا الرأي هو معيار قبول أو رفض أي سلوك يقع من آحاد الناس. بما تكون له قوته في توجيه هذا السلوك على النحو الذي تتبلور معه صورة حياتهم العامة والخاصة على السواء، وقد دعا الإسلام إلى تفعيل الرأي العام الرشيد، ونظرا لأهمية دور هذا الرأي في المجتمع، فإنه للوقوف على هذا الدور في ضوء ما يقرره الإسلام من مبادئ في هذا الشأن، يتعين استعراض النقاط الآتية:

أولا: أهمية الرأى العام فى الإسلام:

لقد حرص الإسلام على احترام الرأي العام، والتعويل على ما يتجه إليه من تقييم سلوك أبناء المجتمع، بل رتب نتائج خطيرة على هذا التقييم من أهمها: الوقوف على درجة قبول العمل أو رفضه، ومعرفة رضاء الله تعالى عن صاحبه أو غضبه عليه، ومن الشواهد الدالة على ذلك. ما رواه الطبراني بسنده: من أن رجلا شكى إلى النبي ﷺ من جاره، فقال له: أخرج متاعك في الطريق، ففعل، فصار كل من يمر عليه يقول: مالك؟ فيقول: جاري يؤذيني، فيلعنه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: ماذا لقيت من فلان، أخرج متاعه، فجعل الناس يلعنونني ويسبونني، فقال صلى الله عليه وسلم: إن الله لعنك قبل أن يلعنك الناس، وكان من ثمرة اتجاه هذا الرأي العام، أن الجار المؤذي لجاره عدل عن سلوك الإيذاء، وأخذ يحسن إلى جيرانه.

ثانيا: معيار الرأى العام الرشيد:

والرأي العام الذي له هذه المنزلة، هو الرأي الرشيد، النابع من أصحابه العدول، لأن هذا الرأي في حقيقته، شهادة الله ورسوله وللمجتمع. فيجب أن تكون له ذات شروط الشهادة في الإسلام، ومن أهمها عدالة الشاهد، ومن أبرز عناصرها انتفاء التهمة عنه، فلا يبغي من وراء شهادته جر مغنم، أو إلحاق الضرر بالغير، فقد روى النسائي والإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من أثنيتم عليه خيرا وجبت «أي ثبتت» له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا «بالسب»، وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، قالها ثلاثا للتأكيد، وقد قال العلماء: إن في إضافة الشهداء إلى الله غاية التشريف، وإشعار بأنهم عنده بمنزلة علية. لأنه عدلهم حيث قبل شهادتهم على الناس، كما في قول الحق تعالى:

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾

(البقرة: ١٤٣)

والوسط هو العدل، فهم عدول بتعديل الله لهم، فإذا شهدوا على إنسان بصلاح أو فساد قبل الله شهادتهم وتجاوز عمن يستحق العذاب فضلا وكرما

والرأى العام الرشيد هو القائم على التفكر والتعقل، وهو ما أشار إليه الحق تعالى فى قوله:

﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد﴾

(سبأ: ٤٦)

وقد قال المفسرون: إن الله طلب من أهل مكة الاجتهاد بإخلاص فى أمر هذا الرسول ﷺ ويكون ذلك باجتماعهم متفرقين اثنين أو واحدا، لأن الازدحام غالبا ما يؤدى إلى تهويش الخاطر، والمنع من الفكر، وتخليط الكلام، وقلة الإنصاف.

والرأى العام الرشيد هو الذى لا ينساق وراء كل ناعق، بل يتثبت من صحة كل ما يسمعه، حتى تسلم له العواقب، عملا بالتوجيه القرآنى العظيم:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾

(الحجرات: ٦)

وهو الرأى الذى لا يردد كل ما يقال دون وعى أو تدبر، بل يدرك حقيقة هذا القول، فإن عجز استعان بمن له قدرة على حسن الإدراك، حتى يصل إلى الوعى التام به، قبل الإقدام على التحدث به، وإذاعته بين الناس، وهذا هو منهج القرآن الذى يقول فيه:

﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾

(النساء: ٨٣)

ولاسيما أن الرسول الكريم ﷺ قال فيما رواه أبوداود والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه: «كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما يسمع»، فليس كل ما يسمعه الإنسان من غير بينة صدق، بل بعضه كذب فعليه أن يبحث ولا يتحدث إلا بما ظن صدقه فإن ظن كذبه حرم وإن شك، وقد أسنده لقائله وبين حاله، برئ من عهدته وإلا امتنع أيضا.

والرأى العام بهذه الأوصاف يؤتى ثماره فى محاربة الشائعات المغرضة، التى تنال سلبا من الفرد والمجتمع، وهو ما حذر منه الرسول ﷺ بقوله، الذى رواه الطبرانى بسنده عن أبى الدرداء -رضى الله عنه: «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة، وهو منها برىء، يشينه بها فى الدنيا، كان حقا على الله تعالى أن يذيبه يوم القيامة فى النار، حتى يأتى بإنفاذ ما قال »وفى رواية: وليس بقادر على إنفاذه».

ثالثا: حصانة الرأى العام المسلم:

من الخصائص المميزة للرأى العام فى المجتمع المسلم، أنه لا يخضع للتزييف والباطل، لأن الله تعالى عصم أمة الإسلام من الاجتماع على الضلالة، فقد روى البيهقى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمتى لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم»، ومن هنا قال العلماء: إن إجماع الأمة حجة على الكافة، ومن رحمة رسول الله ﷺ بأمته أنه لم يطلب إجماعها فى كل الأمور، بل جعل من رأى الغالبية فيها حجة أيضا على الباقين، وذلك عندما تصح وجوه فى حالة عدم توافر إجماع الأمة، بمتابعة السواد الأعظم من أهل الإسلام، والذين قال عنهم العلماء: إنهم جماهير المسلمين فإن متابعتهم هو الحق الواجب والفرض الثابت، الذى لا يجوز خلافه، ومن خالف ذلك ومات، فإنه يموت ميتة جاهلية.

رابعا: من السلبية التى تصيب الرأى العام:

فى واقعة قد لا تكون الفريدة من نوعها، ذكر لى أحد علماء الدين الفضلاء، أنه أثناء ركوبه إحدى وسائل المواصلات العامة فى إحدى المدن الكبرى، شاهد مجموعة من الفتيان والفتيات ذوى الملابس الضيقة، يتحلقون داخل هذه الوسيلة، ومعهم جهاز تسجيل «كاسيت» مرتفع الصوت، بأغان شبابية، بينما وقف فى وسط الحلقة شاب وفتاة، يتراقصان على هذه الأغانى، مما تسبب فى إزعاج جميع ركاب هذه الوسيلة، وعندما حاول التدخل لديهم لوقف هذه الفوضى، سمع منهم عبارات استهزاء عف لسانه عن ذكرها، ويضيف أن الغريب فى هذا الأمر أن الركاب الآخرين، التزموا الصمت إزاء ذلك، دون ثمة نكير، أو إسداء النصح لهم، أو حتى مجرد التأييد له، عندما تصدى لهذه الغوغاء.

إن هؤلاء الشباب أصيبوا بحالة من اللامبالاة بالمجتمع الذى يعيشون فيه. فلم يعبأوا بجيرانهم فى وسيلة المواصلات العامة، وما لهم من حقوق فى الهدوء والراحة أثناء التنقل، كما أنهم أصموا آذانهم عن سماع داعى النصيحة لهم، بل تطاولوا على الجميع بالقول والفعل. وهذا مرده الخواء الذى يعيشونه فى حياتهم، ذلك الخواء الذى أصاب دينهم وأخلاقهم وأبسط قواعد معاملة الآخرين ممن يشاركونهم فى هذه الحياة.

وهذه الواقعة تكشف عن خفوت صوت الرأى العام فى المجتمع، وعن الدعة التى أصابت الغالبية العظمى من الناس، فلا تحرك فى وجه الخطأ حتى يشعر بصوت المنكر العام، الأمر الذى يوشك معه أن يلحق الضرر بالجميع، ويعمهم الله بعذابه تصديقا لقول رسولنا الكريم ﷺ «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أدناها، فكان من أدناها إذا استقوا مروا على من أعلاها، فقالوا: لو خرقنا بها خرقا، فلو تركوهم وما يريدون لهلكوا وهلكوا جميعا، وإذا أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعا»[1].

خامساً: الرأى العام يقتضى الإيجابية فى المجتمع:

لقد ابتلى الإسلام فى عصور الضعف بأتباع أصابهم القصور فى الفهم، وحصروا هذا الدين العظيم فى ركعات، قد تؤدى فى رتابة بلا روح، فإذا ما طلب منه المشاركة بدور إيجابى فى المجتمع الذى يعيش فيه، تولى وهو يردد قول الحق تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾

(المائدة: ١٠٥)

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه

والحقيقة أن هؤلاء لو فرعوا كتاب ربهم وسنة نبيهم - ﷺ - بوعي، لتغيرت أحوالهم الراهنة إلى أحسن الأحوال. فقد روى أبو داود والترمذي بسندهما عن أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:

﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾

فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه. فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أياما الصبر، الصابر فيهن مثل قابض على الجمر، العامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله، قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: لا، بل أجر خمسين منكم».

فالرسول الكريم ﷺ طلب من المؤمن أن يكون إيجابيا في مجتمعه، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشارك الناس كل مظاهر حياتهم، ويجب عليه أن يظل كذلك مادام هناك من يستجيب له، ومما يؤكد هذه الإيجابية أن الرسول ﷺ قد أشار إلى مقام الصبر، الذي يتعين التحلي به عند مباشرة هذا الأمر، والصبر لا يكون إلا في مواطن الاحتكاك بالآخرين، ومعايشة ظروفهم وأحوالهم، فضلا عن الأجر العظيم الذي يقابل هذه الإيجابية والصبر عليها، ولاسيما إذا كنا نعلم قدر الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم.

سادساً: الرأي العام يتطلب المشاركة الجماعية:

إن فاعلية الرأي العام تفرض على كل فرد في المجتمع مشاركة الإيجابية برأيه في كل القضايا التي تهم مجموع أفراده، لا فرق في ذلك بين رجل أو امرأة، ولا بين غني أو فقير، ولا بين كبير أو صغير، فالكل في رعاية مصلحة المجتمع سواء، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى حرص الإسلام على تفعيل دور المرأة في المشاركة في صنع الرأي العام في المجتمع.

إن من أوجه العظمة في شريعة الإسلام أنها لا تكتفي بتقرير حقوق الإنسان، وكفالة حرياته، ولكن تجعل منها فرائض دينية، وواجبات أساسية في حياة الأمة، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن المرأة قد حظيت في هذه الشريعة بالقسط الوافر من حرية إبداء الرأي، سواء كان ذلك من طرف واحد، أو من أطراف متعددة، أو في صورة حوار مع طرف آخر أو أطراف أخرى، ومن أمثلة ذلك الآتي:

١- الحوار القرآني العظيم، الوارد في قول الحق تعالى:

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾

(المجادلة: ١)

وأطراف هذا الحوار هم: الزوجة الشاكية وهي خولة بنت ثعلبة، والرسول ﷺ يرد على شكواها، والله تعالى يسمع الحوار الدائر بينهما، وموضوع الحوار يمين الظهار الصادر من أوس بن الصامت زوج الشاكية، وما يترتب عليه من الفرقة الزوجية بينهما، وهذا الحوار يعد من أعظم أوجه تكريم الإسلام للمرأة، ويكفيها فخراً أن تدخل في حوار مع خير الخلق أجمعين ﷺ والله جل جلاله هو السميع له، وهذا ما فهمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما روى البيهقي: أن خولة لقيته، وهو يسير في الطريق مع الناس، فاستوقفته، «وفي رواية في تاريخ البخاري فأغلظت له القول»، فوقف لها ودنا منها، وأصغى إليها، حتى قضى حاجتها وانصرفت فقال رجل: يا أمير المؤمنين، حبست رجال قريش على هذه العجوز، فقال عمر: ويحك أتدري من هذه؟ قال: لا، قال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف حتى أتى الليل، ما انصرفت حتى أقضي حاجتها.

٢- السيدة عائشة تبدي رأيها لرسول الله ﷺ في تعاملها مع الغير، فقد روى البخاري بسنده عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها رجل، فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت: إنه أخي «من الرضاع»، فقال: انظرن ما إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة»، فكان رأي السيدة عائشة للنبي ﷺ هو أنه لا يجوز للأخ من الرضاعة أن يدخل على أخته من الرضاعة دون محرم. ولكن الرسول ﷺ أخبرها أن هذا يكون عندما تكون الرضاعة في سن الإرضاع المعتاد في الصغر، وهو خلال الحولين، وليس بعد ذلك، وقد استمع الرسول لرأيها ولم يصادره عليها، وطلب منها إعادة النظر في الأسباب المنشئة للروابط الإنسانية، وإجراء التعامل على أساسها.

٣- وحوار امرأة ثابت بن قيس مع رسول الله ﷺ من الشهرة بمكان، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن هذه المرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، زوجي ثابت لا أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكن لا أطيقه، فقال الرسول ﷺ أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فقال النبي لثابت: خذ الحديقة، وطلقها تطليقة»، فكان تشريع الخلع في الإسلام.

٤- وهاهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف خطيبا على المنبر، ويقترح تحديد المهور، للقضاء على ظاهرة المغالاة. فتقف امرأة من بين صفوف النساء، وتقول: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ والله تعالى يقول:

﴿ وآتيتم إحداهن قنطارا ﴾

(النساء. ٢٠)

فقال عمر قولته المشهورة: أصابت امرأة، وأخطأ عمر. ومن الملاحظ أنه بفضل آراء هؤلاء النسوة، جاء تشريع السماء بتقرير أحكام شرعية لها أثرها الخطير في حياة المسلمين، فكانت المرأة الأولى سببا في تشريع كفارة الظهار، وكانت الثانية سببا في بيان حكم رضاع الكبير، وأثره في تحريم الزواج وحل الخلوة، والثالثة كانت سببا في تشريع الخلع، كحق للمرأة في طلب فصم عرى الزوجية، ولو لم يكن هناك سبب من جانب الزوج، والرابعة كانت سببا في عدم تقييد المهور بحد أقصى، وفي هذا أبلغ الرد على من يشكك في الحقوق العظيمة التي منحتها شريعة الإسلام للمرأة، والتي تطلبت منها ممارستها في كل الأحوال وعلى مر العصور والأزمان.

والله تعالى ولي التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من خصائص المؤمنين



يقول الله عز وجل في سورة الأنفال:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ (الأنفال: ٢ - ٤)

توضح الآيات الكريمة الخصائص التي بها يكون المرء مؤمناً حقاً، وأولى هذه الخصائص:

﴿ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

وفي معنى الوجل يقول العلماء:

(الوجل: الخوف ورجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سطوته وعقوبته أو لرؤيته)

والمعنى أن من وجل: حدثت له رهبة وخشية وليس الوجل خوفاً محضاً.. ولكنه مزيج من الرهبة والتعظيم.

وقد روى عن عائشة رضي الله عنها:

«قلت يارسول الله: أهو الذي يسرق ويزني.. ويشرب الخمر؟ قال: لا ياابنة الصدّيق: ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل الله منه»[1]

■ من مظاهر الوجل

قال أحد الصالحين:

إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين لك ذلك؟ قال إذا اقشعر جلدي. ووجل قلبي وفاضت عيناي فذلك حين يستجاب لي.

قالت عائشة رضي الله عنها:

(إذا وجل أحدكم.. فليدعُ عند ذلك)

وإذن: فالوجل حركة في القلب، كاحتراق السعفة: وهي جريد النخل عند الاحتراق يسمع له تشيش أي خفقان.

(١) تخريج

ثم إنه ليس خوفاً محضاً.. ولكنه مزيج من الخشية والتعظيم كما قلنا آنفاً، وهذا بعض ما يشير إليه قول الصحابي: وعظنا ﷺ موعظة وجلت منها القلوب: كأن حمامة علقت بالقلب من شدة الخفقان.

فالمؤمنون حقاً من سماتهم: أنهم إذا سمعوا مجرد اسمه عز وجل.. ارتعدوا.. إنهم أمام صفات الجمال.. يرجون الثواب.

وأمام صفات الجلال.. يرتعدون من العقاب.. انطلاقاً من إحساسهم بالتقصير مع القادر الغني.. وهم ضعاف عاجزون محتاجون؟!

إنها المهابة من عظمته عز وجل.

ولعل ذلك بعض ما يشير إليه قوله عز وجل:

﴿ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(الزمر. ٢٣)

إنهم يتصورون جلاله تعالى فيخافون.. ثم يتذكرون جمال صفاته سبحانه فتلين قلوبهم وجلودهم.. ليثمر النشاط في العبادة مدفوعين بعقل صقيل. وفكر طويل.. ثم بقلب شاعر حساس مدرك عظمته عز وجل.. بمعنى. أن المؤمنين هم الذين يرتّبون على الإيمان ثمراته اليانعات، وهذا موافق لمن قال من العلماء: إن الوجل هو: ما اقترن بالعمل الصالح.. وإلا كان وجَلاً عقيماً؟!

يقول البقاعي هنا:

وجلت، أي خافت خوفاً عظيماً: يتخلل صميم عظامهم، ويجول في سائر معانيهم وأجسامهم.

يقول صاحب الظلال:

إنها الارتعاشة الوجدانية، التي تنتاب القلب المؤمن حين يُذكّر بالله في أمر أو نهي فيغشاه جلاله وتنتفض فيه مخافته. ويتمثل عظمة الله ومهابته إلى جانب تقصيره هو وذنبه.. فيبعث إلى العمل والطاعة.

■ معنى الذكر

يقول صاحب المنار:

والمراد بذكر الله: ذكر القلب لعظمته وسلطانه وجلاله أو لوعيده ووعده.

.. وقد يقول المؤمن في صلاة التهجد في الخلوة: «الله أكبر» مستحضراً لمعنى كبريائه عز وجل فينتفض ويقشعر جلده.

وصدق الله العظيم القائل:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(فاطر: ٢٨)

■ منزلة الذكر

يقول ابن القيم رحمه الله في منزلة الذكر وأهميته:

«وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون.. وفيها يتجرون.. وإليها دائما يترددون.

والذكر: منشور الولاية الذي من أُعطِيه.. اتصل.. ومن مُنعه.. عُزل. وهو قوت قلوب القوم التي متى فارقها.. صارت الأجساد قبوراً.

وهو: عمارة ديارهم الذي إذا تعطلت عنه.. صارت بوراً

وهو: سلاحهم الذي يقاتلون به قُطّاع الطريق.

وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق.

ودواء أسقامهم الذى متى فارقهم.. انتكست منهم القلوب.

وهو السبب الواصل والعلاقة التى كانت بينهم وبين علام الغيوب يقول قائلهم:

إذا مرضنا تداوينا بذكركمو
فنترك الذكر – أحيانا – فننتكس!

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات: إذا أظلهم البلاء.. فإليه ملجؤهم.. وإذا نزلت بهم النوازل.. فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التى فيها يتقلبون:

يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً.

وفى كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة: والذكر: عبودية القلب واللسان.. وهى غير مؤقتة. بل هم يُؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم فى كل حال: قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها. فكذلك القلوب:

إنها بور.. خراب.. وهو عمارتها وأساسها.

■ من بركات الذكر

ومن تجريبات السالكين، التى جرّبوها فألفوْها صحيحة. أن من أدمن «ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت» أورثه ذلك حياة القلب والعقل.

كان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – شديد اللهج بها جدًا، وقال: لهذين الاسمين – وهما «الحى القيوم» – تأثير عظيم فى حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم وكان يقول: من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سُنَّة الفجر وصلاة الفجر «ياحى ياقيوم، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث» حَصَلت له حياة القلب. ولم يمت قلبه.

ومن عَلِم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاءَ بها، وسِرَّ ارتباطها بالخلق والأمر، وبمطالب العبد وحاجاته: عَرَف ذلك وتحققه. فإن كل مطلوب يُسأل بالمناسب له، فتأمل أدعية القرآن والأحاديث النبوية تجدها كذلك.

وممن تأملوا أدعية القرآن ذلك الرجل الصالح الذى كان يسمع اسم الجبار سبحانه فيتلقاه بقلبه... ثم يسبح منه فى محيط لا ساحل له!

وإذا بمعنى الجبروت.. والقهر.. يفسح الطريق لفهم من معنى «الجبار» أنه الذى يجبر الخاطر. يجبره تعالى بالعفو عمن عصاه من عباده... فكانت للعفو مدرسة قال واحد منها:

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم.. سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الأسارى.. وطالما
مررنا على الأسرى نمن ونصفح
فحسبكمو هذا التفاوت بيننا
وكل إناء بالذى فيه ينضح!

■ أهمية الذكر

وعن أهمية الذكر قال ﷺ : «لا يقعدُ قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[2]

والأصل القرآنى هنا[3] هو:

١- الأمر به مقيداً ومطلقاً وذلك كقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

(الأحزاب: ٤١ – ٤٢)

٢- النهى عن ضده من الغفلة والنسيان كقوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾

(الأعراف: ٢٠٥)

٣- تعليق الفلاح باستدامته وكثرته كقوله تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(الجمعة: ١٠)

٤- الثناء على أهله والإخبارُ بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة كقوله تعالى :

﴿[illegible]﴾

(الأحزاب: ٣٥)

٥- الإخبار عن خسران من تلهّى عنه بغيره كقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(المنافقون: ٩)

٦- جعل الله سبحانه ذكره لهم جزاء ذكرهم له: كقوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

(البقرة: ١٥٢)

٧- الإخبار أنه أكبر من كل شىء كقوله تعالى:

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

٨- جعله قرين جميع الأعمال وروحها:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

(طه: ١٤)

وكذلك قرنه بالصيام وبالحج.

ومن خصائص المؤمنين أنهم كما وصفهم ربهم سبحانه:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾

أى: زادتهم: يقينا فى الإذعان وقوة فى الاطمئنان وسعة فى العرفان ونشاطا فى الأعمال وهكذا: يتنامى الإيمان صاعداً فى مدارج الكمال:

من علم اليقين.. إلى حق اليقين.. إلى عين اليقين: إنهم يزدادون إيمانا كما يزداد الزرع بالماء نماءً. أجل: يزداد كلما واصل المؤمن إبحاره مع آيات الله المنزّلة.. وآياته الكونية: المنبثة فى الأنفس والآفاق، لما فى قلوبهم من الخصوبة وما فى الآيات من عناصر الخير يقول القضاعى:

أى بإيمانهم بها وبما حصل لهم من نور القلب وطمأنينة اليقين بسببها: فإنها هى الدالة على

---

(٢) رواه مسلم [illegible]

(٣) راجع مدرج التعبير / ٥.

الله.. بما تبين من عظيم أفعاله، ونعوت جلاله وجماله.

وتظافرُ الأدلة أقوى للمدلول عليه، وكمالُ قدرته تعالى إنما يعرف بواسطة آثار حكمته في مخلوقاته.. وذلك بحر لا ساحل له»

يقول صاحب الظلال:

والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيمانا وما ينتهي به إلى الاطمئنان:

إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشرى بلا واسطة ولا يحول بينه وبينه شيء إلا الكفر الذى يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه:

فإذا رُفع هذا الحجاب بالإيمان.. وجد القلب حلاوة هذا القرآن.. ووجد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ الاطمئنان»

وهنا تذكر ما قيل: «كنا نؤتى الإيمان.. قبل أن نؤتى القرآن».

ومن أجل ذلك.. كانت تلك الزيادة خاصة بالمؤمنين.. لأنهم المرشحون للتفاعل مع آى القرآن.. وذلك بعض ما يفهم من مثل قوله عز وجل:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الحجر: ٧٧)

ونذكر هنا قوله عز وجل فى آخر سورة الفرقان:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾

(الفرقان: ٧٣)

ولاحظ بناء الفعل «ذُكِّروا» للمفعول، لتدرك من طبيعة القوم:

أنهم أهل لهذا التذكر والاعتبار بما يسمعونه من الآيات بفطرتهم.

إنهم مؤهلون للتجاوب مع هذه الآيات الكريمة.. بدليل أنهم يتسجمون مع هداياتها إن ذكّرهم غيرهم مهما كان.. لأنهم يعرفون الحق بفطرتهم وليسوا في حاجة إلى من يلفتهم إليه:

إن هؤلاء المؤمنين:

«إنهم يسقطون عند سماعها، ويكبون عليها سقوط سامع متفع بسمعه. بصير: متفع ببصره وبصيرته.

سجّدا يبكون، ويزيدهم خشوعاً.

وليسوا كهؤلاء المنافقين مردة المشركين من مثل أبي جهل والأخنس.. الذين أعرضوا عنها، تغطية لما عرفوا من حقيتها. وسترا لما رأوه من نورها، فعل من لا يسمع ولا يبصر والمعنى: أنهم: لم يفعلوا فعل الساقطين المستعلين الساترين لها، وإنما هم المقبلون عليها.. المتقبلون لها»

ومن صفات المؤمنين: أنهم:

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

يتوكلون عليه تعالى وحده «لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ولا يطلبون الحوائج إلا منه ولا يرغبون إلا إليه ويعلمون: أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك لاشريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب»[4]

(٤) ابن كثير.

والتعبير بالفعل المضارع «يتوكلون» يفيد أنهم يجددون إسناد أمورهم إليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر أو غيره ليكفيهم من حيث لايحتسبون فى خزائنه واسعة ويده سخاء الليل والنهار

إن المؤمن متوكل على الله - وليس كالمادى اليوم - الذى يتخذ من الآلة إلها من دون الله.

ومن معاني ذلك: أن المؤمن متحرر من سطوة الأسباب المادية التى استعبدت الماديين فى دول أخرى.

ومن معاني ذلك أن المؤمن هو المتمتع وحده بالحرية التى حرم منها عبيد الآلة! فالله تعالى هو الذى يخلق وهو الذى يفعل.. وما الأسباب الظاهرة إلا وسائل من صنعه عز وجل.. وما على الإنسان إلا أن يفعل ما يؤمر به والنتيجة بعد ذلك على الله عز وجل.. وذلك قوله ﷺ:

«اعقلها وتوكل!»[5]

ويعني ذلك أنه لا جبر.. ولا حتمية للأسباب وإنما الأمر كله لخالق هذه الأسباب!

ومن قوة إيمان المؤمن أنه يقيم الصلاة عبادة ظاهرة تراها العين بعد عمارة القلب بما لا يدرك إلا بالبصيرة. إن المؤمنين كما وصفهم ربهم:

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ وتلك صلتهم بالخالق سبحانه، أما صلتهم بالمخلوق فإنها أيضا لاتنقطع.. وذلك قوله عز وجل: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

ينفقون ما في اليد منطلقين من قيمة التوكل واعتمادا على ما عند الله تعالى:

«فالإنفاق إهانة الدنيا همتهم: لا الحرص عليها..

فحينئذ يكونون كاللذين عند ربك: فى التحلّي بالعبادة والتخلي من الدنيا إعراضا وزهادة».

وهؤلاء هم المؤمنون حقا.. وكأن غيرهم ليس كذلك.

وهو تعريض بمن لم يكن على شاكلتهم بقدر ما كان تحريضا لهم على أن يظلوا كذلك: متربعين على قمة الإيمان:

﴿ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

■ فضل التوكل

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك، الطيرة شرك ثلاثا وما منا إلا.. ولكن الله يُذهبُه بالتوكل»[6]

ومعنى: وما منا أى:

وما منا إلا ويعتريه شيء منه في أول الأمر قبل التأمل.. وقال جماعة من العلماء: إن كلمة (وما منا إلا.. ولكن الله يذهبه بالتوكل) من كلام ابن مسعود رضى الله عنه.

وهذا يعني واقعية الإسلام الذى يعترف بطبيعة الإنسان.. والذى يجب عليه الاعتلاء فوق جبلته ليكون سماويا لا أرضيا.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال: يقال حينئذ هُديت وكفيت ووقيت فتنحى له الشياطين فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدى، وكُفى ووقى»[7]

(٥) حلية الأولياء ج٨، ص٣٩٠، صحيح ابن حبان ج٢، ص٥١٠، رقم ٧٢٩

(٦) سنن أبي داود ج٤، ص٢٣٠ رقم ٣٩١٠

(٧) رواه أبو داود ٥٠٩٥

وتأمل كيف يذكر ﷺ كيف يصل المؤمن إلى نعم: الهداية والكفاية والوقاية على جسر من التوكل على الله عز وجل.. والتجرد من كل حول وطول وأطراح كل أسباب الدنيا.. اتكالا على الله وحده.. وكيف كان التوكل تحريراً للمؤمن من قبضة الشياطين الذين يقعدون له كل مرصد.. وكيف كان المؤمن بالتوكل على الله وحده في حصن الأمان فلا تطوله وسوسة شيطان.

ثم كيف كان التوكل على الله ضربة موجعة تفرق بها حزب الشيطان بدءا.. بدليل هذا التلاوم بينهم حين يعلن شيطان رجيم يأسه من إغواء رجل بات في عناية الرحمن العظيم

ولنا أن نتصور الصورة المقابلة لنزداد إحساسنا بنعمة التوكل وآثاره العظام وفي خيالي صورة ذلك الرجل الكبير: إنه غني قوي ذو حسب ونسب وله سلطان يملك سيف الحجاج ولسان «ابن حزم»!

إنه ذلك المغرور الذي قال مع «طرفة بن العبد»

إذا قيل من فارس؟ خلتُ أنني

دعيت فلم أكسل ولم أتبلد

ولأنه غني: فقد أطعم الأفواه.. فاستحيت منه العيون ولأنه قوي.. فهو المتنبي.. المغرور..

والذي سول له غروره أن يقول

يقول لي الطبيب: أكلتَ شيئًا

وداؤك في الشراب وفي الطعام

وما في طبه أني جواد

أضرَّ بجسمه طول الجمام

تعود أن يغبر في سرايا

ويدخل من قتام في قتام!

ولقد تعود صاحبنا هذا أن يتأبط مطالب الناس داخلا بها من ديوان إلى ديوان وتلك ساحات كفاحه.

وقد يدق باب المسئول بقدمه. فسمعته وسطوته تسبقانه إلى حيث يريد.. وكان الظن أن يشكر صاحبنا هذه النعم.. ولكنه أنكرها.. بل عاش مع النعمة ونسي المنعم. فماذا حدث؟

أولاً: نبت من حوله جيش من النفاق الذي ينبت في القلب.. كما ينبت العشب في الماء ثم تمتد جذوره كلما تكرر النفاق

وثانيًا: سلط الله تعالى عليه الشياطين.. من الجن والإنس.. فمال واحتجب.

وإذا كان فرعون قال يوماً ياهامان ابن لي صرحا.. فهذا وبعد أن سمع صيته بأذنه يقول كما قال «خروشوف» لما صعد الإنسان إلى القمر

لقد صعدنا إلى آفاق السماء.. ولكننا لم نجد الله؟!

وهكذا يملي الغرور ويوسوس.

قيل للمتنبي: امدح مصر بخضرتها وأهراماتها.. فقال: شعري عاثر أزحف نحوه فيطير وإنما مدحت الملوك.. لكي أكون مثلهم ملكا!.. وأنا أستحلب من الشعر فقط ما يصل بي إلى هذه الغاية الكبرى!!

ورفض المتنبي أن يمدح ولي نعمته!

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۝ ﴾

(آل عمران: ١٩٦ -١٩٨)

ومن معاني ذلك:

الاعتزاز بالله أمام هذا النموذج المستكبر:

منطلقين من القاعدة التي تقول:

نحن: المتقين: لنا الغد: لنا المستقبل.

واعتزازنا نابع بقيمة التقوى.. ذلك الاعتزاز الذي يذكرنا به هذا الموقف، سئل أحد الصالحين: من آلك؟؟

فقال: كل المتقين: ثم تلا قوله عز وجل:

﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾

(سورة الأنفال ٣٤)

هذه التقوى – بتوكلنا على الله تعالى – لا تجعل الدنيا متسلطة علينا. ولكنها مسخرة لنا.. وإذ لا يشكر غيرنا لله تعالى حسن الأداء.. أفلا نشكر نحن حسن العطاء؟!

وقاتل الله الغرور:

ذات يوم.. قدَّم العلماء أحد الشباب ليقوم بالتدريس فلما اعتلى المنصة.. ورأى الأشياخ بين يديه ظن أنهم ما قدموه إلا لعلمه فاغتر! ونجيئه اللقيفة من حيث لا يحتسب. لما سأله سائل:

يقول عز وجل.

﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾

(الرحمن: ٢٩)

فما شأن ربك الآن؟؟ فلم يجبه ثم تكرر السؤال حتى اليوم الثالث والفتى لا يجيب، وفي اليوم الرابع جاءه من يعلمه في المنام قائلا: أمور يبديها.. ولا يبتديها: يرفع أقواماً ويخفض آخرين.

فلما أجاب بعد ذلك، فقال له السائل: صلِّ على من علَّمك هذا!

وصدق القائل.

كلما أخرستني لومي.. أنطقني كرمك

ولا أزال أطرق باب الرجاء ناظرًا إلى ما منك إليَّ فرارا من الحزن عندما أنظر إلى ما مني إليك!!

وهكذا يكون منطق المتوكل على الله.. الخارج من كل حول له وطول.. اعتمادا على من منه الحول والطول سبحانه وتعالى.

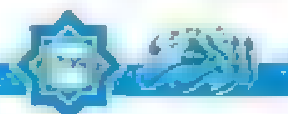
إنها الثقة بالله عز وجل.

نقل ابن القيم: «الثقة سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض» ومثالها: قوله تعالى لأم موسى:

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾

(القصص: ٧)

فهذا دليل على كمال ثقتها بربها عز وجل. وبهذه الثقة نجى الله تعالى الرجل الذي خرج من بيته.. وفي نفس اللحظة «خرج» من كل أسباب الدنيا.



فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(النحل ٤٣)



يجيب عنها الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى الجمهورية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ٦٣٠ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن السؤال التالي:

■ **هل يجوز إعادة البكارة للفتاة المغتصبة؟**

الجــــــواب

جاء الشرع الشريف بالأمر بالستر، وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الستر صفة من صفات الله تعالى يحب من خلقه أن يتصفوا بها فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عز وجل حيي ستير، يحب الحياء والستر» رواه أبو داود (٣٤٩٧)، والنسائي (٤٠٣) من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه.

وتتابعت النصوص الشرعية على الحث على الستر وأن الجزاء فيه من جنس العمل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.

بل توعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سعى في فضيحة المسلمين وتتبع عوراتهم بحصول ذلك له وعوده عليه: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فنادى بصوت

رفيع فقال: «يامعشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه! لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته» رواه ابن ماجه بإسناد حسن كما قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب.

وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تتبع العورات سبب من أسباب الفساد والإفساد: فعن معاوية - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وإذا أصاب المسلم معصية فإنه مأمور أن يستر على نفسه؛ حيث لم يجعل الشرع إقامة الحد شرطاً في قبول التوبة، فعن زيد بن أسلم أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسوط، فجلد، ثم قال: «أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله، فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله» رواه مالك في الموطأ (١٢٩٩) عن زيد بن أسلم رضي الله عنه يرسله. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «هذا حديث منقطع ليس مما يثبت به هو نفسه حجة، وقد رأيت من أهل العلم عندنا من يعرفه ويقول به، فنحن نقول به». (سنن البيهقي ٩٩/٢)

وروى الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٢) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن امرأة حبلى جاءت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: إنها زنت، وطلبت أن ترجم، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «استتري بستر الله عز وجل». فرجعت، ثم جاءت الثانية وطلبت أن ترجم، فقال لها: «استتري بستر الله تبارك وتعالى»، فرجعت، ثم جاءت الثالثة وطلبت أن ترجم، فقال: «اذهبي حتى تلدي». فانطلقت، فولدت غلاماً ثم جاءت فكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال لها: «اذهبي فتطهري من الدم». فانطلقت: ثم أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت أنها قد تطهرت، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسوة فأمرهن أن يستبرئن المرأة، فجئن وشهدن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطهرها، فأمر لها بحفيرة ورجمت، ثم صلى عليها، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو قسم أجرها بين أهل الحجاز وسعهم».

وروى البخاري (٥٦٠٨) ومسلم (٥٣٠٦) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كل أمتي معافاة إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح قد ستره ربه فيقول: يافلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيت

يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه.

وروى أبو داود عن نعيم بن هزال قال: كان ماعز بن مالك يتيماً في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي فقال له أبي: ائت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك... فأقر عنده أربع مرات، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم برجمه وقال لهزال: «لو سترته بثوبك كان خيراً لك»

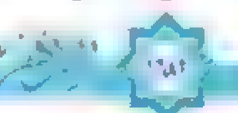
وقد فهم الصحابة والسلف الصالح هذا المعنى العظيم في اعتبار الستر في الشرع الشريف فظهر إعمالهم له في وقائع مختلفة، منها حادثة ماعز بن مالك الأسلمي لما جاء إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأخبره بزناه، قال له الصديق: «هل ذكرت هذا لأحد غيري؟» فقال: «لا»، فقال له أبوبكر: «فتب إلى الله واستتر بستر الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده»، فلم تقرره نفسه حتى أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال له عمر مثل ما قال له أبوبكر، فلم تقرره نفسه حتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعترف بزناه، فأعرض عنه، فلما أكثر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقق في أمره حتى استوثق، ثم حده. رواه الإمام مالك في الموطأ (١٢٨٩) عن سعيد بن المسيب يرسله، وأصل الحديث في الصحيحين، رواه البخاري (٤٨٦٦)، ومسلم (٣٢٠٢)

فهذا هو الصديق الأكبر، ومعه الفاروق عمر رضي الله عنهما قد أرشدا المعترف بالزنا أن يستر على نفسه ويكتم أمره، ولم يرد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أنكر عليهما ذلك، ولا حضهما على خلافه.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢ ١٢٤): «ويؤخذ من قضيته أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد، كما أشار به أبوبكر وعمر على ماعز، وأن من اطلع على ذلك يستر عليه بما ذكرنا، ولا يفضحه، ولا يرفعه إلى الإمام، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصة: «لو سترته بثوبك لكان خيراً لك»، وبهذا جزم الشافعي رضي الله عنه فقال: أحب لمن أصاب ذنباً فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب، واحتج بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر» اهـ.

وروى عبدالرزاق في مصنفه (٦ ٢٤٦) أن رجلا خطب إلى رجل ابنة له، وكانت قد أحدثت -أي ارتكبت ما يوجب حدا- فجاء إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فذكر له ذلك، فقال له عمر: ما رأيت منها؟ ما رأيت إلا خيراً. قال: فزوجها، ولا تخبر.

وروى في «المصنف» أيضاً (٦ ٢٤٦، ٢٤٧) عن الشعبي أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: «يا أمير المؤمنين! إني وأدت ابنة لي في الجاهلية، فأدركتها قبل أن تموت، فاستخرجتها، ثم إنها أدركت، فحسن إسلامها، وإنها أصابت حداً من حدود الإسلام، فلم نفجأها إلا وقد أخذت السكين تذبح نفسها، فاستنقذتها وقد جرحت نفسها، فداويتها حتى برأ كلمها -أي جرحها-، فأقبلت إقبالا حسنا، وإنها خطبت إلي، فأذكر ما كان منها؟»، فقال عمر: «هاه! لئن فعلت لأعاقبنك عقوبة يسمع بها أهل الوبر وأهل الودد» (كذا في الأصل، والمعروف في اللغة مقابلة أهل الوبر بأهل المدر).



وفي رواية أخرى عنده (٦ ٢٤٧): «لأعاقبنك عقوبة يتحدث بها أهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة»

وفي رواية أخرى عند الإمام الطبري في تفسيره (٦ ١٠٥): «أتخبر بشأنها؟ تعمد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة»

فهذه الآثار جميعها أفادت اعتبار عمر رضي الله عنه للستر في حق الزانية، وأنه لا يجوز أن يغلق دونها باب الرحمة وأن يحكم عليها وعلى أهلها بالعار الأبدي، بل يكتم ما كان منها، ولا يشاع، وتستفتح فصلا جديدا أوله التوبة، والتملص من المعصية، وتشرع في حياة العفائف الطاهرات.

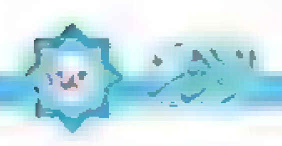
وقد نص فقهاء الشافعية أنه يستحب للزاني، وكل من ارتكب معصية الحق فيها لله تعالى أن يستر على نفسه، بأن لا يظهرها ليحد أو ليعزر، وأما التحدث بها تفكها أو مجاهرة فحرام قطعاً، انظر مثلا: أسنى المطالب (٤ ١٣١)، والزواجر عن اقتراف الكبائر (٢ ٢٠٩)

وإذا كان الستر مشروعا في حق المكلف الذي ارتكب الفاحشة، فإن كونه مشروعا ومأمورا به في حق من أرغمت عليها من غير ذنب منها ولا إرادة من باب أولى وأحرى لأن الرخصة إذا ثبتت مع عدم العذر فثبوتها معه آكد.

ولا شك أن رتق غشاء البكارة لمن فقدت عذريتها باب من أبواب الستر عليها، ووسيلة من وسائل درء الفضيحة عنها، ومن فعلت ذلك بنية الستر على نفسها فهي ممتثلة بذلك لحديث: «من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله»، وإذا كان هذا فيمن صدر ذلك منها برضاها، فإنه أشد مشروعية إذا كانت قد أرغمت عليه وأكرهت على مقارفته، والأصل في الشريعة أن الوسائل لها أحكام المقاصد، ونص الفقهاء على أن «الإذن في الشيء إذن في مكملات مقصودة» كما أفاده الإمام ابن دقيق العيد في «إحكام الأحكام»، وهذه العملية مظهر من مظاهر الستر، ومن استثنى شيئا مما يحقق الستر طولب بالدليل؛ لأن دعواه تخالف هذا الأصل.

كما أنه قد تقرر في قواعد الشرع من أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ومن المعلوم أن المفاسد المترتبة على العلم بزوال بكارة المرأة في غير نكاح بين الناس تربو على مصالح ذلك، ولعل أدنى هذه المفاسد هو سوء الظن بها وحمل أفعالها الماضية والمستقبلة على المحامل الفاسدة، فضلا عما هو فوق ذلك من هدم الأسر أو الإيذاء الشديد اللاحق بالمرأة الذي قد يصل إلى حد القتل في بعض البيئات، وكذلك المعرة التي تلحق ذويها وعائلتها، ولا شك أن هذه المفاسد ترجح على المصلحة الحاصلة بالعلم بزوال العذرية، فتجرى عملية الرتق لدفع هذه المفاسد المذكورة وأشباهها طالما كانت هي الوسيلة المعينة التي تحقق هذا الدفع.

قال العز بن عبدالسلام في «قواعد الأحكام» (١ ٩٨): «إن كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالي بفوات المصلحة، قال الله تعالى:

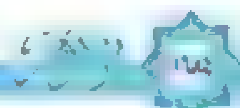


﴿... فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، حرمهما؛ لأن مفسدتهما أكبر من منفعتهما. أما منفعة الخمر فالتجارة ونحوها، وأما منفعة الميسر فما يأخذه القامر من المقمور. وأما مفسدة الخمر فإزالتها العقول، وما تحدثه من العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة. وأما مفسدة القمار فإيقاع العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهذه مفاسد عظيمة لا نسبة إلى المنافع المذكورة إليها».

وفقهاء الحنفية عندما تعرضوا لمسألة الإجبار في النكاح، ذكروا أن البكر إذا استأذنها وليها في التزويج، فسكتت أو ضحكت، أو زوجها فبلغها الخبر فسكتت فهو إذن، وأما الثيب فلا يكتفى منها بما يدل على رضاها من الأفعال، بل لابد من تصريحها بالقول. وعندهم أن من زالت بكارتها بوثبة أو حيضة أو جراحة أو تعنيس أو زنا فإذنها كالأبكار، بخلاف من تكرر زناها فإنها لا تستحي بعد التكرار عادة بل تجعله مكسبة. قالوا: «وكذا إذا أخرجت وأقيم عليها الحد؛ لأنه ظهر بين الناس وعرفت به فلا تخفيه» اهـ تبيين الحقائق (٢/ ١١٨-١٢٠). فجعلوا علة أنها لا تزوج كالأبكار معرفة الناس بما كان منها وظهوره، ويلزم من هذا التعليل أنه لو انعدمت معرفة الناس بحدها وزناها أنها تزوج كالأبكار أيضاً، والله أعلم.

وإذا اغتصبت البنت وأكرهت على الزنا رغماً عنها فلا إثم عليها؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. قال الإمام القرطبي في «أحكام القرآن»: «لما سمح الله عز وجل بالكفر به -وهو أصل الشريعة- عند الإكراه ولم يؤاخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ به ولم يترتب عليه حكمه»، وقول النبي صلى الله عليه وآله و سلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» رواه ابن ماجة (٢٠٣٥) والبيهقي (٧/ ٣٥٦). وصححه الحافظ أبو محمد عبد الحق وحسنه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٧١). وفي حكم الإكراه الصغر ونقص العقل أو زواله؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل» رواه أبو داود (٣٨٢٥)، والنسائي (٣٣٧٨)، وابن ماجة (٢٠٣١)، وصححه الإمام النووي في شرح مسلم (٨/ ١٤).

ويجوز لها أو لوليها إجراء عملية رتق البكارة؛ لما يترتب على ذلك من سد لباب إساءة الظن بها، كما يحميها من المؤاخذات الاجتماعية الجائرة، مع ما فيه من عون على الاستقامة والعفاف؛ فإرجاع عذريتها لها يغلق باباً قد ينفذ منه الشيطان فيهون عليها المعصية بعد الذي ابتليت به؛ فكم من فتاة عفيفة ابتليت بحادث اعتداء على شرفها تسبب في زوال بكارتها، فامتنعت عن الزواج، وأورثها ما تعرضت له شعوراً بالهوان والدنس، ثم بدأت مبالاتها بمعاني الشرف والفضيلة في الانحسار، وأخذت حرارة المعصية في قلبها في الخفوت شيئاً فشيئاً، فبدأت في إشباع حاجاتها وشهوتها بما يغضب الله تعالى دون حساب لرقيب؛ فقد زالت العلامة التي يعتبرها المجتمع دليل الطهارة والعفاف، فصارت وسيلة فساد وإفساد في المجتمع، وإلى



ذلك يشير قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وأما الاعتراض بأن زوال غشاء البكارة يعتبر عيباً من العيوب، وإخفاؤه بالرتق نوع من الغش، والشريعة الإسلامية حرمت الغش والتدليس في الزواج وفي غيره، فهو مردود بأنه ليس كل عيب يعد إخفاؤه غشاً، بل العيب المؤثر يكون في كل شيء بحسبه. قال الإمام النووي -رحمه الله- في «تهذيب الأسماء واللغات» الجزء الثاني من القسم الثاني ص (٥٣): «العيب ستة أقسام: عيب في المبيع، وفي رقبة الكفارة، والغرة، والأضحية والهدي والعقيقة، وفي أحد الزوجين، وفي الإجارة. وحدودها مختلفة، فالعيب المؤثر في المبيع الذي يثبت بسببه الخيار هو: ما نقصت به المالية أو الرغبة أو العين، كالخصا. والعيب في الكفارة: ما أضر بالعمل إضراراً بيناً. والعيب في الأضحية أو الهدي أو العقيقة هو: ما نقص به اللحم. والعيب في النكاح: ما ينفر عن الوطء ويكسر سورة التواق. والعيب في الإجارة: ما يؤثر في المنفعة تأثيراً يظهر به تفاوت الأجرة، لا ما يظهر به تفاوت قيمة الرقبة؛ لأن العقد على المنفعة. فهذا تقريب ضبطها، وهي مذكورة في هذه الكتب بحقائقها وفروعها. وعيب الغرة في الجنين كالمبيع» اهـ.

والقول بأن إخفاء مطلق العيب من الغش قول فاسد؛ لأننا لو لم نحد العيب المؤثر بحد معين لصار غير منضبط يختلف باختلاف الأشخاص، فما يراه شخص عيباً قد يراه غيره مناسباً. ويلزم عليه كذلك أن المرأة يلزمها أن تخبر بكل عيب فيها ولو كان ندبة أو جرحاً صغيراً، وكل هذا من البطلان بمكان، وهو مما تتنزه الشريعة عنه، فتعين رد العيب المؤثر لحد معين وضابط مستقر.

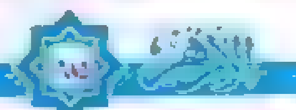
فنقول في بيان هذا الضابط: إن ما يعد غشاً في هذا الباب هو ما كان إيهاماً بوجود مفقود مقصود لذاته، أو إخفاء لعيب مفوت لمقصود النكاح.

وقولنا: «ما كان إيهاماً بوجود مفقود مقصود لذاته» مثاله: وصل الشعر؛ فالمرأة توهم به وجود مفقود مقصود، فيحرم عليها ذلك؛ لما فيه من تغرير وتدليس على الأزواج. ولهذا المعنى أجاز فقهاء الشافعية الوصل للحرة إذا كانت ذات زوج بإذن زوجها، وللأمة بإذن سيدها؛ حيث ينتفي معنى التدليس حينئذ.

وخرج بهذا: ما إذا ما أوهم مفقوداً غير مقصود لذاته فإنه لا أثر له.

وقولنا: «عيب مفوت لمقصود النكاح» يقصد به ما أعاق الوطء حساً، كالرتق والقرن، أو أوجب نفرة تمنع من القربان والمساس، كالبرص والجذام المستحكمان، والجنون وإن تقطع، فينزل ذلك منزلة المانع الحسي، وهي جملة العيوب الخمسة التي ذكر فقهاء الشافعية أن الزوج يثبت له بها خيار الفسخ. وأما ما سوى هذه العيوب كالبخر، والصنان، والاستحاضة، والقروح السائلة فلا خيار بها؛ لأنها لا تفوت مقصود النكاح. انظر مثلاً: أسنى المطالب (٣/ ١٧٦).

والبكارة ليست مقصودة لذاتها؛ وقد ذكرها الفقهاء في كتبهم على أنها من صفات الكمال. انظر مثلاً:



مغني المحتاج (٣/ ٢٠٧)، وأسنى المطالب (٣/ ١٧٨). وهذا يقتضي أن زوالها لا يعد من جملة العيوب المؤثرة بمعنى المشار إليه سابقاً؛ لأنه لا يفوت مقصود النكاح، فلا يكون إخفاؤه غشاً. بل الغش إخفاء ما فوت مقصود النكاح.

قال الشيخ علي العدوي المالكي في «حاشيته على شرح الخرشي لمختصر خليل (٥/ ١٧٧): «يلزم من كون الشيء مفوتاً للعيب كونه مفوتاً للغش والكذب، لا العكس».

وقال الإمام الباجي في «المنتقى شرح الموطأ» (٣/ ٣٥٢): «ولا يلزم الولي أن يخبر من حال وليته إلا بما يلزم في ردها، وهي العيوب الأربعة: الجنون والجذام والبرص وداء الفرج، وأما غيره من العيوب فلا يلزمه ذلك».

والنصوص التي تحض الإنسان أن يستر على نفسه عامة من جهة شمولها للأفراد، ومطلقة من جهة عدم تحديد وسيلة الستر، والخطاب إذا كان عاماً أو مطلقاً فإنه يجرى على عمومه وإطلاقه ما لم يأت ما يخصصه أو يقيده.

وتقدم أثر الرجل الذي خطبت ابنته وكانت قد زنت وتابت، فقال له أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «زوجها، ولا تخبر».

والآخر الذي أصابت أخته فاحشة، ثم تابت وكانت تخطب إلى عمها، وكان يكره أن يدلِّسها، ويكره أن يفشي على ابنة أخيه، فأتى عمر، فذكر ذلك له، فقال عمر: «لو أفشيت عليها لعاقبتك، إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوجها إياه».

والآخر الذي سأل عمر في شأن ابنته التي خطبت إليه، وكانت قد زنت ثم تابت، هل يذكر لخاطبها ما كان منها؟ فقال له عمر: «تعمد إلى ما ستره الله فتبديه! والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة».

والفاروق عمر - رضي الله عنه - هو محدَّث الأمة، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم» رواه مسلم.

والمحدث هو الملهم، أو هو -كما قال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٤/ ١٠٨)- المتكلم الذي يلقي الله في روعه الصواب يحدثه به الملك عن الله.

وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» رواه الترمذي (٣٦١٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ورواه أحمد في مسنده ٢/ ٥٣.

والمتأمل في هذه الآثار الأخيرة يلحظ أن عمر رضي الله عنه أمر بتزويج المرأة زائلة البكارة على أنها عفيفة مسلمة، ولم يأمرها بفضح نفسها، ولا بإخبار من أقدم على زواجها بما سلف منها، ولم يحرم تزويجها على هذه الحال وإخفاء ما كان منها غشاً. وكذلك يظهر أن المسلمين الأوائل ما كانوا ينظرون للمرأة التي



يكتشف زوال بكارتها على أنها خاطئة أو مومسة كما يشيع الآن بين الناس؛ فالعذرة مجرد أمارة على العفاف، ولكن لا تلازم بينهما بحيث ينعدم العفاف بانعدامها ويوجد بوجدانها؛ لتعدد أسباب زوال البكارة، ومعظمها لا إثم فيه

والاستدلال بهذه الآثار ليس لمجرد صدورها عن سيدنا عمر فحسب، بل لعدم إنكار الصحابة عليه ما كان منه، فصار إجماعاً سكوتياً على مقتضاها

وقد التفت الفقهاء الحنفية إلى مدرك التشوف إلى الستر والتمسك به وتقديمه، وراعوه في فروعهم؛ فمذهب الإمام أبي حنيفة أن من زالت بكارتها بزنا خفي زوجت كالأبكار فلا تستنطق في إذن النكاح بل يكفي سكوتها، تقديماً لمصلحة الستر والإخفاء على المصلحة المتوهمة من علم الزوج بزوال بكارتها. قال الزيلعي في «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» (٢/ ١٢٠): «لأن الشارع قد ندب إلى الستر، وفي إلزامها النطق إشاعة الفساد مع تفويت مصالحها» اهـ. وهذا نص صريح في تقديم الستر دون التفات إلى غياب ذلك عن الزوج؛ تحقيقاً للمصالح العامة بالحد من شيوع الفساد، والمصالح الخاصة بالستر على العاصية.

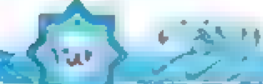
وقد اعتبر ابن القيم مذهب أبي حنيفة في أن البكر إذا زالت بكارتها بالزنا فإذنها الصمت من محاسن الشريعة. قال: «لأنا لو اشترطنا نطقها لكنا قد ألزمناها بفضيحة نفسها وهتك عرضها، بل إذا اكتفى من البكر بالصمات حياءها، فلأن يكتفى من هذه بالصمات بطريق الأولى؛ لأن حياءها من الاطلاع على زناها أعظم بكثير من حيائها من كلمة (نعم) التي لا تذم بها ولا تعاب. ولا سيما إذا كانت قد أكرهت على الزنا، بل الاكتفاء من هذه بالصمات أولى من الاكتفاء به من البكر، فهذا من محاسن الشريعة وكمالها» اهـ من الطرق الحكمية ص٩٨.

وكذلك فليس في إخفاء زوال البكارة بالرتق تفويتٌ لحق الزوج في الفسخ؛ لأن عدم البكارة ليس من العيوب التي يثبت بها الخيار كما قدمنا، إلا إن اشترط في العقد، فإن اشترط فيه ثم بان خلافه ثبت الخيار عند طائفة من العلماء كالشافعية والمالكية، ولا يثبت عند طائفة أخرى كالحنفية، بل إنهم لا يثبتون الخيار للزوج أصلاً بأي عيب، وعن أحمد كلام يحتمل أمرين: أحدهما: لا خيار له؛ لأن النكاح لا يرد فيه بعيب سوى ثمانية عيوب، فلا يرد منه بمخالفة الشرط. ولكن العقد الصحيح عند هؤلاء جميعاً سواء قبل بثبوت الخيار أو بعدمه.

قال الجلال المحلي في «شرحه على المنهاج»: «لأن المعقود عليه معين لا يتبدل بخلف الصفة المشروطة» اهـ من قليوبي وعميرة (٣/ ٢٦٦).

وقال الشمس الرملي في «نهاية المحتاج» (٦/ ٣١٦) ط: «لأن الخلف في الشرط لا يوجب فساد البيع مع تأثره بالشروط الفاسدة، فالنكاح أولى»

ويضاف إلى هذا أن جماعة من الفقهاء قد نصوا أن من زالت بكارتها بسبب غير وطء كدخول إصبع ونحوه،



لا يرتفع عنها وصف البكارة شرعاً. بل تعتبر بكراً إما حقيقة عند بعضهم وإما حكماً عند البعض الآخر

قال في مجمع الأنهر (١/ ٣٣٤) من كتب السادة الحنفية: «(ومن زالت بكارتها) أي عذرتها، وهي: الجلدة التي على المحل. وفي الظهيرية: البكر اسم لامرأة لم تجامع بنكاح ولا غيره (بوثبة، أو حيضة، أو جراحة، أو تعنيس) من عنست الجارية إذا جاوزت وقت التزوج فلم تتزوج (فهي بكر) حقيقة. أي: حكمهن حكم الأبكار، ولذا تدخل في الوصية لأبكار بني فلان؛ لأن مصيبها أول مصيب لها. منه الباكورة والبكرة لأول الثمار ولأول النهار، ولا تكون عذراء».

وقال الإمام البابرتي الحنفي في «العناية شرح الهداية» (٣/ ٢٧٠): «البكر هي التي يكون مصيبها أول مصيب».

وجاء في حاشية العلامة الدسوقي على الشرح الكبير (٢/ ٢٨١) من كتب السادة المالكية أن من أزيلت بكارتها بوثبة تعتبر بكراً؛ لأن البكر أعم من العذراء.

وقال العلامة البجيرمي من الشافعية في حاشيته على شرح الخطيب (٣/ ٣٦١): «وفي معنى البكر من زالت بكارتها بنحو حيض».

وفي الإقناع وشرحه كشاف القناع للعلامة منصور البهوتي (٢/ ٦٣٩) من كتب السادة الحنابلة: «(وزوال البكارة بأصبع، أو وثبة، أو شدة حيضة، ونحوه» كسقوط من شاهق (لا يغير صفة الإذن) فلها حكم البكر في الإذن؛ لأنها لم تختبر المقصود. ولا وجد وطؤها في القبل. فأشبهت من لم تزل عذرتها».

وعلى هذا فإن ترميم بكارة المرأة التي طرأ لها التهتك بسبب ما ذكر لا يسبل على المرأة وصفاً هي خالية عنه، بل هو مؤكد لوصف قائم بها وهو البكورة. ودارئ عنها الخوض في عرضها بالظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة.

بل يرى الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - أن من زالت بكارتها بزنا خفي فإنها تعد بكراً وتزوج كالأبكار، ولا تعد ثيباً.

قال في مجمع الأنهر (١/ ٣٣٤- ٣٣٥): «(وكذا لو زالت) بكارتها (بزنا خفي) عند الإمام -يعني تعتبر بكراً- وفيه إشارة إلى أنها لو زنت، ثم أقيم عليها الحد أو صار الزنا عادة لها، أو جومعت بشبهة أو نكاح فاسد فحكمهن حكم الثيب، ولو خلى بها زوجها، ثم طلقها قبل الدخول بها، أو فرق بينهما بعنة أو جب تزوج كالأبكار وإن وجبت عليها العدة؛ لأنها بكر حقيقة، والحياء فيها موجود كما في البحر».

وفي حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢/ ٢٨١) من كتب المالكية: «البكر عند الفقهاء هي التي لم توطأ بعقد صحيح أو فاسد جار مجرى الصحيح، وأما العذراء فهي التي لم تزل بكارتها بمزيل. فلو أزيلت بكارتها بزنا أو بوثبة أو بنكاح لا يقران عليه فهي بكر، فهي أعم من العذراء».

وعلى هذا الرأي فإن من زالت بكارتها بالزنا الخفي، ثم أجرت عملية الرتق، فهي الأخرى تؤكد وصفاً ثابتاً لها، ولا تدعي ما هي خالية عنه من الأوصاف.

وأما دعوى بعضهم أن الرجل لابد أن يعلم ما كان من امرأته إن كان ثم خطأ ما قد واقعته، فهو قول فاسد فيه ما فيه من الجهر بالمعصية، وهتك ما ستره الله تعالى، والتتبع لعورات الخلق، والاستشراف لما نهينا عن استشرافه، والذريعة لحصول الظنون الفاسدة بعده، بل لا تلازم أصلا بين زوال غشاء البكارة وبين حصول الزنا -كما سلف-، وإنما الذي أوجد هذا التلازم هو بعض الأعراف السائدة التي لا ترى عظيم شين في الرجل ذي العلاقات المشبوهة، بينما تؤاخذ المرأة وتطعن في شرفها وعرضها بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد يعترض بأن في مثل هذه العملية كشفاً لعورة ولمساً لها وذلك لا يجوز. والجواب: أن الضرورات تبيح المحظورات، والبنت التي ابتليت بزوال عذريتها قد تتعرض في بعض البيئات للأذى الشديد والطعن في شرفها وعفتها؛ حيث ارتبط في أذهان الناس العفاف بوجود غشاء البكارة. وهذه هي حقيقة الضرورة.

وإذا ابتليت البنت بفقد غشاء البكارة -سواء أكرهت على الفاحشة أو أخطأت فعلا وأرادت التوبة وطي ما فات- ولم تجد طريقة تستر بها ما حصل لها، فإنها ستعرف عن الزواج خوفاً من فضيحتها وفضيحة أهلها، أو ستضطر إلى مصارحة من يرغب في الزواج منها فيؤدي ذلك إلى رغبته عنها كما هو الغالب، وقد يفضحها فتصبح مطمعاً للفسقة وأراذل الخلق، وقد يسري الضرر إلى عائلتها أيضاً، وإلى كل من ينتسب إليها فيمتنع الناس عن الزواج منهم ومصاهرتهم، وهذه المحاذير إن لم ترق لمرتبة الضرورات فلن تنزل عن مرتبة الحاجات بحال، والحاجة منزلة منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة، فكل منهما في إباحة المحظور سواء.

وقد نص الفقهاء على جواز كشف العورة في مواضع هي أهون بكثير مما نحن فيه؛ للتوسعة على المكلفين ونفي الحرج عنهم؛ ومن ذلك ما نص عليه السادة الحنابلة من أن حلق العانة لمن لا يحسنه يجيز نظر الغير إلى عورته ومسها؛ ليقوم عنه بما لم يستطعه من ذلك، ولا شك أن الحاجة إلى الستر على النفس ودرء هذه المفاسد أشد من الحاجة إلى الاستحداد.

قال الشيخ منصور البهوتي الحنبلي في «كشاف القناع» (١/ ٢٦٥): «(ويجوز كشفها) أي: العورة لضرورة (و) يجوز (نظر الغير إليها لضرورة. كتداو وختان، ومعرفة بلوغ وبكارة وثيوبة وعيب، وولادة ونحو ذلك) كحلق عانة لا يحسنه».

وقال المرداوي في «الإنصاف» (٨/ ٢٢): «من ابتلي بخدمة مريض أو مريضة في وضوء أو استنجاء أو غيرهما فحكمه حكم الطبيب في النظر والمس. نص عليه. كذا لو حلق عانة من لا يحسن حلق عانته. نص عليه، وقاله أبو الوفاء، وأبو يعلى الصغير».

وإذا كان كشف العورة مفسدة عظيمة، فإن ما ذكرنا من المفاسد أعظم، والمقرر أنه إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما.

والله سبحانه وتعالى أعلم

نظرات اجتماعية

النعمة المفقودة

[illegible]

من أخطر ما يواجه الناس في حياتهم فيسعدهم إن حضر، ويؤلمهم إن غاب قضية الأمن النفسي، ويؤكد هذه الأهمية قول الحق سبحانه وتعالى في معرض المن بالنعمة على قريش: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (سورة قريش: ٣) فجعل نعمة الأمن في المنزلة التالية لنعمة الطعام والشراب الذي عليه قوام الحياة.

وعندما ذكر المصطفى ﷺ أركان سعادة المرء في حياته جعل نعمة الأمن على رأس تلك النعم فقال صلوات الله وسلامه عليه «من بات آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[1]

ونعني بالأمن هنا: ما يجده الإنسان من الشعور بالسكينة والاطمئنان نتيجة ثقته بقوة قاهرة قادرة على حمايته ورعايته في ليله ونهاره وفي حركته وسكونه، وفي يقظته ومنامه. وهذا الشعور على أهميته وضرورته، لا تستطيع قوة في الأرض أن تحققه في نفس إنسان أو قلبه ما دام قلبه لم يشعر بهذا المعنى، ولم تتوافر لديه دواعي الأمان. فإن أعظم الناس مكانة وأرفعهم قدرا، وأكثرهم حراسا وجندا لا يمكن أن يجد الأمان النفسي خوفه من الموت، وخوفه من المرض وخوفه من الشيخوخة وخوفه من المجهول، وتلك كلها أمور لا تصمد الجيوش ردها، ولا تقوى أمنع الحصون على دفعها

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾

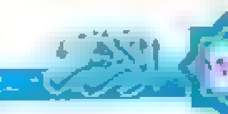
(سورة النساء: ٧٨)

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(سورة نوح: ٤)

لكنه يستطيع التغلب على عامل الخوف من الموت أو المرض أو الشيخوخة أو المجهول عندما يضع نفسه في كفالة من بيده الموت والمرض والشيخوخة والمجهول، فيرضى بفعله فيه بلا

(١) متفق عليه



اعتراض أو امتعاض، واثقا من إحاطة الله به، واطلاعه عليه وقربه منه، وانفراده وحده بالتصرف في أمره كله، واثقا من قول ربه سبحانه:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ [illegible]﴾ (سورة الرعد: ٨ - ١١)

ومستيقنا من قول ربه سبحانه:

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ [illegible]﴾ (سورة الأنعام: ٥٩، ٦٠)

بهذا اليقين الكامل في علم الله، وبهذه الثقة المطلقة في إحاطته وحفظه، كان لابد أن يجد القلب لذة المعية، ويستشعر الفؤاد لذة القرب، ويتذوق الوجدان طعم الأنس بالله سبحانه وتعالى، وعندها يكون الإيمان قد اكتمل ويكون الشعور بالأمن قد استقر في أعماق الفؤاد، وهذا ما نفهمه من قول الخالق الحكيم سبحانه يحدد المعنى الحقيقي للأمن:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

(سورة الأنعام: ٨٢)

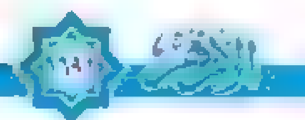
والمقصود بالظلم هنا هو الشرك الذي يتنافى وحقيقة الإيمان والذي نجده في قول ربنا سبحانه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان: ١٣)

ومن الآيات الكريمة يتبدى لنا بوضوح: أن الأمن لا يجتمع مع الشرك في قلب أبدا وأن الأمن الحقيقي لا يكون إلا حيث يكمل الإيمان وتلك هي الحلاوة التي بشر إليها حديث رسول الله ﷺ بقوله: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود للكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[2]

وهذه الحلاوة هي الأمن الذي استشعره المؤمنون الصادقون، ووجد لذته العلماء المخلصون، وهي السعادة التي جعلت العالم الرباني المجاهد تقي الدين بن تيمية يقول: «نحن في سعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف».

ولقد قص القرآن علينا مواقف لأنبياء الله وقفوها أمام الباطل في شموخ وإباء، ما حملهم على الثبات فيها إلا شعورهم بالأمن القلبي الذي أثمره لديهم صدق الإيمان، وعمق اليقين.

(٢) متفق عليه



ففى سورة الأنعام يقدم الحق تبارك وتعالى صورة لوقائع حوار بين إبراهيم وقومه يجمعه بقوله سبحانه:

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝﴾

(سورة الأنعام: ٨٠: ٨٢)

ومن يتأمل فى الاستفهامات الواردة فى الآيات يدرك أنها جميعا تقوم على إبداء الدهشة والإنكار والتعجب من شأن هؤلاء المحجوبين المطموسين عندما انطمست بصائرهم فغاب عنهم إدراك حقيقة الوحدانية، وذهبوا يحاجون إبراهيم فى إيمانه بربه، ويخوفونه نقمة آلهتهم فقال لهم متعجبا دهشا:

﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾

ولا يجد ما ينهض تعليلا لهذا التوجه الأحمق إلا أنهم فقدوا عقولهم، وغابت عنهم ذاكرتهم التى بها يفقهون ويعقلون فيقول لهم موبخا:

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

ثم يقدم لهم الحقيقة ناصعة باهرة دامغة، لعلهم يفيقون من سباتهم ويتنبهون من غفلتهم فيوقفهم أمام أنفسهم باستفهام تعجبى آخر. لكنه يقدم معه الحجة الدامغة الباهرة بقوله: «وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأى الفريقين أحق بالأمن».

إنه منطق المؤمن الواثق المدرك لحقائق هذا الوجود، إنه إن كان أحد قمينا بالخوف فليس هو إبراهيم – وليس هو المؤمن الذى يضع يده فى يد الله ويمضى فى الطريق – وكيف يخاف آلهة عاجزة – كائنة ما كانت هذه الآلهة. والتى تبدى أحيانا فى صورة جبارين فى الأرض بطاشين. كيف يخاف إبراهيم هذه الآلهة الزائفة العاجزة، ولا يخافون هم أنهم أشركوا بالله ما لم يجعل له سلطانا ولا قوة من الأشياء والأحياء؟ فأى الفريقين أحق بالأمن؟ الذى يؤمن به ويكفر بالشركاء؟ أم الذى يشرك بالله ما لا سلطان له ولا قوة؟!

أى الفريقين أحق بالأمن لو كان لهم شىء من العلم والفهم؟![1]

هنا يتنزل الجواب من الملأ الأعلى، ويقضى الله بحكمه فى هذه القضية:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ...﴾

وهذا الأمن الذى عايشه إبراهيم نتيجة ما يحمله فى قلبه من يقين خالص وإيمان صادق

(١) فى ظلال القرآن جـ ٣ ص ١١٤٢ ط السابعة

هو الذى حمله على مواجهة الكفر النمرودى وهو فرد أعزل من كل سلاح، وانطلق يكسر أصنامهم فى ثقة وكبرياء وشموخ، وعندما عقدوا له محكمتهم الآثمة الظالمة الفاجرة لم يتردد فى السخرية منهم لعلهم يرجعون ويفقهون.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾

(سورة الأنبياء: ٦٣)

ويصدر الحكم فظيعا مريعا:

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾

(سورة الأنبياء: ٦٨)

لكن قلب إبراهيم الذى امتلأ إيمانا ويقينا يدرك أن مقاليد الكون كله بيد مولاه سبحانه وتعالى، ويعلم بما علمه ربه أنه لن يهلك والله معه. ولن يخذل و الله ناصره.

أليس هو القائل عن ربه:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝﴾

(سورة الشعراء: ٧٨ – ٨٢)

إنه اليقين الذى أثمر المعية، والمعية التى أثمرت الأمن والاطمئنان.

وبهذا الشعور الذى لمسناه فى وجدان إبراهيم فلم يجزع أمام كيد الطاغية وهو يسمع الحكم، ويرى التنفيذ لهبا يرتفع إلى عنان السماء، فلا يزيده ذلك إلا ثقة بربه وتوكلا عليه، بمثل هذا الشعور لاقى نبى الله موسى كيد فرعون عندما ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝﴾ لكن موسى كان له مع الله شأن آخر فما كان جوابه إلا أن قال

﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝﴾

إنه يدرك يقينا أن الله لن يخذله، وأنه لابد واجد سبيلا إلى الخلاص. لأنه يدرك أن الكون كله بيد الخالق، وأنه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

ومن فضل الله على هذه الأمة أن هيأ لها أسباب الوصول إلى حالة الأمن النفسى، والاستقرار الروحى، والرضا القلبى، وذلك عندما فرض عليها الصلاة، فكانت معراجا دائما إلى الله، وسبيلا موصلا إلى رضاه، لأن الصلاة تعنى إحراز النفس فى كنف الله واستسلام العبد كاملا لمولاه فيشعر فى كنف ربه بالأمن والأمان وهذا ما نفهمه من قول ربنا سبحانه:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝﴾

(سورة المعارج. ١٩ – ٢٣)

حركة الأرض و القمر

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة



ومن الأدلة الواضحة التي تشهد بأن هذا القرآن حق، وأنه من عند الله- عز وجل- ما يحوى عليه من الإشارات الكونية التي أكدت عليها البحوث العلمية الحديثة. وكلها أو معظمها من نتائج البحوث التي أجريت في الهزيع الأخير من القرن العشرين..!!

والعجيب، أن هذه الأدلة والبراهين العلمية ظهرت على يد غير المسلمين، وهو من إعجاز قول الله- عز وجل- في هذا القرآن:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(فصلت: ٥٣)

.. بين القرآن و العلم الحديث

«فالقرآن الكريم يحوى على أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون، وعن بعض مكوناته وظواهره. بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة تقترب دلالتها من الصراحة، وهذه الآيات لم ترد من قبيل الإخبار العلمي المباشر للإنسان، وذلك لأن الكشف ترك لاجتهاد الإنسان، وتحصيله عبر فترات زمنية طويلة، نظراً لمحدودية القدرات الإنسانية، وللطبيعة التراكمية للمعارف المكتسبة»[1] حتى نشأ نتيجة لذلك ما سمي - وبحق - «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» وهذا الميدان الجديد، من ميادين الدراسات القرآنية بحر لا ساحل له، وذلك لأن هذا الكون كتاب الله المفتوح، وهو يُعدّ في أحد اعتباراته تفسيراً لما ورد في شطر كبير من آيات كتاب الله المقروء. يقول الحق- تباركت أسماؤه:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(لقمان: ٢٧)

ويقول أيضاً:

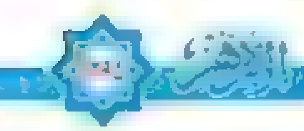
﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

(الكهف: ١٠٩)

ولكن.. هناك مصطلحان يكتنفان هذا الميدان. قد يشتبه أحدهما بالآخر في رؤية بعض الباحثين يجب التمييز بينهما، وهما مصطلح «التفسير العلمي للقرآن الكريم» ومصطلح «الإعجاز العلمي للقرآن الكريم» وهو ما قد يؤدي إلى شيء من اللبس في هذه القضية. ونظراً لأهمية الموضوع، وللحساسية الشديدة التي تكتنف هذا المجال المقدس- أعني مجال الدراسات القرآنية- أود أن أترك المجال لأحد الفرسان البارزين في هذا المضمار، ليوضح الفرق بين هذين المصطلحين.

يقول الدكتور زغلول النجار: «أما عن الفرق بين التفسير العلمي للقرآن الكريم، والإعجاز العلمي في هذا الكتاب الكريم، فأقول:

(١) نقلاً عن كتاب من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – المفهوم العلمي للجبال د. زغلول النجار ص٩ وما بعدها



«إن التفسير العلمي، يقصد به توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، وهذه المعارف، قد تكون حقائق وقوانين، كما قد تكون فروضاً ونظريات، ونحن ندعو إلى توظيف الحقائق والقوانين كلما توفرت، فإن لم تتوفر فلا أرى حرجاً من توظيف النظريات، لأن التفسير يبقى محاولة بشرية لحسن الفهم، إن أصاب فيها المفسر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا تسحب خطأه على جلال القرآن الكريم.

«أما موضوع الإعجاز العلمي، فهو موقف من مواقف التحدي، الذي نريد أن نثبت به للناس كافة، أن هذا القرآن– الذي أنزل قبل ألف وأربعمائة سنة على النبيّ الأمّي ﷺ في أمة كان غالبيتها الساحقة من الأميين– يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يستطع العلماء إدراكه إلا منذ عشرات قليلة من السنين»[٢].

وبناء على هذا التميز بين هذين المصطلحين اللذين ذكرهما الدكتور النجار، فإننا نحن الآن، إنما نتحدث في مجال «الإعجاز العلمي لكتاب الله»، لنردّ على هؤلاء الذين يثيرون الشبهات حول القرآن الكريم مدّعين أنه من عند محمد بن عبدالله ﷺ تمهيداً لإزاحته من طريقهم حتى ينجحوا في مساعيهم الخبيث، وهو أن يحلوا محله «فرقانهم» الأمريكي المشبوه.

وفي هذه الحلقات التي نحن بصددها نتابع الحديث حول بعض الظواهر الكونية، التي أكدت على أن هذا القرآن من عند خالق هذا الكون الفسيح، لما أبدت من التطابق التام بين مجريات حركاتها الناسقة، التي لم يكتشفها الإنسان إلا منذ عقود قليلة من الزمن، وبين ما نطق به كتاب الله الذي أنزل على قلب هذا النبي الأمّي، منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً..!!

مثلاً، يقول الحق– تبارك وتعالى– في كتابه الكريم:

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾

(يس:٣٧).

ويقول أيضاً:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(لقمان: ٢٩)

ويقول:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾

(الزمر: ٥).

ويجمع بين هذه الآيات البينات في نسق إعجازي واحد، أنها تشير إلى حركة الأرض تجاه كل من الشمس والقمر، وما يحدث نتيجة لذلك

(٢) د. زغلول النجار «من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» جـ١ ص٣٥، ٣٦.

من تتابع بين آيتي الليل والنهار حيث يجيء الليل بعد النهار كما يجيء النهار بعد الليل.. وهكذا دواليك. وحيث يتداخل كل منهما في الآخر بعض الوقت عند ذهابه وعند عودته. هذا التداخل هو ما عبر عنه النص القرآني العجيب بالتكوير في

﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾

لقد كان الاعتقاد السائد زمن نزول القرآن الكريم، وفي ما بعد ذلك بأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان أن الأرض هي مركز الكون. وأن كلاً من الشمس والقمر يدوران حولها ليتبادلا مهمة الإضاءة والإنارة للبشرية التي تعيش على سطح هذه الأرض، إذ لم يكن هناك نص صريح ومباشر من القرآن أو من السنة يؤكد على أن الأرض كروية الشكل، وأن القمر يدور حولها، وأن الشمس هي مركز مجموعتنا الشمسية التي تعد الأرض أحد كواكبها. وعلى هذا ساد الاعتقاد قروناً متطاولة من الزمان، ولكن خلال القرن العشرين، أو قبله بقليل استطاع الإنسان أن يرى من عجائب صنع الله في هذا الكون ما لم يسبق له به عهد. مما تأكد له من خلاله، أن الأرض تدور حول محورها. مما يسمح لليل والنهار أن يتبادلا موقعهما على سطح الكرة الأرضية، وبالتدريج وهو ما يعبر عنه قول الله– عز وجل– في آية سورة «يس» «بالسلخ»:

﴿ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ وهو ما يقابل الولوج في قوله تعالى في آية سورة لقمان:

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾

و«التكوير» في قوله تعالى في آية سورة الزمر:

﴿ [illegible] ﴾

ويوضح هذه الحقيقة الكونية، وما بها من إعجاز أشار إليه القرآن الكريم الدكتور «موريس بوكاي» في كتابه «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم»، حين يقول: «إن الشمس تضيء بشكل دائم (فيما عدا فترات الخسوف) نصف الكرة الأرضية، التي تقع أمامها، على حين يظل النصف الآخر مظلماً، وقد رأى رواد الفضاء الأمريكيون هذا وصوروه من على القمر مثلاً.. وبدوران الأرض حول نفسها على حين تظل الإضاءة ثابتة، فإن المنطقة المضاءة منها– وهي على شكل نصف كروي– تؤدي في أربع وعشرين ساعة دورتها حول الأرض، على حين يتم النصف الآخر المظلم في نفس الوقت نصف الرحلة، والقرآن يصف بشكل كامل هذه الدورة التي لا تكف أبداً للنهار والليل، وهي اليوم يسيرة على الإدراك الإنساني، فنحن نملك اليوم خبرة فكرية عن ثبوت الشمس، وعن دورة الأرض. هذه العملية الدائمة في التكور مع الولوج المستمر لقطاع آخر يعبر القرآن عنها، وكأن اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم في عصر تنزيل القرآن، وبالطبع لم يكن هذا قد حدث بعد»[٣].

ومما يسهم في إيضاح هذه الحقيقة الكونية التي أشار إليها القرآن الكريم، وهي حقيقة الحركة

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. د. موريس بوكاي – فصل «تعاقب الليل والنهار»

الدائبة والمستمرة للقمر تجاه الأرض.. وللأرض حول الشمس ما تثبته العلم الحديث من أن الأصل في الكون إنما هو الظلمة، أما الضوء والنهار فهما طارئان حينما يسقط النور من القمر على الوجه المقابل له من الأرض، وحينما يسقط الضوء من الشمس على الوجه المقابل لها من الأرض بالتبادل مع القمر.. والذى يدل على أن الأصل في الكون إنما هو الظلمة كلمة «نسلخ» في قوله تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾

فالنهار إنما هو بمثابة القشرة التى تغطى أصل الثمرة فإذا انسلخت قشرتها ظهرت حقيقتها.. «فالآية إنما تشير إلى إزالة الفرع من الأصل، والطارئ من المستديم، والقشرة المعيشة من مكان الليل المظلم المغطى للكوكب على الدوام، فالأصل في الكون هو الليل وليس النهار، وبذلك فإن تعبير السلخ تعبير علمى دقيق وإشارة قوية إلى أن ضوء النهار طارئ ينشأ في الغلاف الجوى لقشرة رقيقة منيرة بالنسبة لأعماق الفضاء الحالكة، وهذه الأنوار يتم سلخها من الظلام بدوران الأرض حول نفسها كما نسلخ جلد الحيوان من جسده، فأنوار النهار، ليست ضياء ذاتيا في الجو لكنها انعكاس وتشتت على ذرات هذا الغلاف الجوى كزينة مؤقتة لليل دائم، وكقشرة يتم سلخها يومياً لتعود إلى الظلام كآية من آيات الله»[4].

لقد ثبت مؤخرا أن طبقة الضياء حول الأرض لا تتعدى النصف المقابل للشمس.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن سمك هذا الضوء لا يزيد على ٢٠٠ كيلو متر فوق سطح الأرض وما عدا ذلك فهو ظلام دامس، وبتعبير القرآن الكريم، ظلمات بعضها فوق بعض، حيث إن القرآن الكريم يتحدث - كما يقول الدكتور زغلول النجار - عن الظلمة والنور، أو الظلمات والنور كأن هناك أكثر من ظلمة واحدة ويأتى العلم التجريبى ليؤكد على أن طبقة النور حول الأرض هي طبقة رقيقة للغاية لا يتعدى سمكها ٢٠٠ كم؛ وهي في النصف المواجه للشمس.. وباقى الكون ظلام دامس، والنصف الآخر من الأرض تتصل فيه ظلمة الأرض بظلمة السماء؛ ولكنه حينما يدخل نطاق الغلاف الغازى، ويبدأ يتشتت على جسيمات الذرات الصلبة في الهواء وجزيئات بخار الماء، يتحول هذا الضياء إلى نور، وبضاء النهار إضاءة مبهرة تعين الإنسان على السعى في هذه الحياة، ولولا هذه الخاصية، ما تمكن الإنسان من العيش على هذا الكوكب على الإطلاق».

ويواصل الدكتور النجار حديثه قائلا[5]: «أما الباقى - أى باقى مساحة الكون بعد عبور منطقة المائتى كيلو متر - لا يرى إلا ظلام «دامس» أما الشمس فتبدو على هيئة قرص أزرق في صفحة سوداء شديدة السواد.. حتى إن أول رجل تجاوز المائتى كيلو متر أصابه شيء من الذهول،

(٤) د. منصور حسب النبي في «إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان» ص ١٥٠ ط دار الفكر العربي.
(٥) حقائق مستخلصة من الحوار الذى أجراه الدكتور زغلول النجار والأستاذ أحمد فراج من خلال برنامج «نور على نور» وكتاب «من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» للدكتور زغلول النجار ج٢، ص ١٠١ مكتبة الشروق الدولية.

وقال كلمة أو حكمة مبهرة.. قال: كأنى فقدت بصرى، أو اعترانى شيء من السحر..!! وهو ما يتناسق مع قول الله - عز وجل -

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ○ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ○﴾

(سورة الحجر ١٤، ١٥)

لقد تعددت أوجه الإعجاز القرآنى بما يتسع لمفاهيم البشر كافة ويقيم الحجة الناهضة عليهم بأن كلام الله - عز وجل - الذى أوحاه إلى عبده ومصطفاه محمد ﷺ وهو ما يدعو إلى ضرورة تعدد أساليب الدعوة إلى الله، وفى الإيمان بأن هذا القرآن كلام الله - تبارك وتعالى - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ودراسة الإعجاز العلمى في القرآن الكريم «أسلوب جديد في الدعوة إلى الله تعالى - كما يقول الدكتور زغلول النجار في كتابه «المفهوم العلمى للجبال» - وإلى دينه الخاتم، لم يكن معروفا لنا من قبل، وعلى المسلمين استعماله بحكمة بالغة في زمن فتن الناس فيه بالعلم فتنة كبيرة، وكثرت مفتريات المفترين على الإسلام والمسلمين في كافة وسائل الإعلام، كما كثرت المؤامرات على أمة الإسلام والمسلمين في كل أرض وفى كل مكان وأصبحت أراضى المسلمين مثخنة بالحروب، ومستباحة من قبل الأعداء، وغارقة في الدماء، ومدمرة تدميرا كاملا بسبب ما شوه به أعداء الله صورة هذا الدين، وصورة أتباعه من المسلمين، وعجز هؤلاء عن القيام بواجب الدعوة إلى دين الله الخاتم، وأحسب أن الدعوة بتوظيف الإعجاز العلمى في كتاب الله وفى سنة رسوله ﷺ هو من أنسب أساليب الدعوة في زماننا، زمن العلوم الكونية والتقنية»[6].

يقول على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن» قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»[7].

وأحسب أننا الآن في زمن الفتن التى حذر منها رسول الله ﷺ فقد حورب الإسلام بكل الوسائل، وفى كل مكان من أرضه، واستبيحت حرماته، وانتهكت مقدساته، وهدمت مساجد المسلمين فوق رءوسهم، وهذا كله في العلن وفى وضح النهار، كما قامت الصهيونية الماكرة بالتعاون مع الصليبية الغربية الحاقدة بعمل كتاب أسود يحاربون به القرآن الكريم، وأطلقوا عليه «الفرقان الحق» يهدفون من ورائه إلى شطب القرآن الكريم من العالم الإسلامى تماما.

(٦) المرجع السابق ص ٢٣.
(٧) أخرجه الترمذى والدارمى وغيرهما.





الإسلام فى الألفية الثالثة

ديانة فى صعود

تأليف:

الدكتور مراد هوفمان

تعريب:

عادل المعلم - يس إبراهيم



إن الاختلاف بين البشر إحدى نعم الله تعالى التى لا تحصى - مثله مثل الماء الذى جعل الله منه كل شيء حي - ولكن الإنسان بغفلته وشذوذه عن الفطرة، وانقياده لدواعي السوء يحول تلك النعمة إلى نقمة، تشيع الحروب، وتثير الأحقاد، وتجتث بذور الأمان، وتحوّل المسيرة عن أداء دور الخلافة فى الأرض، على ما يشير إليه قوله عز وجل:

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ۝ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾

(هود ١١٨-١١٩)

فبدلا من أن يكون الاختلاف وسيلة التعارف والتلاقح الفكرى البناء كما أوضحه الخالق جل وعلا فى قوله:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾

(الحجرات: ١٣)

بدلا من ذلك جعل الإنسان هذا الاختلاف سببا فى التصارع والتناحر، ومثارا للأطماع.

وأوضح دليل من واقع الحياة على ذلك.. ما نراه من تعصب أعمى ورفض للحوار مع الآخرين، مستهينين بهم، محتقرا إياهم بعد أن تخلى عقله عن القيام بدوره الفعال فى استثمار ما أوتيه من علم، حتى أصبح لا يرى إلا ما استماله إليه هواه من جمود، وبغى، وسعى للقتل والتدمير، فغابت عنه الحقيقة، وضل طريقه إليها، بعد أن مكنه الخالق جل وعلا منها، ولم يكن أمامه إلا أن يخبط خبط عشواء مبددا طاقاته فى البحث عنها

■ ولكن أين الحقيقة؟

وفى الفصل الثالث (سنوات طويلة من الغضب) استمر الدكتور نهجه العلمى المحايد فى التعرف على الحقيقة من بين هذه الرؤى المتباينة، أملا فى توطيد العلاقة بين الشرق والغرب ليصيرا شريكين فى صنع المستقبل، بإزالة الفجوات بينهما أو تضييقها للدرجة التى تمحو هذا الالتقاء.

وكان أبرز ما استوقفه من عوامل الصراع بين الإسلام والمسيحية حرص كل من المسلمين والمسيحيين على عالمية دينه الذى يقوم على التوحيد، وانطلاق كل منهما لتحقيق تلك العالمية بشتى الوسائل التى كان من أخطرها سعى كل منهما للتوسع على حساب الآخر.

ويلاحظ: أن هناك فارقا بين المسيحية والإسلام فى مفهوم العالمية فرض عليهما الاختلاف فى وسائل تحقيقها.

فالعالمية فى المسيحية تنبثق عن تصريح البابا cyperian: أنه (لا خلاص خارج الكنيسة) هذا التصريح الذى ساعد محاكم التفتيش الكاثوليكية على العمل مرتاحة الضمير، والذى كان وراء إبادة أعداد لا حصر لها من العبيد، والهنود، والجرمان.

والذى جعل دعوات التنصير الموجهة للمسلمين فى شمال إفريقية واجبا دينيا، وعملا صالحا، بينما يعده المسلمون عملا عدوانيا، يتسم بكثير من الصلف والتكبر.

أما العالمية فى الإسلام فتنبثق عن عقيدة إيمان كل إنسان بالإله الواحد الأحد والخضوع له، وإسلام نفسه إليه، سواء كان هذا الإنسان يدعو نفسه يهوديا، أو مسيحيا، أو مسلما، لأن الإسلام هو أن يسلم المرء نفسه لله، ولذلك بعث محمد برسائله إلى حكام الممالك التى تحيط به، فسر هذا - ومازال يفسر إلى وقتنا هذا - بأنه تطاول واستفزاز لا يغتفر.

وبهذه الوسائل.. بدأ خروج الإسلام من المحلية إلى العالمية، بحيث قسم العالم دينيا إلى قسمين: دار الإسلام، وبقية العالم الذى لم يؤمن بالإسلام، ولم يقسم العالم جغرافيا إلى عالم شرقى أو غربى.

ومع هذا سلم من مبدأ التوفيق و التلفيق الذى أصاب المسيحية، حيث اضطرت - لتكون عالمية - إلى التوفيق بينها وبين المذاهب الفلسفية الغربية والتلفيق منها لتكون المسيحية الغربية. أما الإسلام فقد نجا من ذلك، ولم يتحول إلى دين شرقى محلى.

■ (لماذا الرعب من الاسلام؟)

ويرى الدكتور (هوفمان) أنه قد مكن الإسلام من العالمية أمران أصيلان.

أما الأمر الأول فهو تعايش المسلمين مع أهل الديانات الأخرى، وتقبلهم التعامل معهم بتسامح لا إكراه معه على الدين، مما مكنه من هذه العالمية، وأنجاه من الوقوع فيما وقع فيه المسيحيون الذين توسلوا إلى العالمية بالإكراه والعنف، وقد تجسد هذا التسامح الإسلامى فى مظاهر

كثيرة مثل بقاء اليونان على مسيحيتها في ظل الحكم الإسلامي العثماني من خمسمائة عام.. إلى غير ذلك من المظاهر المختلفة التي تعلن عن رسوخ التسامح الديني في ظل الإسلام.

وأما الأمر الثاني فهو قدرة الإسلام على الاحتفاظ بنقائه دون ذوبان في الآخر، مما دفع الغرب – منذ العصور القديمة – إلى تقدير أن الإسلام شكل وكيان ذو صفة وحدة، ونقاء صدره لا يعرف المرونة. يحتشاد الغرب ويخافه، وظل هذا التقدير هو الذي يحكم علاقة الغرب بالإسلام منذ القدم إلى يومنا هذا. لتحول الغربيين وخشيتهم من توسع الإسلام المستمر من غير إكراه دون أن يفهموا سبب ذلك عاقلين، أو متعاقلين عن سبب خروجه عن الأعداد النهائية من مواطنين مرتبطة، وتقدير في نفسهم، واعتناقهم الإسلام، تتمثل في ثلاثة عوامل، هي التسامح الديني، وقيامه بنظام الضرائب وإدارة شئون البلاد على العدل، وقرب التصور الإسلامي للإله من تصور الكثيرين من المسيحيين غير المؤمنين بما تعتقده الكنيسة الرسمية.

وبدلا من تفهم هذه الحقيقة والعمل على أساسها.. راح المسيحيون الغربيون ينشرون أساطيرهم الكاذبة الزاعمة اعتماد الإسلام في انتشاره على السيف. بما يعبر عن تعصبهم وعن شعورهم الكاذب بالتميز. ونسبة العنف إلى الإسلام في العصر الحديث إلا طور من هذه الأكذوبة، على الرغم من تأثر الغرب بالازدهار الثقافي والعلمي للحضارة الإسلامية وإنجازاتها في مجالات عدة. مثل علم الكلام والفلسفة اللاهوتية. وشعر الغزل والغناء، وفن العمارة، والطب، والصحة، والرياضيات إلى غير ذلك من مجالات العلم والحضارة التي حرص الغربيون على تجاهلها استجابة للعقلية التي أثمرتها الحروب الصليبية في تحديد العلاقات بين الشرق والغرب، والتعامل مع الإسلام على أنه خروج على المسيحية يجب محاربته بكل الطرق، وليس على أنه دين آخر، فلم يترددوا في ارتكاب أي جرم حتى شيّ الأطفال، وأكل لحومهم، واختراع أحط النعوت لإلصاقها بمحمد «صلى الله عليه وسلم» تبريرا لخشية الكنيسة الكاثوليكية من الاعتراف بمحمد قائدا للإسلام الذي اعترفت به واحدا من طرق النجاة، مما يثير الدهشة والتعجب من هذا التناقض الصريح.

ويرى الدكتور أن الذي دفع الغرب قديما إلى الحروب الصليبية هو الذي دفع الغرب حديثا إلى استعمار البلاد الإسلامية، وما ترتب عليه من انتهاك لكل الحرمات، على نحو ما حدث في البوسنة، وكوسوفا من حروب الإبادة للقضاء على آخر الآثار الإسلامية في البلقان، من كل ما أقر في نفوس المسلمين استمرار الحروب الصليبية في ثياب رجال الأعمال. خصوصا مع تأكيد الأدلة على دور الكنيسة في اختراع النعوت المسيئة للإسلام وإلصاقها به، ودورها في الزعم أن الأخيار هم فقط المسيحيون، وأن القلة القليلة من المسلمين إذا كانوا من المسلمين يتحولون في النهاية إلى المسيحية، مكررة – بذلك – ما كان يصدر عن المستشرقين التبشيريين في القرن الثامن عشر.

ويرى الدكتور (هوفمان) أن الإسلام – في وقتنا هذا – تحققت له أسباب الانتشار في العالم أجمع بفضل الثورة التكنولوجية في وسائل الانتقال والاتصال، والمعلومات، والعولمة الاقتصادية.. على الرغم من هذه الحرب الشعواء المستمرة، عسكريا وثقافيا، وإعلاميا بقصد القضاء على الإسلام أو الحد من انتشاره، فقد أصبح له موضع رحب وعميق في أمريكا. وفي غربي أوروبا منذ سبعينيات القرن العشرين. حتى لقد أدى هذا المد الإسلامي إلى انتشار المسلمين في أنحاء العالم كافة، وإلى وجود تجمعات إسلامية في كوريا، واليابان، وبوليفيا. وغيرها من البلاد الأوروبية والأمريكية الشمالية والجنوبية.

• عن طريق ميلاد علاقة بين الشرق والغرب

وفي الفصل الرابع (وسائل الإعلام تحت المراقبة) تناول الدكتور (هوفمان) دور الإعلام في نسف جميع الفرص التي تهيئ لميلاد علاقة طبيعية بين الشرق والغرب. فاستعرض أمثلة مختلفة لما يختلقه رجال الإعلام الغربي من محاولة توسيع الفجوة بين الغرب والإسلام وتعميقها، بحيث تراكم أسباب الفزع والخوف من الإسلام في نفوس الغربيين من جهة، وبحيث تثير أسباب السخط والغضب في نفوس المسلمين من جهة أخرى، على الرغم من أن الجو العام – فيما يبدو للوهلة الأولى – مهيأ لأن ينسى المسلمون مواقف الغربيين المسيحيين منهم، وينتظروا من الأوروبيين تعاملا طيبا بلا تحفظ، خصوصا مع قبولهم هذا التنوع في الأفكار والمعتقدات، ومع نزعة ما بعد الحداثة وقبولها كل ما هو هامشي ومختلف، حتى غدا العالم كله «سوبر ماركت» مختلف الديانات والاتجاهات مع نزعة تسامح بلا حدود. حتى إن المرء ليظن أن الغرب أصبح يطبق فعلا مبدأ التسامح الذي دعا إليه الملك «فريدريك الثاني» ملك بروسيا، والذي جاء فيه: «ليمارس كل امرئ دينه وفق طريقته» غير أن الدكتور «هوفمان» يلاحظ: أن الصورة تتغير تماما مع الإسلام، حيث يختفي التسامح، وتتغير الرؤى. فاللحية التي تدل على القدمية عند (جيلر) تكون دليل الرجعية من المسلم، وغطاء الرأس التي تتحلى به العذراء في الأيقونات ويثير المشاعر الإيجابية، يتحول إلى أن يكون عنوان التخلف إذا تحلت به المسلمة. والعادات والطقوس الصادرة من اليهودي تحوز الرضا والإعجاب، فإذا صدر مثلها من المسلم نعت بالغرابة والشذوذ والإبهام. وجهل العصور الوسطى. ومحكمة الدستور.

ويرى الدكتور أن وسائل الإعلام تتحمل القدر الأكبر من المسئولية في جعل الإسلام في مقدمة الديانات المرفوضة والمستنكرة. فليس هناك شك في أن استمرار عدم التسامح إزاء كل ما هو إسلامي إنما هو من أعمال وسائل الإعلام التي يحتلها ويعمل فيها – في الغالب – أناس لا يأبهون بالدين ولا بقيمه، فهم يقدمون الإسلام في هيئة فكر، وليس دينا وعقيدة، ويقدمون المسلمين في هيئة عدوانيين توسعيين يجنحون إلى التعصب والعنف والإرهاب، ويتمسكون بدين عفى عليه الزمن، ولا أمل في إصلاحه أو تنويره أو إخراجه من ظلمات العصور الوسطى التي يقبع فيها.

فإذا كان الجو العام مهيأ لأن ينسى المسلمون مواقف الغربيين المسيحيين منهم على مدى قرون ممتدة، فإن ما يقدمه الإعلام الغربي بهذا الشكل المقزز ينسف الفرص كافة لإعادة ميلاد علاقة طبيعية بين الغرب والشرق، لأن هذا الإعلام يشوه صورة الشرق الإسلامي في أذهان الغربيين، ويثير غضب المسلمين على الغربيين، ويفقدهم الثقة فيهم.

ويزيد الأمر سوءا قلق المجتمع الغربي الناشئ من انتشار السطالة في أماكن كثيرة من أوروبا الغربية. وشعور

للغربيين أن الأجانب الذين يمنحونهم فرص العمل القضية ليسوا أجانب فحسب، بل هم - إلى ذلك - مسلمون.

لقد أدى هذا وذاك إلى فشل ساسة الغربيين في معالجة ما واجهوا من قضايا مؤرقة، وصراعات ناشبة، كما رأينا في البوسنة، وما أوقعه الصربيون فيها من حرب إبادة قتل فيها مائتا ألف بوسني، وطرد ثلاثة ملايين، واغتصبت عشرات الآلاف من نسائهم، وهدم مئة ألف مبنى أخرى.

ومع هذا كله استطاع الإعلام الغربي أن يضلل العالم، ويقلب الحقائق، ويزيفها بطريقة تلح حتى أصبح الأمل في تحول هذا الإعلام إلى الحقائق أمرا ميئوسا منه، لا يتصور تحققه إلا بتأثير معجزة خارقة.

ولكن مع فقد الأمل في التحول الإعلامي يظهر بصيص من نور قد يبدد هذا اليأس القاتم، أو يخفف من شدة ظلامه، حيث يلوح اليوم في الأفق ظهور عدد من علماء المسلمين الغربيين المنتشرين في شتى المدن الغربية بمعلوماتهم الوفيرة عن الإسلام، ومواقفهم الموضوعية منه الخالية من الأحكام المسبقة.

ويخلص الدكتور (هوفمان) من ذلك إلى أن المسلمين يستطيعون بهذا أن يفعلوا في تحسين صورة الإسلام، بشرط أن يكونوا على استعداد تام للاعتراف علانية، ودون مواربة بأن العالم الإسلامي يسهم بنصيب وافر في تشويه صورة الإسلام، لأن هذا العالم نفسه لا يسير على نهج الإسلام في كثير من مناحي الحياة. فالواجب على المسلمين ألا يحلموا بتغيير ينتظرون وقوعه، بل عليهم أن يقوموا هم بصناعة هذا التغيير، وذلك بالحرص على التواجد داخل الصحافة، والتليفزيون، والإذاعة قبل إنشاء صحافة وتليفزيون وإذاعة إسلامية خاصة، فالتغيير من داخل أقوى.

■ حقوق الإنسان بين الإعلان والعولمة

وفي الفصل الخامس (عن الحقوق الشقراء وغيرها) قدم الدكتور (هوفمان) قائمة بالاتهامات التي يصر الإعلام الغربي على إلصاقها بالإسلام، حتى أصبحت محورا لأي حوار مسيحي إسلامي، بتقديرها نقاط تنفير من الإسلام والمسلمين، وعقبة تعوق تطبيع العلاقات مع الإسلام والمسلمين، وتتمثل في ثلاثة أمور، هي موقف الإسلام من حقوق الإنسان، وموقف الإسلام من حقوق المرأة، وموقف الإسلام من الديمقراطية. ثم يجري مناقشة هذه الأمور الثلاثة منطلقا من الواقع الإسلامي تشريعا وسلوكا.

فذكر الدكتور أن اتهام المسلمين بعدم القدرة على ممارسة حقوق الإنسان اتهام يذهل المسلم ويدهشه حين يتبين أن الغربيين يوجهون هذا الاتهام لهم متيقنين أنهم هم الذين اكتشفوا حقوق الإنسان، ووضعوا مبادئها، وأنهم هم الذين يستأثرون بها دون غيرهم، وأن المسلمين ليسوا قادرين على ممارسة حقوق الإنسان.

والذي يثير دهشة المسلم أمام هذا الاتهام إنما هو علمه اليقيني أن تاريخ الغرب لم يبدأ التفكير في حقوق الإنسان إلا في سنة ١٢١٥م مع لائحة (الماجناكارتا) البريطانية، وعلى أطوار تلك اللائحة استند إعلان حقوق الإنسان للأمم المتحدة ١٩٤٥م، فلا فضل للمسيحية في تقديمها، حيث كانت الكنيسة المسيحية حتى عهد البابا (يوحنا) الثالث والعشرين في القرن الماضي تدين فكرة حقوق الإنسان، وتصفها بالعلمانية، وتلصق بها الكثير من الصفات السلبية إلى أن أصدر المنشور البابوي باسم السلام سنة ١٩٦٣م.

والذي يذهل المسلم ويدهشه يقينه أن الإسلام قرر حقوق الإنسان في صورتها الأكمل والأشمل منذ مجيئه في القرن السابع الميلادي. ويذهله ويدهشه علمه أن هذه الاتهامات تتجاهل ما يقرره الواقع التاريخي من أن غالبية القوم المهيمنين على مقاليد الأمور هم دائما الذين يهدرون حقوق الإنسان سواء في الشرق أو في الغرب، بل إن انتهاك حقوق الإنسان - بما يحويه من تعذيب بدني، وعنف شرطي، وتزوير انتخابات إلى غير ذلك - لا يفرزه الإسلام، وأن دوافعه غير إسلامية، بل إن هذا الانتهاك تمارسه الحكام في مواجهة الشخصيات المسلمة.

ويذهله ويدهشه علمه اليقيني أن ما شهده الغرب من انتهاك لتلك الحقوق في الحربين العالميتين، وفي زمن الحكم الستاليني، وفي حروب التطهير العرقي في البوسنة وكوسوفو هو الأعنف والأفظع مما شهدته تلك الحروب من استخدام للأسلحة الكيميائية والنووية، فلم يقع أي من هذه الفظائع في المناطق التي يسودها الإسلام.

ولكن - على الرغم من تاريخ الغرب المخجل في انتهاك حقوق الإنسان - نجد أن هذا الغرب يلوح دائما بعقوبة حجب المعونات الاقتصادية عن البلاد التي لا تمارس نظام حقوق الإنسان الذي يتلاءم مع مصالح الأوروبيين والأمريكيين، حتى أصبح كثيرون من شباب المسلمين يتندرون بقولهم: (إن حقوق الإنسان شعرا أشقر، وعيونا زرقاء).

ويرى الدكتور (هوفمان) أن من اليسير إثبات أن الإسلام لم يكتف بمعرفة الحقوق التقليدية للإنسان منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، ولكنه مارسها ورسخها أكثر مما فعلت مواثيق الغرب، حيث نص على ذلك كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والروايات التاريخية الموثقة، بخلاف الغرب الذي ثبت أن حقوق الإنسان ما هي إلا الورقة التي تضمنت هذه الحقوق، سواء في ذلك أمريكا، وأوروبا، والاتحاد السوفيتي سابقا، لأن من الثابت المقرر: أن الإنسانية لم تنجح أبدا في وضع نظام قانوني من خلال العقل وحده يجمع عليه البشر، ويلتزمون به عقليا وممارسة.

ولكن منتقدي الإسلام وأعداءه يغفلون تماما كل مبادئ التسامح وتقبل الآخر باختلافاته، كما يغفلون تماما كل مبادئ المساواة، أو يقولون عنها إن ما يتم في الحقيقة هو أمر آخر مخالف لذلك، ثم يركزون بشدة على ما يلقى قبولا في أنفسهم، مثل حد السرقة، والزنا، ويطيلون الحديث عن بشاعة ذلك وقسوته، متجاهلين أن الغاية من هذه الحدود إنما هو الترهيب، لأن ما يلزم لتطبيقها من شروط وملابسات يجعلها نادرة الوقوع أو مستحيلة، ولا أدل على ذلك من أن المرء يستطيع أن يتجول عدة عقود في العالم الإسلامي دون أن يلتقي بإنسان قطعت يده، أو إنسان رجم في ظل الحكم الإسلامي.

ويرى الدكتور أن التأمل المنصف يكشف أن مجال الاختلاف بين إعلان حقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة، وبين ما قدمه الإسلام في هذا الصدد إنما هو اختلاف ضئيل جدا، وأنه مع الأخذ بمبدأ الاجتهاد المتمسك بالقوانين الإسلامية تماما يمكن التخفيف من حدة هذه الاختلافات.

يتبع

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم في رأى أمير البيان شكيب أرسلان

للأستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج - الأستاذ بكلية التربية بالمنصورة

أولا: التعريف بأمير البيان شكيب أرسلان

شكيب أرسلان شاعر وناثر، وكاتب صحافي، وسياسي عربي، اشتهر بالمطالبة بوحدة العرب والمسلمين، وعرف بالأمير لأنه سليل بيت إمارة وكان له قدم سبق في مجالات: اللغة والأدب والصحافة، فقد كتب في أشهر الصحف التي عاصرها مثل: الفتح، والمؤيد، والأهرام، والشورى، والرسالة، والشباب، والمترق، والعرفان، ومجلة المنار، ومجلة المجمع العلمي العربي.

ظل شكيب أرسلان يدعو إلى وحدة العرب والمسلمين إلى يوم وفاته في سنة ١٩٤٦م، ولد شكيب -ومعنى الاسم بالفارسية «الصابر» في يوم الاثنين أول ليلة من رمضان سنة ١٢٨٦هـ- ٢٥ ديسمبر ١٨٦٩م بقرية الشويفات من منطقة الشوف على عشرة أميال من مدينة بيروت، وكان ترتيب ميلاده الثاني بين إخوته، أبناء حمود، بن حسن، بن يونس، بن فخر الدين، بن حيدر، بن سليمان الذي يمضي النسب به إلى أرسلان الذي مات في سنة ١٧١هـ الذي كان من نسل الملك المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة في العصر الجاهلي .فلما جاء الإسلام كان جده عون مجاهدا في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه بالشام، وكانت أم شكيب سيدة شركسية فاضلة (د. سامي الدهان: شكيب أرسلان حياته وآثاره، ص٦٠، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦، ط٢)

وتوفي شكيب أرسلان في التاسع من ديسمبر سنة ١٩٤٦م.

عاش شكيب أرسلان قرابة الثلث الأخير من القرن ١٩ وقرابة النصف الأول من القرن العشرين، وكانت هذه الفترة فترة غليان سياسي بالعالم العربي والإسلامي، إذ كانت أغلب بلاده تحت الاحتلال الإنجليزي والفرنسي، وما نجا من الاحتلال، وقع تحت ظلم الحكام العثمانيين الذين كانت لهم السيادة على بعض أجزائه، وفي هذه الفترة قامت حربان عظميان، وفيها انقطعت فلسطين أعز أرض على العرب والمسلمين، وصحت للعصابات الصهيونية، عاش شكيب هذه الفترة متأثرا بأحداثها ومؤثرا فيها.

في الخامسة من عمره أحضر له والده في البيت معلمين يدرسون له مبادئ القراءة والكتابة والحساب ويحفظونه ما تيسر حفظه من القرآن الكريم، وفي سنة ١٨٧٩م التحق بمدرسة الحكمة المارونية ببيروت وكان لها شهرة كبيرة في تعليم اللغة العربية. ولقد تأثر فيها بالشيخ عبدالله البستاني اللغوي المعروف، ولما زار الشيخ محمد عبده - وكان في منفاه ببيروت- هذه المدرسة التقى شكيب وأعجب بذكائه وتفوقه، خاصة في مادة اللغة العربية.

وفي سنة ١٨٨٧م انتقل شكيب إلى المدرسة السلطانية ببيروت، وفيها تلقى دروس الفقه والتوحيد على الشيخ محمد عبده. وفي سنة ١٨٩٠م حل شكيب بمصر زائرا لأول مرة، وكان مشوقا إليها فهي في عقله وقلبه بلد الثورة العرابية، وفي هذه الأثناء التقى الشيخ محمد عبده وكان قد عاد من منفاه، وزار صحيفة المؤيد وتوثقت علاقته بالشيخ على يوسف. كما زار صحيفة الأهرام، وتوثقت علاقته بالصحفيين وصار من كتابهما.

وفي آخر سنة ١٨٩٠م سافر إلى الآستانة وقابل جمال الدين الأفغاني، وكان مشوقا للقائه، وفي سنة ١٨٩٢م سافر إلى فرنسا والتقى بالشاعر أحمد شوقي وتصادقا، فكانا يلتقيان يوميا في مقهى «داركور Dharcourt»



ولما عاد من فرنسا عين مديرا للشويفات مدة سنتين، ثم عين بوظيفة قائمقام مقاطعة الشوف مدة ثلاث سنوات.

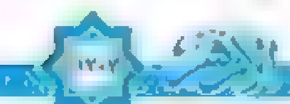
وفي سنة ١٩٠٩م اختير عضوا بمجلس المبعوثين بتركيا نائبا عن إقليم حوران السوري تقديرا من الدولة العثمانية، بسبب تأييده للتعاون العربي التركي، وموالاته للخلافة العثمانية.

وفي سنة ١٩١١م احتلت إيطاليا ليبيا، فغضب لذلك ودعا العرب والترك لتخليص ليبيا من الاحتلال الإيطالي، وحضر إلى مصر والتقى بصديقه الشيخ محمد رشيد رضا، وظل بمصر أربعين يوما كتب فيها أربعين مقالا كانت افتتاحيات صحيفة المؤيد لأربعين عددا.

وفي سنة ١٩١٢م اختير مفتشا لبعثات الهلال الأحمر المصري، وفي سنة ١٩١٤م سافر إلى المدينة المنورة ليؤسس مدرسة بها.

وكان شكيب أرسلان حتى ذلك الوقت عثماني الهوى لأنه كان «يرى في الخلافة العثمانية عز





الإسلام وقوة العرب» (د. أحمد الشرباصي: شكيب أرسلان، ص٣٣) ولكن بعد أن أسرف الحكام الأتراك في ظلم العرب، وزاد شر نوايا إنجلترا وفرنسا بتقسيم العالم العربي واحتلاله كله، بعد أن كانوا قد احتلوا بعضه، نفض يديه من كل من الأتراك والمحتلين الغربيين، وتراءى له أن الغرب يروم هدم الأمتين العثمانية والعربية، فقد كان الغرب يرى في الأولى سياجا للعالم الإسلامي، وفي الثانية مادة الإسلام.

ولما تعلمنت تركيا، وقطعت أواصر ارتباطها بالإسلام والعروبة بفعل كمال أتاتورك، قطع شكيب علاقته نهائيا بتركيا، وتفرغ بكل جهده لنصرة القضايا العربية، والدعوة إلى الوحدة العربية (أرسلان رشيد رضا وإخاء أربعين عاما ص١٦١)، وهو ما جعله في سنة ١٩٢٢م ضمن الوفد السوري الفلسطيني للدفاع عن حقوق العرب أمام عصبة الأمم المتحدة، فأدهش مندوبي الأمم بالوثائق المهمة التي تؤكد الحقوق العربية (د. محمد رجب البيومي. موسوعة أعلام الفكر الإسلامي. ص٥٠٧)

وفي سنة ١٩٢٤م أسس هيئة الشعائر الإسلامية ببرلين، وهي هيئة تهتم بأمور المسلمين المقيمين بأوربا. وفي سنة ١٩٢٥م أخذ يكتب مقالات تحت عنوان: أزفت ساعة الاتحاد أيها العرب، ثم أخذ يبث نشاطه في المحافل الدولية في أنحاء أوروبا لخدمة القضايا العربية. فكان أول داعية عربي للوحدة العربية والجامعة العربية، ولكن المصائب أخذت تمتحن حرنه في سنة ١٩٢٦م فقد أصبح مطاردا من تركيا لأنه كان يدعو إلى الوحدة العربية والجامعة العربية، وصار مطاردا من فرنسا لأنه كان يدافع عن سوريا، وفي مصر طارده الملك فؤاد لغلبة ظنه أنه كان يدعو سرا للخديوي عباس حلمي الثاني للعودة لعرش مصر، وانتهى به المقام منفيا بسويسرا حيث ظل يجاهد بالكلمة داعيا إلى تحرير البلاد العربية والإسلامية وكان قد اتخذ له بيتا خاصا يطل على بحيرة ليمان، كان مقصد كل عربي يزور سويسرا (د. رجب البيومي. السابق. ص٥٠٦)

وفي سنة ١٩٢٩م ذهب إلى الأراضي المقدسة ليؤدي فريضة الحج. وهناك التقى بالملك عبدالعزيز آل سعود، وألف كتاب: «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف».

وسافر شكيب إلى إسبانيا سنة ١٩٣٠ فأصدر كتاب: الحلل السندسية في الآثار والأخبار الأندلسية وفي السنة نفسها أصدر مجلة «الأمة العربية» بالفرنسية في جنيف للدفاع عن قضايا العرب.

وفي سنة ١٩٣٧م سمحت له فرنسا لأول مرة -من بعد نفيه- بزيارة سوريا، وفي سنة ١٩٣٩م أذن له المسئولون بمصر بزيارتها: فقضى بها أربعة أشهر، ثم عاد إلى أوروبا ليواصل كفاحه، وظل على هذه الحال، إلى أن عاد قبيل وفاته إلى الشويفات ليموت ويدفن بها في التاسع من ديسمبر سنة ١٩٤٦م.

صفات شكيب أرسلان البدنية والخلقية:

كان شكيب أرسلان يميل إلى الطول في القامة - حنطي اللون، وكان أميل إلى امتلاء الجسم، وكان في صوته خشونة. وكان يتميز بصفاء القلب، ونقاء الضمير. وكان يحب أصدقاءه ويقدرهم ويكتب في مناقبهم كما فعل مع شوقي أمير الشعراء ورشيد رضا، كما كان وفيا لشيوخه وفي مقدمتهم الشيخ عبدالله البستاني والشيخ محمد عبده، وكان حريصا على الوقت لا يضيعه، وكان مكثراً في الكتابة – خاصة كتاباته الصحافية التي لو جمعت لكانت تاريخا للأمة العربية والإسلامية في مجالات: السياسة، والاقتصاد السياسي، والوحدة العربية.

ولقد وصف الأمير شكيب أرسلان بأنه زعيم عربي كبير عمل للوحدة العربية، ونادى بالجامعة الإسلامية، وجاهد في سبيلهما من بداية العقد الثاني من القرن العشرين، كما كان خير محام عن العروبة والإسلام، كما كان كاتبا مجليا وقف قلمه للدفاع عن الوطن العربي والدين الإسلامي. ولأنه كان وحدويا بالفطرة فقد نال تقدير المؤسسات السياسية والحكومية التي عملت للوحدة العربية والرابطة الإسلامية منذ خمسينيات القرن العشرين خاصة في مصر التي كرمت حكومتها ذكرى جهاده الإسلامي والعروبي، فقررت جهاده مقررا دراسيا على طلاب معهد الدراسات العربية العالية بالجامعة العربية في سنة ١٩٥٨م وقام بتدريس المقرر الكاتب المفكر د. محمد سامي الدهان

وكان شكيب يتميز بقوة الحفظ، ويؤكد ذلك ويثبته أنه كان قد فقد مجموعة من قصائده المدونة في الأوراق، وبحث عنها فلم يجدها فأملاها عن ظهر قلب، ولم ينس بيتا واحدا منها (ارجع إلى كتابه شوقي أو صداقة أربعين عاما. ص٣٣)

وكان شكيب يحتد في نقاشه أو حوره في بعض الأحيان، مما كان يقلب عليه من كان يخالفه الرأي. وكان في بعض الوقت يسارع إلى إبداء الرأي أو الرد فيقع في الخطأ أو القصور. أرسلان رشيد رضا أو أخوة أربعين عاما. ص٦٥١، ٦٧٤).

ورسالة «لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم» لم تسلم من قصور نتج عن التسرع، فمع أنها صحيحة ممتازة في مضمونها، فإن ترتيب الأفكار فيها وسردها لم يكن جيدا جدا، فقد اعتمد على ذاكرته في كتابتها، ومع أن ذاكرته كانت قوية حديدية، ومع أنه عاش تجارب قضايا العرب والمسلمين في حاضرهم، فإن ذلك ليس بكاف لإنجاز رسالة كهذه تحيا بها الأمة، مما جعل الرسالة على طولها (١٦٧ صفحة) تبدو أقرب إلى خطبة طويلة. أو مقال طويل فيه من الحماسة والتحميس، أكثر مما فيها من البحث العلمي الدقيق.

وكان شكيب أرسلان يلقب بكاتب الإسلام، لدفاعه المستمر عن الإسلام، وبكاتب العروبة لدفاعه الدائم عن العرب والعروبة.

ويعد شكيب أرسلان مفكرا من مفكري مدرسة المنار، وعضوا عاملا بها تدور أفكاره في دائرتها كما سنرى في المقال المقبل.

بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

إذا أردنا المقارنة بين العالمية الإسلامية، وبين العولمة الغربية، فإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنهما على طرفي نقيض.

فالعالمية الإسلامية هي: تنوع.. وتعارف.. وتعايش.. وتدافع وتسابق في إطار الوحدة الإنسانية والمشترك الإنساني العام.

أما العولمة الغربية فإنها صراع وتنميط وخصوصي يسمونها خلافة! في إطار الهيمنة الغربية، التي تريد صب العالم في القالب الحضاري الغربي دون سواه.

للدكتور / محمد عمارة

إن العالمية هي نزعة إنسانية، وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، والمقارنة بين الأنساق الفكرية، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول، ترى العالم «منتدى حضارات»، بينها مساحة كبيرة من «المشترك الإنساني العام»، ولكل منها «هوية ثقافية» تتميز بها، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لابد من مراعاتها، في إطار «توازن المصالح» وليس «توازن القوى» بين هذه الأمم والحضارات.

وإذا كانت عين الفاحص لا تخطئ التمايز الحضاري في هذا «المنتدى العالمي» عندما ترى الخصوصيات الحضارية لكل من الصين والهند واليابان والعرب والإسلام - وغيرها من الحضارات - فإن عقل الباحث لا يخطئ أيضا تميز بعض الحضارات بـ «المحلية» - مثل الهند والصين واليابان - بينما تميزت وتتميز كل من الحضارات الإسلامية والغربية بصلاحيات التمدد العالمي، وإمكانات العطاء خارج الحدود الجغرافية التاريخية لشعوب هاتين الحضارتين.

تميزت بذلك النزوع العالمي الحضارة الأوروبية الغربية، منذ طورها الإغريقي / الروماني. وتميزت به الحضارة الإسلامية منذ أن خرجت من بين دفتي القرآن الكريم.

فمن القرآن الكريم ولدت مقومات الأمة الإسلامية الواحدة. وخرجت النهضة الإسلامية لحضارة هذه الأمة. وجاءت عالميتها كثمرة من ثمرات عالمية الرسالة الإسلامية والشريعة الإسلامية، التي شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يختم بها شرائع السماء إلى الإنسان.. ولهذه الحكمة جاء الحديث القرآني عن هذه العالمية منذ العهد المكي للدعوة:

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

(يوسف: ١٠٤)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

(الفرقان: ١)

فكانت هذه الأمة الإسلامية وحضارتها دائمة التحقق حيثما امتدت تعاليم الإسلام وقيمه وثقافته على امتداد الزمان والمكان. ولذلك لم يأت تعريف «الأمة» في المصطلح القرآني عنوانا على الصفات اللصيقة والمغلقة والجامعة المانعة، وإنما جاء عنوانا على «الجماعة» - أية جماعة - المفتوحة دائما وأبدا.. والمتنوعة دائما وأبدا.. والممتدة دائما وأبدا.. والدائمة التحقق على اختلاف الأزمان.. والأمكنة.. والمجالات.

•••

لكن هذه «العالمية الإسلامية» لا تعني - في الرؤية الإسلامية - انفراد الحضارة الإسلامية بالعالم، ولا نفيها «للآخر الحضاري»، بل إنها تعني التفاعل والتدافع والتسابق مع الآخر، في ظل التأكيد على أن التعددية الحضارية والتنوع الثقافي والاختلاف في الشعوب والأمم والقبائل، وفي الألوان والأجناس والأعراق.. وفي الألسنة واللغات، ومن ثم في القوميات، وفي الشرائع والملل الدينية، وفي المناهج والمذاهب والثقافات والفلسفات والحضارات.. إن كل هذا التنوع والتمايز والاختلاف هو القاعدة الطبيعية، والقانون التكويني، والسنة الإلهية التي لا تبديل لها ولا تحويل.

إن أية حضارة من الحضارات إنما تتميز عن غيرها بصبغتها الثقافية.. وإن أية ثقافة من الثقافات إنما تتميز عن غيرها برؤية إنسانها للكون، ولمكانة هذا الإنسان في هذا الكون.

وإذا كانت الحضارة الغربية في ظل «لاهوتها النصراني» قد رأت الإنسان صورة لله، وفي ظل «حداثتها الوضعية العلمانية» قد رأت الإنسان سيدا لهذا الكون.. فإن الحضارة الإسلامية قد انطلقت من رؤية للكون ترى الواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية، المنزهة عن الند.. والشبيه.. والمثال.. كما ترى أن كل عوالم الخلق - في الإنسان والحيوان والنبات والجماد - أي كل ما عدا الذات الإلهية ومن عداها - قائمة على سنة التنوع.. والتعدد.. والتمايز.. والاختلاف.

• فالناس شعوب وقبائل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(الحجرات: ١٣)

* والناس ألسنة ولغات وقوميات وألوان وأجناس:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)

* والناس يتوعون إلى ديانات ومعتقدات:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩)

* والناس يتمايزون في الشرائع والثقافات والحضارات:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨)

فالناس سعيهم شتى:

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل: ٤)

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨)

و«التدافع» والحراك والتسابق هو سبيل رأب الصدع وتعديل الخلل وإعادة التوازن والميزان - الوسط العدل - إلى العلاقات بين الطبقات أو الأمم أو الحضارات:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤)

وليس «الصراع» الذي يصرع فيه وبه طرف الأطراف الأخرى، فينفرد هذا الطرف بالساحة والثمرات والامتيازات، منهيا التعدد والتنوع والاختلاف:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦-٨)

ذلك هو المفهوم الإسلامي للعالمية: نزوع عالمي، يرى التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف القاعدة والقانون في كل عوالم الخلق، ويؤمن أن «التفاعل» هو الوسط العدل بين «العزلة والانغلاق» وبين «التبعية والإلحاق» فتصبح الصورة الحضارية للعالم هي صورة «منتدى الحضارات» الذي يكون التكريم فيه لمطلق الإنسان.

***

ولقد تميز هذا المفهوم الإسلامي للعالمية عن المفهوم الغربي للعالمية، ليس فقط في حقبتنا الراهنة - حقبة العولمة الغربية - وإنما منذ فجر الحضارة الأوروبية الغربية.. فـ «النزعة المركزية» لصيقة بالنموذج الحضاري الغربي، منذ العصر الروماني، الذي رأى أصحابه أن «الإنسان» هو «الروماني الحر» وحده، ومن عداه «برابرة» وأن ما يتدين به الرومان هو الدين الوحيد، وما عداه واجب الاستئصال.. ولقد طبقوا هذه «النزعة المركزية الواحدية» في عصر وثنيتهم بإبادة النصارى - بعد تشريد اليهود - وفي عهد نصرانيتهم، باضطهاد المذاهب النصرانية المخالفة لمذهبهم «الملكاني» وامتد ذلك فيما عرف بـ «الحروب الدينية» بين مذاهب النصرانية - الكاثوليكية والبروتستانتية - التي امتدت من منتصف القرن السادس عشر وحتى العقود الأخيرة من القرن السابع عشر «١٥٦٢ - ١٦٨٨م» أي حتى عصر «التنوير» والتي أبيد فيها نحو عشرة ملايين، أي ٤٠٪ من سكان وسط أوروبا[1].

ثم واصلت هذه «النزعة المركزية الغربية» صراعها مع الآخر طوال عصر استعمار الغرب للأمم والبلاد والحضارات غير الغربية، وتم هذا الصراع ومحاولات الاستئصال على مختلف الصعد والميادين والجبهات - على الجبهة الفكرية بإبادة البنى التحتية للمواريث الفكرية لحضارات الشعوب المستعمرة - وعلى الجبهة القيمية، باختراق منظومة القيم الخاصة بالشعوب المستعمرة[2] - وعلى الجبهة الثقافية بتغريب المستعمرات - وعلى الجبهة الدينية، بتنصير العالم بالنصرانية الغربية - وعلى الجبهة الاقتصادية بالنهب الاقتصادي الاستعماري، الذي بنى رفاهية الغرب بـ «الفائض» الذي تحقق من إفقار الأمم والشعوب المستعمرة - وعلى الجبهة الأمنية، بتحويل العالم إلى هامش للأمن الأوروبي والغربي، وتسخير الشعوب المستعمرة وإمكاناتها وقودا في الحروب الاستعمارية - كما كان الفرس والرومان يصنعون - قديما - مع «الغساسنة» و«المناذرة» في النظام العالمي القديم!

وهذه «النزعة الغربية في التمركز حول الذات» ورفض التعددية والاعتراف بشرعية وجود الآخر، هي «صفة لصيقة» بنظرة مشروع الهيمنة الغربية «للذات» و«للآخر».. اعترف بها المنصفون من العلماء الغربيين.. وعنها قال المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» «١٩١٥ - ٢٠٠٤م»: «إن تشجيع التمركز حول الذات، هي صفة طبيعية في الأوروبيين، كانت موجودة دائما، لكنها اتخذت الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين.. وخصوصا في ظل الإمبريالية، منذ منتصف القرن التاسع عشر»[3].

ذلك هو المفهوم الغربي «لعالمية» حضارته الأوروبية، مفهوم الواحدية الحضارية، الذي يرى أن الحضارة الغربية هي وحدها العالمية والإنسانية! بل هي وحدها «الحضارة» - التي يجب أن تكون النموذج الوحيد للتحضر والتقدم .. والقالب الأوحد الذي يجب أن يصب فيه العالم جميعا.

***

ولذلك رأى الغرب - ولا يزال يرى - أن

(١) هاشم صالح «التنوير الأوروبي رؤية من الخارج» - صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - في ٢٦-٠٢-٢٠٠٠م.

(٢) الجبرتي «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» ص ٣١٠، ٣١١ تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي. طبعة القاهرة ١٩٦٩م.

(٣) د. محمد عمارة «الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء» ص ٦٤، ٦٥ طبعة دار الشروق - القاهرة ٢٠٠٥م.

«الصراع» والصدام هو الخيار الرئيسي في تحقيق هذه «الواحدية الحضارية»، وذلك بسبب «الصبغة الصراعية»، التي تماهت في بنية تكوين الحضارة الغربية، والتي أفصحت عنها – ثم بررت لها – النظريات الرئيسية التي صبغت فلسفة الأنوار الوضعية الأوروبية و«فكر الحداثة» الغربية وثقافتها.

• ففلسفة القوة والصراع والنفعية، المتحللة من الأخلاق، هي جوهر فلسفة السياسة الماكيافيلية – كما صاغها «ماكيافيلي» «١٤٦٩ – ١٥٢٧م» في كتاب «الأمير».

• وفلسفة التاريخ عند «هيجل» «١٧٧٠ – ١٨٣١م»، تقيم علاقات العصور على الصراع الذي ينسخ فيه الجديد القديم.

• والداروينية – كما صاغها «داروين» «١٨٠٩ – ١٨٨٢م» – في «أصل الأنواع» – تجعل الصراع هو قانون التقدم والتطور في عالم الأحياء، فالبقاء للأصلح، والأقوى هو الأصلح للبقاء، ونسخه للآخرين – الضعفاء – هو القانون!

• وكذلك الحال في الفكر الاجتماعي، والعلاقات بين الطبقات – عند «ماركس» «١٨١٧ – ١٨٨٣م» وغيره – وهو تطبيق للفلسفة الصراعية الداروينية والهيجلية في الاجتماع – فالجديد يستأصل القديم، والطبقة الجنينية يتم نموها على حساب فناء الطبقة السائدة، و«العبودية» قد نسخت «المشاعية البدائية»، ثم جاء «الإقطاع» فنسخ «العبودية» ثم جاءت الرأسمالية لتنسخ «الإقطاع»، ولقد بشرت الماركسية بنسخ الشيوعية وديكتاتورية البروليتاريا لليبرالية الرأسمالية.

وكأنما شعار هذه «الفلسفة الصراعية» – التي صبغت الحضارة الغربية – هو:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾

(الأعراف: ٣٨)

وأبادتها!

• وهذه النزعة المركزية الاستعلائية هي التي جعلت حتى مفهوم «الإنسان» – في الحضارة الغربية – هو الإنسان الغربي وحده! ثم جعلت هذا الإنسان الغربي – في عصر الاستعمار – يمارس استئصال الآخر – الحضاري والثقافي – براحة ضمير عجيبة، هي أشبه ما تكون بموت الضمير! لأنه يمارس ذلك الاستئصال كـ«رسالة»، وكإعمال لقانون العلمي والطبيعي – الذي يحكم عالم الأحياء والاجتماع – في عالم الحضارات والثقافات.. فاستئصال الشعوب بالاستعمار الاستيطاني – في أفريقيا وفلسطين – هو تمدين وتحضير لهذه البلاد، وذلك بتطهير أرضها من الشعوب البدائية. ومواريثها البدائية، وتعبير نصيبين هو تحقيق «الخلاص» لأرواح هؤلاء الكفرة المحرومين! وإزالة المواريث الثقافية للشعوب غير الأوروبية، هو تحرير لها من التخلف والرجعية والجمود، وإعمال للقانون الطبيعي: البقاء للأقوى الأوروبي، الذي هو الأصلح ذاتاً ونوعاً!

وهذه النزعة المركزية الغربية، التي لا ترى إلا «الذات» ولا تعترف بشرعية «الآخر»، بل ترى قانون التقدم في صرع هذا «الآخر» وإزالته، هي التي جعلت الغرب دائم النزوع إلى العدوان الاستعماري ضد الآخرين، مع التبرير لهذا النزوع العدواني، حتى ليعتبره «الطبيعي» الذي لا يصح الاعتذار عنه بأي حال من الأحوال، وفي أي ظرف من الظروف.

• إن التاريخ المكتوب لعلاقة الغرب بالشرق – منذ «الإسكندر الأكبر» «٣٥٦ – ٣٢٣ ق. م» وحتى الآن – يبلغ أربعة وعشرين قرناً – من القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى القرن الواحد والعشرين.. ولقد مارس الغرب الاستعماري قهر الشرق – سياسياً وثقافياً.. ودينياً.. وحضارياً – ونهبه اقتصادياً على مدى سبعة عشر قرناً من هذه القرون الأربعة والعشرين!

عشرة قرون فيما قبل الإسلام – من «الإسكندر» وغزوته الإغريقية – في القرن الرابع قبل الميلاد – وحتى «هرقل» «٦١٠ – ٦٤١م» في القرن السابع للميلاد.

وقرنان هما عمر الحملات الصليبية الغربية على الشرق الإسلامي «٤٨٩ – ٦٩٠هـ ١٠٩٦ – ١٢٩١م».

وخمسة قرون هي عمر الغزوة الغربية الحديثة لعالم الإسلام، بدأت بإسقاط غرناطة «٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م»، ولاتزال مستمرة حتى هذه اللحظات.

ولقد احتفل الغرب بمرور خمسمائة عام على بدء هذه الغزوة الحديثة بإقامة دورة أوليمبية في «برشلونة» ١٩٩٢م بالمكان الذي تم فيه استئصال الإسلام من الأندلس – بغربي أوروبا – وبدأ في ذات العام ١٩٩٢ حرب البوسنة والهرسك لاستئصال مشروع دولة إسلامية في وسط أوروبا!!

ولأن الغرب الاستعماري قد رأى – ويرى – في هذا العدوان والقهر والاستئصال لمقومات «الآخر الشرقي» الدينية والحضارية «القانون الطبيعي» و«الداروينية الحضارية»، فإن عينه لم تدمع. بل لم تطرف! ولم يفكر في يوم من الأيام أن يعتذر عن هذا التاريخ الطويل والدامي من القهر والاستعمار!

فالبابا يوحنا بولس الثاني «١٩٢٠ – ٢٠٠٥م»، عندما زار قبر سيدنا يحيى – يوحنا المعمدان – بالمسجد الأموي – بدمشق – رفض أن يزور قبر صلاح الدين الأيوبي «٥٣٢ – ٥٨٩هـ ١١٣٧ – ١١٩٣م» – في ذات المكان – حتى لا يكون في هذه الزيارة شبهة اعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية! وأوروبا وأمريكا رفضت وترفض حتى الآن أي اعتذار – حتى ولو بالكلام – عن ذلك الذي صنعوه بأفريقيا على امتداد خمسة قرون! بل لقد أعلنت الجمعية الوطنية الفرنسية سنة ٢٠٠٥م افتخارها واعتزازها بما صنعت العسكرية الفرنسية بالجزائر، على امتداد قرن وثلث القرن، حيث أبادت – في الفصل الأخير من هذه المأساة – قرابة المليونين من الشهداء المسلمين الجزائريين!

• وكذلك كان – ولايزال – حال «الضمير الغربي» مع كل «الآخرين»، مع الهنود الحمر الذين أباد شعوبهم واستأصل حضارتهم، ومع دماء أربعين مليوناً من الزنوج الأفارقة، الذين اصطادهم القراصنة الغربيون اصطياد الحيوانات.. ثم شحنوهم في سفن الحيوانات ليقيموا – على عظامهم ودمائهم – رفاهية «الإنسان» الغربي – في أمريكا وأوروبا – !

ذلك هو حال النزعة المركزية الغربية، حتى في المراحل التي سبقت طور العولمة المعاصرة، وهكذا علاقات الغرب الاستعماري بالآخرين.



لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

التفكير الإبداعي موضوعا ومنهاجا وسلوكا

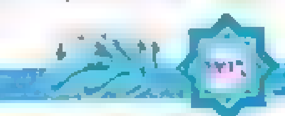
نحن لا ننكر أن يعالج الكاتب المشكلات العاطفية والجنسية.. ولكننا ندعو أن يعالج الكاتب هذه المشكلات من ناحية تحقيقها للأهداف النزيهة، والغايات النبيلة، والفضائل الرفيعة، التى تعلو على الرذائل، وتسمو على الإسفاف والتدنى والانحطاط.

يقول صاحب كتاب «منهج الفن الإسلامي»: «إنما يعالج الفن الإسلامي موضوع العلاقة بين الجنسين من خلال تحقيقها لأهداف الحياة العليا، من خلال رفعها للرجل والمرأة كليهما إلى مستوى الإنسانية، من خلال حثهما على إبراز أجمل ما لديهما من المعانى الكريمة، من خلال توسيع دائرة الشوق الجنسى حتى يشمل الأشواق العليا المتصلة بصميم الكون، وفطرة الحياة، والتى لا تقف عند اللحظة العابرة، واللقاء العارض، بل تمتد حتى تشمل الحياة كلها».

ومعنى هذا كله أن الحياة بين الرجل والمرأة أوسع من أن تحد بلحظات الاتصال وحده، بل تشمل ما يجب أن تكون عليه الأسرة من تراحم وتواد، وصلة ووئام، وإيثار وإنكار للذات، وحفاظ وأداء للحقوق والواجبات، وصلة للقرابة والأرحام.

أما الولع بإظهار المفاتن وحدها، والحديث عن اللقاء غير المشروع، وعد ذلك من صميم الحياة الذى يجب أن ينفسح أمامه مجال التعبير، فهذا هبوط برسالة الأدب عن مستواها الرفيع.

وإذا قال قائل : «إن الواقع الفعلى يجب أن نعبر عنه، فنحن نقول له: إن كثيرا من شئون الحياة لايستحسن التعبير عنها، وليس معنى الحرية الإنسانية أن تمشى عاريا فى الطريق، كما ليس معناها أن تسئ إلى الناس بألفاظ كريهة تستدعى المؤاخذة!!



فإذا كان للسلوك الإنسانى ضوابط مقررة يفرضها الواجب الاجتماعى، ويلتزم الكل بتطبيقها وعدم الخروج عنها، فلماذا لايكون للتعبير الأدبى هذه الضوابط؟ أنراعى الآداب فى مجالس السمر، وفى المجتمعات العامة، بحيث يصير من يخرج عنها هزأ بين الناس، منبوذا منهم، غير مرغوب فى الجلوس معهم!! ثم نتحلل من ذلك كله حين نكتب قصة ماجنة وندعى أننا نعبر عن الواقع!! أى واقع هذا!! هل تجلس عارى العورة فى الطريق العام وتقضى حاجتك أمام الناس ثم تقول: هذا أمر ضرورى لا سبيل إلى إنكاره!!

أين تعاليم الأديان؟! وأين دروس الأخلاق؟! وأين آداب الاجتماع؟! وأين الأدب والحياء؟!

ليس من التفكير الابداعى التعرض للذات الإلهية، وكرامة الأنبياء والقيم الانسانية بما ينقصها

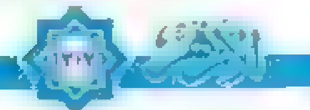
لقد أخذ الإلحاديون من هؤلاء المتحررين يتعرضون للذات الإلهية، وكرامة الأنبياء، والمقدسات الدينية بما ينقصها ويحط من شأنها ويقلل من قدرها بلا حياء، فيتحدثون عن الله وكأنه غير موجود، وتدور الأسئلة والأجوبة فى حوار ساقط لا تشم منه رائحة المعرفة التى تبغى الوصول إلى الحق، بل ترى استخفافا إذا دل على تفاهة العقل، فقد دل من ناحية ثانية على وضاعة الخلق وسوء السلوك العلمى.

وليس لدينا فى الأدب المعاصر القصة الفلسفية التى تعالج شئون عالم الغيب معالجة المستبصر الضليع، فنحن نرحب بكل استفهام يبحث عن الحقيقة، بحيث يكون السائل متعطشا للمعرفة، صادقا فى الرغبة فى الوصول إلى الحقيقة، ويكون المجيب فى الوقت نفسه أهلا للإرشاد والتوجيه، ولكننا ننظر فنجد الهزأ والاستخفاف فقط!!

الاستخفاف بمن؟ بفاطر السموات والأرض، مع غرور كاذب إذ يدعى صاحب هذا العبث أنه صار فيلسوفاً يحل مشكلات الوجود فيتساءل عن البداية والنهاية، والأزل والأبد!!

ولقد لمسنا من قبل عند بعض الشباب من الشعراء من يحسب الفلسفة العميقة لاتخرج عن قوله: من أين جئنا؟ وتكون الإجابة: لست أدرى؟ والأمى الساذج يستطيع أن يسأل كما يسأل الشاعر المتفلسف دون فرق، وتكون الإجابة: لست أدرى؟ وأن كبار الفلاسفة لايسألون دون إجابة شافية، وأن الشك ليس بفلسفة إلا إذا كان طريقا لليقين.

وأشير هنا - فى حزن وأسى ومرارة - إلى أنه ترد إلى مجمع البحوث الإسلامية قصص مبتذلة لبعض المغرورين من الشباب تتخللها عبارات السخرية بخالق الكون، بل تتجاوز السخرية إلى السب، وبتابع الحوار اللاغى فإذا به مجرد استهتار واستخفاف لم يلتفت إلى قضية، ولم يبحث عن علة، وكأن كاتبه ماجن يسهر فى



حفلة خليعة، أيقال لمثل هذه القصص ولمثل هذه القصائد بأنها إبداع فكري يتطلب الحرية؟ ويقابل من يدعو لمعارضته بصيحات متشنجة، وتجمع الامضاءات والتوقيعات مجددة هذا المروق!! وللأسف لوحظ أن بعض النقاد الذين نشهد لهم بالكفاءة لايجابهون هذا السفه المنحدر علانية. وكأنهم يخافون أن يوصموا بالرجعية والتخلف: فليتمسون الأعذار ليصبحوا في صفوف أحرار الفكر، وحرية الفكر الصحيحة هي التي تساند وتعضد الثوابت الأكيدة في العقائد والفضائل والموضوعات التي لها أهداف سامية تخدم المجتمع وتدعو إلى رفعة شأنه، لا التي تصفق إلى كل منحل سفيه.

مشكلات المجتمع التعليمية والاجتماعية، والاقتصادية، أولى بالفكر الابداعي

إن مشكلات المجتمع التي تتطلب: الفكر الإبداعي، والإفصاح الروائي، والتعبير الشعري، والمقالة الأدبية أكثر من أن تعد وتحد، ولكن للأسف لاتحظ إلا للإغراء الجنسي فإذا تجاوزناه فللإلحاد والسقط. والمجتمع العربي يعج بشتى المشكلات السياسية، والاجتماعية والاقتصادية. ومشكلة التعليم التي صارت مشكلة المشاكل. ويعاني المجتمع المتخلف في كثير من هذه النواحي. فلماذا لايكون الفكر الإبداعي مصباحا وضاء ينير الطريق في هذه النواحي حتى يساهم في حل هذه المشكلات، ونأخذ مكاننا في دول العالم المتقدم، بدلا من تصنيفنا ووضعنا في دول العالم المتخلف الذي يضحكون عليه بتهذيب لفظه وقولهم: دول العالم النامي؟!

ولماذا لايكون الاهتمام إلا بالجنس في أحط صوره. وبالإلحاد في أخس نواحيه؟

وهناك حقيقة لا خلاف عليها هي: أن الإنسان جسم وروح وللجسم حاجاته وضرورياته، وللروح أشواقها ومراقيها العالية، والفنان القدير، أو الأديب البارع هو الذي يعرف حاجات الجسم فيحاول السمو بها من الدرك الحيواني إلى الأوج الإنساني، وكلما كان موفقا في هذا الاتجاه كان صاحب رسالة خالدة، فهو لايذكر مع الكتاب فقط، أو مع الشعراء فقط، ولكنه يُذكر مع المصلحين أصحاب النهضات المتقدمة في تاريخ الأمم.

فإذا أضاف إلى ذلك: التعبير عن مطالب الروح فإنه يسمو بالنفس البشرية إلى مستوى ملائكي.

وليس هذا الكلام مجرد أحلام ترجى دون تحقق، فلدينا من الأدباء من أسعدوا الكون برسالتهم الخالدة في عالم الفكر، ومنهم من استطاع بتأثيره النفاذ أن ينشئ دولة بقلمه، كما ينشئ الأبطال الدول بسيوفهم، وما دولة باكستان إلا صدى فكرة خالدة أحس بها الشاعر الكبير محمد إقبال، يجمع الجموع حول فكرة، وجعلها بما ألهم من مشاعر، وألهب من عواطف حقيقة ماثلة. صحيح أن زعماء باكستان السياسيين قد عملوا معه وتعاونوا مع بعض على تحقيق هذا الحلم، ولهم جهدهم المشكور في ذلك، ولكن من الصحيح الذي لا افتراء فيه أن الشاعر الكبير محمد إقبال هو الذي أشعل الشرارة المتقدة فمضى تيارها يلهب النفوس.

وعالم النفس كعالم الكون فسيح مترامي الأطراف، والمفكر الراقي والأديب السامي، والمبدع المصلح هو الذي يعبر عن عالم النفس في آفاقه المترامية فيمتزج بالضياء ويتوهج بالسناء، ويرى ما لا يراه الناظرون من حقائق الكون فيهتف بما يراه هو أخذا بيد من لا يرى إلى ما يرى في عالمه الرفيع المبدع مصعدا، وهنا يكون المفكر والأديب والمبدع صاحب رسالة في الحياة، تشرق بالأمل وتفسح مجال الصاعدين لمن يرون آفاق الفضيلة جديرة بالارتقاء.

وبالإبداع السماوي الطاهر يرتفع المجتمع وينهض من كبوته العاثرة. وبالإبداع يصير الواقع الملموس موضع رجاء للنهوض، ويقبل القارئ على ما يطالع وكأنه مريض يقبل بلسما شافيا وعلاجا ناجعا، أو كأنه أعمى يحتاج إلى من يدله على الطريق.

هذا بعض ما يقال في صلة الإبداع بارتقاء الأمم وتقدمها نحو الكمال الإنساني المنشود.

خاتمة

بعد العرض السابق لموضوع التفكير الإبداعي التقدمي، وتحديد المفاهيم والمعاني في هذا الموضوع، وإيضاح الفرق بين الإسفاف والانحطاط والدعوة إلى الرذيلة والإباحية الهابطة فيما يكتبه بعض العابثين المستهترين المارقين ويطلقون عليه إبداعا، ويتباكون على الحرية عندما يوجه إليهم النقد فيما يكتبون، ويعتبرون هذا النقد مصادرة للإبداع، وذبحا للحرية وحجرا على التأليف الإبداعي وبين التفكير الإبداعي الراقي الذي يسمو بالبشرية إلى مجتمع الفضيلة والأخلاق الكريمة، ويدفع المجتمع إلى النهضة والرقي والتقدم.

يتأكد لنا بعد هذا العرض والإيضاح أن التفكير الإبداعي التقدمي له ضوابط لابد أن تراعى، وأن يلتزم الجميع بها. صونا لأمن المجتمع واستقراره، ورفعة شأنه، وحفاظا على القيم الدينية، والسمو بالذات الإلهية وتقديسها، واحترام الأنبياء والرسل والبعد بهم عن مهاترات العبث والمجون والخلاعة، وأن هذه الضوابط الشريفة لاتتعارض مع الحرية ولاتصطدم بها، فالحرية هي: أن تقول وتفعل ما تشاء بما لايتعارض مع القيم الدينية والأخلاقية، وبما لايمثل اعتداء على حقوق الآخرين.

وختاما نقول ونعلن: إننا لسنا ضد التفكير الإبداعي التقدمي الذي يخدم البشرية، ويحل مشاكلها، ويكون ملتزما بالضوابط التي ذكرت بل على العكس نؤيد وندافع عن التفكير الإبداعي التقدمي الملتزم بالتعاليم الدينية وضوابط الأخلاق والفضيلة.

وفقنا الله جميعا وهدانا إلى الخير وإلى الصراط المستقيم وجنبنا الخطأ والزلل

فارسة قصر الباهلى

" هذه امرأة تلد الأبطال.. العصر لا يسوده إلا لون واحد من الرجال والنساء.. "

للكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد أبو حديد

كان المرج الأخضر يمتد حول القصر - قصر الباهلى - فلا تقع منه العين إلا على بساط يتموج مع النسيم، وقد وشته الزهور بين بيضاء وصفراء وحمراء، وخرج الرعاء يسوقون فيه قطعانهم وخيولهم الضامرة.

وخرج من الحصن صبية يمرحون فى صباح ذلك اليوم الوديع، بعد أن حبسهم الشتاء فى حصنهم الحصين شهوراً طويلة، كانت فيها تلك المروج هادئة فى سبات يشبه الموت، تحت أكداس من الثلوج تعصف عليها زعازع الزمهرير.

كان ذلك فى أرض السغد فيما وراء سمرقند، وقد وطئتها أقدام فرسان العرب منذ سنوات قليلة، مع قائدهم الشاب قتيبة بن مسلم الباهلى القيسى.

ومشت بين الصبية امرأة فارعة بيضاء، واسعة العينين سوداء الشعر تتنفس سحراً وكبراً ونبلاً، وعليها حلة من الحرير الأبيض، ووشاح رقيق تزينه نقوش زاهية تحاكى ألوان زهور المرج، وكان حول خصرها الدقيق منطقة زرقاء من نسيج رقيق. عقدت فيها عقدة دلت أطرافها على جانب حلتها.

وسارت عاتكة تنقل طرفها فيما حولها ولا ترى إلا صورة زوجها الحبيب هلال التميمى ذلك الفتى الفارس الذى قتل منذ عامين وترك لها طفلها الصغير الذى يمرح مع الصبية حولها، وكانت بين حين وحين تنتبه من حلمها فتنظر إلى الصبية فى لعبهم فتبتسم لهم ابتسامة عطف ثم تعود إلى خيالها لتناجى صورة الزوج الذى نشأ معها فى أودية قومها بنى تميم حتى زفت إليه على حب نبيل ولكنها لم تتمتع بالحياة معه إلا ريثما درج ولدهما بينهما، ولما نزعته الحرب منها لم تبد لموته جزعا، وكتمت حزنها فى أعماق قلبها. والتمست العزاء فى خلواتها مع صورته فى الخيال، وفى نظراتها إلى الصبى الصغير الذى خلفه من ورائه معها.

ولما بلغ الصبية مرعى الخيل أقبل ولدها يجرى نحوها، وقد علق على كتفه قوساً صغيرة ودلى من منطقته كنانة سهام من جريد النخيل وقال لها فى حماسة:

- ألا أركب قليلاً يا أمه؟

فمالت عاتكة عليه فرفعته بين ذراعيها، وقبلته قبلة سريعة وهو يقاوم ويرفس ويصرخ حتى وضعته على الأرض فتخلص من يديها ووثب جارياً وصاح بها:

- أدركينى إذا استطعت فإنى سابق إلى الخيل.

فأسرعت المرأة وراء ولدها وصاحت به:

- ألا تخشى السقطة يا عمير؟

فضحك الفتى فى مرح وقال وهو يمسك بقوسه:

- لا أخشى السقطة يا أمه.. ألست عمير بن هلال؟

واتجه نحو فرس بيضاء كانت أدنى الخيل إليه، فأسرعت أمه حتى أدركته ومسحت بيدها على رأسه فى رفق وقالت مبتسمة:

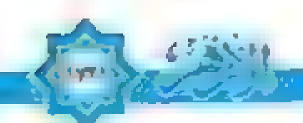
- تعال معى يا عمير سنركب جميعاً.

ثم ذهبت معه إلى الفرس البيضاء فنادتها كأنها تنادى بعض أهلها فأقبلت الفرس نحوها ورفعت أذنيها وحركت ذيلها كأنها قد فهمت النداء، ورفعت المرأة ولدها فأركبته، ثم قصدت إلى فرس أحمر قريب منها، وقفزت فوق ظهره خفيفة كأنها فارس من فرسان الحروب، ومسحت بكفها عنق الفرس، فصهل صهيلاً خفيفاً ثم سار يخب هادئاً، وسارت فرس الصبى إلى جواره تحاكى وثباته، ولكن الصبى لم يرض بذلك السير المطمئن فوخز ظهر فرسه بقدميه الصغيرتين، ومال على عنقها قابضاً على شعر معرفتها، وصاح بها يحثها على الإسراع، فاندفعت به الفرس مسرعة وضحكت عاتكة وصاحت بولدها:

- على مهلك يا عمير! فما ينبغى لنا أن نبعد.

فصاح الفتى وهو يقرقر ضاحكاً:

الحقى بى إذا استطعت يا أمه.



ثم جذب شعر الفرس وضرب ظهرها برجليه، فاندفعت تعدو به في المرج الفسيح عدوا هينا. فلم يكن لعاتكة إلا أن تعدو بفرسها في أثره وقد داخلها كثير من الخوف عليه، وطالت بينهما المسابقة حينا حتى لحقت به واستوقفته، وقالت له تلومه في شيء من الغضب:

- لقد أسأت يا عمير وعصيتي.

فلم يقلل الصبي من مرحه عند سماع لومها، بل قال ولايزال يضحك:

- كان في استطاعتي أن أعجزك عن إدراكي.

فلم تملك عاتكة إلا أن تبتسم وتصرف ما ثار في نفسها من الغضب، وقالت له في عطف:

- هلم بنا نعود فقد بعدنا عن القصر.

فعاد الصبي إلى الضحك وهو يمسك بقوسه:

- وماذا تخشين يا أمه؟ لست أبالي السغد بهذه قوسي.

فاقتربت منه عاتكة وقالت وهي تمسح عنق فرسه:

- سابقني إذا شئت في العودة يا عمير.

وفيما كانت تدير جوادها إلى جهة القصر لاح لها فارس يعدو نحوها، فأرادت أن تسرع عائدة، ولكن الصبي تلكأ وهو يعيد عليها أحاديثه وضحكاته حتى اقترب الفارس وترجل وأقبل نحوها، فوضعت عاتكة الخمار على وجهها، واتجهت إلى الصبي وقالت له في حدة:

- هلم يا عمير.

وأحست في نفسها غضبة قوية؛ لأن ذلك الفارس تعود أن يعرض لها في المرج منذ حين كلما تحين خلوتها.

واقترب الفارس وأشار إليها بالتحية متأدباً وهو باسم، ولم يخف على عاتكة ما بدا على وجهه من اضطراب كان يحاول أن يخفيه تحت ابتسامته، فلم تجب عاتكة على تحيته، بل انصرفت إلى الصبي وقالت له في شيء من الصرامة:

- أرني الآن كيف تحسن الركوب يا عمير؟

ثم همزت جوادها في شيء من العنف وضربت بيدها كفل فرس الصبي فعدا الجوادان، وجعل الصبي يصيح بفرسه أن تسرع حتى يدخل القصر سابقاً، ووقف الفارس ينظر في آثارها معجباً، وعلى وجهه آثار من اضطراب أنفاسه.

ثم مضى مطرقاً حتى عاد إلى أصحابه الذين كانوا ينتظرون عودته في وجوم، فوقف معهم حيناً ولايزال مطرقا، ثم رفع رأسه وقد لمعت عيناه ببريق خاطف، ولاحت على وجهه بسمة ضئيلة ونظر إلى صاحب كان إلى جواره وقال بصوت هامس:

- سأذهب غداً إلى أبيها.

فنظر إليه صاحبه منكراً ولم يجب، فأعاد عليه قوله ثم أضاف:

- ولكني أراك لا تجيب يا بغا.

فقال صاحبه:

- إنك لم تسمع نصيحتي من قبل. فلا فائدة في إعادة نصحك.

فقال له الشاب باسماً:

- وهل عرفت أن النصح ينفع من كان مثلي؟ إني لا أملك قلبي يا بغا حتى أصرفه عنها.

فقال بغا في دفعة:

- ولكنك تنسى أنك الأمير صول سيد السغد وابن سيدهم. وأنت تعرف هؤلاء العرب ومبلغ كبريائهم، فهل سمعت أن أحداً منهم زوج ابنته لغريب؟ ألا تعرف ما يجيبك به أبوها إذا أنت خطبتها إليه؟

فانتفض الأمير صول غاضباً وقد احمر وجهه:

- أيجرؤ هذا الرجل على الإباء؟

فقال بغا:

- إنهم يتزوجون بناتنا حقاً ولكنهم لن يرضوا بنا أزواجا.

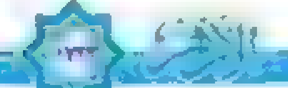
فقال صول وقد زاد غضبا:

- إذا لأضرمنها عليهم حربا حامية، لأعيدن الحرب فيما بيننا إذا تجرأ الرجل فلم يرض بي صهرا.

ولم ير بغا أن في مراجعته نفعا، فأمسك عن الجواب وسار الجميع إلى مضارب خيامهم في صمت ووجوم.

وقضى صول تلك الليلة متردداً في شجونه، لا يستطيع أن ينسى صورة عاتكة التي علقت بقلبه منذ رآها عرضا، عندما حل في تلك المروج في مطاردة الصيد من شهرين، فمنذ ذلك اليوم الذي رآها فيه بقيت صورتها ماثلة في خياله، لاتفارقه في صباح ولا مساء، وكان يتعرض لها كلما سنحت له في المرج، فلا يفوز منها في كل مرة إلا بإعراض وصمت، فكان ذلك لا يزيده إلا وجداً بها، حتى خطر له أن يقتحم الأمر اقتحاماً ويخطبها من أبيها، ولم تزده نصيحة بغا إلا عناداً وإصراراً على خطبتها، وحملته دفعة حبه على أن يخوض في سبيلها الحرب، فقد كان العرب في قصر الباهلي فئة قليلة، لا تستطيع أن تقوم لها قائمة إذا صدمها صول بالألوف المؤلفة من قبائل السغد، الذين كانوا لا ينتظرون منه إلا أن يأمر فيبادروا إلى طاعته سراعا.

وبكر صول في الصباح فذهب مع بعض أتباعه إلى باب القصر، يطلب الإذن على نهشل بن يزيد أبي عاتكة، وأذن له نهشل وأنزله ضيفاً وأكرمه وحدثه وآنسه، فقد عرف أنه سيد السغد، وأنه في ذروة القوم



غنى ونسباً وكان الفتى في تمام شبابه وكرم شيمه مما يزيده منزلة وكرامة.

ثم أفضى صول إلى نهشل بما جاء له.. وكانت مفاجأة وجم لها العربي فأطرق لحظة ثم قال بصوت خافت:

- لولا أنك ضيفي لما نجوت من عقوبتي.

فوثب صول على قدميه كأنه قد وطيء جمرا، ولم يجب بكلمة، بل خرج من القصر وهو لا يرى مواقع أقدامه من الغضب، وعاد إلى قومه والنار تلتهم قلبه التهاماً.

ومضى شهر بعد ذلك على قصر الباهلي ولا حديث لمن فيه إلا ذكر ذلك الأمير التركي الذي بلغت به الجرأة أن أتى إلى نهشل بن يزيد يخطب منه ابنته، وامتنعت عاتكة عن الخروج إلى المرج، وزاد حزنها على زوجها الحبيب، لأن خطبة الفتى التركي أعادت إليها ذكرى فجيعتها.

ثم تحرك السغد فجأة وإذا بقصر الباهلي ذات مساء مثل بقعة جزيرة في محيط من جموع الأتراك.

وبلغت أنباء الثورة إلى حامية العرب في سمرقند، وكانت الجيوش العربية غائبة في بعوث الفتح، موزعة في دروب سجستان وخراسان فلم يبق في عاصمة الحدود إلا بضعة آلاف في وسط ألوف الألوف من قبائل الترك.

واجتمع قواد العرب في سمرقند يتشاورون في أمر القصر، وفي أمر من فيه من نساء وصبية وفي عجزه عن الثبات لمن أحاط به من فرسان الترك وشجعانهم، وقد امتلأت قلوبهم حقداً على سادتهم المتكبرين.

وقال شعبة بن ظهير، وكان منذ حين أمير القوم ثم عزل عنهم:

- لو كانت هنا خيول خراسان لاستطعنا أن نذهب إلى نجدة هؤلاء.

فصاح به فارس طويل من جانب الجمع على رأسه عمامة حمراء:

- ألسنا من خيول خراسان؟

وتبعه آخرون فإذا بالجمع يتصايح ويتناقش، منهم متوثب إلى القتال ومنهم مؤثر للحذر والأناة، حتى كاد العقد ينفرط، والقول يتشعب، والخصام والجدال يصيران إلى تدافع ونضال.

فقام رجل من وسط الحلقة متكئاً على سيفه، وأشار بيده يطلب الكلام فالتفت إليه الناس بعد حين وهم يتنادون:

- أنصتوا إلى أميركم عثمان بن عبدالله..

فقال الأمير بعد أن هدأت الثائرة وخشعت الأصوات:

«أي قوم! هؤلاء إخوانكم في قصر الباهلي لايزيدون على مائة بأهل بيت يحرسون ثغرا

بعيداً، ويحمون من نسائكم وذراريكم من هم في أعناقكم أمانة».

وحاول شعبة أن يقاطعه، فعلت ضجة أسكته واستمر عثمان فقال: «ولسنا في حربنا نبالي ما يصيبنا. إن قصر الباهلي بمن فيه من نساء وصبية يستظلون بعلمكم. ويقيمون هناك ربيئة لكم، أتسلمونهم إذ تكاثر عليهم العدو؟ أتبيحون حرمكم لأنكم اليوم في قلة؟».

فعادت الضجة، وعلت الأصوات، وتهاتف الناس قائلين:

- إلى قصر الباهلي!

فتبسم عثمان راضياً، وعاد إلى الكلام فقال: «لست آمر ولست أنهى، إنكم إن أقدمتم استقبل كل فرد منكم عشرة أو عشرات من العدو ولعلكم لن تستطيعوا غير أن تواسوا من هناك من المسلمين بأنفسكم، فتنالوا الشهادة إلى جوارهم، ولكني لا أمنع من أراد منكم النهوض للقتال».

فما كان يتم قوله حتى قام من جانب الجمع ذلك الفارس الطويل الذي تكلم من قبل، وهو المسيب بن بشر التميمي، فقال وهو يسوي على رأسه عمامته الحمراء:

«لقد عرفتم أن السغد ما تحركوا إلا ليأخذوا عاتكة، امرأة هلال التميمي، وهو الذي عرفتموه، فارساً في الحرب، كريماً في الجوار، طالما دافع عن أحسابكم حتى قتل. أنترك امرأته سبيا وتسلم ابنه الصبي يبيعه عدوكم؟ لن أبيت الليلة ههنا ومن شاء أن يلحق بي فليفعل».

وما طلع صباح اليوم التالي حتى كان سبعمائة فارس يتبعون المسيب في الطريق إلى قصر الباهلي وقد بايعوا أنفسهم جميعاً على الموت. وسارت الكتيبة الصغيرة لا تهدأ في ليل ولا في نهار، حتى صارت بعد أيام على فرسخين من القصر، فنزل المسيب يستروح قليلاً ويريح من معه، وانصرف الفرسان يلتمس بعضهم طعاماً وبعضهم يستلقي استجماما وتركوا جيادهم في سروجها وعلتها، وأقاموا في أطراف منزلهم ربيئة يحرسونهم من المفاجأة.

ثم دعا المسيب فارسين ليسبقا الكتيبة في حذر إلى القصر، ويحملا إلى من فيه نبأ النجدة، ويأمرا حاميته بالصبر والدفاع.

وأقبل الليل ولف المروج في ظلمة حالكة، لا يلوح فيها غير وميض نيران العدو تملأ الأفق من بعيد، وهبط على الفضاء سكون تخرقه صيحات تتموج مع الريح، وتصل إلى الآذان مبهمة فتزيد الظلام رهبة ووحشة. وما هي إلا ساعات حتى عاد الرسولان، فكان أول من لقيهما المسيب وهو يسير في المرج ينتظر

عودتهما في قلق، وما كاد يراهما حتى سألهما بلهفة:

– هل بلغتما القصر؟

فقال أحدهما:

– لم نستطع الدخول، فقد كاد حراس القصر يرموننا بالسهام يحسبوننا أعداء لولا أن سمعوا كلامنا العربي، فطلبت منهم أن يدعوا أمير القصر ليكلمني، فما أبطأ حتى أتى، وأخبرته بقرب الغياث.

فسأل المسيب ولايزال متلهفاً:

– وماذا وجدت منه؟

قال الرجل:

– لقد اعتزموا أن يقدموا النساء دونهم، ويقاتلوا حتى يفنوا جميعاً فسرى عن المسيب وتنفس نفساً عميقاً، وقال:

– هؤلاء قومي.

ثم أسرع إلى رجاله، فنادى قائلاً:

– القتال في ليلتنا هذه..

فلم يجبه أحد بكلمة، بل وثب الجميع على خيولهم، وتجهزوا للمسير، فاتجه إليهم المسيب وقد اعتلى جواده قائلاً:

– خفضوا الأصوات واهدأوا في السير حتى إذا اقتربنا منهم فكبروا تكبيرة واحدة واجعلوا شعاركم «يا محمد!».

ثم اندفع يسير في طليعتهم سيراً وئيداً في صمت وسكون، حتى لاحت لهم خيام الترك في ضوء النيران وقد خمدت الأصوات والقوم من تحتها نيام، فاقترب المسيب برجاله حتى إذا صار من الخيام على مرمى سهمين صاح مكبراً، واندفع مع أصحابه يصيحون صيحة رجت جوانب الفضاء: «الله أكبر! يا محمد!».

ولم يلبث العسكر الفسيح بعد هذه الصيحة أن صحا وتحرك وماجت جموعه مضطربة، وقد خالطتها سيوف قاطعة، ورماح طاعنة، كأن السماء قد صبتها على رءوسهم بغتة.. وما هي إلا ساعة حتى سالت المروج بالرجال والخيل. وصار العرب في وسط المروج الزاخرة كالشعرات البيضاء في الفرس الأدهم، لا يعرف بعضهم بعضاً إلا بصيحة «يا محمد».

وكان المسيب دائماً في طليعة القوم، يجوب المعسكر من طرف إلى طرف. وأوغل بين الجموع فإذا هو وحيد، ثم رأى بين الألوف يخبطون في عماية الظلام ودهشة النوم، فرسه يخر من تحته وقد أصابته ضربة قطعت عجزه، فترجل وهو يصيح صيحته:

«الله أكبر! يا محمد!»

واجتمعت عليه السيوف من كل جانب وهو يدافع ويناضل ويعثر في جثث قتلاه وكاد [ا]لتعب يعييه عن القتال وكسر رمحه وكلت يداه. ثم سمع صيحة على مقربة منه أعادت [إل]يه نفسه، فتحامل وصاح صيحته مجيباً فأقبل عليه رجاله وجعلوا يطاعنون ويضربون وفيهم رجل قد قطعت يمينه، فأخذ السيف بشماله ثم قطعت شماله فجعل يدافع العدو بما بقي من ذراعيه، ولما استجمع المسيب قوته، وصاح صيحته مرة أخرى اندفع نحو الرجل ليعينه، ولكن سيفاً هوى على المسكين فأنامه، ولكن العدو لم يلبث أن تردد وتزعزع وتملكه الفزع فتراجع يطلب الفضاء هرباً من ذلك العدو الذي لا يعرف من أين يأتي إليه، وما هي إلا لحظات حتى كانت أشباح الترك تسد الأفق لا تلوي على شيء.

فصاح المسيب في أصحابه:

– دعوا القوم في هربهم، ولا تلحقوا بهم.

ووقف ينظر لحظة إلى الفارس الصريع المقطوع اليدين، ثم مال إليه فقبله، وأسرع فركب جواداً رآه قريباً منه ولوى عنانه وأشار إلى أصحابه قائلاً:

– إلى القصر..

في فجر اليوم التالي سار الركب العربي عائداً إلى سمرقند، بعد أن حمل من في قصر الباهلي من نساء وذراري.. وفصل المسيب من القصر في آخر الركب بعد أن دار حول الأسوار ينظر لعله يجد متخلفاً. فرأى امرأة تصيح به تستمهله. وعلى يديها غلام صغير. فوقف حتى اقتربت منه، فقال لها في لهجة اللوم:

– وفيم تأخرت وقد كدنا نبعد؟

فقالت المرأة في هدوء:

– كنت أحمل ولدي من جانب في القصر تركته فيه.

فقال الرجل متعجباً:

– وكيف تركين ولدك؟

فقالت المرأة:

– كنت أحارب مع قومي فما كنت لاتركهم يحاربون وحدهم.

ثم دفعت الطفل إلى الرجل قائلة:

– خذ هذا بين يديك.

فأخذ الرجل الطفل منها فجعله أمامه وذهبت هي إلى فرسها في جانب القصر فوثبت عليه كأنها فارس بارع

فصاح بها المسيب:

– أو أنت عاتكة؟

فقالت المرأة:

– أنا عاتكة ابنة نهشل.

فخفض الرجل بصره وجمع الطفل إلى صدره في عطف وسار صامتاً أمامها ليلحق بالركب.

علوم الأرض في تراث المسلمين

كتب المسلمون في علوم الأرض، بقسميها الجغرافيا والجيولوجيا،[1] قبل أن ينقلوا كتب غيرهم إلى العربية. وكانوا متفوقين في هذا، وخاصة علم الجغرافيا، استجابة لدعوة الإسلام الحنيف إلى طلب العلم وإعمال العقل في كل ما خلق الله -تعالى- وسخره لخدمة الإنسان، بما في ذلك الأرض التي يعيش عليها، فهي أصل وجوده، من ترابها ومائها خلق، وعلى صورها وخيراتها يعيش. وإليها يعود ويتلاشى ترابا في ترابها، ومنها يبعث تارة أخرى، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

(سورة الملك: ١٥)

وقال سبحانه:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾

(سورة طه: ٥٥).

ومنذ القرن الأول للهجرة اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض وصفاتها لاتساع فتوحاتهم، وعرفوا منذ ذلك الحين عمل الخرائط وقراءتها. فيروى أنه لما عز «قتيبة بن مسلم الباهلي» مدينة بخارى صعب عليه فتحها فكتب بذلك إلى «الحجاج بن يوسف الثقفي» والي العراق، فكتب إليه الحجاج يطلب منه أن يصورها (أي يرسم خارطتها وما حولها) ويرسل صورتها إليه، وقد أشار الحجاج على قتيبة بطريقة فتحها سنة ٩٠هـ.

وكانت الدولة الإسلامية الكبرى المترامية الأطراف تجتمع على وحدة دين ولغة وثقافة، فاجتهد علماء الحضارة الإسلامية إلى دراستها عن طريق الرحلات والأسفار والتعرف على تضاريس الأقطار والبلدان لتوثيق الصلات بينها، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالعدل بين سكانها، وكان لاكتشاف الأجهزة العلمية، كالبوصلة والأسطرلاب، أثر مهم في تسهيل الرحلات وتشجيع الرحالة.

وتميز الجغرافيون في الحضارة الإسلامية بنظرتهم العلمية الواقعية لمختلف الموضوعات الجغرافية، وكان الخوارزمي (ت ٨٥٠م) من أعلام المرحلة الأولى لتطور الفكر الجغرافي الإسلامي فقد وضع كتابا عن «صورة الأرض» قال عنه «نللينو»: إن مثل هذا الكتاب لا تقوى على وضعه أمة أوروبية في فجر نهضتها العلمية فصاحبه من أبرز العلماء في عصر المأمون، وهو يعالج في كتابه بصفة أساسية أهم الموضوعات الجغرافية المتعلقة بخطوط طول وعرض الأماكن والجبال والبحار والأنهار وأسماء المدن الواقعة على الجانب المعمور من الأرض، مرتبة حسب ورودها في الأقاليم السبعة.

وقد ساعدت مثل هذه البدايات العلمية تدريجيا على أن تبلغ الجغرافيا درجة عالية في البحث المبني على الاختبار الشخصي والمعرفة المكتسبة من السفر والتنقل، وازدهرت حركة التأليف الجغرافي، وزاد الاهتمام بالجغرافيا الرياضية والطبيعية والفلكية والبشرية، واتسع رسم الخرائط حتى شمل العالم الإسلامي كله مما يمكن أن نسميه أطلس العالم الإسلامي، وقد أحصى «ميللر» الخرائط التي رسمها المسلمون للعالم الإسلامي فوجدها مائتين وخمسا وسبعين خارطة، باستثناء خرائط «الإدريسي» التي وصفها «ميللر» بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر كبير في تصوير الدنيا للأوروبيين.

وهنا قد يبدو للبعض أن دور التجربة في البحث الجغرافي عند المسلمين غير واضح وضوحه في أبحاث العلوم الطبيعية الأخرى وتطورها، إلا أن الجغرافي المعاصر يرى في «الرحلة» عين الجغرافيا المبصرة في الدراسة الميدانية، وفي ضوء هذه الملاحظة المهمة يشهد التراث الجغرافي للحضارة الإسلامية بسبق علمائها إلى مفهوم البحث الجغرافي وإنجازه عن طريق الرحلة الميدانية، وذلك قبل الجغرافي المعروف «إسكندر همبولت» الذي يعدو واحدا من عمالقة الجغرافيا في القرن التاسع عشر الميلادي، وينسب إليه البعض أبوة الرحلة الجغرافية المتخصصة، عندما خرج في الرحلة التي غطت مساحات من أمريكا اللاتينية، ومساحات من شرق أوروبا وسيبريا، وعاد منها لكي يصبح جغرافيا مرموقا[2].

---

(1) الجغرافيا علم يدرس ظواهر سطح الأرض الطبيعية، كالجبال والسهول والهضاب والصحارى والمحيطات والإنسان، كما يدرس الظواهر البشرية التي صنعها الإنسان على هذا السطح كالمدن، والإنتاج الاقتصادي الزراعي والصناعي والتجارة، وطرق المواصلات. ويهتم هذا العلم بتحليل العلاقة بين قشرة الأرض والطبقة السفلى من الجو. والجيولوجيا علم يبحث في الأرض من حيث تكوينها وتاريخها والعوامل المؤثرة فيها (المعجم الجغرافي، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م)

(2) راجع في ذلك

- د. صلاح الدين الشامي، الإسلام والفكر الجغرافي العربي، الإسكندرية ١٩٧٩م
- د. صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا في الدراسات الميدانية، الإسكندرية ١٩٨٢م
- د. أحمد فؤاد باشا، العطاء العلمي للحضارة الإسلامية وأثره في الحضارة الإنسانية، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

وإذا انتقلنا إلى الحديث بإيجاز عن أصول بعض العلوم الجيولوجية ومنهجيتها في التراث الإسلامي، فإننا نجد الكثير من النصوص التراثية التي تؤكد سبق علماء المسلمين إلى صياغة مبادئ النظرية الجيومورفولوجية الحديثة والمفاهيم العلمية التي تطور على أساسها علم شكل الأرض Geomorphology وأصبح واحداً من أهم العلوم الجيولوجية المعاصرة[3].

ويأتي أبو الريحان البيروني ليوضح أن ما يحدث من تغيرات في سطح الأرض يحتاج إلى مدد زمنية طويلة، فيسبق بذلك إلى القول بنظرية الانتظام أو التواتر Uniformitarianism التي نسبها المؤرخون إلى العالم الاسكتلندي «جيمس هاتون» في عام ١٧٨٥م، والتي تفسر حدوث تغيرات سطح الأرض على أساس أن «الحاضر هو مفتاح الماضي».

من ناحية أخرى، فطن علماء الحضارة الإسلامية إلى مفهوم الزمن الجيولوجي وظاهرة التغير النسبي في مواضع الماء واليابسة من خلال ملاحظتهم لتغير عروض البلاد ومطالعها وانصباب نهارها تبعاً لتغير وضع اليابسة (القارات) وما يرافق ذلك من تغير في موقع البحار ووضعية الحركات الجوية. وها هو أبو الريحان البيروني، على سبيل المثال، يجعل نظرية تبديل البحر واليابسة أقرب صحة إلى الواقع التاريخي لكوكب الأرض، ويجعل من الاستقراء منهجاً تاريخياً يمتد تطبيقه ليشمل الأحداث الجيولوجية القديمة، فيقول عن بادية العرب: «.. وعلى مثله ينتقل البحر إلى البر في أزمنة إن كانت قبل كون الناس في العالم، فغير معلومة، وإن كانت بعده، فغير محفوظة، لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد، وخاصة في الأشياء الكائنة جزءاً بعد جزء، بحيث لا يفطن لها إلا الخواص. فهذه بادية العرب وقد كانت بحراً فانكبس، حتى أن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها»[4].

ونلاحظ هنا أن البيروني يطوع منهجه العلمي تبعاً لطبيعة الموضوع، فلا يحصر عملية البحث عن الحقيقة في المشاهدة والتجربة العملية فقط، بل إن رؤيته المنهجية الرائدة تعطي عملية التفكير والاستدلال، إلى جانب الربط التاريخي، الأهمية التي تستحقها عندما يكون موضوع البحث قائماً على أحداث تاريخية تفصلها أزمنة مديدة، مثل تراجع البحر وانكشاف اليابس وتبدل مواضعهما. ولم يفطن فلاسفة العلم إلى هذه المعالجة المنهجية عند البيروني، والتي تعتبر تأصيلاً لما يسمى الآن بالمنهج الفرضي الاستنباطي، أو المنهج العلمي المعاصر.

(٣) تعني النظرية الجيومورفولوجية الحديثة أن تطور أشكال سطح الأرض يعتمد على عوامل التعرية والترسيب والحركات الأرضية، وهي عوامل ناتجة عما يسمى بقوى البناء والهدم.

راجع في ذلك: د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، دراسات تأصيلية، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٧م.

(٤) المرجع السابق.

ويضيف الشيخ الرئيس ابن سينا ما يدعم هذه الرؤية المبكرة والمميزة للبحث العلمي في عصر الحضارة الإسلامية، فيؤكد على دور الحدس كملكة إدراكية، إلى جانب الملاحظة والتجربة والاستقراء، في الوصول إلى الحقيقة العلمية، وهو يرى أن عملية تبادل توزيع الماء واليابسة ذات طابع كوني لا تتوارث فيه التواريخ، وليست - كما قال فلاسفة الإغريق - محصورة في مناطق ضيقة عند السواحل ومصاب الأنهار، فيقول موضحاً كل هذا وغيره: «ونحن نعلم بأقوى حدس أن ناحية الشمال كانت معمورة بالماء حتى تولدت الجبال. والآن فإن البحار جنوبية. فالبحار متنقلة وليس يجب أن يكون انتقالها محدوداً، بل يجوز فيه وجوه كثيرة»[5].

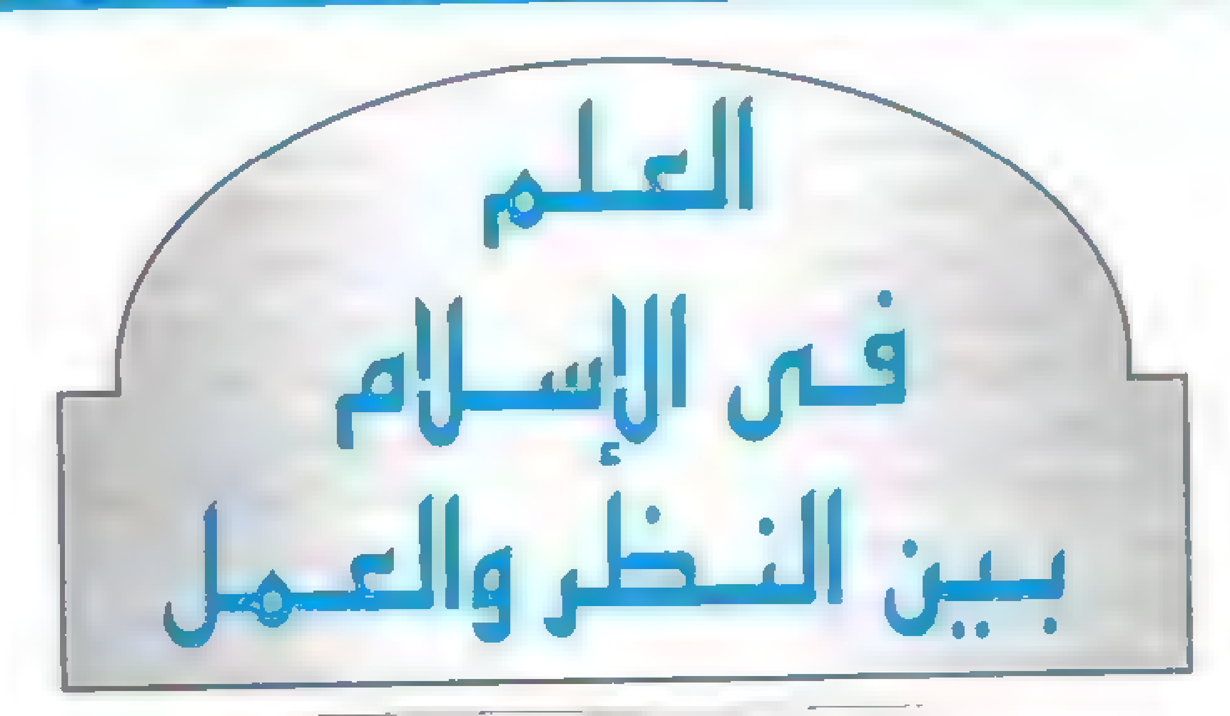
وهناك مباحث جيولوجية أخرى اهتم بها علماء الحضارة الإسلامية، فقد تحدث الهمداني وابن سينا وإخوان الصفا وغيرهم عن «الطاقة الزلزالية» في باطن الأرض، ووصفوا ما ينتج عنها من آثار متفاوتة الشدة، كما وصفوا بعض أنواعها وسموها «الرياح المحتقنة» ودونوا ملاحظاتهم عن الهزات الزلزالية التي تعرضت لها البلدان العربية والإسلامية خلال القرون الماضية، وهي سجلات يمكن الاسترشاد بها في الدراسات المتعلقة بخرائط التوزيع الزلزالي[6].

أيضاً، قال علماء الحضارة الإسلامية بنظريات رائدة تحدثت عن طبيعة الحفريات ومدلولاتها العلمية التي يتم على أساسها استنباط التاريخ الجيولوجي ومعرفة تطور الكائنات الحية وتطور البيئات القديمة عبر العصور الجيولوجية المختلفة، وينسب للبيروني أنه أدرك بالملاحظة الدقيقة ما نعرفه حالياً من أن الحفريات قد تكون عبارة عن الكائن نفسه بجميع أجزائه، أو تكون بقايا الأجزاء الصلبة الهيكلية فقط، وتوجد هذه البقايا بدون أي تغيير في مادتها الأصلية، أو توجد متحجرة بعد استبدال مادتها بمادة أخرى، وقد تكون الحفريات مجرد طابع خاص أو أثر لبقايا الكائن الحي على الصخور التي كان يعيش عليها عندما كانت رخوة لم تتصلد بعد، وعندما تتصلب بمرور الزمن تحتفظ بهذه الطوابع أو هذا الأثر، يقول البيروني: «.. بل تخرج منها أحجار إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع وما يسمى آذان السمك، إما باقية فيها على حالها، وإما بالية قد تلاشت وبقي مكانها خلاء تشكل بشكلها»[7]. ولابد أن يكون البيروني قد قارن بين أنواع شتى من الحفريات حتى يتوصل إلى هذه النتيجة التي تؤكد إدراكه لدور الحاضر في فهم عمليات حدثت في الماضي.

(٥) المرجع السابق.

(٦) أ. د. عبدالله يوسف الغنيم، سجل الزلازل العربي، أحداث الزلازل وآثارها في المصادر العربية، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت ٢٠٠٢.

(٧) د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، مرجع سابق.



للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

من المواقف التى لا أنساها ما سمعته من عالم فاضل يعمل خطيبا فى مسجد شهير إذ بدأ فضيلته خطابه بقوله «بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا.. ثم صمت.. ثم استأنف «يا أيها الذين آمنوا» ثم صمت، وإذا به يهيب بالسامعين فى لهجة رقيقة عاتبة: «قولوا نعم» ألستم المعنيين بقوله سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا»؟

وعلى بساطة العرض، وإيجاز القول كانت الفكرة عميقة أشد العمق. صادقة أوثق الصدق تلفت اللب، وتنبه القلب، وتثير الانتباه، فلقد درج معظم المستمعين فى كثير من الأحايين أن يتلقوا ما يقال بحكم «العادة» وليس بحكم «العبادة» وكان شيخنا النابه - أنار الله طريقه - موفقاً أيما توفيق عندما دغدغ آذان سامعيه إلى أن يستمعوا الكلام الحق بإدراكهم الواعى، ووجدانهم اليقظ علّه يغدو فى كيانهم سلوكا قويما آخذا بخطواتهم المؤمنة الواثقة على صراط العزيز الحكيم.

ومن هنا نتأمل قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾

(الأعراف: ٢٠٤)

وهنا نتأمل رحمة الله -عز وجل- بعباده إذ لماذا يهيب الحق سبحانه بالناس أن يستمعوا للقرآن وينصتوا؟ هل المولى- عز وجل- فى حاجة إلى من يستمع إلى قوله وينصت؟ حاشا لجلاله، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا إنما فى «الاستماع» إلى القرآن مظهر عملى للإيمان بالله وبما أنزل وإشارة عملية إلى استعداد المؤمن للتجاوب مع الذكر الحكيم والتزام أوامره، وتجنب نواهيه

وهى إشارة إلى العبودية التى خلق الله الناس من أجلها أساسا لخلافة الأرض وعمارتها، تلك العبودية التى قال الله عنها:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾

(الذاريات: ٥٦)

أما «الإنصات» فهو التركيز فى الاستماع وتوجيه وجمع الطاقة لذلك حرصا على الإفادة مما يقال من اعتبار بالماضى واستثمار للحاضر واستشراف للمستقبل وهذه كلها أمور تدور بالدرجة الأولى فى صالح العبد

وهذه إشارة ربانية نعى منها - والله سبحانه أعلم - أن «استمعوا» تفيد تدبر العبد لكلام الله فى علاقته مع ربه. وأن «أنصتوا» تفيد تدبر العبد لكلام الله فى علاقته مع نفسه ومحاسبتها وفق الضوابط والمعايير التى جاءت فى القرآن الكريم لتقويم النفس بما يعود عليه بالفلاح والرحمة فى الدارين.

ولعل هذا هو ما يجلى أمامنا مسار الآية الكريمة

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾

(الأنفال: ٢٤)

فإذا انتقلنا إلى قوله تعالى

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ (الأنعام: ٣٦)

فتأمل هنا قوله عز وجل بعطف الإنصات على الاستماع بالواو وليس «أو» أو «ثم» مثلا، فالمرور بالقرآن الحكيم دون استماع وإنصات هو ضرب من المراءاة والتغافل واللامبالاة كما نلاحظ اليوم فى الطرقات على عربات الباعة أو المحال العامة أو السرادقات للتظاهر بأن أصحابها أناس يعرفون القرآن وبالتالى يوهمون الناس أنهم أمناء فى بيعهم وتجارتهم ومعاملاتهم على زعمهم، وذلك هو النفاق بعينه، والمراءاة نفسها. والجهل البين بقدر القرآن ورسالته فى التوجيه والإصلاح والتعمير، وإلا ما جعلوه فى رحاه ضوضائى مع الأصوات الخليعة، دون أن يعرفوا للطريق حقه الذى قرره الإسلام فى السنة المطهرة.

الرواد بين المبادرة والمثابرة

ولعلنا نتذكر هنا ما قيل عن القارئ الورع الشيخ محمد رفعت يرحمه الله من أنه كان يرفض قراءة القرآن الكريم عبر الإذاعة المصرية حين افتتاحها عام ١٩٣٤ حتى صدرت له فتوى بجواز القراءة وذلك تحرجا من انصراف الناس عن الاستماع إلى مشاغل الحياة فيحمل معهم الوزر.

ولقد قصدنا بذلك القول بأن كلام الله الحق إلى الخلق فيه تبيان لكل شىء، وتلك بديهية ناصعة الوضوح فى العقول النيرة والأفئدة الخيرة التى لا تحتاج إلى استدلال أو برهان

ذلك أنه أوثق كتاب ارتباطا بحياة الخلق منذ قال البديع القويم عز وجل للكون «كن» فكان، ومن هنا سمى «بالكون» إلى أن يرث سبحانه الأرض ومن عليها. فإذا تحدث القرآن عن الماضى فذلك

لتذكر والاعتبار، وإذا تحدث عن الحاضر فذلك للاختبار والاحتيار، وإذا تحدث عن المستقبل فذلك للتفكر والانتظار

وهكذا يحدث القرآن الكريم الإنسان عن الزمان والمكان بصدق الواثق المحيط لأنه فوق الزمان وفوق المكان، ومن هنا كان أولى بصاحب الفطرة النقية والفكرة السوية والروح التقية أن يستجيب في إيمان واطمئنان لأنه قد أوحى به من عل حيث يتكشف كل شيء إذ أن منزل القرآن - عز وجل - هو خالق كل شيء، وهو سبحانه قد أحاط علما بكل شيء ومن ثمة كان

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى:١١)

وعندما اهتدى أسلاف المخلصون الرواد من المسلمين إلى هذه الحقيقة عكفوا على هذا الكتاب المبين يستوحونه المعرفة النافعة، ويستلهمونه العلم الصادق المفيد حيث استحث هممهم، وشحذ قرائحهم، واستنهض جهدهم واستثار عقولهم بآياته العامرة بالروحانية الدافقة والدافعة إلى النهوض والابتكار وليس القعود والاجترار، ولم يستسلموا للتثاؤب والاعتذار حتى يقد إليهم من يقول إن العلم قد اكتشف كذا فيهبوا صائحين في غيرة مفتعلة «كذلك قال القرآن من قبل»!!

ولكنهم تشبثوا بزمام المبادرة فكانت المثابرة تلو المثابرة وعضوا بالنواجذ على حبل المبادرة فكانت على أيدى أبناء الصحراء المفاجأة وذلك عندما قال الحق

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (محمد ٢٤)

فشغلوا بتدبره

وحين قال لهم القرآن

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنعام:١١)

فساروا مكتشفين مبتكرين، وحين أثنى على من «يتفكرون في خلق السموات» تفانوا في التفكر العميق والتدبر الدقيق.

وغير ذلك من مواقف الطاعة المذعنة، والاستجابة المؤمنة مما انعكس على هذه العقول المتطلعة إلى الحق والحقيقة علوما لم يسبقوا إليها في كل باب، وشع في قلوبهم يقينا لا تتسرب إليه شبهة الارتياب، حتى أصبح تاريخهم سماء بلا ضباب، وسطوعا بلا سحاب، ونقاء بلا صراب.

وكانت العلوم في الغرب تتوج بأسمائهم فيقال عن علم الكيمياء «صنعة جابر»[1] ويكنى علم الطب بمهنة «الشيخ الرئيس»[2]، ويرتبط علم الضوء بالحسن ابن الهيثم[3]

وقد قيل إن جامعة السربون الشهيرة في فرنسا ظلت منذ افتتاحها ولأمد بعيد يقدم الدرس فيها بالعربية لغة وعلوما لأن الأوروبيين لم يكونوا قد نحوا بعد هذا الباب.

وهكذا وهكذا كانت تلك الأسماء هي معايير قياس العبقريات في أوروبا، ولم يكن قد ظهر بعد «ألفريد نوبل» (١٨٣٣ - ١٨٩٦) مخترع الديناميت المدمر لتصبح جائزته معيارا لقياس العبقريات بعد ذلك في الشرق والغرب جميعا، يلهث خلفها اللاهثون، ويا للبون الشاسع بين المعيارين والمقاييس.

النظر والعمل في القرآن

وهكذا نرى القرآن الكريم معجزة الإسلام العظمى، ومعجزة الكون الكبرى يتضافر فيه النظر والعمل، فآياته الكريمة المبينة تقود من يتدبرها ويتفكر فيها إلى العمل القويم والسلوك المستقيم وعندما يؤتى هذا العمل أكله، ويصبح ثمارا يدفع إلى المزيد من التدبر والتفكر في هذه الآية القرآنية بما يشبه العشق العظيم الذي يملأ صاحبه بالطاقة الدافعة والإرادة الفعالة.

وهكذا ندرك أن التضافر الرائع بين النظر والعمل هو الذي يدفع المسلم الحق إلى الإسهام بحب وفاعلية في خلافة الأرض وعمارتها حتى يكون جديرا بحق بالولاء الصادق والعبودية المطلقة للخلاق العظيم بديع السموات والأرض.

التربية العملية

ويقودنا هذا الحديث عن النظر والعمل في القرآن الكريم إلى ما يسميه التربويون «بالتربية العملية» وهي الجانب التطبيقي والميداني لطرق التدريس، إذ لابد لمن يهيىء نفسه لتحمي رسالة «التعليم»[4] أن يتلقى دروسا في كيفية القيام بمهمته ثم عليه بعد ذلك أن يطبق هذه الدروس النظرية التي يتلقاها في مدرجات كلية التربية على طلاب بعض المدارس تحت إشراف ذوي الحنكة والتجربة ممن سبقوه في هذا الميدان، حيث يضيفون إلى ما حصله مع معلومات من معلومات نظرية بعض المواقف التعليمية التي قد تعرض له في حياته العملية، وإلا كان أشبه بالببغاء يردد ما يدرسه في الكتب دون أية دراية بأسلوب تحويل ما هو نظرى مجرد إلى عمل ميداني ملموس

وقد حثت الشرائع على التفقه والتعلم، وفي مقدمتها كتاب الكتب، ومرجع المراجع، ومصدر المصادر ألا وهو القرآن الكريم الذي كان معجزة المعجزات للأمي العظيم ﷺ

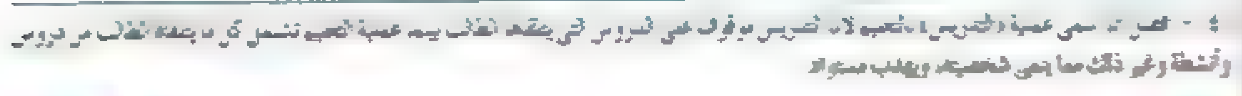
ليبرهن على أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن تتخطى الأمية - بقدرة القادر الخلاق - عن العلم بنسب متفاوتة يحددها الحق سبحانه وتعالى إلى أن تصل إلى قمة المعرفة عند سيد الخلق ﷺ الذي منّ الله عليه بقوله

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٣)

كما حث جل وعلا الأمة من خلاله عليه الصلاة

---

1 - [illegible]
2 - [illegible] ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م) من قمة الفلاسفة العرب، له مؤلفات في الطب والفلسفة والمنطق
3 - [illegible]



4 - [illegible] التدريس [illegible]
[illegible] وغير ذلك مما ينمي شخصيته ويهذب مستواه

والسلام على طلب المزيد دائما من العلم بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)

العلم بين القوة والفعل

وفي هذا برهان ناصع على أن عقل الإنسان عالم بالقوة[5] فإذا تهيأت له الأسباب أصبح عالما بالفعل[6].

كما أن هذا برهان ساطع على أن محمدا ﷺ هو أسوة الخلق في الانتقال من الأمية إلى المعرفة مع تدخل الإعجاز الإلهي الباهر، والعناية الربانية القادرة. ثم أليس هو عليه الصلاة والسلام القائل: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[7]

وقد اكتشف هذه الحقيقة في نفسه الفيلسوف الإسلامي الحكيم «ابن سينا» عندما قال في ترجمته الذاتية إنه في سن السابعة عشرة من عمره كان قد قرأ كل الكتب التي كانت معروفة في عصره وفهمها فيما عدا كتاب «الميتافيزيقا» أو «الفلسفة الأولى» للفيلسوف الإغريقي «أرسطاليس» فقد حار ابن سينا في أمره حتى هداه الله إلى أن يصلي ركعتين لوجهه تعالى لعله سبحانه أن يفتح له مغاليق هذا الباب يقول ابن سينا «فصليت ركعتين لوجه الله -عز وجل- ثم خرجت إلى الطريق فإذا برجل ليس من أهل المدينة معه كتاب يتوجه به إليّ قائلا: يا بني هل لك أن تشتري هذا الكتاب بستة دراهم فصاحبه في حاجة إلى ثمنه، فلما وقع بصري على عنوان الكتاب ووجدته «شرح الميتافيزيقا»[8] ناولت الرجل الثمن وعدت إلى الدار، ولم أترك الكتاب إلا بعد أن فهمت فحواه، وعندئذ - والكلام لابن سينا - صليت لله ركعتين أخريين ثم تصدقت بمال كثير.

وهكذا ندرك أن العلم حق من لدن الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ (الحديد: ٢٩)

وهو - جل وعلا - وحده القادر على نقل المعرفة الإنسانية من القوة الكامنة إلى الفعل البين الفعال وكلاهما من خلق البارئ العظيم.

ومن هنا ضمن القرآن الكريم النجاح لأية أمة تسير على طريق التعلم والتعليم كما أكد الذكر الحكيم - إما بطريق مباشر أو غير مباشر - الحث على ملازمة هذا الطريق المستنير كقوله تعالى:

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)

وكذلك:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الروم: ٨)

ثم: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس: ١٠١)

(٥) - الوجود بالقوة هو الإمكان ويعرفها ابن رشد بأنها الاستعداد الذي في الشيء.
(٦) - أما الوجود بالفعل فهو ظهور الشيء ولذلك يقال إن هذا الشيء موجود بالفعل.
(٧) - ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود «الجامع الصغير للسيوطي».
(٨) - يبدو أن هذا الكتاب كان من شرح الفيلسوف «الفارابي».

بل لم يفرق كتاب الله الكريم في هذا المجال بين الرجال والنساء صغارا وكبارا كما نتدبر قوله تعالى مخاطبا نساء النبي ﷺ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (الأحزاب: ٣٤)

وعلى هذا الدرب الإلهي سار صاحب الرسالة السمحاء ﷺ عندما نجد من أقواله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[9] كما يعزى إليه ﷺ قوله: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[10] وقد تأسى به ﷺ في ذلك من جاء بعده من القادة الرواد الذين حذوا حذوه. وسعوا في تحصيل العلم والحث على الاشتغال به، ويهمنا هنا كلمة «الاشتغال به» فالعلم للعلم ليس هو غاية خلافة الإنسان في الأرض، ولا هو سبيل البناء والعمران، ولكن الأهم هو الاشتغال بالعلم وتناوله بالتطبيق لخدمة الإنسان وتطوير الحياة بما ينفع الناس إذعانا لأوامر الحق سبحانه وتعالى، والعمل في إطار تكاليفه، والعرفان بنعمته على الخلق، وتقديرا لتكريمه عز وجل لبني آدم حيث سجل سبحانه ذلك في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

تلك هي ملامح الإيجابية التي أرادها البارئ - جل - وعلا في مجال العلم والتعليم، أما خروج الأمر عن الحدود المشروعة التي حددها الله للبناء والعمران فذلك هو بحق ما تعلق به الآية الكريمة:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم ٤١)

حيث يتحول العلم إلى مارد شيطاني يأكل الحرث والنسل ويهدد حياة الآمنين، ويطفئ نور العقل، ويحرق روحانية الروح، ويدمر طهارة الجسد، ويفسد الخَلق والخُلق عصيانا للخالق ويفصح عمليا عن معاناة آدم وحواء حين بدت لهما سوءاتهما حيث لا يفيد في ستر هذه السوءات اليوم كل أوراق التوت في الأرض، وحيث أصبحت ضراعة المؤمنين اليوم - وقليل ما هم:

﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ (هود: ٤٣)

وأنه سبحانه:

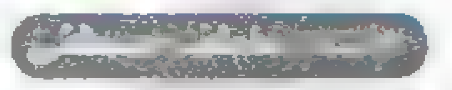
﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ (التوبة: ١١٨)

وهكذا ندرك أن من صور التكامل الذي خلق الله عليه الكون تكامل النظر مع العمل، أو الفكر مع التطبيق في إطار الحق والخير والإحسان وليس في إطار الباطل والشر والخسران، فلا يجدي بريق الأقوال مع ظلمة الأعمال، وهو ما شاع في هذا العصر بين الأفراد والجماعات، بل بين الدول والمنظمات.. ويا ليت قومي يعلمون.

(٩) - ابن عبد البر في العلم عن أنس.
(١٠) - من حديث للعقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل وابن ماجة «الجامع الصغير».

مؤتمر دولى بمدينة طنطا يبحث

التعارض بين أحكام الشريعة الإسلامية في مجال الأسرة وأحكام الاتفاقات الدولية



- المتحدثون فى المؤتمر يؤكدون على الأهمية المطلقة التى توليها الشريعة الإسلامية لحماية الأسرة المسلمة
- علينا كشعوب مسلمة أن نتمسك بمرجعيتنا الإسلامية وألا نستقى القوانين التى تشرع للأسرة والمرأة والطفل من أى مصدر خارج القرآن والسُنَّة
- الوثائق التى تطالب بتوحيد الأدوار بين الرجل والمرأة، تحرم المرأة من حق عظيم ميزها به الإسلام
- المؤتمر يؤكد حق الدول الإسلامية فى التحفظ على كل الوثائق والاتفاقات التى تتعارض مع الشريعة الإسلامية

شهدت مدينة طنطا على مدى ثلاثة أيام ابتداء من ٧ - ٩ شوال ١٤٢٩هـ الموافق ٧ - ٩ أكتوبر ٢٠٠٨م أعمال المؤتمر الدولي لأحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية، والذى يعالج قضايا مهمة، سواء على المستوى العقائدى أو على المستوى القانونى، أو على المستوى الاجتماعي. وهي قضية أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية.

شارك في المؤتمر علماء مسلمون من العديد من البلاد الإسلامية ببحوث مهمة أيضا وهادفة، كما شارك فى الإعداد له ثلاث جهات معنية في مقدمتها جامعة الأزهر ممثلة في كلية الشريعة والقانون بطنطا ورابطة الجامعات الإسلامية وجامعة طنطا.

وكان هذا المؤتمر تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والسيد اللواء عبد الحميد الشناوى محافظ الغربية، أما رئاسة المؤتمر فقد كانت لكل من الأستاذ الدكتور أحمد محمد الطيب رئيس جامعة الأزهر والأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام، وكان الدكتور عبد الفتاح صدقة هو رئيس شرف المؤتمر، أما المقرر فهو الدكتور إسماعيل عبد النبى شاهين عميد كلية الشريعة والقانون بطنطا.

وجاءت فكرة المؤتمر من منطلق أن أحكام الأسرة تمثل أهم مناطق النزاع الملتهبة في العلاقة بين القوانين الداخلية للدول من ناحية، والقانون الدولى العام من ناحية أخرى، حيث صدر فى هذا الإطار العديد من الاتفاقات والإعلانات والوثائق الدولية التى تناولت بشأنها رؤى ومواقف كثير من الدول والمنظمات الدولية العامة والخاصة، بل والمؤسسات الدينية الكبرى كالأزهر والفاتيكان، وكذلك المؤسسات المدنية على كل مستوياتها، وكان التفاوت فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية أكثر حدة وإثارة، فبينما يعتبر الشرق هذه الأحكام أحوالا شخصية، هى كل ما تبقى من شريعته السماوية، والتى مازالت تحفظ له بعضا من خصوصيته المفقودة وجزءا من ملامح هويته الممسوخة، يفرض الغرب هذه الأحكام باعتبارها أحد أهم حقوق الإنسان غير القابلة للتصرف، والتى تعد الأساس الأول للشريعة الدولية، والمرجع النهائى للحضارة العالمية، وذلك فى محاولة لعولمتها على أرجاء المعمورة، ومن ثم وجب بادئ ذى بدء تحديد وتشخيص المسائل التى تشكل تعارضاً بين الاتفاقات الدولية فى شأن أحكام الأسرة، وبين القوانين الداخلية لمختلف الدول، ومنها الشريعة الإسلامية، إذ أن عدد التحفظات الواردة على هذه الاتفاقيات تنبئ عن مدى وحجم هذا التعارض، فضلا عن الدول التى امتنعت أصلا عن التوقيع وعلى رأسها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

أهداف المؤتمر

ومن أهم وأبرز أهداف المؤتمر:

■ حصر مواطن الخلاف بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات الدولية ذات الطابع الاجتماعي على أسس علمية.

■ تحديد المفاهيم الخاصة بالأطر والحقوق والمبادئ التي تندرج فيها أحكام الأسرة كالحقوق العامة والخاصة، والحقوق الفردية للإنسان، ومبادئ المساواة والحرية والتنمية والسلام .. إلخ.

■ إبراز أهمية الاستناد إلى أحكام الشريعة الإسلامية في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمعات، وتحقيق التوازن النفسي والخلقي للفرد والمجتمع على السواء.

■ الإسهام في إيجاد تقارب حقيقي بين الشرق والغرب، من خلال صياغة الشروط اللازمة لإقامة حوار فعلي بين أنظمة قانونية مختلفة لكل منها مجال صلاحيته، دون الافتئات على الآخر، أو محاولة إلغائه وإدماجه.

بحث القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة

استهدف المؤتمر الدولي بحث مدى الاتفاق والاختلاف بين أحكام الأسرة في شريعتنا الإسلامية، وبين الاتفاقات الدولية المعاصرة، مثل اتفاقية السيداو «الخاصة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وغيرها من الاتفاقيات».

وقد عقدت الجلسة الافتتاحية والتي أكد فيها جميع المتحدثين على الأهمية المطلقة التي توليها شريعتنا الإسلامية لحماية الأسرة المسلمة، وعلى ضرورة التصدي بالرفض والتحفظ على كل النصوص الواردة في الاتفاقيات والإعلانات الدولية التي تتعارض جوهريا مع مبادئ وأحكام شريعتنا الإسلامية مثل توحيد الأدوار بين الرجل والمرأة توحيدا مطلقا، ومثل المطالبة برفع ولاية الأب عن ابنته البكر في الزواج، ومثل حق المرأة في جسدها دون ضوابط شرعية، ومثل إلغاء التمايز بين الذكورة والأنوثة، والاكتفاء بمصطلح النوع الإنساني (الجندر) وإلى مثل هذا من بنود تتصادم تصادما جوهريا مع شريعتنا الإسلامية.

وعلى مدى ثلاثة أيام قدم أكثر من خمسين بحثا تغطي ثلاثة محاور أساسية

المحور الأول:

دراسة أهم الاتفاقيات والوثائق الدولية المتعلقة بأحكام الأسرة من - جوانبها المختلفة: اجتماعية فلسفية - قانونية.. إلخ.

ومنها: اتفاقية الحقوق السياسية للمرأة عام ١٩٥٢.

■ اتفاقية جنسية المرأة المتزوجة.

■ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة عام ١٩٧٩م.



■ الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٩٣م.

المحور الثاني:

دراسة تحليلية لأوجه التعارض بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية في شأن أحكام الأسرة وأسس التعارض، ومن بين ما تضمنته موضوعاته:

- الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والمدنية للمرأة.
- وسائل الزواج «رضاء الطرفين بالزواج - الحد الأدنى لسن الزواج - تسجيل عقود الزواج».
- المساواة بين الرجل والمرأة «الميراث - الشهادة - القوامة - التعدد - الأجر - الأدوار «الجندر».
- فلسفة وجود الأسرة بين الشريعة والاتفاقات الدولية.

المحور الثالث:

فقد تناول تطبيق الاتفاقات الدولية المتصلة بالأسرة داخل الدولة وتضمن عدداً من البحوث التي تناولت:

- أوجه التعارض بين الاتفاقات الدولية والشريعة الإسلامية.
- موقف الفقه الدولي وموقف القوانين الداخلية للأسر وموقف القضاء الدولي والعمل الدولي «مواقف الدول».
- مدى الالتزام بتطبيق الاتفاقات المتصلة بالأسرة في ظل التعارض القائم بين الشريعة الإسلامية والإعلانات الدولية، والتحفظ من قبل الدول الإسلامية على الاتفاقات.

كما عقدت على هامش المؤتمر مائدتان مستديرتان بعنوان وسائل تفعيل مشاركة المجتمعات الإسلامية في صياغة الاتفاقيات الدولية.. الأولى بعنوان «التعامل مع التشريعات الدولية من منطلق الشريعة الإسلامية».

والثانية بعنوان: مدى شرعية إلغاء التحفظات على الاتفاقات الدولية.

مناقشات مثمرة

في الجلسة الثانية التي رأسها الدكتور إسماعيل عبد النبي شاهين عميد كلية الشريعة والقانون بطنطا ومقرر عام المؤتمر، وفي اليوم الأول (٧ شوال ١٤٢٩هـ ٧ أكتوبر ٢٠٠٨) كان المتحدثون ثمانية من المشاركين في المؤتمر، كل واحد منهم تحدث عن بحثه، وتم التعليق عليه من بعض الحضور، وكان من بين هذه البحوث بحث بعنوان المرأة المسلمة في المواثيق الدولية للدكتورة نورة بنت خالد السعد أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

أشارت د. نورة في بحثها إلى اهتمام الإسلام بالأسرة اهتماما بالغا وشرع لها تشريعات خاصة بتكوينها وأمنها وسلامتها حتى في حالات الخلل



الوظيفي لها عندما يفقد الزوجان مكامن المودة والسكن بينهما، نجد أن هناك تشريعات تحدد حقوق وواجبات كل منهما ليكون الانفصال أداة للتكامل وليس الصراع بين الطرفين لصالح الأبناء.

وأشارت إلى أن المرجعية الإسلامية هي التي تحكم جميع ما يرتبط ببناء الأسرى ولكل ما يتعلق بقضايا المرأة في المجتمعات الإسلامية والتي لابد أن تكون منبثقة من تعاليم الإسلام من قرآن ومن سُنّة وتنطلق كل من الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية في مسألة حماية الأسرة والأفراد، وتحقيق أمنهم من منطلق حقوق الإنسان، ويستمد كل منهما شرعيته في مسألة الحقوق من مرجعية ذات أصول فكرية وعقدية متباينة. وتقتضي منا المقارنة عند تناول قوانين حماية الأسرة والمرأة في كل من النظامين الإسلامي والدولي، بيان المنهجية والأسس التي تشكل المنطلقات الرئيسية في التعامل مع التشريعات ذات العلاقة بقضايا الأسرة والمرأة بصفتها «محور الاهتمام العالمي المعاصر» والتي ينبغي الإشارة إليها، وقالت في بحثها عن الأسرة المسلمة في المواثيق الدولية: إن الحقوق في الشريعة الإسلامية تعتمد «الحاكمية لله» مرجعية شاملة، وتدور الحريات في فلك حفظ مصالح الفرد والمجتمع، بينما تستمد الحقوق في المواثيق الدولية من العلمانية التي ترفض الدين وتسعى لإلغاء أثره نهائيا في المجتمعات الإنسانية فالشريعة الإسلامية تعطي المرأة حقوقا وتكلفها بواجبات. في حين أن المواثيق الدولية تركز على حقوق المرأة دون ذكر للواجبات، وتنظر إلى المرأة كفرد قائم بذاته. وفي حالة صراع وتنافس دائم مع الرجل.

والمواثيق الدولية تتعامل في تشريعاتها مع المرأة كفرد مستقل عن غيره، أما الإسلام فهو ينظر إلى المرأة والرجل ضمن مؤسسة الأسرة، وينظر إليهما وإلى الأسرة من خلال المصلحة العامة للمجتمع.

التمسك بالمرجعية الإسلامية

وتوضح د. نورة أن المواثيق الدولية تنطلق من رؤية منهجية مستمدة من فكر الحركة الأنثوية «Feminism» وهي من أقوى الحركات الفكرية التي ترعرعت في ظل النظام العالمي الجديد، وتمارس هيمنتها عبر منظمات الأمم المتحدة ومؤسسات المجتمع المدني، وتسعى لأن تكون المواثيق الدولية هي المرجعية في التشريع بالنسبة للمرأة، دون أن تأخذ في الاعتبار أية مرجعيات أخرى ثقافية كانت أو دينية.

فالخلاف الرئيسي بين تشريعات الأسرة في الإسلام وبين الأمم المتحدة، يتضح من خلال المرجعية، وهذا يصعب الدور، فالخالق جعل العالم قائما على الاختلاف والتعددية الثقافية والدينية التي لابد من احترامها، ولكننا بوصفنا شعوبا مسلمة لنا الحق في أن نتمسك بمرجعيتنا الإسلامية، وألا نستقي القوانين التي تشرع للأسرة والطفل والمرأة من أي مصدر خارج القرآن والسُّنّة في حين أن المواثيق الدولية للأسرة وللمرأة والطفل فيها الكثير من أوجه التعارض الشديد مع الدين الإسلامي.

فعلى سبيل المثال أقر الإسلام الكثير من الفوارق بين الرجل والمرأة، مثل عقد النكاح والقوامة والتعدد والنفقة والميراث ...إلخ.

وهذه الفوارق ليست ضد أي من الذكر والأنثى، بل هي متناسبة مع الدور الخاص بوظيفة وتكوين كل منهما، وهي في صالح الأسرة.

في حين تعد الاتفاقات الدولية هذه الفوارق تمييزا ضد المرأة، وهي بهذا تحرم المرأة من حقوقها الأساسية.

فحين تطالب الوثائق بتوحيد الأدوار بين الرجل والمرأة، تحرم المرأة من حق عظيم ميزها به الإسلام، وهو حقها في أن ينفق عليها زوجها؛ فالمرأة في الإسلام ليست مضطرة أن تعمل لتنفق على نفسها.

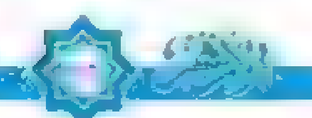
وحين تطالب المواثيق الدولية برفع ولاية الأب عن ابنته البكر في الزواج، فهي تحرم الفتاة من حق الحماية والاسترشاد برأي الأب والأهل بصفة عامة. والذي يحميها من الاختيارات الخاطئة، ويحميها من أن تتعرض للأذى أو الإهانة على يد زوج تعرفت عليه بعيدا عن الأسرة، وتحرم الأب بصفته المسؤول عن الأسرة من أدائه لواجباته.

أيضا حين تطالب المواثيق بما يسمى بحق المرأة في جسدها يجب أن يسمى في الواقع إسقاطا لحقوق المرأة التي أوجبها لها الإسلام، فالمرأة في الإسلام لها الحق في المهر والسكن والنفقة والرعاية والحماية التي تتوافر لها داخل منظومة الزواج، وبإقامة علاقة خارج الزواج، أو بعيدا عن منظومة الزواج تسقط كل هذه الحقوق، فتعطي المرأة كل شيء دون أن تحصل على أدنى حق من حقوقها

مصطلح غريب ومرفوض!

وتواصل د. نورة السعد بحثها المهم مبينة أن المواثيق الدولية ترفض حقيقة وجود اختلاف أو تمايز بين الجنسين، وتتبنى مصطلح النوع الاجتماعي «Gender» بديلا لمصطلح ذكر وأنثى، وذلك لإلغاء جميع التشريعات والمفاهيم المترتبة على الجنس، والدعوة إلى تماثل المرأة التام مع الرجل في الأدوار والموارد والمسؤوليات وهو من المصطلحات الخطيرة التي تعتمد عليها المؤتمرات في تنفيذ بما يحقق مضمونها البعيد عما تنادي به تشريعاتنا الإسلامية في حين أن الإسلام ينطلق في تشريعاته من وجود فروق جوهرية بين الرجل والمرأة، تحقق لكل منهما وظيفته في الحياة وتجعل كلا منهما مكملا للآخر.

لكن هذا لا يخفي أن هناك بنودا في مواثيق الأمم المتحدة من خلال «اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة» المعروفة بالسيداو



Cedaw تتفق مع تشريعات الإسلامية، بل في تشريعاتنا ما يفوق أهمية وخدمة للبناء الأسري في المجتمع، كما استعرضت الباحثة المواثيق الدولية ابتداء من عام ١٩٢١، بدءاً من الاهتمام بقضايا المرأة في المجتمعات الغربية، وتقنين حقوقها دون واجباتها، ودون النظر إليها باعتبارها جزءاً من الأسرة، ثم توضيح بنود الاتفاقية التي تعتبر الآن المرجعية القانونية لقضايا الأسرة، من خلال التركيز على دور المرأة فيها وفي المجتمع، التي تعارض بعض موادها مع التشريعات الإسلامية، والتي تشكل خطورة على البناء الأسري في المجتمعات المسلمة.

إعلان طنطا

في نهاية المؤتمر صدر إعلان طنطا، حيث أكد العلماء والمفكرون أن الأسرة لما كانت عماد المجتمع وقاعدة الحياة البشرية فإن الإسلام أولاها عناية فائقة، وجاء بالمبادئ والقيم التي تدعمها وتنفي عنها شوائب الضعف والاضطراب، وتكفل لها حياة الاستقرار والقوة لتظل دائما خلية حية في جسم المجتمع، تشد أزره، وتدفع عنه كل ما يهدده من مخاطر وأمراض.

وانطلاقاً من عناية واهتمام الإسلام بالأسرة وحرصاً على استمرار تماسكها وحمايتها من معاول الهدم، والتي أصبحت تحيط بها من كل جانب، وإيمانا بقوة المقاومة من شعوبنا العربية والإسلامية في مواجهة محاولات الهيمنة والسيطرة التي تمارسها قوى مضادة لاستقرار الأسرة المسلمة، واستبدالها بتشريعات وعقائد الأديان السماوية التي اتحدت كلمة أهلها على التصدي لمحاولات هدم الأسرة، دعت جامعة الأزهر ممثلة في كلية الشريعة والقانون بطنطا، ورابطة الجامعات الإسلامية، وجامعة طنطا إلى مؤتمر دولي لدراسة كل ما يتعلق بالأسرة، من خلال ما صدر من إعلانات وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة حول حياة الأسرة وحقوقها ساهم في هذه الدراسة نخبة من علماء الأمة المتخصصين وقدمت بحوث علمية تناولت قضيتين رئيسيتين

الأولى: مدى التعارض بين أحكام الشريعة الإسلامية، وأحكام الاتفاقات والإعلانات الدولية التي تنظم العديد من جوانب أحكام الأسرة، وتتفق أحيانا مع الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية التي خلت قبلها، والتي تتفق في جملة أحكامها الأساسية مع الشريعة الإسلامية.

الثانية: مدى حق الهيئات الدولية في إجبار الدول والحكومات على رفض هذه الاتفاقيات والإعلانات مع سلب حقها في التحفظ على هذه الاتفاقات بشرط عدم التعارض مع الشريعة الإسلامية.

وبعد مناقشة البحوث والدراسات أصدر المؤتمر عددا من التوصيات منها:

أولا: استعرض المؤتمر أهم الاتفاقات والإعلانات الدولية الخاصة بالأسرة، مثل اتفاقات إزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة «السيداو» واتفاقية جنسية المرأة المزدوجة وحقوقها السياسية، وحقوق الطفل، والإعلان بشأن حماية النساء والأطفال في حالات النزاع المسلح وإعلان القضاء على العنف ضد المرأة، والبروتوكول الملحق باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والاتفاقية الخاصة برضا الزواج، والحد الأدنى لسن الزواج، وتسجيل عقود الزواج. وتبين له أنها تتضمن أحكاما متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية مثل المساواة في الحقوق والواجبات في الجنسين، وضرورة توافر رضا الطرفين في الزواج، وحق كل طرف في حل عقدة النكاح، إذا قامت لديه أسباب واضحة لذلك.

ويعلن المؤتمر تأييده للوثائق الدولية التي تستهدف كل أشكال التمييز ضد المرأة، والأوضاع المتردية التي تحيط بها في كثير من المجتمعات.

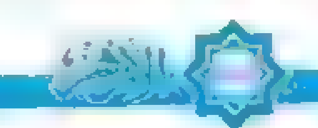
ثانيا: يعلن المؤتمر رفضه لكافة الإعلانات والاتفاقات التي تخالف نصوصها الشرائع السماوية، وتسعى إلى إعطاء المرأة حقوقا لا تتفق مع فطرتها، أو تسعى إلى إلغاء الفوارق الفطرية، بين رسالة الرجل والمرأة في المجتمع، كالمساواة التامة في الميراث أو الحق في إيقاع الطلاق، أو حقوق الرجل في القوامة، أو واجب الرجل في الإنفاق على بيته وتربية أولاده.

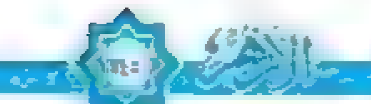
ثالثا: راجع المؤتمر كل الوثائق والاتفاقات التي يقصد بها هدم الفضائل التي تقرها الأديان والشرائع السماوية، ويستنكر إباحة الزواج المثلي، أو الحرية الجنسية بين الرجل والمرأة، كما يستنكر إباحة الاختلاط بغير عذر شرعي وضرورة ملحة

رابعا: يؤكد المؤتمر حق الدول الإسلامية في التحفظ على كافة الوثائق والاتفاقات التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية، تأكيداً لأحكام القانون الدولي بهذا الخصوص ويرفض سلب الدول هذا الحق المقرر قانونا لأي سبب مهما يكن، كما يؤكد حق ممثلي الدول في المؤتمرات والمنظمات الدولية في عدم إقرار أية قواعد لا تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، والشرائع السماوية الأخرى والقوانين الداخلية.

خامسا: يستحث المؤتمر اتباع الديانات السماوية الوقوف صفا واحدا ضد محاولات الافتئات على كيان الأسرة أو إضعافها، كما يدعو المؤتمر إلى تعزيز الإشباع الديني للإنسان تحقيقا للرقابة الذاتية وحدا من حب الشهوات والملذات الحسية التي أدت إلى إهدار آدمية الإنسان وتدمير قيمه.

وأخيرا.. يحض المؤتمر الآباء والأمهات على أن يكونوا أسوة حسنة لأبنائهم في الأقوال والأفعال، ومراقبة سلوك هؤلاء الأبناء حماية لهم من رفقاء السوء.





الدرع الصاروخى الأمريكى والأمن القومى الروسى



تشكل منطقة شرق أوروبا، منذ القدم بالنسبة للأمن القومى الروسى، أهمية استراتيجية خاصة، فقد كانت بولندا وتشيكوسلوفاكيا، على وجه الخصوص، هما المعبر الذى عبرت من خلاله القوات الغازية إلى روسيا، كما تعتبر هذه المنطقة الحيوية، منطقة عازلة بين الأراضى الروسية، وأى محاولات عدوانية تأتى من غرب أوروبا عليها، ومن هنا جاء حرص القيادة السياسية الروسية للسيطرة عليها، ومد نفوذها إليها، لرد أى اعتداء عليها من الغرب الأوروبى.

وتسعى روسيا الاتحادية فى الوقت الحالى، جاهدة إلى عدم وقوع هذه المنطقة تحت الهيمنة الأمريكية. ومن اللافت بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق فى بداية التسعينيات من القرن العشرين بادر حلف شمال الأطلسى (الناتو) بتوسيع عضويته حتى الحدود الروسية، بإيعاز من الولايات المتحدة الأمريكية، ففى قمة الحلف فى مارس ٢٠٠٤، تم قبول عضوية سبع دول من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق هى.. أستونيا، ولاتفيا، وليتوانيا (وهى دول البلطيق)، وبلغاريا، ورومانيا، وسلوفاكيا، وسلوفينيا، برغم تواضع قدراتها العسكرية التى لا تؤهلها لهذه العضوية فى الناتو، والهدف من وراء ذلك واضح وهو حصار روسيا الاتحادية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أصدر البرلمان الأوكرانى قرارا يتيح للحلف حق المرور عبر الأراضى الأوكرانية، وحق القيام بعملية تطوير وتحديث على نطاق واسع للمنشآت العسكرية لدول البلطيق الثلاث «أستونيا، لاتفيا، ليتوانيا» التى انضمت إلى الناتو. ولقد أثارت هذه الإجراءات من جانب الحلف، قلق روسيا الاتحادية، التى رأت أن توسيع هذا الحلف بهذه الصورة، يمثل تحديا خطيرا للأمن القومى الروسى، وهو ما وضع الناتو أمام البوابة الروسية، وفى إطار الاستراتيجية الأمريكية للهيمنة على منطقة شرق أوروبا، أعلنت واشنطن عزمها على مد درعها الصاروخى المضاد للصواريخ إلى هذه المنطقة الحساسة، فاتفقت مع كل من بولندا، وجمهورية التشيك، على نشر ١٠ بطاريات من الصواريخ الاعتراضية على أراضى الأولى، ونصب قاعدة رادار، على أراضى الثانية، واختار خبراء الاستراتيجية الأمريكية قرية «ريجيكوفو» البولندية التى تبعد فقط ٢٠٠ متر عن جيب «كالينينجراد» الروسية لنشر قطع الدرع الصاروخى الأمريكى، كما اختاروا منطقة «بردى» العسكرية التشيكية، لنشر الرادار الأمريكى. وأكد رئيس وكالة الدفاع الصاروخى الأمريكى «هنرى أوبرنج» أن قاعدة الرادار المزمع إقامتها فى جمهورية التشيك، والصواريخ الاعتراضية العشرة فى بولندا، ستصبح عناصر من نظام صاروخى عالمى، يشمل أيضا رادارا فى بريطانيا، وقد صرح «أوبرنج» بأن النظام الصاروخى الأمريكى سوف يدافع عن جمهورية التشيك، ودول وسط أوروبا الأخرى ضد التهديدات الإيرانية. ومن جانب آخر حددت وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندا ليزا رايس» الهدف من الدرع الصاروخى الأمريكى حينما قالت: «إن هذه الاتفاقية، ستقيم موقعا للدفاع الصاروخى فى بولندا، يساعدنا فى التعامل مع المخاطر الجديدة للقرن الحادى والعشرين، للصواريخ البعيدة المدى من دول مثل إيران وكوريا الشمالية» وتقول واشنطن إن الصواريخ الاعتراضية فى بولندا، ومحطة الرادار فى جمهورية التشيك، ستشكل جزءا من درع صاروخى عالمى لحماية الولايات المتحدة وحلفائها من الصواريخ الطويلة المدى التى قد تطلقها فى المستقبل إيران أو جماعات متشددة مثل القاعدة.

ويذكر مسئولون أمريكيون أنه «إذا مضى كل شىء، وفقا لما هو مقرر، فإن قاعدة الصواريخ الاعتراضية، ستكون جاهزة للتشغيل بحلول عام ٢٠١٢».

وفى هذا السياق قال الرئيس الأمريكى «بوش» «إن الدرع الصاروخى الدفاعى قد يقنع إيران بالتخلى عن برنامجها النووى».

ويقوم الدرع الصاروخى على نظام الإنذار المبكر، وهو مصمم لاعتراض الصواريخ العابرة للقارات، حيث يقوم الصاروخ الاعتراضى، باعتراض الصاروخ العابر، وتفجيره فى الفضاء قبل وصوله إلى هدفه إلى الأرض، وترى موسكو أن نشر ١٠ صواريخ اعتراضية على الأراضى البولندية، ونصب قاعدة رادار على الأراضى التشيكية، ليست لها علاقة بالتهديد الإيرانى فقال الرئيس الروسى «ديمترى ميدفيديف» «إن إقامة قوى جديدة مضادة للصواريخ فى أوروبا الشرقية تستهدف روسيا الاتحادية» وأكد وزير الخارجية الروسى معارضة موسكو نشر الدرع الصاروخى الأمريكى فى شرق أوروبا لأنها تهدد الأمن

القومي الروسي، وقال «لا يمكننا إلا أن نرى أخاطر تتكشف نتيجة مجيء القوات الاستراتيجية الأمريكية قرب حدودنا»، وقد اعتبرت روسيا قرار مجلس الشيوخ الأمريكي في ١١ سبتمبر ٢٠٠٨ بالموافقة على إنشاء محطة رادار وإنذار مبكرًا جديدة، ضمن عمليات توسيع الدرع الصاروخي، تصعيدا خطيرا، ومواصلة لنهج عسكرة أوروبا، وتوتيرا للوضع في القارة الأوروبية كما جاء بيان وزارة الخارجية الروسية ليعلن أنه «سيكون على روسيا في هذه الحالة أن ترد، ولن يقتصر ردها على الاحتجاجات الدبلوماسية». وقال قائد قوات الصواريخ الاستراتيجية الروسية: «نيكولاى سولو فتسوف» «إن روسيا ستوجه بعض صواريخها العابرة للقارات إلى مواقع المنظومة المضادة للصواريخ، التي تعتزم واشنطن نشرها في بولندا وجمهورية التشيك» ولم يستبعد «سولو فتسوف» توجيه عدد من الصواريخ الروسية إلى مواقع أخرى مماثلة في المستقبل في إشارة إلى جمهوريات البلطيق الثلاث التي تتخذ موقفا عدائيا من روسيا وهي إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، خاصة بعدما تردد مؤخرا عن احتمال نشر درع صاروخي أمريكي في هذه المنطقة أيضا.

ولعل إعلان روسيا تجميد العمل بمعاهدة الحد من الأسلحة التقليدية في أوروبا، جاء جزءا من ردود الفعل الذي توعدت بها موسكو في حالة إصرار واشنطن على نشر درعها الصاروخي كما أعلن قائد القوات الفضائية الروسية، الجنرال «فلاديمير بوبو فكين» أن «منظومة صاروخية فضائية تعرف باسم «روكوت» ستدخل الخدمة العسكرية في نهاية عام ٢٠٠٨ إلى جانب صواريخ جديدة متطورة من طراز «إيجادا».

ويذكر مركز الدراسات الاستراتيجية الروسي أن موسكو قد تنشر دبابات ومدرعات، ومنظومات صاروخية في إقليم «كالينجراد» الروسي القريب من الحدود البولندية، ومنطقة «سكوف» الواقعة على البحر الأسود، بالإضافة إلى منطقة «فلاديقوقاز» في الجنوب الروسي كرد فعل لنشر عناصر من الدرع الصاروخي في كل من بولندا وجمهورية التشيك. كما أعرب رئيس الوزراء الروسي «فلاديمير بوتين» عن نيته نشر منظومة أسلحة «فائقة التطور» في أذربيجان، لمواجهة الدرع الصاروخي الأمريكي، وفي هذا السياق أجرت روسيا مؤخرا تجربة ناجحة لصاروخ عابر للقارات متعدد الرءوس، قادر على اختراق الدرع الصاروخي الأمريكي المضاد للصواريخ، فيذكر مسئولون عسكريون روس «إن الصاروخ الذي أطلق من غواصة روسية، أصاب أهدافه في «كورا» في شبه جزيرة كامتشاتكا، في أقصى شرق روسيا»، وصرح قائد قوات الصواريخ الاستراتيجية الروسي «نيكولاى سولو فتسوف» في إطار مواجهة نشر الدرع الصاروخي في كل من بولندا و التشيك بأن «القوات الاستراتيجية الروسية، ستجري تجارب إطلاق ٤ صواريخ عابرة للقارات قبل نهاية عام ٢٠٠٨، بما في ذلك تجربة إطلاق صاروخ باليستي عابر للقارات من طراز «آر إس - ٢٤» من قاعدة «بليسيتسك».

ويذكر في هذا الصدد أن مدى الصواريخ الاعتراضية الأمريكية يبلغ ٢٠٠٠ كم، بينما تقع بولندا نفسها على بعد ٤٠٠٠ كم عن إيران، الذي يجري إنشاء الدرع الصاروخي في أوروبا ضدها -يزعم واشنطن- وهو ما يثير شكوك روسيا، بأن هذه الصواريخ الاعتراضية موجهة ضدها، وليس ضد إيران، فقال الناطق باسم وزارة الدفاع الروسية الجنرال «نيقولا أوفاروق»: «إن عناصر المنظومة الأمريكية المضادة للصواريخ، المزمع نشرها في أوروبا تستهدف روسيا، بما فيها قواعد الصواريخ الاستراتيجية في «كوزيلسك»، و «مقاطعة كالوجا» وفي هذا الصدد قال «سيرجي لافروف» وزير الخارجية الروسي: «إذا كانوا يتحدثون عن تهديدات محتملة من إيران، أو كوريا الشمالية، فكان يجب نشر الصواريخ الدفاعية في مواقع مختلفة»، ومن هنا صرح الرئيس الروسي السابق «بوتين» ورئيس الوزراء الحالي في مؤتمر صحفي في الكرملين بقوله: «إن اختصاصيينا لا يجدون أن منظومة الدفاع المضادة للصواريخ المزمع نشرها في بلدان أوروبا الشرقية، تستهدف التصدي للخطر القادم من إيران أو من إرهابيين معينين» واعتبر «بوتين» أن حجج واشنطن لنشر منظومة الدفاع الصاروخي الأمريكي في أوروبا «باطلة» وغير مقنعة، وأن الأمر كله يتعلق بروسيا مباشرة وأنه سيثير رد الفعل المطلوب. ويقول الكرملين «إن ما تقوله الولايات المتحدة حول أهداف الدرع الصاروخي غير حقيقي» وعارض هذا الدرع بوصفه تهديدا للأمن القومي الروسي.

ومن جهة أخرى أكد «فيليب كويل» مستشار مركز معلومات في واشنطن ومساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق «وأن إيران لا تمثل خطرا على موقع الدرع الصاروخي الأمريكي، المخطط له في شرق أوروبا، وأن الدرع سوف يعجز عن التصدي لخطر إيراني مفترض في المستقبل»، والحقيقة كما تقول وكالة الدفاع الصاروخي الأمريكي رسميا «إن الغرض الأول من هذا الدرع، المزمع نشره على الأراضي التشيكية في صورة قاعدة رادارية، هو حماية أجهزة الرادار الموجودة في جرينلاند، وبريطانيا، وهو يكشف زيف المزاعم الأمريكية بأن الدرع الصاروخي الأمريكي هو لحماية الولايات المتحدة وحلفائها، من صواريخ تدون مارقة مثل إيران وكوريا الشمالية. ويتساءل محللون عسكريون: هل هناك تهديد حقيقي من إيران على أوروبا في الوقت الحالي؟ وتأتي الإجابة من جانبهم بأن المسافة بين طهران، وبراغ العاصمة التشيكية التي تستضيف الرادار الأمريكي هي نحو ٣٤٠٠ كم، وأن أطول مدى للصواريخ التي تمتلكها إيران حاليا هو حوالي ١٥٠٠كم أي أنها لا تقطع، ولا حتى نصف المسافة إلى «براغ» ويصل هؤلاء المحللون العسكريون إلى نتيجة مفادها أنه ليس هناك خطر من إيران على برنامج الدرع الصاروخي الأمريكي، كما تزعم واشنطن.

ومن هنا هدد الرئيس الروسي السابق «بوتين» بالانسحاب من معاهدة القوات التقليدية في أوروبا، وأعلن أنه لا يعتبر نفسه ملتزما بها، وجاء تحذير روسيا باتخاذ إجراءات مناسبة لمواجهة الدرع الصاروخي الأمريكي على لسان السفير الروسي في «براغ» «إنكساى فيدتوف» قبل يوم من موعد توقيع وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندليزا رايس»

مع نظيرها التشيكي «كارل شفارتسنبرج» على الاتفاقية الخاصة بوضع القاعدة الرادارية الأمريكية في منطقة «بردي» العسكرية التشيكية. ويذكر أن واشنطن عجزت عن اقناع موسكو بأن نشر هذه الصواريخ في أوروبا هي بهدف حفظ الأمن العالمي، وحماية الولايات المتحدة نفسها وجزء كبير من أوروبا من الصواريخ التي توجهها بعض الدول المارقة مثل إيران وكوريا الشمالية، لذلك فإن واشنطن عرضت على روسيا في محاولة لتجنب اعتراضاتها، بأن ترسل مراقبين روسا، إلى قواعد الدرع الصاروخي الأمريكي في بولندا، وجمهورية التشيك للاطلاع عن قرب على برنامج وأهداف المشروع الدفاعي الأمريكي، لكن موسكو أصرت على أن يكون لها وجود دائم لمفتشيها في القاعدة الرادارية في جمهورية التشيك وأنها لن ترضى بأقل من ذلك لكن يبدو أن كلا من بولندا والتشيك تعارضان هذا الوجود الروسي على أراضيهما ولو في شكل مفتشين، وهذا ما يباركه الأمريكان، وترى روسيا أن مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي المزمع إقامته في بولندا، وجمهورية التشيك، ينتهك مناطق نفوذها السابق، ويخل بموازنات القوى خلال فترة ما بعد الحرب الباردة، كما انتقد الرئيس الروسي السابق «فلاديمير بوتين» الولايات المتحدة بتخطي حدودها القومية بشتى السبل، والترويج لسباق تسلح دولي من جراء نشر عناصر من الدرع الصاروخي الأمريكي في بعض دول الاتحاد السوفيتي السابق مثل بولندا أو التشيك، ويرد وزير الخارجية الروسي «سيرجي لافروف» على المزاعم الأمريكية فيقول: «إن اكتساب أمريكا قدرة على اعتراض الصواريخ الروسية، قد تتيح لها النظر في إمكانية تسديد ضربة نووية على روسيا، دون تخوف من رد فعل انتقامي» وتعارض روسيا الخطط الأمريكية لإقامة نظام دفاعي صاروخي عالمي. كما تسعى إلى إلغاء معاهدة الحد من الصواريخ البالستية «ABM» الموقعة عام ١٩٧٢ والتي انسحبت منها واشنطن، وتعتبرها موسكو حجر الزاوية لاستتباب الأمن الدولي. وفي هذا السياق هدد الرئيس الروسي السابق «بوتين» بتوجيه صواريخ بلاده إلى أوروبا، إذا مددت الولايات المتحدة أنظمة الصاروخية إلى أوروبا الشرقية، ويرفض التصريحات الأمريكية بأن النظام الصاروخي الأمريكي يهدف إلى الوقاية من أي تهديدات من الدول التي تعتبرها واشنطن «مارقة» مثل إيران وكوريا الشمالية. ويقول «بوتين» «إن هدفه الحقيقي هو روسيا»، وإذا كان إعلان موسكو عدم التزامها بالاتفاقية الخاصة بمراقبة القوات المسلحة التقليدية في أوروبا جاء في إطار المخطط الأمريكي لنشر الدرع الصاروخي الأمريكي في بعض دول أوروبا فالحقيقة أن حلف شمال الأطلنطي (الناتو)، الذي يضم ٢٧ دولة، لم يصدق حتى الآن على اتفاقية ١٩٩٩ الخاصة بهذه القوات، وأن الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، تستغل الوضع لتوسيع تفوقها العسكري لذلك قال «بوتين» «إن شركاءنا لا يتصرفون بشكل سليم» واتهم الولايات المتحدة بفرض سيادتها العسكرية على العالم، واعتبر أن إقامة واشنطن لهذه النظم الصاروخية في بولندا والتشيك، والتي قالت إنها موجهة ضد الدول المارقة مثل إيران، وأسلحتها النووية المحتملة، هو أكبر مثال على عدم احترام المصالح الروسية، كما أعلن الرئيس الروسي «ديمتري ميدفيديف» «إن روسيا سترد على نشر عناصر الدرع الصاروخي الأمريكي في بولندا والتشيك، ردا عسكريا، إذ إن هذه الصواريخ سيتم وضعها بالقرب من حدود روسيا، وهي بذلك تهددها بخطر فعلي. وتخلق توترا إضافيا بالنسبة لها، وسيتعين عليها أن ترد عليها، وستتخذ موقفا سلبيا من احتمال ضم جورجيا وأوكرانيا إلى حلف شمال الأطلنطي (الناتو)» مؤكدا أنه لا يرى أي ضرر في قطع العلاقات مع الناتو، واللافت في هذا الصدد أن روسيا ليست عضوا في الناتو. فقد تبلورت العلاقات بين الجانبين عام ٢٠٠٢ من خلال تأليف «مجلس الناتو – روسيا»، حيث وصلت هذه العلاقات إلى مرحلة متقدمة، خاصة بعد تعاون موسكو مع الناتو على مكافحة الإرهاب في إطار خطة مجلس الناتو – روسيا عام ٢٠٠٤، غير أن هذه العلاقات توترت مؤخرا بين الجانبين، بعد دخول القوات الروسية جورجيا في الثامن من أغسطس ٢٠٠٨، للدفاع عن استقلال كل من أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة تؤيد وبشدة انضمام جورجيا لحلف الناتو –وهو ما لا يرضي روسيا– حتى يتم الوصول إلى الحدود الروسية مباشرة، ومراقبة والتحكم في أي تحرك روسي، وقمع أي تهديد من جانب موسكو، ومن ناحية أخرى نجحت واشنطن في استثمار النزاع الروسي – الجورجي، في توقيع معاهدة نشر الدرع الصاروخي الأمريكي مع بولندا في الرابع عشر من أغسطس ٢٠٠٨، وهو ما تراه روسيا تهديدا مباشرا لأمنها القومي، وبذلك ضربت الولايات المتحدة عصفورين بحجر واحد، وهو توقيع الاتفاق مع بولندا وتضييق الخناق على موسكو.

وفي الختام يمكن القول أن القيادة الروسية الجديدة في عهد رئيسها الجديد «ميدفيديف» ورئيس وزرائها الحالي ورئيسها السابق «بوتين» ليست قلقة فقط من مجرد نشر ١٠ صواريخ اعتراضية أمريكية في بولندا، وقاعدة رادار في جمهورية التشيك، بل أيضا من غياب الشفافية في المنظومة الصاروخية الاعتراضية الأمريكية، التي تزمع واشنطن نشرها، وهو ما يعني –في المنظور الروسي– أن الأمريكيين ربما يوسعون تواجد ترسانتهم الصاروخية في أوروبا من دون أخذ رأي موسكو في الاعتبار. لذلك فإن هذا المشروع الأمريكي الطموح يمثل أكبر التحديات التي تواجه الدب الروسي الذي انتفض مؤخرا من سباته، وبدأ يكشر عن أنيابه في مواجهة العدو الأمريكي بمطامعه التي ليس لها حدود في السيطرة على منطقة القوقاز بنفطها وغازها ، وبسط هيمنته على أهم الدول المحيطة أو القريبة من حدود روسيا التي كانت تابعة في السابق للاتحاد السوفيتي قبل انفراط عقده، والهدف واضح هو محاصرة روسيا الاتحادية التي بدأت تستعيد عافيتها في عهدها الجديد، وتهديد أمنها القومي، وتقليص دورها في الإسهام في حل القضايا الدولية الشائكة على المسرح العالمي، حتى لا تكون منافسا عنيدا للولايات المتحدة الأمريكية التي تريد أن تتربع دائما على القمة بلا منازع.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حتى تردوا المظالم إلى أهلها

■ قال سفيان الثوري:

بلغني أن قوما من بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة، وكانوا يخرجون إلى الجبال يبكون، ويتوسلون بني لهم، فأوحى الله إليه: «لو مشيتم بأقدامكم حتى تحفى ركبكم، وتبلغ أيديكم عنان السماء، وتكلّ ألسنتكم عن الدعاء، فإني لا أجيب لكم داعيا، ولا أرحم باكيا، حتى تردوا المظالم إلى أهلها، ففعلوا، فأمطرت السماء.

البلاغة في الطلب

■ دخل الأحنف بن قيس على معاوية وافدا عن أهل البصرة، ودخل معه النمر بن قطبة، وعلى النمر عباءة قطوانية، وعلى الأحنف مدرعة صوف وشملة، فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتهما عينه، فقال النمر: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها. فأومأ إليه فجلس، ثم أقبل على الأحنف فقال: ثم مه؟ فقال: يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير، وعظم كسير، مع تتابع من المحول، واتصال من الذحول، فالمكثر فيها قد أطرق، والمقل قد أملق، وبلغ منه المخنق، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير، ويجبر الكسير، ويسهل العسير، ويصفح عن الذحول، ويداوي المحول، ويأمر بالعطاء، ليكشف البلاء، ويزيل اللأواء، وإن السيد من يعم ولا يخص، ومن يدعو الجفلى ولا يدعو النقرى، إن أحسن إليه شكر، وإن أسيء إليه غفر، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عمادا يرفع عنهم الملمات، ويكشف عنهم المعضلات.

فقال له معاوية: هاهنا يا أبا بحر، ثم تلا قوله تعالى:

﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾[1]

طلب المغفرة

■ لما حضرت معاوية الوفاة جعل يقول:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذابا لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب رحيم عن مسيء ذنوبه كالتراب

(١) الآية رقم ٣٠ من سورة محمد.

نقول: «قوله المحول جمع محل وهو الجدب، والذحول الضغائن، واللأواء الشدة، والجفلى الدعوة العامة للطعام، والنقرى الدعوة الخاصة، وكلاهما بلاث فتحات، ولحن القول فحواه وإشاراته».

تكلف

لي صديق يرى حقوقي عليه نافلات، وحقه الدهر فرضا
لو قطعت البلاد طولا إليه ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما فعلت غير كثير واشتهى أن يزيد في الأرض أرضا

وقال صالح بن عبد القدوس في صديق السوء:

تجنب صديق السوء واصرم حباله وإن لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف من غير أهله يجده وراء البحر أو في قراره
ولله في عرض السماوات جنة ولكنها محفوفة بالمكاره

هذا هو الغسل الذي أراده

■ لما مرض الإمام الشافعي – رضي الله عنه – مرضه الذي مات فيه قال لقومه: إذا أنا مت فقولوا لفلان يُغَسِّلني، فلما تُوُفِّيَ وبلغه الخبر قال: ائتوني بتذكرته، فجيء بها إليه، فوجد فيها على الشافعي سبعين ألف درهم دينا لفلان وفلان، فكتبها الرجل على نفسه وقال: هذا هو الغسل الذي أراده.

لا عليك

■ قرأ أحد الناس كلمة تهجم عليه في إحدى الصحف، فشكا ذلك إلى بعض أصدقائه، فقال له:

«لا عليك يا صاحبي من هذا كله، فإن نصف قراء الصحيفة لم يلاحظوا هذه الكلمة، ونصف الذين لاحظوها لم يطالعوها، ونصف الذين طالعوها لم يفهموها، ونصف الذين فهموها لم يصدقوها، ونصف الذين صدقوها لا أهمية لهم، فماذا يبقى بعد ذلك»؟!

من طرائف الحكمة

■ قيل لقس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه، فقيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف الإنسان عند علمه، فقيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

■ وقال الحسن: التقدير نصف الكسب، والتودد نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم.

■ وقالوا: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كرضا عن الله، وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل.

■ وقالوا أفضل البر الرحمة، ورأس المودة الاسترسال، ورأس العقوق مكاتمة الأدنين.

جود عبيد الله بن عباس

■ كان عبيد الله بن عباس من أجود الناس وأسخيائهم، قيل إنه جاءه رجل من الأنصار فقال: يا ابن عم رسول الله إنه ولد لي في هذه الليلة مولود، وإني سميته باسمك تبركا مني به، وإن أمه ماتت، فقال عبيد الله: بارك الله لك في الهبة، وأجزل لك الأجر على المصيبة، ثم دعا بوكيله فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته.

ثم قال للأنصاري: عد إلينا بعد أيام، فإنك جئتنا وفي العيش يبس، وفي المال قلة، قال الأنصاري: لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا، ولكنه سبقك فصرت له تاليا، وأنا أشهد أن عفوك «أي قليلك» أكثر من مجهوده، وطل كرمك أكثر من وابله!

الإذن عند العرب

■ قال زياد لحاجبه عجلان: كيف تأذن للناس؟

■■ قال: على البيوتات، ثم على الأسنان، ثم على الآداب.

■ فقال له الأمير: فمن تؤخر؟

■■ قال الحاجب: من لا يعبأ الله بهم.

■ قال الأمير: ومن هم؟

■■ قال الحاجب: الذين يلبسون كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء.

وكان سعيد بن عتبة إذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا، فقيل له: إنك لتباعد من الأذن جهدك. قال: لأن أدعى من بعيد، خير من أن أقصى من قريب. ثم قال:

إن مسيرى في البلاد ومنزلي ... هو المنزل الأقصى إذا لم أقرب

ولست وإن أدنيت يوما بقائل ... خلافي ولا دينى اعطاء لمحب

وقد عده قوم تجارة رابح ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

حسن الظن بالإخوان

■ قال محمد بن بشار:

عَلِط الفتى في قوله ... من لم يردك فلا ترده

من نافس الإخوان لم ... يبد العتاب ولم يعده

عاتب أخاك إذ هفا ... واعطف بودك واسعده

وإذا أتاك بغيبة ... واش فقل لم تعتمده

بلاغة الاستعطاف

■ لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي ومثل بين يديه، قال إبراهيم: كل ذنب دون عفوك، فإن صفحت فبكرمك، وإن أخذت فبحقك.

ثم قال: يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جرمي يبلغ سفك دمي، فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه، ولي بعدهما شفعة الإقرار بالذنب، وحرمة الأب بعد الأب. فقال المأمون: لو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك، لبعث إليه حسن توصلك. ولطيف تعلك.

إبراهيم هذا كان عما للمأمون، خرج عليه وقاتله ليغتصب الخلافة منه.

عدل الولاة

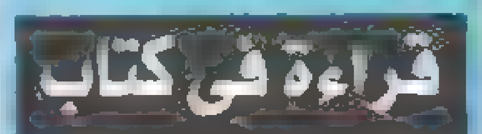
■ قال ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال: استعمل ابن عامر عمرو بن عروة أصبغ على الأهواز، فلما عزله قال له: ما جئت به؟ قال له: ما معي إلا مائة درهم وأثواب. قال ابن عامر: كيف ذلك؟ قال أصبغ: أرسلتني إلى بلد أهله رجلان: رجل له مالي وعليه ما علي، ورجل له ذمة الله ورسوله. فوالله ما دريت أين أضع يدي. فأعطاه ابن عامر عشرين ألفا مكافأة له على أمانته.

وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا إلا الله.

وقال النبي ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة».

دعاء

■ اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة، ووفقنا للتزود قبل النقلة، وألهمنا اغتنام الزمان وقلة المهلة اللهم الطف بنا في قضائك، وهب لنا ما وهبت لأوليائك واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك.





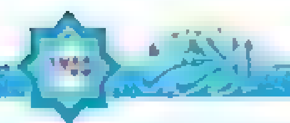


كان من أبرز علامات شخصية مسعود أنه كان قوى العقيدة طاهرا عفيفا شجاعا مقداما صاحب عقل راجح ثاقب البصيرة. وكان بسيطا صاحب شرف ومروءة متواضعا حرا.

وسنكمل قراءة مقدمة المؤلف التي خص بها القارئ العربي إذ يقول:

في عام ١٩٨٢ م قام الاتحاد السوفيتي بحملة على وادي بنجشير للمرة الخامسة وطالت الحرب شهورا ووصلت إلى النهاية ولم يستطع أي طرف أن يغلب على الآخر، وفي هذه الأجواء المتضاربة اقترح الاتحاد السوفيتي أن يجري مباحثات مع مسعود، فشاور مسعود مع العلماء والقادة فأذنوا له بالمباحثات مع السوفيت، ونتيجة لهذه المباحثات تم وقف إطلاق النار الذي استمر عامين، ولكن في عقب هذا اشتعل أوار الحرب وكان أكثر دموية مما مضى، وأثار وقف إطلاق النار الكثير من الشائعات فقد تصالح الكفار مع مسعود، وأضرم المسلمون نيران الحرب ضده، ونشر اثنان من زعماء المجاهدين الشائعات ضده فألحقوا لطمة شديدة إلى شخصية ذلك المجاهد المسلم بين المسلمين وخاصة المسلمين العرب إلى حد أن بعض علماء العرب الآن يساورهم الشك في إسلامه، الشك في مسلم لم يعش لحظة واحدة بغير ذكر الله، وسوف تشهد كل أحجار أفغانستان بين يدي الله تعالى على جهاد مسعود.

ويبدأ المؤلف عرض كتابه أو مذكراته بالكلام عن الهدنة ووقف إطلاق النار ١٩٨٣ / ١٩٨٤ ويستمر حديث الأستاذ صالح ريكستاني في أسلوب قصصي شديد التماسك بدءا من حياة مسعود تلميذا في مدرسة كابل حتى استشهاده.



وفي معرض حديثه عن الهدنة وأسبابها استوقفني حديث الرجل عن أوضاع الأفغان حيث قال: «من ناحية الأسلحة لم يكن من المهم أن نعاني نقصاً منها؛ لأننا نقدر ثلاثة كنا نحصل على غنائم ولكن وجدت بقية الذخيرة، فمثلاً لم يكن لدينا طلقات للمدفعين الذين استهدفا الرخة في ذخيرتنا، والطلقات التي بقيت من السوفيت وكانت أكثرها صدئة كنا نجمعها وبعد أن ننظف كنا نطلقها عليهم»

«ومن ناحية الملابس فلم تكن بحالة أحسن من المهمات، وأذكر تماماً أن الأفراد الذين كانوا يقصفون قاعدة الرخة بالأسلحة كانوا يخلعون أحذيتهم في وقت التبديل ويعطونها للذين كانوا سيحلون محلهم».

وهنا وجدتني أتساءل أي وضع أسوأ من أن يتبادل الجنود أحذيتهم؟! ولم تمر ثوان حتى وقعت عيناي على قول المؤلف: «أما وضع الغذاء فقد كان أسوأ من ذلك بكثير» وقوله عن الوضع الاقتصادي أنه كان غير قابل للوصف.. ومع هذا انتصر هؤلاء الأبطال على السوفيت فعلمت أنه كان هناك مع أحمد شاه مسعود رجال يطاولون قمم جبال أفغانستان الشاهقة ويماثلونها رسوخاً.

وكم كان المؤلف موفقاً حين صور الظروف المناخية التي تمر بها أفغانستان في الشتاء حيث يقول: «وطوال أيام الشتاء تكون الطرق مسدودة، هناك واحد فقط يمر من ولاية بغلان في الشمال عن طريق جبل خاواك، وهو أقل الجبال ارتفاعاً بين بنجشير والشمال، والعبور من جبل خاواك في الشتاء بالنساء والأولاد يكون معناه استقبال الموت، لأن هذا الجبل لا يمر عام من الأعوام دون أن يدفن فيه أشخاص تحت مئات الأطنان من الجليد، وإذا بدأت العواصف الثلجية فإن عذاب نزع الروح تحت الثلوج لن تراه بعيداً»

هذه صورة لطبيعة الظروف المناخية العادية، فماذا يقول الرجل إذا أضيفت الحرب لتلك الظروف؟ لقد جاءت كلماته برغم بساطتها تحمل الكثير من المعاني حيث يقول: «هذه هي الحرب التي تمت في الشهر السابع والثامن، وأعطت قمم الجبال الخبر عن مجيء الشتاء، وليس هناك خبر عن نهاية الحرب، ولم يستطع الناس في ذلك العام أن يحصدوا حاصلاتهم، لأنه عندما حان وقت نضج المحصول كانت طائرات العدو تقصف الأرض وترمي بالنار والقنابل الجديدة».

ويتناول المؤلف العديد من الذكريات فيتحدث عن انقلاب محمد داود سنة ١٩٧٣م وأنه وصل إلى السلطة بعد انقلاب أبيض عن طريق الشيوعيين الأفغان.

ويصف المؤلف العلاقة بين محمد دواد رئيس الجمهورية وبين الشيوعيين بأنها مجرد «تكتيك» وكلاهما كان بصدد القضاء على الآخر.

ويوضح أن مسعود كان تحت زعامة حبيب الرحمن الذي كان يسبقه دراسياً بعامين.

ويصف مسعود لحظة سماعه بالانقلاب يقول: «أتذكر أنني كنت جالساً في منزلي مع أسرتي نستمع إلى الأخبار وعزفت في الراديو موسيقى عسكرية، ولكن لم يكن هناك شيء معلوم، ثم جاء صوت داود تحمله أمواج الأثير، وعرفنا عن الانقلاب وفي هذه اللحظة قال والدي: لقد انتهت أفغانستان ووقعت في فك الشيوعية وروسيا.

ثم يتكلم المؤلف عن لقاء مسعود بحبيب الرحمن، ثم استشهاد حبيب الرحمن ثم الفرار إلى الباكستان، ويصور المؤلف العلاقة بين الجارتين: أفغانستان والباكستان، بأنها مملوءة بالتقلبات، فهي تتوتر إلى حد الصدام، وأحياناً تصل إلى حد المودة!!

الانقلاب الشيوعي في أبريل ١٩٧٨م

بدأ الانقلاب بضباط ذوي رتب صغيرة من الشيوعيين الأفغان ولم تمكن إجراءات رئيس الجمهورية محمد داود أن تقبض على قادة الشيوعيين في الأيام القليلة قبل الانقلاب أو تمنع وقوع المأساة، وأوضح المؤلف ما كان عليه الشيوعيون الأفغان من مسلك إلحادي، إذ يقول:

كان الشيوعيون الأفغان يقلدون جميع الأعمال السيئة للشيوعيين في الاتحاد السوفيتي، وأول هذه الأعمال الانقلاب، يعني الطريق السريع لحل معضلة اجتماعية عميقة، والثاني قتل رئيس الجمهورية وجميع أعضاء أسرته

وفي عقب ذلك شعارات الموت لهذا ويحيا ذلك، والشوارب الطويلة المسترسلة التي تتدلى تحت الشفتين، ونعرات هورا ولينين وماركس والإلحاد، و(وصف) القرآن بأنه عبارة عن أساطير، و(وصف) الصلاة بأنها تمارين رياضية.... الخ والخطوة التي تلت ذلك عدد من الفرمانات المقترحة للإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، أما اللون الأحمر فهو علامة لجواب على سؤال، وكان علامة على الأبواب والحوائط والنوافذ وكان لباساً وواجهة وبيرقاً، وحتى الآن لم تصف الحسابات بين الناس وهؤلاء، فقد أشعلوا أوار الحرب، وحتى كتابة هذا الكتاب لا تزال مستمرة ولكن بأسماء وعناوين مختلفة

ومن خلال هذه المذكرات التي دونها الأستاذ صالح محمد ريكستاني نعلم أن مسعود كان يجيد تجويد القرآن الكريم ويجيد النحو والصرف. كما درس التفسير على يد الأساتذة: مولوي بشار وشهاب وعبدالرحمن وذلك أثناء وجوده في باكستان في الفترة من ١٩٧٤ : ١٩٧٨م ويبدو أن مسعود كان مولعاً بالعلوم الإسلامية، فلما أراد الارتقاء بسطح المعلومات لرؤساء الإدارات، قرر تنظيم دورة لهم في «أصول الفقه» يقول صاحب هذه المذكرات «ومع أن هذه الدورة لم تستمر حتى النهاية فقد اشتركت فيها وعرفت كيف نستخرج الأحكام من النصوص في الإسلام».

أما عن الحديث وأصول الحديث: فيقول المؤلف: إنني لا أعرف مقدار تقدم مسعود في هذين الفرعين من العلوم الإسلامية. إنني أذكر فقط أنه بدأ تعلمهما عند مولانا «فخر» ومولانا «عبدالظاهر»

ويمتد حديث المؤلف عن مسعود ومدى التزامه الديني فيقول: «اشتهر مسعود بالتشدد والحذر في صرف النقود وسائر الأشياء التي تتعلق بيت المال، وفي نظري أنه كان يفرط في الشدة في بعض الأمور، ولم يكن يصرف مطلقاً من نقود بيت المال على نفسه أو أسرته.. وأظن أنه في هذه الناحية ليس لأعدائه أي كلام».

وكان مسعود حريصاً على أداء الصلاة في وقتها مهما كانت الظروف، حتى لو صلى فوق الثلوج ويحكي المؤلف - الذي كان يرافقه - هذا الموقف قائلاً:

كان الهواء شديد البرودة وكنا متعبين للغاية من قطع مسافة الطريق طوال اليوم سيراً على الأقدام ولم تستطع شدة الخوف من العواصف أن تزيد من سرعتنا لأن الثلج كان مانعاً كبيراً للسرعة في سيرنا، وكانت البرودة إلى حد أن أنفاسنا كانت تتجمد على لحانا، وفي هذه الأثناء انفصلت إحدى قوافلنا لأداء صلاة المغرب وأمعنا النظر فوجدنا أن مسعوداً حين خرج عن الطريق غاص حتى وسطه في الثلج.

وأشار لنا أن نستمر في السير أما نحن فلم نستطع أن نصلي ولم نستطع أن نترك مسعوداً وحده، ولم يكن

هناك بد من التوقف حتى يتم مسعود صلاته وأخذ مسعود بطانية من أتباع الذين ساعدوه وفرشها تحت أقدامه على الثلج لأن هذا المكان لا يستطيع أن يصلي فيه أكثر من شخص واحد ثم وقف للصلاة، والعاشقون لله فقط هم الذين يستطيعون أن يعبدوه في هذه الحالة. لقد كنت أنتفض مثل ورق المصحف في الوقت الذي كنا فيه أكثر شبابا من مسعود بحوالي عشر سنوات، فيتقبل الله من مسعود هذه الصلاة الخاشعة الضارعة والتي تفيض وجداً وعشقاً للذات العلية.

ويبدو أن مسعوداً كان مولعاً – أيضاً – بالشورى فكان له ثلاثة مجالس للشورى وهي: مجلس شورى الشعب، ومجلس شورى القادة، ومجلس شورى العلماء.

وكان مسعود يستفيد من هذه المجالس التي كانت تعقد إما باقتراح من الأعضاء وإما باقتراح من مسعود.

ويسرد المؤلف عدة مواقف تبين حب مسعود للعفو حتى عن هؤلاء الذين خططوا لقتله أو كانوا أداة لمن خطط.

كان مسعود مسلماً ورعاً.. درس كثيراً من علوم الإسلام بقدر ما سمح له الوقت الذي يكاد يقتصر على فترات الشتاء التي يتوقف فيها القتال.

كافح مسعود العادات السيئة التي كانت متفشية بين صفوف المجاهدين مثل السجائر والحشيش وسائر المواد المسكرة والمخدرة وكان مسعود يهتم اهتماما فائقا بحفظ البيئة: منع مسعود منعا باتا قطع الأشجار المثمرة النضيرة، وأشجار الفستق وصيد الأسماك باستعمال القنابل اليدوية وسائر المواد المتفجرة.

ولكن هل كان من حول مسعود يصلون إلى المستوى الراقي لفهم مسعود؟!

ويترك الإجابة عن هذا السؤال للمؤلف الكاتب حتى يتكلم بصدق بزعم أنه يبدي نفسه أمام القراء وأمام التاريخ – أيضاً – إذ يقول ص ٢٧٤: «وذات يوم ذهب مسعود إلى طالقان وجاءني عدد من المجاهدين وقالوا: إن اشتهاء أكل السمك ذات الخال تدور برؤوسهم وطبعاً كانوا يريدون أن يصطادوا السمك بتفجير القنابل اليدوية، وقالوا: إن لديهم الخبر أن مسعودا لن يعود سريعا وهم يريدون أن يجعلوني شريكاً في الجرم. ودلفا معهم قبلت» يقول المؤلف الذي يعترف بالمخالفة: فجأة امتلأ سطح الماء بالأسماك وفي الحقيقة كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها الأسماك بكثرة «ثم يشعر بالندم فيقول»: إن الأسماك التعيسة التي اطمأنت لحماية مسعود لم تضع «في حسبها» أي احتمال في أن يخالفه أتباعه ذات يوم هذه المخالفة.

وبصدد الكلام عن حب مسعود للحرية يقول المؤلف:

لقد هب مسعود للدفاع عن بلاده في أشد الفترات اضطرابا في تاريخ أفغانستان، ولم يحدث في أي فترة من فترات التاريخ في أفغانستان أن وقع عليها مثل هذا الظلم أو حدث لها مثل هذا التدخل في شئونها، ولم يحدث في أي فترة من فترات التاريخ أن يظلم الأفغان الأفغان. ألم يكن الجيش الذي كان يصاحب القوات السوفيتية ويحارب ضد الشعب من الأفغان؟ وألم تكن أكثر قوات طالبان من الأفغان؟ لقد نهض طالبان باسم الصلح ورفعوا الأعلام البيضاء ولكنهم تركوا العار والشنار على جبهة تاريخ أفغانستان.

فهم باسم الجهاد جمعوا الجناة من أقاصي العالم وأدخلوهم إلى البلاد، وقتلوا شعبهم بواسطتهم تحت هذا الاسم أو ذاك. وقد قالوا إن الإسلام لا يعرف الحدود. فهل طالب الإسلام لا يعرف حدود المنزل والبستان والفناء والأرض وتقاليد الناس؟

ولهذه الأسباب قال مسعود: إذا كنت قد حاربت بالأمس دفاعاً عن البلاد ضد الجيش الأحمر، أما اليوم فأنا أحارب من أجل الدفاع عن بلادي ضد الجيش الأسود.

ولعل أهم أجزاء الكتاب على الإطلاق هو ذلك الجزء الذي تألق فيه المؤلف وأبدع حين ذكر أخطاء مسعود من خلال سرده لمراحل حياة مسعود الثلاث «النضال – الانتصار – المقاومة» فجاء هذا الجزء حاملاً تحليلاً دقيقاً للأحداث فيقول المؤلف ص ٣١١.

الأحداث الأخيرة تثبت عكس ذلك، وبعبارة أخرى: إن مسعوداً الذي كان يذكرنا دائماً بوصية بسمارك رئيس وزراء ألمانيا وأن الإنسان لا يجب أن يحارب في جبهتين ها هو الآن يحارب في أكثر من جبهة.

ففي داخل أفغانستان كان يحارب الحزب الإسلامي «الزعيم حكمت يار» وحزب الوحدة الإسلامية «الزعيم آية الله مزاري»، والحركة القومية «الزعيم دوستم» وحركة طالبان «الزعيم الملا عمر». على مستوى المنطقة كان ضد الباكستان وإيران وأوزبكستان وتاجيكستان. وعلى المستوى الدولي كان يحارب قبل ذلك الاتحاد السوفيتي وبعد ذلك أمريكا وطبعا وجهة نظري في الاشتباك هنا في الداخل يعني الحرب، أما في الخارج فلا توجد علاقات مباشرة خصوصا مع الدول التي كانت مهتمة بقضية أفغانستان، مثلا علاقات مسعود مع إيران كانت ظاهراً من أجل حمايتهم لحزب الوحدة، ومع أوزبكستان من أجل حمايتهم لدوستم ومع تاجيكستان بسبب حمايته لأعداء حكومة تاجيكستان، ومع روسيا لأنها وريثة الاتحاد السوفيتي ولم يستطع أن يسلم هذا كله للنسيان مرة واحدة، وكانت علاقته مع أمريكا على سطح عميق وبارد لأنها أسلمت قضية أفغانستان للنسيان.

والدولة الإسلامية الوليدة التي كان يحكم فيها مسعود بكل هذه الأشياء كانت ثلث كابل وثلث الشمال وثلث أفغانستان، ومن الجائز أن أمل الانتصار على كل هذه الجبهات كان يحمل في نفسه، أي أنه مع كل هذه المشاكل لم يكن يائساً أبداً.

ثم يقول:

على كل حال كان خطأ مسعود الرابع أنه كان من النواحي العسكرية يحارب في عدة جبهات، ومع ظهور طالبان وتقدمهم السريع إلى أبواب كابل فإن أكثر الدول التي ذكرناها بدأت في حماية مسعود ولكن هذه الحماية كانت بدون مقدمات وكانت متعجلة ولم تستطع أن تمنع سقوط كابل، وكانت النتيجة أن مسعوداً في فترة جهاده الثانية «١٩٩٢ – ١٩٩٦ م» أعطى للعلاقات الخارجية أهمية قليلة وكان هذا هو الخطأ الخامس.

هرم مسعود ودخلت كابل تحت حكم طالبان، وتجدد سفك الدماء الذي بدأ من كابل واستمر حتى نيويورك ولا يزال مستمراً، ولا يعرف إنسان غير الله – سبحانه وتعالى – إلى متى سوف يستمر.

وبعد فالكتاب يعد بحق وثيقة تاريخية؛ لأن الأستاذ صالح محمد ريكستاني شاهد على ذلك العصر بحكم قربه اللصيق بالأحداث وبأحمد شاه مسعود.

ثم الكتاب في ترجمته العربية بالأسلوب الشيق للدكتور عفاف زيدان يعد إضافة قيمة وجادة للمكتبة العربية.

بين المجلة والقارئ

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

«إن ربك لبالمرصاد»

أزمة عالمية طاحنة ضربت الولايات المتحدة ضربة مزلزلة أخفت باقتصادها خسائر فادحة سبب الكارثة أن المؤسسات المالية الأمريكية تسابقت فيما بينها من أجل منح المواطن الأمريكى أقصى قدر ممكن من التسهيلات فى مجال الرهن والتمويل العقارى فتسابق الأمريكيون بدورهم للاستفادة من تلك التسهيلات والاقتراض من البنوك لاقتناء العقارات والفيلات والشقق الفاخرة وبما يفوق احتياجاتهم على أمل بيعها فيما بعد وتحقيق أرباح خيالية. وتوسع الأمريكيون فى اقتناء العقارات بشكل أدى إلى أن أصبح المعروض للبيع من الشقق والفيلات يفوق بكثير احتياجات السوق العقارية الأمريكية!! وعجز المقترضون عن سداد أقساط القروض للبنوك التى كانت قد توسعت فى الإقراض على أمل جنى أرباح طائلة من فوائد تلك القروض ولكنها لم تجن سوى كارثة توقف المقترضون عن السداد فأعلنت البنوك إفلاسها وكانت الكارثة الهائلة التى امتدت آثارها لتشمل جميع الدول التى تتعامل مع البنوك الأمريكية لتتحول الكارثة من كارثة أمريكية إلى كارثة عالمية واستصرخت الولايات المتحدة أصدقاءها وحلفاءها فى العالم لإنقاذها من براثن هذه الكارثة المروعة.. أتدرون من استجاب؟!

استجابت العديد من الدول العربية حيث تؤكد وكالات الأنباء العالمية أن الدول العربية البترولية قامت بتقديم مبلغ ألف مليار دولار كمساعدات عاجلة لإنقاذ الاقتصاد الأمريكى من الإنهيار!!

تذكرت وأنا أطالع هذه الأنباء عبر صفحات الإنترنت أن ضعف التمويل العسكرى وعجز دول المواجهة عن الوفاء بمستلزمات تسليح جيوشها كان أحد الأسباب القوية التى دفعت مصر على سبيل المثال إلى الموافقة على طلب إسرائيل وقف إطلاق النار.. وربما لو توفر التمويل العسكرى وقتها لتغيرت العديد من الأمور.

تذكرت وأنا أطالع أنباء المنحة العربية للولايات المتحدة الأمريكية صور الأطفال الجياع والمرضى والمشاهد المأساوية التى اجتاحت القارة الأفريقية دون أن يرق لهم أحد أو يعطف عليهم باستثناء المؤسسات التبشيرية التنصيرية التى توجهت للقارة الأفريقية تعرض على أهلها المال والغذاء والكساء والدواء مقابل تغيير ديانتهم والخروج من إسلامهم الذى لم يجلب لهم سوى ما هم فيه من بؤس وشقاء.. هكذا قالوا لهم وكان طبيعياً ومنطقيا أن يستجيبوا اتقاء لويلات الفقر والمجاعة وهو مسلك يُقرهم عليه الإسلام إذا فعلوه وقلبهم عامر مطمئن بالإيمان.

أما هؤلاء الذين تقاعسوا عن نصرة إخوة لهم فى الدين وتركوهم فريسة للوقوع فى أيدى المنصرين فى حين هبوا لنصرة قوم يُذيقون أخوة لهم فى الدين العذاب كما فى العراق وأفغانستان وفلسطين، فهيهات أن يصيروا إلا إلى ما صار إليه قارون وإن ربك لبالمرصاد.

أحمد تقى الدين

وحدة الأمة فى يوم عرفة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: كمال عبدالمنعم محمد خليل - الكوم الأحمر - مركز ومحافظة بنى سويف، ومما جاء فيها.

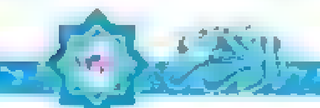
أعز الله تعالى الأمة المحمدية بدين الإسلام وشريعته، ولا عزة لها إن هى تمسكت بغير هديه، وتبدو هذه العزة واضحة جلية فى يوم عرفة. هذا اليوم الذى يحثو فيه الشيطان على رأسه التراب لما يراه من اجتماع المسلمين، ولما يراه من مغفرة للذنوب من قبل الرب الغفور، وهدم لمكره ووسوسته طوال عام مضى. فعن جابر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة فقال رجل: هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله؟ قال: «هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله - تبارك وتعالى - إلى السماء الدنيا، فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادى، جاءونى شعثا غبرا ضاحين، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى، فلم ير يوم أكثر عتقا من النار فى يوم عرفة» «رواه أبو يعلى» وفى رواية «أشهدكم أنى قد غفرت لهم»، حقا، إنها عزة الطاعة، وعزة العبادة، وعزة وحدة الأمة التى قال الله تعالى عنها:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾

(المؤمنون: ٥٢)

الحج عرفة: أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم، فعن عبدالرحمن بن يعمر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ أمر مناديا ينادى «الحج عرفة» «رواه أحمد وأصحاب السنة». ومعناه «الحضور والتواجد فى أى جزء من مكان عرفة سواء كان نائما أو يقظانا أو راكبا أو قاعدا أو مضطجعا أو ماشيا، ووقته كما أجمع جمهور الفقهاء يبتدئ من زوال يوم التاسع إلى طلوع فجر يوم العاشر. وأنه يكفى الوقوف فى أى جزء من هذا الوقت ليلا أو نهارا، إلا أنه إن وقف بالنهار - وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب، أما إذا وقف بالليل فلا يجب عليه شىء» ولعل من حكم جعل الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم تكثير سواد المسلمين فى هذا اليوم وهذا المكان، كى تظهر وحدة المسلمين فى هذا الفريضة الخالدة.

أن جميع العبادات التى فرضها الله تعالى على عباده لتدل على معنى الوحدة التى أمرنا بالمحافظة عليها، ففى



الصلاة نتجه إلى قبلة واحدة، ندعو ربا واحدا – سبحانه وتعالى – وفي الصوم نبدأه في يوم واحد، والزكاة تدل على التكافل والتآزر بين أفراد المجتمع، أما الحج فتتوحد فيه المشاعر، ويلتقي أبناء الأمة الواحدة، يرتدون ثيابا واحدة، قاصدين مكانا واحدا، يلبون ويدعون جميعا في صوت واحد، كله خشوع وخضوع للخالق سبحانه قائلين «لبيك اللهم لبيك». إن هذه الوحدة تجعلهم في منعة من اعتداء الباغين عليهم. فهم جميعا كالجسد الواحد الذي لاينفصم عنه عضو، فعن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم) فهل نكون كذلك؟.

علينا أن نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ونترك الشقاق والاختلاف، ونصلح بين المتخاصمين، ويعطف الغني على الفقير، ويعين القوي الضعيف، فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال. قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، بل تحلق الدين» (رواه أبو داود)

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأبي أيوب: ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله؟ قال: بلى قال: «صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا» (رواه البزار والطبراني) عند ذلك نأمل من الله أن يجيب دعاءنا في يوم عرفة وفي غيره. وتتحقق وحدة الأمة كما رأيناها في يوم عرفة.

التحديات التي تواجه العالم الإسلامي

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: فرج محمد عبد الوهاب – عضو اتحاد الكتاب – شربين – دقهلية قال:

إن العالم الإسلامي يموج بالأزمات العميقة الخانقة كأنها ظلمات حالكة بعضها فوق بعض فما هو سبيل الخروج إلى النور؟!!

لا يمكننا أن نجد السبيل دون أن نعرف «السر» الذي يكمن وراء هذه الأزمات المتشابكة المتالية، ومحال أن يصل إلينا النور قبل أن نمسك بالحبل الذي يربط كل هذه المشكلات ويضمها في سياق واحد يمكننا من فهم سر الأزمة ومن ثم يدلنا على طريق الخروج من الظلمات.

بهذه الكلمات يدخل الدكتور توحيد الزهيري إلى صلب بحثه الذي وضع له عنوان: «التحديات التي تواجه العالم الإسلامي» والذي فاز بجائزة مسابقة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي والتي سلمها له فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر.

والكتاب دراسة جادة وعميقة لأزمة العالم الإسلامي، حيث يرى المؤلف أن سر هذه الأزمة يكمن في علاقة الأمة الإسلامية المريضة غير السوية مع المشروع الحضاري للغرب الذي سعى ويسعى للسيطرة على العالم ومحو كل الحضارات الأخرى وطمس معالم ثقافتها، ذلك المشروع كان ولم يزل هو العدو التاريخي للأمة الإسلامية. هذه هي حقيقة الأمس واليوم والغد وبها ينطق.

ويرى المؤلف أن أصل الأزمة الحضارية التي يعانيها عالمنا الإسلامي يتلخص في أربعة تحديات:

التبعية للغرب: وهو التحدي الذي يواجه الرسالة الإسلامية، فإذا كان الله – سبحانه وتعالى – قد شرف الأمة الإسلامية وكلفها بتبليغ رسالته إلى الناس جميعا فهذا التكليف الإلهي يتناقض في جوهره مع الشعور بالتبعية للغير. فصاحب الرسالة ينبغي أن يكون قائدا رائدا لا تابعا مقلدا.

ثم بعد ذلك يتناول في هذا الفصل عدة نقاط منها: الأمة الوسط – وسائل الدعوة – الجهاد دفاع عن حرية الإنسان الدينية – علاقة المسلمين بغيرهم – الفتوحات الإسلامية لم تكن غزوات استعمارية

التغريب: والتحدي الثاني الذي يواجه عالمنا الإسلامي هو التغريب الذي يهدد هويتنا الثقافية فإن الغرب قد سعى ولم يزل يسعى لمسخ معالم ثقافتنا ليجعل منا مسوخا غربية بلا ملامح ذاتية، إن الغرب يريدنا مجرد أشباه له تحاكيه لترضي بذلك كبرياءه الذي يوهمه بأنه المثل الأعلى الذي يجب أن يحتذى ويحقق مصالحه في نهب ثرواتنا باعتبارنا مجرد أدوات لبناء مجده وزبائن مستهلكين لروائع إبداعه!!

لقد أدركت الأمة أن الإسلام هو هويتها، وهو الحل لأزمتها الحضارية، أو الإجابة الصحيحة عن سؤال النهضة ومن ثم فقد بزغ فجر الصحوة «الإسلامية» وأخذ نورها يتدفق، وبوغت المراقبون الغربيون وأتباعهم من النخب السياسية والثقافية في العالم الإسلامي بذلك البعث الروحي يندفع في قلوب المسلمين خاصة بين الشباب، وتعالت صيحات العودة إلى الله في كل مكان

التمزق السياسي: قطع التمزق السياسي أمتنا إلى أشلاء متنافرة بفعل الحدود السياسية الوهمية التي رسمتها أيدي القوة الاستعمارية وبفضل الصراعات الطائفية والعرقية والسياسية التي يشعلها الغرب في جسد أمتنا الواحدة طبقا لمقولة شيطان «قطع وفرق تسد».

ويقرر المؤلف أنه من المحال أن تتحقق وحدة الأمة الإسلامية – كما يعلمنا القرآن – قبل الرجوع إلى الرؤية الشاملة للإسلام والإيمان بكل ما جاء في كتاب الله باعتباره الصراط المستقيم في كافة مجالات الحياة.

ويختم الدكتور توحيد الزهيري كتابه بإلقاء رؤيته للتحدي الرابع وهو إسرائيل التي تتحدى وجودنا نفسه على كافة المستويات ولقد غرزها الغرب خنجرا مسموما في قلب عالمنا الإسلامي.

الأمانة والعدل.. من سمات المجتمع المسلم

ومن الأستاذ إبراهيم مسلم النجار – مدير عام تنظيم وإدارة سابق – كانت هذه الرسالة.

إن المواطن الصالح السوي هو الذي يكون أمينا على حقوقه وحقوق الآخرين. وتكون الأمانة هي العقيدة التي يجب أن تستقر في وجدانه مهما كانت مسئولياته، وإلا انفرط عقد الأمن والأمان وانفتح الباب على مصراعيه للخونة والانتهازيين.

وفي مدرسة معلم البشرية نبينا محمد ﷺ نتعلم أن الأمانة قيمة عظمى وصفة طيبة يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم في كل علاقاته ومعاملاته حيث يقول ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» (أخرجه الترمذي وأبو داوود).

والأمانة بكل أنواعها جعلها الله قيمة اجتماعية عظمى لأنها صفة الرسل والأنبياء وغيابها دليل على فساد

المجتمع واضطراب الموازين وإهمال مطلوبات منن الله في أرضه وخلقه.

إن قلة الأمناء وكثرة الخونة علامة من علامات قيام الساعة فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فارتقبوا الساعة» قيل وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر لغير أهله».

وعكس الأمانة تكون الخيانة التي هي من صفات المنافقين الذين مصيرهم الفضيحة يوم الدين حيث يصفهم رب العالمين بقوله سبحانه:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

(النحل: ٨٣)

كذلك يصفهم الرسول ﷺ في حديثه الشريف الشهير: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم»، ولعظمة قيمة الأمانة للمجتمع المسلم يجعل القرآن العظيم الأمناء من أحباب الله وأصفيائه فيصفهم بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٨)

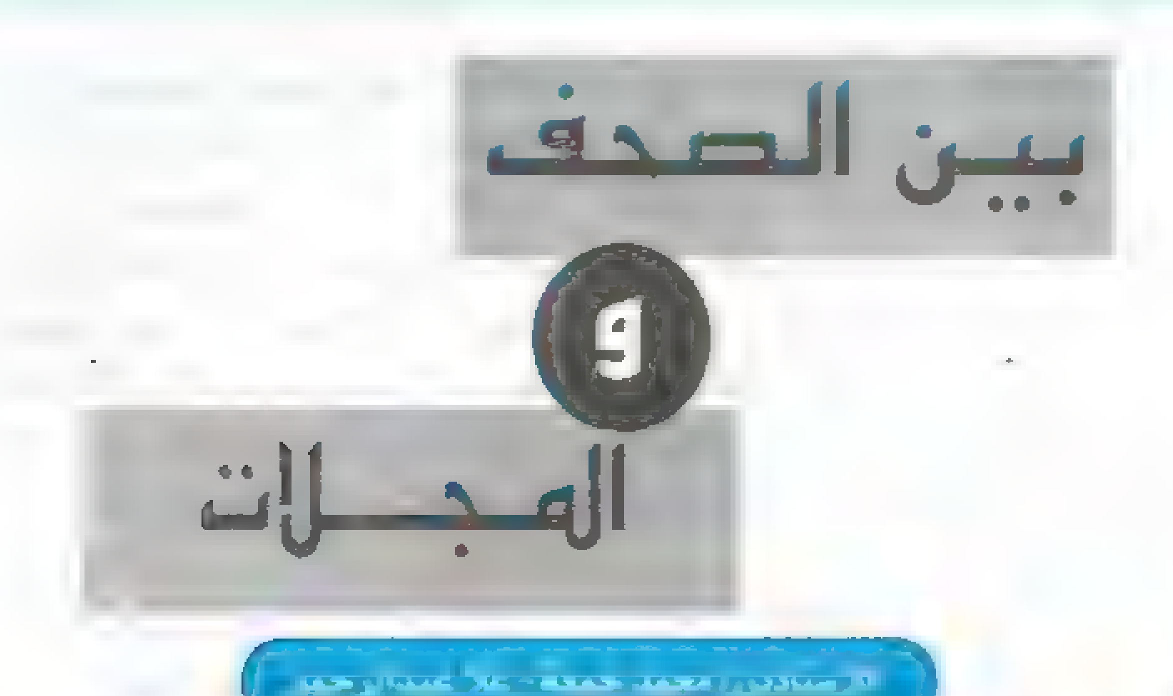
ثم يأمر الله المسلمين وأولي الأمر منهم بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يكونوا أمناء في تطبيق العدالة بين الناس وهي القيمة السامية التي قرنها بالأمانة في قوله تعالى:

(النساء: ٥٨)

وإذا كانت الأمانة قيمة أساسية وسمة مميزة في حياة المجتمع المسلم فهي أيضا صمام القناعة التي هي كنز لا يفنى وقد أطلقها مجتمع قريش في مكة على الأمين محمد ﷺ قبل بعثه حتى إنه عندما شرع في الهجرة إلى المدينة المنورة استبقى عليا - رضي الله عنه - بمكة إلى أن يرد تلك الأمانات إلى أهلها.

وعن الأمانة والعدالة بين الراعي والرعية في مجتمع الإسلام يروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وجد قطعة من البرونز في يد ابنه الأصغر فسأله من أعطاك هذه القطعة يا غلام؟ فقال أعطاها لي عامل بيت المال. فذهب أمير المؤمنين إليه، وقال له: من الذي أمرك أن تعطي ابن عمر هذه القطعة؟ فقال: يا أمير المؤمنين: لقد قمت بجرد الخزانة فوضعت الذهب مع الذهب والفضة مع الفضة ولم أجد قطعة من البرونز إلا هذه فأعطيتها لابنك وهي لا تساوي شيئا وهنا أحمر وجه عمر وقال بغضب: «هل فتشت في بيوت المسلمين فلم تجد بيتا يأكل من الحرام إلا بيت عمر خذ هذه القطعة وضعها في مكانها».

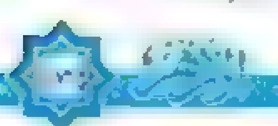
كذلك يروى أنه عندما كان علي بن أبي طالب أميرا للمؤمنين طلبت ابنته من عامل بيت المال أن يعطيها عقدا تتزين به في عيد الأضحى ثم ترده بعد ذلك، وعندما رآه علي - رضي الله عنه - في رقبتها قال لها: من أين جاء لك هذا العقد؟ فقالت: استعرته من بيت المال لأتزين به يوم العيد ثم أرده فبعث أمير المؤمنين إلى عامل بيت المال وقال له: أتخون المسلمين؟ قال: أعوذ بالله أن أخون المسلمين يا أمير المؤمنين. فقال: أعرت العقد بغير إذني فقال له: إنها ابنتك!! فقال علي: رده من يومك وإياك أن تعود لمثلها فتنال عقوبتي وويل لابنتي.



الأزمة المالية

تناولت الصحف في الآونة الأخيرة الأزمة المالية التي تعرض لها العالم وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، ففي جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ ١١-١٠-٢٠٠٨م كتب الأستاذ محمد الزرقاني مقالاً، قال فيه:

الأزمة الاقتصادية التي يمر بها العالم كله، جاءت بسبب ما تعرضت له الولايات المتحدة الأمريكية من انهيار اقتصادي، أرجعه المحللون والخبراء الاقتصاديون إلى ما يسمى أزمة الرهن العقاري، عندما تبارت البنوك الكبرى في منح التسهيلات للمواطنين لتملك العقارات والبيوت، فتخاذلوا عن تسديد الأقساط، وحدثت الأزمة التي انهارت فيها بنوك كبرى وأفلس أحدها. وهؤلاء المحللون والخبراء الاقتصاديون غفلوا عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى عدم قدرة أبناء الشعب الأمريكي ودول غربية كبرى على تسديد الأقساط المطالبين بها، وأعتقد أنه تعدى متعمد. فأمريكا ومن يدور في فلكها من دول الغرب التي تساندها في بغيها وعدوانها، يهدرون مليارات الدولارات في مغامرات طائشة في صحراء وجبال ووديان الدول المستضعفة وأغلبها إن لم يكن جميعها من الدول العربية والإسلامية من أجل السيطرة عليها وعلى ثرواتها وإذلال شعوبها، تنفيسا عن حقد قديم وخوف من الإسلام، وأمريكا ومن والاها لا يكتفون بإهدار المال، وإنما يضحون بدماء أبنائهم الذين يسوقونهم للموت، بعد أن جعلوا منهم أيضا آلات للقتل، آلات تعمل بلا عقل ولا قلب!



وهؤلاء المحللون والخبراء يعرفون الحقيقة، ويغافلون عنها.. ولم يخرج صوت عاقل يطالب الولايات المتحدة بالكف عما تقوم به من قتل وتدمير، وإهدار للأموال والدماء ليس في داخل حدودها، وإنما أيضا في تلك الدول المستضعفة، ليروي قادة أمريكا والغرب عطشهم الدائم للدماء! فإلى متى ستظل مقدرات العالم كله في أيدي قادة أعماهم الحقد عن اتخاذ الطريق السليم لسلام العالم؟.. ومتى يثور العالم على «البلطجة» التي تقوده إلى الدمار؟!

كنوز العرب الثقافية المستهدفة من إسرائيل

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عاطف الغمري في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٨/١٠/٨ يقول:

كانت لإسرائيل خطط قديمة ومستمرة لتفتيت الدول العربية من الداخل، وكان التراث الثقافي العربي يتصدر الأهداف المطلوب تدميرها، أو طمس معالمها، لأنه في نظر السياسة الإسرائيلية ذاكرة الشعوب ومصدر تجدد طاقاتها، وبعث ثقافتها المعاصرة، وتجدد شعورها بالكرامة الوطنية.

الكاتب الإسرائيلي (إسرائيل شاحاك) كتب عام ١٩٨٢ عن خطط إسرائيل لتفتيت العالم العربي، وأن هذا وارد في التفكير الإسرائيلي مراراً وتكراراً.

وقد صدر في لندن كتاب بعنوان «تدمير التراث الثقافي في العراق» للكاتبين الإنجليزيين بيتر ستون وفرانشاك بيالي، يتحدث عن

١- عمليات النهب التي تعرضت لها بغداد عام ٢٠٠٣ عقب دخول قوات الاحتلال، بما في ذلك المتحف الوطني.

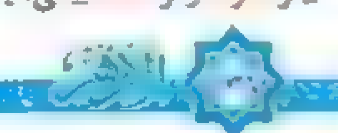
٢- وكذلك إشعال النار في المكتبات لإحراق الذاكرة الوطنية.

٣- فضلا عن سرقة ملفات سجلات المواطنين.

والكتاب يتحدث عن الكنوز الأثرية التي اختفت، وعن مخطوطات من أرشيف المكتبة الوطنية لم يعثر لها على أثر.

وبالرغم من أن المؤلفين يقولان: إن جدلاً مازال يدور حول من الذي نظم ودبر عملية سرقة المتحف الوطني، فإن معلومات كانت قد نشرت عام ٢٠٠٣ من مصادر أخرى بعد النهب والتدمير الذي تعرض له المتحف الوطني في بغداد، والمواقع الأثرية الأخرى في العراق. تذكر أن إسرائيليين كانوا أول من خطت أقدامهم هذه المواقع، ونقلوا قطعاً منها إلى إسرائيل، وقيل: إن من بين ما سرقوه قطعاً أثرية كانت معهم بيانات كاملة بشأنها، تتصل باليهود وتاريخهم في العراق.

ومن المعلومات المؤكدة أن فرقاً من الموساد اندفعت إلى داخل العراق في ركاب قوات الغزو، ومن بعده إما مستترة وراء لافتة شركات المقاولات الدولية، أو مراكز بحوث سياسية أو اجتماعية، أو في إطار شركات الأمن التي فتح لها وزير الدفاع رونالد رامسفيلد أبواب العراق لأداء عمليات أمنية معاونة للجهد العسكري لقوات



الاحتلال، وهي شركات لا تخضع للقانون العراقي أو لسيادة الدولة العراقية، وتتصرف وفق بنود الاتفاق الموقع بينها وبين البنتاجون.

يذكر كتاب «تدمير التراث الثقافي العراقي» أنه عندما اشتعلت الحرب لم يكن لدى قوات التحالف أي خطة لحماية الكنوز الثقافية، مما تسبب في سرقة وتدمير الآلاف من المواقع الأثرية.

وهذه نقطة كشفت حقيقتها شخصيات دبلوماسية ومصادر من وزارة الخارجية الأمريكية، وكذبت الروايات التي رددت عدم وجود خطة لإدارة العراق لما بعد الحرب. وكشفت هذه الشخصيات من خلال أوراق لوزارة الخارجية عن أن الوزير كولين باول سلم رامسفيلد خططاً كاملة أعدتها وزارته للإدارة المدنية للدولة بعد الضربة العسكرية، تحاشياً لحدوث فوضى، لكن وزارة الدفاع تجاهلتها ولم تأخذ بها، عندئذ حدث فراغ داخلي في العراق، كانت الفوضى هي الأسرع لملئه.

وإذا كان قد دار جدل واسع حول نهب وتدمير التراث الثقافي للعراق، وآثاره التاريخية، فلم يكن ذلك عملاً عشوائياً أو من فعل لصوص ونهابين، لكنه جرى عن عمد، وعلى يد من عرفوا ماذا كانوا يعنون.

المقدسات المنسية

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة نهال شكري في جريدة الأهرام الصادرة في ٨/ ١٠/ ٢٠٠٨ تقول:

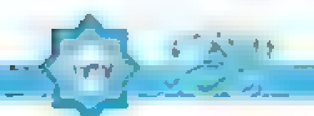
لا يمكن أن تختصر قضية المقدسات في تحرير المسجد الأقصى، ولا يمكن أن تغفل مقدسات أخرى طال الانتظار لتحريرها أيضا وعلى رأسها الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل بفلسطين.

وإننا هنا لابد لنا أن نعترف بضآلة معلوماتنا حول هذا المكان المقدس الهام إلى جانب عدم التفاتنا لمشاكله وهمومه في خضم أحداث القضية الفلسطينية ذاتها وخضم الخلافات.

ثم تحدثت الكاتبة فتقول: وقد هالني ما شهدته على شاشة التليفزيون في برنامج عن أوضاع الحرم الإبراهيمي المنسي وهو يتشح بأسلحة جنود إسرائيل الواقفين على أبوابه ويئن من مراقبتهم للمؤذن في كل صلاة.

ثم تواصل الكاتبة: ومما أثر في الإهمال الشديد لهذا الحرم المقدس، وانصراف المسلمين عنه والمؤسسات الثقافية الدولية، بل وما يسمونه مؤسسات حقوق الإنسان في كل مكان على الرغم مما يضمه من كنوز دينية تاريخية، حتى إنه يقال: إن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وبعض آل بيته تم دفنهم تحت الحرم الإبراهيمي.

ثم تختتم الكاتبة مقالها فتقول: وإنني هنا أطالب بإيقاظ الوعي والاهتمام بالحرم الإبراهيمي أسوة بالمسجد الأقصى ووضعه على خريطة المطالب. وعلى دروب الدفاع عن الحق، لأننا لا يمكن أن نغفله أو نضعه في موقع المقدسات المنسية.



«جوهرة المدينة» إساءة غربية جديدة للرسول ﷺ والسيدة عائشة رضي الله عنها

ومازال مسلسل الإساءة للنبي ﷺ مستمراً، فتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذة دعاء محمود المنشورة في جريدة الأسبوع تقول:

أصبحت الإساءة إلى الرسول ﷺ وسيلة لجذب الأنظار واكتساب الشهرة يجيدها الكثير من الكتاب والصحفيين والشخصيات الغربية الذين ثبت فشلهم في الحياة العملية ليتخذوا الإساءة للإسلام ورسوله طريقاً للنجومية وهذا ما قامت به مؤخراً صحفية أمريكية مغمورة.. حيث عكفت الصحفية على كتابة قصة عن السيدة عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ خطبتها حتى وفاته ﷺ.

وأكد «دينيس سبلبرج» أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، أن جوهرة المدينة أشد خطورة من «آيات شيطانية» والرسومات المسيئة للرسول ﷺ».

الجدير بالذكر أن الشركة الأمريكية رفضت إعادة نشر الكتاب بعد تعرضها لحادث حريق.. فضلاً عن اعتراض علماء دين مسلمين بالولايات المتحدة على مضمون الرواية.. ولذا قامت المؤلفة الأمريكية بالاتفاق مع ناشر ألماني لم تعلن اسمه بعد، لنشر القصة المسيئة.

ولكن وسط هذه البذاءات الغربية تجد أن أصواتاً منصفة تتحدث بموضوعية عن الإسلام، فعلى سبيل المثال: أكد «جيفي دولاندسون» نائب رئيس الوزراء الأيرلندي «اعتزازه بالإسلام كدين سماوي له مكانته بين الإنسانية، وأعرب عن دهشته لمحاولات التشويه التي يتعرض لها الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر جاء ذلك خلال حفل أقامته الجالية المصرية بمقر البرلمان الأيرلندي.

الأخبار: ١١-١٠-٢٠٠٨

فرق الموت والقرصنة

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربي الصادرة بتاريخ ٤-١٠-٢٠٠٨م:

يكشف حادث اختطاف السياح الأجانب في جنوب مصر عن لعبة جديدة من قبل رجال فرق الموت في منطقة الشرق الأوسط، عمليات القرصنة التي تتوالى من الصومال إلى اليمن إلى أماكن أخرى تؤكد أن المنطقة قد تمر بنوع جديد من الحروب، فقد نجح الأمريكيون من خلال شركاتهم المحليين في العراق في تكوين فرق الموت التي حصدت عشرات الآلاف من العراقيين بالسيارات المفخخة، وانفجار السيارة المفخخة في حي مكتظ بالسكان في العاصمة السورية دمشق يأتي ضمن هذا المخطط.. وهو مخطط لو قدر له النجاح فسيكون أخطر من كل الحروب التقليدية التي ساعدت واشنطن على اشتعالها في الشرق الأوسط.

مرة أخرى يحذر من وقوع المنطقة في براثن فرق الموت، فهي تتخذ هذه المرة أشكالاً جديدة من الحرب القذرة، منها ترويع الزائرين إلى بلد كمصر.

وإزاء هذه المخططات يجب ألا تنام فالقادم قد يكون أسوأ.



أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد: عبدالموجود أمين موسى

بعثة الأزهر

شهد مركز الأزهر للمؤتمرات اجتماعاً موسعاً لمبعوثي الأزهر الجدد إلى دول العالم المختلفة سواء العربية أو الإسلامية أو غير الإسلامية.

وقد حضر الاجتماع فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر وسفراء من وزارة الخارجية المصرية

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر للمبعوثين مهام بعثتهم وكيفية أدائها على أكمل وجه وأوصاهم بحسن معاملة أهل البلاد المبعثين إليها وأن يكونوا واجهة مشرقة للإسلام ولمصر والأزهر.

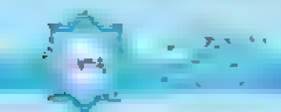
كما أوصاهم بالبعد عن التطرف وإظهار صحيح الدين الإسلامي وتفقيه وتعليم وغرس الإسلام في نفوس أبناء هذه البلاد ليسيروا على هدى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بذلك يكون المبعوث سفيراً للإسلام ولبلده، بإظهاره الإسلام على صورته الحقيقية للدول غير الإسلامية.

صرح بذلك فضيلة الشيخ فوزي زيدان الأمين المساعد للبحوث الإسلامية.

اجتماع موسع لوعاظ الأزهر الشريف

عقد في مقر الأمانة العامة للدعوة والإعلام الديني بمجمع البحوث الإسلامية اجتماع موسع لمديري عموم الوعظ على مستوى الجمهورية، وحضره فضيلة الشيخ علي عبدالباقي شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

وقد نوقش في اللقاء العقبات التي تواجه الدعوة وسبل تذليلها وحلها، كما بحث اللقاء احتياجات الأمانة العامة إلى دعاة وعلماء جدد لسد العجز الموجود نتيجة حالات الوفاة أو بلوغ السن القانوني للمعاش حرصاً على عدم انقراض جهاز الوعظ، حيث إن



الوعظ هو يد الأزهر التى يصافح بها العالم.

كما نوقش فى الاجتماع خطة التوعية الدينية التى تشمل التوعية الدينية بالمدارس الحكومية ومراكز الشباب والمستشفيات والسجون ومراكز تدريب الشرطة والأمن العام.

وتم بحث سبل النهوض بمستوى الدعاه علمياً وثقافياً ومادياً، وقد تفضل الإمام الأكبر بالموافقة على إعطاء كل واعظ نسخة من كتابيه: «التفسير الوسيط» بسعر التكلفة و«الفقه الميسر» ليستعين الواعظ بهما فى مهامه.

كذلك تم بحث سبل النهوض بمستوى رجال الفتوى في سائر المحافظات حيث يلعبون دوراً مهماً وفى حل مشاكل الجمهور ويشاركون رجال الأمن فى المجالس العرفية التى تعقد فى الريف المصرى.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالحميد الأطرش الأمين المساعد للوعظ بمجمع البحوث الإسلامية.

مشروع الشيخ محمد بن راشد لحفظ مخطوطات مكتبة الأزهر

صرح الأستاذ/ مهدى شلتوت- رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر بأنه يتم الآن إعادة هيكلة وتشغيل مشروع حفظ مخطوطات مكتبة الأزهر ونشرها على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»- قريباً إن شاء الله تعالى- عن طريق شركة IBM العالمية فى مجال الحاسبات الآلية والبرمجيات، ليستفيد منها جميع الباحثين والمهتمين بالثقافة العربية والإسلامية سواء الأدبية أو العلمية فى شتى بقاع الأرض.

الطلاب الوافدين

بدأ امتحان تحديد المستوى لغير الناطقين باللغة العربية وغير الناطقين بها اعتباراً من أول أكتوبر حتى آخره للمرحلة الشفهية، وفور إعلان المرحلة الشفهية يتم عقد الامتحان التحريرى للحاصلين على المرحلة الإعدادية شعبياً حيث يعقد الاختبار التحريرى بمعهد البعوث الإسلامية بالقاهرة.

كما بدأ تجديد المنح اعتباراً من أول أكتوبر وحتى نهايته، أما الذين تخلفوا عن هذا الموعد فسوف يتم صرف المنح بدءاً من تقديمهم الأوراق اللازمة.

أما بالنسبة للطلاب الذين أنهوا مراحل التعليم الجامعى والمقيدين على منح الأزهر فعليهم التقدم بصرف تذاكر العودة إلى بلادهم خلال شهرين من تاريخ اعتماد النتيجة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين.

حديث القرآن عن الرجل والمرأة

تأليف

محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب «حديث القرآن عن الرجل والمرأة» لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقد بين فيه فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام كرمت المرأة تكريماً عظيماً حيث بين القرآن أوجه المساواة بين الرجل والمرأة وأوجه الاختلاف بينهما. فمن أوجه المساواة: كونهما من نفس واحدة- التكاليف الشرعية- المسئولية- الثواب والعقاب- طلب العلم- استقلال الشخصية- الكرامة الإنسانية.

ومن وجوه الاختلاف: الجوانب الذاتية والدينية- الميراث- الشهادة- القوامة- موضوع الطلاق، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر بأسلوب شيق ورائع سبل استقرار الحياة الزوجية طبقاً لما جاء فى الشريعة الإسلامية، وقد ذكر من هذا الموضوع: حسن الاختيار- التنفير من السعى إلى الطلاق والتضييق من حالات وقوعه- الحرص على الإصلاح- التحلى بالصبر والتسامح والتعاون والتراحم والمؤانسة- قيام كل من الزوجين بواجباته نحو الآخر بشرف وإخلاص وصدق.

واستخلص فى نهاية الكتاب محاسن شريعة الإسلام مبيناً أنها لم تفتح باب الطلاق فتحاً مطلقاً ولم تغلقه غلقاً مطلقاً وإنما أباحته عندما تسد جميع أبواب الصلح ويصل التنافر والشقاق إلى حال يستحيل معها على الزوجين الوفاق، ومن هنا يأتى حكم الله بالتفريق ويغنى الله كلا من سعته.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلى مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث.



ختام مسابقة الملك عبدالعزيز لحفظ القرآن الكريم

انطلقت منذ أوائل الشهر الماضي منافسات مسابقة الملك عبدالعزيز لحفظ القرآن الكريم وتجويده في دورتها الجديدة والتي تنظمها وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد تحت رعاية خادم الحرمين واستمرت المسابقات حتى ١٩ أكتوبر الماضي بمكة المكرمة وشارك فيها ١٦٤٠ متسابقا من مختلف الدول العربية والإسلامية والهيئات والمراكز والجمعيات والمؤسسات الإسلامية المنتشرة في بلاد الأقليات الإسلامية.

افتتاح أول جامع في ألمانيا الشيوعية سابقا

في احتفال رسمي كبير في برلين عاصمة ألمانيا الشيوعية سابقا تم افتتاح أول جامع بمنارة وقبة وسط مظاهرات احتجاج وحواجز لشرطة المدينة، وقامت الشرطة بإغلاق الطرق المؤدية إلى «جامع خديجة». خلال الاحتفال بافتتاح البناء المكون من طابقين وقبة فضية اللون ترتفع إلى ١٣ متراً في منطقة بانكو. جدير بالذكر أنه يوجد في ألمانيا أكثر من ثلاثة ملايين مسلم ويوجد في برلين الغربية ٧٠ جامعاً وهي موزعة على بنايات وأماكن غير معروفة وغير محددة المعالم وفي الشوارع الخلفية ورحبت الأوساط الألمانية الرسمية بالحدث وبمكان العبادة هذا.

برلماني هولندي ينادي باعتبار الإسلام دينا عالميا

في سابقة الأولى من نوعها دعا برلماني هولندي النائب عن حزب الشعب الهولندي.. هينك كامب في مذكرة قدمها للبرلمان تحت عنوان «مذكرة الإسلام» رجال السياسة والمجتمع الدولي إلى مزيد من المرونة أمام الدين الإسلامي والاعتراف به دينا عالميا، والجدير بالذكر أن النائب هذا خلف انطباعا مخالفاً عما عهد عنه في السابق كمنتقد عنيد لسياسة الحكومة الهولندية تجاه المسلمين المقيمين في هولندا ويشكل النظرة الجديدة إلى الدين الإسلامي في رأى النائب كامب بمساعدة عملية إدماج الشباب الهولندي المسلم في المجتمع، ويقترح كامب تحقيق اندماج المسلمين في المجتمع ويدعو لسن قوانين تعاقب المعرقلين والمعارضين لسياسة الاندماج.

الجدير بالذكر أن هولندا شهدت في الأونة الأخيرة موجة كبيرة من المهاجمة والحرب على الإسلام.

هندوسيون يعتنقون الإسلام خلال رمضان

في شهر رمضان الماضي اعتنقت أسرة هندوسية من ١٦ فردا في منطقة سيالكوت شرقي باكستان الإسلام لإعجابهم وتأثرهم من قيام المسلمين بالصيام خلال شهر رمضان وإمساكهم عن الطعام والشراب مع الحر الشديد والعمل المتواصل وقالت صحيفة «خبرين» التي تصدر باللغة الأردية «إن وحدة المسلمين وتكاتفهم خلال الشهر الفضيل أثار إعجاب هذه الأسرة التي أقبلت على الإسلام واشهرت اعتناقها عقيدة التوحيد وأعلنت الشهادتين ومنحتهم الحكومة الباكستانية أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين.

المؤتمر الإسلامي يطالب المسلمين باعتماد تقويم هجري موحد

انتقد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أكمل الدين إحسان أوغلي احتفال المسلمين عبر العالم بعيد الفطر في مواعيد مختلفة معتبراً أن ذلك يعبر عن تشرذم وتشتت وكرر الدعوة إلى اعتماد تقويم هجري موحد وشدد الأمين العام للمنظمة التي تضم ٥٧ عضوا والتي مقرها جدة السعودية على أهمية التزام الدول الأعضاء بالقرارات التي اتخذتها المنظمة بخصوص التقويم الهجري الموحد. وهو ما من شأنه أن يضع حدا لعوامل الفرقة والتشتت ويعكس وحدة المسلمين في أوقات أعيادهم.

المتطرفون الإسرائيليون ينظمون مسابقة القرآن الكريم!

اقترح موشيه غيتس رئيس هيئة الإذاعة الإسرائيلية تقديم جائزة للعمل الحائز على جائزة رمضان لمسابقة القرآن الكريم، وقال موقع «القناة السابعة للتليفزيون الإسرائيلي» إنه للمرة الأولى يقوم راديو صوت إسرائيل والتليفزيون الإسرائيلي ببث مسابقة رمضان وأشادت القناة الإسرائيلية إلى أن المسابقة سوف تقام في مسرح الميدان بحيفا في اليوم الأخير من شهر رمضان المعظم وبعد عيد الفطر المبارك.. وأضافت القناة أن المشتركين في المسابقة هم من استطاعوا الإجابة عن حل المسابقة اليومية التي تبث طيلة أيام الشهر الكريم، والتي تؤهل للمنافسة الكبرى التي تقام تحت إشراف لجنة قضائية خاصة مشكلة من رجال الشرعية الإسلامية. وأضافت «القناة السابعة» أن جائزة مسابقة رمضان للقرآن تشبه مسابقة جائزة الكتاب المقدس.

الخدمات المالية الإسلامية الأسرع نموًا في بريطانيا

أكدت هيئة الخدمات المالية البريطانية أن هناك نمواً كبيراً في التمويل الإسلامي في بريطانيا والتزامه بالاستثمار المسئول اجتماعياً وأخلاقياً.

وأوضحت أن بريطانيا في طريقها لأن تكون مركزاً مالياً أوروبياً رئيسياً لخدمات ومنتجات التمويل الإسلامي في ظل بيئة تشريعية مرنة، حيث صدرت تراخيص لستة مصارف إسلامية بالكامل لمستثمرين ومؤسسات من الشرق الأوسط هي: بنك بريطانيا الإسلامي، بنك الاستثمار الإسلامي الأوروبي، بنك مصر والشرق الأوسط، وبيت الأوراق المالية، بيت التمويل الأوروبي، بنك جيتهاوس، وتعتبر هيئة الخدمات المالية أول مشروع أوروبي يصدر تراخيص لمصارف إسلامية بالكامل، كما أنها أصدرت ترخيصاً لأول مرة في صندوق إسلامي لأول مزود للتأمين التكافلي

معرض مخطوطات قرآنية

افتتح في قاعة «ساد فوغ» في لندن معرض خاص بالمخطوطات القرآنية يضم أكثر من خمسين عملا فنيا تغطي مرحلة زمنية تتجاوز ١٣٠٠ سنة، وتقدم في الوقت نفسه نماذج من فنون الخط والزخرفة التي مارسها الفنانون المسلمون على مدى العصور وفي مناطق جغرافية تمتد من حوض المتوسط إلى أقاصي الصين وأفريقيا.

وتهدف قاعة المعرض «ساد فوغ» المتخصصة بتقديم الفنون الأوروبية والإسلامية والهندية العائدة إلى القرون الوسطى، من هذا المعرض، أن تقدم للمشاهد الأوروبي بصورة خاصة كيفية تعامل الفنانين المسلمين مع النص القرآني بصفته نصا مقدسا يتطلب أساليب فنية مميزة في الخط والزخرفة ونوعية الورق والتجليد.

مؤتمر عالمي في أمريكا لمواجهة المخاوف الغربية من الاسلام

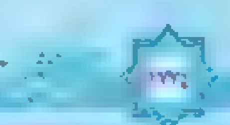
اقترحت ماليزيا عقد مؤتمر دولي كبير تموله منظمة المؤتمر الإسلامي مطلع العام القادم للتصدي للمخاوف ضد الإسلام «الإسلام فوبيا» التي ترسخ جذورها في عدد من الدول المتقدمة، وقال وزير الخارجية الماليزي ريس يتيم في تصريح صحفي: إن منظمة المؤتمر الإسلامي ضمت من ماليزيا أن تلعب دورا رئيسيا في تصحيح سوء الفهم في المجتمع الغربي بسبب ظاهرة «الإسلام فوبيا» لدرجة تجعلهم يكرهون أي شيء له علاقة بالإسلام، والدليل على ذلك ما حدث مؤخراً في ألمانيا من احتجاجات ضد بناء مسجد في كولونيا وتأمل الوزير الماليزي في أن تشارك في المؤتمر شخصيات مؤثرة مثل الزعماء والرؤساء والمفكرين والمنظمات غير الحكومية التي تؤيد التسامح الديني.

محمد أكثر الأسماء شعبية في بروكسل

تصدر اسم «محمد» قائمة أكثر الأسماء شعبية في العاصمة البلجيكية «بروكسل» التي يوجد بها مقار العديد من مؤسسات الاتحاد الأوروبي. وذلك حسب ما نقلته وكالة الأنباء الألمانية، وأعلن مكتب الإحصاء البلجيكي أن ٢٣٥ من المواليد الجدد في بروكسل حصلوا على اسم «محمد» عام ٢٠٠٧، يليه في المركز الثاني اسم «آدم» الذي سمي به ١٦٩ مولودا، وجاء اسم «أمين» في المركز السادس لقائمة أكثر ١٠ أسماء شعبية في بروكسل. في حين اشترك اسم «أيوب» و«مهدي» في احتلال المركز السابع.

ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم

نظم فرع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بمالطا مؤتمرا إعلاميا بمناسبة صدور الترجمة المالطية لمعاني القرآن الكريم، والتي قام بإعدادها الشيخ محمد السعدي إمام مسجد المركز الإسلامي، والدكتور مارتن زميت أستاذ اللغة العربية بالجامعة المالطية، وقام بمراجعته وتنقيحه الدكتور أوليفر فريجيري الأديب والشاعر وأستاذ اللغة المالطية بالجامعة المالطية والداعية بفرع الجمعية ماريو عبد الرحمن فروجه بونج



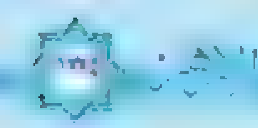
أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبدالنبي فراج
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء بريطانيا السابق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي بمكتبه يوم الخميس ٩ / ١٠ / ٢٠٠٨ السيد توني بلير - رئيس وزراء بريطانيا السابق وعضو اللجنة الرباعية بالشرق الأوسط الذي أكد أن الأزمة المالية أكدت أهمية التعاون والحوار ليكون مصدرا للقوة ويساعد الناس. كما أعرب عن رغبته في أن يكون هناك مركزا للديانات السماوية في لندن من أجل التقارب والتعارف، خاصة أن لندن بها أعداد كبيرة من جميع الديانات السماوية.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الدين الإسلامي بسماحته يحث على نصرة المظلوم والوقوف إلى جانبه حتى ينتصر لاسيما في هذا العصر الذي نعيش فيه فيجب أن يتعاون العقلاء على نصرة المظلوم ومعاونته ونشر العدل ومحاربة الظلم والإرهاب. لأن الإرهاب نكبة دينية ونكبة دنيوية بكل المقاييس ولا نتستر على الإرهاب بأي حال من الأحوال. لأن التستر على القاتل أو من يؤذي الغير جريمة. فيجب أن نتكاتف جميعا من أجل نشر العدل والأمان والاطمئنان. فنحن نريد حوارا إيجابيا تكون نتائجه مفيدة. ولا نريد الحوار في العقائد. فالحوار له منهج وكل إنسان له عقيدته والذي يحاسب على العقائد هو الله. فالتحاور يكون من أجل خدمة الحق ونصرة المظلوم ومساعدة المحتاج.



الإمام الأكبر يستقبل رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي بفلسطين

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه اليوم الأحد الموافق ١٢ / ١٠ / ٢٠٠٨م الدكتور تيسير التميمي - رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي وقاضي قضاة فلسطين يرافقه فضيلة الشيخ محمد حمدان قاضي القدس الشرعي رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد الفلسطيني مؤكدا على أن الشعب الفلسطيني دائما في قلوبنا ونتمنى له التقدم والرخاء وأن يكون للفلسطينيين دولتهم المستقلة. مضيفا بأننا نشعر بما يعاني منه الشعب الفلسطيني وطالب بوحدة الصف الفلسطيني وأن يحفظ الله كربه. وقدم فضيلة الإمام الأكبر النصح للشعب الفلسطيني بالتعاون والتصافي وأن يكون كل فرد كالبنيان المرصوص. وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا. وإذا كانت هناك بعض الخلافات فيجب ألا تؤثر على وحدة الشعب الفلسطيني كما طالب في دعوته بسد الخلافات فيما بينهم.

الإمام الأكبر: الحوار أساس التفاهم

واستقبل فضيلته صباح يوم الأربعاء الموافق ٨ / ١٠ / ٢٠٠٨م السيدة ليلى الصلح وزيرة الصناعة اللبنانية السابقة نائب رئيس مؤسسة الوليد بن طلال الإنسانية. في بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيدة الفاضلة في بلدها الثاني مصر. وأعرب فضيلة الإمام الأكبر عن سعادته لزيارة السيدة الفاضلة للأزهر وأشاد بالجهود التي تبذلها في مجال الرعاية الصحية ورعاية المعاقين بشكل خاص، والذي يخدم الإنسانية والمجتمع الإسلامي.

وقدمت السيدة الفاضلة التهنئة لفضيلة الإمام بمناسبة أعياد السادس من أكتوبر وأشادت بانتصارات المصريين والعرب في ذلك اليوم ووجهت لفضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة لبنان للاطلاع على ما تقوم به من ترميمات بالأبنية الأزهرية في لبنان. وأشادت السيدة الفاضلة بدور الأزهر في العالم أجمع، وأيضا دور الأزهر في كبح الفتن ونشر الوعي الإسلامي، حيث إن الأزهر يتميز بالوسطية والاعتدال.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر بأنه في مصر مصلحة المجتمع فوق مصلحة الفرد. وأنه ليس هناك فرق بين مسلم أو غير مسلم. لأننا جميعا من أب واحد وأم واحدة ونعمل من أجل خدمة الإنسانية جمعاء كما أنني أؤمن بالتخصص. فأنا كرجل دين أتحاور فيما يخص الأمور الدينية وأقوم بالإرشاد والتوجيه. وأوضح فضيلته بأن الأخوة الإنسانية أصل من أصول الكون لأن النفس الإنسانية واحدة. ومادام غيري لا يسيء إليّ في التعامل ولم يعتدى على أرضي أو مالي فمن حقي التعامل معه بغض النظر عن عقيدته وأكد فضيلته على أن الحوار هو أساس التفاهم حول أي موضوع من الموضوعات بغرض الوصول إلى نتيجة ترضي جميع الأطراف. وعلى كل متخصص أن يتحاور في موضوع تخصصه بما يخدم المجتمع والدولة والبشرية جمعاء دون النظر للمصلحة الخاصة.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تايلاند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ٥ / ١٠ / ٢٠٠٨ السيد السفير بوبادون تيبيناك سفير تايلاند بالقاهرة. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في مصر وأزهرها الشريف. وقد تناول اللقاء طمأنة فضيلة الإمام الأكبر على الحالة الصحية لجلالة ملك تايلاند ومن جانبه شكر السفير فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال والرعاية والتيسيرات التي يوليها الأزهر للطلاب والطالبات التايلانديين الذين يدرسون في الأزهر ويتمتعون برعاية الأزهر لهم كما تم الاتفاق على تحديد ميعاد حفل تخريج الطلاب التايلانديين الذين أنهوا دراستهم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة والتي تقيمه سفارة تايلاند بالقاهرة.

الإمام الأكبر يستقبل السفير البرازيلي

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي بمكتبه يوم الخميس ٩ / ١٠ / ٢٠٠٨م السيد سيزاريو ميلانتونيو نتو - سفير البرازيل بالقاهرة وتأتي هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل كسفير جديد لبلاده بالقاهرة رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في الأزهر الشريف متمنيا له التوفيق في عمله. ودار اللقاء من جانب السفير حول عمله بالمنطقة العربية والإسلامية لمدة ٧ سنوات سابقة ببيروت وتركيا ثم أخيرا في مصر متمنيا تحقيق رغبته في تنمية الحوار الثقافي والديني بين الناطقين بالبرتغالية بأمريكا وأوروبا والمنطقة العربية الإسلامية. وناشد السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر المساهمة لعمل لقاء لتنمية الحوار بالقاهرة العام القادم. كما رغب السفير في دعوة الأساتذة والمثقفين من جامعة الأزهر لزيارة البرازيل حيث يوجد بالبرازيل ما يقرب من ٢ مليون من أصل عربي من سوريا ولبنان وباقي البلدان العربية.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر ترحيبه بمثل هذا العمل الذي يتناول الحوار وبين أن الأديان السماوية والعقول الإنسانية كلها تدعو إلى السلام ونشر الأمان في الأمم وتدعو إلى الأخوة الإنسانية ونبذ الإرهاب والتطرف. وأبدى موافقته لحضور مثل هذا العمل حينما تأتيه الدعوة من خلال الطرق الدبلوماسية المتمثلة في وزارة الخارجية.



{And the heaven, He raised it up, and laid down the Balance. That you should not be inordinate in the Balance.}
[Ar-Rahman (The All- Merciful):7}.

Thus, the Prophetic speech is like a universal document!

No... Farewell

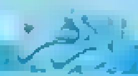
Many people used to call the Prophetic speech as "farewell speech", as if the relationship between Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his followers has ended by this speech. How come?!

The relationship between the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his nation will continue even in the crowd of the Day of Judgment, as the people will cling to him in the way the sons do with their father, and he sympathizes with them in the way the father sympathizes with his children in the day when every prophet says, "myself, myself" and Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, "my nation, my nation."

The attraction between Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his nation is so special, the evident is that all of the visitors of his house and mosque including men, women and children crowd and weep in a way that reveals their love and yearning although more than a thousand and five hundred years passed since his death. Then, we remember the saying of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "when someone enters and salutes me, Allah restores my soul to me to salute him in response."

Thus, we can not put the word "farewell" in the context of the relationship between Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the believers. It is more appropriate to call this speech as "the speech of the completion of religion and grace" rather than "farewell speech".

Also, we can call it "the document of the great jihad", which the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) delivered to his nation while he was performing the rituals of his only hajj in which he taught the Muslims the rituals of hajj that continued up to now.

The morals of asking permission

Contemplate on the magnificence of the Prophet's (may the blessings and peace of Allah be upon him) morals at the beginning of "Arafat declaration", as if he was asking Allah's permission to address the people with the points from which they will benefit in their life and afterlife.

Here he starts with thanking Allah and asking for His help, forgiveness and repentance, which are like ablution before prayers. This is really right, as all of the deeds of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) are like prayers that brings him close to Allah, Glory be to Him.

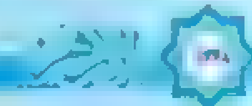
Then, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) follows up his speech which was full of parental and Prophetic feelings saying, "Listen to me, I do not know whether I will meet you in the next year at this situation."

This warm sentence caused all of the people to weep, then they listened to him while he was presenting the responsibilities and tasks which were engraved in the minds of the believers and transferred to the following generations. Then, all of the people stopped talking and Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) started talking:

"O People, your blood and money are inviolable till you meet Allah in the way this day, this month and this country is."

The impartiality of the legislator and the subjectivity of the legislation

The impartiality of the legislator and the subjectivity of the legislation are revealed when the great leader sets the rules on himself and his family without caring about family relationships, friendship or patronage
"If anyone is entrusted to take something, he should restore it to the one who entrusted him, and that the usury of the pre-Islamic era is rejected, and the first usury I start with is that of my uncle Al-Abbas Ibn Abd Al-Muttaleb, and that the blood of the pre-Islamic era is rejected and the first example I talk about is blood of Amer Ibn Rabi ah Ibn Al-Harith."



not merely an indication of the love and admiration of Muhammad's followers to him, however, it is a real link to the last Message with all of its values and correct behaviors.

The link between the witness that "Muhammad is Allah's worshipper and Messenger" and "Allah is the only God" is in some contemplation a link between the tangible and intangible, as satisfaction by Allah is automatically followed by the satisfaction of Muhammad as a Messenger and Prophet. Thus, we should realize that belief in Allah, Glory be to Him, must have a practical echo in time and place.

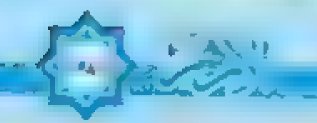
Islamic belief in not like a coin that has two different faces, but it is a coin whose two faces are harmonious. Also, the confirmation of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) that he is "Allah's worshipper" reveals that he denies the sayings of the misleading people who may stir the riots that the resisting people of the nations of Musa and Jesus Christ, as some of the rude Jews said:
{And the Jews have said, "Uzayr is the son of Allah."
[At-Tawbah (Repentance): 30]

Some of the Christians say:
And the Nasara have said, "Al-Masih is the son of Allah."
[At-Tawbah (Repentance): 30]

It was intuitive in our forgiving religion that the Message holder says that he is "Allah's worshipper" to stop any assumption or suspicion

One of the magnificent sayings in this context is that Allah – Glory be to Him – previously revealed this matter when He willed that Muhammad become the son of "Abdullah" Ibn Abd Al-Muttaleb. Thus, there is undoubtedly no field for saying that Muhammad is Allah's son, as the doubters in the previous Messages said.

We note that the prophetic speech in Arafat was concerned with the human soul as a main basis in the different relations that link the human being to others including the familial, economic and social relations, but it extended to the Prophet's concern in his orotund speech that the hajjis at the first period of Islam should care and deal with astronomy such as days, months, years and so on.



Universal Document

It is really useful here to note the universal indication in this wise declaration of Muhammad in his saying about "the postponed month", which is that the Arabs used the lunar months in their accounts, and the tasks which were assigned to them at the time of Ibrahim and Ismail (may the blessings of Allah be upon them) – such as hajj and the inviolable months are ranked according to these months.

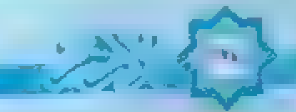
When they found that this rule may harm their commercial interests, as hajj may come in a season that is not suitable to them, and the inviolable months may come in months that do not suit their trade, they added some days at the end of the lunar year called "the days of the postponed month" to be equivalent to the calendar year to perform every task at the time suitable to them.

They collected these "fabricated" days to complete a month, the action that caused some years to contain twelve months, while others contain thirteen months. Thus, hajj may come in Zhul-Hijjah in some years, while it may come in Zhul-Qi'dah in other months. Allah willed that the hajj of Muhammad be in Zhul-Hijjah, the month that Allah assigned to hajj.

Thus, Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered the people to cancel "the days of the postponed month" that the Noble Qur'an denied:
{Surely the month postponed is only an increase in disbelief whereby the ones who have disbelieved are led into error}
[At-Tawbah (Repentance): 37].

Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said in his orotund declaration:
Time is the same as the day of the creation of heavens and the earth, and the number of the months is twelve in the Noble Qur'an including four inviolable ones: Zhul-Qi'dah, Zhul-Hijjah, Muharram, and Rajab.

In this way, Muhammad eliminated the pre-Islamic manipulation of the circle of astronomy that was created by Allah, Who organized it in a certain way:



[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 100]

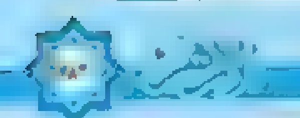
Allah responded to his invocation and his wish came true, as Allah (Glory be to Him) said:
{So We gave him the good tidings of a forbearing youth}
[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 101]

He is the righteous son and the Prophet Isamil (may the blessings of Allah be upon him). Thus, Allah let him reside with the nation of this place to which the Muslims come every year for the sake of performing the rituals of hajj. It was – at that time- empty and desolate – but the Prophet Ibrahim was satisfied with this case, as he performs the orders of Allah. He visited his son frequently, and the boy became an adult and was full of intelligence and courage, the matter that made Ibrahim cling many wishes upon him.

As soon as Ibrahim was happy for his son and his intelligence, he was surprised by this vision. What happened to him can not b e endured even by the tough men, so we can imagine how the matter was with Ibrahim, the kind-hearted sheikh.
{Then when he reached the age of endeavoring with him, he said, "O my son, surely I see in a dream that I should slay you; so, look, what do you see?
[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 102]

As Ibrahim behaved in this way, Allah rewarded and had mercy on him; this can be clarified by the saying of Allah, Glory be to him,
{So, as soon as they had both surrendered, and he dashed him upon his brow. And We called out to him (saying), "O Ibrahim, you have already sincerely (believed) in the vision; surely thus We recompense the fair-doers. Surely this is indeed what is evident trial." And we ransomed him with magnificent slain (sacrifice).}
[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 103-107]

This means a magnificent ram from paradise that came with Jibril (may the blessings of Allah be upon him) saying, "Allah is great, Allah is great, Allah is great". Ibrahim (may the blessings of Allah be upon him) said, "Allah is the only God", then Ismail (may the blessings of Allah be upon him) said, "Allah is great, Praise be to Allah". Thus, we restore the memories by these words whose sublimity can not leave the minds. In this way, Allah keeps the affliction away from the one obeys Him and grants him good rewards.



An important declaration from the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Arafat to the Islamic nation and the whole world..!

By: Ustaz. Muhamad Mustapha Al-Basiouny

Since more than fifteen centuries till now – and up to the time Allah wants - Glory be to Him – the "huge rocks" of the "Mountain of Mercy" welcomes the believers in Arafat area in confidence and honor at the day of Arafat every year. The crowd of the believers says from the deepest of their hearts:
"O, Lord, here we are, here we are, [1]praise be to You, and You own all graces and the whole world, You are the only God".

At these "huge rocks", the Prophet Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) overtopped his blessed she-camel which has a part of her ear cut, and all of his nation gathered around him competing each other to reach him first to take orders from him. The Prophet said, "Allah orders you to perform the rituals of hajj, thus perform what Allah orders you".[2]

This incident was – as it is well-known – in the ninth of Zhul-Hijah in the tenth year of the blessed Prophecy. The whole crowd stood listening and paying their entire attention to the words of the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him).

"Praise be to Allah Whom we thank, ask for help and forgiveness, and seek protection from ourselves and our sins. The one who is guided by Allah can never be misguided, and the one who is misguided by Allah, can never be guided. I witness that Allah is the only God and Muhammad is His worshipper and Messenger".[3]

This introduction was said by "Muhammad" who witnessed that "Muhammad", the one who leads the hajjis is Allah's worshipper and Messenger. It is a clear indication that Muhammad's Prophecy is

[1] One of the miracles of these words is that praise is precedent to grace, as thanking Allah is ultimate from each person to Allah at every time.
[2] Part of a hadith by Abu Hurairah (may Allah be pleased with him) and narrated by Muslim about the commandments of the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him).
[3] The biography books

The happy and ideal society is the one in which morals become sublime in the feast and its human feeling extends to the ultimate extent, being represented in visiting the relatives and friends, congratulating one another, getting rid of malice, spite and enmity, doing good deeds and helping the needy.

Our feasts are one of the religious rituals which we should reveal according to the sunnah of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Also, we should seek the allowable things and refrain from the forbidden matters.

When Abu Bakr (may Allah be pleased with him) entered the house of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) at the feast day and found two bondwomen talking about the day in which the valiant people of Al-Aws and Al-Khazraj were killed, he said, "Allah's worshippers, take care of the devil." He repeated this sentence thrice, and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Every nation has a feast, and it is our feast."

'Aishah (may Allah be pleased with her) said that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said at that day, "Let the Jews living in Medina know that I am sent with a kind and tolerant religion." The truthful believers should obey Allah and His Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) in every order and prohibition. Without this obedience, the nation will not realize its aims.

One of the situations from which the Muslim learns the obedience to Allah and His Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) is the situation that links us to our father, Ibrahim (may the blessings of Allah be upon him). It is a great situation in which obedience is crystal clear, as Ibrahim saw in his vision an order to slaughter his only son, with whom he is endowed after a long time. However, he hurried to carry out Allah's order and told his son Ismail (may the blessings of Allah be upon him) about his vision saying:
{O my son, surely I see in a dream that I should slay you; so, look, what do you see?}
[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 102]

The answer was full of favor and pertinence:

{O my (dear) father, perform whatever you are commanede; you will soon find me, in case Allah (so) decides, among the patient.}
[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 102]

Ismail did not tell his father, "Do what you see" because he knows – although he was still young- that the vision of the Prophets is a real revelation, and Allah's order should be obeyed whatever the sacrifices are. When Ibrahim and Ismail (may the blessings of Allah be upon them) were willing to obey Allah's order, Allah manifested His mercy and sacrificed him with a great immolation:
{Surely whoever is pious and (endures) patiently, then surely Allah does not waste the reward of the fair-doers."
[Yusuf (Joseph): 90]

Allah (the Lord of the worlds) is Truthful as He says in the Noble Qur'an:
{So, as soon as they had both surrendered, and he dashed him upon his brow. And We called out to him (saying), "O Ibrahim, you have already sincerely (believed) in the vision; surely thus We recompense the fair-doers. Surely this is indeed what is evident trial." And we ransomed him with magnificent slain (sacrifice).}
[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 103-107]

The immolation reminds us with one of the ideal families that should be followed by the Muslims:
{Those are they whom Allah has guided; so emulate their guidance.}
[Al-Anam (The Cattle): 90]

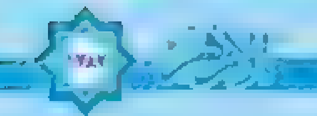
It is the family of Prophet Ibrahim (may the blessings of Allah be upon him). The Greater Bairam reminds us with the incident of the tribulation of Ibrahim, who was an old believer and endured–in his Da'wa for monotheism – much pains. He was not only afflicted by the stubbornness of his people, but he was thrown in fire. However, he preferred his religion and Allah and did not abandon his Da'wa. Also, he was satisfied to be eaten by fire, but Allah – Glory be to Him- fire saying:
{We said, "O fire, be coolness and peace upon Ibrahim!}
[Al-Anbiya (The Prophets): 69]

When he became old, he asked Allah to grant him virtuous children saying:
{Lord! Bestow upon me one of the righteous."

An-Nawawy (may Allah forgive him) said, "Fasting the nine days of Zhul-Hijah is not unpleasant, but it is very recommended." On the other hand, 'Aishah (the mother of believers) (may Allah be pleased with her and her father) said, "I have never seen the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) fasting in these ten days. Ibn Al-Qeem (may Allah forgive him) said about this matter, "The proven opinions are given priority over the denying ideas if they are right."
Ibn Hajar said after mentioning the virtue of fasting in these days that (the mother of believers) "'Aisha's saying means that the Prophet sometimes broke off from some deeds for fear that they are imposed on his nation."
The Muslim's exclaiming that Allah is great and thanking Him are recommended in these days. Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Allah likes the Muslims to do their best in their worshipping and prayers in the ten days of Zhul-Hijah including exclaiming that Allah is great and thanking Allah.
The scientists regard exclaiming that Allah is great is ultimate and limited at the same time; it is ultimate in the way that it take place at every time in the night and day from the beginning of the first ten days of Zhul-Hijah, while it is limited in the way that it is done by man and women after the five prayers.
One of the sayings narrated about the exclaiming that Allah is great from the limited approach is the saying of Ali and Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) as it starts from the morning of Arafat day to Al-Asr prayer in the last day of the ten days of Zhul-Hijah. As for the Hajjis, it starts after Az-Zahr prayer in the day of immolation.
Al-Bukhary in As-Sahih said, "Ibn Umar and Abu Hurayrah (may Allah be pleased with them) used to come out to the market in the ten days of Zhul-Hijjah saying Allah is great, and the people say the same after them."
One of the best pious acts by which the Muslims can gain Allah's favor is the immolation. The one who wants to sacrifice for himself and his family should not cut hair and nails till he slaughters his immolation, as Um Salamah (the mother's believers) narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "If you see the crescent of Zhul-Hijah, the one who wants to slaughter an immolation, he should not cut neither his hair nor his nails.

Also, the Muslims should increase their good deeds in these days such as prayers, alms, Jihad and reading Qur'an. They should also repent from their sins which deprive the human being from Allah's blessings and separates his heart from his Lord.

The one who wants to be relieved from Hell and to be forgiven, he should fast in this day, abstain from sins, say that Allah is the only God and ask Allah for forgiveness.



The Greater Bairam..!

By: The Honourable Sheikh. Ibrahim Ata Al-Fayoumy

The feast is intended to reward the people who do their best and forebear much. It is called that name as it comes back and repeats itself with joy and happiness. Thus, the allowed fun is accepted in these days. Anas Ibn Malek (may Allah be pleased with him) narrated that Ya'ly Al-Mawsely in his Musnad said that Al-Ansar had two days in which they used to play in the pre-Islamic era, and when the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Allah granted you two days better than them: the Lesser Bairam and the Greater Bairam."

The two days previously mentioned are An-Nayroz day (the Persian New Year's Day and the Festival Day (the first day of the scales). The weather becomes moderate in these days and the day and night become equal, thus the ancient wise people interested in astronomy called them the days of fun and joy. The people continued to believe in them till Islam which substituted them with the Lesser Bairam and the Greater Bairam.

The Lesser Bairam is the day in which the basis of the Islamic nation is set, as it is the day of the meeting of the Muslims, in whose accumulation the Word of Allah becomes high. Also, it is the bay of breakfasting in which they give alms, thus the poor become happy as well as the rich for being able to perform what is imposed on them.

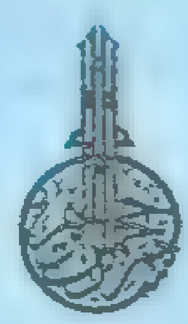
The Greater Bairam is the day in which the whole building became complete. Thus, the two days deserve to be feasts whose memories, effects and inspiration cling to the hearts.

The Greater Bairam is one of the blessed and great days in which the building of the Islamic nation became complete, taking a great rank among the nations. It is a joyful day in which the people say "Allah is Great" abandoning the sins and evil deeds. Thus, the feast day is the measurement by which the morals of the nations become known; if you want to know the reality of a certain nation, you should watch it at the time of feasts, as the people follow their nature in feasts and their real habits and attributes appear truthful.









ENGLISH
SECTION

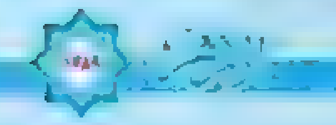
November, 2008

﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."
(Al- A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



Hajj and the virtiue of the first ten days of zhulhijjah..!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

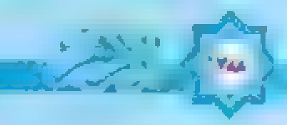
At these days, the Muslims' hearts yearn for visiting the Kaaba, and the Islamic nation pass through great seasons and blessed times, which are considered by the believers as chance for earning blessings and grades and for gaining blessings and decreasing the sins. Allah is so merciful, as He rendered these days for forgiving the hajjis and the others. Thus, the one who is not able this year to travel for hajj, and makes every effort to worship and satisfy Allah, his deeds will be better than going for hajj.

The first ten days of Zhul-Hijah are the best days of the year in which the one can earn great rewards. Ibn Abbas (may Allah be pleased with him) narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Allah likes the good deeds in these days more than at any time else"; he meant the ten days of Zhul-Hijah. The people asked the Prophet (May the blessing and peace of Allah be upon him) saying, "Not even striving for the sake of Allah?!", and he said," yes, except a man came out with his money and came back without them.

Also, Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) narrated that the Prophet (May the blessing and peace of Allah be upon him) said, "Allah likes best the good deeds the Muslim does in the first ten days of Zhul-Hijah." The reason behind the privileges of these days is that they include the main bases of worshipping such as prayers, fasting, alms, Hajj and others.

At the beginning of the great month, the Muslims come to Kaaba, being promised by Allah (Glory be to Him) with great rewards, as the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "The one who performs hajj without doing sins, he gets rid of his previous sins as a newborn".

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Continue your performance the Hajj and Umrah, as they separate you from poverty and sins, the way the bellows remove the scum of iron, gold and silver, and the blessed hajj is rewarded only by paradise." Also, fasting is greatly recommended in these days, especially in the day of Arafat. Hafsah (the mother of believers) (may Allah be pleased with her) said, "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) abided by four worships: fasting the day of Ashura, the first ten days of hajj, three days of every month and Al-Fajr prayer." Mentioned b y Ahmad. Abu Dawud, An-Nesa'y and some of the wives of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) narrated that the Prophet was fasting ten days of Zhul-Hijah.



الفهـــرس

AL AZHAR MAGAZINE

Zu-l-Qaeda 1429 A.H. - Nov. 2008
VOL. 81 Part X

الثمن
١٥٠ قرشا

الأزهر

هدية العدد

رد الأزهر على كتاب:

فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ

بسم الله الرحمن الرحيم





الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى

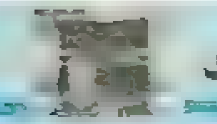
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا امريكيا

أوروبا وأمريكيا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩





في موسم الحج

إلى ابنتي بالمدينة المنورة حديث عن الأماكن الطاهرة

هل تذكرين رحلتك السعيدة، حين عرفت أنك ذاهبة إلى السكنى في المدينة المنورة صحبة زوجك العزيز، فكان البشر يتألق على صفحة وجهك. وكنت تسألين في لهفة عن المسافة الزمنية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وهل تستطيعين أن تزوري بيت الله الحرام بالبلد الأمين أسبوعيا، فتسعدي بالحرمين الشريفين متى تشائين؟!

كنت تسألين عن ذلك، وتودين أن تكون المسافة عدة كيلومترات، لا تتجاوز العشرة، ولكني قلت لك لا تكوني طامعة، فأنت ستزورين مكة في موسم الحج، فصحبت على الفور، وبدأ يحدثني أنظر إلى موسم الحج والطواف بالحجاز، أول شيء بعد زيارة المسجد النبوي سأنطلق لأداء العمرة. وحين سمعت ذلك منك جاشت خواطري بعواطف رقيقة نحوك، ولم أتعجب للهفتك الخارقة لأنني أعرف قول الشاعر العربي:

وأبرح ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الخيام من الخيام

ثم حان موعد الرحيل، فكنت تستكثرين ساعتين في الطائرة، وتعديهما وقتا طويلا، وتودين لو أن المدة تنقضي في لحظة عين. وليت شعري ماذا كنت ستصنعين قبل أيام الطائرة، حين كانت الباخرة تمتد كثيرا في قطع مسافات البحر. وحين كانت الجمال تحمل الراكبين أياما من جدة إلى مكة، ثم أياما أخر من مكة إلى المدينة بعد قضاء موسم الحج في البلد الحرام؟ ماذا كنت تصنعين حينئذ وقد امتدت الليالي دون العدد والشوق يطير بك طيرانا إلى المسجدين الشريفين خير مساجد الله طرا على الأرض، وأقرب مكان تتصل فيه السماء بما تحتها من العوالم، ابنتي العزيزة، ماذا كنت تصنعين؟

ولابد أن تنقضي مسافة الطائرة، وأن تمسك عينك ذات اليمين وذات الشمال، فتحدي نفسك في مطار

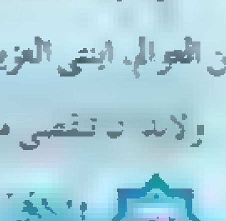
المدينة المنورة. لقد عرفت أنت وأسرتك الصغيرة سرعت بالتوجه إلى المنزل. لا أستريحي. وقد تلفت من الطريق إلى البيت، بل لتضعي رحلك على عجل، ولتغتسلي متوضئة، ثم يصحبك زوجك العزيز وهو مثلك في لهفته وحنينه، إذ يقع النظر على شكله، يصحبك إلى المسجد رسول الله ﷺ وكم حف قلبك إلى هذا المسجد الطاهر ملايين الملايين من المسلمين، وكلهم يهفون إلى زيارة حبيب طال العهد بعده، فتلقد الحب في الصدور وينح الدمع بمكنونه، وخفقت الأضلاع خفقات الحب والإيمان، ولا أستكثر ذلك ولا أستعظمه فأنت ذاهبة إلى من؟ إلى مثوى رسول الله في حرمه الشريف.

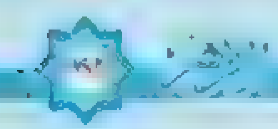
مضجع طيب قدس الله سرها ... يطوف به الروح الأمين مسلما

إذن فقد تحقق الأمل، وأصبح حقيقة واقعة، فأنت الآن أمام المسجد النبوي الشريف، وقد سعيت متجهة إلى المثوى الطاهر، لا تلتفتي إلى عظمة المسجد المعمارية، ولا إلى ثرياته النفيس، ولا إلى الأعمدة المصفحة الرائعة التي تأخذ العين بروعتها الخلابة، لا تلتفتي إلى ذلك كله، فأنت عنه في شغل شاغل، إذ توجهت مندفعة إلى زيارة المثوى الطاهر، فوجدت ازدحاما يرعب مشهده، وسيروعك كثيرا وكثيرا حين يأتي الموسم المبارك فلا تجدين موضع قدم في الروضة الشريفة، فضلا عن المثوى الأكبر. لقد قرأت اللحظة في الفعال أعرفه مشاهدة، لا بالتجربة لأني أشكو إليك قسوة عواطفي، فقد وقفت هذا الموقف من قبل، ورأيت من حولي من الناس يبكون ويتضرعون، ولكني لا أنت أتعجب من قسوة عواطفي وأخذت ألوم نفسي، وأعمي شذا أي سدود، ولكني حين قرأت كتاب «في منزل الوحي» للكاتب المؤمن الدكتور محمد حسين هيكل وجدته هو الآخر يتعجب لأنه لم يبك كما بكى الحاضرون، وإذا كان الإنسان يفقد الحس من فرط الدهشة، فإن الدمع يحتبس أحيانا من فرط التأثر، والنفوس لا تتفق تماما ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة!

ثم ينتهي الموقف، انتهى الموقف في مدته الزمنية، ولكن تأثيره النفسي لم ينته بعد، إن الذين يقفون هذا الموقف وبعضهم يظلون يستذكرون هذا الموقف، فما بالك بمن يقف أمام مثوى رسول الله! أتسمحين أن أنقل إليك كلام الدكتور محمد حسين هيكل، فإنه أبلغ بيانا مني وأصدق تصويرا، لقد كتب سطورا ذات جلال وجمال، كنت أتمنى أن أكون أنا كاتبها، ولكن الله يختص بعض عباده بفضل لا يناله الآخرون، وقد رزق الدكتور إحساسا مؤمنا صادقا جعله يقول:

«أقمت مكاني هنيهة شاخصا إلى هذه الحجرة مأخوذ اللب عن التفكير، وكأني في حضرة ملك أدى مراسم الإجلال والإكبار، كلا، بل كان الموقف أكبر من حضرة ملك، لقد لقيت ملوكا، وتحدثت إليهم.





ولقيت بعضهم وما زلت في صغر السن فلم أجد لقيتهم مثل هذه اللهفة، ولا امتلأت نفسي أمامهم بشيء من هذا الإكبار، ووقفت أمام قبور الملوك والفراعين والأباطرة والعظماء فلم أشعر بشيء من خلال الروحي الذي أخذ علي تفكيري الآن وأنا في هذا الموقف وأشهد لقد كنت في حيرة.

كما أذكر لك أن كاتبا من كبار الكتاب كان يسجل خواطر الرحلة المباركة إلى الحج خاطرة خاطرة. يسجلها تلقائيا وكأنه يتحدث في مجلس سمر. ثم جاء موقف الزيارة الكريمة. فكتب عنوانا في أعلى الصحيفة هو هذا الذي في حضرة رسول الله وأراد أن يكتب فوقف القلم لأنه في حضرة جمع كثير كثير ما يحاول أن يرسمه. ثم قال في نفسه سأترك هذا الموقف حتى تهدأ الخواطر ويسكن الانفعال. ولكن الصفحات ظلت خالية في وسط كتاب الرحلة لا يملأ صاحبها بالكتابة حتى يفعل ويتحير! لقد ذكرت في هذا الموقف الصوفي الكبير أبا بكر الشبلي، إذ قال عنه إنه حين وقف على جبل عرفات انعقد لسانه فلم يستطع التلبية، وجميع الناس من حوله يقولون لبيك اللهم لبيك. ثم أخذ يحدق في السماء باكيا ولو كنت محاوره لقلت له لا تبك يا سيدي، فقد لبى قلبك بين جوانحك فغاب عن اللسان!

ثم عاد بعد الزيارة لقد تحيت في الروضة الشريفة فصليت ركعتين صلاة لا أعرف مدة أحس من مد فيها على كثرة ما صليت من قبل ولا ما عرفت بعد ذلك. الشعور بأنه قريب من رسول الله يشعره إلى حد آخر. كم أنه لا يستطيع أن يتوسل [illegible] حتى عنه. فشغله عن شيء من أمور الدنيا. وهو بين يدي الله في حرم رسول الله. ولعل ذلك هو ما جعل الزائر مؤمنين على الخروج، حتى في غير أوقات الصلاة، فهم يحنون إلى أصحابه. وكأن رباطا وثيقا قد ربط قلوبهم بالمسجد، فهم إليه مجذوبون ولو قدروا على أمورهم ما تركوا هذا المكان ولكن الحياة هي الحياة والإنسان تملكه ظروف لا يستطيع أن ينحرف عنها في يمين أو شمال!

لقد دخلت المسجد من باب السلام وخرجت من باب الرحمة وما أعظم ما توحي به كلمة السلام بدءا ثم ما توحي به كلمة الرحمة ختاما. هذا وقد من على قلبي الوقوف على [illegible] التي تحيت بعد الزيارة. وقد جلست أتحدث مع زوجتي عما شهدت. فقالت إنه تشهدي على قبري أبي بكر وعمر جوار رسول الله. فقلت لها لقد شهدت لأني أعرف من أمر ذي قربى الصاحبين من حسبهما، وشهد الأعمر رضي الله عنه قد استأذن عائشة أن يدفن جوار حبيبه فأذنت بعد أن كانت تنهى المكان لنفسها. ثم جعلنا نتحدث في الترتيب. هذه أقباس من التاريخ تأتي مناسبة فتشع وتضيء. على أنه لا يفضل الشوق بالزيارة وحدها. بل تكررت



الزيارات الموحية كما علمت. وكنت أتمنى أن أتذكر كلها في بعض هذه الزيارات. فتسنى لي الوقوف في موضع تسقط فيه الرحمات. فهل في ذلك ما يحتاج إلى تحتاج، ولولا عتاب حياة حضرت إليك. ولكن العمر قد تقدم. والصحة قد تأخرت. ولا مفر من روح الله

أعرف أنك درست السيرة المطهرة دراسة واعية، فعرفت ما بالمدينة ومكة معا من آثار شريفة، يمضي القرن وراء القرن وهي باقية يحدث في سمع الزمان. كما أنك زميلات من مصر العزيزة سبقت إلى المدينة تعرف ما بها من الآثار. وأحداهن يتحدث لك عنها في شغف حار. حدثتك عن حول المسجد من منازل تحمل عبق التاريخ. فهذا منزل أبي أيوب الأنصاري، وذاك عثمان بن عفان، منزل أبي أيوب الأنصاري الذي اختاره رسول الله مستراحا له أول ما نزل المدينة بعد الهجرة الشريفة إذ تزاحم المسلمون على استضافة رسول الله، وهو يترك ناقته فقال لهم خلوا سبيلها فإنها مأمورة. وما زالت تسير حتى وقفت عند هذا المنزل فنزل رسول الله حيث طاب له أن يقيم، أما دار عثمان فقد شهدت مصرعه بعد أن حاصرته الفتنة الهوجاء، وما زال ما شهدته جرحا داميا يعتصر القلوب بالألم، وقد قال القائل وصدق:

أرى الإسلام في عثمان يبكي   شهيد الدار إذ ورد الحماما

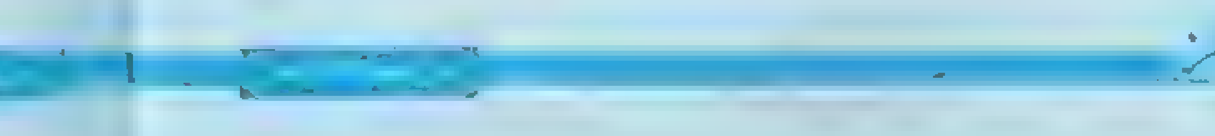
لقد استشهد من قبله عمر، ولكن الفجيعة عندئذ أبكى وأوجع. فقد قتل عمر مجوسي حاقد. تربص به غيلة، وحده وهو معتكف في مسجده. أما المسلمون فهم قتلة عثمان! أخذوه بعد حصار وتضييق وفتنة. فكان مصرع رهيب تكاد له السموات والأرض. وقد شهدت هذه الدار من قبل مواقف أدمته حزناً، وتوالت على عيني مشاهد عمرتني في ظلال من الروعة، وعرفت أن ما عند الله أحب وأوسع مما عند الناس

ما كان بعد أحد والخندق فلابد أن طائفة من الأمكنة قد دعتك إلى زيارتها. وإن تعد معظمها في شمال المدينة متجهاً إلى سلع. وقد زرت من قبلك مسجد الغمامة والسقيا والفتح. وغيرها من المشاهد. أما الذي عني به بعد الزيارة فمشهد البقيع. ومشهد قبر حمزة. ومشهد غزوة أحد، وإن أثار في نفسي شيئاً تحدثت عن هذه الثلاثة. وهو حديث تاريخي يعرفه كل من قرأ تاريخ الإسلام في عصره الأول. ولكن لا مفر من ذكره بجعل الغائب حاضراً والبعيد قريباً. بل يشخصه أمام ناظريك. فكأنك تحس بماضيه، وترى رجاله، ومستعرضاً حسناته ومساوئه وأعماله. ولعل الشاعر الصوفي الكبير عمر بن الفارض قد عنى ذلك حين قال:

روح القلب بذكر المنحنى ... وأعده عند سمعي يا أخيّ

كان لي قلب بجرعاء الحمى ... ضاع مني هل له رد عليّ

لقد كان منهم من تحدث عن البقيع من المؤلفين فقال عنه «جنة البقيع». ولا عجب أن صارت المقبرة جنة. لأن شهداء الغزوات النبوية قد دفن أكثرهم بالبقيع. والمؤرخون يذكرون من بين من دفنوا بالبقيع فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورقية أختها وإبراهيم. ولا أدري لماذا لا يذكرون زينب. وقد توفيت بالمدينة. وليس للمسلمين بالمدينة إذ ذاك مدفن غير البقيع. كما يذكرون جميع زوجات رسول الله غير خديجة رضي الله عنها فقد دفنت بمكة. وميمونة التي دفنت بسرف. أما الصحابة من أمثال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري والعباس بن عبد المطلب. فكلهم دفن في هذا المكان الطاهر. وقد كان الرسول يزوره. وقد دمعت عيناه. وهو يدفن ولده إبراهيم. وقال قولته المشهورة: إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع. ولا نقول إلا ما يرضي الرب. وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون. وفي الحديث زار الدكتور هيكل جنة البقيع ووقف فيه موقف المؤمن المستعبر. بل موقف الشاعر أيضاً لأنه ذكر في كتابه «في منزل الوحي» حديث موت إبراهيم. وحزن والده العظيم عليه ثم قال بعاطفة الشاعر ووجدانه: «ولعله ﷺ كان واقفاً مكاني الآن حين صلى على ولده إبراهيم. وحين سوى على قبره بيده بعد دفنه. وحين رش الماء على قبره وأعلمه بعلامة»





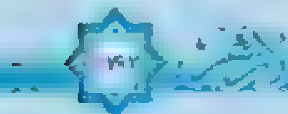
محمد حسين هيكل

وهذه لفتة شاعر حقاً، لا حديث مؤرخ، أما تحليل الأديب البارع فقد جاء عقب ذلك حين قال الدكتور هيكل بصدد هذا الموقف الرهيب:

«وحدثتني نفسي وأنا بموقفي، كيف يبلغ الحزن من محمد هذا المبلغ. وقد حمل في الحياة ما ينوء به من لم يؤته الله من فضله ما أتى نبيه ورسوله. وقد حمله قويا صابرا مستهينا بالأذى والألم والموت، وإذ ذاك ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا، وإن لنا فيه الأسوة والمثل، وأنه في حزنه على إبراهيم قد كان الأبوة البارة، والعاطفة السامية التي ركبها الله في الناس إبقاء على الحياة وصورة لوحدتها المتصلة على الأجيال. وهل في الحياة كعاطفة الأبوة البرة نعمة وسعادة وربية. وهذه العاطفة هي التي نسعد بها، هي التي تبعث إلى قلوبنا حب غيرنا، وتخفف من أثرتنا وتعلمنا الإيثار وتدعو إليه. وهي التي تدفع بنا إلى السعي في الحياة ابتغاء الرزق لأولادنا ومن يلوذ بنا. وابتغاء الخير بعد ذلك للناس جميعاً. ولولا هذه **العاطفة لقضت الأثرة على الحياة ولأسرع الفساد إلى الكون».**

أكثرت - يا بنيّ - من حديث الدكتور هيكل، والإشارة لما كتبه. لأدعوك إلى قراءة كتبه. وأنت في المدينة المنورة. لأن الذي يقرأ كتاباً عن منزل الوحي في مكان الوحي يستشعر معاني لا يجدها حين يقرأ الكتاب في بلد آخر، والكتاب هو الكتاب. ولكن الجو الروحي يعين على تجدد المعاني واستيفائها واستشفاف ما كمن بين سطورها. وهذا شيء جربته بنفسي كثيراً في مواقف شتى. وقد ألف الدكتور هيكل كتباً كثيرة. ولكن أخلدها على مر الزمن ما كتبه في «حياة محمد» وفي «منزل الوحي» وفي كتبه عن الصديق أبي بكر وعثمان رضي **الله عنهم جميعاً، ورحمه الله رحمة واسعة!**

أما قبر حمزة أسد الله. فقد وقفت أمامه. وهزتني زيارته هزاً. لأني أعرف تاريخه المذهبي الخالد في صحائف الإسلام. أعرف كيف كان سم الأعداء في مكة وبدر وأحد. وأعرف كيف كانت مكانته لدى الرسول حياً. وكيف حزن عليه شهيداً. وقال كلمته الحزينة حين رأى نساء الأنصار يبكين شهداءهن: أما حمزة فلا بواكي عليه. فجعلت كل أنصارية تبكي فقيدها تبدأ بالبكاء على حمزة. وأعرف أن بعض الولاة من عمال بني أمية رأى أن ينقل القبور بالبقيع من مكان إلى مكان! فماذا وجد؟ وجد الدم الطاهر في عروق الشهداء لايزال ساخنا بعد قرابة ثمانين عاما! ومن بين هؤلاء دم حمزة! أليس في هذا ما يؤكد



قول الله عز وجل:

[illegible]

(آل عمران: ١٦٩:١٧١)

وسيد الشهداء هو حمزة بن عبد المطلب كما نعرف جميعا. وإذا كانت الخواطر الخاصة تتوارد على نفسي دون ترتيب، فإني أذكر أني شاهدت مصرع سيدنا حمزة، ومعركته مع أبي جهل يوم إسلامه، وبطولته الخارقة في بدر وأحد. وقد عبرت عن ذلك بقصيدة قلتها منذ مدة طويلة، وجعلت عنوانها «على قبر حمزة»، ومطلعها:

بلغت فقف وقوف الخاشعينا ... هنا بطل الكماة الماضينا

هنا تجد الهزبر له عرينا ... يطوف به الليوث مسلمينا

هنا عم الرسول غدا دفينا!

وأنا على يقين من أن الأحزان التي عمت المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تكون حقيقته الأولى. إذ إن أبا بكر وعمر وعليا وعثمان كانوا يؤثرونه على أنفسهم وهو بعد عم الرسول، ولكن لله مشيئة غالبة. وتدبير محكم. وهو السميع البصير. إن ذكريات البطولة الإسلامية قد قارنتها بحمية مسلمة، وتجعله يشرئب إلى سماوات العزة والكرامة. ومن هنا كانت صحائف الأبطال في تاريخ الإسلام صحائف همة وارتقاء! وإن قراءة بطولات أبي عبيدة وعمرو وخالد وسعد والمثنى وعلي بن أبي طالب وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم الثقفي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وأمثالهم إن يوما هذه لتنشئ شبيبة إسلامية، تعتز بالإسلام. وتهب نفسها للجهاد عن حوضه فتقتدي بهؤلاء البررة من الأسلاف. وفي طليعتهم أسد الله حمزة بن عبدالمطلب طيب الله مثواه

أما بئر أريس، فلعلك لا تعلمين عنها شيئا. وأنا كذلك لم أكن أعرف منزلتها التاريخية قبل أن أقرأ مقالا رائعا عنها لأديب العربية الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات، إذ شوقني إلى رؤيتها. ومن العجيب أني حين زرتها في سنة ١٩٧٢م وجدتها ناضبة جافة لا ماء فيها. ثم رجعت إلى ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل في منزل الوحي فوجدته يتحدث عن مائها العذب المتدفق. وقد زارها سنة ١٩٣٥ م. وإذن فهي تمتلئ وتخلو. وتغيض وتفيض وفق المنسوب المدخر في المياه الجوفية في باطن الأرض. كانت هذه البئر خارج المدينة تستظل بعدة فروع خضراء مزهرة، وعلى حافتيها مجلسان متقابلان لمن يجلس.


أحمد حسن الزيات

وقد آثرها رسول الله ﷺ، لتكون له في المدينة، ما كان غار حراء في مكة، يخلو بها لنفسه مفكرا في أعباء الرسالة، ومتصلا بالسماء اتصال من يطلب العون في هداته من ربه، وعزلة رسول الله لم تكن عزلة فارغة خالية، لكنها عزلة تفكير وإشراق، عزلة تفكير فيما يهمه من أمر الرسالة، وإشراق بما يسطع في قلبه من نور الهداية، فيرجع بعدها مطمئن الخاطر، هادئ النفس، ومن حديث هذه البئر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما جاء في البخاري ومسلم – قد أمها ذات صباح، ودخل العريش الشجري المحاط بها، على حين وقف على الباب أبو موسى الأشعري كحارس له، وقف من تلقاء نفسه، إذ رأى الرسول معتزلا فآثر أن يصون مجلسه عن هجوم متطفل، إلا حين يأذن. فجاء أبوبكر، فاستأذن، فأذن له الرسول فدخل، وقال لأبي موسى بشره بالجنة. ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له، وقال الرسول لأبي موسى بشره بالجنة، وجاء عثمان فاستأذن فأذن له وقال الرسول لأبي موسى بشره بالجنة على بلوى تصيبه! لقد جاء الصحابة الثلاثة على نسق قدره الله مطابقا لما كان من توليتهم أمر الخلافة فيما بعد. أما عثمان فقد فكر طويلا في قول الرسول على بلوى تصيبه! ثم ترك الأمر لمشيئة الله تصرفه حيث أراد. وتقول الرواية إن خاتم رسول الله قد حمله أبوبكر وعمر وعثمان من بعده. تقليدا يتبع. وذهب عثمان إلى البئر مستريحا. فسقط الخاتم في الماء. وبذل أعوانه الجهد بحثا عنه فكأنه غاص في أعماق الأرض مخترقا أطباقها جميعا! وقد تأسف عثمان إذ ضاع الخاتم منه. وكان حريصا على التبرك به. وعد فقدانه نذيرا بشر يأتي!

حول هذه المعاني دار حديث الزيات، فأحببت أن أزور البئر. ووجدتها كما وصفت من قبل. ولعلك يا بنتي تكونين أسعد حظا مني فتريها دافقة بماء مستطفة بالخضرة. كما رآها الدكتور هيكل. فلا تنسي أن تصحبي روحك الكريم إلى رؤيتها. وأن تتذكري حديث الرسول معها! وما كان من أمر خلفائه الثلاثة. وكلهم خيار من خيار!

وبعد. فقد بلغت حاجتي في كتابة هذه الرسالة إليك، وإلى كل زائرة لمدينة الرسول الأعظم. كلا. فما في النفس أعظم من أن يخطه قلم أو يوحي به بيان!

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ۝ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ۝ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ۝ متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ۝ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار ۝ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ۝ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ۝﴾

الآيات (١٩٤، ٢٠٠)



حكى القرآن أنهم ترقوا فانتقلوا من طلب الغفران إلى طلب الثواب الجزيل، والعطاء الحسن فقال - تعالى - حكاية عنهم

﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة﴾

أي نسألك يا ربنا أن تعطينا وتمنحنا بعد وفاتنا، وحين قيامنا من قبورنا يوم القيامة، ما وعدتنا به من ثواب في مقابل تصديقنا لرسلك، وطاعتنا لهم، واستجابتنا لأوامرهم ونواهيهم ﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾

أي ولا تذلنا ولا تفضحنا يوم الحشر على رؤوس الأشهاد ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ أي إنك - سبحانك - لا تخلف وعدك الذي وعدته لعبادك الصالحين.

فهم قد جعلوا هذا الدعاء وهو طلب الثواب الجزيل يوم القيامة، ختاما لدعواتهم، لشعورهم بهفواتهم وبتقصيرهم أمام فضل الله ونعمه.

والمراد بقولهم ﴿ما وعدتنا﴾ الثواب والعطاء الكائن منه - سبحانه - و﴿ما﴾ موصولة أي آتنا الذي وعدتنا به أو وعدتنا إياه

وقوله ﴿على رسلك﴾ فيه مضاف محذوف أي آتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من ثواب.

أو آتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك والإيمان بهم من جزاء حسن.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد؟

قلت: معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد، أو هو من باب اللجأ إلى الله والخضوع له، كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (يستغفرون مع علمهم بأنهم مغفور لهم، يقصدون بذلك التذلل لربهم، والتضرع إليه، واللجأ الذي هو سيما العبودية).[1]

تلك هي الدعوات الخاشعات التي حكاها - سبحانه - عن أصحاب العقول السليمة، وهم يتضرعون بها إلى خالقهم - عز وجل - فماذا كانت نتيجتها؟

لقد كانت نتيجة دعواتهم، أن أجاب الله لهم سؤالهم وحقق لهم مطلوبهم فقال - تعالى -:

﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾

قال الحسن البصري: (مازالوا يقولون ربنا حتى استجاب لهم).

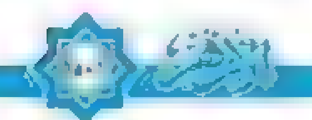
وقال جعفر الصادق: (من حزبه أمر فقال خمس مرات ﴿ربنا﴾ أنجاه الله مما يخاف، وأعطاه ما أراد، قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا﴾ (آل عمران: ١٩١)

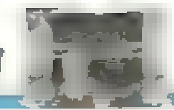
..إلخ، فإن هؤلاء الأخيار قد نادوا ربهم خمس مرات فأجاب الله لهم دعاءهم. ودلت الفاء في قوله ﴿فاستجاب﴾ على سرعة الإجابة. لأن الفاء للتعقيب، فهم لأنهم دعوا الله بقلب سليم، أجاب الله لهم دعاءهم بدون إبطاء.

واستجاب هنا بمعنى أجاب عند جمهور العلماء، إذ السين والتاء للتأكيد، مثل استوقد واستخلص.

وقال بعضهم: إن استجاب أخص من أجاب. لأن استجاب يقال لمن قبل ما دعي إليه، وأجاب أعم فيقال لمن أجاب بالقبول وبالرد.

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص ٤٥٥





والمعنى: أن الله – تعالى – قد بشر هؤلاء الأخيار برعاء عـبهم، بأن أجرهم بأنه قد أجاب لهم دعاءهم، وأنه –سبحانه– لا يضيع عمل عامل منهم، بل سيجازيهم بالجزاء الأوفى، وسيمنحهم من الثواب، فوق ما عملوا لأنه هو الكريم الوهاب، ولن يفرق فى عطائه بين ذكر وأنثى، لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر وقد خلقهم جميعا من نفس واحدة.

وفى التعبير باللفظ السامى ﴿رَبُّهُمْ﴾ إشارة إلى أن الذى سيجزيهم هو خالقهم ومربيهم والمنعم عليهم، والرحيم بهم.

ومعنى: ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ لا أزيل ثواب عمل أى عامل منكم، بل أكافئه عليه بما يستحقه، وأعطيه من ثوابى ورحمتى ما يشرح صدره، ويدخل البهجة والسرور على نفسه.

وقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ بيان لعامل. وتأكيد عمومه، أى لا أضيع عمل أى شخص عامل سواء أكان هذا العامل ذكرا أو أنثى.

ومعنى ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر، كلكم بنو آدم، وهذه جملة معترضة مبينة لسبب شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله به عباده من أجر جزاء أعمالهم الصالحة.

روى الترمذى عن أم سلمة قالت: يارسول الله، لا أسمع الله –تعالى– ذكر النساء فى الهجرة. فأنزل الله –تعالى–

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾

ثم بين –سبحانه– الأعمال الصالحة التى استحق بها هؤلاء الأبرار حسن الثواب منه –سبحانه– فقال:

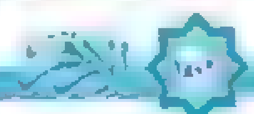
﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾

أى: فالذين هاجروا بأن تركوا أوطانهم التى أحبوها إلى أماكن أخرى من أجل إعلاء كلمة الله، وأخرجوا من ديارهم، فرارا بدينهم من ظلم الظالمين، واعتداء المعتدين، ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ أى تحملوا الأذى والاضطهاد فى سبيل الحق الذى آمنوا به ﴿وَقَاتَلُوا﴾ أعداء الله ﴿وَقُتِلُوا﴾ وهم يجاهدون من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

هؤلاء الذين فعلوا كل ذلك، وعدهم الله –تعالى– بالأجر العظيم فقال: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أى لأمحون عنهم ما ارتكبوه من سيئات، ولأسترنها عليهم حتى تصير نسيا منسيا ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى تجرى من تحت قصورها الأنهار التى فيها العسل المصفى، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

وقوله ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ أى لأثيبهم ثوابا عظيما من عندى، والله –تعالى– عنده حسن الجزاء لمن آمن وعمل صالحا.

فأنت ترى أن الله –تعالى– قد منح هؤلاء الأخيار ذلك الأجر الجزيل لأنهم قد هاجروا من الأرض التى أحبوها إلى غيرها من أجل إعلاء كلمة الله، وأخرجوا منها مضطرين لا مختارين فرارا بدينهم، ولقد ذكر المؤرخون أن الرسول ﷺ عندما خرج



من مكة مهاجرا التفت إليها وقال: «يا مكة والله لأنت أحب بلاد الله إلى ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت».

ولأنهم قد تحملوا ما تحملوا من الأذى فى سبيل الله. ولأنهم قد جاهدوا أعداء الله وأعداءهم حتى استشهدوا وهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله.

وقوله ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مبتدأ. وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له، والتفخيم لشأنه. وخبره قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.

وقوله ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ معطوف على ﴿هَاجَرُوا﴾. وجمع بينهما للإشعار بأنهم قد تركوا أوطانهم تارة باختيارهم ليبحثوا عن مكان أصلح لنماء دعوتهم، وانتشار الحق الذى اعتنقوه، وتارة بغير اختيارهم بل تركوها مجبرين ومضطرين بعد أن ألجأهم أعداؤهم إلى الخروج منها بسبب ما نالهم منهم من ظلم واعتداء.

وقوله ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ معطوف على ما قبله، والمراد من الإيذاء ما هو أعم من أن يكون بالإخراج من الديار، أو غير ذلك مما كان يصيب المؤمنين من جهة المشركين.

وجمع –سبحانه– بين قوله ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ للإشارة إلى أن للقسمين ثوابا وأنهم لن يصيبهم إلا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وقوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ جواب قسم محذوف، أى والله لأكفرن عنهم سيئاتهم.

وقدم –سبحانه– تكفير سيئاتهم على إدخالهم الجنة، لأن التخلية –كما يقولون– مقدمة على التحلية، فهو أولا طهرهم من الذنوب والآثام ونقاهم منها، ثم أدخلهم بعد ذلك جنة وأعطاهم فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وقوله: ﴿ثَوَابًا﴾ مصدر مؤكد لما قبله لأن المعنى لأثيبهم على ما عملوه ثوابا عظيما وقوله ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ صفة لقوله ﴿ثَوَابًا﴾ وهو وصف مؤكد؛ لأن الثواب لا يكون إلا من عنده –تعالى–، لكنه صرح به –سبحانه– تعظيما للثواب وتفخيما لشأنه.

وقوله ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله.

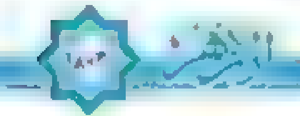
وقد ختم –سبحانه– الآية بهذه الجملة الكريمة لبيان اختصاصه بالثواب الحسن كأن كل جزاء للأعمال فى الدنيا لا يعد حسنا بجوار ما أعده –سبحانه– فى الآخرة لعبادة المتقين.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد دعت المؤمنين إلى الإكثار من ذكر الله وإلى التفكر السليم فى عجائب صنعه، وساقت لنا ألوانا من الدعوات الطيبات الخاشعات التى تضرع بها الأخيار إلى خالقهم، وبينت لنا الثواب الجزيل والعطاء العظيم الذى منحه الله لهم فى مقابل إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح. فقد جرت سنته –سبحانه– أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأنه لا يرد دعاء الأبرار من عباده.

وبعد أن بشر –سبحانه– عباده المؤمنين الصادقين بهذا الثواب الحسن، نهاهم عن الاغترار بما عليه الكافرون من قوة وسطوة ومتاع دنيوى فقال –تعالى–:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝﴾

يغرنك: من الغرور وهو الأطماع فى أمر محبوب على نية عدم وقوعه، أو إظهار





الأمر المضمر في صورة الأمر النافع، وهو مشتق من الغِرة بكسر الغين –وهي الغفلة– ويقال: رجل غِر إذا كان ينخدع لمن خادعه.

والتقلب في البلاد: التصرف فيها على جهة السيطرة والغلبة ونفوذ الإرادة.

والمتاع: الشيء الذي يتمتع الإنسان به لمدة معينة.

والمعنى: لا يصح أن يخدع أحد بما عليه الكافرون من تقلب في البلاد ومن تصرفهم فيها تصرف الحاكم المسيطر عليها، المستغل لثرواتها وخيراتها، فإن تصرفهم هذا لن يستمر طويلا، بل سيبقى مدة قليلة يتمتعون فيها بما بين أيديهم ثم يزول عنهم كل شيء وسوف يعودون إلى خالقهم فيعذبهم العذاب الأكبر على ظلمهم وبغيهم وكفرهم.

والخطاب في قوله ﴿لا يغرنك﴾ للرسول ﷺ أو لكل من يتأتى له الخطاب. وهو نهي للمؤمنين عن أن يغتروا بما عليه الكافرون من جاه ونفوذ وسلطان وغنى.

وليس من مقتضى النهي أن يكون قد وقع المنهي عنه، فإن الإنسان قد ينهى عن شيء لم يقع منه لتحذيره من الوقوع فيه في الحال أو المآل.

ولذا روى عن قتادة أنه قال: «والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله إليه»

ولقد قال صاحب الكشاف في الجواب على أن النهي موجه إلى النبي ﷺ فإن قلت: كيف جاز أن يغتر رسول الله ﷺ بذلك حتى ينهى عن الاغترار به؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن عظيم القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا، فكأنه قيل: لا يغرنكم.

والثاني: أن رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم فأكد ما كان عليه وثبت ما كان على التزامه كقوله ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ (٢)

(الأنعام: ١٤)

وقوله ﴿متاع﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع وقوله ﴿قليل﴾ صفة لمتاع. ووصف بأنه قليل لقصر مدته، ولكونه متعة فانية زائلة بخلاف ما أعده الله للمتقين من نعيم في الآخرة فإنه دائم لا يزول.

وجاء العطف بـ ﴿ثم﴾ في قوله: ﴿ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ للإشعار بالتفاوت الكبير بين حالهم في الدنيا وما هم فيه من متاع زائل وبين ما سيلاقونه في الآخرة من عذاب دائم لا ينقطع.

أي أنهم يتمتعون بهذه المتع العاجلة لفترة قليلة ﴿ثم مأواهم﴾ أي مكانهم الذي يأوون إليه ويستقرون فيه ﴿جهنم﴾ التي لا يحيط الوصف بشدة عذابها ﴿وبئس المهاد﴾ أي بئس ما مهدوا لأنفسهم وفرشوا جهنم.

وفيه إشارة إلى أن مصيرهم إلى جهنم هم الذين كانوا سببا فيه بكفرهم واستحبابهم العمى على الهدى.

وفي هذا تعزية للمؤمنين وتسلية لهم عما يرونه من غنى وجاه وسلطان للمشركين وتحريض للأخيار على أن يجعلوا همهم الأكبر في العمل الصالح الذي يوصلهم إلى رضوان الله الباقي، ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع». (٣)



(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤٥٨

(٣) صحيح مسلم جـ٤ ص ٢١٩٣ رقم ٢٨٥٨.

ثم بين –سبحانه– حسن عاقبة المؤمنين إثر بيانه لسوء عاقبة الكافرين فقال:

﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾

وافتتحت الآية الكريمة بحرف ﴿لكن﴾ الذي معناه الاستدراك، لأن مضمونها ضد الكلام الذي قبلها. ولكي تكون هناك مقابلة بين عاقبة المشركين الفجار وبين عاقبة المؤمنين الأخيار.

والمعنى: هذا هو شأن الكافرين يتقلبون في البلاد لفترة قصيرة من الزمان هي مدة حياتهم في هذه الدنيا الفانية ثم يتركون كل شيء عند موتهم ليلاقوا مصيرهم المحتوم وهو عذاب جهنم الذي لا ينقطع.. لكن الذين اتقوا ربهم وخافوا مقامه ونهوا أنفسهم عن الهوى ليسوا كذلك، فقد أعد الله لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار المليئة بأنواع المشارب الطيبة اللذيذة، وهم خالدون في تلك الجنات خلودا أبديا لا انقطاع له ولا زوال.. فأين مصير أولئك الأشرار من مصير هؤلاء الأخيار؟

فالآية الكريمة بيان لكمال حسن حال المؤمنين، إثر بيان سوء عاقبة الكافرين ثم قال –تعالى–:

﴿نزلا من عند الله﴾

والنزل: ما يعد للنزيل والضيف لإكرامه والحفاوة به من طعام وشراب وغيرهما، وهو منصوب على أنه حال من ﴿جنات﴾ لتخصيصها بالوصف، والعامل فيه ما في الظرف من معنى الاستقرار.

أي لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حالة كون هذه الجنات منزلا مهيئا لهم من عند الله –تعالى– على سبيل الإكرام لهم، والتشريف لمنزلتهم.

وقوله ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ أي ما عند الله من نعيم مقيم لعباده المتقين خير مما يتقلب فيه الكافرون من المتاع القليل الزائل.

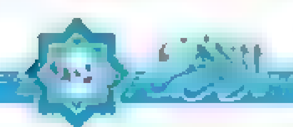
ثم بين –سبحانه– أن أهل الكتاب ليسوا سواء، بل منهم الأشرار ومنهم الأخيار، وقد بين –سبحانه– هنا صفات الأخيار منهم فقال:

﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا﴾

أي ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى لفريقا ﴿يؤمن بالله﴾ إيمانا حقا منزها عن الإشراك بكل مظاهره ويؤمن بما ﴿أنزل إليكم﴾ من القرآن الكريم على لسان نبيكم محمد ﷺ ويؤمن بحقيقة ﴿وما أنزل إليهم﴾ من التوراة والإنجيل ولا يزالون مع هذا الإيمان العميق ﴿خاشعين لله﴾ أي خاضعين له –سبحانه– خائفين من عقابه، طالبين لرضاه ﴿لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا﴾ أي لا يبيعون آيات الله أو حقيقة من حقائق دينهم في نظير ثمن هو عرض من أعراض الدنيا الفانية، لأن هذا الثمن المأخوذ قليل حتى ولو بلغ القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

فأنت ترى أنه –سبحانه– قد وصفهم بخمس صفات كريمة تدل على صفاء نفوسهم وطهارة قلوبهم، وفي هذا إنصاف من القرآن الكريم للمهتدين من أهل الكتاب.

وقد ذكر القرآن ما يشبه هذه الآية في كثير من



سوره ومن ذلك قوله - تعالى -

[illegible]

(آل عمران: ١١٣)

وقوله - تعالى -

[illegible]

(المائدة: ٦٦)

وقدم - سبحانه - إيمانهم بالقرآن على إيمانهم بما أنزل عليهم لأن القرآن هو المهيمن على الكتب السماوية والأمين عليها، فما وافقه منها فهو حق وما خالفه فهو باطل وقوله ﴿خاشعين لله﴾ حال من فاعل ... وجمع حملا على المعنى. ثم بين - سبحانه - جزاءهم الطيب بعد بيان صفاتهم الكريمة فقال

[illegible]

أي: أولئك الموصوفون بتلك الصفات الكريمة لهم أجرهم الجزيل في مقابل أعمالهم الصالحة وأفعالهم الحميدة.

وقوله - ... - كناية عن كمال علمه بمقادير الأجور ومراتب الاستحقاق وأنه يوفيها لكل عامل على ما ينبغي وقدر ما ينبغي.

ويجوز أن يكون كناية عن قرب نجاز ما وعد من الأجر، فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء فكأنه قيل: لهم أجرهم عند ربهم عن قريب، لأن الله - تعالى - سريع الحساب والجزاء.

ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بنداء جامع للمؤمنين، دعاهم فيه إلى الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى فقال -

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾

والصبر معناه: حبس النفس عن أهوائها وشهواتها وترويضها على تحمل المكاره وتعويدها على أداء الطاعات.

والمصابرة: هي المغالبة بالصبر: بأن يكون المؤمن أشد صبرا من عدوه.

ورابطوا: من المرابطة وهي القيام على الثغور الإسلامية لحمايتها من الأعداء، فهي استعداد ودفاع وحماية لديار الإسلام من مهاجمة الأعداء.

والمعنى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾ على طاعة الله وعلى تحمل المكاره والآلام برضا لا سخط معه؛ فإن الصبر عماد النجاح وأساس الفلاح والظفر.

﴿وصابروا﴾ أي قابلوا صبر أعدائكم بصبر أشد منه وأقوى في كل موطن من المواطن التي تستلزم الصبر وتقتضيه.

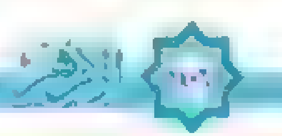
قال صاحب الكشاف: ﴿وصابروا﴾ أعداء الله في الجهاد، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحروب، ولا تكونوا أقل منهم صبرا وثباتا فالمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته.(٤)

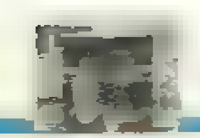
﴿ورابطوا﴾ أي أقيموا على مرابطة الغزو في نحر العدو بالترصد له، والاستعداد لمحاربته، وكونوا دائما على حذر منه حتى لا يفاجئكم بما تكرهونه.

ولقد كان كثير من السلف الصالح يرابطون في سبيل الله نصف العام، ويطلبون قوتهم بالعمل في النصف الآخر.

ولقد ساق الإمام ابن كثير جملة من الأحاديث التي وردت في فضل المرابطة من أجل حماية ديار الإسلام، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه

(٤) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤٦٩.





عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها».

وروى مسلم في صحيحه عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان».(٥)

وبعضهم حمل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة مستدلا بالحديث الذي رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، فذلكم الرباط».

قال القرطبي: بعد أن ساق هذا الحديث «والقول الصحيح هو أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله. وأصلها من ربط الخيل. ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين مرابطا فارسا كان أو راجلا. واللفظ مأخوذ من الربط. وقول النبي ﷺ «فذلكم الرباط» إنما هو تشبيه بالرباط في سبيل الله».(٦)

ومما يدل على أن المرابطة في سبيل الله من أجل الديار الإسلامية من أفضل الأعمال وأن الصالحين الأخيار من المسلمين كانوا لا يقعدون عنها. مما يدل على ذلك ما كتبه عبد الله بن المبارك - وهو مرابط بطرسوس - إلى صديقه الفضيل بن عياض وكان الفضيل معتكفا بالمسجد الحرام - كتب إليه عبد الله يقول:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلما قرأ الفضيل هذه الأبيات بكى وقال: صدق عبد الله.

وقوله ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ أي اتقوا الله بأن تصونوا أنفسكم عن محارمه وعن مخالفة أمره، ورجاء أن يكتب لكم الفوز بالنصر في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة.

وبعد: فهذه سورة آل عمران، وهذا تفسير مفصل لما اشتملت عليه من توجيهات نافعة وعظات بليغة، وآداب عالية وتشريعات سامية وتربية رشيدة وعبادات قويمة وحجج تثبت الحق وتدحض الباطل.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ونافعا لعباده

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(٥) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٤٤

(٦) تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٣٢٣



الحج والعمرة ينفيان الفقر و الذنوب

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

> روى الطبرانى فى «الأوسط» والبزار عن جابر بن عبدالله «رضى الله عنهما» عن رسول الله ﷺ قال: «ما أمعر حاج قط». قيل لجابر «رضى الله عنه»: ما الإمعار؟ - قال: ما افتقر.

الشرح والبيان

الحجّ هو قصد الكعبة المشرّفة فى مكة المكرمة لعبادة الله «عزّ وجل» عندها وفى ضواحيها. والكعبة المشرفة هى رمز الوحدة الإسلامية؛ يقصدها المسلمون من كل أنحاء المعمورة، ترتبط بها قلوبهم، ويستقبلونها فى صلواتهم، تتوافد إليها جموعهم مهما تباعدت أقطارهم، واختلفت لغاتهم، وتباينت ألوانهم، يتجردون من ثيابهم التى ترشد إلى أحوالهم، من غنى وفقر وسلطان وجاه، ويلبسون ثياب الإحرام البيضاء، جميعهم على هيئة واحدة؛ تذوب من خلالها الطبقات، وتتوارى الدرجات.

بعقيدة واحدة، بها يتعارفون ويتعاضدون ويتآلفون ويتكاتفون ويتعاونون على نصرة الدين وحماية البلدان، ويعملون جاهدين على تحقيق المصالح والمنافع المشتركة، والحج أحد أركان الإسلام الخمسة. وهو كمال الدين وتمام النعمة قال تعالى:

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾

(المائدة :٣)

هذا ولما كان الحجّ يحتاج إلى جهد بدنى شاق، ونفقة مالية كبيرة قد تشح بها بعض النفوس الحريصة على المال - فقد رغب رسول الله ﷺ فى الحج وحث عليه، وأرشد الراغبين فى أداء هذه الفريضة إلى أن النفقة فى الحج لا تنقص المال. ولكن تنميه وتزكيه، كما أرشدهم إلى أن من يسارع إلى أداء هذه الفريضة فإنه لا يصاب بالعوز والحاجة، ولا يتعرض للفقر، ولذلك ورد فى الحديث الشريف عن جابر بن عبدالله «رضى الله عنهما» قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أمعر حاج قط». فسأل أحدهم جابرا «رضى الله عنه» عن مراد النبى ﷺ بـ«الإمعار: ما الإمعار؟ فأجابه جابر رضى الله عنه قائلا: «ما افتقر».

وقد أكد رسول الله ﷺ أن الحق «سبحانه» يضاعف النفقة فى الحج، إلى سبعمائة ضعف؛ لأن الجزاء من جنس العمل. قال تعالى:

﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾

(الرحمن : ٦٠)

وقد روى الإمام أحمد «رحمه الله» - بإسناد حسن - والطبرانى والبيهقى عن بريدة «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف».. وصدق الله العظيم إذ يقول فى كتابه الكريم:

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾

(البقرة: ٢٦١).

هذا ولم يقتصر هذا الثواب العظيم والأجر الكبير على من أنفق الأموال فى أداء الفريضة، بل يعطى الله «عز وجل» مثل هذا الأجر لمن جهّز حاجًا أو غازيا أو ما أشبه ذلك. روى ابن خزيمة - فى صحيحه بإسناد صحيح - والبيهقى - فى «شعب الإيمان» عن زيد بن خالد الجهنى «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: من جهّز غازيا أو حاجا أو خلفه فى أهل أو فطّر صائمًا - كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شىء».

وإذا كان الحق «سبحانه» يضاعف للحجاج الأجر والثواب - فإنه يغفر لهم الذنوب والآثام. ويؤكد هذا المعنى ما رواه الإمام مسلم «رحمه الله» عن أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق «رضى الله عنهما» قالت: إنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق فيه عبدًا من النار من يوم عرفة. وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة، فيقول: «ما أراد هؤلاء؟»

وإنهم ليبشرون بالجنة بمجرد أن يبدءوا فى الحج. روى الطبرانى - بإسناد جيد - عن أبى هريرة «رضى الله عنه» عن النبى ﷺ قال: «ما أهلّ مهلّ قطّ إلا بُشّر» قيل: يا رسول الله، بالجنة؟ - قال: «نعم».

وقد روى ابن ماجه «بإسناد صحيح» عن عمر بن الخطاب «رضى الله عنه» عن النبى ﷺ قال:







«تابعوا بين الحجّ والعمرة فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد».

وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على أن الحج فريضة مرة في العمر، وأن الزيادة على الفريضة تطوّع يندب إليه، لما يترتب من تحصيل الثواب والأجر ومغفرة الذنوب، والبعد عن الافتقار والحاجة إلا إلى الله «عز وجل». قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ «فاطر: ١٥».

وقد روى الإمام مسلم والبخاري «رحمهما الله» عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»

أي: رجع صفحة بيضاء نقية كما خلقه الله «عز في علاه».

وقد يسأل البعض سؤالا هو: الحج أفضل أو إنفاق المال على الفقراء والمحتاجين؟ - والحق أن كلا من الحج والتصدق على الفقراء من أبواب الخير التي تجلب الأجر العظيم، والنفع الكبير، ولكن الحجّ أفضل كما أجاب ابن تيمية «رحمه الله» وكثيرا ما يتردد هذا السؤال على الألسنة، وبعض الناس يؤثر التصدق على الفقراء إذا كان المتصدق قد أدى الفريضة، ولم يفضل ابن تيمية (رحمه الله)، هذا الرأي: لما ورد في متابعة الحج والعمرة من الآثار التي تدل على الأفضلية، وأرى أنه لا تعارض بين حجّ التطوع والتصدق على الفقراء والمساكين، لما في الأمرين من فوائد ومنافع تعود على صاحبهما في الدنيا والآخرة. فإن تعذر القيام بالأمرين معا، كان أفضلهما الحجّ. والحج كأي عبادة من العبادات قد يكون فرضا وقد يكون نافلة. قال رسول الله ﷺ «الحج مرة، فمن زاد فهو تطوّع»[1].

وقد قال الله «عز وجل»:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ «آل عمران: ٩٧»

فالحج إلى بيت الله الحرام يرمز إلى وجوب تجريد الإخلاص لله «عز وجل»، وإعلان التوحيد الخالص لله «سبحانه وتعالى» والبراءة من الشرك، والقضاء على الوثنية، ورجسها التي تدنس النفس والعقل والضمير. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ «التوبة: ٢٨».

فقد كان المسلمون لما منعوا المشركين من

(١) [illegible]

موسم الحج، وكانوا يجلبون الأطعمة والتجارة - قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر فقالوا: كيف نعيش؟! فوعدهم الله «عز وجل» أن يغنيهم من فضله. قال عكرمة: أغناهم الله بإدرار المطر ونبات وخصب الأرض. كما أغناهم الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم. وقد أنشد الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه
وما يدري الغني متى يعيل

ومما يدلّ على أن في الحج إعلان البراءة من الشرك قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ «الحج: ٢٦».

وخلاصة القول أن الحج إلى بيت الله الحرام له فوائده العديدة، ومنافعه الروحية العظيمة، وكذلك المادية والاقتصادية والاجتماعية مما لا يحصره العدّ، وقد أجمل الله (عز وجل) ذكر ذلك كله في قوله تعالى:

﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ «الحج: ٢٨».

كما أنه تتجلى التضحية بكل معانيها وألوانها وأشكالها في الحج إلى بيت الله الحرام حبا في الله، ورغبة في رضاه. فإن الحاج يضحي بالأهل والمال والنفس والولد والوطن، يضحي بكل غال ورخيص، ويخرج متجردا إلى الله وحده مفضلا حبه وطاعته على كل شيء في الوجود. وقد أنشد ابن القيم (رحمه الله) في هذا المعنى أبياتا غاية في الروعة والجمال:

أما والذي حجّ المحبّون بيته
ولبّوا له عند المهلّ وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعا
لعزة من تعنو الوجوه وتسلم
يهلّون بالبيداء: لبيك ربنا
لك الملك والحمد الذي أنت تعلم
دعاهم فلبّوه رضا ومحبة
فلما دعوه كان أقرب منهم
تراهم على الأنضاء شعثا رؤوسهم
وغبرا وهم فيها أسر وأنعم

وأخيرا فإن «الحج» إلى بيت الله الحرام بنية خالصة لله، وبنفقة حلال، وكيفية شرعية سليمة - يكفل لصاحبه أعظم الجزاء عند الله «عز وجل» في الآخرة بالنعيم المقيم. روى مالك وأحمد والشيخان وأصحاب السنن وأبو نعيم عن أبي هريرة «رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».



للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

في هذه الآونة وضيوف الرحمن يشدون رحالهم إلى بيت الله الحرام في رحلة العمر التي أوجبها الله - سبحانه وتعالى - على المستطيع، نحاول أن نلقي نظرات على ما تشتمل عليه هذه العبادة، وما تشتمل عليه مناسكها من دعوة عالية للإنسانية جمعاء أن تعيش في سلام وأمان.

فإن الله - تعالى - شرع من عبادته عبادات أوجبها في كل يوم كالصلاة، ومنها ما أوجبه الله في كل أسبوع كصلاة الجمعة، ومنها ما أوجبه في كل عام كصيام شهر رمضان، ومنها ما أوجبه في العمر كله مرة واحدة على المستطيع وهو الحج إلى بيت الله الحرام. هذه العبادة يجتمع فيها المسلمون على شوق، أولئك الذين تحقق فيهم شرط الاستطاعة، وشاء الله لهم أن يحظوا بهذه العبادة، يتلاقون في صعيد واحد وزي واحد. في مؤتمرهم العالمي الإسلامي ومع شعائرهم ومناسكهم يتدارسون كبرى قضاياهم حتى يكونوا خير أمة، كما أراد ربهم - سبحانه وتعالى - ولو نظرنا إلى لحظات بناء هذا البيت أو إلى ما قبل بناء إبراهيم بقليل لهذا البيت، حين ترك ابنه الرضيع وأمه في هذا المكان وذهب إلى الشام. وتناديه الزوجة قائلة: أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فلا يلتفت وثانية وثالثة، فلما لم تر منه جوابا قالت له الزوجة العاقلة الحصيفة: آالله الذي أمرك بهذا؟ فأجابها قائلاً: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا. وتمكث الأم مع رضيعها وفي سقائها بعض الماء وفي جرابها بعض التمر، حتى إذا نفد الماء والتمر وجاع الرضيع وجاعت الأم وتراه يتلوى أمامها - وللأم عاطفتها التي لا تعادلها عاطفة في الوجود - فذهبت مسرعة إلى جبل الصفا تنظر، علها تجد الغوث وتهرول إلى المروة وتعود إلى الصفا حتى أكملت سبعة أشواط. وفي نهاية الشوط السابع سمعت الغوث، ومن هنا كان السعي بين الصفا والمروة، سمعت الغوث وجاء الملك فبحث بعقبه فإذا بالمكان الذي كانت جالسة فيه يتفجر منه الماء فكانت عين زمزم التي جعلها الله شفاء من كل داء، وأغاث الله تعالى الأم ورضيعها، وتمر الأيام ولكن حين فجر الملك ماء زمزم، ماذا قال للأم في هذه اللحظة التي أغاثت السماء هذا الرضيع وأمه، وتغيث الأمة على مر أدوارها، لقد قال الملك حين تفجر ماء زمزم التي قال عنها النبي ﷺ «ماء زمزم لما شرب له»[1].

لقد قال الملك لأم إسماعيل حين كانت خائفة مرتعدة على نفسها وولدها؟ قال لها: لا تخافوا الضيعة - أي لا تخافوا الضياع ولا الهلاك - فإن هذا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله[2].

إن أهل هذا البيت، أهل هذه الدعوة، أهل هذا النبي لن يضيعهم الله - سبحانه وتعالى - وما إن مرت الأيام وجاء إبراهيم وأمره الله ببناء البيت وكان يناوله ولده إسماعيل - الذي كان رضيعاً وتقدمت به السن - فإذا ما أكمل البناء قال: يارب انتهيت. فيقول له الله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ (الحج: ٢٧)

قال يارب وماذا يبلغ صوتي الضعيف أنادي من؟ لا يوجد أناس أناديهم ولا صوتي بالقوة التي تمتد عبر الدنيا، فيقول له رب العزة: ما عليك إلا الأذان وعلينا البلاغ.

فيقف إبراهيم فيؤذن في الناس بالحج ويقول: أيها الناس لقد كتب الله عليكم الحج فحجوا، فيبلغ الله نداءه إلى كل أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى أن تقوم الساعة، فما من أحد يحج إلا وهو يلبي هذه الدعوة قائلاً: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. وتحمل هذه العبادة بمناسكها المتعددة معاني السلام والأمان التي يجتمع من أجلها المسلمون من كل أنحاء الدنيا، ويتدارسون كبرى قضاياهم ويدعون إلى الوحدة والسلام وإلى الأمان، ولها آثار في دنياهم وأخراهم، لها آثار في دنياهم في مغفرة ذنوبهم وتطهيرهم: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[3] وللحج آثاره في سعة الرزق فإنه ينفي الفقر، وتلك آثار دنيوية واقتصادية يقول الرسول ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة»[4].

ومن هنا ندرك ما للحج من أثر ديني ودنيوي، وما له من أثر في مغفرة الذنوب، وما لرسولنا ﷺ من رحمة وشفقة على أمته حتى

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي في السنن الكبرى وابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، وأخرجه مسلم في كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة
(٤) أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة



دعا عشية عرفة أن يغفر الله لأمته فيجيبه رب العزة قائلاً: إني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم منه، قال: أي رب إن شئت أعطيت المظلوم الجنة وغفرت للظالم، فلم يجبْ عشيته، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل، فضحك رسول الله ﷺ أو تبسم. فقال أبو بكر وعمر: بأبي أنت وأمي إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي أضحكك؟ أضحك الله سنك. قال: «إن عدو الله إبليس لما علم أن الله - عز وجل - قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور، فأضحكني ما رأيت من جزعه»[5].

إن من رحمته ﷺ ورفقه بأمته أنه لا ينساها ويدعو الله - سبحانه وتعالى - لها.

إن هذا البيت الذي أوجب الله علينا حجه وجعله حرماً آمناً وجعله مثابة للناس وأمناً، جعل وقته وقتاً حراماً، ومكانه مكاناً حراماً، ولا يحل فيه القتل، ولا يحل فيه الترويع، ولا يحل فيه أن يخيف الإنسان إنساناً أو شيئاً ما، فقد جعل الله الإنسان فيه آمنا وجعل الطير والحيوان آمنا فلا يحل الصيد فيه، وجعل الشجر والنبات آمنا فحرم قطع الشجر، حتى الشوك حرم الله قطعه في الحرم.

كل ذلك يعلمنا ويغرس في نفوس المسلمين أن يعيشوا في أمن وسلام فيما بينهم:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥)

ويقول الرسول ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاهها ولا يصاد صيدها»[6].

ولقد قرر الإسلام احترام الإنسان واحترام أمته في هذه الشعيرة المهمة التي حج فيها النبي ﷺ حجة الوداع وهو يقول للمسلمين ويبين لهم حرمة الدماء وحرمة الأموال وحرمة الأعراض: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد. فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع. فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[7]. فعبادة الحج بما تحمله من معان كريمة وبما تحمله من تجمع إسلامي كبير على أعلى مستوى وعلى مختلف اللهجات والأجناس والألوان. يجتمع الناس من كل فج عميق يؤدون هذه الشعيرة التي أوجبها الله - تعالى - مرة واحدة في العمر للمستطيع؛ حتى يتمكنوا من أداء هذه المناسك، وحتى يتدارسوا كبرى قضاياهم ومشاكلهم التي تعن لهم في أوطانهم، وحتى يوحدوا صفوفهم لسد الخلافات ولتقوية شوكة الأمة الإسلامية. وما أحوجنا في هذه العبادة وفي هذه الشعيرة التي يتجمع فيها أكبر عدد من المسلمين، ما أحوجنا إلى أن نتواصى بالحق وأن نوصيهم أن تكون مدارستهم لقضاياهم جادة، وهذا له أكبر الأثر، حلّ هذه القضايا التي تقض مضاجع الأقليات الإسلامية وتقض مضاجع الآمنين في الأوطان الإسلامية.

وإذا كانت دعوة الحج ومناسك الحج ومظاهر بيت الله الحرام دعوة إلى الأمن والسلام، فلنقل لأولئك الذين حاولوا تخريب السلام وتخويف الناس وإرهابهم، نقول لهم: إن الذين يخالفون شعائر الدين وشعيرة السلام والأمان هم خارجون عن حظيرة الإسلام. لأن من أولى تعاليم هذا الدين: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[8] ومن أولى تعاليم هذا الدين: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم»[9] والذين يستحلون دماء الناس يخرجون من الإسلام بالمرة ويكونون مخلدين في النار بنص القرآن الكريم:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣)

ورسولنا ﷺ يقول: «أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»[10].

وإن فريضة الحج - أيها الإخوة - يجب على من كتبها الله - تعالى - له أن يطهر نفسه قبل أن يخرج، وأن يتحرى المال الحلال، وأن يكتب وصيته، فالآجال بيد الله. وعليه أن يتوب توبة نصوحاً. وأن يرد المظالم، وأن يقلع عن ذنبه، وأن يندم على ما فات، وأن يعزم على عدم العود، وأن يذهب وهو طاهر مقبل على ربه عسى الله أن يجعل حجه مبروراً وسعيه مشكوراً.

وإذا كانت هذه العبادة تحمل هذه الدلائل.

---

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب الدعاء بعرفة.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها بالبركة.

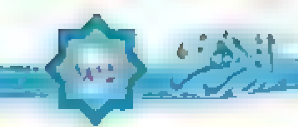
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، وأخرجه في كتاب الأدب، باب قول الله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

(٩) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(١٠) رواه الطبراني في المعجم الكبير، والضياء المقدسي في المختارة.







وتحمل هذه الآثار الدينية والدنيوية — التي ألمحنا إلى بعضها- فإننا لابد أن ندرك أن أداء هذه العبادة التي يحصل الحاج منها على هذه الآثار، وأنه يعود كيوم ولدته أمه، إنما هو لمن أدى الحج مبروراً، أي لم يخالطه إثم، أي لم يكن فيه فسوق ولا عصيان ولا جدال

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

فليحافظ ضيوف الرحمن على أنفسهم، وعلى أداء مشاعرهم على أكمل وجه، على أداء الواجبات والأركان والسنن، وأن يكونوا إخوة متحابين، وأن يسمو بالعلاقات والأخوة والأنانية، وأن يذهبوا أصدقاء، وأن يعودوا أكثر صداقة. ولا يكون أحدهم كأولئك الذين يذهبون أصدقاء ويعودون في خصومات فيما بينهم. لابد من الصبر والتحلم في هذه الرحلة التي يخالف الإنسان فيها إلفه وعادته ووطنه وأولاده، فإنه إن أدى الحج على هذا النحو كان حجه مبروراً.

قال ﷺ : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[11].

(١١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة

خطبة الجمعة

يوم التضحية

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ: علي حامد عبد الرحيم

الله أكبر «تسعاً»

الله أكبر ولله الحمد حمداً كثيراً طاهراً طيباً مباركاً فيه.. ملء السماوات والأرض، حمداً يليق بجلال الخالق العظيم، ويكافئ نعم الرحمن الرحيم،

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾
(الزمر: ٦٢)

نشهد أن لا إله إلا أنت، رب الأرباب، ومجرى الأسباب، ومقدر الحساب.

﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

(الأنعام - ٩١)

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك، أفضل من ذكرك، وأبلغ من شكرك، وقائد الغر المحجلين يوم الدين، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأحبابه، وجنده وأصحابه، والمستمسكين بمفاتيح بابه، أولئك هم أهل التقى، وأصحاب الفردوس الأعلى،

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
(العنكبوت: ٦٩)

ما قيمة الحياة إذا لم يكن للمرء فيها عقيدة

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام،

يجاهد من أجلها، ويفرح لانتصاره في تحقيقها؟!..
وما منفعة العيش إذا لم يكن كفاحا فيه تعب



ونصب، ثم يتبعه راحة فيها مسرة وهناء؟.. وما جدوى السير الطويل في الصحراء الجرداء، إذا لم يكن في نهايتها واحة خضراء، يجد عندها المرء ما يتمنى من ظل وفاكهة وماء!.. ولهذا نضر الكريم الحليم أيام عبادة المؤمنين بالأعياد، تأتيهم على ميعاد، فيستريحون فيها ويهدءون، ويلعبون ويطربون، ويلبسون ويتزينون، ويأكلون ويشربون، ومع كل هذا لم يخلها -سبحانه- من حكمة بالغة وعظة شافية؛ فهذا عيد الأضحية مثلا يقبل علينا بنوره وجماله، ويبهرنا بروعته وجلاله، ولكنه فوق هذا يعود بألبابنا وخواطرنا إلى الموقف الباقي على الزمن، الخالد في التاريخ، المردد على شفتي الأيام، موقف إبراهيم مع إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، يوم دعاهما داعي الحق تبارك وتعالى إلى التضحية الكبرى، والبذل الأعظم الذي لا غاية لبذل بعده. فأصغيا للدعاء، واستجابا للنداء، فكان ذلك منهما درسا للأجيال بعد الأجيال!

هذا شيخ جليل طاعن في السن، هو إبراهيم خليل الرحمن، جاهد في سبيل ربه، واحتمل أذى قومه، وعصى أباه وهجره نصرة لدينه، واحتمل عذاب النار في سبيل عقيدته وهو لا يدري أن الله سيجعلها عليه بردا وسلاما، ثم تزوج سيدة يرجو منها ولدا تقر به عينه، فكانت عاقرا عقيما لا تلد، واشتد حنينه ورغبته إلى الولد، فتزوج على الكبر بأخرى، ويشاء الحليم العليم أن يبدأ فيض النعمة عليه فيهبه مولودا ذكرا، وينشئه سليما معافى، ويجعله من صغره حليما رشيدا، ويضعه بين يدي والديه وحيدا فريدا، فيصب الوالد الشيخ كل رحمته وعنايته وهمته في ولده الناشئ المترعرع، ويرى شبابه وحياته تتجدد في

ربيب غلامه، فيرعى ويفرح، ويشكر ربه ويخشع، ويشب غلامه قويا فتيا حتى يكبر، ويبلغ مع أبيه مبلغ السعي والعمل، ويستطيع السير والكسب والارتزاق، وبذلك تتم النعمة على أبيه الهرم، وهنا يبدأ الاختبار الإلهي والابتلاء الرباني فيكون مع إبراهيم فذا عجيبا، ولا يختار له موضعا إلا الفتى المرجى المأمول، ولا يأتي إلا في أقسى الصور وأشد الأحوال: لا يمرض الله إسماعيل ولا يميته، بل لا يكتب عليه قتلا أو غرقا أو شهادة، بل يكتب عليه وعلى أبيه أن يذبح على مرأى من أبيه، وبيد أبيه، وبسكين فيها حز وقطع وضغط، وفيها إمرار وتكرار، وممن؟ من أبيه الشيخ العجوز الطاعن في السن، الذي ترتعش يده بلا شيء، فكيف بها في قتل الوحيد الغالي؟.. وبأي طريق يطلب منه ذلك؟.. ليس بطريقة الوحي المألوف في وقت اليقظة، بل بطريق الرؤيا في المنام، وحقيقة أن رؤيا الأنبياء وحي وصدق، ولكن إبراهيم -لو أنه غير إبراهيم- كان يستطيع أن يتأول أو يتحرج، أو ينتظر قطع الشك باليقين، ولكنه إبراهيم الخليل، وابنه هو إسماعيل ذو اليقين، والآمر هو الله رب العالمين، الذي له ما أعطى وله ما أخذ، والذي يجب أن يسمع ويطاع، وقد كان:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

(الصافات: ١٠٢)

ولكن الله لما رأى منهما صادق الاستسلام، وحسن الاستعداد للابتلاء، رحمهما برحمته، وجنبهما الاكتواء بلهيب محنته، فجازاهما وأكرمهما، وزاد لهما في بره وعطفه:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝﴾

(الصافات: ١٠٣-١٠٧)

ما الذي نستفيده من هذا الموقف الخالد المجيد؟ نستفيد أن الحياة في الحقيقة ملك خالص لله، يصرف فيها كيف يشاء، وأن العبد بين أصابع ربه يقلبه كيفما أراد. وأن حسن الاستجابة لأوامر الله فيه أمن ونجاة. وأن الترحيب بالأقدار وعدم الفرار من شديد الاختبار، يؤدي في كثير من الأحيان إلى حسن النتائج وكريم العواقب.

تآسي الصحابة

وإن المرء ليبهره الالتزام المطلق لدى الصحابة رضوان الله عليهم بالتأسي بإمامهم وإمام العالمين ﷺ في حجته الفذة (٨) التزاما يعمره الإيمان الواثق، والثقة المؤمنة.

ولا يغيب عنا في هذا المجال مسلك الفاروق عمر رضي الله عنه، وهو الذي كان كثيرا ما يفصح عن فكره، ويجهر برأيه فيما يعن له أمام أستاذه ﷺ حتى كان القرآن الكريم يتنزل أحيانا مصداقا له في كثير من الآيات، فلما أتم الوحي مهمته بتمام القرآن، وانتقل الرسول ﷺ، لم يعد هناك مجال لفكر أو رأي بعد قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾ (المائدة ٣)

وهنا يقف الرجل الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «إن كان نبي بعدي لكان عمر» (٩) أمام الحجر الأسود مبتدئا طوافه للبيت العتيق هاتفا بهذا الحجر: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك». فلله ما أروع التأسي وأصدق الاقتداء، وتأمل هنا كلمة «رسول الله» لتدلك على عمق إيمان عمر رضي الله عنه بالرسالة والرسول إذ لم يقل: «ولولا أني رأيت محمدا» (١٠).

مرونة وتيسير

ومن الآداب القيادية التي نستمدها من «الحجة المحمدية» المرونة والتيسير في شرح المناسك والأخذ بها، فقد كان ﷺ يأتيه الرجل أثناء الحج فيسأله «فعلت كذا قبل كذا أو بعد كذا» فيقول له عليه الصلاة والسلام: «افعل ولا حرج» مما يستميل الناس ولا يشق عليهم، ونحن في هذا المجال لا ننسى نصيحته ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي ذر رضي الله عنهما وهو يوجههما لدعوة أهل اليمن إلى الدين الحق حيث يقول لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا» (١١).

ومن هنا كان التيسير خصلة أساسية من الخصال التي ينبغي أن يتحلى بها كل راع مسئول عن رعيته دون حاجة إلى تعمد التشدق وافتعال التفيهق (١٢) والتعقيد لأن الدين يسر مصداقا لقوله ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا..» الحديث (١٣).

فعن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ

(٨) الفذ يعني الفرد (معجم اللغة)

(٩) أحمد في مسنده والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر (الجامع الصغير)

(١٠) ولعل جمال عمر عنه هي التي جعلت كاتبا كعباس العقاد يقول في كتابه «عبقرية الصديق» عن الشيخين الصديق والفاروق «فقد كان أبو بكر يحب (محمدا النبي)، أما عمر فكان يحب (النبي محمدا)»

(١١) متفق عليه

(١٢) منها «المتفيهقون» وفي الحديث «إن أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون» - معجم المقاييس في اللغة

(١٣) البخاري والنسائي - عن أبي هريرة (الجامع الصغير)

لبيك اللهم لبيك

كان يُسأل يوم منى فيقول: (لا حرج) فسأله رجل فقال: إني حلقت قبل أن أذبح قال: «اذبح ولا حرج» قال إني أمسيت ولم أرم، قال: «ارم ولا حرج» (١٤).

السكينة والهدوء

ولقد كان من المعالم التربوية في الحجة النبوية المباركة أنه ﷺ كان يحث الحجيج على الهدوء والسكينة حتى يستشعروا هيبة الموقف ويخلصوا إلى التأمل والتدبر والعظة في إطار المعنى المحكم في القرآن الكريم أن لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: أفاض رسول الله ﷺ من عرفة وعليه السكينة ورديفه أسامة فقال: «يا أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بإيجاف الخيل والإبل»، ثم أردف الفضل بن عباس وقال: «يا أيها الناس إن البر ليس بإيجاف الخيل والإبل فعليكم بالسكينة» (١٥).

والتأسي بالحجة المحمدية لا يقف عند تتبع المناسك والقيام بها ولكنه يمتد إلى ما بعد أداء الفريضة تدبرا للأقوال المحمدية في هذا المجال، وذلك اتساقا مع المعنى البليغ الذي أكده النبي الكريم ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» إلى قوله ﷺ: «فهجرته إلى ما هاجر إليه» (١٦).

ماذا بعد العودة؟

من هنا ينبغي على الحاج العائد من أداء الفريضة أن يقوم حجته أمام نفسه وذلك - والمرجع إلى الله - بمراجعتها على نيته، وقياسها على إرادته حتى يتبين في جوانب نفسه وحناياها روحه أين تقع حجته وفق معايير الحق - سبحانه وتعالى - وتعاليم رسوله الكريم ﷺ.

وإننا لنرجو لمن دعاه الله من فضله إلى حج بيته الحرام فلبى الدعوة المقدسة هاتفا: «لبيك اللهم لبيك».. نرجو له أن يصدق عليه قول الهادي الأمين ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» (١٧).

أما من صورت له أباطيله أنه قد عاد كما ولدته أمه فيستأنف عمره من جديد بمسيرة لا يرضاها الله ورسوله فندعو له ولأنفسنا بالهداية والرشاد والمغفرة والسداد.

فهل يعي كل من وفق إلى هذا الحشر الأصغر أن يهيئ نفسه للحشر الأعظم حيث يوم التناد؟ وهل يدرك أن الحج مسئولية تكليف لا تشريف؟ تكليف بحمل الأسوة المحمدية إلى الآخرين لا تشريف بحمل اللقب لمجرد الزهو به بين الناس.

(١٤) سنن أبي داود

(١٥) سنن أبي داود [illegible]

(١٦) رياض الصالحين للإمام النووي

(١٧) أحمد في مسنده - والبخاري والنسائي وابن ماجه - عن أبي هريرة (الجامع الصغير)

الحجة المحمدية

مسيرة اتباع.. لا حجة وداع

من الخبر المشهور. والأثر المأثور أنه فى السنة الخامسة للهجرة - على ما عليه الأكثرون - فرض الله على الأمة الإسلامية حج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا حتى يجتمع المسلمون من جميع الأقطار والأمصار فيتوجهوا إلى بارئهم. ويبتهلوا إليه فى رحابه المقدسة أن يؤيدهم بتأييده. وينصرهم بنصره .ويعينهم بفضله على الالتزام بتعاليم دينه القويم والتمسك باتباع صراطه المستقيم .لما فى ذلك من تقوية الروابط. واتحاد القلوب فى الأولى والتنعم بالنعيم المقيم فى الآخرة.

ولقد درج كُتاب السيرة المطهرة من القدامى والمحدثين - ومنهم الباحث المجد، والفقيه المجتهد - درجوا على أن يسموا حجة النبى ﷺ وهى الحجة الرائدة التعليمية التي حملت مشعل الحجيج منذ كانت وإلى أن تقوم الساعة - «حجة الوداع»، مثلما أطلقوا على خطبته الخاتمة ﷺ أنها خطبة الوداع.

ولئن جاز تسمية الخطبة المحمدية الأخيرة بخطبة الوداع لأنها نهاية سلسلة من الخطب النبوية الشريفة، فكيف يجوز أن نسمي حجته عليه السلام بحجة الوداع؟

إن من إعجاز الحق - سبحانه وتعالى - وحكمته في صياغة حياة النبي صلى الله عليه وسلم أن جعل كل هذه الحياة المحمدية بحوادثها وأحداثها ومواقفها منذ رحلة الجنين اليتيم، جعلها سبحانه معالم إنسانية عامرة بالكم زاخرة بالكيف. فلقد حوت كل ما يمكن أن يعرض له أى إنسان في حياته.

ولعل هذا هو جوهر «الأسوة» في الحياة المحمدية المتفردة، حتى إذا عرض لامرئ موقف من هذه المواقف الحياتية تساءل: ماذا فعل محمد في مثل هذا الموقف؟ فوجد الجواب الكافي والشافي والحكيم في سيرة الأسوة الحسنة ﷺ مصداقا لقول البارئ جل وعلا:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾

(الأحزاب: ٢١)

وذلك مما يشير إلى أن حياته عليه الصلاة والسلام معرض إنساني تربوي حافل يعرض المواقف، ويشرح مواجهتها، ويصور المشكلات، ويبين حلولها وطرق التعامل معها، حتى في حالات المرض، ولحظات مغادرة الأرض إلى الرفيق الأعلى مما يصدق عليه حديثه ﷺ: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم»[1] وكذلك حديثه ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شرا استغفرت لكم»[2].

مسيرة تربوية ومنهج مثالي

ومن مواقف هذه الأسوة المحمدية في سيرة النبي ﷺ تبين أنها كانت مسيرة تربوية هادية وتعليمية موجهة للمؤمنين به، حتى إذا تمت هذه المسيرة المباركة بفصولها وأبوابها ومواقفها انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى الذى أكد هذا المعنى في آي الذكر الحكيم عندما نزل على حبيبه ومصطفاه قوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

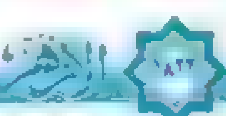
وكأن سني حياته المباركة على الأرض كانت مخصصة لذلك، وإنها لكذلك، بل كأن المعلم العظيم قد انتهى من أداء المنهج المثالي لتلاميذه على أكمل وجه وأروع أسلوب.

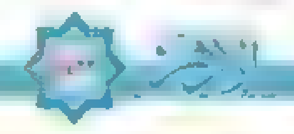
وهكذا كانت حياته ﷺ بين الناس وقفا على ترجمة الحياة الإنسانية إلى مواقف شارحة ومعالم واضحة حتى إذا مضى عليه الصلاة والسلام، ندرك أن الله سبحانه وتعالى قد قضى أن هذه الحياة المحمدية قد أدت دورها الإلهي فوق الأرض، فاختاره الحق سبحانه إلى جواره، فهو ﷺ «المختار» حقا في الأولى والآخرة.

ومن هذه المواقف التي تضمنتها الرسالة

(١) الحرث عن أنس رضي الله عنه (الجامع الصغير للسيوطي).

(٢) ابن سعد عن بكر بن عبد الله مرسلا (الجامع الصغير للسيوطي).





المحمدية في الدنيا تبليغ الناس فريضة الحج حتى يدرك الناس أن الإسلام دين اجتماع لا تفرقة، ودين توحد لا تمزق.

ومن هنا لم يحج ﷺ في حياته النورانية المباركة إلا مرة واحدة، فيروى عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل بمثل عمله[٣] ويستمر الصحابي الجليل يتابع خطوات الحجة الهادية المباركة منذ خروج الحجيج المحمدي المبارك من المدينة المنورة[٤]، وكان الدور المحمدي في هذه الحجة أن يعلم الناس مناسكهم وأن يصحح للناس شعائرهم التي طرأ عليها ما طرأ بعد جده إبراهيم عليه السلام أول من أذن للناس بالحج، ولنصغ في هذا إلى جابر رضي الله عنه حين يقول: رأيت النبي ﷺ يرمي الجمرة على راحلته يوم النحر ويقول "« لتأخذوا عني مناسككم .فإني لا أدرى لعلي لا أحج بعد حجتي هذه »[٥]. ثم لم يحج ﷺ بعد ذلك لأن الناس قد تعلموا مناسكهم كما أراد الله على يد النبي. ولأنه ﷺ لو قدر له أن يحج مرة أخرى لكانت الحجة الثانية فريضة أيضا، ولكنه عليه الصلاة والسلام انتقل دون أن يحج مرة أخرى، ومن هنا قلنا أنها كانت حجة تربوية تعليمية للاتباع وليست للوداع.

ومن المعروف في هذا السياق أنه ﷺ سئل عن الحج هل كل عام فسكت فأعاد السائل سؤاله مرة ثم مرة، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أجاب جواب المربي العظيم الذي يعلم الناس آداب الحوار في ثنايا تبليغ الدعوة الربانية المكرمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»[٦] فقال رجل: «كل عام يا رسول الله؟» فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»[٧]. ثم قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

فهذه الحجة المحمدية مسيرة اتباع لا حجة وداع لأنها ترتبط بمحمد ﷺ نبيا خاتما ومعلما مرشدا وأسوة حسنة ولأنها حجة تعليمية وتربوية ليس لها سابقة ولا لاحقة.

---

(٣) سنن أبي داود

(٤) سنن أبي داود

(٥) رواه أحمد ومسلم والنسائي [illegible]

(٦) تفسير الإمام القرطبي لسورة آل عمران

(٧) [illegible]

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ

لفضيلة الشيخ / عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الحج باعتبار مكانته في الإسلام وغايته المقصودة منه للفرد والجماعة التي يجب أن يقصدها المسلمون في حياتهم ،جدير أن يتجهوا إلى بيت الله الحرام وإلى مكة المكرمة حيث تنتشر عليهم أجنحتها وتجمعهم بكلمة الله حول بيت الله يتعارفون ويتشاورون ويتعاونون ثم يعودون إلى بلادهم أمة واحدة متحدة القلب متحدة الشعور والإحساس. وهنا هو ما تدل عليه كلمة أفئدة التي جاءت في دعوة إبراهيم - عليه السلام - حين أكمل البيت ورفع قواعده وأسكن ذريته بواديه :

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧)

فإن كلمة أفئدة ليس المقصود منها مجرد الأشباح التي تروح وتغدو والتي لا تعرف من معنى الحج سوى أعماله الفردية وسوى زيارة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وإنما المقصود بالأفئدة الأرواح والقلوب التي تقدر ما يجب أن يكون لهذا الاجتماع الحاشد في أمكنة الذكريات الأولى وفي ظل عبادة الله من أهداف تجمع قلوب الموحدين على خطط الحياة العزيزة كما جمعت أشباحهم العبادة والذكريات، ولعل هذه الأهداف هي أول ما لفتت إليه الآية الكريمة التي تضمنت دعوة الناس إلى الحج قال تعالى محدثا سيدنا إبراهيم عليه السلام.

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

(الآيات من ٢٧، ٢٩ من سورة الحج)

فالمنافع التي جعل الحج سبيلا لشهودها



والحصول عليها وهى أول ما ذكر فى حكمة الحج كلمة عامة مطلقة لم تقيد بنوع دون نوع ولا ناحية دون ناحية، وهى بعمومها وإطلاقها تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة ويصلح شأنهما: فطهارة النفس والتقرب إلى الله منفعة والتشاور فى رسم خطط العلم والثقافة وفى جمع الكلمة على تركيز الدعوة والعمل على إظهار الإسلام بسماحته وأحكامه الرشيدة منفعة وإعداد العدة لنسج خيوط الشخصية الإسلامية ثوبا واحدا منفعة وأى منفعة وامتلاء القلوب بمبدأ المحافظة على تلك الشخصية من التحلل والذوبان منفعة. وهكذا تتعدد المنافع وتتنوع على حسب مقتضيات الأحوال التى توحى بها الأزمنة ومواقف الناس من الناس.

الاخطار المحدقة بالمسلمين

لقد جدت فى العالم كله آراء ومذاهب فى الدين ومذاهب فى الاجتماع وأخرى فى الاقتصاد وغيرها فى السياسة، وصار لكل مذهب من هذه قوة غاشمة تتربص الدوائر بدعوة الحق، دعوة السلام والإصلاح الإلهى، وامتلكت تلك القوى الغاشمة أسلحة جديدة أعدت للتخريب والتدمير وترويع الآمنين، وتجلت مطامع الجشع الإنسانى فى صورها البشعة الكريهة، فكان لابد لدعوة الحق والإسلام فى مواجهة هذا الخطر الداهم من اجتماع عام شامل يحددون فيه موقفهم ويشهدون به منافعهم التى تقيهم وتقى العالم شر ذلك الطيش الذى يقضى على الأمن والسلام ويلتهم الفضائل والخلق الحق، وعلى هذا فإن منافع المسلمين اليوم التى يتخذ الحج سبيلا لشهودها لم تعد تبقى فى دائرتها الأولى دائرة المنفعة الروحية الفردية التى عمادها فى الأذهان مجرد فعل المناسك حول بيت الله الحرام ألا وإن أبرز ما تصدق عليه كلمة منافع فيما بين المسلمين أن تتوحد كلمتهم وشعورهم فيما يجب أن يتخذوه بحكم دينهم وإيمانهم أساسا - لحياتهم وهو الاعتصام بحبل الله :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(آل عمران: ١٠٣)

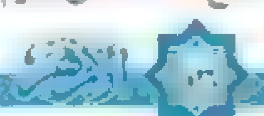
معالم الاعتصام بحبل الله ومتطلباته

١- الاعتصام بحبل الله يقضى أولا بتنحية الشهوات والأهواء التى تثيرها بينهم العصبيات القبلية والحسبية والمذهبية، تلك العصبيات التى دفعت وتدفع بهم إلى جحر التفرق عن سبيل الله الواضحة وتجعلهم فلولا يستعين بعضها العدو المشترك على باقيهم ويقضى على الجميع.

٢- والاعتصام بحبل الله يتطلب ثانيا النظر السريع فى تنقية العقائد والأعمال بيننا مما يشوبها من صور الشرك والابتداع، الأمر الذى هيأ لخصوم الإسلام أن يقولوا: إن الإسلام ليس دينا واحدا وإنما هو أديان متعددة تختلف باختلاف الأقاليم والمذاهب، فلتركيا إسلام ولإيران إسلام ولباكستان إسلام ولمصر إسلام ولبلاد المغرب إسلام وللحجاز إسلام وأى إسلام من هذه هو إسلام محمد وإسلام القرآن؟

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

(الكهف: ٥)



فللإسلام وحدة فى العقيدة والعمل تعرف عناصرها من كتابه المبين الواضح الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وما هذه المظاهر المختلفة التى نراها فى الجماعات الإسلامية إلا أثر من آثار الانحراف البشرى فى فهم المصادر بما توحيه العصبيات الكريهة، وما ينبغى أن تكون حالة المرضى الذين تنحرف المرض بطبيعتهم مصدرا سليما لمعرفة تلك الطبائع، وإذن فعلينا ونحن المرضى أن نعالج أنفسنا من هذه الحالة وتلك العلة حتى يعود إلينا الشفاء والشفاء، وعندئذ تكون أحوالنا وشئوننا مصدرا حقا لشخصية الإسلام وصلاحه كما هو واضح فى كتابه:

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

(الإسراء: ٩)

٣- والاعتصام بحبل الله يتطلب ثالثا العمل الجاد السريع فى إبراز أهداف القرآن الكريم بتفسير سهل واضح خال من الإسرائيليات والخلافات المذهبية والتطبيقات العربية التى اتصلت به وحشرت فى تفسيره حشرا، فشغلت الناس بها عن معرفة هدايته وإرشاده وأن يطبع ذلك التفسير بلغات العالم المختلفة ثم يوزع على جميع دول العالم ليعرف الناس حقيقة الإسلام ويعرفوا دعوته على وجهها الصحيح، وعندئذ تنوء بالإثم هذه الأقلام المأجورة المسيئة للإسلام.

٤- والاعتصام بحبل الله يتطلب وضع نظام محكم لإعداد الدعاة الذين يدعون إلى الإسلام على أن يكون هؤلاء الدعاة مزودين بالنضج الفكرى والمعرفة الصحيحة واللغات الأجنبية وأساليب العرض الملائمة، وذلك وراء إلمامهم بمواقع البلاد التى يوجهون إليها ونفسيات أهلها وعقائدهم وتقاليدهم وسائر شئونهم حتى يستطيعوا أن يتبوأوا فيما بينهم مكانة المواطن الحريص على خير مواطنيه، وأن يتحروا فى دعوتهم إلى الخير سبيل الحكمة التى أمر الله بها فى كتابه.

٥- والاعتصام بحبل الله يتطلب النظر السريع الجاد فى تنسيق شئون الاقتصاد فى الجماعات الإسلامية، وذلك بإنشاء سوق إسلامية اقتصادية مشتركة تكون مهمتها تنظيم التبادل الاقتصادى وسد حاجات الجماعات الإسلامية بعضها من بعض، حتى لا يكون للمستعمر أثر فى اتخاذ هذا الجانب سبيلا لاستنزاف ثروة البلاد الإسلامية وتثبيت أقدامه فيها، ثم الحيلولة بيننا وبين الحصول على ما يحفظ كياننا ويرفع مستوانا.

٦- ويتطلب الاعتصام بحبل الله تكوين قوة تدافع عن هذا الدين تدفع شر الاعتداء وتكون محوطة بقلوب المؤمنين، كى تكون من أقوى وسائل السلم المسلح الذى أمر الله به وأرشد إليه فى كتابه :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

(الأنفال: ٦٠)

هذه هى المنافع التى تتوقف عليها حياة الأمة ولا تكون إلا فى مؤتمر الحج الإلهى الكريم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.





للشاعر الكبير الأستاذ محمود غنيم

صوتٌ مِنَ العالمِ العُلْوِىِّ ناداني ... لبَّيْكَ لبَّيْكَ الآنَ، ولا وانى(١)

ما أعذبَ الصوتَ! ما أشجاهُ من نغمٍ ... سمعْتُهُ بجناني لا بآذاني(٢)

وكيفَ تسمعُهُ أذنٌ، ويحملُهُ ... موجُ الأثيرِ حروفاً وهْوَ روحاني؟

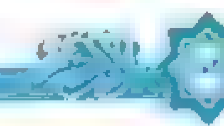
لبَّيْتُهُ بفؤادٍ ملؤهُ وَجَلٌ ... وصَبَّ من دموعِ العينِ هتَّانِ(٣)

كيفَ الوقوفُ على بابِ الرسولِ، وفي ... يدي صحائفُ زلاتي وعصياني؟

دارُ النبوةِ، دعني عنكِ أبعدني ... وحُسْنُ ظني سرى منكِ أدناني

لم يدرِ قدرَكِ من في ذاتِ أجنحةٍ ... أتى يزورُكِ، أو في ذاتِ سكانِ(٤)

(١) أي أنا كمن جئت ورحي وحي: ... ولبث، وانٍ: ... ، وواهٍ: ضعيف متكاسل
(٢) الجنان: ... القلب ...
(٣) هتان: ...
(٤) ذات أجنحة كناية عن الطائرة وذات سكان كناية عن السفينة والسكان الدفة





هلَّا أتيتُكِ سبَّاراً على قدمي ... أو طارَ بي حرُّ شوقي بين جنحاني؟

ما غبتِ عني، وإن لم يمتثلْ بصري ... من أهلكِ الصِّيدِ أو من رَبْعِكِ الفاني(١)

قد كنتُ ألقاكِ في لوحي، وفي كتبي ... وفي سطورِ أحاديثي، وقرآني

ما زلتِ رسماً جميلاً في مخيلتي ... حتى كأنَّا التقينا منذُ أزمانِ

كأنني لستُ ضيفاً عندَ أهلكِ، بل ... هم في ربوعِهمُ الفيحاءِ ضيفاني

وما طربتُ للحنٍ ليسَ يذكرُ لي ... ما فيكِ من علمٍ أو فيكِ من بانِ

اللهُ يعلمُ كم حركتِ في خلدي ... من ذكرياتٍ، وكم هيَّجتِ أشجاني!

كم في دروبكِ من دربٍ أصخْتُ له ... كأنه بحديثِ الأمسِ ناجاني

لي من صعيدكِ أفواهٌ وألسنةٌ ... بقدرِ ما فيهِ من رملٍ، وكثبانِ

يا جيرةَ الحرمينِ الآمنينِ، لكم ... أهدي التحيةَ من روحٍ وريحانِ

اللهُ أورثكم مجداً يقرُّ بهِ ... قبلَ الحبيبِ لسانُ الحاسدِ الشاني(٢)

واللهُ شرَّفَ مغناكم، وشرَّفكم ... خيرُ البقاعِ أقلَّتْ خيرَ سكانِ

ما للشرابِ وردْنا ماءَ زمزمكم ... بل للطهارةِ من رجسٍ وأدرانِ

باللهِ، لا تنزعوا من مائها قدحي ... بل فاغمروا جسدي منها بطوفانِ(٣)

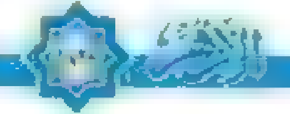
هنا رحيقٌ عتيقٌ حلَّ مشربُهُ ... فيهِ طهارةُ أرواحٍ وأبدانِ

هنا مفاتيحُ أغلاقِ السماءِ، هنا ... بابُ الوصولِ إلى جناتِ رضوانِ

هنا بنى المصلحُ الأميُّ جامعةً ... على أساسينِ من: علمٍ وعرفانِ

على قواعدَ من هذي النبوةِ، لا ... على قواعدَ من صخرٍ وصفوانِ

(١) الصيد: جمع أصيد، وهو الشريف العظيم
(٢) الشاني: أصلها الشانئ: المبغض الكاره
(٣) لا تنزعوا: لا تمنعوا، والقدح: الآنية



وكيف لا ورسولُ اللهِ منشؤها؟ — جلّ البناءُ وجلّ المنشئُ الباني!

ما كان طلابُها إلا شراذمَ من — رعاةِ إبلٍ، ومن عبّادِ أوثانِ

ربّى العتيقَ أبابكرٍ بها، وأبا — حفصٍ، وربّى عليًّا، وابنَ عفّانِ

طلّابُها في ربوعِ العالمِ انتشروا — مبشّرين بإصلاحٍ وعمرانِ

وسمحةٌ من سماءِ اللهِ منزلةٌ — ومحكمٌ من كلامِ اللهِ ربّاني

فيها تحرّرَ [illegible] من — أدنى المحيطِ إلى أقصى خراسانِ

ساسوا الشعوبَ بأحكامِ الكتابِ؛ فما — أحسّ شعبٌ بجورٍ أو بطغيانِ

سمحةٌ عرفَ الدينُ تحيطُ بها — ما فرّقتْ بين ألوانٍ وأديانِ

من كلّ مسعرِ حربٍ يومَ معركةٍ — وكلّ نابغةٍ فذٍّ وفنّانِ(1)

أجلّهم كلُّ ذي علمٍ وفلسفةٍ — وهابهم كلُّ ذي جاهٍ وسلطانِ

«اللهُ أكبرُ» كانت سرّ قوّتهم — على الجبابرِ من فرسٍ ورومانِ

شاد البُداةُ حضاراتٍ بها، وبها — ثلّوا عروشًا، وسلّوا ذرّ تيجانِ(2)

لا حصنُ قيصرَ أغنى عنه رحمهمو — ولا احتمى منهمو كسرى بإيوانِ

والأمرُ للهِ، دارَ الدهرُ دورتَه — فأصبحَ القومُ شاءً بين ذؤبانِ!

قد جال في أمسهم فكري؛ فأضحكني — وجال في يومهم فكري؛ فأبكاني!!

يا ويحَ قومي! نسوا اللهَ الكبيرَ، فلم — يذكرْهمُ اللهُ؛ نسيانٌ بنسيانِ!

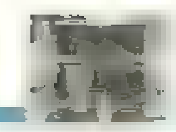
يا ربِّ، شعبُك يشكو ما أحاطَ به — من الخطوبِ، فأدرك شعبَك العاني(3)



(1) مسعر حرب: موقد نارها.

(2) البداة: جمع البادي، وهو من يسكن البادية.

(3) العاني: الأسير، أو المرهق الذي أصابه العناء.



أدركْ [illegible] شعبٍ عظمٌ في وسنٍ — على تخومِ عدوٍّ غيرِ وسنانِ(1)

يا سيّدَ الرّسلِ، لم أنشدْك ممتدحا — فأنت فوقَ مراميري وألحاني

وما عليَّ إذا أنشدتُ من حرجٍ — كم كنتَ تصغي إلى إنشادِ حسّانِ

لمّا رأيتُ القرابينَ التي قبلتْ — بها الوفودَ، جعلتُ الشعرَ قرباني

لو استطعتُ، نظمتُ الشعرَ من بصري — ونورِ قلبي، وبعضُ الشعرِ نوراني

يهونُ عندي إن أكسبْ رضاك به — ما نال أحمدُ من كفّ ابنِ حمدانِ

بل دونَ نظرةِ عطفٍ منك واحدةٍ — ملكُ السماءِ وملكُ الأرضِ في آنِ

إنّي لأطرقُ بابَ المصطفى بيدٍ — بيضاءَ لم تتعوّدْ طرقَ بيبانِ

وأبسطُ الكفَّ أستجدي رضاه، وما — بسطتُ كفّي لذي منٍّ وإحسانِ

وأسفحُ الدمعَ سيلًا في حماه، وكم — كففتُ عن الدمعِ يومَ الروعِ أجفاني(2)

لا أكتمُ اللهَ ما أسلفتُ من زللٍ — وهل يغطّي عليه طولُ كتماني؟

إذا جوارحيَ اللاتي جنتْ شهدتْ — بما جنتْ، كان إقراري كنكراني

جاهدتُ، يا ربِّ، أعدائي فما وهنتْ — قواي، لكنْ جهادُ النفسِ أعياني

إن عدتُ من حربِها الشعواءِ منتصرا — حينًا، فكم عدتُ أحيانًا بخذلانِ

والنفسُ أفتكُ بالإنسانِ من سبُعٍ — ضارٍ، وأردى له من نابِ ثعبانِ

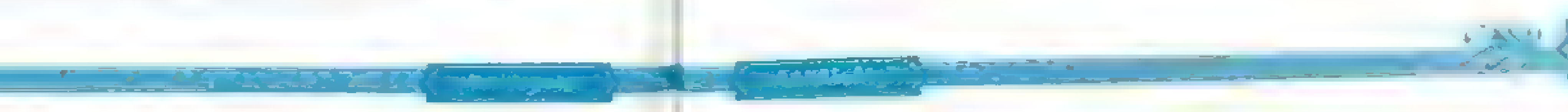
ماذا أقولُ؟ أقولُ اللهُ قدّرَ لي — إن شاء أسعدني، أو شاء أشقاني

أو أدّعي أنّ لي أمّارةً أمرتْ — أو أنّ شيطانيَ الشرّيرَ أغواني(3)

(1) التخوم: جمع تخم، وهو الحد بين البلاد والقرى.

(2) أسفح الدمع: أرسله منهمرا، وسفح الدمع سفحا وسفوحا: انصب. والروع: الفزع.

(3) النفس الأمارة: التي تأمر صاحبها بالسوء، وتزينه له، وأغواه الشيطان: استهواه وأضله.



أستغفرُ اللهَ! ذنبي لستُ أجحدُهُ — لكنْ على الغيرِ يُلقي التهمةَ الجاني

يا ربِّ، إن لم تقلْ ذا عثرةٍ، فلِمَنْ — ما في جِنانِكَ من حُورٍ وولدانِ؟

لِمن بنيتَ جِنانَ الخُلدِ دانيةً — قطوفُها، ذاتَ أشجارٍ وأفنانِ؟

لذاتِكَ العصمةُ الكبرى بها انفردتْ — وعصمةُ الناسِ من زورٍ وبُهتانِ

وأنتَ أحنَى على العاصين أنفسِهم — من كلِّ أمٍّ رؤومٍ، أو أبٍ حانِ!

ما زادَ في مُلكِكَ الأوّابُ خردلةً — أو نالَه المذنبُ العاصي بنقصانِ(1)

يجني على نفسِه الجاني، ومَنْ زرعتْ — يمينُه الخيرَ في الدنيا هو الجاني!

ومَنْ أكونُ بكونٍ أنتَ مُبدِعُهُ — أقطرةٌ بينَ أمواجٍ وشُطآنِ؟

أم ذرّةٌ في فضاءٍ لا يُحَسُّ بها — لم أدرِ ما كُنهُها في العالمِ الفاني؟

سبحانَ من يعلمُ الأسرارَ أجمعَها — وسِرُّهُ هو أعيا كلَّ إنسانِ!

وما أُبرّئُ نفسي من جَهالتِها — جهلي، وعلمي بجهلي كم أراحاني

يا ربِّ، إنْ كنتُ قد قصّرتُ في نُسُكي — فما تسرّبَ شكٌّ نحوَ إيماني(2)

ما جاءني فيكَ شيطاني يُشكِّكُني — إلا وعادَ بثوبِ الخزيِ شيطاني

وكيفَ لا، ورسولُ اللهِ يَنْتَجي — وحجّتي أنتَ، والقرآنُ برهاني؟

يا ربَّ يومٍ نَهاني فيه خوفُكَ عن — لهوٍ، وغيري يلهو بابنةِ الحانِ(3)

وربَّ يومٍ كبحتُ النفسَ عن عبثٍ — فيه، وكنتُ شاباً بين شُبّانِ

وربَّ معصيةٍ لم آتِها وَرَعاً — والنفسُ تأمرُني، والدينُ ينهاني(4)

---

(1) الأوّاب: العابد، والذي يرجع إلى ربه من قريب، ولا يتمادى في الذنوب.

(2) النسك: العبادة.

(3) ابنة الحان: كناية عن الخمر، والحانة موضع بيعها.

(4) ورب في هذا البيت والبيتين قبله للتكثير، أي أنه كان كثير الخوف، وكثير كبح النفس، وكثير الطاعة.



ولا أمُنُّ على ربّي بطاعتِهِ — إني أعوذُ به من كلِّ منّانِ

عصيانُ ربِّكَ ذنبٌ واحدٌ، فإذا — يئستَ من عفوِهِ، فالذنبُ ذنبانِ

لبّيكَ، يا ربِّ، لا آلوكَ تلبيةً — حتى تمنَّ على ذنبي بغفرانِ(1)

سِيّانِ: إن أقضِ، أو أرجعْ إلى وطني — ما دمتَ تشملُني بالعفوِ، سيّانِ

فإن أعُدْ عُدتُ مغفورَ الذنوبِ، وإن — أمُتْ فصحبُ رسولِ اللهِ جيراني

ليس التشبّثُ بالأوطانِ من أربي — كلُّ البلادِ بلادُ اللهِ أوطاني

كهفٌ بأرضِ رسولِ اللهِ أروحُ لي — من قُبّةٍ ضُربتْ في ظلِّ بستانِ

فيمَ القِبابُ على الأمواتِ تنصبُها؟ — يكفي الدفينَ بجوفِ الأرضِ شبرانِ!(2)

الخاملونَ من الأحياءِ كم طلبوا — على حسابِ دنيٍّ رفعةَ الشانِ

لا تبتغوا المجدَ من تشييعِ ميتِكُمْ — أو المغالاةِ في قبرٍ وأكفانِ

يا ربِّ، قد عشتُ في دنياي مغترباً — ويلاهُ إن أغتربْ في العالمِ الثاني!

حاشاكَ، يا ربِّ، في أُخراي تحرمُني — يا ربِّ، حسبي في دنياي حرماني

أستغفرُ اللهَ من كُفرانِ نعمتِهِ! — بل فوقَ ما أستحقُّ مَنّهُ أعطاني

ألم يجدْني أخا غيٍّ فأرشدَني؟ — وهائماً غيرَ ذي مأوى فآواني؟

ألم يجدْني أخا جهلٍ فعلّمني — وعائلاً غيرَ ذي وجدٍ فأغناني؟(3)

وما البكاءُ على الدنيا وزُخرفِها؟ — شبعتُ ولو أنها دنيا سليمانِ!

وما أُبالي بما في الكونِ أجمعِهِ — إن صحَّ منكَ الرضا عنّي وأرضاني

لبّيكَ ملءَ فمي، لبّيكَ ملءَ دمي — لبّيكَ يا ربِّ من قلبي ووجداني

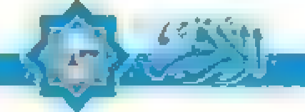
إليكَ شفّعتُ من تُرجى شفاعتُهُ — يا ربِّ، لا خفَّ يومَ الحشرِ ميزاني

---

(1) لا آلوك تلبية: لا أقصر في [illegible]

(2) يذكر الشاعر أن نصب القباب على الأموات أمر لا يقبله الشرع، وذلك مخافة أن يصاب مقدسو هذه القباب بلوثة من الوثنية.

(3) في هذا البيت وما قبله تأثر الشاعر بمعاني القرآن الكريم في سورة الضحى.





أ.د. محمد فتحي فرج بيومي

قلنا في موضع آخر: إن الإسلام دين حياة، يدعو إلى الحياة، نفهم ذلك ونعيه من قول ربنا جل وعلا

﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾

(الأنفال ٢٤)

والحياة نشاط وحركة وبركة، وفرح وسرور، بانتصار المرء على نفسه وهواه، وعلى الشيطان، وفرحة أيضا بالنجاح في الامتحانات التي يتعرض لها كل يوم، ومنها أيضا نجاحه في أداء فريضتي الصيام والحج، ولذا فقد سن الله تعالى، وهو - سبحانه - أعلم بمراده، عيد الفطر عقب انتهاء شهر الصيام وعيد الأضحى عقب أداء ركن الحج الأعظم، وهو الوقوف بعرفة، لقوله ﷺ: «الحج عرفة»[1] فتوقيت مجيئهما بعد أداء المسلم لهاتين العبادتين بنجاح وفلاح، يذكرنا بالجائزة التي تمنح باستحقاق لمن ينجح في الامتحان، ولذا فإن نصيب من اجتهد حقا في أداء كل عبادة منهما - على وجهها الصحيح، نصيب موفور من السعادة والسرور.

والأعياد من قديم الزمان، مناسبات للفرح والحبور، والإسلام الذي يسعى لإسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، لا يأتي من الشرائع والأحكام بما يتعارض مع ما يبعث على بلوغه السعادة المشروعة، إذ إن هذا مبدؤه العام، ولهذا فحينما «قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة، ووجد للأنصار يومين يلعبون فيهم». كما روى عن أنس رضي الله عنه - «فقال النبي ﷺ ما هذان اليومان؟ قالوا: يومان كنا نلعب فيهما (أي نجتمع ونحتفل فيهما) في الجاهلية. فقال ﷺ: كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما، يوم الفطر ويوم الأضحى»[2].

والإسلام ليس مجرد مجموعة من الحقائق والنظريات والمعلومات، والشعائر والعبادات، المنفصلة عن الواقع، والتي يكتفى بمعرفتها والعلم بها، أو حتى مجرد أدائها أداء آليا فحسب، لا روح فيه ولا غاية تبتغى منه. ولكنه دين كل ما فيه من تعاليم، وكل ما يحض عليه من فعال، وما يأمر به من أوامر، وينهى عنه من نواه، فهو من أجل التطبيق العملي والترجمة الفعلية، والشروع الفوري في نقل وتنفيذ ما عرفه المسلم، من الجانب النظري إلى التطبيق الفعلي في أرض الواقع وميدان الحياة، من أجل حياة سعيدة له وللآخرين، وآخرة السعادة فيها خير وأبقى. والله جل وعلا، الذي خلق الإنسان ويعلم:

﴿ ما توسوس به نفسه ﴾

(ق ١٦)

ويعلم أيضا أن «القلوب إذا كلت عميت». وارتضى الوسطية لهذه الأمة الوسط، فكما فرض على الأمة المسلمة الجهاد والعبادات، لم يضن عليها بما يؤنس وحشتها، ويجدد لها نشاطها وإقبالها على الحياة، ويزودها بالطاقة والقدرة على مواصلة السير في دروبها الوعرة. وهو القائل سبحانه

﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾

(البلد ٤)

ولذا فقد منحها هذين اليومين - يوم الفطر ويوم الأضحى - تفرح فيهما الفرح المشروع، ويربط بين هذه الفرحة وبين ما أنعم الله به عليها من توفيق لأداء صيام أو حج أو ذبح وتضحية لله تعالى شكرا له، وإحسانا إلى النفوس المحرومة، وسعيا نحو ملء البطون الجائعة، ودليلا على التقوى وبرهانا على الصلاح، إيثارا لما عند الله، فما عند الله خير وأبقى. ومعنى ذلك أن فرحه في الدنيا بما يقدمه الإنسان فيها للآخرة، لتمتد وتتواصل الفرحة إليها أيضا. وهذه هي السعادة الحقيقية الخالدة.

فالأعياد بهذه المثابة نفحة من الله تعالى لعباده المؤمنين الطائعين، بعد فترة من الجهاد، وكأنما هي محطات للاسترخاء الفكري، والهدوء النفسي، وهي أيضا مناسبات طيبة لإعادة النظر في كثير من أمورنا الخاصة، التي لا يجد المرء في زحام الحياة فرصة للتفكر والتأمل فيها بتأن وروية، بعيدا عما درجنا عليه من عادات وتقاليد وأفكار، اتخذت طابع المسلمات جرت مجرى العادات!

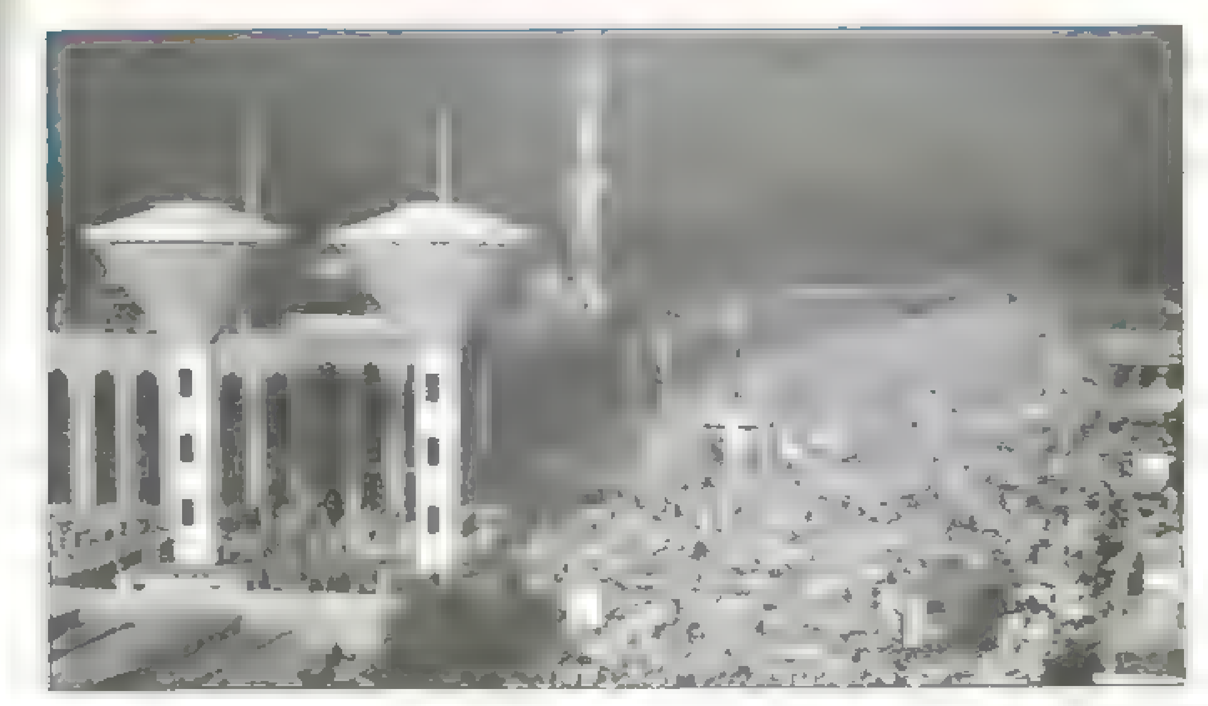
وهي مع هذا مناسبات تشجع - بطبيعتها - على الخروج على ما ألفناه، من أساليب معاملة بعض الأقارب والمعارف والأصدقاء والجيران، ومن ثم فهي فرص سانحة، لانتهاج سبل جديدة للتعامل معهم، تمليها حميمية هذه المناسبات، التي تقرب ما بين الأباعد من مسافات، وتؤلف بين القلوب المتنافرة، وقد تذيب حرارة الأعياد، ودفء التقارب فيها، الثلوج المتراكمة بفعل برودة العلاقات بين المتخاصمين والمتدابرين، خصوصا بين الأقارب الأقربين.

عيد التضحية والفداء:

أما بالنسبة لعيد الأضحى على وجه التحديد، فكلما يطل علينا هلال ذي الحجة، من كل عام، تتداعى للذاكرة أجل معاني الجهاد والتضحية

[1] مسند أحمد ج٤ ص٣٠٩، ٣١٠ سنن أبي داود
[2] سنن النسائي ج٣ ص١٨٠





والفداء، لنستخلص منها دروسا غالية، وقيما عالية، ومثلا جديرة بالتأسي والاحتذاء.

فتتلخص حكمتا عيد الأضحى، كما يبين الدكتور أحمد زكي، في الحج والأضحية، وبهما تتألف القلوب بين الشعوب بالاجتماع، وموعد ذلك المسجد الحرام وما حوله من شعائر، ثم تأليف القلوب بين طبقات الناس بالصدقة، وموعد ذلك كل بقعة في الأرض. ولهذا العيد فوق ما اختص به من أنه عيد الحج وعيد الأضحية، صفة كل عيد. إذ العيد وقفة من وقفات الزمن، يقف فيه السائر ويقعد القائم ويفرغ المشغول، ويضع صاحب القلم قلمه، وصاحب المعول يلقي بمعوله، ويترك صاحب المبرد مبرده، وهم يفرغون من أمور الحياة ليشتغلوا بأمور العيد وهي - بعد العبادة - بث الفرح وإشاعة السرور حيث ما قدر الإنسان في البيت وبين الأهل وعند الجار والجيران كل على قدر طاقته.

أما الامتحان الذي تعرض له أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام، ونجحا فيه بمراتب الشرف العليا، مناسبة غالية على الإسلام والمسلمين، بل وانتصار حقيقي للمثل العليا للإنسانية، في سعيها الدائب والحثيث، نحو بارئها وخالقها، طاعة وعبادة وحبا، وتضحية بكل غال ونفيس، حتى وإن كان نفس المرء التي بين جنبيه، إيثارا لما عند الله تعالى، فما عند الله خير وأبقى. كما أن نهايتها السعيدة جديرة بالاحتفاء والاحتفال، ومن ثم فهي تعتبر في حد ذاتها عيدا. وإنها لكذلك عيد وأي عيد!

يقول د. كامل الـ[illegible]: إن الناظر في قصة الفداء والباحث في آية الذبح، يخرج منهما بعبر، وأي عبر، ويستخلص منهما صورا، وأي صور. فالقصة على ما فيها من المظهر المادي، تؤدي من الدلالات الروحية، والمفاهيم المعنوية، ما يجعلها تحتل مكانها بين أخلد القيم التي عرفها التاريخ ووعتها الإنسانية. فالتضحية فضيلة من الفضائل الإنسانية، تدعو لها الشرائع السماوية، وتحث عليها القوانين الوضعية. والدولة الحديثة تقوم على أسس من التضحية واضحة، فكل مواطن عليه أن يضحي بشيء من ماله، وشيء من جهده، بل عليه أن يضحي بكل ما يملك من حياته، إذا ما دعا داعي الواجب، ودق ناقوس الخطر. والتضحية هنا من أجل فكرة، ومن أجل غاية ومن أجل مبدأ. وهي بهذا المعنى ينبغي أن تتوافر للأفراد، كما تتوافر للجماعات. فالمجتمعات المختلفة، والجماعات المتفرقة، لن يلتقي جمعها، ولن يلتئم شملها، إلا إذا آمنت بهذه الفضيلة، وعملت على التخلص من أكدار الأنانية البغيضة، وشوائب الأثرة المقيتة، ونسيت في سبيل الفكرة الصغائر التي تهوي بالإنسان ولا ترتفع به، وتحط بمعاييره ولا تسمو بها. ولكي يتحلى الإنسان بفضيلة التضحية، لابد أن يكون شجاعا نبيلا في خلقه. كما برز إسماعيل النبي في قصته مع أبيه إبراهيم عليهما السلام على أن معنى التضحية يكبر، ومدلولها يعظم، كلما كان الثمن الذي يدفعه الإنسان غاليا. وهل ثمة شيء أعلى من الروح، وأسمى من النفس، التي جاد بها إسماعيل في عزيمة وقوة ورباطة جأش؟ فحينما أخبره أبوه إبراهيم - عليهما السلام - أنه رأى في المنام أنه يذبحه، ورؤيا الأنبياء حق، فماذا كان جواب إسماعيل؟ ولننظر إلى جوابه مما حكاه القرآن على لسانه:

﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾
(الصافات ١٠٢)

ولم تكن تضحية النبي إبراهيم بأقل من تضحية فلذة كبده إسماعيل، الذي رُزقه وهو شيخ كبير، حينما هم بذبحه بيديه، امتثالا لأمر الله تعالى. فماذا كان جزاؤهما من الله تعالى؟ لقد فرج الله همهما، حينما رآهما ينجحان في هذا الابتلاء العظيم، حيث يقول عز من قائل:

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾
(الصافات: ١٠٧)

ثم يثني عليه ربه ويدعو له ويبشره أيضا بولد ثان هو إسحاق، فيما جاء بسورة الصافات:

﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾
(الصافات: ١٠٩: ١١٢)

وهكذا يبرز للوجود الدرس الذي تلقاه العالم، ويذكره المسلمون في هذه المناسبة، وما أجمله من درس، وما أروعها من ذكرى إذ التضحية التي تلخصها هذه الذكرى التي نستعيدها مع إطلالة هذا العيد، هي التي تنقص عالم اليوم، وتعوز قيمه، وتهز معاييره فلا يزال الصراع في كل مكان، والجشع في كل أرض، والأنانية تطل بوجهها الكالح، فتلهب النار، وتقذف بالأوار. فلو أن دول اليوم أدركت معنى التضحية كما تصورها هذه الذكرى، ونفضت عنها الأنانية التي تدفعها للتوسع والتغول لاختفى الشر وانتشر الخير وعم السلام.

لبيك اللهم لبيك

حديث عن الحج
في الحقل

تمهيد

قال رجل لابن سيرين:
رأيت أني أؤدى فريضة الحج.
قال له: ستحج!
فلما سأل نفس السؤال من رجل آخر قال له: تب من ذنبك!
فلما قيل له في ذلك قال:
رأيت الصلاح على الأول، فتذكرت قوله تعالى:

(الحج: ٢٧)

ورأيت الطلاح على الآخر.. فتذكرت قوله تعالى:

(يوسف: ٧٠)

وهكذا.. عندما تشرق شمس الأذان في قلب الإنسان تمر على اللسان فصوص الحكم

قلت هذا لصديقي الفلاح.. ونحن في الحقل المديد: ترامى إلينا دقات الطبول ابتهاجا بعودة الحاج بعد طول غياب، وقال لي صديقي الفلاح: ونحن نهيأ لتهنئة ذلك «الحاج» بالعود الحميد إلى وطنه.. نريد أن نسمع كلاما في نفس الخط الذي رسمه شيخك ابن سيرين" وقلت له رحلتنا هذه إلى دار الحاج العائد تذكرني بقوله عز وجل:

(آل عمران: ٩٦)

قال: وعندما وجدت نسبك الآية الكريمة" قلت: تذكرت حديث رسول الله ﷺ
«كانت الكعبة خُشْعَةً على الماء، فدحيت الأرض من تحتها»(١)

ومعنى الخُشْعَة: أنها كانت أَكَمَة لاصقة بالأرض.
وفيما أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب: عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إنه - بيت الله الحرام - كان أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض».
ثم تتابعت الدراسات العلمية التي أكدت توسط مكة المكرمة بهذه اليابسة التي كانت تحت الكعبة المشرفة والتي تعتبر بهذا المقياس أقدم جزء من الغلاف الصخري للأرض، وأن هذه إشارة علمية لكل من أراد أن يتذكر.

قال صاحبي الفلاح: يتذكر ماذا؟
قلت: يتذكر أن مكة هي: مركز الأرض وقلب البلاد، بمعنى أنها وطننا الأول الذي لامس ترابه أجسامنا، بمعنى نحن نحن إليه، والعود إليه وليس الخروج منه وهو الذي يجب أن يكون. وإذن: فهذه الطبول التي تدق، وهذا الغناء الذي يتردد في جنبات الوادي، ما كان ينبغي أن تكون، وإنما وقتها هو: عندما يعزم «الحاج» على الخروج؛ لأنه فعلا عائد إلى وطنه الذي منه نشأ. ومن ثم فالحنين إليه دافق. أما العودة منه فهو ما تأباه الفطرة المتعلقة أساسا بوطنها الذي نشأت منه؟"

وهكذا: تبدو مكة المكرمة هي وطننا الذي يجب أن نشد الرحال إليه، والخروج منه هو خروج من الوطن إلى الاغتراب.

وهذا ما فطن إليه الحسن البصري - رحمه الله - فقد كتب رسالة إلى صديقه عبدالرحمن بن أنس الرمادي. وكان يسكن مكة المكرمة. وكان له فضل دين وذكر ولم يكن له في الدنيا عمل إلا عبادة الله تعالى.

لكنه أراد الخروج من مكة إلى اليمن، فلما علم الحسن بهذا كتب إليه عاتبا ناصحا، فقال له:
«حفظك الله يا أخي بما حفظ به أهل الإيمان، ووقاك المكروه، ووفقك للخيرات، وأتم عليك النعم في كل الأمور، وجمعنا وإياك في دار السلام في جوار الرحمن؛ فإن ذلك بيده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
اعلم يا أخي - أبقاك الله تعالى - أنه بلغني أنك قد أجمعت رأيك على الخروج من حرم الله تعالى وأمنه، والتحول منه إلى اليمن.
وإني والله كرهت ذلك وغمني واستوحشت من ذلك وحشة شديدة، إذ أراد أن يرعجك من حرم الله تعالى ويستزلك!
فيا عجبا!! من عقلك إذ نويت ذلك في نفسك، بعد أن جعلك الله من أهله، ولو أنك حمدت الله تعالى على ما أولاك وأبلاك في حرمه وأمنه، وصيرك من أهله، لكان الواجب عليك شكره أبدا ما دمت حيا، ولكنت مشغولا بعبادة الله عز وجل أضعاف ما كنت عليه؛ إذ جعلك من أهل حرمه وأمنه، وجيران بيته.
وإياك.. ثم إياك والقلق والضجر. وعليك بالصبر والصمت والحلم فإنك تغلب بهن الشيطان الرجيم.
إياك ثم إياك والخروج منها والانزعاج عنها، فإنك في خير أرض، وأحب أرض الله تعالى إليه وأفضلها وأعظمها قدرا، وأشرفها عنده.
فنسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياك للخيرات، فإنه الحنان المنان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».
ولقد كان الحسن البصري داعيا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة
فقد كان يدرك تماما مدى تعلق صديقه، بوطنه اليمن ومن ثم لم يلجأ إلى سياسة الضغط سبيلا إلى تحقيق وجهة نظره، ولكنه استعان بالحكمة التي كان منها ما ذكره من فضائل مكة المكرمة، وذلك قوله:
اعلم يا أخي أن الله تعالى فضل مكة على سائر البلاد، وأنزل ذكرها في كتابه العزيز في مواضع عديدة منها قوله تعالى

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

(١) ذكره الزمخشري في «الفائق في غريب الحديث» ١/٣٧١.

وقال تعالى:

﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾

(البقرة ١٢٦)

وقال تعالى:

﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾

(الحج ٢٩)

وهو نفسه التقدير الذى اعترف به مراد هوفمان فى كتابه «الرحلة إلى الإسلام» قال:

«لقد ارتدينا إحرامنا الأبيض البسيط ودخلنا إلى المسجد الحرام ووجدنا أنفسنا نقابل الكعبة المشرفة زادها الله تشريفا وتعظيما، وهى تقع فى وسط ساحة المسجد الحرام الداخلية الواسعة، ولعل هذه خطة من خطات العمر يصعب حتى على المسلم أن يحصيه أو يفكر فيها فى حدوثها. ويصاب المرء بحيرة فى كبيرة عندما ينظر لأول مرة إلى معلم طبيعى أو ذى هندسة عمرانية خاصة تعرض عليه من خلال الصور والأفلام، إلا أن الأمر مختلف فى هذه الحالة.

لن تجد أى ضجيج تجارى وتسويقى حول هذا المسجد، بل وليس هناك أى جو من التقديس الحار أو السحرى الهائلة، كل ما يحيط بهذا المسجد مضىء، ومحترم وتلاحظ فيه أعلى مقاييس علم الجمال.

ويلاحظ أن حشود الحجاج الكبيرة ليست صاخبة ولا طاغية بأى حال من الأحوال، بل على النقيض من ذلك تراهم يؤدون صلاتهم بتناسق وانسجام، يؤدون الصلاة بصمت تام يحمى خصوصية كل شخص من المصلين، ويطوف حول الكعبة المشرفة عشرة آلاف حاج وزائر بصمت وهدوء وسكينة، ولعلك تلحظ آثار ذلك على النفس وكأنه «تنويم مغناطيسى».

لقد استمتعنا بالشعور الرائع الذى شعرنا فيه بالترحيب بنا وأننا آمنون تماما بين إخواننا المسلمين، وأدركنا حقيقة ماذا تعنى عبارة «السلام عليكم»، حيث إنها كانت متحققة تماما فى هذا المكان. لقد لمسنا هناك نعرة الكرامة، والجمال والبهاء، والإيمان والنظرة العالية الحقيقية إلى الأمور. لقد شعرت بأننا درت من هذا الكون الفسيح المترامى الأرجاء، نعم، تختفى فى مكة الفوارق العنصرية، وخلال الصلاة فقط كنت أتمكن من رؤية الأقدام الملونة من غيرها لأدرك أن جميع الألوان والأجناس البشرية من جميع القارات مجتمعة هناك.

إن الكعبة المشرفة وهى بشكلها ذى الأبعاد الثلاثية، وبساطتها الواضحة المعرقة هى الجواب الذى يقدمه الإسلام لبحث عن رمز بصرى حى عن الكمال الإلهى.

وتمثل الكعبة المشرفة «نقطة ساكنة»، كما أنها تعتبر قمة يتجه إليها المسلمون فى صلاتهم. وهى المرساة الرمزية لدين عالمى يدرك بشكل منقطع النظير أن الله تعالى ليس فى «الغرب»، كما أنه ليس فى «الشرق» وأنه تعالى لا يحده زمان ولا مكان.

وبعد أن أكملنا طوافنا سبعة أشواط حول الكعبة المشرفة، حيث كانت السماء تتلألأ بالنجوم، وقفنا عند «الحجر الأسود» الذى وضعه محمد ﷺ بيده الشريفة فى ركن الكعبة المشرفة فأصبح منذ ذلك الحين مكانا شريفا يقبله المسلمون ويذرفون عنده الدموع».

موقف الخصوم

وقد أدرك الخصوم ما للكعبة المشرفة من قداسة، وما يشع منها من آيات تؤكد أن هذا الدين حقا من عند الله، فشمروا عن ساعد الجد. فماذا فعلوا؟!

حينما قرأ المستشرقون هذه الأحاديث النبوية الشريفة ظنوا الحجر الأسعد قطعة من البازلت الذى جرفته سيول من الحرات المجاورة وألقت به إلى منخفض مكة المكرمة.

ومن أجل إثبات ذلك استأجرت الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية ضابطا بريطانيا باسم ريتشارد فرنسيس بيرتون Richard Francis Burton جاء إلى الحجاز فى هيئة حاج أفغانى، وذلك فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى «١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م» بهدف سرقة جزء من الحجر الأسود والفرار به إلى بريطانيا، وبالفعل تم له ذلك، وبدراسة العينة المسروقة ثبت أنها من أحجار السماء؛ لأنها تشبه أحجار النيازك. وإن تميزت بتركيب كيميائى ومعدنى خاص، وكان هذا الاكتشاف سببا فى إسلامه، وقد سجل قصته فى كتاب من جزءين بعنوان رحلة إلى مكة «A Journey to Mecca» وتوفى بيرتون فى سنة ١٨٩٠م - ١٣٠٨هـ.

مسئولية الأمة

وتبقى الأمة الإسلامية مسئولة مسئولية مباشرة عن العود إلى الوطن الأم لتجلى للناس أن هذا الدين حقا من عند الله، وهذا ما يقرره العلماء الذين قالوا:

«وفيما يروى عن رسول الله ﷺ قوله: الركن والمقام من الجنة»[4] وقوله: «الحجر والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة»[6]

بئر زمزم آية من آيات الحرم المكى

إن تدفق الماء من بئر زمزم على مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة من قلب صخور نارية ومتحولة شديدة التبلور هو أمر لافت للنظر، على الرغم من طمرها وحفرها لعدة مرات، ولم يعرف مصدر هذا الماء المتدفق إلى البئر إلا بعد حفر الأنفاق حول مكة المكرمة، حين أدرك العاملون فى حفر تلك الأنفاق أن الماء يتدفق من تشققات شعرية دقيقة فى الصخور المتبلورة تمتد لمسافات بعيدة خارج حدود مكة المكرمة وفى جميع الاتجاهات من حولها، وهذه الملاحظة تؤكد وصف المصطفى ﷺ لهذه البئر المباركة بأنها تمت عن طرقة شديدة وصفها بقوله الشريف: «هى هَزْمَةُ جبريل وسقيا الله لإسماعيل»[5] «لأن الهزمة فى اللغة هى الطرقة الشديدة».

وبئر زمزم هى إحدى الآيات المادية الملموسة الدالة على كرامة المكان ووصف رسول الله ﷺ ماءها بقوله «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم»[5]، وقوله «ماء زمزم لما شرب له»[7].

وتبقى «مكة المكرمة» سبيلا إلى قلوب الآخرين بما حفلت به من آيات منها:

● أن أعدادا كبيرة من الأنبياء والصالحين مدفونون فى الحرم المكى:

فعلى سبيل المثال يذكر أن سيدنا إسماعيل «عليه السلام» وأمه السيدة هاجر «رضى الله عنها» مدفونان فى حجر إسماعيل. ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فى مسجد الخيف قبر سبعين نبيا». ويروى عن سعد بن أبى وقاص «رضى الله عنه» قوله عن الحرم الشريف: «لو كنت من أهل مكة ما أخطأتنى جمعة لا أصلى فيه، ولو يعلم الناس ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل». وقال مجاهد: «حج خمسة وسبعون نبيا كلهم قد طاف بهذا البيت وصلى فى مسجد منى».

● وفى قوله تعالى:

﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾

(آل عمران: ٩٧)

(٣) صحيح ابن خزيمة رقم ٢٧٣١ ، الحاكم فى المستدرك ج١ ، ص ٤٥٦
(٤) سنن الدارقطنى
(٦) سنن ابن ماجه ج٢ ، رقم ٣٠٦٢
(٣) كنز العمال ، رقم ٣٤٧٤٣
(٥) المعجم الكبير للطبرانى ج١١ ، ص٩٨، مجمع الزوائد ج٣ ٢٨٦
(٧) مجمع الزوائد للهيثمى ج٣ ، ص ١٩٧

رأى المفسرون في هذا النص القرآني الشريف التأكيد على أمن من دخل إلى الحرم المكي على اتساع مساحته. فكل من دخل في هذا الحرم صار آمنا على نفسه، مطمئنا على ماله، ولو كان مطلوبا للثأر ولاذ به، كان ذلك في الجاهلية، من بقايا إجلال الناس لهذا المكان الذي كرمه ربنا - تبارك وتعالى - وفضله على جميع الأرض، وجعله أشرف بقاعها على الإطلاق، أما اليوم فمن اقترف جرما فيه من جرائم الحدود أقيم عليه الحد.

وفي أثناء الفتح الإسلامي لمكة المكرمة أمر رسول الله ﷺ منادا ينادي: «من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[8].

وأشار بعض المفسرين إلى أن الأمن في الحرم المكي ليس للإنسان فقط، بل هو أيضا للحيوان والنبات، فقد حرم رسول الله ﷺ أن يعضد شوكه، أو يقلع حشيشه، أو يقطع شجره أو ينفر صيده، أو أن تلتقط لقطته إلا من عرَّفها.

وقد لاحظ المراقبون أن الحيوانات المتعادية لا تصطرع في الحرم المكي، ولا يؤذي بعضها بعضا، بل تخالط من الحيوانات ما تعودت على افتراسه خارج الحرم المكي، ولا تتعرض له فيه أبدا.

ويروي لنا التاريخ أن كل جبار قصد الحرم المكي بسوء أهلكه الله، ولم يمكنه من ذلك، كما حدث مع أصحاب الفيل، وربنا تبارك وتعالى يقرر حمايته لبيته العتيق بقوله عز من قائل:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥)

وتحقيقا لهذا الوعد الإلهي تعجل العقوبة لمن انتهك حرمة في الحرم المكي، لذلك قال المصطفى ﷺ «الدجال يطوي الأرض كلها إلا مكة والمدينة»[9]. وقال ﷺ يوم فتح مكة: «لا تغزى مكة بعد هذا العام أبدا»[10].

ومن الشواهد العلمية على أمن الحرم المكي ما يلي:

(١) حماية مكة المكرمة من الهزات الأرضية والثورات البركانية:

على الرغم من انفتاح قاع البحر الأحمر بخسوف أرضية عميقة، واتساع هذا القاع بمعدل ١ - ٣ سنتيمترات في كل سنة «مقاسا عند باب المندب»، وعلى الرغم من تحرك الجزيرة العربية ككل في الاتجاه الشمالي الشرقي «أي في عكس اتجاه عقرب الساعة» متباعدة عن القارة الأفريقية، وعلى الرغم من السجلات الزلزالية المدونة، والثورات البركانية العنيفة التي تركت طفوحا هائلة من الحمم والرماد البركاني في المنطقة والتي تقدر بنحو ٢٥٨٦ حدثا زلزاليا تقدر قوتها بقدر يتراوح من ٣,١ إلى ٦,٧ درجة على مقياس ريختر خلال الفترة من سنة ٦٢٧م إلى ١٩٨٩م. وما تلا ذلك من زلازل حتى سنة ١٩٩٦م بلغ قدر أعلاها ٦ درجات على مقياس ريختر «أو فوق ذلك قليلا» وامتدت من تيمن جنوبا «مثل زلزال ذمار الذي حدث في ١٣/١٢/١٩٨٢م» إلى العقبة شمالا: فلم تسجل هزة أرضية واحدة في الحرم المكي كله الممتد من وادي الشميسي غربا «على بعد ١٥ كم من مكة المكرمة»، إلى الجعرانة شرقا «على بعد ١٦كم» ومن أضاه جنوبا «على بعد ١٢كم» إلى التنعيم شمالا، «على بعد ٦ كم»، وإلى وادي نخلة في الشمال الشرقي من مكة المكرمة على بعد ١٤ كم، وذلك على الرغم من وقوع زلزال في المدينة المنورة سنة ١٢٥٦هـ صاحبته ثورة بركانية عنيفة وعلى الرغم من وجود أكثر من تسعين ألف كيلو متر مربع من الطفوح البركانية وآلاف الفوهات البركانية على أرض الحجاز.

(٢) توسط مكة المكرمة لليابسة: وإثبات وجود الأرضين السبع كلها في أرضنا انطلاقا من حديث سيد المرسلين «عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم» الذي قال فيه: «من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»[11]. ومن دراسات التركيب الداخلي للأرض ثبت أن أرضنا مكونة من سبع أرضين متطابقة حول مركز واحد يغلف الخارج منها الداخل.

كل ذلك يؤكد لنا أن الأرض في مركز الكون، وأن الكعبة المشرفة في مركز الأرض الأولى، ودونها ست أرضين، وحولها سبع سماوات، والكعبة تحت البيت المعمور مباشرة، والبيت المعمور تحت العرش، هذا الموقع المتميز للحرم المكي أعطاه من الشرف والكرامة، والبركة والهيبة الإلهية ما جعل من هذا الوصف القرآني «ومن دخله كان آمنا» حقيقة مدركة ملموسة لأنه دخل في أمن الله وظل عرشه، وهل يمكن أن يضام من نال شرف الوجود في هذا المكان؟!

من هنا كان اختيار الحرم المكي ليكون أول بيت عبد الله تعالى فيه على الأرض؛ وليكون قبلة للمسلمين ومقصدا لحجهم واعتمارهم، وجعلت الصلاة فيه بمائة ألف صلاة، والحسنة فيه بمائة ألف حسنة، لذلك قال رسول الله ﷺ في حق مكة المكرمة عشرات الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد خصوصية المكان، ومكانته عند الله سبحانه وتعالى، ومنها قوله «عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم»: «هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده أن يرده بغنيمة وأجر». «رواه ابن جريج عن جابر رضي الله عنه»[12]

فسبحان الذي اختار مكة المكرمة موقعا لأول بيت عبد فيه في الأرض، واختاره بهذه المركزية من الكون، وغمره بالكرامات والبركات، وقرر أن من دخله كان آمنا، وهذه حقائق ما كان للإنسان أن يدركها لولا نزول القرآن الكريم، وحفظه بلغة وحيه بحفظ الرحمن الرحيم، فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة القرآن، والحمد لله على نعمة مكة المكرمة، والحمد لله على بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

---

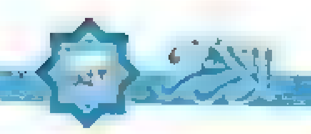
(٨) مسند أحمد جـ٢، ص ٢٩٢، ٥٣٨.

(٩) ابن أبي شيبة جـ١٢، ص ١٩١.

(١٠) مسند الحميدي ٥٧٢، مسند الإمام أحمد جـ٣، ص ٤١٢.

(١١) بداية ونهاية جـ١، ص ١٩، الحاوي للفتاوى للسيوطي جـ١، ٢٢٤، ٢٢٥.

(١٢) المطالب العالية لابن حجر جـ١ ص ٣٢٥ رقم ١٠٩١





لقد اهتم الإسلام اهتماما عظيما بوحدة الأمة المسلمة والتآلف بينها، وحرص كل الحرص على إدامة روح المودة والتعاطف والتراحم والمحبة بينهم ليكونوا دائما أمة واحدة متضامنة متآزرة، كلمة واحدة وقلبا واحدا وصفا واحدا، فتظل لهم العزة والمنعة بين الأمم.

وقد منّ المنعم - جل شأنه - على المسلمين بأن ألف بينهم وجعلهم أمة واحدة بعد أن كانوا أعداء يقاتل بعضهم بعضا، ويبغض كل منهم الآخر، فصاروا بالإسلام إخوة متحابين متعاونين متراحمين. قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

«آل عمران: ١٠٣»

وقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

«الأنفال: ٦٣»

وقال جل شأنه:

﴿[illegible]﴾

«التوبة: ٧١»

والآيات القرآنية في هذا كثيرة ومتعددة لا يتسع المجال لسردها.

ومما جاء في السنة أيضا بخصوص هذا الموضوع، قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه» متفق عليه. هذا تمثيل يفيد الحث على معونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن تعاضد المؤمنين كتشبيك الأصابع بعضها في بعض، فكما أن أصابع اليد متعددة فهي ترجع إلى أصل واحد ورجل واحد، فكذلك المؤمنون وإن تعددت أشخاصهم فإن أصلهم واحد، وأن ذلك أمر مؤكد لابد منه، فإن البناء لا يتم أمره ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضا ويقويه، وإن لم يكن ذلك انحلت أجزاؤه وهوت أركانه، وكذلك المؤمن لا يستقل بأمور دنياه ودينه إلا بمعونة أخيه ومعاضدته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه وعن مقاومة ما يضره، فحينئذ لا يتم له نظام دنياه ولا دينه ويلحق بالهالكين.

ويقول أيضا - عليه الصلاة والسلام -: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه. كما يقول - عليه الصلاة والسلام -: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». متفق عليه.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما. فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه من الظلم فإن ذلك نصره» رواه البخاري.

وهكذا وضع الإسلام أعظم الأسس الثابتة والراسخة والشامخة لبناء الجماعة الإسلامية بناء متكاملا متآزرا في أعز صورة وأكرم مشهد وأنبل غاية، ومحافظة على كلمة المسلمين ووحدتهم وقوتهم ومنعتهم وأخوتهم. فقد حذر الإسلام كل التحذير وخوف كل التخويف وهدد كل التهديد من إثارة الفرقة والشحناء والتباغض والتنازع بين المسلمين.

ومما جاء في ذلك قوله - جل شأنه -:

﴿[illegible]﴾

«آل عمران: ١٠٥»

وقوله تعالى في سورة الأنفال:

﴿... فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾

«الآية: ٤٦»

وقد جاء في ذلك في السنة المطهرة ما رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار».

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث» رواه البخاري ومسلم. وروى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم».

وروى أبو داود وأحمد والبخاري في الأدب المفرد وصححه الحاكم عن أبي خراش - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه» أي قتله عدوانا. والأحاديث في هذا متعددة ولا يتسع المجال لحصرها.

وهكذا أراد الإسلام الحكيم أن تكون أمة الإسلام موحدة قوية متماسكة على كل مستوياتها أفرادا وجماعات وشعوبا، لا يشوبها تفرق ولا تنازع ولا تقاتل.

فإذا ما حدث التشقق والتصدع بين الجماعة المسلمة على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الطوائف كان على المسلمين الأمر بتنفيذ الأمر الإلهي بإصلاح ذات البين، كما قال تعالى في أول سورة الأنفال:

﴿[illegible]﴾

«الآية: ١»

ونتناول مواطن الإصلاح في العدد المقبل إن شاء الله.

(يتبع)

القرآن والعلم الحديث

صور من الإعجاز التاريخى فى القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

تعددت أوجه الإعجاز واتسعت مجالاته فى القرآن الكريم، بما يؤكد أن هذا الكتاب الربانى الأسنى، إنما نزل ليكون كتاب البشرية كلها، فلم يكن لطائفة دون طائفة ولم يكن لعصر دون آخر، وإلى أن تقوم الساعة.

ولما علم الله أزلاً أن هذا القرآن سيتنزل ليقود البشرية كلها، اختار له أمة العرب وأعدها الإعداد اللازم لحمل هذه الأمانة الثقيلة: نفسياً وجسمياً وعقلياً، وهيأها لمعرفة قدر هذا الكتاب من بين سائر الكتب الأخرى سماوية كانت أو أرضية، ووهبها نعمة البيان، الذى لم تذق حلاوته أمة غيرها قبلها أو بعدها، لأنه -عز شأنه- جعل هذا البيان أول معجزة ظهرت له أمام البشرية كلها، وكان المفتاح الأول الذى فتح الله به قلوباً غلفا وآذاناً صماً وأعينا عميا لمعرفة أن هذا الكتاب جاء من عند الله- تبارك وتعالى- ولذلك كانت الأمة العربية جديرة بأن تكون فى شرف استقباله من بين سائر الأمم، وأن تكون أذنها أول من يسمع هذا النداء العلوى الكريم.

آمن بهذا القرآن من آمن، وكفر به من كفر.. ولم يكن كفر هؤلاء إلا بسبب حقدهم على صاحب الدعوة الكريم ﷺ ولذلك وقفوا منه موقف العداء الشخصى، حتى قالوا:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾

(الزخرف: ٣١)

والإشارة هنا- كما يقول البيانيون وفى هذا الموضع- تفيد تعظيم المشار إليه، وهو القرآن الكريم!! أما هذا القرآن فقد تحداهم وأعجزهم، وسجل ذلك عليهم فى كثير من سوره المباركات.

واستمر الحال على هذا الوضع طيلة حياة النبى ﷺ وشطرا كبيرا من الزمن بعد رحيله- عليه السلام- وبلاغة القرآن وبيانه الرائع هو المعجزة التى انحنت أمامها أعناق العرب قاطبة سواء من آمن منهم ومن كفر!!

ثم بعد ذلك بقرون طويلة جاءت العلوم المختلفة، وتعددت مصادرها واتجاهاتها، وتراكمت نتائجها إلى أن جاء ما اصطلح على تسميته «الإعجاز العلمى فى القرآن» بأبعاده المختلفة: فمنه البعد المكانى، والبعد الزمانى، ومنه البعد النفسى، ومنه البعد الطبى، ومنه البعد التناسلى، ومنه البعد التاريخى.. ولا تزال قرائح البشرية وأبحاثها العلمية تُنتج كل يوم الجديد تلو الجديد، مما يدفع إلى المزيد والمزيد من دراسة هذا القرآن وتنوير آياته.

وإننا اليوم- وفى هذا المقال- سنقف أمام بعض صور الإعجاز التاريخى فى القرآن الذى يشتمل على الكثير مما وردت الإشارة إليه فى هذا الكتاب الربانى الأسنى، وبخاصة قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وكيف عاقبهم الله- عز وجل- العقاب الذى يستحقه كل فريق منهم:

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

(العنكبوت: ٤٠)

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾

(هود: ١٠٠)

ذكر القرآن الكريم قَصص بعض الأنبياء، بعد أن بث فى أحداثها الحياة، وكأنه ينتزعها من بين براثن الماضى السحيق انتزاعاً، لتعود إلى الحياة من جديد، أو كأنه ينتقل بالقارئ ذاته إلى آلاف القرون التى مضت ليشاهد أحداثها واحدة بعد واحدة، لتكون العظة أبلغ، والعبرة أنفع، ومن هذه القصص: قصة نوح- عليه السلام- أبى البشر الثانى مع قومه، وقصة موسى- عليه السلام- مع فرعون وقومه، وقصة «عاد إرم» التى أرسل الله إليها هودا- عليه السلام.

ونحن حينما نذكر هذه القصص أو نشير إليها، لا نهدف إلى ذكر أحداثها، فهي معروفة من جانب، وليس هذا أوان تحليلها من جانب آخر. وإنما سنقف منها أمام ما يتعلق بالجانب التاريخي.. وكيف أثبتت الدراسات العلمية والأبحاث الجيولوجية صدق القرآن الكريم فيما أخبر به عن هذه الأمم السابقة!! والعجيب الذى لا نملّ الإشارة إليه، أن كل هذه الإعجازات العلمية بكافة أبعادها، لم تظهر إلا على يد أعداء هذا القرآن، وهو ما يعد تطبيقاً عملياً لقول الله- عز شأنه-:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

(فصلت: ٥٣)

■■■

قال تعالى في محكم التنزيل وهو يحكى قصة نوح عليه السلام مع قومه:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

(هود: ٤٤)

ففى هذه الآية الكريمة: نرى الإشارة لحقيقتين تاريخيتين، لم تكتشفهما البشرية إلا منذ سنوات قليلة، وهاتان الحقيقتان تتعلق إحداهما بالأخرى إلى حد كبير، وهما طبيعة الماء الذى حمل سفينة نبيّ الله نوح – عليه السلام– ومصدر هذا الماء.. وحقيقة الجبل الذى انتهت إليه مسيرة هذه السفينة.

أما عن الحقيقة الأولى، فلقد كان من المعتقد وإلى عهد قريب جداً أن الماء الذى حمل هذه السفينة هو ماء البحر الملح، الذى فاض من المحيطات والبحار، حتى أغرق الكرة الأرضية كلها في هذا الحدث التاريخي الجلل، وممن ذكر هذا الرأى وقال به، العالمان الأمريكيان «وليام ريان» و«والتر بتمان»، وهما من أبرز علماء الفيزياء الأمريكيين، وقد ذكرا ذلك في كتابهما «طوفان نوح» الذى ألقياه في عام ١٩٩٨م، وقد أكد الكاتبان الأمريكيان رأيهما هذا بقولهما: «إن هذا الحدث قد تم قبل ٧٦٠٠ سنة حين أدى ارتفاع منسوب الماء في البحار والمحيطات إلى اندفاع هذا الماء المالح من البحر الأبيض المتوسط عبر وادى البوسفور ليدمّر كل شيء مر به، ويؤدى إلى عدد من الهجرات البشرية الكبيرة.

وهذا الرأى لا يلتقى مع قول الله– عز وجل– في سورة هود:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾

(هود: ٤٤)

ولا يتوافق مع قوله تعالى:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾

(القمر: ١١-١٤)

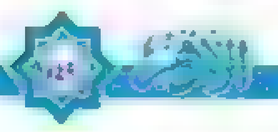
فمصدر الماء كما تقرر الآيات المباركات إنما هو الأرض والسماء، وليس البحار والمحيطات كما يزعم العالمان الأمريكيان، وطبيعى أن الماء النازل من السماء، والماء الذى يتفجر من باطن الأرض لا يكون ملحا وإنما هو العذب الفرات، فماذا قالت الاكتشافات العلمية الحديثة في هذا الشأن؟

لقد أكدت الاكتشافات العلمية لسفينة نوح– عليه السلام– وجود هذه السفينة في أعلى قمة جبل الجوديّ مطمورة وسط سُمك هائل من رسوبيات الماء العذب التي تمتد من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي، مروراً بالمساحة الهائلة من أرض ما بين النهرين «دجلة والفرات».. وهو ما يؤكد حقيقة أن الطوفان كان بالماء العذب الذى هطلت به الأمطار الشديدة، وتفجرت به عيون الأرض، كما وصفت آيات القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة.

أما كون السفينة قد انتهى بها المسير إلى جبل الجوديّ، وهو الحقيقة التاريخية الثانية التي تنص عليها الآيات الكريمات في قوله تعالى:

﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ فهو وجود هذه السفينة في جبل الجوديّ في تركيا، وليس في بلاد الأردن كما كان يُعتقد في الماضي وإلى عهد قريب، حيث أثبتت الدراسات الأثرية التي قام كل من: «مارتن روى» في سنة ١٩٩٤م، و«تشارلس ويلليس» في سنة ١٩٨٠، و«جون مونتجمرى» في السبعينيات من القرن العشرين أن بقايا السفينة موجودة فعلاً فوق جبل الجوديّ على بعد ٢٥٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي من جبل أرارط، وذلك بعد اكتشاف سفينة نوح– عليه السلام– وبقايا من أخشابها مطمورة في رسوبيات من مياه عذبة في قمة جبل الجوديّ بواسطة أحد رعاة الغنم من الأكراد واسمه «رشيد سرحان» في منتصف شهر مايو من سنة ١٩٤٨م. وجبل الجوديّ يُمثل واحدة من أعلى القمم في سلسلة جبال جنوب تركيا، إذ يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم «أى حوالي: ٢٣٠٠م» فوق مستوى سطح البحر[1]، وصدق الحق حين قال في نهاية قصة نوح:

(١) حقائق مستخلصة من موقع الدكتور زغلول النجار والإعجاز العلمي في القرآن والسنة على شبكة الإنترنت



﴿ [illegible] ﴾ (هود: ٤٩)

فرعون

ومما يشتمل عليه القرآن الكريم من صور الإعجاز التاريخي، ما جاء من أخبار فرعون، الذي أرسل الله إليه موسى - عليه السلام - وما انتهت إليه حياته من الغرق في مياه البحر الأحمر وهو يطارد موسى ومن آمن معه.. ونستعين في عرض هذه المعجزة التاريخية بما ورد في كتاب «القرآن والعلم الحديث» وكتاب «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم..» وهما للدكتور «موريس بوكاي». والنص الذي سننقله من الأول. و«بوكاي» هذا من أشهر جراحي فرنسا في العصر الحديث، حيث كانت مومياء فرعون الخروج سبباً لإعلان هذا الرجل إسلامه، وسط حشد من أشهر أطباء العالم في فنّ الجراحة!!

وتبدأ القصة حينما استضافت فرنسا جثمان هذا الفرعون في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، وشكّلت لجنة طبية برئاسة الدكتور «موريس بوكاي» لفحص هذا الجثمان، وعمل الإجراءات اللازمة لترميمه وحفظه من التلف، وأثناء إجراء هذه العمليات الكبيرة، كان الشغل الشاغل للدكتور «موريس بوكاي» هو التعرف على الأسباب التي جعلت هذه المومياء دون غيرها من مومياوات الفراعين أكثر سلامة بالرغم من مرور هذه الآلاف من السنين.. إلى أن ظهرت له بعض بقايا الملح العالق بها، مما يدل دلالة قاطعة على أنه مات غريقاً في مياه البحر، وقامت الأدلة القاطعة أيضاً على أنه لم يمكث في البحر طويلاً بعد أن غرق ولفظ أنفاسه، وإنما خرجت جثته إلى الشاطئ.. وقد عدّ «بوكاي» هذا اكتشافاً هائلاً يُسجَّل له في صفحات الاكتشافات العلمية، باعتباره أول من تعرف على هذه الحقيقة التاريخية.

كان موريس بوكاي يُعدّ تقريراً نهائياً عما كان يعتقده اكتشافاً جديداً في انتشال جثة فرعون من البحر، وتحنيطه بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في أُذُنه قائلاً: لا تعجل فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء.

ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث، وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة، فقال له أحدهم: إن قرآنهم الذي يؤمنون به يروي قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق.

فازداد ذهولاً، وأخذ يتساءل.. كيف يكون هذا، وهذه المومياء لم تُكتشف أصلاً إلا في عام ١٨٩٨م أي قبل مائة عام تقريباً، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟!

وكيف يستقيم في العقل هذا والبشرية جمعاء وليس العرب فقط لم يكونوا يعلمون شيئاً عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم إلا قبل عقود قليلة من الزمان فقط؟

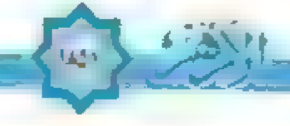
ثم سافر «موريس بوكاي» إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبي يوجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين.

وهناك كان أول حديث له معهم، عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق، فقام أحدهم وفتح له المصحف، وأخذ يقرأ له قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

(يونس: ٩٢)

وكان وقع الآية على هذا الرجل شديداً، ورُجّت له نفسه رجة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته «لقد دخلت الإسلام، وآمنت بهذا القرآن»!![2]

قصة «عاد»



موريس بوكاي

ومن صور الإعجاز التاريخي في هذا القرآن، ما ورد عن قصة «عاد» قوم هود - عليه السلام - وهي ما عُرفت «بعاد إرم» ذات العماد. قال تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾

(القمر: ١٨ - ٢٢)

وقد قصّ الله قصة عاد هذه في كثير من سور القرآن الكريم منها: الذاريات - فصلت - الأحقاف - القمر - الحاقة - الفجر، وبدرجات متفاوتة من التفصيل والإجمال، وقد كان علماء التاريخ يشكّون في حقيقة هذه القصة، لأنهم لم يجدوا لهم أثراً على الإطلاق، كما يحكي الدكتور زغلول النجار في كتابه «من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم»[3].. وفي رحلة

(٢) في كتاب «القرآن والعلم الحديث» للدكتور موريس بوكاي من ص ٥ إلى ص ١١ وهذا الكتاب نص محاضرة ألقاها «بوكاي» في معهد الكومنولث البريطاني، يحكي فيها قصته مع القرآن الكريم، وكيف كان إعجازه العلمي سبباً في دخوله الإسلام. وقد ألف هذا الرجل عقب هذا الحدث كتابه الشهير «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» وقارن فيه بين هذه الكتب السماوية الثلاثة في ضوء المعارف الحديثة، وأثبت فيه من خلال هذه المقارنة الواسعة صدق القرآن في كل ما أخبر به بخلاف ما استقر عليه الرأي العلمي المحايد في التوراة والإنجيل، ولايزال هذا الكتاب يحدث دويه الشديد في الأوساط العلمية والدينية في أوروبا.

(٣) ج١ ص٦٦، ٦٧.

من رَحَلات الفضاء، زوّد مكوك الفضاء بجهاز رادار له قدرة اختراق التربة إلى عشرة أمتار، وحين مرّ المكوك بصحراء الرّبع الخالي، صور مجرى لنهرين جافين، يندفع أحدهما من الغرب إلى الشرق، والآخر من الجنوب إلى الشمال، فانبهر الأمريكيون لأن الرّبع الخالي الآن من أكثر أجزاء الأرض جفافاً وقحولة، ومع ذلك كانت به أنهار جارية في الماضي غير البعيد..!!

وفي رحلة ثانية زودوا المكوك بجهاز رادار له قدرة اختراق أكبر، فصور مجرى النهرين وأنهما يصبان في بحيرة قطرها يزيد على أربعين كيلو متراً في جنوب شرق الرّبع الخالي. وصور المكوك بين مصبي النهرين، وعلى ضفاف البحيرة عمراناً لا تعرف البشرية نظيراً له في ضخامته، فجمعوا علماء التاريخ وعلماء الآثار وعلماء الأديان، وقالوا ماذا يمكن أن يكون هذا العمران؟ فأجمعوا على أنه قصور «إرم» التي وصفها القرآن الكريم بقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

(الفجر: ٧-٨)

وقالوا في تقريرهم: إن البشرية لم تعرف في تاريخها الطويل عمراناً في مثل ضخامة هذا العمران، فاكتشفوا حينما بدأوا في إزالة الرمال عن هذه المدينة قلعة ثمانية الأضلاع على أسوار المدينة، مقامة على أعمدة ضخمة عديدة يصفها ربنا- تبارك وتعالى- بقوله- عز من قائل:

﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ !!

فماذا كان يمكن أن يقول محمد ﷺ في هذا الشأن، لو أن القرآن من عنده؟ وماذا كان يمكن أن يعرف من نتائج هذه الكشوف العلمية التي تعددت فيها الوسائط المتقدمة والتي فاقت في قدرتها كل تصور، وهي كلها من مبتكرات الهزيع الأخير من القرن العشرين؟!

إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الذي دخل في ميدان الدراسات القرآنية الحديثة، لهو فتح جديد، أفاء الله به على البشرية، ليكون الرد المناسب على افتراءات أولئك الذين يزعمون أن هذا القرآن من عند محمد بُغية صرف الناس عنه، بعد أن رأوه يكسب كل يوم أرضاً جديدة في نفوس البشر وذلك بالرغم مما يناله المسلمون من أذى كثير. أخبر الله به عز وجل منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان حين قال:

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(آل عمران: ١٨٦)



إيمانيات وفد الله

تحت هذا العنوان كتب د.محمد داود في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٦-١١-٢٠٠٨م يقول: ينعم المؤمن خلال مناسك الحج بإيمانيات وفيوضات، يتجلى الله بها على عباده. بداية من ترك المؤمن لكل شيء من دنياه. يترك أهله وماله وسلطانه. ويخرج الإنسان من الحياة التي يألفها ويرتدي ملابس كأكفان الموتى، تسقط معها عن الإنسان المظاهر الزائفة التي نتعالى ونتفاخر بها ونتمايز فيما بيننا. فالكل في زي موحد وهيئة واحدة ونداء واحد: «لبيك اللهم لبيك» ليعلن العبد أن خروجه للحج امتثال لأمر الله سبحانه واستجابة لنداء خليل الله سيدنا إبراهيم:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

(الحج: ٢٧)

ويأتي المؤمن الطواف وتقبيل الحجر تعظيما لأمر الله تعالى وطاعة لله. فمرة يقبل حجرا ومرة أخرى يرمي حجرا - الجمار - سبحان الله حجر يرمى وحجر يقبل والأمر في الحالتين هو التعظيم والامتثال لأمر الله تعالى.

وهناك في عرفات تكون قمة التجليات الإلهية والفيوضات الربانية وأولها التجلي بالمغفرة والرحمة. ومع التقلب بين الأماكن المقدسة لإقامة مناسك الحج. تعود بنا الذكريات إلى ارتباط هذه المناسك وهذه الأماكن بمواقف إيمانية لسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل. والسيدة هاجر - عليهم السلام - لنتعلم أن طاعة الله - عز وجل - غالية، وأن أوامر الله أعلى من الأهل والولد والنفس، وأن الله إذا أقامك في مكان فلن يضيعك أبدا. وأنه ينبغي على المؤمن أن يتعلم السعي، وأن يترك

النتائج على الله، لأن فعل السبب طاعة لأنك مأمور به، وترك السبب معصية لأنك تركت ما أمرت به، والاعتماد على السبب شرك بالله تعالى، لكن المؤمن يكون اعتماده على مسبب الأسباب، على الله رب العالمين ونتعلم التسليم لأوامر الله تعالى، فسيدنا عمر - رضى الله عنه - لما جاء يقبل الحجر قال: «والله إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

ومع كل عبادة إن وقف العقل يسأل عن الحكمة منها فيكفى المؤمن الحكمة الغالية العالية وراء كل نسك وكل عبادة. هذه الحكمة هى أن الله أمر بذلك، والمؤمن مع أمر الله يقول:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

الغرب يطلب النجدة العربية

تحت هذا العنوان كتب محرر الجمهورية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٤م.

قام جوردن براون رئيس الوزراء البريطانى بجولة خليجية تشمل السعودية ودولة الإمارات العربية وقطر طالبا النجدة من هذه الدول النفطية للنظام المالى الغربى الموشك على التحلل والسقوط، باعتبار أن لهذه الدول الثرية مصلحة كبرى فى ذلك نظرا لمشاركتها - واسعة الأفق - فى النظام المالى العالمى.

تستطيع هذه الدول العربية فى مرحلة فاصلة يمر بها العالم الغربى أن تذكر هذا العالم الذى يطلب النجدة العربية الآن بالمظالم التى تعرضت لها الشعوب العربية والنزيف المستمر فى الأرواح والأموال نتيجة السياسات الغربية التى أوجدت إسرائيل شوكة فى جنب العرب تنشر العدوان وتوقف زحفهم للتنمية والتقدم، بل تعدت هذه السياسات الغربية - على يد الولايات المتحدة الوصية - الدور الإسرائيلى المخرب فى المنطقة لتمارس هذا الدور بنفسها وتدمر العراق وتتحدى على سوريا وتثير القلاقل الداخلية فى لبنان وتهدد السودان وتتدخل فى الشئون الداخلية لبقية الدول العربية.

قد تجد الدول الخليجية العربية من مصلحتها وهى جزء من النظام المالى العالمى - تقديم النجدة المطلوبة من الغرب الذى يمثله رئيس الوزراء البريطانى، ولكنها وهى جزء من العالم العربى المكتوى بالسياسات الغربية الظالمة مطالبة بدور سياسى فعال لدفع القبضة الغربية الإسرائيلية عن خناق شعوبنا فى مقابل النجدة المالية المطلوبة حتى لا تبدو فى صورة إنقاذ من يعتدون علينا أو يتحالفون مع أعدائنا وخاصة أنه فى هذا العالم المشتبك لم يعد هناك من يقدم شيئا بالمجان.

المسير.. العالم والرسالة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ إسماعيل الفخرانى فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١١ ١١ ٢٠٠٨م يقول:

خسارة كبيرة تلك التى تتكبدها أى أمة بفقد عالم من علمائها. وقد أصيبت أمتنا برحيل واحد من كبار العلماء الأجلاء، علما وخلقا وموقفا ومنهجا ورسالة، إنه الشيخ الدكتور محمد المسير - رحمه الله - الذى وافته المنية بينما كان يصارع المرض ويسابق الزمن ويلاحق الخطى طمعا فى التزود من الطاعات وفعل الخيرات.

أحسب أن الله قد جمع للشيخ المسير من مؤهلات العالم الربانى الكثير والكثير فاستثمرها وتعهدها بالرعاية، فكان الشيخ المسير العالم والرسالة.

لقد حباه الله عقلا سديدا راجحا، بدت ملامحه أثناء دراسته، حيث حصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية فى الابتدائية القديمة كما كان من أوائل الجمهورية فى الثانوية الأزهرية، وقد حصل أيضا على المركز الأول عند تخرجه فى كلية أصول الدين بالأزهر الشريف. لهذا وغيره كان منهجه العلمى فى حياته حتمية الجمع بين النقل والعقل، فكان يرى ضرورة التعمق وسبر أغواره فى الفقه وفهم النص - النقل - حتى يصل إلى القصد الأسمى والأساسى لهذا النص سواء فى القرآن أو السنة، فالتفكير عنده فريضة إسلامية وإهمال العقل جريمة وإثم عظيم:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾

(الأعراف ١٧٩)

كان يرى - رحمه الله - أن الذين يتعبدون فى محراب النص دون فقهه وإعمال العقل فيه، يشكلون عبئا ومشكلة كبيرة فى صفوف الأمة وفى المقابل أيضا كان يرفض مدرسة العقل المطلق مثل الفلاسفة والمعتزلة والباطنية وغيرهم.

لهذا كان منهجه الوسطية بين النص وفقهه، ومحاولة التعرف على أسراره ومقاصده.

لقد نذر نفسه لله منذ خطاه الأولى على طريق الدعوة، كانت مواقفه وفتاواه متجردة لله، لا هوى فيها ولا أنا.. ولا يخشى فيها لومة لائم، انشغل فى أيامه الأخيرة بقضية إحياء القيم الإسلامية لما رأى من انتشار الفساد الخلقى بين الناس، فعمد فى حملته الإعلامية لإحياء وإذكاء قيمة الحياء إيمانا بقول الرسول ﷺ: «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء».

هذا الفكر وهذه الآراء أخرجها الشيخ - رحمه الله - فى قرابة أربعين كتابا فى العقيدة والفلسفة والسيرة والتشريعة ومقارنة الأديان، بل وفى السياسة، فقد ناقش موقف الغرب - خاصة أمريكا - من الإسلام وله رأى خاص فى أحداث سبتمبر، وألف فى هذا كتابا بعنوان «زلزال الحادى عشر من سبتمبر وتوابعه الفكرية» أكد فيه أن الأمر لا يخلو من مؤامرة تنال من الإسلام والمسلمين.

هذا ولا غرو ولا عجب فالفقيد عالم ابن عالم، فأبوه الدكتور سيد أحمد المسير، كان أستاذا ورئيسا لقسم الدعوة بكلية أصول الدين بالأزهر،

وجده لأمه الشيخ عبدالعزيز متولى، كان من كبار علماء الأزهر، وخاله أيضا الشيخ محمود متولى كان من علماء الأزهر.

ليست تلك مجرد خسارة كبيرة، عزاؤنا فيها أن نحيي تراثه وفكره وأن نسير على منهاجه وأمثاله من العلماء الصالحين المخلصين المتجردين لله.

رحم الله فقيد الأمة العالم الشيخ محمد المسير رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

مستقبل السودان

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبدالمحسن سلامة مقاله المنشور في جريدة الأهرام بعددها الصادر في ٢٠٠٨/١١/١٢م قائلا:

منذ زيارة الرئيس جمال عبدالناصر لمدينة جوبا في جنوب السودان عام ١٩٦٢ لم يقم أى رئيس مصرى أو عربى بتكرار تلك الزيارة إلا حينما قام الرئيس مبارك بزيارته إلى السودان الشقيق، وتوقف أولا في الخرطوم عاصمة الشمال ثم ذهب إلى جوبا عاصمة الجنوب.

السودان دائما وأبدا في قلب كل المصريين ولن ننسى أبدا أننا ظللنا ولفترة طويلة دولة واحدة بإرادة الشعبين واختيارهما الطوعى، ولولا الاستعمار البغيض والأخطاء التى وقعت من هنا وهناك لظلت تلك الوحدة قائمة حتى الآن وجنبت السودان مخاطر عديدة تتربص به الآن للنيل من وحدته وتفتيته إلى دويلات واستخدام تلك الدويلات كرأس حربة ضد العالم العربى كله في إطار مخطط عام لتجزئة وتفتيت العالم العربى كله.

لا أحد ينكر وجود مخططات خارجية داعمة لتقسيم السودان والبداية ستكون في ٢٠١١ وهو العام المقرر للاستفتاء الذى سيحسم نتيجته مصير الجنوب، وما إذا كان سيستمر في السودان الموحد أم سيقيم دولة انفصالية، ولو حدثت الأخيرة فسوف تطالب دارفور بنفس المصير.

وهكذا يستدعي الأمر استراتيجية عربية داعمة للموقف المصرى في رؤيته للوحدة الطوعية لكل التراب السودانى من خلال دعمه اقتصاديا وسياسيا بحيث يصبح خيار الوحدة جاذبا لكل الأطراف بعيدا عن الشعارات أو الضغوط أو الوعد والوعيد.

السودان الشقيق في محنة ويحتاج إلى مساندة كل عربى مخلص وإلا فسوف تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن العربية من المحيط إلى الخليج.

تصويت ضد بوش

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ صلاح منتصر المنشورة في جريدة الأهرام بتاريخ ٦ ١١ ٢٠٠٨م

أخيرا باراك أوباما أول رئيس أمريكى أسود يدخل البيت الأبيض، ورغم أنها كانت نتيجة متوقعة في ضوء ٢٥٠ استطلاعا إلا أن التخوفات ظلت قائمة في أن يغير الناخب الأمريكى رأيه أمام صناديق الاقتراع. فانتخاب رئيس أسود أمر ليس سهلا على دولة حاربت نفسها من أجل ألا تكون للسود مكانة في مجتمعهم مثل البيض، لكن الأمريكيين فعلوها أخيرا. ولم يفعل ذلك الأمريكيون السود الذين انتخبوا أوباما، فكل تعداد السود في أمريكا أقل من ١٢ في المائة من تعداد السكان وبالتالى فإن الذى انتخب باراك وحمله إلى البيت الأبيض هم الأمريكيون البيض.

ولم يأت نجاح أوباما سهلا رغم اكتساحه، فهو إذا لم يكن قد نجح في هذه المرة فقد كان مستحيلا بعد ذلك أن يفكر أى أسود آخر في الاقتراب من البيت الأبيض مستقبلا لمدة ١٠٠ سنة على الأقل.

لقد كانت معركة الترشيح داخل الحزب الديمقراطى في حد ذاتها معركة شرسة واجه فيها أوباما شخصية عنيدة وقوية ومشهورة عالميا. ومن ثم كان تحديه لهيلارى كلينتون في حد ذاته معركة لفتت إليه الأنظار.

ومن معركة هيلارى التى لفتت إليه الأنظار بدأ التطلع إلى المنافس الآخر جون ماكين الذى أساء اختيار نائبه وجاء بسيدة بلا مؤهلات، فأثبت من البداية عدم القدرة على إصدار القرار الصحيح في الوقت الذى دل اختيار أوباما لنائبه على حسن الاختيار.

لكن أكبر عنصر ساعد بالتأكيد على نجاح أوباما هو الرئيس جورج بوش وسجله التخريبى الذى حرك ملايين الناخبين الأمريكيين وجعل تصويتهم لصالح أوباما تصويتا في حقيقته ليس ضد ماكين وإنما ضد بوش وسياسته التى انتهت بكارثة مالية.

مدرسة الإرهاب في إسرائيل

تحت هذا العنوان كتب محرر الجمهورية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٣١م قائلا:

لا يختلف أفيجور ليبرمان المتطرف الإسرائيلى الذى اعتاد مهاجمة مصر والفلسطينيين والعرب عموما مدفوعا بأوهام التفوق والعنصرية عن المتطرف اليهودى الذى اقتحم كنيسة القيامة في القدس واعتدى على بعض رهبانها وهم في ساحة العبادة، ولا عن السفاح اليهودى الذى اغتال جموع المصلين المسلمين وهم يبتهلون إلى الله في الحرم الإبراهيمى بالخليل.

ينتسب هؤلاء وغيرهم من الإرهابيين والمتطرفين الإسرائيليين لمدرسة نشأت في أحضانها العقرية الصهيونية لتتغذى بأساطير مثل أرض الميعاد والهيكل الموعود، وتتآمر لاستئصال وجود العرب والفلسطينيين على أرضهم وسلب حقوقهم، وممتلكاتهم وإجبارهم على الفرار بالمذابح المروعة التى سجلها التاريخ باسم العصابات الصهيونية.

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

لم يترك أعداء الإسلام بابا من أبواب الطعن فى الإسلام إلا وولجوه، ولم يتركوا شبهة - فى نظرهم - تكون موضعا لإثارة التشكك فى الإسلام إلا وتحدثوا فيها.

ولم يتوقف طوفان مهاجمة الإسلام الذى يصنعه المبطلون والمشككون من حصوم هذا الدين منذ ظهور الإسلام وحتى الآن.. وبذلوا أقصى جهدهم فى التنقيب فى مصادر الدين الإسلامى ومبادئه وأحكامه وتشريعاته، علهم يجدون فيها ثغرة ينفذون منها إلى تحقيق غرضهم فى هدم هذا الدين الحنيف، الذى ختم الله به الرسالات السماوية، والذى ارتضاه - سبحانه - ليكون آخر حلقة فى سلسلة اتصال السماء بالأرض.

ومادام الدين الإسلامى هو خاتم الديانات السماوية إلى أن تقوم الساعة؛ فمؤدى ذلك أن الله - جل شأنه - وهو العليم الخبير - قد ضمنه كل ما تحتاجه البشرية فى حياتها.. وأن تعاليمه وتشريعاته كلها لصالح الإنسان، وأنها صالحة لكل زمان ومكان.. وإن بدا للبعض - من وجهة نظرهم - قصور حول بعض التشريعات والأحكام، فإن العيب فى الحقيقة ليس فى هذه التشريعات وتلك الأحكام، وإنما العيب فى عدم فهمهم لها الفهم الصحيح السليم.

وموضوع حقوق المرأة فى الإسلام، وتصور البعض أن الإسلام لم يعطها حقوقها كاملة، وأن الإسلام فضل الرجل على المرأة، وأن الإسلام أهان المرأة وأهدر كرامتها، فقد أمر الزوج أن يضرب زوجته.

هذا الموضوع قديم، ولم يقصر علماء المسلمين على مدى تاريخ الإسلام منذ ظهوره وحتى الآن فى القيام بواجبهم فى الرد على هذه الشبهات وتفنيدها وبيان الأحكام الصحيحة فيها.

غير أن أعداء الإسلام يحاولون تجديد إثارة هذا الموضوع بين الحين والحين، وأن يظهروه كل مرة فى ثوب جديد بغية الوصول إلى ما يتمنون:

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾

(التوبة: ٣٢)

لقد أقام الإسلام العلاقة الزوجية بين الزوجين على السكينة والمودة، وعلى الرحمة والحب، وعلى التراحم والتسامح، وعلى الاحترام المتبادل بين الزوجين، وعلى أن يسود التعاون والتفاهم حياتهما، وعلى أن يبذل كل واحد منهما قصارى جهده فى توفير السعادة والهناء للآخر، يقول الله - تعالى -:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾

(الروم: ٢١)

أى: ومن آيات الله - جل شأنه - الدالة على كمال قدرته ورأفته ورحمته بعباده أنه - سبحانه - خلق لكم من جنسكم فى البشرية والإنسانية أزواجا لتسكنوا إليها، ويميل بعضكم إلى بعض، فإن الجنس إلى الجنس أميل، والنوع إلى النوع أكثر ائتلافا وانسجاما. وجعل بينكم يا معشر الأزواج والزوجات محبة ورأفة وألفة ومودة لم تكن بينكم قبل ذلك، وإنما حدثت عن طريق الزواج الذى شرعه الله بين الرجال والنساء.

وقد وصف الله - جلت قدرته - هذه العلاقة الزوجية القائمة بين الزوجين على التماسك والترابط والاتحاد، وصفها بقوله - سبحانه -:

﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾

(البقرة: ١٨٧)

لأن كلا من الزوجين ستر وغطاء وقريب وملاصق للآخر، ومن شدة القرب والملاصقة بينهما صارا كالثوب الملابس له، وفى هذا التعبير القرآنى البليغ ما فيه من الأدب وسمو التصوير لما بين الرجل وزوجته من شدة الاتصال والمودة والألفة، واستتار كل واحد منهما بصاحبه.

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى حسن العشرة بين الناس على وجه عام؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده، فضروريات الحياة تحتم عليه أن يخالط غيره، وأن يتعامل ويتداخل مع غيره فى أمور معيشته، فمن باب أولى أن يحض الإسلام على حسن العشرة بين الزوجين؛ لأن أقرب ما يعاشره الإنسان ويصاحبه ويعامله ويخالطه «الزوجة والزوج»، فهما الدائرة الأولى، أو الدائرة الصغرى فى الحياة الاجتماعية التى تتم فيها المخالطة والمعاشرة بين الزوجين.

ولذا نجد الإسلام يطلب من كليهما حسن المعاشرة؛ فطلب من الرجال - بصيغة الأمر - حسن معاشرة النساء، يقول الله - تعالى -:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾

(النساء: ١٩)

أى: يا أيها الذين آمنوا وصدقتم بالحق الذى جاءكم من عند الله، لا يحل لكم أمران:

١- أن تأخذوا نساء موتاكم بطريق الإرث، وهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه؛ لأن هذا الفعل من أفعال الجاهلية التى حرّمها الإسلام لما فيها من ظلم للمرأة وإهانة لكرامتها.

٢- كما لا يحل لكم - أيضا - أن تقهروهن على

المعيشة معكم، وأنتم كارهون لصحبتهن ليفتدين أنفسهن منكم، بأن يتركن ما لهن من مال لديكم كالمهر أو غيره، فإن هذا الفعل يبغضه الله تعالى.. إلا أن يأتين بفاحشة مبينة لسوء أخلاقهن: كالزنى، والنشوز، وسوء الخلق، وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء وفحش القول ونحوه، فلكم العذر فى هذه الأحوال فى طلب الخلع منهن، وأخذ ما آتيتموهن من المهر لوجود السبب من جهتهن لا من جهتكم.

ثم أمر الله – تعالى – الرجال عامة والأزواج خاصة بحسن معاشرة النساء والتلطف معهن، وعدم العجل فى مفارقتهن – إن كرهوا صحبتهن – فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فى الدنيا والآخرة.

إن كل قوانين البشر، ودساتير المنظمات الدولية الحديثة التى تدعو إلى حقوق الإنسان وحقوق المرأة، وإلى تنظيم العلاقات بين الجميع، هذه القوانين والدساتير تتضاءل وتتصاغر أمام هذا التكريم الإلهى للزوجة، الذى أمر الله به المؤمنين فى هذه الآية الكريمة ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فإن المعاشرة بالمعروف تستوجب كل تكريم واحترام للزوجة. وتستوجب كل تقدير ورحمة ورأفة بها، وتستوجب الاستحضار الدائم للغاية النبيلة والهدف السامى الذى من أجله خلق الله الزوجة للإنسان وجعل الرجل يعمل دائما فى خدمتها، ويعمل لراحتها.

ولكى تسير الحياة الزوجية على أسس سليمة، وقواعد ثابتة تضمن لها الاستقرار والاستمرار فى جو كله حب ودفء وحنان، حدد الإسلام حقوقا مفروضة للزوجة على زوجها، وحقوقا مفروضة للزوج على زوجته.. بحيث إن مَن يخل منهما بهذه الحقوق يقع فى المساءلة أمام الله تعالى.

فمن حق الزوجة على زوجها – على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر – أن يحسن معاملتها فلا يؤذيها بالقول أو الفعل، وأن ينفق عليها على قدر استطاعته وعلى حسب مستوى دخله، قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك. أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك»[1] وأن يحترم حقوقها المدنية المتصلة بأملاكها وذمتها المالية المنفردة، ولايجبرها ويكرهها على الإنفاق من مالها، وأن يراعى مشاعرها الحسية والمعنوية، لاسيما فى الأوقات التى تتغير فيها ظروفها الصحية. وأن يتلطف معها ويحافظ على كرامتها أمام أولادها وأهلها وجيرانها وأمام الناس بصفة عامة، وأن يتزين لها بما يرغبها فيه، وكان ابن عباس – رضى الله عنه – يقول: «إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى»

وكان رسول الله ﷺ يحلم ويتبسط مع زوجاته، فقد قال مرة للسيدة عائشة – رضى الله عنها –: «إنى لأعرف غضبك من رضاك» قالت: وكيف تعرفه؟ قال: «إذا رضيت .قلت: لا وإله محمد، وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم»، قالت: «إنما أهجر اسمك»[2]، وكان رسول الله ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله. وأنا خيركم لأهلى»[3]

كما أن من حقوق الزوجة على زوجها العدل بين الزوجات إذا كان متزوجا بأكثر من واحدة، قال رسول الله ﷺ «من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى – وفى لفظ – لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»[4] والعدل المطلوب هو: العدل فى العطاء والمبيت

ويكفى من حرص الإسلام على رعايته للزوجة، أن آخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه، جعل يقول: «الصلاة الصلاة. وما ملكت أيمانكم لاتكلفوهم ما لا يطيقون، الله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم – يعنى أسراء – أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[5].

ومن حقوق الزوج على زوجته، – على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر – أن تطيعه إذا أمرها فى غير معصية، وأن تحافظ على عرضه وماله، ولا تخونه فى نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وأن تربى أولادها على طاعة الله والتحلى بالأخلاق الفاضلة، وأن تتزين له فلا يرى منها إلا كل ما يرغبه فيها، وأن تتعاون معه على مواجهة أعباء الحياة. قال ﷺ

«إذا صلت المرأة فرضها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها»[6]

كما يجب على الزوجين معا، أن يصونا أسرار العلاقات الزوجية، لأن للعلاقات الزوجية – فى نظر الإسلام – قداسة لها حرمتها التى يجب أن تصان. وأسرارها التى يجب أن تظل فى طى الكتمان، وخصوصيتها التى يجب أن تحفظ فى أمان، فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الزوج وزوجه يجب أن يطوى فى أستار مسبلة، فلا يطلع عليه أحد مهما قرب، ولا يعلمه إنسان مهما كانت صلته.

غير أن السفهاء من العامة، والوضعاء من البشر، وفاقدى المروءة، وعديمى الحياء يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهليهم من أمور.. ويكشفون الأسرار التى سترها الله، ويتحدثون عما يجرى فى الحجرات المغلقة بين الزوج وأهله من أقوال وأفعال.. بل يجاهر بعضهم بالحديث عن أدق الخصوصيات فى العلاقات الزوجية.. لايمنعه أدب، ولايرده حياء.. وهذا العمل: نذالة فى السلوك، وسفالة فى الأخلاق، ووقاحة حرمها الله، وخيانة للأمانة. عن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال

---

(١) مسلم

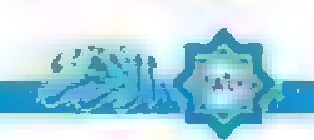
(٢) متفق عليه.

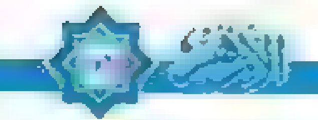
(٣) الترمذى.

(٤) متفق عليه

(٥) النسائى وابن ماجة

(٦) ابن حبان





والنساء قعود عنده. فقال عليه الصلاة والسلام: «لعل رجلا يقول ما فعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها!!» فأرم القوم – سكتوا وجلين – فقلت: أي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن! قال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون»(٧).

وهؤلاء الذين يفعلون ذلك العمل الفاحش يغضبهم الله – تعالى –، ومن يغضبه الله فقد خرج من دائرة رحمته، وحرم من النعيم المقيم الذي أعده الله لعباده المؤمنين واستحق أن يلقى جزاءه في نار جهنم وبئس المصير.

غير أن النفس البشرية بحكم خلقها وتكوينها، وما ركب فيها من انفعالات وغرائز، يعتريها أحيانا تقلبات في العواطف، وانحرافات في المزاج، فتحيد عن السلوك القويم الذي ينبغي أن تكون عليه، سواء أكان ذلك من الزوج أو الزوجة.

ولذلك أرشدنا الإسلام إلى الأسلوب الذي يجب علينا أن نتبعه لعلاج هذا الخلل الذي يطرأ على الحياة الزوجية في بعض مراحلها. فقال – سبحانه –:

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾

(النساء: ٣٤)

لقد حددت الآية الكريمة علاج الزوجة التي يظهر منها ما يدل على عصيانها لزوجها وامتناعها عليه، وإلى خروجها عما توجبه الحياة الزوجية من طاعة لزوجها، وإلى سلوكها مسلك فيه سوء العشرة وإلى تمردها على زوجها.

هذا العلاج حددته الآية الكريمة على مراحل ثلاث بالترتيب الذي ورد في الآية الكريمة:

المرحلة الأولى: الوعظ بالقول الذي يؤثر في النفس، والتوجيه الذي يرشد إلى الصواب، والتذكير بسوء عاقبة النشوز والمعصية، وبيان وشرح تعاليم الإسلام وآدابه وأحكامه في وجوب الالتزام بحسن العشرة بين الزوجين.

المرحلة الثانية: إذا لم تنفع المرحلة الأولى، ولم تنفع الموعظة والنصيحة، فالمرحلة الثانية بعد ذلك هي الهجر في مكان النوم، بأن ينام الزوج في مكان بعيد عن مكان نوم الزوجة، أو ينام معها في فراش واحد ويوليها ظهره ولا يقربها.

المرحلة الثالثة: إذا لم تنفع المرحلتان السابقتان في إصلاح الزوجة فليلجأ الزوج إلى المرحلة الثالثة وهي الضرب.

غير أن هذا الضرب الذي ورد في الآية الكريمة له شروط وضوابط بأن يكون غير مبرح – أي غير شديد ولا مشين – بأن يؤلمها ولا يكسر لها عظما، ولا يدمي لها جسما ولا يشين جارحة، وأن يبتعد عن الوجه.. كما ورد في حديث سيدنا رسول الله ﷺ فقد روى أنه قال في حجة الوداع: «واتقوا الله في النساء فإنهن عوان لكم – أي أسيرات عندكم – ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح»(٨).

ثم بينت الآية الكريمة ما يجب على الأزواج نحو الزوجات إذا ما تركن النشوز والعصيان وأطعنهم:

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾.

أي فإن رجعن عن النشوز إلى الطاعة وحسن العشرة. فلا تطلبوا سبيلا وطريقا إلى الاعتداء عليهن. ولا تظلموهن بأي طريق يكون فيه إيذاء لهن سواء بالقول أو الفعل.

ثم هددت الآية الكريمة الأزواج إذا ظلموا زوجاتهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروا أيها الأزواج مخالفة أمر الله، فإن قدرة الله – تعالى – أعظم من قدرتكم على زوجاتكم.

وقد بلغ من شدة حرص الإسلام على استمرار العلاقة الزوجية التي شرعها الله، أن وجه الزوجين والأهل والأقارب وولاة الأمر إلى اتباع طريق لعلاج الشقاق والخلاف الذي يحدث بين الزوجين. فقال – تعالى –:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾

(النساء: ٣٥)

أي: إن علمتم أيها المؤمنون أن هناك خلافا بين الزوجين حدث عنه نفور شديد بينهما، وقد يتسبب في انقطاع حبال الزوجية بينهما، فعليكم أن تدخلوا بين الزوجين بأن تختاروا رجلين صالحين عاقلين يكونان أهلا للإصلاح ومنع الظالم من الظلم، أحدهما من أهل الزوج والثاني من أهل الزوجة – ويجوز من غير أقاربهما – وابعثوا بهما إليهما في محاولة للإصلاح والتوفيق بينهما. وانتزاع أسباب الخلاف من قلبيهما. ويقضيان بما فيه مصلحة الزوجين.. ومتى صفت النفوس وخلصت النيات فإن الله – تعالى – سيوفقهما إلى الصلح فإن عجزا عن الصلح، واختار الزوجان الفراق فقد انتهت مهمتهما.. ولم يعد أمام الزوجين إلا أن ينفذا قول الله – تعالى –:

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾

(البقرة: ٢٣١)

وقوله – تعالى –:

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾

(النساء: ١٣٠)

فهل بعد هذا التكريم الذي أعطاه الإسلام للزوجة، والحقوق التي فرضها على الزوج بالنسبة لها، والنظام الذي وضعه الإسلام لعلاج الزوجة عندما تحيد عن الطريق السوي في العلاقة الزوجية، والتوجيه الذي أرشد إليه الإسلام للصلح بين الزوجين.

هل بعد ذلك يمكن أن يقال: إن الإسلام لم يعط المرأة حقوقها كاملة؟ وأنه أهان المرأة وأهدر كرامتها بأن أمر الزوج أن يضرب زوجته؟:

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

(الكهف: ٥)

(٧) أحمد.

(٨) مسلم.



الأمير بدر الدين بيليك

"عندما تعصف الأهواء بالحكمة.. كم من ضحايا ذهبت فى سبيل الأهواء الصغيرة التى مهدت طريق الأمم المنحدر نحو الفناء.."

سار الموكب العظيم عائداً من بلاد الشام، وكان فرسان المؤخرة يسوقون الأثقال من غنائم أرمينية وأذربيجان وآسيا الصغرى والقوقاز، ولكن السلطان العظيم بيبرس، الذى عاد بتلك الغنائم لم يكن على رأس الجيش فى صدر الموكب، كانت المحفة البديعة المزركشة بالأبنوس والعاج والصدف تسير متدلية فوق أعناق الإبل والفرسان، يرفعون نحوها أعينهم فى خشوع، إذ كان فيها قائدهم العظيم الذى صرعه المرض، وكان الأمير بدر الدين بيليك نائب السلطنة يسير مطرقاً على ظهر جواده الأبيض إلى يمين المحفة، يلفت رأسه بين حين وآخر فيرمقها بحزن.

وكان الصمت يلف الصحراء إلا من وقع خفاف الإبل وحوافر الخيل على الرمال الناعمة.

واشتد حر الظهيرة، وبدا الكلال على الخيل بعد أن واصلت السير قبل أن يطلع الفجر، فأمر بدر الدين بدق الكئوس مؤذنا بوقوف الموكب للراحة، وأنزلت المحفة فى رفق فوضعت فوق الرمل على قوائمها، وأشار نائب السلطنة إلى الفرسان المحيطين بها أن يذهبوا ليستريحوا ساعة، فلما بعدوا عنه رفع الستار عن المحفة وانحنى فى خشوع كأنه يحيي مولاه، ولكن المحفة كانت خالية ليس فيها شيء.

وبعد قليل أتى إليه صديقه الأمير قلاوون صهر السلطان ومعه الطبيب، فأطلا فى المحفة وانحنيا بالتحية كما فعل بدر الدين ثم تراجعا إلى الوراء وأعادا التحية وأسدلا ستار المحفة الخالية. ثم جلسوا عند باب المحفة ليعدوا نشرة الطبيب معلنة أن السلطان يتماثل للشفاء.

وسار الموكب يوماً بعد يوم.. والمحفة الخالية محمولة فى وسطه، والأمير بدر الدين يرفع عنها الستار فى كل يوم مرتين، ويدعو الطبيب إلى زيارتها ثم يذيع فى الجيش البشرى أن الملك الظاهر يتنسم فى هذا السفر نسيم العافية.. وبلغ الموكب أرباض القاهرة.. وخرج الناس إليه ألوفاً ليستقبلوا بطلهم العظيم بيبرس.

وكان الأمير محمد بركة بن بيبرس جالساً فى الإيوان الكبير فى قلعة صلاح الدين ينتظر موكب والده ومن حوله أمراء الدولة وكانت الشمس تطل فى الإيوان فاترة من خلال النوافذ ذات الزجاج الملون. فشاع الضوء الرقيق فى جنباته يكسو أرضه الرخامية بألوان متناسقة مختلفة، بين الأحمر والأزرق والأخضر والبرتقالي، وكان الأمير محمد ولى العهد جالساً فوق كرسى عال من الأبنوس المطعم بالعاج والصدف، إلى جانب كرسى السلطان الرخامى القائم فى صدر الإيوان على هيئة المنبر.

وجلس إلى يمينه ويساره أهل الدولة فى ترتيبهم المرسوم. ووقف من ورائه كبار الأمراء أصحاب المشورة وتفرق الحجاب والمماليك فى جوانب الإيوان الفسيح فى ملابسهم المختلفة الألوان وأقبيهم الصفراء الحريرية.

وبعد حين دقت كئوس الموسيقى تحت نوافذ الإيوان مؤذنة باقتراب طلائع الموكب، ثم سمعت ضجة الموكب، فوقف كل من فى المجلس ليستقبلوا السلطان.

ودخل نائب السلطنة مطرقاً يسير فى بطء حتى إذا ما صار على بضع خطوات من الأمير انحنى بالتحية، حتى لمس بأطراف أصابعه بساط الإيوان ثم رفع يده إلى فمه فقبلها ووضعها على رأسه، وتقدم خطوة أخرى وانحنى بالتحية مرة أخرى وتقدم خطوة ثالثة وأعاد تحيته، ثم وقف متجهاً إلى الأمير خاشعاً. فساد الصمت. وفتح الحاضرون أعينهم من الدهشة، إذ رأوا نائب السلطنة يحيي ولى العهد مثل تحية السلطان العظيم ،ورفع بدر الدين يديه بالدعاء قائلاً:

- حفظ الله مولاى وأحسن عزاءه.

ووقف مطرقاً وساد الصمت لحظة ثم ضج المجلس بالبكاء. وشاعت الأنباء سريعة فى القاهرة أن السلطان الفاتح قد دفن فى دمشق، وأن الموكب الذى أقبل إلى مصر إنما كان يحيط بمحفة خالية.

واعتكف الأمير بدر الدين بعد ذلك فى داره لكى يذوق شيئاً من الراحة بعد سفره الطويل وما كان فيه من مشقة الجسم وكد القلب، فلم يذهب إلى دار النيابة، ولم يبكر إلى خدمة السلطان الجديد، ولم يذهب لعزاء السيدة الوالدة فى زوجها العظيم، ولم يشعر بالراحة إلا بعد أيام، فاستطاع أن ينزل من دار الحريم ليجلس فى البهو الفسيح من دار الرجال، وكان ذلك المكان آية من آيات الفن تحليه النقوش الدقيقة بألوان متداخلة يمازجها الفضى والذهبى والقرمزى. وكان حول الجدران من أعلاها إطار كتبت فيه آيات من القرآن بأقلام نوابغ فن الخط ووزعت حول البهو تحف مختلفة تتصل بذكريات الحوادث التى مرت بصاحب الدار فى حياته المضطربة، وكان أثاث البهو يغطى كل جوانبه وأركانه، حتى لم يكن فيه موضع تظهر منه أرضه الرخامية التى كانت تحليها نقوش من الفسيفساء والأحجار الملونة، وكان فى وسط البهو «فسقية» من الرخام الأبيض رسمت فى قاعها أنواع من الأسماك، فإذا امتلأت بالماء فى فصل الصيف، خيل إلى من ينظر إليها أن الأسماك تتلاعب فى بحيرتها.

جلس الأمير بدر الدين على مقعد فى الصدر وجعل يجيل بصره فى التحف التى تحيط به، فهذه ستارة من الحرير المذهب من غنائم أنطاكية، وإلى جانبها جوشن أهداه إليه السلطان اعترافاً ببسالته فى حرب التتار عند حلب. وذاك سيف يعيد إليه ذكرى قاسية، فهو سيف «ليفون» الشاب ابن ملك الأرمن الذى تصدى له فى موقعة «سيس» على نهر الفرات وكاد يقضى عليه لولا أن عثر الجواد بالفتى فأوقعه على الأرض، واكتفى بدر الدين بأن أخذ منه السيف بعد أن أسره، وهناك غير ذلك كله حلل كثيرة زاهية الألوان مزركشة بالذهب. علقت فى كل منها منطقة من الذهب الخالص. وهى الجوائز الكثيرة التى فاز بها بدر الدين فى مباريات الرماية ولعب الكرة بالصولجان وفى سباق الخيل.

جلس الأمير يستعيد أحداث ذلك الماضى المليء ثم تنفس نفساً طويلاً عميقاً كأنه عاد من رحلة طويلة وأحس فى نفسه انقباضاً شديداً وهو يستعيد ذكرى ماضيه، لأن السلطان الجديد لم يبعث إليه رسولاً فى هذه الأيام التى قضاها فى داره يستريح ولم يرسل فى طلبه ليشارك فى الموكب العظيم الذى يشق فيه السلطان الجديد عاصمة ملكه لأول مرة.

وخرج إلى حديقة قصره ليسرى عن نفسه وأخذ يتمشى فى مسالكها الضيقة المتعرجة بين أحواض الورد الأصفر والأحمر وحصا لبان والحر وبين الأشجار النادرة التى نقلها من بلاد الشام من مشمش وبرتقال وتفاح، وكان هواء الأصيل يهب بارداً على غير عادة تلك الأيام من شهر أغسطس، فبعث فيه برد الهواء نشاطاً أزال عنه كثيراً مما خيم على نفسه من الانقباض والغم.

ومال فى ركن من الحديقة إلى أريكة تظللها فروع غزيرة من الياسمين. فاضطجع يستريح فأتى إليه خادمه مسرعاً يخبره أن السلطان بعث إليه رسوله يستدعيه.

وأسرع بدر الدين ليستعد للمثول بين يدى سيده وخفق قلبه سروراً لعطف مولاه الذى تذكره وبعث رسوله إليه.

ولما ذهب إلى القصر. لقى فيه ترحاباً جديراً بقدره واستقبله الملك السعيد باسماً وبالغ فى إكرامه. حتى إنه أذن له أن يذهب إلى قصر السيدة الوالدة ليعزيها بنفسه.

وذهب بدر الدين إلى قصر السيدة الوالدة وهو يكاد يسبح فى الهواء من السعادة، حتى إذا بلغ موضع الستارة من القصر، جاءت إليه السيدة العظيمة نفسها فرحبت به من وراء الستارة وشكرته على ما كان من ولائه وحسن بلائه، وأرسلت إليه كأساً ذهبية على صينية رائعة الحسن لم تقع عين على مثلها. وكان فى الكأس شراب مثلج يفوح منه عطر ذكى وقالت السيدة من وراء الستار:

- هذا شراب صنعته بيدى أيها الأمير العظيم أقدمه لك إيفاء بحقك وآية منى على شكرك.

فدعا الأمير لها وقبل الأرض تحية لها ثم شرب الكأس.

الكأس التى تعودت القصور أن تقدمها للذين يؤدون الخدمات الجليلة للسلاطين حتى لا يبقى على الأرض أحد يحس أن له فضلاً على سيد البلاد.

وفى اليوم التالى ارتجت القاهرة لجنازة الأمير بدر الدين بيليك بطل الحرب وصاحب الفضل فى المحافظة على ملك بيبرس، وكان يسير فى طليعتها نائب من قبل السلطان الملك السعيد ونائب آخر من قبل السيدة الوالدة أم السلطان.

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم في رأى أمير البيان شكيب أرسلان؟ (١٢)

للأستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج
الأستاذ بكلية التربية جامعة المنصورة

أسباب تأليف: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟

قال الشيخ رشيد رضا: اقترحت هذا الاقتراح على أخى الأمير شكيب أحثه على كتابته فى المنار . فأرجأ الجواب عنه لكثرة الشواغل إلى أن عاد من رحلته الأخيرة من إسبانيا، وقد أثرت فى نفسه حضارة العرب الغاربة، وحضارة الغرب الواقعة؛ فكتب البلاغ منفعلا بهذه المؤثرات (راجع مقدمة الرسالة للشيخ رشيد رضا).

وكان الجواب مقالات مطولة فى الأجزاء الخامس والسادس والسابع من المجلد الحادى والثلاثين من المنار. ولما أراد أن يجعلها فى كتاب أو رسالة مستقلة أضاف إليها من الأفكار القريبة مما كتبه، وكانت مختزنة فى داخله. كتبت التى كتبها فى تعليقات كتاب «حاضر العالم الإسلامى» وحواشيه.

إذن فلم تكن الأفكار التى نثرها شكيب فى: «لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟» بالأفكار الجديدة عليه. فهى تتضمن أمورا عايشها، وكان الناس يضعون فيه ثقتهم ليبين لهم أسباب ما صار إليه المسلمون من ضعف وانحطاط، فى ذات الوقت الذى ارتقت فيه أمم الغرب خاصة وأن الموضوع كان من الموضوعات التى تشغله، وجاهد وناضل من أجلها، ونفى عن وطنه بسببها، فالسؤال كان يلح عليه فى داخله من قبل أن يُسأل فيه.

كان شكيب أرسلان لا يرى سبب تخلف المسلمين فى قهر المحتلين لهم ولأرضهم، بقدر ما هو بسبب تخليهم عن جوهر دينهم، وفساد أخلاقهم وأخلاق أمرائهم.

ولقد كان تركيز شكيب فى الأغلب على فساد الأمراء الذين توطن فى نفوسهم أن الأمة خلقت لتكون ملكا لهم. وقد رسخ هذا المعتقد فيهم فقهاء السوء من العلماء المتزلفين.

قال شكيب: «وجاء العلماء المتزلفون لأولئك الأمراء، المتقلبون فى نعمائهم الضاربون بالملاعق فى حلوائهم وأفتوا لهم بجواز قتل النصاح بحجة أن الناصح شق عصا الطاعة، وخرج على الجماعة» (ص٤٣) وأحدث الفتنة.

ولم يكتف هؤلاء العلماء بذلك، بل دعوا إلى الجمود وترك العمل بالعلوم والفنون العصرية لأنها من عمل الكفار، وبدلا من أن يوقظوا الناس، ويزيلوا حجب الظلام عن أعينهم، أضلوهم وأغرقوهم فى الظلمات.

شكيب أرسلان

قدم الشيخ رشيد رضا للكتاب بتقديم غاية فى الإيجاز بين فيه وجوب إيمان الأمة بالتغير إلى الأفضل، وأن يعملوا بكل طاقاتهم من أجل تحقيق حياة دنيوية طيبة رغدة، توصل إلى حياة أخروية خالدة. وبين كذلك فى المقدمة أن تقدم المسلمين رهن بالعمل بما جاء فى القرآن الكريم، والسير على هداه من الحث على العمل والنظر والبحث والتجريب من أجل التقدم فى كل مجالات الحياة الدنيا، ذاكرا الآيات الكريمة التى تبين ذلك.

الكتاب يبدأ بعبارات تقريرية

يبدأ كتاب (رسالة) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ بعبارة تقريرية، وكأن الكاتب يريد أن يقول : إن الأمر لا يحتاج إلى

مقدمات إذ هو أمر يات. يقول شكيب: «إن الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام في المشارق والمغارب» أي في جميع بلاد المسلمين، ولعله أراد بهذه البداية أن يقدم بيان حال المسلمين منذ ألف عام، إذ كان المسلمون هم الصدر المقدم للعالم، والسيد المرهوب المطاع بين الأمم شرقا وغربا (ص ٤١) وبضدها تتبين الأشياء.

وبعد التقرير السابق يقدم أسباب ارتقاء المسلمين في ماضيهم الزاهر في مجالات:

القوة العسكرية، والاقتصادية والعلمية، وفي مجالات الثقافة والفنون والصناعات والتجارة، وغير ذلك... فيوجزه فيما يلي:

١- التمسك بالدين والعمل بما جاء في القرآن الكريم، فالعمل بأوامر القرآن ونواهيه أنشأ العرب وكل من دخلوا الإسلام من الأمم نشأة جديدة، فقد كان القرآن في إحدى يديهم وفي اليد الأخرى القوة المادية، وبهما تعاملوا مع الكون، فسخره الله تعالى لهم.

ولأن الإسلام ارتقى بهم، ورفعهم وأعزهم، تقدموا وارتقوا وسادوا ومجدوا، فكان شكيب بذلك يدعوهم قبل طلب النهضة إلى العودة إلى القرآن وفهمه الفهم الصحيح، ثم العمل به.

[illegible]

لقد ارتقى الأوروبيون بحبهم لأوطانهم، وحب الذود عنها، والموت في سبيل نصرتها وبذل الغالي والنفيس في سبيل رفعتها، في ذات الوقت الذي استكانت فيه الأمة الإسلامية لواقعها، ولما أرادت أن تعيد استقلالها ظنت أنه يمكن أن يعود بالدعاء بطلب النصر من الله دون ما تضحية أو فداء بالمال والنفس، فهي تطلب من الله النصر بغير شروط، قال الله تعالى:

﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾

(الحج: ٤٠)

وقال تعالى:

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾

(محمد: ٧)

وقال تعالى:

﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾

(النجم: ٣٩)

ولقد ظن المسلمون أن الله ناصرهم بالصلاة والزكاة والصيام، وبالدعاء بدون بذل المال والنفس، وليس الأمر كذلك، فإن عزائم الدين لا تنحصر في العبادات وكفى.

وإذا كان بذل المال والتضحية بالنفس أهم أسباب الرقي، وإذا كان عدمهما من أسباب الانحطاط، فإن هناك أسبابا أخرى يجب تحقيقها في مقدمتها التحلي بالأخلاق الكريمة، والتضامن والتكافل فيما بين المسلمين على أعدائهم، وأن يدفعوا، كل من يقف منهم موقفا عدائيا، والتعاون فيما بينهم في الحرب على المحتلين في مصر والجزائر وتونس والمغرب وليبيا، ويحثهم شكيب على ذلك، ويعيب الذين يتكاسلون عن نصرة إخوانهم ويقول فيهم.

«لقد تكاسلوا عن نصرة دينهم وأوطانهم، ومالأوا قوى الاحتلال على ابن ملتهم، بل قاتلوا في صفوفهم في الحرب العالمية الثانية، لأنهم وعدوهم - كذبا - بالاستقلال، ولولا هذا التبرع بالخيانة، والتسرع في مظاهرة الأجنبي على ابن الملة لما استأسد الأجنبي، وصار يتحكم في المسلمين»(ص٦٠) لقد كان المسلم في الماضي في الحرب على الأعداء يقدم للموت قائلا:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد
لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وفي عصرنا الحاضر «يموت الفرنسي لأجل حياة فرنسا، والألماني لأجل حياة ألمانيا، والإنجليزي في سبيل حياة إنجلترا، ويعد كل واحد منهم الموت على نفسه واجبا لا يمكن أن يتأخر عن أدائه» (٦١) يتكاسل المسلمون عن نصرة دينهم وأوطانهم، فالأوروبيون يموتون في سبيل أوطانهم، والمسلمون يتسابقون على خيانة أوطانهم، والخيانة ليست محصورة في العوام والجهلاء الذين لا يدرون ما الكتاب، ولكن أيضا في الخواص من الأمراء وفي الفقهاء الذين يخونون الدين والوطن، تزلفا للأمراء، «إن هؤلاء الفقهاء خانوا الأمة وساعدهم خنوع الأمة، ولو كانوا يخشون الأمة ما تجاسروا على الاتجار بدينها، بعد أن تاجروا بدنياها»(ص٦٤) إن الإسلام يهدم بأيدي أبنائه (ص٦٥)، من المسلمين فصدق فيهم قول الله تعالى:

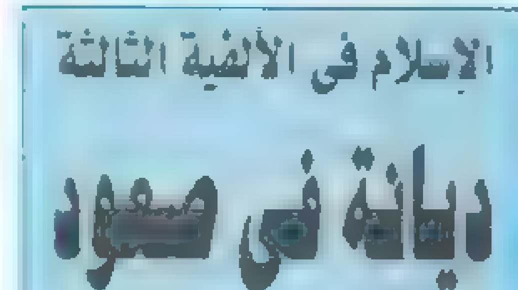
﴿ [illegible] ﴾

(هود: ١١٧)

إن هؤلاء وهؤلاء «أبوا إلا أن يكونوا مطايا للأجانب على حساب أوطانهم، وتراهم مع ذلك رخيي البال، متمتعين بالهناء وصفاء العيش، وهم يأكلون مما باعوا من تراث المسلمين» (ص٦٨).

أراد شكيب أن يقول: إن سبب تأخر المسلمين هو الذين صعدوا بأيديهم صنعة الأمراء وأيدهم الفقهاء، وسكتت عنه الأمة الخانعة، لكن شكيب لم يفقد الأمل في صحوة إسلامية كتلك التي في فلسطين، وفي جهاد العرب والأفغان ضد الأمريكيين والإنجليز، ويؤكد على أن النوايا إذا حسنت، واقترن الإيمان بالعمل صلحت هذه الأمة.





الإسلام فى الألفية الثالثة

ديانة فى صعود

تأليف:
الدكتور مراد هوفمان

تعريب:
عادل المعلم - يس إبراهيم



[illegible]

■ الديمقراطية، تلك الكلمة ذات البريق الساحر، والذيوع الشائع.. ولدت فى أثينا، ثمرة تلاقح الفلسفة اليونانية مع جموح المتسلطين والحكام فيها هناك. فبدلا من استمرار الصدام بين رغبة الفلاسفة والحكماء فى ابقاء الناس مطلقى الحرية التى فطرهم الخالق عليها، وبين رغبة الحكام فى إطلاق سلطتهم هم من كل قيد، متوهمين فى كثير من الأحيان، أنهم آلهة، أو أبناء الآلهة، أو أنهم المختارون من الله للقيام بهذا الدور المطلق فى الدولة.

بدلا من استمرار الصدام بين هاتين الرغبتين كان ما عرف باسم «الديمقراطية» لتحقيق نوع من التوازن بين جموح الرغبتين حتى تستقيم أمور الدولة، ويعرف الحكام للقيام بالدور المنوط بهم تجاه المحكومين.

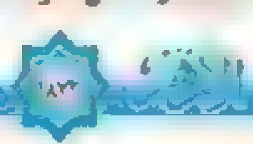
ولكن الكثير من الحكام لم يقنع بتلك المساحة المحدودة من السلطة، فعمل على تحويل تلك المبادئ عن مسارها، فسجنها داخل إطار النظرية شعارا جميلا، ليسترد المزيد من السطوة القمعية فى قيادة الناس، كما وضح من سلوك الأباطرة الرومانيين، على الرغم من وضع القاعدة القانونية ذات القداسة فى ظلالهم، بل لجأوا إلى حصرها فى دوائر تفسيراتهم وتأويلاتهم.

ولما وجد هؤلاء الأباطرة الرومانيون أن المسيح -عليه السلام- بمبادئ التسامح والحب والأخوة الإنسانية التى جاء بها - يكاد يقضى على سلطاتهم - شنوها حربا شعواء عليه وعلى أتباعه، استشهد فيها كثيرون من المسيحيين، حتى اضطر قادتهم إلى التصالح معهم والتقارب منهم، والرضا بإقامة نوع من التحالف بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، تمكن السلطان به من الهيمنة الكاملة على عامة المحكومين، حيث منح رجال الكنيسة نوعا من السلطة المطلقة، وأطلقت الحرية - فى المقابل - لرجال السلطة الدنيوية، متمثلا فى العبارة المشهورة «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» والتى تمكن بها كل من إطلاق يده فى تكبيل عامة المحكومين تحت راية «الديمقراطية».

ولما جاء الإسلام مقررا مبادئ المساواة والإخاء والتسامح، ليقيم عليها دعائم العدل والتكافل فى ظل رقابة إله حى، قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم - أصبح - بذلك - سلطان الحاكم، وحرية المحكوم مقيدتين بذلك، دون التفات إلى شعار «الديمقراطية»، فلم يعد هناك مجال للخروج عن هذا المنهج أو سطو تحت أى شعار خلاق، حيث صار كل خارج عن تلك القيم والمبادئ خارجا - فى واقعه وحقيقته - عن الالتزام بمبادئ الإسلام المقررة، والتى يحفظها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، أيا كانت شعاراته، فالمهم هو تحقيق مقاصد تلك القيم والمبادئ، ومع هذا فإن التاريخ يعلن أن من حكام المسلمين من صنع صنيع الأباطرة، فسوى عنق تلك القيم والمبادئ ليضفى مطلق السلطة، سترا لعيوبه وتجاوزاته، متجاهلا تلك المبادئ التى يحفظها القرآن الكريم والسنة النبوية من عبث أمثاله وأعوانهم، حتى ظن الكثيرون من الباحثين - بسبب سلوك هؤلاء الحكام - أن الإسلام يعادى «الديمقراطية» ومبادئها، أو أنه يجهلها.

الديمقراطية بين الإسلام والغربيين

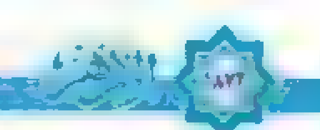
وقد أفرد الدكتور «هوفمان» لمعالجة هذا الظن وآثاره فى علاقة الغربيين المسيحيين بالمسلمين، فانطلق - بمنهجه العلمى المحايد - يجلى الحقيقة، ففى الفصل السادس «ديمقراطية - شورى قراطية» أوضح أن توهم الغربيين وغيرهم معاداة الإسلام للديمقراطية ناشئ من جهلهم الفرق بين المسيحية والإسلام، فالمسيحية فى الغرب - تقوم على فصل الدين عن الدولة، ستمرارا لما أقحمه أباطرة الرومان قديما عليها، أما الإسلام فيقوم على مزج الدين بالآخرة، ودمج الدين بالدولة، حيث قدم نموذجا يختلف تماما عن


مراد هوفمان

مفهوم الغرب للدين، فظهرت الأمة الإسلامية كيانا جديدا فى تاريخ البشرية لا يعتمد الانتماء إليه على لغة، أو لون، أو أصل، أو جنس، ولكن يعتمد فقط على الدين والإيمان المشترك.

وأوضح أن معاداة الشوريين الإصلاحيين الغربيين للدين إنما هو رد فعل لما صنعه القيصر «قسطنطين» باستيلائه على الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع الميلادى وعمله على جعل المسيحية دين الدولة العظمى، فقد أثمر ذلك مصطلحات قادت إلى كوارث طلائية باسم المسيحية، تلك الكوارث هى التى وضعت على الإصلاحيين السعى إلى تنحية الدين عن السياسة، مثل مصطلحات: مملكة الرب، وتقسيم السلطة الدنيوية بين القيصر والبابا، والخلاف حول تعيين القيصر عن طريق البابا، وقيام دولة الفاتيكان وسطوتها، والحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، ومحاكمة الساحرات وحرقهن، إلى غير ذلك.

ومع هذا فإن المتأمل فى علمانية الغرب، وفك الرباط الديني بين الكنيسة والدولة يجد أن السياسة الغربية «الدولة والمجتمع» إنما هى ذات صبغة مسيحية، فالدولة فى ألمانيا - مثلا - تقر الأعياد والإجازات الدينية وتحميها، وتعترف بجمعيات دينية، وتحصل ضريبة من



أجل مساندة الكنيسة، ويقوم المدرسون الحكوميون بتدريس مادة الدين في المدارس الحكومية، ويتم توظيف رجال دين في القوات المسلحة، وينص قانون العقوبات على جرائم تستدعي العقوبة فيما يخص الدين والرأي.

ولكن هؤلاء الغربيين يعيبون على المسلمين مثل هذا التوجه، ويلصقون بالإسلام كل الصفات والنعوت الشيطانية؛ لأنه يدعو لتأييد دور الدين في الدولة، متجاهلين: أن الإسلام لا يهدف إلا إلى دولة يأتلف فيها الدين والسياسة، والدين والاقتصاد، والدين والمجتمع، ولا يهدف بأي حال إلى حكم ثيوقراطي يقوده رجال الدين.

يعيب الغربيون على المسلمين هذا، متجاهلين ما يؤكده الواقع التاريخي من أن المسلمين لا ينقصهم فهم طبيعة السياسة، ولا الرغبة في تقدم الدولة، والاقتصاد المزدهر، فقد التزم المسلمون تاريخيا بإقامة كيان دولة يضم كل المؤمنين، ويكفل للجميع المساواة، والعدالة، والرفاهية، والحرية، والكرامة، كما صورها القرآن في قوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

(آل عمران: ١١٠).

وغافلين عن أن الشريعة الإسلامية لا تفرض شكلاً محددًا للدولة المثالية، فعلى كل جيل من المسلمين أن يجتهد للتوصل إلى تنظيم الدولة الذي يتماشى -على أفضل سبيل- مع موروثاته ودرجة تطوره، ويحقق أفضل مصالحه. فلا فرق بين أن يكون الحكم ملكيا أو جمهوريا، ما دامت شروط الحكم الإسلامي الصحيح متوافرة من قيام الحكم بموافقة الغالبية، حتى يكون هناك عقد اجتماعي يحكم العلاقة بين الشعب والحكومة يُطلق عليه في الإسلام: «البيعة».

إنما هو الاختلاف اللفظي

وبعد استعراض وافٍ لآراء المفكرين الإسلاميين حول مصطلح «الديمقراطية» كشف الدكتور «هوفمان» أن الأمر لا يعدو اختلافًا شكليًا حول علاقة الديمقراطية بالإسلام تنشأ عن عدم تحديد المفاهيم، وعن محاولة فرض المفهوم الغربي للديمقراطية؛ لأن الواقع الإسلامي، والنصوص القرآنية والنبوية تؤكد أن مقاصد الديمقراطية متحققة -بشتى أبعادها- مع التطبيق الإسلامي، كما تؤكد: أن ما يثار من مخاوف حول التطبيق الديمقراطي إذا لم يحقق الإجماع حيث يخشى بعض المسلمين من أن يكون الأخذ بالأغلبية موقعا في الإضلال عن سبيل الله، مستندا إلى قوله عز وجل:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(الأنعام: ١١٦)

لأنها خشية لا محل لها مع حكم لا يحق للقائمين به أن يصدروا أحكامًا مخالفة لما أقره القرآن والسنة.

هذا.. إلى أن البرلمان الإسلامي لا تنحصر وظيفته في البت في الأحكام الموجودة فعلا في القرآن والسنة، ولكن هناك مجالات أخرى يجب إصدار أحكام فيها بما لا يخالف المبادئ الأساسية والأخلاقية للإسلام.

ويخلص الدكتور «هوفمان» من هذا إلى تأكيد أن الإسلام -في حد ذاته- لا يعادي الديمقراطية، بل إنه -على النقيض من ذلك- يتضمن تسع لبنات أساسية لتوطيد أركان ديمقراطية إسلامية، ما على المسلمين إلا أن يعملوا على تحقيقها من كل ما يقرر: أن اتهام المسلمين بمعاداة الديمقراطية إن هو إلا ضرب من ضروب العنصرية؛ لأن أساس هذا الاتهام يمكن تطبيقه على الفرنسيين، واتهامهم بعدم أهليتهم للديمقراطية، لأنهم

نحو، في مائتي عام حصل جمهوريات، وإمبراطوريتين، وممكتين، وحكما وقتيا.

كل ما يجب استيعابه أنه ليس ضروريا تماثل الديمقراطية الإسلامية مع الديمقراطيات الغربية، لأن العالم الغربي الإسلامي يملك أشكالا من التعددية، واللامركزية، والحضرية، وتوزيع السلطة ذات طبيعة خاصة به فقط.

ومن الخطأ الفادح المتأثر بالعنصرية القول بأن المسلمين -فيما يخص ممارسة الديمقراطية- موصوفون بعدم ممارستها بحكم ميلادهم، لأن جميع بلاد العالم عانت -في آخر الأمر- من مسألة الديمقراطية، سواء كانت تدين بالمسيحية، أو بالكونفوشيوسية، أو البوذية، أو الهندوسية، أو اليهودية، أو الإسلامية، من كل ما يؤكد أن إلصاق تهمة خروج العالم الإسلامي من التاريخ من قبيل أعداء المعرفة بالعلاقات والخلفيات.

ومن هنا، يتقرر أن على الغرب أن يراجع موقفه المتشكك من قبل جماعات المعارضة الإسلامية التي ترغب في تغيير الأوضاع في أوطانها من خلال المناقشات الديمقراطية، فهناك عوامل مشتركة بين هذه الجماعات وبين الحركات التي تنادي بحقوق الإنسان، وحق المواطنة، وحركات حماية البيئة، وحركات حماية المرأة.

وأباطيل غربية كذلك حول المرأة المسلمة

وفي الفصل السابع «تساوي الحقوق أم سواسية» يواصل الدكتور «هوفمان» استعراضه للأباطيل التي وصم الغربيون بها الإسلام، فبعد فضحه باطلهم حول الديمقراطية، عمل على كشف باطلهم حول المرأة المسلمة، وزعمهم أن الإسلام يحط من شأنها، مبتدئا بتقديم صورة المرأة في القرآن الكريم.

فالقرآن لم يلصق بحواء صفة الغواية، ولم يجعل الأنثى -حسب نص في رحمه- عقوبة تمت الغواية، مختلفا بذلك- عن الموروث اليهودي المسيحي الذي يحمل المرأة ذنوبا شتى ساوتها بالشيطان في الفكر المسيحي بدءا من بولس ترسوس ووصولا إلى أول عصر الحديث.

والإسلام استطاع أن يحدد موقفا إيجابياً غير مضطرب من الجنس، وأن يحافظ عليه؛ فأقام العلاقة بين الزوجين على المشاركة التي يأخذ فيها كل طرف الطرف الآخر في حسابه، والتي لا تحكمها القوى، مختلفا تماما عن المسيحية التي يتأرجح موقفها بين الرهبانية «التطهرية» والانفلات الجنسي.

ولكن النقد الغربي يغفل هذه الأساسيات، ويتعلق بأمور أخرى يتوهم أن فيها ما يصم الإسلام، مثل تعدد الزوجات، ووضع المرأة في الزواج، والنصوص المتعلقة بزي المرأة، وحجابها، والفصل بين الجنسين، وسلطة الرجل المطلقة في الطلاق وانتقاص دور المرأة في الميراث والشهادة.

وقد انبرى الدكتور «هوفمان» مفندا كل ذلك بالتأمل البصير والرؤية المحايدة المستمدة من النظرات الشمولية في النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بهذه الأمور.

وينهي الدكتور هذا المبحث بقوله: نستطيع أن نقول إن المسلمين يعتقدون بوجود اختلافات بين الجنسين في بعض الأمور المرتبطة بالجنس مثل الخدمة العسكرية، ومعاناة الحمل والوضع.

ويسوق مقولة شاهد لا يرقى إليه الشك هو الأب «ميشيل لولونج» في مقارنته حية المرأة التونسية والمرأة الفرنسية، جاء فيها: «إنني كثيرا ما ألتقي هنا- في فرنسا- مع نساء محررات، ولكنهن يعانين من عبودية قد تكون أرقى، ولكنها بلا شك ليست أقل خطرا، فهؤلاء النساء

أسرات صغوط جديدة، مثل الرفاهية، والأرباح، والدعاية، والحياة المهنية، أو حتى السيجارة». ويقرب هذا مع ما رآه ولاحظه بنفسه طويلاً من «الحرية المدهشة التي تمارس بها المسيحية حياتها».

البيئة الأنسب لبعث محمد

وفي الفصل الثامن «ولماذا محمد؟» انطلق الدكتور «هوفمان» باجتهاده في جولة تأملية، يحاول من خلالها الوقوف على سر بعث محمد بالرسالة على وجه الخصوص.

فرأى: أنه لم يكن هناك موقع جغرافي أفضل من شبه جزيرة العرب لتقديم هذا الدين الجماعي الجديد؛ لأن هذه المنطقة كانت خارجة عن نطاق نفوذ القوتين العظميين في ذلك الوقت، فكانت هي الأنسب حتى يتمكن الإسلام من تكوين كيان أيديولوجي جديد يعادي نظام تلك الممالك والملوك قبل أن تنتبه إليه إحدى القوتين.

هذا.. بالإضافة إلى أن تلك المنطقة كانت تتمتع بموقع جواستراتيجي بالغ الأهمية، حيث تتمتع بموقع وسط يبعد عن المغرب وانجلترا بالمقدار الذي يبعد به عن الهند والصين.

ورأى أيضاً: أن هناك سبباً معقولاً ومقبولاً منطقياً لنزول القرآن باللغة العربية؛ فقد كانت اللغات المتداولة - وهي لغات الديانات السابقة - قد استنفدت في هذا السياق، وباتت محزولة بأحكامها، سواء في ذلك: الرومانية، واليونانية، والفارسية، والعبرية، بينما كانت الديانة الجديدة، والرسالة التي تحملها في حاجة إلى لغة عذرية على المستوى الديني والفلسفي لم تستنفد بعد، يأتي بها القرآن. ولم تكن تلك اللغة إلا اللغة العربية التي أتيح لها ما هيأها للتفكير الفلسفي التأملي والعلمي.. والتفكير الفرضي.

كما رأى أن توقيت الوحي القرآني كان ذا مغزى عميق، حيث بات واضحاً - منذ القرن السادس الميلادي - أن المسيحيين واليهود المتفرقين في جميع أنحاء العالم عاجزون عن تصحيح التحريفات التي ألحقوها بدياناتهم، خصوصاً: تصور شعب الله المختار عند اليهود، والطبيعة الإلهية للمسيح عند المسيحيين، ونشبت حول ذلك خلافات وصراعات عنيفة أثمرت القضاء التام على كل ما يعارض الرأي الإمبراطوري المفروض على المسيحيين، وألغاء فكر الأريسيين والمسيحيين اليهود من ذاكرة الناس تماماً، وتم قطع الصلة بين المسيحية واليهودية. فكان لابد من مجيء إرهاصات إعادة التفكير التوحيدي الإبراهيمي من خارج هذه المعارك، من بلاد العرب على يد رسول عربي يعيد دين إبراهيم، وموسى، وعيسى.

أي يعيد دين الله كما أراده وكما ينبغي له، فكان محمد آخر الرسل هدف رسالته بعقيدة الوحدانية النقية.

وبعد استعراض مستفيض لما ألحق على المسيحية من تزييف وتزوير رفضه الإسلام رفضاً باتاً بالنصوص الواضحة، والحجج الحاسمة، دون هوادة أو تهاون، ودون قبول للمساومة أو الحلول الوسط، بعد هذا الاستعراض أعلن الدكتور اتفاقه مع «Paul schwarzenau» في قوله: إن القرآن احتجاج على المفهوم المسيحي للصلب.

وخلص من ذلك الاستعراض إلى تقرير أن معاناة الغرب من الإلحاد والاغتراب عن الكنيسة، والهروب إلى ديانات خاصة غير مفهومة - منذ أكثر من مائة وخمسين عاماً - تقرير أن كل هذا ذو صلة بما حدث للمسيحية في مجمع «نيقية» أو مجمع «إزنك» سنة ٣٢٥.

ومع وضوح هذا كله، ما زالت الكنيسة تحرم محمداً من عدة ثقة به، وتصحيح صورته، ورد الاعتبار له؛ لأنها لا تزال أسيرة إنكارها له، متغافلة حقيقة بينة، هي: أن الإسلام يهدف إلى أن يعيد المسيحية لتقف على قدميها، بدلاً من الوقوف على رأسها.

أزمة المسيحية.. معتقداً وعلوماً وتعاليماً

وفي الفصل التاسع «عيسى يفرق - عيسى يوحد» قدم الدكتور «هوفمان» صورة متعددة الأبعاد لرؤى المفكرين الغربيين المسيحيين للمسيح والمسيحية تشير إلى غموض الفصل - على ما فيه من تفاصيل - حيث اختلفت الآراء حوله، وحيث جمعت الآراء على رفض ما قرره مجمع نيقية «إزنك».

فقد بدأت في القرن التاسع عشر محاولة إجراء مراجعة نقدية تاريخية للمصادر المكتوبة التي تستمد منها المسيحية تعاليمها، وقد قام بهذه المحاولة أساتذة لاهوتيون كاثوليك وبروتستانت، وكان مما توصلت إليه تلك المحاولات ما يلي:

١- استحالة القيام بعملية كتابة صحيحة لتاريخ عيسى لظروف المحيطة بنشأة الأناجيل؛ فرغم الجهود المضنية لا يوجد مصدر أساسي، أي لا يوجد إنجيل عن عيسى؛ لأن النصوص السبعة والعشرين التي يتضمنها العهد الجديد ليست حقيقية ولا واقعية بكل ما تعنيه هذه الكلمة؛ فالنصوص المسيحية المقدسة لا تعود إلى أسباب تاريخية، بل تعود إلى مصالح تتعلق بالكنيسة، أي إن عيسى ليس مؤسس الدين المسيحي بقدر ما هو موضوع هذا الإيمان، وهذا الدين.

واستحالة إمكانية الحديث عن وحدة العهد الجديد، وعن خلوه من الصحة والتناقضات، بغض النظر عن مسألة كتابته؛ فقد تم تدوين هذه النصوص بعد أن اختارت المسيحية ديانتها، فهي ليست كلمة الله، بل هي كلمة الإنسان، حيث قامت الكنيسة باختيار النصوص التي تحقق أغراضاً بعينها، والتحقق التاريخي لنشأة العهد الجديد وما يحتويه من مقدمات يؤدي إلى انهيار بنية الكنيسة وعلم اللاهوت، كما لو كانا بناء من ورق.

٢- وقد توصل بعض علماء اللاهوت إلى أن عيسى رجل عجيب، وأن حماسه هو الذي فرض احتلاله، أي إن تأليف حكاية المسيح تأليف رائع شديد الجمال، ويتسم بسحر وغموض يضفي فكرة أن لا إله الحقيقية.

٣- وتوصل بعض هؤلاء العلماء إلى أن هناك «عيسى» بالفعل حدث كنواة تاريخية للمسيحية، لكن ما ترتب على ذلك من المسيحية ما هو إلا تأملات نظرية، أي إن الله قد تجلى بكامل وجوده في المسيح عيسى، وعرف نفسه فيه، وظهر من خلاله.

إلى غير ذلك من النظريات والرؤى التي أفرزتها تلك المراجعات النقدية التي قام بها أساتذة لاهوتيون كاثوليك وبروتستانت، والتي كانت دليلاً واضحاً على الأزمة العميقة التي تعيشها المسيحية وتعاليمها، والتي تعيشها علوم اللاهوت المسيحية في العالم المسيحي.

ومع ما يلابس الصورة من اضطراب وتناقض معتم يتوقع الدكتور «هوفمان» ألا تؤدي هذه الأزمة إلى إسراع حشود المسيحيين للدخول في دين الله، ولكنها - بغير شك - ستدفع إلى فناء الكنيسة، ونهاية المسيحية المرتبطة بها، وإلى زيادة شعور الجماهير المسيحية بالاغتراب عن الدين عامة، وزيادة رغبة الإنسان الفرد في انتقاء ما يريد مما يناسبه من المعروض في سوق الديانات والمعتقدات.

يتبع



د. حمدى فتوح والى

> لقد كانت تنحية الاسلام عن قيادة البشرية حدثاً هائلاً فى تاريخها. ونكبة قاصمة فى حياتها. نكبة لم تعرف البشرية لها نظيرا فى كل ما ألم بها من نكبات.

ولقد استشعر أصحاب الذوق الإنسانى الراقى فظاعة ما حل بالبشرية من خسائر، وفداحة ما تكبدته من أهوال نتيجة غياب هذا المنهج الإلهى القويم لكن غلظ الحس، وفساد الذوق، وتبلد المشاعر، والانشغال بالماديات عن المعنويات جعل إحساس الناس بهذه النكبة ضعيفا خاصة بين أهل الغرب ممن لم يسعدهم الحظ بتذوق الإسلام والعيش فى ظلاله والتنعم بأحكامه حتى إذا بلغت منظومة الإفساد مداها، فتجاوزت المشاعر والمعنويات. لتصيب الأموال والمقدرات. وتصل إلى البطون والمحسوسات، عندها أفاق الغرب من غفوته، واستيقظ من نومته، وأحس بالخطر الحقيقى الذى أصبح يستهدف صنمه المقدس، وإلهه المعبود، فكان ما نراه اليوم ونسمعه، من مشاهد الفزع والهلع والرعب، نتيجة الانهيار المفاجئ للنظام الرأسمالى الجشع الذى توحش واستأسد، ولا يعرف فى قاموسه إلا البحث عن الربح وزيادة الأموال، دون اعتبار لدين أو خلق أو عاطفة أو ضمير. فكان أن فتح على نفسه باب حرب لم يدرك خطرها، ولا قدر مداها عندما غاب عنهم قول الحق الحكيم سبحانه

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾

(البقرة:٢٧٦)

وكثيراً ما طالعتنا أخبار النكبات والأزمات، ونمت فينا صور الكوارث والمجاعات. لكنها كانت فى الغالب صوراً للبؤساء والجوعى من المحرومين والفقراء فى دول العالم الثالث، لكن الجديد الذى نراه اليوم، أمر يدهش ويحير، لأن صور البؤس والتشرد والضياع لرجال ونساء زرق العيون، بيض الوجوه صفر الشعور. يعيشون فى واشنطن ونيويورك. وهم من خلاصة الشعب الأمريكى. لقد كانت دهشتى كبيرة عندما رأيتهم على شاشة قناة الجزيرة يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ويتكففون الناس، وكانت دهشتى أشد وأكثر عندما تنقلت الكاميرا فإذا بنا أمام بيوت فاخرة ومفروشة بأفخر الفرش، لكنها مهجورة معلقة. تصفر فيها الرياح. وتسكنها الأشباح، ولم يخرجنى من حيرتى إلا قول المذيع: هذه الأسر المشردة هى ضحية شركات الرهن العقارى التى تنافست فى إقراض الناس قروضا ربوية. وقد أعماها الجشع عن التحقق من وجود ضمانات لهذه القروض. وعندما عجزوا عن السداد. لجأت هذه الشركات إلى مصادرة تلك البيوت من أصحابها، فإذا الناس فى الشوارع قد أخرجوا من بيوتهم وإذا بالبيوت خاوية على عروشها، وإذا بأصحاب الشركات يخسرون جميع ما لديهم، وهكذا يبدو المشهد خسارا وبوارا ودمارا، ولأن تلك الأموال المتداولة والتى تقدر بالمليارات ليست فى الحقيقة إلا أوراقا وصكوكاً وسندات لا رصيد لها فى الواقع الفعلى، ولا تمثل اقتصاداً حقيقيا يقوم على أصول مضمونة كما هو الحال فى الاقتصاد الإسلامى، الذى أسعدنا الله به وأهملناه، وأراد الله لنا الخير به.

وهذه الحالة الرهيبة والمرعبة هى التى دفعت عقلاء الغرب للبحث عن مخرج لمواطنيهم قبل فوات الأوان.

ومن هؤلاء الصحفى المشهور «بوفيس فانسون» رئيس تحرير مجلة «تشالينجر» فى المقال الذى كتبه بعنوان: «البابا أو القرآن»، والذى تساءل فيه عن أخلاقيات الرأسمالية، ودور المسيحية كديانة، والكنيسة الكاثوليكية بالذات فى تكريسها، حتى وقعت تلك الأزمة، واستفحلت حتى استعصت على الحل.

ويتساءل الكاتب فى أسلوب يقترب من التهكم من موقف الكنيسة ومستسمحا البابا «بنديكت السادس عشر» قائلاً: أظن أننا بحاجة أكثر فى هذه

الأزمة إلى قراءة القرآن بدلا من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا، لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها، ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ «لأن النقود لا تلد النقود»[1].

[illegible]

وفي نفس الموضوع يطالب الصحفي الفرنسي «رولان لاسكين» رئيس تحرير صحيفة «لوجورنال دى فينانس» في افتتاحية الأسبوع الأول من شهر أكتوبر لهذا العام بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق العالم من جراء التلاعب بقواعد التعاملات المالية، والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة، ثم يعرض في مقاله الذي كتبه بعنوان «هل تأهلت وول ستريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟» للمخاطر التي تحدق بالرأسمالية، ويشير بضرورة الإسراع للبحث عن خيارات بديلة لإنقاذ الوضع الاقتصادي، ويقدم الكاتب سلسلة من الاقتراحات المثيرة، وفي مقدمتها، تطبيق الشريعة الإسلامية، برغم تعارضها مع التقاليد الغربية ومعتقداتها الدينية.

القرآن والتمويل الإسلامي

وإذا كانت هذه الشهادات قد عكست لنا طبيعة ما يجري في أمريكا وفرنسا من قناعات بأن الإسلام وحده هو المنقذ من هذا النفق المظلم وهذا الانهيار الرهيب، فإن هناك شهادة أشد قوة وأكثر وضوحاً وهي شهادة الباحثة الإيطالية «لوريتانا بليوني» في كتابها الذي صدر مؤخراً بعنوان «اقتصاد ابن آوى» والذي أشارت فيه إلى أهمية التمويل الإسلامي ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي. واعتبرت الباحثة أن مسئولية الوضع الطارئ في الاقتصاد العالمي، الذي نعيشه اليوم ناتج عن الفساد المستشري، والمضاربات التي تتحكم في السوق والتي أدت إلى مضاعفة الآثار الاقتصادية

وفي إشارة جريئة وصادقة ومنصفة تقول الباحثة: «إن التوازن في الأسواق المالية يمكن التوصل إليه بفضل التمويل الإسلامي، ولكن بعد تحطيم التصنيف الغربي الذي يصم الاقتصاد الإسلامي بالإرهاب..» إلى أن تقول: «إن المصارف الإسلامية يمكن أن تصبح البديل المناسب للبنوك الغربية، فمع انهيار البورصات في هذه الأيام، وأزمة القروض في أمريكا، فإن النظام المصرفي التقليدي بدأ يظهر تصدعاً، ويحتاج إلى حلول جذرية عميقة، وإن التمويل الإسلامي هو الأكثر ديناميكية في عالم المال الكوني».

(١) يشير بذلك إلى الزيادة الربوية التي تأتي من المعاملات المالية في النظام الرأسمالي.

وإذا كانت هذه الشهادات التي صدرت على ألسنة المفكرين الغربيين، قد شهدت بعظمة المنهج الإسلامي في مجال المعاملات المالية والاقتصادية، وأجمعت على أهمية الأخذ به في قيادة اقتصاد العالم، فإن هناك شهادات أخرى سمع بها العالم أجمع في المجال الاجتماعي والتشريعي، ومن أقرب هذه الشهادات وأقواها ما صرح به كبير أساقفة «كانتربري» في بريطانيا الأسقف «روان ويليامز» بحاجة القانون البريطاني إلى تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في مجال الأحوال الشخصية والميراث، ضماناً لاستقرار الأمن، وتحقيق العدالة بين الناس.

وبرغم ما أثاره موقف كبير الأساقفة من ردود أفعال بين مؤيد ومعارض حتى وصل الأمر إلى أن يعرض على أعلى هيئة قضائية في بريطانيا، فقد جاء قرار كبير قضاة بريطانيا مدهشا وساحقا وهذا ما نقرؤه في هذا الخبر الذي حملته إلينا مجلة الأزهر[2] وهذا نصه:

«بعد الجدل الذي أثاره الأسقف «روان ويليامز» رئيس الكنيسة الإنجيلية البريطانية، بسبب مطالبته بتبني بعض أحكام الشريعة الإسلامية الخاصة بالأحوال الشخصية كالزواج والميراث في القوانين البريطانية أعلن اللورد «نيكولاس فيليبس» كبير قضاة بريطانيا أن بلاده لا تمانع في الاستعانة بالشريعة الإسلامية في النظام القضائي البريطاني. وقال «فيليبس» أنه لا يوجد سبب يمنع أن تشكل مبادئ الشريعة الإسلامية أو أي مبادئ دينية أخرى أساساً للتحكيم، أو لأي شكل آخر من أشكال حل النزاعات، بشرط عدم تعارضها مع القانون البريطاني»

وأمام هذا التواتر المدهش من شهادات أعداء الإسلام بجدارة هذا الدين وقدرته على حل مشاكل البشرية جميعا في مجالات حياتها المختلفة، فإنه لا يبقى أمامنا إلا أن نتساءل في حسرة ومرارة: إن كان هذا هو موقف أعداء الإسلام من الإسلام فأين موقف أهل الإسلام من دينهم الذي هو عصمة أمرهم؟ ومن كتابهم الذي فيه سعادتهم ومجدهم؟

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(الأنبياء: ١٠)

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾

(الزخرف: ٤٤)

إنني لا أملك في هذا السياق إلا أن أبشر العقلاء في الغرب والمنصفين المخلصين في بلاد الإسلام، بقول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(التوبة. ٣٣).

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف: ٢١).

(٢) مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤٢٩هـ. أغسطس سنة ٢٠٠٨ ص١٢٨٧

الأزمة المالية الأمريكية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يذكر الخبراء الاقتصاديون أن المجتمع الأمريكي، مجتمع قائم في جوهره على الاقتراض، فإذا أراد أي مواطن أمريكي أن يشتري منزلاً، أو جهاز تليفزيون، أو سيارة، فليس هناك أدنى صعوبة في الحصول على هذه الأشياء، حتى ولو لم يتوفر له المال اللازم لشرائها، ويكفي في هذه الحالة بطاقة الائتمان التي لديه، لكي يشتري ما يريد، فالعائلة الواحدة في الولايات المتحدة الامريكية، كما يقول الكاتب اللامع، «فريد زكريا»، تملك ١٣ بطاقة ائتمان، ٤٠٪ منها لشراء السلع، ويضيف «زكريا»، أنه مع ازدياد الرغبات في الاقتناء ازدادت الديون العائلية، فبلغت ٦٨٠ مليار دولار عام ١٩٧٤، حتى وصلت حالياً إلى ١٤ تريليون دولار، ولا شك أن هذا الرقم الأخير، ينبئ إلى أي مدى يعتمد الأمريكيون على الاقتراض، لإشباع حاجاتهم، وتلبية رغباتهم.

لقد أشار «زكريا» إلى حجم الديون الوطنية حينما ذكر «أنه في عام ١٩٩٠، كانت الديون الوطنية، ثلاثة تريليونات دولار، وأنه بحلول عام ٢٠٠٠ تضاعف هذا الرقم ليصل إلى ٥,٧٥ تريليون دولار، ما يوازي في الوقت الراهن ١٠,٢ تريليون دولار» إن جوهر الأزمة المالية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية، هو الدين (الاقتراض) أو ما يسمى «الفعالية المالية» كما جاء على لسان «فريد زكريا» ويصف الملياردير الأمريكي «وارن بافيت» أصل الأزمة المالية الأمريكية، التي أدت إلى إفلاس الكثير من المصارف والمؤسسات فيقول: «إن الدين هو الوسيلة الوحيدة التي تجعل من الرجل الذكي مفلساً». ويضرب مثلاً على ذلك ويقول: «إذا اتخذت خطوات ذكية، ستصبح غنياً جداً في النهاية، وإذا اتخذت خطوات ذكية مستخدماً الدين (الاقتراض) في أمور حياتك، ثم ارتكبت خطأ واحداً، فقد يؤدي ذلك إلى إفلاسك»، هكذا وبهذه السهولة، يحمل الاقتصاد القائم على المديونية بصفة دائمة، عوامل سقوطه، خاصة إذا أسيء استخدام الديون.

ويذهب «زكريا» إلى «أن الدين ليس أمراً سيئاً، إذا استخدم بشكل مسئول، وأنه جزء من الرأسمالية العصرية، لكن الخطورة تكمن في إخفاء كميات هائلة وراء «مشتقات مالية معقدة» التي يصفها البعض بالقنابل المالية الموقوتة». وفي هذا السياق يذكر الخبير الاقتصادي الكبير دكتور «حازم الببلاوي» أسباب الأزمة المالية الأمريكية التي امتد لهيبها إلى العالم فيقول: «إن النظام المالي في الدول الصناعية، قد اكتشف وسيلة جديدة لزيادة حجم الإقراض، عن طريق اختراع جديد اسمه «المشتقات المالية» وهو اختراع يمكن عن طريقه توليد موجات متتالية من الأصول المالية، على أصل واحد، يرى «الببلاوي» أن الأزمة المالية الأمريكية الراهنة، سببها ما أطلق عليه «أزمة الرهون العقارية» «فالعقارات في الولايات المتحدة هي أكبر مصدر للإقراض. فإن حلم المواطن الأمريكي هو أن يملك بيتاً، ولذلك فهو يشتري بيته بالدين من البنك مقابل رهن هذا البيت، ثم ترتفع قيمة هذا العقار، فيحاول صاحبه الحصول على قرض جديد، وذلك مقابل رهن جديد من الدرجة الثانية، يطلق عليه في هذه الحالة اسم «الرهون غير الآمنة»، أو «الرهون الأقل جودة» لأنها رهون من الدرجة الثانية، وبالتالي فهي معرضة أكثر للمخاطر، خاصة إذا انخفضت قيمتها

أسلحة الدمار الشامل المالية

ويمكن القول أن المشتقات المالية التي يتحدث عنها خبراء الاقتصاد بوصفها من الأسباب الجوهرية للأزمة المالية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية، هي من المصادر الجديدة للتمويل، أي عندما يتوفر لدى المصرف «محفظة كبيرة من الرهون العقارية»، فإنه يلجأ حينئذ إلى استخدام هذه المحفظة لإصدار أوراق مالية جديدة «سندات» يقترض بها من المؤسسات المالية الأخرى. ويقتصر الضمان في هذه المحفظة، وهذه العملية يطلق عليها الاقتصاديون اسم «التوريق» securitization فالبنك في هذه الحالة لم يكتف بالإقراض الأول، وهو الاقتراض الأصلي بضمان العقار الأصلي الخاص بالمواطن الأمريكي الذي اشترى عقاره بالدين من البنك، بل قام بإصدار سندات جديدة بضمان محفظة الرهون العقارية التي جمعها لديه، لتقوم مؤسسات مالية أخرى بشرائها، وهكذا فإن العقار الواحد (العقار الأصلي) يعطي مالكه الحق في الاقتراض من البنك، غير أن البنك من جانبه يعيد استخدام نفس العقار ضمن «محفظة أكبر من الرهونات العقارية»، للاقتراض بها من جديد من المؤسسات المالية الأخرى. وهذا باختصار ما يعرف بالمشتقات المالية التي يسميها بعض الاقتصاديين «أسلحة الدمار الشامل المالية»، وتستمر هذه العملية موجة بعد موجة، بحيث ينتج العقار الواحد طبقات متوالية من الإقراض، فإذا انهارت طبقة بسبب توقف المدين عن السداد، انهارت باقي الطبقات وحدثت الأزمة المالية، لأن كل الطبقات يتأثر بعضها بالبعض الآخر، وهنا مكمن الخطر، وهو ما يطلق عليه «أزمة الرهن العقاري»، السبب المباشر للأزمة المالية العالمية.

ويذهب الخبير المصرفي العالمي «عتريس مرشدي» إلى أن الكثير من البنوك لم تجنب مخصصات للقروض المتعثرة (الديون المعدومة)

ولم تهمش الفوائد، (أى لم توقف الفوائد على الديون المتعثرة) ويتساءل «مرشدى» كيف بدأت الأزمة المالية فى الولايات المتحدة، فى البداية لابد من التفرقة بين نوعين من البنوك، الأول البنوك الاستثمارية، والثانى البنوك التجارية، فالبنوك الاستثمارية لا تعتمد على ودائع الأفراد، وإنما على أموالها، ولا تخضع لرقابة البنك المركزى الأمريكى وتتاجر فى الأسهم والسندات، والعقارات بنسب مفتوحة، أما البنوك التجارية فتخضع للبنك المركزى، وتمتنع عليها المضاربة أو الرهونات العقارية إلا بنسب محدودة.

كيف أفلست البنوك

ولقد حدثت الأزمة المالية الأمريكية الراهنة فى البنوك الاستثمارية التى توسعت فى القروض العقارية مثل مؤسستى «فريدى ماك» و «فانى ماى» اللتين أنقذهما مجلس الاحتياط الفيدرالى (البنك المركزى الأمريكى) من الإفلاس، ويذكر «عتريس مرشدى» أن الأزمة المالية الأمريكية بدأت بالتسيب فى منح القروض للأمريكيين بضمان بيوتهم (الرهن العقارى). لدرجة أنه كان يتم إعطاء المنزل من جانب البنك العقارى بدون دفع أى دولار (أى بدون مقدم) ويعطى للمقترض - وهو مشترى العقار - فترة سماح قدرها ثلاث سنوات. لا يدفع خلالها هذا المقترض أى مبالغ، ثم يتم بعدها سداد قيمة القسط الأول، وهكذا.

وفى ضوء هذه التسهيلات من جانب البنك، زاد حجم الإقبال على تملك المنازل بدون عمل استعلام عن المقترض من حيث مركزه المالى وحساباته فى المصارف ومدى قدرته على سداد الأقساط الدورية فى مواعيدها. ونتيجة لهذا التسيب عجز عدد كبير من المقترضين عن سداد الأقساط. وهو ما أثر على البنوك الاستثمارية لعدم وجود سيولة ،وقد دفع هذا الوضع المأسوى هذه البنوك إلى تحويل الديون العقارية المتعثرة إلى سندات بضمان الرهن العقارى، وتم بيع السندات إلى المؤسسات المالية وكبار المستثمرين فى مختلف دول العالم وفى الولايات المتحدة الأمريكية بالطبع وتزايد غير القادرين من المقترضين على الوفاء بديونهم، وهذا ما أدى إلى انتشار الأزمة، وانتقالها إلى أوروبا وآسيا

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن، والحالة هذه هو: كيف أفلست هذه البنوك؟

والجواب لعدم قدرتها على الوفاء بالتزاماتها، وهناك ١٦ مؤسسة مصرفية فى الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت إفلاسها، كان آخرها -حتى كتابة هذا المقال- مصرف «ألفابنك»، ولدى هذا المصرف أصول بقيمة ٢٥٤ مليون دولار، وستنتقل ودائعه المؤمنة إلى مصرف آخر هو «بنك سيتروس» الذى سيعيد شراء أصول «ألفا بنك» بقيمة ٣٨,٩ مليون دولار.

وعلى الرغم من أن أزمة الرهن العقارى بدأت منذ عامين إلا أن تأثيرها لم يتضح إلا عندما أعلن بنك «ليمان برازرز» العقارى إفلاسه، أى عدم وفاء أصوله بالتزاماته قبل الغير.

ومن ناحية أخرى يقول الكاتب الأمريكى «بول كيدروسكى» فى مقالة بمجلة «نيوزويك» الأمريكية بتاريخ ٢٨/١٠/٢٠٠٨ تحت عنوان: «أول كارثة فى عصر الإنترنت» معلقا على أزمة القروض العقارية التى عصفت باقتصادات دول كثيرة «إن أزمة القروض لم تكن مفاجئة لأحد من المستثمرين والمنظمين. بل كانت كل المعلومات متاحة على شبكة الإنترنت ولكن لم ينتبه إليها أحد، ويضيف قوله: أنه فى مارس ٢٠٠٠م. فى ذروة أزمة التكنولوجيا، ألقى «آلان جرينسبان» - وهو خبير اقتصادى عمل فى السابق محافظا للبنك المركزى الأمريكى - خطابا عن ثورة قوامها «شبكة الإنترنت». وكان فى إمكانها تغيير القطاع المالى، وإعادة توزيع المخاطر من خلال استحداث وتقييم وتبادل منتجات أو أدوات مالية معقدة على نطاق عالمى».

المشتقات المالية!!

وهذه إشارة من جانب «جرينسبان» المحافظ السابق لبنك الاحتياط الفيدرالى (البنك المركزى الأمريكى) إلى ما يعرف باسم «المشتقات المالية» التى وصفها فى خطابه بالمنتجات والأدوات المالية المعقدة، وتعتبر بمثابة قنابل مالية موقوتة، من الممكن أن تنفجر من أقل خطأ من جانب البنوك أو المؤسسات المالية المتخصصة فى التمويل العقارى، كما حدث مؤخراً فى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد انفجار الفقاعة العقارية، بعد توقف عدد كبير من المقترضين عن سداد أقساط رهونهم العقارية. بالإضافة إلى شح السيولة لدى مؤسسات التمويل العقارى، الناجمة عن ذلك، مما سبب الأزمة المالية الراهنة، ويذكر «بول كيدروسكى» أن غياب الرقابة الرسمية لعب دوراً مؤكداً فى الأزمة المالية الحالية، وأشار إلى «أن عمليات مقايضة القروض المتعثرة التى تمثلها المشتقات المالية بلغت أكثر من ٥٠ تريليون دولار، وزيادة فى الشفافية، على المؤسسات المالية التى تحرص على أن تنتقل المشتقات المالية من القنوات الإلكترونية الخاصة إلى البورصات العامة. فلا يمكن السماح لمشتقات مالية (مقايضة الديون) غير شفافة يتم الاتجار بها عبر الرسائل القصيرة فى شبكة الإنترنت بالتحول إلى أسواق، قيمتها تريليون دولار، ولا يمكن لأحد أن يفهمها أو يراقبها».

وهكذا يؤكد «كيدروسكى» على شفافية عمليات شراء وبيع سندات الرهون العقارية المتمثلة فيما يعرف باسم «المشتقات المالية» تجنبا لحدوث أية أزمة مالية، من أجل استقرار الأسواق المالية، حيث إن الشفافية فى التعامل أمر يجعل المتعاملين على بينة من كل شيء.

والجدير بالذكر أن «فرانسيس فوكوياما» اليابانى الأصل، الأمريكى الجنسية أشار إلى أنه كان هناك مفهومان مقدسان، الأول أن التخفيضات الضريبية تمول نفسها بنفسها والثانى أن الأسواق قادرة على تنظيم نفسها بنفسها.

ويضيف «فوكوياما» قوله: «إنه إذا خفضت الضرائب من دون تخفيض الإنفاق فسيؤدى ذلك إلى عجز كبير، ولقد أدت زيادة الضرائب فى تسعينيات القرن الماضى فى عهد كلينتون إلى فائض، كما أدت تخفيضات «بوش» الضريبية فى أوائل القرن الواحد والعشرين إلى عجز أكبر، ويقول «فوكوياما»: «هناك مهام معينة لا يمكن إتمامها إلا عن طريق الحكومة. إن المؤسسات

المالية تحتاج إلى رقابة صارمة. وهذا يدل على أنه إذا حدث أي مس من أسس الرأسمالية، لابد من تدخل الدولة حتى لا ينهار النظام الرأسمالي. ومن هنا لا يعيب هذه الدولة أن تفرض رقابة صارمة لضبط الأسواق المالية.

مقايضة الديون!!

ويذكر خبراء الاقتصاد أن القانون الفيدرالي الأمريكي كان يفرض على بنك «جي بي مورجان» الاحتفاظ بكميات هائلة من الأموال الاحتياطية. تحسبا لإفلاس أحد من المدينين. ولكن ماذا لو أن البنك المذكور تمكن من إيجاد أداة توفر الحماية في حالة عجز أولئك المقترضين عن السداد. وبالتالي يصبح في استطاعته الاستفادة من المبالغ الاحتياطية المحتجزة، لقد تفتقت أذهان المصرفيين عن اللجوء إلى نوع من التأمين يتحمل فيه طرف ثالث المسئولية عن احتمال عجز المقترض عن السداد، في مقابل أن تتلقى شركة التأمين دفعات منتظمة من البنك في شكل أقساط تأمين، ومن هنا يمكن أن يكون في مقدور بنك «جي بي مورجان» حذف احتمال الخطر من دفاتره. وبالتالي تحرير أمواله الاحتياطية المحتجزة، وقد أطلق على هذا الأسلوب في التعامل اسم «مقايضة الديون» التي تحمي أصحابها عن السداد، وجاءت الطامة الكبرى عندما أوشك عملاق التأمين في الولايات المتحدة «ايه آي جي» على إعلان إفلاسه، بسبب عجزه عن سداد ١٤ مليار دولار، على شكل قروض، ضمنها للبنوك الاستثمارية وعشرات المؤسسات المالية. لولا قيام مجلس الاحتياط الفيدرالي «البنك المركزي الأمريكي» بمنح هذا العملاق الذي يعمل في مجال التأمين. قرضا قيمته ٨٥ مليار دولار. في مقابل حصوله على ٧٩.٩٪ من رأس مالها، ويمثل هذا الإجراء من جانب البنك المركزي الأمريكي أكبر عملية تأميم في الولايات المتحدة التي يقوم اقتصادها على النظام الرأسمالي من أجل توفير السيولة لأكبر شركة تأمين وإنقاذها من الإفلاس الذي كان سيفاقم من حدة الأزمة المالية الأمريكية ويعرض بنوكا ومؤسسات مالية لمأزق مالي خطير، بوصفها مشترية لوثائق التأمين. وكم كان الملياردير «وارن بافيت» محقا عندما وصف عملية مقايضة الديون. بأسلحة الدمار الشامل المالية. حيث إن انهيار شركة التأمين قد يؤدي إلى انهيار المؤسسات المالية الأخرى. وتقول «تيري دهون» من شعبة الديون في نيويورك والتي تتولى الآن رئاسة مؤسستها الاستشارية الخاصة العاملة في مجال «الأوراق المالية المشتقة» في لندن: «مكنا البنوك من إزالة أخطار ديونها من دفاترها، وتحويل تلك الديون إلى مؤسسات غير مالية مثل شركات التأمين و«صناديق معاشات التعاقد». ومن ناحية أخرى أنه في ٢٦ يوليو ٢٠٠٨ أقر الكونجرس الأمريكي قانونا بإنشاء صندوق بقيمة ٣٠٠ مليار دولار لتوفير قروض ميسرة للمواطنين. يسددون بها متأخرات القروض العقارية المتعثرة، كما وافق الكونجرس أيضا على خطة الإنقاذ المالي وقدرها ٧٠٠ مليار دولار لحماية الجهاز المصرفي الأمريكي من الانهيار، وقد وضع

«باراك حسين أوباما» خمسة شروط لموافقته على خطة الإنقاذ المالي. الأول مراقبة المال بعد من قبل لجنة مستقلة. والثاني حماية دافعي الضرائب بالتأكد من إمكانية إعادة أموالهم إليهم عند حدوث أزمة. والثالث التأكد من أن الخطة لن تعود بالفائدة على رؤساء مجالس إدارة «وول ستريت» (الحي المالي) الذين يتحملون جزءا من المسئولية عن الأزمة المالية الحالية. والرابع مساعدة ملايين العائلات التي تسعى للبقاء في بيوتها دون مصادرة بسبب عجزهم عن سداد الأقساط العقارية الخاصة بهذه البيوت، والخامس التأكد من أن الخطة لن تخدم مصالح أفراد محددين، ويذهب «جيم أمورين» مدير معهد التثمين العقاري في الولايات المتحدة إلى «أن أزمة الرهن العقاري الأمريكية هي سبب الأزمة المالية الحالية. بالإضافة إلى توقف المقترضين عن السداد بنسبة ٧٪ بعدما كانت لا تتجاوز ١٪ في السابق.

بيع القروض!!

وأكد «أمورين» «أن بيع القروض في السوق العقارية هو من أسباب الأزمة، إذ لا يعتمد فيها على التثمين (التقييم)، ناهيك عن المضاربات في السوق، ما جعل هذه القروض أعلى من قيمتها الحقيقية. وقد أدى ذلك إلى انهيار بعض المصارف والشركات العاملة في مجال العقارات».

ويرى «أمورين» «أن المبلغ المخصص لحل الأزمة المالية الأمريكية وقيمته ٧٠٠ مليار دولار لا يكفي، خاصة أن الأسواق المالية الأمريكية خسرت ما بين ٨ و ١٠ آلاف نقطة. وهو ما أفقد هذه الأسواق الثقة».

أوباما

واعترف «أمورين» بأن تدخل الحكومة الأمريكية المباشر لإنقاذ المصارف والشركات من الإفلاس «يتعارض مع قوانين منظمة التجارة العالمية ومبادئها» غير أنه استدرك أن التدخل من جانب الحكومة الأمريكية هو من أجل إنقاذ النظام المالي العالمي من الانهيار الشامل.

وفي هذا السياق أشارت دوريات اقتصادية وثيقة الصلة بدوائر المال والأعمال إلى أن «حجم الخسائر الناتجة عن الرهن العقاري في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ ١٠٠ مليار دولار. ارتفعت لاحقا إلى ١٧٠ مليار دولار. وقد وصلت قيمة السوق العقارية الأمريكية إلى ١٣ تريليون دولار. ويكشف الرقم الأخير مدى اعتماد الأمريكيين على القروض العقارية التي تيسر لكل أمريكي أن يمتلك بيتا، لكنه قائم كما أشرنا في المقدمة على الدين والاقتراض.

وفي الختام يمكن القول أنه بجانب أزمة الرهن العقاري في الولايات المتحدة الأمريكية فإن الحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق، التي استنزفت ٨٠٠ مليار دولار من الميزانية الأمريكية، كانت أحد أسباب الأزمة المالية الحالية، حيث أثارت غضب دافعي الضرائب الأمريكيين، الذين تحملوا عبء هذه الحرب التي لا طائل من ورائها غير تشويه صورة أمريكا. وضياع هيبتها، وفقدان تأثيرها الدولي.

المؤتمر العام الثامن للدعوة الإسلامية بليبيا يؤكد:

إعادة قراءة التاريخ الإسلامي وإسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية

تحت شعار إن الدين عند الله الإسلام، انعقد المؤتمر العام الثامن للدعوة الإسلامية، والذى عقدته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس عاصمة الجماهيرية الليبية فى أكتوبر الماضى، وبحضور أكثر من ٤٦٠ هيئة ومؤسسة إسلامية، من مختلف قارات العالم، إضافة إلى هيئات دولية وإقليمية، ومنظمات مسيحية مهتمة بأمر الحوار الدينى والتواصل الثقافى، وعشرات العلماء والمفكرين المهتمين بأمر الدعوة الإسلامية، إضافة إلى عدد من المثقفين وأساتذة الجامعات، ولفيف من الإعلاميين من مختلف مناطق العالم.

فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، حضر السيد محمد معمر القذافى والدكتور محمود الشريف الأمين العام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا والدكتور إبراهيم الغويل مقرر عام المؤتمر، كما حضرها الدكتور محمد الزبادى عميد كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس.

■ إله واحد.. دين واحد

وقد تحدث فى الجلسة الافتتاحية فضيلة الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية، والذى أكد فى كلمته أن الشعار الذى انعقد تحت لوائه المؤتمر العام الثامن

(آل عمران: ١٩)

يعنى أن جميع أنبياء الله ورسله من آدم عليه السلام وحتى النبى محمد ﷺ، إنما كانوا يدينون ديناً واحداً، ويدعون إلى عبادة الإله الواحد الذى لا شريك له.



وهذا يعنى أن أصحاب الرسالات السماوية حقيقة يجب عليهم أن يتعاونوا فى نشر دين الله، والدعوة إلى إعمال القيم الدينية العليا ومكارم الأخلاق. ويجب عليهم أيضا أن يتعايشوا معاً بشكل يؤكد السلام والأمن والأمان. ويعنى ممارسة كل إنسان لحقوقه وحرياته بقدر متساوٍ فى حدود عدم إيذاء الغير أو الإضرار به.

■ عرض لإنجازات جمعية الدعوة الإسلامية

وفى كلمته قال الدكتور محمود الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: إن الجمعية قدمت فى دراسة لها أهم إنجازاتها على مدى السنوات الأربع الماضية، وهى إنجازات لها أهميتها فى عدة مجالات مختلفة أهمها: المجال التعليمى، فهناك كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، وهناك كليات للدعوة تابعة للجمعية فى العديد من دول العالم، مثل: سوريا، ولبنان، وغيرهما، وهناك أيضا مجال العمل الاجتماعى والذى يتمثل فى رعاية الأيتام والأرامل والفقراء فى قارة أفريقيا وغيرها من القارات الأخرى.

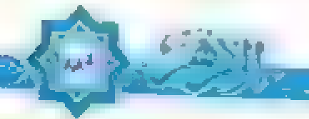
وفى مجال الإغاثة الإسلامية، قدمت الجمعية إغاثات عاجلة فى مجال الغذاء والكساء والإيواء، وكذلك فى مجال رعاية المهتدين الجدد حديثى العهد بالإسلام فى قارة أفريقيا.

وقد طلب الأمين العام من الجمعيات الإسلامية التى تشرف عليها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية، أن يقدموا فى جلسات المؤتمر نبذة عما قاموا به من جهود، وحجم الإنجازات التى حققوها، وما قابلهم من معوقات واقتراحاتهم بأساليب تجاوزها، وما يحتاجونه من دعم لمسيرة ناجحة لدورهم.

أما مقرر المؤتمر الأستاذ إبراهيم الغويل فقد قدم شرحاً مفصلا لأهداف الجمعية وخطة عمل المؤتمر العام الثامن، وما تم إنجازه من قبل الجمعية على مدى السنوات الأربع الماضية.

وأوضح السيد محمد معمر القذافى فى كلمته للمؤتمر أن الأخ العقيد معمر القذافى هو الذى أشار بإنشاء جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأن الجماهيرية الليبية تعمل على دعم هذه الجمعية دعماً كاملا، وأثنى على إنجازاتها وعلى جهودها المباركة على مدى السنوات الماضية ومنذ إنشائها. وتمنى للمؤتمر أن يخرج بتوصيات ومقترحات بناءة مفيدة للمسلمين فى كل أنحاء العالم، وفى قارة أفريقيا على وجه الخصوص، والتى يتركز أغلب جهود الجمعية بها.

وبدأت أعمال المؤتمر فى نفس اليوم مباشرة، حيث خصصت جلسة العمل الصباحية لعرض



تقرير المجلس العالمي للدعوة الإسلامية حول أنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وتمت مناقشته ثم عرض الدكتور قطب مصطفى سانو الأستاذ بالجامعة الماليزية بحثه بعنوان: «الاجتهاد ومستجدات العصر».

أما الجلسة الثانية في نفس اليوم، فقد خصصت لعرض أربع ورقات علمية.

● الأولى بعنوان: «اكتمال الدين واختتام النبوة» قدمها الأستاذ إبراهيم بشير الغويل.

● وكان موضوع الورقة الثانية «التعدد في الدين الأسباب والنتائج»، وقدمها الدكتور «أبوزيد المقرئ الإدريسي».

● أما الورقة الثالثة فكانت بعنوان: «القيم المشتركة في الشرائع الإلهية» للدكتور بسام الزين.

● والورقة الرابعة للأستاذ أحمد لو وهي بعنوان «قراءة في خطب وأحاديث القائد في الصلوات الجامعة» حيث أشار الباحث إلى معالجة الأخ العقيد لعالمية الرسالة الإسلامية ولإبراز الأخطاء التي مارسها الغرب في القراءة الغربية للإسلام.

كما أكد القذافي في خطبه - كما بين الباحث - وحدة الدين التي أكدتها كل الشرائع، واستند في ذلك إلى آيات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر [illegible]﴾

(البقرة ١٣٣)

وقوله تعالى

﴿[illegible]﴾

(سبأ ٢٨)

■ الإسلام والقضايا المعاصرة

هو المحور الثالث وكان ضمن جلسات اليوم الثاني الصباحية والتي انقسمت إلى جلستين حيث ناقشت الجلسة الأولى أربع ورقات بحثية الورقة الأولى دارت حول «الدعوة الإسلامية واقعها وآفاقها»، وقد قدمها الدكتور منير القاسم وهو عربي مقيم بأمريكا، وأبرز ما تضمنه البحث الهجوم الضاري على المسلمين من قبل الغرب، وتشويه صورة الإسلام من خلال وسائل الإعلام حيث قال: «لايزال العداء للإسلام في ازدياد مستمر في كافة أصقاع الأرض، وبخاصة الغربية منها، وهذا مبعثه الجهل بمبادئ هذا الدين، بالإضافة إلى ما سببته الأحداث العنيفة، مما أدى إلى تشويه صورة الإسلام من خلال وسائل الإعلام، وبين أن الإحصائيات الأخيرة تشير إلى أن ٥١٪ من الكنديين لا يرتاحون للإسلام كدين، ولا لوجود المسلمين بين ظهرانيهم

وقد أشار الباحث إلى الهجوم المباشر على السعودية لما تمثله للمسلمين في كافة بقاع المعمورة، لدرجة أن أحد القساوسة وجه إهانات مباشرة للمسلمين منها:

- نبتهل إلى الله أن يخلص المسلمين من ظلام الدين الإسلامي!

- نبتهل إلى الله أن يمن على النصارى بأن يرثوا المملكة العربية السعودية!

يدعو النصارى الغيورين على دينهم أن ينهضوا لتكوين «جيش من المبشرين» لتنصير المسلمين في كافة أنحاء العالم من خلال فضح مكونات سيرة نبيهم ﷺ، ولقد تركت كلمات هذا القس واسمه «ميشال سانشيز» موجة عارمة من الغضب والغليان عند المسلمين، وحتى عند غير المسلمين ممن لا يقبلون مثل هذه الأساليب الرخيصة! وطالب الباحث بضرورة بحث الوسائل التي من شأنها رسم صورة منهجية للرد على مثل هذه الهجمات المتزايدة منها:

- اندماج المسلمين الذين يعيشون في الغرب داخل تلك المجتمعات ومشاركتهم في النشاطات وخرقهم للحاجز الذي قد تشكله اللغة وغرابة التقاليد في تلك المجتمعات.

من الضروري تكثيف أن نتوقف خطاب العدائية ضد الإسلام وضد الإسلام والمسلمين من باب العمل بقوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(البقرة ٢١٦)

- لابد أن نتحدث بلسان الغرب لكي يفهمنا أبناؤه.

- لابد من رسم أهداف خطة متكاملة لعرض وتحديد السيرة النبوية وتمكن تحجيمها في:

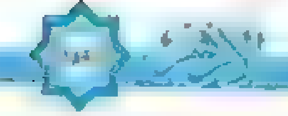
١- إبطال المحاولات الهدامة التي تصور الإسلام كقوة تعمل على زلزلة السلام العالمي

٢- تثقيف الغربيين بما يخص الإسلام.

٣- إقامة قنوات فضائية فعالة في مجال حوار الأديان.

٤- تدريب كوادر بشرية داخل الجاليات الإسلامية لتأهيلها لتولي المهام المستقبلية من خلال دراسة السيرة النبوية بأسلوب حديث، بإشراف علماء قد عايشوا الواقع الغربي وفهموه، وهذا التدريب بالغ الأهمية للتأثير الإيجابي في حياة المسلمين وغير المسلمين.

أيضا دارت الورقة الثانية في الجلسة الصباحية حول: «التصوف تعزيزاً للقيم في العالم المعاصر» للأستاذ خليل النحوي.



■ ضرورة مواجهة موجة الانحلال. وتعمد تفكيك الروابط الأسرية والاهتمام بالمرأة ثقافيا واجتماعيا.

والورقة الثالثة تضمنت موضوعا عنوانه: «الفاطمية مشروع للنهضة المعاصرة» للباحث على أبو الخير.

وأما الورقة الرابعة والأخيرة في هذه الجلسة فقد دارت حول: «الهوية بين تهديد التنميط وتداعيات التغريب» وقدمها الشيخ «محمد على التسخيرى»

أما الجلسة في القاعة الموازية فقد تضمنت أيضا أربع ورقات بحثية:

● دارت الورقة الأولى حول العالم المعاصر وضرورة الحوار. قدمها ماتوس كاداكس

● وكانت الورقة الثانية بعنوان «الحوار: مرجعيته وأهدافه ونتائجه» وقدمها الدكتور محمود أيوب

● أما الورقة الثالثة فدارت حول «العولمة ومنظومة القيم الدينية» قدمها الدكتور نبيل السمالوطي.

وقد تناولت هذه الورقة مفهوم العولمة وتجلياتها، مع التركيز على العولمة الثقافية عند أنصارها ومعارضيها وحجج كل قسم. هذه الورقة أجابت عن عدة تساؤلات مثل

هل يمكن تحقيق العولمة الثقافية؟

وهل يمكن القضاء على عشرة آلاف ثقافة هي عدد ثقافات العالم المعاصر، من أجل أن تسود ثقافة واحدة هي ثقافة الغرب؟

وهل التنوع الثقافي يمكن وصفه بأنه عمل خلاق يساعد على التعايش السلمي بين الجميع، أم أنه يمثل خطورة على قيم التعايش السلمي للإنسان؟

■ أهمية قبول الآخر

وأشار البحث إلى تقرير لجنة التنمية الثقافية في الأمم المتحدة برئاسة دى كويلار والتى بدأت منذ سنة ١٩٩٣ إلى سنة ١٩٩٦ تحت عنوان مهم وهو: تنوعنا البشرى الخلاق، وقد جاء منه أن التنمية لا تعنى مجرد الحصول على المزيد من السلع والخدمات، ولكنها تعنى تزايد الحرية في اختيار أسلوب الحياة، وأن التنمية الاقتصادية إذا انفصلت عن سياقها الإنسانى والثقافى تصبح كارثة وجسدا بلا روح، وضرورة وضع سياسات ثقافية، وربط الثقافة بالتنمية. ودعم ثقافة الديمقراطية. والقضاء على الفقر والبطالة والجوع والتخلف والمرض والتحجر الفكرى وأيضا أهمية قبول الآخر، والدخول معه في حوار يعود بالنفع على الجميع.

وقد عالجت الورقة في قسمها الثانى المخاطر الدولية، والتحديات التى تواجه مؤسسة الأسرة، والتى تحاول القضاء على بنائها الدينى، وعلى وظائفها التربوية والنفسية. وعلى أهدافها واستبدالها بأشكال انحرافية.

● وقد دارت الورقة الرابعة والأخيرة في هذه الجلسة حول تجربة «الكلمة السواء» وقدمها الدكتور العارف الكبص

وفي الجلسة الثانية عرض بحث واحد عنوانه: «العلاقات الإنسانية والمجتمع المعاصر» قدمه الباحث الدكتور مهدى مفتاح أميرش وهو من البوسنة.

ودارت بقية الجلسة الثانية وجلسة اليوم التالى الصباحية حول عرض تقارير أعضاء المؤتمر عن أنشطتهم الدعوية.

■ التنسيق بين الهيئات الدينية

وفي نهاية المؤتمر توصل الحاضرون إلى مجموعة من التوصيات أهمها

– التوصية بأن تتحول كلية الدعوة الإسلامية وفروعها إلى جامعة إسلامية تعنى بمختلف العلوم والمعارف.

– الاستمرار في توسيع دائرة العمل الإغاثى، وتوسيع التعاون بشأنه مع الهيئات والمنظمات ذات العلاقة مع استمرار تركيزه على القارة الأفريقية.

– مضاعفة الجهود من أجل الاهتمام بالمرأة اجتماعيا وثقافيا وتعزيز حضورها في وسط مجتمعية

– الاستمرار في بذل الجهود من أجل تعزيز الهوية الإسلامية لدى الناشئة، وتجذير الانتماء للإسلام في نفوسهم. وذلك من خلال تطوير التربية الروحية، واستثمار الرصيد التاريخى التراثى للأمة. وتوسيع دائرة التعريف بالتاريخ الإسلامى وإسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية.

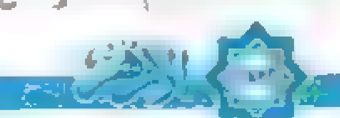
■ إدانة كل عمل يتعمد إشاعة ثقافة الكراهية بين الأديان

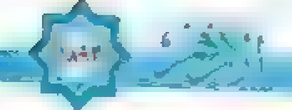
– تأكيد أهمية الاستمرار في تنظيم اللقاءات الصوفية وتشجيع أنشطتها التربوية والروحية، والعمل على تنقية مسيرة التصوف؛ لتتفق مع ثوابت الدين وأسس العقيدة.

– توفير الإمكانيات وتطوير الأساليب خاصة بتعليم العربية وتعزيز مكانتها في منظومتنا التربوية والثقافية.

– الدعوة إلى التنسيق بين الهيئات الدينية من أجل مواجهة موجة التفسخ والانحلال ومظاهر العبث بالطبيعة البشرية، وتعمد تفكيك الروابط الأسرية، وإشاعة الإباحية. وزعزعة المنظومة القيمية للأديان.

– وأخيراً.. الدعوة إلى احترام الخصوصيات العقدية، وإدانة كل عمل ينال من كل تلك الخصوصيات. أو يتعمد تشويه الأديان أو رموزها، أو يشيع ثقافة الكراهية بين الأديان.





طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

[illegible]

قال الله تعالى:

[illegible]

سورة طه الآية ١١٠

وقال النبي ﷺ: «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم».

وقال علي - كرم الله وجهه ورضي عنه -: «كل ما يتصور في الأوهام فالله بخلافه».

وقال الشافعي - رضي الله عنه -: «من انتهض لطلب مدبره، فإن اطمأن إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه، وإن اطمأن إلى نفي محض فهو معطل، وإن اطمأن إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد».

[illegible]

قال النبي ﷺ: «من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم الرفق حرم الخير كله»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها: «عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[2].

وقال شاعر:

الرفق يمن والأناة سعادة
ليس النجاح لمن يطيش ويحرق

وقال آخر:

وفي الأناة [illegible] صاحبها
[illegible] وبعضها [illegible]

وقال بعض الحكماء: الأناة حصن السلامة، والعجلة مفتاح الندامة.

وقال غيره: إذا لم يدرك الظفر بالأناة فمتى يدرك؟

وقال القائد الكبير المهلب بن أبي صفرة ساحق الخوارج: أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت.

[illegible]

قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء».

وقال الحسن البصري: «لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به، أحب من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة»[3].

وكان الشبلي إذا رأى من يدعي التصوف يقول:

[illegible]

سورة طه الآية ٦١

وقيل: «كان الناس يراءون بما يفعلون لا بما يقولون، فصاروا يراءون بما يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا يراءون بما لا يقولون ولا يفعلون».

وصلى رجل صلاة خفيفة فقيل له: أقصرت الصلاة؟ قال: لا، إن هي صلاة ليس فيها رياء. ونظر أبو أمامة الباهلي إلى رجل في المسجد وهو ساجد يبكي، فقال: نعم الرجل لو كان هذا في بيته.

وقال شاعر:

تصنع كي يقال له أمين
وما يعني التصنع لا الأمانة

ولم يرد الإله به ولكن
أراد به طريقا للخيانة

[illegible]

قال الله تعالى:

[illegible]

سورة البقرة الآية: ٢٦٤

وقال النبي ﷺ: «إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر»[4].

وقال أحد الشعراء: المنة تهدم الصنيعة.

وقال غيره: خير المعروف ما لم يتقدمه مطل، ولم يتبعه من.

[illegible]

كان عبد الله بن جعفر الطيار يدعى بحر الجود لكرمه فجاء إليه يوما نصيب الشاعر وكان أسود اللون، فلما خرج تقدم إليه وقبل يده ثم أنشده:

[illegible] حتى كانت لم تكن
[illegible]

[illegible] حتى كانت لم تكن
[illegible]

فقال له عبد الله: ما حاجتك؟ قال: [illegible] عليها. قال: أنخ أنخ. ثم أوسقها له برا وتمرا وأعطاه عشرة آلاف درهم وثيابا، فقيل له: أعطى هذا كله لهذا العبد الأسود! فقال لهم: إن كان هو أسود فإن شعره لأبيض.

[illegible]

قال حكيم: «الملك يبقى على العدل والكفر، ولا يبقى على الإيمان والجور».

وقال عمرو بن العاص: «ملك عادل خير من مطر وابل».

وسأل عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع ولاته، فقال: «رأيت الظالم مقهورا، والمظلوم منصورا، والغني موفورا، والفقير مسرورا».

فقال الخليفة: الحمد لله الذي وهب لي من العدل ما تطمئن إليه قلوب رعيتي.

وتعرض له متظلم في بعض الطرق فوقف له وأزال شكايته، فقال له بعض خاصته: هلا صبرت يا أمير المؤمنين حتى يستقر بك المنزل؟

فقال له: «الخير سريع الذهاب، وخشيت أن أفوته بنفسي، وإنما هي فرصة قلت فيها العزم واستصحبت الحزم».

[illegible]

وقف أعرابي على معن بن زائدة في طريقه فأنشده:

يا واحد العرب الذي
أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك في الورى
ما كان في الدنيا فقير

فأمر له بألفي درهم.

وقابله رجل فقال: إني جعلت فضلك سببي إليك، وكرمك وسيلتي عندك.

قال معن: سل حاجتك.

قال الرجل: ألف درهم.

قال معن: قد أربحتني أربعة آلاف درهم، فإني حدثت نفسي أن أعطيك خمسة آلاف.

فقال الرجل: أنت أكبر من أن تربح على مؤملك فأعطاه معن خمسة آلاف.

---

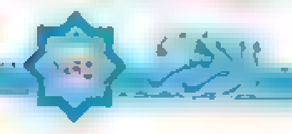
(1) [illegible] ٩ / ٤٩٦

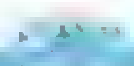
(2) مسند الإمام أحمد ٦ / ١٢٥

(3) سنن الترمذي ٤ / ١٣٥ برقم ٢٠١٣

(4) [illegible] ٨ / ٢٩٣

(5) تفسير القرطبي ٣ / ٣١٢





يقال إن عمر بن الخطاب ولى رجلاً من قريش عملاً فبلغه أنه قال:

اسقني شربة ألذ لذيذها	واسق بالله مثلها ابن هشام

فأمر بعزله عن عمله. فلما قدم عليه قال له: ألست القائل وأنشده البيت، فقال الرجل:

نعم يا أمير المؤمنين وقد قلت بعده:

عسلاً بارداً بماء سحاب	إنني لا أحب شرب المدام

فقال أمير المؤمنين: أكذا قلت؟ ورده إلى عمله

قال حكيم: اصحب الأيام بالموادعة، ولا تسابق الدهر فتكبو.

وقال الشاعر:

من سابق الدهر كبا كبوة	لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر إذا ما خطا	واجر مع الدهر كما يجري

لا شك أن الشاعر يقصد من مسايرة الدهر ومجاراته أن يندمج في التيار الذي يشيع أهل الفساد فيه، فإن ذلك فضلاً عن منافاته للكرامة الشخصية، فهو شديد الخطر على المجموع، فإن النتيجة الحتمية تقتضي أن تسود الفوضى، وأن يعم شكل الخطر، ولذا وجب على كل إنسان نفسه على أن يقاوم الشهوات أهل الشهوات، تصبت أركانه على المجتمع، ويصبح كما هو عزة ولا كرامة.

وقال بشار العقيلي:

أتعذلني أن الدهر سوف يعيق

وإن يسر من بعد ضيق

وما كنت إلا كالزمان إذا صحا

صحوت وإن ماق الزمان أموق

قال إبراهيم بن جعفر لابنه يحيى: من شكرك على غير معروف فلا تأمن أن يذمك على غير ذنب. إن لا يستحقه، واطلب المعروف ممن يحسن طلبك إليه، واستر ماء وجهك بقناع القناعة، وتسلَّ عن الدنيا بتجافيها عن الكرام.

وأنشده

من القناعة فالزمها تكن ملكاً

لو لم يكن لك إلا راحة البدن

وانظر إلى من ملك الدنيا بأجمعها

هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله	وبني آدم حين يسأل يغضب

قال بعض الحكماء: أكره الناس كآبة رجل حسود، وخليط الأشد وهو غير ذنب، وحكيم محتقر لدى الأقوام

قال علي بن بشر المروزي كتب إلى ابن المبارك هذه الأبيات:

كل العداوة قد ترجى إماتتها

إلا عداوة من عاداك من حسد

فإن في القلب منها عقدة عقدت

وليس يفتحها راق إلى الأبد

إلا الإله فإن يرحم يحسب	وإن أبى فلا ترجوه من أحد

وقال سليمان التيمي: الحسد يضعف اليقين ويسهر العين ويكثر الهم

وقد صلى الأحنف بن قيس على حارثة بن قدامة السعدي فقال: رحمك الله كنت لا تحسد غنياً، ولا تحقر فقيراً.

وكان يقال: لا يوجد الحر حريصاً، ولا الكريم حسوداً.

وقال شاعر:

حسدوا النعمة لما ظهرت	فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة	لم يضرها قول أعداء النعم

نسألك يا مؤنس كل وحيد، ويا صاحب كل فريد، ويا قريباً غير بعيد. يا ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، نسألك الأمن يوم الوعيد.

صفحات مشرقة وأمثلة عالية من حياة عمر بن عبد العزيز

للأستاذ/ عادل خفاجة

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدّثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» ورواه مسلم من حديث عائشة. وقيل: إن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: إن من ولدي رجلاً، بوجهه شتر، يملأ الأرض عدلاً.

وكان ابن عمر يقول: ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة. يملأ الأرض عدلاً!.

لعل أولى الصفحات المشرقة في حياة عمر بن عبد العزيز كانت يوم أن خرج جده الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب حيث روت كتب التاريخ أن عمر رضي الله عنه بينا وهو يعس بالمدينة (ومعه أيسر) أعيا، فاتكأ على جدار، فإذا امرأة تقول لابنتها: قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء. فقالت: يا أمتاه، أما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته؟ قالت: نادى مناديه: لا يشاب اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنتاه، قومي فامذقيه. فإنك في موضع لا يراك عمر ولا منادي عمر. فقالت الصبية. ما كنت أطيعه في الملأ. وأعصيه في الخلاء. وعمر يسمع كل ذلك فلما أصبح قال: يا أسلم، امض إلى ذلك الموضع فانظر من القائلة والمقول لها، وهل لهما من بعل؟ فإذا أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها، ليس لها رجل. فأخبر عمر، فجمع ولده، وقال: فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟ فزوجها من عاصم، فولدت أم عاصم، فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، فولدت له عمر سنة ٦٣ هجرية.[1]

بواكير حياته

حدث سالم الأفطس أن عمر بن عبد العزيز رمحته دابة، وهو غلام بدمشق، فضمته أم عاصم أمه إليها، وجعلت تمسح الدم عن وجهه، ودخل

(١) مختصر تاريخ دمشق

أبوه عليها على تلك الحال، فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول: ضيعت ابني، ولم تضم إليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا! فقال: اسكتي يا أم عاصم، فطوباك إن كان أشج بني أمية(٢).

وكان بلال ولد عبدالله بن عمر بوجهه شامة، وكانوا يرون أنه هو(٣).

وبعث عبد العزيز بن مروان ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده، وكان يلزمه الصلوات، فأبطأ يوما عن الصلاة، فقال: ما حبسك؟ قال: كانت مرجلتي تسكن شعري، فقال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة، وكتب بذلك إلى والده، فبعث عبد العزيز رسولا إليه فما كلمه حتى حلق شعره(٤).

وكان لهذه الحادثة أثرها البالغ في حياة عمر فاتجه إلى تحصيل العلم حتى أتم حفظ القرآن فوجدته أمه يبكي فقالت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت، فبكت أمه من ذلك(٥).

وشمر عمر عن ساعد الجد طلبا للعلم النفيس فتعلم القرآن والسنن، وصاحب خيار الناس فاشتهر بالعلم والعقل مع حداثة سنه حتى سمي نجيب بني أمية.

ثم بعث إليه عبدالملك بن مروان عند وفاة أبيه، وخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوجه بابنته فاطمة التي قيل فيها:

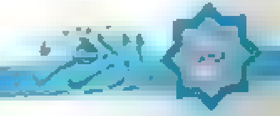
بنت الخليفة، والخليفة جدها أخت الخلائف، والخليفة زوجها

عمر بن عبد العزيز واليا على المدينة

اشتهر عمر بن عبد العزيز بالعلم والعقل منذ حداثة سنه كما اشتهر بالشجاعة وحسن الخلق والخلُق، كامل العقل، حسن السمت، جيد السياسة، حريصا على العدل بكل ممكن، وافر العلم، ظاهر الذكاء والفهم، أواها منيبا، قانتا لله، حنيفا زاهدا ناطقا بالحق، فولاه الوليد بن عبد الملك على الحجاز - المدينة ومكة والطائف -. وكان لا يخشى في الله لومة لائم فعارض الحكام عندما تبين له خروجهم عن الصراط المستقيم وجابههم وجادلهم بالحسنى، ومن هذه المواقف نذكر:

أنه دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب ابنه وهو يومئذ ولي عهده قد عقد له من بعده فجاء إنسان يطلب ميراثا لبعض نساء الخلفاء فقال سليمان ما إخال النساء يرثن في العقار شيئا فقال عمر بن عبد العزيز سبحان الله فأين كتاب الله؟! قال يا غلام: اذهب فائتني بسجل عبد الملك بن مروان الذي كتب فيه ذلك، فقال له عمر: لكأنك أرسلت إلى المصحف قال أيوب والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه، قال له عمر إذا أفضى الأمر إليك وإلى مثلك فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا. فقال سليمان: مه لأبي حفص تقول هذا؟! قال عمر: والله لئن كان جهل علينا يا أمير المؤمنين ما حلمنا عنه(٥).

(٢) تاريخ دمشق و رمحه أي ركضه برجلها ويقال فرس رامحة أي ضروب.
(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي.
(٤) و (٥) تاريخ دمشق



ومنها ما رواه عمر بن عبد العزيز حيث قال: بعث إليّ الوليد ذات ساعة من الظهيرة، فدخلت عليه فإذا هو عابس، فأشار إليّ أن أجلس، فجلست فقال: ما تقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل؟ فسكت، ثم عاد فسكت، ثم عاد فقلت: أقتل يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن سب. قلت: ينكل به، فغضب وانصرف إلى أهله، وقال لي ابن الريان السياف: اذهب، قال: فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردني إليه(٦).

ولما أراد الوليد بن عبد الملك أن يخلع سليمان قال يا أمير المؤمنين إنما بايعنا لكما في عقدة واحدة فكيف نخلعه ونتركك؟!(٧)

ومنها أن سليمان بن عبد الملك حج ومعه عمر بن عبد العزيز، فلما أشرف على عقبة عسفان نظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حُجَره وأبنيته، فقال: كيف ترى ما ها هنا يا عمر؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين دنيا يأكل بعضها بعضا، أنت المسئول عنها والمأخوذ بما فيها(٨).

نعم المستشار

لما ثقل المرض على سليمان قال: يا رجاء! أستخلف ابني؟ قال: ابنك غائب. قال: فالآخر؟ قال: هو صغير. قال: فمن ترى؟ قال: عمر بن عبد العزيز، قال: أتخوف بني عبد الملك أن لا يرضوا، قال: فوله، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتابا وتختمه، وتدعوهم إلى بيعة مختوم عليها.

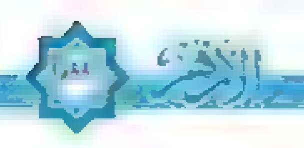
قال: فكتب العهد وختمه، فخرج رجاء، وقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب. قالوا: ومن فيه؟ قال: مختوم. ولا تخبرون بمن فيه حتى يموت، فامتنعوا، فقال سليمان: انطلق إلى أصحاب الشرط، وناد الصلاة جامعة، ومرهم بالبيعة، فمن أبى، فاضرب عنقه، ففعل، فبايعوا. قال رجاء: فلما خرجوا أتاني هشام في موكبه، فقال: قد علمت موقفك منا، وأنا أتخوف أن يكون أمير المؤمنين أزالها عني، فأعلمني ما دام في الأمر نفس. قلت: سبحان الله! يستكتمني أمير المؤمنين، وأطلعك، لا يكون ذاك أبدا(٩).

وهكذا تمت البيعة لعمر بن عبد العزيز نزولا على رغبة الخليفة أمير المؤمنين التي ضمنها كتابه المختوم وكان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني وليته الخلافة من بعدي ومن بعده يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم(١٠).

فلما فتح الكتاب وعلم الناس ما فيه وأن العهد لعمر بن عبد العزيز قالوا: أين عمر - وكان في آخر المسجد - فأخذه رجاء وأجلسه على المنبر فقال: واجتمع الناس إليه فقال: يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم

(٦) البداية والنهاية
(٧) تاريخ دمشق
(٨) حلية الأولياء
(٩) سير أعلام النبلاء
(١٠) تاريخ دمشق



فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضيناك فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضى الناس به جميعا حمد الله - عز وجل - وأثنى عليه وصلى على النبى (ﷺ) فقال: أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شئ وليس من تقوى الله خلف فاعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه. وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادم اللذات وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم أبا لمعرق له فى الموت وإن هذه الأمة لا تختلف فى ربها - عز وجل - ولا فى نبيها (ﷺ) ولا فى كتابها إنما اختلفوا فى الدينار والدرهم وإنى والله لا أعطى أحدا باطلا ولا أمنع أحدا حقا.(11)

وكان أول ما فعله أن أمر مناديه أن ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى، والعباس جالس فقال: يا عباس ما تقول قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلا فقال عمر: ما تقول يا ذمى قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك قم فاردد عليه يا عباس ضيعته فردها عليه فجعل لا يدع شيئا مما كان فى يديه وفى يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة.(12)

موقفه من بيت مال المسلمين

كان أول ما فعله بعد أن ألقى خطبته الأولى فى الخلافة أن أمر بالستور فهتكت والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال أثمانها فى بيت مال المسلمين.(13)

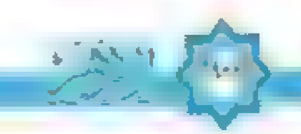
كان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر، فقال لها عمر: من أين صار هذا إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين. قال: إما أن ترديه إلى بيت المال وإما أن تأذنينى فى فراقك فإنى أكره أن أكون أنا وأنت وهو فى بيت. قالت: لا بل أختارك على أضعافه لو كان لى. فوضعته فى بيت المال.(14)

قال الحكم بن عمر، شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب مراكب الخلافة يسألونه العلوفة ورزق خدمها، قال: ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها، واجعل أثمانها فى مال الله، تكفينى بغلتى هذه الشهباء.(15)

ومن مواقفه -أيضا- أنه كان فى الجامع الذى بناه الوليد بدمشق المشهور بجامع بنى أمية سلسلة من ذهب للقناديل، ومازالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز، فجعلها فى بيت المال، واتخذ عوضها صفرا وحديدا.(16)

(يتبع)

(11) و(12) و(13) تاريخ دمشق
(14) الطبقات الكبرى
(15) سير أعلام النبلاء
(16) سقط نحوه [illegible]





بقلم أ.د/ أحمد فؤاد باشا

يزخر التراث الإسلامى بالعديد من المؤلفات العلمية التى تضمنت أفكار ونظريات علمية متقدمة فى ميادين علمية عديدة، ولعل ما يعرف اليوم باسم علم «الخوارزميات» يأتى فى مقدمة العلوم المعاصرة التى تدين بنشأتها وتطورها لرواد العلم الإسلامى فى عصور الازدهار الأولى للمسلمين. وفى مقدمتهم أبو عبدالله محمد بن موسى الخوارزمى الذى يُنسب إلى خوارزم من بلاد أوزبيكستان. وإليه ينسب علم «الخوارزميات» فمن هو الخوارزمى هذا، وما المقصود بالخوارزميات؟

■ السيرة العلمية للخوارزمى:

لا نعرف الكثير عن مولد محمد بن موسى الخوارزمى ونشأته فى خوارزم. لكن أعماله تؤكد أنه عاش فى بغداد فيما بين سنتى ١٦٤ و٢٣٥هـ (٧٨٠- ٨٥٠م)، وبرز فى عصر الخليفة المأمون الذى ولاه أميناً على «دار الحكمة»

وقد نبغ الخوارزمى فى الرياضيات والفلك والجغرافيا والتاريخ والموسيقى، وله فيها مؤلفات عديدة ضمّنها أفكاره العبقرية، ومنها:

كتاب الجمع والتفريق «الطرح» بالحساب الهندى- كتاب الجبر والمقابلة- كتاب الوصايا- كتاب العمل بالأسطرلاب- كتاب المعاملات- كتاب الزيج «جداول فلكية»- كتاب التاريخ-

كتاب تقويم البلدان - كتاب صورة الأرض وجغرافيتها - كتاب جمع بين الحساب والهندسة والموسيقى والفلك.

وقد أفاد من أعمال الخوارزمي كل من جاء بعده، واعتمد عليها أهل أوروبا في بناء نهضتهم الحديثة. فقد ترجم كتابه «الجبر والمقابلة» إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، ليصبح مرجعاً أساسياً في أوروبا ويظل محتفظاً باسمه العربي حتى اليوم في كل لغات العالم، وكان أهم ما دفع الخوارزمي إلى تأسيس هذا العلم الرياضي الجديد هو إيجاد طريقة جديدة لحساب الأنصبة المختلفة للورثة في الشريعة الإسلامية «وهو ما يعرف بحساب المواريث».

وفي الفلك احتل «زيج الخوارزمي» منزلة مهمة في بدايات العلم الإسلامي واتخذه كثير من علماء الفلك بعد ذلك أساساً لمؤلفاتهم وأرصادهم. أما كتابه «تقويم البلدان» فقد عرض فيه آراءه الخاصة المستقلة عن العلم الإغريقي، واعتبره المؤرخون تحديثاً لجغرافية «بطليموس».

وفي علم الحساب كان كتاب الخوارزمي المسمى «الجمع والتفريق» «أو الجمع والطرح» أول كتاب من نوعه يترجم إلى اللاتينية ويظل المصدر المعتمد في البحوث الحسابية التي حملت اسم الخوارزمي، ومن هذا الكتاب عرف الأوروبيون الأرقام العربية arabic Numbers

كتاب الخوارزمي

وأخذوا معنى «الصِّفر» الذي دخل لغاتهم بألفاظ محوَّرة من اللفظ العربي، يقول «روم لانداو» Rom Landau في كتابه «الإسلام والعرب»: «لقد كانت الخدمة الرئيسية التي أسداها العرب في هذا الحقل هي استخدام الصفر استخداماً عملياً. وقد دعاه العرب بهذا الاسم الذي يعني «الفراغ». ومنه اقتبست لفظة cifra اللاتينية، التي تعني الشيء الذي لا قيمة له، والصفر في وقت واحد، وكان العرب قد ظلوا مائتين وخمسين عاماً على الأقل وهم يستخدمون الصفر، إلى أن اقتحمت أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي بأن «الفراغ»[1] «الصفر» لم يكن اختراعاً أحمق إلى الدرجة التي توهّمها مدّعو العلم الغربيون».

ولسنا بحاجة إلى القول أنه لولا الصفر واستعماله في الترقيم لما فاقت الأرقام العربية غيرها من الأرقام، ولما كان لها أية ميزة، بل لما فضلتها الأمم المختلفة على الأنظمة الأخرى المستعملة في الترقيم، ولولا الصفر لما استطعنا أن نحلّ كثيراً من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التي نحلها بها الآن، ولما تقدمت فروع الرياضيات تقدمها المشهور، وبالتالي لما تقدمت المدنية هذا التقدم العجيب، ومن الغريب أن الأوروبيين لم يتمكنوا من استعمال الأرقام العربية، بما فيها الصفر، إلا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها، أي أنه لم يعمّ استعمالها في أوروبا والعالم إلا في أواخر القرن السادس عشر للميلاد[2].

■ خوارزميات العمليات الحسابية.

نتيجة لرسالة الخوارزمي في الحساب استحدثت كلمة «خوارزمية» Algorism أو Algorithm التي تعني طريقة عامة لوصف عملية حسابية محددة بعدد من الخطوات المعتمدة كل منها على سابقتها. وأصبحت الكلمة بعد ذلك علماً قائماً بذاته هو علم «الخوارزميات» في عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة، وتعرّف الخوارزمية في المعاجم الحديثة بأنها متابعة من القواعد أو العمليات تؤدي إلى حل قضية محددة.

مثال (١): عملية الجمع:

لتيسير عملية جمع الأعداد ٣٨٨١ - ٥٤٥٧٧+ ٩٠٤ توضع المراتب متحاذية ويبدأ الجمع من اليمين بطريقة تدوين المحفوظات التي يستخدمها الآن بعض معلمي الحساب الابتدائي «كما هو موضح بالرسم» فيكون الناتج هو ٥٩٣٦٢ والسهولة هنا تكمن في أن الأعداد المحفوظة «المحفوظات» التي تنقل من مرتبة «خانة» إلى المرتبة التي تليها «الأعلى منها» في الخطوات الأولية «الخوارزمية» تساعد على توضيح فكرة جمع الأعداد للمبتدئين في العلم.

مثال (٢): عملية الضرب بطريقة الشبكة:

---

(١) عن زيجريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، الترجمة العربية، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م

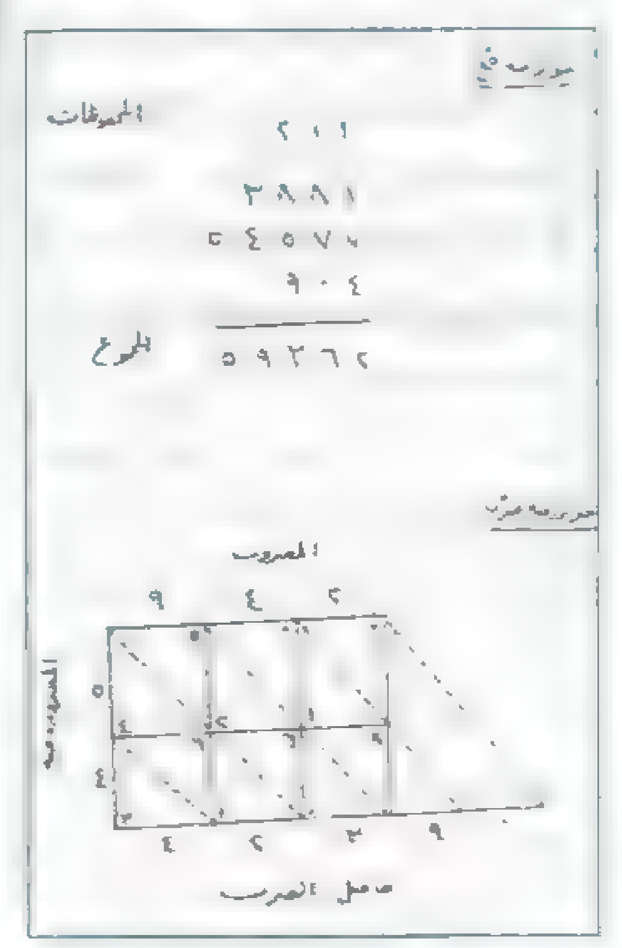
(٢) قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار الشروق (د.ت)

تجرى عملية ضرب العددين ٩٤٢، ٤٥ على سبيل المثال كما هو موضح بالشكل، حيث يكتب المضروب (العدد ٩٤٢) أفقياً فوق المستطيل. ويكتب المضروب فيه «العدد ٤٥» رأسياً على جانب المستطيل، ثم تكوّن خانات مستطيلة، ويقسم كل مستطيل قسمين برسم القطر، ثم تجرى عملية ضرب الأرقام بعضها في بعض، وتسجل الآحاد أعلى القطر والعشرات أسفله على النحو التالي:

تبدأ بالرقم الأول من المضروب من جهة اليمين وهو ٢ ثم يضرب في كل رقم من أرقام المضروب فيه، ويوضع الناتج في المستطيل الذى يقع تحت رقم المضروب ويناظر رقم المضروب فيه، أى نضرب ٢ × ٥ = ١٠ وتضع الصفر فوق القطر والواحد أسفله في المستطيل المناظر للرقم ٥ تحت الرقم ٢. وتضع حاصل ضرب ٤×٢ =٨ في المستطيل المناظر للرقم ٤ تحت الرقم ٢. وهكذا.

ويمكن البدء بالرقم الأول من المضروب فيه، وهو ٥، فيضرب في كل رقم من المضروب، ويوضع الناتج في المستطيل المناظر، أى يضرب ٥ في كل من ٢ و ٤ و ٩ ويضع حواصل الضرب في مستطيلات الصف الأول، ثم نضرب ٤ في كل من ٢ و ٤ و ٩ ونضع حواصل الضرب في مستطيلات الصف الثاني.

وبعد استكمال الشبكة بأى من الطريقتين، تجمع الأعداد كما في الشكل بين كل قطرين، فنجد العدد القطرى الأول هو صفر. والأعداد القطرية التالية هى صفر + ١ + ٨ = ٩، والأعداد القطرية بعدها هى ٥+٢+٦= ١٣، فيكتب ٣ ويؤخذ الواحد ويجمع على الأعداد القطرية بعدها، وهكذا حتى نصل إلى حاصل الضرب المطلوب ٤٢٣٩٠.



ومن الجدير بالذكر أن علماء التربية الحديثة في أوروبا أطلقوا على هذه الطريقة اسم «خوارزمية الضرب بطريقة الشبكة»، وأوصوا باستخدامها في المدارس الابتدائية لسهولة فهمها ومقدرة طلاب هذه المرحلة على استيعابها، فقد جاء في مجلة التربية الحديثة ما نصه:

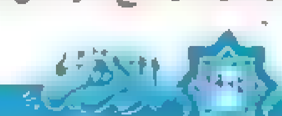
«... وهنا ما حدا بنا إلى درس الأساليب المتنوعة المذكورة في كتب الحساب القديمة بشيء من التوسع والتعمق، وفعلاً قد وجدنا بينها طرقاً عديدة بحسب الاستفادة منها في التعليم».

من ناحية أخرى، أكدت بعض المراجع أن جون نابيير J.Napier (ت ١٦٦٧م) قد أخذ فكرة الضرب بطريقة الشبكة عن الخوارزمي، ولعل ابتكاره لجداول اللوغاريتمات، بجعل الجمع والطرح يقومان مقام الضرب والقسمة، كان متأثراً بخوارزميات المسلمين.

وتكمن عبقرية الفكر الرياضي عند الخوارزمي ومن جاء بعده من علماء المسلمين في أنهم جعلوا الأرقام والخوارزميات من البساطة بحيث ساعدت على الاستغناء في الحساب عن الأدوات المساعدة، مثل المعداد abacus، وتعمل مباشرة بالأعداد ذاتها [illegible]. وسهل هذا إدراك طبيعة الأرقام باعتبارها كائنات مجردة يمكن أن تحل محل أى مجموعة من الأشياء العينية، أو يمكن التعامل معها على أنها مجردات بحتة. وإذا كان أوقليدس وغيره من علماء اليونان قد حرروا الهندسة من قيود المسح الأرضي ومسائل البناء، ومكنوا العلماء من التفكير في الخصائص المجردة للفضاء space والانطلاق نحو التعميم، فإن الخوارزمي وغيره من علماء الحضارة العربية الإسلامية قدموا إنجازاً فكرياً مشابهاً فيما يتعلق بالأرقام ونظرية العدد والحساب، ولولا ذلك ما توصل «نابيير» وغيره من علماء أوروبا إلى حساب اللوغاريتمات التي ظلت جداوله أداة لا يستغنى عنها دارسو الرياضيات حتى أواسط القرن العشرين، بعد أن ظهرت الحاسبات الكهربائية والحواسيب الإلكترونية (١).

(*) عرف أنصار الخوارزميات التي تحمل اسم الخوارزمي في إسبانيا وألمانيا وإنجلترا، الذين كافحوا كفاحاً مريراً من أجل نشر الطريقة الرياضية باسم «الخوارزمي» Algorismiker وكان نصرهم على «المعداديين» من أنصار الطريقة الحسابية المعروفة باسم «المعداد» أو الأباكوس abacus عظيماً، فانتشرت. راجع: زيجريد هونكه، مرجع سابق.

(١) جون ماكليش، العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، الترجمة العربية، عالم المعرفة، ٢٥١، الكويت ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.



بين المجلة والقارئ

الأستاذ: أحمد السيد تقي الدين

زاد الطين بلة

أجل زاد الطين بلة [illegible] وغيرهم ممن أساءوا بتصرفاتهم الطائشة أبلغ إساءة للإسلام ترتب عليها وصف أو وصم المسلمين بالإرهاب، وبأن دينهم يحض على الإرهاب. فقامت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها وفي مقدمتهم إسرائيل [illegible] حرب دعائية ضد الدين الإسلامي. ثم قاموا بتطوير حربهم إلى قتال عسكري مباشر احتلوا على إثره أفغانستان والعراق، مع التلويح بضرب إيران وسوريا.

بعد كل ذلك يلينا بظاهرة القرصنة!!

فجأة ظهر القراصنة بمخاطفاتهم منذ حقبة العصور الوسطى! وأين كان ظهورهم؟

في قلب العالم العربي والإسلامي!! في الصومال.. ذلك البلد المنكوب منذ أكثر من عشرين عاما بحرب أهلية لم تدع على وجه الأرض بيتا قائما، وتحولت الأرض الصومالية إلى أكوام من الرماد لاتصلح للحياة!!

وصار أهل هذا البلد نهبا للمجاعات.

وفي ظل الإهمال الدولي لهذا البلد والتجاهل العربي والإسلامي لحجم المأساة المروعة التي يعيشها الصوماليون لم يجد القوم عملا يقتاتون من ورائه سوى أعمال القرصنة والسلب والنهب، والهجوم على السفن التجارية في عرض البحر والاستيلاء عليها تمهيدا لطلب فدية ضخمة للإفراج عنها، كما زاد هذا النشاط الإجرامي على الأرض والطرق البرية، حيث انتشر قطاع الطرق يهددون المسافرين على الطرق البرية في شرق أفريقيا وامتد نشاطهم [illegible] دول مجاورة عديدة مثل كينيا وجيبوتي والسودان، بل وصل نشاطهم إلى الحدود المصرية والليبية.

وجميع هؤلاء القراصنة يحملون أسماء: أحمد، ومحمد، وعلي، وعبدالله، وعبدالواحد.. أسماء إسلامية تشي بديانة هؤلاء القراصنة وتنقل إلى العالم كله رسالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ألا وهي

هذا هو الإسلام!!

الإسلام دين الإرهابيين!!

الإسلام دين القراصنة!!

ليضيع كل الجهد المبذول في الحديث عن سماحة الإسلام وصورته الحقيقية التي تعرضت للتشويه والتخريب ليس على يد أعدائه، وإنما على يد أبنائه ومحبيه!!

القراصنة ليسوا فقط أبناء الصومال الذين ألجأهم الجوع والفقر والمرض إلى ما صاروا إليه إنما [illegible] تركهم للجوع أولئك الذين تقاعسوا عن نجدة هذا البلد المنكوب بالحروب الأهلية الطاحنة، والمجاعات المدمرة أصحاب المليارات المكدسة في البنوك الأوروبية والأمريكية.. إنهم أثرياء الأمة العربية والإسلامية الذين يرفضون أن يخرجوا زكاة أموالهم لتصبح [illegible] هذا البلد وغيره في حين هرعوا عن بكرة أبيهم لإنقاذ الولايات المتحدة الأمريكية من كارثة الأزمة المالية [illegible] مليارات في شكل هبات وتبرعات لإنقاذ قوم لم يكونوا [illegible] إلا حربا على الإسلام وأهله"

القراصنة الحقيقيون هم أولئك الذين تكاسلوا عن نجدة [illegible] في الدين والعروبة ثم لم يكتفوا [illegible] فقد [illegible] بالإرهاب [illegible] في [illegible] [illegible] ونسوا [illegible] [illegible] [illegible] وقول رسول الله [illegible] ظالما أو مظلوما [illegible] يا رسول الله [illegible] مظلوما [illegible] كان ظالما كيف أنصره؟ [illegible] (رواه البخاري) وقفنا جميعا نتهم قوما جياعا بالإرهاب دون أن نمد لهم يد العون، ونسينا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) الحاكم في المستدرك ٤/٣١٧.

أحمد تقي الدين

والى رسائل القراء:

الحج دعوة للسلام العالمي

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ: أحمد سعد العش، قال:

ما أكثر ما ظهرت الدعاوى البراقة المنادية بالسلام، والتي لاتحمل من السلام إلا اسمه فقط، وهذه الدعاوى تعاود الظهور من وقت إلى آخر عبر وسائل الإعلام المختلفة خاصة في أوقات الحرب أو بعدها بقليل.

وهذه الدعاوى لم تستطع أن توقف حربا أو تمنع عنفا، أو حتى تحول دون إراقة الدماء، التي تسيل في كل مكان على هذه الأرض في هذا الزمن الذي يزعم أهله أنهم متحضرون ويؤمنون بالعدالة والديمقراطية.

والواقع أن كل هذه الدعاوى التي ابتدعها العقل الإنساني والتي لاتستند إلى أساس سماوي قد أثبتت فشلها في معالجة مشكل الحرب والسلام

إن الإسلام يدعو أهله إلى السلام القائم على الحق والعدل، والتمسك به في كل الأحوال، وذلك انطلاقا من قول الله عز وجل

﴿[illegible]﴾

(الأنفال ٦١)

وأفرد الإسلام ركنا خاصا من أركانه تتمثل فيه هذه الحقيقة تمثلا كاملا، هذا الركن هو الحج. والذي يعد أبهى ظاهرة دينية إسلامية يحقق فيها السلام لأهل الأرض جميعا.

فمن الأمور المعلومة من الدين بالضرورة أن فريضة الحج تؤدى في الأشهر الحرم، وفي هذه الأشهر نهى الله تعالى المسلمين عن ظلم النفس، يقول تعالى:

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾

(التوبة: ٣٦)

يقول الإمام ابن كثير «فلا تظلموا فيهن أنفسكم» في كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم، وقال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواه وإن كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء»[1]

ومن المعلوم أن النفس الإنسانية تجنح بصاحبها دائما إلى الهوى إلا من عصم الله تعالى من ذلك والنفس التي تسير تبعا لهواها تحاول الانتصار لنفسها حتى ولو كان على حساب الآخرين فيؤدي هذا الأمر إلى الخصام والتباغض والشقاق.

فأمر الله تعالى المسلمين بكبح جماح أنفسهم خاصة في هذه الأشهر، وطلب من الذين ينزلقون خلف أهوائهم الابتعاد عن هذه الأهواء الفاسدة، حتى لا يقعوا فيما يغضب، يقول جل شأنه:

﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾

(البقرة:١٩٧)

فقد أمر الله عز وجل الحاج أن يبعد عن الرفث والفسوق والجدال لأن هذه الأمور تؤدي في النهاية إلى الخصام والتباغض والشقاق.

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وبين أن البعد عن هذه الأمور يؤدي إلى محو الذنوب وزيادة الأجر والثواب. يقول صلى الله عليه وسلم: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[2]

وقد حرم الله تعالى أربعة أشهر في العام يأمن فيها الناس جميعا على أنفسهم ومصالحهم وأموالهم، ويسيحوا في الأرض كيفما شاءوا دون خوف أو وجل، وأيضا حتى يستطيع المسلمون أداء الحج والعمرة في أمن وأمان.

يقول الله تعالى:

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾

(البقرة: ٢١٧).

وانطلاقا من هذه الآية الكريمة يضع المسلمون عدة الحرب في هذه الأشهر حتى يحققوا قول الله عز وجل:

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾

(التوبة: ٣٦)

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ صـ ٣٤٠ بتصرف

(٢) مختصر صحيح البخاري صـ ١٨٣ طبعة: مكتبة الإيمان بالمنصورة.

ويقول سبحانه:

﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾

(الحج: ٢٥)

يقول الإمام ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى

﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾

«ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» أي يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار، وقال العوفي عن ابن عباس (بظلم) هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم»[3]

وتتأكد هذه الحرمة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب.»[4]

والحج سلام حتى مع الحيوان، فقد حرم الله عز وجل على من ارتدى الإحرام قتل أي حيوان بري، ومن فعل ذلك فقد استوجب الهدى جزاء لما اقترفت يداه.

يقول تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ۝ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾

(المائدة: ٩٥، ٩٦)

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح قتل بعض الحيوانات الضارة بالإنسان بقوله صلى الله عليه وسلم: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»[4]

فعلى من يرفعون شعار السلام، ويزعمون أنهم دعاة للسلام، ويصفون الإسلام بأنه ضد السلام، وأن أهله متعطشون لسفك الدماء بذنب أو بغير ذنب.

عليهم أن يتمعنوا في الأسس والضوابط التي شرعها الله تعالى لأهل الإسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام للسلام الحقيقي الذي يلتزم به كل من نطق بالشهادتين تجاه نفسه وتجاه الآخرين، ليدركوا أن الإسلام دين رحمة للعالمين، فهو دين يدعو للسلام العالمي حتى يعيش الناس جميعا في أمن وأمان.

ومن يخالف هذه الأسس التي شرعها الله تعالى للسلام من أهل الإسلام يقع في المحظور وبذلك يستوجب غضب الله تعالى عليه.

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ صـ ٢٠٨ بتصرف.

(٤) مختصر صحيح البخاري صـ ٢٨ طبعة: مكتبة الإيمان بالمنصورة

من أعلام الإسلام: الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

ومن الأستاذ علي أبواليزيد - بلقاس - دقهلية - كانت هذه الكلمة عن الإمام أبي حنيفة النعمان:

هو النعمان بن ثابت بن زوطي ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ. ولما شب أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان في أوائل المائة الثانية وسمع كثيرا من علماء التابعين.

وكان أبو حنيفة يبيع ثياب الخز بالكوفة معروفا بصدق المعاملة، والبعد عن المماكسة، ربعة من الرجال ومن أحسن الناس منطقا. قال جعفر بن الربيع: - أقمت مع أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول منه صمتا، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي وسمعت له دويا وجهرة في الكلام، وكان إماما في القياس ولا يغتاب أحدا أبدا، ولو كان عدوا له اتصل به كثير من الطلبة وأخذوا عنه وعاونوه في وضع المسائل وفي الإجابة عنها.

أما طريقته في الاستنباط، فهي ما قاله عن نفسه: إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فإذا لم أجده أخذت بسنة رسول الله من الأحاديث التي شاعت في أيدي الثقات، وإذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، أخذت بقول أصحابه من شئت وأترك قول من شئت، ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى التابعيين من بعدهم، أجتهد كما اجتهدوا.

وقال سهيل بن مزاحم: كلام أبي حنيفة الأخذ بالثقة والفرار من القبيح والنظر في معاملات الناس وما استقاموا عليه وصلح عليه من أمورهم، يرد الأمور على القياس، فإذا قبح القياس يمضيه على الاستحسان مادام يمضي له.

وكان يوصل الحديث المعروف الذي قد أجمع عليه ثم يقيس عليه مادام القياس سائغا، ثم يرجع إلى الاستحسان أيهما أوثق، وكان أبو حنيفة عارفا بحديث أهل الكوفة وفقههم، شديد الاتباع لما كان عليه الناس وكان في زمانه بالكوفة من كبار الفقهاء الثلاثة

■ الأول: سفيان بن سعيد الثوري من أئمة الحديث. قال عنه أبي عيينة: ما رأيت رجلا عالما بالحلال والحرام من الثوري، ولد سنة ٩٧هـ. وتوفي سنة ١٦١هـ.

■ والثاني: شريك بن عبدالله النخعي ولد ببخارى سنة ٩٥هـ وتوفي بالكوفة ١٧٧هـ. كان عالما، فقيها، زكيا، تولى القضاء بالكوفة، وكان عادلا في القضاء.

■ والثالث: هو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، ولد سنة ٧٤هـ وتوفي ١٤٨ هـ. وكان من أصحاب الرأي، تولى القضاء بالكوفة سنة ٣٣ هـ وكان فقيها مفتيا ولي لبني أمية، ثم لبني العباس. وكان بين هؤلاء الفقهاء وبين أبي حنيفة وحشة أما الثوري فلأنه من أهل الحديث وأبو حنيفة من أهل الرأى وكان بين الفريقين سوء تفاهم.

وأما ابن أبي ليلى، فكان قاضي البلاد، وكان أبو حنيفة ذا مثل يفتي بخلاف قضائه، فيتأثر ابن أبي ليلى لذلك فشكاه للأمير، فنهاه الأمير عن القضاء، وطلب من أبي حنيفة أن يتولى القضاء فامتنع، وتوفي سنة ١٥٠ هـ.

وله تلاميذ أخذوا في تفريع المسائل وإعداد الجواب عنها. وكانت نسبتهم إليه نسبة المتعلم للمعلم لا نسبة المقلد لشيوخه، لأنهم قد يخالفونه في كثير من المسائل وأشهر هؤلاء التلاميذ أربعة وهم

■ الأول: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ولد سنة ١١٣ هـ واشتغل أولا برواية الحديث ثم تفقه مدة على ابن أبي ليلى، ثم انتقل إلى أبي حنيفة، فكان أكبر معين له، وهو أول من صنف الكتب على مذهب أبي حنيفة، وأملى المسائل ونشر علم أبي حنيفة في أقطار الأرض وأثنى على أبي يوسف كثير من أصحاب الحديث فكان صاحب حديث وفقيه توفي سنة ١٨٢هـ

■ الثاني: زفر بن الهذيل بن قيس الكوفي، ولد سنة ١١٠هـ وكان من أهل الحديث، ثم غلب عليه الرأى، فكان أقيس أصحاب أبي حنيفة ولم يلتفت إلى الدنيا طوال حياته، بل استمر مشتغلا بالعلم والتعليم، حتى مات سنة ١٥٨هـ

■ الثالث: محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم، ولد بواسط سنة ١٣٢ هـ ونشأ بالكوفة، ثم سكن بغداد في كنف العباسيين، طلب العلم في صباه فروى الحديث وأخذ الفقه على طريقة أبي حنيفة.

■ الرابع - الحسن بن زياد اللؤلؤى الكوفي مولى الأنصار من تلاميذ أبي حنيفة أولا ثم أخذ عن أبي يوسف ومحمد، وصنف الكتب في مذهب أبي حنيفة، ولم يكن لكتبه وآرائه من الاعتبار مثل ما لكتب محمد وآرائه، توفي سنة ٢٠٤ هـ

من أعلام الأزهر: الشيخ أحمد الدمنهوري

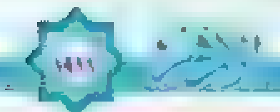
ومن الأستاذ أمجد عبد الله - الإسكندرية - كانت هذه الكلمات عن فضيلة الشيخ أحمد الدمنهورى شيخ الأزهر الأسبق:

هو الشيخ أحمد عبدالمنعم صيام الدمنهوري، ولد بمدينة «دمنهور» سنة ١١٠١هـ وقدم الأزهر وهو صغير يتيم لم يكفله أحد فاشتغل بالعلم وجد في التحصيل وأجازه علماء المذاهب الأربعة وكان ذا حافظة قوية وقدرة على التأليف وبرع في الإفتاء على «المذاهب الأربعة»

ولم يكتف بدراسة علوم الدين فقد شغف بدراسة الطب والفلك والهندسة والمنطق رغم نفور الكثيرين من هذه العلوم فسبق أقرانه وكأنه تنبأ أن يدرس الأزهر يوما هذه المواد وجلس إلى «الشيخ على الزعترى» وكان عالما بالحساب والهندسة ودرس آثار «ابن الهيثم» في الرياضيات والبصريات وآثار «ابن سيناء» في الطب والفلسفة.

ولم يترك كتابا قديما إلا استوعبه، وترك مصنفات في كل فن. في عصر اشتهر بالتخلف، ولما زار مكة حاجا سنة ١١٧٧هـ استقبل أعظم استقبال وأقبل عليه العلماء، إذ سبقته شهرته، وأحبه «على بك الكبير» وكان يجلس إلى دروسه.

وتولى المشيخة سنة ١١٨٢هـ وكان مهيبا لدى أمراء المماليك فلما نشبت الفتنة بين زعماء المماليك وأتباعهم من طائفتي «العلوية والمحمدية» فر «حسن بك الجداوى» من زعماء العلوية أمام مطارديه فلجأ لبيت الشيخ الدمنهورى فلم يجسر أحد على اقتحامه حتى أجاره «إبراهيم بك» وكان لا يعود من درسه إلا في وقت متأخر من الليل ويحرص على صلاة الفجر، وتحدى علماء عصره بما كان يطرح من أسئلة معجزة ثم يقوم بالإجابة عنها مما جعل «على بك الكبير» يتخذه أستاذا ويستشيره في كثير من أمور الدولة وتركزت هذه الأسئلة في خمس:



١- «فى إبطال الجزء الذى لا يتجزأ» وكان السائد أن المادة لا تتجزأ وكأنما سبق علماء الذرة فى ذلك واستدل بقول الله

﴿ [illegible] ﴾

(يونس ٦١)

والأصغر من الذرة نواتها «البروتون» والكويكبات الدائرة حول النواة الإلكترونات.

٢- سأل «ما معنى قول ابن سينا ذات الله نفس الوجود المطلق» وهو سؤال عما يسميه الصوفية «بوحدة الوجود» وعلماء الإسلام ينزهون الله عن «الحلول والاتحاد».

٣- سأل ما معنى قول أبى منصور الماتريدى «معرفة الله واجبة بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه» وشرح آراء المعتزلة وفلاسفة اليونان.

٤- ما معنى قول البرجلى «إن من مات من المسلمين لسنا نحقق موته على الإسلام»، واستدل بحديث رسول الله «إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء» فتخرج بالحوتية

٥- هل الاستثناء فى الكلمة المشرقة «لا إله إلا الله» متصل أو منفصل وقد اختلف النحويون فى إعراب «لا إله إلا الله»

ومن مصنفاته:

١- كشف اللثام عن مخدرات الأفهام فى البسملة والحمدلة

٢- حلية اللب المصون فى شرح الجوهر المكنون «فى البلاغة»

٣- اللطائف النورية فى المنح الدمهورية.

٤- نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف.

٥- درة التوحيد «منظومة فى علم التوحيد».

٦- القول المفيد فى شرح درة التوحيد

٧- شرح الأوفاق العددية «وهو بحث فى استنباط أدق المستقبل عن طريق الأعداد.

٨- شفاء الظمآن بسر «يس قلب القرآن»

٩- عقد الفرائد بما للمثلث من فوائد.

١٠- منتهى الإرادات فى تحقيق الاستعارات «فى البلاغة».

١١- سبيل الرشاد إلى نفع العباد فى الأخلاق.

١٢- الفتح الربانى بمفردات ابن حنبل الشيبانى «فى فقه الحنابلة»

١٣- رسالة عين الحياة فى استنباط المياه «فى الجيولوجيا»

١٤- القول الصريح فى علم التشريح «فى الطب».

١٥- منهج السلوك فى نصيحة الملوك «فى السياسة والأخلاق».

١٦- الندرة اليتيمة فى الصنعة الكريمة «فى الكيمياء».

١٧- طريق الاهتداء بأحكام الأمامة والاقتداء «على مذهب أبى حنيفة».

١٨- إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد «فى الحساب».

١٩- منع الأثيم الحائر عن التمادى فى فعل الكبائر «أخلاق دينية».

٢٠- الأنوار الساطعات على أشرف المربعات «فى الهندسة».

٢١- خلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام «فى القراءات»

٢٢- تحفة الملوك فى علم التوحيد والسلوك «منظومة طويلة».

٢٣- حسن الإنابة فى إحياء ليلة الإجابة «ليلة النصف من شعبان».

ومات فى ١١ من رجب سنة ١١٩٢هـ

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ/ عبد الموجود أبو [illegible] سليمان

قرارات مجلس مجمع البحوث الإسلامية

قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة بتاريخ ٣٠/١٠/٢٠٠٨ الآتى:

١- ترشيح السيد الأستاذ الدكتور محمد شوقى الفنجرى لجائزة الدولة التقديرية فى مجال العلوم الاجتماعية لعام ٢٠٠٩.

٢- ناقش المجلس مذكرة لجنة بحوث القرآن الكريم بتاريخ ٢٥/٦/٢٠٠٨م بشأن مشروعية تحميل القرآن الكريم، وتعليم تلاوته، ونطق كلماته بالعربية على خدمة المحمول.

وقرر المجلس أنه لا مانع - من حيث المبدأ - من الموافقة على مشروع تحميل القرآن الكريم ومعانيه وبعض المواد الإسلامية الأخرى على خدمة الهاتف المحمول «الجوال» بالسويد على أن يتم التنسيق بين الأزهر الشريف والمؤسسة «[illegible]» للثقافة والاندماج» فى اختيار القراء والتلاوة القرآنية وموافاة اللجنة بنموذج من هذا العمل قبل مرحلة [illegible]

٣- بحث مجلس المجمع مذكرة لجنة البحوث الفقهية بشأن «التوسعة الجديدة بين جبلى الصفا والمروة»، حيث قرر المجلس أنه يرجع فيها إلى مفتى المملكة العربية السعودية وإلى علمائها الفضلاء، فأهل مكة أدرى بشعابها.

٤- قرر مجلس المجمع ترشيح الأستاذ الدكتور أحمد على الإمام - مستشار رئيس جمهورية السودان لشئون التأصيل والتخطيط الاستراتيجى ورئيس مجمع الفقه الإسلامى - لعضوية مجلس مجمع البحوث الإسلامية من خارج جمهورية مصر العربية

تأسيس مكتبة الأزهر

نظرًا لما تحويه مكتبة الأزهر الشريف من نفائس الكتب والمخطوطات ونوادر ما كتب عن الإسلام والتراث الإسلامى والإنسانى، فقد [illegible] مكتبة الأزهر بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بإعادة هيكلة وتفعيل مشروع الإنذار المبكر وإطفاء الحريق الآلى لمبنى المكتبة بالأزهر، وتم التعاقد مع إحدى الشركات الكبرى المتخصصة فى [illegible] وصيانة مشروع الإنذار المبكر وإطفاء الحريق الآلى [illegible] المكتبة المكون من [illegible] عشر [illegible]

وقد صرح [illegible] فضيلة الأستاذ مهدى شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر



الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

يستقبل المستشار الثقافي الإيراني

التقى فضيلة الشيخ علي عبدالباقي شحاتة – الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية – بمكتبه الدكتور/ محمد حسن زماني المستشار الثقافي بسفارة إيران بالقاهرة لبحث دعم أواصر التواصل والتعاون وتفعيل العلاقات.

وقد أشاد فضيلة الأمين العام بعمق العلاقات بين دولتي مصر وإيران على جميع الأصعدة خاصة التي تربط الأزهر الشريف بالمؤسسات الدينية الإيرانية.

وأضاف فضيلة الأمين العام: إن الأزهر الشريف يسعده التواصل مع كل المؤسسات الإسلامية، كما أكد فضيلته أن الأزهر الشريف احتضن كل المذاهب دون تعصب لمذهب ضد آخر، وذلك تأكيدا وترسيخا لمكانته الدولية، ومن جانبه أعرب المستشار الثقافي عن سعادته البالغة والحفاوة وكرم الضيافة والاستقبال الذي قوبل به وقال معبرا عن حبه لمصر وللأزهر الشريف:

زهرة أزهرت لوجود سرها
فاستولدت نجما لها هو أزهرُ
أهلا بكم يا شعب مصر بعترة
وردة تفتح في بستان ويزهرُ
مصر وزهرتها مهد كل حضارة
الجامعات [illegible] مظهرُ
[illegible]
ويذكر [illegible] من لا يذكرُ
أهدي إليكم هذه الأبيات كي
تبقى المحبة في القلوب وتظهرُ

وقد رحب الأمين العام بأى مقترحات إضافية لتفعيل التعاون والخروج به من المجال النظرى إلى المجال العملي، خصوصا فيما يتعلق بوحدة الأمة الفكرية.

الشيخ على عبدالباقي يؤكد:
الأزهر لن يدخر أى جهد لتحقيق الوحدة

التقى فضيلة الشيخ علي عبدالباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الوفد التركي المكون من الأساتذة مصطفى [illegible] رئيس مجلس إدارة مستشفى [illegible] ومدير مدارس إسلامية، وجمال تورك رئيس أكاديمية العلوم بإسطنبول وأرجون بابان رئيس تحرير مجلة يني أوميت «الأمل الجديد»، ونوزات صواش رئيس تحرير مجلة حراء و[illegible] مدير مركز [illegible]، وذلك على هامش زيارتهم للقاهرة [illegible] مجلة تركية باللغة العربية «حراء».

وفي بداية اللقاء رحب الأمين العام بالوفد وأثنى فضيلته على مثل هذه اللقاءات التي تزيد من المحبة والإخاء الإسلامي، وكل ما يدعم الوحدة الإسلامية؛ لأن هذا التلاقي يحقق روح السلام بيننا، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لدور الأزهر التعليمي والدعوي لأبناء المسلمين في مصر وفي خارجها، مؤكدا أن الأزهر يستقبل أبناء المسلمين من دول العالم المختلفة لتلقي علوم الدين الإسلامي، وذلك على منح من الأزهر كما أنه يرسل علماءه ومدرسيه لكثير من دول العالم لتعليم أبناء هذه الدول تعاليم الإسلام السمحة.

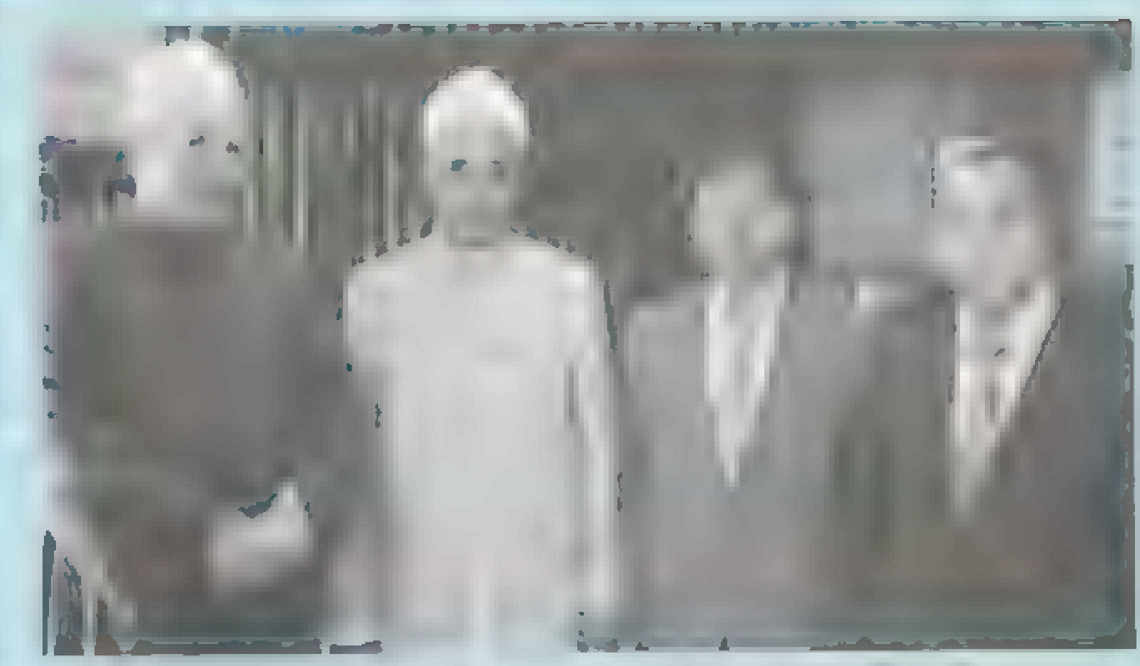
وأضاف الأمين العام إن الأزهر الشريف على

وأضاف الأمين العام: إن الأزهر الشريف لن يدخر أى جهد في محاولة الحفاظ على تلك الوحدة ودعمها خصوصا في هذه الآونة، حيث أصبحت ضرورة [illegible] التحديات التي تواجه الأمة [illegible] فكريا».

هذا وقد وافق الأمين العام على طلب المستشار الثقافي، بدعم المشروع الإيراني بإصدار موسوعة لتقديم العلوم الإنسانية برؤية إسلامية. وأوضح الأمين العام أن مجمع البحوث الإسلامية كانت له سابقة في هذا المضمار، حيث قدم هذا النهج في بحوث مؤتمراته الأولى، حين أصل لمثل هذه الأطروحات من الناحية الدينية، بل وصل الأمر بالمجمع أن صاغ دستورا إسلاميا شمل كل أوجه [illegible] وصاغها في قالب قانوني نابع من روح الدين ومساير للعصر، وقد تم توزيعه على كل الدول الإسلامية لتعميمه.

وتقرر في نهاية اللقاء: العمل على تهيئة الأجواء من الناحية الدينية؛ لمزيد من التعاون والتواصل دعما لوحدة الأمة الفكرية والعمل – كذلك – على دحض المخططات الخارجية التي دأبت على شق الصف الإسلامي فكريا وعقائديا، وإزالة كل ما يقف حجر عثرة أمام فكرة التقارب ولم شتات الأمة فكريا، وتهيئة الجو أمام السياسيين للتقارب السياسي دعما لقوة الأمة سياسيا واقتصاديا، والبعد عن تأجيج الخلاف المذهبي.

وفي نهاية اللقاء تبادل الطرفان بعض الإصدارات التي تحمل وجهات النظر حول القضايا الدينية. وقد حضر اللقاء الأستاذ إسماعيل أبو الهيثم مدير المركز الصحفي بمكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.



استعداد لتقديم يد العون لكل ما يدعم الوحدة الإسلامية، خصوصا في هذه الآونة التي أصبحت فيها روح التعاون بين الأشقاء غير مفعلة، وأكد فضيلته أنه في مثل هذه الأجواء تكتسب هذه اللقاءات تلك الأهمية لأنها تأتي في عصر دعتنا ظروفه إليها.

ومن جانبه شكر السيد مصطفى أوزجان الأمين العام على حسن الاستقبال، قائلا: ليس هذا بغريب على مصر والأزهر ذلك الوجه البشوش وسعة الصدر، وأنهم جاءوا إليها يطلبون الاستشارة حول ما يقومون به مشروعهم التنموي الذي يخدم ٩٠٠ مدرسة إسلامية منتشرة في ١٣٠ دولة في أنحاء العالم، يقوم بالإشراف عليها والإنفاق رجال أعمال أتراك، وذلك بعد نجاح الجهة المشرفة على إقناع رجال الأعمال بتحويل جزء من أموالهم لدعم هذه المدارس.

وأضاف أوزجان أنهم يستطيعون أن يحولوا المصطلحات النظرية إلى واقع عملي حول معنى هذه المصطلحات من التقني كالمقاربات التي يصعب تحقيقها.

وأكد أوزجان أنهم تأسوا بالأزهر الشريف في دعم سماحة الإسلام، حيث إنهم «في تركيا» يرون الأزهر باعتباره مركز العلم ومصدر الإشعاع، وأنه يحمل أمانة ثقيلة، لا تستطيع الأكتاف تحمله حسب.

وشدد أوزجان على أنه لا جدوى من رفع لافتات قلة الإمكانات لأن ذلك يتلاشى أمام العزيمة والإصرار مضيفا إن أهل الصفة على الرغم من قلة حالتهم المالية، فإنهم تفوقوا على غيرهم في نشر دين الله، الأمر الذي يستوجب أن تجري كل المؤسسات في العالم الإسلامي تقويما صحيحا وصادقا، تبحث فيه عن إثبات نفسها كرقم مؤثر في الدعوة إلى الله.

واختتم أوزجان حديثه بالتحذير من مغبة التقاعس والانكماش على الذات والنفس وعدم التحاور، وضرورة اكتساب الخبرات من الأزهر الشريف.

الصيام

فقها وعبادة

أصدرت سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتابها الدوري بعنوان: الصيام - فقها وعبادة» لفضيلة الأستاذ الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر السابق، وقد تناول فيه أحكام الصيام على ضوء المذاهب الأربعة من ناحية الصوم الواجب - المندوب - المكروه - المحرم - ما يفسد الصوم - وما لا يفسده - حالات وجوب القضاء وكيفية القضاء، ثم تناول ما يتم في رمضان من الاعتكاف وحكمه وزكاة الفطر وحكمها ثم أورد في الكتاب بعض الفتاوى التي تتعلق بالصوم وبعض الأدعية المأثورة والكتاب في مجمله مفيد للقارئ المسلم بأسلوبه السهل البسيط النافع، لتضمنه بعض المسائل العامة في فقه الصيام دون تعقيد أو تشديد.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث الإسلامي.

زيادة في قبول الطلاب الوافدين

يشهد العام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ زيادة في أعداد الطلاب الوافدين في مختلف المراحل التعليمية، حيث تم قبول ٩٣٧ تلميذا وتلميذة في المرحلة الإعدادية والتمهيدية فقط من مختلف الجنسيات للدراسة بالأزهر الشريف.

كذلك تم إرسال ملفات الطلاب الذين تحدد المستوى التعليمي لهم من بداية الصف الثاني الابتدائي إلى الصف الثاني الإعدادي إلى المعاهد التي يرغب الطالب فيها بالقرب من مقر سكنه تيسيرا له، كما تم الاختبار التحريري للطلاب في الصف الثالث الإعدادي عن طريق الاختبار التشفهي، وسوف تعلن النتيجة قريبا وترسل ملفاتهم إلى المعاهد بمراحلها الثانوية وفقا للصف الدراسي المحدد له بالنتيجة وجدير بالذكر أن الزيادة كل عام تعكس إقبال المسلمين من مختلف دول العالم على الدراسة بالأزهر الشريف.

صرح بذلك فضيلة الشيخ «رجب سليم» مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.

قوافل التوعية

بمناسبة قدوم موسم الحج حثت الأمانة العامة للوعظ والإعلام الديني مديري العموم والوعاظ على أن تكون دروس الفقه والتفسير في المساجد لشرح مناسك الحج وما يجب على الحاج أن يفعله قبل أن يغادر البلاد، ثم أثناء موسم الحج في كل من منى وعرفات ومزدلفة، والعلاقة بين الحاج والآخر أثناء مناسك الحج، كما كلفت الأمانة العامة للدعوة منطقة وعظ السويس بتوفير العلماء والوعاظ لتوعية الحجاج المسافرين عن طريق البحر لعقد ندوات توعية للحجاج.

كما صرح فضيلة الشيخ عبدالحميد الأطرش - الأمين العام المساعد للدعوة والوعظ - بأن فضيلة الإمام الأكبر قد وافق على الاستعانة بعلماء الوعظ لسد العجز في أعداد محفظي القرآن الكريم في المعاهد الأزهرية، وقد لاقى هذا القرار ترحيب علماء الوعظ.



لفضيلة الشيخ / عبدالنبى فراج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر

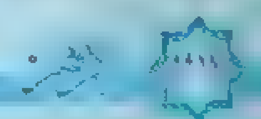
الامين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل وفدا أفغانيا

استقبل فضيلة الشيخ على عبد الباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية صباح يوم الاثنين الموافق ١٠ / ١١ / ٢٠٠٨م نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عددا من أعضاء قسم التشريع بوزارة العدل الأفغانية وأعضاء من قسم البحث القانونى والصياغة فى كل من مجلسى النواب والشورى الأفغانيين. وتأتى هذه الزيارة تلبية لدعوة من مركز برامج شحاتة التابع للمكتب العربى الإقليمى للمنظمة الدولية للقانون التنمية طبقا لبروتوكول التعاون بين المكتب وجمهورية مصر العربية.

وقد أجاب فضيلة الأمين العام على أسئلة الأعضاء المشاركين فى الدورة الدراسية للمكتب عن دور الأزهر بالنسبة للتشريع الذى لا يتصادم مع شريعة الإسلام وإذا صدر قانون مخالف للشريعة الإسلامية تعقد لجنة البحوث الإسلامية بالأزهر للتشاور فى ذلك حتى يتوافق وشريعة الإسلام وضمان حقوق المسلم وغير المسلم

وعن سؤال فيما يتعلق بقانون الحد والقصاص بمصر ودور الأزهر تجاهه أجاب فضيلته بأن الحد شرعته الأديان جميعها . كما أن الدين وضع ضوابط لردع المخالف للحد. وهناك فرق بين القصاص وبين الإعدام فالدين جعل أى اعتداء على جسم الإنسان الذى هو خلق الله يقتص به بقدر ما اعتدى عليه ومن الممكن أن يعفو المعتدى عليه عن الذى اعتدى عليه. أما الجرائم التى لا يوجد لها حد فى الإسلام فيرجع مناقشتها لولى الأمر الذى يحكم فيها.

وفى نهاية اللقاء شكر أعضاء الوفد مواقف فضيلة الإمام الأكبر تجاه الشعب الأفغانى فى حثهم على أن يتحدوا ويتماسكوا فى وجه أى معتد.



الإمام الأكبر فى الأمم المتحدة

شارك فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية فى جلسة الحوار رفيع المستوى المنعقدة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك يومى ١٢، ١٣ نوفمبر ٢٠٠٨ بناء على طلب السعودية لمتابعة نتائج مؤتمر مدريد للحوار «ثقافة السلام» ويشارك فى المؤتمر ملوك السعودية والبحرين والأردن وأمير الكويت ورؤساء كل من الفلبين - الولايات المتحدة - باكستان - فنلندا - لبنان - فلسطين - ورؤساء وزراء قطر - المغرب - جيبوتى - وحاكم الفجيرة ممثلا للإمارات وعبد الله الأزيبى المستشار الخاص للرئيس اليمنى بالإضافة إلى وزراء خارجية الهند - بنجلاديش - كازاخستان - باراجواى - غينيا ووزير الثقافة فى مقدونيا ووزير الشئون الدينية فى سلطنة عمان. وتشارك المملكة المتحدة على مستوى وزير دولة للشئون الخارجية - وإيطاليا على مستوى وزير خارجية سابق كمبعوث خاص. ومن المحتمل مشاركة فرنسا بالرئيس السابق شيراك ممثلا خاصا لفرنسا فضلا عن مشاركة رئيس الوزراء الإيطالى

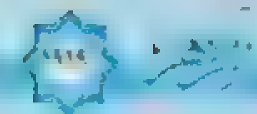
وتعقد جلسة الحوار على نسق جلسات النقاش العامة التى تعقد فى إطار الجمعية العامة، وتشتمل المناقشات على:

١ - إعلان مدريد الصادر عن المؤتمر العالمى للحوار الذى نظمته رابطة العالم الإسلامى بمدينة مدريد الأسبانية تحت رعاية الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود من ١٦ حتى ١٨ يوليو ٢٠٠٨ .

٢ - تقرير الأمين العام للأمم المتحدة تحت عنوان «الحوار والتفاهم والتعاون بين الأديان والثقافات من أجل السلام» وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٦٢ / ٩٢ - الصادر فى ١٧ ديسمبر ٢٠٠٧ والذى أعده السكرتير العام فى تقريره المشار إليه

٣ - التقرير المقدم من المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) تحت عنوان العقد الدولى لثقافة السلام واللاعنف من أجل أطفال العالم ٢٠٠١ - ٢٠١٠م، وقرار الجمعية العامة رقم ٨٩/٦٢ والذى طالب اليونسكو بتقديم التقرير المشار إليه.

جاء ذلك من البعثة الدائمة لجمهورية مصر العربية لدى الأمم المتحدة بنيويورك.



الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير التعليم بدولة بروناى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ٤ / ١١ / ٢٠٠٨م الدكتور حاج محمد بن حيران نائب وزير التعليم بدولة بروناى يرافقه سفير بروناى بالقاهرة. وتأتى هذه الزيارة لتقوية العلاقات الطيبة بين الأزهر ودولة بروناى فى المجالات التعليمية ورغبة بروناى فى إنشاء جامعة إسلامية بها تسير على نهج جامعة الأزهر. كما طلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر الاستعانة فى الدراسة بمناهج الفقه الميسر الذى يدرس فى الأزهر للمرحلتين الإعدادية والثانوية وكذا مناقشة الناحية التعليمية وبعض الكتب الدراسية.

وفى نهاية اللقاء طلب فضيلة الإمام من الضيف التنسيق مع جامعة الأزهر فيما يخص إنشاء الجامعة الإسلامية فى بروناى.

ويستقبل القائم بأعمال سفارة العراق بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأربعاء ٥ / ١١ / ٢٠٠٨م السيد/ سعد محمد رضا القائم بأعمال سفارة العراق بالقاهرة.

وتأتى هذه الزيارة بمناسبة بدء عمله كسفير لبلاده بجمهورية مصر العربية وتمنى فضيلة الإمام الأكبر لسيادته التوفيق فى مجال عمله الجديد.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على مواقف فضيلته الإيجابية تجاه العراق حكومة وشعبا لتوحيد الصف العراقى.

اتفاقية تعاون بين الأزهر ولبنان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر صباح يوم الاثنين الموافق ١٠ / ١١ / ٢٠٠٨م فضيلة الشيخ محمد رشيد قبانى مفتى جمهورية لبنان والوفد المرافق له حيث تم توقيع اتفاقية تعاون بين الأزهر ولبنان فى مجال التعليم وذلك لما للأزهر من دور كبير فى نشر تعاليم الإسلام الصحيحة التى تظهر سماحة الإسلام ووسطيته واعتداله بعيدا عن التشدد والعنف مما جعل له رسالة عالمية يقوم بها مع دول العالم أجمع، وقد رحب الجانب اللبنانى بهذا التعاون البناء وقدم الشكر للأزهر الشريف.



يكتبها: محمود الشنتى - أحمد رضوان

أقر المؤتمر العام الثامن لجمعية الدعوة الإسلامية بطرابلس تأسيس صندوق خيرى إسلامى عالمى مقره مدينة طرابلس بليبيا ولدعم تمويل العمل الإسلامى ببرامجه التربوية والثقافية والدعوية والإنسانية ودعا المؤتمر فى ختام أعماله كل المسلمين للعمل من أجل الحفاظ على المقدسات الإسلامية فى كل مكان وفى مقدمتها القدس الشريف والتعاون فى كشف المخططات التى تستهدف تهويد المسجد الأقصى. وأوصى المؤتمر ببذل الجهود من أجل تعزيز الهوية الإسلامية لدى الناشئة وتأصيل الانتماء للإسلام فى نفوسهم. وذلك من خلال تطوير برامج التربية الروحية واستثمار الرصيد التاريخى الراقى للمهمة وتوسيع دائرة التعريف بالتاريخ الإسلامى وإسهامات المسلمين فى الحضارة الإنسانية

وفى مدينة الرباط عقد برعاية العاهل المغربى المؤتمر الإسلامى الثالث لوزراء البيئة واعتمد المؤتمر الوثيقة الخاصة بمشروع إنشاء المركز الإسلامى للمعلومات البيئية ودعا المراكز والمؤسسات ذات الصلة إلى التعاون مع المركز وتزويده بالمعلومات والإحصاءات الضرورية لتسهيل تبادل الخبرات والتجارب فى هذا المجال واعتمد أيضا تطوير الطاقة المتجددة وآليات تنفيذه فى البلدان الإسلامية

ودعا المؤتمر الدول الأعضاء إلى وضع استراتيجية وطنية وإقليمية ترمى إلى تطوير الطاقة المتجددة واستخدام الطاقة على النحو الأمثل والمحافظة عليها وفق منظور شمولى يأخذ بعين الاعتبار مختلف القضايا ذات الصلة بالتنمية المستدامة عند تنفيذ البرامج والمشروعات فى هذا المجال

كما اعتمد المؤتمر مشروع النظام الداخلى للمكتب التنفيذى الإسلامى للبيئة وانتخب أعضاء المكتب التنفيذى الإسلامى للبيئة وانتخب الأمير تركى بن ناصر بن عبد العزيز الرئيس العام للأرصاد وحماية البيئة فى السعودية رئيسا للمؤتمر وأوصى المؤتمر بدراسة إنشاء صندوق إسلامى لدعم الأبحاث والمشروعات فى مجالات الطاقة المتجددة واعتمد مشروع الإطار العام للتنمية المستدامة فى العالم الإسلامى.

[illegible]

وفى مكة [illegible] الإسلامي مؤتمر مكة التاسع بعنوان «التعريف بالإسلام في البلدان غير الإسلامية الواقع والمأمول» برعاية [illegible] ومشاركة نخبة من العلماء والمفكرين [illegible] والمختصين من الأكاديميين [illegible] الجامعات الإسلامية [illegible] الإسلامي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي أن اختيار الرابطة لموضوع التعريف بالإسلام في البلدان غير الإسلامية موضوعا للمؤتمر [illegible] في وقت [illegible] على حقيقة الإسلام ومبادئه وقيمه من خلال عدة محاور [illegible]

د. عبد الله تركي

[illegible]

وفى [illegible] شاركت [illegible] الجامعات الإسلامية في مؤتمر دولى [illegible] تعزيز التعليم الإسلامي في أوروبا [illegible] ميشارك في المؤتمر لفيف من العلماء والمفكرين من الدول الأوروبية إلى جانب علماء من مصر والمغرب وتركيا.

د. جعفر عبد السلام

وصرح الدكتور جعفر عبد السلام بأن هذا المؤتمر يهدف إلى بناء وتنمية العلاقات الإسلامية الأوروبية على أساس من الفهم المشترك وتدعيم قيم الحوار بين الطرفين، والمساهمة في تطوير برامج [illegible] الإسلامية في أوروبا وتبادل الخبرات في هذا المجال. كما يهدف المؤتمر إلى البحث عن القواسم المشتركة بين الجانبين لتحقيق الصالح العام والسلم والأمن العالمي.

[illegible]

فاز [illegible] ١٢ عاما من الإسكندرية بالمركز الثاني على مستوى العالم في حفظ القرآن الكريم في المسابقة التي نظمتها الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم في مكة المكرمة [illegible] رئيس قسم شئون القرآن الكريم [illegible] ١٠ متسابقين مثلوا مصر في المسابقة العالمية.

[illegible]



د. عكرمة صبري

[illegible] في [illegible] المسجد الأقصى [illegible] الهيئة الإسلامية [illegible] في [illegible] وذلك [illegible] محاولات الجماعات اليهودية المتطرفة في [illegible] المسجد.

وكان على رأس المعتصمين د. عكرمة صبري رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس وخطيب المسجد الأقصى المبارك و[illegible] رئيس مجلس الأوقاف في القدس وشخصيات دينية ومقدسية أخرى، حيث قاموا بجولة في أنحاء المسجد الأقصى المبارك وتمركز المعتصمون في المنطقة الواقعة بين باب المغاربة وبين المسجد القبلي المسقوف، داخل المسجد الأقصى - وهو الموقع الذي تحدد الجماعات اليهودية التواجد فيه عند بداية اقتحامها - وتصدت مجموعة من المصلين المعتصمين لعدد من اليهود المتطرفين من جهة بوابة المغاربة إلا أن محاولتهم فشلت وأحبطت.

وأشاد الشيخ عكرمة صبري باستجابة المواطنين لنداء الهيئة الإسلامية العليا، وقال: إن استجابة المواطنين للنداء [illegible] الأقصى هو [illegible] الجماعات اليهودية في اقتحام المسجد ونحن نتدارس كيفية زيادة عدد المعتصمين وحث الشيخ صبري المصلين على مواصلة الاعتصام والرباط في المسجد الأقصى لمنع وإحباط أي محاولة لاقتحامه.

[illegible]

قررت [illegible] على [illegible] حيث [illegible] الكنيست [illegible] مؤتمر [illegible] ١٤ - ١٥ ديسمبر المقبل تحت شعار «مواجهة الجهاد» استجابة لاقتراح عضو الكنيست الإسرائيلي آرييه ألداد الذي ينتمي إلى كتلة الاتحاد القومي [illegible] مؤتمر [illegible] لمؤتمر [illegible] ويتبع [illegible] يمثل اللبنة الأولى لتحالف برلماني أوروبي إسرائيلي ضد الإسلام حيث يشهد حضورا برلمانيا أوروبيا كثيفا يصل إلى [illegible] ٣٠ [illegible]

ويكتنف [illegible] عنصريه التي يعد أبرزها دانيال بايبس مدير منتدى الشرق الأوسط أحد مراكز الأبحاث الأمريكية والتي تعتبر محاربة الإسلام الركيزة الأساسية للدفاع عن المصالح الأمريكية، والذي سبق له أن طالب بهدم الكعبة الشريفة - والعياذ بالله - انتقاما لتدمير برجي مركز التجارة العالمي.

تونس والمغرب تمنعان دخول مجلة فرنسية لإهانتها الإسلام

حظرت تونس العدد الأسبوعي من مجلة «إكسبريس» الفرنسية لإهانتها الإسلام وذلك بعد يوم من حظر المغرب العدد ذاته من [illegible]

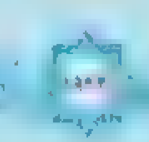
قال مسئولون من البلدين: إن العدد يحتوي على عدد من المقالات [illegible] المسيحية والإسلام ووصفوها بأنها مهينة للإسلام، كما يحمل غلاف المجلة عنوان: «صدمة عيسى ومحمد».

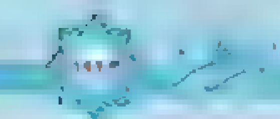
لم تحدد سلطات البلدين مواطن الإهانة بالرغم من أن المجلة أكدت أنها لا تعرف سبب منع توزيع العدد، وأنها [illegible] الإسلامي [illegible] والمسيحية.

[illegible] احتراما لمشاعر المسلمين

اضطر فرع المنتجات الترفيهية لشركة سوني اليابانية العملاقة للإلكترونيات إلى تأجيل إطلاق فيديو جديد بسبب القلق من وجود مقتطفات قرآنية ربما تثير حفيظة المسلمين ومشاعرهم.

وحسب [illegible] الشركة لعبة «Little Bi pine» التي كان مفترضا أن توزع في أسواق العالم بعد أن تبين أن جزءا من موسيقى الخلفية الملحقة باللعبة يحتوي على آيتين من القرآن وأعربت عن اعتذارها عن أي إساءة ربما تكون اللعبة تسببت فيها، مضيفة أنها عدلت تصميم اللعبة التي سيعاد إطلاقها في الأسواق قريبا.





Allah, Glory be to Him, says:

{And of them are the ones who hurt the Prophet and say, "He is an ear!" Say "An ear of charity for you. He believes the believers, and (is) a mercy for the ones of you who have believed, and the ones who hurt the Messenger of Allah, for them is a painful torment."}

[At-Tawbah (The Repentance): 61]

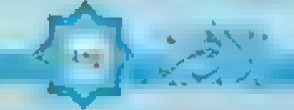
Concerning the reason for the descending of the holy verse as the explainers say:

Ibn Abbas (may Allah be pleased with him) said, "Some hypocrites wronged the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), some of them said that they are afraid that Muhammad Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) may know about their saying, others said that they can say whatever they want and swear that they did not say anything. Muhammad will believe them accordingly as he has a listening ear.

This represents the impoliteness of the hypocrites with the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) as they misunderstood his mercy and tolerance in speaking and listening to the people, and accused him of believing every thing told to him without verification.

Their description of the Prophet as an "ear" means exaggerating his attribute of listening. Their envy and malice caused them to attribute him with the most dangerous attribute of a leader. The holy verse has a very tactful style, as it revealed acceptance for their saying followed by nullification of that saying. The explainers here noticed that it is a decisive successful style, as it made the hypocrites believe that it accepts their saying, and then it nullified that saying and disappointed them.

The verse means that he is really "an ear", but "an ear of charity", as he believes in Allah and His revelation extremely in a way that can not be shaken. Also, he has strong confidence in the believers. If he is not attributed by crookedness, he might punish them after hearing this accusation. However, he was tolerant and merciful everyone can believe him. If you attribute him with shallowness, you want to accuse him with your attribute. Your crime will not pass without penalty: a painful torture.



This torture is represented by your painful feeling when you reveal what you don not really feel. As for us, we do not care about your insult, that matter that reveals our superiority.

Then, the student told the Sheikh, "This is all about verse sixty one, what about the following verse?

The Sheik said, Allah, Glory be to Him, says:

{They swear by Allah to you, to satisfy you. And Allah and His Messenger-it is truly worthier that they should satisfy Him, in case they are believers.}

[At-Tawbah (The Repentance): 62]

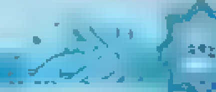
As the hypocrites do not bear the responsibility of right, they escape from frankness and confrontation, as they contradict with their crooked nature. Thus, they try to satisfy the surrounding people with their kindness asking for safety and protection. They follow the same approach even if it contradicts with their dignity. They should have looked further not to stop at satisfying the people, but surpassing them to satisfy Allah and His Messenger, because the people's satisfaction can not be gained and is an idle demand. Allah, Glory be to Him, says:

{And Allah and His Messenger-it is truly worthier that they should Him} [At-Tawbah (The repentance)62]

Saheib Azh-Zhilal says, "How much the people are powerful?" The one who does not fear Allah humiliates himself to another human being, it would be better if he submitted to Allah, to Whom all the people are equal.

The question now is, "Why do they swear to attain satisfaction?"
Their growing feeling of lying causes them to swear frequently to silence their souls that accuse them of lying. If the believers believe them, it happens because they are human beings, but Allah, Glory be to Him, knows the truth.

Translated by: Eman Ali El-Khateb.
Revised and Edited by: Dr.Ibrahim Al-Assil.



the ancient Egyptian used to visit their temples and present reawards and the Arabs used to visit the Kaaba since it was build by Ibrahim.

It was mentioned in the Islamic knowledge, "Hajj to Arafat was not specified to the Arabs only, as pilgrimage to a certain temple is an old sublime worship as it was mentioned in Pentateuch as a religious obligation. Also, it was mentioned in the Exodus that the person should perform pilgrimage for the sake of Allah thrice. In this context, Allah says:

{For every nation we have made aritval.} (Al-Hajj " The Pilgrimage " : 34).

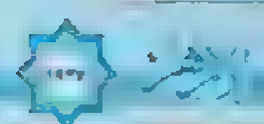
If hajj in the Islamic religion is strange, its strangeness lies in the fact that it is build on a right basis of Allah's orders and His Messenger's explanations, and its rituals are not invented by some scientists and inventors.

The idea of hajj is not a pagan idea or emphasis on the paganism of the Arabs, as some misguided orientalists claim. On the contrary, it is a correction for monotheism that was distorted by the Arabs. The Arabs turned the idea of monotheism, for which Ibrahim called, to polytheism. However, Hajj corrects this meaning, and the hajjis are asked for repeating the sentences of monotheism in every situation, "O, Lord, here we are, here we are, Ipraise be to You, and You own all graces and the whole world, You are the only God".

Hajj-as we mentioned before- is one of the bases of Islam and an obligation imposed on the Muslim who has the ability, and the Muslim that does not perform it while being able, deviates from Islam.

One of the hadiths says, "The one who has the ability to go to the Home of Allah and does not go, he may die as a jewish or Christian, if he wishes, because Allah says," People should perform the rituals of pilgrimage, in case they can, for the sake of Allah."

Immolation is regarded as one of the rituals of hajj, as it reminds us of the grace of sacrifice that Allah bestowed upon Ibrahim. Thus, Allah made these occasions as feast to praise Allah and to renew the remembrance of the sacrifice of Ibrahim. The Muslims in general participate in this feast by immolation, prayers, saying, "Allah is Great" and the aspects of happiness. In these days, the Muslims remember the good pattern of enduring difficulties and being ready to sacrifice for the sake of Allah, as their grandfather Ibrahim did.



Not defending the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By: Dr. Mahmoud Imara

Allah, Glory be to him, says:

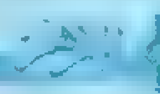
{And of them are the ones who hurt the Prophet and say, "He is an ear!" Say "An ear of charity for you. He believes in Allah and the believers, and (is) a mercy for the ones of you who have believed, and the ones who hurt the Messenger of Allah, for them is a painful torment." They swear by Allah to you, to satisfy you. And Allah and His Messenger-it is truly worthier that they should satisfy Him, in case they are believers. Do they not know that whoever contravenes Allah and His Messenger, then for him is the Fire of Hell, eternally therein (abiding). That is the tremendous disgrace.}
[At-Tawbah (The Repentance): 61-63]

One of my students told me, "After this oppressive campaign against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), what will you say today?

I said, first: Record my feeling of disappointment, as this storm blew after our call with wisdom and good preachment, and after we argued with "the other" in good manners admitting him as a good companion on the way. Second: In any case, it is a good phenomenon. It is the plan of the orientalist Zwimer, who said that any attempt to suggest doubt to any Islamic fact will fail. Thus, we have no way other than ridiculing the Islamic symbols frequently to shake their personalities as well as the principles they are calling for, that drive its value from that of its representative. It will be good that this ridiculing campaign focuses on the Islamic Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Returning to Qur`an

The saying of our today opponents is similar to that of the earlier hypocrites. Thus, it will be better to return to Qur'an to remind us of this matter to console and support us.




The Greater Bairam and Hajj....!

By: The Honourable Sheikh. Abul Wafa Al-Maraghy

Hajj is the fifth Islamic principle according to the narrations of the right hadiths, as it is mentioned in As-Sahih:

"Islam is set upon five principles: Saying that Allah is the only God and Mohammad is His worshipper and Messenger, praying, almsgiving, fasting in Ramadan and performing the rituals of Hajj in case of ability."

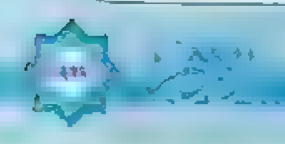
This principle or worship is one of the worships in which body and money contribute. Allah says in this context:

{People should perform the rituals of pilgrimage, in case they can, for the sake of Allah, and the one who disbelieves, surely Allah does not need the whole people.} (Al-Imran " The House hold of Iman " : 97).

This verse is like a miracle in its summarization, as the meaning of ability differs from one person to another, as someone can perform it while walking and having his provisions and money, someone can perform it while catching a plane or a train or riding a camel and having enough money and provisions for traveling and someone has good health that enables him to endure the hardships of the rituals. In all cases, the road should be safe and the hajji should have enough money fro him and the people he is responsible of till the day of coming back, not to be dependent on the society.

This is the easiness that Allah legislated regarding this worship. Actually, this verse is summarized in a way that is explained and interpreted in many ways; as the lazy and luxurious person may interpret the meaning of ability as the train or plane should be equipped with air conditioner, means of communication, beds and different kinds of food that suit him.

There are many opinions between these two interpretations. Hajj includes abandoning the pleasures of life, self-strife, leaving power, escape from sins, resorting to Allah and asking for His mercy. The hajji, at the time of intending to perform the rituals of hajj, should get rid of the worldly matters, get even with the whole people, devote himself to Allah and cling to the ways of



obtaining Allah's satisfaction and forgiveness. This is a kind of spiritual worship, but there is also a social worship that affects the Muslims in benefiting from it in the worldly and religious affairs.

The meeting of Muslims from different parts of the world is a kind of mixing ideas, exchanging cultures, cooperating in solving the problems, and consultation of the Muslims' needs. Also, it can be a good opportunity for trade. The Noble Qur'an summed up this meaning in the saying of Allah, Glory be to Him:

{And announce to mankind to pilgrimage; they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance), they definitely come up from every deep ravine that they may witness (things) profitable to them and mention the Name of Allah on days well-known over such brute cattle as He provided them. So eat thereof, and feed the miserable poor."} (Al-Hajj "The pilgrimage" : 27:28).

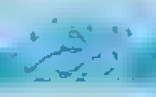
As hajj is regarded as a sacrifice of effort and money, separation from family and country, and full devotion for Allah, Allah assigned great reward for the hajji, as he comes back free from sins. One hadith says, "The one who performed the rituals of hajj and did not use obscene language or dissipate, he came back free from sins such as the day he was born."

Another hadith says, "The only reward for a blessed hajj is paradise."

Due to this meaning, the Muslims are keen on performing it as it becomes the wish of which they dream. Some Muslims wish that they perform the rituals of hajj such as visiting the Kaaba, walking between As-Safa and Al-Marwa, standing on Arafat Mountain, throwing stones in Mena, ending the rituals by visiting our Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). They wish by this hajj to complete their Islam, to satisfy Allah and to be included in the people whom Ibrahim mentioned in his invocation as said:

{let people come to them and grant them something to eat to praise You.} (Ibrahim " Abraham " : 27).

Hajj, meaning visiting a sacred place, is a sacred Islamic worship, as the whole nations have some sacred places to which they go devoting themselves to invocation and worship to be free from sins. The Greek have their pilgrimage to their statues in Athens and other places such as Diana, Minrafah and Az-Zahra. Also, the Indians and the Chinese have their pilgrimage, even





This opinion is indicated by the narration of Abu Huraiyrah about the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "It is not permissible for a woman to travel for a day with unmarriageable person." Ibn Abbas said that he heard the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying, "It is not permissible for a man to stay with a woman while he is an unmarriageable person, and a woman should not travel alone with unmarriageable person. Someone asked the Prophet saying, "I joined an invasion and my wife went to perform hajj, he told him go to perform hajj with your wife.

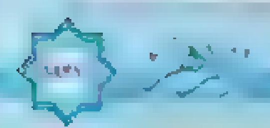
The followers of Al-Sahfi'y, Malek, Zhahery and ImamiyaShiites do not stipulate this condition, as Malek say that a woman may travel to perform hajj with a group of women, and the followers of Al-Shafi'y say that it is enough for a woman to travel with a trustworthy woman.

The followers of Az-Zhaheriyah see that it is supposed that the husband should perform hajj with his wife, and if he does not, he becomes disobedient and she should travel for hajj with some women and without him, and he has no right to prevent her from performing hajj. If a woman does not have a husband, she can not travel for hajj alone, as traveling for hajj is not excluded from the rule that a woman should not travel without a husband if she was an unmarriageable person.

Actually, the reason behind allowing a woman to travel for hajj with a group of women in addition to a safe road is to simplify matters for the women wishing to perform hajj, and that their wish will keep them away from sins.

When a person becomes able to perform hajj, he should do it once in his life, as Muslim in his Sahih, Ahmad in his Musnad and An-Nesa'y in his Sunan mention that Abu Huraiyrah said, "We talked with Allah's Messenger after the descending of hajj verse and said, 'People, hajj is obligatory as Allah imposes it upon you.' A man said, 'Shall we perform it every year?' And he kept silent till he asked it thrice. Then the Prophet said, 'If I said yes, it will be imposed upon you and you may not be able." Then he said, 'Many nations perished due to the frequency of their questions. Try to abide by my orders and avoid the matters that I prohibit.

Thus, its obligation is not limited to a certain time, thus the jurists differ. Most of them believe that it is obligatory in the year in which the person is able, and if he postponed it, he will be sinful. Others believe that there is no sin in postponing it to another year, but if he does not become able afterwards, he becomes sinful. Thus, if this person died, he would become sinful and any other person should



perform hajj in on his behalf.

This difference renders to assimilating the time of hajj to the time of the obligatory prayer; some people assimilate the first time of hajj to the first prayer, and others assimilate it to the last prayer to be done.

The other similarity is that there may be another time that this person can not perform it such as the prayer that a person may not be able to perform at a certain time. The similarity with the first time lies in the fact that the delayed prayer should be performed at the time of the due prayer, while delay in hajj happens at the time when another month comes. Thus, it should be done at one time only and, as we can not fast more than one fasting in Ramadan.

The persons who support the opinion of its performance immediately are, "The followers of Hanbal, Malek, as some of his companions said, Abu Yousef and Al-Karkhy, and it is saidby the school of Azh-Zhaheriah and Imammiyah".

It is mentioned in the books of the followers of Ibn Hanbal, "The one who becomes able to perform hajj, should do it at once and should not postpone it." It is mentioned in the books of the followers of Malek, "The two sayings are narrated about Malek and his companions, and they believe that it should be performed at once."It is mentioned in the books of the followers of Abu Hanifah, "There are different opinions and narrations, as Al-Karkhy mentioned that it should be performed at once, and it was said that it is the opinion of Al-Imam and Abu-Yousef, is was said that it can be postponed, and it is the opinion of Mohammad Ibn Al-Hassan.

It is mentioned in Al-Muhallaa by Ibn hazm Azh-Zhahery, "Hajj and Umrah should not be postponed as long as the person is able to perform them, and the one who does not do that, he becomes sinful and disobedient. It is mentioned in the books of the Shiites who follow Malek's school, "The one who is able to perform hajj should do it at once, because delaying it is a kind of sin.

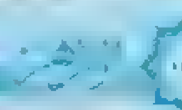
Evidences that support the belief of this group are: Allah's order in the verse: {People should perform the rituals of pilgrimageÖ}

(Al-Imran " The house hold of Imran" : 97)

And His saying:

{And perform hajj and Umrah for the sake of Allah} (Al-Baqarah "The cow" : 197).





2 - Having money that surpasses his main needs to be able to endure that costs of the journey by a means of transportation not on foot, as walking includes difficulty and the long distance. Allah says:

{Allah does not impose upon you in religion any difficulty.}

Some of the followers of Abu Hanifah say that hajj is not imposed on the person who finds the money necessary for hajj by authorization whether from his parents and sons or from other people.

They believe that ability in respect of money is not realized except by ownership. Also, it is not imposed on the debtor who owns money that meets his basic requirements but does not cover his debt, because returning debts is one of his basic requirements and is related to the rights of others. This meaning includes debt for a certain person or to Allah such as alms or penance.

They say that it is conditioned that the person who wants to perform hajj should have enough money for his sons and family that sustain them from his traveling to his coming back, because they need this money. Also, they say that the person who has not married and can not afford for hajj and marriage together, he should marry first because marriage is one of the basic requirements. Moreover, they say that if a person has enough money, which is indebted to a needy person in a way that can not be paid, is not obliged to perform hajj.

The followers of Imam Shafi'y see that one of the conditions of ability to perform hajj is to be financially capable of affording the costs of the trip till he comes back home, and the money should surpass the need of those of whom he is responsible. If he earns the money from his traveling and his trip to perform hajj, he is not obliged to perform hajj, even if his earning in one day will afford for other days because he may not earn his living for an accidental reason. Also, combining the weariness of traveling and earning one's living is a great difficulty, and the person should not ask people to give him money for hajj, as the money should be overabundant.

Also, The followers of Imam Shafi'y consider that the ability to perform hajj being transported by any means of transportation not walking, even if the person is able to walk.

The followers of imam Ahmad Ibn Hanbal see that one of the conditions of ability to perform hajj is to be financially capable of affording the costs of the trip till he comes back home and he should be able to travel by any means of transportation, even if he comes from a short distance . Also, the money should be overabundant and he does not need for necessary purpose such as marriage. If the person needs a residence for himself and his family, he is not obliged to perform hajj, and he should not ask any other people whether relatives or not to give him money for hajj, because he takes the money others need.

The followers of Imam Malek see that ability occurs when the person is capable of walking, and when he does not have the costs of the trip and can take it from other people.

The followers of Azh-Zhaheriyah see that self ability is one of the conditions of the obligation of hajj, and it includes wholesomeness, ability to walk and earn money in his trip till he comes back. Also, he should have enough money to afford him for his trip till he comes back.

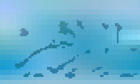
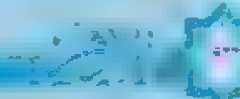
The Shiites who follow the school of Imam Malek see that hajj is obligatory for the person who is able to walk and earn his living even if he is loafer "Ar-Rawdah Al-Bahiyah concerning Damascus gloss part 1 page 159". They see that supplies for the trip depend on the person himself, and that the person should leave the money and supplies that are sufficient for his family. They say that performing hajj on foot is better, except in the case of being weak.

The reason for difference between the group considering hajj is obligatory, only in case of ability to afford enough money and supplies and the other group hajj is obligatory in case of ability to walk and earn living through the trip is that the explanation of ability is not detailed in words. It was mentioned that when the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was asked about the ability to perform hajj, he answered by saying that it means money and supplies necessary for the trip.

3 - They stipulated for realizing the ability to perform hajj that the road should be safe from any enemy, whether this road is terrestrial, marine or aerial, the main factor here is safety. If the person fears for himself, his money and companions to travel through this unsafe road, which is the only possible road, he is not obliged to perform hajj.

In Al-Mughny by Ibn Qudamah, it is mentioned that, "If there is an enemy in the road for hajj, it is not obligatory to perform hajj.

4-The followers of Abu Hanifah and Ahmed ibn hanbal discussed the ability of women, as they see that the woman should travel for hajj with her husband not with unmarriageable person, and if this condition is not available, she is not obliged to perform hajj, even if she is rich.

the situation was severe, the situation was eased and Zamzam spring flew to satisfy everyone who endured Allah's affliction.

Also, remember the great attraction of the Kaaba to which millions of people come whether Muslims and non-Muslims in the pre-Islamic era.

You should know that the spiritual meanings and psychological perfecting factors that come out of strong belief are the magical power that can not be equaled to any other human power in the world. Also, you know that Allah only can subject powers and assemble hearts to those who resort to Him using His Power and merciful human Messages.

Remember this place, which witnessed the Messenger's work, as he was a boy to sustain himself. He worked as a shepherd to Mecca's inhabitants to win his living and to live continent and self-made without surrendering to poverty and orphanage. Also, this place witnessed the torture of Belal (may Allah be pleased with him) to refrain from his creed, and the eternal words he said that show his adherence to his principle and sacrifice for the sake of right: only OneÒonly One.

Remember the people within whom the Prophet and his companion were besieged, but they were patient being characterized with hope and belief. They continued with the same attitude for years without hesitating to refrain from the right path till gaining victory and the end of besiege.

Remember the situation of the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) while taking leave of Mecca immigrating to Medina saying in deep sorrow, "I swear that you are the most preferable place in the world for Allah and for me as well. Unless my

people caused me to come out of you, I would not have left you ever." Then, remember the Prophet's coming back in the day of great conquest after eight years of farewell situation. He was victorious and the brows of the tyrants subjected to him while saying the victory cheer, "Right came true and wrong vanished."

Remember, the standing of the Prophet at Arafat (may the blessings and peace of Allah be upon him) while announcing the extract of the Islamic principles in fixing justice, equality, universal fraternity and peaceful coexistence to strengthen your belief and confidence that it can be a dominating power as before.

Remember, while performing the farewell circumambulation around the Black Stone to return to your homes taking upon yourselves to abide by the Islamic Shari'a, to cooperate to realize benevolence, piety, to strive and sacrifice to raise the Islamic banner rescuing the oppressed from submission and occupation.

People should perform the rituals of pilgrimage, in case they can, for the sake of Allah...!

By: Dr. Muhammad Sallam Madkour

Muslim in his Sahih, Abu Dawud, and An-Nesa'y narrated that Omar said, "While we were sitting with Allah's Messenger, a man dressed in very white clothes and has very dark hair in a way that does not reveal the effects of traveling and he does not know any of us, he came to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) putting his hands of his thighs and saying:

'Muhammad, tell me about Islam. The Prophet said, "It is to believe that Allah is only God and Muhammad is His worshipper and Messenger, to pray, to give alms, to fast in Ramadan and to perform the rituals of hajj if you can.' The man said, 'You are right.' We were amazed by the situation of that man. Then, he asked the Prophet, "Tell me about (iman) belief". The Prophet said, "It is to believe in Allah, His angels, Books, Messengers, the Hereafter and destiny whether good or bad." Then, the man said, 'You are right.' He said, 'Tell me about benevolence." The Prophet said, 'It is to worship Allah as if you see Him, and if you do not, He sees you.' The man said, 'Tell me about the Hereafter.' The Prophet said, 'Allah knows about it more than anyone else. There are many narrations about this situation.

Hajj to Allah's Home is one of the five pillars of Islam, as it is an obligation that is imposed on the one who is able to perform it. Allah says, "People should perform the rituals of pilgrimage, in case they can, for the sake of Allah."

The reasonable adult Muslim can perform it if he meets the following conditions:

1 - Body wholesomeness and the non-existence of the physical obstacles, as the ill, handicapped, imprisoned and afraid of anything that hinders the people to perform hajj.

   Hajj is a physical worship that requires body wholesomeness and the non-existence of the obstacles; and the jurists differ regarding the obligation of the blind and disabled. We will discuss this point in the part of hajj on behalf of some people that if some one can not perform hajj himself and can let someone perform it on his behalf.

Pilgrimage : Memories & Exhortations...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Al-Bukhary narrated about Abdullahi Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) that Allah, Glory be to him, ordered the Prophet Ibrahim (may the peace of Allah be upon him) to leave his wife and son, Ismail in the place which is called Mecca now , and left side. When the Prophet Ibrahim left them lonely in this secluded place and reached a place where no one can see him, he directed himself to the place of Kaaba saying:

{O, Lord! I left my wife and son at a barren place in Kaaba to perform prayers, let people come to them and grant them something to eat to praise You.}

In some of the Prophet Ibrahim's visits to his son, Ismail after his growing up and marriage, he told him that Allah ordered him to establish the Kaaba. Consequently, Ismail cooperated with the Prophet Ibrahim (may the peace of Allah be upon him) to carry out the Allah's order asking Him to bless this place and its people. Allah, Glory be to him, says:

{And as Ibrahim raised up the foundations of the House and Ismail (with him), (saying), "our Lord, (graciously) accept (this) from us. Surely you, Ever You, are the Ever-Hearing, the Ever-Knowing; Our Lord and make us (both) Muslims to you, and of our offspring a nation Muslim to You, and show us our rituals and relent towards us; surely You Ever You are The Superbly Relenting, The Ever-Merciful. Our Lord, and send forth among them a Messenger, (one) of them, who (will) recite to them your ayat and teach them the Book, and (the) Wisdom, and cleanse them; surely You are Ever-Mighty, The Ever-Wise.} Al ñ Baqara (The cows) : "127-129"

This was the first Kaaba set up for the people to be a blessing and guidance for the whole people. Allah ordered the Prophet Ibtahim to prepare the Kaaba to receive the visitors without being hindered by any obstacle. He regarded it as a secure place and one of the religious rituals, revealing the wisdom of the call for visiting this Home in a short sentence, as in His saying, Glory be to Him:

{And as We located for Ibrahim the place of the House (saying), "You shall not associate with Me anything; and purify My House for the circumambulators, and the upright ones, and (the ones) oft bowing down (and) prostrating themselves (in prayer). And announce to mankind to pilgrimage; they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance), they definitely come up from every deep ravine that they may witness (things) profitable to them and mention the Name of Allah on days well-known over such brute cattle as He provided them. So eat thereof, and feed the miserable poor." Al-Hajj (The Pilgrimage) :"26-28"

The benefits refer to good livelihood that meets with Ibrahim's invocation to grant his family and the people inhabiting the place: It is real good granted by Allah to the residents of Mecca and great welfare that is profitable to the Arabs in general, as they feel safe for their caravans and trade. Also, they abandon wars and raids and it is a great benefit for the whole mankind in all religious and worldly fields including political, social, economic and intellectual fields...etc.

Hajj is Ibrahim's call, which aims only for general welfare for the whole humanity: it is based on monotheism, pure worship, intellectual principles and ideal patterns. It has neither partiality nor fanaticism towards a specific sect, as it is a universal call for the sake of Allah only:

{Ibrahim was neither Jewish nor Christian, but a true Muslim; and he was not a polytheist. {Al-Imran "The House hold of imran":67}

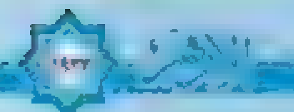
Allah ordered His Messenger Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) to follow this general call with all of its pure constituents:

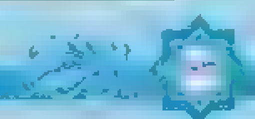
{Say that Allah guided me to the straight path. It is a valuable religion that was Ibrahim's creed, as he was not a polytheist.(Al-Anam "Cattle": 161)

I wish that everyone who responds to Ibrahim's call to remember the old memories of Ibrahim's story to fill his soul with strong belief, by which he can realize honor and welfare for himself, his society and his nation.

Remember, hajji, that this blessed location where you come to perform hajj rituals would not have had this eternal honor except by the ideal pattern of Mrs. Hajar for satisfaction and confidence in Allah despite her distress. The poor mother was satisfied to stay with her son only when Ibrahim was about to leave her, she asked him, "Did Allah order you to do so? He said, "Yes". Then, she said, "So, He will sustain us." The result of this belief was an inhabited home in that barren place, to which millions of people come to perform hajj rituals, and a Message held by the Prophet Mohammad the last Messenger and the ancestor or Ismail and Ibrahim (may the blessings and peace of Allah be upon him) to the whole humanity.

Remember the condition of the wretched mother, while walking frequently wishing to see water or a human being to help her without losing hope. When





AL-AZHAR MAGAZINE
Hejjah, 1429



ENGLISH SECTION
Dec, 2008

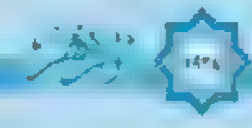
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾

(الأعراف ٤٣)

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."

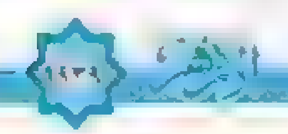
(Al- A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



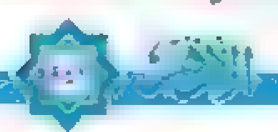
الفهرس السنوى العام لسنة ١٤٢٩

المحرم



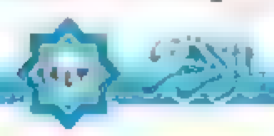
صفر

ربيع الأول



ربيع الآخر

جمادى الأولى



جمادى الآخرة

رجب

شعبان

رمضان



شـــوال

ذو القعدة

فهرس العدد
ذو الحجـة

AL AZHAR
MAGAZINE

Zu -L-Hejjah 1429 A.H -Dec. 2008
VOL. 81 Part XII.

